

النَّوْءُ بِرَبِّهِمَا  
الْمُحَافَظَةُ بِرَبِّهِمَا

المجلد الثاني من سلسلة

دار الفكر العربي











# البداية والنهاية

( في التاريخ )

للإمام الحافظ المفسر المؤرخ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل  
عمر بن كثير، القرشي، ابن الدمشقي، المتوفى سنة ٥٧٧هـ

---

## الجزء التاسع

( الطبعة الأولى سنة ١٣٥١ هـ - ١٩٣٣ م )

مكتبة الطبع والنشر  
دار الفكر العربي



## ثم دخلت سنة أربع وسبعين

فيها: مرل عبد الملك طارق بن عمرو عن إمارة المدينة وأضافها إلى الحجاج بن يوسف الثقفي ، فقدمها فأقام بها أشهراً ، ثم خرج معتمراً ، ثم عاد إلى المدينة في صفر فأقام بها ثلاثة أشهر ، وبنى في بني سلمة مسجداً ، وهو الذي ينسب إليه اليوم . ويقال : إن الحجاج في هذه السنة وهذه المدة - شتم جابراً وسهل بن سعد ، وقرعهما لم لا نصرأ عنان بن عفان ؟ وخاطبهما خطاباً غليظاً - فبعه الله وأخزاه - واستغنى أبو إدريس<sup>(١)</sup> الخولاني أغلته على العين والله أعلم . قال ابن جرير : وفيها قضى الحجاج ببيان السكبة الذي كان ابن الزبير بناء وأعادها على بنيها الأول . قلت : الحجاج لم ينقض ببيان السكبة جميعه ، بل إنما هدم الحائط الذي ، حتى أخرج الحاجر من البيت ، ثم سده وأدخل في جوف السكبة ما فضل من الأجر ، وبقية الحيطان الثلاثة بحالها ، ولهذا بقي البنيان الشرق والغرب - وهما ملتصقان بالأرض - كما هو الشاهد إلى يومنا هذا ، ولكن سدت الشرق بالسكبة وردم أسفل الشرق حتى جعله مرتفعاً كما كان في الجاهلية ولم يبلغ الحجاج وعبد الملك ما كان بلغ ابن الزبير - من العلم النبوي ، الذي كانت أخبرته به خالته عائشة من رسول الله ﷺ . كما تزدحم ذلك من قوله : « لولا أن قومك حديثو عهدم بکفر » وفي رواية : بمجاهلة - لنقضت السكبة وأدخلت فيها الحاجر ، وجعلت لها باباً شرقياً وباباً غربياً ، ولأصقتهما بالأرض ؛ فلما قومت قصرت بهم النفقة فلم يدخلوا فيها الحاجر ، ولم يتموها على قواعد إبراهيم ، ورفقوا بابها ليدخلوا من شاموا ويمشوا من شاموا » . فلما تمكن ابن الزبير بناها كذلك .

ولما بلغ عبد الملك هذا الحديث بعد ذلك قال : ودنا لو تركناه وما نولى من ذلك . وفي هذه السنة : وثى المهلب بن أبي صفرة حرب الأزارقة ، عن أمر عبد الملك لأخيه بشر ابن مروان أن يجهز للمهلب إلى الخوارج في جيوش من البصرة والسكفة ، ووعد بشر على المهلب في نفسه حيث عينه عبد الملك في كتابه ، فلم يجد بداً من طاعته في تأميره على الناس في هذه القزوة ، وما كان له من الأمر شيء . غير أنه أوصى أمير السكوفيين - عبد الله بن مخنف - أن يستبأ الأمر دونه ، وأن لا يقتل له رأياً ولا مشورة ، فسار المهلب بأهل البصرة وأمراء الأرباع معه إلى منازلهم حتى نزل برآمد<sup>(٢)</sup> ، فلم يبق عليها إلا عشراً حتى جاء نبي بشر بن مروان ، وأنه مات

(١) هكذا في الطبري ، وفي نسخة : أبو مسلم

(٢) بلدة بخورستان . والهرمز والهرمزاني : الكبير من أمراء المعجم .

بالصرة ، واستخلف عليها خالد بن عبد الله ، فأرخص بعض الجيش ورجعوا إلى البصرة فبعثوا في آثارهم من يردهم ، وكتب خالد بن عبد الله إلى القازين يتوعدهم إن لم يرجعوا إلى أميرهم ، ويتوعدهم بسعوطه عبد الملك ، فمدلوا يستأذنون عمرو بن حريث في المصير إلى الكوفة . فكتب إليهم : إنكم تركتم أميركم وأقبلتم عاصين مخالفين ، وليس لكم إذن ولا إمام ولا أمار . فلما جاءهم ذلك أقبلوا إلى رحالم فركبوا ، ثم ساروا إلى بعض البلاد فلم يزالوا يحفظون بها حق قدم الحجاج واليا على العراق ، مكانيش بن مروان - كما سيأتي بيانه قريبا .

وفي هذه السنة عزل الملك بكير بن وشاح الحمصي عن إمرة خراسان ، وولاها أمية بن عبد الله ابن خالد بن أسيد القرشي ليجتمع عليه الناس ؛ فإنه قد كادت الفتنة تنفلق بخراسان بعد عبد الله بن خازم . فلما قدم أمية بن عبد الله خراسان - مرض على بكير بن وشاح أن يكون على شرطه ، فأبى وطلب منه أن يوليهِ طخارستان ، فغفوه منه أن يخلعه هناك فتركه مقبلا عنده . قال ابن جرير : وحج بالناس فيها - الحجاج ، وهو على إمرة المدينة ومكة واليمن والحجامة . قال ابن جرير : وقد قيل إن عبد الملك اعتصر في هذه السنة ولا نعلم صحة ذلك .

### ذكر من توفي فيها من الأعيان

رافع بن خديج بن رافع الأنصاري : صحابي جليل ، شهد أحدا وما بعدها ، وصفي مع حل - وكان يتفانى للزراعة والفلاحة ، توفي وهو ابن ستة وعشرين سنة ، وأسد ثمانية وسبعين حديثا . وأحاديثه جيدة . وقد أصابه يوم أحد سهم في رقبته ، فغيره رسول الله ﷺ بين أن يزعجه منه وبين أن يترك فيه العطية ويشهد له يوم القيامة . فاختار هذه ، واعتصم عليه في هذه السنة فأتى منه روحه الله .

أبو سعيد الخدري : هو سعد بن مالك بن سنان الأنصاري الخزرجي . صحابي جليل من قضاة الصحابة ، استصغر يوم أحد ، ثم كان أول مشاهدته الخندق ، وشهد مع رسول الله ﷺ ثنتي عشرة غزوة . وروى عنه أحاديث كثيرة ، ومن جملة من الصحابة ، وحدث عنه خلق من التابعين وجماعة من الصحابة ، كان من نجباء الصحابة وفضلانهم وعلماهم .

قال الواقدي وغيره : مات سنة أربع وسبعين ، وقيل : قبلها بشهرين ، فله أعلم .

قال الطبراني : حدثنا للقدم بن داود ، ثنا خالد بن زرار ، ثنا هشام بن سعيد - عن زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يسار ، عن أبي سعيد الخدري قال : قلت لرسول الله ﷺ أي الناس أشد بلاء ؟ قال : « الذين قلت : ثم أي ؟ قال ثم الصالحون ، إن كان أحدهم لينيل بالفقر حتى ما يجد إلا السخرة »

وفي رواية - إلا العبادة أو نحوها ، وإن أحدهم ليقتل بالقتل حتى ينفذ القتل ، وكان أحدهم بالبلد أشد فرحاً منه بالخاء . وقال قتبية بن سعيد : ثنا أبي بن سعد ، عن ابن محلان ، عن سعيد القبري ، عن أبي سعيد الخدري : أن أله شكوا إليه الحاجة ، فخرج إلى رسول الله ﷺ يسأل لهم شيئاً ، فوافقه على الذب وهو يقول : « أيها الناس قد آن لكم أن تستفتوا عن المسألة فإنه من يستفت بشفه الله ، ومن يستفت بشفه الله ، والذي نفس محمد بيده ، ما رزق الله عبداً من رزق - أوسع له من الصبر ، وأثن آيتهم إلا أن تسألوني - لأعطيكم ما وجدت » وقد رواه العياشي عن عطاء بن يسار ، عن أبي سعيد ، نحوه .

عبد الله بن عمر بن الخطاب القرشي العدوي ، أبو عبد الرحمن السكي ، ثم الذي . أسلم قديماً مع أبيه ولم يبلغ الحلم ، وهاجرا وعمره عشر سنين . وقد استصر يوم أحد ، فلما كان يوم الخندق أجازه ، وهو ابن خمس عشرة سنة ، فشهدا وما بعدها . وهو شقيق حفصة بنت عمر - أم المؤمنين ، أمها زبيب بنت مظلون - أخت عثمان بن مظعون . وكان عبد الله بن عمر ربة من الرجال ، آدم له حجة<sup>(١)</sup> تضرب إلى مشكبيه جسياً يغضب بالصفرة ويعني شارب . وكان يتوضأ لكل صلاة ، ويدخل الماء في أصول يديه ، وقد أراد عثمان عل القضاء ، فأبى ذلك ، وكذلك أبوه وشهد اليرموك والقادسية وجولاء ، وما بينهما من وقائع الفرس ، وشهد فتح مصر ، واخطبها داراً ، وقدم البصرة ، وشهد غزو فارس ، وورد الدائن مراراً ، وكان عمره يوم مات النبي ﷺ تسعين وعشرين سنة . وكان إذا أجمعه شيء من ماله يقره إلى الله عز وجل ، وكان عبده قد عرفوا ذلك منه ، فربما لزم أحدهم المسجد ، فإذا رآه ابن عمر على تلك الحال اعتقه ، فيقال له : لا يجزئك من ذلك ، فيقول : من خدعنا الله أخذنا له . وكان له جارية يحبها كثيراً ، فأعتقها وزوجها لمولاه نافع ، وقال : إن الله تعالى يقول (إن تمالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون)<sup>(٢)</sup> واشترى مرة بغيراً فأعجبه لما ركب ، فقال : يا نافع ، أدخله في إبل الصدقة . وأعطاه ابن جعفر في نافع عشرة آلاف ، فقال : أؤخرها من ذلك ؟ هو حر لوجه الله . واشترى مرة غلاماً بأربعين ألفاً واعتقه ، فقال النلام : يا مولاي ، قد أمتننى فهب لي شيئاً أعيش به ، فأعطاه أربعين ألفاً . واشترى مرة خلة عبيد ، فقام بصل ، فقاموا خلفه يصلون ، فقال : لمن صليتم هذه الصلاة ؟ فقالوا : لله . فقال : أشم أحرار لمن صليتم له ، فأعتقهم . والتقصود أنه ما بات حتى أعتق ألف رقبة ، وربما تصدق في المجلس الواحد بثلاثين ألفاً ، وكانت تفيض عليه الأيام الكثيرة والشهر لا يذوق فيه الحزن إلا وعلى يده يقيم . وبعث إليه معاوية بمائة ألف لما أراد أن يبيع يزيد ، فأحال عليه الحول وعنده منها شيء ، وكان يقول : إني لا أسأل أحداً شيئاً ، وما رزقني الله فلا أرد . وكان في مدة

(١) الربة : الرجل بين الطول والقصر . والآدم من الناس : الأسمر ، والجمع إدمان . والآدم من الإبل : الشديد البياض . والجة : مجتمع شعر الرأس . (٢) الآية ٩٢ من سورة آل عمران .

التفتة لا يأتي أمير إلا صلى خلقه ، وأدى إليه زكاة ماله . وكان أعلم الناس بمناصك الحج ،  
 وكان يفتح آثار رسول الله ﷺ يصلي فيها ، حتى إن النبي ﷺ نزل تحت شجرة ، وكان  
 ابن عمر يتعاهدها ويصحب في أصحابها الماء . وكان إذا قامت العشاء في جماعة أحيا تلك الليلة ،  
 وكان يقوم أكثر الليل ، وقيل : إنه مات وهو في الفضل مثل أبيه ، وكان يوم مات خير من يق.  
 ومكث ستين سنة بقي الناس من سائر البلاد . وروى عن النبي ﷺ أحاديث كثيرة ،  
 وروى عن الصديق ، وعن عمر ، وعثمان ، وسعد ، وابن مسعود ، وحفصة ، وعائشة ، وغيرهم .  
 وعنه خلق كثير منهم : بنوه حمزة ، وبلال ، وزيد ، وسالم ، وعبد الله ، وعبيد الله ، وعمر إن كان  
 محفوظاً ، وأسلم مولى أبيه ، وأنس بن سيرين ، والحسن ، وسعيد بن جبير ، وسعيد بن المسيب ،  
 وطاووس ، وعروة ، وعطاء ، وعكرمة ، ومجاهد ، وابن سيرين ، والزهرى ، ومولاه نافع .  
 وثبت في الصحيح عن حفصة : أن رسول الله ﷺ قال : « إن عبد الله رجل صالح لو كان  
 يقوم الليل » . وكان بعد يقوم الليل . وقال ابن مسعود : إن من أمك شباب قرش لنفسه عن  
 الدنيا - ابن عمر . وقال جابر : ما منا أحد أدرك الدنيا إلا مات به ومال بها - إلا ابن عمر ،  
 وما أصاب أحد من الدنيا شيئاً إلا نقص من درجاته عند الله . وإن كان عليه كريماً . وقال سعيد  
 ابن المسيب : مات ابن عمر يوم مات ، وما من الدنيا أحد أحب أن لقي الله بمثل عمله - منه . وقال  
 الزهرى : لا يعدل برأيه ؛ فإنه أقام بعد رسول الله ﷺ ستين سنة ، فلم ينف عليه شيء من أمره ،  
 ولأمن أمر أصحابه - رضى الله عنهم . وقال مالك : بلغ ابن عمر ستا وثمانين سنة ، وأتقى في الإسلام  
 ستين سنة ، تقدم عليه وفود الناس من أقطار الأرض . قال الواقدي وجماعة : توفي ابن عمر سنة أربع  
 وسبعين ، وقال الزبير بن بكار وآخرون : توفي سنة ثلاث وسبعين ، والأول أثبت ، والله أعلم  
 عبيد بن عمر ، بن قتادة بن سعد بن عامر بن خندع بن ليث ، القتي ، ثم الخندعي - أبو حاتم  
 المكي ، قاضي أهل مكة . قال مسلم بن الحجاج : ولد في حياة النبي ﷺ ، وقال غيره : وراه أيضاً ،  
 روى عن أبيه ، وله صبية ، وعن عمر ، وعطى ، وأبي هريرة ، وابن عباس ، وابن عمر ، وعبد الله  
 ابن عمر ، وأم سلمة وغيرهم ، وعنه جماعة من التابعين وغيرهم ، ووثقه ابن معين ، وأبو زرعة ،  
 وغير واحد . وكان ابن عمر يجلس في حلقة ، ويبيح ، وكان يبعثه تذكيره ، وكان يلبس ،  
 وكان يبيح حتى يبل الحصى بدموعه . قال مهدي بن ميسون ، عن غيلان بن جرير : قال : كان  
 عبيد بن عمر إذا أتى أحد في الله استقبل به التبة ، فقال : اللهم اجعلنا سداً بما جاء به نبيك ،  
 واجعل عمداً شهيداً علينا بالإيمان ، وقد سبقت لنا منك الحسن غير مطاول علينا الأمد ،  
 ولا تآذيه قلوبنا ، ولا تأثلين ما ليس لنا بحق ، ولا سائلين ما ليس لنا به علم . وجكى البخاري  
 عن ابن جريج : أن عبيد بن عمر مات قبل ابن عمر - رضى الله عنه .

أبو جعيفة وهب بن عبد الله السوائي ، صحابي رأى النبي ﷺ ، وكان دون البلوغ عند وفاة النبي ﷺ ، لكن روى عنه عدة أحاديث ، ومنه على ، والبراء بن عازب . وعنه جماعة من التابعين ، منهم : إسماعيل بن أبي خالد ، والحكم ، وسلف بن كهيل ، والشبي ، وأبو إسحاق السبيعي ، وكان قد نزل الكوفة ، وابتنى بها داراً . وتوفي في هذه السنة ، وقيل : في سنة أربع وتسعين ، والله أعلم . وكان صاحب شرطة على ، وكان على إذا خطب يقول أبو جعيفة تحت منبره .

سلفة بن الأكوع بن عمرو بن سنان الأنصاري ، وهو أحد من تابع تحت الشجرة ، وكان من فرسان الصحابة ومن عدائهم . كان يفتي بالبدنية ، وله مشاهد معروفة في حياة النبي ﷺ وبعده . توفي بالبدنية ، وقد جاوز السبعين سنة .

مالك بن أبي عامر الأصمعي اللذي ، وهو جد الإمام مالك بن أنس . روى من جماعة من الصحابة وغيرهم ، وكان فاضلاً عالماً ، توفي بالبدنية .

أبو عبد الرحمن السلي : مفرى . أهل الكوفة بلا مدافعة ، واسمه : عبد الله بن حبيب ، قرأ القرآن على عثمان بن عفان ، وابن مسعود : وسمع من جماعة من الصحابة وغيرهم ، وأقرأ الناس القرآن بالكوفة ، من خلافة عثمان إلى إمرة الحجاج . قرأ عليه عامر بن أبي النجود ، وخلق غيره . توفي بالكوفة .

أبو مرض الأسدي : اسمه منيرة بن عبد الله الكوفي . ولد في حياة النبي ﷺ ، ووفد على عبد الملك بن مروان وامتدحه ، وله شعر جيد ، ويرف بالأنطش . وكان أحمر الوجه كثير الشعر . توفي بالكوفة في هذه السنة ، وقد قارب الثمانين سنة .

بشر بن مروان الأموي : أخو عبد الملك بن مروان . ولي إمرة العراقين لأخيه عبد الملك ، وله دار بدمشق عند عقبة الباب ، وكان صحباً جواداً ، وإليه ينسب دير مروان عند جبهر ، وهو الذي قتل خالد بن حصين الكلبي يوم مرج راهط ، وكان لا يفتق دونه الأبواب ويقول : إنما يحجب النساء . وكان حليق الوجه ، وكان يميز على الشعر بألف ، وقد امتدحه الفرزدق والأخطل . والجمهية تستدل على الاستواء على العرش . بأنه الاستيلاء . بيت الأخطل :

قد استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مراءى

وليس فيه دليل ؛ فإن هذا استدلال باطل من وجوه كثيرة ، وقد كان الأخطل نصرانياً ، وكان سببه موت بشر : أنه وقمت القرحة في عنقه ، فقيل له ينقطعها من المنصل ، فمزح ، فاحس

حتى حاصت الكف ، ثم أصبح وقد خالطت الجوف ، ثم مات . ولما احتضر جمل يبي  
ويقول : والله لوددت أني كنت عبداً أرحى النعم في البادية لبعض الأعراب ، ولم ألي ما وليت ،  
فذكر قوله لأبي حازم - أو لسعيد بن المسيب - ، قال : الحمد لله الذي جعلهم عند الموت يفرون  
إلينا ولم يجعلنا نفر إليهم ، إنا انرى فيهم عبراً . وقال الحسن : دخلت عليه فإذا هو يتململ  
على سريره ، ثم نزل عنه إلى من الهار ، والأطباء حوله .  
مات بالبصرة في هذه السنة ، وهو أول أمير مات بها ، ولما بلغ عبد الملك موته حزن عليه ،  
وأمر الشراء أن يرثوه ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

### ثم دخلت سنة خمس وسبعين

ففيها : غزا محمد بن مروان - أخو عبد الملك بن مروان ، وهو والد مروان الحار - سائفة  
الروم ، حين خرجوا من عند ترعش وفيها : ولي عبد الملك نيابة المدينة ، يحيى بن أبي العاص  
- وهو عمه ، وعزل عنها الحجاج . وفيها ولي عبد الملك الحجاج بن يوسف نيابة العراق والبصرة  
والكوفة ، وما يتبع ذلك من الأقاليم الكبار ، وذلك بعد موت أخيه بشر ، فرأى عبد الملك  
أنه لا يستعنه أهل العراق غير الحجاج ، لسلطوته وقهره وقسوته وشهامته ، فكتب إليه وهو  
بالمدينة ولاية العراق ، فصار من المدينة إلى العراق في اثني عشر راجياً ، فدخل الكوفة على  
حين غفلة من أهلها ، وكان تحتهم النجائب ، فنزل قريب الكوفة ، فاعقل واختضب ، ولبس  
ثيابه ، وتقلد سيفه ، وألقى عذبة العمامة بين كتفيه ، ثم سار فنزل دار الإمارة ، وذلك يوم الجمعة  
وقد أذن المؤذن الأول لصلاة الجمعة ، فخرج عليهم وهم لا يعلمون . فصعد المنبر وجلس عليه ،  
وأمسك من الكلام طويلاً ، وقد شخصوا إليه بأبصارهم وجثوا على الركب ، وتناولوا الحصى  
ليصفقوه بها ، وقد كانوا حصبوا الذي قبله . فلما سكث أبتهتهم وأحبوا أن يسموا كلامه ،  
فكان أول ما تكلم به أن قال : يا أهل العراق ، يا أهل الشقاق والنفاق ، ومساوى الأخلاق ،  
والله إن كان أمركم ليهيئ قبل أن آتي إليكم ، ولقد كنت أدمع الله أن يبتليكم في ، ولقد سقط  
منى البارحة سوطي الذي أؤدبكم به ، فالتفت هذا مكانه - ولما نزل إلى سيفه - ، ثم قال :  
والله لأخذن صغيركم تكبيركم ، وحرركم ببسبكم ، ثم لأرصتكم<sup>(١)</sup> رصع الحداد المحدثه ،  
والخيل العجيبة . فلما سموا كلامه ، جمل الحصى يقصاف من أيديهم . وقيل : إنه دخل الكوفة  
في شهر رمضان ظهراً ، فأتى المسجد ، وصعد المنبر - وهو مثقبير بهامة حراء مثقبير بطرفها - ،

(١) الرصع : القرب باليد ، وشدة الطعن ، ودق الحب بين حجرين .



ثم قال : على الناس اقله الناس وأصحابه من الخوارج ، فهموا به ، حتى إذا اجتمع الناس عام وكشف عن وجهه اللثام وقال :

أنا ابن جَلَا وطلاءُ الثَّنَايا متى أضغ العامة تعرفوني<sup>(١)</sup>

ثم قال : أما والله إني لأحلم الشيء<sup>(٢)</sup> عمله ، وأحذوه بملكه ، وأحزمه بملكه ، وإني لأدري رؤساً قد أينعت وأن انتطافها ، وإني لأنظر إلى الدماء تتفرق بين الجاهم والحي ، قد شربت من ساقها فشمري ، ثم أنشد :

هذا أوان الشَّد فاشتدَّى زيم قد لَقَّها الليل بسواقِ حطَم

ليس يراعى ليل ولا غنم ولا يجرار على ظهر وَصَم

قد لَقَّها الليل بَعْضُي أروع خراج من الدوى<sup>(٣)</sup>

مُهاجر ليس بأغزافي

ثم قال : إني والله يا أهل العراق ما أغز بفساز ، ولا يَفْتَمَعُ لي بالشان<sup>(٤)</sup> ولقد فُورث<sup>(٥)</sup> عن ذكاء ، وجريت إلى الغاية القصوى ، وإن أمير المؤمنين - عبد الله بن مروان - نثر كفايته ثم عجم عيدياتها عوداً ، فوجدني أمرها عوداً وأصلها مضمراً فوحني إليكم ، فأنتم طالما رنتم في أودية الفتن ، وساكم - بيل الفتن ، واخترم جدد الضلال . أما والله لأخوّنكم نحو العود ، ولأعصبنكم عصب السامة<sup>(٦)</sup> ، ولأضربنكم ضرب غرائب الليل . إني والله لا أعد إلا وقيت ، ولا أخلق إلا قرّيت ، نيلاي وهذه الجماعات وقيلاً وقالا ، والله لتستقين على سبيل الحق أو لأدعن لكل رجل منكم شغلأ في حصد . ثم قال : من وجدت بعد ثلاثة من يمّث اللهب - يعني الذين كانوا قد رجعوا عنه لما سمعوا بموت بشر بن مروان كما تقدم - فسكت دمه وانتهت ماله ، ثم نزل فدخل منزله ولم يزد على ذلك .

(١) هذا البيت من قصيدة لسجيم بن وثيل الأرياحي ، رواها الأصبغي في الأصبغيات . والشايب : ما صدر من الجيالي .

(٢) في الطبري : الشرب بدل الشيء .

(٣) هذا الرجز لرويد بن ريمس النضري - وقيل : لشرح بن ضبية - والزم : اسم للحرب . والحطم : الرامى الظلوم للدامية ، والمراد الذي يحطم كل شيء . والوصم : كل ما يقطع عليه اللحم . والمصلي : الشديد القادر على السبل والمشي . والدوى : جمع الدوية - وهي الصلاة .

(٤) الشان : جمع شن - وبهاء : القرية الحلق الصغيرة

(٥) أي اختبرت ، وفر الدابة : كشف عن أسناتها ليرف عمرها

(٦) السامة : شجرة من الصنعة وأعصينكم : أقطمكم

ويقال : إنه لما صد المير واجتمع الناس تحته ، أطال السكوت ، حتى إن محمد بن عُمير أخذ كفان من حمى وأراد أن يصبه بها ، وقال : قُبِحة الله ! ما أعياء وأذم ! فلما نهض الحاجاج وتكلم بما تكلم به - جعل الحمى يذأثر من يده وهو لا يشعر به ، لما يرى من فصاحته وبلاغته . ويقال : إنه قال في خطبته هذه : شأنت الوجوه : إن الله ضرب (مَثَلًا) قَرِيَةً كانت أَمَنَةً مطمئنة بآبئها رزقها وغذاها من "كل" مكان وكفرت بأنعم الله فأذاقها الله الناس الجوع والتأفف عما كانوا يصنعون<sup>(١)</sup> وأنثر أولئك فاستقوا واستقيموا ، فوالله لأذيقنكم الموان حتى تذرؤا ، ولأعصبنكم عصب السمكة حتى تنقادوا ، وأقسم بالله لنفعلن<sup>(٢)</sup> على الإنصاف ولننعلن<sup>(٣)</sup> الإرجاف ، وكان وكان ، وأخبرني فلان عن فلان ، وإيش الخير ! وما الخير ! أولأخبرنكم<sup>(٤)</sup> بالسيف ههنا يدع<sup>(٥)</sup> القساء أياي ، والأولاد يعاى ، حتى تشوا السُّهَى<sup>(٦)</sup> وتقلدوا عن ها - وههنا ... في كلام طويل يلين غريب ، يشتمل على وعيد شديد ، ليس فيه عهد بغير

فلما كان في اليوم الثالث ، سمع تكبيراً في السوق ، فخرج حتى جاس على المير فقال : يا أهل العراق يا أهل الشقاق والنفاق ، ومساوى الأخلاق ! إني سمعت تكبيراً في الأسواق ليس بالتكبير الذي يراد به الترفع ، والسكنة تكبير يراد به الترهيب . وقد عصفت عجاجة تحتها قَصَفٌ<sup>(١)</sup> ، يا بني الأكسية<sup>(٢)</sup> . وعبيد العصا وأبناء الإمام والأياي ، ألا يرفع كل رجل منكم على ظمئيه<sup>(٣)</sup> ، ويحسن حقن دمه ، ويبصر موضع قدمه . فأقسم بالله ، لأدشك أن أوقع بك رقعة تكون نكالا لا قبلها ، وأدبا لا بعدها .

قال : فقام إليه عُمير بن ضافي التميمي ثم الحنظلي فقال : أصالح الله الأمر ، إنا في هذا البعث وأنا شيخ كبير وعليل ، وهذا ابني هو أشد مني قال : ومن أنت ؟ قال عُمير بن ضافي التميمي ، قال : أسمعت كلامنا بالأمس ؟ قال : نعم ! قال : ألسنت الذي غزا عتيان بن عفان ؟ قال : بلى . قال : وما جعلك على ذلك ؟ قال : كان حبس أبي وكان شيئاً كبيراً ، قال : أو ليس هو الذي يقول :

همت ولم أفعل وكدت وليتني  
فعلت ووليت البكاء حلالاً<sup>(٤)</sup>

- (١) الآية : ١١٤ من سورة النحل (٢) أي أقطعنكم ، والخبرة : القطعة من اللحم  
(٣) أي تتفرقوا في كل وجه (٤) القصف : شدة الريح (٥) الأكسية : الحفاء من الإمام  
(٦) الظلم : الوهن والضعف من شدة السير  
(٧) في الطبري : تركت على عتيان تبكي حلالاً

ثم قال المجاج : إني لأحسب أن في قتلك صلاحاً للمصرين ، ثم قال : قم إليه يا حرسو .  
فأضرب عنقه ، فقام إليه رجل ففرض عنقه ، وأتتهب ماله . وأمر منادياً ، فنادى في الناس :  
ألا إنَّ عُمر بن ضامٍ تأخر بعد سماع النداء ثلاثاً ، فأمرنا بقتله ، فخرج الناس حتى ازدحموا  
على الجسر ، فمير عليه في ساعة واحدة - أربعة آلاف من مدحج ، وخرجت معهم المرأة حتى  
وصلوا بهم إلى الهلب ، وأخذوا منه كتاباً بوصولهم إليه ، فقال الهلب : قدم العراق والله - رجل  
ذكر ، اليوم قوتل المدو .

وبرى : أن المجاج لم يعرف عُمر بن ضامٍ ، حتى قال له غنبة بن سعيد : أيها الأمير !  
إن هذا جاء إلى عثان عد ما قتل فلطم وجهه ، فأمر المجاج عند ذلك بقتله .  
وبعث المجاج - الحسك بن أيوب النقي نائباً على البصرة من جهته ، وأمره أن يشتد على خالد  
ابن عبد الله ، وأمر على قضاء الكوفة شريحاً ثم ركب المجاج إلى البصرة ، واستخلف على الكوفة  
أبا ينفور ، وولى قضاء البصرة زُرارة بن أوفى ، ثم عاد إلى الكوفة .

وحج بالناس في هذه السنة عبد الملك بن مروان ، وأقرَّ عهده بمجي على نهاية المدينة ، وعلى  
بلاد حُرَّاسان أمية بن عبد الله . وفي هذه السنة : وثب الناس بالبصرة على المجاج ، وذلك أنه  
لما ركب من الكوفة بعد قتل عُمر بن ضامٍ قام في أهل البصرة ، فغضبهم نظيره ما خطب أهل  
الكوفة من الوعيد والتهديد والأكيد ، ثم أتى رجلاً من بني يشكر فقبل : هذا عاصي ،  
فقال : إن في فتناً ، وقد عذرى الله وعذرى بشر بن مروان ، وهذا عطائي مردود على بيت المال ،  
فلم يقبل منه ، وأمر بقتله ، فقتل ، فخرج أهل البصرة ، وخرجوا من البصرة حتى اجتمعوا عند  
قنطرة زانهرمز ، وعليهم عبد الله بن الجارود . وخرج إليهم المجاج - وذلك في شعبان من  
هذه السنة - في أمراء الجيش ، فاقبلوا هناك قتالاً شديداً ، وقتل أميرهم - عبد الله بن الجارود  
في رؤوس من القاتل معه ، وأمر برؤوسهم ، فقطعت . ونصبت عند الجسر من زانهرمز ،  
ثم بعث بها إلى الهلب ، فتوى بذلك وضمف أمير الخوارج . وأرسل المجاج إلى الهلب ،  
وعبد الرحمن بن مخنف ، فأمرهما بمهاضمة الأزارقة ، فنهضا عن مهمهما إلى الخوارج الأزارقة فأجلاؤهم  
عن أماكنهم من زانهرمز بأكثر قتال ، فهربوا إلى أرض كازرون من إقليم سابور ، وسار  
الغساسق هراهم ، فالتقوا في الشهر الآخر من رمضان .

فلما كان الليل ، بيت الخوارج للهلب من الليل فوجدوه قد تحصن بمخندق حول مسكره ،  
فجأوا إلى عبد الرحمن بن مخنف فوجدوه غير محترز - وكان للهلب قد أمره بالاحتراز بمخندق حوله  
فلم يفعل - فالتقوا في الليل ، فقتلت الخوارج عبد الرحمن بن مخنف وطائفة من جيشه ، وهزمهم

هزيمة مشككة . ويقال : إن الخوارج لما اتفوا مع الناس في هذه الوقعة - كان ذلك في يوم الأربعاء مشرين يقين من رمضان ، فاقتتلوا قتالا شديداً لم يمهّد مثله من الخوارج ، وحملت الخوارج على جيش المهلب بن أبي صفرة ، فاضطروه إلى معسكره ، فحمل عبد الرحمن بن عبد الخليل بسد الخليل ، والرجال بسد الرجال ، فالت الخوارج إلى معسكر عبد الرحمن بسد المصرة فاقتتلوا معه إلى الليل ، فقتل عبد الرحمن في أثناء الليل ، وقتل معه طائفة كثيرة من أصحابه الذين ثبتوا معه .

فلما كان الصباح ، جاء المهلب فصلّى عليه ودفنه ، وكتب إلى الحجاج بمهذبه ، فكتب الحجاج إلى عبد الملك يبرئه فيه ، فمعه عبد الملك إلى الناس بمق ، وأمر الحجاج مكانه عقاب بن ورقاء ، وكتب إليه أن يطعم المهلب ، فذكره ذلك ، ولم يجد بداً من طاعة الحجاج ، وكره أن يخافه . فسار إلى المهلب ، فحمل لا يطعمه إلا ظاهراً ، وبمعيه كثيراً ، ثم تقاولا ، فهم المهلب أن يوقع بمق ، ثم حجّز بينهما الناس ، فكتب عقاب إلى الحجاج يشكو المهلب ، فكتب إليه ، أن يقدم عليه وأعفاه من ذلك . وجعل المهلب مكانه ابنه حبيب بن المهلب .

وفيما خرج داود بن النعمان المازني - بنواحي البصرة ، فوجه إليه الحجاج أميراً على سرية فقتله . قال ابن جرير : وفي هذه السنة تحرك صالح بن مسريح ، أحد بني امرئ القيس ، وكان يرى رأى الصفرية<sup>(١)</sup> ، وقيل : إنه أول من خرج من الصفرية ، وكان سبب ذلك : أنه حج بالناس في هذه السنة ومعه شبيب بن يزيد ، والتطين ، وأشباههم من رؤوس الخوارج ، واتفق حج أمير المؤمنين عبد الملك ، فهم شبيب بالفتك به ، فبلغ عبد الملك ذلك ممن خبره بعد انصرافه من الحج ، فكتب عبد الملك إلى الحجاج أن يتعلمهم ، وكان صالح بن مسريح هذا بكثرة الدخول إلى الكوفة والإقامة بها ، وكان له جماعة يلوذون به ويمتقدونه ، من أهل ذكرا وأرض الموصل ، وكان يعلمهم القرآن ، ويقص عليهم ، وكان مصفراً كثير العبادة . وكان إذا قص يحمد الله ويثني عليه ويصل على رسوله ، ثم يأمر بالزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة ، ويحث على ذكر الموت ، ويترحم على الشيخين : أبي بكر وعمر ، ويثني عليهما ثناء حسناً . ولكن بعد ذلك يذكر عثمان فيسبه وينال منه ، ويشكر عليه أشياء من جنس ما كان يشكر عليه الذين خرجوا عليه وقتلوه من فجرة أهل لأمصار . ثم يحض أصحابه على الخروج مع الخوارج للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وإنكار ما قد شاع في الناس وذاع ، وبهون عليهم القتل في طلب ذلك ، ويذم الدنيا ذمّاً بالغا ، ويصغر أمرها ويحقّر ، فالتف عليه جماعة من الناس . وكتب إليه شبيب بن يزيد الخارجى يستبطله في الخروج ويمتعه عليه وينبذ إليه . ثم قدم شبيب على صالح وهو بداراً ، فتواعدوا وتوافقوا على الخروج في مستقبل صفر من هذه السنة الآتية - وهي سنة ست وسبعين -

(١) الصفرية : صنف من الخوارج ينسبون إلى رئيسهم زياد بن الأسمر ، وقيل غير ذلك في تسميتهم .

وقدم على صالح - شبيب ، وأخوه مصاد ، والحجل ، والنضل بن عامر ، فاجتمع عليه من الأبطال وهو بذرا ، نحو مائة وعشرة أنفس ، ثم وثبوا على خيل لحد بن مروان ، فأخذوها وغروا بها ، ثم كان من أمرهم بعد ذلك ما كان ، كما سذكروه في هذه السنة التي بعدها ، إن شاء الله تعالى .

وكان ممن توفي فيها - في قول أبي مسهر وأبي عبيد :

المرابط بن سارية - رضى الله عنه : السلى أبو بجميع ، سكن حصن . وهو صحابي جليل ، أسلم قديماً هو وعمرو بن حنيفة ، ونزل الصفة . وكان من البكائين المذكورين في سورة براءة ، كما قد ذكرنا أسماءهم عند قوله تعالى : ( وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتُعَلِّمَهُمُ ) <sup>(١)</sup> الآية . وكانوا تسعة ، وهو راوى حديث « خطبنا رسول الله ﷺ خطبة وجلت منها القلوب وزرقت منها العيون ... » الحديث إلى آخره . ورواه أحد ، وأهل السنن ، وصححه الترمذى وغيره ، وروى أيضاً أن النبي ﷺ « كان يصل على الصف للقدم ثلاثاً ، وعلى الثاني واحدة » ، وقد كان المرابط شيخاً كبيراً ، وكان يحب أن يبيضه الله إليه ، وكان يدعو : اللهم كبريت سفي ورهن عظمى ، فاقبضني إليك ، وروى أحاديث .

أبو ثعلبة الغنصى : صحابي جليل ، شهد بيعة الرضوان ، وغزا حنيناً ، وكان ممن نزل الشام بدارا غربي دمشق إلى حمة القيلة ، وقيل : ببلان قرية شرق دمشق ، فله أهل . وقد اختلف في اسمه واسم أبيه على أقوال كثيرة ، والأشهر منها : جرثوم بن ناضر ، وقد روى عن رسول الله ﷺ أحاديث ، وعن جماعة من الصحابة . وعنه : جماعة من التابعين ، منهم : سعيد بن المسيب ، ومكحول الشامي ، وأبو إدريس الخولاني ، وأبو قلابة الجرمي . وكان ممن يجالس كعب الأحمار ، وكان في كل ليلة يخرج فينظر إلى السماء فيتفكر ، ثم يرجع إلى المنزل فيسجد لله عز وجل . وكان يقول : إني لأرجو أن لا يخفى الله عند الموت كما أراكم تختفون ، فبينما هو ليلة يصل من الليل إذ قبضت روحه وهو ساجد . ورأت ابنته في المنام كأن أباه قد مات فأنشبت مذمورة فقالت لأبها : أين أبى ؟ قالت : هو في مصلاه ، فنادته فلم يجيبها ، فجاءته فركبته فسقط جنبه ، فإذا هو ميت ، رحمه الله . قال أبو عبيدة ، ومحمد بن سعد ، وخليفة ، وغير واحد : كانت وفاته سنة خمس وسبعين . وقال غيرهم : كانت وفاته في أول إمرة معاوية ، فله أهل . وقد توفي في هذه السنة .

الأسود بن يزيد : صاحب ابن مسعود ، وهو الأسود بن يزيد الغنصى من كبار التابعين ، ومن أعيان أصحاب ابن مسعود ، ومن كبار أهل الكوفة ، وكان يصوم الدهر ، وقد ذهبت منه

من كثرة الصوم ، وقد حج البيت ثمانين حجة وعمره ، وكان يهل من الكوفة . توفي في هذه السنة ، وكان صوم حتى يخضر ويصفى ، فلما احتضر بكى قيل له : ما هذا الجزع ؟ فقال : مالي لا أجزع ؟ ومن أحمق بذلك مني ؟ والله لو أنبت بالمغفرة من الله ، لأهان الحياء منه بما قد صنعت ، إن الرجل ليكون بينه وبين الرجل القنب للصغير فيمضو عنه ، فلا يزال مستعصياً منه .

حمران بن أبان : مولى عثمان بن عفان ، كان من سبي عين التمر ، اشتراه عثمان ، وهو الذي كان يأذن الناس على عثمان . توفي في هذه السنة ، والله سبحانه أعلم .

### ثم دخلت سنة ست وسبعين

كان في أولها - في مستهل صفر منها ليلة الأربعاء - اجتماع صالح بن مسريح أمير الصفرية ، وشبيب بن يزيد ، أحد شجعان الطوارج ، قام فيهم صالح بن مسريح ، فأمرهم بتقوى الله وحسنهم على الجهاد ، وأن لا يقاتلوا أحداً حتى يدعوهم إلى الدخول معهم ، ثم مالوا إلى دواب محمد بن مروان نائب الجزيرة ، فأخذوها فنفقروا بها ، وأقاموا بأرض ذارا - ثلاث عشرة ليلة ، وتحصن منهم أهل دارا ، وتأمين ، وسنجر ، فبعث إليهم محمد بن مروان نائب الجزيرة خمسمائة فارس ، عليهم : عدي بن عدي بن عميرة ، ثم زاده خمسمائة أخرى ، فسار في ألف من حمران إليهم ، وكأنا بساقون إلى اللوت وهم ينظرون ؛ لا يبدلوا من جلد الطوارج وقوتهم وشدة بأسهم ، فلما التقوا مع الطوارج هزمتهم الطوارج هزيمة شنيعة مائة ، واحتنوا على ماضي مصكرم . ورجع فأمهم إلى محمد بن مروان ، فمضب وبث إليهم ألفاً وخمسمائة مع الحارث بن جمونة ، وألفاً وخمسمائة مع خالد بن الحر ، وقال لهما : أبكما سبق إليهم فهو الأمير على الناس ، فساروا إليهم في ثلاثة آلاف مقاتل ، والطوارج في نحو من مائة نفس وعشرة أنفس ، فلما انتهوا إلى آمد ، توجه صالح في شطر الناس - إلى خالد بن الحر ، ووجه شبيباً في الباقى - إلى الحارث بن جمونة ، فاقفل الناس قتالاً شديداً إلى الليل ، فلما كان المساء انكشف كل من الفريقين عن الآخر ، وقد قتل من الطوارج نحو السبعين ، وقتل من أصحاب ابن مروان نحو الثلاثين ، وهربت الطوارج في الليل فخرجوا من الجزيرة وأخذوا في أرض الموصل ومضوا حتى قطعوا الدسكرة ، فبعث إليهم المعجاج ثلاثة آلاف مع الحارث بن عميرة ، فسار نحوهم حتى لحقهم بأرض الموصل وليس مع صالح سوى تسعين رجلاً ، فالتقى معهم وقد جعل صالح أصحابه ثلاثة كراديس<sup>(١)</sup> ، فهو في كردوس ، وشبيب عن يمينه في كردوس ، وسويد بن سلبان<sup>(٢)</sup> عن يساره في كردوس ،

(١) الكراديس : الفرث والكتائب من الخيل ، والكردوس : القطعة العظيمة من الخيل .

(٢) في الطبرى : ابن سلم

وحل عليهم الحارث بن عتبة ، وعل ، ميمته : أبو الرواع الشكري ، وعلى ميسرة ته : الزبير بن الأرواح التميمي ، فصبحت الخوارج على قتلهم صبراً شديداً ، ثم انكشف سويد بن سليمان ، ثم قتل صالح بن مسرح أميرهم ، وصُرع شبيب عن فرسه ، فالتف عليه بقية الخوارج حتى احتلوه فدخلوا به حصناً هناك ، وقد بقي معهم سبعون رجلاً ، فأحاط بهم الحارث بن عتبة وأمر أصحابه أن يرقوا الباب ففعلوا ، ورجع الناس إلى معسكرهم ينتظرون حريق الباب فيأخذون الخوارج قهراً ، فلما رجع الناس وأطمأنوا خرجت عليهم الخوارج على الصعب والذلول من الباب ، فبيتوا جيش الحارث بن عتبة ، فقتلوا منهم مقتلة عظيمة ، وهرب الناس سراعا إلى المدائن ، واحتاز شبيب وأصحابه ما في معسكرهم . وكان جيش الحارث بن عتبة - أول جيش هزمه شبيب ، وكان مقتل صالح بن مسرح - في يوم الثلاثاء ، لثلاث عشرة ليلة بقيت من جادى الآخرة من هذه السنة .

وفيا : دخل شبيب الكوفة ومعه زوجته غزالة ، وذلك أن شبيباً جرت له فصول يطول تفصيلها بعد مقتل صالح بن مسرح - واجتمعت عليه الخوارج وبأبوه ، ودمت إليه الحجاج جيشاً آخر فقاتلوه فهزموه ، ثم هزمهم بعد ذلك . ثم سار لحجاز المدائن فلم يزل منهم شيئاً ، فسار فأخذ دواباً للحجاج من كلودا ، وفي عزمه أن يبيت أهل المدائن ، فهرب من فيها من الجند إلى الكوفة ، فلما وصل قتلهم<sup>(١)</sup> إلى الحجاج جهز جيشاً أربعة آلاف مقاتل إلى شبيب . فروا على المدائن ، ثم ساروا في طلب شبيب فجعل يسير بين أيديهم قليلاً قليلاً وهو ، يريهم أنه خائف منهم ، ثم يكرّ في كل وقت على المقدمة فيكسرها وينهب ما فيها ، ولا يواحه أحداً إلا هزمه ، والحجاج بلغ في طلبه ويجهز إليه السرايا والبعوث والدد ، وشبيب لا يأتى بأحد ، وإن مامه مائة وستون فارساً ، وهذا من أعجب الدهب . ثم سار من طريق أخرى حتى واجه الكوفة وهو يريد أن يهاجمها ، فخرج الجيش بجأله إلى السبعة<sup>(٢)</sup> لقتاله ، وبلغه ذلك فلم يبال بهم بل ازدهج الناس له وخافوا منه وفرقوا منه ، وهم الجيش أن يدخل الكوفة خوفاً منه ويحصبونها بهامته ، حتى قيل لم : إن - ويد بن عبد الرحمن في آثارهم وقد اقترب منهم ، وشبيب نازل بالمدائن فهاجر يس عنده خبر منهم ولا خوف ، وقد أمر بطعام وشواء أن يصنع له ، فقيل له : قد جاءك الجند فأدرك نفسك ، فجعل لا يلتفت إلى ذلك ولا يكثر بهم ويقول للدهقان الذي يصنع له الطعام : أجبده وأضجه وجعل به . فلما استوى أكله ، ثم نوضاً وضواً تاماً ثم صلى بأصحابه صلاة تامة ببطويل وطبائفة ، ثم لبس درعه وتقلد سيفين وأخذ عمود حديد ثم قال : أسرجوا لي

(١) أي التهمزون منهم . وفي القوم : هزمهم ، والجمع : قتلهم . وأقوال

(٢) السبعة : موضع بالبصرة ، والسبعة أيضاً : أرض ذات نخل وملح

البينة ، فركبها ، فقال له أخوه مصاد : اركب فرساً ، فقال : لا ! حارس كل أمر أجله ، فركبها  
ثم فتح باب الدبر الذى هو فيه وهو يقول : أنا أبو مدلة<sup>(١)</sup> . لا حكم إلا الله ، وتقدم إلى أمير  
الجيش الذى يليه بالعمود الحديد فقتله ، وهم سعيد بن الحجاج ، وحل على الجيش الآخر الكثيف  
فصرع أميره ، وهرب الناس من بين يديه ولجأوا إلى الكوفة . ومضى شبيب إلى الكوفة  
من أسفل الفرات ، وقتل جماعة هناك ، وخرج الحجاج من الكوفة هارباً إلى البصرة ،  
واستخلف على الكوفة : عروة بن المنيرة بن شعبة ، ثم اقترب شبيب من الكوفة يريد دخولها ،  
فأعلم المهاجرين<sup>(٢)</sup> عروة بن المنيرة بذلك فكتب إلى الحجاج يبله بذلك فأسرع الحجاج الخروج من  
البصرة وقصد الكوفة فأسرع السير ، وبادره شبيب إلى الكوفة فسبقه الحجاج إليها فدخلها  
المعسر ، ووصل شبيب إلى المريد عند الغروب ، فلما كان آخر الليل ، دخل شبيب الكوفة  
وقصد قصر الإمارة ف ضرب بابَه بسموده الحديد فأثرت ضربته في الباب ، فكانت تعرف بعد ذلك ،  
يقال : هذه ضربة شبيب ، وسلك في طرق المدينة وتقصص محال القتال ، وقتل رجالاً من رؤساء  
أهل الكوفة وأشراهم ، منهم : أبو سليم ، والفيلسوف بن أبي سليم ، وعدي بن عمرو ، وأزهر بن  
عبد الله السامري ، في طائفة كثيرة من أهل الكوفة ، وكان مع شبيب امرأته غزالة ، وكانت  
معرفة بالشجاعة ، فدخلت مسجد الكوفة وجلست على منبره وجلت تدم بنى مروان .

ونادى الحجاج في الناس : يا خيل الله اركبي ، فخرج شبيب من الكوفة إلى محال الطعن  
والضرب ، فجهز الحجاج في أثره ستة آلاف مقاتل ، فسادوا وراده وهو بين أيديهم بنس وبرز  
رأسه ، وفي أوقات كثيرة يكر عليهم فيقتل منهم جماعة ، حتى قتل من جيش الحجاج خلقاً كثيراً ،  
وقتل جماعة من الأمراء منهم زائدة بن قدامة ، قتله شبيب [ وهو ابن عم المختار ، فوجه الحجاج  
مكانه لحربة عبد الرحمن بن الأشعث ، فلم يقابل شبيباً ورجع ، فوجه مكانه عثمان بن قطن الحارثي ،  
فالتقوا في أواخر السنة فقتل عثمان بن قطن وانهزمت جموعه بعد أن قتل من أصحابه ستائة نفس ؛  
فن أعيانهم : عقيل بن شداد السلولي ، وخالد بن نهيك السكندى ، والأسود بن ربيعة ،  
واستفعل أمر شبيب وتززل له عبد الملك بن مروان والحجاج وسائر الروم وخاف عبد الملك  
منه خوفاً شديداً ، فبعث له جيشاً من أهل الشام قدموا في السنة الآتية ، وإن ما مع شبيب  
شِرذمة قليلة ، ولا ملأ قلوب الناس رعباً<sup>(٣)</sup> . وجرت خطوب كثيرة له معهم ، ولم يزل ذلك  
دأبه ودأبهم حتى استبطلت هذه السنة .

(١) هذه كنية له : والدله : الساهي لقلب الله اذهب البقل من عقق ونحوه ، ومن لا يسي ما نقل وما نقل به

(٢) أى التجار - والمهاجرين - التاجر - فارسى معرب (٣) ما بين القوسين سقط من المصنف



قال ابن جرير : وفي هذه السنة نض عبد الملك بن مروان على الدرام والدنانير ، وهو أول من نضها . [ وقال الماوردي في كتاب الأحكام السلطانية : اختار في أول من ضربها بالبرية في الإسلام ؛ فقال سعيد بن المسيب : أول من ضرب الدرام المنقوشة - عبد الملك بن مروان ، وكانت الدنانير والدرام رومية وكسروية . قال أبو الزناد : وكان نضها في سنة أربع وسبعين . وقال المدائني : خمس وسبعين ، وضربت في الآفاق سنة ستة وسبعين ، وذكر : أنه ضرب على الجانب الواحد منها « الله أحد » وعلى الوجه الآخر : « الله الصمد » قال : وحكى يحيى بن النعمان الغفاري عن أبيه : أن أول من ضرب الدرام - مصعب بن الزبير ، عن أمر أخيه عبد الله بن الزبير ، سنة سبعين - على ضرب الأكرسة ؛ عليها « الملك » من جانب ، و « الله » من جانب ، ثم غيرها الحجاج وكتب اسمه عليها من جانب . ثم خلصها بعده يوسف بن هبة - في أيام يزيد بن عبد الملك ، ثم خلصها أحمود منها - خالد بن عبد الله القسري في أيام هشام ، ثم يوسف بن عمر أجود منهم كلمهم ، وذلك كان المنصور لا يقبل منها إلا المهيوبة ، والخلادية ، واليوسفية . وذكر أنه قد كان للناس نقود مختلفة ، منها : الدرام البطية ، وكان الدرهم منها ثمانية دواقي . والظيرية ، وكان الدرهم منها أربعة دواقي ، والبيني داقق . فجمع عمر بن الخطاب بين البجلي والظيري ، ثم أخذ بنصفها فجعل الدرهم الشرعي - وهو نصف مثقال وخمس مثقال .

وذكروا أن المثقال لم يبر وزن في جاهلية ولا إسلام ، وفي هذا نظر والله أعلم <sup>(١)</sup> . فيها : ولد مروان بن محمد بن مروان بن الحكم ، وهو مروان الحمار آخر من تولى الخلافة من بني أمية ، ومنه أخذها بنو عباس . وفيها حج بالناس أمان بن هبان بن هبان نائب للدينة ، وعلى إمرة العراق الحجاج ، وعلى خراسان أمية بن عبد الله ، والله أعلم .

[ وعن توفي فيها من الأعيان : أبو عثمان النهدي القضاة ؛ اسمه عبد الرحمن بن مل ، أسلم على عهد النبي ﷺ وغزا جلولا ، والنادسية ، وتستر ، ونهاند ، وأذربيجان وغيرها ، وكان كثير العبادة زاهداً طاهراً ، يصوم النهار ويقوم الليل . توفي وعمره مائة وثلاثين سنة بالكوفة . صله بن أشيم العدوي . من كبار التابعين من أهل البصرة . وكان ذا فضل وورع وعبادة ورعه ، كنيته أبو الصهباء . كان يصل حتى ما يستطيع أن يأخذ الفراش إلا حسوا ، وله مناقب كثيرة جداً ، منها : أنه كان يمر عليه شباب يلهون ويلعبون فيقول : أخبروني عن قوم أرادوا سفرًا فنادوا في النهار عن الطريق وناموا الليل فم يقطعون سفرهم ؟ فقال لهم يوماً هذه اللقاة ، فقال شاب منهم : والله يا قوم إنه ما يعني بهذا غيرنا ، نحن بالنهار نلهو وبالليل ننام ، ثم تبع صلة

فلم يزل يتعبد معه حتى مات . وصر عليه فتى يجر ثوبه فهم أصحابه أن يأخذوه بأنفسهم فقال : دعوني  
أكنكم أمراً ، ثم دعاه فقال : يا ابن أخى لى إليك حاجة ، قال : وما حاجتك ؟ قال : أن ترفع إزارك ، قال :  
نعم ، ونصمت عين ، فرفع إزاره ، فقال صلة : هذا أمثل مما أردتم لو شتمتموه اشتكم . ومنها ما حكاها  
جمن بن زيد قال : خرجنا فى غزاة وفى الجيش صلة بن أشيم فنزل الناس عند العتمة ، فقلت : لأمرقن  
عنه الليلة ، فدخل غيضة ودخل فى أثره فقام يصلى وجاء الأسد حتى دنا منه وصمدت أذنانى شجرة ،  
قال : فترأه فأنفست أو عده جرواً حتى سجد ، فقلت : الآن يفترسه ، فجلس ثم سلم قال : أيها السبع  
إن كنت أرت بشئ فافعل وإلا فاطلب الرزق من مكان آخر ، فولى الأسد وإن له زئيراً  
تصدع منه الجبال ، فلما كان عند الصباح جلس لعبد الله يعامد لم أصح يمشيها ثم قال : اللهم إني  
أسألك أن تجبرني من النار ، أو تمنى يجزئى أن يسألك الجنة ! ثم رجع إلى الجيش فأصبح كأنه  
بات على الحشا ، وأصبحت وى من لفترة شئ الله به عليم . قال : وذهبت بناته ثقلها فقال :  
الهم إني أسألك أن ترد على بنلقى بنقلها ، فجاءت حتى قامت بين يديه ، قال : فلما التفتوا بالمدو  
حمل هو وهشام بن عامر فصنمنا بهم طعنا وضرباً ، فقال المدو . رجلان من العرب صنما بنا هذا  
فكيف لو قاتلونا كلهم ؟ أعطوا المسلمين حاجتهم - يعنى أنزلوا على حكمهم . وقال صلة : جئت  
مرة فى غزاة جوعاً شديداً فبينما أنا أسير أدمو ربي وأستطعمه ، إذ سمعت وجبة من خلفى  
فالتفت فإذا أنا بمجدبل أبيض ، فإذا فيه دوخة<sup>(١)</sup> ملأته رطباً فأكلت منه حتى شبعتم ، وأدركنى  
للنساء قلت إلى دير راهب غدتته الحديث ، فاستطمنى من الرطب فأطعمته . ثم إني مررت  
على ذلك الراهب بعد زمان فإذا تخلصت حسان فقال : إنهن لمن الرطبات التى أطعمتني ، وجاء  
بذلك المجدبل إلى امرأته فكانت تربه للناس - ولما أهديت معاذة إلى صلة أدخله ابن أخيه الحمام  
ثم أدخله بيت المروى بيتاً مطيباً ، فقام يصلى فقامت تصلى معه ، فلم يزالا يصليان حتى برق  
الصبح ، قال : فأنيته فقلت له : أى عمأ أهديت إليك ابنة هك الليلة فممت تصلى وتركها ؟ قال :  
إنك أدخلتني بيتاً أول النهار أذكرتنى به النار ، وأدخلتني بيتاً آخر النهار أذكرتنى به الجنة ،  
فلم تزل فسكرتنى فيهما حتى أصبحت ؛ البيت الذى أذكره به النار هو الحمام ، والبيت الذى  
أذكره به الجنة هو بيت المروى . وقال له رجل : ادعوا الله لى ، فقال : رغبت الله فبأبقي ، وزهدك  
فبأبقي ، ورزقك اليقين الذى لا يركن إلا إليه ، ولا يعمل فى الدين إلا عليه . وكان صلة فى غزاة  
ومعه ابنه فقال له : أى بنى ! تقدم فقاتل حتى أحسبك ، فحمل فقاتل حتى قتل ، ثم تقدم صلة فقاتل  
حتى قتل ، فاجتمع النساء عند امرأته معاذة المدوية فقالت : إن كنتن جثتن لهيبين فوحياً بكرى ،  
وإن كنتن جثتن لتعزيتن . فارجمن . توفى صلة فى غزاة هو وابنه نحو بلاد فارس فى هذه السنة .

(١) الدوخة - بتشديد اللام وتخفيفها - ما ينسج من الخوص ويجعل فيه الرطب .

زهير بن قيس البلوي ، شهد فتح مصر وسكنها ، له حجة ، قتلته الروم بركة من بلاد المغرب ؛ وذلك أن الصريح أفى الحاكم بمصر - وهو عبد العزيز بن مروان - أن الروم نزلوا بركة ، فأمره بالتهوض إليهم ، فساق زهير ومعه أربعون نفساً ، فوجد الروم ، فأراد أن يكف عن القتال حتى يلحقه السكر ، فقالوا : يا أبا شداد ، احمل بنا عليهم ، فحملوا فقتلوا جميعاً .

المنذر بن الجارود ، مات في هذه السنة . توفي بيت المال ، ووفد على معاوية ، والله أعلم <sup>(١)</sup> .

### ثم دخلت سنة سبع وسبعين

فيها : أخرج الحجاج مقاتلة أهل الكوفة وكانوا أربعين ألفاً ، وضاف عليهم عشرة آلاف ، فصاروا خمسين ألفاً ، وأمر عليهم عتاب بن ورقاء ، وأمره أن يقصد لشبيب أين كان ، وأن يصمم على قتاله - وكان قد اجتمع على شبيب ألف رجل - وأن لا يفلتوا كما كانوا يفعلون قبلها من الفرار والمزمنة . ولما بلغ شبيباً ما بث به الحجاج إليه من المساكر والجنود ، لم يبدأ بهم شيئاً ، بل قام في أصحابه خطيباً ، فوعظهم وذكركم وحشهم على الصبر عند اللقاء ومناجزة الأعداء . ثم سار شبيب بأصحابه نحو عتاب بن ورقاء ، فالتقيا في آخر النهار عند غروب الشمس ، فأمر شبيب مؤذنه - سلام بن يسار الشيباني ، فأذن للمغرب ، ثم صلى شبيب بأصحابه للمغرب صلاة تأمة الزكوع والاسجود ، وصف عتاب أصحابه - وكان قد خندق حوله وحول جيشه من أول النهار - فلما صلى شبيب بأصحابه للمغرب انظر حتى طلع القمر وأضاء ، ثم تأمل للبيعة والليسة ، ثم حمل على أصحاب رايات عتاب وهو يقول : أنا شبيب أبو مدله ، لا حكم إلا لله ، فهزمهم وقتل أميرهم - قبيصة بن ورقاء - وجماعة من الأمراء معه ، ثم كثر على البيعة وعلى الليسة ، ففرق شمل كل واحدة منهما ، ثم قصد القلب فما زال حتى قتل الأمير عتاب بن ورقاء ، وزهرة بن جونة ، وولي عامة الجيش مدبرين ، وداسوا الأمير عتاب وزهرة ، فوطئتهما الخيل ، وقتل في المعركة حمار بن يزيد الكلبي .

ثم قال شبيب لأصحابه : لا تقيموا منهزماً ، وانهمز جيش الحجاج عن بكرة أبيهم واجتمعوا إلى الكوفة . وكان شبيب لما احتوى على المسكر ، أخذ من بقي منهم البيعة له بالإمارة ، وقال لهم : إلى أي ساعة تهربون ؟ ثم احتوى على ما في المسكر من الأموال والحواصل <sup>(٢)</sup> ، واستمدى بأخيه مصاد من الدائن ، ثم قصد نحو الكوفة ، وقد وفد إلى الحجاج سفيان بن الأبرد

(١) ما بين القوسين سقط من بعض النسخ . (٢) أي البقايا من كل شيء .

السكبي ، وحبيب بن عبد الرحمن الحسكي من مذبح - في ستة آلاف فارس ، ومعهما خلق من أهل الشام : فاستنقى الحجاج بهم من نصرة أهل السكوفة ، وقام في الناس خطيباً ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : يا أهل السكوفة ، لا أعز الله من أراد بكم العز ، ولا نصر من أراد بكم النصر ، أخرجوا عنا فلا تشهدوا معنا قتال عدونا ، الحقوا بالخيرة ، فأنزلوا مع اليهود والنصارى ، فلا يقاتل معنا إلا من كان عاملاً لنا ، ومن لم يشهد قتال عتاب بن وركاء .

وهزم الحجاج على قتال شبيب بنفسه ، وسار شبيب حتى بلغ الصراء<sup>(١)</sup> . وخرج إليه الحجاج بن معه من الشاميين وغيرهم .

فلما تواجه الفريقان ، نظر الحجاج إلى شبيب وهو في سائمة ، فخطب الحجاج أهل الشام وقال : يا أهل الشام ، أنتم أهل السمع والطاعة والصبر واليقين ، لا يتأين باطل هؤلاء الأراجيس حرككم ، فغضوا الأبصار واجثوا على الركب ، واستقبلوا بأطراف الأسيئة ، ففعلوا ذلك .

وأقبل شبيب وقد عي أصحابه ثلاث فرق ؛ واحدة معه ، وأخرى مع سويد بن سليم ، وأخرى مع الجليل بن وائل . وأمر شبيب سويداً أن يحمل ، فحمل على جيش الحجاج ، فصبروا له حتى إذا دنا منهم وثبوا إليه وثبة واحدة ، فانهزم عنهم ، فنادى الحجاج : يا أهل السمع والطاعة هكذا فافعلوا . ثم أمر الحجاج بقدم كرسية التي هو جالس عليه إلى الأمام . ثم أمر شبيب الجليل أن يحمل فحمل ، فثبوا له ، وقدم الحجاج كرسية إلى أمام . ثم إن شبيباً حمل عليهم في كتيبتيه ، فثبوا له ، حتى إذا غشى أطراف الأسيئة وثبوا في وجهه فقاتلهم طويلاً ، ثم إن أهل الشام طاعنوه حتى الحقوه بأصحابه ، فصار رأى صبرهم نادى : يا سويد ، احمل في خيلك على أهل هذه السرية لمالك تزيل أهلها عنها فأت الحجاج من ورائه ، وحمل بمن عليه من أمامه ، فحمل فلم يند ذلك شيئاً ، وذلك أن الحجاج كان قد جعل عروة بن الزبير بن شعبة في ثلاثمائة فارس رداً له من ورائه ، لئلا يؤتوا من خلفهم ، وكان الحجاج بصيراً بالحرب أيضاً ، ففند ذلك حرض شبيب أصحابه على الحلة وأمرهم بها ، ففهم ذلك الحجاج ، فقال : يا أهل السمع والطاعة ، اصبروا لهذه الشدة الواحدة ، ثم ورب السماء والأرض ما شيء دون التفتح ، فاجثوا على الركب وحمل عليهم شبيب بجميع أصحابه ؛ فلما غشيه نادى الحجاج بجماعة الناس فوثبوا في وجهه ، فإزالوا يطمنون ويطمنون وهم مستظفرون على شبيب وأصحابه ، حتى ردوهم عن مواضعهم إلى ما ورائها .

فنادى شبيب في أصحابه : يا أولياء الله الأرض الأرض ، ثم نزل ونزلوا . ونادى الحجاج : يا أهل الشام يا أهل السمع والطاعة ، هذا أول النصر والذي نفسي بيده ، وصد مسجدك هنا لك وجعل ينظر إلى الفريقين ، ومع شبيب نحو عشرين رجلاً معهم اللبيل ، واقتل الناس قتلاً شديداً (١) الصراء : نهر بالعراق . (٢) الرجس : الشيء القذر ، والمراد به هنا : الفعل التبيح والسكر

عامة النهار من أشد قتال في الأرض ، حتى أفر كل واحد منهم لصاحبه ، والحجاج ينظر إلى  
 الفريقين من مكانه . ثم إن خالد بن عتاب استأذن الحجاج في أن يركب في جماعة . فباتي الخوارج  
 من خلفهم ، فأذن له ، فانطلق في جماعة معه نحو من أربعة آلاف ، فدخل عسكر الخوارج  
 من ورائهم ، فقتل مصداً أخا شبيب ، وغزاة امرأة شبيب ، قتلها رجل يقال له : فروة  
 ابن دقاق السكبي ، وخرق في جيش شبيب ، ففرح بذلك الحجاج وأصحابه ، وكبروا .  
 وانصرف شبيب وأصحابه كل منهم على فرس ، فأمر الحجاج أن ينطلقوا في طلبهم ، فشدوا  
 عليهم نهزموم ، وتخاف شبيب في حامية الناس ، ثم انطلق واتبه الطلب ، فجعل ينس وهو على  
 فرسه حتى ينفق برأسه ، ودنا منه الطلب ، فجعل يعض أصحابه ينهأ عن الانداس في هذه الساعة ،  
 فجعل لا يكثر بهم ، وبمود فيضق رأسه ، فلما طال ذلك بعث الحجاج إلى أصحابه يقول : دموه  
 في حرق النار ، فتركوه ورجعوا .

ثم دخل الحجاج الكوفة فغلب الناس ، فقال في خطبته : إن شبيباً لم يهزم قبلها ،  
 ثم قصد شبيب الكوفة ، فخرجت إليه سرية من جيش الحجاج ، فالتقوا يوم الأربعاء ، فلا زالوا  
 يقتلون إلى يوم الجمعة [ وكان على سرية الحجاج الحارث بن معاوية الثقفي - في ألف فارس معه ،  
 فجعل شبيب على الحارث بن معاوية ، فمكسره ومن معه ، وقتل منهم طائفة ، ودخل الناس  
 الكوفة هاربين . وحسن الناس السكك ، فخرج إليه أبو الورد - مول الحجاج في طائفة من  
 الجيش ، فقاتل حتى قتل ، ثم هرب أصحابه ودخلوا الكوفة ، ثم خرج إليه أمير آخر فأنكسر  
 أيضاً ، ثم سار شبيب بأصحابه نحو السواد ، فروا بامل الحجاج على تلك البلاد فقتلوه ،  
 ثم خطب أصحابه وقال : اشتغلتم بالدنيا عن الآخرة ، ثم رى بالساق في الفرات ، ثم سار بهم  
 حتى افتتح بلاداً كثيرة ، ولا يبرز له أحد إلا قتله . ثم خرج إليه بعض الأمراء الذين على  
 بعض المدن ، فقال له : يا شبيب ابرز إلى وأبرز إليك - وكان صديقه - فقال له شبيب :  
 إني لا أحب قتلك ، فقال له : لكفى أحب قتلك ، فلا تفريق نفسك وما تقدم من الوقائع ،  
 ثم حمل عليه ، فضربه شبيب على رأسه ، فمسي رأسه حتى اختلط دماغه بلحمه وعظمه ،  
 ثم كفته ودفنه . ثم إن الحجاج أخق أمه والاكثيرة على الجيوش والمساكر في طلب  
 شبيب ، فلم يلقوه ، ولم يقدروا عليه ، وإنما ساءل الله عليه موتاً قدراً من غير صنمهم ولا صنمه  
 في هذه السنة (١) .

### ذكر مقتل شبيب في هذه السنة عند ابن السكلي

وكان سبب ذلك : أن المجاج كتب إلى ثائبه على البصرة - وهو الحكم بن أيوب بن الحكم ابن أبي عقيل وهو زوج ابنة المجاج - يأمره أن يجهز جيشاً أربعة آلاف في طلب شبيب ، ويكونون تيداً لسفيان بن الأزرد ، قتل ، وانطلقوا في طلبه فالتقوا معه ، وكان ابن الأزرد معه خلق من أهل الشام ، فلما وصل جيش البصرة إلى ابن الأزرد التقوا معه جيشاً واحداً من أهل الشام ، ثم ساروا إلى شبيب فالتقوا به فقتلوا قتلاً شديداً ، وصبر كل من الفريقين لصاحبه ، ثم عزم أصحاب المجاج لخبروا على الطوارج حجة منكورة ، وانلوا رج قليلون ، قروا بين أيديهم ذاهبين حتى اضطروهم إلى جسر هناك<sup>(١)</sup> ؛ فوقف عنده شبيب في مائة من أصحابه ، وبجز سفيان ابن الأزرد عن مقاومته ، وردده شبيب عن موقفه هذا ، بعد أن قاتلوا نهائراً طويلاً كاملاً عند أول الجسر - أشد قتال يكون ، ثم أمر ابن الأزرد أصحابه فرشقوهم بالنبال رشقاً واحداً ، ففرت الطوارج ثم كرت على الرماة فقتلوا نحواً من ثلاثين رجلاً من أصحاب ابن الأزرد ، وجاء الليل بظلامه فكف الناس بعضهم عن بعض ، ولما كل من الفريقين مصراً على مناهضة الآخر . فلما طلع الفجر عبر شبيب وأصحابه على الجسر ، فبينما شبيب على متن الجسر راكباً على حصان له ، وبين يديه فرس أبيض ، إذ ترا حصانه عليها وهو على الجسر ، فنزل حافر فرس شبيب على حرف الشفينة فسقط في الماء ، فقال : ليقض الله أمراً كان مفعولاً ثم انصرف في الماء ثم ارتفع وهو يقول ( ذَلِكَ تَقْدِيرُ الرَّازِي الْمَأْيَمِ )<sup>(٢)</sup> ففرق فلما تحققت الطوارج سقوطه في الماء كبروا وانصرفوا ذاهبين مفترقين في البلاد ، وجاء أمير جيش المجاج فاستخرج شبيباً من الماء وعليه درعه ، ثم أمر به فشق صدره فاستخرج قلبه ، فإذا هو مجتمع صلب كأنه صخرة ، وكانوا يضربون به الأرض فيرتفع قمة الإنسان . وقيل : إنه كان معه رجال قد أنقضوه لما أصاب من حشارهم ، فلما تحلف في الساقة اشتدوا وقالوا : نطلع الجسر به ، ففتلوا ذلك قالت السفن بالجسر وقرقرسه فسقط في الماء ففرق ، واندادوا : غرق أمير المؤمنين ، ففرح جيش المجاج ذلك فجأوا فاستخرجوه . ولما نعى شبيب إلى أمه قالت : صدقتم ! إلى كنت رأيت في المنام وأنا حامل به ، أنه قد خرج منها شهاب من نار ، فملت أن النار لا يطفئها إلا الماء ، وأنه لا يطفئه إلا الماء . وكانت أمه جارية اسمها جهمرة ، وكانت جميلة ، وكانت من أشجع النساء ، تقاتل مع ابنها في الحروب . وذكر ابن خلسكان أنها قتلت في هذه الغزوة ، وكذلك قتلت زوجته غزاة ، وكانت أيضاً

شديدة الرأس، تقاتل قتالا شديداً يميز عنه الأبطال من الرجال . وكان الحجاج يخاف منها أشد خوف حتى قال فيه بعض الشعراء :

أَعَدَّ عَلٌّ وَفِي الْحُرُوبِ نَمَامةً      فضاء تنفر من صغير الصافر  
هلا برزت إلى غَزَاةٍ في الوعى      بل كان قلبك في جناحي طائر

قال : وقد كان شبيب بن يزيد بن نعيم بن قيس بن عمرو بن العسل بن قيس بن شراحيل ابن صبرة بن ذهل بن شيبان الشيباني - يدهي الخلافة ، ويتسمى بأمر المؤمنين ، ولولا أن الله تعالى قهره بما قهره به من الفرق - لنال الخلافة إن شاء الله ، ولما قدر عليه أحد . وإنما قهره الله هل يدي الحجاج لما أرسل إليه عبد الملك بمسكر الشام اقتاله ، ولما ألقاه جواده على الجسر في نهر دجيل قال له رجل : أغرفاً يا أمير المؤمنين ؟ قال : ( ذلك تحدير المرزء السليم )

قال ثم أخرج وحمل إلى الحجاج فأمر فنزع قلبه من صدره فإذا هو مثل الحجر . وكان شبيب رجلاً طويلاً أشمطاً<sup>(١)</sup> جنداً ، وكان مولده في يوم عيد النحر سنة ست وعشرين وقد أمسك رجل من أصحابه لحمل إلى عبد الملك بن مروان فقال له : أنت القاتل :

فإن يك منكم كان مروان وابنه      وعمرو ومسك هاشم وحبيب  
فقدما حصين والباطين وقمب      ومنا أمير المؤمنين شبيب

فقال : وإنما قلت : ومنا يا أمير المؤمنين شبيب . فأعجبه اعفاده وأطلقه ، والله سبحانه أعلم . وفي هذه السنة ، كانت حروب كثيرة جداً بين الهلب بن أبي صفرة - نائب الحجاج ، وبين الخوارج من الأزارقة وأميرهم قطرى بن النجادة ، وكان قطرى أيضاً من الفرسان الشجعان للذكورين المشهورين ، وقد تفرق عنه أصحابه ونفروا في هذه السنة ، وأما هو فلا يدرى أحد أين ذهب ، فإنه شرد في الأرض . وقد جزت بينهم مناولات ومجاولات بطول بسطها ، وقد بالغ ابن جرير في ذكرها في تاريخه . قال ابن جرير :

وفي هذه السنة ، ثار بكير بن وشاح - الذي كان نائب خراسان - على نائبها أمية بن عبد الله ابن خالد ، وذلك أن بكيراً استعاش عليه الناس وغدر به وقتله ، وقد جرت بينهما حروب طويلة قد استقصاها ابن جرير في تاريخه .

وفي هذه السنة كانت وفاة شبيب بن يزيد كما قلنا ، وقد كان من الشجاعة والقروسة على جانب كبير لم ير بعد الصحابة مثله ، ومثل الأشتر وابنه إبراهيم ومصعب بن الزبير وأخيه عبد الله ومن يماثل هؤلاء في الشجاعة مثل قطرى بن النجادة من الأزارقة ، والله أعلم .

(١) الشمط: استرخاء القمائل ولينها ، وهو صفة مدح للفراسة (٢) الشمط: يياض الرأس بمخالطه سواد

وفيهما توفى من الأعيان :

كثير بن الصلت ، بن ممدى كرب الكندي . كان كبيراً مطاعاً في قومه ، وله بالدينة دار كبيرة بالصل ، وقيل : إنه كان كاتب عبد الملك على الرسائل ، توفى بالشام .

عمد بن موسى بن طلعة بن عبيد الله . كانت أخته تحت عبد الملك ، وولاه سجستان ، فلما سار إليها قيل له : إن شبيباً في طريقك ، وقد أعيا الناس ، فاعدل إليه لعلك أن تنقله فيكون ذكر ذلك وشهرته لك إلى الأبد ، فلما سار فيه شبيب ، فقتل معه ، فقتله شبيب . وقيل : غير ذلك ، والله أعلم .

عياض بن غنم الأشجري ، شهيد اليرموك ، وحدث جماعة من الصحابة وغيرهم ، توفى بالبصرة ، رحمه الله .

مطرف بن عبد الله ، وقد كانوا إخوة ، عروة - ومطرف - وحجرة ، وقد كانوا يميلون إلى بني أمية ، فاستملمهم الحجاج على أقاليم ؛ فاستعمل مزونة على الكوفة ، ومطرف على اللذان ، وحجرة على همدان .

### ثم دخلت سنة ثمان وسبعين

ففيها : كانت غزوة عظيمة للسلميين ببلاد الروم انتصروا لإزقية ، فلما رجعوا أصابهم مطر عظيم وتلج وبرد ؛ فأصيب بسببه ناس كثير .

وفيها : ولى عبد الملك موسى بن نصير غزو بلاد المغرب جميعه ؛ فصار إلى طنجة ، وقد جعل على مقدمته طارقاً ، فقتلوا مالوك تلك البلاد ، وبعضهم قتلوا الله ونقوه .

وفيها : عزل عبد الملك أمية بن عبد الله عن إمرة خراسان ، وأضافها إلى الحجاج مع سجستان أيضاً . وركب الحجاج بعد فراقه من شأن شبيب من إمرة الكوفة إلى البصرة ، واستخلف على الكوفة النضر بن عبد الله بن عامر الحضرمي ، فقدم للهب على الحجاج - وهو بالبصرة - وقد فرغ من شأن الأزقة أيضاً ، فأجله معه على السرير ، واستدعى بأصحاب البلاد من جيشه ، فمن أتى عليه للهب أجزل الحجاج له العطية . ثم ولى الحجاج للهب - إمرة سجستان ، وولى عبد الله بن أبي بكر - إمرة خراسان ، ثم قاتل بينهما قبل خروجهما من عند ؛ فقيل : كان ذلك بإشارة للهب ، وقيل : إنه استعان بصاحب الشرطة ، وهو عبد الرحمن بن عبيد بن طارق التميمي ، حتى أشار على الحجاج بذلك ، فأجابه إلى ذلك ، وأكرم للهب بألف ألف درهم ، لأنه امترض على ذلك .



قال أبو معشر : وحج بالناس فيها الوليد بن عبد الملك ، وكان أمير المدينة - أبان بن عثمان .  
وأمر العراق وخراسان وسجستان ، وتلك النواحي كلها - الحجاج ، وثابه على خراسان - الهلب  
ابن أبي صفرة ، وثابه على سجستان - عبد الله بن بكرة التنقي ، وعلى قضاء الكوفة - شريح ،  
وعلى قضاء البصرة - موسى بن أنس بن مالك الأنصاري .  
وقد توفي في هذه السنة من الأعيان :

جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام ، أبو عبد الله الأنصاري السلمي . صاحب رسول الله  
ﷺ ، وله روايات كثيرة ، وشهد البقية ، وأراد أن يشهد بدرأ ، فتمه أموه ، وخافه على إخوانه  
وأخواته - وكانوا أئمة ، وقيل : لأنه ذهب بصرة قبل موته . توفي جابر بالمدينة ومعه أربع  
وتسعون سنة ، وأسند إليه ألف وخمسمائة وأربعين حديثاً .

شريح بن الحارث بن قيس ، أبو أمية الكندي ، وهو قاضي الكوفة ، وقد تولى القضاء  
لعمر بن الخطاب ، وثمان بن عفان ، وعلى بن أبي طالب ، ثم عزله على ، ثم ولاء معاوية ،  
ثم استقل في القضاء إلى أن مات في هذه السنة . وكان رزقه على القضاء في كل شهر - مائة درهم ،  
وقيل : خمسمائة درهم ، وكان إذا خرج إلى القضاء يقول : سيعلم الظالم حظاً من نقص ، وقيل :  
لأنه كان إذا جلس للقضاء قرأ هذه الآية ( يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ ، لَا تَتَّبِعِ الْهَوَى )<sup>(١)</sup> الآية ، وكان يقول : إن الظالم ينتظر العقاب ، والمظالم  
ينتظر النصر . وقيل : لأنه مكث قاضياً نحو سبعين سنة ، وقيل : لأنه استعفى من القضاء قبل موته  
بسنة ، فأنه أعلم وأصله من أولاد العرس الذين كانوا باليمن ، وقدم المدينة بعد موت النبي ﷺ  
توفي بالكوفة ومعه : مائة وثمان سنين .

وقد روى الطبراني قال : حدثنا علي بن عبد العزيز ، ثنا عارم أبو النعمان ، حدثنا حماد بن  
زبد ، عن شعيب بن الحبحاب ، عن إبراهيم التيمي قال : كان شريح يقول : سيعلم الظالمون حق  
من نقصوا ، إن الظالم ينتظر العقاب ، وإن المظالم ينتظر النصر . ورواه الإمام أحمد ، عن  
إسماعيل بن علية ، عن ابن هون ، عن إبراهيم به . وقال الأعشى : اشتكى شريح رجلاً ، فطلاها  
بالدمل ، وجلس في الشمس ، فدخل عليه عواده فقالوا : كيف تجدك ؟ فقال : صالحاً . فقالوا :  
ألا أربتها الطبيب ؟ قال : قد فلتت ، قالوا : فإذا قال لك ؟ قال : وعد خيراً . وفي رواية :  
أنه خرج إليهم قرحه ، فقالوا : ألا أربتها الطبيب ؟ قال : هو الذي أخرجها . وقال الأوزاعي .

حدثني عبيدة بن أبي لبابة قال : كانت فتنة ابن الزبير تسع سنين ، وكان شريح لا يجتبر ولا يستغبر .  
 ورواه ابن ثوبان عن عبيدة عن الشعبي عن شريح قال : لما كانت الفتنة لم أسأل عنها ، فقال رجل :  
 لو كنت مثلك ما باليت متى مت ، قال شريح : فكيف بما في قلبي ؟ وقد رواه شقيق بن سلمة  
 عن شريح قال : في الفتنة ما استغبرت ولا أخبرت ، ولا ظلمت مسلماً ولا مهادداً - ديناراً  
 ولا درهما ، فقال أبو وائل : لو كنت على حالك لأحببت أن أكون قدمت ، وأوى إلى قلبه  
 فقال : كيف بهذا ؟ وفي رواية : كيف بما في صدري تلتقي الفتيان وإحداها أحب إلى من  
 الأخرى ؟ وقال لقوم رأيهم يلعبون : مالي أراكم تلمبون ؟ قالوا : فرغنا ! قال : ما بهذا أمر القارغ .  
 وقال سوار بن عبد الله المنبري : حدثنا الملاة بن جرير المنبري حدثني سالم أبو عبد الله أنه قال :  
 شهدت شريحاً وتقدم إليه رجل - فقال : أين أنت ؟ فقال : بينك وبين الحائط ، فقال : إني رجل  
 من أهل الشام ، فقال : بريد سعيد ، فقال : إني تزوجت امرأة ، فقال : بالقاء والبزينة ، قال :  
 إني اشتعلت لها دارها ، قال : الشرط أم لك ، قال : أقض بيننا ، قل : قد فعلت .

وقال سفيان : قيل لشريح : بأي شيء أصبت هذا العلم ؟ قال : بمعارضة العلماء ، أخذ منهم وأعطيهم .  
 وروى عثمان بن أبي شيبة عن عبد الله بن محمد بن سالم عن إبراهيم بن يوسف ، عن أبيه عن أبي إسحاق  
 عن هيرة ، أنه سمع علياً يقول : يا أيها الناس ! أتوني فقهاؤكم يسألوني وأسألهم ، فلما كان من  
 الند غدونا إليه حتى امتلأت الرحبة ، فجعل يسألهم : ما كذا ؟ ما كذا ؟ ويسألونه ما كذا ؟  
 ما كذا ؟ فيضرم ويخبرونه ، حتى إذا ارتفع النهار تصدعوا ، غير شريح فإنه جاث على ركبتيه  
 لا يسأله من شيء إلا أخبره به ، قال : سمعت علياً يقول : قم يا شريح فأنت أقضى العرب .  
 وأنت شريحاً امرأتان : جدة صبي ، وأمه - مختصمان فيه ، كل واحدة تقول : أنا أحق به .

فقلت ابنة :

أبا أمية أيتها . وأنت المرء نانيه . أنتك الأم والجدة . وكلنا نأخذ منه .  
 فلوكنت تأيت . لا نأخذ منك فيه . تزوجت فهايته . ولا يذهب بك التبه .  
 ألا أيها القاضي . فهذي قصتي فيه .

قالت الأم :

ألا أيها القاضي . قد قالت لك الجدة . قولاً فاستمع مني . ولا تطردني رده .  
 تعزى النفس من ابني . وكبدى حلت كبدى . فلما صار في حجرى . بقيا مفرداً وحده .  
 تزوجت رجاء الخبير . من مكنتني فقد . ومن يظهر لي الود . ومن يحسن لي برده .

فقال شريح :

قد سمع القاضي ما قلنا ثم قضى      وعلى القاضي جهد إن فغل  
قال للجددة : بيني بالسبي      وخذى ابنك من ذات المال  
إسها لو صيرت كان لها      قبل دعوى ما يتغنيه قبل

فقضى به للجددة . وقال عبد الرزاق : حدثنا معمر بن عون عن إبراهيم عن شريح ، أنه قضى على رجل باعتراه فقال : يا أبا أمية ! قضيت على بغير بينة ، فقال شريح : أخبرني ابن أخت خالتك . وقال علي بن الجعد : أنبأنا السعدي عن أبي حصين قال : سئل شريح عن شاة نأ كل القباب فقال : علف عجان وابن طيب . وقال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن سعيد عن أبي حيان النخعي ، حدثنا أبي قال : كان شريح إذا مات لأهله يتوزر أمر بها فألقيت في جوف داره ، ولم يكن له شقمب « شارع » إلا في جوف داره ، يفعل ذلك اتفاقاً أن تؤذى المسلمين - يعني أنه يلقي السور في جوف داره لتلا تؤذى بنتين ربحها المسلمين - وكانت مياذيب أسطحة داره في جوف الدار لتلا تؤذى بها المرأة من المسلمين . وقال الريثي : قال رجل لشريح : إن شأنتك لشوين . فقال له شريح : أراك تعرف نعمة الله على غيرك وتجهلها في نفسك . وقال الطبراني : حدثنا أحمد بن يحيى ثعلب النخعي حدثنا عبد الله بن شبيب قال : حدثني عبد الرحمن بن عبد الله بن زياد بن سمان قال : كتب شريح إلى أخ له هرب من الطاعون : أما بعد ، فإنك والمكان الذي أنت فيه ، والمكان الذي خرجت منه - بين من لا يميزه من طلب ، ولا يذوقه من هرب ، والمكان الذي حاقته لم يمد وأمرأ حاميه ، ولن تظله أيامه ، وإنك وإياهم لعل بساط واحد ، وإن انتقم من ذي قدرة قريب .

وقال أبو بكر بن أبي شيبة : حدثنا علي بن مسهر عن الشيباني عن الشعبي عن شريح ، أن عمر كتب إليه : إذا جاءك الشيء من كتاب الله فاقض به ولا يلتفتك عنه رجاء ما ليس في كتاب الله ، وانظر في سنة رسول الله ﷺ فاقض بها ، فإن جاءك ما ليس في كتاب الله ولا في سنة رسوله فانظر ما اجتمع عليه الناس فخذ به ، وفي رواية : فانظر فيما قضى به الصالحون ، فإن لم يكن ؟ فإن شئت فتقدم وإن شئت فتأخر ، وما أرى التأخر إلا خيراً ، والسلام .

وقال شريح : كنت مع علي في سوق الكوفة ، فأتته إلى قاص يقص فوقه عليه وقال : أيها القاص ؟ قص ونحن قريبو العهد ؟ أما إنني سألك فإن نجب فأنا لك وإلا أدبكت ، فقال القاص : سل يا أمهر المؤمنين عما شئت ، فقال علي : ما ثبت الإيمان وزواله ؟ قال القاص : ثبت الإيمان الورع وزواله العلم . قال علي : فذلك قص . قيل إن هذا القاص هو نوف الجسكالي

وقال رجل لشریح : إنك لتذكر النعمة في غيرك وتنساها في نفسك ، قال : إني والله لأحسدك  
على ما أرى بك . قال : ما نفعك الله بهذا ولا ضرتي .

وروى جرير عن الشيباني عن الشعبي قال : اشتري عمر قرصا من رجل على أن ينظر إليه ،  
وأخذ القرص فسار به فغطب ، فقال لصاحب القرص : خذ قرصك ، فقال : لا أقال : فاجعل بيدي  
ويبذك حكما ، قال الرجل : نعم ! شریع ، قال عمر : ومن شریع ؟ قال : شریع العراق ، قال :  
فانطلقا إليه فقصا عليه القصة ، فقال : يا أمير المؤمنين ! رد كما أخذت أو خذ بما ابتعته ، فقال عمر :  
وهل القضاء إلا هذا ؟ سر إلى الكوفة فقد وايتك قضاءها ، فإنه لأول يوم عرفه يومئذ .

وقال هشام بن ع - السكبي : حدثني رجل من ولد سعد بن وقاص قال : كان لشریح  
ان يدعوا بالكلاب ويبرز<sup>(١)</sup> بين السكالب ، فدعا بدواة وقرطاس فكتب إلى مؤدبه فقال :

ترك الصلاة لأكلب يسمى بها      طلب المراض مع النواة الرجس  
فلذا أناك ففقه      وغطه من غلة الأدب الأكيس  
فلذا هممت بضربه فبدرة      فلذا ضربت بها ثلاثا فالحبس  
واعلم بأنك ما أتيت ففسه      مع ما تجرعى أعر الأفس

وروى شریح عن عمر عن عائشة ، أن النبي ﷺ قال لها : « يا عائشة ( إن الذين فرّقوا  
دينهم وكانوا شيعة )<sup>(٢)</sup> إنهم أصحاب البدع وأصحاب الأهواء وأصحاب الضلالة من هذه الأمة ،  
إن لكل صاحب ذنب توبة ، إلا أصحاب الأهواء والبدع ، أنا منهم بري ومضى براء » .  
وهذا حديث ضعيف غريب ، رواه محمد بن مصفى عن بقة عن شعبة - أو غيره - عن مجاهد عن  
الشعبي . وإنما تفرد به بقة بن الوليد من هذا الوجه ، وفيه علة أيضا . وروى محمد بن كعب  
القرظي عن الحسن عن شریح عن عمر بن الخطاب قال : قال رسول الله ﷺ : « إنكم ستنبهون  
حتى تصيروا في حثالة من الناس ، قد مزجت عهودهم وخربت أمانتهم » ، فقال قائل : فكيف بنا  
يا رسول الله ؟ قال : تعملون بما تعرفون ، وتفركون ما تنكرون ، وتقولون : أحد أحد ، انصرنا  
على من ظلمنا واكفنا من بئانا » . وروى الحسن بن سفيان عن يحيى بن أيوب ، عن عبد الجبار  
ابن وهب عن عبد الله السلي عن شریح قال : حدثني البديريون - منهم عمر بن الخطاب ، أن رسول  
الله ﷺ قال : « ما من شاب يدع لله الدنيا ولهوها ، ويستقبل بشباب طاعة الله تعالى ، إلا أعطاه  
الله تعالى أجر اثنين وسبعين صديقا ، ثم قال : يقول الله تعالى : أيها الشاب التارك لشهوته من  
أجل ، للبتل شبيه لي ، أنت عندي كبعض ملائكتي » . وهذا حديث غريب .

وقال أبو داود : حدثنا صدقة بن موسى ، حدثنا أبو عمران الجوني عن قيس بن زيد - وقال أبو داود : أو عن زيد بن قيس - عن قاضي المصيرين شريح ، عن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق ، أن النبي ﷺ قال : « إن الله تعالى يدهو صاحب الدين يوم القيامة فيقول : يا ابن آدم ! فم أضعمت حقوق الناس ؟ فم أذهبت أموالهم ؟ فيقول : يا رب لم أفسده ، ولكن أضعيت إما غرقاً وإما حرقاً ، فيقول الله سبحانه : أنا أحق من قضى عنك اليوم ، فترجع حسنة على سيئاته فيؤمر به إلى الجنة » . لفظ أبي داود . ورواه يزيد بن هارون عن صدقة به ، وقال فيه : « فیدع الله بشيء فيضمه في ميزانه فينقل » . ورواه الطبراني من طريق أبي نمير عن صدقة به ، ورواه الطبراني أيضاً عن حفص بن عمر ، وأحمد بن داود المسكي قالوا : حدثنا مسلم بن إبراهيم حدثنا صدقة به ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

عبد الرحمن بن فم : الأشعري زبيل فلسطين وقذروى من جماعة من الصحابة ، وقيل : إن له صحبة ، وقد بعثه عمر بن الخطاب إلى الشام ليثبته أهلها في الدين ، وكان من البلاد الصالحين  
جنادة بن أمية الأزدى : شهد فتح مصر ، وكان أميراً على غزو البحر لماوية ، وكان موصوفاً بالشجاعة والغير ، توفي بالشام وقد قارب الثمانين

الملاء بن زياد البصري : كان من الدماء الصالحين من أهل الدرة ، وكان كثير الخوف والورع ، وكان منزل في بيته ولا يخالط الناس ، وكان كثير البكاء ، لم يزل يبكي حتى عمى . وله مناقب كثيرة . توفي بالمصرة في هذه السنة . قلت : إنما كان معظم بلاء الملاء بن زياد بعد تلك الرؤيا التي رآها له رجل من أهل الشام : أنه من أهل الجنة ، فقال له الملاء : أما أنت يا أخى فزارك الله عن رؤياك لي خيراً ، وأما أنا فقد تركتني رؤياك لا أهدأ بديل ولا نهار ، وكان بعدها يطوى الأيام لا يأكل مما شئت ، ويبكى حتى كاد يفارق الدنيا ، ويصلى لا يفتر ، حتى جاء أخوه إلى الحسن البصري فقال : أدرك أخى فإنه قاتل نفسه ، بصوم لا يفطر ، ويقوم لا ينام ، ويبكى الليل والنهار لرؤيا رآها بعض الناس له - أنه من أهل الجنة . فجاء الحسن ففرق عابه فلم يفتح ، فقال له : انتفع فإني أنا الحسن ، فلما سمع صوت الحسن فتح له ، فقال له الحسن : يا أخى ! الجنة وما الجنة للؤمن ، إن المؤمن عند الله ما هو أفضل من الجنة ، فقاتل أنت نفسك ؟ فلم يزل به حتى أكل وشرب وقصر عما كان فيه قليلاً . وروي ابن أبي الدنيا عنه ، أنه أتاه آت في مقامه فأخذ بناصيته وقال : يا غلام ! قم فاذكر الله يذكرك . فزالت تلك الثمرات التي أخذ بها فأثمة حتى مات ، وقد قيل : إنه كان يرفع له إلى الله كل يوم من العمل الصالح - بقدر أعمال خلق كثير من الناس ؛ كما رأى ذلك بعض أصحابه في المنام . وقال الملاء : نحن قوم وضنا

أَغْسَنَا فِي الْبَارِ ؛ فَإِنْ شَاءَ اللَّهُ أَنْ يُخْرِجَنَا مِنْهَا - أَخْرَجَنَا . وَقَالَ : كَانَ رَجُلٌ يَرَى بِهِ جَمْلٌ يَشْمُرُ تِيَابَهُ وَيَرْفَعُ صَوْتَهُ إِذَا قَرَأَ ، جَمْلٌ لَا يَأْتِي عَلَى أَحَدٍ إِلَّا سَبَّهَ ، ثُمَّ رَزَقَهُ اللَّهُ الْإِخْلَاصَ وَالْيَقِينَ ، فَخَفِضَ مِنْ صَوْتِهِ وَجَمَلَ صَلَاحَهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ ، جَمْلٌ لَا يَأْتِي عَلَى أَحَدٍ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَّا دَعَا لَهُ بِجَهَنَّمَ <sup>(١)</sup> .  
مِرَاقَةُ بْنُ مُرْدَاسٍ الْأَدَدِيُّ : كَانَ شَاهِرًا مُطَبِّقًا ، هَمًّا الْحَبِجَاجَ فَفَنَاهُ إِلَى الشَّامِ فَتَوَقَّى بِهَا .  
الْبَانَةُ الْجُمْدِيُّ : الشَّاعِرُ . السَّائِبُ بْنُ يَزِيدَ الْكَنْدِيُّ ، تَوَقَّى فِي هَذِهِ السَّنَةِ .

سَفْيَانُ بْنُ سُلَيْمَةَ الْأَسَدِيُّ . مَمْلُوكَةٌ بِنْتُ قُرَّةَ الْبَصْرِيُّ . زُو بْنُ حَبِيشَ

### ثم دخلت سنة تسع وسبعين

فَبِهَا وَقَعَ طَاعُونَ عَظِيمٌ بِالشَّامِ ، حَتَّى كَادُوا يُفْتَنُونَ مِنْ شِدَّتِهِ ، وَلَمْ يَنْزُ فِيهَا أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ لَضَمَّتْهُمْ وَقَلَّتْهُمْ ، وَوَصَلَتْ الرُّومُ فِيهَا أَنْطَاكِيَّةً ، فَأَصَابُوا خَلْقًا مِنْ أَهْلِهَا لَمْلَمَهُمْ بِضَمَفِ الْجَنُودِ وَالْمَقَاتِلَةِ . وَفِيهَا غَزَا عَمِيدُ اللَّهِ مِنْ أَبِي بَكْرَةَ - رُتَبِيلٌ - مَلِكُ التُّرْكِ ، حَتَّى أَوْغَلَ فِي بِلَادِهِ ، ثُمَّ صَالَحَهُ عَلَى مَا يَجِدُهُ إِلَيْهِ فِي كُلِّ سَنَةٍ . وَفِيهَا قَتَلَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ ، الْخَارِثُ بْنُ سَعِيدِ التَّنُجِيِّ الْكَذَّابَ ، وَيُقَالُ لَهُ : الْخَارِثُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَعِيدِ الدَّمَشْقِيِّ . مَوْلَى أَبِي الْجَلَّاسِ الْعَبْدَرِيِّ ، وَيُقَالُ : مَوْلَى الْحَكَمِ بْنِ مَرْوَانَ ، كَانَ أَصْلُهُ مِنَ الْجَوْلَةِ فَتَزَلَّ دِمَشْقَ وَتَمَدَّدَ بِهَا وَتَنَسَّكَ وَتَزَهَّدَ ، ثُمَّ مُكِّرَ بِهِ وَرَجَعَ الْقَهْمُ قَرَى عَلَى عَقْبِهِ ، وَانْسَلَخَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَفَارَقَ حَزْبَ اللَّهِ لِلْفُلَحَيْنِ ، وَانْتَبِعَ الشَّيْطَانَ فَسَكَانَ مِنَ الْفَوَاقِينِ ، وَلَمْ يَزَلِ الشَّيْطَانُ يَزِجُ فِي قَلْبِهِ حَتَّى أَخْسَرَهُ دِينَهُ وَدُنْيَاهُ ، وَأَخْرَاهُ وَأَشْقَاهُ . فَإِنَّ اللَّهَ ، وَحَسْبُنَا اللَّهُ ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ .

قَالَ أَبُو بَكْرٍ بْنُ أَبِي خَيْثَمَةَ : ثَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ مُحَمَّدُ بْنُ جَمْدَانَ الْجَوْلِيُّ ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مَبَارَكٍ ثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ حَسَّانٍ قَالَ : كَانَ الْخَارِثُ الْكَذَّابُ مِنْ أَهْلِ دِمَشْقٍ ، وَكَانَ مَوْلَى أَبِي الْجَلَّاسِ ، وَكَانَ لَهُ أَبٌ بِالْجَوْلَةِ ، فَفَرَضَ لَهُ إِبْلِيسُ ، وَكَانَ رَجُلًا مَتَمِّدًا زَاهِدًا لَوْ ابْسَحَبَتْهُ مِنْ ذَهَبٍ لَرُؤِيتَ عَلَيْهِ الزَّهَادَةَ وَالْعِبَادَةَ ، وَكَانَ إِذَا أَخَذَ بِالتَّعْبِيدِ لَمْ يَسْمَعْ السَّامِعُونَ مِثْلَ تَحْمِيدِهِ ، وَلَا أَحْسَنَ مِنْ كَلَامِهِ ، فَكَتَبَ إِلَى أَبِيهِ - وَكَانَ بِالْجَوْلَةِ - يَا أَبَاهُ ! أَجْمَلْ عَلَيَّ فَإِنِّي قَدِ رَأَيْتُ أَشْيَاءَ أَتَخَوَّفُ أَنْ يَكُونَ الشَّيْطَانُ قَدْ عَرَضَ لِي ، قَالَ : فَرَادَهُ أَبُوهُ غِيَا عَلَى غِيهِ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ أَبُوهُ : يَا بَنِي أَجْمَلْ عَلَيَّ مَا أَمَرْتُ بِهِ ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ ( حَلْ أَنْبِشْكُمْ عَلَى مَنْ تَنْزَلُ الشَّيَاطِينُ • تَنْزَلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ) <sup>(٢)</sup> وَلَسْتُ بِأَفَّاكَ وَلَا أَثِيمٍ ، فَامْعُزْ لِمَا أَمَرْتُ بِهِ . وَكَانَ يَحْيَى •

إلى أهل المسجد رجلاً رجلاً فيذاكرهم أمره ، وبأخذ عليهم العهد والميثاق إن هو يرى ما يرضى والإلا كتم عليه .

قال : وكان يريهم الأماجيبي ، كان يأتي إلى رُخامة في المسجد فيقرها ، بيده ففسيح تسبيحاً بليغاً ، حتى يضح من ذلك الحاضرون . قلت : وقد سمعت شيعتنا العلامة ، أبا العباس بن تيمية - رحمه الله - يقول : كان ينقر هذه الرُخامة الجراء التي في المنصورة فتسبح ، وكان زندقا ، قال ابن أبي خيثمة في روايته : وكان الحارث يعلمهم فأكهة الشتاء في الصف و فأكهة الصيف في الشتاء ، وكان يقول لهم : اخرجوا حتى أرىكم لللائكة ، فيخرج بهم إلى دير المراق ، فيريهم رجلاً هلي خيل فيقيمهم على ذلك بشر كثير ، وفشا أمره في المسجد وكثر أصحابه وأتباعه ، حتى وصل الأمر إلى القاسم بن مجبورة ، قال : ففرض على القاسم أمره ، وأخذ عليه العهد إن هو رضى أمراً قبله ، وإن كرهه كتم عليه ، قال فقال له : إني نبي ، فقال القاسم : كذبت يا عدو الله ، ما أنت نبي ، وفي رواية : ولكنك أحد الكذابين الدجالين الذين أخبر عنهم رسول الله ﷺ : « إِنْ السَّاعَةُ لَا تَقُومُ حَتَّى يَخْرُجَ ثَلَاثُونَ دَجَالُونًا كَذَّابُونَ ، كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ » وأنت أحدهم ولا عهد لك .

ثم قام فخرج إلى أب إدريس - وكان على قضاء بدمشق - فأعلمه بما سمع من الحارث ، فقال أبو إدريس : نرفه ، ثم أعلم أبو إدريس عبد الملك بذلك وفي رواية أخرى : أن مكحولاً وعبد الله بن أبي زائدة دخلا على الحارث فدعاهما إلى نبوته فكذباهما وردا عليه ما قال ، ودخلا على عبد الملك فأعلماه بأمره ، فطلبه عبد الملك طلباً حثيثاً ، واختفى الحارث وصار إلى دار بيت المقدس يدعو إلى نفسه سراً ، واهتم عبد الملك بشأته حتى ركب إلى النصرية فنزلها ، فورد عليه هناك رجل من أهل النصرية ممن كان يدخل على الحارث وهو ببيت المقدس فأعلمه بأمره وأين هو ، وسأله من عبد الملك أن يبيت معه بطاعة من الجند الأتراك ليحاط عليه ، فأرسل معه طائفة وكعب إلى نائب القدس ليكون في طاعة هذا الرجل ويمنل ما يأمر به ، فلما وصل الرجل إلى النصرية ببيت المقدس ممن معه انتدب نائب القدس لخدمته ، فأمره أن يجمع ما يقدر عليه من الشموع ويحمل مع كل رجل شمعة فإذا أمرهم بأشغالها في الليل أشعلوها كلهم في سائر الطرق والأزقة حتى لا يخفى أمره ، وذهب الرجل بنفسه فدخل الدار التي فيها الحارث ، فقال لبوابه : استأذن على نبي الله ، فقال : في هذه الساعة لا يؤذن عليه حتى يصبح ، فصاح النصرى : أسرجوا . فاشعل الناس شموعهم حتى صار الليل كأنه النهار ، وهم النصرى على الحارث فاختفى منه في سرب هناك ، فقال أصحابه : هيات يريدون أن يصلوا إلى نبي الله ، إنه قد رفع إلى السماء . قال : فأدخل الدهر يري يده في ذلك السرب فإذا بثوبه فاجتره<sup>(١)</sup> فأخرجه ، ثم قال للفرمانين<sup>(٢)</sup> من أتراك

الخليفة ، قال : فأخذوه فقيدوه . فيقال : إن القيود والجماعة <sup>(١)</sup> سقطت من عنقه مراراً وبميدونها ؛ وجعل يقول : ( قل إن ضللت فإني أضل على نفسي ، وإن امتدبت فإني يوحى إلى ربِّي إنه سمع قريب ) <sup>(٢)</sup> وقال لأولئك الأتراك ( أنتم تلون رجلاً أن يقول ربِّي الله ) <sup>(٣)</sup> ؟ فقالوا له بلسانهم ولقنهم : هذا كرائنا ضايت كرائك ؛ أي : هذا قرأنا ضايت قرأتك ، فلما اتهموا به إلى عبد الملك أمر بصايه على خشبة ، وأمر رجلاً فطعنه بحربة فاشتت في ضلع من أضلاعه ، فقال له عبد الملك : ويحك ! أذكرت اسم الله حين طعنته ؟ فقال : نيت ، فقال : ويحك ! سمع الله ثم اطعنه ، قال فذكر اسم الله ثم طعنه فأنفذه . وقد كان عبد الملك حبسه قبل صلبه وأمر رجلاً من أهل الثقة والعلم أن يظوه ويملوه أن هذا الذي به من الشيطان ، فأبى أن يقبل منهم فصلبه بعد ذلك ، وهذا من عالم العدل والدين .

وقد قال الوليد بن مسلم عن ابن جابر نخدني مع سمع الأعور يقول : سمعت العلاء بن زيد المدري يقول : ما عيطت عبد الملك بشيء من ولايته إلا فطنت حارثاً . حيث إن رسول الله ﷺ قال : « لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون دجالون كذابون كلهم يزعم أنه نبي ، فمن قتل فقتلوه ، ومن قتل منهم أحداً لله الجنة » . وقال الوليد بن مسلم : بلغني أن خالد بن يزيد بن معاوية قال لعبد الملك : لو حشرتك ما أمرتك بقتله ، قال : ولم ؟ قال : إنه إما كان به للذهب <sup>(٤)</sup> فطوجعته لذهب ذلك منه ، وقال الوليد عن النضر بن نافع سمعت خالد بن الجلاء يقول لانيان : ويحك يا غيلان ! ألم نأخذك في شببتك تراهي النساء في شهر رمضان بالنفاح ، ثم صرت حارثاً يحبب امرأته ويزعم أنها أم المؤمنين ، ثم تحولت فصرت هدرياً زنديقاً

وفيها : غزا عبيد الله بن أبي بكرة - زئبيل - ملك الترك الأعظم فيهم ، وقد كان يصانع المسلمين تارة ويقتدر أخرى ، فكتب الحجاج إلى ابن أبي بكرة : أن نأمره بمن ملك من المسلمين حتى تستبيح أرضه ويهدم قلاعهم وتقتل مقاتلتهم ، فخرج في جمع من الجنود من بلاده وخلق من أهل البصرة والكوفة . ثم التقى مع زئبيل ملك الترك فكسره وهدم أركانه بسطوة قتالة ، وجاس ابن أبي بكرة وجسده خلال ديارهم ، واستحوذ على كثير من أقاليمه ومدنه وأماضاره ، وبثر ما هنالك تنبيراً ، ثم إن زئبيل تحقير منه وما زال يقيه حتى اقترب من مدينته العظيمة ، حتى كانوا منها على ثمانية عشر فرسخاً ، وخافت الأتراك منهم خوفاً شديداً ، ثم إن الترك أخفت عليهم

(١) الجماعة : التل (٢) من الآية ٥٠ من سورة سبا (٣) من الآية ٢٨ من سورة ظفر

(٤) للذهب : اسم شيطان من ولد إبليس



الطرق والشعاب وضيقوا عليهم المسالك ، حتى ظن كل من المسلمين أنه لا محالة هالك : فندب ذلك طالب عبيد الله أن يصلح زنبيل على أن يأخذ منه سبعمائة ألف ، ويفتحوا المسلمين طريقاً يخرجون عنه ويرجعون معهم إلى بلادهم ، فانتدب شريح بن هانئ - وكان صحابياً ، وكان من أكبر أصحاب علي - وهو المقدم على أهل الكوفة - فندب الناس إلى القتال والمصاراة والآنزال والجلاد بالسيوف والرماح والذبال ، فهله غيبد الله بن أبي بكره فلم يند ، وأجابه شزيمة من الناس الشجعان وأهل الحفاظ ، فما زال يقاتل بهم الفتر حتى فنى أكثر المسلمين رضى الله عنهم ، قالوا وجل شريح بن هانئ يرتجز ، ويقول :

أصبحت ذابثاً أقاصي الكبرياء قد عشت بين الشركين أعمرأ  
ثمت أدركت الذي اللذرا ويسد صدقه وعمرأ  
ويوم يهزان ويوم نسمأ والمج في صيئهم والنهرا  
وبأ فجيرات مع المشرق هيات ما أطول هذا عمرأ

ثم قاتل حتى قتل رضى الله عنه ، وقتل معه خلق من أصحابه ، ثم خرج من خرج من الناس صعبة عبيد الله بن أبي بكره من أرض زنبيل ، وهم قليل ، وبلغ ذلك الحجاج فأخذ ما تقدم وما تأخر ، وكتب إلى عبد الملك بطلبه بذلك ، ويستشير في بحث جيش كثيف إلى بلاد زنبيل لينتقموا منه بسبب ما حل بالمسلمين في بلاده ، فحين وصل البريد إلى عبد الملك ، كتب إلى الحجاج بالموافقة على ذلك ، وأن يجعل ذلك سريماً ، فحين وصل البريد إلى الحجاج بذلك أخذ في جمع الجيوش فجهز جيشاً كثيراً لذلك على ما سيأتى تفصيله في السنة الآتية بعدها . وقيل : إنه قتل من المسلمين مع شريح بن هانئ ثلاثون ألفاً ، وابقى الرغيض مع المسلمين بديناره وقاسوا شدائد ، ومات بسبب الجوع منهم خلق كثير أيضاً ، فإنا لله وإنا إليه راجعون . وقد قتل المسلمون ما فترك خلقاً كثيراً أيضاً قتلوا أضماهم .

وقال : إنه في هذه السنة استمضى شريح من القضاء ، فأعناه الحجاج من ذلك وولى مكانه أبا بردة بن أبي موسى الأشعري ، وقد تقدمت ترجمة شريح عند وفاته في السنة الماضية ، والله أعلم . قال الواقدي وأبو معشر وغير واحد من أهل السير : وحبج بالناس في هذه السنة أمان بن عثمان أمير المدينة النبوية ، وفيها قتل قطري بن العجدة النهمي - أبو هامة الخارجي ، وكان من الشجعان المشاهير ، وقال : إنه مكث عشرين سنة يسل عليه أصحابه بالخلافة ، وقد جرت له خطوب

(١) زدنا هذا لأنه ورد في الطبري

وحروب مع جيش المهلب بن أبي صفرة من جهة الحجاج وغيره ، وقد قدمنا منها طرقاتاً سالماً في أماكنه . وكان خروجه في زمن مصعب بن الزبير ، وتغلب على قلاع كثيرة وأقاليم وغيرها ، وولاه مشهوره . وقد أرسل إليه الحجاج جيوشاً كثيرة فهزمها ، وقال : إنه برز إليه رجل من بعض المروية ، وهو على فرس أعجم ويده حديد ، فلما قرب منه كشفت قطري بن وجهه فولى الرجل هارباً ، قال له قطري : إلى أين ؟ أما نسعى أن نتر ولم نر طعناً ولا ضرباً ؟ فقال : إن الإنسان لا يسعى أن يفر من مثلك . ثم إنه في آخر أمره توجه إليه سفيان بن الأبرد السكلي في جيش ، فالتقوا بطبرستان ، فضر بقطري قرنه فوقع إلى الأرض ، ففكروا عليه فقتلوه وحلوا رأسه إلى الحجاج . وقيل : إن الذي قتله سودة بن الحر الفارسي . وكان قطري بن النجادة مع شجاعته للفرطة وإفحامه ، من خطباء العرب المشهورين بالنصاحة والبلاغة وجودة الكلام والشعر الحسن ، فن مستجاد شعره قوله يشجع نفسه وغيره ، ومن سمعها انتفع بها :

أقول لما وقد طارت شماما من الأبطال ويحك لن نراي  
ذلك لو طلبت بقاء يوم على الأجل الذي لك لم تطاي  
فصبرا في مجال الموت صبرا فما نيل الخلود بمقطاع  
ولا ثوب الحياة بشوب جز فيطوى من أغنى الخلق الفراع  
سبيل الموت غابة كل حي وداعية لأهل الأرض داع  
فن لا ينهض بسأم ويهرم وتسله النون إلى انقطاع  
وما للره خير في حياة إذا ما عد من سطر القاع

ذكرها صاحب الحاشية ، واستحسنها ابن خلكان كثيراً .

وفيها: توفي عبيد الله بن أبي بكره رحمه الله ، وهو أمير الجيش الذي دخل بلاد الترك وقاتلوا رتييل ملك الترك ، وقد قتل من جيشه خلق كثير مع شريح بن هاني . كما تقدم ذلك ، وقد دخل عبيد الله بن أبي بكره على الحجاج مرة وفي يده خاتم ، قال له الحجاج : وكيف خففت جعاعك هذا ؟ قال : على أربعين ألف ألف دينار ، قال : قيم ألقبها ؟ قال : في اصطلاح اللروف ، ورد اللروف ، والمكانة بالذئابة وترويح القتال . وقيل : إن عبيد الله عطش يوماً فأخرجت له امرأة كوز ماء بارد فامطاعها ثلاثين ألفاً . وقيل : إنه أهدى إليه وصيف ووصيفة وهو جالس بين أصحابه ، قال لبعض أصحابه : خذها لك ، ثم فكر وقال : والله إن أثار بعض الجلاء على بعض لشع قبيح ودناءة رديئة ، ثم قال : يا غلام ، ادفع إلى كل واحد من جلسائي وصيفة ووصيفة ، فأحصى ذلك ففكروا ثمانين وصيفة . توفي عبيد الله بن أبي بكره ببيت وقيل فرخ ، والله سبحانه وتعالى أعلم وأحكم ، والحمد لله رب العالمين .

### ثم دخلت سنة ثمانين من الهجرة النبوية

ففيها كان السيل العجاف<sup>(١)</sup> ممكاً ، لأنه جفّ على كل شيء فذهب به ، وحل المجاع من بطن مكة الجبال بما عليها ، والرجال والنساء لا يستطيع أحد أن يتقدم منه ، وبلغ الماء إلى المجعون ، وغرق خلق كثير ، وقيل : إنه لو نفع حتى كاه أن يخطي البيت ، والله أهـ .  
وحكى ابن جرير عن الواقدي أنه قال : كان بالبصرة في هذه السنة للطمعون ، والشجور أنه كان في سنة تسع وسعين كما تقدم . وفيها قطع الهلب بن أبي صفرة نهر ، وأقام يكش<sup>(٢)</sup> سفن صابراً مصابراً للأطباء من الأتراك ، وجرت له منهم هناك فضول بطول ذكرها . وقد عليه في فصول هذه السنة كتب ابن الأشت مثله المجاع ، فيمنه الهلب برته إلى المجاع حتى قرأه ، ثم كان ما ساقى بانه وقصده فيها بعد من حروب ابن الأشت . وفي هذه السنة جهز المجاع الجيوش من البصرة والسكرية وغيرها قتال رُتيل ملك الفرس ، ليقضوا عنه ما كان من قتل جيش عبيد الله بن أبي بكر في السنة الماضية ، فجهز أربعين ألفاً من كل من المصريين عشرين ألفاً ، وأمر على الجميع عبد الرحمن بن محمد بن الأشت ، مع أنه كان المجاع يبتضه جداً ، حتى قال : ما رأيت قط إلا حمت بقطه ، ودخل ابن الأشت يوماً على المجاع وعنده طير الشهي فقال : انظر إلى مشيتي ، والله لقد حمت أن أضرب عنقه ، فأسرعا الشهي إلى ابن الأشت فقال ابن الأشت : وأنا والله لأجهت أن أزله من سلطانه إن طال بي وبه البقاء .  
والقصود : أن المجاع أخذ في استعراض هذه الجنود وبذل فيهم العطاء ، ثم اختلف رأيه فيما يؤمر عليهم ، ثم وقع اختياره على عبد الرحمن بن محمد بن الأشت ، فقدمه عليهم ، فأبى عنه ، إسماعيل بن الأشت قتال المجاع : إني أخاف أن تؤمره فلا ترى لك طاعة إذا جاوز جسر القنات ، قال : ليس هو هناك ، هو لي حبيب ، ومتى أذهب أن يخالف أمرى أو يخرج من طاعتي ؟ فأمضاء عليهم ، فسار ابن الأشت بالجيوش نحو أرض رُتيل .  
فلما بلغ رُتيل يحيى ابن الأشت بالجنود إليه ، كتب إليه رُتيل يعطى ما أصاب للبلدين في بلاده في السنة الماضية ، وأنه كان قلقاً كارهها ، وأن للبلدين مائة الفين الجزء إلى خالدهم ، وسأل من ابن الأشت أن يصله وأن يبذل للبلدين الطراج ، فلم يجبه ابن الأشت إلى ذلك ، وصمم على دخول بلاده ، وجمع رُتيل جنوده وتبناها وحربه ، وجعل ابن الأشت كما دخل بحداً أو مدينة ، أو أخذ قلعة من بلاد رُتيل - استعمل عليها نائباً من جهته يحفظها له ، وجعل المشايخ

(١) المساف : الذي يذهب بكل شيء

(٢) كشي : بلدة بمرجان

على كل أرض ومكان مخوف ، فاستحوذ على بلاد ومدن كثيرة من بلاد رُبَيْل ، وغنم أموالا كثيرة جزيلة ، وسعى خلفاً كثيرة ، ثم حبس الناس عن التوغل في بلاد رُبَيْل حتى يصلحوا ما بأيديهم من البلاد ، ويتقوا بما فيها من الفلات والمواصل ، ثم يتقدمون في العام المقبل إلى أعدائهم ، فلا يزالون يحوزون الأراضي والأقاليم حتى محاصروا رُبَيْل وجنوده في مدينتهم - مدينة الظلام - على السكنوز والأموال والذخاري حتى يشتموها ، ثم يقتلون مقاتلتهم ، وعزموا على ذلك ، وكان هذا هو الرأي . وكتب ابن الأشعث إلى الحجاج يخبره بما وقع من الفتح وما صنع الله لهم ، وبهذا الرأي الذي رآه لهم . وقال بعضهم : كان الحجاج قد وجه هيمان بن عدى السدوسي إلى كرما مسلحاً لأهلها ، ليد عامل سجستان والسند إن احتاجا إلى ذلك ، فعصى هيمان ومن معه على الحجاج ، فوجه الحجاج إليه ابن الأشعث فهزموه ، وأقام ابن الأشعث بمن معه ، ومات مبيد الله ابن أبي بكره ، فكتب الحجاج إلى ابن الأشعث بلمرة - سجستان مكان ابن أبي بكره ، وجهر إلى ابن الأشعث جيشاً أبقى عليه ألفي ألف - سوى أعطيتهم ، وكان يدمي هذا الجيش : جيش الطواويس ، وأمره بالإقدام على رُبَيْل ، فكان من أمره مما تقدم .

قال الواقدي وأبو مشر : وحج بالناس في هذه السنة - أبان بن عثمان ، وقال غيرهما : بل حج بهم سليمان بن عبد الملك . وكان على الصائفة في هذه السنة الوليد بن عبد الملك ، وعلى المدينة أبان بن عثمان ، وعلى الشرق بكالة الحجاج ، وعلى قضاء الكوفة - أبو بُزْدة بن أبي موسى ، وعلى قضاء البصرة - موسى بن أسن بن مالك . وعن توفى في هذه السنة من الأعيان :

أسلم مولى عمر بن الخطاب : وهو أبو زيد بن أسلم ، أصله من سبي عين النمر ، اشتراه عمر بمكة لما حج سنة إحدى عشرة ، وتوفى وعمره مائة وأربع عشرة سنة ، وروى عن عمر عدة أحاديث ، وروى عن غيره من أصحابه أيضاً ، وله مناقب كثيرة رحمه الله .

جبير بن نفير : ابن مالك الحضرمي ، له صفة ورواية ، وكان من علماء أهل الشام ، وكان مشهوراً بالعبادة والعلم ، توفى بالشام وعمره مائة وعشرون سنة ، وقيل : أكثر ، وقيل : أقل .

عبد الله بن جعفر بن أبي طالب : ولد بأرض الحبشة وأمه أسماء بنت هبش ، وهو آخر من رأى النبي ﷺ من بني هاشم وفاة ، سكن المدينة ، ولما استشهد أبوه جعفر بمؤتة « أتى النبي ﷺ إلى أمهم فقال : اتوني بيني أخى ، فأتى بهم كأنهم أغرخ ، فدعا بالطلاق فطلقهم ورواهم ثم قال : اللهم اخلف جعفرًا في أهله وبارك لعبد الله في صفته ، فماتت أمهم فذكرت لنبى ﷺ أنه ليس لهم شيء » فقال : أنا لهم موضعاً من أبيهم » ، وقد تابع النبي ﷺ عبد الله بن جعفر

وعبد الله بن الزبير وغيرهما سبع سنين ، وهذا لم يتفق لغيرهما ؛ وكان عبد الله بن جعفر من أسحق  
الناس ؛ يعلو الجذيل الكثير ويستقله ، وقد تصدق مرة بألف ألف ، وأعطى مرة رجلا ستين  
ألفا ، ومرة أعطى رجلا أربعة آلاف دينار . وقيل : إن رجلا جاب مرة سكرًا إلى المدينة فكسده  
عليه ، فلم يشتريه أحد ، فأمر ابن جعفر قيمه أن يشتريه وأن يهديه للناس . وقيل : إن معاوية لما حج  
ونزل في دار مروان قال يوماً لحاجبه : انظر هل ترى بالباب الحسن ، أو الحسين ، أو ابن جعفر  
أو فلانا ؟ وبعد جماعة - فخرج فلم ير أحداً ، فقيل له : هم مجتمعون عند عبد الله بن جعفر يتشدون ،  
فأتى معاوية فأخبره فقال : ما أنا إلا كآخذهم ، ثم أخذ عصا فحزها عليها ، ثم أتى باب ابن جعفر  
فاستأذن عليه ودخل ، فأجلسه في صدر فراشه ، فقال له معاوية : أين غداؤك يا ابن جعفر ؟  
فقال : وما تشتهي من شيء فأدعوه به ؟ فقال معاوية : أطمعنا محمداً . فقال : يا غلام هات محمداً ، فأتى  
بصحيفة فأكل معاوية ، ثم قال ابن جعفر لنلامه : هات محمداً ، فجاء بصحيفة أخرى ملأه محمداً إلى  
أن فعل ذلك ثلاث مرات ، فتهجى معاوية وقال : يا ابن جعفر ما يشبهك إلا الكثير من العطاء .  
فلما خرج معاوية أمر له بخمسين ألف دينار ، وكان ابن جعفر صديقاً لمعاوية ، وكان ينفذ عليه  
كل سنة فيعطيه ألف ألف درهم ، ويقضى له مائة حاجة . ولما حضرت معاوية الوفاة أوصى ابنه  
يزيد ، فلما قدم ابن جعفر على يزيد قال له : كم كان أمير المؤمنين يعطيك كل سنة ؟ قال : ألف ألف .  
فقال له : قد أضمتها لك ، وكان يعطيك ألفي ألف كل سنة ، فقال له عبد الله بن جعفر :  
يا بني أنت وأمي أما قلتما لأحد قبلك ، ولا أقولها لأحد بعدك ، فقال يزيد : ولا أعطاكم أحد قبلي  
ولا يعطيكما أحد بعدى . وقيل : إنه كان عند ابن جعفر جارية ثنية تسمى : عمارة ، وكان يصحها  
بحببة حليلة ، فحضر عنده يزيد من معاوية يوماً ففتت الجارية ، فلما سمعها يزيد التفت إليها ولم يحسر  
على ابن جعفر أن يطلبها منه ، فلم يزل في نفس يزيد منها حتى مات أبوه معاوية ، فبعث يزيد  
رجلاً من أهل العراق ، وأمره أن يتطالع في أمر هذه الجارية ، فقدم الرجل المدينة وزل جوار  
ابن جعفر وأدنى إليه هدايا ونحفا كثيرة ، وأتته به ، ولا زال حتى أخذ الجارية وآتى يزيد .  
وكان الحسن البصري يذم ابن جعفر على سماعه الفناء والاهو وشراثة المولات ، ويقول :  
أما يكنى هذا الأمر القبيح اللطيف بمن هذه الأشياء ، وغيرها ؟ حتى زوج الحجاج بنت رسول الله  
ﷺ ، وكان الحجاج يقول : إننا تزوجتها لأخذل بها آل أبي طالب . وقيل : إنه لم يصل إليها ،  
وقد كتب عبد الله إليه أن يطلقها فطلقها . أسند عبد الله بن جعفر ثلاثة عشر حديثاً .

**أبو إدريس الخولاني :** اسمه هانئ الله بن عبد الله ، له أحوال ومناقب ، كان يقول :  
قلب نقي في ثياب دنس - خير من قلب دنس في ثياب شقية . وقد تولى القضاء . بهشق ،  
وقد ذكرنا ترجمته في كتابنا « التكميل » .

معبد الجهمى القدرى : يقال إنه معبد بن عبد الله بن عليم ، راوى حديث : « لا تفتنوا من اللينة بإهاب ولا عصب » . وقيل : غير ذلك في نسبه . سمع الحديث من ابن عباس وابن عمر ومعاوية ، وعمران بن حصين ، وغيرهم . وشهد يوم التحكيم ، وسأل أبا موسى في ذلك ووصله ثم اجتمع مع مرو بن الحاض فوصاه في ذلك ، فقال له : أيها يا نيس جبهة ، ما أتت من أهل السر والملاية ، وإنه لا يفتنك الحق ولا يضرك الباطل . وهذا توهم فيه من عمرو بن العاص ، ولهذا كان هو أول من تكلم في القدر ، ويقال إنه أخذ ذلك عن رجل من النصارى من أهل العراق يقال له : سوس ، وأخذ غيلان القدر من معبد . وقد كانت لمعبد عبادة ومبه زهادة ، ووثقه ابن معين وغيره في حديثه . وقال الحسن البصرى : إياكم ومعبد فإنه ضال مضل ، وكان ممن خرج مع ابن الأشعث فماقيه الحجاج فتوبة عظيمة بأنواع العذاب ثم قتل . وقال سيد ابن عفير : بل صلبه عبد الله بن مروان في سنة ثمانين بدمشق ثم قتل . وقال خليفة بن خياط : مات قبل التسعين - فله أعلم ، وقيل : إن الأقرب قتل عبد الله له ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

### ثم دخلت سنة إحدى وثمانين

ففيها : فتح محمد الله بن عبد الله بن مروان - مدينة قالقلا . وغنم السلون منها غنائم كثيرة ، وفيها : قُتل بكير بن وشاح ، قتل بجير بن ورقاء القطري ، وكان بكسر من الأمراء الشجعان . ثم تار بكير بن وشاح رجل من قومه يقول له : صمصمة بن حرب الموقى القطري ، قتل بجير ابن ورقاء الذى قتل بكرا ؛ طعنه بخنجر وهو جالس عند الهلب بن أبى صفرة ، فحمل إلى منزله وهو بأخر رفق ، فبغت الهلب بصمصمة إليه ، فلما تمكن منه بجير بن ورقاء قتل : ضخوا رأسه عند رجل ، فوضعه طعنه بجير بحربه حتى قله وحلت على إثره . وقد قال له أنس بن طارق : اعف عنه قد قتل بكير بن وشاح ، قال : لا والله لا أموت وهذا حق - ثم قله ، وقد قيل إنه إنما قتل بعد موته فله أعلم .

### قتل ابن الأشعث

قال أبو مخنف : كان ابتداءها في هذه السنة . وقال الواقدي : في سنة ثنتين وثمانين ، وقد سألنا ابن جرير في هذه السنة فوافقنا في ذلك . وكان سبب هذه القتلة : أن ابن الأشعث كان الحجاج يرضه ، وكان هو يظم ذلك ويضمر له سوء ووزوال لذلك عنه ، فلما أمره الحجاج على ذلك الجيش التقدم ذكره ، وأمره بدخول بلاد رُمَيْيل ملك الترك ، فضى وصنع ما تقدمناه من أخذه بعض بلاد الترك ، ثم رأى لأصحابه أن يقتلوا حتى يهتروا إلى العام القليل ، فكسب

إلى الحجاج بذلك ، فكتب إليه الحجاج يستعجن رأيه في ذلك ، ويستضعف عهده ويقرعه بالجبن والفسكول عن الحرب ، ويأمره حتماً بدخول بلاد رُبَيْل ، ثم أرفد ذلك بكتاب تاز - ثم ناث مع الهريد ، وكتب في جهة ذلك : يا ابن الحائك العادر المرتد ، امض إلى ما أمرتك به من الإنزال في أرض العدو ، وإلا حُلَّ بك ما لا يطلق . وكان الحجاج ينفذ ابن الأشمث : ويقول : هو أروع أحق حدود ، وأجود الذي سلب أمير المؤمنين عثمان ثيابه وقتله ، ودلَّ عبيد الله بن زياد على مُسلم بن عقيل حتى قتله ، وجده الأشمث ارتد عن الإسلام ، وما رأيت قط إلا حمت بشده .

ولما كتب الحجاج إلى ابن الأشمث بذلك وترادفت إليه البرد بذلك ، غضب ابن الأشمث وقل : يكتب إلى يمثل هذا وهو لا يصلح أن يكون من بعض جندي ، ولا من بعض خدي ؛ بخزونه وضف قوته ؛ أما يذكر أنه من حليف هذا الجبان صاحب غزاة - يعني أن غزاة زوجة شبيب حملت على الحجاج وجيشه ، فانهزموا منها وهي امرأة لما دخلت الكوفة - ثم إلى ابن الأشمث جمع رؤوس أهل العراق وقال لهم : إن الحجاج قد ألح عليكم في الإنزال في بلاد العدو ، وهي البلاد التي قد مكث فيها إخوانكم بالأسس ، وقد أقبل عليكم فصل الشتاء والبرد ، فانظروا في أمركم ، أما أنا فست سطيته ولا أقض رأيا رأيت بالأسس ، ثم قام فيهم خطيباً فاعلمهم بما كان رأيهم في الرأي له ولهم ، وطلب في ذلك من إصلاح البلاد التي ضمروها ، وأن يقيموا بها حتى يصفروا بئلاتها وأموالها ، ويخرج منهم فصل البرد ، ثم يسيرون في بلاد العدو فيفتحونها بلأى بلأى أن يحصروا رُبَيْل مكث الترك في مدينة الظلاء .

ثم أحلهم بما كتب إليه الحجاج من الأمر بمعالجة رُبَيْل ، فثار إليه الناس وقالوا : لا - بل نأبى على حدو الله الحجاج ، ولا نسع له ولا نطيع .

قال أبو مخنف : غدتني مظرف بن طامر بن واثقه الكنتاني ، أن أباه كان أول من تسلم في ذلك ، وكان شامراً خطيباً ، وكان بما قال : إن مثل الحجاج في هذا الرأي ومثلنا - كما قال الأول لأخيه : أحل غديك على القرس ، فإن مكث هناك ، وإن بما فك . أمته إذا غفرتم كان ذلك زلزلة في سلطانه ، وإن هلكتم كنتم الأعداء بالقبضاء . ثم قال : انضوا حدو الله الحجاج - ولم يذكر خلق عبد الملك - ولأيسوا لأمركم عبد الرحمن ابن الأشمث ، فإنني أشهدكم أني أول خالف الحجاج ، فقال الناس من كل جانب : خلقنا حدو الله ، ووثبوا إلى عبد الرحمن بن الأشمث فباهوه عرضاً من الحجاج ، ولم يذكروا خلق عبد الملك بن مروان ، ويث ابن الأشمث إلى رُبَيْل فصالحه على أنه إن نظروا الحجاج فلا خراج على رُبَيْل أبداً . ثم سار ابن الأشمث بالجنود الذين معه مقبلاً من سجستان إلى الحجاج لقاتله وأخذ مكث العراق ، فلما توسطوا

الطريق قالوا : إن خَلَمْنَا الحِجَابَ خَلَعَ لَانِ مروان ، فقاموا وجددوا البيعة لَانِ الْأَشْمَثَ ، فبايعهم على كتاب الله وسنة رسوله ، وخلع أَمَةُ الضلالة وجهاد الملحدين ، فإذا قالوا نعم - بايعهم فلما بلغ الحِجَابَ ما صنعوا من خَلَمِهِ وخلع ابن مروان ، كتب إلى عبد الملك يعلمه بذلك ويستعمله في منه الجنود إليه ، وجاء الحِجَابَ حتى نزل البصرة ، وبلغ المهلب خبر ابن الأشعث ، وكتب إليه يدعوهُ إلى ذلك فأبى عليه ، وبث بكتابه إلى الحِجَابَ . وكتب للمهلب إلى ابن الأشعث يقول له : إني يا ابن الأشعث قد وضعت رجلك في ركاب طويل ، أبقي على أمة محمد ﷺ ، انظر إلى نفسك فلا تهلكها ، ودماء المسلمين فلا تسفكها ، والجماعة فلا تفرقها ، والبيعة فلا تنكسها ، فإن قلت أخاف الناس على نفسي ، فإني أخق أن تخاف من الناس ، فلا تفرضها في صفك العماء ، أو استعمل محرم ، والسلام عليك .

وكتب المهلب إلى الحِجَابَ : أما بعد فإن أهل العراق قد أقبلوا إليك مثل السيل المتصدر من علو ، ليس شيء يردّه حتى ينتهي إلى قراره ، وإن لأهل العراق شيرة<sup>(١)</sup> في أول مخرجهم ، وصباية إلى أبنائهم ونسائهم ، فليس شيء يردم حتى يصلوا إلى أهلهم وينسبعوا إلى نسائهم ويشموا أولادهم . ثم واقفهم عندها فإن الله ناصرك عليهم إن شاء الله . فلما قرأ الحِجَابَ كتابه قال : قد ألهى به وقتل ، لا والله ما لي نظر ، ولكن لاني عمه نصح ولما وصل البريد بكتاب الحِجَابَ إلى عبد الملك - هاله ذلك ، ثم نزل عن سريره وبث إلى خالد بن يزيد بن معاوية فأقرأه كتاب الحِجَابَ فقال : يا أمير المؤمنين إن كان هذا الحدث من قبل خراسان فخفه ، وإن كان من قبل سجستان فلا تخفه ، ثم أخذ عبد الملك في تجهيز الجنود من الشام إلى العراق في نصره الحِجَابَ وتجهيزه في الخروج إلى ابن الأشعث ، وعصى رأى المهلب فيها أشار به عليه ، وكان في شوره النصيح والصدق ، وجعلت كتب الحِجَابَ لا تنقطع من عبد الملك بخبر ابن الأشعث صباحاً ومساءً ، أين نزل ؟ ومن أين ارتحل ؟ وأي الناس إليه أسرع ؟ وجعل الناس يلطفون على ابن الأشعث من كل جانب ، حتى قيل إنه سار معه ثلاثة وثلاثون ألف فارس ، ومائة وعشرون ألف راجل .

وخرج الحِجَابَ في جنود الشام من النصره نحو ابن الأشعث ، فزول ستره ، وقدم بين يديه مطهر بن حرّ القسبي أميراً على المقدمة ، ومعه عبد الله بن ربيعة أميراً آخر ، فالتفتوا إلى دحيل فإذا مقدمة ابن الأشعث في ثلاثمائة فارس عليها عبد الله بن أبيان الحارثي ، فالتفتوا في يوم الأضحي عند نهر دحيل ، فهزمت مقدمة الحِجَابَ وقتل أصحاب ابن الأشعث منهم خلقاً كثيراً أصواتهم وخسائفة ، واحتازوا ما في معسكرهم من خيول وقناش وأموال ، وجاء الخبر إلى الحِجَابَ هزيمة



أسماءه ، وأحذه ماذب ودرج وقد كان قائماً يخطب ، فقال : أيها الناس ، ارجعوا إلى البصرة ، فإنه أرفق بالجنود . فرجع بالناس ، وتبعهم خيول ابن الأشعث ، لا يدركون منهم شاذاً إلا قتلوه ، ولا قاذاً إلا أهلكوه<sup>(١)</sup> ، ومضى الحجاج هارباً لا يلوي على شيء ، حتى أتى الزاوية فسكر عندها ، وجعل يقول : لله در الهلب ، أي صاحب حرب هو ! قد أشار علينا بالرأي ، ولو كنا لم نقبل . وأتفق الحجاج على حبسه . - هو هذا المكان - مائة وخمسين ألف ألف درهم ، وخندق حول حبسه خندقاً ، وحاص أهل العراق ، فدخلوا البصرة ، واجتمعوا بأهلهم ، وشعوا أولادهم ودخل ابن الأشعث البصرة ، فغلب الناس بهم ، وبأيهم ، وبأيهم على خلع عبد الملك وثأبه الحجاج بن يوسف ، وقال لهم ابن الأشعث : ليس الحجاج بشيء ، ولكن اذهبوا بنا إلى عبد الملك لنقاتله ، ووافقه على خلعهما جميع من في البصرة من القمهاء ، والقرءاء ، والشيوخ ، والشباب ثم أمر ابن الأشعث بخندق حول البصرة ، فعمل ذلك ، وكان ذلك في أواخر ذي الحجة من هذه السنة .

وحج بالناس فيها - إسحاق بن عيسى<sup>(٢)</sup> ، فيما ذكره الواقدي وأبو ميمون ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

وفيهما غزا موسى بن نصير - أمير بلاد المغرب من جهة عبد الملك - بلاد الأندلس ، فافتتح مدناً كثيرة ، وأرأسى حامية ، وأوغل في بلاد المغرب ، إلى أن وصل إلى الرقاق الملتقى من البحر الأخضر المحيط ، والله أعلم .

وعن توفي فيها من الأعيان : بجير بن ورقاء المصري - أحد الأشراف بخراسان ، والتواد والأمراء الذي حارب ابن خازم وقتله ، وقتل بكبير بن وشاح . ثم قتل في هذه السنة .

سويد بن غفلة بن عوسجة بن عامر ، أبو أمية الجعفي الكوفي ، شهد اليرموك ، وحدث من جماعة من الصحابة ، وكان من كبار المخضرمين ، ويقال : إنه رأى النبي ﷺ ، وكان مولده عام ولد النبي ﷺ ، وصلى معه . والصحيح أنه لم يره ، وقيل : إنه ولد بعده بستين ، وعاش مائة وعشرين سنة - لم ير يوماً محتفياً ولا متسائداً ، وانقض بكرة عام وفاته سنة إحدى وعثمانين ، قاله أبو حبيب وغير واحد ، وقيل : إنه توفي في سنة ثنتين وعثمانين ، والله أعلم .

عبد الله بن شداد بن الهاد : كان من العماد الزهاد ، والملاء ، وله وصايا وكلمات حسنة ، وقد روى هذه أحاديث عن الصحابة ، وعن خلق من التابعين .

(١) الشاذ من الناس : التفريق . والله : المنفرد . يريد أنهم شجعان لا يفلت منهم أحد .

(٢) في الطبري أن الذي حج في هذه السنة سالت بن عبد الملك ، نقلا عن إسحاق بن عيسى .

محمد بن علي بن أبي طالب ، أبو القاسم ، وأبو عبد الله أيضاً ، وهو المعروف بابن الحنفية ، وكانت سواد سندية من بني حنيفة ، اسمها خولة . وقد محمد في خلافة عمر بن الخطاب ، ووفد على معاوية ، وعلى عبد الملك بن مروان ، وقد صرع مروان يوم الجبل ، وقد هلى صدره ، وأراد قتله ، فناشده مروان بالله ، وتذلل له فأطلقه ، فلما وفد على عبد الملك ذكره بذلك ، فقال : عفواً يا أمير المؤمنين ، فمنا عنه ، وأجزل له الجائزة . وكان محمد بن علي من سادات قريش ، ومن الشجعان المشهورين ، ومن الأنوياء المذكورين . ولما بويع لابن الزبير لم يبايعه ، فجرى بينهما شر عظيم حتى قتل ابن الزبير به وبأهله ، كما تقدم ذلك . فلما قتل ابن الزبير ، واستقر أمر عبد الملك ، وبايحه ابن عمر ، تابعه ابن الحنفية ، وقدم المدينة فأتى بها في هذه السنة . وقيل : في التي قبلها ، أو في التي بعدها ، ودفن بالقيع . والرافضة يزعمون أنه يجبل رضوى ، وأنه حي يرزق ، وهم ينظرونه ، وقد قال كثير عزة في ذلك :

ألا إن الأئمة من قريش      ولاية الحق أربعة سواء  
على والثلاثة من بينهم      هم الأسباط ليس بهم غفاه  
فسيط سبط إيمان وز      وسيط غيبت به كربلاء  
وسيط لا تراه العين حق      تعود الخليل بقدمها لواء

ولما قتل ابن الزبير بابن الحنفية ، كتب ابن الحنفية إلى شيعتهم بالكوفة مع أبي العاطل وائل بن الأصبغ - وعلى الكوفة المختار بن عبيد الله - وقد كان ابن الزبير جمع لهم خطباً كثيراً على أبوابهم ليحرقهم بالنار ، فلما وصل كتاب ابن الحنفية إلى المختار - وقد كان المختار يدعو إليه ، ويسميه المهدي - فبث المختار أبا عبد الله الجليل في أربعة آلاف ، فاستنفذوا بني هاشم من يدى ابن الزبير . وخرج معهم ابن عباس ، فأتى بالطائف ، ومضى ابن الحنفية في شيعته ، فأمره ابن الزبير أن يخرج عنه ، فخرج إلى أرض الشام بأصحابه - وكانوا نحو سبعة آلاف - فلما وصل إلى أيلة كتب إليه عبد الملك : إما أن تبايئني ، وإما أن تخرج من أرضي ، فكتب إليه ابن الحنفية : أبايكم على أن تؤمن أصحابي ، قال : نعم .

قام ابن الحنفية في أصحابه ، فحمد الله وأثنى عليه ، فقال : الحمد لله الذي حقق دعاءكم ، وأحرز دينكم ، فمن أحب منكم أن يأتي بأمنه إلى بلده محفوظاً فليقبل ، فرحل عنه الناس إلى بلادهم حتى بقي في سبعائة رجل ، فأحرم بصرة ، وقيل هدياً ، وسار نحو مكة . فلما أراد دخول الحرم ، بعث إليه ابن الزبير خيلاً ، فنهى أن يدخل ، فأرسل إليه : إنما لم تأت لحرب ولا قتال ، دعنا ندخل حتى نقتل نكسناً ، ثم خرج عنك ، فأتى مائة ، وكان معه بدن قبح فدها ، فزجج

إلى المدينة ، فأقام بها محرماً حتى قدم الحجاج وقتل ابن الزبير ، فكان ابن الحنفية في تلك الليلة هرباً . فلما سار الحجاج إلى العراق مضى ابن الحنفية إلى مكة ، وقضى نسكه ، وذلك بعد عدة سنين ، وكان القتل بقتار منه في تلك الليلة كلها . فلما قضى نسكه رجع إلى المدينة وأقام بها حتى مات ، وقيل : إن الحجاج لما قتل ابن الزبير بث إلى ابن الحنفية : قد قتل عدو الله فبايع ، فكتب إليه : إذا بايع الناس كلهم بايعت . فقال الحجاج : والله لأقتلك ، فقال ابن الحنفية : إن لله في كل يوم ثلاثمائة وستين نظرة في الأوح المحفوظ ، في كل نظرة ثلاثمائة وستون قضية ، فامل الله تعالى أن يمدني في قضية منها فيكفيني . فكتب الحجاج إلى عبد الملك بذلك ، فأجبه قوله ، وكتب إليه : قد عرفنا أن محمداً ليس عنده خلاف ، فارتق به ، فهو يأتيك ويبايعك . وكتب عبد الملك بكلامه ذلك - إن لله ثلاثمائة وستين نظرة - إلى ملك الروم . وذلك أن ملك الروم كتب إلى عبد الملك يتهدده بمجموع من الجنود لا يطيقها أحد ، فكتب بكلام ابن الحنفية ، فقال ملك الروم : إن هذا الكلام ليس من كلام عبد الملك ، وإنما خرج من بيت نبوة .

ولما اجتمع الناس علىبيعة عبد الملك ، قال ابن عمر لابن الحنفية : ما بقي شيء فبايع ، فكتب يبعثه إلى عبد الملك ، ووفد عليه بعد ذلك .

توفي ابن الحنفية في الحرم بالمدينة ، وعمره خمس وستون سنة ، وكان له من الولد : عبد الله ، وحزبة ، وعلى ، وجعفر الأكبر ، والحسن ، وإبراهيم ، والقاسم ، وعبد الرحمن ، وجعفر الأصغر ، وعون ، ورقية ، وكلهم لأمهات شقي .

وقال الزبير بن بكار : كانت شيعته يزعم أنه لم يميت ، وفيه يقول السيد :

ألا قل للوصي - فذلك نفي - أطلت بذلك الجبل المقاما .

أضر بمشعر والوك مندا وجوك الخليفة والإماما .

وعادوا فيك أهل الأرض طراً مقامك فيهم - ستين عاما .

وما ذاق ابن خولة طعم موت - ولا وارت له أرض عظاما .

لقد أسمى بمورق شبيب رضوى - تراجمه الملائكة الكلاما .

وإن له به لقييل صدق وأندية تحمدته كراما .

هدانا الله ادخرتم لأمر به عليه يفتش النماما .

تمام نوره المهدى حتى تروا وإياه ترقى نظاما .

وقد ذهب طائفة من الرافضة إلى إمامته . وأنه ينتظر خروجه في آخر الزمان ، كما ينتظر طائفة

أخرى ، منهم : الحسن بن محمد السكري ، الذي يخرج في زعمهم من سرداب سامرا ، وهذا من خرافاتهم وهذليهم وجهلهم وضلالهم وترهاتهم ، وسيزيد ذلك وضوحاً في موضعه إن شاء الله .

### ثم دخلت سنة ثنتين وثمانين

ففي الحرم منها - كانت وقعة الزاوية بين ابن الأشعث والحجاج في آخره ، وكان أول يوم لأهل العراق على أهل الشام ، ثم توافقوا يوماً آخر ، لحمل سفيان بن الأزرد - أحد أمراء أهل الشام - على ميمنة ابن الأشعث فهزمها ، وقتل خلقاً كثيراً من القراء من أصحاب ابن الأشعث في هذا اليوم ، وخر الحجاج لله ساجداً بعد ما كان جثاً على ركبتيه ، وسل شيئاً من سيفه ، وجعل يترحم على مصعب بن الزبير ويقول : ما كان أكرمته حتى صر نفسه للقتل . وكان من جملة من قتل من أصحاب ابن الأشعث : أبو العاتيل بن عامر بن واثق اللقي ، ولما فر أصحاب ابن الأشعث رجع ابن الأشعث بمن بقي معه ومن تبعه من أهل البصرة ، فسار حتى دخل الكوفة ، فعمد أهل البصرة إلى عبد الرحمن بن عياش بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب فبايعوه ، فقاتل الحجاج خمس ليال أشد القتال ، ثم انصرف ، فلاحق بابن الأشعث ، وتبعه طائفة من أهل البصرة ، فاستجاب الحجاج على البصرة أيوب بن الحكم بن أبي عقيل ، ودخل ابن الأشعث الكوفة ، فبايعه أهلها على خلق الحجاج ، وعبد الملك بن مروان . وتفاقم الأمر ، وكثر متابعو ابن الأشعث على ذلك ، واشتد الحال ، وتفرقت الكلمة جداً وعظم الخطب ، واتسع الخرق على الراقع .

قال الواقدي : ولما التقى جيش الحجاج ، وجيش ابن الأشعث بالزاوية ، جعل جيش الحجاج يحمل عليهم مرة بعد مرة ، فقال القراء : - وكان عليهم جيلة بن زحر - أيها الناس ايس الفرار من أحد بأقبح منكم ، فقاتلوا من دينكم ودنياكم . وقال سميد بن جبور نحو ذلك وقال الشعبي : فأتوهم على جورهم ، واستذلّاهم الضمما ، وإماتتهم الصلاة ، ثم حلت القراء - وهم العلماء - على جيش الحجاج حلة صادقة ، فبرعوا فيهم . ثم رجعوا ، فلذا هم بمقدمهم جيلة بن زحر صريخاً ، فهزم ذلك ، فناداهم جيش الحجاج : يا أعداء الله قد قتلنا طاعتكم ، ثم حل سفيان بن الأزرد ، وهو على خيل الحجاج - على ميسرة ابن الأشعث ، وعليها الأزرد بن مرة النخعي ، فاهزوا ولم يقاتلوا كثير قتال ، فأذكروا الناس منهم ذلك . وكان أمه ميسرة ابن الأشعث الأزرد شهيداً لا يفر ، وظنوا أنه قد خامر ، فنقضت الصفوف ، وركب الناس بعضهم بعضاً ، وكان ابن الأشعث يمرض الناس على القتال ؛ فلما رأى ما الناس فيه ، أخذ من اتبعه وذهب إلى الكوفة ، فبايعه أهلها . ثم كانت وقعة دير الحجاج في شعبان من هذه السنة

### وقعة دير الجماجم

قال الواقدي : وذلك أن ابن الأشعث لما قصد الكوفة ، خرج إليه أهلها فقتلوه وحقوا به ودخلوا بين يديه ، غير أن شيرزومة قليلة أرادت أن تنافه دون مطر بن ناجية - نائب الحجاج - فلم يمكنهم من ذلك ، فدخلوا إلى القصر ، فلما وصل ابن الأشعث إلى الكوفة أمر بالسلام فنصبت له قصر الإمارة ، فاحذاه واستنزل مطر بن ناجية ، وأراد قتله ، فقال له : استقني فإني خير من فرسانك ، فغلبه ثم استدعاه فأطعمه ، وبابه ، واستوثق لابن الأشعث أمر الكوفة ، وانضم إليه من جاء من أهل البصرة . وكان ممن قدم عليه عبد الرحمن بن العباس بن ربيعة بن عبد المطلب ، وأمر بالمسالح من كل جانب ، وحفظت الثنور والطرق والمساكن . ثم إن الحجاج ركب فيمن معه من الجيوش الشامية من البصرة في البر حتى مر بين القادسية والمدابغ ، وبث إليه ابن الأشعث عبد الرحمن بن العباس في خيل عظيمة من المهرين ، فتموا الحجاج من دخول القادسية ، فسار الحجاج حتى نزل دير قُرَّة ، وجاء ابن الأشعث بمن معه من الجيوش البصرية والاكوفية حتى نزل دير الجماجم ، ومعه جمود كثيرة ، وفيهم القراء ، وخلق من الصالحين . وكان الحجاج بعد ذلك يقول : فأنزل الله ابن الأشعث ، أما كان يزجر الظير حيث رأى قد نزلت دير قُرَّة ، ونزل هو بدير الجماجم .

وكان جملة من اجتمع مع ابن الأشعث مائة ألف مقاتل من يأخذ المعطاء ، ومعهم مثلهم من مواليهم ، وقدم على الحجاج في غيوبة ذلك أمداد كثيرة من الشام ، وخندق كل من الطائفتين على نفسه ، وحول جيشه خندقاً يتمتع به من الوصول إليهم ، غير أن الناس كان يبرز بعضهم لبعض في كل يوم فيقتتلون قتالاً شديداً في كل حين ، حتى أصيب من رموس الناس خلق من قريش وغيرهم . واستمر هذا الحال مدة طويلة ، واجتمع الأمراء من أهل الشورة عند عبد الملك بن مروان ، فقالوا له : إن كان أهل العراق يرضيهم منك أن نزل عنهم الحجاج - فهو أسر من قاتلم وصفك دمائهم ، فاستحضر عبد الملك عند ذلك أخاه محمد بن مروان ، وابنه عبد الله بن عبد الملك بن مروان ، ومعهما جنود كثيرة جداً ، وكفب معهم كتاباً إلى أهل العراق يقول لهم : إن كان يرضيكم متى عزل الحجاج عنكم هزلته عنكم ، وبثت عليكم أعطياتكم مثل أهل الشام ، وليضتر ابن الأشعث أمي بالله شاء يكون عليه أميراً ما عاش ومثت ، وتكون إمرة العراق لمحمد بن مروان ، وقال في عهده هذا : فإن لم يحب أهل العراق إلى ذلك ، فلحجاج على ما هو عليه ، وإليه إمرة الحرب ، ومحمد بن مروان ، وعبد الله بن عبد الملك في طاعة الحجاج ونحت أمره ، لا يخرجون عن رأيه في الحرب وغيره .

ولما بلغ الحجاج ما كتب به عبد الملك إلى أهل العراق: من عزه إن رضوا به، شق عليه ذلك مشقة عظيمة جداً، وعظم شأن هذا الرأي عنده، وكتب إلى عبد الملك: يا أمير المؤمنين والله إن أعطينت أهل العراق ترضى عنهم، لا يلبثون إلا قليلاً حتى يخائنوك ويسبوا إليك، ولا يزيدكم ذلك إلا جرأة عليك، ألم تر وتسع بوثوب أهل العراق مع الأشرار النجس على ابن عفان؟ فلما سألهم ما تريدون؟ قالوا: رجع سعيد بن العاص، فلما نزع لم نتم لهم السنة حتى صاروا إليه فقتلوه؟ وإن الحديد بالحديد يفتاح، كان الله لك فيما ارتأيت، والسلام - يك .

قال: فأبى عبد الملك إلا عرض هذه الخصال على أهل العراق كما أمر، فتقدم عبد الله وعمر، فنادى عبد الله: يا مشر أهل العراق، أنا عبد الله ابن أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان، وإنه يمرض عليكم كيت وكيت! فذكر ما كتب به أبوه معه إليهم من هذه الخصال وقال محمد بن مروان: وأنا رسول أخى أمير المؤمنين إليكم بذلك، فقالوا: ننظر في أمرنا هذا ورد عليكم الخبر عشة، ثم انصرفوا فاجتمع جميع الأمراء إلى ابن الأشعث فقام فيهم خطيباً وندبهم إلى قبول ما عرض عليهم من عزل الحجاج عنهم وبيعة عبد الملك، وإبقاء الأعطيات، وأمره محمد بن مروان على العراق بدل الحجاج، ففر الناس من كل جانب وقالوا: لا والله لا قبل ذلك، نحن أكثر عدداً وعدداً، وهم في ضيق من الحال، وقد حكنا عليهم وذلوا لنا، والله لا نجيب إلى ذلك أبداً. ثم جددوا خلع عبد الملك ونايه ثانية، وانفقوا على ذلك كلهم.

فلما بلغ عبد الله بن عبد الملك، وعمره محمد - الخبر، قال للحجاج: شأنك بهم إذا، فنحن في طاعتك كما أمرنا أمير المؤمنين، فكأنما إذا أقيام - أما عليه بالإمرة ويسلم هو أبصاً عليهم بالإمرة، وتولى الحجاج أمر الحرب وتديبها كما كان قبل ذلك. فمئذ ذلك برز كل من الفريقين للقتال والحرب، فحمل الحجاج على ميمته - عبد الرحمن بن سليم، وعلى ميسرته - غماره بن تميم الضمى، وعلى الخويل - ثيفان بن الأبرد. وعلى الرجالة - عبد الرحمن بن حبيب<sup>(١)</sup> الحسكى. وجعل ابن الأشعث على ميمته - الحجاج بن حارثة الجشعي<sup>(٢)</sup>، وعلى الميسرة - الأبرد بن قرة التميمي. وعلى الخليفة - عبد الرحمن بن عباس بن أبي ربيعة، وعلى الرجالة - محمد بن سعد بن أبي وقاص الزهرى، وعلى القراء - جبلة بن زحر بن قيس الجفقي. وكان فيهم سيدين جبر وعامر الشامي، وعبد الرحمن بن أبي ليلى، وكيل بن زياد. وكان شجاعاً فأنسكا على كبيره - وأبو البعثري الطائي وغيرهم، وجعلوا يقتلون في كل يوم، وأهل العراق تأتيهم لليرة من الراسنيق<sup>(٣)</sup> والأقاليم، من الملف والطعام. وأما أهل الشام الذين مع الحجاج فهم في أضيق حال من الجيش، وقلة

من الطعام ، وقد فقدوا اللحم بالسكاية فلا يجدونه . وما زالت الحرب في هذه المدة كلها ، حتى انسلخت هذه السنة وهم على حالم وقتلهم في كل يوم أو يوم بعد يوم ، والدائرة لأهل العراق على أهل الشام في أكثر الأيام . وقد قتل من أصحاب الحجاج : زياد بن غم ، وكسر بسطام ابن معلقة في أربعة آلاف جنون سيوفهم واستقلوا ، وكانوا من أصحاب ابن الأشعث .

وفي هذه السنة كانت وفاة الهلب بن أبي صفرة ؛ وهو الهلب بن أبي صفرة ظالم أبو سعيد الأزدي ، أحد أشرف أهل البصرة ووجوههم ودهاتهم وأجوادهم وكرماهم . ولد عام الفتح ، وكانوا يبرلون فيما بين عمان والبحرين ، وقد ارتد قومه فقاتلهم بمكرمة بن أبي جهل فظفر بهم ، وبعث لهم إلى الصديق وفيهم أبو صفرة ، وابنه الهلب غلام لم يبلغ الحنث ، ثم نزل الهلب البصرة وقد غزا في أيام معاوية أرض الهند سنة أربع وأربعين ، وولى الجزيرة لان الزبير سنة ثمان وستين ، ثم ولى حرب الخوارج أول دولة الحجاج ، وقتل منهم في وقعة واحدة أربعة آلاف وثمانمائة ، فمظمت منزلته عند الحجاج . وكان فاضلا شجاعا كريما يحب المدح . وله كلام حسن ، فنه : نعم الخطبة السخاء : استر عورة الشريف وتلحق خسيصة الوضع ، وتحجب الزهود فيه . وقال : يصعبني في الرجل خصلتان : أن أرى عقله زائدا على لسانه ، ولا أرى لسانه زائدا على عقله .

توفي المهلب غازيا بمحو الروذ وعمره ستة وسبعون سنة - رحمه الله . وكان له عشرة من الولد وهم : يزيد ، وزباد ، والفضل ، ومدرك ، وحبيب ، والمغيرة ، وقبيصة ، وعبد ، وهند ، وقاطمة . توفي المهلب في ذي الحجة منها ، وكان من الشجعان ، وله مواقف حميدة ، وغزوات مشهورة في الترك والأزارقة وغيرهم من أنواع الخوارج ، وجعل الأمر من بعده ليزيد بن المهلب على إمرة خراسان ، فأضى له ذلك الحجاج وعبد الملك بن مروان .

أسماء بن خارجة الفزاري الكوفي : وكان جوادا ممدحا ، حكى أنه رأى يوما شابا على باب داره جالسا فسأله عن قبعوده على بابه فقال : حاجة لا أستطيع ذكرها ، فألح عليه فقال : جارية رأيتها دخلت هذه الدار لم أر أحسن منها وقد خلعت قلبي معها ، فأخذ بيده وأدخله داره وعرض عليه كل جارية عنده ، حتى مرت تلك الجارية فقال : هذه ، فقال له : اخرج فاجلس على الباب مكانك ، فخرج الشاب فجلس مكانه ، ثم اخرج إليه بعد ساعة والجارية معه فدألبسها أنواع الحلى ، وقال له : ما معنى أن أدفنها إليك وأنت داخل الدار ، إلا أن الجارية كانت لأختي ، وكانت ضيقية بها ، فاشتريتها لك منها بثلاثة آلاف ، وألبسها هذا الحلى ، ففى لك بما عليها ، فأخذها الشاب وأنصرف .

المغيرة بن المهلب : ابن أبي صفرة ، كان جواداً مدحاً شجاعاً ، له مواقف مشهورة .

الحارث بن عبد الله : ابن ربيعة الخزرجي - المعروف بقباع ، ولي إمرة البصرة لابن الزبير .

محمد بن أسامة بن زيد بن حارثة : كان من فضلاء أبناء الصحابة وأعتقهم ، توفي بالمدينة ودفن بالقيع .

عبد الله بن أبي طلحة بن أبي الأسود : والد الفقيه إسحاق ، حدث به أمه أم سليم ليلة مات ابنها ، فأصبح أبو طلحة فأخبر النبي ﷺ ، فقال ﷺ : « عرستم بارك الله لسكنا في ليلتنا » .  
ولما ولد حنكته بتمرات :

عبد الله بن كعب بن مالك : كان قائد كعب حين هوى ، له روايات ، توفي بالمدينة هذه السنة .

عنان بن وهب : أبو أيمن الخولاني المصري ، له صعبة ورواية ، وغزا المغرب ، وسكن مصر ومها مات .

جميل بن عبد الله : ابن ممر بن صباح بن ظبيان بن الحسن بن ربيعة بن حرام بن ضبة بن عبيد بن كثير بن عدرة بن سعد بن هذيم بن زيد بن ليث بن سرهد بن أسلم بن الحلاف ابن قضاعة - أبو عمرو الشاعر صاحب بقية ، كان قد خطبها فتمت منه ، ففضل فيها وأشهر بها ، وكان أحد عشاق العرب ، كانت إقامته بوادي القري ، وكان حفيفاً حكيماً ديناً شاعراً إسلامياً ، من أفصح الشعراء في زمانه ، وكان كثير عزة راويته ، وهو يروي عن هذبة بن خثوم عن الحطيئة عن زهير بن أبي سلمى ، وابنه كعب . قال كثير عزة : كان جميل أشعر العرب حيث يقول :

وأخ ————— برتماني أن تتياء منزل  
ليلي إذا ما الصيف أتى الراميا

فهني شهر الصيف عنا قد انقضت  
وما زلت في يا بشن حتى لو اتني  
من الشوق أسفكي الحام بكى نيا

وما زادني الواشون إلا صباية  
ولا كثرة الناهين إلا تيمادا

وما أحدث النأي الفراق بيننا  
سواء ولا طول اجتماع تخايا

لم تعلمي يا عذبة الرقيق أنني  
أظن إذا لم أتني وجهك صادية

لقد خفت أن أتني المنية بفتنة  
وفي النفس حاجات إليك كما هيأ

وله أيضاً : إن لأحفظ غيبكم ويسرني  
لو تعلمين بصالح أن تذكرني

إلى أن قال : ما أنت والوعد الذي تعديني  
إلا كبيرك سحابة لم تخطر

وقوله : وروى لسرو بن أبي ربيعة : فباقة ابن مسافر :

ما زلت أبني الحلى أتبع ظلمهم  
حتى دفعت إلى ربيعة هودج



فدنوت مخفيا ألم بيئتها حتى ولجت إلى خفي للولج  
قالت: وعيش أخى ونسة والدى لأبهن الحى إن لم تخرج  
فتناولت رأسى لتعرف منه بمخضب الأطراف غير مشجع  
فخرجت خيفة أهلها فبست فلت أن يمينها لم تخرج  
فلثمت لها أخذاً بقرونها فرشفت رقبا بارداً متثلج

قال كثير مرة : لقيت جميل بثينة ، فقال : من أين أقبلت ؟ قلت : من عند هذه الحبيبة ،  
فقال : وإلى أين ؟ قلت : وإلى هذه الحبيبة - يعنى عزة - فقال : أقسمت عليك لما رجعت إلى  
بثينة فواعدتها لى ، فإن لى من أول الصيف ما رأيته ، وكان آخر عهدي بها بوادى القري ،  
وهى تسفل هى وأما ثوباً ، فتعادتنا إلى الثروب . قال كثير : فرجعت حتى أمنت بهم ، فقال  
أبو بئنة : ما ردك يا ابن أخى ؟ قلت : أبيات قاتنها فرجعت لأمرضا عليك ، قال : وما هى ؟  
فأشدته وبثينة تسمع من وراء الحجاب :

قلت لها : يا عز أرسل صاحبي إليك رسولاً والرسول موكل  
بأن يحمل بيني وبينك موعداً وأن تأمرينى ما ألقى فيه أهل  
وأخر عهدي منك يوم لقيتني بأسفل وادى الدوم والثوب ينسل

فلما كان الليل أقبلت بثينة إلى المكان الذى واعدته إليه ، وجاء جميل - وكنت مهمم -  
فأرأيت ليله أحب منها ولا أحسن منادعات ، وانفص ذلك المجلس ، وما أدرى أيهما أهم  
لما فى ضمير صاحبه منه .

وذكر الزبير بن بكار ، عن عباس بن سهل الساعدي ، أنه دخل على جميل وهو يموت فقال له :  
ما تقول فى رجل لم يشرب الخمر قط ، ولم يزن قط ، ولم يسرق ، ولم يقتل النفس ، وهو يشهد  
أن لا إله إلا الله ؟ قال : أظنه قد نجا ، وأرجو له الجنة ، فمن هذا ؟ قال : أنا ، فقلت : الله  
ما أظنك سلت وأنت تشب بالنساء منذ عشرين سنة - ببثينة ، فقال : لا تلتنى شفاعه محمد  
ﷺ - وإلى لى أول يوم من أيام الآخرة ، وآخر يوم من أيام الدنيا - إن كنت وضعت يدى  
عليها بريية ، قال : فما برحنا حتى مات . قلت : كانت وفاته بعمر لأنه كان قد قدم على عبد العزيز  
ابن مروان ، فأكرمه وسأله عن حبه ببثينة ، قال : شديداً ، واستدشدته من أشماره ومدامحه ،  
فأنشدته ، فوعده أن يجمع بينه وبينها ، فضاغته لانية فى سنة فنتين وثمانين - رحمه الله آمين .

وقد ذكر الأصبغى عن رجل ، أن جيلا قال له : هل أنت مبلغ عن رسالة إلى حى بثينة ، ولك

ما عني ؟ قال : نعم ! قال : إذا أنا مت فأركب ناقق ، وأليس خلق هذه ، وأمره أن يقول أيتها . منها قوله :

قوى بيئته فأندي ببول وابكي خليلا دون كل خليل

فلما انتهى إلى حبيهم أنشد الأبيات ، ففرجت بيئته كأنها بدر سرى في جنة ، وهي تنقني في مرطها ، فقالت له : ويحك إن كنت صادقاً فقد قتلتي ، وإن كنت كاذباً فقد فضحتني ، فقلت : بلى والله صادق ، وهذه حلته وناقته ، فلما تحققت ذلك أنشدت أبياتاً ترثيه بها وتأسف عليه فيها ، وأنه لا يطيب لها البش بدمه ، ولا خير لها في الحياة بعد قتله ، ثم ماتت من صاعها . قال الرجل : فإرأيت أكثر باكياً ولا باكياً من يومئذ .

ودروى ابن عساكر عنه أنه قيل له بدمشق : لو تركت الشر وحفظت القرآن ؟ فقال : هذا أنس بن مالك يخبرني عن رسول الله ﷺ أنه قال : « إن من الشر لحسكة » .

عمر بن عبيد الله بن ممر بن حنبل - أبو حفص القرشي القتيبي . أحد الأجراد والأمرء الأجداد ، فنتعت على يديه بلدان كثيرة ، وكان نائباً لابن الزبير على البصرة ، وقد فتح كابل مع عبد الله ابن خازم ، وهو الذي قتل فطرى بن النعمان . روى عن ابن عمر ، وجابر ، وغيرهما ، وعن معاذ بن أبي رباح ، وابن عون ، ووفد على عبد الملك ، فتوفى بدمشق سنة ثنتين وثمانين ، قاله اللدائي . وحكى أن رجلاً اشترى جارية كانت تحسن القرآن والشر وغيره ، فأحبها حباً شديداً ، وأنفق عليها ماله كله حتى أغلس ، ولم يبق له شيء سوى هذه الجارية ، فقالت له الجارية : قد أرى ما بك من قلة الشيء ، فلو بعتني وانتفعت بشيء صلح حالك ، فباعها لممر بن عبيد الله هذا - وهو يومئذ أمير البصرة - بمائة ألف درهم ، فلما قبض المال ندم ، وبذمت الجارية ، فأشارت فخطب سيدها بأبيات شعر . وهي :

هيناً لك المال الذي قد أخذته - ولم يبق في كفي إلا تفكركي  
أقول لنفسي وهي في كرب عيشة - أقل قد بان الغليظ أو أكثرى  
إذا لم يكن في الأمر عنك حيلة - ولم تجدي بداً من الصبر فاصبري  
فأجابها سيدها فقال :

ولولا قصود الدهر في عنك لم يكن - لفرقتنا شيء سوى اللوت فاصبري  
أأرب مجزون من فراقك موجه - أناجي به قلباً طويل التذكر  
عليك سلام لا زيارة بيننا - ولا وصل إلا أن يشاء ابن ممر

فله محبهما ابن ممر قد شبت قال : والله لا فرقت بين محبين أبداً ، ثم أعطاه لال - وهو

مائة ألف - والجارية ! لا رأى من نوجهما على فراق كل منهما صاحبه - فأخذ الرجل الجارية وثمها وأطلق . توفي عمر بن عبد الله بن ممر هذا بدمشق بالطاعون ، وصلى عليه عبد الله ابن مروان ، ومشي في جنازته ، وحضر دفنه ، وأثنى عليه بعد موته . وكان له من الولد : حلقة - وهم من سادات قريش . تزوج فاطمة بنت القاسم بن محمد بن جعفر ، على صداق أربعين ألف دينار فأولدها : إبراهيم ، ورملة . فتزوج رملة إسماعيل بن علي بن عبد الله بن عباس ، على صداق مائة ألف دينار ، ورحمهم الله .

كئيل بن زياد بن نهبك بن خنيم النضى الكوفي - روى عن عمر ، وعثمان ، وعلى ، وابن مسعود ، وأبي هريرة . وشهد مع علي صفين ، وكان شجاعاً فاتكاً ، وزاهداً عابداً . قتله الحجاج في هذه السنة ، وقد عاش مائة سنة . قتله صبراً بين يديه ، وإنما تم عليه ؛ لأنه طلب من عثمان بن عفان القصاص من لطة لطمها إياه ، فلما أمكنه عثمان من نفسه عفا عنه ، فقال له الحجاج : أو مطلق بسأل من أمير المؤمنين القصاص ؟ ثم أمر ف ضربت عنقه ، قالوا : وذكر الحجاج علياً في خيول ذلك ، فقال منه ، وصلى عليه كئيل ، فقال له الحجاج : والله لأبشيت إليك من يبيض علياً أكثر مما تحبه أنت ، فأرسل إليه ابن آدم ، وكان من أهل حمص ، ويقال : أبا الجهم بن كنانة ، ف ضرب عنقه . وقد روى من كئيل جماعة كثيرة من التابعين ، وله الآثار المشهور من علي بن أبي طالب الذي أوله « القلوب أوعى غيرها أوعاها » وهو طويل قد رواه جماعة من الحفاظ الثقات ، وفيه موصلة وكلام حسن - رضى الله عن قائله .

ذاذان أبو عمرو الكندي : أحد التابعين ، كان أولاً يشرب السكر ، ويضرب بالطبوبر ، فزوجه الله التوبة على يد عبد الله بن مسعود ، وحصلت له إنابة ورجوع إلى الحق ، وخشية شديدة ، حتى كان في الصلاة كأنه خشية .

قال خليفة : وفيها توفي زر بن حبیش - أحد أصحاب ابن مسعود وعائشة ، وقد أئنت عليه مائة وعشرون سنة . وقال أبو عبيد : مات سنة إحدى ومائتين ، وقد تقمعت له ترجمة .

شقيق بن سلمة : أبو وائل ، أهدك من زمن الجاهلية سبع سنين ، وأسلم في حياة النبي ﷺ .

أم المرداء الصنري : اسمها هبة ، ويقال : جبهة ، تابعية عابدة ، طالة فقيهة ، كان الرجال يرمون عليها ، ويقتفون في الخائط الشمال يجمع دمشق . وكان عبد الملك بن مروان يجلس في حلقته مع للفضة يشتمل عليها وهو خليفة - رضى الله عنها .

## ثم دخلت سنة ثلاث وثمانين

استمّلت هذه السنة والناس معواقون لقتال المجاج وأحابه بدير قرّة ، وابن الأشعث وأحابه بدير الجاج ، والمارزة في كل يوم بينهم واقعة ، وفي غالب الأيام تكون العصرة لأهل العراق على أهل الشام ، حتى قيل : إن أصحاب ابن الأشعث - وهم أهل العراق - كسروا أهل الشام - وهم أصحاب المجاج - بضاً وثمانين مرة ينتصرون عليهم ، ومع هذا فالمجاج ثابت في مكانه صابر ومُصابر ، لا يتزعزع عن موضعه الاقوى هو فيه ؛ بل إذا حصل له غلرف يوم من الأيام يتقدم بجيشه إلى نحو عدوه ، وكان له خبرة بالحرب ، وما زال ذلك دأبه ودأبهم حتى أمر بالحلة على كتيبة القراء ؛ لأن الناس كانوا تبعاً لهم ، وهم الذين يحرضونهم على القتال ، والناس يقتدون بهم ، فصر القراء لحلة جيشه . ثم جمع الرماة من جيشه وحل بهم ، وما انفك حتى قتل منهم خلقاً كثيراً ، ثم حل على ابن الأشعث ، وحل من معه من الجيش ، فانهزم أصحاب ابن الأشعث ، وذهبوا في كل وجه ، وهرب ابن الأشعث بين أيديهم ومعه ثل قليل من الناس ، فأتبته المجاج جيشاً كثيفاً مع حمارة بن غنم الهضي ، ومعه محمد بن المجاج ، والإمرة لمارة ، فساقوا وراهم يطردوهم لهم يظفرون به قتلاً أو أسراً ، فزال بسوق ، وبحرق الأقاليم ، والكنكو ، والرسانيق ، وهم في آثره - حتى وصل إلى كركمان ، وأتبعه الشاميون ، فنزلوا في قصر كان فيه أهل العراق قبلهم ، فإذا فيه كتاب قد كُتب بهصر أهل الكوفة من أصحاب ابن الأشعث الذين فروا معه - من شعر أبي جلداء القيسكري يقول :

ألا لهما وبأحزنا جميعاً وبأحرّ السود لما لقينا

تركنا الدين والدينا جميعاً وأسلمنا الحلائل والغبينا

( فاكُنّا أناساً أهلَ دينا ففتمنّا ولو لمْ تَرُجْ دينا )<sup>(١)</sup>

تركنا دورنا لظننا حَكَّ وأناط القري والأهرينا

ثم إن ابن الأشعث دخل هو ومن معه من القتل إلى بلاد رُبَيْل ملك الترك ، فأكرمه رُبَيْل ، وأزله عنده وأمنه وعظمه .

قال الواقدي : ومرو ابن الأشعث - وهو ذاهب إلى رُبَيْل - حل عامل له في بعض المدن ،

(١) الذي في الطبري :

فاكُنّا أناساً أهلَ دين ففتمنّا ولو لمْ تَرُجْ دينا

وماكُنّا أناساً أهلَ دينا ففتمنّا ولو لمْ تَرُجْ دينا

كان ابن الأشعث قد استعمله على ذلك عند رجوعه إلى العراق ، فأكرمه ذلك العامل وأهدى إليه هدايا وأزله ، فمل ذلك خديعة به ومكرراً ، وقال له : ادخل إلى عندي إلى البلد اتجشمن بها من عدوك . ولكن لا تدع أحداً عن ملك يدخل المدينة ، فأجابه إلى ذلك ، وإنما أراد للكر به ، فتمه أصحابه ، فلم يقبل منهم ، ففترق عنه أصحابه . فلما دخل المدينة وثب عليه العامل ، فسكه وأوثقه بالحديد ، وأراد أن يتخذ به بدأ عند الحاجاج ، وقد كان للث رتبيل سرّ بقدوم ابن الأشعث ، فلما بلغه ما حدث له من جهة ذلك العامل بمدينة بستان - سار حتى أحاط ببستان ، وأرسل إلى عامله - يقول له : والله إن أذيت ابن الأشعث لا أرح حتى أستزلك ، وأقتل جميع من في بلدك ، فأنه ذلك العامل ، وسير إليه ابن الأشعث ، فأكرمه رتبيل ، فقال ابن الأشعث لرتبيل : إن هذا العامل كان عاملي ومن جمعي ، فقدر في وقلي ما رأيت ، فأذن لي في قتله ، فقال : قد أمنته .

وكان مع ابن الأشعث عبد الرحمن بن عياش بن أبي ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ، وكان هو الذي يعلى بالناس هناك في بلاد رتبيل . ثم إن جماعة من القل الذين هربوا من الحاجاج - اجتمعوا وساروا وراء ابن الأشعث ليدركوه ، فيكونوا معه - وهم قريب من ستمائة ألفاً - فلما وصلوا إلى بستان وجدوا ابن الأشعث قد دخل إلى عند رتبيل ، فقتلوا على سبستان ، وهذبوا عامله عبد الله بن عامر النمار وإخوته وقربائه ، واستحذوا على ما فيها من الأموال ، وانقضوا في تلك البلاد وأخذوها ، ثم كتبوا إلى ابن الأشعث : أن اخرج إلينا حتى نكون معك ننصرك على من يخالفك ، وتأخذ بلاد خراسان ، فإن بها جنداً ومنعة كثيرة منا ، فكتبوا بها حتى يهلك الله الحاجاج أو عبد الملك ، فترى بعد ذلك رأينا . فخرج إليهم ابن الأشعث وسار بهم قليلاً إلى نحو خراسان ، فاعتزله شرزمة من أهل العراق مع عبيد الله بن حمزة ، فقام فيهم ابن الأشعث خطيباً ، فذكر غدرهم ونكولهم عن الحرب ، وقال : لا حاجة لي بكم ، وأنا ذاهب إلى صاحبي رتبيل فأكون عنده . ثم انصرف عنهم وتبعه طائفة منهم ، وبق معظم الجيش .

فلما انفصل عنهم ابن الأشعث بأيام عبد الرحمن بن عياش بن أبي ربيعة الماشي ، وساروا معه إلى خراسان ، تخرج إليهم أميرها يزيد بن المهلب بن أبي صفرة ، فقتلهم من دخول بلاده ، وكتب إلى عبد الرحمن بن عياش يقول له : إن في البلاد مسمماً ، فذهب إلى أرض ليس بها سلطان ، فإني أكره قتالك ، وإن كنت تريد مالاً ببستان إليك ، فقال له : إنا لم نجى - لقتال أحد ، وإنما جئنا نسترخ ونرج خيلنا ثم نذهب ، وأبست بنا حاجة إلى شيء مما مرصت . ثم أقبل عبد الرحمن على أخذ انخراج مما حوله من البلاد من كور خراسان ، فخرج إليه يزيد بن المهلب ، ومعه أخوه الفضل في جيوش كثيفة ، فلما صادفهم اقتتلوا غير كثير ، ثم انهزم أصحاب

عبد الرحمن بن عياش ، وقتل يزيد منهم مئة كثيرة ، واحتاز ما في معسكره ، وبث بالأسارى  
وفيهم : محمد بن سعد بن أبي وقاص - إلى الحجاج . وقال : إن محمد بن سعد قال ليزيد بن الهلب :  
أسألك بدعوة أبي لأبيك - لما أظفنتى ، فأطلقه .

قال ابن جرير : ولهذا الكلام خير فيه ماول . ولما قدمت الأسارى على الحجاج قتل  
أكثرهم وعفا عن بعضهم ، وقد كان الحجاج يوم ظهر على ابن الأشعث ، نادى مفاديه في الناس :  
من رجع فهو آمن ، ومن لحق بمسلم بن قتيبة بالرى فهو آمن . فلقى بمسلم خلق كثير من كان مع  
ابن الأشعث ، فأتتهم الحجاج . ومن لم يلحق به شرع الحجاج في قتلهم ، فقتل منهم خلقا كثيرا  
حتى كان آخر من قتل منهم - سعيد بن جبير ، على ما سيأتى بيانه .

وكان الشعي من جملة من صار إلى مسلم بن قتيبة ، فذكره الحجاج يوما ، فقيل له : إنه سار  
إلى مسلم بن قتيبة ، فكتب إلى مسلم : أن ابث لي بالشعي . قال الشعي : فدا دخلت عليه سلمت  
عليه بالأمرة ، ثم قلت : أيها الأمير ! إن الناس قد أمروني أن أعترف إليك بنير ما يعلم الله أنه  
الحق ، وأيم الله لا أقول في هذا المقام إلا الحق ، كائنا في ذلك ما كان ، قد والله تمردنا عليك ،  
وخرجنا وجهدنا كل الجهد ، فأآونا ، فأكنا بالأنفواء الفجرة ، ولا بالانتقاء البيرة ، وقد نصرك  
الله علينا وأظنرك بنا ، فإن سآوت فيذنوبنا ، وما جرمت إليك أيدينا : وإن عفوت عنا فبطلت ،  
وبعد فلك الحجة علينا . فقال الحجاج : أنت والله يا شعي - أحب إلي من يدخل علينا ، يقطر سيفه  
من دماءنا ، ثم يقول : ما فعلت ولا شهدت ، قد أمئت عندنا يا شعي . قال : فانصرفت ، فدا  
صبت قليلا قال : هل يا شعي ، قال : فوجلت لقلبك قلبي ، ثم ذكرت قوله : قد أمئت يا شعي ،  
فأطأنت نسي ، فقال : كيف وجدت الناس بعدنا يا شعي ؟ قال : وكان لي مكرما قبل الخروج  
عليه - فقلت : أصالح الله الأمير ، قد اكتسعتُ بملك السهر ، واستوعرتُ السهل ، واستوعتُ  
الجناب ، واستعلتُ الخوف ، واستعلتُ الهمة ، وفقدتُ صالح الإخوان ، ولم أجد من الأمير  
خلقاً . قال : انصرف يا شعي ، فانصرفت .

ذكر ذلك ابن جرير وغيره . ورواه أبو مخنف عن إسماعيل بن عبد الرحمن السدي عن الشعي .

وروى البيهقي : أنه سأله من مسألة في الفرائض وهي : أم زوج وأخت ، وما كان يقوله فيها  
الصديق ، ومهر وعنان وحمل وابن مسعود . وكان لكل منهم قول فيها ، فنقل ذلك كله الشعي  
في سابعة ، فاستحسن قول علي ، وحكم بقول عنان ، وأطلق الشعي بسبب ذلك . وقيل : إن  
الحجاج قتل خمسة آلاف أمير من سيرهم إليه يزيد بن الهلب ، كما تقدم ذلك ، ثم سار إلى الكوفة ،  
فدخلها فجعل لا يبالي أحدًا من أهلها إلا قال : استهد على نفسك أنك قد كثرت ، فإذا قال - نعم

بابه ، وإن أبى قتله ، فقتل منهم خلقاً كثيراً . كثير ممن أبى أن يشهد على نفسه بالكفر ، قال : فأبى رجل فقتل المجاج : ما أظن هذا يشهد على نفسه بالكفر إصلاحه ودينه . وأراد المجاج أن يخاصمه . فقال : أخادعي أنت عن نفسي ؟ أنا أكثر أهل الأرض ، وأكفر من فرعون وهامان ونمرود . قال : فضحك المجاج وخل سبيله .

وذكر ابن جرير من طريق أبي مخنف : أن أحمش ممدان أتى به إلى المجاج . وكان قد حمل قصيدة حباً فيها المجاج ، وميد الملك بن مروان ، ويمدح فيها ابن الأعمش وأصحابه . فاستنشدته إياها ، فأنشدته قصيدة طوية دالية ، فيها مدح كثير لبيد لك وأهل بيته ، فجعل أهل الشام يقولون : قد أحسن أبها الأمير ، فقال المجاج : إنه لم يحسن ، إنما يقول هذا مصانعة . ثم ألح عليه حتى أنشدته قصيدته الأخرى ، فلما أنشدتها غضب عند ذلك المجاج ، وأمر به فضربت عنقه صبراً بين يديه .

واسم الأحمش هذا : عبد الرحمن بن عبد الله بن الحارث . أبو الصبح الممداني الكوفي الشاعر ، أحد القضاة البلاء المشهورين . وقد كان له فضل وعبادة في مذهبهم ، ثم ترك ذلك وأقبل على الشر صرف به ، وقد وفد على النعمان بن بشير ، وهو أمير بمصر فاستنشدته ، وكان بمحموله في رحلته إليه منه ومن جند حمص . أربعين ألف دينار ، وكان زوج أخت الشمي ، كما أن الشمي كان زوج أخيه أيضاً . وكان ممن خرج مع ابن الأعمش ، قتله المجاج كما ذكرنا . رحمه الله . وقد كان المجاج وهو موافق لابن الأعمش ، يثب كفيلاً بأنون جيش ابن الأعمش من ورائه ، ثم توافقت المجاج وابن الأعمش ، وهرب المجاج بمن معه وترك مسكره ، فجاء ابن الأعمش فاحتاز مائتي المسكر وبات فيه ، فقامت السرية إليهم ليلاً ، وقد وضوا أسلحتهم ، فالوا عليهم مئة واحدة ، ورجع المجاج بأصحابه ، فأحاطوا بهم فاقتتلوا قتالاً شديداً ، وقتل من أصحاب ابن الأعمش خلق كثير ، وغرق خلق كثير منهم . في دجلة ودجيل ، وجاء المجاج إلى مسكرهم فقتل من وجده فيه ، قتل منهم نحواً من أربعة آلاف ، منهم جماعة من الرؤساء والأميان واحتازوه بكاه ، وانطلق ابن الأعمش هارباً في ثلاثمائة ، فركبوا دجبل في السفن ، وعقروا دوابهم وجازوا إلى البصرة ، ثم ساروا من هناك إلى بلاد الترك ، وكان في دخوله بلاد رثيل ما تقدم . ثم شرع المجاج في تتبع أصحاب ابن الأعمش ، فجعل يقتلهم متى وفرأى ، حتى قتل : إنه قتل منهم بين يديه صبراً . مائة ألف وثلاثين ألفاً ، قاله النضر بن شميل ، عن هشام بن حسان ، منهم : محمد بن سعد بن أبي وقاص ، وجائعات من السادات الأخيار ، والعللاء الأبرار ، حتى كان آخرهم : سعيد بن جبير . رحمه الله ورضي عنهم ، كما سيأتي ذلك في موضعه .

## بناء واسط

قال ابن جرير : وفي هذه السنة بنى الحجاج واسطاً ، وكان سبب بنائه لها : أنه رأى راحباً على أنان قد أحاز دجلة ، فلما مرَّ بوضع واسط وقفت أناته فبالت ، فنزل عنها ووجد إلى موضع بولها ، فاحتفره ورعى به في دجلة ، فقال الحجاج : على به ، فأنى به ، فقال له : لم صنعت هذا ؟ قال : إنما عمد في كتبنا أنه ينشئ في هذا الموضع مسجد يُبَدُّ الله فيه ما دام في الأرض أحد يؤتده فعمد ذلك. أخذ الحجاج مدينة واسط في ذلك المكان ، وبنى المسجد في ذلك الموضع وفيما كانت غزوة عطاء بن رافع - صقلية . وعمن توفى فيها من الأعيان :

عبد الرحمن بن جعيرة الخولافي ، المصري ، زوى عن جماعة من الصحابة ، وكان عبد العزيز ابن مروان أمير مصر قد جمع له بين القضاء والقصاص وبيت المال ، وكان رزقه في العام ألف دينار ، وكان لا يدخر منها شيئاً

طارق بن شهاب بن عبد شمس الأحمسي : ممن رأى النبي ﷺ ، وغزا في خلافة الصديق ، ومهرم - رضي الله عنهما - بضاً وأربعين غزاة ، توفى بالمدينة هذه السنة .

عبيد الله بن عدي بن الطيار : أدرك النبي ﷺ ، وحدث عن جماعة من الصحابة .

عبد الله بن قيس بن عزيمة : كان قاضي المدينة ، وكان من قتلاء قريش وعلماهم ، وأبوه عدي ممن قتل يوم بدر كافرين .

وتوفى بها في هذه السنة : مرثد بن عبد الله - أبو الخير البزني .

وفيها : فقد جماعة من القراء والعلماء الذين كانوا مع الأشعث ، منهم من هرب ، ومنهم من قتل في المعركة ، ومنهم من أسر ، ف ضرب الحجاج عنقه ، ومنهم من تقبمه الحجاج حتى قتل . وقد سمى منهم خليفة بن خياط - طائفة من الأعيان ، فتهم مسلم بن يسار الزني ، وأبو مروان المصلي قتل ، وعقبة بن عبد الغفار قتل ، وعقبة بن وشاح قتل ، وعبد الله بن خالد الجهمي قتل ، وأبو الجوزاء الربيعي قتل ، والنضر بن أنس ، ومهران - والله أبي حمزة الضبي ، وأبو المنهال سيار بن سلامة الرياحي ، ومالك بن دينار ، ومرة بن ذهاب المداوي ، وأبو نجيد الجهمي ، وأبو سبيح الهذلي ، وسعيد بن أبي الحسن ، وأخوه الحسن البصري .

قال أيوب : قيل لابن الأشعث : إن أحببت أن يقتل الناس حولك كما قتلوا حول مودج عائشة يوم الجمل ، فأخرج الحسن منك ، فأخرجه .



ومن أهل الكوفة : - عبيد بن جبير ، وعبد الرحمن بن أبي ليلى ، وعبد الله بن شداد ،  
والشمي ، وأبو عبيدة بن عبد الله بن مسعود ، والمروزي بن سويد ، ومحمد بن سعد بن أبي وقاص ،  
وأبو بصير ، وطلحة بن مصرف ، وزيد بن الحارث اليماني ، وعطاء بن السائب .  
قال أيوب : فما منهم مرع مع ابن الأشعث إلا رغب عن مصرعه ، ولا نجا أحد منهم  
إلا أحد الله الذي سلمه .

ومن أمهات من قتل الحجاج : عمران بن عاصم الضبي - والد أبي حنيفة ، كان من علماء  
أهل البصرة ، وكان صالحاً مابداً ، أتى به أسيراً إلى الحجاج ، فقال له : اشهد على نفسك بالكفر  
حق أملكك ، فقال : والله إني ما كفرت بالله منذ آمنت به ، فأمر به فغربت عنقه ، عبد الرحمن  
ابن أبي ليلى ، روى عن جماعة من الصحابة ، ولأبيه أبي ليلى محبة . أخذ عبد الرحمن القرآن من  
علي بن أبي طالب . خرج مع ابن الأشعث ، فأتى به الحجاج ، فغضب عنقه بين يديه صبراً .

### ثم دخلت سنة أربع وثمانين

قال الواقدي : فيها افتتح عبد الله بن عبد الملك المصمصة ، وفيها غزا محمد بن مروان أرمينية ،  
فقتل منهم خلقاً ، وصرف كنانتهم وضياعهم ، وتسمى سنة الحريق . وفيها استعمل الحجاج  
على فارس محمد بن القاسم الثقفي ، وأمره بقتل الأكراد . وفيها : ولي عبد الملك الإسكندرية  
مياض بن غنم البجلي ، وعزل عنها عبد الملك بن أبي الكنود - الذي كان قد وليها في العام  
الساقي . وفيها انتزع موسى بن نصير طائفة من بلاد المغرب ؛ من ذلك لد أرومة ، وقتل من  
أهلها بشراً كثيراً جداً ، وأسر نحواً من خمسين أنثاً . وفيها قتل الحجاج أيضاً جماعة من أصحاب  
ابن الأشعث ، منهم :

أيوب بن القزعة : وكان فصيحاً بليغاً واعظاً ، قتله صبراً بين يديه ، ويقال : إنه ندم على  
قتله . وهو : أيوب بن زيد بن قيس - أبو سليمان الحلاقي ، المعروف بابن القزعة . وعبد الله بن  
الحارث بن نوفل . وسعد بن إلياس الشيباني . وأبو غنيم الخولاني ، له محبة ورواية ، سكن  
حمن ، وبها توفي وقد قارب المائة سنة . عبد الله بن قتادة . وغير هؤلاء جماعة ، منهم من قتلهم  
الحجاج ، ومنهم من توفي أبو زرعة الجذامي الفلسطيني ، كان ذا منزلة عند أهل الشام ،  
نحلف منه معاوية ، قهم منه ذلك أبو زرعة ، فقال : يا أمير المؤمنين لا تهدم ركنك بنيه ،  
ولا تحزن صاحباً سرورته . ولا تشمت عدوك كبتة : فكف عنه معاوية

وفيها: توفي عتبة بن منفر السلمي، صحابي جليل، كان يمدق أهل الصفة. همران بن حطان الخارجي. كان أولاً من أهل السنة والجماعة، فتزوج امرأة من الخوارج حسنة جميلة جداً فأحبها، وكان هو ميم الشكل، فأراد أن يردّها إلى السنة فأبى، فارتد معها إلى مذهبها، وقد كان من الثمراء الفلقين، وهو القاتل في قتل عليٍّ. وقاله:

يا ضربة من تقى ما أراد بها إلا ليبلغ من ذى العرش وضوانا  
إني لأذكره يوماً فأحسب به أو في البرية عند الله ميزانا  
أكرم يقوم بطون الطير قيرهم لم يخطوا دينهم بنيًا وعدوانا  
وقد كان الثوري يشتمل بأبياته هذه في الزهد في الدنيا، وهي قوله:

أرى أشقياء الناس لا يسأهونها . حل أنهم فيها — راء وجزوع  
أراها وإن كانت تحب فلئها — عابة صيف من قليل قشع  
كركب قضا حاجتهم ورحلوا طريقهم بأدى الـ لامة مبيع

مات همران بن حطان سنة أربع وثمانين، وقد رد عليه بعض العلماء في أبياته المتقدمة في قتل عليٍّ رضي الله عنه بأبيات على قافيتها ووزنها:

بل ضربة من شقى ما أراد بها إلا ليبلغ من ذى العرش خسارنا  
إني لأذكره يوماً فأحسب به أشقى البرية عند الله ميزانا

روح بن زنباع الجذامي: كان من أمراء الشام، وكان عبد الملك يستشير في أموره.

وفيها: كان مهلك عبد الرحمن بن الأشعث السكندى، وقيل: في القى بعدها، فافقه أهل ذلك أن الحجاج كتب إلى رقبيل ملك الترك الذي لجأ إليه ابن الأشعث يقول له: والله الذي لا إله إلا هو، إنني لم تبعث إلى ابن الأشعث لأبين إلى بلادك ألف ألف مقاتل، ولا خربتها. فلما تحقق الوعيد من الحجاج استشار في ذلك بعض الأمراء، فأشار عليه بتسليم ابن الأشعث إليه يقول أن يغرب الحجاج دياره، وبأخذ عامة أمصاره، فأرسل إلى الحجاج يشترط عليه أن لا يقتل عشرين سنين، وأن لا يؤدي في كل سنة منها إلا ثمانية آلاف من الخراج، فأجابته الحجاج إلى ذلك. وقيل: إن الحجاج وعده أن يطلق له خراج أرضه سبع سنين، فعند ذلك غدر رقبيل بابن الأشعث؛ قتل: إنه أمر بضرب عنقه صبراً بين يديه، وبعث برأسه إلى الحجاج، وقيل: بل كان ابن الأشعث قد مرض مرضاً شديداً فقتله وهو بأخر رمق. والشهور أنه قبض عليه، وحل ثلاثين من أقربائه، فقدم في الأستانة، وبعث بهم مع رسل الحجاج إليه، فلما كانوا ببعض الطريق بمكان قال له الرجس، صعد ابن الأشعث وهو مقيد بالحديد إلى سطح قصر

ومعه رجل موكل به ثلاثين ، وألقى نفسه من ذلك القصر ، وسقط معه الموكل به فأتانا جميعاً ، فصد الرسول إلى رأس ابن الأشعث فاجتزأه ، وقتل من معه من أصحاب ابن الأشعث ، وبث بروسهم إلى الحجاج ، فأمر فطيف برأسه في العراق ، ثم بثه إلى عبد الملك ، فطيف برأسه في الشام ، ثم بث به إلى أخيه عبد العزيز بمصر ، فطيف برأسه هناك ، ثم دفنوا رأسه بمصر وجنته بالرحح ، وقد قال بعض الشعراء في ذلك :

هبات موضع جثة من رأسها رأس مصر وجنته بالرحح

وإنما ذكر ابن جرير مقتل ابن الأشعث في سنة خمس وثمانين ، والله أعلم

وعبد الرحمن هذا : هو أبو محمد بن الأشعث بن قيس ، ومنهم من يقول : عبد الرحمن بن قيس بن محمد بن الأشعث بن قيس الكندي الكوفي ، قد روى له أبو داود ، والنسائي عن أبيه عن جده عن ابن مسعود : حديث « إذا اختلف المتبايعان والسلمة فأمة فالتقول ما قال البائع أو تشاركها » . وعنه أبو الميسر . ويقال : إن الحجاج قتله بعد التسعين سنة ، والله أعلم . والمعجب كل المعجب من هؤلاء الذين يأمرون بالإمارة ، وليس من قريش ، وإنما هو كندي من اليمن ، وقد اجتمع الصحابة يوم السقيفة على أن الإمارة لا تكون إلا في قريش ، واحتج عليهم الصديق بالحديث في ذلك ، حتى إن الأنصار سألوا أن يكون منهم أمير مع أمير المهاجرين ، فأبى الصديق عليهم ذلك ، ثم مع هذا كله ضرب سعد بن عبادة الذي دعا إلى ذلك أولاً ثم رجع عنه ، كما قررنا ذلك فيما تقدم فكيف يمدون إلى خليفة قد بويح له بالإمارة على المسلمين من سنين فيمزلونه ، وهو من صلبية قريش ، ويبايعون لرجل كندي بيعة لم ينفق عليها الحل والمقد ؟ ولهذا لما كانت هذه زلة وقعت نشأ بسببها شر كبير هلك ، فيه خلق كثير ، فإنما لله وإنما إليه راجعون .

أيوب بن القزينة : وهي أمه ، واسم أبيه : يزيد بن قيس بن زرارة بن مسلم القرني الحنظلي ، كان أمرا بيا أمياً ، وكان يضرب به المثل في فصاحته وبيانه وبلاغته . صحب الحجاج ، ووفد على عبد الملك ، ثم بعثه رسولاً إلى ابن الأشعث ، فقال له ابن الأشعث : أنت لم تقم خطيباً ، فتخلع الحجاج لأمر بن عتقك ، ففعل وأقام عنده . فلما ظهر الحجاج استحضره ، وجرت له معه مقامات ومقالات في الكلام ، ثم آخر الأمر ضرب عقه ، وتدم بعد ذلك على ما فعل من ضرب عقه ، ولكن ندم حيث لا ينفعه الندم . كما قيل : • وجادت بوصل حين لا ينفع الوصل •

وقد ذكره ابن عساكر في تاريخه ، وابن خلكان في الوفيات ، وأطال ترجمته ، وذكر فيها أشياء حسنة ، قال : والقزينة بكسر القاف وتشديد الياء . وهي جدته ، واسمها : جماعة بنت جشم .

قال ابن خلكان : ومن الناس من أنكر وجوده ووجود مجنون ليل ، وإن أبي القتب صاحب الملحمة - وهو يحيى بن عبد الله بن أبي القتب ، والله أعلم .

روح بن زنباع بن سلامة الخداعي - أبو زرة . ويقال : أبو زنباع الدمشقي ، داره بدمشق في طرف البرزوربين عند دار ابن عقب صاحب الملحمة . وهو تابعي جليل ، روى عن أبيه - وكانت له محبة - وتميم الدار ، وعبادة بن الصامت ، ومعاوية ، وكعب الأحبار وغيرهم ، وعنه جماعة منهم : مباداة بن نسي كان روح عند عبد الملك كالوزير لا يكاد يفارقه ، وكان مع أبيه مروان يوم مرج راهط ، وقد أمره يزيد بن معاوية على جند فلسطين . وزعم مسلم بن الحجاج أن روح بن زنباع كانت له محبة ، ولم يتابع مسلم على هذا القول ، والصحيح أنه تابعي وليس بصحابي ، ومن مآثره التي تفرد بها : أنه كان كلما خرج من الحمام يمتق نسمة ، قال ابن زيد : مات سنة أربع وثمانين بالأردن . وزعم بعضهم أنه بقي إلى أيام هشام بن عبد الملك ، وقد حج مرة فزل على ماء بين مكة والمدينة ، فأمر فأصاحت له أطعمة مختلفة الألوان ، ثم وضعت بين يديه ، فيها هو يأكل إذ جاء راع من الرعاة برد الماء ، فدعا روح بن زنباع إلى الأكل من ذلك الطعام ، فجاء الراعي ففطر إلى طعامه ، وقال : إني صائم ، فقال له روح : في مثل هذا اليوم الطويل الشديد الحر تصوم يا راهي ؟ فقال الراعي : أفاعين إياي من أجل طعامك ؟ ثم إن الراعي ارتاد لنفسه مكانا ، فزله وترك روح بن زنباع ، قال روح بن زنباع : -

لقد ضنفت بأيامك يا راهي إذ جادها روح بن زنباع

ثم إن روحا بكى حويلا وأمر بتلك الأطعمة فرفمت ، وقال : انظروا : هل تجدون لها آكلا من هذه الأعراب أو الرعاة ؟ ثم صار من ذلك المكان ، وقد أخذ الراعي بجماع قلبه وصنرت إليه نفسه ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

### ثم دخلت سنة خمس وثمانين

فيها - كما ذكر ابن جرير : كان مقتل عبد الرحمن بن الأشعث بالله أعلم . وفيها عزل الحجاج عن إمرة خراسان يزيد بن المهلب وولى عليها أخاه الفضل بن المهلب ؛ وكان سبب ذلك أن الحجاج وفد مرة على عبد الملك ، فلما انصرف مر بدير ، فقيل له : إن فيه شيئا كبيرا من أهل الكتاب عالم ، فدعى فقال : يا شيخ ! هل تجدون في كتبكم ما أنتم فيه وما نحن فيه ؟ قال : نعم . قال له : فما تجدون صفة أمير المؤمنين ؟ قال : نجد ملكا أقرع ، من يتم في سبيله يضرع ، قال : ثم من ؟ قال : ثم رجل يقال له الوابد ، قال : ثم ماذا ؟ قال : ثم رجل اسمه اسمي ، يتبع به على

الناس ، قال : أنصرفي ؟ قال : قد أخبرت بك . قال : أنصرف مآلى ؟ قال : نعم ! قال : فن بلى  
 العراق بدى ؟ قال : رجل يقال له يزيد ، قال : أفي حياتي أو بعد موتي ؟ قال : لا أدري ، قال :  
 أنصرف صفته ؟ قال : بمنذر غدره لا أعرف غير هذا ، قال : فوقع في نفس الحجاج أنه يزيد  
 ابن الهلب ، وسار سرياً وهو ورجل من كلام الشيخ ، ثم بعث إلى عبد الملك يستغفبه من ولاية  
 العراق ليحل مكانه عنده ، فجاء الكتاب بالتقريع والتأنيب والتوبيخ والأمر بالثبات والاستمرار  
 على ما هو عليه . ثم إن الحجاج جلس يوماً مفكراً يحسب استدعى يزيد بن موهب ، فدخل عليه  
 وهو يشكت في الأرض ، فرفع رأسه إليه فقال : وبك يا عبيد ! إن أهل الكتاب يذكرون  
 أن ماتت يدى سبيله رجل يقال له يزيد ، وقد تذكرت يزيد بن أبي كبشة ، ويزيد بن حصين  
 ابن نمير ، ويزيد بن دينار . وايدوا هناك ، وما هو إلا يزيد بن الهلب . فقال عبيد : قد شرتهم  
 وعظمت ولايتهم ، وإن لم لقدراً وجلداً وحظاً فأخلق به . فاجمع رأى الحجاج على عزل يزيد  
 ابن الهلب ، فكتب إلى عبد الملك يذمه ويخونه قدره ، ويخبره بما أخبره به ذلك الشيخ  
 السكتاني ، فجاء البريد بكتاب فيه : قد أكرت في شأن يزيد ، فسم رجلاً يصلح لخراسان ، فوقع  
 اختيار الحجاج على الفضل بن الهلب ، فولاه قليلاً تسعة أشهر ، ففزا بلاد قيس وغيرها ، وعظم  
 مقامه كثرة ، وامتدحه الشراء ، ثم عزله بقتيبة بن مسلم .

قال ابن جرير : وفي هذه السنة قُتل موسى بن عبد الله بن خازم بترمز ، ثم ذكر سبب ذلك ،  
 وملخصه : أنه بعد مقتل أبيه لم يبق بيده بلد بلجأ إليه بن موهب من أصحابه ، فجعل كلما اقترب من  
 بلدة خرج إليه ملكها فقاتله ، فلم يزل ذلك دأبه حتى نزل قريباً من ترمز ، وكان ملكها فيه  
 ضعف ، فجعل يهادنه ، ويبعث إليه بالأطاف والتعف ، حتى جعل يتصيد هو وهو . ثم عن الملك  
 فعمل له طعاماً ، وبعث إلى موسى بن عبد الله بن خازم . أن اتقى في مائة من أصحابك ، فاختار موسى  
 من جيشه مائة من شجعانهم ، ثم دخل البلد ، فلما فرغت الضيافة اضطلع موسى في دار الملك  
 وقال : والله لا أقوم من هنا حتى يكون هذا المنزل منزلي أو يكون قري . فقال أهل القصر إليه ما نجف  
 عنه أصحابه ، ثم وقعت الحرب بينهم وبين أهل ترمز ، فاقبلوا قتل من أهل ترمز خلق كثير  
 وهرب بقتيتهم ، واستدعى موسى ببقية جيشه إليه واستعوز موسى على البلد فحسبها ومنمها من  
 الإهداء ، وخرج منها ملكها هارباً ، فلجأ إلى إخوانه من الأتراك ، فاستنصرهم فقالوا له : هؤلاء  
 قوم نجو من ما . رجل أخرجوك من بلدك ، لا طاقة لنا بقتال هؤلاء .

ثم ذهب ملك ترمز إلى طائفة أخرى من الترك ، فاستنصرهم فبعثوا معه تعداداً نحو موسى  
 ليسمعوا كلامه ، فلما أحس بقومهم - وكان ذلك في شدة الحر - أمر أصحابه أن يؤججوا ناراً ،

ويلبسوا ثياب الشتاء ، ويدنوا أيديهم من النار كأنهم يصلطون بها ، فلما وصلت إليهم الرسل رأوا أصحابه وما يستنون في شدة الحر فقالوا لهم : ما هذا الذي ترونكم تفعلون ؟ فقالوا لهم : إنا نحد البرد في الصيف والسكر في الشتاء ، فرجسوا إلى أنفسهم فقالوا : ما هؤلاء بشر ، ما هؤلاء إلا جن ، ثم عادوا إلى ملكهم ، فأخبروه بما رأوا فقالوا : لا طاقة لنا بقتل هؤلاء .

ثم ذهب صاحب ترديد فاستمع شطاطة أخرى ، جاؤا لخاصرم بترمذ ، وجاء الخزاعي لخاصرم أيضاً ، فجعل يقاتل الخزاعي أول النهار ، ويقاتل آخره المعجم ، ثم إن موسى بينهم ، فقتل منهم مقتلة عظيمة ، وأفرغ ذلك عمر الخزاعي فصالحه وكان معه ، فدخل يوما عليه وليس عنده أحد ، وليس يرى معه سلاحاً ، فقال له : - على وجه النصيح - أصلح الله الأمير ، إن مثلك لا ينبغي أن يكون بلا سلاح ، فقال : إن عندي سلاحاً ، ثم رفع صدر فراشه ، فإذا سيفه منتضى ، فأخذه عمر فضربه به حتى برد وخرج هارباً ، ثم تفرق أصحاب موسى بن عبد الله بن خازم .

قال ابن جرير : وفي هذه السنة غزم عبد الملك على عزل أخيه عبد العزيز بن مروان عن إمرة الديار المصرية ، وحسن له ذلك رُوح بن زنباع الجذامي ، فبيضا هما في ذلك إذ دخل عليهما قبيصة ابن ذؤيب في الليل ، وكان لا يحب عنه في أي ساعة جاء - من ليل أو نهار - فمزاه في أخيه عبد العزيز ، فقدم على ما كان منه من العزم على عزله ، ولما حمله على إرادته عزله - أنه أراد أن يمهّد بالأمر من بعده لأولاده : الوليد ، ثم سليمان ، ثم يزيد ، ثم هشام ؛ وذلك عن رأى الحاجج وترتيبه ذلك لعبد الملك ، وكان أبوه مروان عهد بالأمر إلى عبد الملك ، ثم من بعده إلى عبد العزيز ، فأراد عبد الملك أن ينحيه عن الإمرة من بعده بالسكابة ، ويجعل الأمر في أولاده وعقبه ، وأن تكون الخلافة باقية فيهم ، والله أعلم .

عبد العزيز بن مروان : هو عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس - أبو الأصمخ الترشى الأموي . ولد بالدمية ، ثم دخل الشام مع أبيه مروان ، وكان ولي عهده من بعد أخيه عبد الملك ، وولاه أبوه إمرة الديار المصرية في سنة خمس وستين ، فكان واليا عليها إلى هذه السنة . وشهد قتل سعيد بن عمرو بن العاص كما قدمنا ، وكانت له دار بدمشق وهي دار الصوفية اليوم - المعروفة بالخاقان السيساطية ، ثم كانت من بعده لولده عمر بن عبد العزيز ، ثم تنقلت إلى أن صارت خاقانها للصوفية . وقد روى عبد العزيز بن مروان الحديث عن أبيه وعبد الله بن الزبير ، وعقبة بن عامر ، وأبي هريرة ، وحديثه عنه في مسند أحمد وسنن أبي داود ، أن رسول الله ﷺ قال : « شر ما في الرجل جبن خالغ وشح هالغ » . وعنه : ابنه عمر ، والزهري وعلي بن رباح وجماعة .

قال محمد بن سعد : كان ثقة ، قابل الحديث ، وقال غيره : كان يلحن في الحديث وفي كلامه ، ثم تعلم المرأة فأنتها وأحسنها ، فكان من أفصح الناس . وكان سبب ذلك : أنه دخل عليه رجل يشكو خنته . وهو زوج أمته . فقال له عبد العزيز : من خنتك ؟ فقال الرجل : خنتي الختان الذي يخن الناس ، فقال لكتابه : ويحك بماذا أجابني ؟ قال الكاتب : يا أمير المؤمنين ، كان يفتني أن تقول : من خنتك ، فألحى على نفسه أن لا يخرج من منزله حتى يتعلم العربية ، فسكت جملة واحدة فتملأها ، فخرج وهو من أفصح الناس ، وكان بعد ذلك يحزل عطاء من يرب كلامه ، وينقص عطاء من يلحن فيه ، فدارع الناس في زمانه إلى تعلم العربية . قال عبد العزيز يوماً إلى رجل : من أنت ؟ قال : من بنو عبد الله ، فقال تعدها في حاضرتك ، فنقصت جازته ثمانية دينار .

وقال أبو بلى النوصلي : حدثنا محمد بن موسى ، ثنا إسحاق بن يوسف ، أنبأنا سفيان ، عن محمد بن مجلان ، عن القعقاع بن حكيم قال : كتب عبد العزيز بن مروان إلى عبد الله بن عمر : ارفع إلى حاجتك . كتب إليه ابن عمر : إن رسول الله ﷺ قال : «الهدى الملبأ خير من الهدى السفلى وأبدأ بمن تمول» . ولست أسألك شيئاً ، ولا أريد رزقاً رزقني الله عز وجل منك .

وقال ابن وهب : حدثني يحيى بن أيوب ، عن يزيد بن أبي حبيب ، عن سويد بن قيس قال : سمعت عبد العزيز بن مروان نائب دينار إلى ابن عمر ، قال : جئت فدفعت إليه الكتاب ، فقال : أين المال ؟ فقلت : لا أستطيعه إلا به حتى أصبح ، قال : لا والله لا يبيت ابن عمر الليلة وله ألف دينار ، قال : فدفع إلى الكتاب حتى حشته بها ، فقرأها رضى الله عنه .

ومن كلامه رحمه الله : عجبا لمؤمن يؤمن ويوقن أن الله يرزقه ويخلف عليه ، كيف يحبس مالا عن عظيم أجر وحسن ثناء . ولما حضرته الوفاة أحضر له مالٌ يحصيه ، وإذا هو ثلاثمائة مئة من ذهب ، فقال : والله لوددت أنه بئر حائل ينبعد ، وقال : والله لوددت أني لم أكن شيئاً مذكوراً ، ولوددت أن أكون هذا الماء الجاري ، أو نباتة أرض الحجاز ، وقال لم : اتشوف بكفى الذي تكمنوني فيه ، فعمل يقول : أف لك ما أقصر طولك ، وأقل كثيرك .

قال يعقوب بن سفيان ، عن ابن بكير ، عن الأثير بن سعد قال : كانت وفاة ليلة الاثنين ثلاث عشرة ليلة خلت من جمادى الأولى سنة ست وثمانين . قال ابن عساكر : وهذا وثم من يعقوب بن سفيان ، والصواب : سنة خمس وثمانين ؛ فإنه مات قبل عبد الملك أخيه ، ومات عبد الملك بعده سنة سنة ست وثمانين . وقد كان عبد العزيز بن مروان من خيار الأمراء ، كريماً جواداً مجداً ، وهو والد الخليفة الراشد - عمر بن عبد العزيز . وقد اكتسب عمر أخلاق أبيه ،

وزاد عليه بأمر كثيرة . وكان لعبد العزيز من الأولاد غير عمر : طاهر ، وأبو بكر ، ومحمد ، والأصبغ . مات قبله بقليل ، فحزن عليه حزناً كثيراً ، ومرض بعده ومات - ، وسهيل . وكان له عدة بنات : أم محمد ، وسهيل ، وأم عثمان ، وأم الحسك ، وأم البنين . وعن من أمهات شقي ، وله من الأولاد غير هؤلاء . مات بالمدينة التي بناها على مرحلة من مصر ، وحمل إلى مصر في النبل ، ودفن بها ، وقد ترك عبد العزيز من الأموال والأثاث ، والدواب من الخيل والبغال والإبل ، وغير ذلك - ما يسجز عنه الوصف ، من جلة ذلك : ثلاثمائة مائة من ذهب غير الورق ، مع جوده وكرمه وبذله وعطاياه الجزيلة ، فإنه كان من أعطى الناس للعزير رحمه الله تعالى .

وقد ذكر ابن جرير : أن عبد الملك بن مروان كتب إلى أخيه عبد العزيز - وهو بالدار المصرية - بسأله أن يرسل عن العهد الذي له من بعده لولده الوليد ، أو يكون ولي العهد من بعده ، فإنه أمر الخلق على . فكتب إليه عبد العزيز يقول : إني أرى في أبي بكر بن عبد العزيز ما ترى في الوليد . فكتب إليه عبد الملك يأمره بحمل خراج مصر - وقد كان عبد العزيز لا يحمل إليه شيئاً من الخراج ولا غيره ، وإنما كانت بلاد مصر يكلها ، وبلاد المغرب ، وغير ذلك ، كلها لعبد العزيز ، متساعها وخراجها وحلها - فكتب عبد العزيز إلى عبد الملك : إني وإياك يا أمير المؤمنين ، قد ملنا سناً لا يلبثنا أحد من أهل بيتك إلا كان بقاؤه قليلاً ، وإني لا أدري ولا تدري أينما يأتي الموت أولاً ، فإن رأيت أن لا تنصب على بقية عمرى فاضل ، فرق له عبد الملك ، وكتب إليه : لعمرى لا أعتب عليك بقية عمرى . وقال عبد الملك لابنه الوليد : إن رد الله أن يعطيكها لا يقدر أحد من العباد على رد ذلك عنك ، ثم قال لابنيه : الوليد وسليمان : هل عارفتما محرماً أو حراماً قط ؟ فقالا : لا والله ، فقال : الله أكبر ، نلتها ورب السكبة . ويقال : إن عبد الملك لما امتنع أخوه من إيجاته إلى ما طلب منه في بيته لولده الوليد - دعا عليه وقال : اللهم إنه قطعي فاقطعه ، فمات في هذه السنة ، كما ذكرنا . فما جاءهم الخبير بموت أخيه عبد العزيز ليلاً - حزن وبكى ، وبكى أهله بكاء كثيراً على عبد العزيز ، ولكن سره ذلك من جهة ابنه : فإنه مال فيها ما كان يؤمله لهما من ولايته وإمامته .

وقد كان الحجاج بعث إلى عبد الملك يحسن له ولاية الوليد ويُرَبِّيهما له من بعده ، وأوفد إليه وفداً في ذلك ، عليهم عمران بن عاصم المعري ، فلما دخلوا عليه قام عمران خطيباً فتكلم ، وتكلم الوفا في ذلك ، وحثوا عبد الملك على ذلك ، وأنشد عمران بن عاصم في ذلك :

أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِلَيْكَ نُهْدِي عَلَى النَّهْيِ التَّعْيَةَ وَالسَّلَامَا

أَجَبْنِي فِي بَيْتِكَ يَكُنْ جَوَابِي لَمْ تَأْخُذْ وَلَسْنَا قَوَامَا



فهو أن الوليد أطاع فيه جملة له الخلافة والقيام  
 شيبك حول قبته قوبش به يسقط الناس النمام  
 ومثلك في التقي لم ينسب يوماً نحن خلق القلائد والتمام  
 فإن نؤثر أخاك بها فإننا وجدك لا نطيق لها انهما  
 ولكننا نحاذر من بينه بنى التلات مائة تهما  
 ونخشى إن جملة للآك نيم سحبا أن تعود لم جهاما  
 فلايك ما حليت غدا لقوم وبعد غد يثوك م العياما  
 فأقسم لو تخلفاني عمام بذلك ما عذرت به عصاما  
 ولو أني حبوت أخا بفضل أريد به للـالة والقاما  
 أنقب في بني على بنيه كذلك أو كرمت له مراهما  
 فن يك في أظرفه صدوع فصدع الملك أبعظه التماما

قال : فهاج ذلك على أن كعب لأخيه يستنزه من الخلافة للوليد ، فأبى عليه ، وقدر الله  
 سبحانه موت عبد العزيز قبل موت عبد الملك بعام واحد ، فتصنح حينئذ بما أراد منبيعة الوليد  
 وسليان ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

### ذكر بيعة عبد الملك لولده الوليد

ثم من بعده لأخيه سليمان بن عبد الملك

وكان ذلك في هذه السنة بعد موت عبد العزيز بن مروان ، ببيع له بدمشق ، ثم في سائر  
 الأقاليم ، ثم لسليان من بعده ، ثم لما انتهت البيعة إلى المدينة امتنع سعيد بن المسيب أن يبايع  
 في حياة عبد الملك لأحد ، فأمر به هشام بن إسماعيل نائب المدينة ، فضربه ستين سوطاً ، وألبسه  
 ثياباً من شعر ، وأركبه جلاً ، وطاف به في المدينة ، ثم أمر به ، فذهبوا به إلى ثنية ذباب - وهي  
 الثنية التي كانوا يصلون عندها ويقتلون - فلما وصلوا إليها ردوه إلى المدينة ، فأودعوه السجن ،  
 فقال لهم : والله لو أعلم أنكم لا تقتلونني لم ألبس هذا الثياب . ثم كتب هشام بن إسماعيل  
 المخزومي إلى عبد الملك ، يعلمه بمخالفة سعيد في ذلك ، فكتب إليه يمتنه في ذلك ويأمره بإخراجه ،  
 ويقول له : إن سعيداً كان أحق منك بصفة الرحم مما فعلت به ، وإننا لنعلم أن سعيداً ليس عنده  
 شقاق ولا خلاف . وروى أنه قال له : ما ينبغي إلا أن يبايع ، فإن لم يبايع ضربت عنقه ،  
 أو خليت سبيله .

وذكر الواقدي أن سميداً لنا جاءت بيعة الوليد امتنع من البيعة ، فضره نائبا في ذلك الوقت - وهو جابر بن الأسود بن عوف - ستين سوفاً أيضاً وسجنه ، فآله أعلم .

قال أبو مخنف وأبو مشر والواقدي : وحج بالناس في هذه السنة : هشام بن إسماعيل الخزومي نائب المدينة ، وكان على العراق والمشرق بكاله - الحجاج بن يوسف .

قال شيخنا الحافظ الذهبي : وتوفي في هذه السنة :

أبان بن عثمان بن عفان أمير المدينة ، كان من قهاء المدينة المشرة ، قاله يحيى بن القطان . وقال محمد بن سعد : كان ثقة ، وكان به صمم ووضع كثير ، وأصابه الفالج قبل أن يموت .

عبد الله بن عامر - ربيعة - عمرو بن حريث - عمرو بن سلمة - واثمة بن الأسقع - شهد واثمة تبوك ، ثم شهد فتح دمشق وزها ، ومسجد بها عند جسر باب الصغير من القبلة . قال : وقد احترق مسجده في فتنة تيمرانك ، ولم يبق منه إلا رسومه ، وهلى بابيه من الشرق قناة ماء .

خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان - صغر بن حرب بن أمية ، كان أعلم قريش بفنون العلم ، وله يد طول في الطب ، وكلام كثير في الكيمياء ، وكان قد استفاد ذلك من راهب اسمه مريانش ، وكان خالد فصيحاً بليغاً شاعراً منطيقاً كآبيه ، دخل يوماً على عبد الملك بن مروان بحضرة الحكم بن أبي العاص ، فشكى إليه أن ابنه الوليد يحقر أخاه عبد الله بن يزيد ، فقال عبد الملك : ( إِنَّ لِلْمُلُوكِ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَمَلُوا أَعْزَةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةٌ ) <sup>(١)</sup> ، فقال له خالد : ( وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نَهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَدُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَرْنَاهَا تَدْمِيرًا ) <sup>(٢)</sup> ، فقال عبد الملك : والله لقد دخل على أخوك عبد الله ، فإذا هو لا يقيم الحن ، فقال خالد : والوليد لا يقيم الحن ، فقال عبد الملك : إن أخاه سليمان لا يلعن ، فقال خالد : وأنا أخو عبد الله لا ألحن ، فقال الوليد - وكان حاضراً - لخالد بن يزيد : اسكت ، فوالله ما تمدت في البير ولا في النغير ، قال خالد : اسمع يا أمير المؤمنين ! ثم أقبل خالد على الوليد فقال : ويحك ! وما هو البير والنغير غير جدى أبي سفيان صاحب البير ، وجدى عتبة بن ربيعة صاحب النغير ؟ ولكن لو قلت : غنابات وجبيلات ، والطائف ، ورحم الله عثمان ، لقلنا : صدقت - يعني أن الحكم كان متغنياً بالطائف يرمى غنبا ويأوى إلى جبلة الكرم ، حتى آواه عثمان بن عفان حين ولي - فسكت الوليد وأبوه ، ولم يجبرا جواباً ، والله سبحانه أعلم .

## ثم دخلت سنة ست وثمانين

ففيها: غزا قتيبة بن مسلم نائب الحجاج على حرّو وخراسان - بلاداً كثيرة من أرض الترك ، وغنم من الكفار ، وسبي وغنم وسلم ، وتسلم قلاعاً وحصوناً ومعاك ، ثم قتل فسبق الجيش ، فكتب إليه الحجاج يومه على ذلك ، ويقول له : إذا كنت قاصداً بلاد المدو ، فكن في مقدمة الجيش ، وإذا قتلت راجعاً فكن في ساقه الجيش - يعني لتكون رداً لم من أن ينالهم أحد من المدو وغيرهم بكيد - وهذا رأى حسن ، وعليه جاءت السنة . وكان في السبي امرأة برمك - والد خالد بن برمك - فأعطاه قتيبة أخاه عبد الله بن مسلم ، فوطئها فحملت منه ، ثم إن قتيبة من على السبي ، وردت تلك المرأة على زوجها ، وهي حُبلى من عبد الله بن مسلم ، وكان ولدها عندهم حتى أسلوا ، فقدموا به معهم أيام بني العباس ، كما سيأتي . ولما رجع قتيبة إلى خراسان تلقاه دهاقين بلبار بهدايا عظيمة ، ومفتاح من ذهب .

وفيها : كان طاعون بالبصرة وواسط ، ويسمى طاعون الققيبات ؛ لأنه أول ما بدأ بالنساء ، فمضى بذلك .

وفيها : غزا مسلمة بن عبد الملك بلاد الروم ، فقتل وسبي وغنم وسلم ، واقتنع حصن يولق ، وحصن الآخر - من أرض الروم .

وفيها : عند عبد الملك لابنه عبد الله على مصر ، وذلك بعد موت أخيه عبد العزيز ، فدخلها في جمادى الآخرة ، وعمره يومئذ سبع وعشرون سنة .

وفيها : حاك ملك الروم الأخرم لورى - لا رحمه الله .

وفيها : حبس الحجاج يزيد بن المهلب . وحج بالناس فيها هشام بن إسحاق بن المخزومي .

وفي هذه السنة : توفي أبو أمامة الباهلي ، وعبد الله بن أبي أوفى ، وعبد الله بن الحارث

ابن جزء الزبدي في قول ، شهد فتح مصر وكنها . وهو آخر من مات من الصحابة بمصر .

وفيها : في شوال - توفي أمير المؤمنين .

## عبد الملك بن مروان والد الخلفاء الأمويين

وهو : عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية ، أبو الوليد الأموي أميراً للمؤمنين ، وأمه عائشة بنت معاوية بن المنيرة بن أبي العاص بن أمية . سمع عثمان بن عفان ، وشهد الفجار مع أبيه وهو ابن مشر سنتين ، وهو أول من سار بالناس في بلاد الروم سنة ثنتين وأربعين . كان أميراً على أهل المدينة ، وله ست عشرة سنة ، ولله إيها معاوية . وكان مجالس الفتناء والمساء والعباد والمصالح . وروى الحديث عن أبيه ، وجابر ، وأبي سعيد الخدري ،

وأبى هريرة ، وابن عمر ، ومعاوية ، وأم سلمة ، وبربرة مولاته عائشة . وروى عنه جماعة منهم خالد بن معدان ، وعروة ، والزهري ، وعمر بن الحارث ، ورجاء بن حيوة ، وجريز بن عثمان . ذكر عن محمد بن سيرين أن أباه كان قد سماه القاسم ، وكان يكنى بأبي القاسم ، ثم غيّر اسمه فسماه عبد الملك . قال ابن أبي خيثمة من مصعب بن الزبير : وكان أول من سمى في الإسلام بمعد الملك . قال ابن أبي خيثمة : وأول من سمى في الإسلام بأحمد والد الخليل بن أحمد المروزي .

ووقع له بالخلافة في سنة خمس وستين في حياة أبيه في خلافة ابن الزبير ، وبقي على الشام ومصر مدة سبع سنين ، وإن الزبير على باقي البلاد ، ثم استقل بالخلافة على سائر البلاد والأقاليم بعد مقتل ابن الزبير ، وذلك في سنة ثلاث وسبعين إلى هذه السنة ، كما ذكرنا ذلك . وكان مولده وموفا يزيد بن معاوية في سنة ست وعشرين .

وقد كان عبد الملك قبل الخلافة من الصياد زهاد الفقهاء ، الملازمين للمسجد التالين للقرآن . وكان ربة من الرجال أقرب إلى القصر ، وكانت أسنانه مشبكة بالذهب . وكان أوجه مفتوح النم : فرمما غفل فيفتح فيه فيدخل فيه الذباب ، ولهذا كان يقال له : أبو الذباب . وكان أبيض ربة . ليس بالضعيف ولا البادن ، مقرون الحاجبين ، أشبل ، كبير العينين ، دقيق الأنف ، مشرق الوجه ، أبيض الرأس والوجه ، حسن الوجه لم يخضب ، ويقال : إنه خضب بماء . وقد قال نافع : لقد رأيت المدينة وما فيها شاب أشد تشييراً ، ولا أفقه ، ولا أقرأ لكتاب الله . من عبد الملك ابن مروان . وقال الأعمش عن أبي الزناد : كان فقهاء المدينة أربعة : سعيد بن المسيب ، وعروة ، وقبيصة بن ذؤيب . وعبد الملك بن مروان قبل أن يدخل في الإمارة . وعن ابن عمر أنه قال : ولد للناس أبناء ، ولد مروان أباً . يعني عبد الملك . ورآه يوماً . وقد ذكر اختلاف الناس ، فقال : لو كان هذا الغلام اجتمع الناس عليه . وقال عبد الملك : كفت أجالس برودة بن الحصب فقال لي يوماً : يا عبد الملك ! إن فيك خصالاً ، وإنك لجدير أن تلي أمر هذه الأمة ، فاحذر الدماء ، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن الرجل ليدفع من باب الجنة بعد أن ينظر إليها على محبة من دم يريقه من مسلم بنير حق » . وقد أنفى عليه قباه الدلالة : معاوية ، وعمر بن العاص في قصة طويقة .

وقال سعيد بن داود الزبيري ، عن مالك ، عن يحيى بن سعيد بن داود الزبيري قال : كان أبل من صلي ما بين الظهر والمصر عبد الملك بن مروان وقتبان معه ، فقال سعيد بن المسيب : ليست العبادة بكثرة الصلاة والصوم ، إنما العبادة التفكر في أمر الله والورع عن محارم الله . وقال الشعبي : ما جالست أحداً إلا وجدت لي الفضل عليه إلا عبد الملك بن مروان ، فإني ما ذاكرته حديثاً إلا زادني منه ، ولا شمرأ إلا زادني فيه .

وذكر خليفة بن خياط ، أن معاوية كتب إلى مروان - وهو نائبه على المدينة سنة خمس - أن أبعث ابنك عبد الملك على بيت المدينة ، إلى بلاد المغرب مع معاوية بن حديج ، فذكر من كفايته وغناؤه ومجاهدته في تلك البلاد شيئاً كثيراً . ولم يزل عبد الملك مقبلاً بالمدينة ، حتى كانت وقعة الجرة ، واستولى ابن الزبير على بلاد الحجاز ، وأجلى بنى أمية من هناك ، فقدم مع أبيه من الشام . ثم لما صارت الإمارة مع أبيه ، وواجه أهل الشام - كما تقدم - أقام في الإمارة تسعة أشهر ، ثم عهد إليه بالإمارة من بعده ، فاحتقل عبد الملك بالخلافة في مستهل رمضان ، أو ربيع الأول من سنة خمس وستين ، واجتمع الناس عليه بعد مقتل ابن الزبير ، سنة ثلاث وسبعين في جمادى الأولى إلى هذه السنة .

وقال تميم عن ابن الأثير : لما سلم على عبد الملك بالخلافة ، كان في حجره مصحف ، فأماقه وقال : هذا فرق بيني وبينك . وقال أبو العافيل : صنع أميد الملك تجار توسع فيه ، وقد كان في فيه قبة قبل ذلك ، فدخله وقال : لقد كان أوحدة الأحوازي<sup>(١)</sup> - يعني عمر بن الخطاب - يرى أن هذا عليه حرام . وقيل : لما وضع للمصنف من حجره قال : هذا آخر العهد منك . وكان عبد الملك له إقدار على ذلك الدعاء ، وكان حازماً مهما فظلاً سائساً لأُمُور الدنيا ، لا يكل أمر دلياه إلى غيره .

وأما : عاشق بنت معاوية بن النخعي بن أبي العاص ، وأبوها معاوية ، هو الذي جمع أنف حرة عم النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد .

وقال سعيد بن عبد العزيز : لما خرج عبد الملك إلى العراق اقتال مصعب بن الزبير ، خرج معه يزيد بن الأسود الجرمي ، فلما التقوا قال : اللهم احص بين هذين الجبلين ، وول الأمر أحدهما إليك . فظفر عبد الملك - وقد كان مصعب من أعز الناس على عبد الملك - وقد ذكرنا كيفية قتله مصعباً .

وقال سعيد بن عبد العزيز : لما يوقع أميد الملك بالخلافة ، كتب إليه عبد الله بن عمر ابن الخطاب : بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله بن عمر إلى عبد الملك أمير المؤمنين ! سلام عليك ، فإنني أحد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد : فإنك راع وكل راع مسئول عن رعيته (الله لا إله إلا هو ليجمعكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه ، ومن أصدق من الله حديثاً)<sup>(٢)</sup> لا أحد والسلام . وبث به مع سلام ، فوجدوا عليه ، إذ قدم اسمه على اسم أمير المؤمنين ، ثم نظروا في كتبه إلى معاوية فوجدوها كذلك ، فاحتلوا ذلك منه .

وقال الواقدي : حدثني ابن أبي ميسرة ، عن أبي موسى الخياط ، عن أبي كعب قال : سمعت

عبد الملك بن مروان يقول : يا أهل المدينة أنا أحق الناس أن يلزم الأمر الأول ، وقد سالت علينا أحاديث من قبل هذا المشرق ، ولا نعرفها ولا نعرف منها إلا قراءة القرآن ، قالوا ما في مصحفكم الذي حكمكم عليه الإمام الظالم ، وعليكم بالترخيص الذي جمعكم عليها لإمامكم الظالم رحمه الله ، فإنه قد استشار في ذلك زيد بن ثابت ، ونعم الشير كان للإسلام - رحمه الله ، فأحكم ما أحكم ، واستقصيا ما شذ عنهم . وقال ابن جريج عن أبيه : حجج علينا عبد الملك سنة خمس وسبعين بمقتل ابن الزبير بمأمن ، فخطبنا فقال : أما بعد ، فإنه كان من قبلي من الخلفاء يأكلون من المال ويوكلون ، وإنى والله لا أداوى أدواء هذه الأمة إلا بالسيف ، ولست بالخليفة المستصنف - يعنى عثمان ، ولا الخليفة للدهان - يعنى معاوية ، ولا الخليفة للأبواب - يعنى يزيد بن معاوية . أيها الناس إنما نحمل منكم كل الفجرة ، ما لم يكن عقوبة ، أو وثوباً على منبر . هذا عمرو بن حميد حقه عنه ، قرأته وابنه ، قال برأسه هكذا ، قتلنا : سيفنا هكذا ، وإن الجامعة التي خلعها من عنقه عندي ، وقد أعطيت الله عهداً أن لا أضرب في رأس أحد إلا أخرجها الصمداء ، فليبلغ الشاهد الغائب . وقال الأصمى : ثنا عبد بن سلم بن عثمان بن زياد عن أبيه من جده قال : ركب عبد الملك ابن مروان بكراً ، فأنشأ قائده يقول :

يا أيها البكر الذي أراكا عليك سهل الأرض في عشاكا  
ويحك هل تعلم من علاكا ؟ خليفة الله الذي امتلاكا  
• لم يحب بكراً مثل ما حياكا •

فلما سمعه عبد الملك قال : أيها يا هناء ، قد أمرت لك بعشرة آلاف وقال الأصمى : خطب عبد الملك خصر فقال : إن اللسان بضمة من الإنسان ، وإنا نسكت حصرأ ، ولا ننطق هذراً ، ونحن أمراء الكلام ، فينا رصخت عروقه ، وعليتنا تكدت أغصانه ، وبعد مقامنا هذا مقام ، وبعد عينا هذا مقال ، وبعد يومنا هذا أيام ، يرف فيها فصل الخطاب وموضع الصواب . قال الأصمى : قيل لعبد الملك : أسرع إليك الشيب ، فقال : وكيف لا ، وأنا أعرض عقلى على الناس في كل جمعة مرة أو مرتين ؟ وقال غيره : قيل لعبد الملك : أسرع إليك الشيب ، فقال : وتفسى ارتقاء النير وعجافه العين ؟ ولحن رجل عند عبد الملك - يعنى أسقط من كلامه أنا - فقال له عبد الملك : زد ألف ، فقال الرجل : وأنت فزد ألفاً . وقال الزهري : سمعت عبد الملك يقول في خطبته : إن العلم سيقبض قبضاً سريعاً ، فمن كان عنده علم فليظهره غير خال فيه ، ولا جاف عنه . وروى ابن أبي الدنيا أن عبد الملك كان يقول لمن يسأله في سفره : إذا رضت له شجرة ، سبهوا بنا حتى نأتى تلك الشجرة ، كبروا بنا حتى نأتى تلك الحجرة ، ونحو ذلك .

وروى البيهقي ، أن عبد الملك وقع منه قلس في بئر قذرة ، فأكترى عليه بثلاثة مشر ديناراً حتى أخرجه منها ، فقيل له في ذلك فقال : إياه كان عليه اسم الله عز وجل . وقال غير واحد : كان عبد الملك إذا جلس لقضاء بين الناس ، يقوم السيافون على رأسه بالسيف فينشد ، وقال بعضهم : يأمر من ينشد فيقول :

إنا إذا نالت دواعي الهوى      وأصمت السامع لتنازل  
وأصطرع الناس بألبههم      خفى بحكم عادل فاضل  
لا نجعل الباطل حقاً ولا      نلفظ دون الحق مع الجاهل  
نخاف أن نضف أحلامنا      فتجعل الحق مع الجاهل

وقال الأعمش : أخبرني محمد بن الزبير ، أن أنس بن مالك كتب إلى عبد الملك يشكو الجهاج ويقول في كتابه : لو أن رجلاً خدم عيسى بن مريم أو رآه أو محمداً ، تصرفه النصارى ، أو تصرف مكانه ، فهاجرت إليه ملوكهم ، وأبطل من قلوبهم بالمرلة المظلمة ، ولم يفوا له ذلك . ولو أن رجلاً خدم موسى أو رآه تصرفه اليهود - ففعلوا به من الظلم والحبة وغير ذلك ما استطاعوا . وإني خادم رسول الله ﷺ وصاحبه ، ورأيت وأكلت معه ، ودخلت وخرجت واجهدت معه أعداءه ، وإن الجهاج قد أضرني وفعل وفعل ، قال : أخبرني من شهد عبد الملك يقرأ الكتاب وهو يبكي ويبلغ به الغضب ما شاء الله ، ثم كتب إلى الجهاج بكتاب غليظ ، فجاء إلى الجهاج فقرأه فغضب ، ثم قال إلى حامل الكتاب : انطلق بنا إليه نرضاه . وقال أبو بكر بن دريد : كتب عبد الملك إلى الجهاج في أيام ابن الأشعث : إنك أعز ما تكون بالله أحوج ما تكون إليه ، وأذل ما تكون للخلق أحوج ما تكون إليهم ، وإذا عززت بالله فاعف له ، إنك به تمز وإليه ترجع . قال بعضهم : سأل رجل من عبد الملك أن يخلو به ، فأمر من عنده بالانصراف ، ففاجأه وأراد الرجل أن يتكلم قال له عبد الملك : احذر في كلامك ثلاثاً ، إياك أن تمدحني ، فإني أعلم بنفسى منك ، أو تكذبني ، فإنه لا رأى لكذوب ، أو تسي إلى بأحد من الرعية ، فإني أعلم إلى علي وعفوى أقرب منهم إلى جورى وظلمى ، وإن شئت أقتلك . فقال الرجل : أفنى فأفله . وكذا كان يقول للرسول إذا قدم عليه من الآفاق : أعفى من أربع وقل ما شئت ، لا تطرني ، ولا تجني فيما لا أسألك عنه ، ولا تكذبني ، ولا تحملني على الرعية ؛ فإني إلى رافقي ومصدق أحوج .

وقال الأعمش عن أبيه قال : أتى عبد الملك رجل كان مع بعض من خرج عليه فقال : اضربوا عنقه ، فقال : يا أمير المؤمنين ! ما كان هذا جزائي منك ، قال : وما جزاؤك ؟ فقال : والله ما خرجت مع فلان إلا بالنظر لك ، وذلك أتى رجل مشنوم ما كنت مع رجل قط إلا غلب

وهزم ، وقد بان لك حجة ما ادعيت ، وكنت عليك خيراً من مائة ألف معك تنصحك ، لقد كنت مع فلان فيكم - وهزم وفتق جمعه ، وكنت مع فلان قتل ، وكنت مع فلان فهزم - حتى عد جماعة من الأعداء - نصحك وحل سبيله وقيل لعبد الملك : أي الرجل أفضل ؟ قال : من تواضع عن رغبة وزهد عن قذرة ، وترك العسر عن قوة ، وقال أيضاً : لا طمأنينة قبل الخبرة ، فإن العاداة قبل الخبرة ضد العزم . وقال : خير لئلا ما أقاد حدأودفع ذماً ، ولا يقول أحدكم ابداً لمن تقول ؛ فإن الخلق كلهم عيال الله ، ويبنى أن يحمل هذا على غير ما ثبت به الحديث . وقال للذاني : قال عبد الملك لأؤدب أولاده - وهو إسماعيل بن عبد الله بن أبي المهاجر - : علمهم الصدق كما تعلمهم القرآن ؛ وجنبهم السفرة فإنهم أسوأ الناس رغبة في الخير وأقلمهم أدباً ، وجنبهم الخشم ، فإنهم لهم مفيدة ، واحفظ شعورهم تماظ رقابهم ، وأعلمهم العلم يقولوا ، وعلمهم الشمر يبدؤوا ويبدؤوا ، ودمهم أن يستاكوا عرضاً ، ويصروا لئلا مصاً ، ولا يبدؤوا عبا ، وإذا احتجبت أن تتناولهم ، فتناولهم بأدب فليكن ذلك في سر لا يعلم بهم أحد من الناشئة فيهم واعلمهم .

وقال المهين بن عدي : أذن عبد الملك للناس في الدخول عليه إذا خاصاً ، فدخل شيخ رث الهيئة لم يأبه له الحرس ، فألقى بين يدي عبد الملك صحيفة ، وخرج فل يدور أين ذهب ، وإذا فيها : بسم الله الرحمن الرحيم ، يا أيها الأسبان إن الله قد جعل بينه وبين عبادته - فاحكم بينهم ( بالحق ) ولا تتبع الهوى فيقبل لك من سبيل الله - إن الذين يصلون عن سبيل الله كلم عذاب شديد بما تسوا يوم الحساب <sup>(١)</sup> ( لا تغفل أولئك أنهم يمشون • يومئذ نظير • يوم يقوم الناس لرب العالمين ) <sup>(٢)</sup> ( ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود • وما يؤذره إلا لأجل مددود ) <sup>(٣)</sup> ، إن اليوم الذي أنت فيه لو بقي انبرك ما وصل إليك ، ( فتلك بيوتهم خاوية بما غفلوا ) <sup>(٤)</sup> ، وإلى أحذرك يوم ينادى للنادى ( احشروا الذين ظلموا وأزواجهم ) <sup>(٥)</sup> ( ألا أمتعة الله على العالمين ) <sup>(٦)</sup> . قال : فغير وجه عبد الملك ، فدخل دار حرمه ولم تزل السكابة في وجهه بعد ذلك أياماً .

وكتب زر بن حبیش إلى عبد الملك كتاباً وفي آخره : ولا يعلمك يا أمير المؤمنين في طول البقاء ما يظهر لك في صحتك ، فأنت أعلم بنفسك ، واذكر ما تكلم به الأولون .

- (١) من الآية : ٢٦ من سورة ص .  
 (٢) الآية : ١٠٣ ، ١٠٤ من سورة هود .  
 (٣) الآية : ٢٢ من سورة الصافات .  
 (٤) الآية : ٤ ، ٦ من سورة الطه .  
 (٥) الآية : ٥٢ من سورة النمل .  
 (٦) الآية : ١٨٠ من سورة هود .



إذا الرجال ولدت أولادها ووليت من كبر أجسادها

وجعلت أستاذها متفادها تلك زروع قد دنا حبها

فلما قرأه عبد الملك بكي حتى بل طرف ثوبه ، ثم قال : صدق زر ، ولو كتب إلينا بفهر هذا كان أرفق . وسمع عبد الملك جماعة من أصحابه يذكرون سيرة عمر بن الخطاب فقال : انتهى من ذكر عمر فإياه مراة للأمراء ، فسددة الرعية . وقال إبراهيم بن هشام بن يحيى القدافي ، من أبيه من جده قال : كان عبد الملك يجلس في حاتة أم البرداء في مؤخر السعد بدمشق ، فقالت له : بلغني أنك شربت الخلاء<sup>(١)</sup> بعد العبادة والنسك ، فقال : إني والله ، والله ما أجنباً قد شربتها . ثم جاءه غلام كان قد بشق في حاتة فقال : ما حبسك أمك الله ؟ فقالت أم البرداء : لا تفعل يا أمير المؤمنين ؛ فإني سمعت أبا البرداء يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لا يدخل الجنة ثمان »<sup>(٢)</sup> . وقال أبو بكر بن أبي الدنيا : ثنا الحسين بن عبد الرحمن قال يقول سعيد بن السيب : إن عبد الملك بن مروان قال : قد صرت لا أفرح بالحسنة أعلمها ، ولا أحزن على السيئة أرتكبها ، فقال سعيد : الآن تكامل موت قلبه . وقال الأصمعي من أبيه عن جده قال : خطب عبد الملك يوماً بخطبة بايعة ، ثم قطعها وبكى بكاء شديداً ثم قال : يا رب إن ذنوبي عظيمة ، وإن قليل عفوكم أعظم منها ، اللهم فامح بقليل عفوكم عظيم ذنوبي . قال : فبلغ ذلك الحسن فبكى وقال : لو كان كلام يُكتب بالذهب استكتب هذا الكلام . وقد روى من غير واحد نحو ذلك ، أي أنه لما بلغه هذا الكلام قال مثل ما قال الحسن . وقال مسهر القمشي : وضع سباط عبد الملك يوماً بين يديه فقال لحاجبه : ائذن لخالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد ، فقال : مات يا أمير المؤمنين ، قال : فلا يبع عبد الله بن خالد بن أسيد ، قال : مات ، قال : فليخالد بن يزيد بن معاوية ، قال : مات ، قال : فليفلان وفلان . حتى عد أتواماً قد ماتوا وهو يعلم ذلك قبلنا . فأمر رفع الديار ، وأنشأ يقول .

ذهبت لذي وانقضت أيامهم وغبرت بعدد ولمست بخالد

وقيل : إنه لما احتضر دخل عليه ابنه الوليد فبكى ، فقال له عبد الملك : ما هذا ؟ أتعن حنين الجارية والأمة ؟ إذا أنات فشمز واتزر والبس جد النمر ؛ وضع الأمور عند أقرانها ، واحذر قرينها . ثم قال له : يا وليد اتق الله فيما استجفلك فيه ، واحتفظ وصيقي ، وانظر إلى أخي معاوية فصل رجحه واحتفظ فيني ، وانظر إلى أخي محمد فأثره حل الجزيرة ولا تمره منها ، وانظر إلى ابن عمنا - علي بن عباس ، فإنه قد انقطع إلينا بمودته ونصيحته ، وله نسب وحق ، فصل رجحه وأعرف

(١) الخلاء : الخمر .

(٢) الثمن : نظرد من الخير والإيصاد من الله . ومن الخلق السب والثناء .

حقه . وانظر إلى الحجاج بن يوسف فأكرمه ؛ فإنه هو الذى مهد لك البلاد ، وقهر الأعداء ، وخلص لك الملك وشقت الخوارج . وأهلك وإخوتك عن الفرة ، وكونوا أولاد أم واحدة ، وكونوا في الحرب أحراراً ، ولهم مروف مثاراً ؛ فإن الحرب لم تدن منية قبل وقتها ، وإن المروف يشيد ذكر صاحبه ، ويعيل القلوب بالحجة ، وبذل الألسنة بالذكرا . إلى ، وفيه من القاتل :

إز الأذور إذا اجتمعن فرامها بالكسر ذو حلق وبطش مفند .  
عزت فلم تكسر وإن هي بددت فالكسر والتويعن القيد .

ثم قال : إذا أنا مت فادع الناس إلى بيتك ، فن أبى فالسيف ، ومليك بالإحسان إلى أخوانك ، فأكرمهم وأحسن إلى فاطمة . وكان قد أعطاهما قرطى مارية والذرة اليتيمة . ثم قال : اللهم احفظني فيها ، وتزوجها عمر بن عبد العزيز وهو ابن عمها .

ولما احتضر سمع غسالا ينسل للثياب فقال : ما هذا ؟ فقالوا : غسال ، فقال : يا ليتني كنت غسالا أ كسب ما أعيش به يوماً بيوم ، ولم آل الجلالة . ثم تمثل فقال :

لصرى لقد عرت في الملك برهة ووات لي الدنيا بوقع البواتر  
وأعطيت حر المال والحكم والنهى ولى سلت كل الملوك الجبابر  
فأضحي القى قد كان عما يسرى كسل مغى في الزمات الخوار  
فيا ليتني لم أمن بالملك ليسـة ولم أبع في ذات عيش نوافر  
وقد أنشد هذه الأبيات مملوكة بن أبى سفيان عند موته .

وقال أبو مسهر : قيل لعبد الملك في مرض موته : كيف تجدك ؟ فقال : أجدى كما قال الله تعالى : ( وَاقْضِ حُتُوبَنَا فَرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ ) (١) الآية . وقال سعيد بن عبد العزيز : لما احتضر عبد الملك أمر بفتح الأبواب من قصره ، فلما فتحت سمع قصاراً بالوادى فقال : ما هذا ؟ قالوا قصار (٢) ، فقال : يا ليتني كنت قصاراً أعيش من عمل يدي ، فلما بلغ سعيد بن المسيب قوله قال : الحمد لله القى جعلهم عند موتهم يفرحون إلينا ، ولا نفر إليهم . وقال : لما حضره الموت جعل يندم ويندب ويضرب بيده على رأسه ويقول : وددت أني اكتسبت قوتي يوماً بيوم ، واشتغلت بعبادة ربي عز وجل وطاعته . وقال غيره : لتأخرته الزناة دعا بنيه فوصاهم ، ثم قال : الحمد لله القى لا يسأل أحداً من خلقه صغيراً أو كبيراً ثم ينشد :

فهل من خلف إما هلكننا وهل بالوت للباقيين هار

ويروى أنه قال : ارفعوني ، فرفضوه حتى شم المواء وقال : يا دنيا ما أطيبك ! إن طوبى لك  
اقصير ، وإن كثير لك جدير ، وإنا كنا بك لفي غرور ، ثم تمثل هذين البيتين :

إن تناقض يكن نقاشك يارب      عذاباً لا طوق لي بالعذاب  
أو تجاوز فأت رب صنوح      من مئة ذنوب كالتراب

قالوا : وكانت وفاته يوم الجمعة ، وقيل : يوم الأربعاء ، وقيل : الخميس - في النصف من شوال سنة ست وعشرين ، وصلى عليه ابنه الوليد وليّ عهده من بعده ، وكان عمره يوم مات ستين سنة قاله أبو مسهر ، ومحمد الواقدي ، وقيل : ثلاثا وستين سنة قاله اللدائي ، وقيل : ثمان وخمسين . ودفن بباب الحامية الصغير

قال ابن جرير : [ ذكر أولاده وأزواجه ] منهم : الوليد ، وسليمان ، ومروان الأكبر -  
درج<sup>(٩)</sup> ، وعائشة . وأمه : ولادة بنت العباس بن جَرْمَ بن الحارث بن زهير بن جذيمة بن  
رؤاة بنبيعة بن حازن بن الحارث بن قُطَيْبة بن عَيْس بن بَيْض . ويَزِيد ، ومروان الأصغر ،  
ومعاوية - درج ، وأم كلثوم . وأمه : عائكة بنت يزيد بن معاوية بن أبي سفيان . وهشام .  
وأمه أم هشام عائكة - فيما قاله للذهبي - بنت هشام بن إسماعيل بن هشام بن الوليد بن النخيلة  
الحزومي . وأبو بكر واسمه بكار ، وأمه عائكة بنت موسى بن طلحة بن عُبَيْد الله التيمي .  
والحسك - درج . وأمه أم أيوب بنت عمرو بن عثمان بن عفان الأموي . وقاطمة بنت عبد الملك .  
وأما أم النخيلة بنت أميرة بن خالد بن العاص بن هشام بن النخيلة الحزومي . وعبد الله ، ومسلمة ،  
والنضر ، وعنبسة ، وعبد ، وسعيد الخير ، والمجراج - لأنهار أولاد شق . فكان جهة أولاده  
تسمي شق ذكورا وإناثا .

وكانت مدة خلافته إحدى وعشرين سنة ، منها تسع سنين شاركها لابن الزبير ، وثلاث عشرة سنة وثلاثة أشهر ونصف مستقلا بالخلافة وحده . وكان قاضيها أبو إدريس الخولاني ، وكان به روح بن زنياع ، وحاجبه يوسف مولى ، وصاحب بيت المال ، والخاتم - قبيصة بن ذؤيب ، وعلى شرطه أبو الزبيعة . وقد ذكرنا حاله فيما مضى . قال اللدائي : وكان له زوجات آخر : شقراء بنت سلفة بن حنبل ، وابنة لعل بن أبي طالب ، وأم أبيها بنت عبد الله بن جعفر .. وعن يذكر أنه توفي في هذه السنة تقريباً .



## خلافة الوليد بن عبد الملك -- باني جامع دمشق

لما رجع من دن أبيه خارج باب الحابية الصغير - وكان ذلك في يوم الخميس ، وقيل : الجمعة  
لنصف من شوال من هذه السنة - لم يدخل المنزل حتى صعد المنبر - منبر المسند الأعظم بدمشق -  
نخطب الناس ، فكان مما قال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، والله يستعاض علينا على مصيبتنا  
بموت أمير المؤمنين ، والحمد لله على ما أكرم علينا من الخلافة ، قوموا ببابيوا فكان أول من  
قام إليه : عبد الله بن همام السلولي ، وهو يقول :

الله أعطاك التي لا فوقها وقد أواد للحدود عرقها  
عنك وبأي الله إلا سوتها إليك حتى قدودك طوقها

ثم بايحه ، وباع الناس يده وذكر الواقدي : أنه حدث الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس  
إنه لا غنى لكم إلا آخر الله ، ولا مؤخر لما قدم الله ، وقد كان من قضاء الله وسابق علمه ، وما كتبه  
على أنبيائه وحده عرشه وملأه كسبه - الموت ، وقد صار إلى منازل الأبرار بما لا فاه في هذه  
الأمّة - يعني بالذي يحق لله عليه - من الشدة على الرّيب ، واللين لأهل الحق والفضل ،  
وأما ما أقام الله من منار الإسلام وأعلامه ؛ من حج هذا البيت ، وغزو هذه الثغور ،  
وشن هذه الغارات على أعداء الله عز وجل ، فلم يكن عاجزاً ولا مفرطاً . أيها الناس ، عليكم  
بالطاعة ولزوم الجماعة ؛ فإن الشيطان مع الواحد . أيها الناس من أبدى لنا ذات نفسه ضربنا  
الذي فيه عيناه ، ومن سكت مات بدّاهه .

ثم نزل فنظر ما كان من دواب الخلافة فآزرها وكان جبلاً أعينداً وقد ورد في ولاية  
الوليد حديث غريب ، وإنا هو الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، كما سيأتي ، وكما تقدم تقريره  
في دلائل النبوة في باب : [ الأحبار عن التنبؤ المستقلة ، فيما يتعلق بدولة بني أمية ] . وأما الوليد  
ابن عبد الملك هذا فقد كان صبياً في غسه حازماً في رأيه ، يقال : إنه لا تعرف له صبوة .  
ومن جملة محاسنه ما صرح عنه أنه قال : لولا أن الله قص لنا قصة قوم لوط في كتابه ، ما ظننا  
أن ذكرنا كان يأتي ذكرنا كما تأتي النساء ، كما سيأتي ذلك في ترجمته عند ذكر وفاته . وهو باني  
مسجد جامع دمشق الذي لا يعرف في الآفاق أحسن بناء منه ، وقد شرع في بنيانه في ذي القعدة  
من هذه السنة ، فلم يزل في بنيانه وتحسينه مدة خلافته ، وهي عشر سنين ، فلما انتهت انتهت أيام  
خلافته ، كما سيأتي بيان ذلك مفصلاً . وقد كان موضع هذا المسجد كنيسة يقال لها : كنيسة  
يوحنا ، فلما فتحت الصحابة دمشق جعلوها مناصفة ، فأخذوا منها الجانب الشرقي فحولوه مسجداً ،  
وبقى الجانب الغربي كنيسة بحاله ، من قرن سنة أربع عشرة ، إلى هذه السنة ، فصرم الوليد على أخذ

بقية الكنيسة معهم ، وعوضهم عنها كنيسة مريم لدخولها في جانب السيف . وقيل : عوضهم عنها كنيسة ثوما ، وهدم بقية هذه الكنيسة وأضافوا إلى مسجد الصحابة ، وجعل الجميع مسجداً واحداً على هيئة بدسية ، لا يعرف كثير من الناس أو أكثرهم لها نظيراً في البنيان والزينات والآثار والعمارات ، والله سبحانه أعلم .

### ثم دخلت سنة سبع وثمانين

فقبها : عزل الوليد بن عبد الملك - هشام بن إسماعيل عن إمرة المدينة ، وولى عليها ابن عمه وزوج أخته فاطمة بنت عبد الملك - عمر بن عبد العزيز ، فدخلها على ثلاثين يوماً في ربيع الأول منها ، فنزل دار مروان ، وجاء الناس لسلام عليه ، وهره إذ ذاك خمس وعشرون سنة : فلما حصل الظهر دعا عشرة من قضاة المدينة ، وهم : عروة بن الزبير ، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، وأبو بكر بن سليمان بن أبي خيثمة ، وسليمان ابن يسار ، والقاسم بن محمد ، وسلم بن عبد الله بن عمر ، وأخوه عبد الله بن عبد الله بن عمر ، وعبد الله بن عامر بن ربيعة ، وخارجة بن زيد بن ثابت . فدخلوا عليه فجلسوا ، فحدث الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال : إني إنما دعوتكم لأمر توجبون عليه ، وتكونون فيه أموالاً على الحق ، إني لا أريد أن أقطع أمراً إلا برأيكم ، أو برأي من حضر منكم ، فإن رأيتم أحداً يتهمدى ، أو يفسك عن عامل لي ظلمة ، فأخرج الله على من بلغه ذلك إلا أبلغني . فخرجوا من عنده يحزنونه خيراً ، واقتربوا على ذلك .

وكتب الوليد إلى عمر بن عبد العزيز بأمره بأن يقف هشام بن إسماعيل للناس عند دار مروان - وكان يسمى الرأي - لأنه أضاء إلى أهل المدينة في مدة ولايته عليهم ، وكانت نحواً من أربع سنين ، ولا سيما إلى سعيد بن المسيب ، وعلى بن الحسين .

قال سعيد بن المسيب لابنه ومواليه : لا يمرض منكم أحد لهذا الرجل في ، تركت ذلك لله ولقبحهم ، وأما كلامه فلا أكلم أبداً . وأما علي بن الحسين فإنه مر به وهو موقوف فلم يتعرض له ، وكان قد تقدم إلى خاصته أن لا يمرض أحد منهم له ، فلما اجتاز به وتجاوزه ناداه هشام : الله يعلم حيث يعمل رسالته .

وفي هذه السنة ، غزا مسلمة بن عبد الملك بلاد الروم ، فقتل منهم خلقاً كثيراً ، وفتح حصوناً كثيرة ، وغنم غنائم جمّة ، ويقال : إن الذي غزا بلاد الروم في هذه السنة هشام بن عبد الملك ،

فتح حصن بواق ، وحصن الأخرم ، وبحيرة الفرمان ، وحصن نولس ، وقطب ، وقتل من المستعربة نحواً من ألف مقاتل ، وسبي ذراريهم ونساءهم .

وفيها : غزا قتيبة بن مسلم بلاد الترك ، وصالحه ملكهم تيزك على مال جزيل ، وهمل أن يطلق كل من يبلاده من أسارى المسلمين .

وفيها : غزا قتيبة بـكند<sup>(١)</sup> ، فاجتمع له من الأتراك عندها بشر كثير وجنم كثير ، وهي من أعمال بخارى ، فلما نزل بأرضهم استنجدوا عليه بأهل القند ، ومن حولهم من الأتراك ، فأنهم في جمع عظيم ، فأخذوا على قتيبة العارة والضائق ، فتواقف هو ومن قريباً من شهرين ، وهو لا يقدر أن يبيت إليهم رسولاً ، ولا يأتيه منهم رسول . وأبطأ خبره على الحاجة حتى خاف عليه ، واشفق على من معه من المسلمين من كثرة الأعداء من الترك ، فأمر الناس بالهجوم لهم في المساجد ، وكتب بذلك إلى الأمصار ، وقد كان قتيبة ومن معه من المسلمين يقتلون مع الترك في كل يوم ، وكان قتيبة عين من الحجج يقال له : تنظر ، فأعطاه أهل بخارى مالا جزيلاً على أن يأتي قتيبة فيبطله عنهم ، فجاء إليه فقال له : أخلصي ، فأخلاه ، فلم يبق عنده سوى رجل يقال له : خيرار ابن حصين ، فقال له تنظر : هذا عامل يقدم عليك سريماً بمنزل الحاجة ، فلو انصرفت بالناس إلى مرو ، فقال قتيبة لولاء : واه . اضرب عنقه فقطع ، ثم قال لخيرار : لم يبق أحد سمع هذا خبري وغيرك ، وإلى أعلى الله مهدياً إن ظهر هذا حتى تنقضي حربنا لأخطائك به ، فملك علينا لسانك ، فإن اشتار هذا في مثل هذا الحال يفت في أعصاء الناس ونصرة للأعداء .

ثم نهض قتيبة غرض الناس على الحرب ، ووقف على أصحاب الرايات يحرضهم ، فاقتتل الناس قتالاً شديداً ، ثم أزل الله على المسلمين الصبر ، فسا انصرفت النصارى حتى أزل الله عليهم النصر ، فهزمت الترك هزيمة عظيمة ، وانتهبهم المسلمون يقتلون فيهم ويأسرون ما شاءوا ، واعتصم من بقي منهم بالمدينة ، فأمر قتيبة القمعة يهدمها ، فسأله الصلح على مال عظيم فصالحهم ، وجعل عليهم رجالاً من أهل ، وعنده طائفة من الجيش ، ثم سار راجعاً . فلما كان منهم على خمس مراحل نقضوا العهد ، وقتلوا الأمير ، وجدهوا أنوف من كان معه ، فرجع إليها وحاصرهما شهراً ، وأمر الثقابين والقمعة تهاقوا سورهما على الخشب ، وهو يريد أن يضر النار فيها ، فسمط السور ، فقتل من القمعة أربعين نساً ، فسأله الصلح فأبى ، ولم يزل حتى افتتحمها ، فقتل القماعة ، وسبي القرية ، وغنم الأموال . وكان الذي أنب على المسلمين رجل أعور منهم ، فأبصر ، فقال : أنا أقدى نسي خمسة أبواب صينية قيمتها ألف ألف ، فأشار الأمراء على قتيبة بقبول

(١) هي أدنى مدائن بخارى إلى النهر ويقال لها مدينة التجار على رأس النازة من بخارى .

ذلك منه ، فقال قتبية : لا والله لا أرتفع بك مُدّاً مرة ثانية ، وأمر به فضربت عنقه ، وهذا من الزهد في الدنيا .

ثم إن الفناءم سيدخل فيها ما أراد أن يفتدى به نفسه ، فلن المسلمين قد غنوا من بيتكند شيئا كثيرا من آنية الذهب والفضة ، ولأصنام من الذهب ، وكان من حبتها صم سبك ، فخرج منه حانة ألف وخمسون ألف دينار من الذهب ، ووجدوا في خزان الملك أموالا كثيرة وسلاحا كثيرا وعددا متنوعا ، وأخذوا من السبي شيئا كثيرا ، فكتب قتبية [ إلى الحجاج بأله ] أن يسل ذلك للهند ، فأذن له ، فتمول للمسلمون وتقوّوا على قتال الأعداء ، وصار لكل واحد منهم مالا مستكثرا جدا ، وصارت لهم أسلحة وعدد وخيل كثيرة ، فتقوّوا بذلك قوة عظيمة ، وفه الحمد والمنة .

وقد حج الناس في هذه السنة - عمر بن عبد العزيز نائب المدينة ، وقاضيه بها أبو بكر بن محمد ابن عمرو بن حزم . وعلى العراق والشرق مكاه الحجاج ، وفاتيه على البصرة الجراح بن عبد الله الحنكبي ، وقاضيه بها عبد الله بن أذينة ، وعاهله على الحرب بالكوفة زياد بن جرير بن عبد الله البعل ، وقاضيه بها أبو بكر بن أبي موسى الأشعري ، ونائبه على خراسان وأعمالها قتبية بن مسلم . وفيها توفي من الأعيان :

عتبة بن عبد السلمي : صحابي جليل ، نزل حص ، يروى أنه شهد بني قريظة . وعن الدراخش أنه كان يقول : هو خير مني أهل قبله سنة . قال الواقدي : غيره : توفي في هذه السنة ، وقال غيره : بعد التسعين ، والله أعلم .

قال أبو سعيد بن الأعرابي : كان عتبة بن عبد السلمي من أهل الصفة . وروى بقية عن مجير بن سعد عن خالد بن معدان عن عتبة بن عبد السلمي ، أن النبي ﷺ قال : « لو أن رجلا يمر على وجهه من يوم ولد إلى يوم يموت هرما في مرضاة الله لخره يوم القيامة » . وقال إسماعيل ابن هاشم عن عقيل بن مذك ، عن لقمان بن عامر عن عتبة بن عبد السلمي قال : اشتكمت إلى رسول الله ﷺ الذي فككتني خيشتين ، فلقن رأيتني وأنا أكرى الصعبة .

القدام بن معدى كرب : صحابي جليل ، نزل حص أيضا ، له أحاديث ، وروى عنه غير واحد من التابعين . قال محمد ابن سعد والعلاس وأبو عبيدة : توفي في هذه السنة ، وقال غيرهم : توفي بعد التسعين بالله أعلم .

أبو أمامة الباهلي : واسمه صدق بن مجلان ، نزل حص ، وهو راوى حديث « تلقين الميت » . رواه الطبراني في المعجم ، وقد تقدم له ذكر في الوفيات .



قبيصة بن قزيب - أبوسفیان الخزاعي اللذي . ولد عام الفتح ، وأتى به النبي ﷺ ليدعوه ،  
 روى عن جماعة كثيرة من الصحابة ، وأصابت عينه يوم الحرة ، وكان من قهلاء المدينة ،  
 وكانت له منزلة عند عبد الله ، ويدخل عليه بنير إذن . وكان يقرأ الكتب إذا وردت من  
 البلاد ، ثم يدخل على عبد الله فيخبره بما ورد من البلاد فيها ، وكان صاحب سره ، وكان له  
 دار بدمشق بباب البريد ، وتوفي بدمشق .

عروة بن الزهرة بن شعبة : ولي إمرة الكوفة للحجاج ، وكان شريفاً ليبياً مطاعاً في الناس ،  
 وكان أحول . توفي بالكوفة .

يحيى بن يعمر : كان قاضي مرو ، وهو أول من قط للمصنف ، وكان من فضلاء الناس  
 وعلمائهم ، وله أحوال ومعاملات ، وله روايات ، وكان أحد النضحاء . أخطأ العربية من  
 أبي الأسود الدؤلي .

شريح بن الحارث بن قيس القاضي : أدرك الجاهلية ، واستنصاه عمر على الكوفة ،  
 فكثرت بها قاضياً خمساً وسعين سنة . وكان عالماً عادلاً ، كثير الخير ، حسن الأخلاق ،  
 فيه دعاة كثيرة ، وكان كوسجاً<sup>(١)</sup> لا شمر بوجهه ، وكذلك كان عبد الله بن الزبير ، والأخضف  
 ابن قيس ، وقيس بن سعد بن هبادة . وقد اختلف في نسبه وسه وعام وفاته على أقوال ،  
 ورجح ابن خلكان وفاته في هذه السنة .

[ قلت : قد تقدمت ترجمة شريح القاضي في سنة ثمان وسبعين بما فيها من الزيادة الكثيرة  
 غير ما ذكره المؤلف هنا وهناك<sup>(٢)</sup> . ]

### ثم دخلت سنة ثمان وثمانين

فيها : غزا الصائقة مسلمة بن عبد الملك وابن أخيه القيس بن الوليد بن عبد الملك ، فانتصرا  
 بين مهبنا من المسلمين حسن طوائفه في جادى الآخرة من هذه السنة - وكان حصيناً منياً -  
 اقتتل الناس عنده قتالاً عظيماً ، ثم حل المسلمون على النصارى ، فهزموهم حتى أدخلوهم الكنيسة ،  
 ثم خرجت النصارى غلوا على المسلمين ، فانهزم المسلمون ، ولم يبق أحد منهم في موقفه إلا القيس  
 ابن الوليد ، وسه ابن مختير الجصى ، قتال القيس لابن مختير : أين قرأ القرآن الذين يريدون

(١) الكوسج : الأثقب - والقيس الأسنن (٢) ما بين القوسين زيد في بعض النسخ .

وجه الله من وجل ؟ فقال : نادم بأنوك ، فنادى : يا أهل القرآن ! فراجع الناس فخلوا على  
النصارى فكسروهم ، ولبأوا إلى الحصن ، فغاصروهم حتى فتحوه .

وذكر ابن جرير : أنه في شهر ربيع الأول من هذه السنة ، قدم كتاب الوليد على عمر بن  
عبد العزيز ، يأمره بهدم المسجد النبوي ، وإضافة حجر أزواج رسول الله ﷺ ، وأن يوتيه  
من قبلته وسائر نواحيه ، حتى يكون مائتي ذراع في مائتي ذراع ، فمن يأمره بذلك فاشتره منه  
والأقوّمه له قيمة عدل ، ثم اهدمه ، وادفع إليهم أثمان بيوتهم ، فإن لك في ذلك سلف صدق ،  
عمر وعثمان . فجمع عمر بن عبد العزيز وجوه الناس والفقهاء العشرة وأهل المدينة ، وقرأ عليهم  
كتاب أمير المؤمنين - الوليد ، فشق عليهم ذلك وقالوا : هذه حجرة قصيرة السقف ، وستوفى  
من جريد النخل ، وحيطان من آقبن ، وعلى أبوابها الأسوح ، وتركها على حالها أولى لينظر  
إليها الحجاج والزوار والسافرون ، وإلى بيوت النبي ﷺ فينتقموا بذلك ويمتدحوا به ،  
ويكون ذلك أدعى لهم إلى الزهد في الدنيا ، فلا يصرون فيها إلا بقدر الحاجة ، وهو ما يستر  
ويُكِن ، ويعرفون أن هذا الدين العالي إنما هو من أفعال القراعة والأكاسرة ، وكل طويل  
الأمل واقب في الدنيا وفي الآخرة فيها .

فبعد ذلك كتب عمر بن عبد العزيز إلى الوليد بما أجمع عليه الفقهاء العشرة ، للتقدم ذكرهم ،  
فأرسل إليه يأمره بالخراب ، وبناء المسجد على ما ذكر ، وأن يبلى سقوفه ، فلم يجد عمر يدًا من  
هدمها . ولما شرعوا في الهدم صاح الأشراف ووجوه الناس من بني هاشم وغيرهم ، وتهاكوا  
مثل يوم مات النبي ﷺ ، وأجاب من له ملك متاخم المسجد للبيع ، فاشترى منهم ، وشرع  
في بنائه ، وشتم من لزاره ، واجتهد في ذلك . وأرسل الوليد إليه فقولاً كثيرة ، فأدخل فيه  
الحجارة النبوية - حجرة عائشة - فدخل القبر في المسجد ، وكانت حدة من الشرق وسائر حجر  
أمهات المؤمنين ، كما أمر الوليد . وروينا أنهم لما حفروا الحائط الشرقي من حجرة عائشة -  
بذت لهم قدم ، نفثوا أن تكون قدم النبي ﷺ حتى تحفوا أنها قدم عمر - رضى الله عنه -  
ويمكن أن سميد بن السبب أنكر إدخال حجرة عائشة في المسجد - كأنه خشي أن يتخذ القبر  
مسجداً - والله أعلم .

وذكر ابن جرير : أن الوليد كتب إلى ملك الروم يسأله أن يبيت له صناعاً لبناء ، فبيت  
إليه بمائة صانع ، وخصوص كثيرة<sup>(١)</sup> من أجل المسجد النبوي . والمشهور أن هذا إنما كان من  
أجل مسجد دمشق ، والله أعلم .

وكتب الوليد إلى عمر بن عبد العزيز ، أن يغفر النوازة بالمدينة ، وأن يجري ماءها - فضل ،

(١) في الطبري : أنه بست إلى الوليد كذلك بمائة ألف متقال من الذهب .

وأمره أن يحفر الآبار ، وأن يسبل الطرق والفتاح ، وساق إلى الفؤارة الماء من ظاهر المدينة ، والفؤارة بنيت في ظاهر المسجد عند بقعة رأها فأعجبته .

وفيها : غزاة قتيبة بن مسلم ملك الترك - كور بغانون - ابن أخت ملك الصين ، ومعه مائتا ألف مقاتل ، من أهل الصد ، وفرغانة وغيرهم ، فاقبلوا قتالا شديداً ، وكان مع قتيبة « نيزك » ملك الترك مأسوراً فكسرم قتيبة بن مسلم وغنم من أموالهم شيئاً كثيراً ، وقتل منهم خلقاً وسى وأسر .

وفيها : حج بالناس عمر بن عبد العزيز ، ومعه جماعات من أشرف قريش ، فلما كان بالثمنين قتيبة طائفة من أهل مكة ، فأخبروه عن قلة الماء بمكة لقلّة المطر ، فقال لأصحابه : ألا نستمر ؟ فدعاه ودعا الناس ، فإزالوا يدهون حتى شحوا ، ودخلوا مكة ومعهم المطر ، وجاء سيل عظيم ، حتى خاف أهل مكة من شدة المطر ، ومطرت عرفة - ومزدلفة - ويقي ، وأخضبت الأرض هذه السنة خضباً عظيماً بمكة وما حولها ، وذلك ببركة دعاء عمر ، ومن كان معه من الصالحين . وكان النواب على البلدان في هذه السنة هم الذين كانوا قبلها .

ومن توفى فيها من الأعيان :

عبد الله بن بسر بن أبي بسر المازني : صحابي كاهن . سكن حمص ، وروى عنه جماعة من التابعين . قال الواقدي : توفى في هذه السنة عن أربع وتسعين سنة . زاد غيره : وهو آخر من توفى من الصحابة بالشام ، وقد جاء في الحديث : أنه يمشي قرناً ، فعاش مائة سنة .

عبد الله بن أبي أوفى ، علقمة بن خالد بن الحارث الخزاعي ، ثم الأسدي . صحابي جليل ، وهو آخر من بقى من الصحابة بالكوفة ، وكانت وفاته - فيما قاله البخاري - سنة تسع أو ثمان وثمانين . وقال الواقدي وغير واحد : سنة ست وثمانين ، وقد جاوز المائة ، وقيل : قاربها - رضي الله عنه .

وفيها : توفى هشام بن إسحاق بن هشام بن الوليد الخزاعي المدني ، وكان حاكماً على بلاد الروم ، وناثبه على المدينة ، وهو الذي ضرب سميد بن السيب ، كما تقدم ، ثم قدم دمشق فات بها . وهو أول من أحدث دراسة القرآن بمجامع دمشق ، فات فيها في السبع .

عمر بن حكيم المدني الشامي ، له رواية ، ولم يكن أحد في الشام يستطيع أن يميم الحجاج علانية إلا هو ، وابن حنبل بن أبي الأبيض . قتل في غزوة طوانة من بلاد الروم في هذه السنة .

## ثم دخلت سنة تسع وثمانين

فيها : غزا مسلمة بن عبد الملك ، وابن أخيه العباس - بلاد الروم ، قتل خلقاً كثيراً ، وضحا  
 حصوناً كثيرة ، منها : حصن سُورِيَّة ، وحمُورِيَّة ، وحرقة ، وقودية . وغنبا شيئاً كثيراً ،  
 وأسرا جاً كثيراً .

وفيها : غزا قتيبة بن مسلم بلاد الصغد ونسف وكس ، وقد لقيه هناك خلق من الأتراك ،  
 فظفر بهم قتلهم ، وسار إلى بخارى فلقبه دونها خلق كثير من الترك ، فقاتلهم يومين وليلهين  
 عند مكان يقال له خرغان ، وظفر بهم ، قال في ذلك نهار بن تومس :

وبانت لهم منا بخرغان ليلة وليلتنا كانت بخرغان أطولا

ثم قصد قتيبة وُردان خذاه - ملك بخارى ، فقاتله وُردان قتالا شديداً ، فلم يظفر به قتيبة ،  
 فرجع عنه إلى مرو ، فجاء البريد بكتاب الحجاج يصفه على الفرار والنسكول من أعداء الإسلام ،  
 وكتب إليه أن يبعث بصورة هذا البلد - يعني بخارى - فيبعث إليه بصورتها ، فكتب إليه :  
 أن أرجع إليها ، وثب إلى الله من ذبك ، واثبا من مكان كذا وكذا ، ورد وُردان خذاه ،  
 وإياك والتحويط<sup>(١)</sup> ، ودعى وبُنيات<sup>(٢)</sup> الطريق .

وفي هذه السنة ولي الوليد بن عبد الملك - إمرة مكة - خالد بن عبد الله القسري ، فحفر بئراً  
 بأمر الوليد عند ثنية طوى وثنية الحَجَّون ، فجاءت عذبة الماء طيبة ، وكان يستقي منها الناس .  
 وروى الواقدي : حدثني عمر بن صالح ، عن نافع مولى بني غزوم ، قال : سمعت خالد بن عبد الله  
 القسري يقول على منبر مكة ، وهو يخاطب الناس : أيها الناس ! أيها أعظم ! أخليفة الرجل  
 على أهله ، أم رسوله إليهم ؟ والله لو لم تعلموا فضل الخليفة ، إلا أن إبراهيم خليل الرحمن استقى  
 فسقاء مِلحاً أجاجاً ، واستسقاء الخليفة فسقاء حَذَباً قرائناً - يعني البئر التي احضرها بالثنيَّتين - ثنية  
 طوى ، وثنية الحَجَّون - فكان ينقل ماؤها فيوض في حوض من آدم إلى جنب زمزم ليؤمرف  
 فضله على زمزم . قال : ثم غارت تلك البئر ، فذهب ماؤها فلا يذرى ابن حم إلى اليوم .  
 وهذا الإسناد غريب ، وهذا الكلام يتضمن كفرًا إن صح عن فائه . وعدى أن خالد  
 ابن عبد الله لا يصح عنه هذا الكلام ، وإن صح فهو عهد الله ، وقد قبل من الحجاج

(١) أى : المحورين في القنول ، وكثرة المراجعة فيه .

(٢) أى : الطرق الصنيرة التي تنشب من الجبلدة .

ابن يوسف نحو هذا السلام ، من أنه جبل الخليفة أفضل من الرسول الذي أرسله الله ، وكل هذه الأقوال تتضمن كفرًا تأملها .

وفي هذه السنة ، غزا قتيبة بن مسلم للترك حتى بلغ باب الأبواب من ناحية أذربيجان ، وفتح حصونًا ومدائن كثيرة هناك . وحج بالناس فيها عمر بن عبد العزيز .

قال شعبنا الذهبي : وفي هذه السنة فتحت صقلية وميورقة ، وقيل : ميرة ، وها في البحر بين جزيرة صقلية ، وخندة - من بلاد الأندلس .

وفيها : سار موسى بن نصير واهب إلى القنبريس ملك الفرنج ، فافتتح بلادًا كثيرة .

وفيها توفي من الأعيان :

عبد الله بن ثعلبة بن يثيم - أحد القبايين ، المذري الشاعر ، وقد قيل : إنه أدرك حياة النبي ﷺ ، ومسح على رأسه ، وكان الزهري يتعلم منه النسب . والمبال في هذه السنة م للذكورون في القى قبلها .

### ثم دخلت سنة تسعين من الهجرة

فيها : غزا مسلمة بن عبد الملك ، والعباس بن الوليد - بلاد الروم ، فقتلوا حصونًا وقتلوا خلقًا من الروم ، وغنما وأسرا خلقًا كثيرًا .

وفيها : أسرت الروم خالد بن كيسان صاحب البحر ، وذهبوا به إلى ملكهم ، فأعاداه ملك الروم إلى الوليد بن عبد الملك .

وفيها : هزل الوليد أخاه عبد الله بن عبد الملك من إمرة مصر ، وولى عليها قرة بن شريك .

وفيها : قتل محمد بن القاسم - ملك السند - دأمر بن سعة ، وكان محمد بن القاسم هذا على جيش من جهة المصباح .

وفيها : فتح قتيبة بن مسلم مدينة بخارى ، وهزم جميع العدو من الترك بها ، وجرت بينهم فصول بطول ذكرها ، وقد قصاها ابن جرير .

وفيها : طلب طرخون ملك السند بد فتح بخارى ، من قتيبة أن يصالحه على مال يبيته في كل عام ، فأجاب قتيبة إلى ذلك ، وأخذ معه وها على .

وفيها : استعبد وردان خذاه بالترك ، فأتوه من جميع النواحي - وهو صاحب بخارى بد أخذ قتيبة لها - وخرج وردان خذاه وحل على المسلمين خطبوم ، ثم عاد للمسلمين عليهم فقتلوا

منهم مقتلة عظيمة ، وصالح قتيبة ملك السند ، وفتح بخارى وحصولها ، ورجع قتيبة بالجند إلى بلاده ، فأذن له الهجاج .

فلما سار إلى بلاده ، بلغه أن صاحب السند قال للملك للترك : إن العرب بمنزلة العصوص ، فإن أعطوا شيئاً ذهبوا ، وإن قتيبة هكذا يقصد للملك ، فإن أعطوه شيئاً أخذوه ورجع منهم ، وإن قتيبة ليس بمالك ، ولا يطلب مديكاً . فبلغ قتيبة قوله ، فرجع إليهم ، فكتب نيزك ملك الترك ملوك ما وراء النهر ، منهم : ملك الطالقان ، وكان قد صالح قتيبة ، فغضب الصالح الذي كان بينه وبين قتيبة ، واستعاض عليه بالملوك كلها ، فأناه ملوك كثيرة كانوا قد عاهدوا قتيبة على الصالح ، فقتلوا كلهم وصاروا يدا واحدة على قتيبة ، واتحدوا إلى الربيع ، وتماهدوا وتماقدوا على أن يجتمعوا فيقاتلوا كلهم في فصل الربيع من السنة الآتية ، فقتل منهم قتيبة في ذلك الحين مقتلة عظيمة جداً لم يسمع بمثلا ، وصلب منهم سباطين<sup>(١)</sup> في مسافة أربعة فراسخ في نظام واحد ، وذلك مما كسر جوعهم كلهم .

وفي هذه السنة ، حرب يزيد بن المهلب وأخواه : الفضل ، وعبد الملك - من سجن الهجاج ، فملعقوا بسلطان بن عبد الملك ، فأمنهم من الهجاج ، وذلك أن الهجاج كان قد احتاط عليهم قبل ذلك ، وعابهم عقوبة عظيمة ، وأخذ منهم ستة آلاف ألف ، وكان أصبرهم على العقوبة يزيد ابن المهلب ، كان لا يسمع له صوت ، ولو ضلوا به ما ضلوا نكابة لذلك ، وكان ذلك يقيظ الهجاج ، قال قائل للهجاج : إن في ساق أثر نشابة بقي نعلها فيه ، وإنه متى أصابها شيء لا يملك نفسه أن يصرخ ، فأمر الهجاج أن يثال ذلك الموضع منه بضارب ، فصاح ، فلما سمعت أخته هتاف بنت المهلب - وكانت تحت الهجاج - صوته بكّت وناحت عليه ، فطلقت الهجاج ، ثم أودعهم السجن ، ثم خرج الهجاج إلى بعض المحال لينفذ جيشاً إلى الأكراد واستصحبهم معه ، فغندق حولهم ووكّل بهم الحرس ، فلما كان في بعض الأيام أمر يزيد بن المهلب بطعام كثير ، فضع الحرس ، ثم تفكر في هيئة بعض الأطباء ، وجعل لحيته لحية بيضاء وخرج ، فأراه بعض الحرس فقال : ما رأيت مشية أشبه بمشية يزيد بن المهلب من هذا ، ثم تبعه يتحققه ، فلما رأى بياض لحيته انصرف عنه ، ثم لحقه أخواه ، فركبوا السفن وساروا نحو الشام ، فلما بلغ الهجاج خبرهم انزعج لذلك ، وذهب وهم أنهم ساروا إلى خراسان ، فكتب إلى قتيبة بن مسلم يحذره فقومهم ويأمره بالاستعداد لهم ، وأن يرصد في كل مكان ، ويكتب إلى أمراء التنوير والسكر يستصحبهم .

وكتب إلى أمراء المؤمنين يخبرهم به ، وأنه لا يرام هربوا إلا إلى خراسان ، وخاف الهجاج من يزيد أن يصنع كما صنع ابن الأشعث من الخروج عليه ، وجمع الناس له ، وتحقق عنده قول الراهب .

(١) السباطان - من النخل والناس - الجانبان ، يقال : مشى بين السباطين .

وأما يزيد بن المهلب فإنه سلك على البطائح ، وجاءته خيول كان قد أهداها أخوه مروان ابن المهلب لهذا اليوم ، فركبها وسلك به دليل من بني كلب يقال له : عبد الجبار بن يزيد ، فأخذ بهم على السجادة ، وجاء الخيل إلى الحاجاج بعد يومين - أن يزيد قد سلك نحو الشام ، فكتب إلى الوليد يعلم بذلك ، وسار يزيد حتى نزل الأردن على وهيب بن عبد الرحمن الأزدي - وكان كريماً على سليمان بن عبد الملك - فسار وهيب إلى سليمان بن عبد الملك ، فقال له : إن يزيد بن المهلب وأخويه في منزلي ، قد جاءوا مستغيذين بذلك من الحاجاج ، قال : فذهب فأتني بهم فهم آمنون ما دمت حياً ، فقدم فذهب بهم حتى أدخلهم على سليمان بن عبد الملك ، فأمنهم سليمان ، وكتب إلى أخيه الوليد : إن آل المهلب قد آمنتم ، وإنا بقى الحاجاج عندهم ثلاثة آلاف ألف ، وهي عندي . فكتب إليه الوليد : لا والله لا أؤمنه حتى يثبت به إلى . فكتب إليه : لا والله لا أبته حتى آجي . معه ، فأشكك الله بأمر المؤمنين أن تضعني أو تخترني في جوارى . فكتب إليه : لا والله لا نجى . معه ، وابث به إلى في وثاق . قال يزيد : است بي إليه فما أحب أن أوقع بينك وبينه عداوة وحرباً ، فابتنى إليه وابث معي ابنك ، واكتب إليه بألف عبارة تقدر عليها ، فيثبته وبث ابنه أيوب ، وقال لابنه : إذا دخلت في المهلج فادخل مع يزيد في السلسلة ، وادخلا عليه كذلك . فدارأى الوليد ابن أخيه في السلسلة قال : والله لقد بلغنا من سليمان . ودفع أيوب كتاب أبيه إلى عمه وقال : يا أمير المؤمنين انفسى فداؤك ، لا تخفر ذمة أبي وأنت أحق من مننها ، ولا تقطع منا رجاء من رجا السلامة في جوارنا لمكاننا منك ، ولا تذلل من رجا العز في الاقطاع إلينا لمزنا بك .

ثم قرأ الوليد كتاب سليمان بن عبد الملك ، فإذا فيه : أما بعد يا أمير المؤمنين - فوالله إن كنت لأظن لو استعجار في حدود نأبذك وجاءه ذلك فأنزله وأجرته - أنك لا تذلل جوارى ولا تخفره ، بل لم أجز إلا سامعاً مطيعاً ، حسن البلاء والآخر في الإسلام هو وأبوه وأهل بيته ، وقد بشت به إليك ؛ فلن كنت إنما نريد قطيقتي وإخفار ذمتي والإبلاغ في مسأتي ، فقد قدوت إن أنت فعلت ، وأنا أعيذك بالله من احتداد<sup>(١)</sup> قطيقتي واتهابك حرمي ، وترك يزي وإجابتي إلى ما سألتك ، ووصلني ، والله يا أمير المؤمنين ما تدرى ما بقاني وبناؤك ، ولا متى يفرق الموت بيني وبينك ، فلن استطاع أمير المؤمنين - أدام الله سروره - أن لا يأتي أجل الوفاة علينا إلا وهو لي واصل ، ولحق مؤد ، وعن مسأتي نازع - فليفضل ، والله يا أمير المؤمنين ما أصبعت بشيء من أمر الدنيا - بعد تقوى الله - بأسر مني برضاك وسرورك ، وإن رضاك

وسرورك - أحب إلى من رضاى وسرورى ، وما ألتبس به وضوان الله عز وجل ، لصلقى ما بينى وبينك ، وإن كنت يا أمير المؤمنين - يوماً من الدهر - تريد صلقى وكرامتى وإعظام حقى ، فتجاوزلى عن يزيد ، وكل ما طَلَبْتَهُ به فهو على .

فلما قرأ الوليد كتابه قال : لقد أشققتنا على سليمان ، ثم دعا ابن أخيه ، فأدناه منه ، وتكلم يزيد بن المهلب ، فحمد الله وأثنى عليه ، وصل على رسوله ، ثم قال : يا أمير المؤمنين ، إن بلادكم عندنا أحسن البلاد ، فمن ينس ذلك فلسنا نساء ، ومن يكفره فلسنا بكافريه ، وقد كان من بلادنا أهل البيت فى طاعتكم ، والظمن فى أعين أعدائكم فى المواطن المقام فى الشارق والغارب ، ما إن المنة فيه علينا عظيمة ، فقال له : اجلس ، فجلس فأمنه وكف عنه ورده إلى سليمان ، فكان عنده حسن الهيئة ، وبصفت له أوزان الأطلمة الشهية ، وكان حفيظاً عنده ، لا يهدى إليه بهدية إلا أرسل له بنصفها ، وتفرّب يزيد بن المهلب إلى سليمان بأنواع الهدايا والتضع والتقديم .

وكتب الوليد إلى الحجاج : إني لم أصل إلى يزيد بن المهلب وأهل بيته مع أخى سليمان ، فكف عنهم واله من الكتاب إلى فيهم . فكف الحجاج عن آل المهلب وترك ما كان يطالبهم به من الأموال ، حتى ترك لأبى عبيدة بن المهلب ألف ألف درهم ، ولم يزل يزيد بن المهلب عند سليمان بن عبد الملك حتى هلك الحجاج فى سنة خمس وتسعين ، ثم ولى يزيد بلاد العراق بسد الحجاج ، كما أخبره الراعب . وفيها توفى من الأميان :

يثنوق الطيب ، الحاذق . له مصنفات فى فقه ، وكان خطيباً عند الحجاج ، مات فى جمادى سنة تسعين بواسطة .

عبد الرحمن بن السور بن غرمة ، وأبو النالية الراعى ، وسنان بن سلمة بن المحقق ، أحد الشجعان المذكورين ، أسلم يوم الفتح ، وتولى غزو الهند ، وطال عمره .

وتوفى فى هذه السنة : عبد بن يوسف التتقى أخو الحجاج ، وكان أميراً على اليمن ، وكان يلمن عليها على النار ، قيل : إنه أمر حجر النضرى أن يلمن عليها ، قال : بل لمن الله من يلمن عليها ، ولعن الله على من لعنه الله ، وقيل : إنه وصى فى لعنه ، فلعنه أهل .

ثالث بن يزيد بن معاوية ، أبو حاتم الأموى القمشى ، وكانت طارده بدمشق على طار الحجابة ، وكان ثالث شاعراً ، وينسب إليه شيء من علم الكيمياء ، وكان يعرف شيئاً من علوم الطبيعة . روى من أبيه ، وحمية الكلبي ، وعنه الزهرى وغيره . قال الزهرى : كان ثالث يصوم الأيام كلها ، الجمعة ، والسبت ، والأحد - ببنى يوم الجمعة وهو عيد المسلمين ، ويوم السبت وهو عيد



اليهود ، والأحد للنصارى . وقال أبو زرعة الدمشقي : كان هو وأخوه معاوية من خيار القوم ، وقد ذكر للخلافة بعد أخيه معاوية بن يزيد ، وكان ولي العهد من بعد مروان ، فلم يلبث له الأمر ، وكان مروان زوج أمه . ومن كلامه : أقرب شيء الأجل ، وأبعد شيء الأمل ، وأرجى شيء العمل . وقد امتدحه بعض الشعراء فقال :

مأت النداء والجود حرّان أتيا فردّا وقالّا : إننا — السيد  
فقلت : ومن مولا كما أنقطا ولا ملّ وقالّا : خالد بن يزيد

[ قال : فأمر له بمائة ألف . قلت : وقد رأيتهما قد أنشدا في خالد بن الوليد رضي الله عنه ، فقال : وقال خالد بن وليد ، والله أعلم . وخالد بن يزيد هذا كان أميراً على حمص ، وهو الذي بنى جامع حمص ، وكان له فيه أربع مائة عيد يسمون ، فلما فرغ منه احتفتم . وكان خالد ينفذ المحاسن ، وهو الذي أشار على عبد الملك — لما تزوج الحجاج بنت جعفر — أن يرسل إليه فيطلقها ، ففعل . ولما مات مثنى الوليد في جنازته ، وصلى عليه . وكان قد تجدد على خالد اصفرار وصف ، فسأله عبد الملك عن هذا ، فلم يجبه . فزال حتى أخبره أنه من حب رمة — أخت مصعب بن الزبير ، فأرسل عبد الملك يخطبها فلما ، فقالت : حق يطلق نسائه ، فطلقن وتزوجها ، وأنشد فيها الشعر <sup>(١)</sup> .

وكانت وفاته هذا العام ، وقيل : في سنة أربع وثمانين ، وقد ذكر هناك ، والصحيح الأول . عبد الله بن الزبير بن سالم الأسدي الشاعر — أبو كثير ، ويقال : أبو سعيد ، وهو مشهور ، وقد على عبد الله بن الزبير فامتدحه ، فلم يسطه شيئاً ، فقال : لمن الله ناقة حلتني إليك ، فقال ابن الزبير : إن وصاحبها . يقال : إنه مات في زمن الحجاج .

### ثم دخلت سنة إحدى وتسعين

فيها : غزا الصائقة مسلمة بن عبد الملك ، وابن أخيه عبد العزيز بن الوليد . وفيها : غزا مسلمة بلاد الترك حتى بلغ الباب <sup>(٢)</sup> من ناحية أذربيجان ، ففتح مدائن وحصوناً كثيرة أيضاً ، وكان الوليد قد عزل عنه محمد بن مروان عن الجزيرة وأذربيجان ، وولاه أخاه مسلمة بن عبد الملك .

(١) ما بين التوسيع — سقط من بعض النسخ .

(٢) الباب : بلد بحلب . وجبل قرب حجر

وفيها : غزا موسى بن نصير بلاد النرب ، ففتح مدناً كثيرة ، ودخل في تلك البلاد ، وولج فيها حتى دخل أراضى غابرة قاصية ؛ فيها آثار قصور وبيوت ليس بها ساكن ، ووجد هناك من آثار نعمة أهل تلك البلاد ، ما يلوح على صماتها أن أهلها كانوا أصحاب أموال ونعمة دارة سائفة ، فبادوا جميعاً فلا يخبر بها .

وفيها : مَهْد قتيبة بن مسلم بلاد الترك الذين كانوا قد نقضوا ما كانوا عاهدوه عليه من الصالحة ، وذلك بعد قتال شديد ، وحرب بشيب لها الوليد ؛ وذلك أن ملوكهم كانوا قد اتفمدا في العام الماضي في أول الربيع - أن يجتمعوا ويقاتلوا قتيبة ، وأن لا يولوا عن القتال حتى يخرجوا العرب من بلادهم - فاجتمعوا اجتماعاً هائلاً ، لم يجتمعوا مثله في موقف ، فمكسرم قتيبة ، وقتل منهم أئماً كثيرة ، ورد الأمور إلى ما كانت عليه ، حتى ذكر أنه صلب منهم في بعض الواضع ، من جهة من أخذه منهم - سباطين طولها أربعة فراسخ من ههنا وههنا ، عن يمينه وشماله ، صلب الرجل منهم بحسب الرجل ، وهذا شيء كثير ، وقتل في الكفار قتلاً ذريعاً ، ثم لا يزال يتقبع نيزك خان - ملك الترك الأعظم من إقليم إلى إقليم ، ومن كورة إلى كورة ، ومن رستاق إلى رستاق ، ولم يزل ذلك دأبه ودأبه ، حتى حصره في قلعة هناك شهرين متتابعين ، حتى نفذ ما عند نيزك خان من الأحامدة ، وأترف هو ومن معه على الهلاك ، فبمث إليه قتيبة من جاء به مستألفاً مذموماً مخذولاً ، فسجنه عنده .

ثم كتب إلى الحجاج في أمره ، فجاء الكتاب بعد أربعين يوماً بقتله ، فجمع قتيبة الأمراء فاستشارهم فيه فاختاروا عليه ؛ فقال يقول : أقوله ، وقال يقول : لا تفعله ، فقال له بعض الأمراء : إنك أعطيت الله عهداً أنك إن ظفرت به لتقتله ، وقد أمكنك الله منه ، فقال قتيبة : والله إن لم يبق من عمرى إلا ما يسع ثلاث كلات اقتلته ، ثم قال : اقتلوه اقتلوه ، فقتل هو وسبعمائة من أصحابه من أمرائه في غداة واحدة ، وأخذ قتيبة من أموالهم وخيلهم وثيابهم وأبنائهم ونساءهم شيئاً كثيراً ، وفتح في هذا العام مدناً كثيرة ، وحرر ممالك كثيرة ، وأخذ حصوناً كثيرة مشحونة بالأموال والنساء ، ومن آنية الذهب والفضة شيئاً كثيراً .

ثم سار قتيبة إلى الطالقان - وهي مدينة كبيرة وبها حصون وأقاليم - فأخذها واستعمل عليها ، ثم سار إلى القارابغ ، وبها مدن ورستاق ، ففرج إليه ملكها سامساً مطيعاً ، فاستعمل عليها رجلاً من أصحابه - ثم سار إلى الجوزجان ، فأخذها من ملكها واستعمل عليها ، ثم أتى ببلغ فدخلها ، وأقام بها نهراً واحداً ، ثم خرج منها وقصد نيزك خان ببغلان ، وقد نزل نيزك خان معسكره على فم الشعب الذي منه يدخل إلى بلاده ، وفي فم الشعب قلعة عظيمة تسمى : كشمية ؛

ألموها وارتقامها وأناسها . فقدم على قتيبة الرؤب خان - ملك الرؤب وسيمجان ، فاستأمنه هل أن يبله على مدخل القلعة ، فأمنه ، وبث معه رجالا إلى القلعة فأتوها ليلا ، ففتحوها وقتلوا خلقا من أهلها ، وهرب الباقي . ودخل قتيبة السَّعْب وأبى سيمجان - وهي مدينة كبيرة - فأقام بها ، وأرسل أخاه عبد الرحمن خلف ملك تلك المدن والبلاد ينزك خان في جيش هائل ، فسار خلفه إلى بَنَلان فحصره بها ، وأقام بحصاره شهرين حتى نفذ ما عنده من الأقوات ، فأرسل قتيبة من عنده رجلا يسمى النَّاصِح ، فقال له : اذهب فائتني ببِيزَك خان ، وإن عُدتَ إليّ وليس هو معك ضربت عنقك . وأرسل قتيبة معه هدايا وأطعمة فاخرة ، فسار الترجان إلى بِنَزَك حتى أتاه وقدم إليه الأطعمة ، فوقع عابها أصحابه يتحاطفونها - وكانوا قد أجهدوا الجوع - ثم أعطاه الناصح الأمان وحلف له ، فقدم به على قتيبة وأمنه سبعة أمير من أصحابه ، ومن أهل بيته جماعة ، وكذلك استأمن قتيبة جماعة من الملوك فأمنهم ، وولى على بلادهم ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

قال الراقي وغيره : وحج بالناس في هذه السنة أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك ، فلما قرب من المدينة أمر عمر بن عبد العزيز أشراف المدينة فلقوه ، فرحب بهم وأحسن إليهم ، ودخل المدينة النبوية ، فأخلى له المسجد النبوي ، فلم يبق به أحد سوى سميد بن السبب لم يتجاسر أحد أن يخرج به ، وإنما عليه ثياب لا تساوي خمسة دراهم ، فقالوا له : تنح عن المسجد أيها الشيخ ، فإن أمير المؤمنين قادم ، فقال : والله لا أخرج منه ، فدخل الوليد المسجد ، فجل يدور فيه بصلى ههنا وههنا ، ويدعو الله عز وجل . قال عمر بن عبد العزيز : وجلت أعذل به من موضع سميد خشية أن يراه ، فحانت منه الفتنة ، قال : من هذا ؟ أهو سميد بن السبب ؟ فقلت : نعم يا أمير المؤمنين ، ولو علم بأنك قادم أقام إليك وسلم عليك ، فقال : قد علمت بُعْثَهُ لنا ، فقلت : يا أمير المؤمنين إنته وإنته ، وشرعت أني عليه ، وشرع الوليد يُفنى عليه بالعلم والهدى ، فقلت : يا أمير المؤمنين إنه ضعيف البصر - وإنما قلت ذلك لأعذر له - فقال : نحن أحق بالسمي إليه ، فجاء فوقف عليه فلم يسم عليه ، فلم يسمه سميد ، ثم قال الوليد : كيف الشيخ ؟ فقال : بخير والحمد لله ، كيف أمير المؤمنين ؟ فقال الوليد : بخير والحمد لله وحده ، ثم انصرف وهو يقول لأمير بن عبد العزيز : هذا فقيه الناس ، فقال : أجل يا أمير المؤمنين .

قالوا : ثم خطب الوليد على منبر رسول الله ﷺ ، فجلس في الخطبة الأولى ، واتصّب في الثانية . قال : وقال : هكذا خطب عثمان ، ثم انصرف ، فصرف على الناس من أهل المدينة ذمها كثيرا وفضة كثيرة ، ثم كسا المسجد النبوي من كسوة الكعبة التي أمه ، وهي من أرباب غليظ .

وتوفى في هذه السنة :

السائب بن يزيد بن سعد بن ثمامة ، وقد حج به أبوه مع رسول الله ﷺ ، وكان عمر السائب سبع سنين ، رواء البخاري ، فلهذا قال الواقدي : إنه ولد سنة ثلاث من الهجرة ، وتوفى سنة إحدى وتسعين . وقال غيره : سنة ست ، وقيل : ثمان وثمانين ، والله أعلم .  
سهل بن سعد الساعدي : صحابي مدني جليل ، توفى رسول الله ﷺ وله من العمر خمس عشرة سنة ، وكان ممن ختمه الحجاج في عنقه هو وأنس بن مالك ، وجابر بن عبد الله في يده ، ليذلم كيلا يسمع الناس من رأيهم . قال الواقدي : توفى سنة إحدى وتسعين عن مائة سنة ، وهو آخر من مات في المدينة من الصحابة . قال محمد بن سعد : ليس في هذا خلاف ، وقد قال البخاري وغيره : توفى سنة ثمان وثمانين ، والله أعلم .

### ثم دخلت سنة ثمان وتسعين

فيها : غزا مملكة ، وابن أخيه عمر بن الوليد بلاد الروم ، ففتحها حصونا كثيرة ، وغنما شيئا كثيرا ، وهرب منهم الروم إلى أقصى بلادهم .  
وفيها : غزا طارق بن زياد - مولى موسى بن نصير [ بلاد الأندلس في اثني عشر ألفا ] فخرج إليه ملكها «أدرينوق» في جعافته ، وعليه تاجه ، ومعه سرير ملكه ، فقاتله طارق فهزمه ، وغنم ما في مسكوه ، فسكن من جملة ذلك السرير ، وتلك بلاد الأندلس بكلا . قال الذهبي : كان طارق بن زياد أمير طنججة ، وهي أقصى بلاد المغرب ، وكان نائباً لمولاه موسى بن نصير (١) ، فكتب إليه صاحب الجزيرة الخضراء يستنجد به على عدوه ، فدخل طارق إلى جزيرة الأندلس من رفاق سبعة ، واشتهر الفرصة لكون الفرنج قد اقتتلوا فيها بينهم ، وأمن طارق في بلاد الأندلس ، فانفتح قرطبة ، وقتل ملكها أدرينوق ، وكتب إلى موسى بن نصير بالفتح لغده موسى على الأفراد بهذا الفتح ، وكتب إلى الوليد يبشره بالفتح ، وينسبه إلى نفسه ، وكتب إلى طارق يشجعه ، لكونه دخل بنير أمره ، ويأمره أن لا يتجاوز مكانه حتى يلحق به ، ثم سار إليه مسرعاً بمجيوشه ، فدخل الأندلس ومعه حبيب بن أبي عبيدة القهري ، فأقام سنين يفتح في بلاد الأندلس ، ويأخذ المدن والأموال ، ويقتل الرجال ويأسر النساء والأطفال ، فغنم شيئاً لا يحصى ولا يوصف ولا يعد ، من الجواهر واللبواتيت والذهب والفضة ، ومن آنية الذهب والفضة ، والأثاث والحيول والخيال ، وغير ذلك شيئاً كثيراً . وفتح من الأقاليم العسكار

والذين شئتاً كثيراً . وكان مما فجع مسلمة وابن أخيه عمر بن الوليد من حصون بلاد الروم : حصن سوسة ، وبلغا إلى خليج القسطنطينية .

وفيها : فتح قتيبة بن مسلم شومان وكس ونسف ، وامتنع عليه أهل فرياب فأحرقها ، وجيز أخاه عبد الرحمن إلى الصفد إلى طرخون خان ملك تلك البلاد ، فصالحه عبد الرحمن ، وأعطاه طرخون خان أموالاً كثيرة ، وقدم على أخيه وهو ببخارى ، فرجع إلى مرو ، ولما صالح طرخون عبد الرحمن ورحل عنه ، اجتمعت الصفد وقالوا لطرخون : إنك قد ثوت بأقل ، وأذيت الجزية ، وأنت شيخ كبير ، فلا حاجة لنا فيك ، ثم عزوه ووثقوا عليهم غوزك خان - أما طرخون خان - ثم إنهم عصوا ونقضوا العهد ، وكان من أمرهم ما سيأتي .

وفيها : غزا قتيبة سجستان ، يريد رتبيل ملك الترك الأعظم ، فلما انتهى إلى أول مملكة رتبيل تلقته رسلة يريدون منه الصالح على أموال مغايلة ، خيل ورقبق ونساء من نساء الترك ، يحمل ذلك إليه ، فصالحه .

وحج بالناس فيها عمر بن عبد العزيز نائب المدينة . وتوفي فيها من الأعيان :

مالك بن أوس بن الحذافان النضري ، أبو سعيد الدني ، مختلف في صحبته . قال بعضهم : مركب الخيل في الجاهلية ، ورأى أبا بكر . وقال محمد بن سعد : رأى رسول الله ﷺ ولم يحفظ منه شيئاً ، وأنكر ذلك ابن معين والبخاري وأبو حاتم ، وقالوا : لا يصح له صحبة ، والله أعلم .

مات في هذه السنة ، وقيل : في التي قبلها ، فله أعلم .

طوبى للدني ، اسمه عيسى بن عبد الله ، أبو عبد المنعم الدني ، مولى بني مخزوم . كان بارعاً في صناعته ، وكان طويلاً مضطرباً ، أحول الدين ، وكان مشتهراً ، لأنه ولد يوم مات رسول الله ﷺ ، وضلع يوم توفي الصديق ، واحتلم يوم قتل عمر ، وتزوج يوم قتل عثمان ، وولد له يوم قتل الحسين بن علي . وقيل : ولد له يوم قتل علي . حكاه ابن خلكان وغيره . وكانت وفاته في هذه السنة من ثنتين وثلاثين سنة بالسويد . وهي على مرحلتين من المدينة .

الأخطل ، كان شاعراً مطبقاً ، قال أقرانه في الشعر .

ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين

وفيها : انتزع مسلمة بن عبد الملك حصوناً كثيرة من بلاد الروم ، منها : حصن الحديد ، وغزاة ، وماسة ، وغير ذلك .

وفيها : غزا العباس بن الوليد ، ففتح تَمَشُطِيَّةَ .

وفيها : غزا مروان بن الوليد الروم ، حتى بلغ خَشْتَرَةَ .

وفيها : كتب خُوارزم شاه إلى قتيبة بدعوه إلى الصلح ، وأن يعطيه من بلاده مدائن ، وأن يدفع إليه أموالا ورفيقا كثيرا على أن يقاتل أخاه ويسلمه إليه ، فإنه قد أفسد في الأرض ، وبني على الناس وعسفهم . وكان أخوه هذا لا يسمع بشيء حسن عند أحد إلا بثت إليه فأخذ منه ، سواء كان مالا أو نساء أو صبيانا أو دواب أو غيره ، فأقبل قتيبة - نصره الله - في الجيوش ، فلم إليه خُوارزم شاه ما صلحه عليه ، وبثت قتيبة إلى بلاد أخيه خُوارزم شاه جيشا فقتلوا منهم خلقا كثيرا ، وأسروا أخاه ، ومعه أربعة آلاف أسير من كبارهم ، فدفع أخاه إليه ، وأمر قتيبة بالأسارى ، فضربت أعناقهم بحضرته ، قيل : ألفا بين يديه ، وألفا من يمينه ، وألفا عن شماله ، وألفا من وراء ظهره ، ليرهب بذلك الأعداء من الأتراك وغيرهم .

### فتح سمرقند

وذلك أن قتيبة لما فرغ من هذا كله ، وعزم على الرجوع إلى بلاده ، قال له بعض الأمراء : إن أهل الصغد أمثوك عاكك هذا ، فإن رأيت أن تمدد إليهم وهم لا يشعرون ، فإنك متى فعلت ذلك أخذتها إن كنت تريد بها يوما من الدهر ، فقال قتيبة لذلك الأمير : هل قلت هذا لأحد ؟ قال : لا ! قال : فلان يسده منك أحد أضرب عنقه . ثم بثت قتيبة أخاه عبد الرحمن ابن مسلم بين يديه في عشرين ألفا ، فسبقه إلى سمرقند ، ولحقه قتيبة في بقية الجيش ، فلما سمعت الأتراك بدوهم إليهم استخبوا من بينهم كل شديد القوة من أبناء الملوك والأمراء ، وأمرهم أن يسيروا إلى قتيبة في الليل ، فيكبسوا جيش المسلمين . وجاءت الأخبار إلى قتيبة بذلك ، فجرد أخاه صالحا في ستانة فارس من الأبطال الذين لا يطاقون ، وقال : خذوا عليهم الطريق ، فصاروا فوقوا لهم في أثناء الطريق وتفرقوا ثلاث فرق . فلما اجتازوا بهم بالليل - وهم لا يشعرون بهم - نادوا عليهم ، فاقتتل المسلمون هم وإمامهم ، فلم يفلت من أولئك الأتراك إلا ألفان اليسير ، واحتزوا رهوسهم ، وغنموا ما كان معهم من الأسلحة الجليلة بالذهب والفضة ، وقتل لهم بعض أولئك : تملون أنسكم لم تقتلوا في مقامكم هذا إلا ابن ملك ، أو يطل من الأبطال للموودين بجائنة فارس أو بألف فارس ، فنقلهم قتيبة جميع ما غنموه منهم من ذهب وسلاح ، واقرب من المدينة العظمى التي بالصغد - وهي سمرقند - فنصب عليها المجانيق فرماها بها ، وهو مع ذلك يقاتلهم لا يقطع عنهم ، وناسجه من معه عليها من بخارى وخُوارزم ، فقاتلوا أهل الصغد قتلا شديدا .

فأرسل إليه عَزَّوَجَلَّ ملك الصُّنْد : إنا نقاتل ياخواني وأهل بيتي ، فأخرج إلى في الحرب . فنضب عند ذلك قتيبة وميزَّ الحرب من المعجم ، وأمر المعجم باعتزالهم ، وقدم الشجعان من العرب وأعطاهم جيد السلاح ، وانتزعه من أيدي الجناء ، وزحف بالأبطال على المدينة ، وروماها بالجنانيق فقتل فيها ثلثة فصدَّها التُّرك بفرار المُخَضَّ ، وقام رجل منهم فوقها ، فجعل يشتم قتيبة ، فرماه رجل من المسلمين بسهم ، فقتل منه حتى خرجت من قفاه ، فلم يلبث أن مات - قبحه الله - فأعطى قتيبة الذي رماه عشرة آلاف ، ثم دخل الليل ، فلما أصبحوا رماهم بالجنانيق فقتل أيضاً ثلثة ، وصدَّ للمسلمين فوقها ، وترامواهم وأهل البلد بالنشاب ، فقالت التُّرك لقتيبة : ارجع عنا يومك هذا ، ونحن نصلحك غداً ، فرجع عنهم وصالحوه من الذد على أئني ألف ومائة ألف يحملونها إليه في كل عام ، وعلى أن يطعموه في هذه السنة ثلاثين ألف رأس من الرقيق ، ليس فيهم صغير ، ولا شيخ ولا عيب . وفي رواية : مائة ألف من رقيق ، وعلى أن يأخذ حلية الأصنام ، وما في بيوت النيران ، وعلى أن يخلوا المدينة من المقاتلة حتى يبقى فيها قتيبة مسجداً ، ويوضع له فيه منبر يحطَّب عليه ، ويتندى ويخرج ، فأجابوه إلى ذلك .

فلما دخلها قتيبة دخلها ومعه أربعة آلاف من الأبطال - وذلك بعد أن بنى المسجد ، ووضع فيه الذبِر - ففعل في المسجد وخطب وتندى ، وأتى بالأصنام التي لهم ، فسلَّبت بين يديه ، وأتيت بعضها فوق بعض ، حتى صارت كالنهر العظيم ، ثم أمر بشحرتها ، فنصارخوا ونهاكوا ، وقال المحوس : إن فيها أصناماً قديمة من أحرقتها هلك ، وجاء الملك عَزَّوَجَلَّ فنهى عن ذلك ، وقال لقتيبة إن لك ناصح ، فقام قتيبة وأخذ في بدء شعله نار وقال : أنا أحرقتها بيدي فسكِّدونى جميعاً ، ثم لا تنظرون ، ثم قام إليها وهو يكبر الله عز وجل ، وألقى فيها النار فاحترقت ، فوجد من بقايا ما كان فيها من الذهب خمسون ألف مثقال من ذهب .

وكان من جملة ما أصاب قتيبة في الشبي جارية من ولد يزجرد ، فأهداها إلى الوليد ، فوهدت له يزيد ، ثم استدعى قتيبة أهل سمرقند فقال لهم : إنى لا أريد منكم أكثر مما خالصكم عليه ، ولكن لابد من جند يقيمون عندكم من جهةتنا . فانتقل عنها ما لهما عَزَّوَجَلَّ خان ، فخلا قتيبة ( وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادَا الْأَوَّلَى \* وَنَعُوذُ بِمَا أَتَى )<sup>(١)</sup> الآيات ، ثم ارتحل عنها قتيبة إلى بلاد مَرَوَ ، واستخلف على سمرقند أخاه عبد الله بن مسلم ، وقال له : لا تدع مشركاً يدخل باب سمرقند إلا يخنوم اليد ، ثم لا تدعه بها إلا مقدار ما تجب طينة خنمه ، فإن جفت وهو بها فاقته ، ومن رأيت

منهم ومعه حديدة أو سكينه فاقته بها ، وإذا أغلقت الباب فوجدت بها أحداً فاقته ، قال في ذلك كعب الأشقرى - ويقال هي رجل من جثثي :

كل يوم يحوى قتيبة نهباً      ويزيد الأموال مالاً جديداً  
باعلي قد ليس التاج حتى      شاب منه مفارق كن سودا  
دوخ العنيد بالكثائب حتى      ترك العنيد بالمرء قسودا  
فوليد يبكي لفقد أبيه      وأب موبع يئس الوليدا  
كلا حل بدة أو أتاها      تركت خيله بها أغودا

وفي هذه السنة عزل موسى بن نصير نائب بلاد المغرب - مولا طارقاً عن الأندلس ، وكان قد بعثه إلى مدينة طلمعة ، ففتحتها فوجد فيها مائدة سليمان بن داود عليها السلام ، وفيها من الذهب والجواهر شيء كثير جداً ، فبثوا بها إلى الوليد بن عبد الملك ، فأوصلت إليه حتى مات وتولى أخوه سليمان بن عبد الملك ، فوصلت مائدة سليمان عليه السلام إلى سليمان - على ما يأتى بيانه في موضعه ، وكان فيها ما يهز العقول ، لم ير منظر أحسن منها . واستعمل موسى بن نصير مكان مولاه ولده عبد العزيز بن موسى بن نصير .

وفيها بعث موسى بن نصير المسافر وبثها في بلاد المغرب ، فافتتحوا مدناً كثيرة من جزيرة الأندلس ، منها قرطبة وطنجة . ثم سار موسى بن نصير إلى غب الأندلس ، فافتتح مدينة باجة والمدينة البيضاء ، وغيرها من المدن الكبار والأقاليم ، ومن القرى والساتيق شيء كثير ، وكان لا يأتى مدينة ، فيبرح عنها حتى ينتهبها أو ينزلوا على حكمه ، وجمع المموت والسرابة غربا وشرقا فبعثوا ينتهبون المغرب بهذا ، وإفانيا إقانيا . وينهبون الأموال ويستولون القراوى والنساء ، ورجع موسى بن نصير بفنائم وأموال ونحف لا تحصى ولا تعد كثيرة .

وفيها قطع أهل إفريقية وأجدبوا جدباً شديداً ، فخرج بهم موسى بن نصير يستنق نهم ، فأزال يدعو حتى انتصف النهار ، فلما أراد أن ينزل من المنبر قيل له : ألا تدعو لأمر المؤمنين ؟ قال : ليس هذا الوضع موضع ذلك ، فلما قال هذه المقالة ، أرسل الله عليهم العليل ، فأمطروا مطراً غزيراً وحسن حالهم ، وأخضبت بلادهم .

وفيها : ضرب عمر بن عبد العزيز خبيب بن عبد الله بن الزبير خسين سوفاً بأمر الوليد له في ذلك ، وصحب فوق رأسه قرية من ماء بارد ، في ماء بارد ، في يوم شتاء بارد ، وأقامه على باب المسجد يوم ذلك فمات رحمه الله . وكان عمر بن عبد العزيز بعد موت خبيب شديد الخوف لا يأمن ، وكان إذا شئ شيء من أمر الآخرة يقول : وكيف وخبيب لى بالطريق ؟ وفي رواية يقول :



هذا إذا لم يكن خبيب في الطريق ، ثم يهجم صياح المرأة الشكلى . وكان إذا أتى عليه يقول :  
 خبيب وما خبيب ، إن نجوت منه فأنا بخير . وما زال على المدينة إلى أن ضرب خبيباً فأت فاستقال  
 وركبه الحزن والخوف من حينئذ ، وأخذ في الاجتهاد في العبادة والبكاء ، كانت تلك هفوة منه  
 وزلة ، واسكن حصل له بسببها خير كثير ؛ من عبادة وبكاء ، وحزن وخوف ، وإحسان وعذل  
 وصدقة وبر وعق - وغير ذلك .

وفيها : افتتح محمد بن القاسم - وهو ابن عم الحجاج بن يوسف - مدينة التَّيْل وغيرها من  
 بلاد الهند ، وكان قد ولاه الحجاج غزو الهند وعمره سبع عشرة سنة ، فسار في الجيوش فالتقوا الملك  
 دَاهِر - وهو ملك الهند - في جمع عظيم معه سبع وعشرون فيلاً منتبجة ، فالتقوا فهزمهم الله  
 وهرب الملك داهر ، فلما كان الليل أقبل الملك ومعه خلق كثير جداً فالتقوا قتالاً شديداً ، فقتل  
 الملك داهر وغالب من معه ، وتبع المسلمون من انهزم من الهنود فقتلوه ثم سار محمد بن القاسم  
 فالتحق بمدينة السكبرج وبرها ، ورجع بنائهم كثيرة وأموالاً تخصه كثيرة ؛ من الجواهر والذهب وغير  
 ذلك ، [ فكانت سوق الجهاد قائمة في بني أمية ليس لهم شغل إلا ذلك ، قد علت كلمة الإسلام في  
 مشارق الأرض ومناربها ، وبرتها ومحرها ، وقد أذلوا الكفر وأهله ، وامتلات قلوب المشركين  
 من المسلمين رهيباً ، لا يتوجه المسلمون إلى قطر من الأقطار إلا أخذوه ، وكان في عساكرهم  
 وجيوشهم في الفز - الصالحون والأولياء والعلماء من كبار التابعين ، في كل جيش منهم شزمة  
 عظيمة ينصر الله بهم دينه .

فتقبة ابن مسلم يفتح في بلاد الترك ؛ يقتل ويسبي ويفتنم ، حتى وصل إلى تخوم الصين ،  
 وأرسل إلى ملكه يدعوه ، يخاف منه ، وأرسل له هدايا ونجما وأموالاً كثيرة هدية ، وبث  
 يستعطفه مع قوته وكثرة جنده ، بحيث إن ملوك تلك النواحي كلها تؤدي إليه الخراج خوفاً منه ،  
 ولو عاش الحجاج لما أقام عن بلاد الصين ، ولم يبق إلا أن يلتقي مع ملكها ، فلما مات الحجاج  
 رجع الجيش كآمر . ثم إن فتية قتل بعد ذلك ، قتل بعض المسلمين .

وصلة بن عبد الملك بن مروان وابن أمير المؤمنين الوليد وأخوه الآخر - يقتنحون في بلاد  
 الروم ويجهادون بمساكن الشام حتى وصلوا إلى القسطنطينية ، وبني بها مسجداً جامعا يمد الله فيه .  
 وامتلات قلوب الفرنج منهم رهبا .

ومحمد بن القاسم ابن أخى الحجاج يجهاد في بلاد الهند ، ويفتح مدنها في طائفة من  
 جيش العراق وعهدهم .

ومحمد بن نصير يجهاد في بلاد المغرب ، ويفتح مدنها وأقاليمها في جيوش الدار المصرية

وعيرم . وكل هذه النواحي ، إنما دخل أهلها في الإسلام ، وتركوا عبادة الأوثان .  
وقبل ذلك قد كان الصحابة في زمن عمر وعثمان - فتحوا غالب هذه النواحي ، ودخلوا في مبانيها  
بعد هذه الأقاليم السكار ؛ مثل الشام ، ومصر ، وال عراق ، واليمن ، وأوائل بلاد الترك ، ودخلوا  
إلى ما وراء النهر وأوائل بلاد المغرب ، وأوائل بلاد الهند . فكان سوق الجهاد قائماً في القرن  
الأول من بعد الهجرة إلى انقضاء دولة بني أمية ، وفي أثناء خلافة بني العباس مثل أيام المنصور  
وأولاد ، والرشيد وأولاده ؛ في بلاد الروم والترك والهند .

وقد فتح عمود سبكتكين وولده في أيام ملكهم بلاداً كثيرة من بلاد الهند ، ولما دخل  
طائفة من هرب من بني أمية إلى بلاد المغرب وتملكوها ، أقاموا سوق الجهاد في الفرنج بها .  
ثم لما بطل الجهاد من هذه اللواضع رجع العدو إليها ، فأخذ منها بلاداً كثيرة ، وضمت الإسلام  
فيها ، ثم لما استولت دولة القاطمين على الديار المصرية والشامية ، وضمت الإسلام وقل تأسروه ،  
وجاء الفرنج ، فأخذوا غالب بلاد الشام حتى أخذوا بيت المقدس وغيره من البلاد الشامية ، فأقام  
الله سبحانه ، بنى أيوب مع نور الدين ، لاستلبوها من أيديهم وطردوهم عنه ، فله الحمد والمنة ،  
وسيتأتى ذلك كله في مواضع إن شاء الله تعالى [١١] .

وفيها : عزل الوليد بن محمد بن عبد العزيز عن إمرة المدينة ، وكان سبب ذلك : أن عمر بن  
عبد العزيز كتب إلى الوليد يحذره من أهل العراق أنهم في ضيق وضيق مع الحجاج من ظلفة  
وغشته ، فسمع بذلك الحجاج ، فكتب إلى الوليد : إن عمر ضيف عن إمرة المدينة ومكة ، وهذا  
وهن وضعف في الولاية ، فأجمل على الحرمين من بضبط أمرهما . فولى على المدينة عثمان بن حيان ،  
وعلى مكة - خالد بن عبد الله القسري ، وفعل ما أمره به الحجاج . ففرج عمر بن عبد العزيز من  
المدينة في شوال فزل الشؤبده ، وقدم عثمان بن حيان للمدينة ليلتين بقيتا من شوال من هذه السنة  
وحج بالناس فيها : عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك . ومن توفي في هذه السنة من الأعيان :

### أنس ابن مالك

ابن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار -  
أبو حمزة ، ويقال : أبو نامة الأنصاري النجاري ، خادم رسول الله ﷺ وصاحبه ، وأمه : أم حرام  
مليكة بنت ملحان بن خالد بن زيد بن حرام - زوجة أبي طلحة زيد بن سهل الأنصاري . روى  
عن رسول الله ﷺ أحاديث جمة ، وأخير بطون مهمة . وروى عن أبي بكر وعمر وعثمان  
وابن مسعود وغيرهم .

وحدث عنه خلق من التابعين قال أنس - قدم رسول الله ﷺ المدينة وأنا ابن عشر سنين ، وتوفي وأنا ابن عشرين سنة . وقال محمد بن عبد الله الأنصاري ، عن أبيه ، من ثمانية قال : قيل لأنس : أشهدت بدرًا ؟ فقال : وأين أغيب عن بدر - لا أم لك ؟ قال الأنصاري : شهدنا بمحمد رسول الله ﷺ . قال شيخنا الحافظ أبو الحجاج المزي : لم يذكر ذلك أحد من أصحاب المغازي ، قلت : الظاهر أنه إنما شهد ما بعد ذلك من المغازي ، والله أعلم .

وقد ثبت أن أمه أنت به - وفي رواية : هم زوج أمه أبو طلحة - إلى رسول الله ﷺ ، فقالت : يا رسول الله ، هذا أنس خادم لييب بخدمك ، فوهبه منه فقيه ، وسألته أن يدعو له ، فقال : « اللهم أكثر ماله وولده وأدخله الجنة » . وميت عنه أنه قال : كثاني رسول الله ﷺ بشطة كنت أجزيها .

وقد أسعده أبو بكر ، ثم عمر - على عمالة البحرين ، وشكراه في ذلك ، وقد انتقل بعد النبي ﷺ ، فسكن البصرة ، وكان له بها أربع دور ، وقد ناله أذى من جهة الحجاج ، وذلك في فتنة ابن الأشعث ، توهم الحجاج منه أنه له مداخل في الأمر ، وأنه أفتى فيه ، فغته الحجاج في عنقه ، هنا حقيق الحجاج ، وقد شكاه أنس - كما قدمنا - إلى عبد الملك ، فكتب إلى الحجاج يستغف ، ففرغ الحجاج من ذلك وصالح أنسا .

وقد وفد أس على الوليد بن عبد الملك في أيام ولايته ، قيل : في سنة ثنتين وتسعين ، وهو بنو جامع دمشق . قال مكحول : رأيت أنسا يعيش في مسجد دمشق ، فمات إليه ، فأناته عن الوضوء من الجنابة ، فقال : لا وضوء .

وقال الأوزاعي : حدثني إسماعيل بن عبد الله بن أبي المهاجر قال : قدم أس على الوليد ، فقال له الوليد : ماذا سمعت من رسول الله ﷺ يذكر به الساعة ؟ فقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « أنتم والساعة كهاتين » . ورواه عبد الرزاق بن عمر ، عن إسماعيل قال : قدم أنس على الوليد في سنة ثنتين وتسعين ، فذكره .

وقال الزهري : دخلت على أنس بن مالك بدمشق وهو يبكي ، فقلت : ما يبكيك ؟ قال : لا أحرف مما كان رسول الله ﷺ وأصحابه إلا هذه الصلاة ، وقد صنعتم فيها ما صنعتهم . وفي رواية : وهذه الصلاة قد ضيقت - يعني ما كان يفعله خلفاء بني أمية من تأخير الصلاة إلى آخر وقتها للوسع - كانوا يواطون على التأخير ، إلا عمر بن عبد العزيز في أيام خلافة ، كما سيأتي .

وقال عبد بن حديد ، عن عبد الرزاق ، عن جعفر بن سليمان ، عن ثابت ، عن أنس قال :

جاءت بي أمي إلى رسول الله ﷺ وأنا غلام ، قالت : يا رسول الله ، خويلدك أنيس فادع الله له ، فقال : « اللهم أكثر ماله وولده وأدخله الجنة » . قال : فقد رأيت اثنتين وأنا أرجو الثالثة . وفي رواية : قال أنس : فوالله إن مالي لكثر حتى نخل وكرمي ليثمر في السنة مرتين ، وإن ولدي وولده ولدي ليمتدوا على نحو المائة . وفي رواية : وإن ولدي لصابي مائة وستة . ولهذا الحديث طرق كثيرة ، وألفاظ منتشرة جداً . وفي رواية : قال أنس - وأخبرتني بنتي أمية أنه دفن لصابي إلى حين مقدم الحجاج - عشرون ومائة . وقد قصي ذلك بطرقه وأسانيده ، وأورد ألفاظه الحافظ ابن عساکر في ترجمة أنس ، وقد أوردنا طرقاً من ذلك في كتاب «دلائل النبوة» في أواخر السيرة ، والله الحمد .

وقال ثابت لأنس : هل كنت بأك كلف رسول الله ﷺ ؟ قال : نعم . قال : فأعطها أقبالها . وقال محمد بن سعد ، من مسلم بن إبراهيم ، عن الثوري بن - معيد التراجع قال : سمعت أنس ابن مالك يقول : ما من ليلة إلا وأنا أرى فيها حبيبي رسول الله ﷺ ، ثم يبكي .

وقال محمد بن سعد ، عن أبي نعيم ، عن يونس بن أبي إسحاق ، عن النبال بن عمرو قال : كان أنس صاحب نمل رسول الله ﷺ وإداوته .

وقال أبو داود : ثنا الحسين بن عطية ، عن ثابت ، عن أنس قال : إني لأرجو أن أتى رسول الله ﷺ فأقول : يا رسول الله خويلدك .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يونس ، ثنا حرب بن ميمون ، عن النضر بن أنس ، عن أنس قال : سألت رسول الله ﷺ أن يشفع لي يوم القيامة ، قال : « أنا فاعل ، قلت : فأين أطلبك يوم القيامة يا نبي الله ؟ قال : أطلبني أول ما تطلبني على الصراخ ، قلت : فإذا لم ألقك ؟ قال : فأنا عند الميزان ، قلت : فإن لم ألقك عند الميزان ؟ قال : فأنا عند الخوض لا أخطئ هذه الثلاثة المواطن يوم القيامة » . ورواه الترمذي وغيره من حديث حرب بن ميمون أبي الخطاب صاحب الأعراس الأنصاري به وقال : حسن غريب لا نرفعه إلا من هذا الوجه .

وقال شعبه ، عن ثابت قال : قال أبو هريرة : ما رأيت أحداً أشبه صلاة برسول الله ﷺ من ابن أم سليم - يعني أنس بن مالك - . وقال ابن سيرين : كان أحسن الناس صلاة في الحضر والسفر . وقال أنس : خذمني فأنا أخذت من رسول الله ﷺ عن الله عز وجل ، ولست نجد أوثق مني . وقال معتمر بن سايان ، عن أبيه : سمعت أنساً يقول : ما بقي أحد صلي إلى القبلتين غيري . وقال محمد بن سعد : حدثنا عفان ، حدثني شيخ لنا - يكنى أبا جناب - سمعت الحريري يقول : أحرم أنس من ذات عرق ، فما سمعناه متكلماً إلا يذكر الله عز وجل حتى أحل ،

فقال لي : يا ابن أخي هكذا الإحرام . وقال صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف : دخل علينا أنس يوم الجمعة ونحن في بعض آيات أزواج النبي ﷺ فتحدث ، فقال : ٤٠ ، فلما أقيمت الصلاة قال : إني لأخف أن أكون قد أبطلت جمعي بقولي لكم .

وقال ابن أبي الدنيا : ثنا بشار بن موسى الخفاف ، ثنا جعفر بن سليمان ، عن ثابت قال : كنت مع أنس ، فجات فهرمانية ففأت : يا أبا حرة : ففأت أرضاً ، قل : فقام أنس فتوضأ ، وخرج إلى البرية ففلى ركعتين ، ثم دعا فقرأت السجدة بالعش ، ثم أمطرت حتى خيل إلينا أنها ملأت كل شيء ، فلما سكن المطر بث أنس بعض أهله ، فقال : انظر أين بادت السماء ، فنظر فلم تعد أرضه إلا يسيراً .

وقال الإمام أحمد : حدثنا معاذ بن معاذ ، ثنا ابن عوف ، عن محمد قال : كان أنس إذا حدث عن رسول الله ﷺ حديثاً ففرغ منه قال : أو كما قال رسول الله ﷺ .

وقال الأنصاري ، عن ابن عوف ، عن محمد قال : بث أمر من الأمراء إلى أنس شيئاً من الفقه ، فقال : أحسن ؟ قال : لا ، فلم يقبله .

وقال النضر بن شداد ، عن أبيه : مرض أنس ، فقيل له : ألا ندعو لك الطبيب ؟ فقال : للطبيب أمرضى .

وقال حنبل بن إسحاق : ثنا أبو عبد الله الرقاشي ، ثنا جعفر بن سليمان ، ثنا علي بن يزيد قال : كنت في القصر مع الحجاج ، وهو يعرض على الناس ليأتي ابن الأشعث ، فجاء أنس بن مالك ، فقال الحجاج : هي يا خبيث ، جوال في الفتن ، مرة مع علي ، ومرة مع ابن الزبير ، ومرة مع ابن الأشعث ، أما والذي نفس الحجاج بيده لأستأصلك كما تستأصل الصمغة<sup>(١)</sup> ، ولأجردنك كما تجرد الضب . قال : يقول أنس : إلهي يعني الأمير ؟ قال : إلهك أعني ، أسم الله سمك ، قال : فاسترجع أنس وشغل الحجاج ، فخرج أنس ، فتنهت إلى الرحبة ، فقال : لولا أني ذكرت ولدي - وفي رواية : لولا أني ذكرت أولادي الصغار - وخفته عليهم ما باليت ، أي قتل أقتل ، ولسمكته بكلام في مقام هذا لا يستغنى عنه أبداً .

وقد ذكر أبو بكر بن عياش ، أن أسماً بث إلى عبد الملك يشكو إليه الحجاج ويقول والله لو أن اليهود والنصارى رأوا من خدم نبيهم لأكرموه ، وأنا قد خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين . فكتب عبد الملك إلى الحجاج كتاباً فيه كلام جَد ، وفيه : إذا جادك كتابي هذا

فقم إلى أبي حمزة فقصه ، وقبّل يده ورجله ، وإلا حلّ بك منى ما تستحقه . فلما جاء كتاب عبد الملك إلى المحاجج بالنظرة والشدّة ، ثمّ أن ينهى إليه ، فأشار عليه إسماعيل بن عبد الله بن أبي المهاجر ، الذي قدّم بالكتاب - أن لا يذهب إلى أنس ، وأشار على أنس أن يبادر إلى المحاجج بالمصالحة - وكان إسماعيل صديق المحاجج - فجاء أنس ، فقام إليه المحاجج بقلقه ، وقال : إنا مثلي ومثلك « إياك أغنى واسمى يا جارة » أرادت أن لا يبقى لأحد على منطق .

وقال ابن قتيبة : كتب عبد الملك إلى المحاجج - لما قال لأنس ما قال - : يا ابن المستقرمة عجب الزبيب ، لقد حسنت أن أركلك ركلة تهوى بها إلى نار جهنم ، فأنك الله ، أخفش الدينين ، أقيتل الرجلين ، أسود الحاجزين - ومعنى قوله للمستقرمة عجب الزبيب - أي تضيق فرجها عند الجماع به ، ومعنى أركلك ، أي أرضك رجلى ، وسيأتي بسط ذلك في ترجمة المحاجج في سنة خمس وتسعين . وقال أحمد بن صالح المجل : لم يُقتل أحد من الصعابة إلا رجلين ، مُتَقَبِب كان به الجذام ، وأنس بن مالك كان به وَضَح . وقال الحميدي ، عن سفيان بن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن أبي جعفر قال : رأيت أنسا يأكل ، فرأيت به يلقم نفسه عظاما ، ورأيت به وضعا شديدا . وقال أبو يعلى : ثنا عبد الله بن معاذ بن يزيد ، عن أيوب قال : ضف أنس من الصوم ، فصنع طعاما ودعا ثلاثين مسكينا فأطعمهم . وذكره البخاري تعليقا . وقال شعبة ، عن موسى السنبلاوي ، قلت لأنس : أنت آخر من بقي من أصحاب رسول الله ﷺ ؟ قال : قد بقي قوم من الأعراب ، فأما من أصحابه فأنا آخر من بقي . وقيل له في مرضه : ألا تدعوك طبيبا ؟ فقال : الطبيب أمرضني ، وجعل يقول : لقنوني لا إله إلا الله ، وهو محتضر ، فلم يزل يقولها حتى قبض . وكانت عنده عَصِيَّة من رسول الله ﷺ ، فأمر بها ، فدفت معه .

قال عمر بن شبة وغير واحد : مات وله مائة وسبع سنين . وقال الإمام أحمد في مسنده : ثنا معتمر بن سليمان ، عن حميد : أن أنسا عمر مائة سنة غير سنة . قال الواقدي : وهو آخر من مات من الصعابة بالبصرة . وكذا قال علي بن المديني والقلاس وغير واحد .

وقد اختلف المؤرخون في سنة وفاته ، فقيل : سنة تسعين ، وقيل : إحدى وتسعين ، وقيل : ثنتين وتسعين ، وقيل : ثلاث وتسعين ، وهذا هو المشهور ، وعليه الجمهور ، والله أعلم .

وقال الإمام أحمد : حدثني أبو نعيم قال : توفي أنس بن مالك ، وجابر بن زيد في جمعة واحدة سنة ثلاث وتسعين . وقال قتادة : لما مات أنس قال مؤرق العجل : ذهب اليوم نصف العلم ، قيل له : وكيف ذلك يا أبا المعتر ؟ قال : كان الرجل من أهل الأعراب إذا خالفونا في الحديث عن رسول الله ﷺ ، قلنا لهم : تمالوا إلى من سمعته منه .

### عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة

ابن البصرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، الشاعر المشهور ، يقال : إنه ولد يوم توفى عمر  
 ابن الخطاب ، وخن يوم مقتل عثمان ، وتزوج يوم مقتل علي ، فله أعلم ، وكان مشهوراً بالنزول  
 للمليح البليغ ، كان يقفول في امرأة يقال لها : التريا بنت علي بن عبد الله الأموية ، وقد تزوجها  
 سهل بن عبد الرحمن بن عوف الزهري ، فقال في ذلك عمر بن أبي ربيعة :

أيها الفسح القريباً سهيلاً عَمَرَكَ اللهُ كيف يلتقيان  
 هي شامية إذا ما استقلت ومهيل إذا استقل يمان  
 ومن مستجاد شعره ما أورده ابن خلكان :

حي طيفاً من الأحبة زاراً بعد ما برح الكرى الشُّاراً  
 طارقي النام بمسدة دجى الليل خفياً بأن يزور نهاراً  
 قلت ما بالفسا جفياً وكنا قبل ذلك الأسماع والأبصاراً  
 قال : إنا كما عهدت ولكن شغل الحلى أمه أن يماراً

بلال بن أبي الدرداء : ولي إمرة دمشق ، ثم ولي القضاء بها ، ثم عزله عبد الملك بن أبي إدريس  
 الخولاني . كان بلال حسن السيرة ، كثير العبادة ، والظاهر أن هذا القبر الذي بباب الصغير  
 الذي يقال له : قبر بلال ، إنما هو قبر بلال بن أبي الدرداء ، لا قبر بلال بن حنيفة مؤذن  
 رسول الله ﷺ ، فإن بلالاً المؤذن دفن بدارياً ، والله أعلم .

بشر بن سعيد ، الزوفي السيد المأبد ، الفقيه ، كان من العبادة للذة طهين ، الزهاد المروفين ،  
 توفى بالمدينة .

زورارة بن أوف ، بن حاجب البصري ، قاضي البصرة ، كان من كبار علماء أهل البصرة  
 وصلحاتها ، له روايات كثيرة ، قرأ مرة في صلاة الصبح سورة الدثر ، فلما بلغ ( قَدْ أَذًا يُفَرِّ  
 فِي النَّافُورِ )<sup>(١)</sup> خرّ ميماً . توفى بالبصرة وعمره نحو سبعين سنة .

خبيس بن عبد الله ، بن عبد الله بن الزبير ، ضربه عمر بن عبد العزيز بأمر الوليد له في ذلك  
 فأت ، ثم عزل عمر بعده بأيام قليلة ، فكان يتأسف على ضربه له ويبيكي . مات بالمدينة .

حنس بن عاصم ، بن عمر بن الخطاب المدني ، له روايات كثيرة ، وكان من الصالحين .  
 توفى بالمدينة .

سميد بن عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد الأموي ، أحد الأشراف بالبصرة ، كان جواداً  
معدداً ، وهو أحد الوصوفين بالكرم . قيل : إنه أعطى بعض الثمراء ثلاثين .

فروة بن محاهد ، قيل : إنه كان من الأبدال ، أسره مرة - وهو في غزوة - هو وجماعة معه ،  
فأتوا بهم الملك ، فأمر بتقييدهم ، وحبسهم في السجن ، والاحتراز عليهم ، إلى أن يصبح فيرى  
فيهم رأيه ، فقال لهم فروة : هل لكم في لأضي إلى بلادنا ؟ فقالوا : أو ما ترى ما نحن فيه من  
الضيق ؟ فليس قيودهم بيده فزالت عنهم ، ثم أتى باب السجن ، فلهسه بيده فافتتح ، فخرجوا منه  
ومضوا ، فأدركوا جيش المسلمين قبل وصولهم إلى البلد .

أبو الششاء جابر بن زيد : كان لا يماكس<sup>(١)</sup> في ثلاث : في الكبرى إلى مكة ، وفي الرقبة  
بشترها لتهيق ، وفي الأضحية . وقال : لا تماكس في شيء يتقرب به إلى الله .

وقال ابن سيرين : كان أبو الششاء مسلماً عند الديار والقرى . قلت : كما قيل :

إني رأيت فلا تظنوا غيره أن التورع عند هذا الهرم  
فإذا قدرت عليه ثم تركته فاعلم بأن تذاك تقوى للسم

وقال أبو الششاء : لأن أصدق بدمي على يقيم ومسكين - أحب إلى من حجة بعد  
حجة الإسلام .

كان أبو الششاء من الذين أوتوا العلم ، وكان ينفق في البصرة ، وكان الصعابة مثل جابر  
ابن عبد الله إذا سأله أهل البصرة عن مسألة يقول : كيف نألفونا وفيكم أبو الششاء ؟  
وقال له جابر بن عبد الله : يا ابن زيد ! إنك من فقهاء البصرة ، وإنك ستدقق فلا تدقق  
إلا بقرآن ناطق أو سنة ماضية ، فإليك إن فعلت غير ذلك فقد هلكك وأهلكك .

وقال عمرو بن دينار : ما رأيت أحداً أعلم بفتيا من جابر بن زيد .

وقال إياس بن معاوية : أدركت أهل البصرة ومفتيهم جابر بن زيد من أهل حران .

وقال قتادة لما دفن جابر بن زيد : اليوم دفن أعلم أهل الأرض .

وقال صفيان بن مينة ، من عمرو بن دينار : قال أبو الششاء : كتب الحكم بن أيوب  
نفرأ لقضاء أنا أجدم - أي عمرو - فلو أني أجليت بشيء منه لركبت راحلي وهربت  
من الأرض .

(١) أي : لا يساوم ، والمماكسة في البيع : انتقام الممن والمخطاطه .



وقال أبو الشفاء : نظرت في أحمال البر ، فإذا الصلاة تجهد البدن ولا تجهد المال ، والصيام مثل ذلك ، والمجيع يجهل المال والبدن ، فرأيت أن الحج أفضل من ذلك . وأخذ مرة قبضة تراب من حائط ، فلما أصبح رماها في الحائط ، وكان الحائط تقوم قالوا : لو كان كلنا مر به أخذ منه قبضة لم يبق منه شيء . وقال أبو الشفاء : إذا جئت يوم الجمعة إلى المسجد فقف على الباب وقل : اللهم اجعلني اليوم أوجه من توجه إليك ، وأقرب من تقرب إليك ، وأجمع من دعاك ، ورغب إليك وقال سيار : حدثنا حماد بن زيد ، ثنا الحجاج بن أبي عيينة قال : كان جابر بن زيد يأتينا في مصلانا ، قال : فأتانا ذات يوم وعليه نملان خلقان ، فقال : مضى من عمرى ستون سنة ، نملاني هاتان أحب إلي مما مضى منه إلا أن يكون خير قدمته .

وقال صالح الهذلي : كان جابر بن زيد إذا وقع في يده شئ قسره ، ورعى نة ثلاثا يتر به مسلم . الشئ : القرم للناير أو الدغل ، وقيل : هو المنشوش .

وروى الإمام أحمد : حدثنا أبو عبد الصمد العمري ، حدثنا مالك بن دينار قال : دخل على جابر ابن زيد ، وأنا أكتب له صف فقلت له : كيف ترى صنعتي هذه يا أبا الشفاء ؟ قال : نعم الصنعة صنعتك ، تنقل كتاب الله ورقة إلى ورقة ، وآية إلى آية ، وكلمة إلى كلمة ، هذا الحلال لا بأس به . وقال مالك بن دينار : سأله من قوله تعالى : ( إِذَا لَأَذُنُكَ رُفِئَتْ الْحَيَاةُ وَضِئَتْ اللَّيَالِي )<sup>(١)</sup> قال : ضعف عذاب الدنيا وضعف عذاب الآخرة ( ثُمَّ تَجِدُكَ عَلَيْنَا نَعِيرًا ) ، وقال صفيان : حدثني أبو حمير الحارث بن حمير قال : قالوا لجابر بن زيد عند الموت : ما تشتهي وما تريد ؟ قال : نظرة إلى الحسن . وفي رواية من ثابث قال : لما نقل على جابر بن زيد قبل له : ما تشتهي ؟ قال : نظرة إلى الحسن . قال ثابت : فأبيت الحسن فأخبرته ، فركب إليه ، فلما دخل عليه قال لأهله : أقعدوني ، فجلس فما زال يقول : أخوذ بالله من النار وسوء الحساب .

وقال حماد بن زيد : حدثنا حجاج بن أبي عيينة قال : سمعت هنداً بنت الهباب بن أبي صفرة . وكانت من أحسن النساء . وذكروا عندها جابر بن زيد فقالوا : إنه كان بإضي<sup>(٢)</sup> ، فقالت : كان جابر بن زيد أشد الناس إعطافاً إلى وإلى أمي ، فأعلم عنه شيئاً ، وكان لا يعلم شيئاً يقربني إلى الله عز وجل إلا أمرني به ، ولا شيئاً يبعدني من الله إلا أنهي عنه ، وما دعاني إلى الإضحية قط ولا أمرني بها ، وكان يأمرني أين أضاع الخمار . ووضعت يدها على الجبهة . أسند من جماعة من الصحابة ، ومعظم روايته عن ابن عمر وابن عباس .

(١) الآية : ٧٥ من سورة الإسراء .

(٢) الإضي : فرقة من الخيارج تنسب إلى عبد الله بن أبي السرح .



## مقتل سعيد بن جبير - رحمه الله

قال ابن جرير : وفي هذه السنة قتل الحجاج بن يوسف - سعيد بن جبير ، وكان سبب ذلك : أن الحجاج كان قد جهه على نقبات الجند حين بعثه مع ابن الأشعث إلى قتال رثيل ملك الترك ، فلما خلع ابن الأشعث خلعته معه سعيد بن جبير ، فلما ظفر الحجاج بابن الأشعث وأصحابه ، حرب سعيد بن جبير إلى أصحابه ، فكتب الحجاج إلى نائبها أن يبعثه إليه ، فلما سمع بذلك سعيد هرب منها ، ثم كان يمتد في كل سنة ويجمع ، ثم إنه لجأ إلى مكة فأقام بها إلى أن وليها خالد بن عبد الله القسري ، فأشار من أشار على سعيد بالهرب منها ، فقال سعيد : والله لقد استعصبت من الله ؛ مما أفر ولا مقر من قدره . وتولى على المدينة عتيان بن حيان بدل عمر بن عبد العزيز ، فجعل يبعث من المدينة من أصحاب ابن الأشعث من الرقاق إلى الحجاج في التهود ، فعلم منه خالد بن الوليد القسري ضمين من هنده من مكة : سعيد بن جبير ، وعطاء بن أبي رباح ، ومجاهد بن جبر ، وعمر بن دينار وطائفة من حبيب . ويقال : إن الحجاج أرسل إلى الوليد يخبره أن بمكة أقواماً من أهل الشقاق ، فبعث خالد هؤلاء إليه ، ثم عفا عن عطاء ، وعمر بن دينار ؛ لأنهما من أهل مكة ، وبعث بأولئك الثلاثة .

فأما طلق فات في الطريق قبل أن يصل ، وأما مجاهد فحبس فما زال في السجن حتى مات الحجاج ، وأما سعيد بن جبير ، فلما أوقف بين يدي الحجاج قال له : يا سعيد ! ألم أشركك في أمانتي ؟ ألم أستعده لك ؟ ألم أقبل ألم أفضل ؟ كل ذلك يقول : نعم ، حتى ظن من هنده أنه سيضل سبيله ، حتى قال له : فما حجت على الخروج عليّ وخلفت بيعة أمير المؤمنين ؟ فقال سعيد : إن ابن الأشعث أخذني البيعة على ذلك وهزم عليّ ، فنضب عند ذلك الحجاج غضباً شديداً ، وانفتح حتى سقط طرف ودائه من منكبيه ، وقال له : ومحك ! ألم أقدم مكة ، فقتلت ابن الزبير وأخذت بيعة أهلها وأخذت بيمتك لأمر المؤمنين بميلالك ؟ قال : بلى ، قال : ثم قدمت الكوفة وألينا على الرقاق ، فجددت لأمر المؤمنين البيعة فأخذت بيمتك له ثانية ؟ قال : بلى ، قال : فتفككت بيمتين لأمر المؤمنين وتفرجوا لحالك ابن الحائك ؟ يا حرسى اضرب عنقه . قال : ففرضت عنقه فبقر رأسه عليه لائحة<sup>(١)</sup> صغيرة بيضاء . وقد ذكر الواقدي نحو هذا ، وقال له : أما أعطيتك مائة ألف ؟ أما فلتت ؟ أما فلتت ؟

قال ابن جرير : غدت عن أبي غسان مالك بن إسماعيل قال : سمعت خلف بن خليفة يذكر عن رجل قال : لما قتل الحجاج سعيد بن جبير فقتل<sup>(٢)</sup> رأسه ، هللاً ثلاثاً ؛ مرة ينصع بها ، (١) اللائحة : خراج وجرح يصيب الإنسان ، غير الشفاء . (٢) أي : قتل وقطع واتصل عن جسده .

وفي الثنتين يقول مثل ذلك لا ينصح بها وذكر أبو بكر الباهلي قال : سمعت أنس بن أبي شبيب يقول : لما أتى الحجاج بسعيد بن جبير قال : لمن ابن النصرانية - يعني خالد القسري - وكان هو الذي أرسل به من مكة - أما كنت أعرف مكانه ! بلى والله ، والبيت الذي هو فيه بمكة ، ثم أقبل عليه ، فقال : يا سعيد ! ما أخرجك علي ؟ قال : أصالح الله الأمير ، إنا أنا امرؤ من المسلمين يُخطئ مرة ويصيب أخرى ، فطابت نفس الحجاج وانطلق وجهه ، ورجا الحجاج أن يتخلص من أمره ، ثم غاوده في نهر ، فقال - سعيد : إنا كانت له بيعة في عتق ، فغضب عند ذلك الحجاج ، فكان ما كان من قتله .

وذكر عتاب بن بشر ، عن سالم الأفيطس قال : أتى الحجاج بسعيد بن جبير ، وهو يريد الركوب ، وقد وضع إحدى رجليه في القتر ، فقال : والله لا أركب حتى تنقبوا مقعدك من النار ، اضربوا عنقه ، فضربت عنقه . قال : ولا تيس الحجاج في عنقه مكانه ، فجعل يقول : قيوذنا قيوذنا ، فظنوا أنه يريد التهود فأتى على سعيد ، فقطعوا رجليه من أنصاف ساقيه وأخذوا التهود .

وقال محمد بن أبي حاتم : ثنا عبد الله بن عبد الله بن حبيب ، قال : جئ بسعيد بن جبير إلى الحجاج فقال : أكتبني إلى مصعب بن الزبير ؟ قال : بلى كُتبت إلى مصعب ، قال : لا - والله لا أقتنك : قال : إني إذا لمسيك كما تمتقي أمي . قال : فقله ، فلم يلبث الحجاج بعده إلا أربعين يوماً ، وكان إذا نام يراه في المنام يأخذ بجامع ثوبه ، ويقول : يا عدو الله ! فم قتلتني ؟ فيقول الحجاج : مالي ولسعيد بن جبير ؟ مالي ولسعيد بن جبير ؟

قال ابن خلكان : كان سعيد بن جبير بن هشام الأسدي - مولى بني وائلة ، كوفياً ، أحد الأعلام من التابعين ، وكان أسود اللون ، وكان لا يكتب الفتياء ، فلما عي ابن عباس كعب ، فغضب ابن عباس من ذلك ، وذكر مقته كنحو ما تقدم . وذكر أنه كان في شعبان ، وأن الحجاج مات بعده في رمضان ، وقيل : قبل ستة أشهر .

وذكر عن الإمام أحمد أنه قال : قتل سعيد بن جبير ، وما على وجه الأرض أحد إلا وهو محتاج - أو قال : مفتقر - إلى عله . ويقال : إن الحجاج لم يسلط بعده على أحد ، وسبأني في ترجمة الحجاج أيضاً شيء من هذا .

قال ابن جرير : وكان يقال لهذه السنة - سنة القنفاء ؛ لأنه مات فيها عامة قضاة المدينة ؛ مات في أولها : علي بن الحسين بن زين العابدين ، ثم هروثة بن الزبير ، ثم سعيد بن المسيب ، وأبو بكر عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، وسعيد بن جبير من أهل مكة ، وقد ذكرنا تراجم هؤلاء في كتابنا «التبكر» ، وذكرنا تاريخاً حالها حالها ، إن شاء الله تعالى .

قال ابن جرير : واستقصى الوليد بن عبد الملك في هذه السنة على الشام - سليمان بن مرد ، وجع بالناس فيها المباس بن الوليد ، ويقال : تسلة بن عبد الملك ، وكان على نيابة مكة خالد القسري ، وعلى المدينة عثمان بن حيان ، وعلى للشرق بكالة الحجاج ، وعلى خراسان قتيبة بن مسلم ، وعلى الكوفة من جهة الحجاج - زياد بن جرير ، وعلى قضائها أبو بكر بن أبي موسى ، وعلى إمرة البصرة من جهة الحجاج - الجراح بن عبد الله الحسكي ، وعلى قضائها عبد الله بن أذينة ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

### ذكر من توفي فيها من المشاهير والأعيان

سميد بن جبير الأسدي الوالي ، مولاهم أبو محمد ، ويقال : أبو عبد الله ، الكوفي السكي ، من أكابر أصحاب ابن عباس ، كان من أئمة الإِسلام في التفسير والفقه وأرواح العلوم ، وكثرة العمل الصالح - رحمه الله - وقد رأى خلقاً من الصحابة ، وروى عن جماعة منهم ، ومنه خلق من التابعين . يقال : إنه كان يقرأ القرآن في الصلاة فيما بين اللرب والثناء ختمه تامة ، وكان يمد في السكبة القعدة فيقرأ فيها الختم ، وربما قرأها في ركعة في جوف السكبة . وروى عنه : أنه ختم القرآن مرتين ونصفاً في الصلاة في ليلة في السكبة .

وقال سفيان الثوري ، عن عمرو بن ميمون ، عن أبيه قال : لقد مات سميد بن جبير ، وما على وجه الأرض أحد إلا وهو محتاج إلى علمه . وكان في جملة من خرج مع ابن الأشعث حل الحجاج ، فلما ظهر الحجاج هرب سميد إلى أصهان ، ثم كان يتردد في كل سنة إلى مكة مرتين : مرة للعمرة ، ومرة للحج ، وربما دخل الكوفة في بعض الأحيان ، فحدث بها ، وكان يخرسان لا يقعدت ؛ لأنه كان لا يسأله أحد عن شيء من العلم هناك ، وكان يقول : إن مما يهمني ما عندي من العلم ، ووددت أن الناس أخفوه . واستمر في هذا الحال مخفياً من الحجاج - قريباً من ثلث عشرة سنة ، ثم أرسله خالد القسري من مكة إلى الحجاج ، وكان من مخاطبته له ما ذكرناه قريباً .

وقال أبو نعيم في كتابه الحلية : ثنا أبو حامد بن جبلة ، ثنا محمد بن إسحاق ، ثنا محمد بن أحمد بن أبي خلف ، ثنا شبان ، عن سالم بن أبي حفصة قال : لما أتى سميد بن جبير إلى الحجاج قال له : أنت الشقي بن كبير ؟ قال : لا ! إنما أنا سميد بن جبير ، قال : لأخذك ، قال : أنا إذاً ! كما سمعت أبا سميد [ قال : شقيت وشقيت أمك ، قال : الأمر ليس إليك ، ثم قال : اذهبوا عنه ، قال : دعوني أصلي ركعتين ، قال : وجهوا إلى قبة النصارى ،

قال : ( فَأَيُّكُمْ تَوَلَّوْا فَنَّمَّ وَجْهَهُ اللَّهُ )<sup>(١)</sup> ، قال : إلى استميد منك بما استعاضت به مريم ، قال : وما حدثت به ؟ قال : ( قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ نَقِيًّا )<sup>(٢)</sup> . قال سفيان : لم يقتل بعده إلا واحداً . وفي رواية : أنه قال له : لأبدلنك بالديار ناراً تلظى ، قال : فوعدت أن ذلك بيدك لا تخذلك إلهاً . وفي رواية : أنه لما أراد قتله قال : وجهوه إلى قبلة النصرارى ، فقال : ( أَيُّكُمْ تَوَلَّوْا فَنَّمَّ وَجْهَهُ اللَّهُ ) ، فقال : اجعلوها به الأرض ، فقال : ( مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ ) وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى<sup>(٣)</sup> ، فقال : اذبح فما أنزهه لأيات الله منذ اليوم ، فقال : اللهم لا تسلطه على أحد يمدى . وقد ذكر أبو نعيم هنا كلاماً كثيراً في مقتل سميد بن جبير ، أحسنه هذا ، والله أعلم<sup>(٤)</sup> .

وقد ذكرنا صفة مقتله إياه ، وقد رويت آثار غريبة في صفة مقتله ، أكثرها لا يصح ، وقد عرفت الحجاج بعده ، وعوجل بالمقوبة ، فلم يلبث بعده إلا قليلاً ، ثم أخذه الله أخذ عزيز مقتدر ، كما سنذكر وفاته في السنة الآتية ، فقيل : إنه مكث بعده خمسة عشر يوماً ، وقيل : أربعين يوماً ، وقيل : ستة أشهر ، والله أعلم .

واختلفوا في عمر سميد بن جبير رحمه الله حين قتل ، فقيل : تسعاً وأربعين سنة ، وقيل : سبعاً وخمسين ، والله أعلم . قال أبو القاسم اللالكائي : كان مقتله في سنة خمس وتسعين . وذكر ابن جرير مقتله في هذه السنة - سنة أربع وتسعين - والله أعلم .

[ قلت : ها هنا كلمات حسان من كلام سميد بن جبير أحببت أن أذكرها ، قال : إن أفضل الخشية أن تخشى الله خشية تحول بينك وبين مصيبتك ، وتحملك على طاعته ، فتلك هي الخشية النافعة . والذكر طاعة الله ، فمن أطاع الله فقد ذكره ، ومن لم يعطه فليس بذاكر له ، وإن كفر منه التائب ، وظلاله القرآن . قيل له : من أعبد الناس ؟ قال : رجل اقترب من المقبوب ، فكلاماً ذكر ذنبه احتقر حله . وقال له الحجاج : وبك ! فقال : الويل لمن زحزح عن الجنة وأدخل النار . فقال : اضربوا عنقه ، فقال : إلى أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، أستغفلك بها حتى أتاك . " قِيَامَةُ " ، فأنا خصلت عند الله ، فذبح من قتله ، فبلغ ذلك الحسن ، فقال : اللهم يا قاسم الجبارة اقم الحجاج ، فاقبى إلا ثلاثة حتى وقع من جوفه دود فأنتن منه فأت . وقال سميد للحجاج لما أمر بقتله وضحك : فقال له : ما أضحكك ؟ فقال : أضحك من غيرتك عليّ - وحلم الله منك<sup>(٥)</sup> .

(١) من الآية : ١١٥ من سورة البقرة .

(٢) من الآية : ١٨ من سورة مريم .

(٣) من الآية : ٥٥ من سورة طه .

(٤) ما بين القوسين غير مثبت في بعض النسخ .

### سميد بن المسيب

ابن حزن بن أبي وهب بن حائذ بن عمران بن غزوم القرشي ، أبو محمد الدلفي ، سيد التابعين على الإطلاق ، ولد استنبت مضتا ، وقيل : بقيتا من خلافة عمر بن الخطاب ، وقيل : لأربع مضين منها ، وقول الحاكم أبي عبد الله : إنه أدرك العشرة وتم منه ، والله أعلم . وسكن أرسل عنهم كما أرسل كثيرا عن النبي ﷺ ، وروى عن عمر كثيرا ، فقبل : سمع منه ، وعن عثمان ، وعمر ، وسعيد ، وأبي هريرة ، وكان زوج ابنته ، وأعلم الناس بحديثه ، وروى عن جماعة من الصعابة ، وحدث عن جماعة من التابعين ، وخلق من سوام .

قال ابن عمر : كان سميد أحد للتقنين . وقال الزهري : جالسته سبع حجج وأنا لا أظن عند أحد علما غيره . وقال محمد بن إسحاق ، عن مكحول قال : طفت الأرض كلها في طلب العلم ، فما بقيت أعلم من سميد بن المسيب . وقال الأوزاعي : سئل الزهري ، ومكحول من أقره من لقيتا ؟ قالوا : سميد بن المسيب . وقال غيره : كان يقال له فقيه الفقهاء . وقال مالك عن يحيى ابن سميد ، عن سميد بن المسيب : كنت أرحل الأيام والليالي في طلب الحديث الواحد . قال مالك : وبلغني أن ابن عمر كان يرسل إلى سميد بن المسيب بإسائه من فضاي عمر وأحكامه . وقال الربيع عن الشافعي أنه قال : لإرسال سميد بن المسيب عندنا حسن . وقال الإمام أحمد بن حنبل في صحاح . قال : وسميد بن المسيب أفضل التابعين . قال علي بن الدقي : لا أعلم في التابعين أوسع علما منه ، وإذا قال سميد مضت السنة فحسبك به ، وهو عند أهل التابعين . وقال أحمد بن عبد الله السجلي : كان سميد رجلا صالحا فقيها ؛ كان لا يأخذ المعطاء ، وكانت له بضاعة أربعمائة دينار ، وكان يتجر في الزيت ، وكان أعور . وقال أبو زرعة : كان مدنيا ثقة إماما . وقال أبو حاتم : ليس في التابعين أنبل منه ، وهو أثبتهم في أبي هريرة . قال الأرقط : توفي في سنة الفقهاء ، وهي سنة أربع وتسعين ، من خمس وتسعين سنة ، رحمه الله .

[ وكان سميد بن المسيب من أودع الناس فيما يدخل بيته ووطنه ، وكان من أزهده الناس في فضول الدنيا ، والكلام فيما لا ينفع ، ومن أكثر الناس أدبا في الحديث ؛ جاءه رجل وهو مريض ، فسأله عن حديث ، فجلس لحديثه ، ثم اضطجع ، فقال الرجل : وددت أنك لم تمنع ، فقال : إني كرهت أن أحدثك عن رسول الله ﷺ وأنا مضطجع . وقال يرد مولا : ما روي فصلا منذ أربعين إلا وسعيد في المسجد . وقال ابن إدريس : صلى سميد بن المسيب الفداء بروضه الستة خمسين سنة .

وقال سميد : لا تملؤا أعينكم من أعوان الأظلمة إلا بالإنكار من قلوبكم ، لكيلا تحبط أعمالكم الصالحة . وقال : ما يشي الشيطان من شيء إلا أتاه من قبل النساء . وقال : ما أكرمت البعاد أنفسها بمثل طاعة الله ، ولا أهانت أنفسها إلا بمعصية الله تعالى . وقال : كفى بالمرء نصرة من الله أن يرى عذوبته بصل بمعصية الله . وقال : من استغنى بالله افتقر الناس إليه . وقال : الدنيا نذلة<sup>(١)</sup> وهي إلى كل نذل أميل ، وأنزل منها من أخذها من غير وجهها ووضعها في غير سبيلها . وقال : إنه ليس من شرب ولا عالم ولا ذى فضل إلا وفيه عيب ، ولكن من الناس من لا يفيى أن تذكر هيبه . وقال : من كان فضله أكثر من نقصه وهب نفعه لنفعه .

وقد تزوج سميد بن السيب ابنته على درهمين لكثير بن أبي ربيعة - وكانت من أحسن النساء ، وأكثرهم أدباً ، وأعلمهم بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ ، وأعرفهم بحق الزوج - وكان فقيراً ، فأرسل إليه بمائة آلاف ، وقيل : بمئتين ألفاً ، وقال : استغنى هذه . وقصته في ذلك مشهورة ، وقد كان عبد الملك خطبها لابنته الوليد ، فأبى سميد أن يزوجه بها ، فاحتال عليه حتى ضربه بالسياط ، كما تقدم ، ولما جاءت بيعة الوليد إلى المدينة في أيام عبد الملك ، ضربه نائبه على المدينة هشام بن إسماعيل وأطافه المدينة ، وعرضوه على السيف . قضى ولم يبايع ، فلما رجفوا به رأته امرأة ، فقالت : ما هذا الخزي يا سميد ؟ فقال : ين الخزي فررنا إلى ما ترين ، أي لو أحببناهم وقتنا في خزي الدنيا والآخرة .

وكان يحمل على ظهره إهاب الشاة ، وكان له مال يتجر فيه ، ويقول : اللهم إنك تعلم أني لم أمسك بخلا ولا حرصاً عليه ، ولا محبة للدنيا ونيل شهواتها ، وإنما أريد أن أصون به وجهي عن بني مروان ، حتى أتى الله فيحكم فيهم ، وأصل منه رحي ، وأودى منه الحقوق التي فيه ، وأمود منه على الأرملة والفقير والمكين واليتيم والمجمل ، والله سبحانه وتعالى أعلم<sup>(٢)</sup> .

### طلق بن حبيب العنزي

تأبى جليل ، روى عن أنس ، وجابر ، وابن الزبير ، وابن عباس ، وعبد الله بن عمر ، وغيرهم . وعنه حميد الطويل ، والأعمش ، وطاووس - وهو من أقرانه - وأبى عليه عمرو بن دينار ، وقد أنشئ عليه غير واحد من الأئمة ، ولكن تكلموا فيه من جهة أنه كان

(١) النذل : الخسيس من الناس ، والمختل في جميع أعماله .

(٢) ما بين القوسين سقط من بعض النسخ .



يقول الإرجاء<sup>(١)</sup> ، وقد كان من خرج مع ابن الأشعث ، وكان يقول : تقوتوا بالتقوى ، فقبل له : صف لنا التقوى ، فقال : التقوى هي العمل بطاعة الله على نية . من الله يرجو رحمة الله ، وترك معصية الله هل نور من الله يخاف عقاب الله . وقال أيضاً : إن حقوق الله أنظم من أن يقوم بها العباد ، وإن نعم الله أكثر من أن نحصى ، أو يقوم بشكرها العباد ، ولكن أصبحوا تائبين ، وأمسوا تائبين .

وكان طلق لا يخرج إلى صلاة إلا ومعه شيء يتصدق به ، وإن لم يجد إلا بصلاً ، ويقول : قال الله تعالى : ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَاَجَّيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْهِ تَبَوُّا كُمْ صَدَقَةً<sup>(٢)</sup> ) ، فنقدم الصدقة بين يدي مناجاة الله أعظم وأعظم .

قال مالك ! قلته المجاج وجماعة من القراء منهم سعيد بن جبير . وقد ذكر ابن جرير فيما سبق : أن خالد بن عبد الله القسري بثث من مكة ثلاثة إلى المجاج ، وهم : مجاهد ، وسعيد بن جبير ، وطلق بن حبيب ، فأت طلق في الطريق ، وحبس مجاهد ، وكان من أمر سعيد ما كان ، والله أعلم .

### عروة بن الزبير بن العوام

القرشي ، الأندلسي ، أبو عبد الله الذي ، تآبى جليل ، روى عن أبيه ، وعن العبادة ، ومعاوية ، والمغيرة ، وأبي هريرة . وأمه أسماء ، وخالته عائشة ، وأم سلمة . وعنه جماعة من التابعين ، وخلق من سوام .

قال محمد بن سعد : كان عروة ثقة كثير الحديث ، عالمًا مأمونًا ثبتًا . وقال السجستاني : مدني تآبى ، رجل صالح لم يدخل في شيء من الفتن . وقال الواقدي : كان فقيهاً عالمًا حافظاً ثبتاً حجة عالمًا بالسير . وهو أول من صنف الفساذي ، وكان من قتها المدينة للمدودين . واتفق كان أصحاب رسول الله ﷺ بألونه ، وكان أروى الناس لاشمر . وقال ابنه هشام : العلم لواحد من ثلاثة : فآى حسب يزين به حسب ، أو ذى دين يسوس به دينه ، أو مختلط بسلطان يتصفه بنمسه ويتخلص منه بالعلم ، فلا يقع في هلكة ، وقال : ولا أعلم أحداً اشترطه لهذه الثلاثة إلا عروة بن الزبير ، وعمر بن عبد العزيز .

(١) الإرجاء : التأخير ، ومنه المرجة ، ومن فرقة من فرق الإسلام يعتقدون أن الله أرجأ تدميرهم على العاصي ، وأن الإيمان قول بلا عمل . (٢) من الآية ١٢ من سورة المجادلة .

وكان عروة يقرأ كل يوم ربع القرآن ، ويقوم به في الليل ، وكان أيام الرطب يبل سائمه الناس ، فيدخلون ويأكلون ، فإذا ذهب الرطب أعادوه .

وقال الزهري : كان عروة مجراً لا ينزف ، ولا تكذوه الدلاء . وقال عمر بن عبد العزيز : ما أحد أعلم من عروة ، وما أحله يعلم شيئاً أجمله .

وقد ذكره غير واحد في قراء المدينة السبعة الذين ينتهي إلى قولهم ، وكان من جملة النعماء العشرة الذين كان عمر بن عبد العزيز يرجع إليهم في زمن ولايته على المدينة .

وقد ذكر غير واحد أنه وفد على الوليد بدمشق ، فلما رجع أصحابه في رحلة الأيكة<sup>(١)</sup> ، فأرادوا قطعها ، فعرضوا عليه أن يشرب شيئاً ينيب عقله حتى لا يمس بالأم ، ويتسكنوا من قطعها ، فقال : ما ظننت أن أحداً يؤمن بالله يشرب شيئاً ينيب عقله حتى لا يعرف ربه من وجل ، ولكن هلوتوا فاطمعوها ، فقطعوها من ركبته ، وهو صامت لا يتكلم ، ولا يعرف أنه أن<sup>(٢)</sup> . وروى أنهم قطعوها وهو في الصلاة ، فلم يشعر لشدة الصلاة ، فله أعلم .

ووقع في هذه الآية التي قطعت فيها رجله وقد له يسى محمداً - كان أحب أولاده - من سطح فأت ، فدخلوا عليه ، فمزوه فيه ، فقال : اللهم لك الحمد ، كانوا سبعة فأخذت واحداً وأبقيت ستة ، وكان لي أطراف أربعة فأخذت واحداً وأبقيت ثلاثة ، فلئن كنت قد أخفت فأنقذ أعطيت ، ولئن كنت قد أبليت فقد غافيت<sup>(٣)</sup> .

قلت : قد ذكر غير واحد أن عروة بن الزبير لما خرج من المدينة متوجهاً إلى دمشق ، ليعتصم بالوليد ، وقمت الأيكة في رجله في واد قرب المدينة ، وكان مبدوها هناك ، فظن أنها لا يكون منها ما كان ، فذهب في وجهه ذلك ، فواصل إلى دمشق إلا وهي قد أكلت نصف ساقه فدخل على الوليد ، فجمع له الأطباء المارفين بذلك ، فأجمعوا على أنه إن لم يقطعها وإلا أكلت رجله كلها إلى وركه ، وربما ترقق إلى الجسد فأكلته ، فطابت نفسه بنشرها ، وقالوا له : ألا نسليك مرقداً حتى يذهب عقلك منه ، فلا تمس بالأم النسر ؟ فقال : لا ، والله ما كنت أظن أن أحداً يشرب شراً ، أو يأكل شيئاً يذهب عقله ، ولكن إن كنتم لا بد فاعلمين ، فافعلوا ذلك ، وأنا في الصلاة ، فإني لا أحس بذلك ، ولا أشعر به .

قال : فقتلوا رجله من فوق الأيكة ، من المكان الخي ، احتمالاً أنه لا يبقى منها شيء ، وهو قائم يصلي ، فانتصروا ولا اختلاج . فلما انصرف من الصلاة عزاه الوليد في رجله ، فقال :

(١) الأيكة - كفرحة - داء في الضم يأتكل منه . (٢) ما بين الترسين سقط من بعض النسخ .

الهم لك الحمد ، كان لي أطراف أربعة فأخفت واحداً ، فلئن كنت قد أخذت قد أبيت ، وإن كنت قد أبيت فطلالاً عافيت ، فك الحمد على ما أخذت وعلى ما عافيت .

قال : وكان قد صحب معه بعض أولاده من جلتهم ابنه محمد - وكان أحبهم إليه - فدخل دار الدواب فرست فرس فات ، فأنوره ، فمزوره فيه ، فقال : الحمد لله كانوا سبعة فأخذت منهم واحداً وأبيت ستة ، فلئن كنت قد أبيت فطلالاً عافيت ، ولئن كنت قد أخذت فطلالاً أعطيت . فلما قضى حاجته من دمشق رجع إلى المدينة .

قال : فاسمناه ذكر رجله ولا ولده ، ولا شكاً ذلك إلى أحد حتى دخل وادي التري . فلما كان في المكان الذي أصابه الأكلة فيه قال : ( لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا )<sup>(١)</sup> ، فلما دخل المدينة أتاه الناس يسلمون عليه ، ويمزونه في رجله وولده ، فبأنه أن بعض الناس قال : إنما أصابه هذا بذهب عظيم أحدثه . فأنشد مروة في ذلك ، والأبيات لمن بن أوس :

لمرك ما أهويت كفى لربة ولا تحلفني نحو فاحشة رجل  
ولا قاذي سمي ولا بصرى لما ولا دأى رأي عليها ولا عقل  
ولست بمأش ما حميت لئن شكر من الأمر لا يمشي إلى مثله مثل  
ولا مؤثر نفسى على ذى قرابة وأوتر ضيفي ما أقام على أهل  
وأعلم أني لم تصبني مصيبة من الدهر إلا قد أصابت فقمثل

وفي رواية : الهم إنه كان لي بنون أربعة فأخفت واحداً وأبيت ثلاثة . كذا ذكر هذا الحديث فيه هشام .

وقد سلة بن محارب : وقعت في رجل مروة الأكلة ، فقطعت ولم يحسكه أحد ، ولم يدع في تلك الليلة وزده . وقال الأوزاعي : لما نشرت رجل مروة قال : الهم إنك تعلم أني لم أمش بها إلى سوء قط ، وأنشد البيهقي للتقدميين .

رأى مروة رجلاً يصل صلاة خفيفة فدهأ ، فقال : يا أخى ! أما كانت لك إلى ربك حاجة في صلاتك ؟ إن لأسأل الله في صلاتي حتى أسأله للتح .

قال مروة : رب كلمة ذل احتسبتها أورتقني عزاً طويلاً . وقال لبنيه : إذا رأيتم الرجل يصل الحسنة فاعلموا أن لما عنده أخوات ، وإذا رأيتم الرجل يصل السيئة فاعلموا أن لما عنده أخوات ، فلئن الحسنة تقل على أختها ، والسيئة تذل على أختها .

وكان مروءة إذا دخل حائطه ردد هذه الآية ( وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ )<sup>(١)</sup> حتى يخرج منه ، والله سبحانه وتعالى أعلم<sup>(٢)</sup> .  
 قيل : إنه ولد في حياة عمر ، والصحيح أنه ولد بعد عمر في سنة ثلاث وعشرين ، وكانت وفاته في سنة أربع وتسعين على المشهور ، وقيل : سنة تسعين ، وقيل : سنة مائة ، وقيل : إحدى وتسعين ، وقيل : إحدى ومائة ، وقيل : سنة اثنتين أو ثلاث أو أربع أو خمس وتسعين ، وقيل : تسع وتسعين ، والله أعلم .

### على بن الحسين

ابن علي بن أبي طالب القرشي الهاشمي ، المشهور بزين العابدين ، وأمه أم ولد اسمها : سلامة ، وكان له أخ أكبر منه يقال له : علي أيضاً ، قتل مع أبيه . روى على هذا الحديث عن أبيه ، رحمه الحسن بن علي ، وجابر ، وابن عباس ، والصور بن محمرة ، وأبي هريرة ، وصفيّة ، وعائشة ، وأم سلمة - أمهات المؤمنين . ومنه جماعة منهم بنوه : زيد ، وعبد الله ، وعمر ، وأبو جعفر محمد ابن علي بن قر ، وزيد بن أسلم ، وطاوس - وهو من أقرانه - والزهرى ، وبجى بن سميد الأنصاري ، وأبو سلمة - وهو من أقرانه - وخلق .  
 قال ابن خلكان : كانت أم سلمة بنت يزيد جد آخر ملوك الفرس ، وذكر الزعشري في ربيع الأبرار ، أن يزيد جد كان له ثلاث بنات سُبَيْن في زمن عمر بن الخطاب ، فحصلت واحدة لعبد الله بن عمر ، فأولدها سالم . والأخرى لحمد بن أبي بكر الصديق ، فأولدها القاسم . والأخرى للحسين بن علي ، فأولدها عليا زين العابدين هذا ، فكلمهم بنو خالة قال ابن خلكان : ولما قتل قتيبة بن مسلم فهدوز بن يزيد جد بنت بابن فيه إلى الحجاج ، فأخذ إحداها ، وبنت بالأخرى إلى الوليد ، فأولدها الوليد يزيد الناقص . وذكر ابن قتيبة في كتاب المعارف : أن زين العابدين هذا كانت أمه سُبَيْن ، يقال لها : سلامة ، ويقال : غزاة ، وكان مع أبيه بكر بلا ، فاستبقى لصفه ، وقيل : لرضه ؛ فإنه كان ابن ثلاث وعشرين سنة ، وقيل : أكثر من ذلك . وقد تمّ بقوله عبيد الله بن زياد ، ثم صرفه الله عنه ، وأشار بعض النجدة على يزيد بن معاوية بقوله أيضاً فمنه الله منه ، ثم كان يزيد بعد ذلك يكرمه ويظلمه ويحمله معه ، ولا يأكل إلا وهو عنده ، ثم بشم إلى المدينة ، وكان على المدينة محترماً مظلماً .  
 قال ابن عساکر : ومسجده بدمشق المنسوب إليه معروف . قلت : وهو مشهد على بالبحرية الشرقية من جامع دمشق .

قد استقدمه عبد الملك بن مروان مرة أخرى إلى دمشق ، فاستشاره في جواب ملك الروم من بعض ما كتب إليه فيه ، من أمر السكة وطرار القرامطيس ، قال الزهرى : ما رأيت قرشياً أروع منه ، ولا أنضل . وكان مع أبيه يوم قتل ابن ثلاث و عشرين سنة وهو مريض ، فقال عمر ابن سعد : لا تعرضوا لهذا المريض . وقال الواقدي : كان من أروع الناس ، وأعبدم وأتامه في عز وجل ، وكان إذا مشى لا يخطر بيده ، وكان يعمم بعمامة بيضاء برخيا من ورائه ، وكان كفتيه : أبا الحسن ، وقيل أبا محمد ، وقيل أبا عبد الله . وقال محمد بن سعد : كان ثقة مأموناً كثير الحديث عالياً رفيعاً ورعاً ، وأمه غزالة . خاف عليها بعد الحسين مولاه زبير ، فوفدت له عبد الله ابن زهد . وهو على الأصغر ، فأما الأكبر فقتل مع أبيه . وكذا قال غير واحد ، وقال سعيد ابن السيب ، وزيد بن أسلم ، ومالك ، وأبو حازم : لم يكن في أهل البيت مثله . وقال يحيى بن سعيد الأنصارى : سمعت علي ابن الحسين - وهو أفضل هاشمى أدركته - يقول : يا أيها الناس أحبونا حسب الإسلام ، فإبرح بنا بحكم حتى صار علينا عاراً . وفي رواية : حتى ينضتونا إلى الناس . وقال الأصمى : لم يكن الحسين مقرب إلا من علي بن الحسين ، ولم يكن لعل بن الحسين نسل إلا من ابن جده الحسن ، فقال له مروان بن الحكم : لو اتخذت السراى يكثر أولادك ، فقال : ليس لي ما أنسرى به ، فأقرضه مائة ألف ، فاشتري له السراى ، فوفدت له وكثر نسله ، ثم لما طرأ مروان أوصى أن لا يؤخذ من علي بن الحسين شيء مما كان أقرضه ، فجميع الحسينيين من نسله - رحمه الله .

وقال أبو بكر بن أبى شيبة : أصبح الأسانيد كلها الزهرى ، من علي بن الحسين عن أبيه عن جده . وذكروا أنه احترق البيت الذى هو فيه وهو قائم يصل : فلما انصرف قالوا له : مالك لم تنصرف ؟ فقال : إني اشتغلت من هذه النار بالنار الأخرى ، وكان إذا توضأ يصفر لونه ، فلما قام إلى الصلاة ارتعد من الفزع ، فقيل له في ذلك قال : الآن تدرون بين يدي من أقوم ؟ ولئن أنجى ؟ ولما حج أراد أن يلبى فارتعد وقال : أغشى أن أقول لبيك اللهم لبيك ، فيقال له : لا لبيك ، فتشبهوه على القلبية ، فلما لم يغشى عليه حتى سقط عن الرأفة . وكان يصل في كل يوم وليلة ألف ركعة . وقال طائوس : سمعته وهو ساجد عند الحجر يقول : مبدك بفنائك - سائتك بفنائك - فقهر بفنائك . قال طائوس : قوالله ما دعوت بها في كرب قط إلا كشفت عني . وذكروا أنه كان كثير الصدقة بالليل ، وكان يقول : صدقة الليل تطفى غضب الرب ، وتنور القلب وتغير ، وتكشف من البعد ظلمة يوم القيامة ، وقاسم الله تعالى ماله مرتين .

وقال محمد بن إسحاق : كان ناس بالدينة يعيشون لا يدرون من أين يعيشون ومن يطعمهم ، فلما مات علي بن الحسين فقدوا ذلك ، فزفوا أنه هو الذى كان يأتيهم في الليل بما يأتيهم به .

ولما مات وجدوا في ظهره وأكتافه أثر حل الجراب إلى بيوت الأراذل والمساكين في الليل .  
وقيل : إنه كان يعول مائة أهل بيت بالمدينة ، ولا يدرون بذلك حتى مات . ودخل علي بن الحسين  
على محمد بن أسامة بن زيد بموده فيكي ابن أسامة ؟ فقال له : ما يبكيك ؟ قال : علي دين ، قال :  
وكم هو ؟ قال : خمسة عشر ألف دينار . وفي رواية سبعة عشر ألف دينار . فقال : هي علي . وقال  
علي بن الحسين : كان أبو بكر وعمر من رسول الله ﷺ في حياته بمنزلة ما منه بعد وفاته . وقال  
منه رجل يوماً ، فجعل يتفاضل عنه . يري به أنه لم يسمه . فقال له الرجل : إياك أغنى ، فقال له علي :  
وعنك أغنى . وخرج يوماً من المسجد فسمه رجل ، فالتفت الناس إليه ، فقال : دعوه ، ثم أقبل  
عليه فقال : ما ستره الله عنك من عيوبنا أكثر ، ألك حاجة نعينك عليها ؟ فاستعيا الرجل فألقى  
إليه خيصة<sup>(١)</sup> كانت عليه ، وأمر له بألف درهم ، فكان الرجل بعد ذلك إذا رآه يقول : إنك  
من أولاد الأنبياء .

قالوا واختم علي بن الحسين وحسن بن حسن . وكان بينهما منافسة . فقال معه حسن بن حسن  
وهو ساكت ، فلما كان الليل ذهب علي بن الحسين إلى منزله فقال : يا ابن عم إن كنت صادقاً فبشر  
الله لي ، وإن كنت كاذباً فبشر الله لك والسلام عليك ، ثم رجع فلهقه فضله . وقيل له من أعظم  
الناس خطراً ؟ فقال : من لم ير الدنيا لنفسه قدراً . وقال أيضاً : الفسكرة مرآة ترى للؤمن حسنة وسفاته .  
وقال : فقد الأحمية غريبة ، وكان يقول : إن قوماً عبدوا الله رهبة فتلك عبادة البعيد ، وآخرون  
عبدوه رغبة فتلك عبادة التجار ، وآخرون عبدوه محبة وشكراً ، فتلك عبادة الأحرار الأخيار . وقال  
لابنه : يا بني لا تصحب فاسقاً ؛ فإنه يبيط بك بأكلة وأقل منها ، يطعم فيها ثم لا ينالها . ولا يجيلا ؛ فإنه  
يخذلك في ماله أحوج ما تكون إليه . ولا كذاباً ؛ فإنه كالمراب يقرب منك البعيد ، ويباعد  
عنك القريب . ولا أحمق ؛ فإنه يريد أن يفعلك فيضرك . ولا قاطع رحم ؛ فإنه ملعون في  
كتاب الله . قال تعالى : ( قُلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ •  
أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ )<sup>(٢)</sup> .

وكان علي بن الحسين إذا دخل المسجد تخطى الناس حتى يجلس في حلة زيد بن أسلم ، فقال له  
نافع بن جبير بن مطعم : غفر الله لك ، أنت سيد الناس تأتي تخطى حلق أهل العلم وقريش ، حتى  
تجلس مع هذا العبد الأسود ؟ فقال له علي بن الحسين : إنما يجلس الرجل حيث يتقنع ، وإن العلم  
يطلب حيث كان . وقال الأعمش عن مسعود بن مالك قال : قال لي علي بن الحسين : أسمعطيع أن

تجمع بيني وبين سيد بن جبير ؟ قلت : ما تصنع به ؟ قال : أريد أن أسأله عن أشياء بنقضا الله بها ولا منتقضا ، إنه ليس عندنا ما يرمينا به هؤلاء . وأشار بيده إلى العراق .

قال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن آدم ثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن زور بن عبيد<sup>(١)</sup> قال : كنت عند ابن عباس ، فأنى على بن الحسين فقال ابن عباس : مرحباً بالحبيب ابن الحبيب . وقال أبو بكر بن محمد بن يحيى الصولي : ثنا الدلاء ثنا إبراهيم بن بشار عن سفيان بن عيينة عن أبي الزبير قال : كنا عند جابر بن عبد الله ، فدخل عليه علي بن الحسين فقال : كنت عند رسول الله ﷺ فدخل عليه الحسين بن علي ، فضعه إليه وتقبله وأقصده إلى جنبه . ثم قال : « يولد لابني هذا ابن يقال له : علي ، إذا كان يوم القيامة نادى مناد من بطان العرش : ليقيم سيد العابدين ، فيقوم هو » هذا حديث غريب جداً أو رده ابن عساكر . وقال الزهري : كان أكثراً مجالسة مع علي ابن الحسين ، وما رأيت أحده منه ، وكان قليل الحديث ، وكان من أفضل أهل بيته وأحسنهم خلقاً ، وأحجم إلى مروان وابنه عبد الملك ، وكان يسمى زين العابدين . وقال جويرية بن أسماء : ما أكل لي من الحسين بقرابته من رسول الله ﷺ درهماً قط . رحمه الله ورضي عنه . وقال محمد ابن سعد : أنبأ علي بن محمد عن سميد بن خالد عن القنبري قال : بعث المختار إلى علي بن الحسين بمائة ألف ، فسكره أن يقبلها وخاف أن يردها ، فاحتبسها عنده ، فلما قتل المختار كتب إلى عبد الملك بن مروان : إن المختار بعث إلى بمائة ألف فسكره أن يقبلها ، وكرهت أن أردوها ، فابعث من يقبضها . فكتب إليه عبد الملك : يا ابن عم ! اخذها فقد طيعتها لك ، فقبلها .

وقال علي بن الحسين : سادة الناس في الدنيا الأسخياء الأتقياء ، وفي الآخرة أهل الدين وأهل الفضل والسم الأتقياء ؛ لأن السلاء ورثة الأنبياء . وقال أيضاً : إني لأستحي من الله عز وجل أن أرى الأخ من إخواني ، فأسأل الله له الجنة وأجعل عليه بالدين ، فإذا كان يوم القيامة قيل لي : فإذا كانت الجنة بيدك كنت بها أجمل ، وأجمل ، وأجمل ، وذكروا أنه كان كثير البكاء ، فقيل له في ذلك فقال : إن يقبوه عليه السلام بكى حتى ابيضت عيناه على يوسف ، ولم يعلم أنه مات ، وإني رأيت بضعة عشر من أهل بيتي يذبحون في غداة واحدة ، أفترن حزنهم يذهب من قلبي أبداً ؟ وقال عبد الرزاق : سكبت جارية لعل بن الحسين عليه ما ليتوضأ ، فقصت الأبريق من يدها على وجهه فشبهه ، فرفع رأسه إليها فقالت الجارية : إن الله يقول : ( وَاللَّكَّالِينَ الْعِظ ) ، فقال : قد كلمت غيظي ، قالت ( وَاللَّافِينَ مِنَ النَّاسِ ) فقال : معنا الله منك ، ففالت : ( وَاللهُ يَحِبُّ الْمُحْسِنِينَ )<sup>(٢)</sup> قال : أنت حرة لوجه الله تعالى :

وقال الزبير بن بكار : ثنا عبد الله بن إبراهيم بن قدامة الحمصي ، عن أبيه ، عن جده ، عن محمد بن علي ، عن أبيه قال : جلس قوم من أهل العراق ، فذكروا أبا بكر ومهر ، فقالوا منها ، ثم ابتدوا في عثمان ، فقال لهم : أخبروني أئمة من المهاجرين الأولين الذين ( أخرجوا ) من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله <sup>(١)</sup> ؟ قالوا : لا ، قال : فأنتم من الذين ( تبتغوا الدار والإيمان ) من قبلهم يخرجون من هاجر إليهم <sup>(٢)</sup> ؟ قالوا : لا ، فقالوا لهم : أما أئمة قد أقروتم وشهدتم على أنفسكم أنكم لستم من هؤلاء ولا من هؤلاء ، وأنا أشهد أنكم لستم من الفرقة الثالثة الذين قال الله عز وجل فيهم ( وأقذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ) <sup>(٣)</sup> الآية ، فقوموا عني لا بارك الله فيكم ، ولا قرب دوركم ، أئمة مستبشرون بالإسلام ، ولستم من أهله . وجاء رجل فسأله متى يبث علي ؟ فقال : يبث والله يوم القيامة ووجهه نفسه . وقال ابن أبي الدنيا : حدثت عن سعيد بن سليمان ، عن علي بن هاشم ، عن أبي حمزة الثمالي ، أن علي بن الحسين كان إذا خرج من بيته قال : اللهم إني أتصدق اليوم - أو أهب يرضى اليوم - من استعمله .

وروى ابن أبي الدنيا أن غلاما سقط من يده سفود <sup>(٤)</sup> ، وهو يشوي شيئا في الثور على رأس صبي لعل بن الحسين فقتله ، فنهض علي بن الحسين مسرعا ، فلما نظر إليه قال للظام : إنك لم تتصد ، أنت حر ، ثم شرع في جهازه . وقال اللدائي : سمعت سفيان يقول : كان علي بن الحسين يقول : ما يسرني أن لي بنصبي من القل حُر النعم . ورواه الزبير بن بكار من غير وجه عنه . ومات لرجل ولد مسرف على نفسه ، فخرج عليه من أجل إسراره ، فقال له علي بن الحسين : إن من وراء ابنك خلا ثلاثا : شهادة أن لا إله إلا الله ، وشهادة رسول الله ﷺ ، ورحمة الله عز وجل . وقال اللدائي : قال الزهري ذنباً فاستوحش منه ، وهام على وجهه ، وترك أهله وماله . فلما اجتمع بعل بن الحسين قال له : يا زهري ، قنوطك من رحمة الله التي وسعت كل شيء - أعظم من ذنبك ، قال الزهري : ( الله أعلم حيث يريد لربنا ) <sup>(٥)</sup> . وفي رواية : أنه كان أصاب دما حراما خطأ ، فأمره علي بالتوبة والاستغفار ، وأن يبث الهبة إلى أهله ، ففعل ذلك . وكان الزهري يقول : علي بن الحسين أعظم الناس على مئة .

(١) من الآية ٨ من سورة الحشر . (٢) من الآية ١٩ من سورة الحشر .

(٣) من الآية ١٠ من سورة الحشر . (٤) السفود : حديدة يشوي بها . وتسديد اللحم نظمه فيها للاشتواء .

(٥) من الآية ١٢٤ من سورة الانعام .



وقال سفيان بن عيينة : كان علي بن الحسين يقول : لا يقول رجل في رجل من الحبر ما لا يعلم - إلا أو شك أن يقول فيه من الشر ما لا يعلم ، وما اصطحب اثنين على مصيبة - إلا أو شك أن يفترقا على غير طاعة . وذكروا أنه زوج أمه من مولاه ، واعتق أمه . فتزوجها ، فأرسل إليه عبد الملك يلومه في ذلك ، فكتب إليه ( أَقْدَرَ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُتُوهُ مَنَّةً لَيْسَ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا )<sup>(١)</sup> ، وقد اعتق صبيته فتزوجها ، وزوج مولاه زيد بن حارثة من بنت عمته زَيْلَب بنت جعش . قالوا : وكان بليس في الشتاء تحميمه من خبز خمسين ديناراً ، فإذا جاء الصيف تصدق بها ، وبليس في الصيف الثياب المرقعة ودونها ، وهو قوله تعالى : ( قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ )<sup>(٢)</sup> .

[ وقد روى من طرق ذكرها الصدوق والجبري وغير واحد : أن هشام بن عبد الملك حج في خلافة أبيه ، وأخيه الوليد ، فطاف بالبيت ، فلما أراد أن يستلم الحجر لم يتمكن حتى أصيب له مقبر ، فاستلم وجلس عليه ، وقام أهل الشام حوله ، فبينما هو كذلك إذ أقبل على بن الحسين ، فلما دنا من الحجر لبسته تنحى عنه الناس إجلالاً له ، وهيبة واحتراماً ، وهو في رزة حسنة ، وشكل ملبس . فقال أهل الشام لهشام : من هذا ؟ فقال : لا أمره - استقصاً به واحتقاراً لثلاث أربع فيه أهل الشام ، فقال الفرزدق - وكان حاضراً - : أنا أمره ، فقالوا : ومن هو ؟ فأشار الفرزدق يقول :

هذا الذي تَعْرِفُ البطحاءَ وَطَانَهُ	والبيتُ يعرفه والحِلَّ والحَرَمُ
هذا ابنُ خَمرٍ عبادَ الله كَلَمَهُ	هذا - التقيُّ التقيُّ الطاهرُ العَلَمُ
إذا رآته قريشٌ قال قائلها	إلى مكاريهم هذا ينتهي السكْرَمُ
يُضِي إلى ذِرْوَةِ الْبَيْزِ التي قُصِرَتْ	عن ثِيَابِها عَرَبُ الْإِسْلَامِ والدَجَمُ
يَكادُ يَمْسِكُكَ عِرْفَانُ راحته	رُكْنُ الحَطِيمِ إذا ما جاء يستلم
يُنْفِضُ حَيَاهُ وَيُنْفِضُ مِنْ مَهَابِهِ	فَمَا يُكَلِّمُ إِلَّا - بين بيتهم
بَكْفِهِ خِيَرَانِ رِيحُهَا عَوِقُ	من كَفِّ أَرُوعٍ في مَرْنِيهِ شَمِ
مَشَقَّةٌ من رَسُولِ اللَّهِ تَبَيَّنَتْ	طابَتْ مَنَاصِرُها والعَلِيمُ والشَّهِيمُ
يَتَجَابَبُ نورُ الهدى من نُورِ غُرَّتِهِ	كالشمسِ يتجَابَبُ عن إشراقها النُّجُومُ
حالُ أُنْقَالِ أَقْوَامٍ إذا فَدَحُوا	حلَّو الشَّامِلِ محمولٌ عنده نَمِ
هذا ابنُ فاطمةٍ إِنْ كُنْتَ جَاهِلُهُ	بِحِجَّةِ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ قد خَتَمُوا

من جدّه دان فضل الأنبياء له  
 عمّ البرية بالإحسان فانتشمت  
 كلنا بديه غيابة عمّ نعمهما  
 سهل الخليفة لا تخشى بواديه  
 لا يخاف الوعد ميهون بفيته  
 من مشر حبيهم دين ، ونفعهم  
 يستدفع السوء والبلوى بهم  
 مقام بعد ذكر الله ذكرهم  
 إن عدّ أهل التقي كانوا أعتهم  
 لا يستطيع جواد بعد غائبهم  
 هم الضيوط إذا ما أزمة أزمّت  
 بأبي لهم أن يحمل القوم ساحتهم  
 لا ينقص الدم بسطا من أكنهه  
 أي الخلائق ليست في رقابهم  
 فليس فوقك من هذا بضائره  
 من يعرف الله يعرف أولية ذا  
 وفضل أمته دانت لها الأم  
 عنها النواية والإملاق والظلم  
 يستوكان ولا يبروها المدم  
 يزينة انتنان الحلم والسكرم  
 رعب الغناء أريب حين يمتزم  
 كفر ، وقربهم منجى ومتمم  
 ويستزاد به الإحسان والتم  
 في كل حكم ومحتوم به السكلم  
 أو قيل من خير أهل الأرض قيل هم  
 ولا يداينهم قوم وإن كرموا  
 والأسد أسد الشرى والبأس محتم  
 خيم كرام وأيد بالناسى هضم  
 سيان ذلك إن أتروا وإن عدوا  
 لأولية هذا أوله نعم  
 العرب تعرف من أنكرت والجم  
 فالهين من بيت هذا فاله الأم

قال : فمضى هشام من ذلك ، وأمر بحبس الفرزدق بسفان ، بين مكة والمدينة . فلما بلغ ذلك  
 علي بن الحسين بعث إلى الفرزدق بأثني عشر ألف درهم ، فلم يقبلها وقال : إنا قلت ما قلت لله  
 عز وجل ، ونصرة لائق ، وقياماً بحق رسول الله ﷺ في ذريته ، ولست أعتاض عن ذلك  
 بشيء . فأرسل إليه علي بن الحسين يقول : قد علم الله صدق نيتك في ذلك ، وأقسمت عليك بالله  
 لتقبلها ، فتقبلها منه ، ثم جعل يهجو هشاماً ، وكان مما قال فيه :

تحبسى بين اللدنة والقي  
 لآلها قلوب الناس تهوى منيها  
 بقلب رأساً لم يكن رأس سود  
 وعينين حولوين باد عيوبها  
 وقد روينا عن علي بن الحسين أن كان إذا مرق به الجنائز يقول هذين البيتين :  
 نراع إذا الجنائز أترقنا  
 وتلثم حين تمضى ذاهبات  
 كزوعة نلهم لفسار سبع  
 فلما غلب عادت رائحات

وروى الحافظ ابن عساكر من طريق محمد بن عبد الله القرني : حدثني سفيان بن عيينة ،  
عن الزهري قال : سمعت علي بن الحسين سيد العابدين يحاسب نفسه ، وينتجى ربه :  
يا نفس همام إلى الدنيا سكونك ، وإلى عمارتها ركونك ، أما عمرت من مضي من  
أسلافك ؟ ومن وارتته الأرض من ألافك ؟ ومن نجت به من إخوانك ؟ وقل إلى التري  
من أفرانك ؟ فهم في بطون الأرض بعد ظهورها ، محاسنهم فيها بوال دوائر

خلت دورهم منهم وأقوت هراسهم وساقنهم نحو للفلا المفاير  
وخلوا عن الدنيا وما جموا لها وضمنهم تحت اقتراب الحفاير

كم خربت أبدى اللون من قرون بعد قرون ، وكل غيبت الأرض ببلانها ، وغيبت في تراسها ،  
عن هانرت من صنوف وشيئتهم إلى الأماس<sup>(١)</sup> ، ثم رجعت [ عنهم إلى أهل الأفلان .

وأنت هل الدنيا مكسب مناس خطابها فيها حريض مكاث  
هل خطر تمشي وتصبح لاهيا أتدري بماذا لو عقلت تخاطر ؟  
وإن امرأ يسسى لدنياه دائيا ويذهل عن أخراه لاشك خاسر

غفام على الدنيا إنبالك ؟ وبشهورها اشتفالك ؟ وقد خطك القنير<sup>(٢)</sup> ، وأتاك القنير ،  
وأنت عما يراد بك ساه ، ولذة يومك وغدك لاه ، وقد رأيت انقلاب أهل الشهوات ، وعابنت  
ما حل بهم من المصيبات .

أبعد اقتراب الأربعين تربي وشيب قنال منذر لكابر  
كانك ممسقى بما هو ضائر لنفسك هذا وعن الرشد حائر  
انظر إلى الأمم الماضية ، وللولك القانية كيف اختلطتهم عقبان الأيام وواقم الحام ،  
فانجحت من الدنيا آثارهم ، وبقيت فيها أخبارهم ، وأضحو ربما في القرب ، إلى يوم  
الحشر والسآب .

امسحوا ربما في القرب وعطت مجالسهم منهم وأخلت مقاصر  
وحلوا بدار لا تراور فيهم وأنى لسكان القبور التراور  
فإن ترى لإقبوراً قد توتوا بها مسطحة تنسى عليها الأعمار  
كم من ذي منعة وسلطان ، وجنود وأعوان ، تمكن من دنياه ، ونال فيها ما تمناه ،  
وبنى فيها القصور والديساكر ، وجمع فيها الأموال والدفائر ، وملح السراري والحرائر .

فما صرفت كف اللية إذ أتت مبادرة تهوى إليه القناثر  
ولا دفت عنه الحصون التي بنى وحف بها أنهاره والدياكر  
ولا قارعت عنه النيسية جبلة ولا طامت في القرب عنه النساكر  
أنام من الله مالا يرد ، ونزل به من قضائه مالا يصد ، فقال الله للملك الجبار ، التكبير العزيز  
القهار ، قاهر الجبارين ، ومبيد المتكبرين ، الذي ذل أمزه كل سلطان ، وأباد بقوته كل ديان .  
مالك عزيز لا يرد قضائوه حكيم علم نافذ الأمر قاهر  
عني كل ذي عز لعزة وجهه فسكن من عزيز المهيمن صاغر  
لقد خضعت واسقست وتضاءلت لعزة ذي العرش اللوك الجبار  
فالبادر البدار ، والحذار الحذار ، من الدنيا ومكابدها ، وما نصبت لك من مصايدها ،  
ونحت لك من زينتها ، وأظهرت لك من بهجتها ، وأبرزت لك من شمواتها ، وأخفت منك  
من قوائنها وعلكتها .

وفي دون ما طابت من لجساتها إلى دنسها داع وبازهد أمر  
جند ولا تنفل وكن متيقظا فما قلبك يترك الدار عامر  
فشمر ولا تنسرق فمورك زائل وأنت إلى دار الإقامة صائر  
ولا تغلب الدنيا فإن نهسها وإن نلت منها غيبه لك ضائر  
فهل يحرص عليها أبيب ، أو يسر بها أرب ؟ وهو على ثقة من فنانها ، وغير طامع في بقائها ،  
أم كيف تنام ، بما من يحمي البيات <sup>(١)</sup> ، وتسكن نفس من توقع في جميع أموره للمات .  
ألا لا ولكنا نسرّ نفوسنا ونشغلنا الأذنان عما نحاذر  
وكيف يلد الميث من هو موقف ؟ وقف عدل يوم تبل السراير  
كأننا نرى أن لا نشور وأننا سدى مالنا بعد للمات مصادر  
وما عسى أن يبال صاحب الدنيا من لذتها ، ويتمتع به من بهجتها ، مع صنوف مجامتها ،  
وقوارع لجامتها ، بركرة عذابي في صايبها وفي طالبيها ، وما يباكيد من أسقامها وأوصابها <sup>(٢)</sup> ، وآلامها .  
أما قد ترى في كل يوم وليقة يروح علينا صرفها ويباكر  
تأوينا آلتها وهمومها ولم قد ترى يبقى لها التناور  
فلا هو مغبوط بدنياه آمن ولا هو عن ظلالها النفس قاصر  
كم قد غرت الدنيا من محاذ إليها ، وصرعت من مكيب عليها ، فلم تنمشه من عثرته ،  
ولم تنفذه من صرخته ، ولم تشفه من آله ، ولم تهره من سقمه ، ولم تخلصه من وصمه .

بل أوردته بعد عزمه ومثمة موارد سوء ما لهن مصادر <sup>(١)</sup>  
 فلما رأى أن لا نجاة وأنه هو اللوث لا ينجيه منه التعاذر  
 تندم إذ لم تكن عنه ندامة عليه وأبكته الذنوب الكبائر  
 إذا بكى على ما سلف من خطايه ، وتحسر على ما خلف من دنياه ، واستغفر حتى لا ينفعه  
 الاستغفار ، ولا ينجيه الاعتذار ، عند هول المية وتزول البلية .

أحاطت به أحزانه ومهمومه وأبلى لها أمجـزته القادر  
 فليس له من كربة اللوث فارج وليس له مما يحاذر ناصر  
 وقد جشأت خوف اللية بنفسه ترددها منه الآها والحناجر  
 هالك خف عواده ، وأسله أهله وأولاده ، وارتمت البرية بالمويل ، وقلم أسوا من اللليل  
 ففضوا بأيديهم عينيه ، ومد عند خروج روحه رجليه ، وتخلى عنه الصديق ، والعاصب الشقيق .  
 فكم موجع يبكي عليه مفرج ومستجد صبراً وما هو صابر  
 ومسترج دافع له الله مخلصاً بمدد منه كل ما هو ذاكر  
 وكـم شامت مستبشر بوفاته ومما قليل الذي صار صائر

فشقت حيوبها نساؤه ، وأطمت خدودها إمامؤه ، وأعولت فقدته جيرانه ، وتوجع لرزقته  
 إخوانه . ثم أقبلوا على جهازه ، وشتموا لإبرازه ، كأنه لم يكن بينهم العزيز اللقي ، ولا الحبيب البدي  
 وخلت أحب القوم كان بقره بحث على تجهيزه وبباهر  
 وشتم من قيد أحضره لنفسه ووجه لما فاض القبر حافر  
 وكفن في ثوبين واجتمعت له مشيمة إخوانه والعمائر  
 فلم رأيت الأصغر من أولاده ، وقد غاب الحزن على نواذه ، وبخشي من الجزع عليه ،  
 وخضبت المموع عينيّه ، وهو يتدب أباه ويقول : يا ويلاه ، وأحراه ا

المايت من قبح اللية منظرا بهال أسرته ورتاع ناظر  
 أكابر أولاد بهيج اكتشاهم إذا ما تناساه البنون الأصغار  
 ورثة نساء عليه جوازع مقامهم فوق الخلدود غوازر  
 ثم أخرج من سمة قصره ، إلى ضيق قبره ، فلما استقر في اللحد وهي عليه الابن ، احتوشته  
 أمهاله وأحاطت به خطاهه ، وضاق ذرعاً بما رآه ، ثم حثوا بأيديهم عليه القرب ، وأكثروا البكاء  
 عليه والانتحاب ، ثم وقفوا سامية عليه ، وأيسوا من النظر إليه ، وتركوه رهنا بما كسب وطلب .

(١) ما بين التوسين سقط من بس النسخ (٢) تجمت عنده . واحتشيت القبر علي فلان : جماله وسطهم .

فوتوا عليه مُؤاين وكلهم لئلا لقي أخوه محاذر  
كشاه رتاع آمنين بدا لها بعديته باذى القرامين حاسر  
فريت ولم ترتع قليلا وأجفلت فلما نأى عنها لقي هو جازر  
عادت إلى مرعاها ، ونسيت ما فى أختها دهاها ، أفيأصال الأنعام اقترينا ؟ أم على عادتنا جرينا ؟  
عد إلى ذكر المنقول إلى دار البلى ، واعتبر بموضه تحت الثرى ، للدنوع إلى هول ما ترى .  
توى مفرداً فى الخلد وتوزعت مواريثه أولاده والأصاهر  
وأخنو على أهواله يقسمونها فلا حامد منهم عليها وشاكر  
فيا حامر الدنيا وبيا ساعياً لها وبيا آمناً من أن تدور الهوائر  
كيف أمئت هذه الحالة ؟ وأنت صائر إليها لا محالة ؟ أم كيف ضيبت حياتك ؟ وهى عطيتك  
إلى غمانك ؟ أم كيف تشبع من طعامك وأنت منتظر حمامك ؟ أم كيف نهنا بالشبهوات ،  
وهى عطية الآفات ؟

ولم تنزود لرحيل وقد دنا وأنت على حال وشيك مسافر  
فوالف شقى كم أسوف توبى . وعمرى فان والردى لى ناظر  
وكل الذى أسألت فى الصحف مثبت يجازى عليه عادل الحكم قادر  
فكم ترفع بأخرك دنياك ، وتركب غيك وهواك ، أراك ضيف اليقين ، يا مؤثر الدنيا  
على الدين . أبهذا أمرك الرحمن ؟ أم على هذا نزل القرآن ؟ أما تذكر ما أمامك من شدة الحساب ،  
وشر المسأب ؟ أما تذكر حال من جمع ونمر ؟ ورفع البناء وزخرف وعمر ؟ أما صار جمهم  
بوراً ، ومساكنهم قبوراً !

تخرب ما يبق وتمصر فانيا فلا ذاك موفور ولا ذاك جامر  
وهل لك - إن وافاك - يفتك بفتة ولم تسكسب خيراً - لدى الله فأذر  
أرضى بأن تقى الحياة . وتنفضى وديك منقوص ومالك واقر  
وقد اختلف أهل التاريخ فى السنة التى توفى فيها على بن الحسين ، زين العابدين ؛ فالشهور  
عن الجمهور ، أنه توفى فى هذه السنة - أعنى سنة أربع وتسعين - فى أولها - عن ثمان وخسين سنة ،  
وصلى عليه بالقيع ، ودفن به ، قال القلاس : مات على بن الحسين ، وسيد بن السيب ، وعروة  
وأبو بكر بن عبد الرحمن - سنة أربع وتسعين ، وقال بعضهم : توفى سنة ثنتين أو ثلاث وتسعين ، وأغرب  
اللدائى فى قوله : إنه توفى سنة تسع وتسعين ، والله أعلم . انتهى ما ذكره المؤلف [من ترجمة على  
(١) الرتاع بالكسر : الذى تأكل وتترب ما تشاء فى خصب وسعة وبشرة .

ابن الحسين ، وقد رأيت له كلاما مغرقا ، وهو من جيد الحكمة ، فأحببت أن أذكره لعل الله أن ينفع به من وقف عليه .

قال حمص بن غثات ، عن حماد عن أبي جعفر عن علي بن الحسين قال : إن الجسد إذا لم يمرض أشبر وأطر ، ولا خير في حسد يأثير وبيطر . وقال أبو بكر بن الأنباري : حدثنا أحمد ابن الصلت ، حدثنا قاسم بن إبراهيم العلوي ، حدثنا أبي عن جعفر بن محمد عن أبيه قال : قال علي بن الحسين : فقد الأحبة غربة . وكان يقول : اللهم إني أعوذ بك أن تحسن في لواصع النيون علابتي ، وتفتيق في خفيات النيوب سريري ، اللهم كما أسأت وأحسنت إلي ، فإذا هدت فهد إلى اللهم ارزقني مواساة من فترت عليه رزقك بما وسمت علي من فضلك . وقال لابنه : يا بني اتخذ ثوبا لفاطمة ، فإن رأيت الذهب يقع على الشيء ، ثم يقع على الثوب ، ثم اتق به فقال : وما كان لرسول الله ﷺ وأصحابه إلا ثوب واحد ، فرفضه . وعن أبي حمزة الثمالي قال : أتيت باب علي ابن الحسين فسكرت أن أصوت ، فمعدت على الباب حتى خرج فسلمت عليه ودعوت له ، فرد علي السلام ودعاني ، ثم انتهى إلى حائط فقال : يا حمزة أترى هذا الحائط ؟ قلت : نعم قال : فإني انشكأت عليه يوما وأنا حزين ، فإذا رجل حسن الوجه حسن الثياب ينظر في تجاه وجهي ، ثم قال : يا علي بن الحسين ! مالي أراك كشيبيك حزينا على الدنيا ! فهي رزق حاضر يأخذ منها البر والفاقر . قلت : ما عليها أحرزن لأنها كما تقول : فقال علي الآخرة ؟ فهي وعد صادق ، يحكم فيها ملك قادر . فقلت : ما علي هذا أحرزن لأنه كما تقول . فقال : فملام حزنك ؟ قلت : ما أخوف من الفاقة . يعني فاقة ابن الزبير . فقال لي : يا علي ! هل رأيت أحدا سأل الله فلم يطمه ؟ قلت : لا قال : ويخاف الله فلم يكنه ؟ قلت : لا ! ثم غاب عني فقلت لي : يا علي ! إن هذا الغضير الذي جاءك ! لفظ الغضير مراد فيه من بعض الرواة .

وقال الطبراني : حدثنا محمد بن عبد الله الخضرى ، حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا جرير عن عمر بن حارث قال : لما مات علي بن الحسين فسلوه جمعا ينظرون إلى آثار عواد في ظهره . فقالوا : ما هذا ؟ قيل : كان يحمل خرب الدقيق ليلا على ظهره يطميه فقراء المدينة . وقال ابن عائشة : سمعت أهل المدينة يقولون : ما فقدنا صدقة السر حتى مات علي بن الحسين .

وروى عبد الله بن حنبل عن ابن إسحاق عن محمد بن بشر عن أبي التمهال الطائي ، أن علي ابن الحسين كان إذا ناول للسكين الصدقة قتله ثم ناوله . وقال الطبري : حدثنا يحيى بن زكريا النلابي ، حدثنا المتقي حدثني أبي قال : قال علي بن الحسين - وكان من أفضل بني هاشم الأربعة - يا بني اصبر على الذنائب ، ولا تقترض الحقوق ، ولا تتيب أخاك إلا في الأمر الذي مضته

عليك أكثر من منفعة لك. وروى الطبراني بإسناده عنه ، أنه كان جالساً في جماعة ، فسمع داعية في بيته ، فنهض فدخل منزله ، ثم رجع إلى مجلسه ، فقيل له : أين حدث كانت الداعية ؟ قال : نعم ! فمزوه وتمجدوا من صبره ، فقال : إنما أهل بيت نطيع الله عز وجل فيما يحبه ، ونحمده على ما نكبه . وروى الطبراني عنه قال : إذا كان يوم القيامة نادى مناد : ليقيم أهل الفضل ، فيقوم ناس من الناس فيقال لهم : انطلقوا إلى الجنة ، ففتلقاهم الملائكة فيقولون : إلى أين ؟ فيقولون : إلى الجنة . فيقولون قبل الحساب ؟ قالوا : نعم ! قالوا من أنتم ؟ قالوا : نحن أهل الفضل ، قالوا : وما كان فضلكم ؟ قالوا : كنا إذا جهل علينا حملنا ، وإذا غلبنا صبرنا ، وإذا أسيء إلينا غفرنا ، قالوا لهم : ادخلوا الجنة فنعلم أجر العاملين ثم ينادى مناد : ليقيم أهل الصبر ، فيقوم ناس من الناس ، فيقال لهم : انطلقوا إلى الجنة ، ففتلقاهم الملائكة فيقولون لهم مثل ذلك ، فيقولون : نحن أهل الصبر ، قالوا : فما كان صبركم ؟ قالوا : صبرنا أنفسنا على طاعة الله ، وصبرناهما عن معصية الله ، وصبرناهما على البلاء . فقالوا لهم : ادخلوا الجنة فنعلم أجر العاملين . ثم ينادى المنادى : ليقيم حيران الله في داره ! فيقوم ناس من الناس وهم قليل ، فيقال لهم : انطلقوا إلى الجنة ، ففتلقاهم الملائكة ، فيقولون لهم مثل ذلك ، فيقولون : سم استحققتهم مجاورة الله عز وجل في داره ؟ فيقولون : كنا نزاور في الله ، ونعجاس في الله ، ونقباض في الله عز وجل . فيقال لهم : ادخلوا الجنة فنعلم أجر العاملين .

وقال علي بن الحسين : إن الله يحب المؤمن الذنب التواب . وقال : التارك للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما أبد كتاب الله وراء ظهره ، إلا أن يبقى منهم تقاة . قالوا : وما تقاة ؟ قال : يخاف جباراً عنيداً أن يسطو عليه وأن يطمى . وقال رجل لسعيد بن المسيب : ما رأيت أحداً أودع من فلان فقال له سعيد : هل رأيت علي بن الحسين ؟ قال : لا ! قال : ما رأيت أودع منه . وروى سفيان بن عيينة عن الزهري قال : دخلت على علي بن الحسين فقال : يا زهري فيم كنتم ؟ قلت : كنا نتذاكر الصوم ، فأجعب رأيت وراى أصحابي على أنه ليس من الصوم شيء . واجب ، إلا شهر رمضان ، فقال : يا زهري ليس كما قلتم . الصوم على أربعين وجهاً ؛ عشرة منها واجب كوجوب شهر رمضان ، وعشرة منها حرام ، وأربع عشرة منها صاحبها بالخيار ، إن شاء صام ، وإن شاء أفطر ، وصوم النذر واجب ، وصوم الاحتكاف واجب قال الزهري : قلت : فسرهن يا ابن رسول الله ﷺ ، قال :

أما الواجب فصوم شهر رمضان ، وصوم شهرين متتابعين في قتل الخطأ لمن لم يجد العتق ، وصيام ثلاثة أيام كفارة اليمين لمن لم يجد الإطعام ، وصيام حلق الرأس ، وصوم دم اللثة لمن لم يجد الهدى ، وصوم جزاء الصيد ، يقوّم الصيد قيمته ثم يقسم ذلك الثمن على الخطة .



وأما الذي صاحبه بالغيار ؛ فصوم الاثنين والخميس ، وستة أيام من شوال بعد رمضان ، وصوم  
مرفة ، ويوم عاشوراء ، كل ذلك صاحبه بالغيار .

فأما صوم الإذن ، فالمرأة لا تصوم تطوعاً إلا بإذن زوجها ، وكذلك الدخول والأمة .

وأما صوم الحرام فصوم النطر والأضحية ، وأيام التشريق ، ويوم النكاح ، نهيًا أن يصومه  
لرمضان ، وصوم الوصال حرام ، وصوم الصمت حرام ، وصوم نذر للصية حرام ، وصوم الدهر ،  
وصوم الضيف لا يصوم تطوعاً إلا بإذن صاحبه ، قال رسول الله ﷺ : « من نزل على قوم فلا  
يصوم تطوعاً إلا بإذنهم » .

وأما صوم الإباحة فمن أكل أو شرب نسيًا أجزاء صومه ، وأما صوم المريض وللأسفل فقال  
قوم : يصوم ، وقال قوم لا يصوم ، وقال قوم : إن شاء صام وإن شاء أفطر ، وأما عن فنقول :  
يفطر في الحالين ، فإن صام في السفر وللرض فليته القضاء <sup>(١)</sup> .

### أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث

ابن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشي المدني ، أحد الفقهاء السبعة ، قيل :  
اسمه محمد ، ولقب : اسمه أبو بكر ، وكنيته أبو عبد الرحمن ، والصحيح أن اسمه وكنيته واحد ،  
وله من الأولاد والإخوة كثير ، وهو تابعي جليل . روى عن عمار وأبي هريرة وأسماء بنت  
أبي بكر وعائشة وأم سلمة وغيرهم ، وعنه جماعة منهم : بنوه - سلمة ، وعبد الله ، وعبد الملك ، وعمر ،  
ومولاه يحيى ، وعامر الشعبي ، وعمر بن عبد العزيز ، وعمر بن دينار ، ومجاهد ، والزهري . وله  
في خلافة عمر ، وكان يقال له : رابع قريش ؛ لكثرة صلاته ، وكان مكفوفاً ، وكان يصوم الدهر ،  
وكان من الثقة والأمانة والفتنة وحصة الرواية على جانب عظيم . قال أبو داود : وكان قد كتف ،  
وكان إذا سجد يضع يده في طست لثة كان يمدحها . والصحيح أنه مات في هذه السنة ، وقيل : في  
التي قبلها ، وقيل : في التي بعدها ، والله أعلم .

[ قات : ونظم بعض الشعراء بيتين ذكر فيهما الفقهاء السبعة فقال :

ألا كل من لا يقتدى بأئمة قسمته جراً عن الحق خارجه

نظم عبيد الله عمرو قاسم سيد أبو بكر سليمان خارجه

وفيها : توفي الفضل بن زياد الرقائسي - أحد زهاد أهل البصرة ، وله مناقب وفضائل كثيرة

(١) ما بين التوسيعين مثبت في بعض النسخ .

جداً ؛ قال : لا يلمينك الناس عن ذات غشك ؛ فإن الأمر يخلص إليك دوسهم ولا تقطع نهارك بكيك وكيت ، فإنه محفوظ عليك ما قلت . وقال : لم أر شيئاً أحسن طلباً ، ولا أسرع إدراكاً من حسنة حديثه فإني قد تم .

أبو سلمة أبو عبد الرحمن بن عوف الزهري ، كان أحد فقهاء المدينة ، وكان إماماً عالماً ، له روايات كثيرة من جماعة من الصحابة ، وكان واسع العلم - توفي بالمدينة .

عبد الرحمن بن عائد الأزدي ، له روايات كثيرة ، وكان عالماً ، وخلف كتباً كثيرة من علمه ، روى عن جماعة من الصحابة ، وأسر يوم وفاة ابن الأشعث فأطلقه المحتاج .

عبد الرحمن بن صاوية بن خزيمة ، قاضي مصر لعمر بن عبد العزيز بن مروان وصاحب شرطته ، كان عالماً فاضلاً روى الحديث وعنه جماعة [١] .

### ثم دخلت مئة خمس وتسعين

فيها : غزا العباس بن الوليد بلاد الروم ، وافتتح حصونا كثيرة . وفيها : فتح مسلمة بن عبد الملك مدينة في بلاد الروم ، ثم حرقها ثم بنى بها بعد ذلك بشار سنين . وفيها : افتتح محمد بن القاسم مدينة اللوليا [٢] من بلاد الهند ، وأخذ منها أموالاً جزيلة . وفيها قدم موسى بن نصير عن بلاد الأندلس إلى إفريقية ومعه الأموال على التجمل فحمل من كثرتها ، ومعه ثلاثون ألف رأس من البهي ، وفيها : غزا قتيبة بن مسلم بلاد الشام ، وفتح مدناً وأقاليم كثيرة ، فلما كان هناك جاءه الخبر بموت المحتاج بن يوسف فقمه ذلك ، ورجع بالناس إلى مدينة مرو ، وتمثل بقول بعض الشعراء [٣] :

لَمَرَى لِمَمِّ الْمَرْءِ مِنْ آلِ جُفَرٍ      بِمُتَوَرَّانِ أُمُوشٍ أَعْلَقَتْهُ الْهَبَائِلُ  
فَإِنْ نَحَى لَا أَمَلَ حَيَاتِي وَإِنْ نَحَتْ      فَا فِي حَيَاتِي بَعْدَ مَوْتِكَ طَائِلُ

وفيها : كتب الوليد إلى قتيبة بأن يسمر على ما هو عليه من مناجرة الأعداء ، ويده على ذلك ويحربه خيراً ، وبشئ عليه بما صنع من الجهاد ، وفتح البلاد وقتال أهل الكفر والفساد . وقد كان المحتاج استخلف على الصلاة ابنه عبد الله ، فولى الوليد الصلاة والحرب بالعمرين - الكوفة والبصرة - يزيد بن أبي كبشة ، وولى خراجهما يزيد بن أبي مسلم ، وقيل كان المحتاج يستغلهما على ذلك فأقرهما الوليد ، واستمر سائر نواب المحتاج على ما كانوا عليه . وكانت وفاة المحتاج خمس ، وقيل : ثلاث - يقين من رمضان ، وقيل مات في شوال من هذه السنة .

(١) ما بين القوسين مثبت في بعض النسخ (٢) قيل : لوليا - للثان .

(٣) الشعر المخطئ ، من أبيات طائفة خرج يريد علقته بن علامة بمروان ، فمات علقته قبل أن يصل إليه المخطئ .

وحج بالناس فيها - بشر بن الوليد بن عبد الملك ، قاله أبو معشر والوافدي . وفيها : قتل  
الوصاحي بأرض الروم ومعه ألف من أصحابه وفي هذه السنة كان مولد أبي جعفر للنصور - عبد الله  
ابن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس .

### وهذه ترجمة الحجاج بن يوسف الثقفي ، وذكر وفاته

هو الحجاج بن يوسف بن أبي عقيل بن مسعود بن عامر بن مُعْتَب بن مالك بن كعب بن عمرو  
ابن سعد بن عوف بن ثقيف ، وهو قسي بن منيب بن بكر بن هوازن - أبو محمد الثقفي ، سمع ابن  
عباس ، وروى عن أنس وصمرة بن جندب ، وعبد الملك بن مروان وأبي بردة بن أبي موسى ،  
وروى عنه أنس بن مالك ، وثابت البناني ، وحيد الطويل ، ومالك بن دينار ، وجواد بن مجاهد ،  
وقتيبة بن مسلم ، وسعيد بن أبي مروة . قاله ابن عساكر ، قال : وكانت له بدمشق دور منها دار  
الراوية بقرب قصر ابن أبي الحديد . وولاه عبد الملك الحجاز فقتل ابن الزبير ، ثم عزله عنها وولاه  
المراق . وقدم دمشق وانفذ على عبد الملك ، ثم روى من طريق الثوري بن مسلم سمعت أبي يقول :  
خطبنا الحجاج بن يوسف فذكر الثغر ، فما زال يقول : إنه بيت الوحدة ، وبيت القرية ، حتى بكى  
وأبكى من حوله ، ثم قال : سمعت أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان يقول : سمعت مروان يقول  
في خطبته : خطبنا عثمان بن عفان فقال في خطبته : « ما نظر رسول الله ﷺ إلى قبر أو ذكره  
إلا بكى » وهذا الحديث له شاهد في سنن أبي داود وغيره ، وساق من طريق أحمد بن عبد الجبار :  
تنايسر من جعفر بن مالك بن دينار قال : دخلت يوماً على الحجاج فقال لي : يا أبا يحيى !  
ألا أحدثك بحديث حسن عن رسول الله ﷺ ؟ قلت : بلى ! قال : حدثني أبو بردة عن  
أبي موسى . قال : قال رسول الله ﷺ : « من كانت له إلى الله حاجة فليدعُ بها في دُبر صلاة  
مفروسة » . وهذا الحديث له شاهد عن فضالة بن عبيد وغيره في السنن والسانيد ، والله أعلم .

قال الشافعي : سمعت من يذكر أن للتيرة بن شعبة دخل على امرأته وهي تتخلل - أي تخلل  
أسنانها لتخرج ما بينها من أذى - وكان ذلك في أول النهار ، فقال : والله لئن كدت يا كرت  
الفداء إنك لرعيئة<sup>(١)</sup> دنية ، وإن كان الذي تخللين منه شيء بقى فيك من الباردة ، إنك لتفردة  
فطلقها فقالت : والله ما كان شيء مما ذكرت ، ولكنني يا كرت ما تبارك الحرة من السواك ،  
فبقيت شظية في فمها فحاولتها لأخرجها . قال للتيرة ليوسف أبي الحجاج : تزوجها ، فإنها ظليمة  
بأن تأتي برجل يسود ، فتزوجها يوسف أبو الحجاج . قال الشافعي : فأخبرت أن أبا الحجاج  
لما بنى بها واقفا فنام فقيل له في النوم : ما أسرع ما اتعت بالخير .

قال ابن خلدكان : واسم أمه : الفارعة بنت هام بن مروة بن مسعود الثقفي ، وكان زوجها الحارث ابن كلفة - الثقفي - طبيب العرب ، وذكر عنه هذه الحكاية في السواك . وذكر صاحب العقد أن المجاج كان هو وأبوه يملكان النملان بالطائف ، ثم قدم دمشق ، فكان عند روح بن زنباع وزير عبد الملك ، فشكا عبد الملك إلى روح أن الجيش لا ينزلون لنزوله ، ولا يرحلون لرحيله ، فقال روح : عندي رجل توليه ذلك ، فولى عبد الملك المجاج أمر الجيش ، فكان لا يفتأ أحد في النزول ، الرجل ، حتى اجتاز إلى فسطاط رُوح بن زنباع ، ولم يأكلون فضر بهم وطوف بهم وأحرق الفسطاط ، فشكا رُوح ذلك إلى عبد الملك ، فقال للمجاج : لم صنعت هذا ؟ فقال : لم أفعله إنما فعله أنت ! فإن يدى بك ، وسوطى سوطك ، وما شرك إذا أعطيت رُوحاً فسطاطين بدل فسطاطه ، وبذل الغلام غلامين ، ولا تكسرى في احدى وليتقى ؟ ففعل ذلك ، وتقدم المجاج عنده .

قال : وبني واسط في سنة أربع وثمانين ، وفرغ منها في سنة ست وثمانين <sup>(١)</sup> ، وقيل : قبل ذلك . قال : وفي أيامه تطلت للصاحف ، وذكر في حكمائه ما يدل أنه كان أولاً يسمى كليباً ، ثم سمى المجاج . وذكر أنه ولد ولا يخرج <sup>(٢)</sup> له حتى تنق له مخرج ، وأنه لم يرتضع إماماً حتى سقوه دم جدي ، ثم دم صالح <sup>(٣)</sup> ولطخ وجهه بدمه فارتضع . وكانت فيه شهامة وحسب لشك الهماء ، لأنه أول ما ارتضع ذلك الدم لطخ به وجهه . ويقال : إن أمه هي التمنية لأم عمر بن حجاج بن علاط <sup>(٤)</sup> ، وقيل : لأنها أم أبيه والله أعلم . وكانت فيه شهامة عظيمة ، وفي سيفه دهن ، وكان كثير قتل النفوس التي حرمها الله بأذى شبهة ، وكان ينضب غضب اللوك ، وكان - فيما يزعم - يشبه بزياد ابن أبيه ، وكان زياد يشبه بسر بن الخطاب فيما يزعم أيضاً ، ولا سواء ولا قريب . وقد ذكر ابن عساكر في ترجمة سليم بن عاز التميمي قاضي مصر ، وكان من كبار القابيين ، وكان ممن شهد خطبة عمر بن الخطاب بالجابية ، وكان من الزهادة والعبادة على جانب عظيم ، فكان يحتم القرآن في كل ليلة ثلاث ختات في الصلاة وغيرها .

وللقصود أن المجاج كان مع أبيه في جامعا ، فاجتاز بها سليم بن عاز هذا ، فذه من إليه أبو المجاج فلم عليه ، وقال له : إني ذاهب إلى أمير المؤمنين ، فهل من حاجة لك عندي ؟

(١) اسمها واسط ، لأنها بين البصرة والكوفة . (٢) أي لا دير له .

(٣) السالح : الأسود من الجيات .

(٤) وقد سمها سيدنا عمر وهي تنشد في خدوها أثناء طوافه بالبلدية :

هل من سيل إلى خير فأشربها أم من سيل إلى شر ينصر بن حجاج

قال : نعم ! تسأله أن يعزى عن التواء . فقال : سبحان الله ! والله لا أعلم قاضيا اليوم خيرا منك . ثم رجع إلى ابنه المجاج ، فقال له ابنه : يا أبت أخوتك إلى رجل من نجيب وأنت تقف ؟ فقال له : يا بني ، والله إنى لأحسب أن الناس يرحون بهذا وأمثاله . فقال : والله ما على أمير المؤمنين أضر من هذا وأمثاله ، قال : ولم يا بني ؟ قال : لأن هذا وأمثاله يجمع الناس إليهم فيعدهونهم عن سيرة أبي بكر وعمر ، فيحقر الناس سيرة أمير المؤمنين ، ولا يرونها شيئا عند سيرتهما فيعلمونه ويحرجون عليه ويبغضونه ، ولا يرون طاعته ، والله لو خلس لي من الأمر شيء لأخبرن عنى هذا وأمثاله . فقال له أبوه : يا بني ، والله إنى لأظن أن الله عز وجل خلقك شقيقا . وهذا يدل على أن أباء كان ذا وجهة عند الخليفة ، وأنه كان ذا فراسة صحيحة ، فإنه نفرس في ابنه ما آل إليه أمره بعد ذلك .

قالوا : وكان مولد المجاج في سنة تسع وثلاثين ، وقيل : في سنة أربعين ، وقيل : في سنة إحدى وأربعين ، ثم نشأ شابا ليبيبا ، ضيحا بليبا ، حافظا للقرآن . قال بعض السلف : كان المجاج يقرأ القرآن كل ليلة . وقال أبو عمرو بن العلاء : ما رأيت أنصح منه ، ومن الحسن البصري . وكان الحسن أنصح منه .

وقال الهارطى : ذكر سليمان بن أبي منيع ، من صالح بن سليمان قال : قال عقبة بن عمرو : ما رأيت مقول الناس إلا قريبا ، بعضها من بعض ، إلا المجاج ، وإس بن معاوية ؛ فإن مقولها كانت ترجع على مقول الناس .

وتقدم أن عبد الله - لما قتل مصعب بن الزبير سنة ثلاث وسبعين - بث المجاج إلى أخيه عبد الله بمكة ، فحاصره بها ، وأقام الناس الحاج عامضا ، ولم يتمكن ومن معه من الطواف بالبيت ، ولا تمكن لبن الزبير ومن عنده من الوقوف ، ولم يزل محاصره ، حتى ظفر به في جمادى سنة ثلاث وسبعين ، ثم استنابه عبد الله على مكة ولادينة وطلائف واليمن ، ثم قتله إلى العراق بعد موت أخيه بشر ، فدخل الكوفة كما ذكرنا ، وقال لهم ، وفعل بهم ما تقدم إرادته مفصلا ، فأقام بين ظهرانيهم عشرين سنة كاملة ، وفتح فيها فتوحات كثيرة ، هائلة منتشرة ، حتى وصلت خيوله إلى بلاد الهند والسند ، ففتح فيها عدة مدن وأقاليم ، ووصلت خيوله أيضا إلى قريب من بلاد الصين ، وجرت له فصول قد ذكرناها .

ومن نورد هنا أشياء أشر مما وقع له من الأمور والجرأة والإقدام ، والتهلوف في الأمور العظام ، مما يندح على منته ، وما يذم بقوله وفعله ، مما سألته الحافظ ابن عساكر وغيره .

فروى أبو بكر بن أبي خنينة ، عن يحيى بن أيوب ، عن عبد الله بن كثير بن أخى إسماعيل بن جعفر الدينى ، ما منته : أن المجاج بن يوسف صلى مرة بمجنب سميد بن السيب - وذلك قبل أن يلى شيئاً - فجعل يرتفع قبل الإمام ، ويقع قبله فى اللجود ، فلما سلم أخذ سميد بطرف رداءه - وكان له ذكر يقول - بعد الصلاة - فما زال المجاج يتنازعه رداءه حتى قضى سميد ذكره ، ثم أقبل عليه سميد ، فقال له : يا سارق يا خائن ، تصلى هذه الصلاة ، لقد همت أن أضرب بهذا النعل وجبهك . فلم يرد عليه ، ثم مضى المجاج إلى الحج ، ثم رجع فعاد إلى الشام ، ثم جاء نائباً على المجاز . فلما قتل ابن الزبير كثر راجعاً إلى المدينة نائباً عليها ، فلما دخل المسجد إذا مجلس سميد بن السيب ، فقصدته المجاج ، فغشى الناس على سميد منه ، فجاء حتى جلس بين يديه ، فقال له : أنت صاحب الكلمات ؟ فضرب سميد صدره بيده وقال : نعم . قال : فبورك الله من معلم ومؤدب خيراً ، ما صليت بعدك صلاة إلا وأنا أذكر قولك ، ثم قام ومضى .

وروى الرئاسى عن الأصمى ، وأبى زيد ، عن ماذ بن الدلاء - أخى أبى عمرو بن العلاء - قال : لما قتل المجاج ابن الزبير ارتجت مكة بالكلاء ، فأمر الناس ، فجاءوا إلى المسجد ، ثم صعد المنبر ، فقال - بعد حمد الله ولثناؤه عليه - : يا أهل مكة ! يلبنى لكباركم قتل ابن الزبير ، ألا وإن ابن الزبير كان من خيار هذه الأمة ، حتى رغب فى الخلافة ، ونافذ فيها أهلها ، فزع طاعة الله ، واستكن بحرم الله ، ولو كان شئ مانع البصاة لمنت آدم حرمة الله ، إن الله خلقه بيده ، ونفخ فيه من روحه ، وأسجد له ملائكته ، وأباح له كرامته ، وأسكنه جنته ، فلما أخطأ أخرجه من الجنة بخطيئته ، وأدم أكرم هل الله من ابن الزبير ، والجنة أعظم حرمة من الكعبة ، اذكروا الله يذكركم .

وقال الإمام أحمد : حدثنا إسحاق بن يوسف ، ثنا عون ، عن أبى الصديق التاجى ، أن المجاج دخل على أسماء بنت أبى بكر - بعد ما قتل ابنها عبد الله - فقال : إن ابنتك الحدف فى هذا البيت ، وإن الله أذاقه من عذاب ألم ، وفعل . فقالت : كذبت ، كان برأى بالديه ، صواماً قواماً ، والله لقد أخبرنا رسول الله ﷺ أنه يخرج من تقيف كذايان : الآخر منهما شر من الأول ، وهو مؤبر .

ورواه أبو بلى ، عن وهب بن بنية ، عن خالد ، عن عون ، عن أبى الصديق ، قال : يلبنى ابن المجاج دخل على أسماء ، فذكر مثله .

وقال أبو بلى : ثنا زهير ، ثنا جوير ، عن يزيد بن أبى زياد ، عن قيس بن الأحنف ، عن أسماء بنت أبى بكر قالت : سمعت رسول الله ﷺ نهى من الأئمة . وسمعت يقول :

« يخرج من ثقيف رجلان : كذاب ، ومُبِير » . قالت : قلت للحجاج : أما الكذاب فقد رأيتناه ، وأما المبير فأنت هو يا حجاج .

وقال عبيد بن حديد : أنبا يزيد بن هارون ، أنبا العوام بن حوشب ، عذيق من سمع أسماء بنت أبي بكر الصديق تقول للحجاج - حين دخل عليها بعزها في ابنها - : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يخرج من ثقيف رجلان : مُبِير ، وكذاب » . فأما الكذاب فابن أبي عبيد - تني الخنار - ، وأما المبير فأنت . ومقدم في صحيح مسلم من وجه آخر أوردناه عند مقتل ابنها عبد الله ، وقد رواه غير أسماء عن النبي ﷺ ، فقال أبو بلى : ثنا أحمد بن عمر الوكيبي ، ثنا وكيع ، حدثنا أم عراب ، عن امرأة يقال لها : عقيلة ، عن سلامة بنت الحر قالت : قال رسول الله ﷺ : « في ثقيف كذاب ومُبِير » . تفرد به أبو بلى .

وقد روى الإمام أحمد ، عن وكيع ، عن أم عراب - واسمها طلعة - عن عقيلة ، عن سلامة حديثاً آخر في الصلاة ، وأخرجه أبو داود ، وابن ماجه . وروى من حديث ابن عمر ، فقال أبو بلى : ثنا أمية بن بسطام ، ثنا يزيد بن ربيع ، ثنا إسرائيل ، ثنا عبد الله بن عصة قال : سمعت ابن عمر « أنبأنا رسول الله ﷺ أن في ثقيف : مبيراً وكذاباً » . وأخرجه الترمذي من حديث شريك ، عن عبد الله بن عامر ، ويقال : عصة ، وقال : حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث شريك .

وقال الشافعي : ثنا مسلم بن خالد عن ابن جريج ، عن نافع ، أن ابن عمر اعتزل ليال قتال ابن الزبير والحجاج بنى ، فكان لا يعلو مع الحجاج . وقال الثوري عن محمد بن المنكدر ، عن جابر ، أنه دخل على الحجاج فلم يسل عليه ، ولم يكن يصل وراءه . وقال إسحاق بن راهويه : أنبا جرير ، عن القمطاع بن الصلت قال : خطب الحجاج فقال : « إن ابن الزبير غير كذاب الله ، فقال ابن عمر : ما سلطه الله على ذلك ، ولا أنت منه ، ولو شئت أقول : كذبت لقلت . وروى عن شهر بن حوشب وغيره ، أن الحجاج أطل الخطبة ، فجلس ابن عمر يقول : الصلاة ، الصلاة - . ورا ، ثم قام ، فأتم الصلاة ، فقام الناس ، فصل الحجاج بالناس ، فلما انصرف قال لابن عمر : ما حركك على ذلك ؟ فقال : إنما نجي . الصلاة فصل الصلاة لوقتها ، ثم تفقق<sup>(١)</sup> ما شئت بعد ذلك من تفققه .

(١) أى : تنح الكلام وقتل ما نشاء . ورجل تيق اللسان : فصيح حديثه . وصل تيق : حديد الشفرتين .

وقال الأعمى : سمعت ممي يقول : يلقي أن الحجاج لك قرغ من ابن الزبير ، وقدم المدينة لقي شيعة خارجاً من المدينة ، فسأله عن حال أهل المدينة ، فقال : بشرٌ حال ، قتل ابن حواري رسول الله ﷺ ، قال الحجاج : ومن قتله ؟ فقال : القاجر الأمين الحجاج ، عليه لعن الله ونهلكه ، من قليل الراقية لله . فنضب الحجاج غضباً شديداً ، ثم قال : أيها الشيخ ! أنصرف الحجاج إذا رأيته ؟ قال : نعم ! فلا عرفه الله خيراً ولا وفاه ضرراً . فكشف الحجاج عن لثامه وقال : ستعلم أيها الشيخ الآن إذا سال دمك الساحة . فلما تحقق الشيخ الجد قال : والله إن هذا لمو العجب يا حجاج ، لو كنت تعرفني ما قلت هذه المقالة ، أنا العباس بن أبي داود ، أسرع كل يوم خمس مرات ، قال الحجاج : انطلق فلا شق الله الأبعد من جنونه ولا ماله .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الصمد ، ثنا حماد بن سلمة ، عن ابن أبي رافع ، عن مبيد الله بن جعفر ، قال قاله بن يزيد بن معاوية لمبيد الله : أتدركه من ذلك ؟ فقال : وما بأس من ذلك . قال : أشد الناس والله ، قال : كيف ؟ قال : والله يا أبا هريرة المؤمنين لقد ذهب ما في صدري على آل الزبير منذ تزوجت<sup>(١)</sup> . وملة بنت الزبير . قال : وكأنه كان ناعماً فأيقظه ، فكسب إلى الحجاج يرمي عليه بطلائها ، فطاعها .

وقال سعيد بن أبي عروبة : حج الحجاج مرة ، فرأى بين مكة والمدينة ، فأبى بنذاته ، فقال لحاجبه : انظر من يأكل ممي ، فذهب فإذا أعرابي نائم ، فغربه برجله وقال : أجب الأمر ، فقام فلما دخل على الحجاج قال له : اغسل يديك ثم تندم ممي ، فقال : إنه دعاني من هو خير منك ، قال : ومن ؟ قال : الله دعاني إلى الصوم فأجبت ، قال : في هذا الحر الشديد ؟ قال : نعم سمعت ليوم هو أشد حرّاً منه ، قال : فأفطر وصم غداً ، قال : إن ضمنت لي البقاء لند ، قال : ليس ذلك لي ، قال : فكيف نسألي عاجلاً بأجل لا تقدر عليه ؟ قال : إن طامنا طعام طيب ، قال : لم تعطيه أنت ولا الطبايع ، إنما عطيتهم العافية .

### فصل

قد ذكرنا كيفية دخول الحجاج الكوفة في سنة خمس وسبعين ، وخطبته لإمام ينفذ ، وتهديده ووعده الإمام ، وأنهم خافوه مخافة شديدة ، وأنه قتل عمر بن ضابط ، وكذلك قتل كيل بن زيد صبراً . ثم كان من أمره في قتال ابن الأشعث ما قلنا ، ثم تسلط مل من كان معه من الرؤساء والأمراء والقبائل والقرناء ، حتى كان آخر من قتل منهم - سعيد بن جبيرة .

(١) كذا بالأصل ، والظاهر أن في مواضع من هذا الخبر تحريفاً وحذفاً ولم نشره على مرجع .



قال القاضي الملقى زكريا : ثنا أحمد بن محمد بن سعد السكلي ، ثنا محمد بن زكريا اللؤلؤي ثنا محمد -  
يعني ابن عبد الله بن عباس - عن عطاء - يعني ابن مصعب - عن عاصم قال : خطب الحجاج أهل  
العراق بعد دير الحجاج ، فقال : يا أهل العراق إن الشيطان قد استبطنكم <sup>(١)</sup> غاطل الأحم والدم ،  
والامصب والسامع ، والأطراف ، ثم أفضى إلى الإسماع والإسماع ، والأشباح والأرواح ، ثم رجع فمشى ،  
ثم باض وفرخ ، ثم دب ودرج ، فحشاكم فحشا ، وشقاكم ، وأشمركم حلافا ، اتخذوه دليلا تتبعوه  
وفاثداً تطيعونه ، ومؤثنا تشاورونه وتستأثرونه ، فكيف تنفمكم تجربة ، أو ينفعكم بيان ؟ ألسنم  
أصاحي بالأهواز حيث منيتم السكر واجتمعتم على القدر ، وانفتم على السكر ، وظننتم أن الله يحفل  
دبته وخلافته ، وإنا والله أرميكم بطرق وأنتم تقتلون فرثا ، وتهمزون سراعا . وبوم الزاوية  
وما بوم الزاوية ، مما كان من فسلكم وتنازعكم ونخاذاكم وبراءة الله منكم ، ونكوس قلوبكم  
لأن وأنتم كالإبل الشاردة عن أوطانها الذوازع ، لا يسأل الله منكم عن أخيه ، ولا يلوى الشيخ  
على بنيه ، حين عضكم السلاح ، ومختمكم <sup>(٢)</sup> الرماح . وبوم دير الحجاج وما بوم دير الحجاج ،  
بها كانت المارك والملاحم ، بضرب يزبل الهام من مقيله ، وبذهل الخليل من خيله .

يا أهل العراق يا أهل السكران بعد النجيران ، والندران بعد الخذلان ، والنزوة بعد  
الزوات ، إن بمنناكم إلى ثغوركم غلتم وختم ، وإن أمنتم أرجفتم ، وإن ختمنا فتم ،  
لأنكم نعمة ، ولا تشكرون مرموفا ، ما استغفركم ناكث ، ولا استغفواكم غار ،  
ولا استغفركم ناص ، ولا استغفركم ظالم ، ولا استغفركم خالغ - إلا لبيتم دعوته ، وأجبتهم  
صيحته ، ونفرتهم إلى خفاء وتقالا ، وفرسانا ورجالا يا أهل العراق أهل شغب شارب ، أو نمب  
ناهب ، أو زفر زافر - إلا كنتم أتباعه وأنصاره ؟ يا أهل العراق ألم تنفمكم لواءكم ؟ ألم تجرركم  
الوقائع ؟ ألم يشدد الله عليكم وطأته ، وبذقكم حر سيفه ، وأليم بأهه ومثلاته ؟ . ثم التفت إلى  
أهل الشام فقال : يا أهل الشام إنما ألد لكم كالفيل المرامح من فراخه يعني عنها القنبر ، ويباعد  
عنها الحجر ، ويكنثها من الطار ، ويحببها من الضباب ، ويحرسها من القباب . يا أهل الشام أأنتم  
الجنة والأرد ، وأنتم الملاة والجدة ، أنتم الأولياء والأنصار ، والشمار والذئار ، بكم يذب من  
البيضة والحوزة ، وبكم ترمي كتاب الأعداء ويهزم من عائد وتولي .

قال ابن أبي الدنيا : حدثني محمد بن الحسين ، حدثنا عبيد الله بن محمد التيمي ، سمعت شيئا  
من قريش - بكى أبا بكر التيمي قال : كان الحجاج يقول في خطبته - وكان لينا - إن الله خلق آدم

وذريته من الأرض ، فأشام على ظهرها ، فأكلوا ثمارها وشربوا أنهارها وحتكوها بالساحي<sup>(١)</sup> والورور ، ثم أдал الله الأرض منهم ، فردم إليها ، فأكلت لحومهم ، كما أكلوا ثمارها ، وشربت دماهم ، كما شربوا أنهارها ، وقطعتهم في جوفها وفرت أوصالهم ، كما حتكوها بالساحي والورور .

وعارواه غير واحد من المجاع أنه قال في خطبته في المواعظ : الرجل وكلكم ذلك الرجل ، رجل خلع نفسه وزمها ، فتأدها بخطاياها إلى طاعة الله ، وكفها بزمامها عن معاصي الله ، رحم الله امرأ رد نفسه ، امرأ اتهم نفسه ، امرأ اتخذ نفسه مدوة ، امرأ حاسب نفسه قبل أن يكون الحسب إلى غيره ، امرأ نظر إلى ميزانه ، امرأ نظر إلى حسابه ، امرأ وزن عمله ، امرأ فسكر نبيأ بقرأ غدا في صحيفته وبراه في ميزانه ، وكان مدد قلبه زاجرا ، وعند جهه أمرأ . امرأ أخذ ببنان عمله كما يأخذ ببنان جهه ؛ فإن قاده إلى طاعة الله تبعه ، وإن قاده إلى معصية الله كف ، امرأ عقل من الله أمره ، امرأ قال واستفاق ، وأبغض للمعاصي والنفق ، وكان إلى ما عند الله بالأشواق .

فأزال يقول : امرأ - امرأ ، حتى يكي مالك بن دينار .

١ وقال اللدائي عن هرواة بن الحسك قال : قل للشمي : سمعت المجاع تكلم بكلام ما سبقه إليه أحد ، يقول : أما بعد ! فإن الله تعالى كتب على الدنيا الفناء ، وعلى الآخرة البقاء ، فلا فناء لما كتب عليه البقاء ، ولا بقاء لما كتب عليه الفناء ، فلا يفرنكم شاهد الدنيا عن غائب الآخرة ، واقهرها طول الأمد بقصر الأجل<sup>(٢)</sup> .

وقال اللدائي ، عن أبي عبد الله التقي ، عن حمه ، قال : سمعت الحسن البصري يقول : وقد نفي كفة سميتها من المجاع ، سمته يقول على هذه الأعواد : إن امرأ ذهبت ساعة من عمره في غير ما خلق له - لحري أن تطول عليها حسرتة إلى يوم القيامة .

وقال شريك القاضي ، عن عبد الملك بن حمير قال : قال المجاع يوما : من كان له بلاء أعطيانه على قدره ، فقام رجل فقال : أعطني فإنني قتلت الحسين ، فقال : وكيف قتله ؟ قال : دسرت<sup>(٣)</sup> بالرمح دسرا ، وهبته بالسيف هبرا ، وما أشركت معي في قتله أحدا . قال : اذهب فوالله لا تجتمع أنت وهو في موضع واحد ، ولم يسطه شيئا .

(١) الساحي : جمع مسحاة ، وهي ما يسحق ويحرق به ، والسحق : قشر الشيء وجرفه .

(٢) ما بين القوسين غير مثبت في بعض النسخ .

(٣) الدسر : التطن والتلف . والمبر : القطع . والمبرة : النقطة من اللحم لا عظم فيها .

وقال الميثم بن عدي : جاء رجل إلى المجاج فقال : إن أخي خرج مع ابن الأشعث ، ف ضرب على اسمي في الديوان ومنعت العطاء وقد هُذمت داري ، فقال المجاج : أما سمعت قول الشاعر :

حنانيك من تجني حليك وقد تمدى الصالح مبارك الجرب  
ولرب مأخوذ بذنب قريبه ونجا للعارف صاحب القرب

فقال الرجل : أيها الأمير ! إلى سمعت الله يقول غير هذا ، وقول الله أصدق من هذا ، قال : وما قال ؟ قال : ( غَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبَا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَسَكَانَةً إِنَّا نُرَاكَ مِنَ الْمُعْذَرِينَ ، قَالَ تَمَازُ اللَّهُ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا نَاعَةً عِنْدَهُ إِنَّا إِذًا لَنَاقِلُونَ <sup>(١)</sup> ) ، قال : يا غلام ، أمد اسمي في الديوان ، وابن داره ، وأعطه عطاءه ، ومُر مناديا ينادي : صدق الله وكذب الشاعر .

وقال الميثم بن عدي ، عن ابن عباس : كتب عبد الملك إلى المجاج أن ابث إلى رأس أسلم بن عبد البكرى : لما باقى منه ، فأحضره المجاج ، فقال : أيها الأمير ! أنت الشاهد ، وأمير المؤمنين الغائب ، وقال الله تعالى : ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ جَاءَكُمْ فَارِقٌ بِبَيِّنَاتٍ فَيَقِيئُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْحَبُوا عَلَى مَا قَلَّمْتُمْ نَادِمِينَ <sup>(٢)</sup> ) ، وما بلته باطل ، وإلى أمول أربعة وعشرين امرأة ما هن كاسب غيري ، وهن بالباب ، فأمر المجاج بإحضارهن ، فلما حضرن جعلت هذه تقول : أنا خاتمه ، وهذه أنا محته ، وهذه أنا أخته ، وهذه أنا زوجته ، وهذه أنا ابنته ، وتقدمت إليه جارية فوق الثمان ودون المئنة ، فقال لها المجاج : من أنت ؟ فقالت : أنا ابنته ، ثم قالت : أصالح الله الأمير ، وجئت على رجليها وقالت :

أحجاج لم تشهد مقام بنياته وعمانه يَذْبُذِبُهُ الْهَيْلُ أَجْمَا  
أحجاج كم تقتل به إن قتلته ثمانا وعشرا واثنين وأربعا  
أحجاج من هذا يقوم مقامه علينا ، فهل إن تردنا تضعفنا  
أحجاج إما أن تجود بنصمة علينا وإما أن تقتلنا دما

قال : فسكى المجاج وقال : والله لا أعنت عليك ولا أزيدكن تضعفنا ، ثم كتب إلى عبد الملك بما قال الرجل ، وبما قالت ابنته هذه ، فكعب عبد الملك إلى المجاج بأمره بإطلاقه وحسن صلته ، وبالإحسان إلى هذه الجارية ، وتفقدها في كل وقت .

وقيل : إن المجاج خطب يوما فقال : أيها الناس ! الصبر عن محارم الله أيسر من الصبر على

عذاب الله . فقام إليه رجل قال له : ويحك يا حجاج ! ما أصفوك وجهك وأقل حياتك ! تفعل ما تفعل وتقول مثل هذا الكلام ؟ حيث وضعت سميك ، فقال للحرس : خذوه ، فلما فرغ من خطبته قال له : ما الذي جرأك علي ؟ فقال : ويحك يا حجاج ! أنت تجترى على الله ، ولا أجترى أنا عليك ، ومن أنت حتى لا أجترى عليك ، وأنت تجترى على الله رب العالمين ؟ فقال : خلوا سبيله ، فأطلق .

وقال للدائني . أتى الحجاج بأربعين من أصحاب ابن الأشعث ، فأمر بقتلها ، فقال أحدهما : إن لي عندك بدا ، قال : وما هي ؟ قال : ذكر ابن الأشعث يوماً أمك ، فردت عليه ، فقال : ومن يشهد لك ؟ قال : صاحبي هذا أفضأه ، فقل : نعم ! فقال : ما مديك أن تفعل كما فعل ؟ قال : بنضك ، قال : أطلقوا هذا الصده ، وهذا لعله ، فأطلقوه .

وذكر محمد بن زياد ، عن ابن الأعرابي - فيما بابه - أنه كان رجلاً من بني حنيفة يقال له : جعفر بن مالك ، وكان فاتكاً بأرض اليمامة ، فأرسل الحجاج إلى نائبها يؤكّبه ويلومه على عدم أخذه ، فما زال نائبها في طلبه حتى أسره ، وبعث به إلى الحجاج ، فقال له الحجاج : ما حاكك على ما كنت تصنعه ؟ قال : جراءة الجنان ، وجفاء السلطان ، وكذب الزمان ، ولو اختبرني الأمير لوجدني من صالح الأخوان ، وشهم القربان ، ولوجدني من أصلح رعيته ؛ وذلك أني ما لقيت فارساً قط إلا كنت عليه في نفسى متندراً ، فقال له الحجاج : إنا قاذفوك في حائر<sup>(١)</sup> فيه أسد عاقراً ، فإن قتلتك كفنا مؤنتك ، وإن قتلته خلبنا سبيلك . ثم أودعه السجن مقيداً ، مغلولاً يده اليمنى إلى عنقه ، وكتب الحجاج إلى نائبه بكخشكر - أن يبعث له بأسد عظيم ضار ، وقد قال جعفر هذا في محبسه هذا أشماراً يتحزن فيها على أمراته سليبي أم عمر ، ويقول في بعضها :

أليس الليل يجمع لم عمرو وإنا فذاك بنا تداني  
بلى وترى لللال كما تراه ويلوها النهار إذا علاني  
إذا جاوزتما مخلات نجد وأودية اليمامة فائمياني  
وقولا جعفر أمسي رهينا يحاذر وقع مصقول يمياني

فلما قدم الأسد على الحجاج أمر به فجوع ثلاثة أيام ، ثم أُرِز إلى حائر - وهو البستان - وأمر بجعفر ، فأخرج في قيوده ويده اليمنى مغلولاً مجالماً ، وأعطى سيقاً في يده اليسرى وخلي بينه وبين الأسد ، وجلس الحجاج وأصحابه في منظرته ، وأقبل جعفر نحو الأسد وهو يقول :

ليث وليث في محال ضحك كلاما ذو ألف ومحك  
 وشدة في نفسه وفكك إن يكشف الله قناع الشك  
 • فهو أحق منزل بترك •

فلما نظر إليه الأسد زار، زارة شديدة، وتغلب وأقبل نحوه، فلما صار منه على قدر رمح  
 وثب الأسد على جعدر وثبة شديدة، فتلقاه جعدر بالسيف، فغربه ضربة خالط ذهاب السيف  
 لحواته، فخر الأسد كأنه خيمة قد صرعتها الريح من شدة الضربة، وسقط جعدر من شدة وثبة  
 الأسد، وشدة موضع القيود عايه، فذكر الجعاج، وكبر أصحابه، وأشار جعدر بقول:

يا جل ليلك لو رأيت كريبتي في يوم هول مدف وبجاج  
 وتقضى ليلت أرسف موثقا كيا أساوره على الإخراج  
 شئ رائنـــــه كأن نبوه زرق للماول أو شاة زجاج  
 بسمو بناظرئين تحسب فيهما لها أحدهما شمع سراج  
 وكأنما خبط عليه عبادة رقاد أو خرقا من الديباج  
 لعلت أنى ذو حفاظ ماجد من نسل أقوام ذوى أبراج

فصند ذلك خبره الجعاج إن شاء أقام عنده، وإن شاء انطلق إلى بلاده، فاختر اللقار عند  
 الجعاج، فأحسن جائزته، وأعطاه أموالا. وانكر يوما أن يكون الحسين من ذرية رسول الله  
 ﷺ، لأنه ابن بنته، فقال له يحيى بن يعمر: كذبت! فقال الجعاج: لقائيني على ما قلت بيينة  
 من كتاب الله، أو لأخرن عنقك، قال: قال الله: (وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ) إلى قوله:  
 (وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَبِشْرَىٰ) (١)، فبيد من ذرية إبراهيم، وهو لما ينسب إلى أمه مريم،  
 والحسين ابن بنت رسول الله ﷺ. فقال الجعاج: صدقت، وغدا إلى خرامان.

وقد كان الجعاج سمع فصاحته وبلاغته. يلحن في حروف من القرآن أنكرها يحيى بن يعمر؛  
 منها: أنه كان يبذل إن للسكورة بأن للفتوحة ومكته، وكان يقرأ: (قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ  
 وَأَبْنَاؤُكُمْ) إلى قوله: (أَحَبُّ إِلَيْكُمْ) (٢)، فيقرأها برفع أحب.

وقال الأنصبي وغيره: كتب عبد الملك إلى الجعاج يسأله عن أسس واليوم وغد، فقال  
 للرسول: أكان خربد بن يزيد بن معاوية عنده؟ قال: نعم! فكذب الجعاج إلى عبد الملك:  
 أما أسس فأجل، وأما اليوم فمثل، وأما غدا فأمثل.

وقال ابن دريد، عن أبي حاتم السجستاني، عن أبي عبيدة معمر بن النخعي قال: لما قتل

(١) من الآيتين: ٨٣ و ٨٤ من سورة الأنعام. (٢) من الآية: ٢٤ من سورة التوبة.

المهاجج ابن الأشمث وصفت له العراق - وشع على الناس في المطاء ، فكتب إليه عبد الملك :  
أما بعد ؛ فقد بلغ أمير المؤمنين ، أنك تنفق في اليوم مالا ينفقه أمير المؤمنين في الأسبوع ، وتنفق  
في الأسبوع مالا ينفقه أمير المؤمنين في الشهر ، ثم قال مفشداً :

عليك بقوى الله في الأمر كله . وكن يا عبيد الله تخشى وتفرح  
ووفر خراج السلطن وفيام . وكن لهم حصناً نجبر ونمنع  
فكتب إليه المهاجج :

لمرى لقد جاء الرسول بكتبكم  
كتاب اتاني فيه لهن وغلظة  
وكانت أمور تسترني كثيرة  
إذا كنت سوطاً من عذاب ملهم  
أرضي بذلك الناس أو يخطونه  
وكان بلاد جثتها حين جثتها  
ففاست منها ما علت ولم أزل  
وكم أوجفوا من رجة قد سمعتها  
وكنت إذا هموا بإحدى نهايتهم  
فلم يزد عنى صناديد منهم  
قراطيس تملأ ثم تطوى قطيع  
وذكرت والذكرى لدى الباب تنفع  
فأرضخ أو أعتدل حيناً فأمنع  
ولم يك عيني بالمنازع مطمع  
أم احمد فيهم أم الام فأفزع  
بها كل نيران الدماء تلغ  
أصارح حتى كنت بالوت أصرع  
ولو كان غيري طار مما يروع  
حسرت لهم رأسى ولا ألتنع  
تقسم أعضائى ذئاب وأصبح

قال : فكتب إليه عبد الملك : أن اعمل برأيك . وقال الثوري عن محمد بن السطور الجعفي  
قال : أتى المهاجج ببارق ، فقال له : لقد كنت غنياً أن تكسب جنابة ، فيؤتى بك إلى الحاكم  
فيبطل عليك مضمواً من أعضائك . فقال الرجل : إذا قل ذات اليد سحت النفس بالمتانف .  
قال : صدقت ؛ والله لو كان حسن اعتدأر سطل حداً لكنت له موصفاً ، يا غلام سيف صارم  
ورجل قاطع ، قطع يده .

وقال أبو بكر بن مجاهد ، عن محمد بن الجهم ، عن الفرء قال : تذى المهاجج يوماً مع الوليد بن  
عبد الملك . فلما انتهى غداؤهما دعا الوليد إلى شرب العيد<sup>(١)</sup> ، فقال : يا أمير المؤمنين ، الحلال

(١) ما يسمى في هذا العصر نبيذاً هو الخمر الخنص ، وهو غير ما كان يسمى سلقنا نبيذاً . والنبيذ  
عندهم هو التمر أو الزبيب يترك عليه الماء ، ويسقونه بعد ذلك نبيذاً ، سواء أسكر أو لم يسكر ،  
وفي كتابنا الحديث فإنه أشبه بصير القصب اليوم إن لم يكن دونه .

ما أحلت ، ولكن أنهى عنه أهل المراق وأهل على ، وأكره أن أخالف قول العبد الصالح  
( وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ )<sup>(١)</sup> . وقال عمر بن شبة عن أشياخه : كسب  
عبد الله إلى المجاع يمتد عليه في إسرافه في صرف الأموال ، وسفك الدماء ، ويقول : إنما للمال  
مال الله ونحن خزائنه ، وسين منع حق أو إعطاء باطل ، وكسب في أسفل الكتاب هذه الأبيات :

إذا أنت لم تترك أموراً كرهتها      وتطلب رضى في الذي أنا طالبه  
وتغشى الذي يخشاه مثلك هارباً      إلى الله منه ضيع الله حاله  
فإن تر منى غفلة قرشية      فياربما قد غصن باله شاربه  
وإن تر منى وثيمة أموية      فهذا وهذا كله أنا صاحبه  
فلا تمد ما يأتيك منى فإن تمد      تدم لأعلن يوماً خليك نواده

فلما قرأه المجاع كتب : أما بعد ، فقد جاهدت كتاب أمير المؤمنين يذكر فيه سرف في  
الأموال ، والدماء ، فوافقه ما بالفت في عقوبة أهل المصيبة ، ولا قضيت حق أهل الطاعة ، فإن كان  
ذلك سرفاً فليهد لي أمير المؤمنين حداً أنهى إلي ، ولا أعجوزه . وكسب في أسفل الكتاب :

إذا أنا لم أطلب رضاك وأتقى      أذاك فيوى لا توارث كواكبه  
إذا لارف المجاع فيك خطيئة      ضامت عليه في الصباح نواده  
أسلم من سالت من ذى هوادة      ومن لا تساله فإني محاربه  
فن يلقى يوى ويرجو إذا غدى      على ما أرى والدهر جهم مجانبه

وعن الشامي أنه قال : قال الوليد بن عبد الملك للنازب ربيعة ، أن يسأل المجاع فيما بينه  
وربيته : هل يجد في نفسه مما أصاب من الدنيا شيئاً ؟ فسأله كما أمره ، فقال : والله ما أحب أن لي  
لبنان أو سبير ذهباً إنفقه في سبيل الله ، مكان ما أبلاني الله من الطاعة ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

### فصل في ما روى عنه من الكلمات النافعة والجرأة البالغة

قال أبو داود : ثنا محمد بن السلاء ، ثنا أبو بكر عن ماسم قال : سمعت المجاع وهو على  
المنبر يقول : اتقوا الله ما استطعتم ، ليس فيها مثنوية ، واسمعو وأطيعوا ليس فيها مثنوية  
لأمير المؤمنين عبد الله ، والله لو أمرت الناس أن يخرجوا من باب المسجد ، فخرجوا من باب آخر  
لحلت لي دماؤهم وأموالهم ، والله لو أخذت ربيعة بمضر لكان ذلك لي من الله حلالاً ،  
وما عذيري من عبداً هذيل يزعم أن قرأته من عند الله ، والله ما هي إلا رجز من رجز الأعراب

(١) من الآية : ٨٨ من سورة هود . والسيد الصالح هو : سيدنا شعيب عليه السلام .

ما أنزلها الله على نبيه ﷺ وعذري من هذه الجراء ، يزعم آدم يرمى بالحجر فيقول لى : إن يقع الحجر حدث أمر ، فوالله لأدمنهم كالأس الدابر . قال : فذكرته الأعمش فقال : وأنا والله سمعته منه . ورواه أبو بكر بن أبي خزيمة عن محمد بن يزيد ، عن أبي بكر بن عياش عن عاصم بن أبى النجود والأعمش ، أهما سمعا الحجاج - قبيح الله - يقول ذلك ، وفيه : والله لو أمرتكم أن تخرجوا من هذا الباب فخرجتم من هذا الباب لخلت لى دماؤكم ، ولا أجد أحدا يقرأ على قراءة ابن أم عبد إلا ضربت عنقه ، ولأحكمتها من المصحف ولو بضع خنزير . ورواه غير واحد عن أبي بكر بن عياش بنحوه ، وفي بعض الروايات : والله لو أدركت عبد هذيل لأضرب عنقه . وهذا من جرأة الحجاج - قبيح الله - وإقدامه على الكلام السيئ ، والدعاء الحرام . وإنما ضم على قراءة ابن مسعود - رضى الله عنه ، لكونه خالف القراءة على المصحف الإمام الذى جمع الناس عليه عثمان ، وظاهر أن ابن مسعود رجح إلى قول عثمان وموافقيه ، والله أعلم .

وقال على بن عبد الله بن بشر ، عن عباس الدوري عن مسلم بن إبراهيم : ثنا الصلت بن دينار سمعت الحجاج على منبر واسط يقول : عبد الله بن مسعود رأس المنافقين ، لو أدركته لأسقيت الأرض من دمه . قال : وسميته على منبر واسط وتلا هذه الآية ( وَهَبْ لِي مَلَكًا لَا يُنْفِئُنِي لِأَحَدٍ مِنْ بَنِي )<sup>(١)</sup> قال : والله إن كان سليمان لحسوداً . وهذه جرأة عظيمة تنقض به لى السكر - قبيح الله وأخزاه ، وأبده وأقصاه .

قال أبو نعيم : حدثنا الأعمش عن إبراهيم عن علقمة قال : جاء رجل إلى عمر بن الخطاب فقال : إني جئت من عند رجل على الأصاحف من ظهر قلب ، ففزع عمر وغضب وقال : وبمك ! انظر ما تقول ، قال : ما جئتك إلا بالحق ، قال : من هو ؟ قال : عبد الله بن مسعود . قال : ما أعلم أحداً أحق بذلك منه ، وسأحدثك من ذلك . « إنا سمعنا ليله فى بيت عند أبي بكر فى بعض ما يكون من حاجة النبي ﷺ ثم خرجنا ورسول الله ﷺ يحضى حتى وبين أبي بكر ، فلما اتينا إلى المسجد إذا رجل يقرأ ، فقام النبي ﷺ يستمع إليه ، فقلت : يا رسول الله أعمت ، ففمضى يديه - بنى أسكت - قال : فقرأ وركع وسجد وجلس يدعو ويستغفر ، فقال النبي ﷺ : سل قطه<sup>(٢)</sup> ، ثم قال : من سره أن يقرأ القرآن طلياً كما أنزل ، فليقرأ قراءة ابن أم عبد ، فقلت أنا وصاحبي - أنه عبد الله بن مسعود - فلما أصبحت غدوت إليه لأبشره فقال : سبقك بها أبو بكر ، وما سابقته إلى خير قط إلا سبقنى إليه .



وهذا الحديث قد روى من طرق ؛ فرواه حبيب بن حسان ، عن زيد بن وهب عن عمر مثله ورواه شعبة وزهير وخديج عن أبي إسحاق ، عن أبي عبيدة عن عبيد الله ، ورواه حاصم عن عبد الله . ورواه الثوري وزائدة عن الأعمش نحوه . وقال أبو داود : حدثنا عمر بن ثابت عن أبي إسحاق عن حير بن مالك قال سمعت عبد الله بن مسعود يقول : « أخذت من في رسول الله ﷺ سبعين سورة ، وإن زيد بن ثابت لعسى مع الصبيان ، فأما لا أدع ما أخذت من في رسول الله ﷺ » . وقد رواه الثوري وإسرائيل عن أبي إسحاق به . وفي رواية ذكرها الطبراني عنه قال : « لقد تلقيت من في رسول الله ﷺ سبعين سورة أحكمتها قبل أن يسلم زيد ابن ثابت ، وله ذؤابة يلعب مع الغلمان » . وقد روى أبو داود عنه ، وذكر قصة رعيه النعم لعقبة ابن أبي معيط ، وأنه قال : قال في رسول الله ﷺ : « إنك غلام ممل » . قال : فأنفذت من فيه سبعين سورة بما ينازعني فيها أحد . ورواه أبو أيوب الأفرقي ، وأبو حوالة عن حاصم عن زر عنه نحوه . وقال له النبي ﷺ : « إني أن ترفع الحجاب ، وأن تسمع سوادى <sup>(١)</sup> حتى أهلك » . وقد روى هذا عنه من طرق .

وروى الطبراني عن عبد الله بن شداد بن الحاد ، أن عبد الله كان صاحب الوساد والسواد والسواك والتملين ، وروى غيره عن علقمة قال : قدمت الشام ، فجلست إلى أبي الهرداء فقال لي : عن أنت ؟ قلت : من أهل الكوفة ، فقال : أليس فيكم صاحب الوساد والسواك ؟ وقال الحارث ابن أبي أسامة : حدثنا عبد العزيز بن أبان ، حدثنا قطر بن خليفة ، حدثنا أبو وائل قال : سمعت حذيفة يقول ، وإن مسعود قائم : لقد علم المخزومون من أصحاب محمد ﷺ ، من أقربهم وسيلة يوم القيامة . وقد روى هذا عن حذيفة من طرق ؛ فرواه شعبة عن أبي إسحاق عن أبي وائل من حذيفة ، ورواه عن أبي وائل - فاضل الأحذب ، وجامع بن أبي راشد ، وعبيدة ، وأبو سنان الشيباني وحكيم بن جبير . ورواه عبد الرحمن بن يزيد عن حذيفة .

وقال أبو داود الطيالسي : حدثنا شعبة عن أبي إسحاق قال : سمعت عبد الرحمن بن زيد يقول : قلنا لحذيفة : أخبرنا برجل قريب الهدى والسنت من رسول الله ﷺ حتى نلزمه ، فقال : ما أعلم أحداً أقرب هدياً وسمتاً من رسول الله ﷺ حتى يواريه جدار بيته - من أين أم عبد ، ولقد علم المخزومون من أصحاب النبي ﷺ أن ابن أم عبد أقربهم إلى الله وسية . قلت : فهذا حذيفة بن اليمان صاحب سر رسول الله ﷺ ، وهذا قوله في عبد الله بن مسعود - رضى الله عنه ، فسكتب الحجاج وخبر ، وتقم النار والحجر قياً بقوله فيه ، وفي رمية له بالنفاق ، وفي قوله عن

(١) أى شخصي : والسواد - ومن التلب حبه .

قراءته : إنها شمر من شمر هذيل ، وإنه لا بد أن يحكمها من المصعق ولو بضلع خنزير ، وإنه لو أدركه اضرب عنقه ، فحصل على إثم ذلك كله بفيته الخبيثة . وقال عفان : حدثنا حماد حدثنا حاصم عن زر عن عبد الله قال : كنت أجتني رسول الله ﷺ سواك من أراك ، فكفنت الزرع تمكفوه ، وكان في ساه دقة ، فضحك القوم ، فقال النبي ﷺ : « ما بضحككم ؟ قالوا : من دقة ساهيه ، فقال النبي ﷺ : والذي نفسي بيده لما أنقل في الميزان من أحد » . ورواه جرير وعمل بن حاصم عن ميرة عن أم موسى عن علي بن أبي طالب . وروى سفة بن كهيل عن أبي الزعراء عن ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : « تمسكوا بهد عبد الله بن أم مسعود » . ورواه الترمذي والطبراني

وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة عن أبي إسحاق قال : سمعت أبا الأحوص قال : شهدت أبا موسى وأبا مسعود حين توفي ابن مسعود ، وأحدهما يقول لصاحبه : أنزاه ترك بعده مثله ؟ قال : إن فات ذلك إنه كان ليؤذن له إذا حجبتنا ، ويشهد إذا غبتنا . وقال الأعشى : يفتي عبد الله بن مسعود . وقال أبو معاوية : حدثنا الأعشى عن زبد بن وهب قال : أقبل عبد الله بن مسعود ذات يوم وعمر جالس ، قال : كيف ملي . قفها . وقال عمر بن حفص : حدثنا عاصم بن علي ، حدثنا السموذي عن أبي حصين عن أبي عطية ، أن أبا موسى الأشعري قال : لا تسألونا عن شيء ما دام هذا الخبر بين أظهرنا من أصحاب محمد ﷺ - يعني ابن مسعود - وروى جرير عن الأعشى عن عمرو بن حروة ، عن أبي الليثي قال : قالوا لعل : حدثنا عن أصحاب محمد ﷺ ، قال : عن أيهم ؟ قالوا : حدثنا عن ابن مسعود . قال : علم القرآن والسنة ثم انتهى ، وكفى بذلك علما . وفي رواية عن علي قال : علم القرآن ، ثم وقف عنده وكفى به . مهدتنا الضحابة المالمون به ، المارفون بما كان عليه ، فهم أولى بالاتباع وأصدق أقوالا من أصحاب الأهواء الخائذين عن الحق ؛ بل أقوال المجاج وغيره من أهل الأهواء - هذيات وكذب وافتراء ، وبضها كفر وزندقة ، فإن المجاج كان غنايا أمويا ، يميل إليهم ميلا عظيما . ويرى أن خلافهم كفر . ويستعمل بذلك الدماء ، ولا تأخذ في ذلك لومة لائم <sup>(١)</sup> .

ومن اللطائف أيضا ما رواه أبو داود ، ثنا إسحاق بن إسماعيل الطالقاني ، ثنا جرير وحدثنا زهير بن حرب ثنا جرير عن الفقرة عن بزيع بن خالد الضبي قال : سمعت المجاج يحط فقال في خطبته : رسول أحدكم في حاجته أكرم عليه أم حليفته في أهله ؟ قلت في نفسي : قد علم أن

(١) ما بين القوسين سقط من بعض النسخ .

لا أصل خلفك صلاة أبداً ، وإن وجدت قوماً مجاهدونك لأجاهدنك معهم . زاد إسحاق : فقاتل في الجاهم حتى قتل . فلن صرح هذا عنه ، فظاهره كغيره إن أراد تفضيل منصب الخلافة على الرسالة ، أو أراد أن الخليفة من بني أمية أفضل من الرسول وقال الأصمعي : ثنا أبو عاصم النبيل ، ثنا أبو حفص الثقفى قال : خطب الحجاج يوماً ، فأقبل عن يمينه فقال : ألا إن الحجاج كافر ، ثم أطرق فقال : إن الحجاج كافر ، ثم أطرق فأقبل عن يساره فقال : ألا إن الحجاج كافر ، فعل ذلك مراراً ، ثم قال : كافر يا أهل العراق باللات والأزرى . وقال حنبل بن إسحاق : ثنا هارون ابن معروف ، ثنا زبيرة ثنا ابن شاذب عن مالك بن دينار قال : بلغنا الحجاج يخطبنا يوماً إذا قال : الحجاج كافر ، قلنا ماله ؟ أى شيء ؟ يزيد ؟ قال الحجاج : كافر بيوم الأربعاء والبنية والشبهاء . وقال الأصمعي : قال عبد الملك يوماً للحجاج : ما من أحد إلا وهو يعرف عيب نفسه ، نصف عيب نفسك ، فقال : احضرنى يا أمير المؤمنين ، فأبى ، فقال : أنا بلوج حدود حدود ، فقال عبد الملك : ما في الشيطان شر ما ذكرت . وفي رواية أنه قال : إذا بينك وبين إبليس نسب .

وبالجملة فقد كان الحجاج قسمة على أهل العراق ، بما سلف لهم من الذنوب والخروج على الأئمة وخذلانهم لهم ، وعصيانهم ، ومخالفتهم ، والافتقار عليهم . قال يعقوب بن سفيان : حدثنا أبو صالح عبد الله بن صالح ، حدثني معاوية بن صالح عن شريح بن عبيد عن حدثه قال : جاء رجل إلى عمر بن الخطاب ، فأخبره أن أهل العراق حصبوا أميرهم ، فخرج غضبان ، فصلّى لنا صلاة فصحها فيها ، حتى جعل الناس يقولون : سبحان الله ! سبحان الله ! قلنا سلم أقبل على الناس فقال : من همنا من أهل الشام ؟ فقام رجل ، ثم قام آخر ، ثم قلت أنا ثالثاً أو رابعاً ، فقال : يا أهل الشام استعدوا لأهل العراق ، فإن الشيطان قد باض فيهم وفرغ ، اللهم إنهم قد نسوا عليهم ، فأبى عليهم وجعل عليهم بالعلام الثقفى ، يحكم فيهم بحكم الجاهلية ، لا يقبل من محسنهم ، ولا يجاوز عن ميسرهم . وقد روينا في كتاب مسند عمر بن الخطاب ، من طريق أبي عدة ، لمجى ، عن عمر مثله . وقال عبد الرزاق : ثنا جعفر بن سليمان ، عن مالك بن دينار عن الحسن ، قال حلى بن أبى طالب : اللهم كما اتهمتم ثقاتي ، ونصحت لهم فندشوى . فسلط عليهم فقتل قتيل القتل ليال ، يأكل خضرتها ، ويلبس فروتها ، ويحكم فيها بحكم الجاهلية . قال : يقول الحسن وما خلق الحجاج يومئذ . ورواه مسند بن سليمان ، عن أبيه عن أيوب عن مالك بن أنس بن الحذثان ، عن حلى أنه قال : الشاب القidal أمير للمرين يلبس فروتها ويأكل خضرتها ، ويقتل أشراف أهلها ، يشهد منه القرق ، ويكثر منه الأرق ، ويساطه الله على شيمته .

وقال الحافظ البيهقي في دلائل النبوة : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، ثنا أبو العباس محمد

ابن أحمد الجبلي ، ثنا سعيد بن مسعود ، ثنا يزيد بن هارون ، أنبا العوام بن حوشب ، حدثني حبيب بن أبي ثابت قال : قال علي بن رجل : لآنت حتى تدرك فتى تقيف ، قال : وما فتى تقيف ؟ قال : ليغان له يوم القيامة : اكفنا زاوية من زوايا جهنم ، رجل يلك عشرين سنة ، أو صمًا وعشرين سنة ، لا يدع لله معصية إلا ارتكبها ؛ حتى لو لم يبق إلا معصية واحدة ، وكان بينه وبينها باب مغلق - لكسره حتى يرتكبها ، يقتل بمن أطاعه من معاصه . وقال الطائري : حدثنا القاسم بن زكريا ، ثنا إسماعيل بن موسى السدوسي ، ثنا علي بن مسهر عن الأجلح ، عن الشعبي عن أم حكيم بنت عمر بن سنان الجذلية قالت : استأذن الأشمث بن قيس بن عيسى على علي بن فزارة فادى الله ، فخرج على فقال : مالك وله يا أشمث ؟ أما والله لو بعدت تقيف فخرشت لاقتشرت شعيرات استك قيل له : يا أمير المؤمنين ومن بعد تقيف ؟ قال : غلام يلهم لأبني أهل بيت من العرب إلا ألبسهم ذلاً ، قيل : كم يلك ؟ قال : عشرين إن بلغ

وقال البيهقي : أنبأنا الحسن بن الحسن بن محبوب ، ثنا أبو حاتم الرازي ، ثنا عبد الله بن يوسف القنسي ، ثنا ابن يحيى القاني قال : قال عمر بن عبد العزيز : لو تخابثت الأمم لمخات كل أمة تخيبتها ، وجئنا بالحجاج لنلبثنا . وقل أبو بكر بن ميثاق : عن حاتم بن أبي السجود أنه قال : ما بقيت لله عز وجل حرمة إلا وقد ارتكبها الحجاج .

وقد تقدم الحديث [ إن في تقيف كذاها ومبيرا ] وكان الخناب هو الكذاب المذكور في هذا الحديث ، وقد كان يظهر الرفض أولا ويبطن الكفر الخفي . وأما الليث فهو الحجاج بن يوسف هذا ، وقد كان ناصبيا ينفذ عليا وشيخته في هوى آل مروان بن أمية ، وكان جبارا عنيدا ، مقدما على سفك الدماء بأذى شهية . وقد روى عنه ألفاظ بشعة شنيعة ظاهرها الكفر كما قدمنا فإن كان قد ناب عنها وأمع عنها ، وإلا فم باق في عهدتها ، ولكن قد يخشى أنها رويت عنه بنوع من زيادة عليه ، فإن الشبهة كانوا ينفذونه جدا لوجوده ، وربما حرفوا عليه بمص الكلم . وزادوا فيما يحكونه عنه بشاعات وشعاعات .

وقد روينا عنه أنه كان يتدين بترك السكر ، وكان يكثر تلاوة القرآن ، ويتعصب للملحمة ، ولم يشهر عنه شيء من التطلع بالفرج ، وإن كان مقسرا في سفك الدماء ، فله تعالى أعلم بالصواب وحقائق الأمور وسائر ما ، وخفيات الصدور وضائرها .

[ قلت : الحجاج أعظم ما قم عليه ، وصح من أضافه - سفك الدماء وكفى به مقوبة عند الله عز وجل ، وقد كان حريصا على الجهاد وفتح البلاد ، وكان فيه سمحة بإعطاء المال لأهل القرآن ، فكان يعطى على القرآن كثيرا ، ولما مات لم يترك فيها قيل إلا ثمانية دراهم ، والله أعلم ] (١) .

وقال الماعني بن زكريا الجري - المعروف بـ ابن طرار البغدادي : ثنا محمد بن القاسم الأنباري ، ثنا أبي ، ثنا أحمد بن عبيد ، ثنا هشام أبو محمد بن السائب الكاهي ، ثنا عوانة بن الحكم الكاهي قال : دخل أنس بن مالك على الحجاج بن يوسف ، فلما وقف بين يديه قال له : إيه إيه يا أبيس يوم لك مع علي ، ويوم لك مع ابن الزبير ، ويوم لك مع ابن الأشعث ، والله لأستأصنأك ، كما تستأصل الشاة ، ولأؤدغك كما تدغ الصخرة . فقال أنس : إياي يبقى الأمير - أصلحه الله ؟ قال : إياك أمي - ملك الله سمك . قال أنس : إنا لله وإنا إليه راجعون ، والله لولا الصبية الصغار ما بليت أمة قبيلة قتلت ، ولا أمة ميتة ، ثم خرج من عند الحجاج ، فكتب إلى عبد الله بن مروان يخبره بما قال له الحجاج ، فلما قرأ عبد الله كتاب أنس استشاط غضبا ، وشققهما ، وتناظلم ذلك من الحجاج ، وكان كتاب أنس إلى عبد الله :

بسم الله الرحمن الرحيم . إلى عبد الله بن مروان أمير المؤمنين ، من أنس بن مالك أما بعد : فإن الحجاج قال لي قبحاً ، وأسلمني نكراً ، ولم أكن ذلك أهلاً ، فغذلي على يديه ، فإني أمت بخدمتي رسول الله ﷺ وصحبي إياه ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته . فبعت عبد الله إسماعيل بن عبيد الله بن أبي الهاجر - وكان معاداة الحجاج - فقال له : ذلك كتابي حدين غذهباً واركب البريد إلى العراق ، وأبدأ بأنس بن مالك صاحب رسول الله ﷺ ، فارغب كتابي إليه ، وأبلغه مني السلام ، وقل له : يا أبا حمزة قد كتبت إلى الحجاج للمون كتاباً إذا قرأه كان أطوع لك من أمتك ، وكان كقاب عبد الله إلى أنس بن مالك :

بسم الله الرحمن الرحيم . من عبد الله بن مروان إلى أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ ، أما بعد : فقد قرأت كتابك ، وفهمت ما ذكرت من شكايك الحجاج ، وما سألته عليك ، ولا أمرته بالإساءة إليك ، فإن عادلتيها أكتب إليّ ذلك ؛ أنزل به عقوبتي . ومحسن لك معوقتي ، والسلام فلما قرأ أنس كتاب أمير المؤمنين : وأخبر برسالته ، قال : جزى الله أمير المؤمنين عني خيراً ، وعافاه وكفاه ، وكافاه بالحق ، فهذا كان ظفريه والرحاء منه . فقال إسماعيل بن عبد الله لأنس : يا أبا حمزة ! إن الحجاج عامل أمير المؤمنين ، وليس بك عنه غنى ، ولا بأهل بيتك ، ولو حمل لك في جامعة ثم دفع إليك ، فقاربه وداره تمس معه بخير وسلام . فقال أنس : أقبل إن شاء الله . ثم خرج إسماعيل من عند أنس ، فدخل على الحجاج ، فقال الحجاج : مرحباً برجل أحبه وكنت أحب لقاءه . فقال لإسماعيل : أنا والله كنت أحب لقاءك في غير ما أتيتك به ، فتغير لون الحجاج ، وخاف وقال : ما أتيتك به ؟ قال : فارقت أمير المؤمنين ، وهو أشد الناس غضباً عليك ، ومنك بدا . قال : فاستوى الحجاج جالساً مرومياً ، فرمى إليه إسماعيل

بالطومار ، فجعل المجاج ينظر فيه مرة ويرى ، وينتار إلى إسماعيل أخرى ، فلما خضع قال :  
قم بنا إلى أي حزة ننتذر إليه ونترصاه ، فقال له إسماعيل : لا تعجل ! قال : كيف لا أجعل  
وقد أتيتني بأبدة ؟ وكان في الطومار :

بسم الله الرحمن الرحيم ، من أمير المؤمنين عبد الله بن مروان إلى المجاج بن يوسف ،  
أما بعد ! فإنيك عبد كملت بك الأمور ، فسموت فيها وعدوت طورك ، وجاوزت قدرك ،  
وركبت داهية إذ ، وأردت أن تبدولي ، فإن - وغتكتها مضيت قدما ، وإن لم أسوغها رجعت  
التمزني ، فقلت الله من عبد أخفى العيين ، منقوص الجاعرتين <sup>(١)</sup> . أنسيت مكاسب آياتك  
بالطائف ، وحفرم الآبار ، وقلمم المصنوع على ظهورهم في المناهل ، يا ابن السقرمة <sup>(٢)</sup> بيجم الزبيب ،  
والله لأغفرنك غم الأيت الثملب ، والصقر الأرنب . وثبت على رجل من أصحاب رسول الله ﷺ  
بين أظهرنا ، فلم تقبل له إحسانه ، ولم تتجاوز له عن إساءته ، جراءة منك على الرب عز وجل ،  
واستخفافا منك بالهدى ، والله لو أن اليهود والنصارى رأيت رجلا خدام عزيز بن عزي ، وعيسى  
ابن مريم - لتعلمته وشربته وأكرمته وأحبته ، بل لو رأوا من خدام حمار العزيز ، أو خدام  
حواري المسيح - لتعلموه وأكرموه ، فكيف وهذا أنس بن مالك خدام رسول الله ﷺ  
ثماني سنين ، بطاعة على سره ، وبشاوره في أمره ، ثم هو مع هذا بقية من بقايا أصحابه ،  
فإذا قرأت كتابي هذا فكأن أطوع له من خفقه ونهله ، وإلا أنك متى سهم بكل حشف قاض ،  
ولسكل نبأ مستقر وسوف تعلمون . وقد تكلم ابن طرار على ما وقع في هذا الكتاب من  
الغريب ، وكذلك ابن قتيبة وغيرهما من أئمة اللغة ، والله أعلم .

وقال الإمام أحمد : ثنا عبد الرحمن بن مهدي ، عن سفيان ، عن الزبير - بنى ابن عدي -  
قال : أتينا أنس بن مالك ( شكوا إليه ما نلقى من المجاج ، فقال : اصبروا فإنه لا يأتي عليكم  
عام أو زمان أو يوم - إلا والذي بيده شر منه ، حتى تلقوا ربكم عز وجل ، سمعته من نبيكم  
ﷺ » وهذا رواه البخاري ، عن محمد بن يوسف ، عن سفيان - وهو الثوري - عن الزبير  
ابن عدي ، عن أنس قال : « لا يأتي عليكم زمان إلا والذي بيده شر منه » الحديث .

قلت : ومن الناس من يروى هذا الحديث بالفتح فيقول : كل عام تُرذَّلون <sup>(٣)</sup> . وهذا لا يلفظ  
لا أصل له ، وإنما هو مأخوذ من معنى هذا الحديث ، والله أعلم .

(١) الجاعرة : الإسته - أو حلقة الدبر . (٢) سبق شرحه في ص ١٠٣ من هذا الجزء

(٣) الأرذل : اللبون الخسيس ، أو الرذية من كل شيء ، وأرذل السر : أسوأه .

قلت : قد مر في مرة من كلام عائشة مرفوعاً وموقوفاً : كل يوم تُرْذَلُونَ . ورويت الإمام أحمد كلاماً قال فيه : وروى في الحديث كل يوم تُرْذَلُونَ نساً خبيثاً . فيحتل هذا . وقع الإمام أحمد مرفوعاً . ومثل أحد لا يقول هذا إلا عن أصل ، وقد روى عن الحسن . مثل ذلك ، والله أعلم . فدل على أن له أصلاً ؛ إما مرفوعاً ، وإما من كلام السلف ، لم يزل يتناوله الناس قرناً بعد قرن ، وجيلاً بعد جيل ، حتى وصل إلى هذه الأزمان ، وهو موجود في كل يوم ، بل في كل ساعة تفوح رائحته ، ولا سيما بعد فتنة تهورانك ، وبلى الآن مجد الرذالة في كل شيء ، وهذا ظاهر لمن تأمله ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

وقد قال سفيان الثوري ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن الشمي قال : يأتي كل الناس زمان يصلون فيه على الحجاج .

وقال أبو نعيم ، عن يونس بن أبي إسحاق ، عن أبي السفر ، قال : قال الشمي : والله أين بفيتهم لتنون الحجاج .

وقال الأعمى : قبل الحسن : إنك تقول : الآخر شر من الأول ، وهذا مر بن عبد العزيز بعد الحجاج . فقال الحسن : لا بد للناس من تنفيسات .

وقال يمين بن مهران : بث الحجاج إلى الحسن ، وقد تم به ، فلما قام بين يديه : قال : يا حجاج أكرم نبيك وبين آدم من أب ؟ قال : كثير ، قال : فأين هم ؟ قال : ماتوا ، قال : فنكس الحجاج رأسه ، وخرج الحسن .

وقال أيوب السخيتي : إن الحجاج أراد قتل الحسن مراراً ، فصره الله منه ، وذكر له ممة من الغارات . على أن الحسن لم يكن ممن يرى الخروج عليه ، وكان ينهى أصحاب ابن الأشعث من ذلك ، وإما خرج معهم مكرهاً ، كما قدمنا . وكان الحسن يقول : إماما هو ممة فلا تقابل قسة الله بالسيف ، وعليكم بالصبر والسكينة والتضرع .

وقال ابن دريد ، عن الحسن بن الحضرمي ، عن ابن عائشة قال : أتى الوليد بن عبد الملك رجل من الخوارج ، فقيل له : ما تقول في أبي بكر وعمر ؟ فأثنى خيراً ، قال : فثمان ؟ فأثنى خيراً ، قيل له : فما تقول في علي ؟ فأثنى خيراً ، فذكر له الخلفاء واحداً بعد واحد ، فبثى على كل بما يناسبه ، حتى قيل له : فما تقول في عبد الملك بن مروان ؟ فقال : الآن جاءت المسألة . ما أقول في رجل الحجاج خطيئة من بعض خطاياهم ؟ <sup>(١)</sup>

وقال الأصمى ، عن علي بن مسلم الباهلي قال : أتى الحجاج بامرأة من الخوارج ، فجعل يكلمها - وهي لا تنظر إليه ، ولا ترد عليه كلاماً ، فقال لها بعض الشرط : يكلمك الأمير وأنت ممرضة عنه ؟ فقالت : إني لأستحي من الله أن أنظر إلى من لا ينظر الله إليه ، فأمر بها فقتلت . وقد ذكرنا في سنة أربع وتسعين كيفية مقتل الحجاج لسميد بن جبير ، وما دار بينهما من الكلام والواجبة .

وقد قال أبو بكر بن أبي خيثمة : ثنا أبو ظفر ، ثنا جعفر بن سليمان ، عن بسطام بن مسلم ، من قتادة قال : قيل لسميد بن جبير : أخرجت على الحجاج ؟ قال : إني والله ما خرجت عليه حتى كفر ، ويقال : إنه لم يقتل بمده إلا رجلاً واحداً اسمه ماهان ، وكان قد قتل قبله خلقاً كثيراً ، أكثرهم ممن خرج مع ابن الأشعث .

وقال أبو عيسى الترمذي : ثنا أبو داود - سليمان بن مسلم البجلي ، ثنا النضر بن شميل ، عن هشام بن حسان قال : أحصوا ما قتل الحجاج صيراً<sup>(١)</sup> ، فبلغ مائة ألف وعشرين ألفاً . قال الأصمى : ثنا أبو صمر ، عن مباد بن كثير ، عن قعظم قال : أطلق سليمان بن عبد الملك في غداة واحدة - أحداً وثمانين ألف أسير كانوا في سجن الحجاج ، وقيل : إنه ابت في سجنه ثمانون ألفاً ، منهم ثلاثون ألف امرأة ، وعرضت السجون بعد الحجاج ، فوجدوا فيها ثلاثة وثلاثين ألفاً ، لم يجب على أحد منهم قطع ولا صلب ، وكان فيمن حبس أعرابي وجد يبول في أصل ربه<sup>(٢)</sup> مدينة واسط ، وكان فيمن أطلق ، فأنشأ يقول :

إذا نحن جاوزنا مدينة واسط خريفاً وصلينا بنهر حباب

وقد كان الحجاج مع هذا العنف الشديد - لا يستخرج من خراج العراق كبير أمر .

قال ابن أبي الدنيا ، وإبراهيم الحارثي : ثنا سليمان بن أبي صنج ، ثنا صالح بن سليمان قال : قال عمر بن عبد العزيز : لو تخابثت الأم فجاءت كل أمة بمحببتها ، وجشنا بالحجاج لفلانهم ، وما كان الحجاج يصلح لدنيا ولا الآخرة ، لقد ولي العراق وهو أوفر ما يكون في العمارة ، فأخس به إلى أن صيره إلى أربعين ألف ألف ، ولقد أدى إلى هالي في عامي هذا ثمانين ألف ألف ، وإن بقيت إلى قابل رجوت أن يؤدي إلى ما أدى إلى عمر بن الخطاب مائة ألف ألف وعشرة آلاف ألف .

وقال أبو بكر بن المقرئ : ثنا أبو عروبة ، ثنا عمرو بن عثمان ، ثنا أبي ، سمعت جدي قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى عدي بن أرطاة : لئن أنك تستن بسنن الحجاج فلا تستن بسننه ،

(١) أي : حبساً - وصبره : حبساً . (٢) ربه : المدينة - بفتحين - ما حولها



فإنه كان يصلي الصلاة أمير وقتها ، وبأخذ الزكاة من غير حقها ، وكان لما سوى ذلك أضيع .  
وقال يعقوب بن سفيان ثنا سعيد بن أسد ، ثنا ضمرة ، عن الريان بن مسلم قال : بعث عمر بن  
عبد العزيز بال بيت أبي عقيل - أهل بيت الحجاج - إلى صاحب اليمن ، وكتب إليه :  
أما بعد ؛ فإني قد بعثت بال بيت أبي عقيل ، وهم شر بيت في العمل ، ففرقتم في العمل على قدر  
هوانهم على الله ، وعلينا ، وعليك السلام . وإنما خافهم .

وقال الأوزاعي : سمعت القاسم بن غيمرة يقول : كان الحجاج ينقض عرى الإسلام ،  
وذكر حكاية .. وقال أبو بكر بن عياش ، عن حاتم : لم يبق لله حرمة إلا ارتكبتها الحجاج  
ابن يوسف . وقال يحيى بن عيسى الرمل ، عن الأعمش : اختطفوا الحجاج ، فأسأوا مجاهدًا ،  
فقال : تسألون عن الشيخ الكافر .

وروى ابن عساكر . عن الثمالي أنه قال : الحجاج مؤمن بالبيت والطائفت ، كافر بالله  
العظيم . كذا قال ، والله أعلم .

وقال الثوري . عن معمر ، عن ابن طاوس ، عن أبيه قال : هجبا لإخواننا من أهل العراق  
يسمون الحجاج مؤمنا .

وقال الثوري ، عن ابن عوف : سمعت أبا وائل يسأل من الحجاج : أنشد أنه من أهل  
النار ؟ قال : أنا مروى أن أشهد على الله العظيم .

وقال الثوري ، عن منصور : سألت إبراهيم بن الحجاج أو بعض الجبابرة ، فقال : أليس  
الله يقول : ( أَلَا أَمَنَّا اللَّهَ عَلَى الْفَالِاحِينَ ) <sup>(١)</sup> . وبه قال إبراهيم ، وكفى بالرجل عمى أن يسمي  
عن أمر الحجاج

وقال سلام بن أبي مطيع : لأننا بالحجاج أرجى مني الحر بن عبيد ؛ لأن الحجاج قتل الناس  
على الدنيا ، ومروون عبيد أحدث للناس بدعة شتاء ، قتل الناس بعضهم بعضًا .

وقال الأثير : سببت الحجاج يوماً عند أبي وائل فقال : لا تسبه له قال يوماً : اللهم ارحمني  
فجرحه ، إليك ومجالسة من يقول : أرايت أرايت .

وقال عوف : ذكر الحجاج عند محمد بن سيرين فقال : مسكين أبو عبد ، إن يذبه الله  
هو وجل يذبه ، وإن يفره فهو ذئب ، وإن يلق الله يلق سليم فهو خير منا ، وقد أصاب  
الذنوب من هو خير منه . فقيل له : ما القلب السليم ؟ قال : أن يعلم الله تعالى منه الحياء والإيمان ،  
وأن يعلم أن الله حق ، وأن الساعة حق قائمة ، وأن الله يبعث من في القبور .

وقال أبو قاسم البهوي : ثنا أبو سعيد ، ثنا أبو أسامة قال : قال رجل لسفيان الثوري :  
 أشهد على الحجاج وعلى أبي مسلم الخراساني أنهما قتلان ؟ قال : لا ! إن أفرا - لنوحيد . وقال  
 الرياشي : حدثنا عباس الأزرق عن السري بن يحيى قال : مر الحجاج في يوم جمعة ، فسمع استغاثة  
 فقال : ما هذا ؟ فنقول : أهل السجن يقولون قتلنا الحر ، فقال : قولوا لم اغسثوا بها ولا نتكلمون  
 قال : فاعش بعد ذلك إلا أنزل من جمعة حتى قصه الله قاصم كل حيار . وقال بعضهم : رأيته  
 وهو يأتي الجمعة ، وقد كاد يهلك من الهم . وقال الأصمعي : لما مرض الحجاج أرجف الناس  
 بموته فقال في خطبته : إن طائفة من أهل الشقاق والافتقار نزع الشيطان بينهم فقالوا : مات الحجاج  
 ومات الحجاج فها أهمل يرجو الحجاج الخير إلا بعد الموت ؟ والله ما يسرى أن لا أموت وأن  
 لي الدنيا وما فيها ، وما أبى الله رضى التخليد إلا لأهون خلقه عليه - إبليس ، قال الله له ( إنك  
 من المنظرين )<sup>(١)</sup> ، فأحاره إلى يوم الدين ، واقتصد الله العبد الصالح فقال : ( قَبِّ لِي مُلْكًا  
 لَا يَبْقَى عَلاَمَتِي مِنْ بَعْدِي )<sup>(٢)</sup> ، فأعطاه الله ذلك إلا البقاء ، واقتطع العبد الصالح الموت بعد  
 أن أتم له أمره ، فقال : ( تَوْفِّي سَلِيمًا وَخَلِّقِي بِالصَّالِحِينَ )<sup>(٣)</sup> فما هي أن يكون أيها الرجل ،  
 وكاسم ذلك الرجل ، كأي والله بكل حي منكم ميتًا ، وبكل رطب يابسًا ، ثم ظل في أنياب  
 أ كفانه ثلاثة أذرع ملولًا في ذراع عرضًا ، فأكلت الأرض لحمه ، ومصت صديده ، وانصرف  
 الخبيث من ولده يقسم الخبيث من ماله ، إن الذين يقولون ، يقولون ما أقول . ثم نزل

وقال إبراهيم بن هشام بن يحيى القصابي عن أبيه عن جده عن عمر بن عبد العزيز أنه قال :  
 ما حدثت الحجاج عدو الله على شيء حسدى إياه على حمة القرآن وإعطائه أهله عليه ، وقوله حين  
 حضرته الوفاة اللهم اغفر لي ، فإن الناس يزعمون أنك لا تفعل . وقال أبو بكر بن أبي الدنيا :  
 حدثنا علي بن الجعد ، حدثنا عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلفة اللجشون ، عن محمد بن المنكدر  
 قال : كان عمر بن عبد العزيز يبعث الحجاج ، فنفس عليه بكلمة قالها عند الموت : اللهم اغفر لي  
 فإنهم يزعمون أنك لا تفعل . قال : وحدثني بعض أهل العلم قال : قيل للحسن : إن الحجاج قال  
 عند الموت كذا وكذا ، قال : قالوا ؟ قالوا : نعم . قال : فما هي . وقال أبو العباس البرقي عن  
 الرياشي عن الأصمعي قال : لما حضرت الحجاج الوفاة أنشأ يقول :

يا رب قد حلف الأعداء واجتم - لما - بأني رجل من ساكني النار<sup>(٤)</sup>

(١) من الآية : ١٥ من سورة الأعراف

(٢) من الآية : ٣٥ من سورة ص

(٣) من الآية : ١٠١ من سورة يوسف

(٤) في نسخة : إيمانهم أنني من ساكني النار

أَجَلُونَ عَلَى عِيَسَاءَ وَنَحْنَهُمْ مَا عَلِمْتُمْ بَعْضَهُمْ غَضَارُ  
قال : فأخبر بذلك الحسن قال : بالله إن مجاليتيهم بها . وزاد بعضهم في ذلك :

إن الولي إذا شابت عبيدهم في رقهم موقوف عتق أبرار  
وأنت يا خالق أولي هذا كرمًا قد شئت في الرق فاعتقني من النار

وقال ابن أبي الدنيا : ثنا أحمد بن عبد الله التيمي قال : لما مات المجاج لم يعلم أحد بموته  
حتى أشرفت جربة فبككت ، فقالت : ألا إن مطعم الطعام ، وميتم الأيتام ، وعمرل النساء ،  
ومفان الهام ، وسيد أهل الشام - قد مات ، ثم أشتت قول :

الهمم يرحنا من كان يفضنا واليوم بأمننا من كان يمشنا

وروى عبد الرزاق ، عن ممر ، عن ابن طاوس ، عن أبيه ، أنه أخبر بموت المجاج مرارًا ،  
فلما تحقق وفاته قال : ( فَتَطْلُعُ دَائِرَةُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْمُؤْمِنُ الْقَدِيرُ )<sup>(١)</sup> .

وروى غير واحد : أن الحسن لما بشر بموت المجاج سجد شكرًا لله تعالى ، وكان حاضيًا  
فظاهر ، وقال : اللهم آمته فأذهب عنه سنته .

وقال حاد بن أبي سليمان : لما أخبر إبراهيم النخعي بموت المجاج بكى من الحرح .  
وقال أبو بكر بن أبي خيثمة : ثنا سليمان بن أبي شيخ ، ثنا صالح بن سليمان قال : قال زاهد  
ابن الربيع بن الحارث لأهل السجن : بموت المجاج في مرضه هذا في ليلة كذا وكذا ، فلما كانت  
تلك الليلة لم يتم أهل السجن فرحًا ، جلسوا ينظرون حتى يسموا النافية ، وذلك ليلة سبع  
وعشرين من شهر رمضان وقيل : كان ذلك تلحس بقتين من رمضان . وقيل : في شوال من  
هذه السنة ، وكان عمره إذ ذاك حـ وثمانين سنة ؛ لأن مولده كان عام الجماعة سنة أربعين ،  
وقيل : مدها سنة . وقيل : قبلها سنة . مات بواسطه ، وعفي قبره ، وأجرى عليه الماء  
لسكريلانينش ومحرق ، والله أعلم .

وقال الأصمعي : ما كان أعجب حال المجاج أما ترك إلا ثلاثمائة درهم وقال الواقدي : ثنا  
عبد الله بن محمد بن عبيد ، حدثني عبد الرحمن بن عبيد الله بن فرق ، ثنا حمي قال : زعموا أن  
المجاج لما مات لم يترك إلا ثلاثمائة درهم ومصحفًا وسيفًا وسرجًا ورحلا ومائة درع موقوفة .  
وقال شهاب بن خراش : حدثني حمي يزيد بن حوشب قال : بثت إلى أبو جعفر للنصور  
قال : حدثني بوصية المجاج بن يوسف ، فقال : اعطني يا أمير المؤمنين ، فقال : حدثني بها ،

فقلت : بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما أوصى به الحجاج بن يوسف ، أنه يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وأنه لا يعرف إلا طاعة لا يبد من عبد الملك ، علياً يحيى ، وعليها يموت ، وعليها يموت . وأوصى تقسمائة درع حديد ؛ ستائة منها لما نفي أهل العراق يفرون بها ، وثلاثائة لقاتل . قال : فرفع أبو جعفر رأسه إلى أبي العباس الطوسي - وكان قائماً على رأسه - فقال : هذه والله الشيعة لا شيعتكم .

وقال الأصمعي ، عن أبيه قال : رأيت الحجاج في المنام ، فقلت : ما فعل الله بك ؟ فقال : قتلني بكل قتلته قتل بها إساناً . قال : ثم رأيت به الحول ، فقلت : يا أبا محمد ما صنع الله بك ؟ فقال : يا ماص - ينظر أمه ، أما سألت عن هذا عام أول .

وقال القاسمي أبو يوسف : كنت عند الرشيد ، فدخل عليه رجل فقال : يا أمير المؤمنين رأيت الحجاج البارحة في النوم . قال : في أي زى رأيته ؟ قال : في زى قبيح . فقلت : ما فعل الله بك ؟ فقال : ما أنت وذلك يا ماص - ينظر أمه . فقال هارون : صدق والله ، أنت رأيت الحجاج حقاً ، ما كان أبو محمد ليذع صراسته يوماً وميتاً .

وقال حنبل بن إسحاق : ثنا هارون بن معروف ، ثنا خزيمة بن أبي شاذب ، عن أشعث الغزاز قال : رأيت الحجاج في المنام في حالة سيئة ، فقلت : يا أبا محمد ما صنع بك ربك ؟ قال : ما قتل أحد قتلته إلا قتلني بها . قال : ثم أمرني إلى النار . فقلت : ثم منه . قال : ثم أرجو ما يرجو أهل لا إله إلا الله . قال : وكان ابن - يبرين يقول : إلى لأرجو له ، فبأن ذلك الحسن ، فقال : أما والله ليخلفن الله رجاءه فيه .

وقال أحمد بن أبي الحواري : سمعت أبا سليمان الهاراني يقول : كان الحسن الحصري لا يحاس محاسراً إلا ذكر فيه الحجاج ، فدعا عليه . قال : فقرأه في منامه ، فقال له : أنت الحجاج ؟ قال : أنا الحجاج ، قال : ما فعل الله بك ؟ قال : قتلني بكل قتلته ثم عزلت مع الودعين . قال : فأمسك الحسن بعد ذلك عن شيعته ، والله أعلم .

[وقال ابن أبي الدنيا : حدثنا حزمة بن العباس ، حدثنا عبد الله بن عثمان ، أن أبا ابن المبارك ، أ. أنا سفيان قال : قدم الحجاج على عبد الملك بن مروان وأقفاً ، ومعه معاوية بن قره ، فسأل عبد الملك معاوية عن الحجاج فقال : إن صدقناكم تقتلونا ، وإن كذبناكم خشينا الله عز وجل ، فنظر إليه الحجاج ، فقال له عبد الملك : لا تمرض له ، فنفاه إلى السند ، فكان له بها مواقف <sup>(١)</sup> .

وعن توفى فيها من الأعيان: [أحمد بن يزيد النخعي] قال: كنا إذا حضرنا جنازة أو سمعنا بميت عرف ذلك فيها أياك؛ لأننا قد عرفنا أنه نزل به أمر صيره إلى الجنة، أو إلى النار، وإسكهم يتحدنون في جنازكم بأحدث دنياكم. وقال: لا يسقيم رأي إلا بروية، ولا روية إلا برأي. وقال: إذا رأيت الرجل يتهاون بالتكبرية الأولى فاعسل يديك من فلاحه<sup>(١)</sup>. وقال: إني لأرى الشيء مما يدايب، فلا ينعنى من عيبه إلا محاماة أن أبتلى به. وبكى عند موته، فقيل له ما يبكيك؟ فقال: انتظار ملك الموت، ما أدرى يبشرني بحنة أو بئار<sup>(٢)</sup>.

الحسن بن محمد بن الحنفية: كنيته أبو محمد، كان المقدم على إخوته، وكان عالماً فقيهاً عارفاً بالاختلاف والحق، قال أيوب السختياني وغيره: كان أول من تكلم في الإرجاء، وكتب في ذلك رسالة ثم ندم عليها. وقال غيرهم: كان يتوقف في عثمان وطاعة والزهر، فلا يتولاهم ولا يذمهم، فلما بلغ ذلك أباه محمد بن الحنفية - ضربه فشبهه وقال: ويحك! ألا تتولى أياك عالماً؟ وقال أبو عبيد: توفي سنة خمس وتسعين، وقال خليفة: توفي في أيام عمر بن عبد العزيز، والله أعلم.

حميد بن عبد الرحمن بن موفى الزهرى، وأمه أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط، وهي أخت عثمان بن عفان لأمه، وكان حميد فقيهاً نبيلاً عالماً، له روايات كثيرة.

مطرف بن عبد الله بن الشخير: تقدمت ترجمته، وهؤلاء كلهم لم تراجم في كتاب «التكميل». وفيها كان موت الحاجب بواسط كما تقدم ذلك مبسوطاً مستقصى والله الحمد. وفيها كان مقتل سميد بن جبير - في قول علي بن الدائني وجماعة، والمشهور أنه كان في سنة أربع وتسعين كما ذكره ابن جرير وغير واحد، والله أعلم.

### ثم دخلت سنة ست وتسعين

وفيها: فتح قتيبة بن مسلم - رحمه الله تعالى - كاشفر من أرض الصين، وبعث إلى ملك الصين رسلاً تهديده وتوعده، وبشره بالله لا يرجع حتى يبطأ بلاده ويحتم ملوكهم وأشراهم، ويأخذ الجزية منهم أو يدخلوا في الإسلام. فدخل الرسل على الملك الأعظم فيهم، وهو في مدينة عظيمة، يقال إن عايباً تسعين ياناً في سورها المحيط بها، يقال لها خان يانق، من أعظم المدن وأكثرها ريعاً ومعاملات وأموالاً، حتى قيل: إن بلاد الهند مع اناسها كالشامة في ملك الصين، والصين لا يحتاجون إلى أن يسافروا في ملك غيرهم لكثرة أموالهم ومتاعهم، وغيرهم يحتاج

(١) أي رايته. (٢) ما بين القوسين سقط من بعض النسخ.

إليهم : لما عندهم من التاج والدنيا التمسه ، وسائر ملوك تلك البلاد تؤدي إلى ملك الصين الخراج  
لتمه . وكثرة جنده وعدده . وللفصود أن الرسل لما دخلوا على ملك الصين وجدوا ملكة عظيمة  
حصينة ذات أهار وأوراق وحسن وبهاء ، فدخلوا عليه في قلعة عظيمة حصينة <sup>(١)</sup> بقدر مدينة  
كبيرة ، فقال لهم ملك الصين : ما أقم ؟ وكانوا ثلاثمائة رسول عليهم هبيرة - فقال ذلك لفرجانه  
قل لهم : ما أنتم وما تريدون ؟ فقالوا : نحن رسل قتيبة بن مسلم ، وهو يدعوكم إلى الإسلام ، فإن لم تفعل  
فالجزية ، فإن لم تفعل فالجرب . فنصب الملك ، وأمرهم إلى دار . فلما كان الذود عام فقال لهم : كيف  
تكونون في عبادة إليكم ؟ فجلسوا الصلوات على عادتهم ، فداركوا وسعدوا ضحكهم ، فقال : كيف  
تكونون في بيوتكم ؟ فجلسوا ثياب منهم ، فأمرهم بالانصراف ، فلما كان من اللذ أرسل إليهم  
فقال : كيف تدخلون على ملوككم ؟ فلبسوا الوثني والعمائم والمطاريف ، ودخلوا على الملك ، فقال  
لهم : ارجعوا فرجعوا ، فقال الملك لأصحابه : كيف رأيتم هؤلاء ؟ فقالوا : هذه أشبه بهيئة الرجال  
من تلك المرة الأولى ، وهم ثوانك .

فلما كان اليوم الثالث : أرسل إليهم فقال لهم : كيف تفنون عدوكم ؟ فشدوا عليهم سلاحهم  
ولبسوا المافر والبليض ، ونظفوا السيوف ونكتوا القسي وأخذوا الرماح ، وركبوا خيولهم ومضوا .  
ف نظر إليهم ملك الصين فرأى أمثال الجبال مقبلة ، فلما قربوا منه ركزوا رماحهم ، ثم أقبلوا نحوه  
مشيرين ، فقبل لهم : ارجعوا - وذلك لما دخل قلوب أهل الصين من الخوف منهم - فانصرفوا  
فركبوا خيولهم واختاروا رماحهم . ثم ساقوا خيولهم كأهم يتطاردون بها ، فقال ذلك لأصحابه :  
كيف نروهم ؟ فقالوا : ما رأينا كهؤلاء قط . فلما أمسوا بث إليهم الملك ، ان ابشوا إلى  
زعيمهم وأصلهم ، فبشوا إليه هبيرة ، فقال له ذلك حين دخل عليه : قد رأيتم عظام ملكي  
وليس أحد يجمعكم مني ، وأهم بمنزلة النخبة في كتي ، وأنا سائلك عن أمر ، فإن تصدقني وإلا  
فقلبك ، فقال : سل ! فقال الملك : لي صنتهم ما صنتهم من زعي أول يوم والثاني والثالث ؟ فقال :  
أما زينا أول يوم فهو لباسنا في أهلنا وناسنا وطينتنا عندهم ، وأما ما فعلنا ثلثي يوم فهو زينا إذا  
دخلنا على ملوكنا ، وأما زينا ثالث يوم فهو إذا لقينا عدونا فقال الملك : ما أحسن ما دبرتم دهركم  
فانصرفوا إلى صاحبكم - يعني قتيبة - وقولوا له ينصرف راجعا عن بلادى ، فإنني قد عرفت حرصه  
وقد أصابه ، وإلا بثت إليكم من يهلككم عن آخركم .

فقال له هبيرة : تقول اقتيبة هذا ؟ فكيف يكون قليل الأصحاب من أول خب في بلادك  
وأخراها في منابت الزهور ؟ وكيف يكون حريصا من خلف الدنيا قادرا عليها ، وغزلك في بلادك ؟

وأما نحو ذلك إيانا بالقتل ، فإما نعلم أن لنا آجالاً إذا حضرت فأكرمنا عندنا القتل ، فليتنا نكرهه ولا نحافه . فقال الملك : فما الذي يرضى صاحبكم ؟ فقال : قد حلف أنه لا يصرف حق بطاً أرضك ويعتق مملوكك ويحبى الجزية من بلادك ، فقال : أنا أبر بحبته وأخرجه منها ، وأرسل إليه بالراب من أرضي ، وأرسل فلان من أبناء اللوك ، وأرسل إليه ذهباً كثيراً وحريراً وثياباً صينية لا تقوت ولا بدري قنبرها ، ثم جرت لهم منه مقاولات كثيرة ، ثم اتفق الحال على أن يست صاحباً من ذهب منسفة فيها تراب من أرضه ليطأه قتيبة ، وبث جماعة من أولاده وأولاد اللوك ليحتم رقابهم . وبعث نال جزيل لير يمين قتيبة ، وقيل : إنه بعث أربسانة من أولاده وأولاد اللوك .

فلما انتهى إلى قتيبة ما أرسله ملك الصين قبل ذلك منه ، وذلك لأنه كان قد انتهى إليه خبر موت الوليد بن عبد الملك أمير المؤمنين ، فانتكرت عنه قتل ، وقد مزق قتيبة بن مسلم الباهلي ، على ترك مباينة ساجان بن عبد الملك ، وأراد الدموة إلى غسه لما تحت يده من الساكر . ولما وضع من البلاد والأقاليم فلم يمكنه ذلك ، ثم قتل في آخر هذه السنة رحمه الله تعالى ، فإنه يقال : إنه ما كسرت له راية ، وكان من المهادين في سبيل الله ، واجتمع له من الساكر ما لم يجمع لغيره . وفيه : غزاة مسلمة بن عبد الملك الصائفة ، وغزاة الهبلى بن الوليد الروم ، ففتح طولس والرومانيين من بلاد الروم .

وفيها : تكامل بنو الجامع الأموي بدمشق على يد مابيه أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك ابن مروان - رحمه الله تعالى وجراه خيراً ، وكان أصل موقع هذا الجامع قديماً معبداً لله اليونانيون السكندانيون الذين كانوا يمدون دمشق ، وهم الذين وضموها وحمروها أولاً ، فهم أول من بناها وقد كانوا يعبدون الكواكب السبعة للتميزة ، وهي القمر في السماء الدنيا ، وعطارد في السماء الثانية ، والزهرة في السماء الثالثة ، والشمس في الرابعة ، والزهرة في الخامسة ، والمشتري في السادسة وزحل في السابعة . وقد كانوا صوروا على كل باب من أبواب دمشق - هيكل الكواكب من هذه الكواكب السبعة ، وكانت أبواب دمشق سبعة وضموها قصداً لملك ، فنصبوا على كل سبعة لسلك كوكب هيكل ، وكان لهم عند كل باب من أبواب دمشق عيد في السنة ، وهؤلاء هم الذين وضمو الأرصاء ، وتكلموا على حركات الكواكب واتصالاتها ومقارنتها ، وبناو دمشق واختاروا لها هذه البقعة إلى جانب الماء الوارد من بين هذين الجبلين ، وصرفوه أنهاراً تجري إلى الأماكن المرتفعة والمنخفضة ، وسلكوا الماء في أفناء أبنية الدور بدمشق .

فكانت دمشق في أيامهم من أحسن المدن ، بل هي أحسنها ، لما فيها من التصاريح  
 العجيبة ، وبنوا هذا المبد - وهو الجامع اليوم في جهة القطب ، وكانوا يصلون إلى القطب الشمالى ،  
 وكانت محاريبهم إلى جهته ، وكان باب مقدم يفتح إلى جهة القبلة ، خلف المحراب اليوم ،  
 كما شاهدنا ذلك عياناً ، ورأينا محاريبهم إلى جهة القطب ، ورأينا الباب - وهو باب حسن - مبنى  
 بحجارة منقوشة ، وعليه كتاب مخطهم ، وعن يمينه ويساره بابان صغيران بالنسبة إليه ،  
 وكان غربي المبد قصر منيف جداً تحمله هذه الأعمدة التي بهاب البريد ، وشرق المبد قصر  
 جبرون الملك ، الذي كان ملكهم - وكان هناك داران عظيمتان ممدتان لمن يتملك دمشق قديماً  
 منهم ، ويقال : إنه كان مع المبد ثلاث دور عظيمة للفرس ، ويحيط بهذه الدور والمبد سور  
 واحد عال منيف ، بحجارة كبار منحوتة ، وعن : دار للطبق ، ودار الخيل ، ودار كانت تكون  
 مكان الخضراء التي بناها معاوية .

قال ابن عساکر - فيما حكاه عن كتب بعض الأوائل : إن اليونان مكثوا يأخذون الطالع  
 لبناء دمشق ، وهذه الأماكن ثمان عشرة حصة ، وقد حفروا أساس الجدران حتى واثام الوقت  
 الذي طلع فيه السكوكبان ائذان أرادوا أن هذا للمد لا يغرب أبداً ، ولا ينظر منه العبادة ،  
 وأن هذه الدار إذا بنيت لا تخلو من أن تكون دار الملك والسلطنة . قلت : أما المبد فلم يخل  
 من العبادة . قال كعب الأحمار : لا يخلو منها حتى تقوم الساعة ، وأما دار الملك التي هي الخضراء ،  
 فقد جدد بنائها معاوية ، ثم أحرقت في سنة إحدى وستين وأربعين ، كما سذكره ، فبادت  
 وصارت مساكن ضفراء الناس وأراذلهم في الغالب إلى زماننا هذا .

والتصود أن اليونان استمروا على هذه الصفة التي ذكرناها بدمشق مدداً طويلاً ، تزيد  
 على أربعة آلاف سنة ، حتى إنه يقال : إن أول من بنى جدران هذا المبد الأربعة - هو عليه  
 الصلاة والسلام ، وقد كان هو قبل إبراهيم الخليل بمد طويلاً ، وقد ورد إبراهيم الخليل دمشق  
 ونزل شامها عند برزة ، وقاتل هناك قوماً من أعدائه فظفر بهم ، ونصره الله عليهم ، وكان مقامه  
 لمقاتلتهم عند برزة ، فهذا المكان المنسوب إليه بها - منصوص عليه في الكتب المقدمة ، بأنروته  
 كابرًا من كابر ، وإلى زماننا ، والله أعلم .

وكانت - دمشق إذ ذاك - عامرة أهلة بمن فيها من اليونان ، وكانوا خلقاً لا يحصيهم  
 إلا الله ، وهم خصاء الخليل ، وقد ناظرهم الخليل في عبادتهم الأصنام والسكواكب وغيرها  
 في غير موضع . كما قررنا ذلك في التفسير ، وفي قصة الخليل من كتابنا هذا « البداية والنهاية » ،  
 والله الحمد ، وبالله التستأن .



والمقصود أن اليونان لم يزالوا يعمرون دمشق ، ويبنون فيها ، وفي ممالكها من أرض حوران والبقاع وبسلبك وغيرها - البنائات المائلة الغربية المعينة ، حتى إذا كان بعد المسيح عدة نحو من ثلاثمائة سنة ، تنمر أهل الشام على يد الملك قسطنطين بن قسطنطين ، الذي بنى المدينة المشهورة به ببلاد الروم ، وهي القسطنطينية وهو الذي وضع لهم القوانين ، وقد كان أولاهم وقومه ، وغالب أهل الأرض يونانا ، ووضعت له بطاركة النصارى ديناً محترماً مركباً من أصل دين النصرانية ، بمزجاً بشيء من عبادة الأوثان ، وصلوا به إلى الشرق ، وزادوا في الصيام ، وأحلوا الخنزير ، وعدّوا أولادهم الأمانة الكبيرة فيما يزعمون ، وإنما هي في الحقيقة خيانة كبيرة ، وجناية كثيرة حقيرة ، وهي مع ذلك في الحجم صغيرة . وقد تكلمنا على ذلك فيما سلفنا وبيناه . فبني لهم هذا الملك الذي ينسب إليه الطائفة الملكية من النصارى ، كنائس كبيرة في دمشق وفي غيرها ، حتى يقال : إنه بنى اثنتي عشرة ألف كنيسة ، وأوقف عليها أوقافاً وازدهاراً من ذلك : كنيسة بيت لحم ، وقمامة في القدس ، بنتها أم هيلانة الغنداقية ، وغير ذلك .

والمقصود : أهم - بنى النصارى - حولوا بناء هذا المبدى الذي هو بدمشق مطلقاً عند اليونان ، فجعلوه كنيسة يوحنا ، وبنوا بدمشق كنائس كثيرة غيرها مستأنة ، واستمر النصارى على دينهم بدمشق وغيرها نحواً من ثلاثمائة سنة ، حتى بعث الله محمداً ﷺ ، فكان من شأنه ما تقدم بهذه في كتاب السيرة من هذا الكتاب . وقد بعث إلى ملك الروم في زمانه - وهو قيصر ذلك الوقت - واسمه هرقل ، يدعو إلى الله عز وجل ، وكان من مراجعته ومخاطبته إلى أبى سفيان ما تقدم ، ثم بعث أمراءه الثلاثة : زيد بن حارثة ، وجعفر ، وابن رواحة - إلى البلقاء من نحو الشام ، فبعث الروم إليهم جيشاً كبيراً ، فقتلوا هؤلاء الأمراء ، وجماعة ممن معهم من الجيش ، فغرم النبي ﷺ على قتال الروم ، ودخول الشام عام نبوك ، ثم رجع عام ذلك لشدة الحر ، وضمف الحال ، وضيقه على الناس .

ثم لما توفي بعث الصديق الجيوش إلى الشام بكاملها ، ومن ذلك مدينة دمشق بأهلها ، وقد بسطنا القول في ذلك عند ذكر فتحها .

فذا استقرت اليد الإسلامية عليها ، وأنزل الله رحمته فيها ، وساق برّه إليها ، وكتب أمير الحرب أبو عبيدة إذ ذاك - وقيل : خالد بن الوليد - لأهل دمشق كتاب أمان ، أقرروا أيدي النصارى على أربع عشرة كنيسة ، وأخذوا منهم نصف هذه الكنيسة التي كانوا يسكنونها كنيسة مرجعنا ، بمحكم أن البلد فتحه خالد من الباب الشرق بالسيف ، وأخذت النصارى الأمان من أبى عبيدة ، وكان على باب الحامية الصلح ، فاختلفوا ثم اتفقوا على أن جعلوا نصف البلد

صلحاً ونصفه عنوة ؛ فأخذوا نصف هذه الكنيسة للشرق ، فبذل أبو عبيدة مسجداً يصل فيه المسلمون ، وكان أول من صلى في هذا المسجد - أبو عبيدة ، ثم الصحابة بعده في البقعة الشرقية منه ، التي يقال لها محراب الصحابة . ولكن لم يكن الجدار مفتوحاً بمحراب محض ، وإنما كانوا يصلون عند هذه البقعة المباركة . والظاهر أن الوليد هو الذي فتح المحارب في الجدار القبلي :

[ قلت : هذه المحارب متجددة ليست من فتح الوليد ، وإنما فتح الوليد محراباً واحداً ، إن كان قد فعل ، ولعله لم يفعل شيئاً منها ، فكان يصل فيه الخليفة ، وبقبتها فتحت قريباً ، فشكل إمام محراب ؛ شافى ، وحقق ، ومالك ، وعنبيل ، وعزلاء ، وإنما حدثوا بعد الوليد بزمان ]<sup>(١)</sup> .

وقد كره كثير من السلف مثل هذه المحارب ، وجهلوه من البدع الحديثة ، وكان المسلمون والنصارى يدخلون هذا المسجد من باب واحد ، وهو باب المعبد الأيمن من جهة القبلة ، فكان الحراب الكبير الذي في المنصورة اليوم ، فينصرف النصارى إلى جهة الغرب إلى كنيستهم ، ويأخذ المسلمون بمنى إلى مسجد ، ولا يستطيع النصارى أن يجهروا بقراءة كتابهم ، ولا يضربوا بناقوسهم ؛ إجلالاً للصحابة ، ومهابة وغروراً .

وقد بقي معاوية في ولاية على الشام - دار الإمارة قبل المسجد الذي كان للصحابة ، وفي فيها قبة خضراء ، فزفت الدار بكاملها بها ، فسكنها معاوية أربعين سنة ، كما قلنا . ثم لم يزل الأمر على ما ذكرنا من أمر هذه الكنيسة - شطرين بين المسلمين والنصارى ، من سنة أربع عشرة ، إلى سنة ست وعشرين في ذي القعدة منها . وقد صارت الخلافة إلى الوايد بن عبد الملك في شوال منها ، فعزم الوليد على أخف بنية هذه الكنيسة ، وإضافتها إلى ما بأيدي المسلمين منها ، وجعل الجميع مسجداً واحداً ؛ وذلك لأن بعض المسلمين كان يأذى بسماع قراءة النصارى للإنجيل ، ورفع أصواتهم في صلواتهم ، فأحب أن يهدم عن المسلمين ، وأن يضيف ذلك المكان إلى هذا ، فيصير كله معبداً للمسلمين ، ويقسم المسجد لكثرة المسلمين ، فعند ذلك طلب النصارى وسأل منهم أن يخرجوا له عن هذا المكان ، ويعرضهم إقطاعات كثيرة ، وعرضها عليهم ، وأن يعق بأيديهم أربع كنائس لم تدخل في العهد ، وهي : كنيسة عريم ، وكنيسة المصابة داخل باب شرقي ، وكنيسة تل الجبلين ، وكنيسة سعيد بن درة التي بدرب الصقل ، فأبوا ذلك أشد الإباء ، فقال : اتقوا بسوءكم التي بأيديكم من زمن الصحابة ، فأثروا بها ، فقررت بمضرة الوليد ، فإذا كنيسة توما - التي كانت خارج باب توما على حافة النهر - لم تدخل في العهد ، وكانت

فما يقال - أكبر من كنيسة مريخا، فقال الوليد : أبا أهدمها وأجعلها مسجداً ، فقالوا : بل يتركها  
أمير المؤمنين وما ذكر من الكنائس ، ونحن نرضى ونطيب له نفساً ببقية هذه الكنيسة ، فأقرم  
على تلك الكنائس ، وأخذ منهم بقية هذه الكنيسة . هذا قول .

وقيل : إن الوليد لما أهدم ذلك ، وعرض ما عرض على النصرى فأبوا من قبوله ، دخل عليه  
بعض الناس ، فأرشده إلى أن يفتس من باب شرقي ومن باب الجابية ، فوجدوا أن الكنيسة قد  
دخلت في القنوة ، وذلك أنهم قاسوا من باب شرقي ، ومن باب الجابية فوجدوا منتصف ذلك  
عند سوق الرمان تقريباً ، فإذا الكنيسة قد دخلت في القنوة ، فأخذها .

وحكى عن القنوة - مولى الوليد - قال : دخلت على الوليد فوجدته مهموماً فقلت : مالك  
يا أمير المؤمنين مهموماً ؟ فقال : إنه قد كثر السلون وقد ضاق بهم المسجد ، فأحضرت النصرى  
وبقلت لهم الأموال في بقية هذه الكنيسة لأضيفها إلى المسجد فيتسع على المسلمين فأبوا ، فقال  
القنوة : يا أمير المؤمنين اعندي ما يزيل همك ، قال . وما هو ؟ قلت : الصجاجة لما أخذوا وعشق  
دخل خالد بن الوليد من الباب شرقي بالسيف ، فلما سمع أهل البلد بذلك فرموا إلى أبي عبيدة  
يطالبون منه الأمان فأدبهم ، وفتحوا له باب الجابية ، فدخل منه أبو عبيدة بالصالح ، فخرج فمناصهم  
إلى أي موضع بلغ السيف أخذاء ، وما بالصالح تركناه بأيديهم ، وأرجو أن ندخل الكنيسة  
كلها في القنوة ، فتدخل في المسجد . فقال الوليد : فرجت عني ، فتول أنت ذلك بنفسك ، فتولاه  
الميرة ومسح من الباب الشرقي إلى نحو باب الجابية إلى سوق الرمان ، فوجد السيف لم يزل  
عمالاً حتى جاوز القنطرة الكبيرة بأربع أذرع وكسر ، فدخلت الكنيسة في المسجد ، فأرسل  
الوليد إلى النصرى فأخبرهم وقال : إن هذه الكنيسة كلها دخلت في القنوة فهي لنا دونكم ،  
فقالوا : إنك أولاد دمت إلينا الأموال وأعطتنا الإعانات فأبينا ، فمن إحسان أمير المؤمنين أن  
بصا لنا ، فبقي لنا هذه الكنائس الأربع بأيدينا ، ونحن نترك له بقية هذه الكنيسة ، فعاملهم  
على إبقاء هذه الأربع الكنائس ، والله أعلم .

وقيل : إنه موضع منها كنيسة عند حمام القاسم عند باب الفاراديس داخله ، فهدمها مريخا  
باسم تلك الكنيسة التي أخذت منهم ، وأخذوا شاهدها ، فوضعوها فوق التي أخذوها  
بذلها ، والله أعلم .

ثم أمر الوليد بإحضار آلات الهدم واجتمع إليه الأمراء والسكرياء ، وجاء إليه أساقفة  
النصارى وقساوسهم فقالوا : يا أمير المؤمنين إنا نجد في كتبنا أن من يهدم هذه الكنيسة ينجى ،  
فقال الوليد : أنا أحب أن أجن في الله ، والله لا يهدم فيها أحد شيئاً قطي ، ثم صد المنارة

الشرقية ذات الإصالح المروقة بالساعات ، وكانت صومعة هائلة فيها راهب منهم ، فأمره الوليد بالزول منها ، فأكره الراهب ذلك ، فأخذ الوليد ببقائه فلم يزل يدفعه حتى أنزله منها ، ثم صعد الوليد على أعلى مكان في الكنيسة فوق المذبح الأكبر منها ، الذي يسمونه الشاهد ، وهو تمثال في أعلى الكنيسة ، فقال له الرهبان : احذر الشاهد ، فقال : أنا أول ما أضع فأسي في رأس الشاهد ، ثم كبر وضربه فهدمه ، وكان على الوليد قباء أصفر لونه سفرجل قد غرز أذياله في المنطقة ، ثم أخذ فأساً بيده فضرب بها في أعلى حجر فأتقاه ، فتيادر الأمراء إلى الهدم ، وكبر السلوك ثلاث تكبيرات ، وصرخت النصارى بالدويل على درج جيرون ، وكانوا قد اجتمعوا هناك ، أمر الوليد أمير الشرطة - وهو أبو نائل رباح النسابي - أن يضربهم حتى يذهبوا من هناك ، ففعل ذلك ، فهدم الوليد والأمراء جميع ما جده النصارى في تربيعة هذا للميد من المذبح والأبنية والحنايا ، حتى بقي المكان صرحاً مربعة ، ثم شرع في بنائه بفكرة جيدة على هذه الصفة الحسنة الأنيقة ، التي لم يشهر مثلاً قبلها - كما سذكروا .

وقد استعمل الوليد في بناء هذا المسجد خلقاً كثيراً من الصناع والهندسين والفقلة ، وكان المستعص على عمارته أخوه وولي عهده من بعده - سليمان بن عبد الملك ، ويقال : إن الوليد بعث إلى ملك الروم يطلب منه صناعات في الرخام وغير ذلك ؛ ليستعين بهم على عمارة هذا المسجد على ما يريد ، وأرسل يبعده لئن لم يفعل ليفوزون ببلاده بالجيوش ، وليخرب كل كنيسة في بلاده ، حتى كنيسة القدس ، وهي قسامة ، وكنيسة الزها ، وسائر آثار الروم ، فبعث ملك الروم إليه صناعات كثيرة جداً ؛ مائتي صانع ، وكتب إليه يقول : إن كان أبوك فهم هذا الذي تصنعه وتركه فإنه لوصفة عليك ، وإن لم يكن فهمه وفهمت أنت لوصفة عليه . فلما وصل ذلك إلى الوليد أراد أن يجيب عن ذلك ، واجتمع الناس عنده فكان فيهم الفروزدق الشاعر ، فقال : أنا أجيبه يا أمير المؤمنين من كتاب الله . قال الوليد : وما هو ؟ وبمك ! فقال : قال الله تعالى : ( فَهَمَّ سُلَيْمَانُ وَكُلًّا اتَّبَعْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا )<sup>(١)</sup> ، وسليمان هو ابن داود ، صهبه الله ما لم يفهمه أبوه . فأجيب ذلك الوليد ، فأرسل به جواباً إلى ملك الروم . وقد قال الفروزدق في ذلك :

فرقت بين النصارى في حكايتهم      والمايدين مع الأسعار والعسمن  
وم جيسك إذا صلوا وأوجهم      شق إذا سجدوا لله والصنم  
وكيف يجتمع الناس يضربه      أهل الصليب مع القراء لم نهم  
فهمت تعويلها منهم كما فهمنا      إذا يحكان لهم في الحرث والغنم

داود والملك الهدي إذا جزأ ولادها واجتزأ للصوف بالعلم  
فمك الله تحويلاً ليبتهم من مسجد فيه يمل طيب الكلم  
ما من أب حلت الأرض نطفه خير بنين ولا خير من الحكيم

قال الحافظ .. عبد الرحمن بن إبراهيم دحيم الدمشقي : بنى الوليد ما كان داخل حيطان المسجد  
وزاد في ملك الحيطان . وقال الحسن بن يحيى النخعي : إن هوداً عليه السلام هو الذي بنى الحائط  
القبلي من مسجد دمشق . وقال غيره : لما أراد الوليد بناء القبة التي وسط الرواقات - وهي قبة  
النسر وهو اسم حادثة لها ، وكانهم شبهوها بالنسر في شكله ، لأن الرواقات عن يمينها وشمالها  
كالأجنحة لها - حفر لأركانها حتى وصلوا إلى الماء وشربوا منه ماء عذبا زلالا ، ثم إنهم وضعوا  
فيه زبادة السكرم ، وسقوا فوقها بالحجارة ، فلما ارتفعت الأركان بنوا عليها القبة فتمت ، فقال  
الوليد لبعض المهندسين : أريد أن تبني لي أنت هذه القبة ، فقال : على أن تعطيني عهد الله وميثاقه  
على أن لا يبنيتها أحد غيري ، فعمل . فبنى الأركان ثم غلفها بالبورلي ، وغاب عنها سنة كاملة  
لا يدري الوليد أين ذهب ، فلما كان بعد السنة حضر ، فهم به الوليد فأخذه ومعه رهوس الناس ،  
فكشفت البورلي من الأركان فإذا هي قد هبطت بعد ارتفاعها حتى ساوت الأرض ، فقال له :  
من هذا أتيت ، ثم بناها فالتفت .

وقال بعضهم : أراد الوليد أن يحمل بيضة القبة من ذهب خالص ليظم بذلك شأن هذا البناء ،  
فقال له للشار : إنك لا تقدر على ذلك ، فضر به خسين سوفاً ، وقال له : ويك ! أنا لا أقدر على  
ذلك وتزعم أني أجز عنه ؟ وخراج الأرض وأموالها تجي إلي ؟ قال : نعم ، أنا أبيع لك ذلك ، قال :  
فبيع ذلك ، قال : اضرب لبنة واحدة من الذهب وقس عليها ما تريد هذه القبة من ذلك ، فأمر  
الوليد فأحضر من الذهب ما ضرب منه لبنة ، فإذا هي قد دخلها الوصف من الذهب ، فقال :  
يا أمير المؤمنين ! أنا تريد مثل هذه اللبنة كذا وكذا ألف لبنة ، فإن كان عندك ما يكفي من ذلك  
مئذاه ، فلما تحقق صحة قوله أطلق له الوليد ختتين ديناراً ، وقال : إني لا أجز عما قلت ، ولكن فيه  
إسراف وضماح مال في غير وجهه اللائق به ، ولأن يكون ما أردنا من ذلك خفة في سبيل الله ،  
ورداً على صفاء المسلمين - خير من ذلك . ثم مقدها على ما أشار به للشار .

ولما سفت الوليد الجامع جعلوا سقفه جعلونات ، وباطنها مسطحة مقرناً بالذهب ، فقال له  
بعض أهله : أتبيت الناس بمدك في طين أسطحتهم ، لما يريد هذا المسجد في كل عام من الطين  
الكثير - يشير إلى أن التراب ينلو والقمة تقل لأجل العمل في هذا المسجد في كل عام - فأمر  
الوليد أن يجمع ما في بلاد من الرصاص ليجمعه عوض الطين ، ويكون أخف على السقف . فجمع

من كل ناحية من الشام وغيره من الأقاليم ، فمازوا فإذا عند امرأة منه قناطر مقطرة ، فساوموها فيه ، فقالت : لا أبيع إلا بوزنه فضة ، فكتبوا إلى الوليد ، فقال : اشتروه منها ولو بوزنه فضة ، فلما بذلوا لها ذلك قالت : أما إذا قلتم ذلك فهو صدقة لله يكون في صنف هذا للسجد ، فكتبوا على الواحها بطابع « لله » ، ويقال : إنها كانت إسرائيلية ، وأنه كتب على الألواح التي أخذت منها : هذا ما أعطته الإسرائيلية .

وقال محمد بن هانئ : سمعت للشافعي يقولون : ما تم بناء مسجد دمشق إلا بأداء الأمانة ، لقد كان بفضل عند الرجل من القوم ، أو الفطنة للنفس ورأس السمار ، فيأتي به حق بضمه في الخزانة .  
وقال بعض مشايخ الدماشقة : ليس في الجامع من الرخام شيء إلا الرخامتان اللتان في القام من مرش بقبس ، والباقي كله مرمو .

وقال بعضهم : اشترى الوليد المودين الأخضرين اللذين تحت النسر ، من حرب ابن خالد ابن يزيد بن معاوية - بألف وخمسمائة دينار .

وقال دحيم ، عن الوليد بن مسلم : ثنا مروان بن جناح ، عن أبيه قال : كان في مسجد دمشق اثنا عشر ألف مرمخ .

وقال أبو قصى ، عن دحيم ، عن الوليد بن مسلم ، عن عمرو بن ماهر الأنصاري : إنهم حسبوا ما أفتقه الوليد على الكرم<sup>(١)</sup> التي في قبل المسجد ، فإذا هو سبعمائة ألف دينار .

وقال أبو قصى : أفتق في مسجد دمشق أربعمائة صندوق من الذهب ، في كل صندوق أربعة عشر ألف دينار . وفي رواية : في كل صندوق ثمانية وعشرون ألف دينار .

قلت : قبل الأول يكون ذلك خمسة آلاف ألف دينار ، وستائة ألف دينار . وعلى الثاني يكون المصروف في عمارة الجامع الأموي أحد عشر ألف دينار ، ومائتي ألف دينار .  
وقيل : إنه صرف أكثر من ذلك بكثير ، والله أعلم .

قال أبو قصى : وأتى الحمصي إلى الوليد فقال : يا أمير المؤمنين ، إن الناس يقولون : أفتق أمير المؤمنين بيوت الأموال في غير حقها . فنودي في الناس : الصلاة جامعة ، فاجتمع الناس ، فصعد الوليد المنبر وقال : إنه بلغني عنكم أنكم قلتم أفتق الوليد بيوت الأموال في غير حقها ، ثم قال :

(١) هي نيساباء على هيئة الكرم مؤلفة من قطع صغيرة من الزجاج المربع ، مبطن بالذهب أو الألوان ، وكان منها جلأ إلى أيام الحريق الأخير سنة ١٣١٠ هـ ، ويوجد قريب منها في قبعة الملك الظاهر بدمشق إلى اليوم .

يا عمرو بن مهاجر ! قم فأحضر أموال بيت المال ، غلبت على البذل إلى الجامع ، ثم بسط لها الأنطاع تحت قبة النسر ، ثم أفرغ عليها المال ذهباً صبيحاً ، وفضة خالصة ، حتى صارت كرمها ، حتى كان الرجل إذا قام من الجانب الواحد لا يرى الرجل من الجانب الآخر ، وهذا شيء كبير ، ثم جرى بالقبائين ، فوزنت الأموال ، فإذا هي تكفي الناس ثلاث سنين مستقلة . وفي رواية : ست عشرة سنة مستقلة ، لو لم يدخل قنص شيء بالسكاية ، فقال لم الوليد : والله ما أغنت في حمارة هذا المسجد درهماً من بيوت المال ، وإنما هذا كله من مالي . ففرح الناس وكبروا وحمدوا الله عز وجل على ذلك ، ودعوا للخليفة وانصرفوا شاكرين داعين . فقال لم الوليد : يا أهل دمشق ! والله ما أغنت في بناء هذا المسجد شيئاً من بيوت المال ، وإنما هذا كله من مالي ، لم أرزأكم من أموالكم شيئاً .

ثم قال الوليد : يا أهل دمشق ، إنكم تخشون كل الناس بأربع : بهوانكم ، ومائسكم ، وفاكنكم ، وحماكنكم ! فأجبت أن أزيدكم خامسة ، وهي هذا الجامع .

وقال بعضهم : كان في قبة جامع دمشق - ثلاث صناع مذهبة بلازورد ، في كل منها : ( بسم الله الرحمن الرحيم ، الله لا إله إلا هو الحق القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم ) ، لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، ولا نعبد إلا إياه ، ربنا الله وحده ، وديننا الإسلام ، ونبينا محمد ﷺ . أمر بنيان هذا المسجد وهدم الكنيسة التي كانت فيه - مبدأها أمير المؤمنين الوليد ، في ذي القعدة سنة ست وعشرين . وفي صفحة أخرى رابعة من تلك الصفائح : الحمد لله رب العالمين . الرحمن الرحيم - إلى آخر الصالحة ، ثم عيسى ، ثم إذا الشمس كورت ، قالوا : ثم يحى بعد محى . للمأمون إلى دمشق . وذكروا أن أرضه كانت مفضضة كلها ، وأن الرخام كان في حدائق إلى قاعات ، وفوق الرخام كرمة عظيمة من ذهب ، وفوق الكرمة الفصوص المذهبة والخضر والحمر والزرق والبيض ، قد صيروا لها سائر البلدان المشهورة : السكبة فوق الحراب ، وسائر الأقاليم بمنة وبصرة . وصوروا ما في البلدان من الأشجار الحسنة الشجرة والزهرة ، وغير ذلك ، وسقفه مقرنص<sup>(١)</sup> بالذهب ، والسلاسل المعلقة فيها جميعاً من ذهب وفضة ، وأنوار الشموع في أماكنه مفرقة .

قال : وكان في حراب الصحابة برنية<sup>(٢)</sup> حجر من بلور ، ويقال : بل كانت حجراً من جوهر ، وهي البرة ، وكانت تسمى التليلة ، وكانت إذا طفت القناديل نضى . لمن هناك بدورها ،

(١) البرنية : إيناء من خزف .

(٢) مصنوع على هيئة العلم .

فلما كان زمن الأُميين بن الرشيد - وكان يحب البثور ، وقيل : الجواهر - بعث إلى سليمان وإلى شرطة دمشق أن يبيت بها إليه ، فسرقتها الرائي خوفاً من الناس وأرسلها إليه ، فلما ولي للأُموي ردها إلى دمشق ليشتنع بذلك على الأُميين . قال ابن عساكر : ثم ذهبت بعد ذلك فجعل مكانها بَرْنِيَّة من زجاج . قال : وقد رأيت تلك البَرْنِيَّة ، ثم انكسرت بعد ذلك ، فلم يجعل مكانها شيء . قالوا : وكانت الأبواب المشرفة من داخل الصحن ليس عليها أغلاق ، وإنما كان عليها الستور مُرْتَخاة ، وكذلك الستور على سائر جدرانها إلى حد الحكومة التي فوقها الفضوض الذهبية ، وروس الأعمدة مطلية بالذهب الخالص الكثير ، وعلوها له شرفات تحيط به ، وبني أوليد المنارة الشمالية التي يقال لها : مأذنة العروس . فأما الشرقية والغربية فكانتا قبل ذلك بهور متطاولة .

وقد كان في كل زاوية من هذا المبدع - صومعة شاهقة جداً ، بنتها البيزنطيون لقرصد ، ثم بعد ذلك سقطت الشماليان ، وبقيت الجنوبيتان إلى الآن ، وقد أحرق بعض الشرقيين بعد الأربيعين وسبعائة ، فنهضت وجذدت بناؤها من أموال النصارى ، حيث اتهموا بحرقها ، فقامت على أحسن الأشكال ، بيضاء بذاتها ، وهي - والله أعلم - الشرفة التي ينزل عليها عيسى بن مريم في آخر الزمان بعد خروج الدجال ، كما ثبت ذلك في صحيح مسلم عن العباس بن سفيان .

قلت : ثم أحرق أهل هذه المنارة وجذدت ، وكان أعلاها من خشب فنهيت بمجارة كلها في آخر السبعين وسبعائة ، فصارت كلها مبنية بالمجارة (١) .

والنقص أن الجامع الأموي لما كل بناؤه لم يكن على وجه الأرض بناء أحسن منه ، ولا أبهى ولا أجل منه ، بحيث إنه إذا نظر الناظر إليه ، أو إلى جهة منه ، أو إلى بقعة ، أو مكان منه - تغير فيها نظره لحسنه وجهه ، ولا يمل ناظره ، بل كلما أدهن النظر بانتهى له الجمجمة ليست كالأخرى ، وكانت فيه طلبات من أيام البيوان ، فلا يدخل هذه البقعة شيء من الحشرات بالكلية ؛ لا من الحيات ، ولا من العقارب ، ولا الخنافس ، ولا العناكب ، ويقال : ولا الصافير أيضاً تعشش فيه ، ولا الحمام ، ولا شيء مما يتأذى به الناس . وأكثر هذه الطلبات أو كلها - كانت مودعة في سقف هذا المبدع ، مما يلي السبع ، فأحرق لما أحرق لهذه النصف من شعبان بعد العصر ، سنة إحدى وستين وأربعمائة ، في دوة الفاطميين ، كما سيأتي ذلك في موضعه . وقد كانت بدمشق طلبات وضعتها اليونان بعضها باق إلى يومنا هذا ، والله أعلم .



فن ذلك : العمود الذي في رأسه مثل السكر في سوق الشمير عند قطرة أم حكيم ، وهذا المكان يعرف اليوم بالمابيين ؛ ذكر أهل دمشق أنه من وضع اليونان لئلا يرسول الحيوان ، فإذا داروا بالحيوان حول هذا العمود ثلاث دورات انطلق باطنه فبال ، وذلك مجرب من عهد اليونان .

[ قال ابن تيمية عن هذا العمود : إن تحت مدفون جبار عظيم ، كان يذب ، فإذا داروا بالحيوان حوله سمع المذاب فرأى وقال من الخوف ، قال : ولهذا يذهبون بالدواب إلى قبور النصارى واليهود والكفار ، فإذا سمعت أصوات المذنين انطلق تولد . والعمود للشار إليه ليس له سر ، ومن اعتقد أن فيه منفعة أو مضرة ، فقد أخطأ خطأ فاحشاً . وقيل : إن تحت كنزاً وصاحبه عنده مدفون ، وكان ممن يستعد الرحمة إلى الدنيا كما قال تعالى : ( وَقَالُوا إِن هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ )<sup>(١)</sup> والله سبحانه وتعالى أعلم<sup>(٢)</sup> .

وما زال سابان بن عبد الملك يعمل في تسكلة الجامع الأموي بعد موت أخيه مدة ولايته ، وجددت فيه المقصورة ، فلما ولي عمر بن عبد العزيز عزم على أن يحرقه مما فيه من الذهب ، ويقطع السلاسل والرخام والتسقيف ، ويرد ذلك كله إلى بيت المال ، ويجعل مكان ذلك كله طيناً ، فشق ذلك على أهل البلد واجتمع أشرفهم إليه ، وقال خالد بن عبد الله القسري : أنا أكله لكم ، فقال له : يا أمير المؤمنين ! بلغنا منك كذا وكذا ، قال : نعم ! فقال خالد : ليس ذلك يا أمير المؤمنين ، فقل عمر : ولم يا ابن الكافرة ؟ - وكانت أمه نصرانية رومية أم ولد - فقال : يا أمير المؤمنين ! إن كانت كافرة ، فقد ولدت رجلاً مؤمناً ، فقال : صدقت ، واستحيا عمر ، ثم قال له : فلم قلت ذلك ؟ قال : يا أمير المؤمنين لأن غالب ما فيه من الرخام إنما حمله المسلمون من أموالهم من سائر الأقاليم ، وليس هو لبيت المال ، فأطرق عمر .

قالوا : وافق في ذلك الزمان قدوم جماعة من بلاد الروم رسلاً من عند ملكهم ، فلما دخلوا من باب البريد واشتروا إلى الباب الكبير الذي تحت المنبر ، ورأوا ما سهر عقولهم من حسن الجامع الباهر ، ولزخرفة التي لم يسمع بمثلاً - صيق كبرهم وخز منشياً عليه ، وحقوه إلى منزله ، فبقوا أياماً مُدْفَئاً ، فلما تمتل سألوه عما عرض له فقال : ما كنت أظن أن يبقى للمسلمون مثل هذا البناء ، وكنت أعتقد أن مدنتهم تكون أقصر من هذا ، فلما بلغ ذلك عمر بن عبد العزيز قال : أو إن التقيظ أهلك الكفار ، دمه . وسألت النصارى في أيام عمر بن عبد العزيز أن يقدّم لهم مجلساً في شأن ما كان أخذه الوليد منهم ، وكان عمر عادلاً ، فأراد أن يرد عليهم ما كان أخذه

الوليد منهم ، فأدخله في الجامع ، ثم حقق عمر القضية ، ثم نظر ، فإذا الكنائس التي هي خارج البلدة لم تدخل في الصلح الذي كتبه لهم الصعابة ، مثل كنيسة دير مران بفسح قابسون ، وهي بقرية المغطية ، وكنيسة الرهب ، وكنيسة توما خارج باب توما ، وسائر الكنائس التي يفرى الحواجز . فخيرهم بين رد ما سألوه وتخريب هذه الكنائس كلها ، أو تيق تلك الكنائس ، ويطيبوا نفسا للمسلمين بهذه البقعة ، فاتفقت آراؤهم بعد ثلاثة أيام على إنشاء تلك الكنائس ، ويكتب لهم كتاب أمان بها ، ويطيبوا لنفسك بهذه البقعة ، فكتب لهم أمان بها .

والمقصود أن الجامع الأدي كان حين تكامل بناؤه - ليس له في الدنيا مثل في حسنه وبهجه ، قال الفرزدق : أهل دمشق في بلادهم في قصر من قصور الجنة - يعني الجامع . وقال أحمد بن أبي الحواري ، عن الوليد بن مسلم ، عن ابن توبان : ما ينبغي لأحد من أهل الأرض أن يكون أشد شوقاً إلى الجنة من أهل دمشق ؛ لما يرون من حسن مسجدها . قالوا : ولما دخل أمير المؤمنين المهدي دمشق - يريد زيارة القدس - نظر إلى جامع دمشق ، فقال لكتابه أبي عبيد الله الأشعري : سبقنا من أمة ثلاث : بهذا المسجد الذي لا أعلم على وجه الأرض مثله ، وبنيال الموالي ، وبمير بن عبد العزيز ؛ لا يكون والله فيما مثله أبداً . ثم لما أتى بيت القدس ، فنظر إلى الصخرة - وكان عبد الملك بن مروان هو الذي بناها - قال لكتابه : وهذه راحة . ولما دخل المؤمنون دمشق فنظر إلى جامعها ، وكان معه أخوه المتمصم ، وقاضيه يحيى بن أكنم ، قال : ما أعجب ما فيه ؟ فقال أخوه : هذه الأذهاب التي فيه ، وقال يحيى بن أكنم : الرخام وهذه القبة ، فقال المؤمنون : إنى أعجب من حسن بنيانه على غير مثال متقدم . ثم قال المؤمنون : قاسم النار : أخبرني باسم حسن أسمى به جاريتي هذه ، فقال : سمها مسجدة دمشق ، فإنه أحسن شيء . وقال عبد الرحمن بن عبد الحكم عن الشافعي قال : عجائب الدنيا خمسة : إحداها مناركم هذه - يعني منارة ذي القرنين بالسكندرية ، والثانية أصحاب الرقيم - وهم بالروم اثنا عشر رجلاً ، والثالثة امرأة يباب الأندلس على باب مدينتها ، يجلس الرجل تحتها ، فينظر فيها صاحبه من مسافة مائة فرسخ ، وقيل ينظر من بالقسطنطينية ، والرابعة مسجد دمشق ، وما يوصف من الإغراق عليه . والخامسة الرخام والتسبيح ، فإنه لا يدري لها موضع ، ويقال : إن الرخام محبوب ، والدليل على ذلك أنه يذوب على النار .

قال ابن عساكر : وذكر إبراهيم بن أبي الفتح الكاتب - وكان قدم دمشق سنة اثنين وثلاثين وأربعمائة - في رسالة له ، قال : ثم أمرنا بالانتقال ، فانتقلت منه إلى بلد تمت بحاسه ، ووافني ظاهره باطله ، أزقه أرجة ، وشواره فرجة ، غيث ما مشيت شمت طوبى ، وأين سميت

رأيت منظرًا مجيبًا ، وإن أنضيت إلى جامعها شهدت منه ما ليس في استطاعة الوصف أن يصفه ،  
ولا الرائي أن يصفه . وجهاته أنه كنز الدهر ونافذة الوقت ، وأعجوبة الزمان ، وغريبة الأوقات ،  
ولقد أثبت الله عز وجل به ذكرًا يدرس ، وخلف به أمرًا لا يخفى ولا يدرس قال ابن عساكر :  
وأشدني بعض الحديثين في جامع دمشق - رحمه الله بذكره - وفي دمشق قتال :

دمشق قد شاع حسن جامعها	وما حوت ربي مرابعها
بدية الحسن في الكمال لما	يدركه الطرف من بدائنها
طيبة أرضها مباركة	بالين والهد أخذ طالعها
جامعها جامع الحسن قد	لاقت به اللين في جوامعها
بنية بالانقان قد وضعت	لا ضيع الله سي واضعها
تذكر في ضله ورفعت	آثار صدق رافت لاهمها
قد كان قبل الحريق مدهشة	فغيرت ناره بلاقمها
فأذهبت بالحريق بهجة	فليس يرجى إياب راجعها
إذا تفكرت في المنصوص وما	فيها تيقنت حقد راصمها
أشجارها لا تزال مشمرة	لا ترهب الريح من مدافعها
كأنها من زمرد غرست	في أرض تير نقش بنافعها
فيها ثمار تحملها بعت	وايس يخشى فساد بانعها
تطف لا يحظ لا بمجارة	أبدى ولا تمنع لبانعها
وتحتها من رخامة قطع	لا قطع الله كف لاطعها
أحكم ترخيمها للرخم قد	بان عليها إحكام صانعها
وإن تفكرت في قناطره	وسقعه بان حقد رافعها
وإن تبينت حسن قبة	تغير الب في أبعادها
تخرق الريح في منافذها	عصا فتوى مل زمارعها
وأرضه بالرخام قد فرشت	ينصفح الطرف في مواضعها
يجالس العلم فيه مؤفة	ينشرح الصدر في مجامعها
وكل باب عليه مطهرة	قد أمن الناس دفع مانعها
يرتفق الناس من مراقبها	ولا يصدون عن منافعها
ولا تزال المياه جارية	فيها لما شق من مشارعها

وسوقها لا تزال أهلة يزعم الناس في شوارعها  
لما يشاهدون من فواكهها وما يردون من بضائنها  
كأنها جنة مجة في الأرض لولا مسرى غائنها  
دامت برغم المدى مسلة وحاطها الله من قوارعها

### فصل

فيا روى في جامع دمشق من الآثار ، وما ورد في فضله من الأخبار  
من جماعة من السادة الأخيار

روى عن قتادة أنه قال في قوله تعالى (والتين) <sup>(١)</sup> قال : هو مسجد دمشق (والبقيون)  
قال : هو مسجد بيت المقدس (وطور سينين) : حيث كلم الله موسى (وهذا البلد الأمين) <sup>(٢)</sup> :  
وهو مكة . رواه ابن عساكر .

وقال صفوان بن صالح ، عن عبد الخالق بن زيد بن واثق ، عن أبيه ، عن عطية بن قيس  
الكلابي قال : قال كعب الأحبار : لبيتين في دمشق مسجد يبق بعد خراب الدنيا أربعين عاماً .

وقال الوليد بن مسلم ، عن عثمان بن أبي العاتكة ، عن علي بن زيد ، عن الثمام  
أبي عبد الرحمن قال : أوحى الله تعالى إلى جبل قاسيون ، أن هب غلاك وبركتك إلى جبل بيت  
المقدس ، قال : فعلا ، فأوحى الله إليه : أما إذا فملت فإني سأبني لي في خطتك بيتاً أحبد فيه  
بعد خراب الدنيا أربعين عاماً ، ولا تذهب الأيام والليال حتى أرد عليك غلاك وبركتك .  
قال : فهو عند الله بمنزلة الرجل الضميف المتضرع .

وقال دحيم : حيطان المسجد الأربعة من بناء هود عليه السلام ، وما كان من التفسير  
إلى فوق ، فهو من بناء الوليد بن عبد الملك - يبقى أنه رفع الجدار فعلاه من حد الرخام والسكرمة  
إلى فوق - . وقال غيره : إنما بنى هود الجدار القليل فقط . ونقل عثمان بن أبي العاتكة ، عن أهل  
العلم ، أنهم قالوا في قوله تعالى (والتين) قالوا : هو مسجد دمشق .

وقال أبو بكر ، أحد بن عبد الله بن التمرج - المعروف بابن البراء ، الهمشي : ثنا إبراهيم بن  
حروان ، سمعت أحد بن إبراهيم بن ملاس يقول : سمعت عبد الرحمن بن يحيى بن إسماعيل بن  
عبيد الله بن أبي المهاجر قال : كان خارج باب الساعات صخرة يوضع عليها القربان ، فاقبل منه

جاءت نار فأكلته ، وما لم يتقبل منه شيء على حاله . قلت : وهذه الصخرة قلت إلى داخل باب الساعات ، وهي موجودة إلى الآن ، وبعض العامة يزعم أنها الصخرة التي وضع عليها ابداء آدم قربانها ، فتقبل من أحدهما ، ولم يتقبل من الآخر ، والله أعلم .

وقال هشام بن عمار : ثنا الحسن بن يحيى الحسني ، أن رسول الله ﷺ ليلة أسرى به صلى في موضع مسجد دمشق . قال ابن عساكر : وهذا منقطع ومنكر جداً ، ولا يثبت أيضاً لا من هذا الوجه ، ولا من غيره .

وقال أبو بكر البراقبي : حدثنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الملك بن النخعي القرقي ، حدثني أبي ، عن أبيه ، أن الوليد بن عبد الملك تقدم إلى القنوام ليلة من العاليل : قال : إن أريد أن أصل الليلة في المسجد ، فلا تتركوا أحداً يصل الليلة ، فقال له بعضهم : يا أمير المؤمنين ! هذا الخضر يصل في المسجد في كل ليلة . وفي رواية ، أنه قال لهم : لا تتركوا أحداً يدخله . ثم إن الوليد أتى باب الساعات ، فاستفتح الباب ، فتفتح له ، فإذا رجل قائم بين الساعات وباب الخضر الذي على الصورة - يصل ، وهو أقرب إلى باب الخضر منه إلى باب الساعات ، فقال الوليد للقنوام : ألم آمركم أن لا تتركوا أحداً الليلة يصل في المسجد ؟ فقال له بعضهم : يا أمير المؤمنين ! هذا الخضر يصل كل ليلة في المسجد . في إسناد هذه الحكاية وصحتها نظر ، ولا يثبت بثبوتها وجود الخضر بالحكاية ، ولا صلاته في المكان المذكور ، والله أعلم .

وقد اشتهر في الأعمار المتأخرة ، أن الزاوية القبليّة عند باب المأذنة الغربية - تسمى زاوية الخضر ، وما أدرى ما سبب ذلك . والذي ثبت بالتواتر صلاة الصعابة فيه ، وكفى بذلك شرفاً له وإنبره من المساجد التي صلوا فيها ، وأول من صلى فيه إماماً - أبو عبيدة بن الجراح . وهو أمير الأمراء بالشام ، وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة ، وأمين هذه الأمة . وصلّى فيه خلق من الصعابة مثل : معاذ بن جبل وغيره ، لكن قبل أن يغيره الوليد إلى هذه الصفة ، فأما بعد أن غير إلى هذا الشكل ، فلم يره أحد من الصعابة كذلك إلا أنس بن مالك ؛ فإنه ورد دمشق سنة ثنتين وتسعين ، وهو يبني فيه الوليد ، فصلّى فيه أنس ورأى الوليد ، وأنكر أنس على الوليد تأخير الصلاة إلى آخر وقتها ، كما قدما ذلك في ترجمة أنس ، عند ذكر وفاته سنة ثلاث وتسعين . وسيل في عيسى بن مريم إذا نزل في آخر الزمان ، إذا خرج الدجال وتحت البلوى به ، واهصر الناس منه بدمشق ، فينزل مسيح الهدى فيقتل مسيح الضلالة ، ويكون نزوله على المنارة الشرقية بدمشق وقت صلاة النحر ، فيأتي وقد أقيمت الصلاة ، فيقول له إمام الناس : تقدم يا روح الله ، فيقول : إنما أقومت لك ، فيصل عيسى تلك الصلاة خلف رجل من هذه الأمة ، يقال : إنه الهدى ، والله أعلم .

ثم يخرج عيسى بالناس فيذكر الدجال عند عقبة أفيق ، وقيل بباب أذ - فيقتله بيده هناك .  
وقد ذكرنا ذلك مبسوطاً عند قوله تعالى : ( وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَإِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِوَقْتِ  
مَوْتِهِ )<sup>(١)</sup> ، وفي الصحيح عن النبي ﷺ : « والى نفسى بيده لينزلن فيكم ابن مريم حكماً  
قسطاً ، وإماماً عادلاً ، فيكسر الصليب ، ويقتل الخنزير ، ويضع الجزية ، ولا يقبل إلا الإسلام » .

والقصد : أن عيسى ينزل على النار الشرقية بدمشق ، والبلد محصور حصن من الدجال ،  
فينزل على النار - وهي هذه النار البقية في زماننا من أموال النصارى - ثم يكون نزول عيسى  
حقيقاً لهم وهلاكاً ودماراً عليهم ، ينزل بين ملكين واحداً بيده على منكبيهما ، وعليه منبر وذئبان ،  
وفي رواية «عمرتان»<sup>(٢)</sup> يقطر رأسه ماء كأنما خرج من ديباس<sup>(٣)</sup> ، وذلك وقت الفجر ، فينزل  
على النار ، وقد أقيمت الصلاة ، وهذا إما يكون في المسجد الأعظم بدمشق ، وهو هذا الجامع ،  
وما وقع في صحيح مسلم من رواية النحاس بن ميمون الكلبي : فينزل على النار البيضاء شرق  
دمشق ، كأنه - والله أعلم - مروى بالمتى بحسب ما فهمه الراوى ، وإما هو ينزل على النار الشرقية  
بدمشق ، وقد أخبرت - ولم ألق عليه إلى الآن - أنه كذلك ، في بعض ألقاظ هذا الحديث ، في بعض  
الصفات ، والله للشئول المأثور أن يوقف على هذه النقطة ، وليس في البلد منارة تعرف بالشرقية  
سوى هذه ، وهي بيضاء بنفسها ، ولا يعرف في بلاد الشام منارة أحسن منها ، ولا أجس  
ولا أهل منها ، والله الحمد والمنة .

[ قلت : نزول عيسى على النار التي بالجامع الأموي غير مستنكر ، وذلك أن البلاد بالرجال  
يكون قد عم فينحصر الناس داخل البلد ، ومحصرهم الدجال بها ، ولا يتخلف أحد عن دخول  
البلد إلا أن يكون متعباً بالدجال ، أو مأسوراً معه ، فإن دمشق في آخر الزمان تكون مقفل  
المسلمين وحصنهم من الدجال ، فإذا كان الأمر كذلك ، فمن بهل خارج البلد ، والمسلمون كلهم  
داخل البلد ، وعيسى إما ينزل ، وقد أقيمت الصلاة فيصلى مع المسلمين ، ثم يأخذهم ويطلب الدجال  
ليقتله ، وبعض الدوام يقول : إن الراد بالنار الشرقية بدمشق ، منارة مسجد بلاشو ، خارج باب  
شرق . وبعضهم يقول : إنها النار التي على نهر باب شرق ، والله أعلم بمراد رسول الله ﷺ ،  
وهو سبحانه العالم بكل شيء ، الخبير بكل شيء ، النادر على كل شيء ، القاهر فوق كل شيء ،  
لا يمزج عن علمه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ]<sup>(٤)</sup> .

(١) من الآية : ١٥٩ من سورة النساء .

(٢) لفظة من التيب : التي فيها حفرة خفيفة .

(٣) ما بين القوسين مثبت في بعض النسخ .

(٤) الديلم : الخيام .

## الكلام على ما يتعلق برأس يحيى بن زكريا عليهما السلام

وروى ابن مسافر عن زيد بن واقد قال : وكفى الوليد هل السعال في بناء جامع دمشق ، فوجدنا فيه مفارقة فصرفنا الوليد ذلك ، فلما كان الليل واغنا وبين يديه الشمع ، فنزل فإذا هي كنيسة الخليفة ، ثلاثة أذرع في ثلاثة أذرع ، وإذا فيها صندوق ، ففتح الصندوق فإذا فيه سقط ، وفي السقط رأس يحيى بن زكريا عليهما السلام . مكتوب عليه هذا رأس يحيى بن زكريا ، فأمر به الوليد فرد إلى مكانه ، وقال : اجعلوا المود الذي فوقه منيراً من بين الأعمدة ، فجعل عليه عمود مسقط<sup>(١)</sup> الرأس ، وفي رواية عن زيد بن واقد ، أن ذلك الموضع كان تحت ركن من أركان القبة . يعني قبل أن تبقى . قال : وكان على الرأس شعر ونشر . وقال الوليد بن مسلم عن زيد بن واقد قال : حضرت رأس يحيى بن زكريا ، وقد أخرج من الأيطة<sup>(٢)</sup> القبلية الشرقية التي عند مجلس بيعة ، فوضع تحت عمود الكساسة ، قال الأوزاعي والوليد بن مسلم : هو المود الرابع المسقط .

وروى أبو بكر بن البراء عن أحد بن أس بن مالك ، عن حبيب المؤذن عن أبي زباد وأبي أمية الشعمانيين ، عن سفيان الثوري أنه قال : صلاة في مسجد دمشق ثلاثين ألف صلاة . وهذا غريب جداً . وروى ابن عساكر من طريق أبي مسهر عن المنذر بن نافع - مولى أم عمرو بنت مروان ، عن أبيه - وفي رواية عن رجل قد سماه . أن وائلة ابن الأستق ، خرج من باب المسجد الذي يلي باب جيرون ، فلقبه كعب الأخبار فقال : أين تريد ؟ قال وائلة : أريد بيت المقدس ، فقال : تعال أراك موضعاً في المسجد من صلى فيه ، فكأنما صلى في بيت المقدس ، فذهب به فأراه ما بين الباب الأحمر الذي يخرج منه الرجال - يعني الخليفة ، إلى الحفية - يعني التنظرة الغربية . قال : من صلى فيها بين هذين فكأنما صلى في بيت المقدس ، فقال وائلة : إنه لجاسي ومجلس قومي . قال كعب : هو ذلك . وهذا أيضاً غريب جداً ومتكرر ، ولا يستمدل مثله . وعن الوليد بن مسلم قال : لما أمر الوليد بن عبد الملك ببناء مسجد دمشق وجدوا في حائط المسجد القليل لوحاً من حجر فيه كتاب نقش ، فتمشوا به إلى الوليد ، فبحث إلى الروم فلم يفتخروه ، ثم بحث إلى من كان بدمشق من بقية الأسبان فلم يستخرجوه ، فدل على وهب ابن منبته فبحث إليه ، فلما قدم عليه أخبره بوضع ذلك اللوح ، فوجدوه في ذلك الحائط . ويقال ذلك الحائط بناء هود عليه السلام ، فلما نظر إليه وهب حرك رأسه وقرأه . هو :

بسم الله الرحمن الرحيم ، ابن آدم لو رأيت يسير ما بقى من أجلك ، لهدت في طول ما ترجو من أملاك ، وإنا نلقى ندمك لو قد زل بك قدمك ، وأسلمك أهلك وحشمك ، وانصرف عنك الجبيب ، وأسلمك الصاحب والقريب ، ثم صرت تدعى فلا تحيب ، فلا أنت إلى أهلك تائد ، ولا إلى حلك زائد ، فاعمل لنفسك قبل يوم القيامة ، وقبل الحسرة والندامة ، قبل أن يحل بك أجلك ، وتزيع منك روحك ، فلا ينفعك مال جمته ، ولا ولد وفدته ، ولا أخ تركته ، ثم تصير إلى برزخ الترى ، وبجورة الموتى ، فاعظم الحياة قبل المات ، والقوة قبل الضعف ، والصحة قبل السقم ، قبل أن تؤخذ بالكلام ، ويحال بينك وبين العمل ، وكتب في زمن سليمان بن داود عليهما السلام .

وقال ابن عساكر : قرأت على أبي محمد السلي ، من عبد العزيز التميمي ، أنبأ تمام الرازي ثنا ابن البراء ، سمعت أبا مروان - عبد الرحمن بن عمر اللأزي يقول : لما كان في أيام الوليد بن عبد الملك وبناؤه المسجد ، احتفروا فيه موضعاً فوجدوا باباً من حجارة مغلقاً ، فلم يفتحوه وأعلموا به الوليد ، فخرج حتى وقف عليه وفتح بين يديه ، فإذا داخله مقبرة فيها تمثال إنسان من حجارة ، على فرس من حجارة ، في بد التمثال الواحدة الدرة التي كانت في الخراب ، وبده الأخرى مقبوضة ، فأمرهم فسكسرت ، فإذا فيها حبتان ؛ حبة قمح ، وحبة شعير ، فسأل عن ذلك ، فقيل له : لو تركت السكس لم تنكسهما لم يسوس في هذا البلد قمح ولا شعير . وقال الحافظ أبو حذان الرراق - وكان قد عمر مائة سنة - سمعت بعض الشيوخ يقول : لما دخل المسلمون دمشق وجدوا على العمود الذي على التلاط - على السفود الحديد الذي في أحلاه - صنماً ماداً يده بكف مطبقة ، فسكسروه ، فإذا في يده حبة قمح ، فسألو : من ذلك . فقيل لهم : هذه الحبة القمح جعلها الحكاء اليونان في كف هذا الصنم طلسماً ، حتى لا يسوس القمح في هذه البلاد ، ولو أقام سنين كثيرة

قال ابن عساكر : وقد رأيت أنا في هذا السفود على قناطر كنيسة التلاط كانت مبنية فوق القناطر في السوق الكبير ، عند الصابونيين والمطربين اليوم ، وعندها اجتمعت جيوش الإسلام يوم فتح دمشق ، أبو عبيدة من باب الجابية ، وخالد من باب الشرقي ، ويزيد بن أبي سفيان من باب الجابية الصغير . وقال عبد العزيز التميمي ، عن أبي نصر عبد الوهاب بن عبد الله البري : سمعت جماعة من شيوخ أهل دمشق يقولون : إن في سقف الجامع طلسم حملها المسكاه في السف من على الحائط القبلي ؛ فيها طلسم قصونيات ، لا تدخل ولا تتش في من جهة الأوساخ التي تكون منها ، ولا يدخله غراب وطلسم قنأ والحيات والقارب ، فما رأى الناس من هذا شيئاً إلا القاء ، ويشك أن يكون قد عدم طلسمها . وطلسم لا تكبوت حتى لا ينسج فيه ، وفي رواية فيركبه التنبل والوسخ .



قال الحافظ ابن عساكر : وسمعت جدي أبا الفضل يحيى بن علي يذكر أنه أدرك في الجامع قبل حريقه طلعات لآثار الحشرات ، معلقة في السقف فوق البطان مما يل السبع ، وأنه لم يكن يوجد في الجامع شيء من الحشرات قبل الحريق ، فذا احترقت الطلعات حين أحرق الجامع أيلة النصف من شعبان بعد العصر سنة إحدى وستين وأربعمائة ، وقد كانت يمدق طامحات كثيرة ، ولم يبق منها سوى العمود الذي بسوق الملبين الذي في أعلاه مثل الكرة العظيمة ، وهي لمسر بول الدواب ، إذا داروا بالدابة حوله ثلاث مرات انطلق باطنها وقد كان شوخنا ابن تيمية - رحمه الله يقول : إنما هذا قبر مشترك مفرد مدفون هنالك يمدق ، فإذا سمعت الدابة صراخه فزعت فانطلق باطنها وطبعها ، قال : ولهذا يذهبون بالدواب إلى مقابر اليهود والنصارى إذا منلت<sup>(١)</sup> ، فتطلق طباعها وتروث ، وما ذاك إلا أنها تسمع أصواتهم وهم يمدقون ، والله أعلم .

### ذكر الساعات التي على باب

قال القاضي عبد الله بن أحمد بن زبر : إنما سمي باب الجامع القبلي باب الساعات ؛ لأنه هل هناك لمسك الساعات ، كان يعمل بها كل ساعة تمضي من النهار . عليها مصافير من نحاس ، وحية من نحاس وغراب ، فإذا تمت الساعة خرجت الحية فصرفت المصافير وصاح الغراب ، وسقطت حصاة في الحطت ، فيعلم الناس أنه قد ذهب من النهار ساعة ، وكذلك سائرهما . قلت : هذا محتمل أحد شيئين ؛ إما أن تكون الساعات كانت في الباب القبلي من الجامع - وهو الذي يسمى باب الزيادة ، ولكن قد قيل : إنه محدث بعد بناء الجامع ، ولا يفتي ذلك أن الساعات كانت عنده في زمن القاضي ابن زبر . وإما أنه قد كان في الجامع في الجانب للشرق منه في الحائط القبلي باب آخر في محاكاة باب الزيادة ، وعند الساعات ، ثم قلت بعد هذا كله إلى باب الوراقين اليوم - وهو باب الجامع من الشرق ، والله أعلم .

[ قلت : باب الوراقين قبل أيضاً ، فيضاف إلى الجامع نسبة إلى من يدخل منه إلى الجامع والله أعلم ، أو لجوارته للجامع ولبابه<sup>(٢)</sup> .  
قلت : فأما القبة في التي وسط من الجامع التي فيها الماء الجاري - ويقول العامة لها قبة أبي نواس - فكان بناؤها في سنة تسع وستين وثلاثمائة ، أرخ ذلك ابن عساكر عن خط بعض الدماشقة .

(١) منلت الدابة : أكلت التراب مع القمل فأخذها وجع في بطها ، والاسم : النقة .

(٢) ما بين القوسين مثبت في نفس النسخ .

وأما القبة الغربية السالية التي في محن الجامع - التي يقال لها قبة عائشة - فسميت شيعةنا الذهبى يقول : إنها إنما بنيت في حدود سنة ستين ومائة في أيام المهدي بن منصور العباسى ، وجماعها لحواصل الجامع ، وكتب أوقافه .

وأما القبة الشرقية التي على باب مسجد حل ، فيقال : إنها بنيت في زمن الحاكم المبيدى في حدود سنة أربع ومائة .

وأما القنطرة التي تحت دوح جيرون ، فعملها الشريف نضر الدولة أبو على حزة بن الحسن ابن العباس الحسى ، وكأنه كان ناظرًا بالجامع ، وجر إليها قطعة من حجر كبير من قصر حجاج ، وأجرى منها الماء إلى الجملة سبع ألال خلون من ربيع الأول سنة سبع عشرة وأربعمائة ، وعلت حولها قنطرة ، وعقد عليها قبة ، ثم سقطت القبة بسبب جلال تحاكت عندها وأزدحت ، وذلك في صفر سنة سبع وخمسين وأربعمائة ، فأعيدت ثم سقطت أعيدتها وما عليها من حريق البادين والمجاعة في شوال سنة اثنتين وستين وخمسمائة . ذكر ذلك كله الحافظ ابن مسافر .

قلت : وأما التتمة التي كانت في القنطرة ، فما زالت وسطها ، وقد أدركتها كذلك ، ثم دفت بعد ذلك . وكان بطمارة جيرون قصعة أخرى مثلها ، فلم تزل بها إلى أن تهدمت البادين بسبب حريق النصارى في سنة إحدى وأربعين وسبعمائة ، ثم استوف بداء الطمارة على وجه آخر أحسن مما كانت ، وذبحت تلك التتمة فلم يبق لها أثر ، ثم عمل الشاذروان الذى شرق قنطرة جيرون ، بعد الخمسمائة - أظنه - سنة أربع عشرة وخمسمائة ، وألف سبعهائه وتعالى أعلم .

### ذكر ابتداء أمر السبع في الجامع الاموى

قال أبو بكر بن أبى داود : ثنا أبو عباس موسى بن عامر الرى ، ثنا الوليد - هو ابن مسلم - قال : قال أبو عمر الأوزاعى : عن حسان بن عطية قال : الدراسة معدة أخذتها هشام ابن إسماعيل الخزومى ، في قعدة قدسما على عبد الملك ، فحبه عبد الملك ، فجلس بعد الصبح في مسجد دمشق ، فسمع قراءة ، فقال : ما هذا ؟ فأخبر أن عبد الملك يقرأ في الخضراء ، فقرأ هشام بن إسماعيل ، فحبل عبد الملك يقرأ بقراءة هشام ، فقرأ بقراءته مولى له ، فاستحسن ذلك من يليه من أهل المسجد ، فقرأوا بقراءته .

وقال هشام بن عمار خطيب دمشق : ثنا أيوب بن حسان ، ثنا الأوزاعى ، ثنا خالد بن دهقان قال : أول من أحدث القراءة في مسجد دمشق - هشام بن إسماعيل بن الفيرة الخزومى ، وأول من أحدث القراءة بفلسطين الوليد بن عبد الرحمن الجرشى .

قلت : هشام بن إسماعيل كان نائباً على الدفعة النبوية ، وهو الذي ضرب ساجد بن السيب ، لما امتنع من البيعة الوليد بن عبد الملك ، قبل أن يموت أبوه ، ثم عزله عنها الوليد ، وولى عليها عمر بن عبد العزيز ، كما ذكرنا .

وقد حضر هذا السبع جماعات من سادات البلخ من التابعين بدمشق ، منهم : هشام بن إسماعيل ، ومولاه رافع ، وإسماعيل بن عبد الله بن أبي المهاجر ، وكان مكتباً<sup>(١)</sup> لأولاد عبد الملك ابن مروان ، وقد ولى إمرة إفريقية هشام بن عبد الملك ، وابنيه : عبد الرحمن ، ومروان . وحضره من النضاة : أبو إدريس الخولاني ، وغيره بن أوس الأشعري ، وزيد بن أبي المهداني ، وسالم بن عبد الله الحارثي ، ومحمد بن عبد الله بن لبيد الأسدي .

ومن الفقهاء والحديثين ، والحفاظ القريظين : أبو عبد الرحمن القاسم بن عبد الرحمن - مولى معاوية ، ومكحول ، وسليمان بن موسى الأشدق ، وعبد الله بن الملا بن زبر ، وأبو إدريس الأصغر - عبد الرحمن بن عراك ، وعبد الرحمن بن حنبل اليحصبي - أخو عبد الله بن عامر ، ويحيى ابن الحارث الدمازي ، وعبد الملك بن نيمان المري ، وأنس بن أنس الغدري ، وسليمان بن بديع القاري ، وسليمان بن داود الخثني ، وهران - أو هران - بن حكيم القرشي ، ومحمد بن خالد بن أبي غيلان الأزدي ، وزيد بن عبيدة بن أبي المهاجر ، وعباس بن دينار ، وغيرهم . هكذا أورد ابن عساکر . قال : وقد روي من بعضهم أنه كره اجتماعهم وأنسكه ، ولا وجه لإنكاره .

ثم ساق من طريق أبي بكر بن أبي داود : ثنا عمرو بن عثمان ، ثنا الوليد - هو ابن مسلم - عن عبد الله بن الملا . قال : سمعت الضحاك بن عبد الرحمن بن مروب يذكر الدراسة ويقول : ما رأيت ولا سمعت ، وقد أدركت أصحاب النبي ﷺ .

قال ابن عساکر : وكان الضحاك بن عبد الرحمن أمراً على دمشق في أواخر سنة تسع وتسعين في خلافة عمر بن عبد العزيز .

### فصل

كان ابتداء حارة جامع دمشق في أواخر سنة ست وثمانين ، خدمت الكنيسة التي كانت موضوعة في ذى القعدة منها ، فلما فرغوا من الهدم شرعوا في البناء ، وتكامل في عشر سنين ، فسكان الفراغ منه في هذه السنة - أعني سنة ست وتسعين - وفيها توفي يأنيه الوليد بن عبد الملك ، وقد بقيت فيه بقايا ، فكلها أخوه سليمان ، كما ذكرنا . فأما قول يعقوب بن سفيان : سألت هشام بن عمار عن قصة مسجد دمشق وهذه الكنيسة ، قال : كان الوليد قال لنعصاري : ما شئتم

(١) الكتب - كقصد - موضع التلميح .

إنا أخذنا كنيسة توما عنوة ، وكنيسة الداحلة صالماً ، فأما أهدم كنيسة توما — قال هشام وذلك أكبر من هذه الداحلة — قال : فرضوا أن يهدم كنيسة الداحلة ، وأدخلها في المسجد ، قال : وكان بابها قبلة المسجد اليوم ، وهو الحراب الذي يصلى فيه ، قال : وهدم الكنيسة في أول خلافة الوليد سنة ست وثمانين ، ومكثوا في بنائها سبع سنين حتى مات الوليد ولم يتم بنائه ، فأتم هشام من بعده — ففيه فوائد وفيه غلط ، وهو قوله : إنهم مكثوا في بنائه سبع سنين ، والصواب عشر سنين ، فإنه لا خلاف أن الوليد بن عبد الملك توفي في هذه السنة — أتمى سنة ست وتسعين — وقد حكى أبو جعفر بن حرير على ذلك إجماع أهل السير ، والذي أتم ما بقي من بنائه أخوه ساجان لا هشام ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

[ قلت : نقل من خط ابن مسافر وقد تقدم ، وقد جدت فيه بعد ذلك أشياء ، مما التفتت الثلاث التي في محله . وقد تقدم ذكرها . وقيل : إن القبة الشرقية هربت في أيام السفنصر العبيدي في سنة حسين وأربعمائة ، وكتب عليه اسمه واسم الاثنين عشر الذين تروم الرافضة أنهم ، وأما المدوران الموضوعان في محله ، فجعلنا للتقوير لبالي الجمع ، وصلما في رمضان سنة إحدى وأربعين وأربعمائة ، بأمر قاضي البلد أبي محمد (١) ]

### وهذه ترجمة الوليد بن عبد الملك باني جامع دمشق

وذكر وفاته في هذا العام

هو الوليد بن عبد الملك بن مروان بن الحسك بن أبي الدان بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف — أبو العباس الأموي ، روي له ما خلافة بعد أبيه بمهده سنة في شوال سنة ست وثمانين ، كان أكبر ولده ، والولي من بعده ، وأمه ولادة بنت العباس بن حزن بن الحارث بن زهير العنسي ، وكان مولده سنة خمسين ، وكان أبواه يترفاه (٢) ، فشب بلا أدب ، وكان لا يحسن العربية ، وكان طويلاً أسمر به أنزجدرى خفي ، أظلس الأف سائله ، وكان إذا مشى شوكت في المشية — أي يبختر — وكان جليلاً وقيل : دميماً ، قد شاب في مقدم لحيته ، وقد رأى سهل بن سعد ، وسمع أنس بن مالك لما قدم عليه ، أنه ما جمع في أشراط الساعة ، كما تقدم في ترجمة أس ، وسمع سميد بن السيب ، وحكى عن الزهري وغيره .

وقد روى أن عبد الملك أراد أن يمهده إليه ، ثم توقف لأنه لا يحسن العربية ، فنجح الوليد جماعة من أهل التصوف عنده ، فأقاموا سنة ، وقيل : ستة أشهر ، فخرج يوم خرج — أجهل بما كان ،

(١) ما بين القوسين سقط من بعض النسخ . (٢) الترفة : التعة ، وترف — كفرح — تتم . وإثرفته التعة : أكلته . والترف : التروك بصم ما يشاء لا يمنع ، والمتمم لا يمنع من تمه .

فقال عبد الملك : قد أجيد وأقدر ، وقيل : إن أباه عبد الملك أوصاه عند موته فقال له : لا أتقيد  
إذا مت تجلس تمصر عينيك ، وتمن حنين الأمة ، ولكن شير واترو ، ودلني في حفرتي ، وخلقى  
وشأني ، وادع الناس إلى البجعة ، فن قال برأسه هكذا — فقل بسيفك هكذا . وقال الهيث :  
وفي سنة أربع وتسعين غزا الوليد بلاد الروم ، وفيها حج بالناس أيضا . وقال غيره : غزا في التي  
قبلها وفي التي بعدها بلاد لعلية وغيرها ، وكان نقش خاتمه : أو من الله خلاصا . وقيل : كان نقشه  
يا وليد إنك ميت ، ويقال : إن آخر ما تكلم به — سبحانه الله والحمد لله ولا إله إلا الله ، وقال  
إبراهيم بن أبي عبلة ، قال لي الوليد بن عبد الملك يوما : في كم تحتم القرآن ؟ قلت في كذا وكذا ،  
فقال : أمير المؤمنين على شمله يحتمه في كل ثلاث ، وقيل في كل سبع ، قال : وكان يقرأ في شهر  
رمضان سبع عشرة ختمه . قال إبراهيم رحمه الله : الوليد وابن منه ؟ بنى مسجد دمشق ، وكان  
يمطلي قطع القضة ، فأقسمها على قراءة بيت المقدس .

وروى ابن عساكر بإسناد رجاله كلهم ثقات ، من عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن أبيه  
قال : خرج الوليد يوما من الباب الأصغر ، فرأى رجلا عند المئذنة الشرقية يأكل شيئا ، فأناد  
فوقف عليه ، فلما هوى يأكل خبزا وترابا ، فقال له : ما حركك على هذا ؟ قال : اتنوع  
يا أمير المؤمنين ، فذهب إلى مجلسه ، ثم استدعى به فقال : إن لك لشأنا فأخبرني به ، وإلا ضربت  
الذي فيه عينك ، فقال : نعم يا أمير المؤمنين كنت رجلا حلالا ، فبينما أنا أسهر من مرج الصفر  
قاصدا إلى الكسوة ، إذ ذرمتي<sup>(١)</sup> البول ، فعدلت إلى خربة لأبول ، فلما سرب خفرتي ، فلما مال  
صبيب ، فلأت منه عراش ، ثم انطلقت أقود برواحل ، وإذا بمضلة معي فيها طعام ، فألقيته  
منها ، وقلت : إني سأني الكسوة ، ووجبت إلى الخربة لأملأ تلك المضلة من ذلك المال فلم أجد  
إلى المكان بعد المجد في الطلب ، فلما أيسرت رجعت إلى الرواحل فلم أجدها ولم أجد الطعام ،  
فأكلت على نفسي أي لا آكل إلا خبزا وترابا . قال : فهل لك عيال ؟ قال : نعم ، ففرض  
له في بيت المال .

قال ابن جرير : وبلغنا أن تلك الرواحل سارت حتى أتت بيت المال ، فقتلها حارسه  
فوضعا في بيت المال ، وقيل : إن الوليد قال له : ذلك المال وصل إلينا ، واذبح إلى إبطك بغضا ،  
وقيل : إنه دفع إليه شيئا من ذلك المال يفتحه وعياله . وقال نعيم بن عبد الله النعماني عن أبيه قال :  
قال الوليد بن عبد الملك : لولا أن الله ذكر قوم لوط في القرآن ما ظننت أن ذكرا يغفل هذا بذكر  
[ قلت : فنفى عن نفسه هذه الخصلة القبيحة الشنيعة ، والفاشة الذمومة ، التي عذب الله أهلها

(١) ذرم البول : انقطع . وأزرمه : قطع عليه بوله .

بأنواع العقوبات ، وأحل لهم أنواع من المثلات ، التي لم يعاقب بها أحدكم من الأمم السالقات ؛ وهي فاحشة الاوط التي قد اجتل بها غالب الملوك والأحرار ، والتعزاز والموام والكتمان ، والفتواء والقضاء ونحوهم - إلا من عصم الله منهم ، فإن في الاوط من المناسد ما يفوت المحصر والشداد ، ولهذا تنوعت عقوبات ظاهليه ، ولأن نقل المفعول به خير من أن يؤتى في دربه ، فإنه يفسد فساداً لا يرجى له بده صلاح أبداً ، إلا أن يشاء الله ، ويذهب خبر المفعول به . فمل الرجل حفظ ولده في حال صفه وبعد بلوغه ، وأن مجديه محاطة هؤلاء الملاعين ، الذين لمنهم رسول الله ﷺ .

وقد اختلف الناس : هل يدخل الجنة مفعول به ؟ - على قولين ، والصحيح في المسألة أن يقال إن المفعول به إذا تاب توبة شبيعة نصوحاً ، ورزق إجابة إلى الله وصلاحاً ، وبذل سيئاته بحسنات ، وغسل عنه ذلك أنواع الطاعات ، وغض بصره وحفظ فرجه ، وأخلص معاملته لربه - فهذا إن شاء الله مغفور له ، وهو من أهل الجنة ، فإن الله ينظر القنوب للنايبين إليه ( وَمَنْ لَمْ يَنْبُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ) <sup>(١)</sup> (فَمَنْ تَابَ مِنْ بَند ظُلْمَةٍ وَأَصْحَاحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنْ أَلَّهِ غَفُورٌ رَحِيمٌ) <sup>(٢)</sup> . وأما مفعول به صار في كبره شركاً منه في صفه ، فهذا توبته متفجرة ، وببدا أن يؤهل لتوبة صحيحة ، أو لعل صالح يدعو به ما قد ساف ، ويحشى عليه من سوء الخاتمة ، كما قد وقع ذلك لخلق كثير ماتوا بأدرانهم وأوصاخيهم ، لم يظهروا منها قبل الخروج من الدنيا ، وبعضهم ختم له بشر خاطئة ، حتى أوقعه مشق الصور في الشرك الذي لا ينفقه الله وفي هذا الباب حكايات كثيرة وقعت لوطية وغيرهم من أصحاب الشهوات ، يطول هذا الفصل يذكرها .

والنقصود : أن الذوب والماضي والشهوات تحل صاحبها عند الموت مع خذلان الشيطان له ، فيجتمع عليه الخذلان مع ضعف الإيمان ، فيقع في سوء الخاتمة . قال الله تعالى : ( وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولاً ) <sup>(٣)</sup> . بل وقع سوء الخاتمة لخلق لم يفعلوا فاحشة الاوط ، وقد كانوا متلبسين بذنوب أهون منها . وسوء الخاتمة - أعادها الله منها - لا يقع فيها من صابح ظاهره وباطنه مع الله ، وصدق في أقواله وأعماله ؛ فإن هذا لم يسمح به كما ذكره عبد الحق الأشبيل ، وإنما يقع سوء الخاتمة لمن فسد باطنه عقداً ، وظاهره عملاً ، وإن له جرأة على الكبر ، وإقدام على الجرائم ، فربما غلب ذلك عليه حتى ينزل به الموت قبل التوبة .

والنقصود : أن مفسدة الاوط من أعظم المفاسد ، وكانت لا تعرف بين العرب قديماً كما قد ذكر ذلك غير واحد منهم ؛ فلماذا قال الوليد بن عبد الملك : لو لا أن الله مز وجل قصى علينا قصة

(١) من الآية : ١١ من سورة الحجرات . (٢) الآية : ٣٩ من سورة السائدة .

(٣) من الآية : ٢٩ من سورة الفرقان .

يوم لوط في القرآن ما ظننت أن ذكرًا يملو ذكرًا. وفي حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - أن النبي ﷺ قال : « من وجدتهو يعمل عمل قوم لوط فاعلموا القاعل والمقول فيه » رواه أهل السنن ، وصححه ابن حبان وغيره . وقد امن النبي ﷺ من عمل قوم لوط ثلاث مرات ولم يامن على ذب ثلاث مرات إلا عليه . وإنما أمر بقتل القاعل والمقول به ، لأنه لا خير في بقاءهما بين الناس ، لتساد طوبتهما ، وخيب بواطنهما ، فمن كان بهذه الثلاثة ، فلا خير للخلق في بقاءه ، فإذا أراح الله الخلق منها - صالح لهم أمر مشائهم ودينهم - وأما الامة ففى الطرد والشد ، ومن كان مطروفاً مبدأ من الله وعن رسوله ، وعن كتابه ، وعن صالح عباد - فلا خير فيه ولا في قربه ، ومن رزقه الله تعالى توحيماً وفراسة ، ونوراً وفرقاناً - عرف من سجن الناس ووجوههم أحوالهم ، فإن أعمال العمال بانهة ولائحة على وجوههم ، وفي أمتهم وكلامهم .

وقد ذكر الله الاوطية ، وجعل ذلك آيات للمؤمنين فقال تعالى : ( فَأَعَذَّتْهُمْ اللّٰهُ مِنْهُمْ )  
 مشرفين • فَعَلَّمْنَاهُ جَانِبًا غَآيِبًا • فَأَتَيْنَا الْوَادِئَ فَنَاجَيْتُهُمْ • حِجَابًا رَّيْنًا • جَعَلْنَا لِنَافِثَاتِ  
 الْفُتُوْرَيْنِ )<sup>(١)</sup> وما بعدها . وقال تعالى : ( أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ  
 اللَّهُ أَشْقَاهُمْ • وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرْبَتْنَا كُمْ فَمَا تَرَفَقْتُمْ بِهِمْ أَوْ لَتَمُوتُنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَفَعَلْنَا  
 بِكُمُ الْاَعْمَالِ • وَإِنَّمَا لَكُمْ فِي الْأَنْبِيَاءِ حِكْمَةٌ وَتِلْكَ اْأَخْبَارُكُمْ )<sup>(٢)</sup> وهو ذلك  
 من الآيات والأحاديث فالوطى قد عكس القطرة ، وقلب الأمر ، فأى ذكرنا قلب الله قلبه ،  
 وعكس عليه أمره ، بعد صلاحه وفلاحه ، إلا من تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى .

و-حصل الثَّابِتُ قد ذكرها الله في آخر سورة براءة ، فقال : ( الثَّائِبُونَ الصَّادِقُونَ ) غلابه  
لثَّابِتٍ مِنَ الْعِبَادَةِ وَالِاشْتِمَالِ بِالْعَمَلِ الْآخِرَةِ ، وَالْإِلْفَاقِ تَمَامَةً مُتَحَرِّكَةً ، إِنْ لَمْ تَشْغَلْهَا بِالْحَقِّ  
وَالِإِشْغَلُكَ بِالْبَاطِلِ ، فَلَا يَدُ الثَّابِتِ مِنْ أَنْ يَبْدُلَ تِلْكَ الْأَوْقَاتِ الَّتِي مَرَّتْ لَهُ فِي الْعَامِ بِأَوْقَاتِ  
الطَّاعَاتِ ، وَأَنْ يَتَذَكَّرَ مَا فَرُطَ فِيهَا ، وَأَنْ يَبْدُلَ تِلْكَ الْخَطَوَاتِ بِخَطَوَاتٍ إِلَى الْخَيْرِ ، وَيَحْفَظَ  
لِحَفَاطَتِهِ وَخَطَوَاتِهِ ، وَلِقَاطَتِهِ وَخَطَرَاتِهِ . قَالَ رَجُلٌ لِلْعَبِيدِ : أَوْصِي ، قَالَ : تَوْبَةُ تَحْمِلُ الْإِصْرَ ،  
وَخَوْفُ يَزِيلُ الْعِزَّةَ ، وَرَجَاءُ يَرْجِعُ إِلَى طَرِيقِ الْخَيْرَاتِ ، وَرَقَابَةُ اللَّهِ فِي خَوَاطِرِ الْقَلْبِ .  
فهذه صفات الثَّابِتِ . ثُمَّ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ( الْحَامِدُونَ السَّائِدُونَ الرَّكَعُونَ السَّاجِدُونَ ) الْآيَةُ ، فَهَذِهِ  
خَصَالُ الثَّابِتِ كَمَا قَالَ تَعَالَى : ( الثَّائِبُونَ ) فَكَأَنَّ ثَابِتًا يَقُولُ : مِنْ م ؟ يُقِيلُ : مِ الْمَاجِدُونَ السَّائِدُونَ  
إِلَى آخِرِ الْآيَةِ ، وَالْإِفْكَالُ ثَابِتٌ لَمْ يَطْبَسْ بِهِ تَوْبَةً بِمَا يُعْتَرَفُ بِهِ إِلَى مَنْ تَلَبَّ إِلَيْهِ - فَهُوَ فِي بَدْءِ  
الْإِدْبَارِ ، لَا فِي قُرْبِ وَإِقْبَالِ ؛ كَمَا يَفْعَلُ مَنْ اغْتَرَبَ بِاللَّهِ مِنَ الْعَاصِيَاتِ الْخَفَوَاتِ ، وَبَدَعَ الطَّاعَاتِ ، فَمِنْ  
تَرَكَ الطَّاعَاتِ وَصَلَ الْعَاصِيَاتِ - أَشَدُّ وَأَعْظَمُ مِنْ ارْتِكَابِ الْغَرَمَاتِ بِالشَّوْءِ النَّفْسِيَةِ .

فالتائب : هو من اتقى المحذورات ، وفعل للأمورات ، وصبر على القدورات ، والله سبحانه وتعالى هو المين الوقت ، وهو علم بذات الصدور <sup>(١)</sup> .

قالوا : وكان الوليد طاماً ؛ كما جاء من غير وجه ، أن الوليد خطب يوماً : فقرأ في خطبته : ( يَا أَيُّهَا كَانَتْ النَّاسِيَّةُ ) <sup>(٢)</sup> ، فغم الناس من لينها ، فقال عمر بن عبد العزيز : يا ليتها كانت عليك وأراحنا الله منك ، وكان يقول : يا أهل المدينة . وقال عبد الملك يوماً لرجل من قريش : إنك لرجل لولا أنك تلحن ، فقال : وهذا ابنك الوليد يلحن ، فقال : لكن ابني سليمان لا يلحن ، فقال الرجل : وأخي أبو فلان لا يلحن .

وقال ابن جرير : حدثني عمر ، ثنا علي - بن عمار الدائني - قال : كان الوليد بن عبد الملك عند أهل الشام أفضل خلاتهم ؛ بنى المساجد بدمشق ، ووضع المنائر ، وأعطى الناس ، وأعطى المجذوبين ، وقال لهم : لا تسألوا الناس ، وأعطى كل مقعد خادماً ، وكل ضرير قائداً ، وفتح في ولايته فتوحات كثيرة عظيمة ، وكان يرسل بنيه في كل غزوة إلى بلاد الروم ؛ ففتح الهند والسند ، والأندلس ، وأقام بلاد الديلم ، حتى دخلت جيوشه إلى الصين ، وغير ذلك .

قال : وكان مع هذا يمر بالقتال ، فيأخذ حزمة البقل بيده ويقول : بكم تباع هذه ؟ فيقول : بئس ، فيقول : زد فيها فإني أبيع . وذكروا أنه كان يبرح حلة القرآن ويكرهم ويقبض منهم ديوبهم . قالوا : وكانت همة الوليد في البناء ، وكان الناس كذلك يلقى الرجل الرجل فيقول : ماذا بنيت ؟ ماذا عرت ؟ وكانت همة أخيه سليمان في النساء ، وكان الناس كذلك ، يلقى الرجل الرجل فيقول : كم تزوجت ؟ ماذا عندك من السراري ؟ وكانت همة عمر بن عبد العزيز في قراءة القرآن ، وفي الصلاة والعبادة ، وكان الناس كذلك ، يلقى الرجل الرجل فيقول : كم وردك ؟ كم تقرأ كل يوم ؟ ماذا صليت لليلة ؟

[ والناس يقولون : الناس على دين ملوكهم ، إن كان خيراً كثرت الخير ، وإن كان لوالياً فكذلك ، وإن كان شريعياً كان الناس كذلك ، وإن كان جواداً كريماً شجعاناً كان الناس كذلك ، وإن كان طاماً غلوفاً غشوماً فكذلك ، وإن كان ذا دين وتقوى وبر وإحسان - كان الناس كذلك . وهذا يوجد في بعض الأزمان وبعض الأشخاص ، والله أعلم <sup>(٣)</sup> .

وقال الواقدي : كان الوليد جباراً ذا سطوة شديدة لا يتوقف إذا غضب ، لجوجاً ، كثير

(١) ما بين التوسين زيادة في بعض النسخ . (٢) من الآية ٢٧ من سورة الحاقة .

(٣) ما بين التوسين زيد في بعض النسخ .



الأكل والجامع مطلقاً ، يقال : إنه تزوج ثلاثاً وستين امرأة غير الإمام . قلت : يراد بهذا الوليد ابن يزيد الفاسق - لا الوليد بن عبد الملك باني الجامع ، والله أعلم .

قلت : بني الوليد الجامع على الوجه الذي ذكرنا ، فلم يكن له في الدنيا نظير ، وفي يوم صغيرة بيت المقدس عقد عليها القبة ، وبني مسجد النبي ﷺ ، ووسمه حتى دخلت الحجرة التي فيها القبر فيه ، وله آثار حسان كثيرة جداً . ثم كانت وفاته في يوم السبت لثلاثين من جمادى الآخرة من هذه السنة . قال ابن جرير : هذا قول جميع أهل السير .

وقال جرير بن علي الفلاس وجماعة : كانت وفاته يوم السبت لثلاثين من ربيع الأول من هذه السنة - من ست ، وقيل : ثلاث ، وقيل : تسع ، وقيل : أربع وأربعين سنة ، وكانت وفاته بدير مرّكان ، فحمل على أعناق الرجال حتى دفن بمقابر باب الصغير ، وقيل : بمقابر باب الفروايس ، حكاه ابن عساکر . وكان الذي صلى عليه جرير بن عبد العزيز [ لأن أخاه سليمان كان بالقدس الشريف ، وقيل : صلى عليه ابنه عبد العزيز <sup>(١)</sup> ] ، وقيل : بل صلى عليه أخوه سليمان . والصحيح جرير بن عبد العزيز ، والله أعلم . وهو الذي أُرْزِلَ إلى قبره ، وقال حين أُرْزِلَ : لنزلته غير موثد ولا عهد ، قد خلقت الأسلاب ، وفارقت الأحباب ، وسكنت القباب ، وواجهت الحساب ، فقيراً إلى ما قدمت ، غنياً عما آخرت . وجاء من غير وجه من عمر ، أنه أخبره أنه لما وضعه - يعني الوليد - في لحده ارتكض في أكفانه ، وجمعت رجلاه إلى عنقه . وكانت خلافته تسع سنين وعثمانية أشهر على المشهور ، والله أعلم .

قال المدائني : وكان له من الولد تسعة عشر ولداً ذكرًا ، وهم : عبد العزيز ، ومحمد ، والعباس ، وإبراهيم ، وعقلم ، وخالد ، وعبد الرحمن ، ومبشر ، ومسرور ، وأبو عبيدة ، وصنّقه ، ومنصور ، ومروان لا وعائسة ، وعمر ، وروح ، وبشر ، ويزيد ، وبجعي . وأم عبد العزيز ، ومحمد ، وأم اللين بنت عبد العزيز بن مروان ، وأم أبي عبيدة فزاربة ، وسائرهم من أمهات أولاد شقي . قال المدائني : وقد رثاه جرير فقال :

يا عينُ جُودِي بدمعِ حاجَهِ الدَّكْرِ      فما لَدَمَكَ بعدَ اليومِ مُدَّخِرُ  
إنَّ الظِّلْفَةَ قد وارت شِمالُهُ      غيراً مُلَحَّدةً في جُوعِها زَوْرُ <sup>(٢)</sup>  
أضحى بنوه وقد جَلَّتْ مصيبتُهُم      مثلَ النجومِ هوىً مِن بَيْنِها قَمَرُ  
كانوا جَمْعاً فلم يَدْفَعْ مَظِيقتُهُ      عبدُ العِزِّزِ ولا رَوْحٌ ولا عُمرُ

وعن هلك أُم الوليد بن عبد الملك :

زياد بن حارثة التميمي ، القمشي ، كانت داره غربي قصر التقيين - روى عن حبيب بن مسلمة النهري ، في التميمي من الساقة ابن له ما ينفذه وبشيء ، وفي النفل ، ومنهم من زعم أن له ضجة ، والصحيح أنه تابعي . روى عنه عطية بن قيس ، ومكحول ، ويونس بن ميسرة بن حابس ، ومع هذا قال فيه أبو حاتم : شيخ مجهول ، ووثقه النسائي ، وابن حبان . روى ابن عساکر ، أنه دخل يوم الجمعة إلى مسجد دمشق ، وقد أخرج الصلاة ، فقال : والله ما يست الله نبياً بعد محمد ﷺ أمركم بهذه الصلاة هذا الوقت ، قال : فأخذ فأدخل الخضر ، فقطع رأسه ، وذلك في زمن الوليد بن عبد الملك .

عبد الله بن هرب بن عثمان : أبو عمه ، كان قاضي المدينة ، وكان شريفاً ، كثير المعروف ، جواداً مدحاً ، والله أعلم .

### خلافة سليمان بن عبد الملك

يُروى له بالخلافة بعد موت أخيه الوليد ، يوم مات ، وكان يوم السبت لثلاث من جمادى الآخرة سنة ست وتسعين ، وكان سليمان بالرملة ، وكان ولي العهد من بعد أخيه عن وصية أبيهما عبد الملك .

وقد كان الوليد قد عزم قبل موته - على خلع أخيه سليمان ، وأن يجعل ولاية العهد من بعده لولده عبد العزيز بن الوليد ، وقد كان الحجاج طائعه على ذلك وأمره به ، وكذلك قتيبة بن مسلم وجماعة . وقد أنشد في ذلك جرير وغيره من الشعراء قصائد ، فلم ينتظم ذلك له حتى مات ، وانضحت البيعة إلى سليمان ، تخافه قتيبة بن مسلم ، وعزم على أن لا يبايعه ، فضله سليمان وولى على إمرة العراق ، ثم خراسان - يزيد بن المهلب ، فأعادته إلى إمرتها بعد عشر سنين ، وأمره بمقابلة آل الحجاج بن يوسف ، وكان الحجاج هو الذي عزل يزيد عن خراسان . ولسبع بقين من رمضان من هذه السنة - عزل سليمان عن إمرة المدينة عثمان بن حيان وولى عليها أبا بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، وكان أحد العلماء .

وقد كان قتيبة بن مسلم حين بلغه ولاية سليمان بالخلافة ، كتب إليه كتاباً يمز به في أخيه ، ويهينه بولايته ، ويذكر فيه بلاءه وعنايه ، وقتاله وهيبته في صدور الأعداء ، وما فتح الله من البلاد والمدن والأقاليم الكبار على يديه . وأنه على مثل ما كان لوليد من الطاعة والصيحة ، وإن لم يمز به من خراسان ، ونال في هذا الكتاب من يزيد بن المهلب .

ثم كتب كتاباً ثانياً يذكر ما فعل من القتال والفتوحات وعييته في صدور اللوك والأعاجم ،  
ويذكر يزيد بن المهلب أيضاً ، ويقسم فيه اثنين هزله وولى يزيد . ليضمن سليمان عن الخلافة .

وكتب كتاباً ثالثاً فيه خلع سليمان بالسكينة ، وبث بها مع البريد ، وقال له : ادفع إليه  
الكتاب الأول ، فإن قرأه ودفعه إلى يزيد بن المهلب ، فادفع إليه الثاني ، فإن قرأه ودفعه إلى  
يزيد بن المهلب ، فادفع إليه الثالث ، فلما قرأ سليمان الكتاب الأول - وافق حضور يزيد عند  
سليمان - فدفعه إلى يزيد فقرأه ، فناولته البريد الكتاب الثاني ، فقرأه ودفعه إلى يزيد ، فناولته  
البريد الكتاب الثالث فقرأه ، فإذا فيه التصريح بعزله وخلعه ، فتغير وجهه ، ثم ختمه وأمسكه  
بيده ، ولم يدفعه إلى يزيد ، وأمر بإزالة البريد في دار الضيافة . فلما كان من الليل بث إلى البريد  
فأحضره ، ودفع إليه ذهباً ، وكتاباً فيه ولاية قتيبة على خراسان ، وأرسل مع ذلك البريد - يريد  
آخر من جهته ليقرره عليها ، فلما وصل بلاد خراسان بلغها أن قتيبة قد خلع بالخليفة ، فدفع بريد  
سليمان - الكتاب الذي ماله إلى يزيد قتيبة ، ثم بلغها مقتل قتيبة قبل أن يرجع بريد سليمان .

### ذكر سبب مقتل قتيبة بن مسلم رحمه الله

وذلك أنه جمع الجند والجووش ، وحزم على خلع سليمان بن عبد الملك من الخلافة ، وترك  
طاعته ، وذكر لهم هيمته وفتوحه وعده فيهم ، ودفع الأموال الجزية إليهم . فلما فرغ من مقاتته  
لم يجه أحد منهم إلى مقاتته ، فشرع في تأنيبهم وذمهم ، قتيبة قتيبة ، وطائفة طائفة ، ففضبوا عند  
ذلك ونفروا عنه وتفرقوا ، وهلوا على مخالفتهم ، وسعوا في قتله . وكان القائم بأعباء ذلك رجل  
يقال له : وكيع بن أبي سود ، فجمع جمعاً كثيرة ، ثم ناهضه ، فلم يزل به حتى قتله في ذي الحجة  
من هذه السنة ، وقتل معه أحد عشر رجلاً من إخوانه وأبناء إخوانه ، ولم يبق منهم سوى ضرار  
ابن مسلم ، وكانت أمه الغراء بنت ضرار بن القهقاع بن عبد بن سعد بن زُرارة ، حتمته أخواله  
وعمر بن مسلم كان عامل الجوزجان . وقتل قتيبة - وعبد الرحمن ، وعبد الله ، وعبيد الله ،  
وصالح ، ويسار ، وهؤلاء أبناء مسلم ، وأربعة من أبنائهم ، فقتلهم كلهم وكيع بن أبي سود .

وقد كان قتيبة بن مسلم بن عمرو بن حصين بن ربيعة - أبو حفص الباهل - من سادات الأشراف  
وخيارهم ، وكان من القادة النجباء الكبار ، والشجاعة ، وذوى الحروب والفتوحات السعيدة ،  
والآراء الحكيمة ، وقد هدى الله على يده خلقاً لا يحصىهم إلا الله ، فأسلموا وادانوا له من وجل ،  
ونفع من البلاد والأقاليم السكار ، والذين العظام شيئاً كثيراً ، كما تقدم ذلك مفصلاً مبيناً ،  
والله سبحانه لا يضيع سميه ، ولا ينجب تمه وجهاده

ولكن زلّ زلة كان فيها حفة ، وفعل فعلة رغم فيها أنه ، وخلع الطاعة ، فبادرت إليه إليه ، وطارق الجماعة ، فأت ميتة جاهلية ، لكن سبق له من الأهل الصالحة ما قد يكثر الله به ، ويمتاز به ، ويضاعف به حسناته ، والله يسامحه ويغفر عنه ، ويتقبل منه ما كان يكابده من مناجزة الأعداء . وكانت وفاته بفرغانة من أقصى بلاد خراسان ، في ذى الحجة من هذه السنة ، وله من العمر ثمان وأربعون سنة ، وكان أبوه أبو صالح مُسلماً ، فبين قتل مع مصعب بن الزبير ، وكانت ولايته على خراسان عشر سنين ، واستفاد وأعاد فيها خيراً كثيراً ، وقد رثاه عبد الرحمن ابن جادة الداهلي فقال :

كأن أبا حفص قتيبة لم يسر      بجيش إلى جيش ولم يزل منيرا  
ولم تخفق الرايات والقوم حوله      وقوف ولم يشهد له الناس عسكريا  
وعنه تنالنا فاستجاب لربة      وراح إلى الجنات عفا مظهدا  
فا رزى الإسلام بعد عهد      بمثل أبي حفص في كية غيرا

ولقد بالغ هذا الشاعر في بته الأخير . وتبرر ولد له . وقال العارماني في هذه الوتمة التي قتل فيها على يد وكيع بن أبي سويد :

لولا فوارس مدحج ابنة مدحج .      والأزد زعزع واستبجح النسكر  
وتقطعت بهم البلاد ولم يرب      منهم إلى أهل العراق مخبر  
واستأملت عقد الجماعة وأزدرى      أمر الخليفة واستجل النسكر  
قوم نحو قتلوا قتيبة عاوة      والخليل جالحة عليها المنكر  
بالمرج مرج الصين حيث تبينت      مضى العراق من الأعرش الأكبر  
إذ حلفت جزعا ربيعة كلها      وتفرقت مضرا ومن يمتضر  
وتقدمت أزد العراق ومدحج      للوت يحميها أبوها الأكر  
قطعان تغرب رأس كل مدحج      تحي بصائرهم إذ لا تبسر  
والأزد تعلم أن تحت لوائها      ملكا فزائية وموت أحر  
فبرزنا نصر النبي محمد      وبنا تثبت في دمشق النبر

وقد بسط ابن جرير هذه القصيدة بسطا كثيراً ، وذكر أشعاراً كثيرة جداً . وقال ابن خلكان : وقال جرير بنى قتيبة بن مسلم - رحمه الله وسامحه ، وأكرم منواه وعفاه عنه :

ندمت على قتل الأمير ابن مسلم      وأتم إذا لاقيم الله أندم  
لقد كنتم من غزوه في غنيمة      وأتم ابن لاقيم اليوم منم

على أنه أنفى إلى " سور جنة " وتعلق بالبولى عليكم جهنم

قال : وقد ولى من أولاده وذريته جماعة الأئمة فى البلدان ، فهم : عمر بن سعيد بن قتيبة بن مسلم ، وكان جواداً عديداً ، رثه حين مات - أبو عمرو أشجع بن عمرو السلى المزى ، زبيل البصرة يقول :

مضى ابن سعيد حيث لم يبق مشرق ولا مغرب إلا له فيه مراح  
وما كنت أدري ما فواصل كفه على الناس حتى غيبته الصفائح  
وأصبح فى لحد من الأرض ضيق وكانت به حياً تضيق الضمايح  
سأبكيك ما فاضت دموعى فإن تمس غسبك رقى ما تجر الجوانح  
فأنا من رزى وإن جُلَّ جازع ولا يسرور بعد موتك فارح  
كأن لم يمض حتى سواك ولم تقم على أحد إلا عليك النوائح  
لئن حسنت فيك للرائى وذكرها لقد حسنت من قبل فيك للدائح

قال ابن خلكان : وهى من أحسن الرأى ، وهى فى الحاسة ، ثم تكلم على باهلة وأنها قبيحة مرذولة عند العرب . قال : وقد رأيت فى بعض الجامع ، أن الأشعث بن قيس قال : يا رسول الله ، ألتسكناً دماً ؟ قال : « نعم ! ولو قتل رجلاً من باهلة لقتلتك » .

وقيل لبعض العرب : أيسرك أن تدخل الجنة وأنت باهل ؟ قال : بشرط أن لا يعلم أهل الجنة بذلك . وسأل بعض الأمراء رجلاً : ممن أنت ؟ فقال : من باهلة ، فجعل يثرى له ، قال : وأزبدك أى است من الصبح ، وإنما أنا من مواليهم . فجعل يقبل يديه ورجليه ، فقال : ولم تفعل هذا ؟ فقال : لأن الله تعالى ما ابتلاك بهذه الرزية فى الدنيا إلا ليموضك الجنة فى الآخرة .

ثم قال ابن جرير : وفى هذه السنة توفى قرّة بن شريك الببسى - أمير مصر وساحكها .

قلت : هو قرّة بن شريك أمير مصر من جهة الوليد ، وهو الذى بنى جامع القيوم .

وفيهما : حنّج مالداس أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، وكان هو الأمير على المدينة ، وكان على مكة عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد ، وعلى حرب العراق وحصانها - يزيد بن المهلب ، وعلى خراسان صالح بن عبد الرحمن ، وعلى نيابة البصرة ليزيد بن المهلب - سفيان بن عبد الله السكندى ، وعلى قضائها عبد الرحمن بن أذينة ، وعلى قضاء الكوفة أبو بكر بن أبى موسى ، وعلى حرب خراسان وكيع بن أبى سود ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

### ثم دخلت سنة سبع وتسعين

وفيها : جهز سليمان بن عبد الملك الجيوش إلى القسطنطينية . وفيها : أقر ابنه داود على الصائفة ، ففتح حصن الرواة

قال الواقدي : وفيها : غزا مسلمة بن عبد الملك أرض الوضاحية ، ففتح الحيعن الذي بناه الوضاح صاحب الوضاحية .

وفيها : غزا مسلمة أيضاً برجة ، ففتح حصوناً ، وبرجة ، وحصن الحديد ، وسروا ، وشق بأرض الروم .

وفيها : غزا عمر بن حنيفة الفزاري في البحر - أرض الروم وشق بها .

وفيها : قُتل عبد العزيز بن موسى بن نصير ، وقُدِمَ برأسه على سليمان بن عبد الملك أمير المؤمنين ، مع حبيب بن أبي عبيد القهري .

وفيها : ولى سليمان نيابة خراسان يزيد بن المهلب مضافاً إلى ما بيده من إمرة العراق .

وكان سبب ذلك أن وكيع بن أبي سؤد لما قتل قتيبة بن مسلم وذريته ، بثت برأس قتيبة

إلى سليمان ، فغضب عنده ، وكتب له بإمرة خراسان ، فمات يزيد بن المهلب عبد الرحمن بن الأهمم

إلى سليمان بن عبد الملك ليحسن عنده أمر يزيد بن المهلب في إمرة خراسان ، وينتقص عند وكيع

ابن أبي سؤد ، فسار ابن الأهمم - وكان فادهاً ومكر - إلى سليمان بن عبد الملك ، فلم يزل به

حتى عزل وكيعاً عن خراسان ، وولى عليها يزيد مع إمرة العراق ، وبثت بمهده مع ابن الأهمم ،

فسار في شئح حتى جاء يزيد ، فأعطاه مهده خراسان مع العراق ، وكان يزيد وعده بمائة ألف ،

فلم يف بها ، وبثت يزيد ابنه نخلداً بين يديه إلى خراسان ، ومعه كتاب أمير المؤمنين مضمونه :

أن قيساً زعموا أن قتيبة بن مسلم لم يكن خلع الطاعة ، فلن كان وكيع قد تمرض له ، وثار عليه

بسبب أنه خلع ولم يكن خلع ، فتدبره وابثت به إلى ، فقدم غلداً فأخذ وكيعاً ، فضايقه وحبسه

قبل أن يمسي أبوه ، فكانت إمرة وكيع بن أبي سؤد الذي قتل قتيبة تسعة أشهر ، أو عشرة أشهر ،

ثم قدم يزيد بن المهلب فقسّم خراسان وأقام بها ، وانقلب في البلاد نواباً ذكرهم ابن جرير .

قال : ثم سار يزيد بن المهلب فغزا جرجان ، ولم يكن يومئذ مدينة بأبواب وصورة وإعاصي

جبال وأودية ، وكان ملكها يقال له : سؤل ، فتحول عنها إلى قلعة هناك ، وقيل : إلى جزيرة

في بحيرة هناك ، ثم أخذوه من البحيرة ، وقتلوا من أهلها خلقاً كثيراً ، وأسروا وغنوا .

قال : وفيها حج بالناس سليمان بن عبد الملك ، ونواب البلاد هم المذكورون في التي قبلها ،

غير أن خراسان عزل عنها وكيع بن أبي سؤد ، وولياها يزيد بن المهلب بن أبي صفرة مع العراق .

ومن توفي فيها من الأعيان :

## الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب

أبو محمد القرشي الهاشمي ، روى عن أبيه عن جده مرفوعاً : « من مال أهل بيت من المسلمين يومهم وليتهم غفر الله له ذنوبه » . وعن عبد الله بن جعفر عن علي بن دعاء الكرب ، وعن زوجته فاطمة بنت الحسين ، وعنه ابنه عبد الله وجماعة . وقد على عبد الملك بن مروان ، فأكرمه ونصره على الحجاج ، وأقره وحده على ولاية صدقة علي ، وقد ترجمه ابن عساكر فأحسن ، وذكر عنه آثاراً تدل على سيادته . قيل : إن الوليد بن عبد الملك كتب إلى عامله بالدينة : إن الحسن ابن الحسن كاتب أهل العراق ، فإذا جاءك كتابي هذا فاجده مائة ضربة ، وقفه ففاس ، ولا ترائي إلا قاتله . فأرسل خليفه فمعه علي بن الحسين<sup>(١)</sup> كالت الكرب ، فقاما حين دخل عليه فنبهاه الله منهما ، وهي : لا إله إلا الله الحليم الكريم ، لا إله إلا الله العلي العظيم ، لا إله إلا الله رب السموات السبع ورب الأرض رب المرش العظيم . توفي بالدينة ، وكانت أمه خولة بنت منظور الخزاري وقال يوماً لرجل من الرافضة : والله إن قتلك لقرية إلى الله عز وجل ، قال له الرجل : إنك تزج ، فقال : والله ما هذا مني بزج ، ولكنه الجدة . وقال له آخر منهم : ألم يقل رسول الله ﷺ : « من كنت مولاه فلي مولاه » ؟ فقال : بلى ، ولو أراد انطلافة غلب الناس ا فقال : أيها الناس اءلوا أن هذا ولي أمركم من بعدي ، وهو القائم عليكم ، فاسمعوا له وأطيعوا ، والله لئن كان الله ورسوله اختار هلياً لهذا الأمر ، ثم تركه علي - لكان أول من ترك أمر الله ورسوله ، وقال لهم أيضاً : والله لئن ولينا من الأمر شيئاً لنقطن أيديكم وأرجلكم من خلاف ، ثم لا نقبل لكم نوبة ، ويلكم ! غررتمونا من أنفسنا ، ويلكم ! لو كانت القرابة تنفع بلا حمل لنفت أباه وأمه ، لو كان ما تقولون فينا حقاً لكان آباؤنا إذ لم يملونا بذلك - قد ظفولوا وكدموا عنا أفضل الأمور ، والله إني لأخشى أن يضاحف المذاب لخاصي منا ضفين ، كما أني لأرجو للحسن منا أن يكون له الأجر مرتين ، ويلكم ! أحبونا إن أطمنا الله على طامعه ، وابعضونا إن عصينا الله على مصيبته .

موسى بن نصير - أبو عبد الرحمن اللخمي - رحمه الله

مولام ، كان مولاً لامرأة منهم ، وقيل : كان مولاً لبني أمية . افتتح بلاد المغرب ، وغنم منها أموالاً لا تعد ولا تحصى ، وله بها مقامات مشهورة هائلة ، ويقال : إنه كان أمرج ، ويقال : إنه ولد في سنة تسع عشرة ، وأمه من مهن القنبر ، وقيل : إنه من أراشة من بلي ، سبي أبوه من

(١) كذا بالأصول وقد تقدمت وفاة علي بن الحسن قبل هذا .

جبل الخليل من الشام في أيام الصديق ، وكان اسم أبيه نصرأ فصهر ، روى عن نعيم الحارثي ، وروى عنه ابنه عبد العزيز ، ويزيد بن مروق اليحصبي ، وولي غزو البحر لماوبة ، فزنا قبرص ، وبنى هناك حصوناً ، كالماغوصة ، وحسن بانس ، وغير ذلك من الحصون التي بناها بقية ص ، وكان نائب معاوية عليها بعد أن فتحها معاوية في سنة سبع وعشرين ، وشهد مروج راخط مع الضحاك بن قيس ، فلما قتل الضحاك لجأ موسى بن نصير لعبد العزيز بن مروان ، ثم لما دخل مروان بلاد مصر كان معه ، فتركه عند ابنه عبد العزيز . ثم لما أخذ عبد الملك بلاد العراق جعله وزيراً عند أخيه بشر بن مروان .

وكان موسى بن نصير هذا ذا رأى وتدبير وحزم وخبرة بالحرب ، قال البغوي <sup>(١)</sup> . ولى موسى ابن نصير إمارة بلاد إفريقية سنة تسع وسبعين ، فافتتح بلاداً كثيرة جداً مدناً وأقاليم ، وقد ذكرنا أنه افتتح بلاد الأندلس ، وهي بلاد ذات مدن وقرى وريف ، فبقي منها ومن غيرها حلقاً كثيراً . وغنم أموالاً كثيرة جزيلة ، ومن الذهب والجواهر النفيسة شيئاً لا يحصى ولا يعد ، وأما الآلات والمتاع والبواب ، فشيء لا يدرى ما هو ، وسبي من البلدان الحسان والبداء الحسان شيئاً كثيراً ، حتى قيل : إنه لم يسلب أحد مثله من الأعداء . وأسلم أهل العرب على يديه ، ووث فيهم الدين والفرار ، وكان إذا سار إلى مكان تحمل الأموال معه على المصل لكثرتها ، وحجز البواب عنها .

وقد كان موسى بن نصير هذا يفتح في بلاد العرب ، وقتيبة يفتح في بلاد المشرق ، فجزاها الله خيراً . مكلاهما فتح من الأقاليم والبلدان شيئاً كثيراً ، وأسكر موسى بن نصير حظي بأشياء لم يفتلها قطيبة ، حتى قيل إنه افتتح الأندلس جاز . رجل فقال له : أنت معي رجالاً حتى أدلك على كثير عظيم ، فيه ثمة رجالاً فأني هم إلى مكان فقال : احمروا ، فحفرُوا فأفغى بهم الحفر إلى قاعة عظيمة ذات أبواب <sup>(٢)</sup> حسنة ، فوجدوا هناك من اللواقيت والجواهر والزرجد ما أذهبتهم ، وأما الذهب فشيء لا يدرى منه ، ووجدوا في ذلك الوضع الطناس ، والطناسة منها منسوجة بقضبان الذهب ، منسوجة بالفضة الغالي ، متعطر ، والطناسة منسوجة بالجواهر اللتين ، والبوابات التي ليس لها نظير في شكلها وحسنها وصناعتها ، وأقدم سم يومئذ متاد ينادى لا يرون شخصه : أيها الناس ، إنه فتح عليكم باب من أبواب جهنم فخذوا حذركم . وقيل : إنهم وجدوا في هذا السكز مائدة سليمان بن داود التي كان يأكل عليها . وقد جمع أخباره ، وما جرى له في حروبه وغزواته . رجل من فرجه يقال له : أبو معاوية ممالك بن مروان بن عبد الملك بن مروان ابن موسى بن نصير النصارى .



وروى الحافظ ابن عساكر ، أن عمر بن عبد العزيز سأل موسى بن نصير حين قدم دمشق أيام الوليد عن أعجب شيء رأيت في البعر ، فقال : انتهينا مرة إلى جزيرة فيها ست عشرة جرة مخومة بخاتم سليمان بن داود عليهما السلام ، قال : فأمرت بأربعة منها فأخرجت ، وأمرت بواحدة منها فنقبت ، فإذا قد خرج منها شيطان ينفض رأسه ويقول : والذي أكرمك بالنبوة لا أعود بعدها أفسد في الأرض ، قال : ثم إن ذلك الشيطان نفاذ قال : إني لا أرى بها سليمان ومملكه ، فأساخ في الأرض فذهب ، قال : فأمرت بالثلاث البواق فرددن إلى مكانهن .

وقد ذكر السماوي وغيره عنه ، أنه سار إلى مدينة النخاس التي بقرب البحر المحيط الأخضر ، في أقصى بلاد المغرب ، وأهم لما أشرفوا عليها رأوا تريق شرقاتها وحيطاتها من مسافة بعيدة ، وأنهم لما أنوها نزّلوا عندها ، ثم أرسل رجلا من أصحابه ومعه مائة فارس من الأبطال ، وأمره أن يدور حول سورها ، لينظر هل لها باب أو منفذ إلى داخلها ؟ فقبل : إنه سار يوما و ليلة حول سورها ، ثم رجع إليه ، فأخبره أنه لم يجد بابا ولا منفذاً إلى داخلها ؟ فأمرهم جميعوا ما معهم من اللقاح بضعة على بعض ، فلم يباغوا أهل سورها ، فأمر فعمل سلاط فصدوا عليها ، وقيل : إنه أمر رجلا فصد على سورها ، وقد رأى ما في داخلها لم يترك نفسه أن اقتاعها في داخلها ، فكان آخر الهدية . ثم آخر فكذلك ، ثم امتنع الناس من الصمود إليها ، فلم يخط أحد منهم بما في داخلها علماً . ثم ساروا عنها ففعلوها إلى بحيرة قريبة منها ، فقبل : إن تلك الجرار المذكورة وجدها فيها ، ووجد عليها رجلا قائماً ، فقال له : ما أنت ؟ قال : رجل من الجن وأبي محبوبس في هذه البحيرة حبسه سليمان ، فأنا أجيء إليه في كل سنة مرة أزوره ، فقال له : هل رأيت أحداً خارجاً من هذه المدينة أو داخلها إليها ؟ قال : لا ، إلا أن رجلاً يأتي في كل سنة إلى هذه البحيرة يتعمد عليها أياماً ثم يذهب فلا يعود إلى مثلها ، والله أعلم ما هو . ثم رجع إلى إفريقية ، والله أعلم بصحة ذلك ، والهدية على من ذكر ذلك أولاً .

وقد استقى موسى بن نصير بالناس في سنة ثلاث وتسعين حين أقصعوا بأفريقية ، فأمرهم بصيام ثلاثة أيام قبل الاستفتاء ، ثم خرج بين الناس وميز أهل القدمة عن السدين ، وفرق بين البهائم وأولادها ، ثم أمر بارتفاع الضجيج والهكاه ، وهو يدمو الله تعالى حق انصف النهار ، ثم نزل فقبل له : ألا دموت لأمر المؤمنين ؟ فقال : هذا موطن لا يذكر فيه إلا الله عز وجل ، فسقام عز وجل لما قال ذلك .

وقد وفد موسى بن نصير على الوليد بن عبد الملك في آخر أيامه ، فدخل دمشق في يوم جمعة والوليد على الدبر ، وقد لبس موسى ثياباً حسنة وهيئة حسنة ، فدخل ومعه ثلاثون قلاماً من

أبناء الملوك الذين أسره ، والأسبان ، وقد أبينهم تيجان الملوك مع ما معهم من الخدم والحشم ، والأهبة العظيمة ، فذا نظر إليهم الوليد ، وهو يحيط الناس على منبر جامع دمشق ، بهت إليهم لما رأى عليهم من الحرير والجواهر والزينة الباقية ، وجاء موسى بن نصر ، فلم على الوليد ، وهو على المنبر ، وأمر أولئك ، فرجعوا من بين المنبر وشماله ، فحمد الله الوليد وشكره على ما أبداه به ، ووسع ملكه ، وأطال الدعاء والتحميد والشكر حتى خرج وقت الجمعة ، ثم نزل فصل بالناس ، ثم استدعى موسى بن نصر ، فأحسن جائزته وأعطاه شيئاً كثيراً .

وكذلك موسى بن نصر قدم معه شيء كثير ، من ذلك : مائدة سليمان بن داود عليها السلام ، التي كان يأكل عليها ، وكات من خيلطين : ذهب وفضة ، وعليها ثلاثة أطواق : لؤلؤ وجوهر لم ير مثله ، وحذا في مدينة طليطلة من بلاد الأندلس ، من أموال كثيرة .

وقيل : إنه بث اثني مائة ألف على جيش ، فأصاب من السبي مائة ألف رأس ، وبث ابن أخيه في جيش ، فأصاب من السبي مائة ألف رأس أيضاً من البربر . فلما جاء كتابه إلى الوليد ، وذكر فيه أن خمس الفتناء أرمون ألف رأس ، قال الناس : لمن هذا الحق ، من أين له أرمون ألف رأس خمس الفتناء ؟ فأنه ذلك ، فأرسل أرمون ألف رأس - وهي خمس ما غنم ، ولم يسمع في الإسلام مثل سبيل موسى بن نصر أمير المغرب .

وقد حدث له مما حدث في فقه بلاد الأندلس وقال : وأول أعاد الناس لي اقتنعتهم حتى أفتح بهم مدينة رومية - وهي المدينة المعلى في بلاد الفرنج - ثم لينتبعها الله على يدي ، إن شاء الله تعالى . ولما قدم على الوليد قدم معه بثلاثين ألفاً من السبي غير ما ذكرنا ، وذلك حسب ما كان غنمه في آخر غزاة غزاها ببلاد المغرب ، وقدم معه من الأموال والتحف والآلات والجواهر مالا يحصى ولا يوصف . ولم يزل مقبلاً بدمشق حتى مات الوليد وتولى سليمان ، وكان سليمان حاكماً على موسى فحبسه عنده ، وطلبه بأموال عظيمة ، ولم يزل في يده حتى حج بالناس سليمان في هذه السنة ، وأخذ معه ، فأت بالدبنة ، وقيل : هو أدى القري ، وقد قارب الثمانين . وقيل : توفي في سنة تسع وتسعين ، والله أعلم ، ورحم الله عنا عنه بمنه وفضله آمين .

### ثم دخلت سنة ثمان وتسعين

في هذه السنة : جهز سليمان بن عبد الملك - أمير المؤمنين - أخاه مسلمة بن عبد الملك لغزو القسطنطينية ، وراء الجيش الذين هم بها ، فصار إليها ، ومعه جيش عظيم ، ثم أتت عليه ذلك الحشر الذين هم هناك ، وقد أمر كل رجل من الجيش أن يحمل معه على ظهر فرسه

مُذَبِّين<sup>(١)</sup> من طعام ، فلما وصل إليها جموا ذلك ، فإذا هو أمثال الجبال ، فقال لهم تسلة : أتركوا هذا الطعام وكلوا عما تجدونه في بلادهم ، وازرعوا في أماكن الزرع واستغنوه ، وابنوا لكم بيوتاً من خشب ، فإنا لا نرحم من هذا البلد إلا أن نقتلها ، إن شاء الله .

ثم إن تسلة داخل بجلا من النصارى قال له : إيتيوني ، واطعموني الباطن ليأخذ له بلاد الروم ، فظهر منه نصيح في بادئ الأمر ، ثم إنه توفي ملك القسطنطينية ، فدخل إيتيون في رسالة من تسلة - وقد حالته الروم خوفاً شديداً - فلما دخل إليهم إيتيون قالوا له : زدنا هنا ونحن نملكك علينا ، فخرج فأعمل الحيلة في القدر ، والسكر ، ولم يزل - قصه الله - حتى أحرق ذلك الطعام الذي للسلمين

وذلك أنه قال لتسلة : إنهم ماداموا يرون هذا الطعام يظنون أنك تطاولهم في القتال ، فلما أحرقتهم لتسلة قوا منك العز ، وهدلوا إليك البلد سريعاً ، فأمر تسلة بالطعام فأحرق ، ثم انشتر إيتيون في السفن ، وأخذ ما أمكنه من أمتعة الجيش في الليل ، وأصبح وهو في البلد محارباً للسلمين ، وأظهر المداوة الأكيدة ، وتحصن واجتمعت عليه الروم ، وضاق الحال على السلمين حتى أكلوا كل شيء إلا التراب ، فلم يزل ذلك دأبهم حتى جاءتهم وفاة سليمان بن عبد الملك ، وتولية عمر بن عبد العزيز ، فسكروا راجعين إلى الشام ، وقد جهدوا جهداً شديداً ، لكن لم يرجع تسلة حتى بنى مسجداً بالقسطنطينية ، شديد البناء محكم ، رحب الفناء شاهقاً في السماء .

وقال القوادى : لما ساء لى سابان بن عبد الملك أراد الإقامة ببيت المقدس ، ثم يرسل المسافر إلى القسطنطينية ، فأشار إليه موسى بن صهر بأن يفتح مآدونها من المدن والقرى والقلاع والحصون ، حتى يبلغ المدينة ، فلا يأتيها إلا وقد هُدمت حصونها ، ووهنت قوتها ، فإذا فُتحت ذلك لم يبق بينك وبينها مانع ، فيعطوا ما بأيديهم ويسدوا لك البلد . ثم استشار أخاه تسلة ، فأشار عليه بأن يدع مآدونها من البلاد ويبتعها مئة ، ففعل ما فعل ، ففتح ما كان مآدوها من البلاد والحصون بيدك ، فقال سابان : هذا هو الرأي . ثم أخذ في تجهيز الجيوش من الشام والجزيرة ، شهز في البر مائة وعشرين ألفاً ، وفي البحر مائة وعشرين ألفاً من القناصة ، وأخرج لهم الأعطية ، وأغنى فيهم الأموال الكثيرة ، وأعلمهم بغزو القسطنطينية ، والإقامة إلى أن يفتحوها ، ثم سار - ابنان من بيت المقدس - فدخل دمشق ، وقد اجتمعت له المسافر ، فأمر عليهم أخاه تسلة ، ثم قال : سيروا على بركة الله ، وعليكم بتقوى الله ، والصبر ، والتناصح ، والاعتصاف .

ثم سار سليمان حتى نزل مرج دابق ، فاجتمع إليه الناس أيضاً من التطوعة المحتجبين أجورهم على الله ، فاجتمع له جند عظيم لم ير مثله . ثم أمر رسالة أن يرسل بالجيش ، وأخذ معه إلى اليون الرومي للزعشي ، ثم ساروا حتى نزلوا على القسطنطينية ، فحاصروا إلى أن برح بهم وعرض أهلها الجزية على رسالة ، فأبى إلا أن يفتحها عنوة ، قالوا : فابست إلينا إلى اليون شأوره ، فأرسله إليهم ، فقالوا له : ردّ هذه المساكن هنا ، ونحن نمطيك ونملكك علينا ، فرجع إلى رسالة ، فقال : قد أجابوا إلى فتحها ، غير أنهم لا يفتحونها حتى تنتهي عنهم ؛ فقال رسالة : إلى أخشى غدرك ، خلف له أنه يدفع إليه مفتاحيها وما فيها ، فلما انتهى عنهم أخذوا في ترميم ما تهدم من أسوارها ، واستمدوا للحصار ، وغدر اليون بالمسلمين - قبحه الله .

قال ابن جرير : وفي هذه السنة : أخذ سليمان بن عبد الملك العهد لولده أيوب أنه الخليفة من بعده ، وذلك بعد موت أخيه مروان بن عبد الملك ، فقتل من ولاية أخيه يزيد إلى ولاية ولده أيوب ، وتربص بأخيه الدوائر ، فأتى أيوب في حياة أبيه ، فباع سليمان إلى ابن عمه - عمر بن عبد العزيز - أن يكون الخليفة من بعده ، ونص ما قبل .

وفيها : فتحت مدينة الصقالية . قال القوافي : وقد أغارت البرجان<sup>(١)</sup> على جيش رسالة ، وهرب قتلة من الناس في هذه السنة ، فبست إليه سليمان جيشاً ، فقاتل البرجان حتى هزمهم الله من وجل .

وفيها : غزا يزيد بن المهلب - قهستان من أرض الصين ، فحاصرها وقتل عندها قتلاً شديداً ، ولم يزل حتى نزلها ، وقتل من الترك الذين بها أربعة آلاف صبراً ، وأخذ منها ، من الأموال والأثاث والأمننة مالا يحصى ولا يوصف كثرة وقيمة وحسناً ، ثم سار منها إلى جرجان ، فاستعاض صاحبها بالذئب ، فقدموا لتجديته ، فقتلهم يزيد بن المهلب وقتلوه ، فحمل محمد ابن عبد الرحمن بن أبي سبرة الجلفي - وكان فارساً شجاعاً بارعاً - على ملك الذئب فقتله ، وهزمهم الله .

ولقد بارز ابن أبي سبرة هذا يوماً بعض فرسان الترك ، فضربه التركي بالسيف على الياضة فقتل فيها ، وضربه ابن أبي سبرة فقتله ، ثم أقبل إلى المسلمين وسيفه يقطر دماً وسيف التركي ناشب في خودته ، فنظر إليه يزيد بن المهلب فقال : ما رأيت منظرأً أحسن من هذا ، من هذا الرجل ؟ قالوا : ابن أبي سبرة . فقال : نعم الرجل لولا أنهما كره في الشرب .

(١) يرجع البعض أنهم أمة البخار ، وهم أقرب الأمم النصرانية إلى القسطنطينية .

ثم سمى يزيد على محاصرة جرجان ، وما زال يضيق على صاحبها حتى صالحه على سبعمائة ألف درهم ، وأربعمائة ألف دينار ، ومائتي ألف ثوب ، وأربعمائة حمار موقرة زعفراناً ، وأربعمائة رجل على رأس كل رجل ترس ، على الترس طيلسان وجام من فضة وسرفة من حرير . وهذه المدينة كان سعيد بن العاص فيها ، فتجها صاحباً على أن يحصلوا الخراج في كل سنة مائة ألف ، وفي سنة مائتي ألف ، وفي بعض السنين ثلاثمائة ألف ، ويعتصمون ذلك في بعض السنين ، ثم امتنعوا بجملة وكفروا ، فتزاهم يزيد بن المهلب ، وردّها صاحباً على ما كانت عليه في زمن سعيد بن العاص .

قالوا : وأصاب يزيد بن المهلب من غيرها أموالاً كثيرة جداً ، فكان من جعلها تاج فيه جواهر نفيسة ، فقال : أترون أحداً يزهد في هذا ؟ قالوا : لا نعلمه ، فقال : والله إني لأعلم رجلاً لو عرض عليه هذا وأمثاله لزهد فيه ، ثم دعا محمد بن واسع - وكان في الجيش مغازياً - فعرض عليه التاج ، فقال : لا حاجة لي فيه ، فقال : أقمست عليك لتأخذته ، فأخذه وخرج به من عنده ، فأمر يزيد رجلاً أن يذهب ، فينظر ماذا يصنع بالتاج ، فمرّ بسائل فطلب منه شيئاً ، فأعطاه التاج بكاه وانصرف ، بحث يزيد إلى ذلك السائل ، فأخذ منه التاج وعرض عنه مالا كثيراً .

وقال حل بن محمد الدائني : قال أبو بكر الهذلي : كان شهر بن حوشب على خزائن يزيد ابن المهلب ، فرفضوا إليه أنه أخذ حربةً فيها مائة دينار ، فساله عنها ، فقال : نعم وأحضرها ؛ فقال له يزيد : هي لك ، ثم استدعى الذي وثى به فقتله ، فقال في ذلك النظمي : السكابي ، ويقال : إنها لسينان بن مكشال الميمري :

لقد باع شهر دينه بحربة فن يأمن القراء بهد يا شهر  
أخذت به شيئاً طفيفاً ورشته من ابن جؤنود إن هذا هو الذفر

وقال مرة بن النخعي لشهر :

يا ابن المهلب ما أردت إلى امرئ . لولاك كان كصالح القرأ

قال ابن جرير : ويقال : إن يزيد بن المهلب كان في غزوة جرجان في مائة ألف وحشرين ألفاً ، منهم ستون ألفاً من جيش الشام أتاهم الله ، وقد تمهدت تلك البلاد بفتح جرجان ، وسالكت الطرق ، وكانت قبل ذلك مخوفة جداً . ثم عزم يزيد على السير إلى خوزستان . وقدم بين يديه سرية هي أربعة آلاف من سراة الناس ، فلما اتفقوا اقتتلوا قتلاً شديداً ، وقتل من المسلمين في المعركة أربعة آلاف ، إنا لله وإنا إليه راجعون . ثم إن يزيد عزم على فتح البلاد لا محالة ، وما زال حتى صالحه صاحبها - وهو الإسميثي - بمال كثير ، سبعمائة ألف في كل عام ، وغير ذلك من المنافع والرقيق .

ومن توفي فيها من الأعيان :

عبد الله بن عبد الله بن عتبة : كان إماماً حجة ، وكان مؤدب عمر بن عبد العزيز ، وله روايات كثيرة من جماعات من الصحابة .  
 أبو الحسن النخعي . عبد الله بن محمد بن الحنفية . وقد ذكرنا تراجم في التكميل ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

### ثم دخلت سنة تسع وتسعين

فيها : كانت وفاة سليمان بن عبد الملك - أمير المؤمنين - يوم الجمعة لعشر مصعب ، وقيل : بقين من صفر منها ، عن خمس وأربعين سنة ، وقيل : عن ثلاث وأربعين ، وقيل : إنه لم يحاوز الأربعين وكانت خلافته سنتين وثمانية أشهر .

وزعم أبو أحمد الحاكم أنه توفي يوم الجمعة لثلاث عشرة بقيت من رمضان منها ، وأنه استكمل في خلافته ثلاث سنين وثلاثة أشهر وخمسة أيام ، وله من العمر تسع وثلاثون سنة . والصحيح قول الجهور - وهو الأول ، والله أعلم .

وهو : سليمان بن عبد الملك بن مروان بن الحسك بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس القرشي الأسدي - أبو أيوب كان مولده بالدينة في بني جذيمة ، ونشأ بالشام عند أبيه ، وروى الحديث عن أبيه ، عن جده ، عن عائشة أم المؤمنين - في قصة الإفك . رواه ابن عساکر من طريق أمته عبد الواحد بن سليمان عنه .

وروى عن عبد الرحمن بن هندة ، أنه سمع عبد الله بن عمر إلى العابة ، قال : مسكت ، فقال لي ابن عمر : مالك ؟ فقال : إني كنت أغني فقال ابن عمر : فانتفي يا أبا عبد الرحمن ؟ فقال لي : لو أن لي أشداً من هذا ذهباً أهلك عدوه وأخرج زكاته - ما كرهت ذلك ، أو قال : ما حشيت أن يضربني . رواه محمد بن يحيى القهلي ، عن أبي صالح ، عن عبد الرحمن بن خالد ابن مسافر ، عن الزهري عنه .

قال ابن عساکر . وكانت داره بدمشق موضع تيساة جيرون الآن - في تلك المساحة جميعها ، وبني داراً كبيرة عمالي باب الصغير - موضع القرب المعروف بدرب حمزة ، وجعلها دار الإمارة ، وعمل فيها قبة صفراء تشبها بالقبة الخضراء . قال : وكان ضيقاً مؤثراً للعدل ، محباً للفرز ، وقد أخذ الجيش لحصار القسطنطينية حتى صلحهم على بناء الجامع بها .

قد روى أبو بكر الصولي : أن عبد الملك جمع بينه : الوليد ، وسليمان ، ومسلمة - بين يديه

فاستقرام التبرآن فأجادوا التبراة . ثم استنشدوا الشعر فأجادوا ، غير أنهم لم يكلموا أو يحكموا  
شعر الأعشى ، فلامهم على ذلك ، ثم قال : لينشدنى كل رجاء منك أرق بيت قاله العرب  
ولا يفشى هات يا ولید ، فقال الولید :

ما مَرَّكِبٌ وركوبٌ أغليلٌ يَجِبُنِي كركبِ بنِ ذُمْلُجٍ وخُلُخُلٍ  
فقال عبد الملك : وهل يكون من الشعر أرق من هذا ؟ هات يا سليمان ، فقال :  
حَسْبُكَ رَجْمُهَا يَدِيهَا إِلَيْهَا فِي بَدْيِ دَرْعِهَا تَحُلُ الْإِذَاوَا  
فقال : لم تصب ، هات يا مسلمة ، فأنشده قول امرئ القيس :

وما ذرفت عينك إلا اتغبرني بهميك في أعار قلب مقتل

فقال : كذب امرؤ القيس ولم يصب ، إذا ذرفت عينها بالرجاء فابق إلى اللقاء ، وإما ينبغي  
للماشق أن ينقض<sup>(١)</sup> منها الجفاء ويكسوها الودة ، ثم قال : أنا مؤجل مسكن في هذا البيت ثلاثة  
أيام ، فمن أتاني به فله حكمة . أى مما طلب أعطيته ، نهضوا من عنده ، فبينما سليمان في موكب  
إذا هو بأعرابي يسوق إليه ، وهو يقول :

لو ضربوا بالسيف رأسي مودتها لزال يهوى سريعا نحوها راسي

فأمر سليمان بالأعرابي فاعتقل ، ثم جاء إلى أبيه فقال : قد جئتكم بما سألت ، فقال : هات ،  
فأنشده البيت ، فقال : أحسنت ، وأنى لك هذا ؟ فأخبره خبر الأعرابي ، فقال : سل حاجتك ،  
ولا تنس صاحبك . فقال : يا أمير المؤمنين ! إنك مهدت بالأمر من بعدك الوليد ، وإنى أحب  
أن أكون لدى العهد من عنده ، فأجابه إلى ذلك ، وبهتته على الخيخ في إحدى ثمانين ، وأطلقه  
مائة ألف درهم ، فأعطاه سليمان لذلك الأعرابي الذي قال ذلك البيت من الشعر . فلما مات أبوه  
سنة ست وثمانين ، وصارت الخلافة إلى أخيه الوليد ، كان بين يديه كاوزر والشهز ، وكان هو  
المستعص على عمارة جامع دمشق . فلما توفي أخوه الوليد يوم السبت لثلاثين من جمادى الآخرة  
سنة ست وتسعين ، كان سليمان بالرملة ، فلما أقبل تلقاه الأمراء ووجوه الناس . وقيل : إنهم  
ساروا إليه إلى بيت المقدس ، فبايروه هناك ، وعزم على الإقامة بالقدس ، وأتته الوفود إلى بيت  
القدس ؛ فلم يروا وفادة هناك . وكان يجلس في قبة في حرم المسجد مما يلي الصخرة من جهة الشمال ،  
ويجلس أكابر الناس على الكراسي ، وتقسم فيهم الأموال ، ثم عزم على الجيء إلى دمشق ،  
فدخلها وكل عمارة الجامع .

(١) ينقض الجفاء : أى ينقض عنه ، ولله « ينقض » بمعنى يخلع ، في مقابل قوله « ويكسوها » .

وفي أيامه جددت المقصورة ، واتخذ ابن عمه عمر بن عبد العزيز مستشاراً ووزيراً ، وقال له :  
 إنما قد ولينا ما ترى وليس لنا علم بتدبيره ، فأرأيت من مصالحة العامة أمر به فليكتب ، وكان  
 من ذلك عزل نواب الحاج ، وإخراج أهل السجون منها ، وإطلاق الأسرى ، وبذل الأعطية  
 بالعرف ، ورد الصلاة إلى ميقاتها الأول ، بعد أن كانوا يؤخرونها إلى آخر وقتها ، مع أمور  
 حسنة كان يسدها من عمر بن عبد العزيز . وأمر بغزو القسطنطينية ، فبث إليها من أهل الشام  
 والجزيرة والوصل - في البر - نحواً من مائة ألف وعشرين ألف مقاتل وبث من أهل مصر  
 وإفريقية ألف مراكب في البحر ، عليهم عمر بن خليفة ، وعلى جماعة للناس كلهم أخوه مسلمة ،  
 ومعه ابنه داود بن سليمان بن عبد الملك في جماعة من أهل بيته ؛ وذلك كله عن مشورة موسى  
 بن نصير ، حين قدم عليه من بلاد المغرب . والصحيح أنه قدم في أيام أخيه الوليد ، والله أعلم .

قال ابن أبي الدنيا : حدثني محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الكوفي ، عن جابر بن عون  
 الأمدى قال : أول كلام تكلم به سليمان بن عبد الملك - حين ولي الخلافة - أن قل : الحمد لله الذي  
 ما شاء صنع وما شاء رفع وما شاء وضع ، ومن شاء أعطى ومن شاء منع ، إن الدنيا دار غرور ،  
 ومنزل باطل ، وزينة تقاب ، تضللك باكيًا وتبكي ضاحكًا ، وتحيف آثماً وتؤمن خائفاً ، تقفر  
 مشربها ، وتثري فقيرها ، ميلة لاهبة بأهلها . يا عباد الله ! اتخذوا كتاب الله إماماً ، وارضوا به  
 حكماً ، واجعلوه لكم قائداً ؛ فإنه ناسخ لما قبله ، ولن ينسخه كتاب بعده . اهدوا - عباد الله - أن هذا  
 القرآن يحلو كبد الشيطان وضائفه ، كما يحلو ضوء الصبح - إذا تنفس - أدهار الليل إذا همس .

وقال يحيى بن معين ، عن حجاج بن محمد ، عن أبي معشر ، عن محمد بن قيس قال : سمعت  
 سليمان بن عبد الملك يقول في خطبته : فضل القرآن على سائر الكلام كفضل الله على خلقه .

وقال حاد بن زيد ، عن يزيد بن حازم قال : كان سليمان بن عبد الملك يخطبنا كل جمعة ،  
 لا بدع أن يقول في خطبته : وإنا أهل الدنيا على رحيل ، لم تمنح لهم نية ، ولا تطمئن بهم حتى  
 يأتي أمر الله ووعده ، وم على ذلك . كذلك لا يدوم تميمها ، ولا تؤمن لجانبها ، ولا تبقى من  
 شر أهلها ، ثم يقول ( أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ • ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ • مَا أَغْنَىٰ  
 عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمْتَقِنُونَ )<sup>(١)</sup> .

وروى الأعمشى ، أن قسراً خاتم سليمان كان : آمنت بالله غلاماً .  
 وقال أبو مسهر ، عن أبي مسلم سلمة بن الهارم الفزاري قال : كان محمد بن سيرين يترحم على



سليمان بن عبد الملك ، ويقول : انتفع خلفته بخير وختمها بخير ، انتفعها بإجابة الصلاة لمواقبتها ، وختمها باستخلافه عمر بن عبد العزيز .

وقد أجمع علماء الناس والتواريخ ، أنه حج بالناس في سنة سبع وثمانين ، وهو خليفة . قال الميثم بن عدي : قال الشعبي : حج سليمان بن عبد الملك ، فلما رأى الناس بالوسم قال لعمر بن عبد العزيز : ألا ترى هذا الخلق الذي لا يحصى مددهم إلا الله ، ولا يسع رزقهم غيره ! فقال : يا أمير المؤمنين هؤلاء وميتك اليوم ، وم غدأ ضحاؤك عند الله ، فبكى سليمان بكاء شديداً ، ثم قال : بالله أستمع .

وقال ابن أبي الدنيا : ثنا إسحاق بن إسماعيل ، ثنا جرير ، عن عطاء بن السائب قال : كان عمر بن عبد العزيز في سفر مع سليمان بن عبد الملك ، فأصابهم السماء برد وبرد وبرد وظلة وريح شديدة ، حتى فزعوا القلح ، وجعل عمر بن عبد العزيز يضحك ، فقال له سليمان : ما يضحكك يا عمر ؟ أما ترى ما نحن فيه ؟ فقال له : يا أمير المؤمنين هذه آثار رحمت فيها شدائد ما ترى ، فكيف بآثار غضبه ؟

ومن كلامه الحسن - رحمه الله - قوله : الصمت منام القتل والناطق ينطقه ، ولا يتم هذا إلا بهذا . ودخل عليه رجل فكلّمه ، فأعجبه منطقته ، ثم فقهه ، فلم يجد عقله ، قال : فضل منطق الرجل على عقله خدمة ، وفضل عقله على منطقته حجة ، وخير ذلك ما أشبه بعضه ببعضاً . وقال : العاقل أحرص على إقامة لسانه منه على طلب معاشه . وقال أيضاً : إن من تكلم فأحسن قادر على أن يسكت فيحسن ، وليس كل من سكت فأحسن - قادراً على أن يتكلم فيحسن . ومن شره يقبل عن صديق له مات فقال :

وهوئن وجدى في شراحيل أتى متى شئت لاقيت امرءاً مات صاحبه

ومن شره أيضاً :

ومن شئى ألا أفارق صاحبي وإن ملّني إلا سأت له رشداً

وإن دام لي بالود مت ولم أكن مكاخر لا يرمى ذماماً ولا همداً

وسمع سليمان ليلة صوت غناء في مسكوه ، فلم يزل ينفخ حتى أتى بهم ، فقال سليمان : إن القوس ليصل فتستودق له الرمكة<sup>(١)</sup> ، وإن الجبل ليهتدر فضيحه له الناقة ، وإن القيس لينب<sup>(٢)</sup> فتستغذى له العنز ، وإن الرجل ليتغنى قششق له الرأه . ثم أمر بهم فقال : اخصوم ،

(١) أى تمنح له وتريده ، واستودقت : أرادت الحمل ، والرمكة : القوس (٢) نب : صاح عند الهياج .

فيقال : إن عمر بن عبد العزيز قال : يا أمير المؤمنين ! إنها مثقة ، وإن كان انهم ، فنظام .  
وفي رواية : أنه خشي أحدهم ، ثم سأل عن أصل الفتنة ، فقيل : إنه بالمدينة ، فسكتب إلى عامله  
بها - وهو أبو بكر بن محمد بن حزم - يأمره أن يخلص من عنده من اللذين المختنين .

وقال الشافعي : دخل أعرابي على سليمان ، فدعا إلى أكل الفلوجة ، وقال له : إن أكلتها يزيد  
في الدماغ ، قال : لو كان هذا صحيحاً لسكان يضيء أن يكون رأسي أمير المؤمنين مثل رأس البيل .  
وذكروا أن سليمان كان نهماً في الأكل ، وقد نقلوا عنه أشياء في ذلك غريبة : فمن ذلك :  
أنه اصطبح في بعض الأيام بأربعين دجاجة مشوية وأربع وعشرين كلفة شحمها ، وعشرين  
جروقة<sup>(١)</sup> ، ثم أكل مع الناس على العادة في السباط العام<sup>(٢)</sup> .

ودخل ذات يوم سدناً له ، وكان قد أمر قيحه أن يحنى غارده ، فدخله ومعه أصحابه ، فأكل  
القوم حتى ملوا ، واستمر هو يأكل أكلاً ذريعاً من تلك اللواكة ، ثم استدعى نشاة مشوية  
فأكلها ، ثم أقبل على أكل الفاكهة ، ثم أتى بدجاجةيتين فأكلهما ، ثم عاد إلى الفاكهة فأكل  
منها ، ثم أتى بقمب يقعد فيه الرجل - ملوفاً سويقاً ومحملاً وسكراً فأكله ، ثم عاد إلى دار الخلافة ،  
وأنى بالسباط فما فقدوا من أكله شيئاً<sup>(٣)</sup> . وقد روى أنه مرضت له حتى عقب هذا الأكل أدته  
إلى الموت ، وقد قيل : إن سبب مرضه كان من أكل أربعائة بيضة وسنتين تبنك ، فلهذا أعلم .

وذكر الفضل بن أبي الهيثم وأنه ليس في يوم جمعة حلة صبراء ، ثم معها وليس بدجاجة  
خضراء ، واضم بعمامة خضراء ، وجلس على فراش أخضر ، وقد بدا ما حوله بالخضرة ، ثم نظر  
في المرأة ، فأعجبته حسنة ، وشعر من ذراعيه وقال : أنا الخليفة الشاب . وقيل : إنه كان ينظر  
في المرأة من فرقة إلى قدمه ويقول : أنا لك الشاب . وفي رواية : أنه كان ينظر فيها ويقول :  
كان محمد نبياً ، وكان أبو بكر صديقاً ، وكان عمر فاروقاً ، وكان عثمان حياً ، وكان علي شجاعاً ،  
وكان معاوية حليماً ، وكان يزيد صبوراً ، وكان عبد الملك - نساً ، وكان الوليد جباراً ، وأنا لك  
الشاب قلوا : فما حال عليه بعد ذلك شهر - وفي رواية : جمعة - حتى مات . قلوا : ولما حتم  
شرح يوضاً ، فدعا بجارية ، فصبت عليه ماء الوضوء ، ثم أشدته :

أنت نعم اللعاب لو كنت تبتق غير أن لا بقاء للإنسان  
أنت خل من السيوب ومما يكره الناس غير أنك فان

(١) الجروقة : الرغيف . (٢) هذا : مثاله مبالغات ، كان يحرب بها الأعاجم إلى القضاء .  
(٣) وهذا أيضاً من مبالغات الأعاجم ، فقد كان سليمان نديفاً جميلاً ، وهي حفة لا تتفق مع ما ذكر

قالوا : فصاح بها وقل : عزتني قد نسي ، ثم أمر خاله الوليد بن المهلب الفتيان العباسي  
أن يصب عليه وقال :

قرب وضوءك يا وليد فأنا دنياك هذى بلفنة ومطاع  
فأهل نفسك في حياتك حالما فالدهر فيه فرقة وجاع

ويروي أن الجارية لما جاءت بالعلقت جعلت تضطرب من الحى ، فقال : أين فلانة ؟  
فقال : محومة ، قال : فلانة ؟ قالت : محومة ، وكان برج دابق من أرض قنسرين ، فأمر خاله  
فوضاه ، ثم خرج يصل بالناس ، فأخذته بكرة<sup>(١)</sup> في الخطبة ، ثم نزل وقد أصابته الحى ، فأت  
في الجملة للتبلة . وبطل : إنه أصابته ذات الجنب ، فأت بها - رحمه الله .

وكان قد أقسم أنه لا يبرح برج دابق حتى يرجع إليه الخبير بفتح القسطنطينية ، أو يموت  
قبل ذلك ، فأت قبل ذلك - رحمه الله وأكرم مثواه . قالوا : وجعل يلهج في مرضه ويقول :

إن بنى صغار أطلع من كان له كبار

فيقول له عمر بن عبد العزيز : قد أطلع المؤمنين يا أمير المؤمنين ، ثم يقول :

إن بنى صبية صبيون قد أطلع من كان له ربيون

ويروي أن هذا آخر ما تكلم به . والصحيح أن آخر ما تكلم به أن قال : أسألك  
منظما كريما ، ثم قضى .

وروي ابن جرير ، عن رجاء بن حيوة - وكان وزير صدق لبنى أمية - قال : - أشارني  
سليمان بن عبد الملك - وهو مريض - أن بولي له ابنا صغيرا لم يبلغ الحلم ، فقلت : إن عما يحفظ  
الخطبة في قبره أن بولي على المسلمين الرجل الصالح ، ثم شاورني في ولاية ابنه داود ، فقلت :  
إنه غائب منك بقسطنطينية ، ولا تدري أين هو أميت ؟ فقال : من ترى ؟ فقلت : رأيك  
يا أمير المؤمنين ، قال : فكيف ترى في عمر بن عبد العزيز ؟ فقلت : أعلمه والله خيرا فاضلا  
مسلميا يحب الخير وأهله ، ولكن أخوف عليه إخوانك أن لا يرضوا بذلك : فقال : هو والله  
على ذلك ، وأشار رجاء<sup>(٢)</sup> أن يجعل يزيد بن عبد الملك ولي العهد من بعد عمر بن عبد العزيز ،  
ليرضى بذلك بنو مروان ، فكتب :

(١) البعة : خشونة وغاظ في الموت . (٢) هو : رجاء بن حيوة - كذا سيأتي قريبا .

بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتاب من عبد الله - سليمان بن عبد الملك - لمر بن عبد العزيز ، إلى قد وليته الخلافة من بعدى ، ومن بعده يزيد بن عبد الملك ، فاسموا له وأطيعوا ، وانتوا الله ولا تخفوا فيطمع فيكم هدوك وختم الكتاب ، وأرسل إلى كعب بن حامد البسبي صاحب الشرطة ، فقال له : اجمع أهل بيتي فرم فليبايوا على ما في هذا الكتاب غنوما ، فن أبى منهم ضرب عنقه . فاجتمعوا ودخل رجل منهم فهدوا على أمير المؤمنين ، فقال لهم : هذا الكتاب عهدى إليكم ، فاسموا له وأطيعوا وبايوا من ولّيت فيه ، فبايوا ذلك رجلا رجلا . قال رجاء : فلما تفرّوا جاني مر بن عبد العزيز فقال : أنشدك الله وحرمتي ومودتي إلا أعلتني ؟ إن كان كتب لي ذلك حتى أستمنه الآن ، قبل أن تأتي حال لا أقدر فيها على ما أقدر عليه الساعة ، فقلت : والله لا أخبرك حرفا واحدا . قال : ولفيه هشام بن عبد الملك فقال : يا رجاء ! إن لي بك حرمة ومودة قديمة ، فأخبرني هذا الأمر إن كان إلى علة ، وإن كان لنهي فلا مثل قصر به من هذا . فقلت : والله لا أخبرك حرفا واحدا مما أسرته إلى أمير المؤمنين . قال رجاء : ودخلت على سليمان فإذا هو يموت ، فبغت إذا أخذته السكر من سكرات الموت أحرته إلى التوبة ، فإذا أفاق يقول : لم يأن ذلك بعد يا رجاء ، فلما كانت الثالثة قال : من الآن يا رجاء ، إن كنت تريد شيئا ، أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، قال : فخرجه إلى التوبة فأت - رحمه الله .

قال : فخطبته بخطبة خضراء وأعلنت للباب عليه ، وأرسلت إلى كعب بن حامد ، فجمع الناس في مسجد دايق ، فقلت : بايوا لمن في هذا الكتاب ، فقالوا : قد بايونا ، فقلت : بايوا ثانية ، ففعلوا ، ثم قلت : قوموا إلى صاحبكم فقد مات ، وقرأت الكتاب عليهم ، فلما انتهيت إلى ذكر مر بن عبد العزيز - تنهت وجوه بني مروان ، فلما قرأت : وإن يزيد بن عبد الملك بعده تراجعا بعض الشيء . ونادى هشام : لا نبايحه أبدا ، فقلت : أشرب عنقك والله ، قم فبايع ، فنهض الناس إلى مر بن عبد العزيز وهو في مؤخر المسجد ، فلما تحقق ذلك قال : إنا لله وإنا إليه راجعون . ولم عمله رجلاه حتى أخذوا بضيقه ، فأحمدوه على النبر ، فسكت حينئذ ، قال : رجاء بن حيوة : ألا تقوموا إلى أمير المؤمنين فبايواه ! فنهض القوم فبايواه ، ثم أتى هشام فصد النبر ليبايع وهو يقول : إنا لله وإنا إليه راجعون ، فقال مر : نعم ! إنا لله وإنا إليه راجعون ، ألقى سرت أنا وأنت تتنازع هذا الأمر .

ثم قام فخطب الناس خطبة باينة وبليغة ، فكان مما قال في خطبته : أيها الناس ! إني لست بمبتدع ، ولكني متبع ، وإن من حولكم من الأمصار والدين إن أطاعوا كما أطيعتم فأنالوا إليكم ، وإن هم أبوا فليست لكم بوال ، ثم نزل . فأخذوا في جهاز سليمان ، قال الأوزاعي : فلم يفرغوا منه حتى دخل

وقت المغرب ، فصلى عمر بالناس صلاة المغرب ، ثم صلى على سليمان ، ودفن بعد المغرب ، فلما انصرف عمر أتى بمراكب الخلافة ، فأبى أن يركبها ، وركب دابته وانصرف مع الناس حتى أتوا دمشق ، فقالوا به نحو دار الخلافة فقال : لا أنزل إلا في منزلي<sup>(١)</sup> حتى تفرغ دار أبي أيوب ، فاستحسنوا ذلك منه ، ثم استدعى بالكتاب ، فجعل يلى عليه نسخة الكتاب الذي يبائع عليه الأمصار . قال رجاء : فما رأيت أفصح منه .

قال محمد بن إسحاق : وكانت وفاة سليمان بن عبد الملك بلباق من أرض قنسرين - يوم الجمعة لعشر ليال خلت من صفر سنة تسع وتسعين ، حل رأس سنتين وتسعة أشهر وعشرين يوماً من متوفى الوليد ، وكذا قال الجمهور في تاريخ وفاته ، ومنهم من يقول : لعشر بقين من صفر ، وقالوا : كانت ولايته سنتين وثمانية أشهر ، زاد بعضهم إلا خمسة أيام ، والله أعلم .

وقول الحاكم أبي أحمد : إنه توفي يوم الجمعة لثلاث عشرة بقين من رمضان سنة تسع وتسعين ، حكاه ابن مسافر ، وهو غريب جداً . وقد خالفه الجمهور في كل ما قاله ، وعندما أنه جاوز الأربعين ؛ فقيل : بثلاث ، وقيل : بخمس ، والله أعلم .

قالوا : وكان طويلاً جليلاً أبيض نحيفاً ، حسن الوجه ، مقرون الحاجبين ، وكان نصيحاً بليغاً ، يحسن العربية ، ويرجع إلى دين وخير ومحبة للاحق وأهله ، واتباع القرآن والسنة ، وإظهار الشرائع الإسلامية - رحمه الله . وقد كان رحمه الله آتياً على نفسه حين خرج من دمشق إلى مرج دابق - ودابق قريبة من بلاد حلب ، لما جهز الجيوش إلى مدينة الروم العظمى المدعاة بالقسطنطينية - أن لا يرجع إلى دمشق حتى تنفتح أبواب الموت ، فأتت هناك كما ذكرنا ، فحصل له هذه النية أجر الرباط في سبيل الله ، فهو - إن شاء الله - ممن يمرى له ثوابه إلى يوم القيامة - رحمه الله .

وقد ذكر الحافظ ابن مسافر في ترجمة شراحيل بن عبيدة بن قيس الثقفي ما مضونه : أن مسلمة بن عبد الملك لما ضيق بمحاصرته على أهل القسطنطينية ، وتبعه المالك واستنصره على مسلمة ، ويقول له : ما هناك من المالك ، أذهب إليهم في الروم إلى ملك البرجان يستنصره على مسلمة ، ويقول له : ليس لهم إلا في الدعوة إلى دينهم ، الأقرب منهم الأقرب ، وإنهم متى فرغوا مني خلصوا إليك ، فهما كفت صانئاً حينئذ فاصنعه الآن . ففند ذلك شرع - الله الله - في السكر والخدعة ، فكسب

(١) كان منزله في موضع مدرسة السيماطية الآن بما يلي باب مسجد بني أمية الكباري . أما قصر الخلافة الذي يسمى « القصر الخضراء » ، فكان وراء الجدار القليل من مسجد بني أمية . ويسمى موضعه الآن : « للصيغة الخضراء » .

إلى مسلة قول له : إن إليون كتب إلى يستنصرني عليك ، وأنا معك فرقي بما شئت فكتب  
إليه مسلة : إن لا أريد منك رجلاً ولا عدواً ، ولكن أرسل إلينا بالهرة ، فقد قل ما عندنا من  
الأزواد . فكتب إليه : إن قد أرسلت إليك بسوق عظيمة إلى مكان كذا وكذا ، فأرسل من  
يقلدها ويشتري منها . فأذن مسلة لمن شاء من الجيش أن يذهب إلى هناك ، فيشتري له ما يحتاج  
إليه ، فذهب خلق كثير ، فوجدوا هناك سوقاً هائلة ، فيها من أنواع البضائع والأمتعة والأطعمة ،  
فأقبلوا يشترون ، واشتدوا بذلك ، ولا يشعرون بما أرصد لهم الخيل من المكان بين تلك الجبال  
التي هناك ، فخرجوا عليهم بضعة واحدة ، فقتلوا خلقاً كثيراً من المسلمين ، وأسروا آخرين ،  
ومارجع إلى مسلة إلا القليل منهم ، فبأنه وإنا إليه راجعون .

فكتب مسلة بذلك إلى أخيه سليمان يخبره بما وقع من ذلك ، فأرسل جيشاً كثيراً صحبة  
شراحيل بن صبيدة هذا ، وأمرهم أن يبرؤوا خليج القسطنطينية أولاً ؛ فبقوا تلك البرجان ، ثم  
يهدوا إلى مسلة ، فذهبوا إلى بلاد البرجان وقطعوا إليهم تلك الخيل ، فانتظروا معهم قتالاً  
شديداً ، فهزم المسلمون بأذن الله ، وقتلوا منهم مقتلة عظيمة ، وسبوا وأسروا خلقاً كثيراً ،  
وخلصوا أسرى المسلمين ، ثم تمحيزوا إلى مسلة ، فكانوا عنده حتى استقدم الجميع عمر  
ابن عبد العزيز : هو ما عليهم من عائلة الروم وبلادهم ، ومن حقوق الدبش ، وقد كان لهم قبل ذلك  
مدة طويلة أتاهم الله .

### وهذه خلافة عمر بن عبد العزيز - أشج بن مروان

رضي الله عنه وأكرمه

قد تقدم أنه بويع له بالخلافة يوم الجمعة امشر مضين - وقد قيل : يقين - من صفر من هذه  
السنة - أعني سنة تسع وتسعين - يوم مات سليمان بن عبد الملك ، من عهد منه إليه من غير علم  
من عمر كما تقدمنا . وقد ظهرت عليه غيايل الورع والهيون والتشلف والصفانة والزراعة ، من أول  
حركة بقى منه ؛ حيث أعرض عن ركوب مراكب الخلافة ، وهي الخيول الحسان الجياد للعدة  
لها ، والاجتزاء بالركوب الذي كان يركبه ، وسكنى منزله رغبة عن منزل الخلافة . ويقال : إنه  
خطب الناس ، فقال في خطبته : أيها الناس ، إن لي شأناً توافقه لا تملى شيئاً إلا تأتت إلى ما هو  
أعلى منه ، وإني لما أعطيت الخلافة تأتت نفسي إلى ما هو أعلى منها وهي الجنة ، فأعينوني عليها  
يرحمكم الله ، وستأتي ترجمته عند وفاته إن شاء الله . وكان مما جاور إليه عمر في هذه السنة أن بعث  
إلى مسلة بن عبد الملك ومن معه من المسلمين ، وهم بأرض الروم محاصرين للقسطنطينية ، وقد اشتد  
عليهم الحال ، وضاق عليهم المجال ، لأنهم عسكر كثير ؛ فكتب إليهم بأمرهم بالرجوع إلى

الشام إلى منازلهم . وبث إليهم بطعام كثير وخيول كثيرة عتاق ، يقال : خمائة فرس ،  
ففرح الناس بذلك .

وفيها أغارت الترك على أذربيجان ، فقتلوا خلقاً كثيراً من المسلمين ، فوجه إليهم عمر حاتم  
ابن النعمان الباهلي ، فقتل أولئك الأتراك ، ولم يفلت منهم إلا اليسير ، وبث منهم أسارى إلى  
عمرو وهو بخنصرة . وقد كان المؤذنون يذكرونه بعد أذانهم . باقرب الوقت وضيقه لتلاؤمها  
كما كان يؤخرها من قبله ، لكثرة الأشغال ، وكان ذلك من أمره لهم بذلك والله أعلم . فروى  
ابن عساکر في ترجمة جرير بن عثمان الرحبي الحمصي قال : رأيت مؤذني عمر بن عبد العزيز يسلمون  
عليه في الصلاة : السلام عليك أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ، حتى على الصلاة ، حتى على  
التلاح ، الصلاة قد تاربت .

وفي هذه السنة عزل عمر يزيد بن المهلب عن إمارة العراق ، وبث حديدي بن أراطمة القزاري  
على إمارة البصرة ، فاستقضى عليها الحسن البصري ، ثم استغناه فأعفاه ، واستقضى مكانه إلياس  
ابن معاوية القتيبي المشهور ، وبث على إمارة السكوفة وأرضها عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد  
ابن الخطاب ، وضم إليه أبا الزناد كاتباً بين يديه ، واستقضى عليها عامراً الشبي . قال الواقدي :  
فلم يزل قاضياً عليها مدة خلافة عمر بن عبد العزيز . وجعل على إمارة خراسان الجراح بن عبد الله  
الحسكي ، وكان نائب مكة عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد ، وعلى إمارة المدينة أبو بكر  
ابن محمد بن عمرو بن حزم ، وهو الذي حج بالناس في هذه السنة . وعزل عن إمارة مصر عبد الملك  
ابن أبي وداعة ، وولى عليها أيوب بن شرحبيل ، وجعل القتيبي على جعفر بن ربيعة ، ويزيد بن أبي  
حبيب ، وعبيد الله بن أبي جعفر ، فهؤلاء الذين كانوا يقتلون الناس . واستعمل على إفريقية وبلاد  
المغرب إسماعيل بن عبد الله الحفزي ، وكان حسن الهيئة ، وأسلم في ولايته على بلاد المغرب  
خاق كثير من البربر ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

الحسن بن محمد بن الحنفية : تابی جليل ، يقال : إنه أول من تكلم في الأرجاء ، وقد تقدم أن  
أبا حميد قال : توفي في سنة خمس وتسعين ، وذكر خليفة ، أنه توفي في خلافة عمر بن عبد العزيز ،  
وذكر شيخنا الذهبي في الأعلام أنه توفي هذا العام ، والله أعلم .

عبد الله بن محرز بن جندادة بن عبيد القريشي الحمصي السكي ، نزل بيت المقدس . تابی جليل  
روى من زوج أم أبي حفصرة للؤذن ، وعبادة بن الصامت ، وأبي سعيد ، ومعاوية ، وغيرهم .  
وحسنه خالد بن ممدان ، ومكحول ، وحسان بن عطية ، والزهري ، وآخرون . وقد وثقه غير واحد  
وأثنى عليه جماعة من الأئمة ، حتى قال رجاء بن حيوة : إن يضر علياً أهل المدينة بياضهم ابن عمر ،  
فإننا يضر عليهم بياضاً عبد الله بن محرز .

وقال بعض وقته : كان يحتم القرآن كل جمعة ، وكان يقرش له الفرائض فلا ينام عليه . قالوا : وكان صموتا ممتزلا لفتن ، وكان لا يترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ولا يذكر شيئاً من خصال الحمودة . ورأى على بعض الأمراء حقة من حرير ، فأنكر عليه ، فقال : إنما ألبسها من أجل هؤلاء . وأشار إلى عبد الملك بن مروان أمير المؤمنين - فقال له ابن محيرز : لا تمدل بخوفك من الله خوف أحد من الخوفاين . وقال الأوزاعي : من كان مقتدياً فليقتد بمنه ، فإن الله لا يضل أمة فيها مثله . قال بعضهم : توفي أيام الوليد . وقال خليفة بن خياط : توفي أيام عمر بن عبد العزيز . وذكر الذهبي في الأعلام ، أنه توفي في هذا العام ، والله سبحانه أعلم . دخل ابن محيرز مرة حانوت بزاز ليشتري منه ثوباً ، فرفع في الثوب ، فقال له جاره : ويحك ! هذا ابن محيرز ضع له ، فأخذ ابن محيرز بيد غلامه وقال : اذهب بنا ، إنما جئت لشتري بأموالنا لا بأدياننا ، فذهب وتركه .

نافع بن جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل القرشي النوفلي المدني . روى عن أبيه ، وعثمان ، وعمل ، والعباس ، وأبي هريرة ، وعائشة ، وغيرهم . وروى عنه جماعة من التابعين وغيرهم . وكان ثقةً عادلاً يجمع ما شأى ومركوبه بقادسه . قال غير واحد : توفي سنة تسع وتسعين بالمدينة . كريب بن مسلم : مولى ابن عباس . روى عن جماعة من الصحابة وغيرهم ، وكان عنده حمل كسب ، وكان من الثقات المشهورين بالخير والهداية .

عماد بن يزيد بن عتبة ، أبو نعيم الأنصاري الأشجلي . ولد في حياة النبي ﷺ . وروى عنه أحاديث ، لكن حكمها حكم الإرسال وقال البزار : له محبة . وقال ابن عبد البر : هو أحسن من عمود بن الربيع . قيل : إنه توفي سنة ست ، وقيل : سبع وتسعين . وذكر الذهبي في الأعلام أنه توفي في هذا العام ، والله أعلم باليقين .

محمد بن جبير بن مطعم : كان من عداة قریش وأشرفها ، وله روايات كثيرة ، وكان يفتل عنه بها النبي ﷺ في وجهه وعمره أربع سنين ، توفي وعمره ثلاث وتسعون سنة بالمدينة . مسلم بن يسار : أبو عبد الله البصري ، الفقيه ، الزاهد . له روايات كثيرة ، كان لا يفضل عليه أحد في زمانه ، وكان عادلاً ورعاً زاهداً كثير الصلاة كثير الخشوع . وقيل : إنه وقع في داره حريق ، فألقاه وهو في الصلاة لم يشعر به . وله مناقب كثيرة - رحمه الله .

قلت : وانهدمت مرة ناحية من المسجد ، ففرغ أهل السوق لهدتها ، وأنه أتى المسجد في صلاته فها الخفت . وقال ابنه : رأيت ساجداً وهو يقول : متى ألتاك وأنت عني راض ، ثم يذهب في الدعاء ، ثم يقول : متى ألتاك وأنت عني راض ، وكان إذا كان في غير صلاة كأنه في الصلاة ، وقد تقدمت ترجمته .



حنش بن عمرو الصنعاني : كان والي إفريقية وبلاد المغرب ، وإفريقية توفي غازياً . وله روايات كثيرة من جماعة من الصحابة .

خارجة بن زيد بن الضحاك ، الأنصاري ، المدني ، الفقيه . كان بقى بالندبة ، وكان من فقهاء المدونين ، كان عالماً بالفرائض وتقسيم الوارث ، وهو أحد المقهاء السبعة الذين مدار الفتوى على قولهم .

### سنة مائة من الهجرة النبوية

قال الإمام أحمد : حدثنا علي بن حفص ، أنبأ ورقاء ، عن منصور ، عن النبال بن عمرو ، عن نعيم بن دجاجة قال : دخل ابن مسعود على علي فقال : أنت القتال : قال رسول الله ﷺ : لا يأتي على الناس مائة عام وعلى الأرض نفس متفوسة<sup>(١)</sup> ؟ إنما قال رسول الله ﷺ : لا يأتي على الناس مائة عام وعلى الأرض نفس متفوسة من هو حي ، وإن رءاه هذه الأمة بعد المائة . تفرد به أحد . وفي رواية لابنه عبد الله : أن علياً قال له : يا فتوخ أنت القتال : لا يأتي على الناس مائة سنة وعلى الأرض عين تطرف من هو حي اليوم ، وإنما رءاه هذه الأمة وفرحها بعد المائة ؟ إنما قال رسول الله ﷺ : لا يأتي على الناس مائة سنة وعلى الأرض عين تطرف ، أعطأت أسنك الخفرة ، وإنما أراد من هو اليوم حي . تفرد به عبد الله بن أحمد . وهكذا جاء في الصحيحين من ابن عمر ، فوهل<sup>(٢)</sup> الناس في وفاة رسول الله ﷺ تلك ، وإنما أراد انخراط قرنه .

وفيها : خرجت خارجة من الحزورية<sup>(٣)</sup> بالهراق ، فبث أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز إلى عبد الحميد نائب الكوفة ، بأمره بأن يدعوهم إلى الحق ، ويتألف بهم ، ولا يقاتلهم حتى يفسدوا في الأرض ، فلما فعلوا ذلك بعث إليهم جيشاً ، فكسروهم بالحزورية ، فبث عمر إليه بولمه على جيشه ، وأرسل عمر - ابن حمة - مسلمة بن عبد الملك من الجزيرة إلى حرسهم ، فأغفره الله بهم ، وقد أرسل عمر إلى كبير الخوارج - وكان يقال له : بسطام - يقول له : ما أخرجك علي ؟ فإن كنت خرجت غضباً لله ، فأنا أحق بذلك منك ، وأنت أولى بذلك مني ، وعلم أنظارك ، فإن رأيت حقاً أنبته ، وإن أبديت حقاً نظرنا فيه . فبث طائفة من أصحابه إليه ، فاختر منهم عمر وجليل ، فسألما : ماذا تفعلون ؟ فقالا : جئناك يزيد بن عبد الملك من بعدك ، فقال :

(١) أي : راضية في الحياة ، والمفروض : الذي يتألف فيه ويرعب . (٢) أي فزع .

(٣) نسبة إلى حروراء ، موضع بظاهر الكوفة تنسب إليه الحزورية من الخوارج ، لأنه كان أول اجتماعهم بها وتحكيمهم حين خالفوا علياً . وهذه النسبة من النوادر ، وكان القياس أن يقال : حروراي .

إني لم أجعله أبداً ، وإنما جعله غيـرى . قالوا : فكيف ترضى به أمينا للأمة من بعدك ؟ فقال :  
أنظروا ثلثة ، فيقال : إن بنى أمية دست إليه سمّاً فقتلوه خشية أن يخرج الأمر من أيديهم  
وعنهم الأموال ، والله أعلم .

وفيهما : غزا عمر بن الوليد بن هشام الميموني ، وعمر بن قيس السكدي من أهل حمص -  
الضائفة وفيها وثى عمر بن عبدالعزيز عمر بن عبيرة الجزيرة فصار إليها . وفيها : حمل يزيد بن المهلب  
إلى عمر بن عبدالعزيز من العراق ، فأرسله عدى بن أوطاة نائب البصرة مع موسى بن وجيه<sup>(١)</sup> ،  
وكان عمر بن يزيد بن المهلب وأهل بيته ، ويقول : هؤلاء جبابرة ولا أحب مثلهم ، فلما دخل  
على عمر طالبه بما قبله من الأموال التي كان قد كتب إلى سليمان أنها حاصلة عنده ، فقال : إنما  
كسبت ذلك لأرهد الأعداء بذلك ، ولم يكن بيني وبين سليمان شيء ، وقد عرفت فكأنني عنده .  
فقال له عمر : لا أسمع منك هذا ، ولست أظنك حتى تؤدى أموال المسلمين ، وأمر بسجنه . وكان  
عمر قد بعث على إمرة خراسان - الجراح بن عبد الله الكمي حوضه ، وقدم وفد يزيد بن المهلب  
محمّد بن يزيد ، فقال : يا أمير المؤمنين إن الله عز وجل قد منّ على هذه الأمة بولايك عليها ،  
فلا تكون نحن أشقى الناس بك ، فعلام تحبس هذا الشيخ وأنا أقوم له ؟ أنصالحني عنه ؟ فقال عمر :  
لا أصالحك عنه إلا أن تقوم بجميع ما يطلب منه ، ولا تأخذ منه إلا جميع ما عنده من مال المسلمين .  
فقال : يا أمير المؤمنين ! إن كانت لك بينة عليه بما تقول ، وإلا فأقبل بيمينه أو فصالني عنه ،  
فقال : لا تأخذ منه إلا جميع ما عنده . فخرج محمّد بن يزيد من عند عمر ، فلم يلبث أن مات محمّد .  
وكان عمر يقول : هو خير من أبيه . ثم إن عمر أمر أن يلبس يزيد بن المهلب جبّة صوف ،  
ويركب على مبر إلى جزيرة دهّاك<sup>(٢)</sup> التي كان ينفي إليها الفساق ، فشفعوا فيه فردّه إلى السجن ،  
فلم يزل به حتى مرض عمر مرضه الذي مات فيه ، فهرب من السجن وهو مريض ، وعلم أنه يموت  
في مرضه ذلك ، وذلك كتب إليه كاسياني<sup>(٣)</sup> ، وأظنه كان عالماً أن عمر قد سقّ سماً .

وفيهما - في رمضان منها - عزل عمر بن عبد العزيز الجراح بن عبد الله الحسكي ، من إمرة  
خراسان ، بعد سنة وخمسة أشهر ، وإنما عزله لأنه كان يأخذ الجزية عن أسلم من الكفار ، ويقول :  
أثم إنما تسلمون فراراً منها فامتنعوا من الإسلام ، وابتغوا على دينهم وأدوا الجزية ، فسكتب  
إليه عمر : إن الله إنما بعث محمداً ﷺ داعياً ، ولم يبعثه جابياً . وعزله ووثق بذلك عبد الرحمن  
ابن نعيم القشيري على الحرب ، وعبد الرحمن بن عبد الله على الخراج . وفيها : كتب عمر إلى عماله

بأمرهم بالخير وينهاهم عن الشر ، وبين لهم الحق ، ووضحه لهم ويعلمهم فيما بينه وبينهم ، ويخوفهم بأمر الله وانتقامه . وكان فيما كتب إلى عبد الرحمن بن نعيم القشيري :

أما بعد : فكن عبداً لله ناصحاً في عباده ، ولا تأخذك في الله لومة لائم ، فإن الله أولى بك من الناس ، وحقه عليك أعظم ، ولا تواتن شيئاً من أمور المسلمين إلا المعروف بالنصيحة لهم ، والتوفير عليهم . وأداء الأمانة فيما استرعى ، وإلا أن يكون ميثاك ميلاً إلى غير الحق ، فإن الله لا يخفى عليه خافية ، ولا تذهبن عن الله مذهباً ، فإنه لا ملجأ من الله إلا إليه . وكتب مثل ذلك مواضع كثيرة إلى العمال . وقال البخاري في صحيحه : وكتب عمر إلى عدي بن عدي : إن الإيمان فراغ من شرائع وحدوداً وسفناً ، من استكملها استكمل الإيمان ، ومن لم يستكملها لم يستكمل الإيمان ، فإن أمش فأميننا لكم حتى قتلوا بها ، وإن أمت فإنا على صحبتكم محريص .

### وفيها كان بدوء دعوة بني العباس

وذلك أن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس - وكان متعباً بأرض الشراة - بعث من جهة رجلاً يقال له : عيسرة ، إلى العراق ، وأرسل طائفة أخرى وهم : محمد بن خنيس ، وأبو عكرمة المبراج - وهو أبو محمد الصادق ، وحيان المطار - خال إبراهيم بن سلمة - إلى خراسان ، وعليها يومئذ الجراح بن عبد الله الحسكي قبل أن يزل في رمضان . وأمرهم بالهداء إليه وإلى أهل بيته ، فلحقوا من لقوا ثم انصرفوا بكف من استعجاب منهم - إلى ميسرة الذي بالعراق ، فبعث بها إلى محمد بن علي ، ففرح بها واستبشر ، وسره أن ذلك أول مبادئ أمر قد كتب الله لإمامه ، وأول رأى قد أحكم الله لإمامه ، أن دولة بني أمية قد بان عليها مجال الوهن والضعف ، ولا سيما بعد موت عمر بن عبد العزيز ، كما سيأتي بيانه .

وقد اختار أبو محمد الصادق محمد بن علي - اثني عشر قريباً ، وهم : سليمان بن كثير الخزامي ولاهر بن قريظ التميمي ، وقسطنطين بن شبيب الطائي ، وموسى بن كعب التميمي ، وخالد بن إبراهيم أبو داود - من بني مرو بن شيبان بن ذهل ، والقاسم بن مجاشع التميمي ، وعمران ابن إسماعيل أبو النجيم - مولى لآل أبي سفيان ، ومالك بن المهيم الخزامي ، وطلحة بن رزيق الخزامي ، ومرو بن أعين أبو حمزة - مولى خزاعة ، وشيثل بن طهمان أبو هل المروزي - مولى لبنى حنيفة ، وعيسى بن أعين - مولى خزاعة أيضاً . واختار سبعين رجلاً أيضاً . وكتب إليهم محمد بن علي كتاباً يكون لهم مثلاً وسيرة يقتدون بها ويسرون بها .

وقد حج بالناس في هذه السنة : أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم - نائب المدينة والنواب

على الأنصار هم المذكورون في التي قبلها ، سوى من ذكرنا عن عزل وتولي غيره ، والله أعلم .  
ولم ينجح عمر بن عبد العزيز في أيام خلافته لشغله بالأموار ، ولكنه كان يبرر البريد إلى المدينة  
فيقول له : سلم على رسول الله ﷺ متى وسيأتي بإسناده إن شاء الله . وعن توفى فيها من الأعيان :  
سالم بن أبي الجعد الأشجعي ، مولا م السكوني - أخو زياد وعبد الله وعبيد الله وعمران  
ومسلم ، وهو تابعي جليل . روى عن ثوبان<sup>(١)</sup> وجابر وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن عمرو ،  
والنعمان بن بشير وغيرهم . وعنه : قتادة والأعشى وآخرون ، وكان ثقة نبيلًا جليلًا .

أبو أمامة سهل بن حنيف الأنصاري الأوسي اللدني ولد في حياة النبي ﷺ ، ورآه وحدث  
عن أبيه ، وعمر ، وعثمان وزيد بن ثابت ، ومعاوية وابن عباس ، وعنه الزهري ، وأبو حازم وجماعة  
قال الزهري : كان من عاية الأنصار وعلمائهم ، ومن أبناء الذين شهدوا بدرًا . وقال يوسف  
ابن الماسحون عن عتبة بن مسلم : قال : آخر خروجه خرجها عثمان بن عفان إلى الجمعة - حصبه  
الناس ، وحالوا بينه وبين الصلاة ، فصلى بالناس يومئذ أبو أمامة سهل بن حنيف .  
قالوا : توفى سنة مائة ، والله أعلم

أبو الزاهرية حذير بن كريب الجمعي ، تابعي جليل ، سمع أبا أمامة - صدق بن مجلان ، وعبد الله  
ابن بسر ، ويقال إنه أدرك أبا الدرداء . والصحيح أن روايته عنه وعن حذيفة مرسلة ، وقد حدث  
عنه جماعة من أهل بلده ، وقد وثقه ابن معين وغيره . ومن أغرب ما روى عنه قول قتيبة : ثنا  
شهاب بن خراش عن حميد عن أبي الزاهرية قال : أغفيت في صخرة بيت المقدس ، فغابت السدنة<sup>(٢)</sup>  
فأغلقت على الباب ، فما انتهيت إلا بتسبيح اللانكة ، فوثبت مذمورًا ، فإذا لللانكة صفوف ؛  
فدخلت معهم في الصف . قال أبو عبيدة وغيره : مات سنة مائة .

أبو الطفيل عامر بن واثلة بن عبد الله بن عمرو اللبني السكناني صحابي ، وهو آخر من رأى  
النبي ﷺ وفاة الإجماع قال : رأيت النبي ﷺ يستلم الركن بمسبحته ، وذكر صفة النبي ﷺ ،  
وروى عن أبي بكر وعمر وعلي ومعاذ وابن مسعود ، وحدث عنه الزهري وقاتدة ومرو بن دينار  
وأبو الزبير وجماعة من التابعين ، وكان من أنصار علي بن أبي طالب ، شهد معه حروبه كلها ،  
لكن ندم بعضهم عليه كونه كان مع المختار بن أبي عبيد ، وقال إنه كان حامل رايته . وقد روى  
أنه دخل على معاوية فقال : ما أبقى لك الدهر من ثكلك عليًا ؟ فقال : ثكل المجوز القلاء<sup>(٣)</sup>  
والشيخ الزقوب<sup>(٤)</sup> . فقال : كيف حبلك له ؟ قال حب أم - موسى لموسى ، وإلى الله أشكو التقصير .

(١) قبل : لم يلق ثوبان ، ولم يسمع منه . (٢) السدنة : جمع سادن ، وهو خادم الكعبة أو بيت الصم .

(٣) القلاء : ما يقلى عليه . (٤) الزقوب : خلف الرجل من واهده وعشيره .

قيل : أنه أدرك من حياة النبي ﷺ ثمان سنين ، ومات سنة مائة ، وقيل : سنة سبع ومائة ، فاق أعلم قال مسلمة بن الحجاج : وهو آخر من مات من الصحابة مطلقاً ، ومات سنة مائة

أبو عثمان النهدي : واسمه عبد الرحمن بن ثعلب البصري ، أدرك الجاهلية ، وحج في زمن الجاهلية مرتين ، وأسلم في حياة النبي ﷺ ولم يره ، وأدى في زمانه الزكاة ثلاث سنين إلى حال النبي ﷺ ، ومثل هذا يسميه أئمة الحديث - مخضرمًا ، وهاجر إلى الذبقة في زمان عمر بن الخطاب فسمع منه ، ومن على وابن مسعود وخلق من الصحابة ، وصحب سلمان الفارسي ثلثي عشرة سنة حتى دفنه . وروى عنه جماعة من التابعين وغيرهم ، منهم : أيوب - وحيد الطويل - وسليمان بن طرخان التيمي . وقال عاصم الأحوال : سمعته يقول : أدركت في الجاهلية بموت - صائمًا من رصاص يحمل على جل أجرد ، فإذا بلغ وادًا رك فيه فيقولون : قد رضي ربكم انكم هذا الوادي فيه يؤزيه . قال : وسمعته وقد قيل له : أدركت النبي ﷺ ؟ فقال : نعم ! أسلمت على عهده ، وأدست إليه الزكاة ثلاث مرات ، ولم ألقه ، وشهدت اليوموك ، والقادسية ، وحلوان ، وهراوند .

كان أبو عثمان صوتًا قويًا ، يسرد الصوم ويقوم الليل لا يتركه ، كان يصلي حتى يشقى عليه ، وحج ستين مرة ما بين حجة وعمره

قال سليمان التيمي : إني لأحسب لا يصيب دنيا ؛ لأنه ليله دائمًا ونهاره صائمًا ، وقال بعضهم : سمعت أبا عثمان النهدي يقول : أنت على ثلاثون ومائة سنة وما مضى شيء إلا وقد أنكرته ، خلا أمل ، فإني أجده كما هو . وقال ثابت البناني عن أبي عثمان : إني لأعلم حين يدكرني ربي مر وجل ، قال : فيقول : من أين تعلم ذلك ؟ فيقول : قال الله تعالى : ( فادكروني أدكركم )<sup>(١)</sup> ، فإذا ذكرت الله ذكرني قال : وكنت إذا دعونا الله قال : والله لقد استجاب الله لنا ، قال الله تعالى ( وقال ربكم ادعوني استجب لكم )<sup>(٢)</sup> ، قالوا : وعاش مائة وثلاثين سنة ، قال هشيم وغيره : قال المدائني وغيره : توفي سنة مائة ، وقال القلاس : توفي سنة خمس وتسعين ، والصحاح سنة مائة ، والله أعلم .

وفيها : توفي عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز ، وكان يفصل على والده في العبادة والاعتقاد من الناس ، وله كلمات حسان مع آية ووعظه إله .

## ثم دخلت سنة إحدى ومائة

فيها : كان حرب يزيد بن المهلب من السجن - حين بلغه مرض عمر بن عبد العزيز - فوافده  
غداًه يلقونه بالغيل في بعض الأماكن ، وقيل : بإبل له ، ثم نزل من حبسه ، ومعه جماعة ،  
وامراته عائكة بنت الثورات العامرية ، فلما جاء غداًه ركب رواحه وسار ، وكتب إلى عمر بن  
عبد العزيز : إني والله ما خرجت من رحمتك إلا حين بلغني مرضك ، ولو رحوت حياتك  
ما خرجت ، ولكفي خشيت من يزيد بن عبد الملك ، فإنه يتوعدني بالقتل . وكان يزيد يقول :  
لئن وليت لأقتلن من يزيد بن المهلب طائفة ، وذلك أنه لما ولي العراق قاتب أصحابه آل عقيل ،  
وم - بيت الحجاج بن يوسف الثقفي . وكان يزيد بن عبد الملك متزوجاً ببنت محمد بن يوسف ،  
وله ابنه الوليد بن يزيد الفاسق القتل ، كما سيأتي .

ولما بلغ عمر بن عبد العزيز أن يزيد بن المهلب حرب من السجن قال : اللهم إن كان يزيد  
بهذه الأمة سوءاً ، فكفهم شره ، واردد كيده في نحره ، ثم لم يزل للرض يتزايد بعمر بن  
عبد العزيز حتى مات ، وهو بخنصرة ، من دير فتمن بين حماه وحلب - في يوم الجمعة ،  
وقيل : في يوم الأربعاء لخمس بقين من رجب من هذه السنة - أعي سنة إحدى ومائة - من  
سبع وثلاثين سنة وأشهر ، وقيل : إنه جاوز الأربعين بأشهر ، فله أعلم .

وكانت خلافته - فيها ذكر غير واحد - سنتين وخمسة أشهر وأربعة أيام . وكان حكام  
مقطاً ، وإماماً عادلاً ، وورعاً ديناً ، لا تأخذه في الله لومة لائم ، رحمه الله تعالى .

## وهذه ترجمة عمر بن عبد العزيز الأموي ، الإمام المعروف المشهور

رحمه الله وأكرم مثواه

هو : عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن  
عبد مناف - أبو حفص القرظي ، الأموي ، المعروف - أمير المؤمنين . وأمه : أم عاصم ليلي بنت  
عاصم بن عمر بن الخطاب - رضي الله عنهما ، ويقال له : أشجع بني مروان ، وكان يقال : الأشجع  
والناقص - أعدل بني مروان - فهذا هو الأشجع ، وسيأتي ذكر الناقص .

كان عمر تابعياً جليلاً ، روي عن أنس بن مالك ، والشافع بن يزيد ، ويوسف بن عبد الله  
ابن سلام - ويوسف حماني صنف - وروي من خلق من التابعين - عنه جماعة من التابعين وغيرهم .  
قال الإمام أحمد بن حنبل : لا أدرى قول أحد من التابعين حجة - إلا قول عمر بن عبد العزيز .  
ويروى له بالغلاة بعد ابن عمه سليمان بن عبد الملك ، عن عهد منه له بذلك ، كما تقدم .

ويقال : كان مولده في سنة إحدى وستين ، وهي السنة التي قتل فيها الحسين بن علي بن عمر .  
غير واحد . وقال محمد بن سعد : ولد سنة ثلاث وستين ، وقيل : سنة أربع وخمسين ، فافق أهل  
وكان له جماعة من الأخوة ، ولكن الذين هم من أبويه : أبو بكر ، وعاصم ، ومحمد .  
وقال أبو بكر بن أبي خيثمة ، عن يحيى بن معين ، عن يحيى بن بكير ، عن الألبان قال : بلغني أن  
هران بن عبد الرحمن بن شرحبيل بن حسنة ، كان يحدث : أن رجلا رأى في المنام ليلة ولد عمر بن  
عبد العزيز - أول ليلة ولي الخلافة شك أبو بكر - أن مناديا بين السماء والأرض ينادي : أنا  
أما بين والذين وإظهار العدل الصالح في العالمين ، قلت : ومن هو ؟ فبذل فسكتب في الأرض .  
ع م ر ه .

وقال آدم بن إياس : ثنا أبو علي ثروان - مولى عمر بن عبد العزيز - قال : دخل عمر بن  
عبد العزيز إلى اصطبل أبيه ، فصر به فرس فشبهه ، فجعل أبوهم يمسح القدم منه ويقول : إن كنت  
أشجع بني أمية ، إنك إداً لسميد . رواه الحافظ ابن عساكر من طريق هارون بن معروف ،  
عن ضمرة .

وقال نعيم بن حماد : ثنا ضمام بن إسماعيل ، عن أبي قبيل ، أن عمر بن عبد العزيز يكنى وهو  
غلام صغير ، فبلغ أمه ، فأرسلت إليه فقالت : ما بهيك ؟ قال : ذكرت الموت ، فبكيت أمه .  
وكان قد جمع القرآن وهو صغير .

وقال الضحاك بن عثمان الخزازي : كان أبوهم قد جعله عند صالح بن كيسان يؤديه ، فلما حج  
أبوهم اجتاز به في المدينة ، فسأله عنه ، فقال : ما خبرت أحداً الله أعظم في صدره من هذا الغلام .  
وروى يعقوب بن سفيان : أن عمر بن عبد العزيز تأخر عن الصلاة مع الجماعة يوماً ،  
فقال صالح بن كيسان : ما شئت ؟ فقال : كانت مِرْجَلِي تسكن شمري ، فقال له : قدمت  
ذلك على الصلاة ؟ وكتب إلى أبيه - وهو على مصر - يبله بذلك : فبذل أبوهم رسولاً ،  
فلم يكلمه حتى حلق رأسه .

وكان عمر بن عبد العزيز يحنّ إلى عبيد الله بن عبد الله يسمع منه ، فبلغ عبيد الله  
أن عمر ينتقص علياً ، فلما أتاه عمر أعرض عبيد الله عنه وقام يصلي ، فجلس عمر ينتظره ،  
فلما سلم أقبل على عمر مضطجاً ، وقال له : متى بئنا أن الله سخط على أهل بدر بعد أن  
رضى عنهم ؟ قال : ففهمها عمر وقال : معذرة إلى الله ثم إليك ، وافق لا أعود . قال : فاستمع  
بهم ذلك يذكر علياً إلا بخير .

وقال أبو بكر بن أبي خيثمة : ثنا أبي ، ثنا الفضل بن عبد الله ، عن داود بن أبي هند ، قال : دخل علينا عمر بن عبد العزيز من هذا الباب - وأشار إلى باب من أبواب مسجد النبي ﷺ - فقال رجل من القوم : بئس الناس لنا يا بنه هذا يتعلم الفرائض والسنة ، ويكرم أنه لن يموت حتى يكون خليفة ، ويسير سيرة عمر بن الخطاب . قال داود : والله ما مات حتى رأينا ذلك فيه .

وقال الزبير بن بكار : حدثني المتني قال : إن أول ما استيقن من رشد عمر بن عبد العزيز حرصه على العلم ، ورغبته في الأدب ، إن أباه ولي مصر ، وهو حديث السن يشك في بلوغه ، فأراد أبوه إخراجَه معه إلى مصر من الشام ، فقال : يا أبة أو غير ذلك ، لعله يكون أمع لي ولك ؟ قال : وما هو ؟ قال : ترسلني إلى المدينة ، فأقعد إلى قضاها وأنادب بأدأهم . ففند ذلك أرسله أبوه إلى المدينة ، وأرسل معه الخدام ، فقدم مع مشايخ قريش ، وتجنب شبابهم ، وما زال ذلك دأبه حتى اشتهر ذكره ، فلما مات أبوه أخذه معه أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان فغله بولده ، وقدمه على كثير منهم ، وزوجه بانيته فامامة ، وهي التي يقول الشاعر فيها :

بنت الخليفة والخليفة جدّها أخت الخلفاء والخليفة زوجها

قال : ولا تعرف امرأة بهذه الصفة إلى يومنا هذا سواها .

قال المتني : ولم يكن حاسد عمر بن عبد العزيز ينقم عليه شيئاً سوى متابعتِه في النعمة ، والاختيال في الشية ، وقد قال الأحف بن قيس : الكامل من عدت هوانه ، ولا تمد إلا من قلة . وقد ورث عمر من أبيه من الأموال والمتاع والقدواب هو وإخوته - ما لم يرثه غيره فيها فلم ، كما تقدم ذلك . ودخل يوماً على عمه عبد الملك ، وهو يتجاف<sup>(١)</sup> في مشبته ، فقال : يا عسر ! مالكت عمي غير مشيتك ؟ قال : إن في جرحك ، فقال : وأين هو من جسدك ؟ قال : بين الراحة والصنع - يعني بين طرف الإمالة وجهة الطهية - فقال عبد الملك لروح بن زنهاع : بالله لو رجل من قومك سئل عن هذا ما أجاب بمثل هذا الجواب .

قالوا : ولما مات عمه عبد الملك حزن عليه ولبس المسوح تحت ثيابه سبعين يوماً ، ولما ولي الوليد عامله بما كان أبوه يصاحبه به ، وولاه المدينة ومكة والطائف من سنة ست وثمانين إلى سنة ثلاث وتسعين ، وأقام لناس الحج سنة تسع وثمانين ، وسنة تسعين ، وحج الوليد بالناس سنة إحدى وتسعين ، ثم حج بالناس عمر سنة ثنتين أو ثلاث وتسعين .



وربى في مدة ولايته هذم مسجد النبي ﷺ، ووسمه من أمر الوليد له بذلك . فدخل فيه قبر النبي ﷺ ، وقد كان في هذه اللدة من أحسن الناس معاشرة ، وأعلمهم سيرة ، كان إذا وقع له أمر مُشْكَل جمع قهواء المدينة عليه ، وقد عين عشرة منهم ، وكان لا يقطع أمراً بدونهم ، أو مر حضر منهم ، وم : مروة ، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث ابن هشام ، وأبو بكر بن سليمان بن خيثمة ، وسليمان بن يسار ، والقاسم بن محمد بن حزم ، وسالم ابن عبد الله ، وعبد الله بن عامر بن ربيعة ، وخارجة بن زيد بن ثابت . وكان لا يخرج من قول سميد بن السبيح ، وقد كان سميد بن السبيح لا يأتي أهدأ من الخلفاء ، وكان يأتي إلى عمر بن عبد العزيز وهو بالمدينة . وقال إبراهيم بن هبة : قدمت المدينة وسما ابن السبيح وغيره ، وقد ندمهم عمر يوماً إلى رأى .

وقال ابن وهب : حدثني الليث ، حدثني قادم البربري ، أنه ذاكر ربيعة بن أي عبد الرحمن يوماً شيئاً من قضايا عمر بن عبد العزيز ، إذ كان بالمدينة ، فقال له الربيع : كأكث تقول . أخطأ ، والذي نفسى بيده ما أخطأ قط .

وثبت من غير وجه ، من أنس بن مالك قال : ما صليت وراء إمام أشبه بصلاة رسول الله ﷺ من هذا النبي - يعني عمر بن عبد العزيز - حين كان حل للمدينة . قالوا : وكان يتم الركوع والسجود ، ويخفف التهام والقعود . وفي رواية صحيحة : أنه كان يستريح في الركوع والسجود عشراً عشراً .

وقال ابن وهب : حدثني الليث ، من أبي النضر اللبني قال : رأيت سليمان بن يسار<sup>(١)</sup> خارجاً من عند عمر بن عبد العزيز ، فقلت له : من عند عمر خرجت ؟ قال : نعم ! قلت : تملونه ؟ قال : نعم ، قلت : هو والله أعلمكم .

وقال مجاهد : أتينا عمر نعله ، فأرحنا حتى تملأنا منه .

وقال ميمون بن مهران : كانت العلماء عند عمر بن عبد العزيز تلامذة . وفي رواية : قال ميمون : كان عمر بن عبد العزيز معلم العلماء .

وقال الليث : حدثني رجل كان قد صحب ابن عمر وابن عباس ، وكان عمر بن عبد العزيز يستعمله على الجزيرة ، قال : ما اتسنا علم شيء إلا وجدنا عمر بن عبد العزيز أعلم الناس بأصله وفرجه ، وما كان العلماء عند عمر بن عبد العزيز إلا تلامذة .

وقال عبد الله بن طلوس : رأيت أبى تواقف هو وعمر بن عبد العزيز من بعد صلاة المشاء حتى أصبحنا ، فلما افترقا قلت : يا أبة ! من هذا الرجل ؟ قال : هذا عمر بن عبد العزيز ، وهو من صالحى هذا البيت - يعنى بنى أمية - .

وقال عبد الله بن كثير : قلت لعمر بن عبد العزيز : ما كان بده إنابك ؟ قال : أردت ضرب غلام لى ، فقال لى : اذكر ليته صبيحتها يوم القيامة .

وقال الإمام مالك : لما عزل عمر بن عبد العزيز عن المدينة - يعنى فى سنة ثلاث وتسعين - وخرج منها ، التفت إليه - وبكى ، وقال لمولاه : يا مزاحم ، نخشى أن نكون ممن نفت للمدينة - يعنى أن المدينة تنفى عنها ، كما ينفى الكبير خبث الحديد - وينصح مايبها<sup>(١)</sup> . قلت : خرج من المدينة فبزل عثمان قريب منها يقال له : السويداء حيناً<sup>(٢)</sup> ، ثم قدم دمشق على بنى أمية .

قال محمد بن إسحاق ، عن إسماعيل بن أبى حكيم قال : سمعت عمر بن عبد العزيز يقول : خرجت من المدينة وما من رجل أعلم منى ، فلما قدمت للشام نسيت .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عفان ، ثنا حماد بن زيد ، عن حمير ، عن الزهرى قال : سمعت مع عمر بن عبد العزيز ذات ليلة تحدثه ، فقال : كل ، أحدثت فقد سمعته ولكن حفظت ونسيت .

وقال ابن وهب ، عن الليث ، عن عقيل ، عن الزهرى قال : قال عمر بن عبد العزيز : بعث إلى الوليد ذات ساعة من الظهيرة ، فدخلت عليه ، فإذا هو عابس ، فأشار إلى أن اجلس ، فجلست فقال : ما تقول فيمن يسب الخلفاء ؟ أقتل ؟ فسكت ، ثم ناد فسكت ، ثم ناد فقلت : أقتل يا أمير المؤمنين ؟ قال : لا ، ولكن سب ، فقلت : يتسكلم به ، ففضب وانصرف إلى أهله . وقال لى ابن الريان السيف : اذهب . قال : فخرجت من عنده وماتت ربيع إلا وأنا أظن أنه رسول يردى إليه .

وقال عثمان بن زمر : أقبل سليمان بن عبد الملك وهو أمير المؤمنين - ومعه عمر بن عبد العزيز على معسكر سليمان ، وفيه ثلاث الطبول والجمال والبغال والإهال والرجال ، فقال سليمان : ما تقول يا عمر فى هذا ؟ فقال : أرى دنيا يأكل بعضها بعضاً ، وأنت المسئول عن ذلك كله ، فلما اقتربوا

(١) أى يخلص ويصرف : والخامس من كل شيء ، ونصح الأمر : ونصح .

(٢) السويداء : أرض كان يملكها عمر بن عبد العزيز ، ولستبيط فيها من عطائه عين ماء ، وله فيها قصر منى . ولما تازل ليث الدال عن جميع ما ورثه عن آبائه - أبى السويداء وخير : لأنه استأمن إلى أهلها حلال خالص ليس فيه أية شبهة . وكان - وهو خليفة يأكل من غلتها ، ويفق ما يزيد عن الضرورة .

من للمسكر إذا غراب قد أخذ ثمة في فيه من فسطاط سليمان ، وهو طائر بها ، ومنب نية ، فقال له سليمان : ما هذا يا عمر ؟ فقال : لا أدري ، فقال : ما ظنك أنه يقول ؟ قلت : كأنه يقول : من أين جاءت وأين يذهب بها ؟ فقال له سليمان : ما أجيبك ؟ فقال عمر : أعجب من عرف الله فصاه ، ومن عرف الشيطان فأطاعه ، ومن عرف الدنيا فركن إليها .

وتقدم أنه لما وقف سليمان وعمر برفة ، ورأى سليمان كثرة الناس ، فقال له عمر : هؤلاء رعيته اليوم ، وأنت مسئول عنهم غداً . وفي رواية : وهم خصماؤك يوم القيامة . فبكى سليمان وقال : بأفة تسعين . وتقدم أنهم لما أصابهم ذلك الطر والرعد ، فرح سليمان وضحك عمر ، فقال له : أنت ضحك ؟ فقال : نعم هذه آثار رحمة وعن في هذه الحلال ، فكيف بآثار غضبه وعقابه ونحن في تلك الحال ؟

وذكر الإمام مالك : أن سليمان وعمر تقاولا مرة ، فقال له سليمان في جملة الكلام : كذبت ، فقال : نقول كذبت ! والله ما كذبت منذ عرفت أن الكذب يضر أهله . ثم مره عمر وعزم على الرحيل إلى مصر ، فلم يتمكن سليمان ، ثم بحث إليه فصاله وقال له : ما عرض لي أمر يهني إلا خفرت على بالي . وقد ذكرنا أنه لما حضرته الوفاة أوصى بالأمر من بعده إلى عمر بن عبد العزيز ، فانتظم الأمر على ذلك ، والله الخلد .

### (فصل) وقد كان منتظراً فيما يؤثر من الأخيار

قال أبو داود العلياني : حدثنا عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سدة الساجشون ، ثنا عبد الله ابن دينار قال : قال ابن عمر : يا عجباً ! يزعم الناس أن الدنيا لا تنفص حتى يلى رجل من آل عمر ، يعمل بمثل عمل عمر . قال : وكانوا يروونه بلال بن عبد الله بن عمر . قال : وكان يوجه أثر ، فلم يكن هو ، وإذا هو عمر بن عبد العزيز ، وأمه : ابنة عامر بن عبد الله بن عمر بن الخطاب .

وقال البيهقي : أنبأ الحاكم ، أنبأ أبو حامد بن علي المقرئ ، ثنا أبو عيسى الترمذي ، ثنا أحمد بن إبراهيم ، ثنا عثمان ، ثنا عثمان بن عبد الحميد بن لاحق ، من جويرية بن أسماء ، من نافع قال : بلغنا أن عمر بن الخطاب قال : إن من ولدي رجلاً يوجه شعبان على فملاً الأرض حدلاً . قال نافع من قبله : ولا أحسبه إلا عمر بن عبد العزيز . ورواه مبارك بن فضالة ، من سيد الله ، من نافع ، وقال : كان ابن عمر يقول : ليت شمري ! من هذا القى من ولد عمر في وجهه علامة فملاً الأرض حدلاً ؟

قال وهيب بن الورد : بينما أنا نائم رأيت كأن رجلاً دخل من باب منى شبيبة وهو يقول : يا أيها الناس اولى عليكم كتاب الله . فقلت : من ؟ فأشار إلى ظفري ، فإذا مكتوب عليه : عمر بن الخطاب . فقلت : فقامت بيعة عمر بن عبد العزيز .

وقال بقية ، عن عيسى بن أبي رزين ، حدثني الخزازي ، عن عمر بن عبد العزيز ، أنه رأى رسول الله ﷺ في روضة خضراء ، فقال له : « إنك ستلى أمر أمتي - فزع عن الدم ، فزع من الدم »<sup>(١)</sup> ، فلين إسمك في الناس - عمر بن عبد العزيز ، وإسمك عند الله - جابر .

وقال أبو بكر بن القري : ثنا أبو عروبة الحسين بن محمد بن مودود الحراني ، ثنا أيوب بن محمد الزواني ، ثنا ضمرة بن ربيعة ، ثنا السري بن يحيى ، عن رباح بن عبيدة قال : خرج عمر بن عبد العزيز إلى الصلاة وشيخ متوكي ، على يده ، فقلت في نفسي : إن هذا الشيخ جاف ، فداصلي ودخل خلفه ، فقلت : أصلى الله الأديب ، من هذا الشيخ الذي أنسكأه يدك ؟ فقال : يا رباح رأيته ؟ قلت : نعم ! قال : ما أجيبك يا رباح إلا رجلاً صالحاً ، ذلك أخي الحضر ، أنا في فأعطني أني سألي أمر هذه الأمة ، وأنني سأعدل فيها .

وقال يعقوب بن سفيان : حدثنا أبو عمير ، ثنا ضمرة ، عن علي بن خولة ، عن أبي عيسى قال : كنت جالساً مع خالد بن يزيد بن معاوية ، فجاء شاب عليه مقطعات فأخذ بيد خالد ، فقال : هل علينا من عين ؟ فقال أبو عيسى : فقلت : عليك من الله عين بصيرة ، وأذن سميمة . قال : فترقرقت عينا الفتى ، فأرسل يده من يد خالد وولى . فقلت : من هذا ؟ قال : هذا عمر بن عبد العزيز ابن أخي أمير المؤمنين ، وإن طالت بك حياة اتربيه إمام هدى .

قلت : قد كان عند خالد بن يزيد بن معاوية شيء جيد من أخبار الأوائل وأقوالهم ، وكان ينفار في النجوم والطب . وقد ذكرنا في ترجمة سليمان بن عبد الملك ، أنه لما حضرته الوفاة أراد أن يعمد إلى بعض أولاده ، فصرفه وزيره الصالح - رجاء بن حيوة عن ذلك ، وما زال به حتى عهد إلى عمر بن عبد العزيز من بعده ، وصوب ذلك رجاء ، فكتب سليمان العهد في صحيفة وختمها ، ولم يشتر بذلك عمر ، ولا أحد من بني مروان سوى سليمان ورجاء ، ثم أمر صاحب الشرطة بإحصاء الأمراء ، ودهوس الناس من بني مروان وغيرهم ، فبايعوا سليمان على ما في الصحيفة المحترمة ، ثم انصرفوا ، ثم لما مات الخليفة استدعاهم رجاء بن حيوة ، فبايعوا ثانية قبل أن يبدلوا موت الخليفة ، ثم فضعها قراها عليهم ، فإذا فيها البيعة لعمر بن عبد العزيز ، فأخذوه فأجلسوه على المنبر وبايعوه ، فانتقدت له البيعة .

(١) أي كف عنه ، والوزعة : جمع وازع ، وهم الولاة الماسون من محارم الله تعالى .

وقد اختلف العلماء في مثل هذا الصنيع ، في الرجل يُوصي الوصية في كتاب ، ويشهد على ما فيه من غير أن يقرأ على الشهود ، ثم يشهدون على ما فيه فينقد ، فسوغ ذلك جماعات من أهل العلم . قال القاضي أبو الفرج اللقاني بن زكريا الجري : أجاز ذلك وأمضاه ، وأفتد الحكم به جمهور أهل الحجاز ، وروى ذلك عن سالم بن عبد الله - وهو مذهب مالك ، ومحمد بن مسلمة الخزومي ، ومكحول ، وعمر بن أوس ، وزرعة بن إبراهيم ، والأوزاعي ، وسعيد بن عبد العزيز ، ومن وافقهم من فقهاء الشام - وحكى نحو ذلك خالد بن يزيد بن أبي مالك ، عن أبيه وقضاة جندة ، وهو قول الليث بن سعد فيمن وافقه من فقهاء أهل مصر والمغرب ، وهو قول فقهاء أهل البصرة وقضائهم . وروى عن قتادة وعن سوار بن عبد الله ، وعبيد الله بن الحسن ، ومعاذ بن معاذ العبدي فيمن سلك سبيلهم ، وأخذ بهذا عدد كثير من أصحاب الحديث ، منهم : أبو عبيد - وإسحاق بن راهويه قلت : وقد اعتنى به البحاري في صحيحه . قال اللقاني : وأى ذلك جماعة من فقهاء العراق ، منهم : إبراهيم - وحاذ - والحسن ، وهو مذهب الشافعي وأبي ثور ، قال : وهو قول شيخنا أبي جعفر . وكان بعض أصحاب الشافعي بالمرق يذهب إلى القول الأول ، قال الجري : وإلى القول الأول نذهب ، وتقدم أن عمر بن عبد العزيز لما رجع من جنازة سلمان أبي إبراهيم الخلافة ليركبا فامتنع من ذلك وأنشأ يقول :

فولوا التقي ثم الهوى خشية الردى      لماصيت في حب الصبا كل زاجر  
قضى ما قضى فيما مضى ثم لا ترى      له صبوة أخرى إلا إلى الفناء

ثم قال : ما شاء الله لا قوة إلا بالله . فقدموا إلى بناني ، ثم أمر ببيع تلك الراكب الخليفة فيمن يزيد ، وكانت من الخيول الجياد الثمينة ، فباعها وجعل أمانتها في بيت المال . قالوا : ولما رجع من الجنازة ، وقد بايحه الناس واستقرت الخلافة باسمه ، اغلب وهو مخم مغموم ، فقال له مولاه : مالك هكذا ممثما مغموماً ، وليس هذا بوقت هذا ؟ فقال : ويحك ! وما لي لا أغتم وليس أحد من أهل المشرق والمغرب من هذه الأمة إلا وهو يطالبني بحقه أن أؤديه إليه ، كتب إلى في ذلك أو لم يكتب ، طلبه متى أو لم يطلب . قالوا : ثم إنه خير امرأته فاطمة ، بين أن تقيم معه على أنه لا فراغ له إليها ، وبين أن نلتقي بأهله ، فبكت وبكى جواربها ليلتها ، فدمعت ضعة في داره ، ثم اختارت مقامها معه على كل حال - رحمه الله . وقال له رجل : انتفرغ لنا يا أمير المؤمنين ، فأنشأ يقول :

قد جاء شغل شاغل وعدلت عن طرق السلامة  
ذهب انتراغ فلا فراغ لنا إلى يوم القيامة

وقال الزبير بن بكار : حدثني محمد بن سلام عن سلام بن سليم قال : لما ولي عمر بن عبد العزيز

صمد اللير ، وكان أول خطبة خطبها : حمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس من سمعنا فليصحبنا بحسب ، وإلا فليفارقنا ؛ يرضع إلينا حاجة من لا يستطيع رضاها ، ويمسكنا على الخير بمجرده ، ويدلنا من الخير على ما لا نهتدي إليه ولا يتناين عندنا أحداً ، ولا يمرضن فينا إلا بعينه . فاشتد عنه الشراء والخطباء ، وثبت معه الفقهاء والزهاد ، وقالوا : ما بسمنا أن تشارك هذا الرجل حتى يخالف فعله قوله . وقال صفوان بن عيينة : لما ولي عمر بن عبد العزيز بعث إلى محمد بن كعب ، ورجاء ابن حيوة ، وسالم بن عبد الله فقال لهم : قد ترون ما ابتليت به ، وما قد نزل بي ، فاعندكم ؟ فقال محمد بن كعب : اجعل الشيخ أباً ، والشاب أخاً ، والصغير ولداً ، ورأبك وصل أخاك ، وتمطع على وفك . وقال رجاء : ارض للناس ما ترضى لنفسك ، وما كرهت أن يؤتى إليك فلا تأت به إليهم وأعلم أنك أول خليفة تموت . وقال سالم : اجعل الأمر واحداً ومم فيه من شهوات الدنيا ، واجعل آخر فطرته فيه الموت . فيمكن أن قد . فقال عمر : لا حول ولا قوة إلا بالله .

وقال غيره : خطب عمر بن عبد العزيز يوماً الناس فقال - وقد خففته المرة - : أيها الناس ! أصلحوا آخرتكم يصلح الله دنياكم ، وأصلحوا أسراركم يصلح لكم علايتكم ، والله إن هذا لبس بينه وبين آدم أب إلا قد مات ، إنه لمرق<sup>(١)</sup> في الموت . وقال في بعض خطبه : كم من عابر موقع مما قليل يجرى ، وكم من مقيم مضطرب مما قليل يظعن . فأحسنوا رحمكم الله من الدنيا الرحلة بأحسن ما يحضر بكم من النفقة ، فيما ابن آدم في الدنيا ينافس قريير الدين فيها يانع ، إذ دعاه الله بقدره ، ورماه بهم حقه ، فسلبه إثارة دنياه ، وصير إلى قوم آخرين مصانعه ومغناه . إن الدنيا لا تسر تدبر ما نضر ، تسر قليلاً وتمزج طويلاً . وقال إسماعيل بن عياش عن عمرو بن مہاجر قال : لما استخلف عمر بن عبد العزيز قام في الناس ، حمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس ! إنه لا كغلب بعد القرآن ، ولا نبي بعد محمد عليه السلام ، وإني لست بقاض ، ولكني منفذ ، وإني لست بمبتدع ، ولكني متبع ، إن الرجل المازر من الإمام الظالم ليس بظالم . ألا إن الإمام الظالم هو العاصي ، ألا لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق عز وجل . وفي رواية أنه قال فيها : وإني لست بخير من أحد منكم ، ولكنني بأنفسكم حلال ، ألا لا طاعة لمخلوق في معصية الله ، ألا هل أسمت .

وقال أحمد بن مروان : ثنا أحمد بن يحيى الخوافي ، ثنا محمد بن عبيد ، ثنا إسحاق بن سليمان عن شعيب بن صفوان ، حدثني ابن السعيد بن العاص قال : كان آخر خطبة خطبها عمر ابن عبد العزيز ، حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد فإنكم لم تخلقوا عبثاً ، ولن تتركوا سدى وإن لكم مماداً ينزل الله فيه حكمكم فيكم والفصل بينكم ، فخاب وخسر من خرج من رجة الله تعالى ، (١) أي صار فيه عرياقاً وله به صلة .

وحرّم جنة عرضها السموات والأرض ، ألم تعلموا أنه لا يأمن فداً إلا من حذر اليوم الآخر ، خانه ، وابع فاني باق ، وفاداً عملاً فادله ، وقليلاً بكثير ، وخوفاً بأمان ، ألا ترون أنكم في أسلاب المالكين ، وسيكون من يدمكم قبايقين ، كذلك حتى ترد إلى خير الوارثين ، ثم إنكم في كل يوم تشيرون غداً ورائعاً إلى الله لا يرجع ، قد قضى بحبه حتى تنهبوه في صدع من الأرض في بطن صدع غير مؤسد ولا عمد ، قد قارق الأحياب ، وواجه التراب والحساب ، فهو مثرتهن بدمه ، غنى عاترك ، فهو لما قدم فاضوا الله قبل القضاة ، وراقبوه قبل نزول اللوث بكم ، أما إني أقول هذا ، ثم وضع طرف رداءه على وجهه ، فبكى وأبكى من حوله . وفي رواية : وأيم الله إني لأقول قولي هذا ولا أعلم عند أحد منكم من الذنوب أكثر مما أعلم من نفسي ، ولكنها سنن من الله عادة ، أمر فيها بطاعته ، ونهى فيها عن معصيته ، واستغفر الله ، ووضع كفه على وجهه فبكى حتى بلّ لحيقه ، فاجلسه حتى مات رحمه الله<sup>(١)</sup>

وروى أبو بكر بن أبي الدنيا عن عمر بن عبد العزيز ، أنه رأى رسول الله ﷺ في النوم وهو يقول : « ادن يا عمر ، فدنوت حتى خشيت أن أصيبه ، فقال : إذا ولئت فاعمل نحواً من عمل هذين ؟ فإذا كملان قد اكْتَفَاهُ ، فقلت : ومن هذان ؟ قال : هذا أبو بكر وهذا عمر . وروينا أنه قال لسالم بن عبد الله بن عمر : اكتب لي سيرة عمر حتى أعلم بها ، فقال له سالم : إنك لا تستطيع ذلك ، قال : ولم ؟ قال : إنك إن عملت بها كنت أفضل من عمر ، لأنه كان يجد على الخير أحوالاً ، وأنت لا تجد من بينك على الخير . وقد روى أنه كان غش خاتمه : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وفي رواية : آمنت بالله ، وفي رواية : الوفاء عزيز . وقد جمع يوماً رموس الناس فطعهم فقال : إن فداك كانت بيد رسول الله ﷺ بضمها حيث أراه الله ، ثم وليها أبو بكر وعمر كذلك ، قال الأصمعي : وما أدرى ما قال في عثمان ، قال : ثم إن مروان أظلمها ، فحصل لي منها نصيب ، ووهبني الوليد وسليمان نصيبهما ، ولم يكن من مالي شيء . أردت أغل منها ، وقد رددتها في بيت المال على ما كانت عليه في زمان رسول الله ﷺ . قال : فيش الناس عند ذلك من الظالم ، ثم أمر بأموال جماعة من بني أمية ، فردها إلى بيت المال ، وسماها أموال الظالم ، فاستشفعوا إليه بالناس ، وتوسلوا إليه بدمه فاطمة بنت مروان ، فلم يصنع فيه شيء ، وقال لهم : لقد عني وإلا ذهبت إلى مكة ، فنزات عن هذا الأمر لأحق الناس به ، وقال : والله لو أقت فيكم خمسين مائلاً ما أقت فيكم إلا ما أريد من العدل ، وإني لأريد الأمر ، فما أخذه إلا مع طمع من الدنيا حتى تسكن قلوبهم .

(١) في هذه الخطبة تفسير لبعض الألفاظ والجمال ، ذكرها ابن جرير ، ولكنها لا تخرج عن مسمى الموضوع .

وقال الإمام أحمد من عبد الرزاق عن أبيه عن وهب بن منبه أنه قال : إن كان في هذه الأمة مهدي - فهو عمر بن عبد العزيز ، ونحو هذا قال قتادة وسعيد بن المسيب وغير واحد . وقال طاوس : هو مهدي وليس به ، إنه لم يستكمل المدل كله ، إذا كان المهدي ثبت على السوء من إساءته ، وزيد الحسن في إحسانه ، صبح بالمال ، شدد على المال ، رحيم بالساكين .

وقال مالك ، عن الرحمن بن حرملة ، عن سعيد بن المسيب أنه قال : الخلفاء أبو بكر والعمران ، فقيل له : أبو بكر وعمر قد عرفناهما ، فمن عمر الآخر ؟ قال : يوشك إن عشت أن تعرفه ، يريد عمر ابن عبد العزيز ، وفي رواية أخرى عنه أنه قال : هو أشج بن مروان .

وقال عباد المالک . وكان يجالس سفيان الثوري - سمعت الثوري يقول : الخلفاء خمسة : أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، وعمر بن عبد العزيز . وهكذا روى عن أبي بكر بن عياش والشافعي وغير واحد . وأجمع العلماء قاطبة على أنه من أئمة العدل ، وأحد الخلفاء الراشدين والأئمة المهديين . وذكره غير واحد في الأئمة الاثني عشر ، الذين جاء فيهم الحديث الصحيح : لا يزال أمر هذه الأمة مستقيماً حتى يكون فيهم اثنا عشر خليفة كلهم من قريش .

وقد اجتهد رحمه الله في مدة ولايته - مع قصرها - حتى رد الظالم ، وصرف إلى كل ذي حق حقه ، وكان مناديه في كل يوم بتنادي : أين النارمون ؟ أين الناكحون ؟ أين الساكين ؟ أين البتلى ؟ حتى أغنى كلا من هؤلاء . وقد اختلف العلماء أيهم أفضل ؟ هو أو معاوية بن أبي سفيان ؟ ففضل بعضهم عمر لسيرته ومعدته ، وزهده وعبادته ، وفضل آخرون معاوية لسايقته ومحبهته ، حتى قال بعضهم : ليوم شهده معاوية من رسول الله ﷺ خير من عمر بن عبد العزيز وأيامه وأهل بيته . وذكر ابن عساكر في تاريخه ، أن عمر بن عبد العزيز كان يبعثه جارية من جوارى زوجته فاطمة بنت عبد الملك ، فكان سألها : إياها إما بيماً أو هبة ، فكانت تأتي عليه ذاك فلما ولي الخلافة ألبستها وطيبتها وأهدتها إليه ، ووهبها منه ، فلما أختلها به أرض عنها ، فغضبت له فصدف عنها ، فقالت له : يا سيدي فأين ما كان يظهر لي من محبتك إياي ؟ فقال : والله إن محبتك لباقية كما هي . ولكن لا حاجة لي في النساء ، فقد جاني أمر شلتني منك وعن غيرك . ثم سألتها من أصلها ، ومن أين جليوها ، فقالت : يا أمير المؤمنين ! إن أبي أصاب جنابة ببلاد المغرب ، فصادره موسى بن نصير ، فأخذت في الجنابة ، وبست بي إلى الوليد ، فوهبني الوليد إلى أخته ذميلة زوجتك ، فأهدتني إليك . فقال عمر : إن الله وإنا إليه راجعون ، كدنا والله نفتضح ونهتك ، ثم أمر بردها مكرمة إلى بلادها وأهلها .



وقالت زوجته فاطمة : دخلت يوماً عليه - وهو جالس في مصلاه ، واضماً خده على يده ، ودموعه تسيل على خديه - فقلت : مالك ؟ فقال : ويحك يا فاطمة ! قد وليت من أمر هذه الأمة ما وليت ، فتصكرت في الفقر الجائع ، والربص الضائع ، والداري المجهود ، واليهيم المسكور ، والأرملة الوحيدة ، والمظلوم المجهور ، والد - والأسير ، والشيخ الكبير ، وذو العيال الكثير ، والسال قليل ، وأشباههم في أقطار الأرض وأطراف البلاد ، فقلت أن ربي عز وجل سيأني عنهم يوم القيامة ، وأن حصي دونهم محمد ﷺ ، فخشيت أن لا يثبت لي حجة عند خصومته ، فرحت نفسي فبكيت .

وقال ميمون بن مهران : ولأني مررت من بيد الزير عمالة ، ثم قال لي : إذا جاءك كتاب مني على غير الحق فاضرب به الأرض .

وكتب إلى بعض عماله : إذا دعيتك قدرتك على الناس إلى مظلة ، فذكر قدرة الله عليك ، وغاد ما تأتي إليهم ، وبقاه ما بأنون إليك .

وقال عبد الرحمن بن مهدي ، عن جرير بن حازم ، عن عيسى بن حاصم قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى عدي بن عدي : إن للإسلام صنفاً وفرائض وشرائع ، فمن استكملها استكمل الإيمان ، ومن لم يستكملها لم يستكمل الإيمان ، فلن أعض أيدينا لكم لتعملوا بها ، وإن أمت فنا أنا على محبتكم بحريص . وذكره البخاري في صحيحه تعليقاً مجزوماً به .

وذكر الصولي ، أن عمر كتب إلى حمى عماله : عليك بتقوى الله فيها هي التي لا تقبل غشاً ولا ربه - إلا أهلها ، ولا تناب إلا جليها ، وإن الواعظين بها كثير ، والدادين بها قليل . وقال : من علم أن كلامه من عماله قلٌّ فإنه إلا فيما يسميه وينفقه ، ومن أكثر ذكر الموت احترأ من الدنيا باليسير . وقال : من لم يدرك كلامه من غله كثرت خطاياه . ومن عند الله خير علم كان ما يفسده أكثر مما يصاحبه .

وكله رجل يوماً حتى أغضبه ، فهم به عمر ثم أمسك نفسه ، ثم قال للرجل : أردت أن يستغفرني الشيطان بمزة السلطان فأنا لك منك ما نداه مني خذاً ؟ قم - فأكاك الله - لا حاجة لي بمقاومتك . وكان يقول : إن أحب الأمور إلى الله التصديق بالجد ، والوفاء بالقدرة ، والوفاء في الولاية ، وما رفق عبد بسيد في الدنيا إلا رفق الله به يوم القيامة .

وخرج ابن له - وهو صغير - يلعب مع الصبيان ، فشبهه صبي منهم ، فاحتضلوا الصبي الذي شج ابنه ، وجادوا به إلى عمر ، فسمع الجليلة فخرج إليهم ، فإذا امرئ يثني يقول : إنه ابني وأنه يقيم ، فقال لما عمر : هو في عليك ، ثم قال لها عمر : أله عطاء في الديوان ؟ قالت : لا ! قال : فأكبهوه

في القرية . ضالت زوجته فاطمة : أنفل هذا به وقد شج ابنك ؟ فمل الله به وقيل ، للمرة الأخرى  
يشج ابنك ثانية . فقال : ومحك ! إنه يقيم وقد أفرغتموه .

وقال مالك بن دينار : يقولون مالك زاهد ، أي زهد عندي ؟ إنما الزاهد عمر بن عبد العزيز ،  
أنته الدنيا فافرة فافها ففركها جفة .

قالوا : ولم يكن له سوى قيمى واحد ، فسكان إذا غسلوه جلس في اللزل حتى يبیس ،  
وقد وقف مرة على راحب فقال له : ومحك ! اعطى ، فقال له : عليك بقول الشاعر :

تجرباً من الدنيا فإنك إنما خرجت إلى الدنيا وأنت مجرد

قال : وكان يبعثه ويكرهه ، وعمل به حق العمل . قالوا : ودخل على امرأته يوماً ، فسلما  
أن تقرضه درهما أو فوساً يشتري به عنباً ، فلم يجد عندها شيئاً ، فقالت له : أنت أمير المؤمنين  
وليس في خزانتك ما تشتري به عنباً ؟ فقال : هذا أيسر من معالجة الأغلال والأشكال غداً  
في نار جهنم . قالوا : وكان سراج يته على ثلاث قصبات في رأسه طين . قالوا : وبث يوماً  
غلاماً ليشوى له لحمة ، فقام بها سرماً مشوية ، فقال : أين شويتها ؟ قال : في المطبخ ، فقال :  
في مطبخ المسلمين ؟ قال : نعم . فقال : كلها إلى لم أوزقها ، وهي رزقك . وسحنوا له الماء  
في المطبخ العام ، فرد بدل ذلك بدرهم حطباً . وقالت زوجته : ما جامع ولا احتم وهو خافئة .

قالوا : وبلغ عمر بن عبد العزيز عن أبي سلام الأسود ، أنه يحدث عن ثوبان يحدث الحوض ،  
فبعت إليه ، فأحضره على البرد وقال له : كالتلوجع له : يا أبا سلام ! ما أردنا للشفقة عليك ،  
ولكن أردت أن تشافى بالحديث مشافهة ، فقال : سمعت ثوبان يقول : قال رسول الله ﷺ :  
« حوض ما بين عدن إلى عمان البقاء ، ماؤه أشد بياضاً من اللبن ، وأحلى من العسل ، وأكوابه  
عند نجوم السماء ، من شرب منه شربة لم يظأ بعدها أبداً ، وأول الناس وروداً عليه - فقراء  
الهاجرين ! التمت رومساً ، الدنس ثياباً ، الذين لا يكفون التلتمات ، ولا تنفع لهم السدد » ..  
فقال عمر : لكنني نكحت التلتمات ، فاطمة بنت عبد الملك ، فلا جرم ، لا أصل رأسي حتى  
يشمت ، ولا أني ثوبى حتى يفسخ .

قالوا : لو كان له سراج يكتب عليه حوائجه ، وسراج لبيت الدال يكتب عليه مصالح المسلمين ،  
! يكتب على ضوئته نفسه حرماً . وكان يقرأ في الصحف كل يوم أول النهار ، ولا يطيل القراءة ،  
وكان له ثلاثمائة شرطى ، وثلاثمائة حرسى . وأهدى له رجل من أهل بيته تفاحاً فاشتته ثم رده  
مع الرسول ، وقال له : قل له قد بلغت محلها ، فقال له رجل : يا أمير المؤمنين ! إن رسول الله ﷺ  
كان يقبل الهدية ، وهذا رجل من أهل بيتك ، فقال : إن الهدية كانت لرسول الله ﷺ هدية ،

فأما نحن فهي لنا شوة قالوا : وكان يوسع على عماله في النفقة ؛ يبعث الرجل معهم في الشهر مائة دينار ، ومائتي دينار ، وكان يتأول أنهم إذا كانوا في كفاية فترغوا لأشغال المسلمين ، فقالوا له : لو أغفقت على عيالك كما تنفق على عمالك ؟ فقال : لا أمنهم حقاً لهم ، ولا أعطيهم حق غيرهم . وكان أهله قد بقوا في جهد عظيم ، فاعتذر بأن معهم سائلاً كثيراً من قبل ذلك . وقال يوماً لرجل من ولد علي . إني لأستحي من الله أن تنفق بياني ، ولا يؤذن لك . وقال لآخر منهم : إني لأستحي من الله وأرغب بك أن أدنك بالدنيا لما أكرمك الله به . وقال أيضاً : كنا نحن وبنو عمناء بنو هاشم ، مرة لنا ومرة علينا ، نلجأ إليهم وبلجئون إلينا ، حتى طالت شمس الرسالة فأكدت كل نافع ، وأخرست كل منافق ، وأسكتت كل ناطق .

وقال أحمد بن مروان : ثنا أبو بكر ابن أبي خطاب ، ثنا خالد بن خديش ، ثنا حماد بن زيد ، عن موسى بن أيمن الرازي - وكان يرعى الفتح لعماد بن عبيدة - قال : كانت الأسد والنم والوحش ترعى في خلافة عمر بن عبد العزيز . في موضع واحد ، ففرض ذات يوم لثاة منها ذئب ، فقلت : يا الله ، ما أرى الرجل الصالح إلا قد هلك . قال : فحسبناه فوجدناه قد هلك في تلك الليلة . ورواه غيره عن حماد ، فقال : كان يرعى الثاة بكرمان ، فذكر نحوه . وله شاهد من وجه آخر . ومن دعائه : اللهم إن رحلاً أطاعوك فيما أمرتهم ، واشتروا عما نهيتهم ، اللهم وإن توفيقك إليهم كان قبل طاعتهم إليك ، فوفقني .

ومنه : اللهم إن عمر ليس بأهل أن تناله رحمتك ، ولكن رحمتك أهل أن تنال عمر .

وقال له رجل : أياك الله ما كان البقاء خيراً لك ، فقال : هذا شيء قد فرغ منه ، ولكن قل : أحياك الله حياة طيبة ، وتوفيك مع الأولاد .

وقال لأرجل : كيف أصبحت يا أمير المؤمنين ؟ فقال : أصبحت طليقاً بطليقاً ، مغلولاً بإعطاباً ، أعنى على الله عز وجل .

ودخل عليه رجل<sup>(١)</sup> ، فقال : يا أمير المؤمنين ! إن من كان قبلك كانت الخلافة لهم زين ، وأنت زين الخلافة ، وإنما منك يا أمير المؤمنين كما قاتل الشاعر<sup>(٢)</sup> :

وإذا المرزبان حسن وجوه كان للمرزبان حسن وجهك زيناً

قال : فأعرض عنه عمر . وقال رجاء بن حيوة : سمعت عند عمر بن عبد العزيز ذات ليلة فضئ السراج فقلت : يا أمير المؤمنين ! ألا أنه هذا النلام يصلحه ؟ فقال : لا ! دعه ينام ،

(١) هو بلال بن أبي بردة حميد ابن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه . (٢) هو مالك بن أسماء .

لا أحب أن أجمع عليه علي بن قنط : أفلا أقوم أصلحه ؟ قال : لا ! ليس من الرومة استخدام الضيف ، ثم قام بنفسه فأصلحه ، وصب فيه زيتاً ، ثم جاء وقال : قت يا أبا عمر بن عبد العزيز ، وجلست وأبا عمر بن عبد العزيز . وقال : أكثروا ذكر النعم فليذكرها شكرها . وقال : إنه لينفي من كثرة ذكرها مخافة الباهظة . وبلغه أن رجلاً من أصحابه توفي ، فجاء إلى أهله ليزيهم فيه ، فصرخوا في وجيه بالبكاء عليه ، فقال : مه ، إن صاحبكم لم يمت برزقكم ، وإن الذي برزقكم حتى لا يموت ، وإن صاحبكم هذا لم يبد شيئاً من خسرانكم ، وإنما سد حفرة نفسه ، ألا وإن لكل امرئ منكم حفرة لا بد والله أن يسدها ، إن الله عز وجل لما خلق الدنيا حكم عليها بالخراب ، وعلى أهلها بالفناء ، وما امتلأت دار خيرة إلا امتلأت هبرة ، ولا اجتمعوا إلا تفرقوا ، غي يكون الله هو الذي يرث الأرض ومن عليها ، فمن كان منكم باكياً فليبك على نفسه ، فإن الذي صار إليه صاحبكم ، كل الناس يصيرون إليه خفداً .

وقال : يمين بن مهران : خرجت مع عمر إلى القبور ، فقال لي : يا أبا أيوب ! هذه قبور آباء بني أمية ، كأنهم لم يشاركوا أهل الدنيا في لذتهم وخيشهم ، أما تراهم ؟ من قد خلت بهم الثلاث ؟ واستحكف فيهم الجلاء ؟ ثم بكى حتى غشى عليه ، ثم أفاق فقال : انطلقوا بنا فوالله لا أعلم أحداً أنتم ممن صار إلى هذه القبور ، وقد آمن من حذاب الله ، ينتظر ثواب الله . وقال غيره : خرج عمر بن عبد العزيز في جنازة ، فلما دفنت قال لأصحابه : فنوا حتى آتى قبور الأخبة ، فأنام فجعل يبكي ويدعو ، إذ هتف به القرباب فقال : يا عمر ! ألا تسألني ما فعلت في الأخبة ؟ قال : قلت : وما فعلت بهم ؟ قال : مررت بالأكفان ، وأكلت اللحوم ، وشذت المقادير ، وأكلت الحذقين ، ونزعت السكفين من الساعدين ، والساعدين من المضدين ، والمضدين من المنسكبين ، والمنسكبين من الصلب ، والقديسين من الساقين ، والساقين من الفضلين ، والفضلين من الورك ، والورك من الصلب . فلما أراد أن يذهب قال له : يا عمر ! أدلك على أكفان لا تنيل ؟ قال : وما هي ؟ قال : تقوى الله ، والعمل الصالح .

وقال مرة لرجل من جلسائه : لقد أرقت الليلة مفكراً ، قال : وفيه يا أمير المؤمنين ؟ قال : في القبر وساكنته ، إنك لو رأيت الميت بعد ثلاث في قبره ، وما صار إليه ، لاستوحشت من قربيه بعد طول الأنس منك بتأخيه ، ورأيت بيتاً تجول فيه الهوام ، وتخرق فيه الديدان ، ويمر في الصدبد ، مع نهم الريح ، وعلى الأكفان ، بعد حسن الهيئة ، وطيب الريح ، ونقاء الثوب ، قال : ثم شوق شقة خرم مشبكاً عليه .

وقال مقاتل بن حيان : حليت وراء عمر بن عبد العزيز ، فقرأ : ( وَتَقْوَاهُمْ لِيُنْهَكُمُ

مَسْئُولُونَ<sup>(١)</sup>، فجعل يكررها وما يستطيع أن يتجاوزها . وقالت امرأته غاطية : ما رأيت أحداً أكثر حلاوة وصياناً منه ، ولا أحداً أشد فرقا من ربه منه ؛ كان يهل العشاء ، ثم يجلس بيكي حتى تغلبه عيناه ، ثم يطفئ فلا يزال بيكي حتى تغلبه عيناه . قالت : ولقد كان يكون معي في الفراش فيذكر الشيء من أمر الآخرة ، فيقفض بكما يفضض المصنفر في الماء ، ويجلس بيكي ، فأطرح عليه اللعاف رحمة له ، وأنا أقول : لا ليت كان بيننا وبين الخلافة جد المشرقين ، فوافقه ما رأينا سروراً منذ دخلنا فيها .

وقال علي بن زيد : ما رأيت وجليئاً كان النار لم تخلق إلا لها - مثل الحسن ، وهر بن عبد العزيز - وقال مضمون : رأيت بيكي حتى يبكى دماً . قالوا : وكان إذا أرى إلى فراشه قرأ : ( إِنَّ رَبَّنَا اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ<sup>(٢)</sup> ) ، وهكذا : ( أَفَأَمَّنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ<sup>(٣)</sup> ) ، ولحق هذه الآيات ، وكان يجتمع كل ليلة إليه أصحابه من الفقهاء فلا يذكرون إلا الموت والآخرة ، ثم ييكون حتى كان بينهم جنازة . وقال أبو بكر الصولي : كان عمر بن عبد العزيز يتمثل بقول الشاعر :

فما زودت مما كان يحسه  
سوى حطوط غداة البين في خرق  
وغمر ضمة أمواه تشبهه  
وقل " ذلك من زاد للمنطق  
بأيتاً بك كانت عتيقه  
إن لا يسر طائفاً في قصدها يسق

ونظر عمر بن عبد العزيز - وهو في جنازة - إلى قوم قد تلتوا من القرآن والشمس وانمازوا إلى الظل ، فيبكي وأنشد :

من كان حين تضيئ الشمس جبهة  
أو النبار يحاف الشين والشمنا  
وبألف الظل " كي تبقى إشاشه  
فسوف يسكن يوماً راغما جدنا  
في قعر مظلة غبراء وحششة  
يطيل في قصرها تحت القري العينا  
تجبري بجهاز تبلنين به  
بأنفس قبل الردى لم تخلق عينا

[ هذه الأبيات ذكرها الأجرى في أدب النفوس بزيادة فيها ، فقال : أخبرنا أبو بكر ، أنبأنا أبو حفص عمر بن سعد القرطبي ، حدثنا أبو بكر بن عبد الله بن أبي الدنيا ، حدثني محمد بن صالح القرشي ، أخبرني عمر بن الخطاب الأزدي ، حدثني ابن لميد الصمد بن عبد الأعلى بن أبي عمرة

(١) من الآية ٧٤ من سورة الصافات (٢) من الآية ٥٤ من سورة الأعراف

(٣) من الآية ٥٧ من سورة صها .

قال : أراد عمر بن عبد العزيز أن يبعثه رسولا إلى الخيول - طائفة الروم - يدعوهم إلى الإسلام ، فقال له عبد الأعلى : يا أمير المؤمنين ! ائذن لي في بعض بي يخرج معي - وكان عبد الأعلى له عشرة من الذكور - فقال له : انظر من يخرج معك من ولدك . فقال : عبد الله . فقال له عمر : إن رأيت ابنك عبد الله يمشي كرهتها منه ، ومقتة عليها ، وبأنى أنه يقول الشعر . فقال عبد الأعلى : أما مشيت تلك ففرزة فيه ، وأما الشعر فلأنما هو نواحة يروح بها على نفسه ، فقال له : مر عبد الله بأبني وخذ معك غيره ، فراح عبد الأعلى بابن عبد الله إليه ، فاستنشد ، فأشده ذلك الشعر للتقدم :

تجهزى بجهاز تهابسين به	يا نسي قبل الردى لم تخلق عينا
ولا تكذى لمن يبق وتفترى	إن الردى وارث الباقي وما ورا
واخفى حوادث صرف الدهر في ميل	واستغنى لا تكونى كالذي عشا
من مدية كان فيها قطع مدته	فواف الحوث موفورا كما حرا
لا تأمى فجع دهر مترف ختل	قد استوى منه من طاب أو خبا
يا رب ذى أمل فيه هل وجل	أضى به أمنا أمسى وقد حدا
من كان حين تعيب الشمس جبهته	أو الفهار يخاف للشين والشمنا
ويألف الظل كي تبقى بشاشته	فكيف يسكن يوما راغبا جدنا
قبراء موحدة شمراء مظلة	بطيل تحت الثرى من قمرها البنا

وقد ذكرها ابن أبي الدنيا ، فشر أشدها عنه ، وله سبعاء وتعالى علم .

وكان عمر يمثل بها كثيرا ويكس

وقال الفضل بن عباس الحلي : كان عمر بن عبد العزيز لا يحف فوه من هذا البيت :

ولا حرق عيش امرئ لم يكن له	من الله في دار القرار نصيب
وزاد غيره منه بيتا حسنا ، وهو قوله :	
فإن تُعجب الدنيا أنا ما فلها	متاع قليل والزوال قريب
ومن شره الذي أشده ابن الجوزي :	

أنا ميت ومسر من لا يموت	قد تيقنت أنى ساموت
ليس ملك يزله للوت ملكا	إنما للك ملك من لا يموت

وقال عبد الله بن المبارك : كان عمر بن عبد العزيز يقول (١) :

تُسِّرُ بما يفسدني وتفرح بالي      كما اعتر بالهفات في النوم سالم  
نهارك يا مغرور سهو وفطنة      وليك نوم والردى لك لاره  
وسميك فيما سوف تنكره غبه      كذلك في الدنيا تمشي البهائم

وقال محمد بن كثير : قال عمر بن عبد العزيز يلوم نفسه :

أيقظان أنت اليوم أم أنت غائم ؟      وكيف يطيق النوم حيوان غائم  
فلو كنت يقظان النداء لخرقت      عاجرَ حينك الموعود السوام  
بل أصبت في النوم الطويل وقد دنت      إليك أسور مظلمات عظام  
وتكسح فيما سوف تنكره غبه      كذلك في الدنيا تمشي البهائم  
فلا أنت في النوم يومًا بسالم      ولا أنت في الأيقاظ يقظان حازم

وروى ابن أبي الدنيا بسنده ، عن فاطمة بنت عبد الملك قالت : أتته عمر ذات ليلة وهو يقول : لقد رأيت الليلة رؤيا مجيبة ، فقلت : أخبرني بها ، فقال : حتى تصبح ، فطأ صلي بالسلطين دخل فأتته ، قال : رأيت كأي دفت إلى أرض خضراء واسعة كأنها بساط أخضر ، وإذا فيها قصر كأنه القصة ، فخرج منه خارج ، فنادى : أين محمد بن عبد الله ؟ أين رسول الله ؟ إذا أقبل رسول الله ﷺ ، حتى دخل ذلك القصر . ثم خرج آخر ، فنادى : أين أبو بكر الصديق ؟ فأقبل فدخل . ثم خرج آخر ، فنادى : أين عمر بن الخطاب ؟ فأقبل فدخل . ثم خرج آخر ، فنادى : أين عثمان بن عفان ؟ فأقبل فدخل . ثم خرج آخر ، فنادى : أين علي بن أبي طالب ؟ فأقبل فدخل . ثم خرج آخر ، فنادى : أين عمر بن عبد العزيز ؟ فتمت فدخلت ، فجلست إلى جانب أبي عمر بن الخطاب ، وهو من يسار رسول الله ﷺ ، وأبو بكر عن يمينه ، وبينه وبين رسول الله ﷺ رجل ، فقلت لأبي : من هذا ؟ قال : هذا عيسى بن مريم ، ثم سمعت هاتفا يهتف بيني وبينه نور لا أراه ، وهو يقول : يا عمر بن عبد العزيز ! نسلك بمرأت حايه . وأتيت على ما أنت عليه ، ثم كأنه أذن لي في الخروج فخرجت ، فالتفت فإذا عثمان بن عفان وهو خارج من القصر ، وهو يقول : الحمد لله الذي نصرني دعي ، وإذا علي بن أبي تره وهو يقول : الحمد لله الذي غفر لي ذنبي .

## فصل

وقد ذكرنا في دلائل النبوة ، الحديث الذي رواه أبو داود في سننه ، أن رسول الله ﷺ قال : « إن الله يثبت لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدوها أمر دنيا » . قال جماعة من أهل العلم ، منهم : أحمد بن حنبل - فبأنه ذكره ابن الجوزي وغيره - : إن عمر بن عبد العزيز كان على رأس المائة الأولى ، وإن كان هو أولى من دخل في ذلك وأحق ؛ لإمامته وعموم ولايته ، وقيامه واجتهاده في تنفيذ الحق ؛ فقد كانت سيرته شبيحة بسيرة عمر بن الخطاب ، وكان كثيراً ما تشبه به . وقد جمع الشيخ أبو الفرج ابن الجوزي - سيرة لعمر بن الخطاب ، وعمر بن عبد العزيز ، وقد أفردنا سيرة عمر بن الخطاب في مجلد على حدة ، وسنده في مجلد ضمهم وأما سيرة عمر بن عبد العزيز ، فقد ذكرنا منها طرفاً صالحاً هنا ، يستدل به على ما لم يذكره .

وقد كان عمر - رحمه الله - يعطي من اقطع إلى المسجد الجامع من لده وغيرها ، لفته ونشر العلم ، وتلاوة القرآن ، في كل عام من بيت المال مائة دينار ، وكان يكتب إلى عماله أن يأخذوا بالسنة ، ويقول : إن لم تصلحهم السنة فلا أصلحهم الله . وكتب إلى سائر البلاد : أن لا يركب ذي من اليهود والنصارى وغيرهم على شرج ، ولا يلبس قبا ، ولا طهاسانا ، ولا سراويل ، ولا يمشين أحد منهم إلا نثار من جلد<sup>(١)</sup> ، وهو مقرون<sup>(٢)</sup> الناصية ، ومن وجد منهم في منزله سلاح أخذ منه . وكتب أيضاً أن لا يستعمل على الأعمال إلا أهل القرآن ، فإن لم يكن منهم أحد فميرم أولى أن لا يكون عنده خير . وكان يكتب إلى عماله : احتنبوا الأشغال عند حضور الصلاة ، فإن من أضاءها فهو لما سواها من شرائع الإسلام أشد تصيباً . وقد كان يكتب للوعظة إلى العامل من عماله فيمنع منها ، وربما عزل بعضهم غسه من العالة ، وطوى البلاد من شدة ما تقع مواعظته منه ، وذلك أن الوعظة إذا خرجت من قلب الواعظ دخلت قلب الموعوظ .

وقد صرح كثير من الأئمة : بأن كل من استعمل عمر بن عبد العزيز قرة . وقد كتب إليه الحسن البصري بمواعظ حسان ، ولو تقصينا ذلك لطال هذا الفصل ، ولكن قد ذكرنا ما فيه إشارة إلى ذلك . وكتب إلى بعض عماله : اذكر ليلة تمخض بالماعة فصباحها التيامة ، فها لها من ليلة وياله من صباح ، وكان يوماً على الكافرين عسيراً . وكتب إلى آخر : أذكرك طول سهر أهل النار في النار مع حلود الأبد ، وإليك أن ينصرف بك من عند الله ، فيكون آخر العهد بك ، وانقطاع الرجاء منك . قالوا : نخلع هذا العامل غسه من العالة ، وقدم على عمر فقال له : مالك ؟ فقال : خلعت فلي بكتابتك يا أمير المؤمنين ، والله لا أعود إلى ولاية أبداً .

(١) الزنار : ما يشده الناصري والمجوسي على الوسط كالخزام (٢) أى له ذؤابتان يضفرهما في قرني رأسه .



## فصل

وقد رد جميع اللطام كما قدمنا ، حتى إنه رد نص خاتم كان في يده ، قال : أعطانيه الوليد من غير حقه ، وخرج من جميع ما كان فيه من النعم في اللبس والأكل والنفاع ، حتى إنه ترك التمتع بزوجه الحسناء ؛ فاطمة بنت عبد الملك ، يقال كانت من أحسن النساء ، ويقال إنه رد جهازها إلى بيت المال ، والله أعلم . وقد كان دخله في كل سنة قبل أن يلى الخلافة أربعين ألف دينار ، وترك ذلك كله حتى لم يبق له دخل سوى أربعمائة دينار في كل سنة ، وكان حاصله في خلافته ثلاثمائة درهم ، وكان له من الأولاد جماعة ، وكان ابنه عبد الملك أجملهم ، فات في حياته في زمن خلافته ، حتى يقال : إنه كان خيراً من أبيه ، فلما مات لم يظهر عليه حزن ، وقال : أمر رضى الله فلا أكرهه ، وكان قبل الخلافة ، يؤتى بالقميص الرفيع اللين جداً فيقول : ما أحسنه لولا خشونة فيه ، فلما ولي الخليفة كان بعد ذلك بلبس التميمي القليظ المرقوع ، ولا يسهل حتى يتسخ جداً ، ويقول : ما أحسنه لولا لينة . وكان يابس القفوة القليظة ، وكان سراج به على ثلاث فصبات في رأسه طين ، ولم يبق شيئاً في أيام خلافته ، وكان يخدم نفسه بنفسه ، وقال : ما تركت شيئاً من الدنيا إلا ما موصى الله ما هو خير منه ، وكان يأكل القليظ ، ولا يبالى بشئ من النعم ، ولا يبتغيه نفسه ولا يوده . حتى قال أبو سليمان النافري : كان عمر بن عبد العزيز أزهد من أويس القرني ، لأن عمر ملك الدنيا بخلافه وأزهد فيها ، ولا تلى حال أويس لو ملك ما ملكه عمر كيف يكون ؟ ليس من جرب كمن لم يجرب . وتقدم قول مالك بن دينار : إنما الزاهد عمر بن عبد العزيز .

وقال عبد الله بن دينار : لم يكن عمر يرتزق من بيت المال شيئاً ، وذكروا أنه أمر جارية حتى ينأى فروجه تروحه ، فنامت هي ، فأخذ المروحة من يدها ، وجعل يروحها ويقول : أصابك من الحر ما أصابني . وقال له رجل : جزاك الله من الإسلام خيراً ، فقال : بل جزى الله الإسلام عني خيراً ، ويقال إنه كان بلبس تحت ثيابه شيئاً<sup>(١)</sup> غليظاً من شعر ، ويضع في رقبة غلاً إذا قام بعلى من الليل ، ثم إذا أصبح وضعه في مكان وختم عليه فلا يشمر به أحد ، وكانوا يظفونه مالا أو جوهر من حرصه عليه ، فلما مات قصصوا ذلك المكان ، فلذا فيه غلٌ وريح .

وكان يبكي حتى يبكي الدم مع الدموع ، ويقال : إنه بكى فوق سطح حتى سال دمه من اللراب وكان يأكل من القدس ليعرق قلبه وتنزو دمه ، وكان إذا ذكر الموت اضطربت أوصاله ، وقرأ رجل عنده ( وَإِذَا أَلْفَاةٌ مِنْهُمْ مَكَانًا ضَيْقًا مَقْرَنَيْنِ )<sup>(٢)</sup> الآية ، فبكى بكاء شديداً ، ثم قام

فدخل منزله وتفرق الناس عنه ، وكان يكفر أن يقول : اللهم سلم سلم ، وكان يقول : اللهم أصلح من كان في صلاحه صلاح لأمة محمد ﷺ ، وأهلك من كان في هلاكه صلاح أمة محمد ﷺ . وقال : أفضل العبادة أداء الفرائض واجتناب المحارم وقال : لو أن المرء لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر حتى يحكم أمر نفسه ، لتواكل الناس الخبير ، ولذهب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وقتل الواعظون والسامعون لله بالنصيحة . وقال : الدنيا عدوة أولياء الله ، وولية أعداء الله ، أما الأولياء فمستهم وأحرثهم ، وأما الأعداء فميرتهم وشقتهم وأبغضهم من الله . وقال : قد أطلع من خضم من المراء والذنب والطمع وقال لرجل : من سيد قومك ؟ قال : أنا ، قال : لو كنت كذلك لم تله . وقال : أزهّد الناس في الدنيا حل بن أبي طالب .

وقال : لقد بورك لبيد في حاجة أكثر فيها سؤال ربه ، أعطى أو منع . وقال : قيديوا العلم بالكتاب ، وقال لرجل : علم وفك الفقه الأكبر ! الثناء وكف الأذى . وتكلم رجل عنده فأحسن فقال : هذا هو السحر الحلال . وقصته مع أبي حازم مطبوعة حين رآه خليفة ، وقد شعب وجهه من التفشيف ، وتغير حاله ، فقال له : ألم يكن ثوبك قنيا ؟ ووجهك وضياً ؟ وطعامك شيباً ؟ ومركبك ملياً ؟ فقال له : ألم تغبرني عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « إن من ورائكم عقبة كثرود لا يجوزها إلا كل ضامر مهزول » ؟ ثم بكى حتى غشى عليه ، ثم أفاق فذكر أنه لقي في غشيته ناساً أن القيامة قد قامت ، وقد استمدى بكل من الخلفاء الأربعة ، فأمر بهم إلى الجنة ، ثم ذكر من بينه وبينهم فلم يدر ما صنع بهم ، ثم دعى هو فأمر به إلى الجنة ، فلما انفصل لقيه سائل فسأله عما كان من أمره فأخبره ، ثم قال لسائل : فن أنت ؟ قال : أنا المجعاع بن يوسف ، فقال ربي بكل قلة قلته ، ثم ما أنا أنظر ما ينظره الموحدون . وفضائله ومآثره كثيرة جداً ، وفيها ذكرنا كفاية ، والله الحمد والمنة ، وهو حبيبنا ونعم الوكيل ، ولا حول ولا قوة لنا إلا به .

### ذكر سبب وفاته رحمه الله

كان سببها السّل ، وقيل : سببها أن مولى له سمّه في طعام أو شراب ، وأعطى حل ذلك ألف دينار ، فحصل له بسبب ذلك مرض ، فأخبر أنه مسموم ، فقال : لقد علمت يوم شئت السم ، ثم استمدى مولا الذي سقاه ، فقال له : ويحك ! ما حلك على ما صنعت ؟ فقال : ألف دينار أعطيتها . فقال : هاتيا ، فأحضرها فوضعا في بيت المال ، ثم قال له : اذهب حيث لا يراك أحد فتربك . ثم قيل لمر : تدارك نفسك ، فقال : والله لو أن شئاني أن أمس شعة أذن أو أوى بطيب ناشئة ما ماتت ، فقبل له : هؤلاء بنوك . وكانوا اثني عشر . ألا توصلهم بشئ فإلهم

فقرأ ؟ فقال : ( إِنْ وَلِيَ اللَّهُ أَدَىٰ تَرْلَىٰ الْكِتَابِ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ )<sup>(١)</sup> والله لا أعطيهم حق أحد ، وهم بين راجين : إما صالح فآله يتولى الصالحين ، وإما غير صالح فما كنت لأعينه على فسقه . وفي رواية : فلا ألي في أي واد هلك . وفي رواية : أمدع له ما يستعين به على مصيبة الله فأكون شريكاً فيما يعمل بعد الموت ؟ ما كنت لأضل . ثم استدعى بأولاده فودعهم وعزاهم بهذا ، وأوصاهم بهذا الكلام ، ثم قال : انصرفوا عصمكم الله ، وأحسن الخلقة عليكم . قال : فلقد رأينا بعض أولاد عمر بن عبد العزيز يحمل على ثمانين فرساً في - يبول الله .

وكان بعض أولاد سليمان بن عبد الملك - مع كثرة ما ترك لهم من الأموال - يتعاطى ويسال من أولاد عمر بن عبد العزيز : لأن عمر وكل ولده إلى الله مز وجل ، وسليمان وغيره إنما يكون أولادهم إلى ما يدعون لهم ، فيضيئون وتذهب أموالهم في شهوات أولادهم .

وقال يعقوب بن سنيان : ثنا أبو النعمان ، ثنا حماد بن زيد ، عن أيوب قال : قيل لعمر بن عبد العزيز : يا أمير المؤمنين ! لو أتيت المدينة ، فإن قضى الله موتاً دفنت في القبر الرابع مع رسول الله ﷺ ، وأنى بكر ، وعمر ؟ فقال : والله لأن يعذبني الله بكل عذاب - إلا النار فإنه لا صبر لي عليها - أحب إلي من أن يعلم الله من قبي أني لفتك الوضع أهل قالوا : وكان مرضه يدبر ثمان من قرى خمس ، وكانت مدة مرضه عشرين يوماً . ولما احتضر قال : أجابوني ، فأجلسوه ، فقال : إلهي أنا الذي أمرتني فقبرت ، ونهيتني فحييت - ثلاثاً ، ولكن لا إله إلا الله . ثم رفع رأسه ، فأخذ النظر ، فقالوا : إنك تنتظر نظراً شديداً يا أمير المؤمنين ، فقال : إن لأرى حضرة مام - إيس ولا جان ، ثم قبض من ساعته . وفي رواية : أنه قال لأهله : اخرجوا عني ، فخرجوا ، وجلس على الباب فبسطه بن عبد الملك ، وأخته فاطمة ، فسمعه يقول : مرحباً بهذه الوجوه التي أبيت بوجوه إيس ولا جان ، ثم قرأ : ( تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجَمَانَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ )<sup>(٢)</sup> ثم هدأ الصوت فدخلوا عليه ، فوجدوه قد غمض وسوى قبضه وقبض .

وقال أبو بكر بن أبي شيبة : ثنا عبد الملك بن عبد العزيز ، عن الفراءودي ، عن عبد العزيز ابن أبي سلمة ، أن عمر بن عبد العزيز لما وضع عند قبره - هتت ربيع شديدة - فسقطت صحيفة بأحسن كتاب ، فقرأوها فلذا فيها : بسم الله الرحمن الرحيم ، راءة من الله امر بن عبد العزيز من النار . فأدخلوها بين أكفانه ودفنوها معه .

وروى نحو هذا من وجه آخر ابن عساكر ، في ترجمة عبد الصمد بن إسماعيل بسمه ، من  
 حمير بن حبيب السلي قال : أسرت أنا وثمانية في زمن بني أمية ، فأمر ملك الروم بضرب رقابنا ،  
 فقتل أحماني ، وشتم في بطريق من بطارقة الملك ، فأطلقني له ، فأخذني إلى منزله ، وإذا له ابنة  
 مثل الشمس ، ففرضا عليّ عليّ أن يقاسمني نسبي وأدخل معه في دينه فأبيت ، وخلفت في ابنته  
 فمرضت نفسها عليّ فامتعت : فقالت : ما يمنك من ذلك ؟ قلت : يمنى ديني ، فلا أترك ديني  
 لامرأة ولا لشيء . فقالت : تريد الذهاب إلى بلادك ؟ قلت : نعم ، فقالت : سير علي هذا النجم  
 بالليل واكن بالنهار ، فإنه يلقىك إلى بلادك . قال : فسرت كذلك . قال : فبيتنا أنا في اليوم  
 الرابع ممكن إذا بجبل مقبرة ، غشيت أن تكون في طلي ، فإذا أنا بأحماني الذين قتلوا ، ومهم  
 آخرون عليّ بواب شهب ، فقالوا : غير ؟ قلت : غير . قلت : لم : أوليس قد قتلتم ؟ قالوا : بلى ،  
 ولكن الله عز وجل مشر الشهداء وأذن لم أن يشهدوا جنازة هر بن عبد العزيز . قال : ثم قال  
 لي بعضهم : ناولني يدك يا غير ، فأردفني فسرنا يسيراً ، ثم قذف في قذفة وقت قرب منزلي  
 بالجزيرة ، من غير أن يكون لحقي شر .

وقال رجاء بن حيوة : كان عمر بن عبد العزيز قد أوصى إلى أن أغسله وأكفنه ، فإذا  
 حلت مقدمة الكفن أن أنظر في وجهه فأذلي ، فظلمت فإذا وجهه مثل القتراطيس بياضاً ، وكان  
 قد أخبرني أنه كل من دفنه قبله من الخلفاء - وكان يحل من وجوعهم - فإذا هي مسودة .

وروى ابن عساكر في ترجمة يوسف بن ماهك قال : بينا نحن نسوي للتراب علي قبر عمر  
 ابن عبد العزيز ، إذ سقط علينا من السماء كتاب فيه : بسم الله الرحمن الرحيم ، أمان من الله  
 لعمر بن عبد العزيز من النار . ساقه من طريق إبراهيم بن بشار ، عن عباد بن عمرو ، عن محمد بن  
 يزيد البصري ، عن يوسف بن ماهك فذكره ، وفيه غرابة شديدة ، والله أعلم .

وقد رثيت له منامات صالحة ، ونأسف عليه الخاصة والعامة ، لاسيما العلماء والزهاد والصالحين .  
 ورتاه الشعراء : فمن ذلك ما أنشده أبو عمرو الشيباني لكثير عزة - برقي عمر :

عت صفاته فسمّ هلاكه      فالناس فيه كلهم ماجور  
 والناس ما أنهم عليه واحد      في كل دار رنة وزفير  
 يبقى عليك لسان من لم توله      خيراً لأنك بالتشياء جدير  
 ردت صفاته عليه حياته      فكأنه من نشرها منشور

وقال جرير برقي عمر بن عبد العزيز - رحمه الله :

بني القنطرة أمير المؤمنين لنا      يا خبر من حج بيت الله واحتمرا

خُلت أُمراً عظيماً فاضطلعت به وسرت فيه بأمر الله يا عمرا  
الشمس كاسفة ليست بطالمة تبكي عليك نجوم الليل والقمر  
وقال لحارب بن ثار - رحمه الله ، يرى عمر بن عبد العزيز - رحمه الله تعالى :

لو أعظم الموت خلقاً أن يواقه ليدله لم يصبك الموت يا عمر  
كم من شربة عدل قد بعثت لم كادت تموت وأخرى منك تنتظر  
يا لطف نفسي ولطف الواحد من منى على المدول التي تنقلها الحفر  
ثلاثة ما رأت عيني لم شها تضم أعظمهم في المسجد الحفر  
وأنت تقبهم لم نال مجتهدا سقيا لها - من الحلق تنفتر  
لو كنت أمك والأقدار غالبية تأتي رواحا وتبينا وتبتكر  
صرفت عن عمر انظيرات مصرعه بذير تحمان لكن ينطب القدر

قالوا : وكانت وفاته بذير سمعان من أرض حمص ، يوم الخميس ، وقيل : الجمعة - خمس مضين ،  
وقيل : يقين من رجب . قيل : لشرب يقين منه ، سنة إحدى - وقيل : ثنتين ومائة ، وصلى عليه  
ابن عمه مسلمة بن عبد الملك . وقيل : صلى عليه يزيد بن عبد الملك ، وقيل : ابنه عبد العزيز بن عمر بن  
عبد العزيز ، وكان عمره يوم مات تسعاً وثلاثين سنة وأشهرًا ، وقيل : إنه جاوز الأربعين بأشهر ،  
وقيل : سنة ، وقيل : بأكثر ، وقيل : إنه عاش ثلاثاً وستين سنة ، وقيل : ستاً وثلاثين ،  
وقيل : سبعاً وثلاثين ، وقيل : ثمانية وثلاثين سنة ، وقيل : ثمانية والثلاثين إلى الأربعين ولم يبلغها .  
وقال أحمد ، عن عبد الرزاق ، عن عمر : مات على رأس خمس وأربعين سنة . قال ابن حساكر :  
وهذا وهم ، والصحيح الأول تسعاً وثلاثين سنة وأشهرًا . وكانت خلافته سنتين وخمسة أشهر وأربعة  
أيام ، وقيل : أربعة عشر يوماً ، وقيل : ستيناً ونصف .

وكان - رحمه الله - أسمر ، دقيق الوجه حسنة ، نحيف الجسم ، حسن الهيئة ، غائر العينين ،  
محبته أثر شجرة ، وكان قد شاب وخضب - رحمه الله - والله سبحانه أعلم .

### فصل

لما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة ، جاءه صاحب الشرطة ليسير بين يديه بالحربة على عادته  
مع الخلفاء قبله ، فقال له عمر : مالي ولك ؟ تنزع عني ، إنما أنا رجل من المسلمين . ثم سار وصاروا  
معه حتى دخل المسجد ، فصد للبر واجتمع الناس إليه ، قال : أيها الناس ! إنني قد ابتليت بهذا  
الأمر من غير رأي كان عني فيه ، ولا طلبية له ، ولا مشورة من المسلمين ، وإنني قد خلعت  
مالي أمتافكم من يميني : فاختاروا لأشكم ولأمركم من تريدون . فصاح للسلوك صيحة واحدة :

قد اخترتك لأنفسنا وأمرنا ، ورضينا كلنا بك . فلما هدأت أصواتهم ، حمد الله ، وأثنى عليه وقال : أوصيكم بتقوى الله ، فإن تقوى الله خلف من كل شيء ، وليس من تقوى الله خلف ، وأكثر من ذكر الموت فإنه هادم الغلات ، وأحسنوا الاستعداد له قبل نزوله ، وإن هذه الأمة لم تختلف في ربا ، ولا في كتابها ، ولا في نبيا ، وإنما اختلفوا في الدينار والدرهم . وإن الله لا أعطي أحدا باطلا ، ولا أمنع أحدا حقا . ثم رفع صوته فقال : أيها الناس ! من أطاع الله وجبت طاعته ، ومن عصى الله فلا طاعة له ، أطيعوني ما أطعت الله ، فإذا عصيت الله فلا طاعة لي عليكم . ثم نزل فدخل ، فأمر بالتور فنهكت ، وبالنبيات التي كانت تبسط للخلفاء أمر بها فبيعت ، وأدخل أئمتها في بيت المال ، ثم ذهب يثبوا متقيلا ، فأتاه ابنه عبد الملك فقال : يا أمير المؤمنين ! ماذا تريد أن تصنع ؟ قال : يا بني أقبل ، قال : تتيل ولا ترد للظالم إلى أهلها ؟ قال : إني سهرت بالبراحة في أمر سليمان ، فإذا صليت الظاهر ودوت للظالم ، فقال له ابنه : ومن لك أن تبتش إلى الظاهر ؟ قال : ادن مني أي بني ، فدنا منه ، فقتل بين عينيه وقال : الحمد لله الذي أخرج من صلبى من يهدى على ديني .

ثم قام وخرج وترك القائلة ، وأمر مناديه فنادى : ألا من كانت له مظلة فليرفها ، فقام إليه رجل ذى من أهل حمص فقال : يا أمير المؤمنين ! أسألك كتاب الله ، قال : ما ذاك ؟ قال : المباس بن الوليد بن عبد الملك اغتصبني أرضي - والمباس جالس - فقال له امر : يا عباس ما تقول ؟ قال : نعم ! إقطعتني أمير المؤمنين الوليد ، وكتب لي بها سجلا ، فقال عمر : ما تقول يا ذى ؟ قال : يا أمير المؤمنين ! أسألك كتاب الله تعالى ، فقال عمر : نعم كتاب الله أحق أن يبيع من كتاب الوليد ، فم فاردد عليه ضيقته ، فردها عليه . ثم تنازع الناس في رفع للظالم إليه ، فمارفت إليه مظلة إلا ردّها ، سواء كانت في يده أو في يد غيره حتى أخذ أموال بني مروان وغيرهم ، مما كان في أيديهم بغير استحقاق ، فاحتفت بني مروان بكل واحد من أعيان الناس ، فلم يندم ذلك شيئا ، فأنوا عنهم طاعة بنت مروان - وكانت عمته - فشكروا إليها ما لقوا من عمر ، وأنه قد أخذ أموالهم ويقتصرون عنده ، وأنه لا يرضع بهم رأسا ، وكانت هذه المرأة لا تحب من الخلفاء ، ولا ترد لها حاجة ، وكانوا يكرمونها ويطلبونها ، وكذلك كان عمر يفعل معها قبل الخلافة ، وقامت فركت إليه ، فلما دخلت عليه عظمها وأكرمها ؛ لأنها أخت أبيه ، وأثنى لها وسادة ، وشرع يخاصمها ، فراها عضى وهي على غير العادة ، فقال لها عمر : يا عمه ؟ قالت : بنو أخى عبد الملك وأولادهم يهانون في زمانك وولايك ؟ وتأخذ أموالهم تقطعها لنهم ، ويبتون عندك فلا تنكر ؟ فضحك عمر ، وعلم أنها متحفة ، وأن مقلها قد كبر ، ثم شرع يخاصمها والمضب لا يصبر عنها ، فلما رأى ذلك أخذ منها في الجدل ، فقال : يا عمه ! أعلني أن النبي ﷺ

مات وترك الناس على نهر موود ، فولى ذلك الهر مده رجل فلم يستقص منه شيئاً حتى مات ، ثم ولى ذلك الهر بعد ذلك الرجل رجل آخر فلم يستقص منه شيئاً حتى مات ، ثم ولى ذلك الهر رجل آخر ففكرى منه ساقية ، ثم لم يزل الناس مده بكرهون السواق حتى تركوه بابساً لا نظرة فيه ، وأيم الله أنى أبقانى الله لأردته إلى محراء الأول ، فمن رضى فله الرضا ، ومن سخط فله السخط . وإذا كان العظم من الأقارب الذين هم بطاة الوالى ، والوالى لا يزيل ذلك - فكيف يستطيع أن يزيل ما هو ناه عنه في غيرهم ؟ فقالت : أفلا يسبوا عندك ؟ قال : ومن يسبهم ؟ إنا نرضع الرجل مظالته ، فأخذ له بها . ذكر ذلك ابن أبى الدنيا ، وأبو نعيم وغيرهما ، وقد أشار إليه المؤلف إشارة خفية .

وقال صله بن عبد الملك : دخلت على عمر في مرضه ، فإذا عليه قميص وسخ ، قلت لفاطمة : ألا نعلموا قميص أمير المؤمنين ؟ فقالت : والله ما له قميص غيره . وبكى ، فبككت فاطمة فبكى أهل القار . لا يدرى هؤلاء ما أبكى هؤلاء ، فلما ابتاع منهم العبرة ، قالت فاطمة : ما أبكاك يا أمير المؤمنين ؟ قال : إن ذكرت منصرف الخلائق من بين يدي الله ، فربق في الجنة وفريق في السمر ، ثم حرج وغشى عليه .

وروى عليه مرة مسك من بيت المال ، فمد الله حتى وضع ، فقيل له في ذلك ، فقال : وهل يذفع من المسك إلا برحمة ؟ ولما احتضر دعا بأولاده ، وكانوا بضعة عشر ذكراً ، ففطر إليهم فذرفت عيناه ، ثم قال : بغضى القتيبة وكان عمر بن عبد العزيز يشتم كثيراً بهذا الأبيات :

يرى مستكيباً وهو يقول ماقت	به عن حديث القوم ما هو شاغل
وأعجبه علم عن الجهل كل	وما علم شيئاً كمن هو جاهل
عبوس بن الجهل حين يرام	فليس له منهم خديف يهازل
تذكر ما يبق من العيش فارغوى	فأشغله عن عاجل العيش آبل

وروى ابن أبى الدنيا ، عن ميمون بن مهران قال : دخلت على عمر بن عبد العزيز وعنده سابق البربرى ، وهو ينشد شعراً ، فأشغى في شعره إلى هذه الأبيات :

فكم من صحيح بات للموت آتيا	أتمه النمل يقتله بعد ما جمع
فلم يستطع إذ جاءه الموت يفتة	فراراً ولا منه يقوته امتنع
فأصبح تبيكه القدر مقفلاً	ولا يسمع الناهى وإن صوته رفع
وقرب من لحد ضار مقبله	وفارق ما قد كان بالأمس قد جمع
فلا تترك الموت القنى لئلا	ولا مدمناً في المال ذا حاجة يدع

وقال رجا بن حيوة : لما مات أمير المؤمنين محمد بن عبد العزيز ، وقام يزيد بن عبد الملك بعده في الخلافة ، أتاه عمر بن الوليد بن عبد الملك ، فقال ليزيد : يا أمير المؤمنين ! إن هذا المرائي - يعني عمر بن عبد العزيز - قد خان من المسلمين كل ما قدر عليه من جوهر نفيس ، ودرّ ثمين ، في بيتين في داره علومين . وما مقتولان على ذلك الدر والجواهر فأرسل يزيد إلى أخته فاطمة بنت عبد الملك امرأة عمر : بلنّي أن عمر خلف جوهرأ ودرأ في بيتين مقفولين فأرسلت إليه : يا أخي ما ترك عمر من سَهْد ولا بَيْد<sup>(١)</sup> ، إلا ما في هذا النذبل . وأرسلت إليه به ، فلفه فوجد فيه قيحا غليظا مرقوعا ، ورداء قشحا ، وجبة محشوة غليظة واهية البطانة . فقال يزيد للرسول : قل لما : ليس من هذا أسأل ، ولا هذا أريد ، إنما أسأل عما في البيتين فأرسلت تقول له : والذي لجفني بأمر المؤمنين ما دخلت هذين البيتين منذ ولي الخلافة ، لعلني بكرهته فقلت . وهذه مفاتيحهما فتمال ، فحول ما فيهما ليت مالك .

فركب يزيد معه عمر بن الوليد حتى دخل الدار ، ففتح أحد البيتين ، فإذا فيه كرمي من آدم وأربع أجرات ميسوحات عند الكرسي ، وقمقم فقال عمر بن الوليد : استغفر الله - ثم فتح البيت الثاني ، فوجد فيه مسجداً مفروشا بالحصا ، وحلقة معلقة بسقف البيت ، فيها كهية الطوق بقدر ما يدخل الإنسان رأسه فيها إلى أن تبلغ المنق ، كان إذا فتر من العبادة أو ذكر بعض ذنوبه وضما في رقبتة ، وربما كان يضمها إذا نَسى ثلاثا ينام ، ووجدوا صندوقا مقفلا ففتح ، فوجدوا فيه سفيطا مفتوحا ، فإذا فيه دُرَاعَةٌ وَتَبَان<sup>(٢)</sup> ، كل ذلك من مسوح غليظ ، فبكى يزيد ومن معه وقال : يرحمك الله يا أخي ، إن كنت لتلقى السريرة ، نقي العلانية . وخرج عمر بن الوليد وهو مخدول وهو يقول : استغفر الله ، إنما قلب ما قيل لي .

وقال رجا : لما احتضر جمل يقول : اللهم رضني بقضائك ، وبارك لي في قدرك ، حتى لا أحب لما مجلت تأخرأ ، ولا لما أخرت تمجيلا . فلا زال يقول ذلك حتى مات . وكان يقول : لقد أسبغت ومالي في الأمور هوى إلا في مواضع قضاء الله فيها .

وقال شبيب بن صفوان : كتب سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب إلى عمر بن عبد العزيز لما ولي الخلافة : أما بعد يا عم ، فإنه قد ولي الخلافة وللك قبلك أقوام ، فاتوا على ما قدر رأيت ، وأقوا الله فرادى بعد الجموع والخفدة والحشم ، وعالجوا نزع الموت الذي كانوا منه يفرّون ، فانفقت أعينهم التي كانت لا تفتأ تنظر لقائها ، وانعدت رقابهم غير موسدين بعد لين الوسائد ،

(١) أي لا قليل ولا كثير . والسبد : الوبر أو الشعر . والتبد : الصوف يكنى بها عن الإبل والنم  
(٢) الثبان : سراويل قصيرة يستر العورة النطقة .



وتظاهر القرش والرافق والسرر والغلم ، وانشتت بطونهم التي كانت لا تشبع من كل نوع ولون من الأموال والأطعمة . وصاروا جيفاً بعد طيب الروائح المطهرة ، حتى لو كانوا إلى جانب مسكين من كانوا يجثرونه وهم أحياء لتأذى بهم ، ولنفّر منهم ، بعد إضاق الأموال على أغراضهم من الطيب والثياب الفاخرة الآتية ، كانوا ينفقون الأموال لإسراماً في أغراضهم وأهوائهم ، ويقترون في حق الله وأمره ، فإن استطعت أن تلقاهم يوم القيامة وهم محبوسون بما عليهم ، وأنت غير محبوس ولا مرتين بشيء - فاقبل ، واستغن بالله ولا قوة إلا بالله سبحانه .

وما ملك مما قليل بآلم ولو كثرت أحراسه ومواكبه  
ومن كان ذا باب شديد وحاحب فما قليل يهجر الباب حاجبه  
وما كان غير اللوت حتى تفرقت إلى غيره أعوانه وحبابه  
فأصبح مسروراً به كل حاسد وأسله أصحابه وحبابه

وقيل : إن هذه الأبيات لغيره . وقال ابن أبي الدنيا في كتاب الإخلاص : حدثنا عامر بن عامر ، حدثنا أبي عن عبد ربه بن أبي هلال ، عن ميهون بن مهران قال : تكلم عمر بن عبد العزيز ذات يوم وعنده رطل من إخوانه ، ففتح له منطق وموعظة حسنة ، فظفر إلى رجل من جلسائه ، وقد ذرفت عيناها بالدموع ، فلما رأى ذلك عمر قطع منطقها ، فقالت له : يا أمير المؤمنين امض في موعظتك ، فإني أرجو أن ين الله به على من سمعه أو بلغه ، فقال : إليك عني يا أبا أيوب فإن في القول على الناس فتنة لا يخلص من شرها متكلم عليهم ، والله أولى بالؤمن من القتال . وروى ابن أبي الدنيا عنه أنه قال : استمعلنا أقواماً كثيراً نرى أنهم أرباب أخيار ، فلما استمعناهم إذا هم يملكون أعمال التبجار ، فأنهم الله ، أما كانوا يمشون على القبور !!

وروى عبد الرزاق قال : سمعت معمر بن بكير يقول : كذب عمر بن عبد العزيز إلى عدى ابن أرطاة - وبلغه عنه بعض ما يكره - : أما بعد ، فإنه غرني بك مجاسك القراء ، وعيانتك السوداء ، وإرسالك إليها من وراء ظهرك ، وإنك أحسنت الملاية فأحسنت بك الظن ، وقد أطمعنا الله على كثير مما تملكون .

وروى الطبراني والدارقطني وغير واحد من أهل العلم بأسانيدهم - إلى عمر بن عبد العزيز ، أنه كتب إلى عامل له : أما بعد ؛ فإني أوصيك بتقوى الله واتباع سنة رسوله ، والاقتصاد في أمره ، وترك ما أحدث المحدثون بعده ؛ بمن قد حارب سنته ، وكفوا مؤنته ، ثم اعلم أنه لم تكن بدعة إلا وقد مضى قبلها ما هو دليل على بطلانها - أو قال : دليل عليها - فعليك لزوم السنة ، فإنه إنما جنبها من قد علم ما في خلافتها من الربح والزلل ، والحق والخلف والتمسق ، ولهم كانوا على كشف

الأمر أقرى ، وعلى السبل الشديد أشد ، وإنما كان عمامهم على الأسد ، ولو كان قبا يحملون  
أفكم فضل لكانوا فيه أحرى ، وإليه أجرى ، لأنهم السابقون إلى كل خير ، فإن قلت : قد  
حدث بدم خير ، فأعلم أنه إنما أحدثه من قد اتبع غير سبيل المؤمنين ، وحاد عن طريقهم ، ورغبت  
نفسه عنهم ، ولقد تكلموا معه ما يكفي ، ووصفوا معه ما يشق ، فأين لا أن ، فمن دونهم قصر  
ومن فوقهم غير محسن ، ولقد قصر أقوام دينهم لحفوا ، وطبع منهم آخرون فقلوا ، فرحم الله  
ابن عبد العزيز ، ما أحسن هذا القول الذي ما يخرج إلا من قلب قد امتلأ بالثبات ، ومحبة ما كان  
عليه الصحابة ، فمن الذي يستطيع أن يقول مثل هذا من الفقهاء وغيرهم ؟ فرحه الله وعنا عنه .

وروى الخطيب البغدادي بن طريق يعقوب بن سفيان الحافظ ، من سعيد بن أبي حرم عن  
رشيد بن سعيد قال : حدثني عقيل بن شهاب عن عمر بن عبد العزيز قال : من رسول الله ﷺ  
وخلفاؤه بعده حنفا ، الأخذ بها تصديق لكتاب الله ، واستعمال لطاعة الله ، ليس على أحد تنبيهها  
ولا تبديلها ، ولا النظر في رأي من خالفها ، فمن اقتدى بما سبق هدى ، ومن استقصى بها أبصر ،  
ومن خالفها واتبع غير سبيل المؤمنين - ولله ما تولى ، وأصله جهنم وسامت مصورا .

وأمر عمر بن عبد العزيز مناديه ذات يوم فنادى في الناس : الصلاة جامعة ، فاجتمع الناس  
فخطبهم فقال في خطبته : إني لم أجمعكم إلا أن المصدق ، بينكم وبين يديه ؛ من لقاء الله والدار الآخرة  
ولم يعمل فذلك يستمد له - أجمع ، والكذب له كافر . ثم تلا قوله تعالى : ( أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ  
مِّن لِّقَاءِ رَبِّهِمْ )<sup>(١)</sup> وقوله تعالى : ( وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ يُشْرِكُونَ )<sup>(٢)</sup> .

وروى ابن أبي الدنيا عنه ، أنه أرسل أولاده مع مؤدب لهم إلى الطائف يعلمهم هناك ،  
فكتب إليه عمر : بش ما علمت ، إذ قدمت أمام المسلمين صبيًا لم يعرف النية - أو لم تدخله  
النية - ذكره في كتاب النية له . وروى ابن أبي الدنيا في كتاب الرقة والبكاء ، عن مولى لعمرو  
ابن عبد العزيز أنه قال له : يا بني ليس الخير أن يسمع لك وتطاع ، وإنما الخير أن تكون قد  
غفلت عن ربك عز وجل ثم أظمت ، يا بني لا تأذن اليوم لأحد على حق أصيب ويرتفع النهار ،  
فإن أخاف أن لا أقتل عن الناس ، ولا يبهمون عني ، فقال له مولاه : رأيك البارحة بكيت بكاء  
مارأيك بكيت مثله ، قال : فبكيت ثم قال : يا بني إني والله ذكرت الحرقوف بين يدي الله مزوجيل .  
قال : ثم غشى عليه ، فلم يبق حتى صلا النهار ، قال : فإياه بعد ذلك متعبا حتى مات .

وقرأ ذات يوم ( وَمَا تَكُونُونَ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلَوْنَهُ مِن قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ

إِلَّا سَلَّمْنَا عَلَيْكُمْ شُهُودًا<sup>(١)</sup> الْآيَةَ ، فَبَكَى بِكَامًا شَدِيدًا حَتَّى سَمِعَهُ أَهْلُ الدَّارِ ، فَجَاءَتْ فَاطِمَةُ فَجَلَسَتْ تَحْتَى لِبَيْكَاةِ وَيْكَى أَهْلُ الدَّارِ لِبَيْكَاةِهَا ، فَجَاءَ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، فَدَخَلَ عَلَيْهِمْ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ الْحَالِ ، فَقَالَ لَهُ : يَا أَبُةَ مَا بَيْكَاكِ ؟ قَالَ : يَا بَنِي خَيْرٍ ، وَدَّ أَبُوكَ أَنَّهُ لَمْ يَعْرِفِ الدُّنْيَا وَلَمْ تَعْرِفَهُ ، وَاللَّهِ يَا بَنِي لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ أَهْلِكَ وَأَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ .

وَرَوَى ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا عَنْ عَبْدِ اللَّهِ الْأَعْلَى بْنِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ اللَّيْثِيِّ قَالَ : رَأَيْتُ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خُرَاجٍ يَوْمَ الْحَمَةِ فِي ثِيَابٍ دَسَمَةٍ ، وَرَاءَهُ حَبَشِيٌّ يَمْشِي ، فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى النَّاسِ رَجَعَ الْحَبَشِيُّ ، فَكَانَ عُمَرُ إِذَا انْتَهَى إِلَى الرَّجُلَيْنِ قَالَ : هَكَذَا رَحِمَكَ اللَّهُ ، حَتَّى صَدَّ النَّبِيُّ نَظْبَ فَقَرَأَ ( إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ )<sup>(٢)</sup> فَقَالَ : وَمَا شَأْنُ الشَّمْسِ ( وَإِذَا الْجَبَبِمْ سُفِّرَتْ • وَإِذَا الْجُنَّةُ أُنْفِقَتْ )<sup>(٣)</sup> ، فَبَكَى وَيْكَى أَهْلُ السَّجْدِ ، وَارْتَجَعَ لِلْسَّجْدِ بِالْبَكَاءِ حَتَّى رَأَيْتُ حَيْطَانًا لِلْسَّجْدِ تَبْكِي مَعَهُ . وَدَخَلَ عَلَيْهِ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ جَاءَتْ بِي إِلَيْكَ الْحَاجَةُ ، وَانْتَهَيْتُ إِلَى الْمَاءِ ، وَاللَّهِ نَالْتُكَ عَنِّي . فَبَكَى عُمَرُ وَقَالَ لَهُ : كَمْ أَنتُمْ ؟ فَقَالَ : أَنَا وَثَلَاثُ بَنَاتٍ . فَفَرَضَ لَهُ عَلَى ثَلَاثَةِ مِائَةٍ ، وَفَرَضَ لِبَنَاتِهِ مِائَةَ مِائَةٍ ، وَأَعْطَاهُ مِائَةَ دَرَاهِمٍ مِنْ مَالِهِ ، وَقَالَ لَهُ . اذْهَبْ فَاسْتَنْفِقْهَا حَتَّى تَخْرُجَ أَعْطَايَاتِ الْمُسْلِمِينَ فَتَأْخُذَ مِنْهُمْ .

وَجَاءَهُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ أَذْرَبَيْجَانَ ، فَقَامَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ اذْكُرْ بَقَايَ هَذَا بَيْنَ يَدَيْكَ - مَقَامِكَ خُدَا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ ، حَيْثُ لَا يَشْغُلُ اللَّهُ عَنْكَ فِيهِ كَثْرَةُ مِنْ يَخَافُ مِنَ الْخِلَاقِ ، مِنْ يَوْمٍ تَقْلَاهُ بِلَاغَةً مِنَ الْمَلِكِ ، وَلَا بَرَاءَةً مِنَ الْقَذْبِ ، قَالَ : فَبَكَى عُمَرُ بِكَاءٍ شَدِيدًا ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : مَا حَاجَتُكَ ؟ فَقَالَ : إِنَّ عَامِلًا بِأَذْرَبَيْجَانَ عَدَا عَلِيًّا ، فَأَخَذَ مِنِّي اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفَ دَرَاهِمٍ ، فَجَمَعَهَا فِي بَيْتِ الْمَالِ . فَقَالَ عُمَرُ : اكْتَبُوا لَهُ السَّامَةَ إِلَى عَامِلِهَا ، فَفَرِدَ عَلَيْهِ ، ثُمَّ أَرْسَلَهُ مَعَ الْبَرِيدِ . وَعَنْ زَيْدِ بْنِ أَبِي عِمَاشٍ قَالَ : دَخَلْتُ عَلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خُرَاجٍ فِي لَيْلَةٍ بَارِدَةٍ شَانِيَةٍ ، فَجَمَعْتُ أَسْطِطَ عَلَى كَانُونٍ هُنَاكَ ، فَجَاءَ عُمَرُ - وَهُوَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ - فَجَمَعَ بِصُطْلَى مَعِي عَلَى ذَلِكَ الْكَانُونِ ، فَقَالَ لِي : يَا زَيْدُ أَقُلْتَ : نَعَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، قَالَ : قَصِّ عَلَيَّ ، قُلْتَ : مَا أَنَا بِقَاصٍ ، فَقَالَ : تَكَلِّمْ . قُلْتَ : زَيْدُ ، فَقَالَ : مَا لَهُ ؟ قُلْتَ : لَا يَنْفَعُهُ مِنْ دَخْلِ الْجَنَّةِ إِذَا دَخَلَ النَّارُ ، وَلَا يَضُرُّهُ مِنْ دَخْلِ النَّارِ إِذَا دَخَلَ الْجَنَّةَ ، فَقَالَ : صَدَقْتَ ، ثُمَّ بَكَى حَتَّى أَغْفَا الْجُرَّاقِيُّ فِي الْكَانُونِ .

وَقَالَ لَهُ زَيْدُ الْهَدْيِيُّ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَا تَمْلِكُ ضَمَكُ فِي الْوَصْفِ وَأَعْمَالُكَ فِي الْخُرُجِ مِمَّا وَقَعَتْ فِيهِ ، فَظَنُّوا كُلَّ شَعْرَةٍ فِيكَ نَقَلَتْ بِمَحْدِ اللَّهِ وَشُكْرِهِ ، وَالتَّنَاءُ عَلَيْهِ - مَا بَلَّغْتَ كُنْهَ مَا أَنْتَ فِيهِ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ زَيْدُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَخْبِرْنِي عَنْ رَجُلٍ لَهُ خَصْمٌ أَقْبَدَ مَا حَالَهُ ؟ قَالَ : نَعَى الْحَالِ ، قَالَ :

(١) مِنَ الْآيَةِ : ٦١ مِنْ سُورَةِ يُونُسَ . (٢) أَوَّلُ سُورَةِ التَّكْوِيْنِ . (٣) الْآيَةُ ١٢ مِنَ السُّورَةِ نَحْسُهَا .

فإن كانوا خصمين الدين ؟ قال : فهو أسوأ حالا ، قال : فإن كانوا ثلاثة ؟ قال : ذاك حيث لا يهتبه عيش . قال : فوالله يا أمير المؤمنين ، ما أحد من أمة محمد ﷺ إلا وهو خصمك . قال : فبكي مر حتى تميمت أنى لم أكن حدثته ذلك .

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى على بن أرطاة وأهل البصرة : أما بعد ! فإن من الناس من شاب في هذا الشراب ، ويفشون عنده أموراً انتهكوها عند ذهاب عقولهم ، وسفه أحلامهم ، فسفكوا له الدم الحرام ، وارتكبوا فيه الفروج الحرام ، والمسال الحرام ، وقد جهل الله عن ذلك مندوحة من أشربة حلال ، فن انتبه فلا ينتبه إلا من أسقية الأدم ، واسغفوا بما أحل الله مما حرم ، فإما من وجدناه شرب شيئاً مما حرم الله بعد ما تقدمنا إليه - جعلنا له عقوبة شديدة ، ومن استخف بما حرم الله عليه ، فله أشد عقوبة له وأشد تنكيلاً <sup>(١)</sup> .

### خلافة يزيد بن عبد الملك

بوع له بمهد من أخيه سابان بن عبد الملك - أن يكون ولي الأمر من بعد عمر بن عبد العزيز ، فلما توفي عمر في رجب من هذه السنة - أعني سنة إحدى ومائة - بايحه الناس البيعة للأمامة ، وعمره إذ ذاك تسع وعشرون سنة . فمزل في رمضان منها هر إمرة المدينة - أبا بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، وولى عليها عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس ، فخرت بينه وبين أبي بكر بن حزم منافسات وضمائن ، حتى آل الأمر إلى أن استدرك عليه حكومة فحده حديث فيها .

وفها : كانت وقعة بين الخوارج - وهم أصحاب بساطم الخارجي - وبين جند الكوفة ، وكانت الخوارج جماعة قليلة ، وكان جيش الكوفة نحواً من عشرة آلاف فارس ، وكادت الخوارج أن تكسرم ، فثامروا بينهم ، فطعنوا الخوارج طعنًا عالياً ، وقتلهم من آخرهم ، فلم يبقوا منهم قاترة .

وفها : خرج يزيد بن المهلب ، فخلع يزيد بن عبد الملك ، واستحوذ على البصرة ، وذلك بعد محاصرة طويلة ، وقال طويل ، فلما ظهر عليهم بسط التدل في أهلها ، وبذل الأموال ، وحبس عاملها عدى بن أرطاة ؛ لأنه كان قد حبس آل المهلب الذين كانوا بالبصرة ، حين هرب يزيد بن المهلب من محبس عمر بن عبد العزيز ، كما ذكرنا . ولما ظهر على قصر الإمارة أتى بسدي بن أرطاة ، فدخل عليه وهو خجلك ، فقال يزيد بن المهلب : إني لأعجب من ضعفك ،

(١) من أول الفصل إلى هنا زيادة في بعض النسخ .

لأنك هربت من القتال ، كما تهرب النساء ، وإنك جئتني وأنت مُنْقَلَبٌ<sup>(١)</sup> كما يُنْقَلُ العبد .  
فقال عدى : إلى لأضعك لأن بقاى بقاءك ، وأن من ورأى طالبا لا يتركفى . قال :  
ومن هو ؟ قال : جنود بنى أمية بالشام ، ولا يتركوك ، فتدارك نفسك قبل أن يرمى إليك  
البحر بأمواله ، فتطلب الإقالة فلا تقال .

فرد عليه يزيد جواب ما قال ، ثم سجنه كما سجن أهله ، واستقر أمر يزيد بن المهلب على  
البصرة ، وبعث نوابه في النواحي والجهات ، واستناب في الأهواز ، وأرسل أخاه مُدْرِكُ بن  
المهلب على نيابة خراسان ، ومعه جماعة من المقاتلة . فلما بلغ خبره الخليفة يزيد بن عبد الملك - جمر  
أن أخيه العباس بن الوليد بن عبد الملك في أربعة آلاف ، مقدمة بين يدي عمه - سَلَمة بن  
عبد الملك ، وهو في جنود الشام ، قاصدين البصرة لقتاله . ولما بلغ يزيد بن المهلب مخرج الجيوش  
إليه ، خرج من البصرة واستناب عليها أخاه مروان بن المهلب ، وجاء حتى نزل واسط ، واستشار  
من ماله من الأمراء فيما ذا يعتمد ؟ فاختلوا عليه في الرأي ، فأشار عليه بعضهم بأن يسير إلى  
الأهواز ليحصن في رموس الجبال ، فقال : إنما تريدون أن تجعلوني طائرا في رأس جبل أ  
وأشار عليه رجال أهل العراق أن يسير إلى الجزيرة فينزلها بأحسن حصن فيها ، ويجمع عليه أهل  
الجزيرة فيقاتل بهم أهل الشام . وانصرفت هذه السنة وهو نازل بواسط وجيش الشام فاحده .  
وحج بالناس في هذه السنة عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس أمير المدينة ، وعلى مكة عبد العزيز  
ابن عبد الله بن خالد بن أسيد ، وعلى السكوفة عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب ، وعلى  
قضاها عامر الشعبي ، وعلى البصرة يزيد بن المهلب . قد استعوز عليها وخلع أمير المؤمنين يزيد  
ابن عبد الملك .

وفيهما : توفي عمر بن عبد العزيز ، ورَبِيتى من حراش ، وأبو صالح السمان - وكان عابداً  
صادقاً نبيّاً - وقد ترجمناه في كتابنا التكميل ، والله أعلم

### ثم دخلت سنة ثنتين ومائة

ففيها : كان اجتماع سَلَمة بن عبد الملك مع يزيد بن المهلب ، وذلك أن يزيد بن المهلب ركب  
من واسط ، واستخلف عليها ابنته معاوية ، وسار هو في جيش ، وبين يديه أخوه عبد الملك بن  
المهلب ، حتى بلغ مكاناً يقال له : التَّقَر ، وانتهى إليه سَلَمة بن عبد الملك في جنود لا قبل ليزيد  
بها ، وقد التقت القديستان أولاً فقتلوا قتالا شديداً ، فهزم أهل البصرة أهل الشام ، ثم تدارم

(١) أى : ضرع ، يقال : تله - صرعه ، أو ألقاه على عنقه وخذه .

أهل الشام ، فغلبوا على أهل البصرة ، فمزموم وقتلوا منهم جماعة من الشجعان ، منهم : التتوف ، وكان شجاعاً مشهوراً ، وكان من موالى بكر بن وائل ، فقال في ذلك التتوف :

تُبَسِّكِي على التتوف بكر بن وائل وتنتهي عن ابني منيع من بكاهما

فأجابه الجعد بن درهم - مولى النوردين من همدان ، وهذا الرجل هو أول الجهمية ، وهو الذي ذبحه خالد بن عبد الله القسري يوم عيد الأضحي ، قال الجعد :

تُبَسِّكِي على التتوف في نصر قومه ولصنا تُبَسِّكِي الشائدين أباهما  
أراد فناء الحى بكر بن وائل فبسرته تم لو أصيب ففاهما  
فلا لقيها زوحا من الله ساعة ولا زفأت عينا شحى بكاهما  
أبي العباس تبكي إن بكينا عليهما وقد لقيها بالنيش فينا زداما

ولما أقرب مسلمة وابن أخيه العباس بن الوليد من جيش يزيد بن المهلب ، خطاب يزيد بن المهلب الناس ، وحرّضهم على القتال - بسى قتال أهل الشام - وكان مع يزيد نحو من مائة ألف ، وعشرين ألفاً ، وقد بايعوه على السمع والطاعة ، وعلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، وعلى أن لا يبطأ الجنود بلادهم ، وعلى أن لا نعاد عليهم بيرة الفاسق المهجاج ، ومن بايعنا على ذلك قبلنا منه ، ومن خالفنا قاتلناه .

وكان الحسن البصري - في هذه الأيام - يحرض الناس على الكف وترك الدخول في الفتنة ، وينهاهم أشدّ النهي ، وذلك لما وقع من القتال الطويل المريض في أيام ابن الأشعث ، وما قتل بسبب ذلك من النفوس الدديدة ، وجعل الحسن يحث الناس ويظلمهم في ذلك ، وبأمرهم بالكف ، فبلغ ذلك نائب البصرة عبد الله بن المهلب ، فقام في الناس خطيباً ، فأمرهم بالجدد والجهاد ، والنفر إلى القتال ، ثم قال : ولقد بلغني أن هذا الشيخ الضالّ الرائي - ولم يسمه - يقيط الناس ، وأما والله ليكفن عن ذلك أولاد فلان ولأفمان وتوعد الحسن . فلما بلغ الحسن قوله قال : أما والله ما أكره أن يكرمنى الله بهوانه ، فسله الله منه حتى زالت دولتهم ، وذلك أن الجيوش لما تواجت تبارز الناس قليلا ، ولم ينشب الحرب شديداً حتى فرأ أهل العراق سريعا ، وبلغهم أن الحسر الذي جاءوا عليه حرق فانهزموا ، فقال يزيد بن المهلب : ما بال الناس ؟ ولم يكن من الأمر ما يفر من مثله ، فقيل له : إنه بلغهم أن الحسر الذي جاءوا عليه قد حرق ، فقال : قبحهم الله .

ثم رام أن يرد الهزيمين فلم يمكنه ، فثبت في عصاة من أصحابه ، وجعل بعضهم يقتلون منه حتى بقى في شردمة قليلة ، وهو مع ذلك يسير قودما لا يمر بخيل إلا هزمهم ، وأهل الشام

بجوازون عنه عينا وشمالا ، وقد قتل أخوه حبيب بن المهلب ، فازداد حنقا وغيتا ، وهو على فرس له أنشوب . ثم قصد نحو سدة بن عبد الملك لا يريد غيره ، فلما واجه حملت عليه خيول الشام فقتلوه ، وقتلوا معه أخاه محمد بن المهلب ، وقتلوا السعيد بن عيش - وكان من الشجعان - وكان القدي قتل يزيد بن المهلب رجل يقال له : القنصل بن عيش ، فقتل إلى جانب يزيد بن المهلب ، وجاءوا برأس يزيد إلى سدة بن عبد الملك ، فأرسله مع خالد بن الوليد بن عتبة بن أبي ميثب - إلى أخيه أمير المؤمنين يزيد بن عبد الملك ، واستحوذ سدة على مافي معسكر يزيد بن المهلب ، وأسر منهم نحوًا من ثلاثمائة ، فبعثهم إلى الكوفة ، وبعث إلى أخيه فيهم ، فجاء كتابه بقتلهم ، فسار سدة ، فنزل الحيرة .

ولما انتهت حزيمة ابن المهلب إلى ابنه معاوية - وهو واسط - حمد إلى نحو من ثلاثين أسيرا في يده بقتلهم ، منهم : نائب أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز ، هذلي بن أوطاة - رحمه الله ، وابنه ، ومالك ، وعبد الملك - ابنا مسعود ، وجماعة من الأشراف ، ثم أقبل حتى أتى البصرة ومعه الخزائن من الأموال ، وجاء معه معه الفضل بن المهلب إليه ، فاجتمع آل المهلب بالبصرة ، فأعدوا الفتن ، ونجسوا أئم الجهاد ، واستعدوا للهرب ، فصاروا يبولون وأتخلم حتى أتوا جبل كرمات فزلوها ، واجتمع عليهم جماعة ممن قل من الجبل حتى كان مع يزيد بن المهلب ، وقد أتروا عليهم المنفل بن المهلب ، فأرسل سدة جيشا عليهم هلال بن ماجور الحساري<sup>(١)</sup> في طلب آل المهلب ، ويقال : إنهم أتروا عليهم رجلا يقال له : مدرك بن ضب الكلابي ، فلقبهم بجبال كرمات ، فاقتلوا هناك قتالا شديدا ، فقتل جماعة من أصحاب الفضل ، وأسر جماعة من أشرافهم وانهمز بقتلهم ، ثم لحقوا المنفل فقتلوه ، وحمل رأسه إلى سدة بن عبد الملك ، وأقبل جماعة من أصحاب يزيد بن المهلب فأخفوا لم أمانا من أمير الشام ، منهم : مالك بن إبراهيم بن الأشتر الثقفي ، ثم أرسلوا بالأختال والأموال والفساء والقرية ، فوردت على سدة بن عبد الملك ، ومعه رأس الفضل ، ورأس عبد الملك بن المهلب ، فبعث سدة يارموس وتسعة من الصبيان الحسان إلى أخيه يزيد ، فأمر بضرب أعناق أولئك ، ونصبت رموسهم بدمشق ، ثم أرسلها إلى حلب فقصبت بها ، ولحق سدة بن عبد الملك ليبيمن ذراري آل المهلب ، فاستقرام بعض الأمراء إزارا لقسمه بمائة ألف ، فأعتقهم وخلق سبيلهم ، ولم يأخذ سدة من ذلك الأمير شيئا .

وقد رثا الشعراء يزيد بن المهلب بقصائده ، ذكرها ابن جرير .

## ولاية مسلمة على بلاد العراق وخراسان

وذلك أنه لما فرغ من حرب آل الهلب ، كتب إليه أخوه يزيد بن عبد الملك بولاية الكوفة والبحيرة وخراسان في هذه السنة ، فاستجاب على الكوفة وعلى البصرة ، وبيت إلى خراسان حتى هـ زوج ابنته - سعيد بن عبد العزيز بن الحارث بن الحكم بن أبي العاص ، الملقب بخزينة<sup>(١)</sup> فسار إليها غرض أهلها على الصبر والجماعة ، وعاقب عمالا ممن كان ينوب لآل الهلب ، وأخذ منهم أموالا جزلة ، ومات بعضهم تحت العقوبة .

## ذكر وقعة جرت بين الترك والمسلمين

وذلك أن خاقان الملك الأعظم ملك الترك ، بث جيشا إلى الصفد لقتال المسلمين ، عليهم رجل منهم يقال له « كورصول » ، فأقبل حتى نزل على قصر الباهلي ، فحصره وفيه خاقان المسلمين ، فصار لهم نائب سمرقند - وهو عثمان بن عبد الله بن مطرف - على أربعين ألفا ، ودفع إليهم سبعة عشر دهمانا رهائن عندهم ، ثم ندب عثمان الناس ، فانتدب رجل يقال له المسيب بن بشر الراعي في أربعة آلاف ، فساروا نحو الترك ، فلما كان في بعض الطريق خطبهم ، فحثهم على القتال وأخبرهم أنه ذاهب إلى الأعداء اعطى الشهادة ، فرجع منه أكثر من ألف ، ثم لم يزل في كل منزل يخطبهم ، ويرجع عنه بعضهم . حتى بقى في سبعمائة مقاتل ، فسار بهم حتى غالت<sup>(٢)</sup> جيش الأتراك ، وهم محاصروا ذلك القصر ، وقد هزم للمسلمون الذين هم فيه على قتل نائهم ، وذبح أولادهم أمامهم ، ثم ينزلون فيقاتلون حتى يقتلوا من آخرهم ، فبعث إليهم للمسيب ينهتهم يومهم ذلك ، فقبضوا .

ومكث المسيب ، حتى إذا كان وقت السحر فكبر وكبر أصحابه ، وقد جعلوا شعارهم : يا محمد ! ثم حملوا على الترك حملة صادقة ، فقتلوا منهم خلقا كثيرا ، وعقروا دواب كثيرة ، ونهض إليهم الترك فقاتلهم قتالا شديدا ، حتى فرأ أكثر المسلمين ، وضربت دابة المسيب في مجزها فترجل وترجل معه الشجعان ، فقاتلوا وهم كذلك قتالا عظيما ، والقت الجماعة بالسيف وصبروا حتى فتح الله عليهم ، وفر المشركون بين أيديهم هاربين لا يلون على شيء ، وقد كان الأتراك في غاية الكثرة ، فنادى منادى المسيب : أن لا تنبموا أحدا ، وعليكم بالقصر وأهله ، فاحتلوم

(١) يقب بذلك : لأنه كان رجلا لنا سهلا منما ، وخزينة : هي الدهقانة ربه البيت .

(٢) أي رامن . والمالقة : الراحة .



وحازوا ما في مصكر أولئك الأتراك من الأموال والأشياء النفيسة ، وانصرفوا راجعين سالمين  
 بمن معهم من المسلمين الذين كانوا محصورين ، وجاءت الترك من القد فم يجحدوا به داعياً ولا محجياً ،  
 فقالوا في أنفسهم : هؤلاء الذين لقونا بالأمس لم يكونوا إنساً ، إنما كانوا جنًا .

ومن توفي فيها من الأعيان والسادة :

الضحاك بن مزاحم الحلالي : أبو القاسم ، ويقال : أبو محمد ، الخراساني ، كان يكون يبلغ  
 وسمرقند ونيسابور ، وهو تابعي جليل ، روى عن أنس وابن عمر وأبي هريرة ، وجماعة من  
 التابعين . وقيل : إنه لم يصب له سماع من الصحابة حتى ولا من ابن عباس سماع ، وإن كان قد  
 روى عنه أنه جاوره سبع سنين . وكان الضحاك ، إماماً في التفسير ، قال الثوري : حدثوا التفسير  
 من أربعة : مجاهد - وعكرمة - وسعيد بن جبير - والضحاك ، وقال الإمام أحمد : هو ثقة ،  
 وأنكر شعبة سماعه من ابن عباس ، وقال : إنما أخذ عن سعيد عنه . وقال ابن سميد القنطاري :  
 كان ضعيفاً . وذكره ابن حبان في الثقات ، وقال : لم يشافه أحداً من الصحابة ، ومن قال : إنه  
 لقي ابن عباس - فقد وهم ، وحملت به أمه سنتين ، ووضعت له أسنان ، وكان يعلم الصبيان حسبة ،  
 وقيل : إنه مات سنة خمس ، وقيل : سنة ست ومائة ، والله أعلم .

أبو المتوكل الناجي : اسمه علي بن البصري ، تابعي جليل ، ثقة ، رفيع القدر ، مات وقد بلغ  
 الثمانين - رحمه الله تعالى .

### ثم دخلت سنة ثلاث ومائة .

فيها : عزل أمير العراق وهو محمد بن هبيرة - سعيد المقب خديعة - عن نيابة خراسان ، وولى  
 عليها سعيد بن عمرو الكرخي ، بإذن أمير المؤمنين ، وكان سعيد هذا من الأبطال المشهورين ،  
 ازدهج له الترك وخافوه خوفاً شديداً ، وتمتعوا من بلاد الصغد إلى ما وراء ذلك ، من بلاد الصين  
 وغيرها . وفيها جمع يزيد بن عبد الملك لمبد الرحمن بن الضحاك بن قيس - بين إمرة المدينة وإمرة  
 مكة ، وولى عبد الرحمن الواحد بن عبد الله النضري نيابة الطائف . وحج بالناس فيها أمير الحرمين  
 عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس والله سبحانه وتعالى أعلم ومن توفي فيها من الأعيان .

يزيد بن أبي مسلم : أبو العلاء المدني ، عطاء بن يسار الحلالي ، أبو محمد القاص المدني - مولى  
 ميمونة ، وهو أخو سليمان ، وعبد الله ، وعبد الملك ، وكلهم تابعي . وروى هذا عن جماعة من  
 الصحابة ، ووثقه غير واحد من الأئمة ، وقيل : إنه توفي سنة ثلاث أو أربع ومائة ، وقيل : ربي  
 قبل المائة بالإسكندرية ، وقد جاوز الثمانين والله سبحانه أعلم .

مجاهد بن جبير السبكي : أبو الحجاج القزويني الخزوي - دولى السائب الخزوي ، أحد أئمة التابعين والقرنين . كان من أخصاء أصحاب ابن عباس ، وكان أعلم أهل زمانه بالتفسير ، حتى قيل : إنه لم يكن أحد يريد بالملم وجه الله إلا بمجاهد وطاوس . وقال مجاهد : أخذ ابن عمر ركابتي وقال : وددت أن أبني سائلا ، وغلاي نافعاً يحفظان حفظك . وقيل : إنه عرض القرآن على ابن عباس ثلاثين مرة ، وقيل : مرتين ، أفقه عند كل آية وأسأله عنها ، مات مجاهد وهو ساجد سنة مائة ، وقيل إحدى ، وقيل ثنتين ، وقيل ثلاث ومائة ، وقيل أربع ومائة ، وقد جاوز الثمانين ، والله أعلم

### فصل

أسند مجاهد عن أعلام الصحابة وعلمائهم ؛ من ابن عمر ، وابن عباس ، وأبي هريرة ، وابن عمرو وأبي سعيد ، ورافع بن خديج - وعنه خلق من التابعين . قال الطبراني : حدثنا إسحاق بن إبراهيم ثنا عبد الرزاق عن أبي بكر بن عياش قال : أخبرني أبو يحيى ، أنه سمع مجاهداً يقول : قال لي ابن عباس : لا تنامن إلا على وضوء ، فإن الأرواح تبحث على ما قبضت عليه .

وروى الطبراني عنه أنه قال في قوله تعالى : ( اذْقِعْ الْبَاقِيَ هِيَ أَشَدُّ )<sup>(١)</sup> قال : يعلم عليه إذا لقيه ، وقيل هي المصاحفة . وروى عمرو بن مرة عنه أنه قال : أوحى الله عز وجل إلى داود عليه السلام : اتق لا يأخذك الله على ذنب لا ينظر فيه إليك ، فلقاه حين تلقاه ، ولبست لك حاجبة . وروى ابن أبي شيبة عن أبي أمامة عن الأعمش عن مجاهد قال : كان بالمدينة أهل بيت ذوى حاجة عندهم رأس شاة ، فأصابوا شيئاً ، فقالوا : لو بئشنا بهذا الرأس إلى من هو أحوج إليه منا ! فبشوا به فلم يزل يدور بالمدينة حتى رجع إلى أصحابه الذين خرج من عندهم أولاً . وروى ابن أبي شيبة عن أبي الأحوص ، عن منصور عن مجاهد قال : ما من مؤمن يموت إلا بكى عليه السماء والأرض أربعين صباحاً . وقال : ( فَلَا تَقْسِمُ بِمِمْدُونِ )<sup>(٢)</sup> قال : في القبر . وروى الأوزاعي عن عبيدة بن أبي ليث ، عن مجاهد قال : كان يهج من بني إسرائيل مائة ألف ، فإذا بنوا أرصاف الحرم خلطوا ناملهم . ثم دجلوا الحرم حفاة . وقال يحيى بن سعد القطن ، قال مجاهد في قوله تعالى : ( يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ )<sup>(٣)</sup> قال : اطلبي الركود . وفي قوله تعالى : ( وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَعْظَمَ مِنْهُمْ يَصُوتُكَ )<sup>(٤)</sup> قال للزماير . وقال في قوله تعالى : ( أَنْسَكَلَا وَجَعِيَا )<sup>(٥)</sup> قال : قيوذا . وقال في قوله : ( لَأَحْجَبُ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ )<sup>(٦)</sup> قال : لا خصومة . وقال : ( ثُمَّ لَنُنَاقِرَنَّ يَوْمَئِذٍ مَنْ

(١) من الآية : ٢٤ من سورة فصلت

(٢) من الآية : ٤٣ من سورة آل عمران . (٤) من الآية : ٦٤ من سورة الإسراء .

(٥) من الآية : ١٢ من سورة الزمل (٦) من الآية : ١٥ من سورة الشورى

الزُّمَيْرُ (١) قال : عن كل لغة في الدنيا . وروى أبو الدَّبِيعِ عن جرير بن عبد الحبيب عن منصور  
عن مجاهد قال : رَنَ إبليس أربع رنات ، حين امن ، وحين أهبط ، وحين بعث النبي ﷺ ،  
ودين أنزلت ( الحمد لله رب العالمين ) وأنزلت بالمدينة وكان يقال : الرنة والرنخة من الشيطان ،  
فلمن رَنَ أو غرَّ (٢) وروى أن ينجح عنه في قوله تعالى ( أَتَدِينُونَ بِكُلِّ رِبٍّ آيَةً تَعْبَثُونَ ) (٣)  
قال : بر ، ج الحمام . وقال في قوله تعالى ( أَنْتَقِرُوا مِنْ حَيْثُ مَا كُنْتُمْ ) (٤) قال : للتجارة .  
وروى إيث بن مجاهد قال ( إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا ) (٥) قال : استقاموا فلم يشركوا  
حتى ماتوا وروى يحيى بن سعيد عن سفيان عن ابن عمر عن طلحة بن مصرف عن مجاهد ( ولم يكن  
له كرموا ) (٦) قال : صاحبة . وقال إيث عن مجاهد قال : الجملة التي كانت سليمان كانت مثل الذئب العظيم  
وروى الطبراني عن أبي يحيى عن مجاهد قال : كان الغلام من قوم عاد لا يحتمل حتى يبلغ  
مائتي سنة . وقال : ( سَأَلَ سَائِلٌ ) دعا داع . وفي قوله ( مَاءً فَدَقَّقَ ) لِيَفْقَهُهُمْ فِيهِ (٧) حتى  
يرجموا إلى على فيه ( لا يَشْرِكُونَ فِي شَيْئٍ ) (٨) قال لا يعبون غيري ( الَّذِينَ يَتَسَكَّرُونَ  
الْبَيِّنَاتِ ) (٩) قال : هم الزَّوَانِ . وفي قوله تعالى ( قُلِ الَّذِينَ آمَنُوا يَغْتَابُوا الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ  
اللَّهِ ) (١٠) قال : هم الذين لا يدرون أنهم الله عليهم أم لم ينعم . ثم قرأ ( وَذَكَّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ ) (١١)  
قال : أيده - نعمة . وقوله ( فَرَّذَوْهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ ) (١٢) فَرَّذَوْهُ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ وإلى رسوله  
مادام حياً ، فإذا مات فإلى سنته ( وَأَصْبَحَ عَلَيْكُمْ نِعْمَةٌ ظَاهِرَةٌ وَبَاطِنَةٌ ) (١٣) قال : أما الظاهرة  
فالإسلام والقرآن والرسول والرزق ، وأما الباطنة فما ستر من العيوب والذنوب . وروى الحكم  
عن مجاهد قال : لما قدمت مكة ساء هل سليمان عليه السلام رأت حطباً جزلاً ، فقالت لغلام سليمان  
هل يعرف مولاك كم وزن دخان هذا الحطب ؟ قال : الغلام : دمي مولاي ، أما أعرف كم وزن  
دخان ، فكيف مولاي ؟ قالت : فكيف وزنه ؟ فقال الغلام : يوزن الحطب ثم يحرق الحطب ويوزن  
رماحه فما نقص فهو دخانه . وقال في قوله تعالى ( وَمَنْ لَمْ يَذُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ) (١٤) قال :  
من لم يذب إذا أصبح ، وإذا أمسى فهو من الظالمين . وقال ما من يوم ينفض من الدنيا إلا قل

(١) من الآية : ٨ من سورة الشكائر (٣) رن : صاح ، والرنة : الهدنة ، ونحر : مد الصوت في - أشحه

(٣) من الآية : ١٢٨ من سورة الشعراء (٤) من الآية : ٢٦٧ من سورة البقرة

(٥) من الآية : ٣٠ من سورة فصلت (٦) من الآيتين : ١٦ - ١٧ من سورة الجن

(٧) من الآية : ٢٥ من سورة النور (٨) من الآية : ١٠ من سورة فاطر

(٩) من الآية : ١٤ من سورة الجاثية (١٠) من الآية : ٥ من سورة إبراهيم

(١١) من الآية : ٥٩ من سورة النساء (١٢) من الآية : ٢٠ من سورة لقمان

(١٣) من الآية : ١١ من سورة الحجرات

ذات اليوم : الحمد لله الذي أراحني من الدنيا وأهلها ، ثم يطوى عليه فيغتم إلى يوم القيامة ، حتى يكون الله عز وجل هو الذي يفض خانقه . وقال في قوله تعالى ( يَا أَيُّهَا الْمَلَأَةُ مِنِّي بُشًا )<sup>(١)</sup> قال : العلم والمنة . وقال : إنا أولى الأمر منكم القتها . وفي قوله تعالى : ( وَلَا تَقْهَبْهُمَا السُّبُلُ فَتَفْرَقَ بَيْنَكُمْ مِنْ سَبِيلِهِ )<sup>(٢)</sup> قال : الدرع والشهات ، وقال : أفضل العبادات الرأي الحسن - يعني اتباع السنة . وقال : ما أدري أي النعمتين أفضل ! أن هداني للإسلام ، أو عافاني من الأهواء ؟ . وقال في رواية : أولو الأمر منكم ، أصحاب محمد ، ورعا قال : أولو العقل والنقل والفضل في دين الله عز وجل ( عَمَّا صَنَعُوا قَارِعَةً )<sup>(٣)</sup> ، قال : السربة . ( وَيَخْرُجُنَّ مَالًا تَدْعُونَّ )<sup>(٤)</sup> ، قال : السوس في الثياب . ( بِهِنَ الْقَطَرُ مِنْهُ )<sup>(٥)</sup> ، قال : لأخراس . ( حَقِيًّا )<sup>(٦)</sup> ، قال : رحبا .

وروى عبد الله بن أحمد بن حنبل قال : وجدت في كتاب محمد بن أبي حاتم بخط يده : حدثنا بشر بن الحارث ، حدثنا يحيى بن عيان ، عن ثمان بن الأسود ، عن مجاهد : قال : لو أن رجلا اتفق مثل أحد في طاعة الله عز وجل لم يكن من السرفين . وفي قوله تعالى : ( وَهُوَ شَدِيدُ الْحِسَابِ )<sup>(٧)</sup> ، قال : المداوة . ( يَبْذُرُهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ )<sup>(٨)</sup> ، قال : بينهما حاجز من الله ، فلا يبغي الخلو على المالح ، ولا المالح على الخلو .

وقال ابن منده : ذكر محمد بن حديد : حدثنا عبد الله بن عبد القدوس ، عن الأعمش ، قال : كان مجاهد لا يسمع بأجوبة إلا ذهب فغظار إليها . قال : وذهب إلى حضرموت إلى بئر رهوت قال : وذهب إلى بابل . قال : وعليها وال صديق لمجاهد ، فقال مجاهد : تعرض على هاروت وهاروت ، قال : فدعا رجلا من السحرة ، فقال : اذهب بهذا فاعرض عليه هاروت وهاروت ، فقل اليهودي : بشرط أن لا تدعو الله - ندما ، قال مجاهد : فذهب إلى إلى قاعة فقطع منها حجرا ثم قال : جد رجلي ، فهو في حق انتهى إلى حوبة<sup>(٩)</sup> ، فإذا ما معلقين منكسين كالحلبين الفاسمين ، فلما رأتهما قلت : سبحان الله خالقكما ! قال : فاضطربا فكأن حيتال الدنيا قد تدكدكت ، قال : فنفسي على وعلى اليهودي ، ثم أفاق اليهودي قبلي ، فقال : قم ! كدت أن تهلك نفسك ونفسي .

وروى ابن فضيل ، عن ليث ، عن مجاهد قال : يؤتى يوم القيامة بثلاثة نفر : بالغي ،

- |                                     |                                      |
|-------------------------------------|--------------------------------------|
| (١) من الآية : ٢٦٩ من سورة البقرة . | (٢) من الآية : ١٥٣ من سورة الأنعام . |
| (٣) من الآية : ٣١ من سورة الرعد .   | (٤) من الآية : ٨ من سورة النحل .     |
| (٥) من الآية : ٤ من سورة مريم .     | (٦) من الآية : ٤٧ من سورة مريم .     |
| (٧) من الآية : ١٣ من سورة الرعد .   | (٨) من الآية : ٢٠ من سورة الرحمن .   |
| (٩) أي : مكان سي .                  |                                      |

والبرص ، والجد البؤس . قال : فيقول الله عز وجل للمنى : ما شئت من عبادى التى انا  
 خلقتك لها ؟ فيقول : يا رب اكثرت لى من المال فطنت . فيؤتى سليمان عليه السلام فى ملكه  
 فيقول انا : انت كنت اكثر مالا واشد شغلا ام هذا ؟ قال : فيقول : بل هذا يا رب ، فيقول  
 الله له : فلن هذا لم يمنه ما اوتى من الملك والمال والشغل عن عبادى . قال : ويؤتى بالبرص  
 فيقول : ائمتك من عبادى التى خلقتك لها ؟ فيقول : يا رب شغلنى من هذا مرض جسدى ،  
 فيؤتى بأبوب عليه السلام فى ضره وبلائه ، فيقول له : انت كنت اشد ضرًا ومرضًا ام هذا ؟  
 فيقول : بل هذا ، فيقول : ان هذا لم يشغل ضره ومرضه عن عبادى . ثم يؤتى بالملوك ،  
 فيقول الله له : ما منك من عبادى التى خلقتك لها ؟ فيقول : رب فضلت على اربابا فاسكونى  
 وشغلنى عن عبادتك . فيؤتى يوسف عليه السلام فى رقه وعبوديته ، فيقول الله له : انت  
 كنت اشد فى رقه وعبوديتك ام هذا ؟ فيقول : بل هذا يا رب ، فيقول الله : فلن هذا  
 لم يشغل ما كان فيه من الرق عن عبادى .

وروى حميد ، عن الأعمش ، عن مجاهد قال : كنت أصحب ابن عمر فى السفر ، فلما أردت أن  
 أركب مسك ركابى ، فلما ركبت سرى على ثيابى ، فرأى مرة كأنى كرهت ذلك فى ، فقال :  
 يا مجاهد إنك لصيق الخلق . وفى رواية : سمعت ابن عمر وأنا أريد أن أخدمه فـكان يخدمى .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا الثورى ، عن رجل ، عن مجاهد قال : جعلت  
 الأرض لك الموت مثل الماتت تناول منها حيث شاء ، وحمل له أوعان يتقون الأمس ،  
 ثم يقبضها منهم . وقال : لما سبط آدم إلى الأرض قال له : ابن للغراب ولما لقنناه .

وروى قتبية ، عن جرير ، عن منصور ، عن مجاهد : ( وَيَلْمَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ )<sup>(١)</sup> ، قال : تلمن  
 عصاة بنى آدم دواب الأرض : وما شاء الله حق الحيات والعقارب ، يقولون : مننا القطر بدوب  
 بنى آدم . وقال غيره : تسلط الحشرات على العصاة فى قبورهم ، لما كان بدالم من الشدة  
 بسبب ذنوبهم ، فذلك الحشرات من العقارب والحيات هى السمات التى كانوا يملونها فى الدنيا  
 ويسلدونها ، صارت عذابا عليهم . سأل الله العافية . وقال : ( إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ  
 لَكَنُودٌ )<sup>(٢)</sup> - لـكنود .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عمر بن سليمان ، حدثنى مسلم أبو عبد الله ، عن ليث ، عن مجاهد ،  
 قال : من لم يستع من الحلال خفت مؤنته وأراح نفسه . وقال عمرو بن زروق : حدثنا شعبة ،

(١) من الآية : ١٥٩ من سورة البقرة . (٢) من الآية : ٦ من سورة المائدة .

عن الحكم ، عن مجاهد قال : ( قُلْنَا : أَنْ لَنْ تَقْدِرَ عَلَيْهِ )<sup>(١)</sup> : أَنْ لَنْ تَأْخُذَهُ بِذَنْبِهِ . وَهَذَا إِسْنَادُهُ قَالَ : لَمْ أَكُنْ أَحْسَنَ مَا يُؤْخَرُفُ حَقَّ صِحَّتِهَا فِي قِرَاءَةِ عَبْدِ اللَّهِ يَتَقَا مَرَّةً ذَهَبَ .

وقال قتيبة بن سعيد : حدثنا خلف بن خليفة ، عن الليث ، عن مجاهد : إِنْ اللَّهُ مَرَّ وَجِلٌ لِيَصْلَحَ بِصَلَاحِ الْعَبْدِ وَلَهُ . قَالَ : وَيُلْقِي أَنْ عَيْسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ يَقُولُ : طَوَى لِلتَّوَمِينَ كَيْفَ يَخْلُقُهُ اللَّهُ فِيمَنْ تَرَكَ بَخِيرَ . وَقَالَ الْفَضِيلُ بْنُ مِيَاضَ ، عَنْ عَبْدِ الْمَكْتَبِ ، عَنْ مجاهد فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ( وَتَقَطَّعَتْ يَوْمَ الْأَشْيَابِ )<sup>(٢)</sup> : الْأَوْصَالُ الَّتِي كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا .

وروى سفيان بن عيينة ، عن سفيان الثوري ، عن ابن أبي مجيح ، عن مجاهد فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ( لَا يَرْفَعُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً )<sup>(٣)</sup> ، قَالَ : الْإِلُّ - اللَّهُ مَرَّ وَجِلٌ . وَقَالَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ( تَرْثِيهِ اللَّهُ خَيْرَ لَكُمْ )<sup>(٤)</sup> : طَاعَةُ اللَّهِ مَرَّ وَجِلٌ . وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ( وَلَيْسَ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتُ )<sup>(٥)</sup> ، قَالَ : هُوَ الَّذِي يَذْكُرُ اللَّهُ عِنْدَ الْمَوْتِ بِالْعَامِيِّ .

وقال الفضيل بن عياض ، عن منصور ، عن مجاهد : ( سِيمَاءٌ فِي وُجُوهِهِمْ )<sup>(٦)</sup> : الْخُشُوعُ . وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ( وَرَمَوْا فِيهَا نَارًا )<sup>(٧)</sup> : الْقَنُوتُ : التَّكْوِيدُ وَالْخُشُوعُ ، وَغَضَّ الْبَصَرَ ، وَخَفَضَ الْجَنَاحَ مِنْ رَهْبَةِ اللَّهِ . وَكَانَ الْمَلَأَ إِذَا قَامَ أَحَدُهُمْ فِي الصَّلَاةِ هَابَ الرَّحْمَنِ أَنْ يَشُدَّ بَصَرَهُ ، أَوْ يُلْفِتَ ، أَوْ يَغْلِبَ الْحَصَا ، أَوْ يَمِثَّ بَشْيَءً ، أَوْ يَحْدُثَ نَفْسَ بَشْيَءٍ مِنَ الدُّنْيَا ، إِلَّا خَاشَعًا مَا دَامَ فِي صَلَاتِهِ .

وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل : حدثنا أبو عمرو ، حدثنا ابن إدريس ، حدثني عقبة بن إسحاق - وَأَتَقَى عَلَيْهِ حَيْرًا - حدثنا ليث ، عن مجاهد قال : كَذَبَتْ إِذَا رَأَيْتَ الْعَرَبَ اسْتِغْفِيَتْهَا وَجَدَتْهَا مِنْ وَرَاءِ دُخَانٍ ، فَإِذَا دَخَلُوا فِي الصَّلَاةِ فَكَلَعُوا أَجْسَادَ لَيْسَتْ فِيهَا أَرْوَاحٌ

وروى الأعمش عنه قال : إِذَا الْقَلْبُ مَرَّةً لَلْكَفِّ ، فَإِذَا أَذْنُ الرَّجُلِ ذُنْبًا قَبِضَ هَكَذَا - وَضَمَّ الْخَنْصَرَ حَقَّ ضَمِّ أَصَابِعِهِ كُلِّهَا أَصْبَغًا أَصْبَغًا - قَالَ : ثُمَّ يَطْبَعُ ، فَسَكَتُوا يَرُونَ ذَلِكَ الرَّانَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ( كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ )<sup>(٨)</sup> .

وروى قبيصة ، عن سفيان الثوري ، عن منصور ، عن مجاهد : ( بَلَى مَنْ كَسَبَ خَيْرًا )

- |                                      |                                     |
|--------------------------------------|-------------------------------------|
| (١) من الآية : ٨٧ من سورة الأنبياء . | (٢) من الآية : ١٦٦ من سورة البقرة . |
| (٣) من الآية : ١٠ من سورة التوبة .   | (٤) من الآية : ٨٦ من سورة هود .     |
| (٥) من الآية : ٤٦ من سورة الرحمن .   | (٦) من الآية : ٢٩ من سورة المفتح .  |
| (٧) من الآية : ٢٣٨ من سورة البقرة .  | (٨) من الآية : ١٤ من سورة الطه .    |

وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ<sup>(١)</sup> قال : الذنوب تحيط بالقلب كالخائط للمني على الشيء المحيط ، كما حمل ذنباً ارتفعت حتى تنشى القلب حتى تكون هكذا - ثم قبض يده - ثم قال : هو الران . وفي قوله : ( بِمَا قَدَّمْ وَأَخَّرَ<sup>(٢)</sup> ) قال : أول عمل العبد وآخره ( وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ<sup>(٣)</sup> ) قال : إذا فرغت من أمر الدنيا ، فتمت إلى الصلاة ، فأجمل رغبتك إليه ، ونيتك له .

وعن منصور ، عن مجاهد ( النَّفْسُ لِلطَّغْيَةِ<sup>(٤)</sup> ) قال : هي النفس التي قد أيقنت أن الله ربه ، وضربت - حاشا لأمره وطاعته - وروى عبد الله بن المبارك ، عن ليث ، عن مجاهد ، قال : ما من ميت يموت إلا عرض عليه أهل مجلسه ، إن كان من أهل الذكر فن أهل الذكر ، وإن كان من أهل اللغو فهو من أهل اللغو . وقال أحمد : حدثنا هاشم بن القاسم ، حدثنا محمد بن طلحة ، عن زبيد ، عن مجاهد ، قال : قال إبليس : إن يمجزي ابن آدم ، فإن يمجزي من ثلاث خصال : أخذ مال بغير حق ، وإفراقه في غير حقه<sup>(٥)</sup> .

وقال أحمد : حدثنا ابن عمر قال : قال الأعشى : كنت إذا رأيت مجاهداً ظننت أنه حرم مدح<sup>(٦)</sup> قد ضل حماره فهو مهم . وعن ليث ، عن مجاهد قال : من أكرم نفسه وأعزها أذل دينه ، ومن أذل نفسه أعز دينه . وقال شعبة ، عن الحكم ، عن مجاهد قال : قال لي : يا أبا النزاى ! كم لبث نوح في الأرض ؟ قال : قلت : ألف سنة إلا خمسين عاماً . قال : فإن الناس لم يزدادوا في أعمارهم وأجسادهم وأخلاقهم إلا قصاً .

وروى أبو بكر بن أبي شيبة ، عن أبي علية ، عن ليث ، عن مجاهد ، قال : ذهبت العلماء فبقوا إلا القوم ، وما المجتهد فيكم إلا كاللاعب فيمن كان قلبكم .

وروى ابن أبي شيبة أصحاً ، عن ابن إدريس ، عن ليث ، عن مجاهد قال : لو لم يصب السلم من أخيه إلا أن يحياه منه يمتنه من العاصي - لسكان في ذلك خير . وقال : العقبة من يخاف الله وإن قل عمله ، والجاهل من عصى الله وإن كثر عمله . وقال : إن العبد إذا أتى الله على قلبه أقبل الله بقلوب المؤمنين إليه . وقال في قوله تعالى : ( وَتَوَلَّى وَجْهَكَ فَطَوَّارٌ<sup>(٧)</sup> ) قال : حرك فأصلح . ( وَإِنَّا لَوَاقِعٌ مِنْ فَضْلِهِ<sup>(٨)</sup> ) قال : ليس من عرض الدنيا . ( أَلَيْسَ جَاءَ بِالصَّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ<sup>(٩)</sup> )

(١) من الآية : ٨١ من سورة البقرة . (٢) من الآية : ١٣ من سورة القيامة .

(٣) سورة ألم نشرح لك صدرك . (٤) من الآية : ٣٧ من سورة الحجر .

(٥) كذا بالأصل ، وفيه نقص ظاهر ولم نشر على باقيه .

(٦) المدح : الذي عظم بطنه وتدل من السن . والهمم : الحزن . (٧) من الآية : ٤ من سورة المدثر .

(٨) من الآية : ٣٣ من سورة النساء . (٩) من الآية : ٣٣ من سورة الزمر .

قال : هم الذين يمشون بالقرآن قد اتبعوه وعملوا بما فيه . وقال : **وقول القرآن لعبد إني ملك ما اتبعني ، فإذا لم تعمل لي انعمتك ( وَلَا تَنْسَ نِعْمَتَكَ مِنَ الدُّنْيَا )<sup>(١)</sup>** قال : خذ من دنياك لآخرتك ، وذلك أن تعمل فيها بطاعة الله عز وجل .

وقال داود بن الحخير ، عن عباد بن كثير ، عن عبد الوهاب بن معاهد ، عن أبيه معاهد بن جبير قال : قلت لابن عمر : أي حجاج بيت الله أفضل وأعظم أجراً ؟ قال : من جمع ثلاث خصال : نية صادقة ، وعقلاً وارداً ، ونفقة من حلال ، فذكرت ذلك لابن عباس ، فقال : صدق ، فقلت : إذا صدقت نيته ، وكانت نفقته من حلال ، فأذا بغيره فله عقله ؟ فقال : يا أبا حجاج ! سألتني عما سألت عنه رسول الله ﷺ ، فقال : « والذي نفسي بيده ما أطاع العبد الله بشيء أفضل من حسن العقل ، ولا يقبل الله صوم عبد ولا صلاته ، ولا شيئاً مما يكون من عمله من أنواع الخير إن لم يعمل بعقل ، ولو أن جاهلاً فاق المجتهد في العبادة ، كان ما يفسد أكثر مما يصلح » قلت : ذكر العقل في هذا الحديث ورفعه إلى النبي ﷺ من المنكرات والموضوعات ، والثلاث الخصال مرفوعة على ابن عمر ، من قوله : من جمع ثلاث خصال ، إلى قوله : قال ابن عباس صدق ، والباقي لا يصح رفعه ولا وقفه ، وداود بن الحخير - كنيته : أبو سليمان .

قال الحاكم : حدث ببغداد عن جماعة من الثقات بأحاديث موضوعة ، حدث بها عنه الحارث ابن أبي أسامة . وله كتاب العقل ، وأكثر ما أودع ذلك الكتاب موضوع على رسول الله ﷺ وذكر العقل مرفوعاً في هذه الرواية له من حديثها ، والله أعلم . وقد كذبه أحمد بن حنبل [ <sup>(٢)</sup> ] .

مصعب بن سعد بن أبي وقاص : تابعي حليل القدر .

موسى بن طلحة بن مبيد الله التيمي : كان يلقب بالمهدي إصلاحه ، كان تاجمياً جليل القدر ، من سادات المسلمين - رحمه الله

### ثم دخلت ستة أربع ومائة

فيها : قاتل حميد بن عمرو الحارثي - نائب خراسان - أهل الصفد ، وحاصر أهل حنينة ، وقتل خلقاً كثيراً ، وأخذ أموالاً جزيلة ، وأسر رقيقاً كثيراً جداً . وكتب بذلك إلى يزيد بن عبد الملك ، لأنه هو الذي ولاه .

(١) من الآية : ٧٧ من سورة القصص .

(٢) من أول الفصل إلى هنا زيادة من المصنف .



وفي ربيع الأول منها : عزل يزيد بن عبد الملك عن إمرة الحرمين . عبد الرحمن بن الضحاك ابن قيس ، وكان سببه : أنه خطب فاطمة بنت الحسين ، فامتنعت من قبول ذلك ، فألح عليها وتوعدها ، فأرسلت إلى يزيد تشكوه إليه ، فبعث إلى عبد الواحد بن عبد الله النضري - نائب الطائف - فواله المدينة ، وأن يضرب عبد الرحمن بن الضحاك حتى يسمع صوته أمير المؤمنين ، وهو متكئ على فراشه بدمشق ، وأن يأخذ منه أربعين ألف دينار . فلما بلغ ذلك عبد الرحمن ركب إلى دمشق ، واستجار بمسيلة بن عبد الملك ، فدخل على أخيه فقال : إن لي إليك حاجة ، فقال : كل حاجة تقولها فهي لك - إلا أن تكون ابن الضحاك ، فقال : هو والله حاجتي ، فقال : والله لا أقبلها ولا أفتو عنه ، فردّه إلى المدينة ، فقتله عبد الواحد فضر به ، وأخذ ماله حتى تركه في جبة صوف ، فسأل الناس بالمدينة ، وكان قد باشر نيابة المدينة ثلاث سنين وأشهرًا . وكان الزهري قد أشار عليه برأى شديد ، وهو أن يسأل العلماء إذا أشكل عليه أمر ، فلم يقبل ، ولم يفعل ، فأبغضه الناس وذمه الشراء ، ثم كان هذا آخر أمره .

وفيها : عزل عمر بن هيرة - سعيد بن عمرو الخرشى عن خراسان ، وذلك أنه كان يستخف بأمر ابن هيرة ، فلما عزله أحضره بين يديه وفاقبه ، وأخذ منه أموالا كثيرة ، وأمر بقتله ، ثم عفا عنه ، وولى على خراسان مسلم بن سعيد بن أسلم بن زوزة الكلبي ، فسار إليها فاستخلص أموالا كانت منكسرة في أيام سعيد بن عمرو الخرشى .

وفيها : غزا الجراح بن عبد الله الحسكي نائب أرمينية وأذربيجان ، أرض الترك ، ففتح بلنجر<sup>(١)</sup> ، وهزم الترك ، وغرقهم وذراهم في الماء ، وسبى منهم خلقا كثيرا ، وافتتح عامة الحصون التي على بلنجر ، وأجل عامة أهلها ، والتقى هو والخلان لك ، فحرب بينهم وقعة هائلة آل الأمر فيها إلى أن انهزم خالفان ، وتبهم للسلون ، فقتلوا منهم مقتلة عظيمة ، قتل فيها خلق كثير لا يحصون .

وحج بالناس في هذه السنة : عبد الواحد بن عبد الله النضري - أمير الحرمين والطائف ، وعلى نيابة العراق وخراسان عمر ، ونائبه على خراسان مسلم بن سعيد يومئذ .

وفي هذه السنة : ولد السفاح - وهو أبو العباس عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس للقب بالسفاح - أول خلفاء بني العباس ، وقد بايع إياه في الباطن جماعة من أهل العراق .  
ونبأ : توفي من الأخيан :

خالد بن سمدان السكلاحي : [ له روايات عن جماعة من الصحابة ، وكان تابعيا جليلا ، وكان من العلماء ، وأئمة الدين للمدودين المشهورين ، وكان يستبح كل يوم أربعين ألف تسبيحة وهو صائم ، وكان إمام أهل حمص ، وكان يصل التراويح في شهر رمضان ، فكان يقرأ فيها في كل ليلة ثلث القرآن . وروى الجوزجاني عنه أنه قال : من اجتاز حل للالوم <sup>(١)</sup> في مُراد الحق ، قلب الله تلك الحامد عليه ذما . وروى ابن أبي الدنيا عنه قال : ما من عبيد إلا وله أربعة أعين : عينان في وجهه يبصر بهما أمر دنياه ، وعينان في قلبه يبصر بهما أمر آخرته ، فإذا أراد الله بالمعبد خيرا فتح عينيه الثنتين في قلبه فأبصر بهما أمر آخرته ، وما غيب ، فأمن النعم بالغييب ، وإذا أراد الله بالمعبد خلاف ذلك ترك المبدأ للقلب على ما هو عليه ، فقراه ينظر فلا ينفع ، فإذا نظر قلبه شغ ، وقال : بصر القلب من الآخرة ، وبصر العينين من الدنيا ، وله فضائل كثيرة رحمه الله تعالى <sup>(٢)</sup> .

طاهر بن سمد بن أبي وقاص الليثي : له روايات كثيرة من أبيه وغيره ، وهو تابعي جليل ، ثقة مشهور .

طاهر بن سرحيل الشامي : توفي فيها في قول [ كان الشامي من شب سمدان ، كنيته أبو عمرو ، وكان علامة أهل الكوفة ، كان إماما حافظا ، ذا فنون ، وقد أدرك خلقا من الصحابة وروى عنهم ومن جماعة من التابعين . وعنه أيضا روى جماعة من التابعين . قال أبو حمز : ما رأيت أفقه من الشامي . وقال مكحول : ما رأيت أحدا أعلم بسنة ماضية منه . وقال داود الأودي : قال لي الشامي : قم معي هاهنا حتى أفيدك علما ، بل هو رأس العلم . قلت : أي شيء . فبديني ؟ قال : إذا سئلت عما لا تعلم فقل : الله أعلم ، فإنه علم حسن . وقال : لو أن رجلا سافر من أقصى اليمن لحفظ كلمة تنفعه فيما يستقبل من عمره ما رأيت سفره ضائعا ، ولو سافر في طلب الدنيا أو الشهوات إلى خارج هذا السجد ، رأيت سفره مقربة وضائعا . وقال : العلم أكثر من عدد الشجر ، نخذ من كل شيء أحسنه <sup>(٣)</sup> .

أبو بردة بن أبي موسى الأشمري : تولى قضاء الكوفة قبل الشامي ، فلهن الشامي تولى في خلافة عمر بن عبد العزيز ، واستمر إلى أن مات . وأما أبو بردة فإنه كان قاضيا في زمن الحجاج ، ثم حزه الحجاج ، وولى أخاه أبا بكر . وكان أبو بردة قسبا حافظا عالم ، وله روايات كثيرة .

(١) للالوم : جمع للامة - وهي الثلاثة - أي اللوم والمثل (٢) ما بين التوسين زيادة في المصرية .

أبو قلابة الجري [ عبد الله بن يزيد البصري ، له روايات كثيرة عن جماعة من الصحابة وغيرهم ، وكان من كبار الأئمة والفقهاء ، وطلب القضاء فهرب منه وتغرب ، قدم الشام فزل دارياً ، وبها مات - رحمه الله - قال أبو قلابة : إذا أحدث الله لك علماً فأحدث له عبادة ، ولم يكن همك ما تحدث به الناس ، فقل غيرك ينفع ويستغنى وأنت في الظلة تستمر ، وإنى لأرى هذه المجالس إنما هي مناخ البطالين . وقال : إذا بلغك من أخيك شيء تكرهه ، فاقص له عذراً جهديك فإن لم تجد عذراً نقل : لعل لأخي عذراً لا أعلمه <sup>(١)</sup> .

### ثم دخلت سنة خمس ومائة

فيها : غزا الجراح بن عبد الله الحسكي بلاد اللان <sup>(٢)</sup> ، وفتح حصوناً كثيرة ، وببلاداً منسمة الأكناف من وراء بلسنجر ، وأصاب غنائم جمّة ، وسبي خلقاً كثيراً من أولاد الأتراك .

وفيها : غزا مسلم بن سميد بلاد الترك ، وحاصر مدينة عظيمة من بلاد الصغد ، فصالحه ملكها على مال كثير يحمله إليه .

وفيها : غزا سميد بن عبد الملك بن مروان بلاد الروم ، فيمث بين يديه سرية في نحو ألف فارس ، فأصيبوا جميعاً .

وفيها : غلبت قسطنطين من شهبان منها - توفي أمير المؤمنين يزيد بن عبد الملك بن مروان بأربد ، من أرض البلقاء <sup>(٣)</sup> ، يوم الجمعة ، وعمره ما بين الثلاثين والأربعين ، وهذه ترجمته :

هو : يزيد بن عبد الملك بن مروان ، أبو خالد القرشي ، الأدوي - أمير المؤمنين ، وأمه : عائكة بنت يزيد بن معاوية . قيل : إنها دفنت بقرع عائكة ، فسميت الحقة إليها <sup>(٤)</sup> ، والله أعلم . بويع له بالخلافة بعد عمر بن عبد العزيز في وجب من سنة إحدى ومائة بعد من أخيه سليمان ، إن يكون الخليفة بعد عمر بن عبد العزيز ، غلبت قسطنطين من وجب .

قال محمد بن يحيى الذهلي : حدثنا كثير بن هشام ، ثنا جعفر بن برقان ، حدثني الزهري قال : كان لا يرث المسلم الكافر ، ولا الكافر المسلم في عهد رسول الله ﷺ ، وإنى بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلى . فلما ولي الخلافة معاوية ورث المسلم من الكافر ، ولم يورث الكافر من المسلم ، وأخذ بذلك الخلفاء من بعده . فلما قام عمر بن عبد العزيز راجع السنة الأولى ، وتبعه في ذلك يزيد ابن عبد الملك ، فلما قام هشام أخذ بسنة الخلفاء - يعني أنه ورث المسلم من الكافر - .

(١) ما بين القوسين زياده في بعض النسخ . (٢) اللان : بلاد وامة في طرف أرمينية .

(٣) البلقاء : من أرض دمشق . (٤) قبر عائكة : حقة من محلات دمشق معروفة بهذا الاسم إلى اليوم .

وقال الوليد بن مسلم من ابن جابر قال : بينما نحن عند مكحول ، إذ أقبل يزيد بن عبد الملك  
فهمنا أن نوسع له ، فقال مكحول : دعوه يجلس حيث انتهى به المجلس ، يتعلم التواضع .

وقد كان يزيد هذا يكثر من مجالسة العلماء قبل أن يلى الخلافة ، فلما ولى مزم على أن يتأذى  
بمصر بن عبد العزيز ، فأنزله قرناء السوء ، وحسنوا له الظلم . قال حرمة عن ابن وهب عن  
عبد الرحمن بن زيد بن أسلم قال : لما ولى يزيد بن عبد الملك قال : سيروا بسيرة عمر ، فمكت  
كذلك أربعين ليلة ، فأتى بأربعين شيخاً ، فشهدوا له أنه ما على الخلفاء من حساب ولا عذاب .  
وقد اتهمه بعضهم في الدين ، وليس بصحيح ، إنما ذلك ولده الوليد بن يزيد كما سيأتى ، أما هذا  
فما كان به بأس ، وقد كتب إليه عمر بن عبد العزيز : أما بعد إني لا أراى إلا ملأ<sup>(١)</sup> بي ،  
وما أرى الأمر إلا سيفضى إليك ، فله الله في أمة محمد ، فإنك عما قبل ميتة قد دفع الدنيا إلى من  
لا يذكرك ، والسلام .

وكتب يزيد بن عبد الملك إلى أخيه هشام : أما بعد ، فإن أمير المؤمنين قد بلنه أنك  
استبطأت حياته وتميت وفاته ودمت الخلافة ، وكتب في آخره :

تمنى رجال أن أموت وإن أمت      فلك - بيل لست فيها بأوحد  
وقد علموا لو ينفع العلم عندكم      متى ما الباقى على - بمخدد  
منيته تجمرى لوقت وحشة      بصادف يوما على غير موعده  
فقل لذي بيق خلاف اذى مضى      نهياً لأخرى مثلها وكان قد

فكتب إليه هشام : جعل الله يومى قبل يومك ، وولدى قبل ولدك ، فلا خير فى العيش بعدك .  
وقد كان يزيد هذا يحب حظية من حظايا يقال لها : حبابة - بتشديد الباء الأولى - والصحيح  
تحفيظها - واسمها : المالكة ، وكانت جميلة جداً ، وكان قد اشترأها فى زمن أخيه بأربعة آلاف دينار ،  
من عثمان بن سول من حنيف ، فقال له أخوه سليمان : لقد همت أحجر على يدك ، فبأها ، فلما  
أنضت إليه الخلافة قالت له امرأتة سعدة يوماً : يا أمير المؤمنين اهل بى فى نفسك من أمر الدنيا  
شئ ؟ قال : نعم ، حبابة ، فبعت امرأتة فاشتريتها له ، ولبستها وصنعها وأجاستها من وراء الستارة  
وقالت له أيضاً : يا أمير المؤمنين اهل بى فى نفسك من أمر الدنيا شئ ؟ قال : أو ما أخبرتك ؟  
قالت : هذه حبابة - وأبرزتها له وأخلط بها وتركته وإياها - فخلعت الجارية عنده ، وكذلك  
زوجته أيضاً<sup>(٢)</sup> ، قال يوماً : أشتى أن أخطر بحبابة فى قصر مدتهن الدهر ، لا يكون عندنا أحد ،

(١) العلم : الجمع الكثير . يريد : تجمع الناس حوله عند وفاته

(٢) سعدة : زوجة من آل عثمان بن عفان .

فقل ذلك ، وجمع إليه في قصره ذلك - حياة ، وليس عنده فيه أحد ، وقد فرش له بأنواع الفرش والبسط المائلة ، والنسمة الكثيرة السابغة ، فبينما هو معها في ذلك القصر على أسر حال وأنعم بال ، وبين يديه عنب يأكلان منه ، إذ رماها بحبة عنب وهي تضعك فشرقت بها فانت ، فكثت أياما يقبلها ويرشها وهي ميتة حتى أفتت وجيفت ، فأمر بدفنها ، فلما دفنها أقام أياما عندها على قبرها هاتما ، ثم رجع إلى المنزل ، ثم عاد إلى قبرها فوقف عليه وهو يقول :

قُلْ تَلْ عَنْكَ النَّفْسُ أَوْ تَدْعُ الصَّبَا      فَاَلْبَابُ تَسْلُو عَنْكَ لَا بِالتَّجَلَدِ  
وَكُلْ خَلِيلُ زَارِقِي فَهُوَ قَاتِلُ      مِنْ أَجْلِكَ هَذَا هَامَةُ الْيَوْمِ أَوْ غَدِ

ثم رجع فما خرج من منزله حتى خرج بنمسه ، وكان مرضه بالسل . وذلك بالسواد - سواد الأردن - يوم الجمعة لخمس بقين من شعبان من هذه السنة - أعني سنة خمس ومائة .

وكانت خلافته أربع سنين وشهرا على المشهور ، وقيل : أقل من ذلك ، وكان عمره ثلاثا وثلاثين سنة ، وقيل : خسا ، وقيل : ستا ، وقيل : ثمانيا ، وقيل : تسعا وثلاثين . وقيل : إنه بلغ الأربعين ، فافقه أعلم .

وكان طويلا جسيما أبيض مدور الوجه أنعم<sup>(١)</sup> القم لم يشب ، وقيل : إنه مات بالجولان ، وقيل : بحوران ، وصل عليه ابنه الوليد بن يزيد . وعمره خمس عشرة سنة ، وقيل : بل صل عليه أخوه هشام بن عبد الملك ، وهو الخليفة بعده ، وحل على أعناق الرجال حتى دفن بين الجالية وباب الصير بدمشق ، وكان قد عهد بالأمر من بعده لأخيه هشام ، ومن بعده لولده الوليد ابن يزيد ، فبايع الناس من بعده هشاما .

### خلافه هشام بن عبد الملك بن مروان

بويح له بالخلافة يوم الجمعة بعد موت أخيه ، لخمس بقين من شعبان من هذه السنة - أعني سنة خمس ومائة - وله من العمر أربع وثلاثون سنة واشتهر ؛ لأنه وقد لما قتل أبوه عبد الملك - مصعب ابن الزبير في سنة ثنتين وسبعين ، فسماه منصور يتأولا ، ثم قدم فوجد أمه قد أحسنته باسم أبيها هشام ، فأقره . قال الواقدي : أنه الخليفة وهو بالزيتونة في منزل له ، فجاءه البريد بالمواعظ والخاتم ، فسلم عليه بالخلافة ، فركب من الرضاقة حتى أتى دمشق ، فقام بأمر الخلافة أتم القيام ، فمزل في شوال منها من إمرة الهراق وخراسان - عمر بن هبيرة ، وولى عليها خالد بن عبد الله القسري ،

وقيل : إنه استعمل على العراق في سنة ست ومائة ، والشهور الأول .

وحج بالناس فيها : إبراهيم بن هشام بن إسماعيل الخزوي - خال أمير المؤمنين ، أخو أمه عائشة بنت هشام بن إسماعيل ، ولم تلد من عبد الملك سواء حتى طلقها ، لأنها كانت حقة .

وفيها : قوى أمر دعوة بني العباس في السر بأرض العراق ، وحصل لديهم أموال جزيلة يستعينون بها على أمرهم ، ومأمم يصدده . وفيها : توفي من الأعيان :

أبان بن عثمان بن عفان : تقدم ذكر وفاته سنة خمس وثمانين ، كان من فقهاء التابعين وعلمائهم . قال عمرو بن شعيب : ما رأيت أعلم منه بالحديث والفقه . وقال يحيى بن سعيد القطان : فقهاء المدينة عشرة ، فذكر أبان بن عثمان أحدهم ، وخارجة بن زيد ، وسالم بن عبد الله ، وسعيد ابن السيب ، وسليمان بن يسار ، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، وعروة ، والقاسم ، وقبيصة بن ذؤيب ، وأبو سلمة بن عبد الرحمن . قال محمد بن سعد : كان به صمم ووضوح<sup>(١)</sup> ، وأصابه الفالج<sup>(٢)</sup> قبل أن يموت بسنة ، وتوفي سنة خمس ومائة .

أبو رجاء العطاردي . طاهر السمي ، في قول وقد تقدم ، وكثير عزة في قول . وقيل : في التي بعدها ، كما يأتي .

### ثم دخلت سنة ست ومائة

ففيها : عزل هشام بن عبد الملك عن إمارة المدينة ومكة والطائف - عبد الواحد بن عبد الله النضري ، وولى على ذلك كله خاله - إبراهيم بن هشام بن إسماعيل الخزوي .

وفيها : غزا سعيد بن عبد الملك الصائفة . وفيها : غزا مسلم بن سعيد مدينة فرغانة ومعاملتها ، فلقية عندها الترك ، وكانت بينهم وقعة هائلة ، قتل فيها الخاقان وطاشة كبيرة من الترك .

وفيها : أوغل الجراح الحسكى في أرض الخزر ، فصالحوه وأعطوه الجزية والخراج .

وفيها : غزا الحجاج بن عبد الملك الألبان ، فقتل خلقاً كثيراً ، وغنم ، وسلم .

وفيها : عزل خالد بن عبد الله القسري عن إمارة خراسان - مسلم بن سعيد ، وولى عليها أخاه أسد بن عبد الله القسري .

وحج بالناس في هذه السنة : أمير المؤمنين هشام بن عبد الملك ، وكتب إلى أبي الزناد قبل

دخوله المدينة ليتلقاه ، ويكتب له مناسك الحج ، فقبل ، فتلقاه الناس من المدينة إلى أثناء الطريق ، وفيهم أبو الزناد ، قد امتثل ما أمر به . وتلقاه - فبين تلقاه - سعيد بن هيد الله بن الوليد بن عثمان ابن عفان ، فقال له : يا أمير المؤمنين ، إن أهل بيتك في مثل هذه اللواتن الصالحة لم يزالوا يعلمون أبا تراب ، فآلمته أنت أيضا . قال أبو الزناد : فتش ذلك على هشام واستفقه ، وقال : ما قدمت لشم أحد ، ولا لمة أحد ، إنما قدمنا حاجا . ثم أعرض عنه وقطع كلامه ، وأقبل على أبي الزناد بحادثه ، ولما انتهى إلى مكة عرض له إبراهيم بن طاحنة ، فتظلم إليه في أرض ، فقال له : أين كنت من عبد الله ؟ قال : ظلمي ، قال : فالوليد ؟ قال : ظلمي ، قال : فسلطان ؟ قال : ظلمي ، قال : فمسر بن عبد العزيز ؟ قال : ردها على ، قال : فبزيد ؟ قال : انتزعتها من يدي ، وهي الآن في يدك ، فقال له هشام : أما لو كان فيك مضرب لضربك ، قال : بل ، ف" مضرب بالسوط والسيف ، فانصرف عنه هشام ، وهو يقول لمن معه : ما رأيت أفصح من هذا .

وفيها : كان العامل على مكة وللمدينة والطفانف - إبراهيم بن هشام بن إسماعيل ، وعلى العراق وخراسان خالد القسري ، والله سبحانه أعلم . ومن توفي فيها :

سالم بن هيد الله بن عمر بن الخطاب ، أبو عمرو الفقيه ، أحد الفقهاء ، وأحد العلماء . [ وله روايات عن أبيه وغيره ، وكان من الصياد الزهاد ، ولما حج هشام بن عبد الله دخل الكعبة ، فإذا هو بسالم بن هيد الله ، فقال له : يا سالم ! سئلى حاجة ، فقال : إني لأستحي من الله أن أسأل في بيته غيره ، فلما خرج سالم خرج هشام في أثره فقال له : الآن قد خرجت من بيت الله فسئلى حاجة ، فقال سالم : من حوائج الدنيا أم من حوائج الآخرة ؟ قال : من حوائج الدنيا ، فقال سالم : إني ما سألت الدنيا من يملكها ، فكيف أسألكم من لا يملكها ؟ وكان سالم خشن الميش ، يلبس الصوف الخشن ، وكان يبالغ بيده أرضا له وغيرها من الأعمال ، ولا يقبل من الخلفاء ، وكان مطروضا ، وكان شديد الأدمة ، وله من الزهد والورع شيء كثير .

طاوس بن كيسان البياى ، من أكبر أصحاب ابن عباس ، وقد ترجمنا في كتابنا « التكميل » وفيه الحمد انتهى ، وقد زدنا هنا في ترجمة سالم بن هيد الله بن عمر بن الخطاب - زيادة حسنة .

فأما طاوس فهو : أبو عبد الرحمن طاوس بن كيسان البياى ، فهو أول طبقة أهل اليمن من التابعين ، وهو من أبناء الفرس الذين أرسلهم كسرى إلى اليمن .

أدرك طاوس جماعة من الصحابة ، وروى عنهم ، وكان أحد الأئمة الأعلام ، قد جمع العبادة والزهادة ، وألم النافع ، والعمل الصالح ، وقد أدرك خمسين من الصحابة ، وأكثر روايته عن

ابن عباس ، وروى عنه خلق من التابعين وأعلامهم ، منهم : مجاهد ، وعطاء ، وعمر بن دينار ، وإبراهيم بن ميسرة ، وأبو الزبير ، وعبد الله بن المنكدر ، والزهرى ، وحبيب بن أبى ثابت ، وليث بن أبى سليم ، والضحاك بن مزاحم ، وعبد الملك بن ميسرة ، وعبد الكريم بن الخارق ، ووهب بن منبه ، والنفيرة بن حكيم الصنعاني ، وعبد الله بن طاوس ، وغير هؤلاء .

توفى طاوس بمكة حاجا ، وصلى عليه الخليفة هشام بن عبد الملك ، ودفن بها - رحمه الله تعالى . قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق قال : قال أبى : مات طاوس بمكة ، فلم يصلوا عليه حتى يموت هشام ابنه بالحرس . قال : فلقد رأيت عبد الله بن الحسن واضحا السرير على كاهله . قال : ولقد سقطت فلسفة كانت عليه ، ومزق ردائه من خلقه - يعنى من كثرة الزحام - فكيف لا ، وقد قال النبي ﷺ : « الإيمان بمان » . وقد خرج من اليمن خلق من هؤلاء المشار إليهم في هذا وغيره ، منهم : أبو مسلم ، وأبو إدريس ، ووهب ، وكعب ، وطلوس ، وغير هؤلاء كثير .

وروى ضمرة ، عن ابن شوذب قال : شهدت جنازة طاوس بمكة سنة خمس ومائة ، فجلوا يقولون : وحم الله أباه عبد الرحمن ، حج أربعين حجة .

وقال عبد الرزاق : حدثنا أبى قال : توفى طاوس بالمزدلفة - أو بمعى - حاجا ، فلما حل أخذ عبد الله بن الحسن بن علي بقائمة سريره ، فزأله حتى بلغ القبر .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق قال : قدم طاوس بمكة ، فقدم أمير المؤمنين ، فقيل لطلوس : إن من فضله ، ومن ، ومن ، فلو أنبته ! قال : مالى إليه حاجة ، فقالوا : إنا نخاف عليك ، قال : فاعو إذا كانوا يقولون .

وقال ابن جرير : قال لى عطاء : جادى طاوس فقال لى : يا عطاء ! إياك أن ترفع حوائجك إلى من أغلق دونك بابه ، وجعل دونه حجابا ، وإليك بطلب من بابه لك مفتوح إلى يوم القيامة ، طلب منك أن تدعوه ، ووعدك الإجابة . وقال ابن جرير : من مجاهد ، من طاوس ( أولئك ينادون من مكان بعيد ) <sup>(١)</sup> قال : بعيد من قومهم .

وروى الأصبغى ، عن سفيان ، عن ليث قال : قال لى طاوس : ما تملت من العلم فتمله لنفسك ، فإن الإيمان والصدق قد ذهبا من الناس .

وقال عبد الرحمن بن مهدي ، عن حماد بن زيد ، عن الصلت بن راشد ، قال : كنا عند طاوس ، فجاءه مسلم بن قتيبة بن مسلم - صاحب خراسان - فسأله عن شيء ، فأنهه طاوس ،



فقلت : هذا مسلم بن قتيبة بن مسلم - صاحب خرسان ، قال : ذاك أهون له علي . وقال طاووس : إن منزلك قد استقرم<sup>(١)</sup> ، فقال : أمسينا .

وروى عبد الرزاق ، عن معمر ، عن ابن طاووس في قوله تعالى ( وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا )<sup>(٢)</sup> قال : في أمور النساء ، ليس يكون في شيء أضعف منه في النساء .

وقال أبو بكر بن أبي شيبة : حدثنا يحيى بن بكير ، حدثنا إبراهيم بن نافع ، عن ابن طاووس ، عن أبيه قال : أتني عيسى بن مريم عليه السلام إبليس ، فقال إبليس ليعسى : أما علمت أنه ابن يهيدك إلا ما كتب الله لك ؟ قال : نعم ، قال إبليس : فأوف بذروة هذا الجبل فترد منه ، فانظر أنميش أم لا ؟ قال عيسى : أما علمت أن الله تعالى قال : لا يجربني عيسى ، فإني أفضل ما شئت . وفي رواية عن الزهري عنه قال : قال عيسى : إن العبد لا يحتقر ربه ، ولكن الرب يحتقر عبده . وفي رواية أخرى : إن العبد لا يتنزل ربه ، ولكن الرب يتنزل عبده . قال : فخصمه عيسى عليه السلام . وقال فضيل بن عياض ، عن أيث ، عن طاووس قال : حج الأبرار على الرجال . رواه عبد الله بن أحمد عنه .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو نعيم ، عن ابن أبي داود قال : رأيت طاووساً وأصحاباً له إذا صلوا العصر استقبلوا القبلة ، ولم يكلموا أحداً ، وابتلوا إلى الله تعالى في الدعاء . وقال : من لم يبخل ولم يل مال يتيم - لم ينله جهد البلاد . روى عنه أبو داود الطيالسي ، وقد رواه الطبراني ، عن محمد بن يحيى بن المنذر ، عن موسى بن إسماعيل ، عن أبي داود فذكره . وقال لابنه : يا بني ! صاحب القلاء تنسب إليهم وإن لم تكن منهم ، ولا تصاحب الجهال فتندب إليهم وإن لم تكن منهم ، واعلم أن لكل شيء غاية ، وغاية المروءة حسن عقله .

وسأله رجل من مسألة فأنهره ، فقال : يا أبا عبد الرحمن ! إني أخوك ، قال : أخى من دون الناس ؟ وفي رواية : أن رجلاً من الخوارج سأله فأنهره ، فقال : إني أخوك ، قال : أم بين المسلمين كلمهم ؟ .

وقال عفان ، عن حماد بن زيد ، عن أيوب قال : سألت رجلاً طاووساً عن شيء فأنهره ، ثم قال : تريد أن تهمل في عنقي حبلًا ثم يطاف بي ؟ . ورأى طاووس رجلاً مسكيناً في عينه عشب وفي ثوبه وسخ ، فقال له : عد ! إن الفقر من الله ، فأين أنت من الماء ؟

(١) استقرم الحائط : دعا إلى إصلاحه وترميمه لقدمه .

(٢) من الآية : ٢٨ من سورة النساء .

وروى الطبراني عنه قال : إقرار ببعض الظلم خير من القيام فيه . وعن عبد الرزاق ، عن داود بن إبراهيم ، أن الأسد حبس الناس ليلة في طريق الحج ، فذق الناس بعضهم بعضاً ، فما كان السحر ذهب عنهم الأسد ، فنزل الناس يميناً وشمالاً ، فألقوا أنفسهم ، وقام طائوس يصل ، فقال له رجل - وفي رواية : فقال ابنه - : ألا تنام ؟ فإني قد سهرت ونصبت هذه الليلة ؟ قال : وهل ينام السحر أحد ؟ وفي رواية : ما كنت أظن أحداً ينام السحر . وروى الطبراني عن طريق عبد الرزاق ، عن أبي جريح ، وابن مينة قالوا : حدثنا ابن طائوس قال : قلت لأبي : ما أفضل ما يقال على الميت ؟ قال : الاستغفار .

وقال الطبراني : حدثنا عبد الرزاق قال : سمعت النعمان بن الزبير الصنعاني : يحدث أن محمد بن يوسف - أو أيوب بن يحيى - بعث إلى طائوس بصيحاته ديناراً ، وقال للرسول : إن أخذها منك فإن الأمير سيكسوك ، ويحسن إليك . قال : فخرج بها حتى قدم على طائوس الجند ، فقال : يا أبا عبد الرحمن ! نفقة بعث بها الأمير إليك ، فقال : مالي بها من حاجة . فأراه على أخذها بكل طريق ، فأبى أن يقبلها ، فنزل طائوس ، فرى بها الرجل من كوة في البيت ، ثم ذهب راجعاً إلى الأمير ، وقال : قد أخذها ، فسكرتوا حينئذ ، ثم بانهم عن طائوس ما يكرهون - أو شيء يكرهونه - فقالوا : ابشوا إياه فابيضت إلينا بماننا ، فجاءه الرسول فقال : لال الذي بعثه إليك الأمير ردّه إلينا ، فقال : ما قبضت منه شيئاً ، فرجع الرسول إليهم فأخبرهم ، فعرفوا أنه صادق ، فقالوا : انظروا الذي ذهب بها إليه ، فأرسلوه إليه ، فجاءه فقال : لال الذي جئتكم به يا أبا عبد الرحمن . قال : هل قبضت منك شيئاً ؟ قال : لا ! قال : فقام إلى للسكان الذي رى به فيه فوجدها كما هي ، وقد بنت عليها المنكبوت ، فأخذها ، فذهب بها إليهم .

ولما حج سليمان بن عبد الملك قال : انظروا إلى فتيها أسأله عن بعض الناسك . قال : فخرج الحاجب ياتمس له ، فقرأ طائوس ، فقالوا : هذا طائوس البياض ، فأخذه الحاجب ، فقال : أجب أمير المؤمنين ، فقال : اعفني ، فأبى ، فأدخله عليه . قال طائوس : فلما وقت بين يديه قلت : إن هذا المقام يتألى الله عنه ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إن صخرة كانت على شفير جهنم هوت فيها سبعين خريفاً حتى استقرت في قرارها ، أندري لمن أعدها الله ؟ قال : لا ! ! ويك لمن أعدها الله ؟ قال : لمن أشركه الله في حكمه فخار . وفي رواية ذكرها الزهري : أن سليمان رأى رجلاً يطوف بالبيت ، له جمال وكال ، فقال : من هذا يا زهري ؟ فقلت : هذا طائوس ، وقد أدركت من العصابة ، فأرسل إليه سليمان فأنابه ، فقال : لو ما حدثتنا ! فقال : حدثني أبو موسى قال : قال رسول الله ﷺ : « إن أهون الخلق على الله عز وجل من ولي من أمور المسلمين

شيئاً فلم يقبل فيهم . فتغير وجه سليمان ، فأطرق طويلاً ، ثم رفع رأسه إليه فقال : لو ما حدثتنا ؟ فقال : حدثني رجل من أصحاب النبي ﷺ - قال ابن شهاب : تلمذت أنه أراد علياً - قال : دعاني رسول الله ﷺ إلى طعام في مجلس من مجالس قريش ، ثم قال : « إن لكم على قريش حقاً ، ولم على الناس حق ، ما إذا استرحوا رحوا ، وإذا حكموا عدلوا ، وإذا اتصنوا أدوا ، فمن لم يقبل فعله لمة الله ولللائكة والناس أجمعين ، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً » . قال : فتغير وجه سليمان ، وأطرق طويلاً ، ثم رفع رأسه إليه وقال : لو ما حدثتنا ؟ فقال : حدثني ابن عباس أن آخر آية نزلت من كتاب الله : ( وَأَتَقُوا يَوْمَ تُرْجَمُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ )<sup>(١)</sup> .

وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل : حدثني أبو معمر ، عن ابن هبيرة ، عن إبراهيم بن ميسرة قال : قال عمر بن عبد العزيز لطاوس : ارفع حاجتك إلى أمير المؤمنين - يعني سليمان - قال طاوس : مالي إليه من حاجة ، فسكأنه حجب من هذا . قال صفيان : وحلف لنا إبراهيم ، وهو مستقبل الكعبة : ورب هذا البيت ما رأيت أحداً الشريف والوضيع عنده بمنزلة واحدة - إلا طاوس . قال : وجاء ابن سليمان بن عبد الملك ، فجلس إلى جنب طاوس ، فلم يلتفت إليه ، فقيل له : جلس إليك ابن أمير المؤمنين فلم تلتفت إليه ، قال : أردت أن أعلم هو وأبوه أن الله عبداً يزهدون فيهم وفيما في أيديهم .

وقد روى عبد الله بن أحمد ، عن ابن طاوس قال : خرجنا حجاجاً ، فزلنا في بعض القرى ، وكنت أخاف أبي من الحسكام لشدة غلظه عليهم . قال : وكان في تلك القرية عامل لحمد بن يوسف - أخى الحجاج بن يوسف - يقال له : أبوب بن يحيى . وقيل : يقال له : ابن نجيع ، وكان من أخبت علم كبراً وتجبراً . قال : فشهدنا صلاة الصبح في المسجد ، فإذا ابن نجيع قد أخبر بطاوس ، فجاء فقدم بين يدي طاوس ، فسلم عليه ، فلم يجبه ، ثم كله فأعرض عنه ، ثم عدل إلى الشق الآخر ، فأعرض عنه ، فلما رأيت ما به قتل إليه وأخذت بيده ، ثم قالت له : إن أبا عبد الرحمن لم يتركك ، فقال طاوس : بلى ! إلى به لمارف ، فقال الأمير : إنه بي لمارف ، ومعرفة في فعلت بي ما رأيت . ثم مضى وهو ساكت لا يقول شيئاً ، فلما دخلت المنزل قال لي أبي : يا لكُم ! أينما أنت تقول : أريد أخرج عليهم بالسيف لم تستطع أن تحبس عنهم لسانك . وقال أبو عبد الله الشامي : أتيت طاوساً فاستأذنت عليه ، فخرج إلى ابنه شيخ كبير ، فقلت :

أنت طاموس؟ فقال: لا أنا ابنه، قلت: إن كنت أنت ابنه، فإن الشيخ قد خرف<sup>(١)</sup>، فقال: إن العالم لا يخرف، فدخلت عليه، فقال طاموس: سل فأوجز، قلت: إن أوجزت أوجزت لك، فقال: تريد أن أجمع لك في مجلسي هذا التوراة والإنجيل والقرآن؟ قال: قلت: نعم، قال: خف الله مخافة لا يكون عندك شيء أخوف منه، وارح رجاء هو أشد من خوفك إياه، وأحب للناس ما تحب لنفسك.

وقال الطبراني: حدثنا إسحاق بن إبراهيم، حدثنا عبد الرزاق، عن معمر، عن ابن طاموس، عن أبيه قال: جاء يوم القيامة بالسلايل وصاحبه فيقعا جان، فيقول صاحب السلايل للعالم: جئتكم في يوم كذا في شهر كذا في سنة كذا، فيقول السلايل: ألم أقض لك الخواص؟ أنا الذي حلت بينك وبين أن تصنع فيما أمرك الله عز وجل من حبك إلي؟ فيقول صاحب السلايل: إن هذا الذي نقد على حبال أوثق بها وأقيد.

وقال عثمان بن أبي شيبة: حدثنا أبي، حدثنا يحيى بن الضريس، عن أبي سفيان، عن حبيب بن أبي ثابت قال: اجتمع عندي خمسة، لا يجتمع عندي مثلهم قط: عطاء، وطاموس، ومجاهد، وسعيد بن جبير، وعكرمة.

وقال سفيان: قلت لمبيد الله بن أبي يزيد: مع من كنت تدخل على ابن عباس؟ قال: مع عطاء والمامة، وكان طاموس يدخل مع الخاصة. وقال حبيب: قال لي طاموس: إذا حدثتكم حديثاً قد أنبته فلا تسأل عنه أحداً - وفي رواية - فلا تسأل عنه غيره.

وقال أبو أسامة: حدثنا الأعمش، عن عبد الملك بن ميسرة، عن طاموس قال: أدركت خمسين من أصحاب رسول الله ﷺ. وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق، حدثنا معمر، أخبرني ابن طاموس قال: قلت لأبي: أريد أن أتزوج فلانة، قال: اذهب فانظر إليها. قال: فذهبت، فلبست من صالح ثيابي، وغسلت رأسي، وادهنت، فلما رأني في ذلك الحال قال: اجلس فلا تذهب.

وقال عبد الله بن طاموس: كلن أبي إذا سار إلى مكة سار شهراً، وإذا رجع رجع في شهر، قلت له في ذلك، قال: بانني أن الرجل إذا خرج طاعة لا يزال في سبيل الله حتى يرجع إلى أهله. وقال حمزة، عن حلال بن كعب قال: كان طاموس إذا خرج من اليمن لم يشرب إلا من تلك المياه القديمة الجاهلية، وقال له رجل: ادع الله لي، فقال: ادع لنفسك، فإني يجب للضرر إذا دعا.

(١) خرف - كثر وفرح وكرم - فسد عقله.

وقال الطبراني : حدثنا إسحاق بن إبراهيم ، حدثنا عبد الرزاق ، عن ميمر ، عن ابن طاوس ، عن أبيه قال : كان رجل فيا خلا من الزمان ، وكان عاقلاً لبيكاً ، فمكبر فقد في البيت ، فقال لابنه يوماً : إني قد اغتممت في البيت ، فلو أدخلت على رجلاً يكلموني ! فذهب ابنه ، فجمع شراً فقال : ادخلوا على أبي غدتوه ، فإن سمعتم منه منكراً فاعذروه فإنه قد كبر ، وإن سمعتم منه خيراً فاقبلوه . قال : فدخلوا عليه ، فكان أول ما تكلم به أن قال : إن أكيس الكيس التقى ، وأعجز العجز الفجور ، وإذا تزوج الرجل فليزوج من مدن صالح ، فإذا اطلعت على غيرة رجل فاعذروه ، فإن لها أخوات .

وقال سلمة بن شبيب : حدثنا أحمد بن نصر بن مالك ، حدثنا عبد الله بن عمر بن مسلم الجبيري ، عن أبيه قال : قال طاوس لابنه : إذا قبرتني فانظر في قبري ، فإن لم يجدني فاحد الله تعالى ، وإن وجدتني فإنا لله وإنا إليه راجعون . قال عبد الله : فأخبرني بمضاهيه أنه نظر فلم يره ، ولم يجد في قبره شيئاً ، ورؤي في وجه السرور ،

وقال قبيصة : حدثنا سفيان ، عن سعيد بن محمد قال : كان من دعاء طاوس يدعو : اللهم اخرمني كثرة المال والولد ، وارزقني الإيمان والعمل . وقال سفيان ، عن ميمر : حدثنا الزهري قال : لو رأيت طاوس بن كيسان علمت أنه لا يكذب .

وقال عون بن سلام : حدثنا جابر بن منصور - أخو إسحاق بن منصور - السلولي ، عن عمران بن خالد الخزازي قال : كنت جالساً عند عطاء ، فجاء رجل فقال : أبا محمد ! إن طاوساً يزعم أن من صلى المشاء ، ثم صلى بعدها ركعتين يقرأ في الأولى : ( آمم تنزيل ) السجدة ، وفي الثانية : ( تبارك الذي بيده الملك )<sup>(١)</sup> ، كتب له مثل وقوف حرفة ووليته القدر . فقال عطاء : صدق طاوس ما تركتها . وقال ابن أبي السري : حدثنا ميمر ، عن ابن طاوس ، عن أبيه قال : كان رجل من بني إسرائيل ، وكان ربما داوى الجانين ، وكانت امرأة جيلة ، فأخذها الجنون ، فحى بها إليه ، فنزلت عنده فأحبته ، فوقع عليها فحلت ، فجاء الشيطان فقال : إن علم بها انقضت ، فأقتلها وادفنها في بيتك ، فقتلها ودفنها ، فجاء أهلها بعد ذلك بزمان يسألونه عنها ، فقال : ماتت ، فلم يسموه لصلاحه ومنزلته ، فباعد الشيطان فقال : إنها لم تمت ، ولكن قد وقع عليها فحلت ، فقتلها ودفنها في بيته ، في مكان كذا وكذا ، فجاء أهلها فقالوا : ما تهبك ، ولكن أخبرنا أين دفنتها ؟ ومن كان ملك ؟ فيشوا بيته فوجدوها حيث دفنها ، فأخذوه فحبسوه وسجنوه ، فباعد الشيطان فقال : أنا صاحبك ، فإن كنت تريد أن أخرجك بما أنت فيه فاكفر بالله ، فأطاع الشيطان فكفر بالله عز وجل ، قتل ، فقبراً منه الشيطان حينئذ . وقال طاوس : ولا أعلم

أن هذه الآية نزلت إلا فيه ، وفي مثله ( كَتَبَ الشَّيْطَانُ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ ، فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ )<sup>(١)</sup> .

وقال الطبراني : حدثنا إسحاق بن إبراهيم ، حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا معمر ، عن ابن طاوس ، عن أبيه قال : كان رجل من بني إسرائيل له أربعة بنين ، فرض ، فقال أحدهم : إما أن تعرضوا أمانا وليس لكم من ميراثه شيء ، وإما أن أمرضه وليس لي من ميراثه شيء ، فرضه حتى مات ودفنه ، ولم يأخذ من ميراثه شيئا ، وكان صغيرا وله ميلال ، فأتى في النوم ، فقيل له : إيت مكان كذا وكذا ، فاحفره تجد فيه مائة دينار نفعها ، فقال للآتي في المنام : بركة أو بلا بركة ؟ قال : بلا بركة ، فلما أصبح ذكر ذلك لأمراته ، فقالت : اذهب نفعها ، فإن من يركنها أن تكسوف منها ونميش منها ، فأبى ، وقال : لا آخذ شيئا ليس فيه بركة . فلما أمسى أتى في منامه ، فقيل له : إيت مكان كذا وكذا نخذ منه عشرة دنانير ، فقال : بركة أو بلا بركة ؟ قال : بلا بركة ، فلما أصبح ذكر ذلك لأمراته ، فقالت له مثل ذلك ، فأبى أن يأخذها ، ثم أتى في الليلة الثالثة فقيل له : إيت مكان كذا وكذا نخذ منه دينار ، فقال : بركة أو بلا بركة ؟ قال : بركة ، قال : نعم إذا .

فلما أصبح ذهب إلى ذلك المكان الذي أثير إليه في المنام ، فوجد الدينار فأخذه ، فوجد صيدا يحمل حوتين ، فقال : بكم هما ؟ قال : بدنار ، فأخذها منه بذلك الدينار ، ثم انطلق بهما إلى امراته ، فقامت تصلحهما ، فشقت بطن أحدهما فوجدت فيه حبة لا يقوم بها شيء ، ولم ير الناس مثله ، ثم شقت بطن الآخر فإذا فيه حبة مثله . قال : فاحتاج لك ذلك الزمان حبة ، فبست يطلبها حيث كانت ليشتريها ، فلم توجد إلا عنده ، فقال الملك : إيت بها ، فأناها بها ، فلما رآها حلاها الله عز وجل في عينيه ، فقال : بسببها ، فقال : لا أضعها عن وقر ثلاثين بنلا ذهباً ، فقال الملك : أرضوه ، فخرجوا به يوقروا له ثلاثين بنلا ذهباً . ثم نظر إليها الملك فأعجبته إعجاباً عظيماً ، فقال : ما تصلح هذه إلا بأختها ، اطلبوا لي أختها . قال : فأتوه ، فقالوا له : هل عندك أختها ونعطيك ضعف ما أعطيتك ؟ قال : وتقدمون ؟ قالوا : نعم ، أتى الملك بها ، فلما رآها أخذت قبله فقال : أرضوه ، فأضعفوا له ضعف أختها ، والله أعلم .

وقال عبد الله بن المبارك : حدثنا وهيب بن الورد ، حدثنا عبد الجبار بن الورد قال : حدثني داود بن سابور قال : قلنا لطاوس : ادع بدعوات ، فقال : لا أجد قلبك حسيبة<sup>(٢)</sup> .

وقال ابن جرير ، عن ابن طلوس ، عن أبيه قال : البخل أن يبخل الإنسان بما في يده ، والشح أن يحب أن له ما في أيدي الناس بالحرام لا يفتح . وقيل : الشح هو ترك القناعة ، وقيل : هو أن يشح بما في يده غيره ، وهو مرض من أمراض القلب يبينى لانه أن يره من نفسه وينفيه ما استطاع ، وهو يأمرنا بالبخل ، كما في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ قال : « اتقوا الشح ، فإن الشح أهلك من كان قبلكم [ أمرم ] بالبخل فبخلوا ، وبالقناعة فتعلموا ، وهذا هو الحرص على الدنيا وحبا » .

وقال ابن أبي شيبة : حدثنا الحارثي ، عن ليث : عن طلوس قال : ألا رجل يقوم بمشر آيات من القليل فيصبح قد كتب له مائة حسنة ، أو أكثر من ذلك ، ومن زاد زيد في ثوابه .

وقال قتيبة بن سعيد : حدثنا سفيان بن عيينة ، عن هشام بن حجير ، عن طلوس قال : لا يتم نكح الشاب حتى يتزوج . وعن سفيان ، عن إبراهيم بن ميسرة قال : قال لي طلوس : أفتنكهن أو لأقولن لك ما قال عمر بن الخطاب لأبي الزوائد : ما يمنك من النكاح إلا عجز أو فجور .

وقال طلوس : لا يحرز دين المؤمن إلا حفرته . وقال عبد الرزاق ، عن معمر بن طلوس وغيره : إن رجلا كان يسير مع طلوس ، فسمع الرجل غرابا ينسب ، فقال : خير ، فقال طلوس : أي خير عند هذا أو شر ؟ لا تصبني ، ولا تمس مني .

وقال بشر بن موسى : حدثنا الحميدي ، حدثنا سفيان ، عن ابن طلوس ، عن أبيه قال : إذا غدا الإنسان أتبعه الشيطان ، فإذا أتى المنزل فلم ينكس الشيطان وقال : لا مقيل ، فإذا أتى بدائه . فذكر اسم الله قال : ولا غداء ولا مقيل ، فإذا دخل ولم يسلم قال الشيطان : أذكرنا للقول ، فإذا أتى بدائه ولم يذكر اسم الله عليه قال الشيطان : مقيل وغداء ، وفي المشاء مثل ذلك . وقال : إن الملائكة يكتبون صلاة بنى آدم ؛ فلان زاد فيها كذا وكذا ، وقلان نقص فيها كذا وكذا ، وذلك في الركوع والسجود .

وقال : لما خافت النار طارت أفضة الملائكة ، فلما خلق آدم سكنت ، وكان إذا سمع صوت الرعد يقول : سبحان من سبعت له .

وقال الإمام أحمد : حدثنا سفيان ، عن ابن أبي نعيم قال : قال مجاهد لطلوس : يا أبا عبد الرحمن رأيك تصلي في السكبة والنهي ﷺ على بابها يقول لك : اكشف قناعك ، وبين قراءتك . فقال له : اسكت ، لا يسمع هذا منك أحد . ثم تخيل لي أن انبسط في الحديث .

وقال أحمد أيضا بهذا الإسناد : إن طلوسا قال لأبي نعيم : يا أبا نعيم أ من قال واخفى الله خير عن سميت واخفى .

وقال مسعر ، عن رجل : إن طائوساً أتى رجلاً في السحر ، فقالوا : هو نائم ، فقال : ما كنت أرى أن أحداً ينام في السحر . وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل : حدثنا محمد بن يزيد ، حدثنا ابن يمان ، عن مسعود ، فذكره . قال الثوري : كان طائوس يجلس في بيته ، فقيل له في ذلك ، فقال : حيف الأئمة وفساد الناس .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق قال : أخبرني أبي قال : كان طائوس يصل في غداة باردة معتمة ، فمر به محمد بن يوسف صاحب اليمن وحاجبها - وهو أخو الحجاج بن يوسف - وطائوس ساجد ، والأمير راكب في مركبه ، فأمر بساج<sup>(١)</sup> أو طيلسان مرتفع القيمة ، فطرح على طائوس وهو ساجد ، فلم يرفع رأسه حتى فرغ من حاجته ، فلم سلم نظر فلذا الساج عليه ، فانتفض فألقاه عنه ، ولم ينظر إليه ، ومضى إلى منزله وتركه ملقى على الأرض .

وقال نعيم بن حماد : حدثنا حماد بن عيسى ، عن ابن جريج ، عن عطاء ، عن طائوس ، عن ابن عباس : ما من شيء يتكلم به ابن آدم إلا كتب عليه حتى أنه في مرضه ، فلما مرض الإمام أحمد أن ، فقيل له : إن طائوساً كان يكره أن ينال المرض ، فتركه .

وقال أبو بكر بن أبي شيبة : حدثنا الفضل بن دكين ، حدثنا سفيان ، عن أبيه ، عن داود ابن شايور قال : قال رجل لطائوس : ادع الله لنا ، فقال : ما أجده بقلبي خشية فأدعوك لك .

وقال ابن طائوت : حدثنا عبد السلام بن هاشم ، عن الحسن بن أبي الحصين المنبري قال : مر طائوس برأس<sup>(٢)</sup> قد أخرج رموساً فمشى عليه . وفي رواية : كان إذا رأى الرموس للشوية لم يمش تلك الليلة .

وقال الإمام أحمد : حدثنا هاشم بن القاسم ، حدثنا الأشجعي ، عن سفيان الثوري قال : قال طائوس : إن الموتى يفتنون في قبورهم سفيان<sup>(٣)</sup> ، وكانوا يستنجون أن يطعم عنهم تلك الأيام . وقال ابن إدريس : سمعت لبنا يذكر عن طائوس ، وذكر النساء ، فقال : فيهن كفر من مضى وكفر من بقى . وقال أبو هاشم ، عن يقية ، عن سلمة بن وهرام ، عن طائوس قال : كان يقال : اسجد للقرن في زمانه ، أمي أطعمه في للمروف .

وقال أبو بكر بن أبي شيبة : حدثنا أسامة ، حدثنا نافع بن عمر ، عن بشر بن هاشم قال : قال طائوس : ما رأيت مثلي أحداً آمن على نفسه ، ولقد رأيت رجلاً لو قيل لي : من أفضل من تعرف ؟ قلت : فلان ذلك الرجل ، فكشكت على ذلك حينئذ ، ثم أخذه وجع في بطنه ، فأصاب

(١) الساج : الطيلسان الأخضر ، وجمعه سيجان . (٢) الرأس - كنداد - بالغ الرموس .

(٣) السنب : الجوع .



منه شيئاً استنضح بطنه عليه ، فاشتبه ، فزأده في نطح<sup>(١)</sup> ما أدرى ، أى طرفيه أسرع حتى مات  
 عرفاً وروى أحمد ، حدثنا هشيم قال : أخبرنا أبو بشر عن طاوس ، أنه رأى فتية من قريش  
 يرفلون في مشيتهم ، قال : أنكم لتلبسون لبسة ما كانت آباؤكم تلبسها ، وتمشون مشية ما يمشن  
 الزلفون<sup>(٢)</sup> أن يمشوها . وقال أحمد : حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر ، أن طاوساً قام على رفيق  
 له مرض حتى فاته الحج - لعله هو الرجل المتقدم قبل هذا ، استنضح بطنه - وقال معمر بن كدام  
 عن عبد الكبير السلم قال طاوس : قال ابن عباس : سئل النبي ﷺ : من أحسن قراءة ؟ قال  
 « من إذا سمعته يقرأ رأيت أنه يخشى الله عز وجل » . وقد روى هذا أيضاً من طريق ابن لهيعة  
 عن عمرو بن دينار ، عن طاوس قال : قال ابن عباس : إن النبي ﷺ قال : « إن أحسن الناس  
 قراءة من قرأ القرآن يتعز به<sup>(٣)</sup> » . وعنه عن عبد الله بن عمرو بن البمل قال : رأيت  
 رسول الله ﷺ وعلى ثوبان مصفران فقال : « أمك أمرتك بهذا ؟ قلت : أغشاهما ؟ قال : بل  
 أحدهما » رواه مسلم في صحيحه ، عن داود بن راشد ، عن عمر بن أيوب ، عن إبراهيم بن نافع  
 عن سليمان الأحول عن طاوس به .

وروى محمد بن سلمة ، عن إبراهيم بن ميسرة ، عن طاوس عن ابن عمرو قال : قال  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الجلاوة والشرط<sup>(٤)</sup> وأهوان الغلالة كلاب النار » . انفرد به  
 محمد بن مسلم الطائفي .

وقال الطبراني : حدثنا محمد بن الحسن الأنطاقي البغدادي ، حدثنا عبد الزمزم بن إدريس  
 حدثنا أبي عن وهب بن منبه عن طاوس عن أنس بن مالك قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول  
 لعلي بن أبي طالب : « يا علي استكثر من المأرف من المؤمنين ، فسكن من معرفة في الدنيا ركة في  
 الآخرة » . ففنى علي ، فأقام حيناً لا ياتي أحداً إلا أتخذه للآخرة ، ثم جاء من بعد ذلك فقال له  
 رسول الله ﷺ : « ما فعلت فيما أمرتك به ؟ قال : قد فعلت يا رسول الله » ، فقال له النبي ﷺ :  
 اذهب فابذل أخبارهم ، فذهب ثم أتى النبي ﷺ وهو منكسر رأسه ، فقال له النبي ﷺ : اذهب  
 فابذل أخبارهم ، فذهب ثم أتى النبي ﷺ تبسم [ فقال ] : ما أحسب يا علي ثبت ملك إلا أبناء  
 الآخرة ! فقال له علي : لا والله يبنك بالحق ، فقال النبي ﷺ ( الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض  
 جدو<sup>(٥)</sup> إلا للفقين ) يا عبادي لا تخوف عليكم<sup>(٦)</sup> يا علي ! اتقبل على شألك ، وأملك لسانك ،

(١) لقطع بساط من الأديم . (٢) الزلفون : الذين يزفون العروس إلى زوجها .

(٣) أى يجمع ويرفق صوته . (٤) الجلاوة : النلاط الشديد . والشرط - جمع شرطة وم

الطائفة العروفة ، وسما بذلك لأن لهم علامات يعرفون بها . (٥) من الآية ٦٧ من سورة الزخرف

وأفضل من تعاشر من أهل زمانك تسكن غانا . : لم يرو إلا من هذا الوجه فيما تلم ، والله أعلم .

### ثم دخلت سنة سبع ومائة

فيها : خرج باليمن رجل يقال له : هباد الرعيني ، فدعا إلى مذهب الطوارج ، واتبه فرقة من الناس وحلوا ، فتأنلهم يوسف بن عمر فقتله وقتل أصحابه ، وكانوا ثلاثمائة وفيها : وقع بالشام طامعون شديد ، وفيها غزا معاوية بن هشام الصائقة ، وعلى جيش أهل الشام ميمون بن مهران ، ففطموا البحر إلى قبرص ، وغزا مسلمة في البحر في جيش آخر . وفيها : ظفر أسد بن عبد الله القسري بجساعة من دعاة بني العباس بخراسان ، فصلبهم وأشهرهم . وفيها : غزا أسد القسري جبال غرود ، ملك القزقيان <sup>(١)</sup> ، بما يلي جبال الطالقان ، فصاله غرود وأسلم على يده . وفيها : غزا أسد الغور - وهي جبال هراة - فمهد أهلها إلى مواسلمهم وأتاهم وأموأهم ، فلبوا ذلك كله في كهف منيع ، لا سبيل لأحد عليه ، وهو مستل جداً ، فأمر أسد بالرجال فلبوا في ثوابت ودلام إليه ، وأمر بوضع ما هناك في القوابت ورفصوم ، فلبوا وغدوا ، وهذا رأى شديد . وفيها أمر أسد بجمع ما حول بكنغ إليها . واستأب عليها برمك وأبو خالد بن برمك وبنائها بناء جيداً جديداً محكماً ، وحسنها وجعلها مستقراً للسليين . وفيها حج بالناس إبراهيم بن هشام أمير الحرمين .  
ومن توفي فيها من الأعيان :

سليمان بن يسار أحد الثمانيين : [ وهو أخو عطاء بن يسار ، له روايات كثيرة ، وكان من المجتهدين في العبادة ، وكان من أحسن الناس وجهاً ، توفي بالمدينة ومهره ثلاث وسبعون سنة ، دخلت عليه امرأة من أحسن الناس وجهاً ، فأرادته على نفسها فأبى وتركها في منزله ، وخرج هارباً منها ، فرأى يوسف عليه السلام في المنام . فقال له : أنت يوسف ؟ فقال : نعم أنا يوسف الذي هممت ، وأنا سليمان الذي لم تهتم . وقيل : إن هذه الحكاية إنما وقعت في بعض منازل الحجاج ، وكان معه صاحب له ، فبثته إلى سوق الحجاج ليشتري شيئاً ، فأنحطت على سليمان امرأة من الجبل حسنة قالت له : هيت لك ، فبكى واشتد بكاءه ، فلما رأت ذلك منه ارتفعت في الجبل وجاء صديقه فوجدته يبكي فقال له : مالك تبكي ؟ فقال : خير ، فقال : لم لك ذكرت بعض وفك أو بعض أمك ؟ فقال : لا ، فقال : والله لتعبرني ما أبكاك أنت . قال : أبكاني خزي على نفسي ، لو كنت مكانك لم أصبر عنها ، ثم ذكر أنه نام فرأى يوسف في منامه كما تقدم ، والله أعلم <sup>(٢)</sup> .

(١) في الطبري : جبال غرود ملك القزقيان (٢) ما بين القوسين غير مثبت في بعض النسخ .

مكرمة مولى ابن عباس : أحد التابعين ، والمفسرين المكثرين والعلماء الربانيين ، والرحالين الجوالين . [ وهو أبو عبد الله ، وقد روى عن خلق كثير من الصحابة ، وكان أحد أوعية العلم . وقد أتق في حياة مولاه ابن عباس ، قال مكرمة : طلبت العلم أربعين سنة ، وقد طاف مكرمة البلاد ، ودخل إفريقية واليمن والشام والعراق وخراسان ، وبث علمه هناك ، وأخذ الصلوات وجوائز الأئمة . وقد روى ابن أبي شيبة عنه قال : كان ابن عباس يحمل في رجل السكبل <sup>(١)</sup> يلقى القرآن والسنن ، وقال حبيب بن أبي ثابت : اجتمع عندي خصة لا يجتمع عندي مثلهم أبداً ؛ عطاء ، وطاوس ، وسعيد بن جبير ، وعكرمة ، ومجاهد ، فأقبل سعيد ومجاهد يقيان على مكرمة التفسير ، فلم يسألاه عن آية إلا فسرها لهما ، فلما قدما عندهما جعل يقول : أزلت آية كذا في كذا ، قال : ثم دخلوا الحمام ليلاً .

قال جابر بن زيد : مكرمة أعلم الناس ، وقال الشعبي : ما بقى أحد أعلم بكتاب الله من مكرمة . وروى الإمام أحمد عن عبد الصمد عن سلام بن مسكين ، سمعت قتادة يقول : أعلمهم بالتفسير مكرمة . وقال سعيد بن جبير نحوه . وقال مكرمة : لقد فسرنا ما بين القومين . وقال ابن علية عن أيوب : سأل رجل مكرمة عن آية فقال : زلت في سفع ذلك الجبل - وأشار إلى سلع <sup>(٢)</sup> وقال عبد الرزاق عن أبيه : لما قدم مكرمة الجند ، حمله طاوس على حبيب فقال : ابتم علم هذا الرجل ، وفي رواية : أن طاوساً حمله على حبيب ثمه سقون ديناراً وقال : ألا تشترى علم هذا الصمد بستين ديناراً !

ومات مكرمة وكثير عزة في يوم واحد ، فأخرجت جنازتهما ، فقال الناس : مات الله الذي وأشهر الناس . وقال مكرمة : قال لي ابن عباس : انطلق فأفت الناس ، فن سأل ما يعنيه فأفنه ، ومن سألني ما لا يعنيه فلا فته ، فإنيك تطرح عنى ثلثي مؤنة الناس . وقال سفهان عن عمرو قال : كنت إذا سمعت مكرمة يحدث عن الخلفاء كأنه مشرف عليهم ، ينظر كيف يصنعون ويقتلون . وقال الإمام أحمد بن حنبل : حدثنا عبد الرزاق قال : سمعت مسيراً يقول : سمعت أيوب يقول : كنت أريد أن أرحل إلى مكرمة إلى أفق من الآفاق ، قال : فإني لفي سوق البصرة ، فإذا رجل على حمار ، فقبل : هذا مكرمة ، قال : واجتمع الناس إليه ، فاقصرت أنا على شيء أسأله عنه فذهبت مني للسائل ، وشردت عنى ، فقصت إلى جنب حماره فجعل الناس يسألونه وأنا أحفظه . وقال شبعة عن خالد الجداء قال : قال مكرمة لرجل وهو يسأله : مالك أخيت ؟ أى فقت . وقال

زيد بن أبي أيوب : حدثنا أبو ثعلبة ، حدثنا عبد العزيز بن أبي رواد قال : قلت لعكرمة بن يسابور : الرجل يريد الخلاه وفي إصبه خاتم فيه اسم الله ، قال : يجعل فسه في باطن يده ثم يقبض عليه .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أمية بن خالد قال : سمعت شعبة يقول : قال خالد الحذاء : كل شيء قال فيه محمد بن سيرين : ثبت عن ابن عباس ، إنما سمعته من عكرمة ، فيه أيام المختار بالكوفة . وقال سفوان الثوري : خذوا للناسك عن سميد بن جبير ، ومجاهد ، وعكرمة . وقال أيضاً : خذوا النصير من أربعة : سميد بن جبير ، ومجاهد ، وعكرمة ، والضحاك . وقال عكرمة : أدكت متنين من أصحاب رسول الله ﷺ في هذا المسجد . وقال محمد بن يوسف الفريابي : حدثنا إسرائيل عن سميد بن مسروق عن عكرمة قال : كانت اغليل التي شملت سليمان بن داود عليه السلام - مشرين ألفاً ففرها . وقال أبو بكر بن أبي شبة : حدثنا معمر بن سليمان عن الحسن بن أبيان عن عكرمة : ( فَلَّذِينَ يَمْتَلِكُونَ أَشْيَاءَ يَحْمِلُونَ كَيْدَهُمْ يَتْلُونَ مِنْ قَرِيبٍ ) <sup>(١)</sup> ، قال : الدنيا حكما قريب وكلها جهالة . وفي قوله : ( فَلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ ) <sup>(٢)</sup> قال : عند سلاطينها وملوكها . ( وَلَا تَسَادُوا ) لا يملكون بمحاسن الله عز وجل . ( وَالْعَاقِبَةُ ) هي الجنة . وقال في قوله تعالى : ( فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ ) <sup>(٣)</sup> ، أي تركوا ما وعظوا ( يَذَّابُنَّ ) أي شديد ( فَلَمَّا حَقَّ قَوْلُهَا عَنْهُمْ ) أي تمادوا وأصرُّوا . ( خَائِبِينَ ) صاغرين . ( فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا ) أي من الأمم الماضية ( وَمَا خَلَقْنَاهَا ) من الأمم الآتية ، من أهل زمانهم وغيرهم ( وَيَوْمَ ذِئْبَةٍ ) ترى من انتظها الشرك والمعاصي .

وقال ابن عباس : إذا كان يوم القيامة بعث الله الذين اعتدوا ، ومحاسب الذين تركوا الأمر والنهي ، كان للسخط لم عقوبة في الدنيا حين تركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . وقال عكرمة قال ابن عباس : هلك والله القوم جيئاً ، قال ابن عباس : فاقبضوا أمروا ونهوا بحوا ، والذين لم يأمروا ولم ينهوا هلكوا فمن هلك من أهل المعاصي . قال : وذلك أهل أبله - وهي قرية على شاطئ البحر - وكان الله قد أمر بني إسرائيل أن يتفرغوا ليوم الجمعة ، فقالوا : بل نتفرغ ليوم السبت ، لأن الله فرغ من الخلق يوم السبت ، فأصبحت الأشياء مسبوطة . وذكروا قصة أصحاب السبت ؛ وتحرم الصيد عليهم ، وأن الحيتان كانت تأنيبهم يوم السبت ولا تأنيبهم في غيره . من الأيام ، وذكروا احتياهم على صيدها في يوم السبت ؛ فقال قوم : لا ندعكم تصيدون في يوم السبت

(١) من الآية : ١٧ من سورة النساء (٢) من الآية : ٥٢ ، من سورة القصص

(٣) من الآية : ١٦٥ من - سورة الأعراف -

ويعظوم ، فجاء قوم آخرون مداهنون فقالوا : ( لِمَ تَمْلُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعْزِيهِمْ عَذَابًا شَدِيدًا ) (١) ، قال الناهون : ( مَعْدِرَةٌ إِلَى رَبِّكُمْ وَلَكُمْهُمُ يَقْتُولُونَ ) ، أى ينتهون عن العيب في يوم السبت . وقد ذكر عكرمة أنه لما قال لابن عباس : إن المداهنين هلكوا مع المنافقين ، كساه ثوبين .

وقال حوثة من منيرة عن عكرمة قال : كانت القضاة ثلاثة - يبنى في بني إسرائيل - فأت واحد فجعل الآخر مكانه ، فقصوا ما شاء الله أن يقصوا ، فبسط الله ملكا على فرس ، فرحل رجل يسبق بقرة معها جمل ، فدعا ذلك الجمل فبيع الرجل الفرس ، فجاء صاحبه ليرده فقال : يا عبد الله ! جمل وابن بقرى ، فقال الملك : بل هو جمل وابن فرسى ، فغاصمه حتى أعيا ، فقال : القاضي يبنى وبينك ، قال : لقد رضيت ، فارتقا إلى أحد القضاة ، فتكلم صاحب الجمل فقال له : ترى على فرس فدعا جمل فبيعه ، فأبى أن يرده ، قال : ومع لك ثلاث دراهم لم ير الناس مثليها ، فأعطى للقاضي درة وقال : اقض لي ، فقال : كيف يسوغ هذا ؟ فقال : ترسل الجمل خلف الفرس والبقرة فأيهما تبعها فهو ابنها ، ففعل ذلك فبيع الفرس فقضى له . فقال صاحب الجمل : لا أرضى ، يبنى وبينك للقاضي الآخر ، فضلا مثل ذلك . ثم أتيا للثالث فتصا عليه قصتهما ، وناوله لك الدرّة الثالثة فلم يأخذها ، وقال لا أنقض بينكما اليوم ، قالوا : ولم لا نقض بيننا ؟ قال : لأني حائض ، فقال الملك : سبحان الله ! رجل يحض ؟ . فقال القاضي : سبحان الله ! وهل تنتج الفرس جملا ؟ فقضى لصاحب البقرة . فقال الملك : إنكم إنما ابتليتم ، وقد رضى الله عنك وسخط على صاحبك .

وقال أبو بكر بن هياش عن حصة الثمال عن عكرمة ، أن ملكا من الملوك نادى في مملكته : إني إن وجدت أحدا يتصدق بصدقة قطعت يده ، فجاء سائل إلى امرأة فقال : تصدق على بشى . فقالت : كيف أنصدق عليك وللك يقطع يد من يعصدق ؟ قال : أسألك بوجه الله إلا تصدقت على بشى . فتصدقت عليه برغيفين ، فبلغ ذلك للملك ، فأرسل إليها يقطع يدها . ثم إن الملك قال لأمه : دليني على امرأة جميلة لاتزوجها ، فقالت : إن ههنا امرأة ما رأيت مثليها ، لولا عيب بها قال : أى عيب هو ؟ قالت : مقطوعة اليدين . قال : فأرسل إليها ، فلما رآها أعجبته - وكان لما جمال - فقالت : إن لك يريد أن يتزوجك ، قالت : نعم إن شاء الله ، فتزوجها وأكرمها ، فهدى إلى الملك عدو ففرج إليهم ، ثم كتب إلى أمه : انظري فلانة فاستوصى بها خيرا وأفضل وافضل منها ، فجاء الرسول فنزل على بعض ضرائرها ، فغسلنها فأخذن الكتاب ففهرته وكتبن إلى أمه : انظري فلانة ، قد بلغني أن رجلا يأتونها فأخرجيها من البيت وافضل وافضل ، فكتبتهن إليه الأم : إنك

قد كذبت ، وإنها لامرأة صدق ، فذهب الرسول إليهم فنزل بهم ، فأخذوا الكتاب ففهموه  
فكذبوا إليه : إنها فاجرة وقد ولدت غلاماً من الزنا ، فكتب إلى أمه : انظري فلانة فاجلة  
ولها على رقبتي واضربى على جيبها واخرجيها . قال : فلما جاءها الكتاب قرأتها عليها وقالت لها :  
أخرجي ، فجلت الصبي على رقبتي وذهبت ، فمرت بنهر وهي عاشانة ، فنزلت لتشرى والصبي  
على رقبتي فوقع في الماء ففرق ، فجلست تبكي على شاطئ النهر ، فمر بها رجلان فقالا : ما يبكيك ؟  
فقالا : ابني كان على رقبتي وليس لي يدان ، ففقد في الماء ففرق . فقالا لها : اتبعين أن يرد الله  
عليك يديك كما كانتا ؟ قالت : نعم ! فدعوا الله ربهما لما فاسقوا يداها ، ثم قالوا لها : أعذرنا  
من نحن ؟ قالت : لا قالوا : نحن الرغيفان الذين تصدقت بهما .

وقال في قوله : ( طيراً أبابيل )<sup>(١)</sup> قال : طائر خرجت من البحر لما دوس كرموس السباع ،  
فلم تزل ترميه حتى جذرت جلودهم ، وما روى الجندري قبل يومئذ ، وما روى الطائر قبل يومئذ  
ولا بعد . وفي قوله تعالى : ( وَيَلْزَمُهُمُ الْقِدْرُ ) لا يؤثرون الزكاة<sup>(٢)</sup> قال : لا يقولون  
لا إله إلا الله ، وفي قوله ( قَدْ أَفْجَحَ مِنْ تَرْكِي )<sup>(٣)</sup> قال : من يقول لا إله إلا الله ، وفي قوله :  
( عَلَ لَكَ إِلَهِ أَنْ تَرَكَ )<sup>(٤)</sup> إلى أن تقول لا إله إلا الله ، وفي قوله : ( إِنْ أَقْبَيْنَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ  
نَمْ اسْتَفْهَمُوا )<sup>(٥)</sup> على شهادة أن لا إله إلا الله . وفي قوله : ( أَلَيْسَ يَنْكُمُ رَجُلٌ رَشِيدٌ )<sup>(٦)</sup>  
أليس منكم من يقول : لا إله إلا الله ، وفي قوله : ( وَقَدْ صَوَّبَ )<sup>(٧)</sup> قال : لا إله إلا الله .  
وفي قوله : ( إِنَّكَ تَخْلِفُ الْيَمَادَ )<sup>(٨)</sup> إلى أن قال : لا إله إلا الله . وفي قوله : ( فَلَا هُدًى لَ الْغَى  
الْمُتَالِيَيْنِ )<sup>(٩)</sup> على من لا يقول : لا إله إلا الله . وفي قوله : ( وَادْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ )<sup>(١٠)</sup> قال  
إذا غصبت ( سيأثم في وجوههم )<sup>(١١)</sup> قال : السهر .

وقال : إن الشيطان يزين للعبد الذنب : فإذا علم تبرا منه ، فلا يزال يتفزع إلى ربه  
ويتسكن له ، ويبكي حتى ينفر الله له ذلك وما قبله . وقال : قال جبريل عليه السلام : إن ربي  
يبتلي إلى الشيء لأمنه ، فأجد الكون قد سبقني إليه . وسئل عن ( الماعون )<sup>(١٢)</sup> قال : المارية .  
قلت : فإن منع الرجل غرلاً أو قنطرة أو قصعة أو شيئاً من متاع البيت فله الويل ؟ قال : لا ولكن

- |                                     |   |
|-------------------------------------|---|
| ( ١ ) الآية : ٣ من سورة البقر .     | ( ٢ ) من الآية : ٦ من سورة فصلت .                   |
| ( ٣ ) من الآية : ١٤ من سورة الأهل . | ( ٤ ) ١٨ - سورة التلاعات                            |
| ( ٥ ) من الآية : ٣٠ من سورة فصلت    | ( ٦ ) من الآية : ٧٨ - سورة هود ( ٧ ) ٣٨ - سورة قباء |
| ( ٨ ) ١٩٤ - سورة آل عمران           | ( ٩ ) ١٨٣ - سورة البقرة                             |
| ( ١٠ ) ٢٤ - سورة الكهف              | ( ١١ ) آخر سورة النحل ( ١٢ ) آخر سورة الماعون       |

إذا نهى عن الصلاة ومنع للأعوان له الويل . وقال . البضاعة للزجاة التي فيها يجوز . وقال . السامعون ، هم طلبة العلم . وقال ( كَمَا يَتَّبِعُ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ )<sup>(١)</sup> . قال . إذا دخل الكفار القبور وعابوا ما أخذ الله لهم من الخزي ، يتسوا من نعمة الله . وقال غيره : ( يَتَّبِعُ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ ) ، أي من حياتهم ، ويتسوا بدم موتهم . وقال : كان إبراهيم عليه السلام يدمى أبا الضيفان ، وكان قصره أربعة أبواب لكيلا يفوته أحد ، وقال : ( أنكلا ) أي قيوداً . وقال في كاهن سبأ : إنه قال لقومه لما دنا منهم العذاب : من أراد سفراً بعيداً وحلاً شديداً ، فليذهب بيمان . ومن أراد الخمر والظفر ، وكذا وكذا والصبر ، فليذهب بيمري . يعني الشام ، ومن أراد الراسخات في الوحل ، واللقيات في الخلل ، فليذهب ذات النخل .

فخرج قوم إلى حان ، وقوم إلى الشام . وقوم غسان ، وخرج الأوس والخزرج . وم : بنو كعب بن عمرو . وخزاعة ، حتى نزلوا يثرب ذات النخل ، فلما كانوا يبعثون مرثاة خزاعة : هذا موضع صالح لا يريد به بدلا ، فنزلوا ، فمن ثم سميت خزاعة ! لأنهم تخزعوا من أصحابهم . وتقدمت الأوس والخزرج حتى نزلوا يثرب ، فقال الله عز وجل ليوسف عليه السلام ، يا يوسف اذهب بفهمك من إخوتك ردت لك ذكرك مع الداكرين . وقال : قال لقمان لابنه : قد دقت للار ، فلم أدق شيئا أمر من الفقر . وحلت كل حل ثقيل ، فلم أحل أثقل من جوار السوء . ولو أن الكلام من فضة لكان السكوت من ذهب . رواه وكيع بن الجراح ، عن سفيان عن أبيه عن الحكمرة : ( وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَسَكُنَّ اللَّهُ رَمِيَّ )<sup>(٢)</sup> قال : ما وقع شيء منها إلا في معنى رجل منهم . وقال : في قوله تعالى : ( زَيْنِبُ )<sup>(٣)</sup> هو اللثيم الذي يعرف اللثيمة كما يعرف الشاة بذنبتها . وقال في قوله تعالى : ( الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ )<sup>(٤)</sup> قال : هم أصحاب التضاوير ، ( وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ )<sup>(٥)</sup> قال : لو أن القلوب تحركت أو زالت خرجت نفسه ، وإفهامه الخوف والفرح . ( فَتَنَّمْ أَنْفُسَكُمْ )<sup>(٦)</sup> أي بالشبهوات ( وَتَرَبَّصْهُمْ ) بالتابية ( وَغَرَّكُمْ الْأَمَانِيُّ ) أي التوسيف ( حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ ) اللوث ( وَغَرَّكُمْ بَلْعُ الْفَرُورِ ) الشيطان . وقال : من قرأ ( يس ) والقرآن الحكيم ) لم يزل ذلك اليوم في سرور حتى يمسي .

قال سلمة بن شعيب : حدثنا إبراهيم بن الحكم ، عن أبيه عن أبيه . قال : كنت جالسا مع عكرمة عند البحر ، فذكروا الذين يترقون في البحر . فقال عكرمة : الذين يترقون في البصار

(٢) ١٣ : سورة الفتح

(٣) ١٧ : سورة الأعراف

(٤) ١٨ : سورة المنتحة

(٥) ١٤ : سورة الحديد

(٦) ١٠ : سورة الأحزاب

(٧) ٨٧ : سورة الأحزاب

تقتسم لحومهم الخبثان ، فلا يبقى منهم شيء إلا العظام ، حتى تصير حائلًا <sup>(١)</sup> محزنة ، فتمر بها الإبل فتأكلها ، ثم تسير الإبل فتبصرها ، ثم يحى يهدم قوم ، فينزلون ذلك اللز ، فيأخذون ذلك البحر فيوقدونه ، ثم يصير رمادًا ، فتجى الریح فتأخذه فتفريه في كل مكان من الأرض ، حيث يشاء الله من بره وبحره ، فإذا جاءت النفخة - نفخة البعث - فيخرج أولئك ، وأهل القبور المجدوعين سواء . وبهذا الإسناد عنه قال : إن الله أخرج رجلا من الجنة ، ورجلا من النار ، فقال لصاحب الجنة : عدى كيف وجدت مقيلا ؟ قال : خير مقيلا . ثم قال لصاحب النار : عدى كيف وجدت مقيلا ؟ فقال : شر مقيلا قاله القتاتلون . ثم ذكر من عقابها وحياتها وزنايرها ، ومن أنواع ما فيها من العذاب والوانه ، فيقول الله تعالى لصاحب النار : عدى ماذا تعطى إن أنا أمنيتك من النار ؟ فيقول العبد : إلهي ، وماذا عدى ما أعطيك ، فقال له الرب تعالى : لو كان لك جبل من ذهب أكنت تعطى فأعنيك من النار ؟ فقال نعم ، فقال له الرب : كذبت ، لقد سألتك في الدنيا ما هو أيسر من ذلك ادعوني فأستجيب لك ، وتستغفرني فأغفر لك ، وتسألني فأعطيك ، فكنت تقول ذاهبا .

وبهذا الإسناد قال : ما من عهد يقربه الله عز وجل يوم القيامة لأحساب إلا قام من عند الله بفنوه . وبه عنه : لكل شيء أساس ، وأساس الإسلام الخلق الحسن . وبه عنه قال : شكاني من الأنبياء إلى ربه عز وجل الجوع والعمرى ، فأوحى الله إليه : أما ترضى أنى سددت عنك باب الشر العائى عنها ؟ وبه عنه قال : إن في السماء ملكا يقال له : إسماعيل ، لو أذن الله له بفتح أذن من آذانه يسبح الرحمن - عز وجل - لمات من في السموات والأرض . وبه عنه قال : سعة الشمس سعة الأرض وزيادة ثلاث مرات . وسعة القمر سعة الأرض مرة ، وإن الشمس إذا غربت دخلت بحرا تحت العرش ، تسبح الله حتى إذا أصبحت استفتت ربها تعالى من الطلوع ، فيقول لها : ولم ذاك - وهو أعلم - فتقول : ثلاثا أهد من دنوك ، فيقول لها : اطلعي فليس عليك شيء من ذلك ، حسبهم جهنم أبنتها إليهم مع ثلاث عشرة ألف ملك تتودعها حتى يدخلهم : وهذا خلاف ما ثبت في الحديث الصحيح : إن جهنم يؤتى بها نقاد بسبعين ألف زمام ، مع كل زمام سبعون ألف ملك وقال مندل عن أحمد بن عطاء ، عن مكرمة عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يقن أحدكم على رجل يضرب ظملا ، فإن الأمانة تنزل من السماء على من يحضره إذا لم تدفوا عنه » . ولا يقن أحدكم على رجل يقتل ظملا ، فإن الأمانة تنزل من السماء على من يحضره إذا لم تدفوا عنه » . لم يرضه إلا مندل هذا .



وروى شعبة عن عمار بن حفصة ، عن عكرمة عن أبي هريرة ، أن رسول الله ﷺ كان إذا غسل فغلى وجهه بثوبه ، ووضع يديه على حاجبيه ، ، هذا حديث عال من حديث شعبة .  
وروى ياقوتة عن إسحاق بن مالك الحضرمي ، عن عكرمة عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ قال :  
« من حلف على أحد عينا ، وهو يرى أنه سيبره فلم يفعل ، فأبغى الله على الذي لم يبره » .  
تعدد به بقية بن الوليد مرفوعا وقال عبد الله بن أحمد في مسند أبيه : حدثنا عبيد بن عمر القواريري  
حدثنا يزيد بن ربيع ، حدثنا عمار بن أبي حفصة ، حدثنا عكرمة ، حدثنا عائشة ، أن النبي ﷺ  
كان عليه رداء قطريان خشنان غليظان ، فقالت عائشة : يا رسول الله ! إن ثوبيك هذين غليظان  
خشنان ، ترشح فيما فيهما غليظان عليك ، فأرسل إلى فلان ، فقد أتاه برد من الشام ، فاشتر منه  
ثوبين إلى ميسرة ، فأرسل إليه فأناه الرسول فقال : إن رسول الله ﷺ بث إليك لتبسه ثوبين  
إلى ميسرة ، فقال : قد علمت ، والله ما يريد نبي الله إلا أن يذهب بثوبين ويمطلي بثمنهما ، فرجع  
الرسول إلى رسول الله ﷺ فأخبره فقال ﷺ : كذب ! قد عدوا أني أنقام لله ، وآدام  
للأمانة . وفي هذا اليوم قال النبي ﷺ : « لأن يلبس أحدكم من رفاع شق خير له من أن  
يستدين ما ليس عنده » والله سبحانه أعلم .

القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق : كان أحد الفقهاء المشهورين له روايات كثيرة عن  
الصحابه وغيرهم ، وكان من أفضل أهل المدينة ، وأعلم أهل زمانه ، قتل أبوه بمصر وهو صغير ،  
فأخذته خالته ، فنشأ عندها وساد ، وله مناقب كثيرة . أبو رجاء المطاردى .

وفيها توفي كثير عزة الشاعر المشهور . وهو كثير بن عبد الرحمن بن الأسود بن عامر ،  
أبو صخر الخزاعي الحجازي ، المعروف بابن أبي نجة ، وعزة هذه المشهورة بالنسب إليها ،  
لفنزه فيها - هي أم مرو - وعزة بالعين المهملة ، بنت جميل بن حفص ، من بني حاجب بن غفار .  
وإنما صخر اسمه قليل كثير : لأنه كان دميم الخلق قصيرا ، طوله ثلاثة أشبار . قال ابن خلكان :  
كان يقال له : « رب الدياب » ، وكان إذا مشى يظن أنه صغير من قعره ، وكان إذا دخل على  
عبد الملك بن مروان يقول له : طأطأ رأسك لئلا يؤذيك السقف ، وكان بضحك إليه ، وكان  
يفد على عبد الملك ، ووفد على عبد الملك بن مروان مرات ، ووفد على عمر بن عبد العزيز ، وكان  
يقال : إنه أشعر الإسلاميين ، على أنه كان فيه تشيع ، وربما نسب بعضهم إلى مذهب التناقضية ،  
وكان يجمع على ذلك من جهه ، وقلة عنه إن صح النقل عنه ، في قوله تعالى : ( في أي صورة  
ما شاء ركبك )<sup>(١)</sup> ، وقد استأذن يوما على عبد الملك ، فلما دخل عليه قال عبد الملك : لأن

سمع بالمعدي خير من أن تراه ، فقال : حَيْلَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! إِيَّاكَ أَرَأَيْتَ بِأَصْفَرِهِ ؛ قَلْبُهُ وَلِسَانُهُ ،  
إِنْ نَطَقَ نَطَقَ بَيَّانًا ، وَإِنْ قَاتَلَ قَاتَلَ بِجَنَانٍ ، وَأَنَا الَّذِي أَقُولُ :

وَجَرَّبْتُ الْأُمُورَ وَجَرَّبْتُ      وَقَدْ أَبَدْتُ هَرَبَكُنِي الْأُمُورَ  
وَمَا تَخْفَى الرِّجَالُ عَلَى مَا      سَهْمٌ لَأَكُوَ مَثَاقِفَ خَبِيرٍ  
عَمَى الرَّجُلُ النَّعِيفُ فَتَزِدْهُ      وَفِي أَثَوَابِهِ أَصْدُ زَفِيرٍ  
وَبِمَعْبِكَ الظُّرُوفُ فَتَخْتَصِرْهُ      فَيُخَلِّفُ ظَنُوكَ الرَّجُلَ الطَّارِرَ  
وَمَا هَامَ الرِّجَالُ لَهَا بَرِّينَ      وَلَكِنْ زَيْنُهَا دِينَ وَخَلِيلُهَا  
بِفَاتِ الطَّائِرِ أَطْوَلُهَا جِسْمًا      وَلَمْ تَطُلْ الْبَرَاةُ وَلَا الصَّقُورُ  
وَقَدْ عَظُمَ الْبَسِيرُ بِضَيْرِ ابٍ      فَلَمْ يَسْتَنْ بِالْمُعْظَمِ الْبَهِيمُ  
فَتَرَكَبْتُ ثُمَّ يُغَارِبُ بِالْمَارَاوِي      وَلَا عُرْفٌ لَدَيْهِ وَلَا نَسْكِيرُ  
وَعُودُ الْيَسَعِ بَنَتْ مَسْتَدْرًا      وَلَيْسَ بِطُولٍ وَالْأَضْيَاءُ حُورُ

وقد تكلم أبو الفرج بن طراد على غريب هذه الحكاية وشرها بكلام طويل ، قالوا: ودخل  
كثير عزة يوماً على عبد الملك بن مروان فامتدحه بقصيدته التي يقول فيها :

على ابن أبي العاصم دروع حصينة      أجاد الذي مردها وأدائها  
قال له عبد الملك : أقلقت كما قال الأعمش لنفس بن ممد بكرب :

وإذا تيمم كتيبة ملهومة      شهباء يخشى الدائنون صياها  
كفت للقدم غير لابس جبة      بالسيف يضرب مملأاً أبطالها

فقال - يا أمير المؤمنين ، وصفه بالفرق ، ووصفك بالحرم ، ودخل يوماً على عبد الملك وهو  
يتجهز للخروج إلى مصعب بن الزبير قال : ويحك يا كثير ! ذكرت لك الآن بشرك ، فإن أصبحت  
أعطيتك حذائك ، قال : يا أمير المؤمنين ! كأنك لما ودعت عاتكة بنت يزيد كنت لفراخك ، فبكى  
لبكائها حشماً ، فذكرت قولي :

إذا ما أراد الغزو لم تكن عزمة      حصان عليها نظم در زينها  
نهقه فلما لم تر التميم عاقه      بكت فبكى عما عراها قطيعها

قال : أصبت فاحتكم ، قال : مائة ناقة من نوقك المختارة ، قال : هي لك ، فلما سار عبد الملك  
إلى العراق نظر يوماً إلى كثير عزة وهو مفكر في أمره فقال : على به ، فلما جئ به قال له :  
أرايت إن أخبرتك بما كنت تفكر به تطأني حكي ؟ قال : نعم ، قال : والله ؟ قال : والله ،

قال له عبد الملك إنك تقول في نفسك : هذا رجل ليس هو على مذهبي : وهو ذاهب إلى قتال رجل ليس هو على مذهبي ، فإن أصابني سهم غرب من بينهما خسرت الدنيا والآخرة ، فقال : إي والله يا أمير المؤمنين ! فاحتكم ، قال : احتكم حكى أن أردك إلى أملاك وأحسن جأرتك ، فأعطاه مالا وأذن له بالانصراف .

وقال حاد الراوية عن كثير عزة : وفدت أنا والأحوص ونصيب إلى عمر بن عبد العزيز حين ولي الخلافة ، ونحن نبحث به جيفة ~~لحم~~ ومعاشرتنا له لما كان بالمدينة ، سوكل منا بطن أنه سيشرکه في الخلافة ، ففجع نسير ومحتال في رحالنا ، فلما انتهينا إلى خنصرة ولاحت لنا أعلامها ، تقافنا مسلمة بن عبد الملك فقال : ما أقدمكم ؟ أو ما علمتم أن صاحبكم لا يحب الشر ولا الشراء ؟ قال : فوجدنا لذلك ، فأترانا مسلمة عنده . وأجرى علينا النفقات وعلف دوابنا ، وأقفا عنده أربعة أشهر لا يمكنه أن يستأذن لنا على عمر ، فلما كان في بعض الجمع دعوت منه لأجمع خطبته ، فأسلم عليه بعد الصلاة ، فسمعته يقول في خطبته : اكل سفر زاد ، فترودوا السفركم من الدنيا إلى الآخرة بالفتوى ، وكونوا كن عابن ما أمده الله له من عذابه ، فترافعوا وترهبوا ، ولا بطوان عليكم الأمد ففقدوا قلوبكم وتفاقدوا أمدوكم ، فإنه والله ما بسط أمل من لا يدري أنه لا يبقى بعد إصابه ولا يصبح بعد إمسائه . وربما كانت له كرامة بين ذلك خطرات الموت والناس ، وإنما يطمئن من وثق بالنجاة من عذاب الله وأهوال يوم القيامة ، فأما من لا يداوى من الدنيا كلها إلا أصابه جراح من ناحية أخرى فكيف يطمئن ، أعوذ بالله أن آمركم بما أنهى عنه نفسي فتخسر صفتي وتبدو مسكنتي في يوم لا ينفع فيه إلا الحق والصدق .

ثم بكى قلنا أنه قاض محبه ، وارتج السجد وما حوله بالبكاء والويل ، قال : فاحسرت إلى صاحبي فقلت : خذ سرحاً من الشر غير ما كفا تقول لمر وآياته ، فإنه رجل أخري ليس برجل دنيا ، قال : ثم استأذن لنا مسلمة عليه يوم الجمعة ، فلما دخلنا عليه سلمت عليه ، ثم قالت : يا أمير المؤمنين ! طال التواء وقلت القائدة ، ونحدث بمفانك إيانا وفود العرب . فقال : (أما الصدقاتُ للفقراءِ ولأساكينِ) <sup>(١)</sup> وقرأ الآية ، فإن كنتم من هؤلاء أعطيتم ، وإلا فلاحق لكم فيها ، قلت : يا أمير المؤمنين ! إني مسكين وغابر سبيل ومنقطع به ، فقال : أستم عند أبي سعيد ؟ - يعني مسلمة بن عبد الملك - قلنا : بلى ! فقال : إنه لا ثواب على من هو عند أبي سعيد ، قلت : إذن لي يا أمير المؤمنين بالإنشاء ، قال : نعم ، ولا تقل إلا حقاً ، فأشدته قصده في :

وليت فلم تشتم عليا ولم تحف  
وصدقت بالقتل القتال مع القى  
ألا إنما يكنى الفتى بعد ربه  
وقد لبست تسى إليك ثيابها  
وتومض أحيانا بعين مريضة  
فأمرضت عنها مدمعاً كأنما  
وقد كنت من أحبائها في منع  
وما زلت توافاً إلى كل غاية  
فلما أتاك الملك عفوا ولم تكن  
تركت القى بغير وإن كان موثقا  
وأضررت بالقانى وشمرت لذى  
وما لك إذ كنت الخليفة مانع  
سما لك م في التواد مؤرق  
فابين شرق الأرض والغرب كلها  
يقول : أمير المؤمنين ظلمنى  
ولا بسط لك لارى غير مجرم  
ولو يستطيع السلون القسوا  
فمشت بها ما حج لله راكب  
فارجع بها من صفقة الجايح

بريتا ولم تقبل إشارة مجرم  
أنت فأمرى راضياً كل مسلم  
من الأود الندادى تناف القوم  
ترامى لك الدنيا بكف ومهم  
وتبسم عن مثل الجمان المنظم  
سقتك مذوقاً من حمام وعاتم  
ومن بحر هافى مزيد للوج مفعم  
بلت بها أهل البناء القديم  
اطالب دنيا بعده في تكلم  
وآثرت ما يبقى برأى مصمم  
أمامك في يوم من الشر مظلم  
سوى الله من مال رعيت ولادم  
بلت به أهل المال بسلم  
مناد بنادى من فصيح وأعجم  
بأخذك دينارى وأخذك درعى  
ولا السفك منه ظلالا ملد مجرم  
لك الشطر من أهدام غير ندوم  
ملى مطيف بالمقام وزرم  
وأعظم بها أعظم بها ثم أعظم

قال : فأقبل على عمر بن عبد العزيز وقال : إنك تسأل عن هذا يوم القيامة ، ثم استأذنه  
الأموص ، فأنشده قصيدة أخرى فقال : إنك تسأل من هذا يوم القيامة . ثم استأذنه نصيب فلم  
يأذن له ، وأمر لكل واحد منهم مائة وخمسين درهما ، وأغزى نصيباً إلى مَرْج دابق وقد وفد  
كثير عزة بعد ذلك على يزيد بن عبد الملك فامتدحه بقصائد ، فأعطاه سبعمائة دينار . وقال  
الزبير بن بكار : كان كثير عزة شميماً خبيثاً يرى الرجمة ، وكان يرى التنازع ويحجب بقوله تعالى  
( في أى صورته ما شاء رَكَّبَكَ )<sup>(١)</sup> وقال موسى بن عقبة : هزل كثير عزة ليلة في مدامه ، فأصبح  
يعتدح آل الزبير ، ويرى عبد الله بن الزبير ، وكان يسوء الراى فيه :

بفتح الطحا تأول أنه أقام بها مالم ترها الأخشاب  
 سرحنا سرويا آمنين ومن يخف بوائق ما يخشى قلبه النوايب  
 تبرات من عيب ابن أسماء إني إلى الله من عيب ابن أسماء نائب  
 هو المرء لا ترزى به أمماته وأبأوه فينا للكرام الأطياب

وقال مصعب بن عبد الله الزبيري : قالت عائشة بنت طلحة لكثير عزة : ما الذي يدهوك  
 إلى ما تقول من الشر في عزة ، وليست على نصف من الحسن والجمال ؟ فلو قلت ذلك في  
 وفي أمثالي ، فإيا أشرف وأفضل وأحسن منها - وكانت عائشة بنت طلحة قد قاقت النساء حسنا  
 وجمالا وأصالة - وإنما قالت له ذلك لتخجيره وتبليه ، فقال :

ضحي قلبه يا هز أو كاد يذهل وأضحى يريد الصوم أو يقبل  
 وكيف يريد الصوم من هو وائق لـ عزة لا قال ولا متبدل  
 إذا واصلتنا خلة كي تربلنا أينما وقلنا الحاجبية أول  
 سنوليك عروما إن أردت وصلنا ونحن لتلك الحاجبية أوصل  
 وحديثا الواشون أنى معرتها غلم غيظا حل الحمل

فقال له عائشة : قد جهلتني خلة واست لك علة ، وهلا قلت كما قال جميل ، فهو والله  
 أشمر منك حيث يقول :

يا رب عارض علة علينا وصلها بالجد تخاطبه بقول المازل  
 فأجبتها بالقول بمد تستر حمى بثينة عن وصلك شاغل  
 له كان في قلبي بقدر قلامة فضل وصلتك أو أنتك رسائي

فقال : والله ما أنكر فضل جميل ، وما أنا إلا حسنة من حسناته ، واستعيا وما أشده  
 ابن الأبياري لكثير عزة :

يا بني وأمي أنت من معشوقة طين المـدو لها فخير حالها  
 وشئى إلى بسبب عروءة نسوة جعل الإله خدودهن نصالها  
 الله يسلم لو جمع ومثلت لأخذت قبل تأمل تمثالها  
 ولوان عزة خاضعت شمس الضحى في الحسن عند موفق اتقى لها  
 وأنشد غيره لكثير عزة :

فما أحدث التأني الذي كان بيننا سلوا ولا طول اجتماع تقايا  
 وما زادني الراشون إلا صباة ولا كثرة الناهين إلا تعاديا

غيره له :

فقلت لها : يا عز كل مصيبة إذا وطئت يوماً لها النفس ذلت  
هينئاً مريضاً غير جاء غمار  
وقال كثير عزة أيضاً ، وفيه حكمة أيضاً :

ومن لا يفض منه من جدية وعن بعض ما فيه يث وهو عاتب  
ومن يتفجع جاهداً كل عثرة يجدها ولا يبقى له الدهر صاحب

وذكروا أن عزة بنت جيل بن حفص ، أحد بني حاجب بن مديان بن غفار ، أم عمرو  
الضمرية - وفدت على عبد الملك بن مروان تشكو إليه غلامه ، فقال : لا أعطيها لك حتى تشدني  
شيئاً من شعره ، فقالت : لا أحفظ لكثير شعراً ، لكن سمعهم يحكون عنه أنه قال في  
هذه الأبيات :

ففى كل ذى دين علت<sup>(١)</sup> غريمه وعزة مطول معفى غريمها  
فقال : ليس عن هذا أسألك ، ولكن أنشدني قوله :

وقد زحمت أنى تنيرت بعدها ومن ذا الذى يا عز لا يتغير  
تغير جسمى والحببة<sup>(٢)</sup> كالذى عودت ولم يخير بذاك مخير

قال : فاستحييت وقالت : أما هذا فلا أحفظه ، ولكن سمعهم يحكون عنه ، ولكن  
أحفظ له قوله :

كأنى أنادى صخرة حين أهرضت من الظلم لو تمشى بها الدعيم<sup>(٣)</sup> زلت  
صفوح<sup>(٤)</sup> فما تلقاك إلا بخيلة ومن مل منها ذلك الوصل تلت

قال : ففى لها حاجتها وردها ، ورد عليها غلامتها وقال : أدخلوها الحرم ليقبلوا من أذيها .  
وروى عن بعض نساء العرب قالت : اجتازت بنا عزة ، فاجتمع نساء الحاضر إليها لينظرن  
حسنها ، فإذا هى حيراء حلوة لطيفة ، فلم تقع من النساء بذاك الموقع حتى تكلمت ، فإذا هى أروع  
النساء وأحلاهن حديثاً ، فأبقى فى أعيننا امرأة تفوقنا حسناً وبجلاً وحلاوة

(١) فى رواية : ففى كل ذى دين ترفى غريمه . (٢) فى نسخة : والخالقة كالذى .

(٣) المصمم من اللطباء ، التى فى أذرعتها يابض ، وسائر جسمى أسود أو أحمر .

(٤) صادة : ممرضة .

وذكر الأنصبي ، عن سفيان بن عيينة قال : دخلت مرة على سكينه بنت الحسين فقالت لها :  
إني أسألك عن شيء فاصدقيني ، ما الذي أراد كثير في قوله لك :

فصلى كل ذي دين فوق غيره وعزة معطول معنى غيرها  
فقلت : كنت وعدته قبلة ، فطلعت بها ، فقلت : أجزئها له وإنها علي ، وقد كانت  
سكينه بنت الحسين من أحسن النساء ، حتى كان يضرب بحجرها للتل .

وروى أن عبد الملك بن مروان ، أراد أن يزوج كثيرا من مزة ، فأبت عليه وقالت :  
يا أمير المؤمنين ! أبعد ما فضلى بين الناس ومهموني في الحرب ! وامتنعت من ذلك كل الامتناع .  
ذكر ابن عساكر . وروى أنها اجتازت مرة بكثير - وهو لا يعرفها - فتكرت عليه ، وأرادت  
أن تخدع ما عنده ، فتعرض لها ، فقالت : فأين حبك مزة ؟ فقال : أنا لك البنداء لو أن مزة أمة لي  
لوهبتها لك ، فقالت : ويحك ! لا تفعل ، أنت القتال :

إذا وصايتا خلة كي تزيلنا أيننا وقلنا الحاجة أول ؟

فقال : بأبي أنت وأمي ، أفمرى عن ذكرها واسمى ما أقول :

هل وصل مزة إلا وصل غانية في وصل غانية من وصلها بدل

فالت : فهل لك في الجلالة ؟ قال : ومن لي بذلك ؟ قالت : فكيف بما قلت في مزة ؟  
قال : ألقبه فمتعول لك . قال : فسرت عن وجهها وقالت : أغدرا وتنا كتما يا فاسق ،  
وإلك لما هنا يا عدو الله ، فبست وألس ، ولم ينطق بخير وخجل ، ثم قالت : قاتل الله جيلة  
حيث يقول :

ما الله من لا ينفع الود عنه ومن حبه إن صد غير معين

ومن هو ذو وجهين ليس مدايم على العهد حلاقا بكل معين

ثم شرع كثير بمتذر ، ويتصل بما وقع منه ، ويقول في ذلك الأشعار ، ذاكرًا وآثرًا .  
وقد ماتت مزة بمصر في أيام عبد العزيز بن مروان ، وزار كثير قبرها ، ورثاها ، وتغير شعره  
بعدها ، فقال له قائل : ما بال شرك تغير وقد قصر فيك ؟ فقال : ماتت مزة ولا أطرب ،  
وذهب الشباب فلا أعجب ، ومات عبد العزيز بن مروان فلا أرغب ، وإنا بنشأ الشعر  
من هذه الخلال .

وكانت وفاته ووفاته حكومة في يوم واحد ، ولكن في سنة خمس ومائة على المشهور . وإنا  
ذكره شيخنا الذهبي في هذه السنة - أعني سنة سبع ومائة - والله سبحانه أعلم .

### ثم دخلت سنة ثمان ومائة

[ وفيها : افتتح مسلمة بن عبد الملك قيسارية من بلاد الروم ، وفتح إبراهيم بن هشام بن عبد الملك حصناً من حصون الروم أيضاً . وفيها : غزا أحمد بن عبد الله القنصري أمير خراسان فكسر الأتراك كسرة فاضحة . وفيها : زحف خاقان إلى أذربيجان ، وحاصر مدينة واران ، ورامها بالناجيق ، فسار إليه أمير تلك الناحية - الحارث بن عمرو نائب مسلمة بن عبد الملك ، فالتقى مع خاقان ملك الترك فهزمه ، وقتل من جيشه خلق كثير ، وهرب الخاقان بعد أن كان قتل في جملة من قتل من جيشه ، وقتل الحارث بن عمرو شهيداً ، وذلك بعد أن قتلوا من الأتراك خلقاً كثيراً . وفيها : غزا معاوية بن هشام بن عبد الملك - أرض الروم ، وبث لطلال على جيش كثيف ، فافتتح جنجرة ، وغنم منها شيئاً كثيراً <sup>(١)</sup> .

وفيها : توفي من الأعيان :

بكر بن عبد الله الزني ، البصري : [ كان عالماً عابداً ، زاهداً متواضعاً ، قليل الكلام ، وله روايات كثيرة عن خلق من الصحابة والتابعين . قال بكر بن عبد الله : إذا رأيت من هو أكبر منك من المسلمين - قتل : سبقته إلى المأمي فهو خير مني ، وإذا رأيت إخوانك بكرمونك ويغضبونك - قتل : هذا من فضل ربي ، وإذا رأيت منهم تقصيراً قتل : هذا بذنب أحدثه . وقال : من مثلك يا ابن آدم ؟ خلى بينك وبين الماء والحراب ، متى شئت تطهرت ودخلت على ربك عز وجل ليس بينك وبينه ترجان ولا حاجب . وقال : لا يكون العبد تقياً حتى يكون تنى الطمع تنى الغضب . وقال : إذا رأيت الرجل موكلاً بعبود الناس ناسياً لعميه ، فاعلموا أنه قد مُكِر به . وقال : كان الرجل من بني إسرائيل إذا بلغ البالغ الصالح من العمل ، فنى في الناس نطلة غمامة ، قال : فرَّ رجل قد أغاثته غمامة على رجل ، فأعظم له رآه عما آتاه الله ، فاحتقره صاحب الغمامة ، فأمرها الله أن تتحول عن رأسه إلى رأس القدي احتقره ، وهو الذي عظم أمر الله عز وجل . وقال : ما سبهم لمو بكر بكثير صلاة ولا صيام ، ولكن شئ فر في صدره . وله كلام حسن كثير بطول ذكره <sup>(٢)</sup> .

راشد بن سعد القرافي الحمصي : عمر دهرًا ، وروى عن جماعة من الصحابة ، وقد كان عابداً صالحاً زاهداً - رحمه الله تعالى - وله ترجمة طويّة .



محمد بن كعب القرظي : توفي فيها في قول ، وهو أبو حمزة ، له روايات كثيرة من جماعة من الصحابة ، وكان عالماً ب تفسير القرآن ، صالحاً ، عابداً . قال البخاري : حدثنا أبو القدام - هشام ابن زياد - عن محمد بن كعب القرظي أنه سئل : ما علامة الخلفان ؟ قال : أن يتبع الرجل ما كان يستحسن ، ويستحسن ما كان يبيح . وقال عبد الله بن المبارك : حدثنا عبد الله بن عبد الله بن موهب قال : سمعت ابن كعب يقول : لأن أفرأ في ليلة حتى أصبح ، ( إذا زلزلت - والفرارمة ) ، لا أزيد عليهما ، وأردد فيهما الفكر - أحب إلي من أن أهد القرآن هدأ - أو قال : أنه نثرأ . وقال : لو رخص لأحد في ترك الذكر لخص لكربا عليه السلام ، قال تعالى : ( آيَتِكَ أَنْ لَا نُنْكِحُ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمَزْنَا وَادَّكَّرُ رَبِّكَ كَثِيرًا وَسَبَّحَ بِالنَّجْمِ ) (١) فلو رخص لأحد في ترك الذكر لخص له ، ولرخص للدين يقاتلون في سبيل الله ، قال تعالى ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا أَقْبَضْتُمْ فِتْنَةً فَانْتَبِهُوا وَادْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ) (٢) ، وقال في قوله تعالى : ( اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا ) (٣) ، قال : اصبروا على دينكم ، وصابروا لوجهكم الذي وعدتم ، ورابطوا عدوكم الظاهر والباطن ، واقفوا الله فيما بيني وبينكم ، لعلكم تفلحون إذا لقيتموني . وقال في قوله تعالى : ( لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّي ) (٤) : علم ما أحل القرآن مما حرّم ( مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ ) (٥) ، قال : القائم ما كان من بنائهم قائماً ، والحصيد ما حصدهم . ( إِنْ عَدَّاهُنَّ كَانَ غَرَامًا ) (٦) ، قال : غرموا ما نعموا به من الذم في الدنيا ، وفي رواية : سألهم عن نعمة فلم يقدروا عليها ولم يؤدوها ، فأغرمهم عنها ، فأدخلهم النار .

وقال قتيبة بن سعيد : حدثنا عبد الرحمن بن أبي اللوال قال : سمعت محمد بن كعب في هذه الآية : ( وَمَا آتَيْنَهُمْ مِنْ رَبِّكَ لِيُزَيِّنُوا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرِبُوا هُنْدَ اللَّهِ ) (٧) ، قال : هو الرجل يعمل الآخر من ماله ليلكفه به أو يزاد ، فهذا الذي لا يربو عند الله ، والضعفون هم الذين يعملون لوجه الله ، لا يبتغى مكافأة أحد . وفي قوله تعالى : ( أَدْخَلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مَخْرَجَ صِدْقٍ ) (٨) ، قال : ادخل سريري وعلايتي حسنة . وقيل : أَدْخَلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ فِي الْعَمَلِ الصَّالِحِ - أي الإخلاص ، وأخرجني مخرج صدق - أي سالكاً . ( أَوْ أَلْقِ السَّيْفَ

- |                                       |                                     |
|---------------------------------------|-------------------------------------|
| (١) من الآية : ٤١ من سورة آل عمران .  | (٢) من الآية : ٤٥ من سورة الأنتال . |
| (٣) من الآية : ٣٠٠ من سورة آل عمران . | (٤) من الآية : ٢٤ من سورة يوسف .    |
| (٥) من الآية : ١٠٠ من سورة هود .      | (٦) من الآية : ٦٥ من سورة الفرقان . |
| (٧) من الآية : ٣٩ من سورة الروم .     | (٨) من الآية : ٨٠ من سورة الإسراء . |

وَهُوَ شَهِيدٌ<sup>(١)</sup>، أَيْ يَسْمَعُ الْقُرْآنَ وَقَلْبُهُ لَيْسَ مَعَهُ فِي مَكَانٍ آخَرَ (فَأَسْمِعُوا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ)<sup>(٢)</sup>،  
قَالَ: السَّمْعُ الْعَمَلُ لَيْسَ بِالشَّيْءِ. وَقَالَ: الْكِبَارُ ثَلَاثَةٌ: أَنْ تَأْمَنَ مَكْرَ اللَّهِ. وَأَنْ تَنْقُطَ مِنْ  
رَحْمَةِ اللَّهِ، وَأَنْ تَيْتَأَسَّ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ.

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ: حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ حَبِيبَةَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ، قَالَ: إِذَا أَرَادَ اللَّهُ  
بِعَبْدٍ خَيْرًا جَعَلَ فِيهِ ثَلَاثَ خِصَالٍ: فِقْهًا فِي الدِّينِ، وَرَهَادَةً فِي الدُّنْيَا، وَبَصَرًا بِمُيُوبِ نَفْسِهِ.  
وَقَالَ: الدُّنْيَا دَارُ قَاقٍ، وَرَغَبُهَا السَّمْدَاءُ، وَانْتَزَعَتْ مِنْ أَبْدَى الْأَشْقِيَاءِ، فَأَشَقُّ النَّاسِ بِهَا  
أَرْغَبُ النَّاسِ فِيهَا، وَأَزْهَدُ النَّاسِ فِيهَا أَسَدُّ النَّاسِ بِهَا، هِيَ الْمَاوِيَّةُ لِمَنْ أَضَاعَهَا. الْمُلْكَةُ لِمَنْ  
اتَّبَعَهَا، الْخِلَافَةُ لِمَنْ اتَّقَادَمَهَا. عَلَيْهَا جَوْلٌ، وَغَنَاؤُهَا قَرٌّ، وَزِيَادَتُهَا خِصَالٌ، وَأَيَامُهَا دَوَلٌ.

وَرَوَى ابْنُ الْمُبَارَكِ، عَنْ دَاوُدَ بْنِ قَيْسٍ قَالَ: سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ كَعْبٍ يَقُولُ: إِنَّ الْأَرْضَ لَتَبْكِي  
مَنْ رَجَلَ وَتَبْكِي عَلَى رَجُلٍ! تَبْكِي عَلَى مَنْ كَانَ يَعْمَلُ عَلَى ظَهَرِهَا بِطَاعَةِ اللَّهِ، وَتَبْكِي عَمَّنْ كَانَ يَعْمَلُ  
عَلَى ظَهَرِهَا عَصِيَّةً لِلَّهِ، قَدْ أَقْلَمَهَا. نِمَ قَرَأَ: (فَمَا يَبْكُ عَنْهُمْ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ)<sup>(٣)</sup>،  
وَقَالَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: (فَمَنْ يَمْلِكُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ • وَمَنْ يَمْلِكُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ)<sup>(٤)</sup>.  
مَنْ يَعْمَلُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا - مِنْ كَافِرٍ - يَرَى ثَوَابَهَا فِي نَفْسِهِ وَأَهْلِهِ وَمَالِهِ حَتَّى يَخْرُجَ مِنَ الدُّنْيَا  
وَلَيْسَ لَهُ حَبِيرٌ. وَمَنْ يَعْمَلُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ - مِنْ مُؤْمِنٍ - يَرَى عِقَابَهَا فِي نَفْسِهِ وَأَهْلِهِ وَمَالِهِ  
حَتَّى يَخْرُجَ مِنَ الدُّنْيَا وَلَيْسَ لَهُ شَرٌّ. وَقَالَ: مَا يُؤْمِنُنِي أَنْ يَكُونَ اللَّهُ قَدْ أَطْلَعَ عَلَيَّ فِي بَعْضٍ  
مَا يَكْرَهُ فِقْتَنِي، وَقَالَ: أَذْهَبَ لَا أَغْفِرُ لَكَ، مَعَ أَنْ عَمَائِمَ الْقُرْآنِ تَرْدِي عَلَى أُمُورٍ حَتَّى أَمُوهَ  
لَيَنْقُضِي أَهْلِي وَلَمْ أَفْرُغْ مِنْ حَاجَتِي

وَكَتَبَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ بِسْأَلِهِ أَنْ يُبَيِّنَهُ غَلَامَهُ سَالِمًا - وَكَانَ عَامِدًا  
خَيْرًا زَاهِدًا - فَكَتَبَ إِلَيْهِ: إِنِّي قَدْ دَرَرْتُهُ<sup>(٥)</sup>، قَالَ: فَازْدَدَنِيهِ، فَأَتَانَا سَالِمٌ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ:  
إِنِّي قَدْ أَبْطَلْتُ بِمَا تَرَى، وَأَنَا وَاللَّهُ أَتَخَوَّفُ أَنْ لَا أَنْجُو، فَقَالَ لَهُ سَالِمٌ: لِمَنْ كُنْتَ كَمَا نَقُولُ  
فَهَذَا بِجَانِهِ، وَإِلَّا فَهُوَ الْأَمْرُ الَّذِي يَخَافُ. قَالَ: يَا سَالِمُ عَطَى، قَالَ: آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ  
أَخْطَأَ خَطِيئَةً وَاحِدَةً خَرَجَ مِنْ الْجَنَّةِ، وَأَتَمَّ مَعَ حَمَلِ الْخَطَايَا تَرْحُومَ دُخُولِ الْجَنَّةِ، ثُمَّ سَكَتَ.  
قَالَتْ: وَالْأَمْرُ كَمَا قِيلَ فِي بَعْضِ كُتُبِ اللَّهِ: تَزْرَعُونَ السَّيِّئَاتِ وَتَرْجُونَ الْحَسَنَاتِ، لَا يَجْنِي  
مِنْ الشُّوْكِ الْمَسْبُورِ.

(١) مِنَ الْآيَةِ: ٣٧ مِنْ سُورَةِ ق.

(٢) مِنَ الْآيَةِ: ٩ مِنْ سُورَةِ الْحُجَّةِ.

(٣) مِنَ الْآيَةِ: ٢٩ مِنْ سُورَةِ الدِّجَانِ.

(٤) آخِرُ سُورَةِ الزَّلْزَلَةِ.

(٥) أَيْ: أَعْتَقْتُهُ، وَالتَّدْيِيرُ: عَتَقَ الْعَبْدَ.

نصل الذنوب إلى الذنوب وترجمي درج الجنان وطيبت عيش المآد  
ونسيت أن الله أخرج آدمًا منها إلى الدنيا بذهب واحد

وقال : من قرأ القرآن متع بمفعله ، وإن بلغ من العمر مائتي سنة . وقال له رجل : ما تقول  
في التوبة ؟ قال : لا أحسنها ، قال : أرايت إن أعطيت الله عهدًا أن لا تمصيه أبدًا ؟ قال :  
فإن أعظم جرماً منك ، تتأني<sup>(١)</sup> على الله أن لا ينفذ فيك أمره .

وقال الخافظ أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني : حدثنا ابن عبد العزيز ، حدثنا  
أبو عبيد القاسم بن سلام ، حدثنا عباد بن عباد ، عن هشام بن زياد أبي القدام ، قالوا سلمهم :  
حدثنا محمد بن كعب القرظي قال : حدثنا ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال : « من أحب أن  
يكون أغنى الناس فليكن بما في يد الله أوثق مما في يده . ألا أنبئكم بشراركم ؟ قالوا : نعم  
يا رسول الله : قال : من نزل وحده ، ومنع رفقه ، وجلد عبده . أو أنبئكم بشر من هذا ؟ قالوا :  
نعم يا رسول الله ! قال : من لا يقبل عثرة ، ولا يقبل مغلظة ، ولا يقبل ذنباً . ثم قال : ألا أنبئكم  
بشر من هذا ؟ قالوا : نعم يا رسول الله ! قال : من لا يرجى خيره ، ولا يؤمن شره ،  
إن عيسى بن مريم قام في بني إسرائيل خطيباً فقال : يا بني إسرائيل ! لا تكلموا بالحكمة عند  
الجهل فتظلموها ، ولا تنموا أهلها فتظلموها - وقال مرة فتظلموهم - ولا تظلموا ظالمًا ،  
ولا تظالموا ظالمًا ، فيظلم فضلكم عند ربكم . يا بني إسرائيل ! الأمور ثلاثة . أمر تبين رشده  
فاتبوه ، وأمر تبين غيه فاجنبوه ، وأمر اختلف فيه فردوه إلى الله ،

وهذه الألفاظ لا تحفظ عن النبي ﷺ بهذا السياق إلا من حديث محمد بن كعب ، عن  
ابن عباس ، وقد روى أول الحديث إلى ذكر عيسى من غير طروقه . وسيأتي أن هذا الحديث  
نفرده الطبراني بطوله ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

وفيها : توفي أبو نصره النضر بن مالك بن قسطة السدي ، وقد ذكرنا تراجمهم  
في كتابنا التكميل .

### ثم دخلت سنة تسع ومائة

ففيها : عزل هشام بن عبد الملك أسد بن عبد الله القسري عن إمرة خراسان ، وأمره أن يقدم  
إلى الحج ، فأقبل منها في رمضان ، واستخلف على خراسان - الحكم بن عوالة الكلبي ، واستناب

هشام على خراسان - أشرس بن عبد الله السلي ، وأمره أن يكاتب خالد بن عبد الله القسري ، وكان أشرس فاضلاً خيراً ، وكان يُسمى السكامل لذلك ، وكان أول من اتخذ الرابطة بخراسان ، واستعمل الرابطة عبد الملك بن زياد الساعلي ، وتولى هو الأمور بنفسه كثيراً وصغيرها ، فخرج بها أهلها .  
وفيهما : حج بالناس إبراهيم بن هشام أمير الحرمين .

### سنة عشر ومائة من الهجرة النبوية

فِيهَا : قَاتَلَ مُسْلِمَةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، مَلَكَ التُّرْكِ الْأَعْظَم - خَاقَانَ ، فَزَحَفَ إِلَى مُسْلِمَةَ فِي جُوعٍ عَظِيمَةٍ ، فَتَوَاتَفُوا نَحْوًا مِنْ شَهْرٍ ، ثُمَّ هَزَمَ اللَّهُ خَاقَانَ رَمَنَ الشَّتَاءِ ، وَرُجِعَ مُسْلِمَةُ سَلَامًا غَانِمًا ، فَذَلِكَ عَلَى مُسْلِمَةَ (١) ذِي الْقَرْنَيْنِ فِي رَجُوعِهِ إِلَى الشَّامِ ، وَنَسِيَ هَذِهِ الْأَمْرَةَ « فَرَأَى الْأَطِين » ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ سَلَكُوا عَلَى مَفَارِقَ وَمَوَاضِعَ ، غَرِقَ فِيهَا دَوَابٌ كَثِيرَةٌ ، وَتَوَحَّلَ فِيهَا خَلْقٌ كَثِيرٌ ، فَانْجَحُوا حَتَّى قَاسُوا شَدَائِدَ وَأَهْوَالًا صَمَابًا ، وَشَدَائِدَ عَظَامًا .

وفيهما : دعا أشرس بن عبد الله السلي - نائب خراسان - أهل القدمة بسمرقند ، ومن وراء النهر إلى الدخول في الإسلام ، وبضع عنهم الجزية ، فأجابوه إلى ذلك ، وأسلم غالبيتهم ، ثم طلبهم بالجزية ، فنصبوا له الحرب وقَاتَلُوهُ . ثم كانت بينه وبين التُّرْكِ حُرُوبٌ ، أَطَالَ ابْنُ جَرِيرٍ يَبْطِطُهَا ، وَشَرَحَهَا فَوْقَ الْحَاجَةِ .

وفيهما : أَرْسَلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ - هِشَامُ بْنُ عُبَيْدَةَ إِلَى إِمْرِيَّةٍ مَتَوَلِيًا هَالِكًا ، فَمَا وَصَلَ حَمْرَ ابْنِهِ وَأَخَاهُ فِي جَيْشٍ ، فَاتَّفَقُوا مَعَ الْمُشْرِكِينَ ، فَقَتَلُوا مِنْهُمْ خَلْقًا كَثِيرًا ، وَأَسْرَوْا بَطَرِيقَهُ (٢) ، وَانْهَزَمَ بَاقِيَهُمْ ، وَغَرِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْهُمْ شَيْئًا كَثِيرًا .

وفيهما : انْفَتَحَ مَعَاوِيَةُ بْنُ هِشَامٍ - حَصْنَيْنِ مِنْ بِلَادِ الرُّومِ ، وَغَنِمَ غَنَائِمَ كَثِيرَةً .

وفيهما : حج بالناس إبراهيم بن هشام ، وعلى العراق خالد القسري ، وعلى خراسان أشرس السلي .

ذكر من توفي فيها من الأعيان :

جَرِيرُ الشَّامِ : وَهُوَ جَرِيرُ بْنُ الْخَطَّافِ ، وَيُقَالُ : ابْنُ عَطِيَّةَ بْنِ الْخَطَّافِ . وَاسْمُ الْخَطَّافِ : حُدُفَةُ ابْنِ بَدْرِ بْنِ سَلَمَةَ بْنِ عَوْفٍ بْنِ كَلَيْبٍ بْنِ بَرْوَعٍ بْنِ حَنْظَلَةَ بْنِ مَالِكِ بْنِ زَيْدِ مَنَةَ بْنِ تَمِيمٍ بْنِ مُرَّةَ ابْنِ أَدْنَ بْنِ طَاهِيَةَ بْنِ إِيَّاسَ بْنِ مَعْمَرٍ بْنِ نَزَارٍ . وَيَكْنَى : أُمَا حَزْرَةَ الشَّاعِرِ الْبَحْرِيِّ ، قَدِمَ دِمَشْقَ

(١) في الطبري : فسلك على مسجد ذي القرنين .

(٢) البطريق : القنطرة من قواد الروم تحت يده عشرة آلاف رجل .

مراراً ، وامتدح يزيد بن معاوية ، والخلفاء من بعده ، ووفد على هر بن عبد العزيز ، وكان في عصره من الشعراء الذين يتقانونه : الفرزدق ، والأخطل ، وكان جرير أشعرهم وأخيرهم . قال غير واحد : هو أشعر الثلاثة . قال ابن دريد : ثنا الأشناداني ، ثنا النوري عن أبي عبيدة ، عن هيثم بن أبي قال : رأيت جريراً وما تضحك من التسييح ، فقلت : وما يضحك هذا ؟ فقال : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر والله لحد ، ( إن الحسنات يذهبن السيئات )<sup>(١)</sup> ، وعد من الله حق . وقال هشام بن محمد السكابي ، عن أبيه قال : دخل رجل من بني عذرة على عبد الملك بن مروان يمتدحه بقصيدة ، وهذا الشعراء الثلاثة : جرير ، والفرزدق ، والأخطل ، فلم يعرفهم الأعرابي . فقال عبد الملك للأعرابي : هل تعرف أهدى بيت قاله العرب في الإسلام ؟ قال : نعم ! قول جرير :

فَمَنْ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ نُتَيْرٍ فَلَا كَيْفًا بَلُفْتَ وَلَا كَلَابًا

قال : أحسنت ، فهل تعرف أمدح بيت قيل في الإسلام ؟ قال : نعم ! قول جرير :

الَسْمَ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ لَطَالِي وَأَتَى الْعَالَمِينَ بَطُونِ رَاحٍ

قال : أصبت وأحسنت ، فهل تعرف أرق بيت قيل في الإسلام ؟ قال : نعم ! قول جرير :

إِنَّ الْعَبُونَ الَّتِي فِي طَرْفِهَا مَرَضٌ<sup>(٢)</sup> قَتَلْنَا نَمَّ لَمْ يُجْهِجْ قَتَلْنَا  
نَعْرَ عَنْ ذَا الْقَبْ حَقِي لَا حَرَاكَ بِهِ وَهَنْ أَضْعَفَ خَلْقَ اللَّهِ أَرَاكَ<sup>(٣)</sup>

قال : أحسنت ، فهل تعرف جريراً ؟ قال : لا والله ، وإني إلى رؤيته مشتاق ، قال : فهذا جرير ، وهذا الفرزدق ، وهذا الأخطل ، فأنشأ الأعرابي يقول :

فَتَا إِلَهَ أَبَا حَزْرَةَ وَأَرْغَمَ أَفْكَ يَا أَخْطَلُ  
وَجِدْ الْفَرَزْدَقَ انْهَسَ بِهِ وَرَقَ خِيَاشَمِهِمُ الْجَنْدَلُ

فأنشأ الفرزدق يقول :

يَا أَرْغَمَ اللَّهُ أَفْكَ أَنْتَ حَامِلُهُ يَا أَخْطَلُ وَمَقَالُ الزُّورِ وَالْخَطَلُ  
مَا أَنْتَ بِالْحَكَمِ الْفَرَزْدَقُ حُكُومَتُهُ وَلَا الْأَصِيلُ وَلَا ذِي الرَّأْيِ وَالْجَدَلُ

ثم أنشأ الأخطل يقول :

يَا شَرَّ مَنْ حَلَّتْ سَاقِي عَلَى قَدَمٍ مِثْلَ قَوْلِكَ فِي الْأَقْوَامِ يُحْمَلُ  
إِنَّ الْحُكُومَةَ لَيْسَتْ فِي أَيْدِيكَ وَلَا فِي مِشْرِ أَنْتَ مِنْهُمْ لَكُمْ سَفَلُ

(١) من الآية : ١١٤ من سورة هود . (٢) للشهيد : حور . (٣) في رواية : إنسانا .

فقام جرير مضطجاً وقال :

أشْتَمَانِ سَفَاهَا خَيْرٌ لِّمِ حَمِيَا      فَنِيكَا - وَالْهَى - الْوُدُّ وَالْخَطْلُ

شَتَمْتَاهُ عَلَى رَفِيٍّ وَوَضَعْتَا      لَا زِلْمَا فِي سِفَالِ أَيُّهَا السُّفْلُ

ثم وثب جرير فقتل رأس الأعرابي وقال : يا أمير المؤمنين ، جازني له - وكانت خمسة آلاف - فقال عبد الملك : وله مثلها من مالي . فقبض الأعرابي ذلك كله وخرج .

وحكى يعقوب بن السكيت : أن جريراً دخل على عبد الملك مع وفد أهل العراق من جهة الحجاج ، فأشده مدبجه الذي يقول فيه :

السُّقْمُ خَيْرٌ مِّنْ رَّكَبِ الطَّيَا      وَأَنْدَى الْعَالِينَ بَطُونِ رَاحِ

فأطلق له مائة ناقة ، وثمانية من الرعاء ؛ أربعة من النوبة ، وأربعة من السبي الذين قدم بهم من الصفد . قال جرير : وبين يدي عبد الملك جامان من فضة قد أهديت له ، وهو لا يبدأ بها شيئاً ، فهو يقرعها بقضيب في يده ، فقلت : يا أمير المؤمنين اللعالب<sup>(٢)</sup> ، فألقى إلى واحدٍ من تلك الجلمات ، ولما رجع إلى الحجاج أعجبه لإكرام أمير المؤمنين له ، فأطلق الحجاج خمسين ناقة تحمل طعاماً لأهلها .

وحكى نسطوبه : أن جريراً دخل يوماً على شد بن سراوان ، وعنده الأخطل ، فقال بشر جرير : أنصرف هذا ؟ قال : لا ، ومن هذا أيها الأمير ؟ فقال : هذا الأخطل ، فقال الأخطل : أما الذي قد فت عرسك ، وأسهرت إيلك ، وآذيت قومك ، فقال جرير : أما قولك شمت عرسك ، فاعصر البحر أن يشتمه من غرق فيه ، وأما قولك : وأسهرت إيلك ، فهو تركتني أنام لسكان حيرآك ، وأما قولك : وآذيت قومك ، فكيف تؤذي قوماً أنت تؤذي الجزية إليهم ؟ وكان الأخطل من نصاري العرب المنتصرة - فبعه الله وأبعد منواه - وهو الذي أنشد بشر بن سراوان قصيدته التي يقول فيها :

قد استوى بشر على العراق      من غير سيفٍ ودَمٍ مُّهِرَاقٍ

وهذا البيت تستدل به الجهمية<sup>(٣)</sup> على أن الاستواء على العرش بمعنى الاستيلاء ، وهذا من تحريف الحكماء من مواضع . وليس في بيت هذا النصراني حجة ، ولا دلائل على ذلك ، ولا أراد الله عز وجل باستوائه على عرشه استيلائه عليه ، تعالى الله عن قول الجهمية طرّاً

(١) الملب : إناء ملب فيه .

(٢) الجهمية : فرقة من الجوازع .

كبيراً ، فإنه إنما يقال : استوى على الشيء - إذا كان ذلك الشيء عاصياً عليه قبل استيلائه عليه ، كاستيلاء بشر على العراق ، واستيلاء الملك على اللدنة بعد عصيائها عليه ، وعرش الرب لم يكن محتجاً عليه نفساً واحداً ، حتى يقال : استوى عليه ، أو معنى الاستواء الاستيلاء . ولا نجد أضغف من جميع الجهمية ، حتى أدام الإنفلاس من المصحح إلى بيت هذا النصراني المتبجح ، وليس فيه حجة ، والله أعلم .

وقال الميثم بن عدي ، عن عوانة بن الحسك قال : لما استخلف عمر بن عبد العزيز وفد إليه الشمراء ، فكنوا باباه أياماً لا يؤذن لهم ، ولا يلتفت إليهم ، فساءهم ذلك ، وهما بالرجوع إلى بلادهم ، فمر بهم رجاء بن خبوة ، فقال له جرير :

يا أيها الرجل المرخي عامته هذا زمانك فاستأذن لنا عمرا  
فدخل ، ولم يذكر لعمر من أمرهم شيئاً ، فرسهم عدي بن أرماد<sup>(١)</sup> ، فقال له جرير مفشداً :

يا أيها الراكب المرخي مطيئه هذا زمانك إلى قد مضى زمني  
أبلغ خليفتنا إن كنت لائقه أن أدنى الباب كالصمود في قرن  
لا تنس حاجتنا لائقته مفرقة قد طال مكثي عن أهل وعن بطني

فدخل عدي على عمر بن عبد العزيز فقال : يا أمير المؤمنين ، الشمراء بياك ، وساءهم مسومة ، وأقروا نافذة ، فقال : وبحك يا عدي ، مالي ولا شمراء ! فقال : يا أمير المؤمنين ، إن رسول الله ﷺ قد كان يسمع الشعر ، ويجري عليه ، وقد أشده العباس بن مرداس مدحه ، فأعطاه حلة ، فقال له عمر : أروني مها شيئاً ؟ قال : نعم ، فأشده :

رايتك يا خير البرية كلها نشرت كتماناً جاء الحق فخلق مؤمدا  
شرعت لنا دين الهدى مد جودنا عن الحق لما أصبح الحق مؤمدا  
ونورث بالبرهان أمراً مؤمداً وأطاعت بالقرآن تاراً نصرما  
فن مبلغ عني النهي محمداً وكل امرئ به مجرى عما كان قدما  
أفت سبيل الحق بعد اعوجاجه وكان قديماً ركنه قد تهما  
تعالى علواً فوق عرش إلهاً وكان مكان الله عللاً وأمظما

فقال عمر : من الباب منهم ؟ فقال : عمر بن أبي ربيعة ، فقال : أليس هو الذي يقول :  
ثم نهت بها فبهت كهابا طلق ما تبين رجح الكلام

(١) في الأغاني : إن الذي مر بهم ! عون بن عبد الله بن عتبة ، وقيل : آخر .

ساعة ثم إليها بعد قالت : وَإِنَّا قَدْ جِئْتُ بِأَمْنٍ الْكَرَامِ  
أعلى غير موعد جئت تسري تنصلي إلى رؤوس النيام  
ما تحشم ما تريد من الأثر ولا حيث طارفاً لخصام  
فلو كان هدو الله إذ فجر كنتم وستر على غشه ، لا يدخل والله أبداً . فن باباب - واه ؟  
قال : هام بن غالب - بمعنى القززدق - فقال عمر : أوليس هو الذي يقول في شعره :  
ها دلياني من ثمانين قامة كما انقض باز أقتم الریش كاسره  
فلما استوت رجالى بالأرض قالنا أحمى يرجى أم قتل محاذره ؟  
لا بطلاً والله ساملي وهو كاذب ، فن سواء باباب ؟ قال : الإخطل ، قال : أوليس  
هو الذي يقول :

ولست بصائم رمضان طوماً ولست بأكل لحم الأضاحي  
ولست بزاجر هيماً بگور إلى بطحاء مكة للنجاح  
ولست بزائر بيتاً بعيداً بمكة أبتى فيه صلاحي  
ولست بقائم كامير أدعو قبيل الصبح حتى هل الفلاح  
ولكني سأثرها شمولاً وأسجد عند منبلج الصباح

والله لا يدخل على وهو كاذب أبداً ، فهل باباب سوى من ذكرت ؟ قال : نعم - الأخوص ،  
قال : أليس هو الذي يقول :

الله يبي وبين سيدها يفسر مقي بها وأتبعه  
فا هو دون من ذكرت ، فن ههنا غيره ؟ قال : جميل بن ممر ، قال : الذي يقول :  
ألا ليتنا نحيا جميعاً وإن تمت يوافق في الموت خويجي خويجها  
فا أنا في طول الحياة براغب إذا قيل قد سوى عليها صفيحها .

فلو كان عدو الله تمنى لقاءها في الدنيا ليمهل بذلك صالحاً ويتوب ، والله لا يدخل على أبداً ،  
فهل باباب أحد سوى ذلك ؟ قلت : جبر ، قال : أما إنه الذي يقول :

طرقتك صائدة القلوب وليس فا حين الزياوة فارجمي بسلام  
فلن كان لا بد فأذن لجبر ، فأذن له ، فدخل على عمر وهو يقول :

إن الذي يموت النبي محمداً جعل الخلافة للإمام المادل  
وسم الخلائق عدله ووقاؤه حق ارموى وأقام ميل اللائل  
إني لأرجو منك خيراً عاجلاً والنفس مولدة بحب العاجل



فقال له : ويحك يا جرير ! اتق الله فيما تقول . ثم إن جريراً استأذن عرق الإنشاد فلم يأذن له ، ولم ينهه ، فأنشده قصيدة طويلة يمدح بها ، فقال له : ويحك يا جرير ! لا أرى لك فيما همنا حقاً ، فقال : إني مسكين وإن سبيل ، قال : إنا ولينا هذا الأمر وعينك لا عليك إلا ثلاثمائة درهم : أخذت أم عبد الله مائة ، وابنها مائة ، وقد بقيت مائة ، فأمر له بها . فخرج على الشعراء ، فقالوا : ما وراءك يا جرير ؟ فقال : ما يسوءكم ، خرجت من عند أمير المؤمنين ، وهو يعلم الشعراء ، ويعلم الشعراء ، وإني عنه لراض ، ثم أشتأ يقول :

رأيت رُقَى الشيطان لا تستقرُّه    وقد كان شيطاني من الجن راقياً

وقال بعضهم فيما حكاه المادني بن زكريا الجبري : قالت جارية للمهاجر بن يوسف : إنك تدخل هذا علينا ، فقال : إنه ما عدت منيفاً ، فقالت : أما إنك لو أخليتني وإياه سترى ما يصنع ، فأمر باخلاصها مع جرير في مكان يراها المهاجر ، ولا يريانه ، ولا يشمر جرير بشيء من ذلك ، فقالت له : يا جرير ! فأطرق رأسه ، وقال : هاأنذا ، فقالت : أشدني من قولك كذا وكذا - اشمر فيه رقة - فقال : استأذنه ، ولكن أحفظ كذا وكذا - وبعرض من ذلك وينشدها شمرًا في مدح المهاجر - فقالت : استأذنه هذا ، إنا أريد كذا وكذا - فيعرض من ذلك ، وينشدها في المهاجر - حتى انقضى المجلس ، فقال المهاجر : لله ذك ، آيت إلا كرماً وتكرماً . وقال حكيمه : أنشدت أمرايما بيتاً لجرير الخطفي :

أبدل الليل لا تجري كواكبه    أو طال حتى حبت النجم هجراً ؟

فقال الأعرابي : إن هذا حسن في مساء ، وأعوذ بالله من مثله ، ولكنني أشدك في ضده من قول :

وليل لم يقصره    فاد وقصره لنا وصل الحبيب  
نسيم الحب أوزي فيه حتى    تناولنا جناه من قريب  
يجلس لقة لم ننف فيه    على شكوى ولا عيب الذنوب  
خشينا أن نقطعه بلفظ    فترجت الميون عن القلوب

فقلت له : زدني ، قال : أما من هذا فحسبك ، ولكن أشدك غيره ، فأنشدني :

وكنيت إذا عقدت حبال قوم    محبتهم وشبهتني الوفاء  
فأحسن حين يحسن محسوم    واجتنب الإساءة إن أساءوا  
أشاء سوى مشيتهم فأتى    مشيتهم وأترك ما أشاء

قال ابن خلكان : كان جرير أشمر من القزدوق عند الجمهور ، وأغريبت قلة جرير :

إذا غضبت عليك بنو تميم    حسب الناس كلهم غضاباً

قال وقد سأله رجل : من أشعر الناس ؟ فأخذ بيده وأدخله على أبيه ، وإذا هو يرتضع من ثدي عزة ، فاستدعاه ، فنهض والابن يسيل على لحيته ، فقال جرير لأبي : أنبصر هذا ؟ قال : نعم ، قال : أتعرفه ؟ قال : لا ، قال : هذا أبي ، وإنما يشرب من ضرع العزة لثلاثيها ، فيسمع جيرانه حس الحلب فيطلبوا منه لبناً ، فأشعر الناس من فأخر بهذا ثمانين شاعراً فتلهم .

وقد كان بين جرير والفرزدق مقاولات ومهاجاة كثيرة جداً ، يطول ذكرها ، وقد مات في سنة عشر ومائة ، قاله خليفة بن خياط ، وغير واحد . قال خليفة : مات الفرزدق ، وجرير بعده بأشهر . وقال الصولي : ماتا في سنة إحدى عشرة ومائة ، ومات الفرزدق قبل جرير بأربعين يوماً . وقال الذكرجي ، عن الأصبغ ، عن أبيه قال : رأى رجل جريراً في المنام بعد موته ، فقال له : ما لله بك ؟ فقال : أغفر لي ، فقيل : لماذا ؟ قال : بشكيرة كبرت بها بالبادية ، قيل له : فما فعل الفرزدق ؟ قال : أياهات ! أحللكه قذف المحصنات . قال الأصبغ : لم يدعه في الحياة ولا في المات .

وأما الفرزدق ، واسمه : همام بن غالب بن صمصمة بن ناجية بن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع بن دأرم بن مالك بن حنظلة بن زيد ، فمات بن تميم بن مر بن أد بن طابخة — أبو فراس بن أبي خنظل ، التميمي ، البصري ، الشاعر — المعروف بالفرزدق ، وحده : صمصمة بن ناجية — صحابي ، وفد إلى رسول الله ﷺ ، وكان يحكي اللومودة في الجاهلية . حدث الفرزدق عن علي : أنه ورد مع أبيه عليه ، فقال : من هذا ؟ قال : ابني وهو شاعر ، قال : علمه القراءة فهو خير له من الشعر . وسمع الفرزدق الحسين بن علي ، ورآه وهو ذاهب إلى العراق ، وأبا هريرة ، وأبا سعيد الخدري ، وعمر بن الخطاب بن أسد ، وزرارة بن كرب ، والاعلم ، ماح بن عدى الشاعر . وروى عنه خالد الحذاء ، ومروان الأصغر ، وحجاج بن حجاج الأحول ، وجماعة . وقد وفد على معاوية يطلب ميراث عمه الحباب ، وعلى الوليد بن عبد الملك ، وعلى أخيه ، ولم يصح ذلك . وقال أنشدني عبد الله ، عن الفرزدق ، قال : نظر أبو هريرة إلى قدي قال : يا فرزدق ! إلى أرى قدميك صغيرين طالبت لهما موضعاً في الجنة ، فقلت : إن ذنوبي كثيرة ، فقال : لا بأس ، فإن سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن بالقرب باباً مفتوحاً لقربة لا يملق حتى تطالع الشمس من منبرها » .

وقال معاوية بن عبد الكريم عن أبيه قال : دخلت على الفرزدق فتعرك ، فإذا في رجله قيد ، فقلت : ما هذا ؟ فقال : حملت أن لا أزعه حتى أحفظ القرآن . وقال أبو عمرو بن العلاء : ما رأيت بشوياً أقام بالحضر إلا فسد لسانه — إلا روبة بن المعجاج والفرزدق ؛ فلهما زاد على طول الإقامة حدة وحدة . وقال روايته أبو شقيل : طلق الفرزدق امرأته النوار ثلاثاً ، ثم جاء فأشبه على ذلك الحسن البصري ، ثم قدم على طلائعها ، وإنشاده الحسن على ذلك ، فأنشأ يقول :

فلو أنى ملكت بدى وقلبي لكان على القدر الخيار  
ندمت ندامة السكسنى لما غدت منى مطلقا نوار  
وكانت جنتى نخرجت منها كآدم حين أخرجه الضرار

وقال الأصمى وغير واحد : لما ماتت النوار بنت أعين بن ضبيعة الجاشنى ، امرأة الفرزدق - وكانت قد أوصت أن يصل عليها الحسن البصرى - فشهدا أعيان أهل البصرة مع الحسن والحسن على بنقلته ، والفرزدق على بعيره ، فسارا فقال الحسن للفرزدق : ماذا يقول الناس ؟ قال : يقولون شهد هذه الجنازة اليوم خير الناس - يبنونك ، وشر الناس - يبنونى ، فقال له : يا أبا فراس ! لست أنا بخير الناس ولست أنت بشر الناس ، ثم قال له الحسن : ما أعددت لهذا اليوم ؟ قال : شهادة أن لا إله إلا الله منذ ثمانين سنة ، فلما أن صل عليها الحسن مالوا إلى قبرها فأنشأ الفرزدق يقول :

أخاف وراء القبر إن لم يافنى أشد من القبر التهايا وأضيقا  
إذا جادنى يوم القيامة فائد عفيف وسواق يسوق الفرزدقا  
لقد خاب من أولاد دارم من منى إلى الدار مغلول القلادة أزرقا  
يساق إلى نار الجحيم مسر بلا سرايل قطران لباسا مخرقا  
إذا شربوا فيها الصديد رأيتهم يذوبون من حر الصديد تمزقا

قال : فبىكى الحسن حتى بل الثرى ، ثم التزم للفرزدق وقال : اندكمت من أبيض الناس إلى ، وإنك اليوم من أحب الناس إلى . وقال له بعض الناس : ألا تخاف من الله في قذف الحصنات ، فقال : والله ، فله أحب إلى من عيني الاثنين أبيض بهجا ، فكيف يذبنى ؟ وقد قدمنا أنه مات سنة عشر ومائة قبل جرير بأربعين يوما ، وقيل بأشهر ، والله أعلم .

وأما الحسن ، وابن سيرين - فقد ذكرنا ترجمة كل منهما في كتابنا « التكميل » مبسوطا وحسبنا الله ونعم الوكيل .

فأما الحسن بن أبى الحسن : فاشم أبوه يسار ، وأبوه أبو سعيد البصرى مولى زيد بن ثابت ، ويقال : مولى جابر بن عبد الله ، وقيل : غير ذلك ، وأمه خيرة مولاته لأم سلمة كانت تخدمها ، وربما أرسلتها في الحاجة فتشتغل عن وادها الحسن وهو رضيع ، فتشاكله أم سلمة بتدبيرها فيدبران عليه يرضع منها ، فكانوا يرون أن تلك الحكمة والعلوم التي أوتيتها الحسن من بركة تلك الرضاة من الندى المنسوب إلى رسول الله ﷺ . ثم كان - وهو صغير - يخرج أمه إلى الصعابة فيدعون له ، وكان في جملة من يدعو له عمر بن الخطاب ، قال : اللهم فقّهه في الدين ،

وحته إلى الناس وحمل مرة أنس بن مالك عن مسألة فقال : سلوا عما مولانا الحسن ، فإنه سمع وسمنا ، لحفظ وسمينا . وقال أنس مرة : إني لأعجب أهل البصرة مهذين الشيخين : الحسين ، وابن سيرين .

وقال قتادة : ما جالست رجلاً فقيهاً إلا رأيت فضل الحسن عليه ، وقال أيضاً : ما رأيت عيناى أتمه من الحسن . وقال أنوب : كان لرجل يحالئ الحسن ثلاث جمع ما يسأله من مسألة حيلة له . وقال الشعبي لرجل يريد قدوم البصرة : إذا نظرت إلى رجل أجل أهل البصرة وأهمهم فهو الحسن ، فقرنه معي السلام . وقال يونس بن عبيد : كان الرجل إذا نظر إلى الحسن انتفع به وإن لم ير عمله ولم يسمع كلامه . وقال الأعمش : ما زال الحسن يبي الحسكة حتى نطق بها . وكان أبو جعفر إذ ذكره يقول : ذاك الذي يشبه كلامه كلام الأنبياء .

وقال محمد بن سعد : قالوا كان الحسن جاهداً للعلم والعمل ، عالماً رفيحاً - قتيماً - ثقة مأموناً عابداً زاهداً - ناسكاً كثير العلم والعمل - نصيحاً جميلاً زسياً ، وقدم مكة فأجلس على سرير ، وجلس العلماء حوله ، واجتمع الناس إليه فحدثهم . قال أهل التاريخ : مات الحسن من ثمان وثمانين سنة ، عام عشر ومائة في رجب منها ، بينه وبين محمد بن سيرين مائة يوم .

وأما ابن سيرين فهو محمد بن سيرين ، أبو بكر بن أبي عمرو الأصمري ، مولى أنس بن مالك النضري . كان أبو محمد من سبي هين التمر ، أسره خالد بن الوليد في جهة السبي ، فاشتراه أنس ثم كاتبه ، ثم ولد له من الأولاد : الأخيار جماعة ؛ محمد هذا ، وأنس بن سيرين ، ومميد ويحيى وخفصة ، وكريمة ، وكلهم تابعيون ثقات أجلاء - رحمهم الله .

قال البخاري : ولد محمد اسنتين بقيتا من خلافة عثمان . وقال هشام بن حسان : هو أصدق من أدركت من العشر ، وقال محمد بن سعد : كان ثقة مأموراً عالماً رفيحاً فقيهاً إماماً كثير العلم ورجلاً ، وكان به صمم . وقال مؤرق العجلي : ما رأيت رجلاً أتمه في ورعه ، وأورع في فقهه منه ، قال ابن عيون : كان محمد بن سيرين أرجح الناس لهذه الأمة ، وأشد الناس إزاراً على نفسه ، وأشدهم خوفاً عليها . قال ابن عيون : ما بكى في الدنيا مثل ثلاثة ، محمد بن سيرين في الداء ، والقاسم بن محمد في الحجاز ، ورجاء بن حيوة بالشام . وكانوا يأنون بالحديث على حرره ، وكان الشعبي يقول : عليكم بذلك الأعم - يعني محمد بن سيرين . وقال ابن شوذب : ما رأيت أحداً أجراً على تمييز الروايات منه ، وقال عثمان التقي : لم يكن بالبصرة أعلم بالقضاء منه . قالوا ومات تاسع شوال من هذه السنة بعد الحسن بمائة يوم .

## فصل

كان اللائق ، بالؤلف أن يذكر تراجم هؤلاء العلماء الأخيار قبل تراجم الشعراء المتقدم ذكرهم ؛ فيبدأ بهم ثم يأتي بتراجم الشعراء ، وأيضاً فإنه أطال القول في تراجم الشعراء واختصر تراجم العلماء ، ولو كان فيها حسن وحكمة ينتفع بها من وقف عليها ، ولعلها أفيد من مدحهم والثناء عليهم ، ولا سيما كلام الحسن وابن سيرين وذهب بن منبه - كما ذكره بعد وكما سيأتي ذكر ترجمته في هذه الزيادة - فإنه قد اختصرها جداً : وإن المؤلف أقدر وأوسع علماً ، فما ينبغي أن يحل ببعض كلامهم وحكمهم ؛ لأن النفوس مستشرة إلى معرفة ذلك والنظر فيه ؛ فإن أقوال السلف لها موقع من القلوب ، والمؤلف غالباً في التراجم يحيل على ما ذكره في « الحكيم » الذي صنفه في أسماء الرجال ، وهذا الكتاب لم يقف عليه نحن ولا من سألناه عنه من العلماء ، فإذا قد سألنا منه جماعة من أهل الفن فلم يذكر غير واحد أنه اطلع عليه فكيف حال غيرهم ؟

وقد ذكرت في غالب التراجم زيادات على ما ذكره المؤلف مما وصلت إليه معرفتي وأطاعتنا عليه ، ولو كان عندي كتب لأشيعت القول في ذلك ؛ إذ الحكمة هي ضالة المؤمن . ولعل أن يقف على هذا راضٍ في الآخرة ، طالب ما عند الله من وجل فينتفع به - أعظم مما ينتفع به من تراجم الخلف والملوك والأمراء ، وإن كانت تلك أيضاً نافعة لمعتبر ومزدجر ؛ فإن ذكر أئمة العدل والنجور بعد موتهم - فيها فضل أولئك ، وغم هؤلاء ، ليلم القائل أنه وإن مات لم يمت ما كان مثلهما به من الفساد والعظم ، بل هو مدون في الكتب عند العلماء . وكذلك أهل العدل والصلاح والخير ، فإن الله قص في القرآن أخبار الملوك والفراعنة والكفار والمفسدين ، تحذيراً من أحوالهم وما كانوا يعمون . وقص أيضاً أخبار الأنبياء والحسين والأبرار والأخيار والمؤمنين ، للإتداء والتأسي بهم ، والله سيجهانهم ، فنقول والله التوفيق :

أما الحسن : فهو أبو سعيد المصري الإمام الفقيه المشهور ، أحد التابعين الكبار الأجلاء هذا وعلا وإخلاصاً ، فروى ابن أبي الدنيا عنه قال : كان الرجل يتبعه عشرين سنة لا يشمر به جاره ، وأحدهم يصلّي أيلة أو بعض أيلة فيصبح وقد استطال على جاره . وإن كان القوم ليجمعون فينبذا كرون ، فتجىء الرجل عبرته فيردها ما استطاع ، فإن غلب قام عنهم . وقال الحسن : تنفس رجل هند عمر بن عبد العزيز فذكره عمر - أو قال : لكنه - وقال : إن في هذا لفتنة . وقد ذكره ابن أبي الدنيا عن الحسن عن عمر بن الخطاب ، وروى الطبراني عنه أنه قال : إن

قوماً المهتم أماني المنفرة ورجاء الرحمة ، حتى خرجوا من الدنيا وليست لهم أعمال صالحة ، يقول أحدهم : إني لحسن الظن بالله ، وأوجو رحمة الله ، وكذب ؛ لو أحسن الظن بالله لأحسن العمل لله ، ولو رجاء رحمة الله لطلبها بالأعمال الصالحة ، يوشك من دخل المفازة من غير زاد ولا ماء أن يهلك . وروى ابن أبي الدنيا عنه ، قال : حاذثوا هذه القلوب قلبها سرية الدنور <sup>(١)</sup> ، واقدّموا <sup>(٢)</sup> هذه الأنفس فلنبا تنزع إلى شر غاية .

وقال مالك بن دينار : قلت للحسن : ما عقوبة العالم إذا أحب الدنيا ؟ قال : موت القلب ، فإذا أحب الدنيا طلبها بعمل الآخرة ، فمعد ذلك ترحل عنه بركات العلم ويبقى عليه رسمه . وروى القتيبي عن أبيه قال : عاد الحسن عليلاً فوجده قد شفي من علته ، فقال : أيها الرجل إني لله قد ذكرتك فذكره ، وقد أظفك فاشكره . ثم قال الحسن : إنما للرض ضربة سوط من ملك كريم ، فإذا أن يكون المليل بعد المرض فرسا جواداً ، وإما أن يكون حماراً عتوراً مقوراً .

وروى القتيبي عن أبيه أيضاً قال : كتب الحسن إلى فرقد . أما بعد ، فإني أوصيك بتقوى الله ، والعمل بما علك الله ، والاستعداد لما وعد الله ، عما لا حيلة لأحد في دفعه ، ولا ينفع القدم عند نزوله ، فاحمير عن رأسك قناع الدافلين ، واثبه من رقعة الجاهلين ، وشتر الساق ؛ فإن الدنيا ميدان مسابقة ، والتماية الجنة أو النار ، فإن لي ولك من الله مقاماً بسانتي وإياك فيه من الحقيق والدقيق ، والخيال والخافي ، ولا آمن أن يكون فيما بسانتي وإياك عنه - وسأوس الصدوره ولخط الميرون ، وإصناه الأسحار ، وما أعجز عنه .

وروى ابن قتيبة ، عنه أنه مر على باب ابن هبيرة فرأى القراء - وكانوا هم الفقهاء - جلوساً على باب ابن هبيرة فقال : طفتكم نبالكم ، ويضتم ثيابكم ، ثم أنيتم إلى أبوابهم تسمون . ثم قال لأصحابه : ما ظنكم هؤلاء الخفءاء ؟ ليست محاسنهم من محاسن الأضياء ، وإنما محاسنهم محاسن الشرط . وروى الخرائطي عن الحسن ، أنه كان إذا اشترى شيئاً وكان في ثمنه كسر جيره لصاحبه ، ومرا الحسن يقوم يقولون : نقص دانق - أي من الدرهم الكامل والدنانير الكامل - إما أن يكون درهما ينقص نصفاً أو ربعاً ، والشرية تسعة ونصف ، وقس على هذا ، فكان الحسن يستحب جيران هذه الأشياء ، وإن كان اشترى السائمة بدرهم ينقص دانقا - كله درهما ، أو بنسبة ويصف كلها عشرة ، مروءة وكرماء . وقال عبد الأعلى السمار : قال الحسن : يا عبد الأمل ! أما يبيع أحدكم التوب لأخيه فينقص درهمين أو ثلاثة ؟ قلت لا والله ولا دانق واحد ،

(١) الدنور للقبوب : إجماع المذكور منها

(٢) أي نهروها وأبدوها عن الفحش .

قال الحسن : إن هذه الأخلاق فاقى من الرواة إذا ؟ قال : وكان الحسن يقول : لا دين إلا بجمرة ، وباع بقة له فقال له المشتري : أما تحطلى شيئاً يا أبا سعيد ؟ قال : لك حمون درهم ، أريدك ؟ قال : لا رضىت ، قال : بارك الله لك .

روى ابن أبى الدنيا عن حمزة الأحمى قال : ذهبت فى أمى إلى الحسن فقالت : يا أبا سعيد : انى هذا قد أحببت أن يلزمك فلعل الله أن ينفعه بك ، قال : فسكنت أختلف إليه ، فقال لى يوماً : يا بنى آدم الحزن حل خير الآخرة لعله أن يوصلك إليه ، واصلك فى ساعات الليل والنهار فى الخلوة كمل مولاك أن يطلع عليك فيخرجك فتنكون من الفائزين . قال : وكنت أدخل على الحسن منزله وهو يبكى ، وربما حنت إليه وهو يصل فأسمع بكاءه ونحيبه ، فقلت له يوماً : إنك تنكسر البكاء ، فقال : يا بنى ! ماذا يصنع المؤمن إذا لم يبكى ؟ يا بنى ! إن البكاء دافع إلى الرحمة ، فإن استطعت أن تكون عرك يا كيا فافضل ، لعله تعالى أن يرحمك ، فإذا أنت نجوت من النار . وقال : ما هو إلا حول الدار إما الجنة وإما النار ، ما هناك منزل ثالث . وقال : بائنا أن الباكى من خشية الله لا تطر من دموعه قطرة حتى تمتق رقبته من النار . وقال : لو أن يا كيا بكى فى ملا من خشية الله - لرحوا جميعا ، وليس شئ من الأعمال إلا له وزن ، إلا البكاء من خشية الله فإنه لا يقوّم الله بالدمعة منه شيئاً . قال : ما بكى عبد إلا شهد عليه قلبه بالصدق أو الكذب .

وروى ابن أبى الدنيا عنه فى كتاب اليقين ، قال : من علامات المسلم قوة دين ، وحزم فى كين ، وإيمان فى يقين ، وحكم فى علم ، وحسب فى رفق ، وإعطاء فى حق ، وقصد فى عفى ، وعمل فى فاقة ، وإحسان فى قدرة ، وطاعة ممها نصيحة ، وتورع فى رغبة ، وتعفف وصبر فى شدة ، لا ترد به رغبته ، ولا يبدره اسانه ، ولا يسبقه نصره ، ولا يغلبه فرحه ، ولا يميل به هواه ، ولا يفضعه اسانه ، ولا يستغفه حرصه ، ولا تقصر به نيته . كذا ذكر هذه الإنفاظ عنه <sup>(١)</sup> . قال : حدثنا عبد الرحمن بن صالح عن الحكم بن ظهير ، عن يحيى بن الخفاف عن الحسن فذكره . وقال فيه أيضاً عنه : يا ابن آدم إن من ضعف يقينك أن تكون بما فى يدك أوثق منك بما فى يدي الله عز وجل .

وقال ابن أبى الدنيا : حدثنا حل بن إبراهيم الشكرى ، حدثنا موسى بن إسماعيل الجبلى ، حدثنا حفص بن سليمان أبو مقاتل ، عن عون بن أبى شداد ، عن الحسن قال : قال لقمان لابنه : يا بنى ! العمل لا يقطع إلا باليقين ، ومن يصف بيقينه يصف عمله . وقال : يا بنى ! إذا جامك

الشیطان من قبل الشك والريب - فاعليه باليقين والنصيحة ، وإذا جاءك من قبل الكسل والسامة - فاعليه بذكر التور والقيامة ، وإذا جاءك من قبل الرغبة والرهبة - فأخبره أن الدنيا مفارقة متروكة . وقال الحسن : ما أبقي عبد بالجنة والنار حتى بقيهما - إلا خشع وذبل واستقام واقتصد حتى بأية الموت . وقال : باليقين طلبت الجنة ، وباليقين هربت من النار ، وباليقين أدبت الفرائض على أكل وجهها ، وباليقين أصبر على الحق ، وفي مفاة الله خير كثير ؛ قد والله رأيتهم يتماونون في الدامية ، فلذا نزل البلاء فارقوا . وقال : الناس في الدامية سواء ، فلذا نزل البلاء تبيين عنده الرجال . وفي رواية : فلذا نزل البلاء تبيين من يمد الله وغيره . وفي رواية فلذا نزل البلاء سكن المؤمن إلى إيمانه ، والتنافق إلى نفاقه .

وقال القرباني في فضائل القرآن : حدثنا عبد الله بن المبارك ، أخبرنا معمر بن يحيى بن المختار عن الحسن قال : إن هذا القرآن قد قرأه عبيد وصبيان لا علم لهم بتأويله ، لم يأتوا الأمر من قبل أوله ، قال الله عز وجل : ( كتاب أنزلناه مبارك ليذكروا آياته وليتذكر أولو الألباب )<sup>(١)</sup> وما تدر آياته إلا أتباعه . أما والله ما هو بحفظ حروفه وإضاعة حدوده ، حتى إن أحدهم ليقول : قد قرأت القرآن كله فما أسقط منه حرفاً واحداً ، وقد والله أسقطه كله ، ما يرى له القرآن في خلق ولا عمل ، حتى إن أحدهم ليقول : والله إني لأقرأ السورة في نفسى ، لا والله ما هؤلاء بالقراء ولا بالعلم ولا بالحكمة ولا الورعة ، ومتى كانت القراءة هكذا ؟ أو يقول مثل هذا ، لا أكره الله في الناس مثل هؤلاء . ثم روى الحسن عن جندب قال : قال لنا حذيفة : هل تخافون من شيء ؟ قال : قلت والله إنك وأسمائك لأهون الناس عندنا ، فقال : أما والذي نفسى بيده لا تؤتون إلا من قبلنا ، ومع ذلك شيء آخر يقرؤ القرآن يكتوبون في آخر هذه الأمة يثرونه ثم الدقل<sup>(٢)</sup> ، لا يماوز ثراقيهم ، نسبق قراتهم إيمانهم .

وروى ابن أبي الدنيا عنه في ذم النية له قال : والله للنية أسرع في دين المؤمن من الأمانة<sup>(٣)</sup> في جسده . وكان يقول : ابن آدم ! إنك لن تصيب حقيقة الإيمان حتى لا تصيب الناس بيب هو فيك ، وحتى تبدأ صلاح ذلك العيب فتصلحه من نفسك ، فإذا فعلت ذلك كان ذلك شملك في طاعة نفسك ، وأحب العباد إلى الله من كان هكذا . وقال الحسن : ليس بينك وبين الناس حرمة . وقال : ليس لمتدع غيبة . وقال أصلم بن حذيفة : قلت للحسن : الرجل

(١) من الآية : ٢٩ - سورة ص - (٢) الدقل : أردأ البشر

(٣) الأمانة - كسر الكاف - داه يصيب الضوفاً بشكل منه .



الفاجر المعلن بفجوره ، ذكركم له عافيه غيبة ؟ قال : لا ، ولا كرامة . وقال : إذا ظهر مجوره فلا غيبة له . وقال : ثلاثة لا تحرم عليك غيبتهم : الجاهر بالنسق ، والإمام الجائر ، والمتدع .

وقال له رجل : إن قوماً يحاسنونك ليعبدوا بذلك إلى الوقعة فيك سبيلا ، فقال : هوّن عليك يا هذا . فإني أطعمت نفسي في الجنان فطويمت ، وأطعمتها في النجاة من النار فطعمت ، وأطعمتها في السلامة من الناس ، فلم أجد إلى ذلك سبيلا ؛ فإن الناس لم يرضوا عن خالقهم ورازقهم ، فكيف يرضون عن مخلوق مثلم ؟ وقال : كانوا يقولون : من رمى أخاه بذنب قد تاب منه لم يمت حتى يصيب ذلك الذنب . وقال الحسن : قال لقمان لابنه : يا بني ، إياك والكذب ، فإنه شئ كالحم المصفور مما قليل يثلاه صاحبه . وقال الحسن : اعتبروا الناس بأعمالهم ودعوا أقوالهم ، فإن الله عز وجل لم يبدع قولا إلا جعل عليه دليلا من عمل بعده أو يكذبه ، فإن سمعت قولا حسنا فريداً بصاحبه ، فإن وافق قول عملا فتمم ونمت عين أخته وأخيه . وإذا خالف قول عملا فاذا يشبه عليك منه ؟ أم ماذا يخفى عليك منه ؟ إياك وإياه لا يخذمك كما خدع ابن آدم ، إن لك قولا وعملا ، فمالك أحق بك من قولك ، وإن لك سريرة وعلاية ، فسريرتك أحق بك من علانيتك ، وإن لك عاجلة وعاقبة ، فمافيتك أحق بك من عاجلتك .

وقال ابن أبي الدنيا : حدثنا حمزة بن العباس ، أنبأ عبدان بن عثمان ، أنبأ ممر ، عن يحيى ابن المختار ، عن الحسن قال : إذا شئت لقيت الرجل أبيض ، حديد اللسان ، حديد النظر ، ميت القلب ، والعمل ، أنت أبصر به من نفسه ، ترى أبدانا ولا قلوبا ، وتسمع الصوت ولا أنيس ، أحسب أنسنة وأجذب قلوبا ، بأكل أحدهم من غير ماله ، وببكي على عماله ، فإذا كرهته البطنة<sup>(١)</sup> ، قال : يا جارية أو يا غلام ، أبقني بهاضم ، وهل هضمت يا مسكين إلا دينك ؟ وقال : من رق ثوبه رق دينه ، ومن سمن جسده هزل دينه ، ومن طاب طامه أتين كسبه . وقال فيما رواه عنه الآجري : رأس مال المؤمن دين حيث ما زال زال معه ، لا بخلة في الحال ، ولا بأمن عليه الرجال . وقال في قوله تعالى : ( لَا أَفْنِمُ بِالنَّفْسِ الْفَوَاحِشَ )<sup>(٢)</sup> ، قال : لا تنافي للؤمن إلا يلوم نفسه ، ما أردت بكلمة كذا ، ما أردت بأكلة كذا ، ما أردت بمحاسن كذا . وأما الفاجر فيمضي قدما قدما لا يلوم نفسه . وقال : تصبروا وتشدوا ، فإنما هي ليال تعد ، وإعنا أتم ركب وقوف يوشك أن يدهى أحدكم ، فيبيح ولا يلتفت ، فاعظوا صالح ما حضرتمكم ،

(١) البطنة : امتلاء البطن بالطعام حتى لا يطيق العس . (٢) من الآية ٢ من سورة التوبة .

إن هذا الحق أجهد الناس وحال بينهم وبين شهودهم ، وإعنا يصير على هذا الحق من عرف فضله وعاقبته . وقال : لا يزال المبدع يخبر ما كان له واعظ من نفسه ، وكانت المحاسبة من همته

وقال ابن أبي الدنيا في محاسبة النفس : حدثنا عبد الله ، حدثنا إسماعيل بن ركريا ، حدثنا عبد الله بن المبارك ، عن معمر ، عن يحيى بن الجhtar ، عن الحسن قال : للمؤمن قوام على نفسه يحاسب نفسه لله عز وجل ، وإعنا خاف الحساب يوم القيامة على قوم حاسبوا أنفسهم في الدنيا ، وإعنا شق الحساب يوم القيامة على أقوام أخذوا هذا الأمر من غير محاسبة . إن المؤمن بفعله الشيء وبمحبته فيقول : والله إنك لمن حاسق وإني لأشتبهيك ، ولكن والله ما بين صلة إليك ، هيئات حيل بيني وبينك ، ويفرط منه الشيء ، فيرجع إلى نفسه فيقول : ما أردت إلى هذا أبداً إن شاء الله ، إن المؤمنين قوة قد أوتيتهم القرآن ، وحال بينهم وبين هلكتهم ، إن المؤمنين أسير في الدنيا يسرى في فسكك رقبته ، لا يأمن شيئاً حتى يلقى الله عز وجل ، بهـ لم أنه مأخوذ عليه في سمعه وبصره وأسمانه ، وفي حوارحه كلها . وقال : لرضا صعب شديد ، وإعنا يمول المؤمن الصبر . وقال : ابن آدم عن فسكك فسككيس<sup>(١)</sup> ، فإنك إن دخلت النار لم تجبر بعدها أبداً .

وقال ابن أبي الدنيا : أنبأ إسحاق بن إبراهيم قال : سمعت حماد بن زيد يذكر عن الحسن قال : للمؤمن في الدنيا كأمريب ، لا منافس في غيرها ، ولا يجمع من ذلها للناس حال وله حال ، الناس منه في راحة ، ومنه منه في شغل . وقال : لولا الإله ما كان في أياها قلائل ما يهلك الله منه . وقال : أدركت صدر هذه الأمة وخيارها ، وطال عمرى فيهم ، فوالله إنهم كانوا فيما أحل الله لهم - أرهد منكم فيما حرم الله عليكم ، أدركتهم عامين بكتاب ربهم ، متبين سنة نبيهم ، ما طوى أحدهم نوراً ، ولا حمل بينه وبين الأرض شيئاً ، ولا أمر أهله بمنع طعام . كان أحدهم يدخل منزله ، فإن قُرب إليه شيء أكله إلا سكت ، فلا يشكلم في ذلك . وقال : إن للنافق إذا صلى صلى رياء ، أو حياء من الناس ، أو خوفاً ، وإذا صلى صلى قترام الدنيا ، وإن فاتته الصلاة لم يندم عليها ، ولم يخزئه فواتها .

وقال الحسن فيما رواه عنه صاحب كتاب النكاح : من جعل الحمد لله على النعم حصناً وحاسباً ، وجعل أداء الزكاة على المال سياحةً وحارساً ، وجعل العلم له دليلاً وسانكاً - أمن العطب ، وبلغ أعلى الرتب . ومن كان المال قانصاً ، وله من الحقوق حاسباً ، وشغلته وألماه عن

طاعة الله - كان لنفسه ظمأ ، وانقلب عما حنت بداه كالـ<sup>(١)</sup> ، وساط الله على ماله سالكاً وخالفاً ، ولم يأمن العطش في سائر وجوه الطلب وقيل : إن هذا لنهره ، والله أعلم .

وقال الحسن : أرفع من كن فيه أنى الله عليه بهيته ، ونشر عليه رحمته : من رق لوالديه ، ورق لملوكه ، وكفّل اليقيم ، وأعان الضعيف . وسئل الحسن عن النفاق ، فقال : هو اختلاف السر والعلانية ، والدخل والمخرج . وقال : ما حلف إلا مؤمن ، ولا أئنه إلا منافق - يعني النفاق . وحلف الحسن : ما مضى مؤمن ولا بقى إلا وهو يخاف النفاق . وفي رواية : إلا وهو من النفاق مشفق ، ولا مضى منافق ولا بقى إلا وهو من النفاق آمن .

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى الحسن : كيف حبك الدينار والدرهم ؟ قال : لا أحبهما ، فكنت إليهما : قولاً فذلك تمدل . وقال إبراهيم بن عيسى : ما رأيت أطول حزناً من الحسن ، وما رأيت قط إلا حبيته حديث عهد ، صبية . وقال مسمع : لو رأيت الحسن لقلت : قد بث عليه حزن الخلائق . وقال يزيد بن حوشب : ما رأيت أحزن من الحسن ، وعمر بن عبد العزيز ، كان النار لم تحلق إلا لها . وقال ابن أسباط : مكث الحسن ثلاثين سنة لم يضحك ، وأربعين سنة لم يمزح . وقال : مسمع الخلائق بمودة يادية ، وعين باكية - مثل يوم القيامة . وقال : ابن آدم ! إنك ناظر غداً إلى عملك بوزن خيره وشره ، فلا تهمر شيئاً من الشر أن تنقيه : فذلك إذا رأيت غداً في ميزانك<sup>(٢)</sup> شرك مكانه . وقال : ذهبت الدنيا وبقيت أعمالكم قلائد في أمانتكم . وقال : ابن آدم ! بع ديارك بآخرتك زبجها جميعاً . ولا تبع آخرتك بدنياك فتفسرها جميعاً ، وهذا مأثور عن عثمان أنه قال لولده

قال الحسن : نحد الرجال قد أسس الأحمر والأبيض وقال : علموا فاطموا إلى . قال الحسن : قد رأيتك يا أفتى الناسقين ، فلا أهلاك ولا سهلا ؛ فأما أهل الدنيا فقد اكتسبوا نظرم إليك مزبجاً حرص على دنياهم ، وجراً على شهوات التي في بطونهم وظهورهم . وأما أهل الآخرة فقد كرهوك ومقتروك . وقال : إياهم وإن حملت<sup>(٣)</sup> بهم البراذين ، وزفرت<sup>(٤)</sup> بهم البغال ، ووطئت أعقابهم الرجال ، إن ذل للعاصي لا يفارق دقاتهم ، رأى الله إلا أن يذل من عصاه . وقال فرقد : دخلنا على الحسن قلنا : يا أبا سعيد ! ألا تعجبك من محمد بن الأخرم ؟ فقال : ماله ؟ قلنا : دخلنا عليه آفأ وهو يجود بنفسه ، فقال : انظروا إلى ذلك الصندوق - وأوماً إلى صندوق في جانب بيته - قال : هذا الصندوق فيه ثمانون ألف دينار - أو قال : درهم -

(١) أى : جليحاً ومؤذياً ، والكلم : الجرح . (٢) كذا بالأصل ، وفيه تحقير . (٣) أى : حملت .

(٤) أى : انقذت ، والفرير : أول لاصوت والتهنق آخره .

لم أزد منها زكاة ، ولم أصل منها رجلا ، ولم يأكل منها محتاج . فقلنا : يا أبا عبد الله ، فلن كنت نجسهما ؟ قال : لروعة الزمان ، ومكاثرة الأقران ، وجفوة السلاطين . فقال : انظروا من أين أتاه شيطانه نفوذه روعة زمانه ، ومكاثرة أقرانه ، وجفوة سلاطانه ؟ ثم قال : أيها الوارث لا تتخذ من كاذب صديقك بالأمس ، جاءك هذا اللال لم تنقب لك فيه عين ، ولم يرق لك فيه جبين ، جاءك بمن كان له جموعا ممنوعا ؛ من باطل جمعه ، من حق منعه . ثم قال الحسن : إن يوم القيامة لذنو حسرات ، الرجل يجمع اللال ثم يموت ويبدعه أخيره ، فيرزقه الله فيه الصلاح والإنفاق في وجوه البر ، فيبعد ماله في ميزان غيره . وكان الحسن يمثل بهذا البيت في أول النهار يقول :

وما الدنيا بباقيصة حتى . ولا حتى على الدنيا بباقي

وهذا البيت في آخر النهار :

يسر القى ما كان قدّم من قى . إذا عرف الداء الذي هو قائه

ولد الحسن في خلافة عمر بن الخطاب ، وأتى به إليه ، فدعا له وحسبكه . ومات بالبصرة في سنة عشر ومائة ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

محمد بن سيرين : أبو بكر بن عمرو الأنصاري ، مولى أنس بن مالك النضري ، كان أبوه من سبي عين التمر<sup>(١)</sup> ، أسره في جيلة السبي - خالد بن الوليد ، فاشتراه أنس ، ثم كاتبه . وقد ولد له من الأخيار جماعة ؛ محمد هذا ، وأنس بن سيرين ، ومعبده ، ويحيى ، وحفصة ، وكرينة ، وكلهم تاسميون ، توفيت أجيالا ، رحمهم الله تعالى

قال البخاري : ولد محمد اخنتين قيتا من خلافة عثمان . وقال هشام بن حسان : هو أصدق من أدركت من البشر . وقد تقدم هذا كله فيما ذكره المؤلف .

كان ابن سيرين إذا ذكر عنده رجل يسوء ذكره بأحسن ما يعلم . وقال خلف بن هشام : كان محمد بن سيرين قد أعطى هديا وسمتا وخشوعا ، وكان الناس إذا رأوه ذكروا الله . ولما مات أنس بن مالك أوصى أن ينقله محمد بن سيرين - وكان محمد محبوبا - فقالوا له في ذلك ، فقال : أنا محبوس ! فقالوا : قد استأذنا الأمير في إخراجك ، قال : إن الأمير لم يحبسني ، إنما حبسني من له الحق ، فأذن له صاحب الحق ففعله . وقال يونس : ما عرض ل محمد بن سيرين

أمران إلا أخذ بأوتئهما في دينه ، وقال : إني لأعلم القنب الذي حلت بسببه ، إني قلت يوماً لرجل : يا مفسد ! فذكر هذا لأبي سليمان الداراني ، فقال : قلت ذنوبهم فغرفوا من أين أتوا ، ومثلنا قد كثرت ذنوبنا ، فلم ندر من أين نأتى ، ولا بأى ذنب نؤخذ . وكان إذا دعى إلى ولية يدخل منزله فيقول : ابتنى بشرة سويق ، فيشربها ويقول : إني أكره أن أحمل جوعى إلى موائدهم وطعامهم . وكان يدخل السوق نصف النهار فيكبر الله ويصحه ويذكره ويقول : إنها ساعة عفة الناس . وقال : إذا أراد الله ببعد خيراً جعل له واعظاً من قلبه بأمره ونهيه . وقال : ظلم لأخيك أن تذكر منه أسوأ ما تعلم منه ، وتكتم خيره .

وقال : المرأة عبادة ، وكان إذا ذكر الموت مات منه كل عضو على حدة . وفي رواية : كان يتغير لونه ، يشكر حاله ، حتى كأنه ليس بالذى كان . وكان إذا سئل عن الرؤيا قال للسائل : اتق الله في اليقظة ، ولا تفرك ما رأيت في المنام . وقال له رجل : رأيت كأنى أصعب الزيت في الزيتون ، فقال : فقتش على امرأتك فإنها أمك ، فقتش فإذا هى أمه . وذلك أن الرجل أخذ من بلاده صغيراً سيبياً ، ثم مكث في بلاد الإسلام إلى أن كبر ، ثم سميت أمه ، فاشتراها جاهلاً أنها أمه ، فلما رأى هذه الرؤيا وذكرها لابن سيرين ، فأمره أن يقتش على ذلك ، فقتش فوجد الأمر على ما ذكره .

وقال له آخر : رأيت كأنى دست - أو قال : وطئت - ثمرة ، فخرجت منها فأرة ، فقال له : تنزع امرأة - أو قال : تطأ امرأة - صالحة ، تدب بفنأ قاسقة ، فمكثن كما قال .

وقال له آخر : رأيت كأن على سطح يبقى حبات شعير ، فجاء ذلك ففقطها ، فقال له : إن سرق لك شيء في هذه الأيام فأتنى ، فوصوا بساطاً على سطحهم فسرق ، فجاء إليه فأخبره ، فقال : اذهب إلى مؤذن محلتك خذ منه ، فجاء إلى المؤذن فأخذ البساط منه .

وقال له رجل : رأيت الحمام تناطح البياض ، فقال : مات علماء البصرة . وأما رجل فقال : رأيت رجلاً عربياً واقفاً على مزبلة ويده طنبور يصرب به ، فقال له ابن سيرين : لا تصلح هذه الرؤيا في زماننا هذا إلا لحسن البصرى ، فقال : الحسن هو والله الذى رأيت ، فقال : نعم ؛ لأن المزبلة الدنيا ، وقد جعلها تحت رجله ، وغربه تجرؤه عنها ، والطنبور يضرب به هى المواعظ التى يترج بها آذان الناس . وقال له آخر : رأيت كأنى أستاك والدم يسيل ، فقال له : أنت رجل تغمق فى أخراض الناس وتأكل لحومهم وتخرج فى بابهم وتأتىهم<sup>(١)</sup> .

وقال له آخر : رأيت كافي أرى القوا في الحانة ، فقال له : أنت رجل تضع القرآن والعلم عند غير أهله ومن لا ينفع به . وجاءته امرأة فقالت : رأيت كأن سنورا أدخل رأسه في بطن زوجي فأخذ منه قطعة ، فقال لها ابن سيرين : سرق لزوجك ثلاثمائة درهم ، وستة عشر درهما ، فقالت : صدقت من أين أخذته ؟ فقال : من هجاء حروفه وهي الحساب الجبل ، فالسبع ستون ، والثلثون خمسون ، والواو ستة ، والراء مائتان ، وذلك ثلاثمائة وستة عشر ، وذكرت السنور أسود فقال : هو عبيد في جواركم ، أنتموا عبداً أسود كان في جوارهم وضرب فقر بالمال المذكور . وقال له رجل : رأيت لحيتي قد طالت وأنا أنظر إليها فقال له : أمؤذن أنت ؟ قال : نعم فقال له : اتق الله ولا تنظر إلى دور الجيران .

وقال له آخر : رأيت كأن لحيتي قد طالت حتى جرزتها ونسيتها كساء وبهته في السوق . فقال له : اتق الله فإنك شاهد زور . وقال له آخر : رأيت كافي أكل أصابعي ، فقال له : تأكل من هل بك . وقال رجل : انظر هل ترى في المسجد أحداً من الأعداء ؟ فذهب فنظر ثم رجع إليه فقال : ليس في المسجد أحد ، فقال : ليس امرئك أن تنظر هل ترى أحداً قد يكون في المسجد من الأعداء ؟ وقال من رجل ذكر له : ذلك الأسود ، ثم قال : أستغفر الله ما أراي إلا قد اغتبت الرجل — وكان الرجل أسود — وقال : اشترك سبعة في قتل امرأة قتلتهم حر ، فقال : لو أن أهل صفهاء اشتركوا في قتلها لأيدت خضراءم .

وهب بن منبه الباني : أبى جليل ، وله معرفة بكتب الأوائل ، وهو يشبه كعب الأخبار ، وله صلاح وعبادة ، ويروي عنه أقوال حسنة وحكم ومواعظ ، وقد بسطنا ترجمته في كتابنا « التشكيل » والله الحمد . قال الواقدي : توفي بصنعاء سنة عشر ومائة ، وقال غيره : مدها سنة ، وقيل مائة ، والله أعلم . وأعم بصير الناس أن قبره غربي بحري بقرية يقال لها : « غصم » ، ولم أحد ذلك أصلاً ، والله أعلم انتهى مادكم للأولف .

#### « فصل »

أدرك هوب بن منبه صدقة من الصحابة ، وأسند عن ابن عباس وجابر والتميم بن بشير وروى من معاذ بن جبل وأبي هريرة ، وعن طاوس . وعنه عن الثاميين عدة . وقال هوب : مثل من تعلم عدلاً لا يعمل به كمثل طبيب معه شفاء لا يتداوى به . وعن منير مولى الفضل ابن أبي عيش قال : كنت جالساً مع هوب بن منبه فأنه رجل فقال له : إني مرت بفلان وهو يشتبك ، فقص وقال : ما وجد الشيطان رسولاً غيرك ؟ فما برحت من عنده حتى جاءه ذلك الثام فلم على هوب ، فرد عليه السلام ، ومد يده إليه وصاحبه وأجلسه إلى جنبه .

وقال ابن طاووس : سمعت وهبا يقول : ان آدم احتل قلبك فإن رزقك سيأتيك . وقال وهب : كفى أهل النار والعري كان خيراً لهم ، وطعموا والجوع كان خيراً لهم ، وأعطوا الحياة والموت كان خيراً لهم . وقال : قال داود عليه السلام : اللهم إني أتمنّى أن يسألني غنياً فتنصم عنه ، فأسألك إذا دعاك فلا تجبه ، وإذا سألك فلا تعطه . وقال : قرأت في بعض كتب الله : ان آدم ، لا خير لك في أن تعلم ما لم تعلم ، ولم تعمل بما قد علمت ، فإن مثلك كمثل رجل احتطب حطباً فحزم حزمة فذهب يعملها فمجزعها ، فضم إليها أخرى . وقال : إن لله ثمانية عشر آت عالم ، الدنيا منها عالم واحد ، وما العمار في الخراب إلا كسطاط في الصحراء .

وروى الطبراني عنه أنه قال : إذا أردت أن تعمل بطاعة الله عز وجل فاجتهد في تصحك وعملك لله ، فإن العمل لا يقبل ممن ليس بنصاح ، والنصح لله لا يكال إلا بطاعة الله ، كمثل الثمرة الطيبة ريحها وطعمها ، كذلك مثل طاعة الله ، النصح وريحها ، والعمل طعمها . ثم زين طاعتك بالحلم والعقل ، والفقير والعمل ، ثم أكبر نفسك عن أخلاق السفهاء وعبيد الدنيا ، وعيذها على أخلاق الأتقياء والعلماء العاملين ، وعوذها فعل الحكماء ، وامتنع عمل الأشقياء ، وأزها سيرة الأتقياء ، وأعرض بها عن سبل الخبيثاء . وما كان لك من فضل فأعين به من دونك ، وما كان فيمن دونك من نقص فأعنه عليه حتى يبلغه ، فإن الحكيم من جمع فوائده وعادها على من دونه ، وينظر في نقائص من دونه فيقوئها ويرجيها حتى يبلغه ؛ إن كان فقيهاً حل من لا فقه له ، إذا رأى أنه يريد محاسنه ومموته ، وإذا كان له مال أعلى من منه لا مال له ، وإذا كان مصححاً استغفر المذنب ورجا توبته ، وإذا كان محسناً أحسن إلى من أساء إليه ، واستوجب بذلك أجره . ولا يفتقر بالقول حتى يحسن منه الفعل ؛ فإذا أحسن الفعل نظر إلى فعل الله وإحسانه إليه ، ولا يتمنى الفعل حتى يفعل ، فإذا بلغ من طاعة الله شيئاً حمد الله على ما بلغ منها ، ثم طالب ما لم يبلغ منها . وإذا ذكر خطيئة سترها عن الناس ، واستغفر الله الذي هو قادر على أن يغفرها ، وإذا علم من الحكمة شيئاً لم يشبهه ، بل يطلب ما لم يبلغ منها .

ثم لا يستعين بشيء من الكذب ؛ فإن الكذب كالآكلة<sup>(١)</sup> في الجسد تسكاد تأكله ، أو كالآكلة في الخشب ، يرى ظمها جوعاً وجوفها نحر ، تمر من براها حتى تنسكس على ما فيها وتهلك من اغتربها . وكذلك الكذب في الحديث لا يزال صاحبه يفتقره ؛ بظن أنه مميته على حاجته ورائده في رغبته ، حتى يبرف ذلك منه ، ويتبين لقوى القول غروره ، فتسقط افتهاء ما كان يستغنى به عنه ، فإذا اطلوا على ذلك من أمره وتبين لهم - وكذبوا حبه ، وأبأوا شهادته ، وانهموا صدقه ، وحقروا شأنه ، وأبغضوا مجلسه ، واستخفوا منه بسرارهم ،

وكنتموه حديثهم ، وصرفوا عنه أماناتهم ، وغيبوا عنه أمرهم ، وحذروهم على دسهم ومعيشتهم ، ولم يحصروه شيئاً من محاضرتهم ، ولم يأمنوه على شيء من سرهم ولم يحكموه فيها شيئاً بينهم .

وروى عبد المنعم بن إدريس عن أبيه عن وهب قال : قال أقدار لابنه : إن مثل أهل الذكر والنفقة كمثل النور والظلمة . وقال : قرأت في التوراة أربعة أسطر متواليات : من قرأ كتاب الله فظان أنه لا معرلة فهو من السعيرين بآيات الله ، ومن شكك مهيبة رأت به فإعما يشكوره عز وجل ، ومن أسف على ما قاته من الدنيا سخط قضاء ربه عز وجل ، ومن تصدع لثني ذهب ثلث دينه . وقال وهب : قرأت في التوراة : أعادار بنيت بقوة الضملاء جمات عاقبتها إلى الخراب ، وأعما مال جمع من غير حله أسرع الفقر إلى أهله .

وقال عبد الله بن المبارك : حدثنا معمر بن محمد بن عمر وقال : سمعت وهب بن منبه يقول : وحدثني في بعض الكتب : يقول الله تعالى : إذا أطاعني عبدي استجبت له من قبل أن يدعوني وأعطيته من قبل أن يسألني ، وإن عبدي إذا أطاعني لو أن أهل السموات وأهل الأرض أجلبوا<sup>(١)</sup> عليه جسات له الخرج من ذلك ، وإن عبدي إذا عصاني قطعت يديه من أبواب السماء ، وجعلته في الهواء فلا يتمتع من شيء أوداه من خافي .

وقال ابن المبارك أبصاً : حدثنا ككار بن عبد الله قال : سمعت وهب بن منبه يقول : قال الله تعالى فيما يعيب به أجيال بني إسرائيل : تفقهون لغير الدين . وتعملون لغير العمل ، وتبتاعون الدنيا بعمل الآخرة ، وتلبسون جلود اللسان ، وتحملون نفس الذباب ، وتنفذون الغذاء من شرايبكم ، وتبتاعون أمثال الجبال من الحرام ، وتنفقون الدين على الناس أمثال الجبال ، ثم لا تمنعهم رفع الخفاصر ، تطيلون الصلاة وتبيضون الثياب ، تنفصون بذلك مال اليتيم والأرملة ؛ فبمزي - حلفت - لأضربنكم بفتنة بضل بها رأى ذي الرأي وحكمة الحكيم .

وقال الطبراني : حدثنا عداة بن محمد الصنعاني ، حدثنا حماد بن مسلمة ، حدثنا غوث بن جابر حدثنا عقيل بن ميمون قال : سمعت وهب بن منبه يقول : إن الله ليس بمحمد أحدًا على طاعة ، ولا ينال أحد من الله خيراً إلا برحمته ، وأيسر رجوا الله خير الناس ولا يخاف شرمه ، ولا سلف الله على الناس إلا برحمته إياهم ، إن مكروا به أبداً مكبرهم ، وإن خادعوه رد عليهم خداعهم ، وإن كادوه كذبهم ، وإن أدر واقعهم دابرهم ، وإن أقبلوا قبل منهم ولا يقبل منهم شيئاً من حيلة ، ولا مكر ، ولا خداع ، ولا سخط ولا مشادة ، وإعما يأتي بالخير من الله تعالى رحمة ، ومن لم يبتغ الخير من قبل رحمة لا يجد بها خير ذلك يدخل منه ؛ فإن الله تعالى لا ينال الخير منه

(١) أي اجتمعوا ورحلوا عنه . والجانب - حركة - ملجأ من خيل أو غيرها .



إلا بطاعته ، ولا يعطف الله على الناس شي . إلا تعبدكم له ، وتضرعهم إليه حتى يرحمهم ، فإذا رحمهم استخرجت رحمته منه حاجتهم ، وليس ينال الخير من الله من وجه غير ذلك

وليس إلى رحمة الله سبيل تؤتى من قبله إلا تعبد المباد له وتضرعهم إليه ، فإن رحمة الله عز وجل باب كبير يفتح من قبله ، وإن مفتاح ذلك الباب التضرع إلى الله عز وجل والتعبد له ، فمن ترك المفتاح لم يفتح له ، ومن جاء بالمفتاح فتح له به ، وكيف يفتح الباب بغير مفتاح ؟ والله خزائن الخير كله ، وباب خزائن الله رحمته ، ومفتاح رحمة الله التذلل والتضرع والافتقار إلى الله ، فمن حفظ ذلك للمفتاح فتحت له الخزائن ودخل ، فله فيها ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين ، وفيها ما تشامون وما تدعون في مقام أمين ، لا يحولون عنه ولا يحافون ، ولا ينصتون ، ولا يهرمون ، ولا يفترقون ، ولا يموتون ، في يوم مقيم ، وأجر عظيم ، وثواب كريم ، نزلنا من غفور رحيم .

وقال سفيان بن عيينة : قال وهب : أغوى الإخلاق على الدين الزهادة في الدنيا ، وأسرعها ردا اتباع الهوى وحب المال والشرف ، ومن حب المال والشرف انتهك المحارم ، ومن انتهك المحارم يفض الرب ، وغضب الله ليس له دواء . وقال : يقول الله تعالى في بعض كتبه يعقب به بنى إسرائيل : إني إذا أنابت رضيت ، وإذا رضيت باركت ، وليس لبركتي نهاية ، وإذا عصيت غضبت ، وإذا غضبت امتت ، وإن العنة مني تبلغ السامع من الولد .

وقال : كان في بنى إسرائيل رجل عصى الله عز وجل مائتي سنة ، ثم مات فأخذوا برجله نأته على منزله ، فأوحى الله إلى موسى : أن صل عليه ، فقال : يا رب إني بنى إسرائيل شهدوا أنه قد عصاك مائتي سنة ، قال الله له : نعم هكذا كان ؛ إلا أنه كان كلما نشر التوراة ورأى اسم محمد ﷺ قتلته ووضع على عينيه وصل عليه ، فشكرت ذلك ففترت له ذنوبه وزوجته سبعين خورا . كذا روى ، وفيه علل ، ولا يصح مثله ، وفي إسناده غرابة ، وفي متنه تسكارة شديدة . وروى ابن إدريس عن أبيه عن وهب قال : قال موسى : يا رب اجبني عن كلام الناس ، قال الله له : يا موسى ما ضلت هذا بفضي . وقال : لما دعى يوسف إلى الملك وقف بالباب وقال : حسبي ديني من دنياي ، حسبي ديني من خلقه ، عز جارك وحل ثناؤك ، ولا إله غيرك ، ثم دخل على الملك ، فلما نظر إليه الملك نزل من سريره وخر له ساجدا ، ثم أقامه الملك معه على السرير ، وقال : إني كنت ليوم لربنا مكيئا أمين<sup>(١)</sup> . فقال : ( اجعلني قلى خزائن الأرض إني حفيظ<sup>(٢)</sup> حفيظ<sup>(٣)</sup> ) .

(١) من الآية : ٥٤ من سورة يوسف . (٢) من الآية : ٥٥ من سورة يوسف .

وقال الإمام أحمد : حدثنا منذر بن الزمان الأنطس ، أنه سمعوها يقول : لما أمر الله الحوت أن لا يضره ولا يكلمه - بنى يونس - قال : ( فلو أنه كان من السحون لبث في بطنه إلى يوم يبعثون )<sup>(١)</sup> قال : من العابدين قبل ذلك ، فذكره الله بعبادته المقدمة ، فلما خرج من البحر نام فأبنت الله شجرة من يقطين - وهو اللبنة - فلما رآها قد أظلمت ورأى خضرتها فأعجبته ، ثم نام فأسيقظ فإذا هي قد بيست ، فجعل يتعزى عليها ، فقيل له : أنت لم تخلق ولم تسق ولم تنبت وتعزى عليها ؟ وأنا الذي خلقت مائة ألف من النار أو يزيدون ثم رحمتهم فشق ذلك عليك ؟

وقال الإمام أحمد : حدثنا إبراهيم بن خالد النساني ، حدثنا رباح ، حدثني عبد الملك بن عبد الحميد بن خشك عن وهب قال : لما أمر نوح أن يحمل من كل زوجين اثنين ، قال : يارب كيف أصنع بالأسد والبقرة ؟ وكيف أصنع بالعناق<sup>(٢)</sup> والذئب ؟ وكيف أصنع بالحمام والمر ؟ قال : من أتى بيوم السداة ؟ قال : أت يارب ، قال : فإني أولئك بينهم حتى لا يضرهم .

وقال وهب لهؤلاء الخراساني : ويحك يا معطاء ، ألم أخبر أنك تحمل عدك إلى أبواب الملوك وأبناء الدنيا ، وأبواب الأحرار ؟ ويحك يا معطاء ! أتاني من يفتق عنك بابه ، ويظهر لك فقره ، ويواري عنك غناه ، وترك باب من يقول : ( ادعوني استجب لكم )<sup>(٣)</sup> ويحك يا معطاء ! إن كان يفتق ما يفتقك ، أو يفي ما في الدنيا بكفتك ، وإن كان لا يفتقك ما يفتقك فليس في الدنيا شيء يفتقك ، ويحك يا معطاء ! إنا بطنتك بحر من البحور ، وواد من الأودية ، لا يملؤه شيء إلا القراب . وسئل وهب من رجلين يصليان أحدهما أطول فتوتا وصمقا ، والآخر أطول سجودا ، فأيهما أصل ؟ فقال : أصبح ما لله عن وجل . وقال : من خصال المنافق أن يحب الحمد ويكره القم : أي يحب أن يحمده على ما لم يفعل ، ويكره أن يمدح بما فيه . قال . وقال لقمان لابنه : يا بني ! اعقل من الله : فإن أعقل الناس من عقل عن الله ، وإن الشيطان ليفر من العاقل ما يستطيع أن يكايده . وقال رجل من جلسائه : ألا أعلمك طيباً لا يمتاهاه<sup>(٤)</sup> . الأخطاء ، وقضا لا يمتاهاه في القهواء ، وحلما لا يمتاهاه في الخلفاء ، قال : بلى يا أبا عبد الله ، قال : أما الطيب فلا تأكل طعاماً إلا سميت الله على أوله وحدته على آخره . وأما القه فإنه سئل عن شيء عندك فيه علم فأخبر بما تعلم وإلا تغفل : لا أدري . وأما الحلم فأكثر الصمت إلا أن تسأل من شيء . وقال : إذا كان في الصبي خلقان ، الحياء والرغبة - طمع في رشد .

(١) الحناق : الأني من أولاد للز

(٢) من الآية ١٤٣ - سورة الصافات

(٣) من الآية ٦٠ - سورة غافر (٤) هي وتساها بالأمر : عجز عنه ولم يهتد لوجه الصواب فيه .

وقال : لما بلغ ذو القرنين مطلع الشمس قال له تَلَكْ هناك : صف لي الناس ، فقال : محادنتك من لا يعقل كن ينفى اللوق ، ومحادنتك من لا يعقل كن يبل الصخر الأمر كي يلبس ، وكن يطبخ الحديد بلبس آدمه ، ومحادنتك من لا يعقل كن يضع المائدة لأهل القبور ، وكن الحجارة من رموس الجبال أيسر من محادنة من لا يعقل . وقال : قرأت في بعض الكتب ، أن مناديا ينادى من السماء الراجعة كل صباح : أبناء الأبريين زرع قد دنا حصاده ، أبناء الخسرين ماذا قدمتم ؟ أبناء السنين لا حذر لكم ، ليت الخلق لم يخافوا ، ولينهم إذ حلقوا - علموا لماذا خلقوا قد اتسبكم الساءة تغفوا حذركم . وقال : قال دانيال : بالحق على زمن بلبس فيه الصالحون فلا يوجد منهم أحد ، إلا كاشفة في أثر الحصاد ، أو كالخلفة في أثر القاطن ، يوشك نوايح أولئك وبواكيرهم أن تيسبكم .

وروى عبد الرزاق عن عبد الصمد بن مفضل قال : سمعت وهبا يقول في قوله تعالى : ( ونضع الموازين القسط يوم القيامة ) <sup>(١)</sup> قال : إنما يوزن من الأعمال خواتيمها ، وإذا أراد الله بمجد خيراً ختم له بحجر عمله ، وإذا أراد الله بمجد شراً ختم له بشئ عمله ، وقال وهب : إن الله تعالى لما فرغ من الخلق نظر إليهم حين مشوا على وجه الأرض ، قال : أنا الله لا إله إلا أنا الذي خلقكم وأفنيكم بحكي حق قضائي وناعد أمرى ، أنا أعيدكم كالحقنكم ، وأفنيكم بحق أبقى وحدي ، فإن الملك لا يحق إلا لي ، أدمو خلقى وأجمعهم بقضائي ، يوم أحشر أعدائي ، وتجل القلوب من هويتي ، وتغير الألفة عن عبيدا دوني .

قال : وذكر وهب ، أن الله لما فرغ من خلقه يوم الجمعة ، أقبل يوم السبت فمدح نفسه بما هو أهله ، وذكر عصمته وجبروته وكبريائه ، وساطته وقدرته وملكه ووربه بيته . فأصبت كل شيء وأطرق له ، فقال : أنا الملك لا إله إلا أنا ، ذو الرحمة الواسعة والأسماء الحسنى ، أنا الله لا إله إلا أنا ، ذو العرش المجيد والأضلال الملا ، أنا الله لا إله إلا أنا ؛ ذو الطول ولان والآلاء والكبرياء ، أنا الله لا إله إلا أنا ، بديع السموات والأرض ، ملأت كل شيء عظامتي وقهر كل شيء ملكي ، وأحاطت بكل شيء قهرتي ، وأحصى كل شيء علمي ، ووسمت كل شيء رحمتي ، وبلغ كل شيء اعاني ، فأنا الله بامرئ الخلائق قاعرفوا مكانى ، فليس شيء في السموات والأرضين إلا أنا ، وخلقى كلهم لا يقوم ولا يدم إلا بي ،

ويتقلب في قبضتي ، وبميش برزقي ، وحياته وموته وبقاؤه وفناؤه بيدي ، فليس له محيص ولا مخرج غيري ، لو تخليت عنه طرفه عين لدمر كله ، وكنت أنا على حال لا ينقضي ذلك شيئاً ، ولا ينقص ذلك ملكي شيئاً ، وأنا مستغن بالمرءة في جبروتي وملكتي ، وبرهان نوري ، وشديد بطشي ، وعلو مكاني ، وعظمة شأني ، فلا شيء مثلي ، ولا إله غيري ، وليس ينبغي لشيء خلقته أن يعدل بي ولا ينكرني .

وكيف ينكرني من خلقته يوم خلقته على معرفتي ؟ أم كيف يكفري من فخر قهره ملكي ؟ أم كيف يهزني من ناصيته بيدي ؟ أم كيف يعدل بي من أمره وأحكام جسمه وأحكام عقله وأتو في نفسه ، وأخلاقه وأمره فلا يمنع مني ؟ أم كيف يستنكف عن عبادتي عبدي وان عبدي وابن أمي ، ومن لا ينسب إلي حائقي ولا وارثي غيري ؟ أم كيف يبعد دوني من تخافه الأيام ، ويغني أجهل اختلاف الليل والنهار ؟ وما شعبة بسيرة من سلطاني ؟ قال : إلى يا أهل الموت والنفاء ، لا إله غيري ؛ فإني كتبت الرحمة على نفسي ، وقضيت المغفرة والمغفرة لمن استغفرتني ، أغفر الذنوب جميعاً ، صغرها وكبرها إن استغفرتني ، ولا يكبر ذلك علي ولا يشاغلني ، فلا تعلقوا بأيديكم إلى التهلكة ولا تقنطروا من رحمتي فإن رحمتي سبقت غضبي ، وخزان الخير كلها بيدي ، ولم أخلق شيئاً مما خلقت لحاجة كانت مني إليه ، ولكن لأبين به قدرتي ، ولينظر الناظرون في ملكي ، ويتدبروا حكمتي ، ويسبحوا بحمدي ويبدؤوا لبشركوا بي شيئاً ، واتسموا الوجه كلها إلى .

وقال أشرس من وهب قال : قال داود : إلهي أين أجذك ؟ قال : عند المكسرة قلوبهم من محافتي . وقال : كان رجل من بني إسرائيل صام سبعمين أسبوعاً بفطر في كل أسبوع يوماً وهو يسأل الله أن يريه كيف يذوق الشيطان الناس ؟ فلما أن طال ذلك عليه ولم يجب ، قال في نفسه : لو أقبلت على خطيئتي وعلى ذنوبي وما بيني وبين ربي ألكان خيراً من هذا الأمر الذي أطلب ، ثم أقبل على نفسه فقال : ياغفر من قبلك انيت ، لو علم الله فيك خيراً لغفر حاجتك . فأرسل الله ملكاً إلى نبيهم : أن قل لقائلنا البائد : إزراؤك<sup>(١)</sup> على نفسك وكلامك الذي تكلمت به ، أعجب إلى مما مضى من عبادتك ، وقد أجاب الله سؤالك ، وفتح بصرك . فانظر الآن ، فنظر فإذا أحبوة لإبليس قد احاطت بالأرض ، ولقد ليس أحد من بني آدم إلا وحواله شياطين مثل الدباب ، فقال : إلهي رب . ومن ينجو من هؤلاء ؟ قال : صاحب القلوب الواويع الذين .

وقال وهب : كان رجل من الساميين فأتى على أرض فيها قتاة ، فدعته فذهب إلى أخذ شيء منه ، فماتها ، فقام مكانه بصلى ثلاثة أيام ، فمر به رجل وقد لوحته الشمس والريح ، فلما نظر إليه قال : سيهان الله ! ! استكأأ أحرقت هذا الإنسان بالذار ، فقال السامح : هكذا بلغ منى ما ترى خوف النار - فكيف لي لو قد دخلتها ؟

وقال : كان رجل من الأولين أصاب ذنبا فقال : لله علي أن لا يظلمني سقف بيت أبداً حتى تأتيني براءة من النار ، فساكن بالصعراء في الحر والقر ، فمر به رجل فرأى شدة حاله فقال : يا عبد الله ! ما بلغ بك ما أرى ؟ فقال : بلغ ما ترى ذكر جهنم ، فكيف لي إذا أنا وقعت فيها ؟ قال : لا يكون البطلان من الحسنة أبداً ، ولا يرث الزناة من ملكوت السماء . وقال وهب في في مواعظه : اليوم ، وسط السميد ، ويسكن كثير من متافه الأيب ، يا ابن آدم ! إنا جمعت من منافع هذا اليوم لنرفع ضرر الجاهلة عنك ، وإنا أوقدت فيه مصابيح الهدى لتفقه حركتك ، فلم أراك اليوم ضل مع نوره متعبر دافع للدواة سليم . يا ابن آدم ! إنه لا أقوى من خالق ، ولا أضف من مخلوق ، ولا أقدر من طليته بيده ، ولا أضف من هو في يد طالبيه . يا ابن آدم ! إنه قد ذهب منك ما لا يرجع إليك ، وأقام عندك ما سيذهب ، فما الجزع مما لا بد منه ؟ وما الأطعم فيما لا يرمي ؟ وما الحيلة في بقاء ما سيذهب ؟

يا ابن آدم ! اقصر عن طلب ما لا تدرك ، وعن تناول ما لا تناله ، وعن ابتغاء ما لا يوجد ، واقطع الرجاء عنك ، كما قدمت به عنك الأشياء . واعلم أنه رُبَّ مطلوب هو شر طالبيه . يا ابن آدم ! إنا الصبر عند الصيبة ، وأعظم من الصيبة - سوء الخلق منها ، يا ابن آدم ! أي أيام الدهر ترمي ؟ يوم يمحي في غم ، أو يوم تسافر عاقبته من أوان محيته ؟ فانظر إلى الدهر تحده ثلاثة أيام ، يوم مضى لا ترجوه ، ويوم لا يد منه ، ويوم يمحي لا تأمنه ، فأمس شاهد عليك مقبول ، وأمين مؤد ، وحكيم مؤدب ، قد خلعت نفسه ، وخلف فيك حكته . واليوم صديق مودع ، كان طويل النية عنك ، وهو سريع الظن إياك ولم يأنه ، وقد مضى قبله شاهد عدل ، فلن كان ما فيه لك فتنه بجنه ، أو تفرق لك باجتماع شهادتهما عليك . يا ابن آدم ! إنا أهل الدنيا نسير لا يعلمون مقدر رحلهم إلا في غيرها ، وإنا يقبلون بالمواري فما أحسنه - يعني الشكر - للنعمة والتسليم للداد ، يا ابن آدم ! إنا الشيء من مثله وقد مصت قبلنا أصول نحن فروعها ، فابقاء الفرع بعد ذهاب أصله ؟ إنا بقو الفرع بعد الأصل . يا ابن آدم ! إنه لا أعظم رذيلة في عقله ممن ضيع اليقين وأخطأ العمل .  
أيها الناس ! إنا البقاء بعد القضاء ، وقد خلقنا ولم نكن ، وسنبلى ثم ننود ، ألا وإنا المواري<sup>(١)</sup>

(١) المواري : جمع غريبة بتشديد الواو وتحتها . وهي ما يتداوله الناس بينهم . والحنات : الداهية .

اليوم والمفات غداً ، ألا وإنه قد تقارب منا سلب فاحش ، أو عطاء جزيل ، فأصلحوا ما تقدمون عليه بما تظنون منه . أيها الناس !! إنما أنتم في هذه الدنيا عرض تنتضل فيه الناياب ، وإن ما أقيم فيه من دنياكم نوب المصائب ، لا تقالون فيها نعمة إلا يفرق الأخرى ، ولا يستقبل منكم ممر يوماً من عمره إلا يهدم آخر من أجله ، ولا يتعذله زيادة في ماله إلا ينقاد ما قبله من رزقه ، ولا يحبي له أثر إلا مات له أثر . فقال الله أن يبارك لنا ولكم فيا مضي من هذه العظة .

وقال قتيبة بن سعيد : حدثنا كثير بن هشام ، حدثنا جعفر بن مروان ، عن وهب بن منبه ، عن الطريق ولم نستقم لسائقها ، وإن فتر سائقها حزننا ، ولم تتبع قائدها : فإذا اجتمعنا استقامت طوعاً أو كرهاً ، ولا نستطيع الدين إلا بالطوع والكره ، وإن كان كراه الإنسان شيئاً من دينه تركه ، أو شك أن لا يبقى معه من دينه شيء . وقال وهب : إن من حكمة الله عز وجل أنه خلق الخلق مختلفاً خلقه ومقاديره ؛ فله خلق يدوم ما دامت الدنيا ، لا تنقسه الأيام ولا تهزمه وتليده ويموت ، ومنه خلق لا يطعم ولا يرزق ، ومنه خلق يطعم ويرزق ؛ خلقه الله وخلق معه رزقه ، ثم خلق الله من ذلك خلقاً في البر وخلقاً في البحر ، ثم جعل رزق ما خلق في البحر وفي البر ، ولا ينفع رزق دواب البر دواب البحر ، ولا رزق دواب البحر دواب البر ، لو خرج ما في البحر إلى البر هلك ، ولو دخل ما في البر إلى البحر هلك . ففى ذلك - من خلق الله في البر والبحر - عبرة لمن أهمته قسمة الأرزاق وللميشة . فليعتبر ابن آدم فيما قسم الله من الأرزاق ؛ فإنه لا يكون فيها شيء إلا كما قسمه سبحانه بين خلقه ، لا يستطيع أحد أن يغيرها ولا أن يخلطها ، كما لا يستطيع دواب البر أن تمش بأرزاق دواب البحر ، ولا دواب البحر بأرزاق دواب البر ، ولو اضطرت إليه هلكت كلها ، فإذا استقرت كل دابة منها فيما رزقت - أصلها ذلك وأحيائها . وكذلك ابن آدم ؛ إذا استقر وقع ما قسم الله له من رزقه - أحياء ذلك وأصلحه ، فإذا تماطى رزق غيره - نقسه ذلك وضره ونفضحه .

وقال له طاء الخراساني : كان العلماء قبلكم قد استنفوا بعلومهم عن دنيا غيرهم ، فكأبوا بالفتنوتن إلى أهل الدنيا ، ولا إلى ما في أيديهم ، فكان أهل الدنيا يبدلون إليهم دنيام رغبة في علمهم ، فأصبح أهل العلم فيذا اليوم يبدلون لأهل الدنيا عليهم رغبة في الدنيا ، فأصبح أهل الدنيا قد زهدوا في علمهم ؛ لا رأوا من سوء موضعه عندهم ، فإياك يا عطاء وأبواب الساطن ؛ فإن عند أناسهم فتناً كيبارك الإل ، لا تصيب من دنياهم شيئاً إلا أصابوا من دينك مثله

وقال إبراهيم الجنيدي : حدثنا عبد الله بن أبي بكر اللقيمي ، حدثنا جعفر بن سليمان ، حدثنا عمر ابن عبد الرحمن الصفهاني قال : سمعت وهب بن منبه يقول : لقي عالم عالماً هو فوقه في العلم . فقال : كيف صلاحت ؟ فقال : ما أعسب أحدًا سمع بذكر الجنة والنار تأتي عليه ساعة لا يصلي فيها . قال :

فكيف ذكرك الموت ؟ قال : ما أرفع قدما ولا أصع أخرى إلا رأيت أنى ميت . فقال : فكيف صلاتك أنت أيها الرجل ؟ قال : إني لأصل وأبكي حتى يبت المشب من دموعي ، فقال العالم : أما إنك إن تشعل وأنت معترف بخطيئتك - خير لك من أن تبكي وأنت مدل بملك . فإن للدل لا يرفع له عمل . قال : أوصني فإني أراك حكما ، قال : أزهد في الدنيا ولا تنازع أهلها فيها ، ولكن فيها كالنحلة ، إن أكلت أكلت طيبا ، وإن وضعت وضعت طيبا ، وإن وقمت على عدو لم تكسره ، وإنصح لله نصح الكلب لأهله ، فإنهم يحبه ويطردوه ويضربونه وهو يأى إلا أن يحوطهم ويحفظهم ، وينصح لهم . فكان وهب إذا ذكر هذا الحديث قال : وأما أنا إذا كان الكلب أنصح لأهله منك يا ابن آدم لله عز وجل . وفي رواية أنه قال : إني لأصل حتى ترم قدمي ، قل له : إنك إن تبت تأتبا ، وتصبح نادما - خير لك من أن تبت قائما وتصبح ممجبا ، إلى آخره . وروى سفيان عن رجل من أهل صنعاء عن وهب ، فذكر الحديث كما تقدم .

وقال عثمان بن أبي شيبة : حدثنا محمد بن عمران بن أبي ليلى ، حدثنا الصلت بن عاصم الرازي عن أبيه عن وهب قال : لما أهدأ آدم من الجنة استوحش لفقده أصوات اللاتسكة ، فهبط عليه جبريل فقال : يا آدم ألا أملك شيئا تنفع به في الدنيا والآخرة ؟ قال : بلى . قال : قل : اللهم تم لي النعمة حتى تهينى المعيشة ، اللهم اختم لي بخير حتى لا تضربني ذنوبي ، اللهم اكفني مؤنة الدنيا وكل هول في القيامة حتى تدخلني الجنة في عافية .

وقال عبد الزاق : حدثني بكار بن عبد الله عن وهب قال : قرأت في بعض الكتب فوجدت الله تعالى يقول : يا ابن آدم أما أنصفتني ، تذكرني وتنساني ، وتدعو إلى وفري ، يا ابن خيري إليك نازل ، وشرك إلى صاعد ، ولا يزال ملكك كرم قد زل إليك من أبلك ، يا ابن آدم ! إن أحب ما تكون إلى وأقرب ما تكون مني - إذا رضيت ، أقسمت لك ، وأبغض ما تكون مني ، وأبغض ما تكون مني إذا - عطلت ، أقسمت لك . يا ابن آدم ! أطمئني فيما أمرتك ، ولا نمئني بما بهلكك ، إلى عالم بخلي ، وأما أعلم بحاجتك التي ترفعك من نفسك . إني إنما أكرم من أكرمني وأهين من هان عليه أمرى ، لست بنظر في حق عبيد حتى ينظر العبد في حق .

وقال وهب : قرأت نيفا وتسمين كتابا من كتب الله تعالى فوجدت في جميعها : أن من وكل إلى نفسه شتا من اللينة فقد كفر . وقال : لا يسكن ابن آدم ، إن الله هو الذي قسم الأرزاق متفاضلة ومختلفة ، فإن تنال ابن آدم شيئا من رزقه فليزدد إلى الله رغبة ، ولا يقول : لو أطلع الله

على هذا من حال ، أو شعر به غيره ؟ فكيف لا يطلع على شيء الذي خلقه وقدره ؟ أو يشعر ابن آدم في غير ذلك بما يتفاضل فيه الناس ؟ كأن الله فاضل بينهم في الأجسام والأموال ، والألوان والمقول والأحلام ، فلا يكبر على ابن آدم أن يفضل عليه في الرزق والمعيشة ، ولا يكبر عليه أن يفضل عليه في الحلم والعلم ، والعقل والدين . أو لا يعلم ابن آدم أن الذي رزقه في ثلاثة أزمان من عمره ، لم يكن له في واحد منها كسب ولا حيلة . أنه سوف يرزقه في الزمن الرابع .

أول زمان من أزمانه حين كان في بطن أمه ، يخلق فيه ويرزق من غير مال كسبه ، وهو في قرار مكين ، لا يؤذيه فيه حر ولا برد ، ولا شيء . ولا هم ولا حزن ، وليس له هناك يد تبطش ، ولا رجل تسمى ، ولا لسان ينطق . فساق الله عز وجل إليه رزقه هناك على أتم الوجوه وأمانها وأمرها . ثم إن الله عز وجل أراد أن يحوله من تلك المنزلة إلى غيرها . ومحدث له في الزمن الثاني رزقا من أمه يكفيه ويمنيه ، من غير حول منه ولا قوة ، ولا بطش ولا سعي ، بل تنفلا من الله وجودا ، ورزقا أجراه وساقه إليه .

ثم أراد الله سبحانه أن ينقله من الزمن الثاني إلى الزمن الثالث ، من ذلك الابن إلى رزق يحدته له من كسب أبويه ؛ بأن يجعل له الرحمة في قلوبهما حتى يؤثرا على نفسيهما بكسبهما ، ويمنيه ، وينفياه بأطيب ما يقدران عليه من الأغذية ، وهو لا بينهما على شيء من ذلك بكسب ولا حيلة ، حتى إذا عقل حدثت نفسه بأنه إنما يرزق بحيلته ومكسبه وسميه .

ثم يدخل عليه في الزمن الرابع إساءة الظن بربه عز وجل ، فيضيع أوامر الله في طلب الماش وزيادة المال وكثرته ، وينظر إلى أبناء الجنس وما عليه من التنافس في طلب الدنيا ، فيكسب بذلك ضيف اليقين والإيمان ، ويتبل قلبه فقرا وخوفا منه مع المشاع ، ويتقل بموت القلب وعدم العقل .

ولو نظر ابن آدم نظر معرفة وعقل . لعلم أنه لن يمنيه في الزمن الرابع إلا من أغناه ورزقه في الأزمان الثلاثة قبل ، فلا مقال له ولا منكرة مما ساط عليه في الأزمان الرابع إلا برحمة الله ، فإن ابن آدم كثير الشك ، يقصر به حكمه وعلمه عن علم الله والفكر في أمره ، ولو تفكر حتى يفهم ، وتعلم حتى يعلم ، لعلم أن علامة الله التي بها يعرف ، خلقه الذي خلق ، ثم رزقه لما خلق ، وقدره لما قدر .

وقال عطاء الخراساني : تقيت وهبا في الطريق فقلت : حدثني حديثا أحفظه منك في مقام هنا وأوجز . قال : أوحى الله عز وجل إلى داود عليه السلام : يا داود أنا وعزتي وعظمتي لا ينتصر في عبيد من عبادي دون خلقي . أعلم ذلك من نيقه . فتكيد السموات السبع



ومن فيهن ، والأرضون السبع ومن فيهن ، إلا جعلت له منهن فرجا ومخرجا . أما وعزق وجلالي لا يمتهم عبد من عبادي مخلوق دوني - أعر ذلك من نيته - إلا قطعت أسباب السموات من يده ، وأسخت الأرض من تحته ، ولا أبالي في أي واد هلك .

وقال أبو بلال الأشمري ، عن أبي هشام الصنعاني قال : حدثني عبد الصمد بن معقل قال : سمعت وهب بن منبه يقول : وجدت في بعض الكتب أن الله تعالى يقول : كفاني لاميد مالا ، إذا كان عبدي في طاعتي أعطيته قبل أن يسألني ، واستجيب له من قبل أن يدعوني ، فإني أعلم بحاجة التي ترفق به من نفسه . وقال : قرأت في بعض الكتب ، أن الشيطان لم يكابد شيئا أشد عليه من مؤمن عاقل ؛ لأنه إذا كان مؤمنا عاقلا ذا بصيرة - فهو أنقل على الشيطان من الجبال الصم ، إنه ليزال<sup>(١)</sup> المؤمن الماقل فلا يستطيعه ، فيتحول عنه إلى الجاهل فيستأمره ويتمكن من قيادته . وقال : قام موسى عليه السلام فلما رآه بنو إسرائيل قاموا ، فقال : هل مكانكم ، ثم ذهب إلى الطور فإذا هو بنهر أبيص فيه مثل رؤوس الكتبان<sup>(٢)</sup> ، كافور مخفوف بالراحين ، فلما رآه أحبه فدخل عليه فاغسل وغسل ثوبه . ثم خرج وجفف ثوبه ، ثم رجع إلى الماء فاستنضج فيه إلى أن جف ثوبه ، فلبسه ثم أخذ نحو الكتيب : الآخر الذي فوق الطور ، فإذا هو برجلين يحفران قبراً ، فقام عليهما فقال : ألا أعينكما ؟ قال : بلى ، فنزل فحفر ، فقال لهما : تصعداني مثل من الرجل ؟ فقالا : على طولك وهينك . فاضطجع فيه لينظروا فالتأتأت عليه الأرض ، فلم ينظر إلى قبر موسى عليه السلام إلا الرخم<sup>(٣)</sup> ، فأصمها الله وأبكمها . وقال : يقول الله عز وجل : فولا أي كتمت العين على الميت لحديثه الناس في بيوتهم ، ولولا أني كتبت التماسد على الإحمر لحرقته الأغنياء على الفقراء .

وقال : مر عابد براهب فقال له : منذ كم أت في هذه الصومعة ؟ قال : منذ ستين سنة ، قال : وكيف صبرت فيها ستين سنة ؟ قال : مر طان الزمان يمر . وإن بلدنيا تمر . ثم قال له : يا راهب كيف ذكرك الموت ؟ قال : ما أحب عبداً يعرف الله نافي عليه ساعة إلا يذكر الموت فيها ، وما أرفع قدماً إلا وأنا أظن أن لا أضمد حتى أموت ، وما أضمد ما إلا وأنا أظن أن لا أرفعها حتى أموت ، فجل العابد يبكي ، فقال له الراهب : هذا بكؤوك إذا خلوت ؟ - أو قال : كيف أنت إذا خلوت ؟ - فقال العابد : إني لأبكي عند إنطاري فأشرب شرابي بدموعي ، ويصرهني

(١) أي يحاول أن يجره ليزلق فيمنطق أو نحوه . (٢) الكتبان : جمع كتيب وهو التل من الرمل .

(٣) الرخم : طائر معروف موصوف بالتندر .

النوم فأقبل متاعى بدموعى . فقال له الراهب : إنك إن تضحك وأنت معترف بذنبك - خير لك من أن تبكى وأنت مدلل على الله بملكك . فقال : أوصنى بوصية ، قال : كن فى الدنيا بمنزلة النحلة ، إن أكلت أكلت طيباً ، وإن وضعت وضعت طيباً ، وإن سقطت على شيء لم تضره . ولا تكن فى الدنيا بمنزلة الحمار ، إنما همته أن يشبع ثم يرمى بنفسه فى التراب وانضح لله نصيح الكلب لأهله ؛ فإنهم يحيمونه ويطردونه ، وهو يأبى إلا أن يجرهم ويحفظهم . قال أبو عبد الرحمن أشرس : وكان طابوس إذا ذكر هذا الحديث بكى ، وقال : عز علينا أن نكون الكلاب أصبح لأهلها - منا مولانا عز وجل . وقد تقدم نحو هذا المتن .

وقال وهب : تخلى راهب فى صومته فى زمن المسيح : فأراد إبليس أن يكيدَه فلم يقدر عليه ، فأتاه بكل مراد فلم يقدر عليه ، فأتاه مشجعاً بالمسيح فناداه : أيها الراهب أشرف على أهلك فأتا للمسيح ، فقال : إن كنت للمسيح فألى إليك من حاجة ، أليس قد أمرتنا بالمبادأة ؟ وودعنا القيامة ؟ انطلق لشأنك فلا حاجة لى فيك . قال : فذهب عنه الشيطان خائفاً وهو حزين ، فلم يعد إليه . ومن طريق أخرى عنه قول : أتى إبليس راهباً فى صومته فاضطجع عليه ، فقال له : من أنت ؟ قال : أنا للمسيح ، فقال الراهب : وأنت لئن كنت إبليس لأخون بك ، ولئن كنت للمسيح فما عسى أن أصنع بك اليوم شيئاً ، لقد بلغتنا رسالة ربك عز وجل فقبلناها عنك ، وشرعت لنا الدين ففحن عليه ، فذهب فلست بفأخ لك ، فقال : صدقت ، أنا إبليس ولا أريد إضلالك بعد اليوم أبداً ، نسأى عما بدا لك أخبرك به . قال : وأنت صادق ؟ قال : لا نسأى عن شيء إلا صدقتك فيه . قال : فأخبرنى أى أخلاق بنى آدم أوتق فى أنفسكم أن تضلوم به ؟ قال ثلاثة أشياء : « الحدة »<sup>(١)</sup> ، والشح ، والسكر .

وقال وهب : قال موسى : يارب أى عبادك<sup>(٢)</sup> ، قال : من لا تنفعه موعظة ، ولا يذكرنى إذا خلا ، قال : إلهى ! فما جزاء من ذكرك بلسانه وقلبه ؟ قال : يا موسى ! أظله يوم القيامة بظل عرشى ، وأجعله فى كنفى .

وقال وهب : أتى عالم طالباً هو فوفقه فى العلم ، فقال له : رحلك الله ! ما هذا البناء الذى لا إسراف فيه ؟ قال : ما سترت من الشمس ، وأكنك من الليل ، قال : فما هذا الطعام الذى لا إسراف فيه ؟ قال : فوق الجوع ودون الشبع من غير تكلف ، قال : فما هذا اللباس الذى لا إسراف فيه ؟ قال : هو ما ستر الدودة ومنع الحر والبرد من غير تنوع ولا تلون ، قال :

(١) سيشرح السلف هذه الأتبياء قريباً - فى صفحة : ٣٢٦ .

(٢) كذا بالأصل ، وهنا نص واضح بهم من اللتام .

فأهذا الضحك الذى لا إسراف فيه ؟ قال : هو ما أسفر وجهك ولا يسمع صوتك ، قال :  
فأهذا البكاء الذى لا إسراف فيه ؟ قال : لا تبلى من البكاء من خشية الله عز وجل ،  
ولا تبك على شئ من الدنيا . قال : كم أخفى من حلى ؟ قال : ما أظن بك أنك لم تعمل حسنة ،  
قال : ما أعلن من حلى ؟ قال : الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وما يأتى بك الحريص ،  
واحذر النظر إلى الناس . وقال : لكل شئ طرفان ووسط ، فإذا أمسكت بأحد الطرفين  
مال الآخر ، وإذا أمسكت بالوسط اعتدلا ، فمما يكم بالوسط من الأشياء . وقال : أربعة  
أحرف فى التوراة : من لم يشاور يندم ، ومن استغنى استأثر ، والفقر الموت الأحر ، وكذا تدين  
ندان ، ومن نجر فجر .

وقال عبد الله بن المبارك : حدثنا بكار بن عبد الله : أنه سمع وهب بن منبه يقول : كان  
رجل من أفضل أهل زمانه ، وكان يزار فيه ظلم ، فاجتمعوا إليه ذات يوم فقال : إنا قد خرجنا  
عن الدنيا ، وفارقنا الأهل والأموال بحافة الطمان ، وقد خفنا أن يكون قد دخل علينا فى حالنا  
هذه من الطمان . أعظم وأكثر مما يدخل على أهل الأموال فى أموالهم ، وعلى اللوك فى ملكهم ،  
أرانا يجب أهدنا أن نقضى له الحاجة ، وإذا اشتري شيئا أن نجأى لمساكن دينه ، وأن يقيم  
إذا أتى الناس لمساكن دينه ، وجعل يمدد آفات العلماء والعباد الذين يدخل عليهم فى دينهم من  
حب الشرف والتعظيم . قال : فشاع ذلك الكلام عنه حتى بلغ ملك تلك البلاد ، فمجب منه  
الملك ، وقال لردوس دواته : يفتى لهذا أن يزار ، ثم اتعدوا لزيارته يوما ، فركب إليه الملك  
ليسلم عليه ، فأشرف العابد - وكان عالما جيد العلم بأفات العالم والأعمال ودسائس النفوس -  
فروأى الأرض التى تحت مكانه قد سدت بالحيل والفرسان ، فقال : ما هذا ؟ فقيل له : هذا الملك  
قاصد إليك يسلم عليك بما بلغه من حسن كلامك ، فقال : إنا لله ، وما أصنع به ؟ هل سكتنا والله ،  
إن لم تلقن الحاجة من عند الله مع هذا الرجل ، وبشرف هنا وهو ماتت لنا .

ثم سأل خادمه : هل عندك طعام ؟ قال : نعم ! قال : فأت به فضمه بين أيدينا ، قال : هو  
شئ من ثمر الشجر ، وهو شئ من ثقل وريثون ، قال : فأت به ، فأتى به . ثم أمر بحاجته ،  
فاجتمعوا حول ذلك الطعام ، فقال : إذا دخل حايكم هذا الرجل فلا يلتفت أحد منكم إليه ،  
ولا يقيم له أحد ، وأقبلوا على الأكل المتيف ، ولا يرفع أحد منكم رأسه ، أمل الله أن يصرفه  
عنا وهو كاره لنا ، فأتى أخاف الفتنة والشهرة وامتلاء القلب منهما ، فلا نخاض إلا بنار جهنم .  
قال : فبكى والقوم ، بكى ذلك الرجل العالم ، فلما اقترب للملك من جبلهم الذى هم فيه ، ترجل  
الملك ومن معه من أعيان دولته وصعد فى الجبل ، فلما وصل إلى قرب مكانهم أخذوا فى الأكل

النعيف ، فدخل عليهم الملك وهم يأكلون فلم يرمضوا رءوسهم إليه ، وجعل ذلك العالم الناضل يلف القتل مع الزيتون مع الكسرة الكبيرة من الخبز ويدخلها في فم ، فلم عليهم الملك وقال : أبكم المأبد ؟ فأشاروا إليه ، فقال له الملك : كيف أنت أيها الرجل ؟ فقال له : كالناس - وهو يأكل ذلك الأكل النعيف ، فقال الملك : ليس عند هذا خير ، ثم أدير الملك خارجا عنه ، وقال : ما عند هذا من علم . فلما نزل الملك من الجبل نظر إليه المأبد من كوة وقال : أيها الملك ! الحمد لله الذي صرفك عنى وأنت لى كاره - أو قال : الحمد لله الذي صرفك عنى مما صرفك به وفي رواية ذكر ابن المبارك أنه قال : الحمد لله الذي صرفه عنى وهو لى لائم .

وفي رواية أن هذا المأبد كان ساسكا ، وكان قد زهد في الدنيا وتركها ؛ لأنه كان قد دخل عليه رجل من بني أهل الجنة والممل الصالح فوعظه ، فأنمده أنه يصحبه ، وأن يخرج عن الملك أطبعا لما عنده في همار الآخرة ، وأنه وافقه جماعة من بني وأهله ورووس دولته ، فخرجوا برحمتهم لا يدرى أحد أين ذهبوا . وكان هذا الملك من أهل العدل والخير والخلوف من الله عز وجل ، وكان منسج الملك والمملكة ، كثير الأموال والرجال ، فساروا حتى أتوا جبلا في أطراف مملكته ، كثير الشجر والمياه ، فأقاموا به حيناً ، فقال الملك : إن نحن طال أمرنا ومقامنا في هذا الجبل - سمع بنا الناس من أهل مملكتنا فلا يدعونا ، وإني أرى أن نذهب إلى غير مملكتنا فننزل مكاناً بعيداً عن الناس ، لعل أن نسلم منهم ويسلوا منا ، فساروا من ذلك الجبل طالبيين بلافا لا يعرفون ، فوجدوا بها جبلا ثائها عن الناس ، كثير الأشجار والمياه ، قليل الطوارق ، وإذا في ذروته عين ماء جارية وأرض مقسمة ، تزرع لمن أراد للزرع بها ، فنزلوا به وبنوا به أما كن للعبادة والسكنى ، وزرعوا لهم على ماء تلك العين بعض يقول بأنتمون بها ، وأشجار زيتون ، وجعلوا يزرعون بأيديهم ويأكلون . ثم شاع أمرهم في بعض تلك البلاد القريبة من جبلهم ، فخطوا بأنهم ويزورونهم ، إلى أن شاع ذلك الكلام للتقدم من ذلك العالم ، فبلغ ملك تلك البلاد قصدهم للزيارة ، فذكر التهمة كما تقدم والله أعلم .

وقال وهب : أزهده الناس في الدنيا - وإن كان عليها حريصاً - من لم يرض منها إلا بالنكسب الحلال الطيب ، مع حفظ الإمانات . وأرغب الناس فيها - وإن كان عنها مريضاً - من لم يبال من أين كسبه منها حلالاً أو حراماً . وإن أجود الناس في الدنيا من جاد بحقوقي الله عز وجل ، وإن رآه الناس مجبلاً فيما سوى ذلك . وإن أبخل الناس في الدنيا من محل بحقوقي الله عز وجل ، وإن رآه الناس جواداً فيما سوى ذلك .

وقال الطبراني : حدثنا معاذ بن النتي ، حدثنا علي بن المديني ، حدثنا محمد بن عمرو بن مقسم قال :

سمعت عطاة بن مسلم يقول : سمعت وهب بن منبه يقول : إن الله تعالى كلم موسى عليه السلام في ألف مقام ، وكان إذا كلمه رؤى النور على وجه موسى ثلاثة أيام ، ولم يمس موسى امرأة منذ كلمه ربه عز وجل . وقال عثمان بن أبي شيبة : حدثنا عبد الله بن عامر بن زرارة ، حدثنا عبد الله بن الأجلح ، عن محمد بن إسحاق قال : حدثني ربيعة بن أبي عبد الرحمن قال : سمعت ابن منبه النخعي يقول : إن النبوة أمتلا ومؤنة لا يحملها إلا القوى ، وإن يونس بن متى كان عبداً صالحاً ، وكان في خلقه ضيق ، فلما حلت عليه النبوة تفسخ تحتها ففسخ الربيع<sup>(١)</sup> تحت الرجل ، فرفضها من يده وخرج هارباً ، فقال الله تعالى لنبيه ﷺ : ( فاصْبِرْ كَاصْبِرَ أُولُو الْقُرْآنِ مِنَ الرُّسُلِ )<sup>(٢)</sup> وقال : ( فاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ لَا تَسْكُنْ كَاسْحَابِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهَوَّ مَسْكُوتُومَ )<sup>(٣)</sup> الآية ، وقال يونس بن بكير ، عن أبي إسحاق بن وهب بن منبه ، عن أبيه قال : أمر الله الربيع أن لا يتسكلم أحد من المخلوق بشيء في الأرض ، إلا ألحقه في أذن سليمان ، فذلك سمع كلام الله .

وروى سفيان بن عمرو بن دينار ، عن وهب قال : كان الرجل من بني إسرائيل إذا ساح أربعين سنة أرى شيئاً ، كأن يرى علامة القبول ، قال : فساح رجل من ولد ربيعة أربعين سنة فلم ير شيئاً ، فقال : يارب إذا أحسنت وأساء والى الذي فادني ؟ قال : فأرى ما كان يرى غيره . وفي رواية أنه قال : يارب إذا كان والى قد أكلا أرضنا ؟ وفي رواية عنه أنه قال : يارب إذا كان والى قد أساء ، أحرم أنا إحسانك وبرك ؟ فأظلمه غمامة .

وروى عبد الله بن المبارك ، عن رباح بن زيد ، عن عبد العزيز بن مروان . قال : سمعت وهب بن منبه يقول : مثل الدنيا والآخرة مثل ضربين ، إن أرضيت إحداها أسخطت الأخرى . وقال : إن أعظم الذنوب عند الله بعد الشرك ماؤه - السحر . وروى عبد الرزاق قال : أخبرني أبي عن وهب قال : إذا عام الإنسان زاعج بصره ، فإذا أنظر على حلاوة عاد بصره . وقال ابن المبارك عن بكر بن عبد الله قال : سمعت وهباً يقول : من رجل عابد على رجل عابد فقرأ مفكراً ، فقال له : الك ؟ فقال له : أعجب من فلان ، إنه كان قد بلغ من عبادته ما بلغ ، ثم مالت به الدنيا . فقال : لا تعجب من مال كيف مال ، ولكن أعجب من استقام كيف استقام .

وقال عبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل : حدثني أبي ، حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا بكار بن

(١) الربيع : العدد الكبير في الشمس وإشالة الحجر ورفعه لإظهار القوة .

(٢) من الآية : ٣٥ من سورة الأحقاف . (٣) من الآية : ٤٨ من سورة القلم .

عبد الله قال : سمعت وهب بن منبه يقول : إن بنى إسرائيل أصابتهم عقوبة وشدة ، فقال النبي ﷺ : وددنا أن نعلم ما الذى يرضى ربنا فنقبه ، فأوحى الله عز وجل إليه : إن قومك يقولون : إذا أرضوهم رخصت ، وإذا أسخطوهم أسخطت . وقال عبد الله بن أحمد أيضاً : حدثنا أبى ، حدثنا إبراهيم بن خالد . حدثني عمر بن عبد الرحمن قال : سمعت وهب بن منبه يقول : إن عيسى عليه السلام كان واقفاً على قبر ومعه الخواريون - أو نفر من أصحابه - قال : وصاحب القبر يبدلني فيه ، قال : فذكروا من ظلة القبر وضيقه ، فقال عيسى : قد كنتم فيها هو أخيب من ذلك ، في أرحام أمهاتكم ، فإذا أحب الله أن يوسع وسع ، أو كما قال .

وقال عبد الله بن المبارك : حدثنا بكار بن عبد الله قال : سمعت وهب بن منبه يقول : كان رجل مابذ من السباح أراد الشيطان من قبل الشهوة والرغبة والغضب ، فلم يستطع منه شيئاً من ذلك ، فحتم له حية وهو يصل ، ففنى ولم يلتفت إليه ، فالتوى على قدميه فلم يلتفت إليه ، فدخل ثيابه وأخرج رأسه من عند رأسه فلم يلتفت ولم يستأخر ، فلما أراد أن يسجد التوى في موضع سجوده ، فلما وضع رأسه ليسجد فتح فاه ليلتصم رأسه ، فوضع رأسه فجعل يمركه حتى استمكن من السجود على الأرض . ثم جاءه على صورة رجل فقال له : أنا صاحبك الذى أخوفك أنيتك من قبل الشهوة والغضب والرغبة ، وأنا الذى كنت أتمثل لك بالسباع والحيات فلم أسطع منك شيئاً ، وقد بدالى أن أصادقك ولا آتيتك في صلاتك بعد اليوم .

فقال له المابذ : لا يوم خوفتى خذتك ، ولا اليوم في مصادقتك قال : سألني عما شئت أخبرك ، قال : فاعصيت أن أسألك ؟ قال : ألا تسألني عن مالك ما فعل به بمدك ؟ قال : لو أردت ذلك ما فارقتك . قال : ألا تسألني عن أهلِكَ من مات منهم ومن بقي ؟ قال : أنا مت قبلهم قال : أهلاً تسألني عما أضل به الناس ؟ قال : أنت أضلهم فأخبرني عن أوتق ما في نفسك تصل به نبي آدم . قال : ثلاثة أخلاق ، الشح ، والحدة ، والسكر <sup>(١)</sup> ، فإن الرجل إذا كان شحيحاً قلنا ما له في عينه ، ورغبنا في أموال الناس ، وإذا كان حديداً تداولناه بيننا كما يتداول الصبيان للسكر ، ولو كان محبباً لآوى بدعوتيه لم ينأس منه ، وكل ما بينه نهديه ، لنا كلمة واحدة . وإذا سكر قدناه إلى كل شر وفضيحة ، وخزي وهوان ، كما نقاد القط إذا أخذ بأفنها كيف شئتنا .

وقال وهب : أصاب أبواب البلاء سبع سنين ، وترك يوسف في السجن سبع سنين ، ومسح بختنصر في السباع سبع سنين ، وسئل وهب عن الدنانير والدراهم فقال : هي خواتم رب العالمين ، فالأرض لمعايش بني آدم لا تؤكل ولا تشرب ، فأبنا ذهب بختام رب العالمين قضيت حاجتك ،

وهي أزمة المنافقين بها يقدون إلى الشهوات . وروى داود بن عمر الضبي عن ابن المبارك عن معمر عن سمك بن الفضل عن وهب قال : مثل الذي يدعو بنير حمل مثل الذي يرمي بنير وتر . وقال ابن المبارك : أخبرني عمر بن عبد الرحمن بن مهزيب قال : سمعت وهبا يقول : قال حكيم من الحكماء : إني لأستحي من الله عز وجل أن أعبد رجاء ثواب الجنة فقط ، فأكون كالأجير المشؤم ، إني أعطي عمل وإن لم يسل لم يعمل ؛ وإني لأستحي من الله أن أعبد مخافة النار فقط ، فأكون كالعبد المشؤم إن رهب عمل ، وإن ترك لم يعمل . وإني أليستخرج مني حب الله مالا يستخرج مني غيره .

وقال السري بن يحيى : كتب وهب إلى مكحول : إنك قد أصبحت بما ظهر من علم الإسلام عند الناس - محبة وشرفا ، فاطلب ما باطن من علم الإنسان عند الله - محبة وزنا . واعلم أن إحدى الحجبتين تمنع الأخرى - أو قال : سوف تمنعك الأخرى . وقال زافر بن سليمان عن أبي سنان الشيباني قال : بلغنا أن وهب بن منبه قال : قال لقمان لابنه : يا بني ! اتخذ طاعة الله تجارة تريد بها رخ الدنيا والآخرة ، والإيمان سفينة التي تحمل عليها ، والنوكل على الله شراعها ، والدنيا بمرك ، والأيام موجك ، والأعمال الصالحة تجارتك التي ترجو رحمتها ، والنافقة هي هديتك التي ترجو بها كرامتك ، والحرص عليها يسورها ويزجها ، ورد النفس عن هواها ومراسيها ، والوث ساحلها ، والله ملكها وإليه مصيرها . وأحب التجار إلى الله وأفضلهم وأقربهم منه - أكثرهم بضاعة وأصناف نية ، وأخلصهم هدية . وأبعضهم إليه أقلهم بضاعة ، وأرؤمهم هدية ، وأخبثهم طوية ، فكلما حسنت تجارتك ازداد ربحك ، وكلما خلصت هديتك تكرم .

وفي رواية عنه أنه قال : قال لقمان لابنه : يا بني ! اتخذ طاعة الله ضاعة تأتلك الأرباح من كل مكان ، واجعل سفينةك تقوى الله ، وحشوها النوكل على الله ، وشراعها الإيمان بالله ، وبمرك العلم النافع والعمل الصالح ، لعلك أن تنجو ، وما أراك بتاج . وقال عبد الله بن المبارك عن رباح ابن زيد ، عن رجل قال : إن لعم طيننا كطين السال .

وقال الطبراني : حدثنا عبيد بن محمد الصنعائي ، حدثنا أبو قدامة عامر بن مسلمة بن عتبة ، حدثنا غوث ابن جابر ، حدثنا عقيل بن منبه قال : سمعت عبيد بن منبه يقول : الأجر من الله عز وجل معروض ، ولكن لا يستوجبه من لا يعمل ، ولا يجده من لا يتقنه ، ولا يبره من لا يظفر إليه . وطاعة الله قريبة من يرغب فيها ، بعيدة من زهد فيها ، ومن يحرص عليها يصل إليها ، ومن لا يحبها لا يجدها . لا تسبق من سعى إليها ، ولا يتركها من أبطأ عنها . وطاعة الله تشرف من أكرمها ، وتهن من أصامها ، وكتاب الله يدل عليها ، والإيمان بالله يحض عليها .

وقال الإمام أحمد : حدثنا إبراهيم بن خالد ، حدثنا عمر بن عبد الرحمن ، سمعت وهب بن منبه يقول : قال داود عليه السلام : يا ربنا أي عبادك أحب إليك ؟ قال : مؤمن حسن الصورة حسن العمل . قال : يا ربنا أي عبادك أبغض إليك ؟ قال : كافر حسن الصورة كثر أو شكراً ، هذان . وفي رواية ذكرها أحمد بن حنبل : أي عبادك أبغض إليك ؟ قال : عبد استخافني في أمر نغرت له فلم يرض به .

وقال إبراهيم بن الجفند : حدثني إبراهيم بن سعيد عن عبد النعم بن إدريس ، حدثنا عبد الصمد ابن معقل عن وهب بن منبه قال : كان ساحب يبداه تمالى ، فجاءه إبليس أو شيطان فقمثل بإنسان فجعل يربه أنه يبداه تمالى ، وجعل يزيد عليه في العبادة ، فأحب ذلك الساحب لما رأى من اجتهاده وعبادته ، فقال له الشيطان - والساحب في مصلاه - : لو دخلنا إلى المدينة فخالطنا الناس وصبرنا على أذاهم وأمرنا ونهيها - كان أعظم لأجرنا ، فأجابه الساحب إلى ذلك ، فلما أخرج الساحب لأحدى رجليه من باب مكانه لينطلق معه ، هتف به هاتف فقال : لمن هذا شيطان أراد أن يقتلك . فقال الساحب : رجل خرجت في مصيبة الله ، وطاعة الشيطان ، لا تدخل معي ، فسا حولها من موضعها ذلك حتى فارق الدنيا ، فأزل الله تعالى ذكره في بعض كتبه قال : وذو الرجل .

وقال وهب : أتى رجل من أفضل أهل زمانه إلى ملك كان يقتل الناس على أكل لحم الخنزير ، فأعظم الناس مكانه ، وهلم أمره ، فقال له صاحب شرطة الملك - سرأ بينه وبينه - : أيها العالم ! اذبح جدياً مما يحل لك أكله ، ثم ادفنه إلى حتى أصنعه لك على حدته ، فإذا دعا الملك ليعلم الخنزير أمرت به فوضع بين يديك . فتأكل منه حلالاً ، وبرى الملك والناس أنك إنما أكلت لحم الخنزير ، فذبح ذلك العالم جدياً ، ثم دفنه إلى صاحب الشرطة فصنعه له ، وأمر الطباخين إذا أمر الملك بأن يقدم إلى هذا العالم لحم الخنزير [ أن يضعوا بين يديه لحم هذا الجدي واجتمع الناس ] لينظروا أمر هذا العالم فيه ، أيأكل أم لا ؟ وقالوا : إن أكل أكلنا وإن امتنع امتنعنا ، فجاء الملك فدعا لهم بالحم الخنزير فوضعت بين أيديهم ، ووضع بين يدي ذلك العالم لحم ذلك الجدي الحلال المذكور ، فألم الله ذلك العالم فألقى في روعه وتذكره ، فقال : هب أي أكلت لحم الجدي الذي أعلم أنه أنا ، فإذا أصنع بمن لا يعلم ؟ والناس إنما يحفظون أكلهم ليعتدوا به ، وهم لا يبدلون إلا أي إنما أكلت لحم الخنزير ، فيأكلون اقتداء به ، فأكون ممن يعمل أوزارهم يوم القيامة . لا أفضل والله وإن قتلت وهرقت بالناس ، وأني أن يأكل .



فجبل صاحب الشرطة بمنز إليه وبوي إليه ويأمره بأكله ، أى إنما هو لحم الجدى ، فأنى أن يأكل ؟ ثم أمره الملك أن يأكل فأنى ، فأطعوا عليه فأنى ، فأمر الملك صاحب الشرطة بقتله ، فلما ذهبوا به ليقتلوه ، قال له صاحب الشرطة : ما منعك أن تأكل من اللحم الذى ذكيتك أنت ودفعته إلى ؟ أظننت أنى أتيتك بغيره ، وختنتك فيما اتفقتى عليه ؟ ما كنت لأفعل والله . فقال له العالم : قد علمت أنه هو ، ولكن خفت أن يتأذى الناس بى ، وهم إنما ينتظرون أكلى منه ، ولا يملكون إلا أنى أكلت لحم الخنزير ، وكذلك كل من أريد على أكله فيما بأتى من الزمان يقول : قد أكله فلان ، فأكون فتنة لهم فقتل رحمه الله . فينبى للعالم أن يحذر العمايب ، ويحفظ المحذورات ، فإن زلته ونقصته - منظورة يقتدى بها الجاهل .

وقال معاذ بن جبل : انتوا زينة الحكيم . وقال غيره : انتوا زلة العالم ، فإنه إذا زل زل تركه عالم كبير . ولا ينبغي له أن يستهين بالزلة وإن صغرت ، ولا يفعل الرخص التى اختلف فيها العلماء ، فإن العالم هو عصاة كل أمى من العوام ، بها يصلح على الحق ليدحضه ، ويقول : رأيت فلاناً العالم ، وفلاناً وفلاناً - يفعلون ويفعلون . وليحفظ الموائد النفسية ، فإنه قد يفعل أشياء على حكم العادة ، فيظنها الجاهل جائزة أو سنة أو واجبة ، كما قيل : سل العالم بصدقك ولا تقصد بفعله التعريب ، ولكن سل عنه بصدقك إن كان ذا دين ، وكم أفسد النظر إلى غالب علماء زمانك هذا من خلق ، فإلظن بمخالطتهم ومجالستهم ولكن ( مَنْ يَدْرِى اللهُ قَهْوُ اللهِ قَهْوُ ) لله قَهْوُ ، وَمَنْ يَهْدِى اللهُ فَلَنْ يُضِلَّهُ وَثَبَّحَ مُرْشِدًا <sup>(١)</sup> .

وقال محمد بن عبد الملك بن زنجويه : حدثنا عبد الرزاق عن أبيه قال : قال لوهب بن منبه : كنت ترى الرؤيا فتغير ما بها ، فلا تلبث أن تراها كما رأيتها ؟ قال : ذهب ذلك عنى منذ وليت القضاء . قال عبد الرزاق : فحدثت به معمرًا فقال : والحسن بعد ما ولى القضاء لم يحمدا فهم ، فمن يأمن القراء بمدك يا شهر ؟ فكيف حال من قد غرق فى قاذورات الدنيا من علماء زمانك هذا ، ولا سيما من بعد فتنة « تيمرنك » ؟ فإن القلوب قد امتلأت بحب الدنيا ، فلا يجد العلم فيها موضعا ، فجالس من شئت منهم لتنظر مبادئ مجالستهم وغاياتها ، ولا تمتدخلك البدوات ، فإنما الأمور بمواقبها وخواتيمها ، ونتائجها ، وغاياتها . ( وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ) <sup>(٢)</sup> ، وقال وهب : البلاد للمؤمن كالكحل للداية . وقال أبو بلال الأشعرى عن أبى شهاب الصنعائى ، عن عبد الصمد بن وهب قال : من أصيب بشىء من البلاد فقد سلك به

(١) من الآية ١٧ من سورة الكهف .

(٢) من الآية ٣ من سورة الطلاق .

طريق الأنبياء . وقال عبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل : حدثنا عبد الرزاق قال : أنبأنا منذر قال : سمعت وهباً يقول : قرأت في كتاب رجل من الحواريين : إذا سلك بك طريق - أو قال سبيل - أهل البلاء ، فطب نفسك ، فقد سلك بك طريق الأنبياء والصالحين .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أحمد بن جعفر ، حدثنا إبراهيم بن خالد ، حدثني أمية بن شبل ، عن عثمان بن بزوديه قال : كنت مع وهب وسعيد بن جبيرة يوم عرفة تحت نخيل ابن عامر ، فقال وهب لسعيد : يا أبا عبد الله ! كم لك منذ خفت من الهياج ؟ قال : خرجت من امرأتى وهى حامل . فجاءنى الذى فى بطنها وقد خرج [شعر] وجهه ، فقال له وهب : إن من كان قبلكم كان إذا أصابه بلاء عده رجاء ، وإذا أصابه رجاء عده بلاء . وروى عبد الله بن أحمد بسنده عن وهب قال : قرأت فى بعض الكتب : « ارس من عبادى من سحر أو سحر له ، أو تسكهن أو تسكهن له ، أو تطير أو تطير له ، فن كان كذلك فليدع غيرى ، فإنما هو أنا وخلق كلهم لى » .

وقال الإمام أحمد : حدثنا إبراهيم بن خالد ، حدثنا رياح عن جعفر بن محمد عن التميمي عن وهب أنه قال : دخول الجمل فى سم الحياض أبسر من دخول الأغنياء الجنة . قلت : هذا إما هو لشدة الحساب وطول وقوف الأغنياء فى الكرب ، كما قد ضربت الأمثال للشدائد . والله سبحانه وتعالى أعلم .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق حدثنا بكار قال : سمعت وهباً يقول : ترك لك السكافة من التطفيف . وقال الإمام أحمد : حدثنا الهياج وأبو النصر قالا : حدثنا محمد بن طلحة عن محمد ابن جعبادة عن وهب قال : من يتعبد بزد قوة ، ومن يتكسل بزد فترة . وقد قال غيره : إن وراء جادته فى المنام ليلة باردة فقالت له : قم إلى صلاتك فهى خير لك من نومة توهم بدنك . ورأيت فى ذلك حديثاً لم يحضرنى الآن . وهذا أمر مجرب أن العبادة تنشط البدن وتلينه ، وأن النوم يكسل البدن فيقسيه . وقد قال بعض السلف لما تبع صلى بن أشيم<sup>(١)</sup> حين دخل البصرة ، وأنه قام ليته إلى أن أصبح ، قال : فأصبح كأنه بات على الحشايا ، وأصبحت ولّى من الكسل والتفور ما لا يعلمه إلا الله عز وجل .

وقد قيل للحسن : ما بال للتبدين أحسن الناس وجوهاً ؟ قال : لأنهم خلوا بالجليل فألبسهم نورا من نوره . وقال يحيى بن أبى كثير : والله ما رجل يخلو بأهله عروساً أقر ما كانت ضمه وأنس ، بأشد سروراً منهم بمنجاة ربهم تعالى إذا خلوا به . وقال عطاء الخراسانى : قيام الليل

حياة للبدن ، ونور في القلب ، وضياء في الوجه ، وقوة في البصر والأعضاء كلها ، وإن الرجل إذا قام بالليل أصبح فرحاً مسروراً ، وإذا نام عن حزنه أصبح حزينا مكسوراً القلب كأنه قد فقد شيئاً ، وقد فقد أعظم الأمور له نفساً .

وقال ابن أبي الدنيا : حدثنا أبو جعفر أحمد بن منيع ، حدثنا هاشم بن القاسم أبو النصر ، حدثنا بكر بن حبيش ، عن محمد القرشي ، عن ربيعة بن يزيد ، عن أبي إدريس الخولاني ، عن بلال قال : قال رسول الله ﷺ : « عليكم بقيام الليل ، فإنه دأب الصالحين قبلكم » ، وإن قيام الليل قربته إلى الله تعالى ، ومنها : عن الإمام ، وتكفير عن السيئات ، ومطرقة للشيطان من الجسد . وقد رواه غيره من طرق : « عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم » ، ويكنى في هذا الباب ما رواه أهل الصحيح والسانيد عن أبي هريرة ، أن رسول الله ﷺ قال : « بمقد الشيطان على قافية أحدكم إذا هو نام - ثلاث عقد ، يضرب مكان كل عقدة : عليك ليل طويل فارقد . فإذا استيقظ وذكر الله انحلت عقدة ، وإذا توضأ انحلت عقدة ، فإن صلى انحلت عقدة ، فأصبح نشيطاً طيب النفس ، وإلا أصبح خبيث النفس كسلان » . وهذا باب واسع . وقد قال هود ثيا أخير الله عنه : ( اعبدوا الله ما لكم من إله غيره )<sup>(١)</sup> ، ثم قال : ( وزركم قوة إلى قوتكم )<sup>(٢)</sup> ، وهذه القوة تشمل جميع القوى ؛ فيزيد الله عابديه قوة في إيمانهم ، وبقينهم ، ودينهم ، وتوكلهم ، وغير ذلك مما هو من جنس ذلك . وزركم قوة في أسمعهم ، وأبصارهم ، وأجسادهم وأموالهم ، وأولادهم وغير ذلك ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

وقال الإمام أحمد : حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم ، حدثني عبد الصمد ، أنه سمع وهباً يقول : تصدق صدقة رجل يعلم أنه إنما قدم بين يديه ماله ، وما خلف مال غيره .

قلت : وهذا كافي الحديث : « أيسكم مال وارثه أحب إليه من ماله ؟ فقالوا : كلنا ماله أحب إليه من مال وارثه ، فقال : إن ماله ما قدم ، وماله وارثه ما أحر » . قال : وسمعت وهباً على المنبر يقول : احفظوا عني ثلاثاً ؛ إياكم وهوى همتكم ، وقرين سوء ، وإعجاب المرء بنفسه . وقد رويت هذه الألفاظ في حديث وقال الإمام أحمد : حدثنا بونس بن عبد الصمد بن مقل ، حدثنا إبراهيم بن الحجاج قال : سمعت وهباً يقول : أحب بنى آدم إلى الشيطان الثنوم والأكل .

وقال الإمام أحمد : حدثنا غوث بن جابر ، حدثنا عمران بن عبد الرحمن - أ والمذبل ، أنه سمع

هبة يقول . إن الله عز وجل يحفظ بالعبد الصالح القليل من الناس . وقال أحد أيضاً : حدثنا إبراهيم بن عقيل ، حدثنا عمران أبو الهذيل من الأنبياء ، عن وهب بن منبه قال : ليس من الآدميين أحد إلا ومعه شيطان موكل به . فأما الكافر فيأكل معه ويشرب معه ، وبطام معه هل فراشه . وأما المؤمن فهو محاب له ينتظر متى يصيب منه غفلة أو غرة . وأحب الآدميين إلى الشيطان الأكل والنوم . وقال محمد بن غالب : حدثنا أبو المقهر ابن أخي بشر بن منصور ، عن داود ابن أبي هند ، عن وهب قال : قرأت في بعض الكتب التي أنزلت من السماء على بعض الأنبياء : أن الله تعالى قال لإبراهيم عليه الصلاة والسلام : أتدرى لم آخذتك خايلاً ؟ قال : لا يارب ، قال : لقد مقامك بين يدي في الصلاة .

وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل : حدثنا محمد بن أيوب ، حدثنا أبو بكر بن عياش ، عن إدريس بن وهب بن منبه قال : حدثني أبي قال : كان سليمان بن داود ألف بيت ، أملاء قوارير وأسفله حديد ، فركب الريح يوماً فربحها ، فنظر إليه الحراث فاستعظم ما أوتي سليمان من الملك ، فقال : لقد أوتي آل داود ملكاً عظيماً ، غفلت الريح كلام الحراث فأنقذه في أذن سليمان ، وإنما قال : فأمر الريح فوقفت ، ثم نزل يمشي حتى أتى الحراث فقال له : إني قد سمعت قولك ، وإنما مشيت إليك لئلا تنفي ما لا تقدر عليه مما أقدرني الله عليه فضلاً وإحساناً منه عليّ ؛ لأنه هو الذي أفاضني لهذا وأعاني . ثم قال : والله للتسبيحة واحدة يقبلها الله عز وجل منك أو من مؤمن - حير مما أوتي آل داود من الملك ؛ لأن ما أوتي آل داود من ملك الدنيا بقى ، والتسبيحة تبقى ، وما يبقى خير مما يبقى . فقال الحراث : أذهب الله منك كما أذهبت حتى

وقال الإمام أحمد : حدثنا إبراهيم بن عقيل بن معقل ، حدثني أبي عن وهب بن منبه قال : إن الله عز وجل أمطى موسى عليه السلام نوراً ، فقال له هارون : هبة لي يا أخي ، فوهبه له ، فأعطاه هارون ابنه . وكان في بيت المقدس آنية نظمها الأنبياء والملوك ، فكان ابن هارون يسقيان في تلك الآنية الخمر ، فبرزت نار من السماء فاخطفت ابني هارون فصدمت بهما ، فترزع هارون لذلك فقام مستغيثاً متوجهاً بوجهه إلى السماء بالدعاء والتضرع ، فأوحى الله إليه : يا هارون فكذا أقبل عن عصا من أهل طاعتي ، فكيف فعل بمن عصاني من أهل مصيبي ؟ . وقال الحكم بن أبان : نزل بي ضيف من أهل صنعاء فقال : سمعت وهب بن منبه يقول : إن الله عز وجل في السماء السابعة داراً يقال لها البيضاء ، يجمع فيها أرواح المؤمنين ، فإذا مات الميت من أهل الدنيا تلقته الأرواح ؛ فيسألونه عن أخبار الدنيا كما يسأل الغائب أهلها إذا قدم عليهم . وقال : من جعل شهرته تحت قدمه فزع الشيطان من ظله ، فمن غلب عليه هواه فذلك العالم الغلاب .

وقال فضيل بن عياض . أوحى الله تعالى إلى بعض أنبيائه : بعيني ما يتعمل المتعملون من أجل ، وما يكابدون في طلب مرضاتي ، فكيف بهم إذا صاروا إلى داري ، وتبجحوا في رياض نمتي ؟ هناك فليبشر المضعفون الله أعمالهم بالنظر العجيب من الحبيب القريب ، أتراني أنسى لهم علة ؟ وكيف وأنا ذو الفضل العظيم ، أجود على أولي المراضين عني ، فكيف بالمقبلين علي ؟ وما غضبت على شيء كنتضي على من أخطأ خطيئة فاستمظنها في جنب عفتي ، ولو تجاوزت بالقوة أحدا ، أو كانت المعجلة من شأني - اماجلت القانطين من رحمتي . ولو رأي عبادي المؤمنين كيف استوهبهم عن اعتدوا عليه ، ثم أحكم لمن وهبهم بالخلد القيم - اتهموا فضلي وكري ، أما الدين الذي لا عمل معه ، والذي أطاعني أطاعني رحمتي ، ولا حاجة لي بهوان من خاف مقامي . ولو رأي عبادي يوم القيامة كيف أرفع قصورا تحار فيها الأبصار فيسألوني : لمن ذا ؟ فأقول : لمن وهب لي دنيا . ألم يوجب على نفسه مدينتي والتفريط من رحمتي ، وإلى مكافئه على اللذخ فاندحوني .

وقال سلمة بن شبيب : حدثنا سلمة بن عامر ، حدثنا عبد الله بن محمد بن عقبة ، حدثنا عبد الرحمن أبو طالوت ، حدثني مناجر الأسدي عن وهب قال : مر عيسى بن مريم ومعه الخواريون بقرية قدماء أهلها ؛ أنسا وجنتها ، وهوامها وأنعامها وطيورها ، فقام عليها ينظر إليها ساعة ، ثم أقبل على أصحابه فقال : إنما مات هؤلاء بغير ما عند الله ، ولولا ذلك لسانوا متفرقين . ثم نادى عيسى : يا أهل القرية ! فأجابه محيب : لبيك يا روح الله ، فقال : ما كانت جناتكم وسبب هلاككم ؟ قال : عبادة الطائفوت وحسب الدنيا . قال : وما كانت عبادتكم للطائفوت ؟ قال : طاعة أهل المعاصي عن عبادة الطائفوت . قال : وما كان حبكم للدنيا ؟ قال : كسب الصوف لأمه ، كنا إذا أقبلت فرحنا ، وإذا أدبرت حزنا ؛ مع أمل بعيد ، وإدبار عن طاعة الله ، وإقبال على مساخطه . قال : فكيف كان هلاككم ؟ قال : بتنا ليلة في عافية وأصبحنا في هاربة . قال : وما الهاربة ؟ قال : سجين ، قال : وما السجين ؟ قال : جيرة من نار مثل أطباق الدنيا كلما دفنت أدواحتنا فيها . قال : فما بال أصحابك لا يتكلمون ؟ قال : لا يستطيعون أن يتكلموا . قال : وكيف ذلك ؟ قال : هم ملجئون بلعهم من نار . قال : وكيف كلمتي أنت من بينهم ؟ قال : كنت فيهم لسا أصحاب المذاب ولم أكن منهم ولا على أعمالهم ، فلما جاء البلاء عنى منهم ، وأنا معلق بشجرة في الهاربة لا أدرى أكرس فيها أم أنجو . فقال عيسى عليه السلام عند ذلك لأصحابه : بحق أقول لكم : نخب الشخير ، وشرب الماء القراح ، والنوم على الزايل - كثير مع عافية الدنيا والآخرة .

وروى الطبراني عنه أنه قال : لا يكون الرءوس حكماً حتى يطيع الله عز وجل ، وما عصى الله حكيم . ولا يعصى الله إلا أحق ، وكألاً بكل النهار إلا بالشمس ، ولا يعرف الليل إلا بالظلام ، كذلك لا تنكح الحسنة إلا بطاعة الله عز وجل . ولا يعصى الله حكيم ، كألاً بطير الطير إلا بمجانين ، ولا يستطيع من لا جناح له أن يطير ، كذلك لا يطيع الله من لا يعمل له ، ولا يطيق عمل الله من لا يطيعه . وكألاً مكث للنفار في الماء حتى تلعأ ، كذلك لا مكث لامل الزمان حتى يبور . وكألاً يبدى سر الزانية وفصحيتها فملها ، كذلك يفتضح بالتعل السوء من كان بقرأ الجليسة بالقول الحسن ولم يعمل به . وكألاً تنكذب معذرة السارق بالسرقة إذا ظهر عليها عنده ، كذلك تنكذب مصيبة التاري في قراءته إذا كان يقرؤها لنير الله تعالى .

وقال الطبراني : حدثنا محمد بن النضر ، حدثنا علي بن بحر بن بري ، حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم ، حدثنا عبد الصمد بن مقل قال : سمعت وهباً يقول : في مرز أمير آل داود ؛ طوبى لمن يسلك سبيل الخطابين ولا يجالس البطارين ، وطوبى لمن يسلك طريق الأئمة ويستقيم على عبادة ربه ، فنه كمثل شجرة نابعة على ساقية لا تزال فيها الحياة ، ولا تزال خضراء . وروى الطبراني أيضاً عنه قال : إذا قامت الساعة صرحت الحجارة صراخ النساء ، وقطرت المضاء دماً وروى عنه أيضاً أنه قال : ما من شيء إلا يبدو صغيراً ثم يكبر ؛ إلا للصبيبة ، فلها تبدو كبيرة ثم تصغر وروى عنه أيضاً أنه قال : وقف سائل على باب داود عليه السلام فقال : يا أهل بيت النبوة ا تصدقوا علينا بشيء نرزقكم الله رزق التاجر المقيم في أهله . فقال داود : أعطوه ، فوالذي نفسي بيده إنما لي الزبور . وقال : من عرف بالكذب لم يميز صدقه ، ومن عرف بالصدق اتهم على حديثه ، ومن أكل كثير الغيبة والليخاض لم يوثق منه بالنصيحة ، ومن عرف بالنعور والخديعة لم يؤمن بالله في الهمة ، ومن اتحل فوق قدره جحد قدره ، ولا تستحسن فيك ما تستحب في غيرك . هذه الآثار رواها الطبراني عنه من طرق .

وروى داود بن عمرو عن إسماعيل بن عياش عن عبد الله بن عثمان بن خثيم قال : قدم علينا وهب مكة فنفق لا يشرب ولا يقرب إلا من زمزم ، فقيل له : مالك في الماء المذنب ؟ فقال : ما أنا بالذي أشرب وأنزه إلا من زمزم حتى أخرج منها ، إنكم لا تدرسون ما ماء زمزم ، والذى نفسي بيده ، إنما لي كتاب الله طعام طعم وشفاء سقم ، ولا يمد أحد إليها يتصلح منها رياء ، ابتغاء بركتها ، إلا نزلت منه داء وأحدثت له شفاء . وقال : النظر في زمزم عبادة . وقال : النظر فيها يحط الخطايا حطاً . وقال وهب : مسخ مختصر أسداً فكان ملك السباع ، ثم مسخ نسراً فكان ملك الطيور ، ثم مسخ نوراً فكان ملك الدواب ، وهو في كل ذلك يقل عقل الإنسان ،

وكان ماله كله قائما يدبر ، ثم ردا الله عليه روحه إلى حالة الإنسان ، فدعا إلى توحيد الله وقال : كل إله باطل إلا إله السماء . فقيل له : أمت مؤمن ؟ فقال : وجدت أهل الكتاب قد اختلفوا فيه ، فقال بعضهم : آمن قبل أن يموت ، وقال بعضهم : قتل الأنبياء ، وحرقت الكتب ، وحرقت بيت المقدس ، لم يقبل منه التوبة . هكذا رواه الطبراني من محمد بن أحمد بن الفرج عن عباس بن يزيد عن عبد الرزاق ، عن بكار بن عبد الله قال : سمعت وهب بن منبه يقول ، فذكره .

وقال وهب : كان رجل بمصر فسأله ثلاثة أيام أن يطموه فلم يطموه ، فأتى في اليوم الرابع فكفوه ودفوه ، فأصبحوا فوجدوا الكفن في محرابهم مكتوب عليه : قتلوه حيا وبررتوه ميتا ؟ قال يحيى : فأتا رأيت القربة التي مات فيها ذلك الرجل ، وما بها أحد إلا والله يته ضيافة ، لا غنى ولا فقير . هكذا رواه يحيى بن عبد الباقي ، عن علي بن الحسن ، عن عبد الله بن أخي وهب ، قال : حدثني يحيى وهب بن منبه فذكره . قال : وأهل القربة يعرفون بذلك ؛ فمن ثم اتخذوا بيوتا للضعيفان والفقراء خوفا من ذلك . وقال عبد الرزاق عن بكار بن وهب قال : إذا دخلت الهدية من الباب خرج الحق من الكفوة . وقال إبراهيم بن الجنيد : حدثنا إبراهيم بن سعيد عن عبد الله بن إدريس ، عن عبد الصمد ، عن وهب بن منبه قال : مررت من الأنبياء على عابد في كهف جبل ، قال إلهي فسلم عليه وقال له : يا عبد الله منذ كم أنت هاهنا ؟ قال : منذ ثمانية سنة . قال : من أين مبعثك ؟ قال : من ورق الشجر ، قال : فمن أين شرباك ؟ قال : من ماء اليمون . قال : فأين تكون في الشتاء ؟ قال : تحت هذا الجبل ، قال : فكيف صبرك على العبادة ؟ قال : وكيف لا أصبر وإنا هو يومى إلى الليل ، وأما أمس فقد مضى عما فيه ، وأما غد فلم يأت . مد . قال : فعجب النبي من قوله : إنا هو يومى إلى الليل . وبهذا الإسناد ، أن رجلا من الصناد قال لعله : قطعت الهوى فلت أهوى من الدنيا شيئا . فقال له مظه : أتفرق بين النساء والدواب إذا رأيتن مما ؟ قال : نعم ، قال : أتفرق بين الدنانير والدرهم والحصى ؟ قال : نعم ، قال : يا بني إنك لم تقطع الهوى عنك واسكنك قد أوفقتة فاحذر اغتلاته واختلابه .

وقال غوث بن جابر بن غيلان بن منبه : حدثني عقيل بن مفضل ، عن وهب قال : اعمل في نواحي الدين الثلاث ، فإن الدين نواحي ثلاثا ، هي جماع الأعمال الصالحة لمن أراد جمع الصالحات .

« أولاهن » تمثل شكر الله على الأنعم الكثيرات العبادات الرغبات ، الظاهرات الباطنات ، الحادثات القديمة ، يمثل للؤمن شكر الله عن ورجاء تاملهن .

« والناحية الثانية من الدين » مرغبة في الجنة التي ليس لها ثمن وليس لها مثل ، ولا يزهد فيها ، وفي العدل لها إلا سفيه طاجر ، أو منافق كافر

« والناحية الثالثة من الدين » أن يعمل المؤمن فراراً من النار التي ليس لأحد عليها صبر ، ولا لأحد بها طاعة ولا بدان ، وليست مصيبتها كالاصيabat ، ولا حزن أهلها كالأحزان ، نبؤها عظيم ، وشأنها شديد ، والآخرة وحزنها فظيع ، ولا ينفل عن الفرار والتسود بالله منها إلا سفيه أحق خاسر ، قد خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران للبين <sup>(١)</sup> .

وقال إسماعيل بن راهويه : حدثنا عبد الملك بن محمد الدماضي قال : أخبرني محمد بن سعيد بن رمانة قال : أخبرني أبي قال قيل لوهب : أليس مفتاح الجنة لا إله إلا الله ؟ قال : بلى ، ولكن ليس من مفتاح إلا وله أسنان ، فمن ألقى الباب بمفتاح بأسنانه فتح له ، ومن لم يأت الباب بمفتاح بأسنانه لم يفتح له . وقال محمد : حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم ، حدثنا عبد الصمد بن مغل ، أنه سمع وهبا يقول : ركب ابن ملك في جند من قومه وهو شاب ، فصرع عن فرسه فشق عنقه فأت في أرض قريبة من القرى ، فغضب أبوه وحلف أن يقتل أهل القرية عن آخرهم ، وأن يطأهم بالأفيال ، فما أبت الأفيال وطئته الخيل ، فما أبت الخيل وطئته الرجال ، فتوجه إليهم بعد أن سقى الأفيال والخيل الحمر وقال : طأوهم بالأفيال ، وإلا فما أبت الأفيال فلتطأه الخيل ، فما أخطأته الخيل فلتطأه الرجال ، فلما سمع ذلك أهل تلك القرية هربوا أنه قد قصدهم لذلك ، خرجوا بأجهمهم فحاربوا إلى الله سبحانه ، وبجؤوا إليه واشتهلوا بدهوه تعالى ليكشف عنهم شر هذا الملك الظالم ، وما قصده من هلاكهم ، فبجأ الملك وحيشه سائرون على ذلك ، وأهل القرية في الابتال والدعاء والتضرع إلى الله تعالى ، إذ زل فارس من السماء فوقهم بينهم ، فنفرت الأفيال فطأت على الخيل ، وطأته الخيل على الرجال ، فقتل الملك ومن معه وطأ الأفيال والخيل ، ونجى الله أهل تلك القرية من بأسهم وشرهم .

وروى عبد الرزاق عن المنذر بن النعمان أنه سمع وهبا يقول : قال الله تعالى لصخرة بيت المقدس : لأصن عليك عرشاً ، ولأحشرن عليك خلقاً ، وليأتينك داود وبوئذ راكباً . وروى سبك بن الفضل عن وهب قال : إني لأفقد أخلاق وما فيها شيء يبعثني . وروى عبد الرزاق عن أبيه قال : قال وهب : ربما صليت الصبح بوضوء القنمة . وقال بقيق بن الوليد : حدثنا زيد ابن خالد عن خالد بن ممدان عن وهب قال : كان نوح عليه السلام من أجل أهل زمانه ،



وكان يلبس البرقع ؛ فأصابهم جماعة في السفينة . فكان نوح إذا تجلى لهم شبعوا . وقال : قال عيسى : الحق أقول لكم : إن أشدكم جوعاً على الصبية ، أشدكم حباً للعالم .

وقال جعفر بن برقان : بلغنا أنهم كانوا يقولون : طوبى لمن نظر في ميه من ميب غيره ، وطوبى لمن تواضع لله من غير حكمة ، وورحم أهل القل والسكة ، وتصدق من مال جمعه من غير معصية ، وجالس أهل العلم ، ولم يعلم الحكمة ، ووسمته السنة ولم يمشها إلى البدعة . وروى سيار ، عن جعفر ، عن عبد الصمد بن معقل ، عن وهب قال : وجدت في زبور داود : يا داود ! هل تدري من أسرع الناس مرّاً على الصراط ؟ الذين يرضون بحكي ، والسنتهم رطبة بذكرى .

وقيل : إن عاداً عبد الله تعالى خسين سنة ؛ فطأوحى الله إلى نبيهم : إنى قد غفرت له ، فأخبره ذلك النبي ، فقال : أى رب ! وأى ذنب تغفر لى ؟ فأمر عريقاً في عنقه ، فضرب عليه ، فلم يتم ولم يهدأ ولم يصل ليلته ، ثم سكن العرق ، فشكا ذلك إلى النبي ، فقال : ما لايت من عرق ضرب على في عنق ثم سكن ، فقال له النبي : إن الله يقول : إن عبادك خسين سنة ما تعدل سكون هذا العرق .

وقال وهب : رموس التميم ثلاثة : « أحداها » : نعمة الإسلام التي لا تتم نعمة إلا بها . « والثانية » : نعمة العافية التي لا تطيب الحياة إلا بها . « والثالثة » : نعمة التقى التي لا يتم العيش إلا بها . ورموس وهب يبتلى أعمى مجذوم مقعد عربان ، به وضع ، وهو يقول : الحمد لله على نعمة ، فقال له رجل - كان مع وهب : أى شيء يبق عليك من النعمة بحمد الله عليه ؟ فقال المبطل : أدم بصرك إلى أهل المدينة ، وانظر إلى كثرة أهلها ، أولا أحد الله أنه ليس فيها أحد يعرفه غيرى ؟

وقال وهب : المؤمن بخاط نيل ، ويسكت العسل ، ويتكلم ليفة بهم ، ويحلو ليقيم . وقال : المؤمن مفكر مذكر مدخر ، تذكر قلبه الحكمة ، سكن فتواضع فلم يتهم ، رفض الشهوات فصار حوا ، ألقى عنه الحسد فظهرت له الحجة ، زهد في كل شأن فاستكمل القل ، رغب في كل شأن فحصل المعرفة ، قلبه متملق بهمه ، وهمه موكل بماده ، لا يفرح إذا فرح أهل الدنيا ، بل حزنه عليه مرمد ، وفرحه إذا نامت الديون يتلو كتاب الله ، ويردده على قلبه ؛ فرة يفرغ قلبه ومرة تدع منه ، يقطع عنه الليل بالثلاوة ، ويقطع عنه النهار بالخلاوة والزمرة ، مفكراً في ذنوبه ، مستصغراً لأفعاله . وقال وهب : فهذا ينادى يوم القيامة في ذلك الجمع العظيم على رموس الخلاق : قم أيها الكريم فادخل الجنة .

وقال إبراهيم بن سعيد ، عن عبد الرحمن بن مسعود ، عن ثور بن يزيد قال : قال وهب بن منبه : الويل لكم إذا سماكم الناس صالحين ، وأكرمواكم على ذلك .

وقال الطبراني : حدثنا عبيد بن محمد الكشوري ، حدثنا حماد بن سلمة بن عقبة ، حدثنا غوث ابن جابر ، حدثنا عتيق بن مفضل بن منبه قال : سمعت عبي وهب بن منبه يقول : يا بني ! أخلص طاعة الله بسريرة ناصحة ، يصدق بها فعلك في العلانية ؛ فإن من فعل خيراً ثم أسره إلى الله ، فقد أصاب مواضعه ، وأبلى قراره ، ووضع عند حافظه . وإن من أسر علاناً لم يطلع عليه إلا الله ، فقد أظلم عليه من هو حسبه ، واستحفظه واستودعه حفيظاً لا يضيع أجره ، فلا تخافن يا بني على من عمل صالحاً أسره إلى الله عز وجل ضياعاً ، ولا تخافن ظلمة ولا مضرة ، ولا تخافن أن العلانية هي أبيض من السريرة ؛ فإن مثل العلانية مع السريرة - كمثل ورق الشجرة مع عرقها ، العلانية ورقها والسريرة أصلها ، إن عرق العرق هلكت الشجرة كلها ، وإن صلح الأصل صلحت الشجرة - ثمها وورقها ، والورق يأتي عليه حين يحرق وبصر هباء تفرقه الرياح ، بخلاف العرق ؛ فإنه لا يزال ما ظهر من الشجرة في خير وعافية ما كان عرقها مستغنياً لا يرى منه شيء . كذلك الذين والعلم والعمل ، لا يزال صالحاً ما كان له سريرة صالحة يصدق الله بها علانية العبد ؛ فإن العلانية تنفع مع السريرة الصالحة ، ولا تنفع العلانية مع السريرة الفاسدة ، كما ينفع عرق الشجرة صلاح فرعها ، وإن كان حياته من قبل عرقها ، فإن فرعها زيتها وجمالها ، وإن كانت السريرة هي ملاك الدين ، فإن العلانية معها تزين الدين وتجميله ، إذا عملها مؤمن لا يريد بها إلا الرضاء وبه عز وجل .

وقال الهيثم بن جميل : حدثنا صالح المري ، عن أبيان ، عن وهب قال : قرأت في الحكمة : السكفر أربعة أركان : ركن منه البغضة ، وركن منه الشهوة ، وركن منه الطمع ، وركن منه الخوف . وقال : أوحى الله تعالى إلى حوسب : إذا دعوتني فكن خائفاً شقيفاً وجلاً ، وعقر خدك بالتراب ، واسجد لي بحكركم ووجهك وبديك ، وعلني حين تسألني بخشية من قلبك ووجل ، واخشى أيام الحياة ، وعلم الجبال آلائي ، وقل لمبادي : لا يتادوا في غي ما هم فيه ، فإن أخذني أليم شديد .

وقال وهب : إذا هم بالجلود ، أو عمل به - دخل النقص على أهل ملكته ، وقأت البركات في الصلوات والزيارات والضرع واللواتي ، ودخل الحق في ذلك ، وأدخل الله عليه القل في ذاته وفي ملكه . وإذا هم بالمدل والغير كان عكس ذلك ، من كثرة الخير ونحو البركات .

وقال وهب : كان في مصحف إبراهيم عليه السلام : أيها الله المبتلى ، إني لم أبتك

لتصمح الدنيا بمعضها على بعض ، ولا لتبني البنيان . وإنما يستلزم لتزفع إلى دعوة المظلوم ؛ فإنى لا أردّها ولو كانت من كافر .

وروى ابن أبى الدنيا عن محمد بن إسحاق ، عن وهب بن منبه : أن ذا القرنين قال لبعض الملوك : ما بال ملتكم واحدة ، وطريقتكم مستقيمة ؟ قال : من قبل أنا لا نخادع ، ولا نفتاب بمعضنا بعضاً . وروى ابن أبى الدنيا عنه أنه قال : ثلاث من كن فيه أصاب البر ؛ سخاوة النفس ، والصبر على الأذى ، وطيب الكلام .

وقال ابن أبى الدنيا : حدثني سلمة بن شبيب ، حدثنا سهل بن عاصم ، عن سلمة بن ميمون ، عن الملقى بن عمران ، عن إدريس قال : سمعت وهباً يقول : كان في بني إسرائيل رجلان بلغت بهما عبادتهما أنها مشيا على الماء . فبينما هما يشيان على البحر إذا بهما رجل يمشى في الهواء ، فقالا له : يا عبد الله ! بأي شيء أدركت هذه النعمة ؟ قال : يسير من البر فملكه ، ويسير من الشر تركته ، فطعت نفسي من الشهوات ، وكففت لساني عما لا يعني ، ودرغيت فيها دفاعاً إلى خالقي ، ولزمت الصمت ؛ فإن أقسمت على الله عز وجل أبر قسمي ، وإن سألته أعطاني . وقال : حدثني أبو العباس البصري الأزدي ، عن شيخ من الأزدي قال : جاء رجل إلى وهب بن منبه فقال : علمني شيئاً ينفعني الله به . قال : أكثر من ذكر الموت ، واقصر أمرك ، وخصلة ثلاثة إن أنت أصبتها بلغت الغاية القصوى ، وظفرت بالعبادة الكبرى . قال : وما هي ؟ قال : التوكل .

#### ذكر من توفي فيها من الأعيان :

سليمان بن سعد : كان جيلاً فصيحاً ، عالماً بالعربية ، وكان يعلم الناس هو وصالح بن عبد الرحمن الكاتب . وتوفي صالح بيده بقليل . وكان صالح فصيحاً جيلاً ، عارفاً بكتابة الديوان ، وبه يخرج أهل العراق من كتابة الديوان . وقد ولّاه سليمان بن عبد الملك خراج العراق .

أبو الهذيل : لها روايات كثيرة ، وقد قرأت القرآن وعمرها اثنتا عشرة سنة ، وكانت فقيهة طالة ، من خيار النساء . عاشت سبعين سنة .

عائشة بنت طلحة بن عبد الله النخعي : أمها أم كلثوم بنت أبي بكر ، تزوجت بأبي خالها عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر ، ثم تزوجت بعده بمصعب بن الزبير ، وأصدقها مائة ألف دينار . وكانت بارعة الجمال ، عظيمة الحسن لم يكن في زمانها أجل منها . توفيت بالمدينة .

عبد الله بن سعيد بن جبير : له روايات كثيرة ، وكان من أفضل أهل زمانه .

عبد الرحمن بن أيان بن عثمان بن عفان : له روايات كثيرة عن جماعة من الصحابة <sup>(١)</sup> .

### ثم دخلت سنة إحدى عشرة ومائة

فيها : غزا معاوية بن هشام الصائفة <sup>(٢)</sup> ، وغزا حميد بن هشام الصائفة <sup>(٣)</sup> ، حتى بلغ فيسارية ، من بلاد الروم .

وفيها : عزل هشام بن عبد الملك ، أنقرس بن عبد الله السلي من إمرة خراسان ، وولى عليها الجنيد بن عبد الرحمن ، فلما قدم خراسان نلقته خيول الأتراك منزعين من المسلمين ، وهو في سبعة آلاف ، فصافوا واقتتلوا قتالا شديداً ، وطعموا فيه وفيمن معه اقلتهم بالنسبة إليهم ، ومعهم ملكهم خاقان . وكاد الجنيد أن يهلك ، ثم أنقذه الله بهم فنهزمهم هزيمة منكرة ، وأسر ابن أخى ملكهم ، وبعث به إلى الخليفة .

وحج بالناس فيها : إبراهيم بن هشام الحزوي - وهو أمير الحرمين والطائف - وأمير العراق خالد بن عبد الله القسري ، وأمير خراسان الجنيد بن عبد الرحمن المزي .

### ثم دخلت سنة ثلثي عشرة ومائة

فيها : غزا معاوية بن هشام الصائفة ، فافتتح حصوناً من ناحية نعلية .

وفيها : سارت للترك من اللان ، فقيم الجراح بن عبد الله الحسكي فيمن معه من أهل الشام وأذربيجان ، فاقتتلوا قبل أن يتكامل إليه جيشه ، فاستشهد الجراح - رحمه الله - وجماعة معه بمرج أردبيل وأخذوا أردبيل . فلما بلغ ذلك هشام بن عبد الملك ، بعث حميد بن عمرو الحرشي بجيش ، وأمره بالإسراع إليهم ، فلحق للترك وهم يسهرون بأسارى المسلمين نحو ملكهم خاقان ، فاستشهد منهم الأسارى ، ومن كان معهم من ساء المسلمين ، ومن أهل القدة أيضاً . وقتل من الترك مقتلة عظيمة جداً ، وأسر منهم خاقاناً كثيراً ، فقتلهم صبراً ، وشق ما كان نفلت من القرب ، ولم يكتب الخليفة بذلك حتى أرسل أخاه مسلمة بن عبد الملك في أثر الترك ، فسار إليهم في برد شديد وشتاء عظيم ، فوصل إلى باب البلايا ، واستغلت عنه أميراً ، وسار هو بمن معه في طلب الأتراك وملكهم خاقان ، فمات من أمره منهم ما سدد كره .

(١) من أول العمل إلى هنا زيادة - من الصورية .

(٢) أى : البلاد الواقعة في ساحل بلاد الألبان . (٣) أى : بر الأناضول من جهة البلاد التي فيها

ونهب أمير خراسان في طلب الأتراك أيضاً في جيش كثيف ، فوصل إلى نهر بلخ ، ووجه إليهم سريقة ثمانية عشر ألفاً ، وأخرى عشرة آلاف بعة وبصرة ، وجاشت الترك وجيشت ، فأتوا سمرقند ، فكتب أميرها إليه بعه بهم ، وأنه لا يقدر على صون سمرقند منهم ، ومعهم ملككم الأعظم خاقان ، فالتوث التوث . فسار الجنيد مسرعاً في جيش كثيف هو نحو سمرقند حتى وصل إلى شعب سمرقند وبقى بينه وبينها أربعة فراسخ ، فصعبه خاقان في جمع عظيم ، غمل الخاقان على مقدمة الجنيد فأغاروا إلى المسكر ، والترك تنبهم من كل جانب ، فزاد الجلمان والسلون يفتدون ولا يشمرون بانتهزام مقدمتهم وإعياضها إليهم ، فنهضوا إلى السلاح واصطفوا على منازلهم ، وذلك في مجال واسع ، ومكان بارز ، فالتقوا ، وحلت الترك على ميمنة المسلمين ، وفيها بنو تميم والأزد ، قتل منهم ومن غيرهم خلق كثير ، عن أراد كرامته بالشهادة .

وقد برز بعض شجعان المسلمين لجماعة من شجعان الترك قتلهم ، فداهه منادى خاقان : إن صرت إلينا جملناك عن يرقض الصنم الأعظم فتنبذك . فقال : ويحك ! إنا أقاتلكم على أن تبدوا الله وحده لا شريك له ، ثم قاتلهم حتى قتل رحمه الله . ثم تناهى المسلمون وتوعدت الأبطال والشجعان من كل مكان ، وصبروا وصابروا وحلوا على الترك حملة رجل واحد فهزمهم الله عز وجل ، وقتلوا منهم خلقاً كثيراً ، ثم سقطت الترك عليهم قتلوا من المسلمين خلقاً حتى لم يبق سوى ألفين ، فإنا لله وإنا إليه راجعون ، وقتل يوسف بن أحمد بن أبي بكر واستأسروا من المسلمين جماعة كثيرة ، فخلعوا إلى الملك خاقان فأمر بقتلهم من آخرهم ، فإنا لله وإنا إليه راجعون . وهذه الواقعة يقال لها وقعة الشعب . وقد بسطها ابن جرير جداً وعن توفيق بن الأعيان : رَجاء بن حيوة الكندي : أبو القدام ، ويقال : أبو نصر ، وهو تابعي جليل ، كبير القدر ، ثقة فاضل عادل ، وزير صدق لخلقاء بني أمية ، وكان مكسول إذا مثل يقول : سلوا شيخنا وسيدنا رجاء بن حيوة ، وقد أثنى عليه غير واحد من الأئمة ، ووثقوه في الرواية ، وله روايات وكلام حسن - رحمه الله .

شهر بن حوشب الأشعري الحمصي : ويقال إنه دمشقي ، تابعي جليل ، وروى عن مولاه أسماء بنت يزيد بن السكن وغيرها ، وحدث عنه جماعة من التابعين وغيرهم . وكان مالكا عابداً فاسكاً . لكن تكلم فيه جماعة بسبب أخذه خريطة من بيت المال بنير إذن ولي الأمر ، فضاوه وتركوه مرسفة ، وتركوا حديثه وأنشدوا فيه للشعر : منهم شعبة وغيره . ويقال إنه سرق غيرها ، فله أعلم . وقد وثقه جامعات آخرون وقبلوا روايته : وأثنوا عليه وعلى عبادته ودينه واجتهاده ، وقالوا : لا يقدح في روايته ما أخذه من بيت المال إن صح عنه ، وقد كان والياً عليه متصرفاً فيه فله أعلم .

قال الراقدى : توفي شهر فى هذه السنة - أعنى سنة اثنى عشرة ومائة . وقبل : قبلها بسنة ، وقبل : سنة مائة ، فافقه أعلم .

### ثم دخلت سنة ثلاث عشرة ومائة

ففيها : غزا معاوية بن هشام أرض الروم من ناحية مرعش . وفيها : صار جماعة من دعاة بنى العباس إلى خراسان وانتشروا فيها ، وقد أخذ أمرهم رجلا منهم فقتله ، وتوعد غيره بمثل ذلك . وفيها : وغل مسلمة بن عبد الملك فى بلاد الترك فقتل منهم خلقا كثيرا ، ودانت له تلك الممالك من ناحية بلخج وأعمالها . وفيها : حج بالناس إبراهيم بن هشام الحزمى <sup>(١)</sup> . فافقه أعلم . ونواب البلاد المذكورون فى التلى قبلها .

ومن توفي فيها من الأعيان ، قال ابن جرير : فيها كان مهلك .

الأمير عبد الوهاب بن بخت ، وهو مع البطال عبد الله بأرض الروم ، قتل شهيدا وهذه ترجمته .

هو عبد الوهاب بن بخت - أبو عبيدة ، ويقال : أبو بكر ، مولى آل مروان مكي ، سكن الشام ثم تحول إلى الدنية ، روى عن ابن عمر وأنس وأبى هريرة وجماعة من التابعين . وعنه خلق منهم : أيوب ومالك بن أنس ويحيى بن سعيد الأنصارى وعبيد الله العمري ، حدثه عن أنس مرفوعا : نضر الله امرأ سمع مقالتي هذه فوهاها ثم بانها غيره ، قرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه . ثلاث لا يغل عليهن صدر مؤمن ؛ إخلاص العمل لله ، ومناجاة أولى الأمر ، ولزوم جماعة المسلمين ، كان دعوتهم تحيط من ورائهم .

وروى عن أبى الزناد ، عن أبى الأخرج ، عن أفرهيرة قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا اتى أحدكم أخاه فليسلم عليه ، فإن حالت بينهما شجرة ثم اتياه فليسلم عليه » . وقد وثق عبد الوهاب هذا جماعة من أئمة العلماء . وقال مالك : كان كثير الحج والعمرة والفز ، حق استشهد ولم يكن أحق بما فى رحمه من رفقائه ، وكان سمعا جوادا ، استشهد ببلاد الروم مع الأمير أبى عمر عبد الله البطال ، ودفن هناك - رحمه الله - توفي فى هذه السنة ، قال خليفة وغيره ؛ وذلك أنه اتى المدو فتر بعض المسلمين ، فجعل ينادى ويركض فرسه نحو المدو : أن هلموا إلى الجنة ، ويحكم أفرارا من الجنة ؟ أتفرون من الجنة ؟ إلى أين ؟ ويحكم ألاما مقام لكم فى الدنيا ولا بقاء . ثم قاتل حتى قتل رحمه الله .

(١) وقبل : إن الذى حج بالناس فى هذه السنة : سليمان بن هشام بن عبد الملك .

مكحول الشامي : تابعي جليل القدر ، إمام أهل الشام في زمانه ، وكان مولد لأمراة من هذيل ، وقيل : مولد لأمراة من آل سعيد بن الناص ، وكان نوبيا ، وقيل : من سبي كابل ، وقيل : كان من الأبناء من سلاة الأكرسة وقد ذكر نسبه في كتابنا «التشكيل» وقال محمد بن إسحاق : سمعته يقول : حلفت الأرض كلها في طلب العلم . وقال الزهري : الدلاء أربعة : سعيد بن المسيب بالحجاز ، والحسن البصري بالبصرة ، والشعبي بالكوفة ، ومكحول بالشام . وقال بعضهم : كان لا يستطيع أن يقول : قل ، وإنما كان يقول : كل . وكان له وجاعة عند الناس ، مما أمر به من شيء بفعل . وقال سعيد بن عبد العزيز : كان ألقه أهل الشام ، وكان ألقه من الزهري . وقال غير واحد : توفي في هذه السنة ، وقيل : بعدها ، والله أعلم .

[ مكحول الشامي ، هو ابن أبي مسلم ، واسم أبي مسلم : شهرباب بن شاذل . كذا نقله من خط عبد الهادي . وروى ابن أبي الدنيا عنه أنه قال : من نظف ثوبه قلَّ همه ، ومن طلب ربحه زيد في عقله . وقال مكحول في قوله تعالى : ( تَمَّ لِقَائِيْ يُومِنُ ) <sup>(١)</sup> ، قال : بارد الشراب ، وظلال المساكين ، وشيع البطون ، واعتدال الخلق ، وإفاضة النعم . وقال : إذا وضع المجاهدون أفعالهم عن دواهم انتهت الملائكة ، فسحت ظهورها ودعت لها بالبركة ، إلا دابة في منتهى جرس <sup>(٢)</sup> .

### ثم دخلت سنة أربع عشرة ومائة

فيها : غزاه معاوية بن هشام الصائفة البصري ، وعلى الجني سايمان بن هشام بن عبد الملك ، وحماد ابنا أمير المؤمنين هشام . وفيها : اتقى عبد الله البطال وملك الروم المسمى فيهم «قسطنطين» ، وهو ابن هرقل الأول الذي كتب إليه النبي ﷺ فأمره البطال ، فأرسله إلى سايمان بن هشام ، فسار به إلى أبيه . وفيها : عزل هشام عن إمارة مكة والمدينة والطائف - إبراهيم بن هشام بن إسمايل ، وولى عليها أخاه محمد بن هشام فخرج بالناس في هذه السنة في قول . وقال الواقدي وأبو معشر : إنما حج بالناس خالد بن عبد الملك بن مروان ، والله أعلم .

وممن توفي فيها من الأعيان

عطاء بن أبي رباح - القهري ، مولاهم أبو محمد السكي ، أحد كبار التابعين الثقات الزهاد ، يقال إنه أدرك مائتي صحابي ، وقال ابن سعد : سمعت بعض أهل العلم يقول : كان عطاء أسود أهدر أظفاس أشل أهرج ، ثم مري بعد ذلك ، وكان ثقة صفيها علما كثير الحديث . وقال أبو جعفر <sup>(١)</sup> آخر سورة الماعن التكاثر .

(٢) ما بين هذين التفسيرين زيادة في بعض النسخ .

الباقى وغير واحد : ما بقى أحد فى زمانه أعلم بالإنسانك منه . وزاد بعضهم : وكان قد حج سبعين حجة ، وحرر مائة سنة ، وكان فى آخر عمره يفتقر فى رمضان من الكبر والضعف ويندى عن إصابته ، ويتأول الآية (وَقُلِ الْفَقِيرُ بَطِيقُهُ فِدْيَةُ طَامٍ مُسْكِينٍ)<sup>(١)</sup> ، وكان ينادى منادى بنى أمية فى أيام منى : لا يبقئ الناس فى الحج إلا عطاء بن أبى رباح . وقال أبو جعفر الباقر : ما رايت فقيهاً تبت أفعه منه . وقال الأوزاعى : مات عطاء يوم مات وهو أرى أهل الأرض عندم . وقال ابن جرير : كان فى المسجد فراش عطاء عشرين سنة . وكان من أحسن الناس به صلاة . وقال قتادة : كان سعيد بن المسيب والحسن وإبراهيم وعطاء هؤلاء أئمة الأئمة . وقال عطاء : إن الرجل ليحدثنى بالحديث فأنت له كأتى لم أكن سمعته - وقد سمعته قبل أن يولد - فأربه أنى إنما سمعته الآن منه . وفى رواية : أنا أخبط منه له فأربه أنى لم أسمع . الجمهور على أنه مات فى هذه السنة - وحده الله تعالى ، والله أعلم .

### فصل

أسند أبو محمد بن عطاء بن أبى رباح - واسم أبى رباح أسلم - من عدد كثير من الصحابة ، منهم : ابن عمر ، وابن عمرو ، وعبد الله بن الزبير ، وأبو هريرة ، وزيد بن خالد الجهنى ، وأبو سعيد وسبع من ابن عباس التفسير وغيره . وروى عنه من التابعين عدة ، منهم : الزهري ، وعمرو بن دينار ، وأبو الزبير ، وقاتدة ، ويحيى بن كثير ، ومالك بن دينار ، وحبيب بن أبى ثابت ، والأعمش ، وأيوب السختياني ، وغيرهم من الأئمة والأعلام كثير . قال أبو هريرة : سمعت عطاء بن أبى رباح يقول : من جلس مجلساً ذكر فيه الله عنه ذلك المجلس عشر مجلسات من مجالس الباطل . قال أبو هريرة : قلت لعطاء : ما مجلس الذكر ؟ قال : مجالس الحلال والحرام ، كيف تصل ؟ كيف تصوم ؟ كيف تنكح ، وتطلق ، وتبيع ، وتشترى ؟

وقال الطبراني : حدثنا إسحاق بن إبراهيم ، أخبرنا عبد الرزاق عن يحيى بن ربيعة الصنعاني . قال : سمعت عطاء بن أبى رباح يقول فى قوله تعالى : (وَكُنْ فِي الدِّينَةِ نِصَّةً رَفُطٌ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ)<sup>(٢)</sup> ، قال : كانوا يقرضون الدرهم ، قيل : كانوا يتصون منها ويقتطعونها . وقال الثوري عن عبد الله بن الوليد - بنى الوصافي - قال : قلت لعطاء : ما ترى فى صاحب قلم إن هو كتب به عاش هو وعياله فى سنة ، وإن هو تركه انضر ؟ قال : من الرأس ؟ قلت القسرى خلاف . قال عطاء : قال العبد الصالح : (رَبِّ بِنَا أُنَمِّتَ عَلَيَّ قَلْبًا أَكُونُ ظَهْرًا

(١) من الآية : ١٨٤ من سورة البقرة . (٢) من الآية : ٤٨ من سورة النمل .



المعبرين<sup>(١)</sup> . وقال : أفضل ما أوتي العباد - العقل عن الله وهو الدين . وقال عطاء : ما قال العبد : يا رب ؟ يا رب ؟ ثلاث مرات - إلا نظر الله إليه ، قال : فذكرت ذلك لعن فقال : أما تقرأون القرآن ( رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا ، رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا ) إلى قوله : ( فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ ) الآيات<sup>(٢)</sup>

وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل : حدثنا أبو عبد الله السلي ، حدثنا حمزة عن عمر بن الورد قال : قال عطاء : إن استطعت أن تحل بنفسك عشة عرفة فافعل . وقال سعيد بن سلام البصري : سمعت أبا حنيفة الثعلبي يقول : أقيت عطاء بمكة فسأله من نبي . فقال : من أين أنت ؟ فقلت : من أهل الكوفة . قال : أنت من أهل القرية الذين فارقوا دينهم وكانوا شيعة ؟ قلت : نعم ! قال : فن أي الأصناف أنت ؟ قلت : ممن لا يسب السلف ويؤمن بالقدر ، ولا يكفر أحداً من أهل التبت بذب ، فقال عطاء : عرفت فالزم . وقال عطاء : ما اجتمعت عليه الأمة أقوى عهدنا من الإسناد . وقيل لعطاء : إن هاهنا قوما يقولون : الإيمان لا يزيد ولا ينقص ، فقال : ( والقرين اعتقدوا زَادَهُمْ هُدًى )<sup>(٣)</sup> ، فما هذا الهدى الذي زادهم ؟ سألت : ويؤمنون أن الصلاة والزكاة ليستا من دين الله ، فقال : فقال تعالى : ( وَمَا أَمُرُوا إِلَّا لِیَذْكُرُوا اللَّهَ الْخَاشِعِينَ لَهُ الدِّينُ خُفَاءً وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ )<sup>(٤)</sup> فجعل ذلك ديناً .

وقال يعلى بن عبيد : دخلنا على محمد بن سوفة فقال : ألا أحدثكم بحديث لله أن بنفسكم ؟ فإنه نفى ، قال لي عطاء بن أبي رباح : يا ابن أخي إن من كان قبلكم كانوا يكرهون فضول الكلام ، وكانوا يمدون فضول الكلام - إنما ، ما عدا كتاب الله أن يقرأ ، وأمر بمحورف أو نهى عن منكر ، أو ينطق العبد بحاجته في ميشته التي لا بد له منها ، أنسكروا : ( وَإِنْ عَلَيْكُمْ لِحَافِظِينَ يَكْرَهُونَ كِتَابَ اللَّهِ )<sup>(٥)</sup> ( وعن اليمين وعن الشمال قعيد ) ما يلفظ من قول إلا أذية رقيب عتيد<sup>(٦)</sup> ) أما يستحي أحدكم لو نشرت عليه محيطة التي أملاها صدر نهاره ، فرأى أكثر ما فيها ليس من أمر دينه ولا دنياه ؟ وقال : إذا أنت خفت الحر من الليل فاقرا : ( بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ) أعوذ بالله من الشيطان الرجيم .

وروى الطبراني وغيره ، أن الحلقة في المسجد الحرام كانت لابن عباس ، فلما مات ابن عباس

(١) من الآية : ١٧ من سورة القصص . (٢) الآيتان : ١٩٣ ، ١٩٤ من سورة آل عمران

(٣) من الآية : ٥ من سورة البقرة .

(٤) من الآية : ١٧ من سورة محمد .

(٥) من الآية : ١١٠ من سورة الانطار . (٦) الآيتان : ١٨١ ، ١٨٢ من سورة ق .

كانت عطاء بن أبي رباح . وروى عثمان بن أبي شيبة ، عن أبيه ، عن الفضل بن دكين ، عن سفيان ، عن سلمة بن كهيل قال : ما رأيت أحدا يطلب بسمه ما عند الله تعالى - إلا ثلاثة : عطاء ، وطائرس ، ومجاهد . وقال الإمام أحمد : حدثنا ابن نمير ، حدثنا عمر بن ذر قال : ما رأيت مثل عطاء قط ، وما رأيت على عطاء قيصا قط ، ولا رأيت عليه توبا يساوي خمسة دراهم .

وقال أبو بلال الأشمري : حدثنا قيس ، عن عبد الملك بن حريج ، عن عطاء : أن يعلى بن أمية كانت له حبة ، وكان يقد في المسجد ساعة ينوي فيها الاستكشاف . وروى الأوزاعي عن عطاء قال : إن كانت طاعة بنت رسول الله ﷺ تصنع ، وإن كانت قصتها تضرب بالجفنة . وعن الأوزاعي عنه قال : ( وَلَا تَأْخُذْكُمْ سِمَا رَأْفَةِ فِي دِينِ اللَّهِ )<sup>(١)</sup> ، قال : ذلك في إقامة الحد عليهما .

وقال الأوزاعي : كنت باليمامة وعليها رجل وال يمتحن الناس من أصحاب رسول الله ﷺ ، إنه متناق ، وما هو بمؤمن ، وبأخذ عليهم بالطلاق والمناق - أن يسمى الله منافقا ، وما بسمه مؤمنا ، فأطاعوه على ذلك وجملوه له . قال : فلقيت عطاء فبا بعد فسأته عن ذلك فقال : ما أرى بذلك بأسا ، يقول الله تعالى : ( إِلَّا أَنْ تَقُولُوا مِنْهُمْ نَقَاءً )<sup>(٢)</sup> .

وقال الإمام أحمد : حدثنا سفيان بن عيينة ، حدثنا إسماعيل بن أمية قال : كان عطاء يطيل الصمت ، فإذا تكلم نحيل إلينا أنه يؤيد . وقال في قوله تعالى : ( لَا تَأْخُذْكُمْ سِمَا رَأْفَةِ وَلَا تَبْغِ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ )<sup>(٣)</sup> ، قال : لا يلبسهم بيع ولا شراء من مواضع حقوق الله تعالى التي افترضها عليهم أن يؤدوها في أوقاتها وأوانئها . وقال ابن جرير : رأيت عطاء يطوف بالبيت ، فقال لقائده : امسكوا احفظوا عني خسا : القدر خيره وشره ، حله ومره - من الله عز وجل ، وليس للمباد فيه مشيئة ولا تنوبص . وأهل قبايتنا مؤمنون ، حرام دماؤهم وأموالهم إلا بحقها . وقاتل الله الباغية بالأيدي والتمال والسلاح . والشهادة على الخوارج بالضلالة . وقال ابن عمر : تحمسون لي للسائل وفيكم عطاء بن أبي رباح .

قال ما ذكر من سعد : كنت جالسا عند عطاء ، فحدث بحديث ، فمضى رجل له في حديثه ، فنضب عطاء وقال : ما هذه الأخلاق ؟ وما هذه الطبايع ؟ والله إني لأسمع الحديث من الرجل وأنا أعلم به منه ، فأريه إني لا أحسن شيئا منه . وكان عطاء يقول : لأن أرى في بيتي شيطانا خير من أن أرى فيه وسادة ، لأنها تدعو إلى النوم . وروى عثمان بن أبي شيبة ، عن علي بن

(٢) من الآية ٢٨ من سورة آل عمران .

(١) من الآية ٣ من سورة التور .

(٣) من الآية ٣٧ من سورة التور .

للدينى ، من يحيى بن سعيد ، عن ابن جرير قال : كان عطاء بعد ما كبر وضف - يقوم إلى الصلاة فيقرأ ما تلى آية من سورة البقرة ، وهو قائم لا يزول منه شيء ولا يتحرك .

وقال ابن عيينة : قلت لابن جرير : ما رأيت مصلياً مثلك . فقال : لو رأيت عطاء ! وقال عطاء : إن الله لا يحب الفنى يلبس الثوب المشهور ، فيعرض الله عنه حتى يضع ذلك الثوب . وكان يقال : يبنى للبعد أن يكون كالمربض لا بد له من قوت ، وليس كل الطعام يوافقه . وكان يقال : الدعوة تسمى عين الحكيم فكيف بالجاهل ؟ ولا تنبطن ذا نعمة عما هو فيه ، فإنك لا تدري إلى ماذا يصير بعد الموت <sup>(١)</sup> .

### ثم دخلت سنة خمس عشرة ومائة

ففيها : وقع طاعون بالشام . وجمع بالناس فيها محمد بن هشام بن إسماعيل - وهو نائب الحرمين والطائف . والنواب في سائر البلاد هم المذكورون في التلى قبلها ، والله أعلم .  
ومن توفى فيها من الأعيان :

أبو جعفر الباقر : وهو محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب القرشي ، الهاشمي - أبو جعفر الباقر ، وأمه : أم عبد الله بنت الحسن بن علي ، وهو تابعي جليل ، كبير القدر كثيراً ، أحد أعلام هذه الأمة علماً وعلاً ، وسيادة وشرقاً ، وهو أحد من تدعى فيه طائفة الشيعة أنه أحد الأئمة الاثني عشر ، ولم يكن الرجل على طريقهم ، ولا على منوالهم ، ولا يدين بما وقع في أذهانهم وأوهامهم وخيالهم ؛ بل كان ممن يقدم أباً بكر وعمر ، وذلك عنده صحيح في الأثر . وقال أيضاً : ما أدركت أحداً من أهل بيتي - إلا وهو يتولا ما رضى الله مما . وقد روى عن غير واحد من الصحابة . وحدث عنه جماعة من كبار التابعين وغيرهم . فمن روى عنه : ابنه جعفر الصادق ، والحكم بن عتيبة ، وربيعة ، والأعشى ، وأبو إسحاق السبيعي ، والأوزاعي ، والأمرج - وهو أحسن منه - وابن جريج ، وعطاء ، وحمرو بن دينار ، والزهرى . وقال سفيان بن عيينة عن جعفر الصادق قال : حدثني أبي - وكان خيراً محمدى على وجه الأرض . وقال البجلي : هو مدني تابعي ثقة . وقال محمد بن سعد : كان ثقة ، كثير الحديث . وكانت وفاته في هذه السنة في قول ، وقيل : في التلى قبلها ، وقيل : في التلى بعدها ، أو في التلى هي بعدها ، وبعد بعدها ، والله أعلم . وقد جاوز السبعين ، وقيل : لم يجاوز الستين ، والله أعلم .

(١) من أول «فضل» إلى هنا زيادة في بعض النسخ .

## فصل

أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب - كان أبوه علي زين العابدين ،  
 وجده الحسين قتلا شهيدين بالعراق ، وسمى الباقر ؛ لبقائه العلوم واستنباطه الحكم ، كان ذا كرام  
 خاشعا حاربا وكان من سلاله النبوة ، رفيع النسب على الحسب ، وكان حاربا بالخطرات ، كثير  
 البكاء والهميرات ، مرضا عن الجدال والخصومات .

قال أبو بلال الأشمري : حدثنا محمد بن مروان عن ثابت ، عن محمد بن علي بن الحسين في  
 قوله تعالى : ( أُولَئِكَ يَجْزُونَ النَّفْعَ بِمَا صَبَرُوا )<sup>(١)</sup> قال : النفقة الجنية بما صبروا على الفقر في  
 الدنيا . وقال عبد السلام بن حرب عن زيد بن خيثمة عن أبي جعفر ، قال : الصوامق تصيب  
 المؤمن وغير المؤمن ، ولا تصيب الذاكِر . قلت : وقد روي نحو هذا عن ابن عباس قال : لو نزل  
 من السماء صوامق عدد النجوم لم تصب الذاكِر . وقال جابر الجعفي : قال لي محمد بن علي :  
 يا جابر إني لحزون ، وإني لمتخل القلب . قلت : وما حزنك وشغل قلبك ؟ قال : يا جابر إني  
 من دخل قلبه صافي دين الله عز وجل - شغل عما سواه ، يا جابر إني الدنيا ؟ وما عسى أن تكون ؟  
 هل هي إلا مركبا ركبته ؟ أو ثوبا لبسته ؟ أو امرأة أصبتها ؟ يا جابر إني للمؤمنين لم يطمثوا إني  
 الدنيا ببقاء فيها ، ولم يأمنوا قلوبهم الآخرة عليهم ، ولم يصممهم عن ذكر الله - ما سمعوا بأذانهم من  
 القنينة ، ولم يصممهم عن نور الله - ما رأوا بأعينهم من الزينة ففازوا بثواب الأبرار . إني أهل  
 التقوى أيسر أهل الدنيا مؤنة ، وأكثرم لك معونة ، إني نسيت ذكرك ، وإن  
 ذكرت أمانوك ، قوالين بحق الله ، قوامين بأمر الله ، قطعوا حبة ربهم عز وجل ، ونظروا إلى  
 الله وإلى محبته بقلوبهم ، وتوحشوا من الدنيا لطامة محبوبهم ، وعلموا أن ذلك من أمر خالقهم ،  
 فأزولوا الدنيا حيا أزلا ليسكنهم ؛ كمنزل نزله ثم ارتحلوا عنه وتركوه ، وكما أصبته في  
 منامك فلما استيقظت إذا ليس في يدك منه شيء ، فاحفظ الله فيا استرحك من دينه ، وحككته .

وقال خالد بن يزيد : سمعت محمد بن علي يقول قال عمر بن الخطاب . إذا رأيتم القاري .  
 يحب الأغنياء فهو صاحب الدنيا ، وإذا رأيتموه يلزم السلطان فهو لئس . وكان أبو جعفر يصلي  
 كل يوم وليفة بالكتابة . وروى ابن أبي الدنيا عنه قال : سلاح الغنام قبيح الكلام . وروى  
 أبو الأحوص عن منصور عنه قال : لكل شيء آفة ، وآفة العلم التسيان . وقال لابنه : إليك

والسكسل والضرير فإنهما مفتاح كل خبيثة ؛ إنك إذا كملت لم تؤد حقاً ، وإن ضجرت لم  
تصبر على حق . وقال . أئند الأعمال ثلاثة : ذكر الله على كل حال ، وإنصافك من نفسك ،  
ومواساة الأخ في المال .

وقال خلف بن حوشب : قال أبو جعفر : الإيمان ثابت في القلب ، واليقين خطرات ،  
فيسر اليقين بالقلب فيصير كأنه زبر الحديد ، ويخرج منه فيصير كأنه خرقة بالية ، وما دخل قلب  
عبد شيء من الكبر - إلا نقص من عقله بقدره أو أكثر منه .

وقال جابر الجعفي : ما يقول فقهاء الدراق في قوله تعالى : ( لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ ) (١) ؟  
قال : رأى يقوب حاضاً على إسماعه ، فقال : لا - حدثني أبي عن جدي عن علي بن أبي طالب ، أن  
البرهان الذي رآه - أسما حين همت به وهم بها - أي طمع فيها ، قامت إلى صنم لها مكال بالهر  
والياقوت في ناحية البيت فسترته ثوب أبيض خشية أن يراها ، أو استحيته منه . فقال لها  
يوسف : ما هذا ؟ قالت : إلهي أستحي منه أن يراني على هذه الصورة . فقال يوسف : تستعين  
من صنم لا ينفع ولا يضر ، ولا يسمع ولا يبصر ، أفلا أستحي أنا من إلهي الذي هو قائم على  
كل شيء بما كسبت ؟ ثم قال : والله لا نتالين مني أبداً فهو البرهان . وقال بشر بن الحارث  
الحافي : سمعت سفیان الثوري يقول : سمعت منصوراً يقول : سمعت محمد بن علي يقول : الفی  
والمر يحوّلان في قلب المؤمن ، فإذا وصلا إلى مكان فيه التوكل أو طناه . وقال : إن الله يلقى في  
قلوب شيعتنا الرعب ، فإذا قام قائمنا ، وظهر مديننا - كان الرجل منهم أجراً من ليث وأمضى  
من سيف . وقال : شيعتنا من أطاع الله عز وجل واتقاه . وقال : إياكم والمقصومة فلنهما  
تفسد القلب ، وتورث النفاق . وقال : ( الذين يخوضون في آياتنا ) (٢) هم أصحاب الموصومات .

وقال عروة بن عبد الله : سألت أبا جعفر محمد بن علي من حلية السيف فقال : لا بأس به ،  
قد حل أبو بكر الصديق سيفه . قال : قلت : وتقول الصديق ؟ قال : فوجب وثبة واستقبل القلب  
ثم قال : نعم الصديق ، نعم الصديق ، فمن لم يقل الصديق فلا صدق الله له قولاً في الدنيا والآخرة  
وقال جابر الجعفي : قال لي محمد بن علي : يا جابر ! بلني بأن قوماً بالبرق يزعمون أنهم يحبونا  
ويتداولون أبا بكر وعمر ، ويزعمون أني أمرتهم بذلك ، فأبانهم عن أي إلى الله منهم يرى ،  
والذي نفس محمد بيده - يعني نفسه - لو وليت لتقربت إلى الله بدعائهم ، لا نالني شفاعته محمد  
صل الله عليه وسلم إن لم أكن أستغفر لهم ، وأرحم عليهم ، إن أعداء الله لناظرون عن فضلهم  
وساويتهم ؛ فأبانهم أني يرى - ومن تبرا من أبي بكر وعمر رضي الله عنهما . وقال : من لم

لم يعرف فضل أبي بكر وعمر، فقد جهل السنة. وقال في قوله تعالى: (إِنَّا وَإِبْرَاهِيمَ كُنَّا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا) <sup>(١)</sup> الآية، قال: هم أصحاب محمد ﷺ. قال: قلت: يقولون: هو علي. قال: علي من أصحاب محمد ﷺ.

وقال عبد الله بن عطاء : ما رأيت العلماء عند أحد - أصغر منهم عند أبي جعفر محمد بن علي ، قال : رأيت الحكم عند كاهن متمم . وقال : كان لي أخ في عيني عظيم ، وكان الذي عقده في عيني صفر الدنيا في عينه .

وقال جعفر بن محمد : ذهبت بـ **عنه** أي ، فقال : أتى ردعا الله **عليه** لأخذه ، بمحامد رضاءه ، فما كان بأسرع من أن أتى بها بمرحها لم يفقد منها شيء ، فقام فركبها ، فلما استوى عليها ، وجع إياه ثيابه - رفع رأسه - إلى السماء وقال : الحمد لله ، لم يزد على ذلك . فقول له في ذلك . فقال : فهل تركت أو أقيمت شيئا ؟ جمعت الحمد كله لله عز وجل .

وقال عبد الله بن المبارك : قال محمد بن علي : من أعطى الخلق والرفق ، فقد أعطى الخير والراحة ، وحسن حاله في دنياه وآخرته ، ومن حرّمها كان ذلك سبيلا إلى كل شر وبلية ، إلا من عصمه الله . وقال : أيدخل أحدكم يده في كمّ صاحبه ، فيأخذ ما يريد تاما إلا قال : فليستم إخوانا كما ترغمون . وقال : اعرف مودة أخيك لك - بما له في قلبك من اللودة ، فإن القلوب تتكشأ . وسمع عاصم بن بصحن ، فقال : أتدري ماذا يقن ؟ قال : لا ! قال : يسبحن الله ويسانه رزقن يوما بيوم . وقال : تدعو الله عاتجب ، وإذا وقع الذي تنكره لم تخاف الله عز وجل فما أحب .

وقال : ما من عبادة أفضل من عبادة بن أو فرج ، وما من شيء أحب إلى الله عز وجل من أن يسأل ، وما يدفع القضاة إلا الدعاء . وإن أسرع الخير ثواباً البر ، وأسرع الشر العقوبة البئى ، وكفى بالمرء أن يبصر من الناس ما يبصى عليه من شتمه ، وأن يأمر بالناس بما لا يستطيع أن يفعله ، وينهى الناس بما لا يستطيع أن يتحول عنه . وأن يؤذى جليسه بما لا ينبغي . هذه كلمات جوامع موائس ، لا ينبغي لمافل أن يقلها . وقال : القرآن كلام الله عز وجل غير مخلوق .

وقال أبو جعفر محمد : أحب عمر بن الخطاب وجعل إلى مكة ، فأت في الطريق ، فاحتبس عليه  
مرحى صلى عليه ودفنه ، فقل يوم إلا كان عمر يمشي في هذا البيت :

وہالغ امر کان یا مل دونه وختلج من دون ما کان یا مل

وقال أبو جعفر: والله موت عالم - أحب إلى إبليس من موت ألف عابد. وقال: ما انور وقت عين عبد عاتل - إلا حرم الله وجهه صاحبها على النار، فإن سالت على الخدين لم يرق وجهه فتر ولا ذلة. وما من شيء إلا وله جزاء إلا الدمة؛ فإن الله يكثر بها محور الخطايا، ولو أن ما كيا بكى من خشية الله في أمته - رحم الله تلك الأمة. وقال: نس الأنح أنح برعاك غنياً ويقطاك فقيراً قلت: البيت الذي كان يشتمل به قبله - بيتان وهو ثالثهما. وهذه الأبيات تتضمن حكماً وزهداً في الدنيا قال:

لقد غرت الدنيا رجالاً فأصبوا عزلة ما سدعا متحول  
فاسخط أمر لا يبدل غيره وراض بأمر غيره سيول  
وبالغ أمر كان يأمل دونه ويحتاج من دون ما كان يأمل<sup>(١)</sup>

ثم دخلت سنة ست عشر ومائة

ففيها غزا معاوية بن هشام الصائفة، وفيها وقع طاعون عظيم بالشام والعراق، وكان معظم ذلك في واسط وفي الحرم منها توفي الجنيد بن عبد الرحمن الرضى أمير خراسان - من مرض أصابه في بطنه، وكان قد تزوج الفاضلة بنت يزيد بن الليث، فتنضب عليه أمير المؤمنين هشام بن عبد الملك، فمزله وولى مكانه عاصم بن عبد الله على خراسان، وقال له: إن أدركته قبل أن يموت فأزحق روحه. فما قدم عاصم بن عبد الله خراسان، حتى مات الجنيد في الحرم منها يروى، وقال فيه أبو الجيزر<sup>(٢)</sup> عيسى بن عصمة يرثيه:

هك الجود والجنيد جيما فضلى الجود والجنيد السلام  
أصبعا تلوين في بطن مرو ما نقتت على النعمون الحام  
كننا نزهة الكرام فلما مت مات الندى ومات الكرام

ولما قدم عاصم خراسان، أخذ يواب الجنيد بالضرب البليغ وأنواع العقوبات، وعسفهم في المصادر والجنابات، فخرج عن طاعته الحارث بن سريح، فبارزه بالحرب، وجرت بينهما أمور بطول ذكرها. ثم آل الأمر إلى أن انكسر الحارث بن سريح، وظهر عاصم عليه. قال الواقدي: وفيها حج الناس، الوليد بن يزيد، وهو ولى الأمر من بعده عنه هشام بن عبد الملك أمير المؤمنين، كاسياً أن شاء الله تعالى.

(١) من أول «فضل» إلى هنا مثبت في بعض النسخ. (٢) في الطبرى: أبو الجيزرية.

## ثم دخلت سنة سبع عشرة مائة

فيها غزا معاوية بن هشام الصائفة البصري ، وسليمان بن هشام الصائفة البني ، وهما ابنا أمير المؤمنين هشام . وفيها بعث مروان بن محمد - وهو مروان الحمار - وهو على أرمينية ، بعثين فتفتح حصونا من بلاد اللان ، ونزل كثير منهم على الإيمان <sup>(١)</sup> . وفيها عزل هشام - عاصم ابن عبد الله الحلالى ، الذى ولاء فى السنة قبلها خراسان مكان الجنيد ، فمزمعها وضعا إلى عبد الله ابن خالد القسرى ، مع العراق ممادة إليه جريا على ما سبق له من العادة ، وكان ذلك من كتاب عاصم بن عبد الله الحلالى للزول عنها ؛ وذلك لأنه كتب إلى أمير المؤمنين هشام : إن ولاية خراسان لا تصلح إلا مع ولاية العراق ، رجاء أن يرضىها إليه ، فانعكس الأمر عليه ، فأجاب هشام إلى ذلك قبولاً إلى نصيحته ، وأصانها إلى خالد القسرى . وفيها توفى .

قتادة بن دعامه السدوسى : أبو الخطاب البصرى الأعمى ، أحد علماء التابعين ، والأئمة العاملين . روى عن أنس بن مالك ، وجماعة من التابعين ، منهم : سعيد بن المسيب ، والبصرى ، وأبو الماتية ، وزرارة بن أوفى ، وعطاء ، ومجاهد ، ومحمد بن سيرين ، ومسروق ، وأبو مجلز وغيرهم . وحدث عنه جماعات من السكبار : كأبيوب وحاد بن مسلمة ، وحيد الطويل ، وسعيد بن أبى هروبة والأعمش ، وشعبة ، والأوزاعى ، ومسلم ، ومعمر ، وهمام . قال ابن المسيب : ما جادى عراق أفضل منه . وقال بكر المزنى : ما رأيت أحفظ منه . وقال محمد بن سيرين : هو من أحفظ الناس ، وقال مطر : كان قتادة إذا سمع الحديث يأخذه العويل <sup>(٢)</sup> والزويل حتى يحفظه . وقال الزهرى : هو أعلم من مكحول . وقال معمر : ما رأيت أحفظ من الزهرى وحاد وقتادة . وقال قتادة : ما سمعت شيئاً إلا وعاه قلبى . وقال أحمد بن حنبل : هو أحفظ أهل البصرة ، لا يسمع شيئاً إلا حفظه . وقرئ عليه حيفة جارية واحدة تحفظها . وذكر يوماً ، فأتى على غله ، وقفه ومعه رفته بالاختلاف والتفسير وغير ذلك . وقال أبو حاتم : كانت وفاته بواسطة فى الطاعون - يبنى فى هذه السنة - وخمسة وستة أو سبع وخمسون سنة .

[ قال قتادة : من وثق بالله كان الله معه ، ومن يكن الله معه تكن معه الفتنة التى لا تغلب ، والحارس الذى لا يناب ، والمادى الذى لا يضل ، والعالم الذى لا ينسى . وقال : فى الجنة كوة إلى النار فيقولون : ما بال الأشقياء دخلوا النار ، وإنما دخلنا الجنة بفضل تأديبكم ، فقالوا : إننا كنا نأمركم ولا نأمر ، وننهاكم ولا ننهى . وقال : باب من العلم يحفظه الرجل يطلب به صلاح نفسه

(١) فى الطبرى : على تو منشاء .

(٢) أى : البكاء والحركة .



وصلاح دينه ، وصلاح الناس - أفضل من عبادة حول كامل . وقال قتادة : لو كان يكفي من العلم بشئ لا يكفي موسى عليه السلام عما عنده ، ولكنه طلب الزيادة <sup>(١)</sup> .

وفيها : توفي أبو الحباب سعيد بن يسار ، والأعرج وابن أبي مليكة وعبد الله بن أبي زكريا الخزازي . وميمون بن مهران بن موسى بن وردان .

### فصل

فأما سعيد بن يسار ، فكان من العباد الزهاد ، روى من جماعة من الصحابة . وكذلك الأعرج وابن أبي مليكة .

وأما ميمون بن مهران ، فهو من أجلاء علماء التابعين ، وزهادهم ومبادهم وأعتهم كان ميمون إمام أهل الجزيرة . روى الطبراني عنه أنه قيل له : مالك لا يفارقك أخ لك من قلى ؟ قال : لأنى لا أماريه ، ولا أشاركه . قال عمر بن ميمون : ما كان أبى يكثر الصلاة ، ولا الصيام ، ولكن كان يكره أن يبعث الله عز وجل . وروى ابن أبي عدى ، عن يونس عنه قال : لا تمارين طالما ولا جاهل ، فأناك إن ماريت عالما خزن منك علمه ، وإن ماريت جاهلا خشن صدرك . وقال عمر بن ميمون : خرجت بأبى أقوده في بعض سكك البصرة ، فررنا مجذول ؟ فلم يستطع الشيخ أن يتخطاه ، فاضطجعت له ، فر على ظهري ، ثم قت فأخذت بيده . ثم دنا إلى منزل الحسن ، فطرق الباب ، فخرجت إليها جارية سداسية <sup>(٢)</sup> ، فقالت : من هذا ؟ فقلت : هذا ميمون ابن مهران أراد لقاء الحسن ، فقالت : كاتب عمر بن عبد العزيز ؟ قلت لها : نعم ! قالت : يا شقى ! ما بقاؤك إلى هذا الزمان السوء ؟ قال : فبكى الشيخ ، فسمع الحسن بكاءه ، فخرج إليه فاعتقاه ، ثم دخلا ، فقال ميمون : يا أبا سعيد ! إني قد أنسيت من قلبى غلظة ، فاستمكن لى منه ، فقرأ الحسن : ( أَتَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ • ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ • مَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْتُمُونَ ) <sup>(٣)</sup> فسط الشيخ مشيا عليه ، فقرأ به بعض رجله كما تنفخ الشاة إذا ذبحت ، فأقام طويلا ، ثم جاءت الجارية فقالت : قد أنسيت الشيخ ، قوموا تفرقوا ، فأخذت بيد أبى فخرجت فقلت : يا أبت ! أهذا هو الحسن ؟ قال : نعم . قالت : قد كنت أحسب في نفسى أنه أكبر من هذا ، قال . فوكر في صدرى وكبرة ، ثم قال : يا بنى ! لقد قرأ علينا آية لو فهمتها بقلبك لألقيت لها فيه كلوما .

(١) ما بين هذين التوسعين زيادة في بعض النسخ . (٢) أى في سن السادسة من عمرها .

(٣) الآيات ٢٥٥ - ٢٥٧ من سورة الشعراء .

وروى الطبراني عنه أنه قال : ما أحب أني أعطيت درهما في لحو ، وأن لي مكانه مائة ألف ، أخشى أن تصيبني هذه الآية : ( وَيَمِنَ النَّاسِ مَنُ يَشْتَرِي لَحْوَ الْخَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ )<sup>(١)</sup> الآية . وقال جعفر بن برقان ، عن ميمون بن مهران قال : كنت عند عمر بن عبد العزيز فلما قلت قال عمر : إذا ذهب هذا وأضرابه لم يبق من الناس حاجة<sup>(٢)</sup> .

وروى الإمام أحمد عن معمر بن سليمان الرقي ، عن فروات بن سليمان ، عن ميمون بن مهران قال : ثلاث لا تبطلن نفسك بهن : لا تدخل على سلطان وإن قلت أمره بطاعة الله ، ولا تدخل على امرأة وإن قلت أعلمها كتاب الله ، ولا تصنبن بسمكك إلى ذي هوى ، فإنك لا تدري ما يعلق بقلبك من هواء .

وروى عبد الله بن أحمد عنه في قوله تعالى : ( إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا )<sup>(٣)</sup> و ( إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ )<sup>(٤)</sup> ، فقال : التمسوا لهُذَيْنِ المِرْصَادَيْنِ جَوَارِأ . وفي قوله تعالى : ( وَلَا تُحْسِنِ اللَّهُ غَافِلًا عَمَّا يَسْمَلُ الظَّالِمُونَ )<sup>(٥)</sup> فيها وعيد شديد للظالم ، وتزوية للظالم . وقال : لو أن أهل القرآن صلحوا لصلح الناس . وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل : حدثنا عيسى بن سالم الشلبي ، حدثنا أبو الليث قال : سمعت ميمون بن مهران يقول : لا خير في الدنيا إلا رجلين ، رجل ثائب - أو قال : يتوب - من الخطيئات ، ورجل يعمل في الدرجات ، فلا خير في العيش والبقاء في الدنيا إلا لهُذَيْنِ الرجلين : رجل يعمل في السكفارات ، ورجل يعمل في الدرجات ، وبقاه ما سواهما وإلّا عليه . وقال جعفر بن برقان : سمعت ميمون بن مهران يقول : إن هذا القرآن قد خلق في صدور كثير من الناس ، فالتمسوا ما سواه من الأحاديث ، وإن فيمن يتبع هذا العلم قوما يتخذون بضاعة يلتمس بها الدنيا ، ومنهم من يريد أن يمارى به ، وخرهم من يتصله ، ويطيع الله عز وجل به . وقال : من اتبع القرآن قاده القرآن حتى يحل به الجنة ، ومن ترك القرآن لم يدمه القرآن بئيمه حتى يتخذ في النار .

وقال الإمام أحمد : حدثنا خالد بن حيان ، حدثنا جعفر بن برقان ، عن ميمون بن مهران قال : لا يسلم للرجل الحلال حتى يعمل بينه وبين الحرام حاجزاً من الحلال . وقال ميمون : من كان يريد أن يعلم ما منزلته عند الله - فليحفظ في عمله فإنه قادم عليه كأننا ما كان . وقال عبد الله بن أحمد

(١) من الآية ٦ من سورة الناز .

(٢) من الآية ٢١ من سورة التبا .

(٣) من الآية ٤٢ من سورة ابراهيم .

(٤) من الآية ١٤ من سورة الصجر .

(٥) من الآية ١٤ من سورة الصجر .

ابن حنبل : حدثنا يحيى بن عثمان الحربي ، حدثنا أبو للميع عن ميمون بن مهران . قال : نظر رجل من المهاجرين إل رجل يصلي فأغشى الصلاة فعاتبه ، فقال : إني ذكرت ضيعة لي . فقال : أكبر الضيعة أضعت . وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل : حدثنا جعفر بن محمد المصمعي ، حدثنا أبو جعفر النخعي ، حدثنا قتيان بن عبد الرحمن عن طلحة بن زيد قال : قال ميمون : لا تعرف الأمور ولا تعرف من يعرفه . وروى عبد الله بن أحمد عنه أيضاً قال : لأن أوتعن على بيت مال أحب إلي من أن أوتعن على امرأة . وقال أبو يعلى الموصلي : حدثنا هاشم بن الحارث ، حدثنا أبو للميع الرقي ، عن حبيب بن أبي مرزوق قال : قال ميمون : وددت أن إحدى عيني ذهبت وبقيت الأخرى أتعجب بها ، وأني لم أَل عملاً قط . قلت : ولا لعمري بن عبد العزيز ؟ قال : ولا لعمري ابن عبد العزيز ، لا خير في العمل لا لعمري ولا لغيره .

وقال أحمد : حدثنا زيد بن الحباب ، حدثنا سفيان ، حدثنا جعفر بن برقان عن ميمون بن مهران قال : ما عرضت قولي على عمل إلا وجدت من نفسي اعتراضاً . وقال الطبراني : حدثنا الليث بن داود ، حدثنا علي بن معبد ، حدثنا خالد بن حيان ، حدثنا جعفر بن ميمون قال : قال لي ميمون : قل لي في وجهي ما أكره ؛ فإن الرجل لا ينصح أخاه حق يقول له في وجهه ما يكره . وروى عبد الله بن أحمد عنه في قوله تعالى : ( خافضة رافعة )<sup>(١)</sup> قال : تخفض إقروماً وترفع آخرين . وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل : حدثني عيسى بن سالم ، حدثنا أبو للميع ، حدثنا بعض أصحابي قال : كنت أمشي مع ميمون ؛ فنظر فرأى على ثوب كتان فقال : أما بلفك أنه لا يلبس الكتان إلا غي أو غاو ؟ وبهذا الإسناد سمعت ميمون بن مهران يقول : أول من مشى الرجال به ، وهو راكب الأشعث بن قيس الكندي ، ولقد أدركت السلف وهم إذا نظروا إلى رجل راكب ورجل يحضر معه ، قالوا : قاتله جبار .

وقال عبد الله بن أحمد : باثني من عبد الله بن كريمة بن حبان . وقد رأيت . حدثنا أبو للميع قال : قال ميمون : ما أحب أن لي ما بين الرُّحما إلى حُورانٍ بخمسة دراهم . وقال ميمون : يقول أحدهم : اجلس في بيتك واغلق عليك بابك ، وانظر هل يأتيك رزقك ؟ نعم والله ، لو كان له مثل يقين يريم وإبراهيم عليهما السلام ، وأغلق عليه بابه ، وأرخى عليه عتده ، لجاءه رزقه . وقال : لو أن كل إنسان منا يشاهد كسبه فلم يكسب إلا طيباً ، فأخرج ما عليه . ما احتيج إلى الأغنياء ، ولا احتاج الفقراء . وقال أبو للميع عن ميمون قال : ما بلفني عن أخ لي مكروه قط . إلا كان

إسقاط المكروه عنه - أحب إلى من تخفيفه عليه ، فإن قال : لم أقل ، كان قوله لم أقل - أحب إلى من ثمانية يشهدون عليه ، فإن قال - قلت ولم يستفد - أبغضه من حيث أحببته . وقال : سمعت ابن عباس يقول : ما بلغني من أخ لي مكروه قط - إلا أنزلته إحدى ثلاث منازل ؛ إن كان فوق عرفة لم قدره ، وإن كان نظيرى تفضلت عليه ، وإن كان دوني لم أحفل به . هذه سيرتي في نفسي ، فمن رغب عنها فإن أرض الله ولو سمة .

وقال أبان بن أبي راشد القشيري : كنت إذا أردت الصائفة أتيت ميمون بن مهران أودعه ، فلا يزيدني على كاتين ؛ اتقى الله ولا يترك طمع ولا غضب . وقال أبو الليج عن ميمون قال : الدماء ضالتي في كل بلدة ، وم أحسن في كل مصر ، ووجدت صلاح قلبي في محاسبة العلماء . وقال في قوله تعالى : ( إنا بؤق الصابرون أجزم بغير حساب )<sup>(١)</sup> قال قرطام<sup>(٢)</sup> . وقال : لأن أتصدق بدرهم في حياتي - أحب إلى من أن أتصدق بمائة درهم بعد موتي . وقال : كان يقال : الذكر ذكران ؛ ذكر الله باللسان ، وأفضل من ذلك أن تذكره عند ما أحل وأحرم ، وعند المحبة تشكف عنها وقد أشرفت به وقال : ثلاث ؛ الكافر والمؤمن فيهن سواء ، الأمانة تؤذيها إلى من ائتمك عليها من مسلم وكافر ، ور الوافدين وإن كانوا كافرين ، والعهد تنفي به للمؤمن والكافر . وقال صفوان ، عن خلف بن حوشب عن ميمون قال : أدركت من لم يكن يملأ عينيه من النساء - قرطام من ربه عز وجل .

وقال أحمد بن بزغ : حدثنا يعلى بن عبيد ، حدثنا هارون أبو محمد البربري ، أن عمر بن عبد العزيز استعمل ميمون بن مهران على الجزيرة وعلى قضائها وخراجها ، فكثرت حينئذ كسب إلى عمر يستغفبه عن ذلك ، وقال : كانتني ما لا أطيق ، أقضى بين الناس وأما شيخ كبير ضعيف رقيق ، فكثرت إليه عمر : أحب من الخراج الطيب ، وأقضى عما استبان لك ، فإذا التبس عليك أمر فارقته إلى ، فإن الناس لو كان إذا كبر عليهم أمر تركوه - ما قام لهم دين ولا دنيا .

وقال قتيبة بن سعيد : حدثنا كثير بن هشام ، حدثنا جعفر بن برقان قال : سمعت ميمون بن مهران يقول : إن العهد إذا أذهب دنيا نسكت في قلبه نسكة سوداء ، فإذا تاب بحيث من قلبه فترى قلب المؤمن مجلياً مثل المرأة ، ما يأتيه الشيطان من ناحية إلا أبصره . وأما الذي يتفاجع في الذنوب ؛ فإنه كلما أذهب نسكت في قلبه نسكة سوداء حتى يسود قلبه ؛ فلا يبصر الشيطان من

(١) من الآية ١٠ - من سورة الزمر . (٢) أي : سرياً . وعزق : أسرع في المدو .

ابن ياثية وقال الإمام أحمد : حدثنا علي بن ثابت ، حدثنا جعفر عن ميمون قال : ما اقبل أكياس الناس : إلا بعصر الرجل أمره حتى ينظر إلى الناس وإلى ما أدوا به ، وإلى ما قد أكبوا عليه من الدنيا ، فيقول : ما هؤلاء إلا أمثال الأنعام ، لأنهم لما إلا ما يحمل في أجوانها ، حتى إذا أبصر غفلتهم نظر إلى نفسه فقال : والله إني لأراي من شرهم بهيراً واحداً . وهذا الإسناد عنه : ما من صدقة أفضل من كلمة حق عند إمام جائر . وقال : لا تمذب للملوك ولا تضربه على كل ذنب ؛ ولكن احفظ ذلك له ، فإذا عمى الله عز وجل فمأقبه على مصيبة الله وذكركه الذنوب التي أذنب بينك وبينه . وقال قتبية : حدثنا جعفر بن برقان سمعت ميمون بن مهران يقول : لا يكرن الرجل من اللقيين حتى يحاسب نفسه أشد من محاسبة الشريك شريكه ، حتى يعلم من أين مطعمه ، ومن أين مشربه ، أمن حلال ذلك أم من حرام ؟

وقال أبو زرعة الدارمي : حدثنا محمد بن حنبل ، حدثنا أبو الميخ عن ميمون قال : الفاسق بمنزلة الصبيح ، فإذا كادت فيه غائيت - بيده - فقد حليت - به - على المسلمين . وقال جعفر بن برقان : قلت لميمون بن مهران : إن فلانا يستقبله نفسه في زيارتك ، قال : إذا ثبتت الودة في التغلب فلا بأس وإن طال لكث . وقال أحمد : حدثنا ميمون الرقي ، حدثنا الحسن - أبو الميخ عن ميمون قال : لا تجد غريباً أهون عليك من بطنك أو ظهرك . وقال الإمام أحمد أيضاً : حدثنا عبد الله بن ميمون ، حدثنا الحسن ، عن حبيب بن أبي مرزوق قال : رأيت على ميمون جهة صوف تحت ثيابه فقلت له : ما هذا ؟ قال : نعم ! فلا تخبر به أحداً . وقال عبد الله بن أحمد : حدثني يحيى بن عثمان ، حدثنا أبو الميخ عن ميمون قال : من أساء سرّاً فليتب سرّاً ، ومن أساء علانية فليتب علانية ، فإن الله يفضر ولا يغيّر ، وإن الناس يغيرون ولا ينفرون .

وقال جعفر : قال ميمون : في الدل ثلاث آفات ؛ إما بما صاحبه من واحدة لم ينجم من اثنتين ، وإن نجما من اثنتين كان قينا أن لا ينجم من الثالثة ؛ ينبغي أن يكون حلالاً طيباً ، فأبيكم الذي يسلم كسبه فلم يدخله إلا طيباً ؟ فإن سلم من هذه فينبغي أن يؤدي الحقوق التي تارمه في ماله ، فإن سلم من هذه فينبغي أن يكون في نفسه ليس بمسرف ولا مقتر . وقال : سمعت ميمونا يقول : أهون الصوم ترك الطعام والشراب . وقال عبد الله بن أحمد : حدثنا يحيى بن عثمان الحروري ، حدثنا أبو الميخ عن ميمون بن مهران قال : ما نال رجل من جسم الخلد - نبي أو غيره - إلا بالخير . وهذا الإسناد قال : الدنيا حلوة خضرة قد حفت بالشهوات ، والشيطان عدو حاضر ، فيظن أن أمر الآخرة أجل ، وأمر الدنيا عاجل .

وقال يونس بن عبيدة . كان طاعون قبل بلاد ميمون بن مهران ، فسكرت إليه أسأله من أهله ، فسكرت إلى : بلنقى كتابك تسألني من أهلي ، وإنه مات من أهلي وخاصتي سبعة عشر إنساناً ، وإن أكره البلاء إذا أقبل ، فإذا أدبر لم يسرني أنه لم يكن . وأما أنت فمليك بكتاب الله ؛ فإن الناس قد بهتوا عنه - بنى أيسوا - واختاروا الأحاديث - أحاديث الرجال - وإليك والمرأى في الدين . قال أبو عبيد في الغريب : بهتوا به - مبهوذاً - ومعناه : أنسوا به .

وقال عمر بن ميمون : كنت مع أبي ونحن نطوف بالكعبة ، فلقى أبي شيخ فاضله ، ومع الشيخ نقي نحو منى ، فقال له أبي : من هذا ؟ قال : ابني . فقال : كيف رضاك عنه ؟ فقال : ما بقيت خصلة إلا أبوب من خصال الخير إلا وقد رأيتها فيه ، إلا واحدة . قال : وما هي ؟ قال : أن يموت فأوجر فيه - أو قال : فأحسبه ، ثم فارقه أبي ، فقلت : من هذا الشيخ ؟ فقال : مكحول . وقال : شر الناس المياوم ، ولا يلبس الكتان إلا غنى أو غوى .

وروى الإمام أحمد عنه قال : يا ابن آدم اخف من ظهرك ، فإن ظهرك لا يطيق كل هذا الذي يعمل ؛ من ظلم هذا ، وأكل مال هذا ، وغشم هذا ، وكل هذا هل ظهرك تحمله ، تخفف عن ظهرك . وقال : إن أعمالكم قليلة ، فأخسوا هذا القليل . وقال : ما أتى قوم في نادبهم للنسكر إلا حق هلاكهم .

وروى عبد الله بن أحمد عنه أنه قرأ : ( وَاصْبِرُوا لِلْيَوْمِ الْمَآخِزِ )<sup>(١)</sup> . ثم فارق حتى بكى ، ثم قال : ما سمع الخلائق ينمت قط أشد منه . وقال أبو موانة : حدثنا إبراهيم بن عبد الله ، حدثنا محمد بن إسحاق ، حدثنا قتيبة بن سعيد ، حدثنا خالد ، عن حصين بن عبد الرحمن ، عن ميمون قال : أربع لا تكلم فيهم : علي ، وعثمان ، والتدر ، والنجوم . وقال : احذروا كل هوى يسئ بسوء الإسلام

وروى شبابة ، عن فرات بن السائب قال : سألت ميمون ؛ أهلك أفضل عندك أم أبو بكر وعمر ؟ فارتد حتى سقطت عصاه من يده ، ثم قال : ما كنت أظن أن أتى إلى زمان يبدل بهما غيرهما ، إنما كانا روادى الإسلام ، ورأس الإسلام ، ورأس الجماعة . فقلت : فأبو بكر كان أول إسلاماً أم علي ؟ فقال : والله لقد آمن أبو بكر بالنبي ﷺ زمن هجرة الرأب حين مر به . وكان أبو بكر هو الذي يختلف بينه وبين خديجة حتى أنكحها إياه ، وذلك كله قبل أن يولد علي ، وكان صاحبه وصديقه قبل ذلك . وروى ميمون بن مهران ، عن ابن عمر قال : قال

رسول الله ﷺ : « قل ما يوجد في آخر الزمان درهم من حلال ، أو أخ يوق به » .  
 وروى عن ابن عمر أيضاً ، عن النبي ﷺ قال : « شر المال في آخر الزمان للمالك » .  
 وروى ابن أبي الدنيا عنه قال : من طلب مرضاة الإخوان بلا شيء - فليصادق أهل القبور .  
 وقال : من ظلم أحداً ففاته أن يخرج من مظلمته ، فاستغفر له دبر كل صلاة - خرج من مظلمته  
 وهذا إن شاء الله يدخل فيه الأعراض والأموال وسائر الظالم . وقال ميمون : القاتل والآخر  
 واللامور والظالم والراضى ، كلهم في الوزر سواء . وقال : أفضل الصبر الصبر على ما نكره  
 نفسك ، من طاعة الله عز وجل .

روى ميمون عن جماعة من الصحابة ، وكان يسكن الرقة - رحمه الله تعالى .

[ نافع مولى ابن عمر : أبو عبد الله الذي ، أصله من بلاد المغرب ، وقيل : من نيسابور ،  
 وقيل : من كابل ، وقيل : غير ذلك . روى عن مولا عبد الله بن عمر وجماعة من الصحابة ،  
 مثل : رافع بن خديج ، وأبي سعيد ، وأبي هريرة ، وعائشة ، وأم سلمة ، وغيرهم . وروى عنه  
 خلق كثير من التابعين وغيرهم . وكان من ثقات النبلاء ، والائمة الأجلة . قال البخاري :  
 أصبح الأسانيد مالك عن نافع عن ابن عمر . وقال غيره : كان عمر بن عبد العزيز قد بشه  
 إلى مصر يعلم الناس السنن . وقد أتى عليه غير واحد من الأئمة ، ووثقوه . ومات في هذه  
 السنة هل للشهور ] (١) .

ذو الرمة الشاعر : واسمه غيلان بن هبة بن بهيس ، من بني عبد مناة بن أذ بن طابخة بن  
 إلياس بن مضر ، أبو الحارث أحد خول الشعراء . وله ديوان مشهور ، وكان ينزل في بني  
 مقاتل بن طلب بن قيس بن عاصم المغمري ، وكانت جيلة ، وكان هو دميم الخلق أسود اللون ،  
 ولم يكن بينهما غش ولا خنا ، ولم يكن راحاً قط ولا راته ، وإنما كانت تسم به ويسمع بها ،  
 ويقال : إنها كانت تنذر إن هي راته أن تذبح جذوراً ، فلما راته قالت : واسم الله واسم آبائه ،  
 ولم تحب له وجهها قط إلا مرة واحدة ، فأنشأ يقول :

على وجهي لحة من حلوة ونحت الثياب المار لو كان بادوا

قال : فأنسلخت من ثيابها ، فقال :

لم تر أن الماء ينجث طعمه وإن كان لون الماء أبيض صافياً ؟

قالت : تريد أن تذوق طعمه ؟ فقال : إى والله . فقالت : تذوق اللوت قبل أن تذوقه فأنشأ يقول :

فواضحة الشمر الذى راح واقضى بجم ولم أمك ضلال وليل  
قال ابن خلكان : ومن شعره السائر بين الناس ما أنشده :

إذا هبت الريح من نحو جانب به أهل من هاج شوق هوبها  
هوى تذرف الميثان منه وإنا هوى كل نفس أين حل حببها ؟  
وأنشد سعد اللوت :

يا قاض الأرواح فى جسمي إذا احضرت وغافر الذنب زحزحني من النار

### ثم دخلت سنة ثمانى عشرة ومائة

فيها : غزا معاوية ، وسليمان - ابننا أمير المؤمنين هشام بن عبد الملك - بلاد الروم ، وفيها : قصد شخص يقال له : غار بن يزيد - ثم متى بخنداش - إلى بلاد خراسان ، ودعا الناس إلى خلافة محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ، فاستجاب له خلق كثير ، فذا انصار عليه وعام إلى مذهب الخوارج<sup>(١)</sup> الزنادقة ، وأباح لهم نساء بعضهم بعضاً وزعم لهم أن محمد بن علي يقول ذلك ، وقد كذب عليه ، فأظهر الله عليه الدولة ، فأخذ ، فبقي به إلى خالد بن عبد الله القسري - أمير العراق وخراسان ، فأمر به ، فقطعت يده وسئل لسانه ، ثم صلب بعد ذلك .

وفيها : حج بالناس محمد بن هشام بن إسماعيل - أمير المدينة . وقيل : إن إمرة المدينة كانت مع خالد بن عبد الملك بن مروان والصحيح أنه كان قد عزل ، وولى مكانه محمد بن هشام بن إسماعيل ، وكان أمير العراق القسري . وفيها كانت وفاة :

علي بن عبد الله بن عباس ابن عبد الطالب القرشي ، الهاشمي - أبو الحسن ، ويقال تاجو محمد وأمه : زرة بنت مسرح بن مديكرب السكندى ، أحد الملوك الأربعة الأتقيال المذكورين في الحديث الذي رواه أحمد ، وم : مسوح ، وحل ، ونحواس ، وأبضة . وأختهم : العمرة . وكان مولد علي هذا يوم قتل علي بن أبي طالب ، فسماه أبوه باسمه ، وكناه بكنيته . وقيل : إنه ولد في حياة علي ، وهو الذي سماه وكناه واقبه بأبي الأحكام ، فلما وفد علي عبد الملك بن مروان أجلسه معه على السرير ، وسأله من اسمه وكنيته ، فأخبره . فقال له : ألك ولد ؟ قال : نعم ، ولدي ولد سميته محمداً . فقال له : أنت أبو محمد ، وأجزل عطية ، وأحسن إليه .

(١) فئة من الخوارج تقبل بالتاسخ والإباحة .



وقد كان حل هذا في غاية العبادة والزهادة . والعلم والعمل وحسن الشكل والبدن والنفقة ،  
كان يصل في كل يوم وليلة ألف ركعة ، قال مروان بن الحارث : كان من خيار الناس ،  
وكانت وفاته بالجمجمة من أرض البلقاء في هذه السنة ، وقد قارب الثمانين . وقد ذكر ابن خلدون  
أنه تزوج لبابة بنت عبد الله بن جعفر ، التي كانت تحت عبد الله بن مروان - فطافها . وكان  
سبب طلاقه إيلاءه ، أنه عرض نقاعة ثم روى بها إليها فأخذت السكين فحزمت من النقاعة ماس في  
منها ، فقال : ولم تضلين هذا ؟ فقالت : أزيل الأذى عنها - وذلك لأن عبد الله كان أعرج -  
فطلقها عبد الله ، فلما تزوجها حل بن عبد الله بن عباس هذا - ثم عليه الوليد بن عبد الله لأجل  
ذلك ، فضربه بالسياط ، وقال : إنما أردت أن تغل فيها من الخلفاء . وضربه مرة ثانية لأنه اشتهر  
عنه أنه قال : الخليفة صائرة إلى بيته ، فوقع الأمر كذلك . وذكر المبرد أنه دخل على هشام بن  
عبد الله وصه ابنه : السفاح والنعصور وما صفيران ، فأكرمه هشام وأدى مجلسه ، وأطلق له  
مائة وثلاثين ألفاً ، وأجمل حل بن عبد الله بوصيه بأبيه خيراً ، ويقول : إنهما سيليان الأمر ،  
فجعل هشام يتمتع من سلامة باطنه وينسبه في ذلك إلى الحق ، فوقع الأمر كما قال .

قالوا : وقد كان حل في غاية الجعل والعمام القامة ، كان بين الناس كاه راكب ، وكان  
إلى منكب أبيه عبد الله ، وكان عبد الله إلى منكب أبيه العباس ، وكان العباس إلى منكب أبيه  
عبد المطلب . وقد بايع كثير من الناس لأبيه محمد بالخلافة قبل أن يموت حل هذا - قبل هذه  
السنة بسنوات ، ولكن لم يظهر أمره حتى مات فقام بالأمر من بعده . وقد عبد الله أبو العباس  
السفاح ، وكان ظهوره في سنة اثنتين وثلاثين كاسيافى إن شاء الله تعالى :

مروان بن شميب . ومهابة بن نسي . وأبو صخرة جامع بن شداد . وأبو مياش العافري

### ثم دخلت سنة تسع عشرة ومائة

قريباً : غزا الوليد بن السفاح بلاد الروم ، وفيها قتل أسد بن عبد الله القسري - ملك الترك  
الأعظم خاقان . وكان - بذلك : أن أسد بن عبد الله أمر خراسان . حل نيابة عن أخيه خالد  
ابن عبد الله حل العراق ، ثم سار ببغوشه إلى مدينة خُتَل فانتصها ، وتفرقت في أرضها جنوده  
يتفرقون ويأسرون وينتمون ، فغابت البيوت إلى ملك الترك خاقان : أن جيش أسد قد تفرق في  
بلاد خُتَل ، فأنضم خاقان هذه الفرصة فركب من فورهِ في جنوده قاصداً إلى أسد ، وتزود  
خاقان وأصحابه سلاحاً كثيراً ، وقد بدأ وملحاً ، وساروا في حلق مقلب ، وجاء إلى أسد فأعلموه  
بقصد خاقان له في جيش عظيم كثير ، فجهز ذلك وأخذ أهله ، فأرسل من فورهِ إلى أطراف

جيشه فلما ، وأشاع بعض الناس أن خاقان قد هجم على أسد بن عبد الله فقتله وأصحابه ؛  
ليحصل بذلك خذلان لأصحابه فلا يجتمعون إليه ، فرد الله كيدهم في نحورهم ، وجعل تدميرهم ،  
في تدميرهم ؛ وذلك أن المسلمين لما سمعوا بذلك أخذتهم حمية الإسلام وازدادوا حنقا على  
عدوهم ، وعزموا على الأخذ بالثأر ، فقصدوا الموضع الذي فيه أسد ، فإذا هو حي قد اجتمعت  
عليه العساكر من كل جانب .

وسار أسد نحو خاقان حتى أتى جبل الملح ، وأراد أن يخوض نهر بلخ ، وكان معهم أغنام  
كثيرة ، فذكره أسد أن يتركها وراء ظهره ، فأمر كل فارس أن يحمل بين يديه شاة وعلى عنقه  
شاة ، وتوعد من لم يفعل ذلك بقطع اليد ، وحل هو منه شاة وخاضوا النهر ، فما خلاصوا منه  
جيدا حتى دهمهم خاقان من ورائهم في خيل دهم ، فقتلوا من وجدوه لم يقطع النهر وبعض الضعفة .  
فلما وقفوا على حافة النهر أجمعوا وظن المسلمون أنهم لا يقطعون إليهم النهر ، فشاؤوا الأتراك  
فيا بينهم ، ثم اتفقوا على أن يحملوا حلة واحدة - وكانوا خمسين ألفا - فيقتصمون النهر ،  
فضربوا بكؤساتهم ضربا شديدا حتى ظن المسلمون أنهم معهم في عسكرهم ، ثم رموا بأنفسهم  
في النهر رمية واحدة ، فجعلت خيولهم تنخر أشد النخير ، وخرجوا منه إلى ناحية المسلمين فثبت  
للمسلمين في معسكرهم ، وكانوا قد خندقوا حولهم خندقا لا يخلصون إليهم منه ، فبات الجيشان  
تترامى نارهما ، فلما أصبحا مال خاقان على بعض الجيش الذي للمسلمين ، فقتل منهم خلقا  
وأسر أمما وإبلا موقرة .

ثم إن الجيشين تواجها في يوم عيد الفطر ، حتى خاف جيش أسد أن لا يصلوا صلاة العيد ،  
فأصلوها إلا على جبل ، ثم سار أسد بمن معه حتى نزل مرج بلخ ، حتى انقضى الشتاء ، فلما  
كان يوم عيد الأضحي خطب أسد الناس واستشارهم في الذهاب إلى مرو أو في لقاء خاقان ،  
أو في التعصن ببلخ ؛ فنهض من أشار بالتعصن ، ومنهم من أشار بلقاء والتوكل على الله ،  
فوافق ذلك رأى أسد الأسد ، فقصده بجيشه نحو خاقان ، وصل بالناس زكيتين أطال فيما ،  
ثم دعا بدعاء طويل ، ثم انصرف وهو يقول : نصرتم إن شاء الله ، ثم سار بمن معه من المسلمين  
فالتفت مقدمته بمقدمة خاقان ، فقتل للمسلمين منهم خلقا وأسروا أميرهم وسبعة أمراء معه ،  
ثم ساق أسد قاتني إلى أغنامهم فاستاقها ، فلما هي مائة ألف وخمسون ألف شاة لهم التقي معهم  
وكان خاقان إنما معه أربعة آلاف أو نحوها ، ومعه رجل من العرب قد خامرهم <sup>(١)</sup> ، يقال  
له الحارث بن شريح <sup>(٢)</sup> ، فهو يدلهم على هجرات المسلمين ، فلما أقبل الناس هربت الأتراك في  
كل جانب ، وانهمز خاقان ومعه الحارث ابن شريح بحميه وبقبته ، فقبهم أسد .

(١) أي انضم إليه ونير عما كان عاد . (٢) في الطبري : الحارث بن شريح .

فلما كان عند الظهيرة انحذل خاقان في أربعمائة من أصحابه ، عليهم الخيل ومعه الكؤوسات ، فلما أدركه السيلون أمر بالكؤوسات ، فضربت ضرباً شديداً ، ضرب الانصراف ثلاث مرات ، فلم يستطيعوا الانصراف ، فتقدم السيلون فاحتاطوا على معسكرهم ، فاحتازوه بما فيه من الأمتعة العظيمة ، والأواني من الذهب والفضة ، والنساء والعبيدان ، من الأتراك ، ومن معهم من الأسارى من السلطان وغيرهم ، بما لا يحصى ولا يوصف ؛ لكثرة وعظمت وقيمت وحسنه . غير أن خاقان لما أحس بالهلاك ضرب امرأته بخنجر فقتلها فوصل السيلون إلى المعسكر ، وهي في آخر رمق تتحرك ، ووجدوا قدورهم تنقل بأطعامهم ، وهرب خاقان بمن معه حتى دخل بعض المدن ، فحصب بها ، فاتفق أنه لم يزل مع بعض الأمراء فلما به الأمير ، فتوجه خاقان بقطع اليد ، فخنق عليه ذلك الأمير ، ثم عمل على قتله فقتله ، وتفرقت الأتراك يمدو بعضهم على بعض ؛ وينهب بعضهم بعضاً . وبث أسد إلى أخيه خالد يبله بما وقع من النصر والغنائم عظاماً ، وبث إليه بطيول خاقان - وكانت كباراً لما أصوات كالرعد - وبث كثير من حواصله وأمتعته ، فأوفدها خالد إلى أمير المؤمنين هشام ، ففرح بذلك فرحاً شديداً ، وأطلق للفرس أموالاً جزيلة كثيرة من بيت المال . وقد قال بعض الشعراء في أسد يمدحه على ذلك (١) :

لو سرت في الأرض تقيس الأرض      تقيسُ منها طُولها وَالْعَرْضا  
لم تلقَ خيراً مِرةً وَتَقَضَا      من الأمير أسدٍ وأمضى  
أفنى إلينا الخـيرُ حقُّ أفنى      وَجَمع السِّلَـلَ وكان أرضا  
ما فاتهُ خاقان إلا رَكضاً      قد فُضَّ من جُوعِهِ ما فُضَا  
يا ابن سُرَيْجٍ قد لقيت حَصّاً      حَصّاً به يَشُقُّ صُدَاعُ الرضَى

وفيهما : قتل خالد بن عبد الله القسري - المنيرة بن سعيد وجماعة من أصحابه الذين تابوه على باطله ، وكان هذا الرجل ساحراً ماجراً شيعياً خبيثاً قال ابن جرير : ثنا ابن حميد ، ثنا جرير ، عن الأعمش قال : سمعت المنيرة بن سعيد يقول : لو أردت أن أجىء عاداً أو نموداً وقروناً بين ذلك كثيراً لأجبتهم . قال الأعمش : وكان المنيرة هذا يخرج إلى القبرة فيسكنهم ، فيرى مثل الجراد على القبور ، أو نحو هذا من الكلام . وذكر ابن جرير أنه غير ذلك من الأشياء التي تدل على سحره وجوره . ولما بلغ خالداً أثره أثره بإحضاره ، فجىء به في ستة غر أو - سبعة نفر ، فأمر خالد فأبرز سريره إلى المسجد ، وأمر بإحضار أطباق القصب والفضة فصب فوقها ، وأمر المنيرة أن يمتص طينها منها ، فامتنع ، فضرب حتى احتضن منها طيناً واحداً ، وصب فوق رأسه الفضة ، ثم أضره بالنار ، وكذلك فعل ببقية أصحابه .

(١) الثناقل هو : ابن السجق الملقب ، كما في الطبري .

وفي هذه السنة ، خرج رجل يقال له بهلول بن بشر ، ويلقب بكثرة ، وانبه جماعات من  
الطوارخ دون المائة ، وقصوا قتل خالد القسري ، فبث إليهم البهوث ، فكسروا الجيوش ،  
واسحل أمرهم جداً لشجاعتهم وجلدهم ، وثقة نصيح من يقانهم من الجيوش ، فردوا المساكين  
من الألوف المؤلفة ، ذوات الأسلحة والخيول للسومة ، هذا وهم لم يبلنوا المائة . ثم إنهم راموا قدوم  
الشام لتبطل الخليفة هشام ، فقصدوا نحوها ، فامترضهم جيش بأرض الجزيرة ، فاقتلوا منهم قتلاً  
خطياً ، فقتلوا عامة أصحاب بهلول الخارجي . ثم إن رجلاً من جذبة يكنى أبا اللوت ، ضرب بهلولا  
ضربة فصرعه ، وتفرقت عنه بقية أصحابه . وكانوا جميعهم سبعين رجلاً ، وقد رثاهم بعض  
أصحابهم <sup>(١)</sup> فقال :

بذلت بعد أي بشر وصيته      قوماً على مع الأحزاب أهوانا  
بانوا كأن لم يكونوا من صحبنا      ولم يكونوا لنا بالأمس خلاناً  
يا عين أذرى دموعاً منك تهتاناً      وابكى لنا صحبة بانوا وإخوانا  
خلوا لنا ظاهر الدنيا وباطنها      وأصبحوا في جنان الخلق جيرانا

- ثم تجمع طائفة منهم أخرى على بعض أمرائهم ، فقاتلوا وقتلوا وقتلوا ، وجهزت إليهم  
المساكين من عند خالد القسري ، ولم يزل حتى أباد خضراءهم ، ولم يبق لهم بقية .

وفيها : غزا أسد القسري بلاد الترك ، فرض عليه ملكهم طرخان خان ألف ألف ، فلم يقبل  
منه شيئاً ، وأخذ يهزأ بقتله صبراً بين يديه ، وأخذ مدينته وقامته وحواصله ونساءه وأمواله .  
وفيها : خرج الصعاري بن شبيب الخارجي ، وانبه طائفة قليلة نحو من ثلاثين رجلاً ، فبث  
إليهم خالد القسري جنداً ، فقتلوه وجميع أصحابه ، فلم يتركوا منهم رجلاً واحداً . وحجج بالناس في  
هذه السنة : أبو شاكر - سلمة بن هشام بن عبد الملك ، وحجج معه ابن شهاب الزهري لهقه  
مناسك الحج ، وكان أمير مكة والمدينة والطائف - محمد بن هشام بن إسماعيل ، وأمير العراق  
والمشرق وخراسان خالد القسري ، وانبه على خراسان بكاملها - أخوه أسد بن عبد الله القسري ،  
وقد قيل : إنه توفي في هذه السنة ، وقيل : في سنة عشرين ، والله أعلم . ونائب أرمينية وأذربيجان  
مروان الحار ، والله أعلم .

## سنة عشرين ومائة من الهجرة

فيها غزا سليمان بن هشام بلاد الروم ، وافتتح فيها حصونا ، وفيها غزا إسحاق بن مسلم القليل ثوما نشاء ، وافتتحها وغرب أرضها ، وفيها غزا مروان بن محمد بلاد القزح ، وفيها كانت وفاة أسد بن عبد الله القسري أمير خراسان ، وكانت وفاته بسبب أنه كانت له دُبيلة<sup>(١)</sup> في جوفه فلما كان مهرجان هذه السنة قدمت له هاتقان - وهم أمراء الذين للكبار - من سائر البلدان بالهدايا والتحف على أسد ، وكان فيمن قدم نائب هرات ودهقانها ، واسم دهقانها : خراسان شاه ، فقدم بهدايا عظيمة ، ونحف ، مزينة ، وكان من جملة ذلك قصر من ذهب وقصر من فضة ، والبارقي من ذهب ، ومخاف من ذهب وفضة ، وتفاصيل من حرير تلك البلاد ألوان ملونة ، فوضع ذلك كله بين يدي أسد حتى امتلأ المجلس ، ثم قام الدهقان ، ليبياً ، فاستدح أسداً بحصال حسنة ، على عنقه ورواسته وعده ومنحه أهله وخاصة ، أن يظفروا أحداً من الرطابا بشيء قل أو أكثر ، وأنه تهر الخلق الأعظم ، وكان في مائة ألف ، فكسره وقتله ؛ وأنه يفرح بما يند إليه من الأموال ؛ وهو بما خرج من يده أفرح وأشد سروراً ؛ فأثنى عليه أسد وأجلسه ، ثم فرق أسد بجيحه تلك الهدايا والأموال ، وما هناك أجمع على الأمر . والأكابر بين يديه ، حتى لم يبق معه شيء ، ثم قام من مجلسه وهو حليل من تلك الأدبية ، ثم ألقى إفاة ، وحيى بهدية كثرة لجبل يفرقها على الحاضرين واحدة واحدة ، فألقى إلى دهقان خراسان واحدة ، فاضجرت دُبيلته ، وكان فيها حقه ، واستخلف على عمله جعفر ابن حفظة السمرقاني . فسكت أميراً أربعة أشهر حتى جاء عهد نصر بن سيار في رجب منها ، فبلى هذا تكون وفاة أسد في صفر من هذه السنة ، وقد قال فيه ابن مرس المديري رحمه :

ننى أسد بن عبد الله ناع	فربح القلب الملك الطامع
بلغه وافق القيدار يسرى	وما القضاء ديك من دفاع
لهوى عين الصبرات شحا	لم يمزك تفريق الجاسع
أناه حانه في جوف صينج	وكم بالصينج من بطل شجاع
أناه حانه في جوف صينج	وكم بالصينج من بطل شجاع
كثائب قد يجيئون الطوى	على جسر دسوسة يراع
سقيت فنيك لك كفت غمنا	فربما عند مرئاد التبعاع

(١) الدبيلة : خراج ودمل كبير يظهر في الجوف يقضى على صاحبه غالباً .

وفيها : عزل هشام - خالد بن عبد الله القسري عن نيابة العراق ، وذلك أنه انحصر<sup>(١)</sup> منه لما كان يبلغه من إطلاق عبارة فيه ، وأنه كان يقول عنه ابن الحنفية ، وكتب إليه كتابا فيه غلظة ، فرد عليه هشام رداً عنيفاً ، ويقال : إنه حسده على سمة ما حصل له من الأموال والحواصل والثقلات ، حتى قيل إنه كان دخله في كل سنة - ثلاثة عشر ألف ألف دينار ، وقيل : درهم ، ولولده يزيد بن خالد - عشرة آلاف ألف . وقيل : إنه وفد إليه رجل من أزام أمير المؤمنين من قريش يقال له : ابن عمرو ، فلم يرحب به ولم يبعأ به ، فكتب إليه هشام يعنفه ويبكته على ذلك ، وأنه حال وصول هذا الكتاب إليه يقوم من فوره بمن حوله من أهل مجلسه ، فينطلق على قدميه حتى يأتي باب ابن عمر وصافراً ذليلاً مستأذاً عليه ، متصلاً إليه بما وقع ، فإن أذن لك وإلا وقف على بابه حولا غير متصل من مكانك ولا زائل ، ثم امرك إليه إن شاء عزبك وإن شاء أبقاك ، وإن شاء انتصر ، وإن شاء عفا . وكتب إلى ابن عمرو يعلم بما كتب إلى خالد ، وأمره إن وقف بين يديه أن يضرب عشرين سوطاً على رأسه ، إن رأى ذلك مصلحة .

ثم إن هشاماً عزل خالداً وأخى ذلك ، وبعث البريد إلى نائيه على اليمن وهو : يوسف بن عمر ، فولاه إمرة العراق ، وأمره بالسير إليها والتقدم عليها في ثلاثين راكباً ، فقدموا الكوفة وقت السحر ، فدخلوها ، فلما أذن المؤمن أمره يوسف بالإقامة ، فقال : إلى أن يأتي الإمام - يعني خالداً - فأنهزم وأمره بالإقامة ، وتقدم يوسف فصل وقرأ (إذا وقمت الواقعة)<sup>(٢)</sup> (و سأل سائل)<sup>(٣)</sup> ثم انصرف فبعث إلى خالد وطارق وأصحابهما ، فاحضروا فأخذ منهم أموالاً كثيرة ، صادر خالداً مائة ألف ألف درهم ، وكانت ولاية خالد في شوال سنة خمس ومائة ، وعزل عنها في جمادى الأولى من هذه السنة - أعني سنة عشرين ومائة - .

وفي هذا الشهر - قدم يوسف بن عمر على ولاية العراق مكان خالد بن عبد الله القسري ، واستناب على خراسان جديع بن علي الكرماني ، وعزل جعفر بن حنظلة الذي كان استناب أسد ، ثم إن يوسف بن عمر عزل جديعاً في هذه السنة عن خراسان ، وولى عليها نصر بن سيار ، وذهب جميع ما كان اقتناه وحده خالد من القمار والأموال - وهذه واحدة - ، وقد كان أشار عليه بعض أصحابه - لما بلنهم عتب هشام عليه - أن يبعث إليه يمرض عليه بعض أملاكه ، فأحب منها أخذها وما شاء ترك ، وقالوا له : لأن يذهب البعض خير من أن يذهب الجميع مع المنزل والإخراق فامتنع من ذلك وأغتر بالدينها وعزت نفسه عليه أن يفل ، فقبضاه المنزل ، وذهب

ما كان حمله وجهه ومنه ، واستقرت ولاية يوسف بن عمر على العراق وخراسان ، واستقرت نيابة نصر بن سيار على خراسان ، فتمهدت البلاد ، وأمن العباد ، والله الحمد والمنة . وقد قال سوار ابن الأشعر في ذلك :

أضحت خراسان بسد الخوف آمنة • من ظلم كل غشوم الحكيم جبار  
لما أتى يوسف أخبارها لقيت • اختار نصر لها نصر بن سيار

وفي هذه السنة : استبطأت شمة آل العباس كتاب محمد بن علي إليهم ، وقد كان عصب عليهم في أنباهم ذلك الزنديق الملقب بمُنداش ، وكان خُرميّا . وهو الذي أحل لهم للفكرات ودنس الحارم والمصاهرات ، فقتله خالد القسري كما تقدم ، فغضب عليهم محمد بن علي في تصديهم له واتباعهم إياه على الباطل ، فلما استبطأوا كتابه بعث إليهم رسولاً يخبرهم أمره ، ويشتواهم أيضاً رسولاً ، فلما جاء رسولهم أعلمه محمد بماذا عصب عليهم بسبب الخُرُمي ، ثم أرسل مع الرسول كتاباً مخنوماً ، فلما فتحوه لم يجدوا فيه سوى : بسم الله الرحمن الرحيم ، فعلموا أنه إنما كتبنا عليهم بسبب الخُرُمي . ثم أرسل رسولاً إليهم فلم يصدقوه كثير منهم وهموا به ، ثم جاءت من جمعه عصى ملوياً عليها حديد ونحاس ، فعلموا أن هذه إشارة لهم إلى أنهم عصاة ، وأنهم يختلفون كاختلاف ألوان النعاس والحديد .

قال ابن جرير : وحج بالناس فيها - محمد بن هشام - الخزومي فيما قاله أبو - محشر ، قال : وقد قيل : إن الذي حج بالناس سليمان بن هشام بن عبد الملك ، وقيل : ابنه يزيد بن هشام ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

### ثم دخلت سنة إحدى وعشرين ومائة

فتبها : غزا مسلمة بن هشام الروم ، فانتفع مطامير - وهو حصن ، وافتتح مروان بن محمد بلاد صاحب الذهب ، وأخذ قلاعاً وخرّب أرضه ، فأذن له بالجزية في كل سنة بألف رأس يؤديها إليه ، وأعطاه رهنًا على ذلك . وفيها : - في صفر - قتل زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، الذي تنسب إليه الطائفة الزيدية ، في قول الواقدي ، وقال هشام السكلي : إنما قتل في صفر من سنة ثنتين وعشرين ومائة ، والله أعلم .

وقد ساق محمد بن جرير سبب مقتله في هذه السنة تبعاً للواقدي ، وهو : أن زيداً هذا وفد على يوسف بن عمر فسأله : هل أودع خالد القسري عندهك مالا ؟ فقال له زيد بن علي : كيف

بودنى مالا وهو بستم آتاني على منبره في كل جمعة ؟ فأحلقه أنه ما أودع عنده شيئاً ، فأمر يوسف بن عمر بإحضار خالد بن النجاشي . به في عبادة ، فقال : أنت أودعت هذا شيئاً نتخلصه منه ؟ قال : لا ، وكيف وأنا أشتت أباه كل جمعة ؟ فتذكر عمر وأعلم أمير المؤمنين بذلك ففما من ذلك ، وقال : بل استعظمهم غفلوا عما حاثوا .

ثم إن طائفة من الشيعة التفت على زيد بن علي، وكانوا نحواً من أربعين ألفاً، فنهوا النصفاء عن الخروج - وهو محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب - وقال له : إن جلدك خير منك ، وقد التفت كل بيته من أهل العراق ثمانون ألفاً ، ثم خانوه أجمع ما كان إليهم ، وإلى أحذركم بين أهل العراق . فلم يقبل بل استمر يبيع الناس في الباطن في الكوفة - على كتاب الله وسنة رسوله ، حتى استفصل أمره بها في الباطن ، وهو يتحول من منزل إلى منزل ، وما زال كذلك حتى دخلت سنة ثنتين وعشرين ومائة ، فكان فيها مقتله كما سنذكره قريباً .

وفيهما: غزا نصر بن سيار - أمير خراسان - غزوات متعددة في الترك ، وأسر ملكهم كورصول في بعض تلك الحروب وهو لا يعرفه ، فلما تيقنه ونحققه ، سأل منه كورصول أن يطلقه على أن يرسل له ألف بعير من إبل الترك - وهي البخناق - وألف برذون ، وهو مع ذلك شيخ كبير جداً . فثار نصر من بحضرتة من الأعراف ذلك ؟ ففهم من أشار بإطلاقه ، ومنهم من أشار بقتله . ثم سأل نصر بن سيار : كم غزوت من غزوة ؟ فقال : ثنتين وسبعين غزوة ، فقال له نصر : ما مثلك يطلق ، وقد شهدت هذا كله ، ثم أمر به فضربت عنقه وصلبه ، فلما بلغ ذلك جيشه من قتله باتوا تلك الليلة يعمرون ويسكون عليه ، وجذوا لحام وشهورهم وقعدوا أناتهم وحرقوا خياماً كثيرة ، وقتلوا أنماماً كثيرة . فلما أصبح أمر نصر بإحراقه ثلاثاً بأحدوا جيشه ، فكان حريقه أشد عليهم من قتله ، وانصرفوا خائبين صاغرين خاسرين .

ثم كر نصر على بلادهم فقتل منهم خلقاً واسيراً لا يحصون كثرة ، وكان فيمن حضر بين يديه مجوز كبير جداً من الأعاجم أو الأتراك ، وهي من بيت مملكة ، قتلت لنصر بن سيار : كل ملك لا يكون عنده ستة أشياء فهو ليس ملك ؛ وزير صادق بفصل خصوصيات الناس وبشاوره وبناصحه ، وطبايح يصنع لها يشبعه ، وزوجة حسنة إذا دخل عليها مقتاً ففطر إليها سرته وذهب عنه ، وحسن منيع إذا فرغ رطله لجأوا إليه فيه ، وسيف إذا قارع به الأقران لم يخش حياته ، وذخيرة إذا حلفوا فيه ما وقع من الأرض عاش بها .

وحج بالناس فيها: محمد بن هشام بن إسماعيل نائب مكة والمدينة والطائف، ونائب العراق يوسف بن عمر، ونائب خراسان نصر بن سيار، وعلى أرمينية مروان بن محمد.



ذكر من توفي فيها من الأعيان :

زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب : ولشهور أنه قتل في التي بعدها ، كما سيأتي بيانه إن شاء الله .

مسلة بن عبد الملك بن مروان ، القرشي ، الأموي — أبو سعيد ، وأبو الأصمغ الدمشقي . قال ابن مسافر : وداره بدمشق في حجة القباب عند باب الجامع القلبي . ولي للموسم أيام أخيه الوليد ، وغزا الروم غزوات ، وحاصر القسطنطينية ، وولاه أخوه يزيد إمرة المراقين ، ثم حمله ، وتولى أرمينية . وروى الحديث عن عمر بن عبد العزيز . وعنده عبد الملك بن أبي عثمان ، وعبد الله بن قزعة ، وعيينة ولد سفيان بن عيينة ، وابن أبي عجران ، ومعاوية بن خديج ، ويحيى بن يحيى التميمي .

قال الزبير بن بكار : كان مسلة من رجال بني أمية ، وكان يلقب بالجرادة الصفراء ، وله آثار كثيرة ، وحروب ونكاية في المدون من الروم وغيرهم . قلت : وقد فزع حصون كثيرة من بلاد الروم . ولما ولي أرمينية غزا الترك ، فبلغ باب الأبواب ، فهدم المدينة التي عنده ، ثم أعاد بنائها بعد تسع سنين . وفي سنة ثمان وتسعين غزا القسطنطينية فحاصرها ، وافتتح مدينة الصغالية ، وكسر ملكهم البرجان ، ثم عاد إلى محاصرة القسطنطينية . قال الأوزاعي : فأخذه وهو يفاخريهم صدام عظيم في رأسه . فبحث ملك الروم إليه بقلنسوة وقال : ضمها على رأسك يذهب صدامك ، فخشى أن تكون مكيدة ، فوضمها على رأس بهيمة ، فلم ير إلا خيراً ، ثم وضمها على رأس بعض أصحابه ، فلم ير إلا خيراً ، فوضمها على رأسه ، فذهب صدامه ، ففتقها فإذا فيها سبعون سطرًا هذه الآية : ( إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا ) الآية مكررة لا غير ، ورواه ابن مسافر .

وقد اتى مسلة في حصاره القسطنطينية شدة عظيمة ، وجاع المدون عندها جوعاً شديداً ، فلما ولي عمر بن عبد العزيز أرسل إليهم البريد بأمرهم بالرجوع إلى الشام . فغلب مسلة أن لا يفلح عنهم حتى يبيعوا له جاماً كبيراً بالقسطنطينية ؛ فبنوا له جاماً ومنارة ، فهو بها إلى الآن يصل فيه المدون الجملة والجماعة . قلت : وهي آخر ما بفتح المدون قبل خروج الدجال في آخر الزمان ، كما سنورده في الملاحم والفتن من كتابنا هذا إن شاء الله . ونذكر الأحاديث الواردة في ذلك هناك . وبالجملة كانت مسلة مواقف مشهورة ، ومسامي مشكورة ، وغزوات قتالية

منشورة . وقد افتتح حصونا وقلاعاً ، وأحيا بزمه قصوراً وبقاعاً . وكان في زمانه في الفنون  
 نظير خالد بن الوليد في أيامه ؛ في كثرة معازيه ، وكثرة فحوه ، وقوة مزجه ، وشدة بأسه ،  
 وجودة تصرفه في نقضه وإبرامه ، وهذا مع الكرم والفضاحة . وقال يوماً لخصيب الشاعر : ساقى .  
 قال : لا قال : ولم ؟ قال : لأن كنفك بالجزيل أكثر من مدائق اللسان فأعطاه ألف دينار .  
 وقال أيضاً : « الأنبياء لا يقتلون كما يقتل الناس »<sup>(١)</sup> ما ناب نبي قط ، وقد أوصى بثلاث ماله  
 لأهل الأدب . وقال : إنهما صنعة جُفِفت<sup>(٢)</sup> أهلهما . وقال الوليد بن مسلم وغيره : توفي يوم  
 الأربعاء لسبع مضين من الحرم سنة إحدى وعشرين ومائة . وقيل : في سنة عشرين ومائة .  
 وكانت وفاته بعوض يقال له : الخانوت . وقد رثاه بعضهم - وهو ابن أخيه الوليد بن يزيد  
 ابن عبد الملك - فقال :

أقول وما لبدي إلا الردى أسلم لا تيمم من مصله  
 فقد كنت نوراً لنا في البلاد مضياً فقد أصبحت مظله  
 ونسكتم موتك نخشى اليقين فأبدي اليقين لنا الجُدُجُته

نير بن قيس الأحمري - قاضي دمشق ، تابعي جليل . روى عن حذيفة مرسل ،  
 وأبي موسى مرسل ، وأبي الدرداء ، وعن معاوية مرسل ، وغير واحد من التابعين . وحديث  
 عنه جماعة كثيرون ؛ منهم : الأزاعي ، وسعيد بن عبد العزيز ، ويحيى بن الحارث الدقماري .  
 ولام هشام بن عبد الملك القضاء بدمشق بيد عبد الرحمن بن الخشاش النخعي ، ثم استغنى  
 هشاماً ، ففناه وولى مكانه يزيد بن عبد الرحمن بن أبي ملك .

وكان نير هذا لا يحكم باليمين مع الشاهد ، وكان يقول : الأدب من الآباء ، والصلاح  
 من الله . قال غير واحد : توفي سنة إحدى وعشرين ومائة . وقيل : سنة ثنتين وعشرين ومائة  
 وقيل : سنة خمس عشرة ومائة ، وهو غريب ، والله سبحانه أعلم

ثم دخلت سنة ثنتين وعشرين ومائة

فيها : كان مقتل زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب . وكان سبب ذلك : أنه  
 لما أخذ البيعة عن أبيه من أهل الكوفة ، أمر في أول هذه السنة بالخروجه والتأهب له ،

(١) أي : لا يبدون أنفسهم أفضل من غيرهم وسادة عليهم . (٢) أي أهملوا وأبدوا عن المنهج .

فصرعوا في أخذ الأوبة لذلك ، فانطلق رجل يقال له : سليمان بن سراقه إلى يوسف بن عمر نائب العراق ، فأخبره - وهو بالحيرة يومئذ - خبر زيد بن علي هذا ، ومن معه من أهل الكوفة ، فبحث يوسف بن عمر بطلابه وبلغ في طلبه ، فلما علمت الشيعة ذلك ، احتشروا عند زيد بن علي فقالوا له : ما قولك - برحمتك الله - في أبي بكر وعمر ؟ فقال : غفر الله لهما ، ما سمعت أحداً من أهل بيتي يبرأ منهما ، وأنا لا أقول فيهما إلا خيراً ، قالوا : فلم نطلب إذا بدم أهل البيت ؟ فقال : إنا كنا أحق الناس بهذا الأمر ، ولكن القوم استأثروا علينا به ودفنونا عنه ، ولم يبلغ ذلك عندناهم ككفر ، قد أولوا فمدلوا ، وهملوا بالكتاب والسنة . قالوا : فلم نقاتل هؤلاء ؟ قال : إن هؤلاء ليسوا كأولئك ؛ إن هؤلاء ظلموا الناس وظلموا أنفسهم ، وإن أدعوا إلى كتاب الله وسنة نبيه ﷺ ، وإحياء السنن ، وإقامة البدع ، فإن سمعوا يكن خيراً لكم ولي ، وإن تأبوا غلبت عليكم بوكيل . فرفضوه وانصرفوا عنه ، ونقضوا بيعته وتركوه ، فلهاذ سموا الرافضة من يومئذ ، ومن تابه من الناس على قوله - سموا الزيدية ، وغالب أهل الكوفة منهم رافضة ، وغالب أهل مكة إلى اليوم على مذهب الزيدية ، وفي مذهبهم حق ، وهو : تعديل الشيخين ، وباطل وهو : اعتقاد تقديم علي عليهما ، وليس علي مقدماً عليهما ، بل ولا عثمان على أصح قول أهل السنة الثابتة ، والآثار الصحيحة الثابتة عن الصحابة ، وقد ذكرنا ذلك في سيرة أبي بكر وعمر فيما تقدم . ثم إن زيداً عزم على الخروج عن بقي معه من أصحابه ، فواعدهم ليلة الأربعاء من شهر صفر من هذه السنة <sup>(١)</sup> ، فبلغ ذلك يوسف بن عمر ، فكتب إلى نائبه على الكوفة - وهو الحكم ابن الصلت - بأمره بجمع الناس كلهم في المسجد الجامع .

فجمع الناس لذلك في يوم الثلاثاء سابع الحرم ، قبل خروج زيد بيوم ، وخروج ليلة الأربعاء في رد شديد ، ورفع أصحابه النيران ، وجعلوا ينادون يا منصور <sup>(٢)</sup> يا منصور ، فلما طلع الفجر ، إذا قد اجتمع معه مائتان وثمانية عشر رجلاً . فجعل زيد يقول : سبحان الله ! أين الناس ؟ فقيل : هم في المسجد محصورون . وكتب الحكم إلى يوسف بن علي بمزجوع زيد بن علي ، فبعث إليه مربية إلى الكوفة ، وركبت الجيوش مع نائب الكوفة ، وجاء يوسف بن عمر أيضاً في طائفة كبيرة من الناس ، فالتقى بمن معه جرثومة منهم ، فيهن خمسمائة فارس ، ثم أتى الكتائب فجعل على جمع من أهل الشام فهزمهم ، ثم اجتاز بيوسف بن عمر وهو واقف فوق تل ، وزيد في مائتي فارس ، ولم يقصد يوسف بن عمر قتله ، ولكن أخذ ذات اليمين ، وكلما أتى طائفة هزمهم ، وجعل أصحابه ينادون : يا أهل الكوفة ! اخرجوا إلى الدين والعرز والدين ، فإنكم لستم في دين ولا عر ولا دنيا . ثم لما أسوا انضاف إليه جماعة من أهل الكوفة ، وقد قتل بعض أصحابه في أول يوم ،

فذا كان اليوم الثاني اقتتل هو وطاقفة من أهل الشام ، فقتل منهم سبعين رجلا ، وانصرفوا عنه بشر حال ، وأمسوا ، فبأ يوسف بن عمر جيشه جلدًا ، ثم أصبحوا فالتقوا مع زيد ، ففكشتمهم حتى أخرجهم إلى السبخة ، ثم شد عليهم حتى أخرجهم إلى بني سليم ، ثم تبعهم في خيله ورجله حتى أخذوا على المسناة ، ثم اقتتلوا هناك قتالا شديداً جلدًا ، حتى كان جناح الليل رمى زيد بسهم ، فأصاب جانب جبهته اليسرى ، فوصل إلى دماغه ، فخرج ورجع أصحابه ، ولا يقن أهل الشام أنهم رجموا إلا لأجل الماء والليل ، وأدخل زيد في دار في سكة البرد ، وجى بطبيب ، فانزع ذلك السم من جبهته ، فاعدا أن انتزعه حتى مات من ساعته ، وحده الله .

فاختلف أصحابه : أين يدفونه ؟ فقال بعضهم : ألبسوه درعه وألقوه في الماء . وقال بعضهم : احتزوا رأسه وارتكوا جثته في القتل . فقال ابنه : لا والله ! لا تأكل ألى السكلاب . وقال بعضهم : ادفنوه في العباسية . وقال بعضهم : ادفنوه في الحفرة التي يؤخذ منها الطين . ففعلوا ذلك ، وأجروا على قبره الماء اثلاً يعرف ، وانقتل أصحابه حيث لم يبق لهم رأس يقانلون به ، فما أصبح القبر ولم قاعة ينهضون بها ، وتقع يوسف بن عمر الجرحى ، هل يجد زيداً بينهم ؟ وجاء مولى زيد سدي قد شهد دفنه ، فدل على قبره ، فأخذ من قبره . فأمر يوسف بن عمر بصلبه على خشبة بالسكناسة ، ومنه نصر بن خزيمه ، ومعاوية بن إسحاق بن زيد بن حارثة الأنصاري ، وزاد التهدي . ويقال : إن زيداً مكث مصلوباً أربع سنين ، ثم أزل بعد ذلك وأحرق ، والله أعلم .

وقد ذكر أبو جعفر ، ابن جرير الطبري : أن يوسف بن عمر لم يعلم بشئ من ذلك ، حتى كتب له هشام بن عبد الملك : إنك لناقل ، وإن زيد بن علي غارز ذنبه بالسكوفة ببائع له ، فألح عليه ، وأعطاه الأمان ، وإن لم يقبل فقائله ، فطلبه يوسف حتى كان من أمره ما تقدم . فلما ظهر على قبره حز رأسه ، وبهته إلى هشام . وقام من يده الوليد بن يزيد ، فأمر به فأنزله وحرق في أيام قبيح الله الوليد بن يزيد . فأما ابنه يحيى بن زيد بن علي ، فاستجار بمبدل لك بن بشر ابن مروان ، فبست إليه يوسف بن عمر يتهدده حتى يحضره ، فقال له عبد الملك بن بشر : ما كنت لأوى مثل هذا الرجل وهو عدونا وابن عدونا . فصدقه يوسف بن عمر في ذلك ، ولما هدأ الطلب عنه سيره إلى خراسان ، فخرج يحيى بن زيد في جماعة من الزيدية إلى خراسان ، فأقاموا بها هذه اللدة .

قال أبو مخنف : ولما قتل زيد ، خطب يوسف بن عمر أهل الكوفة قهقرياً ونوهدهم وشتمهم وقال لم فيما قال : والله لقد استأذنت أمير المؤمنين في قتل خلق منك ، ولو أننى لقتلت مقاتلكم ، وسبيت ذراريكم ، وما صمدت لهذا القبر إلا لأصمكم ما تنكروهن .

قال ابن جرير : وفي هذه السنة قتل عبد الله البطل في جماعة من المسلمين بأرض الروم ، ولم يزد ابن جرير على هذا ، وقد ذكر هذا الرجل ابن عساكر في تاريخه الكبير فقال :

عبد الله أبو يحيى المعروف بالبطل : كان ينزل إيطاكية ، حكى عنه أبو مروان الأنطاكي ، ثم روى بإسناده : أن عبد الملك بن مروان حين عقد لابنه مسلمة على غزو بلاد الروم ، وتلى على رؤساء أهل الجزيرة والشام - البطل ، وقال لابنه : سيّره على طلائعك ، وأمره فليمس بالليل العسكر ، فإنه أمين ثقة ، مقدام شجاع . وخرج معهم عبد الملك بشيعهم إلى باب دمشق . قال : قد قدم مسلمة البطل على عشرة آلاف يكوون بين يديه ترساً من الروم أن يصلوا إلى جيش المسلمين . قال محمد بن حازم الحمصي : ثنا الوليد بن مسلمة ، حدثني أبو مروان - شيخ من أهل إيطاكية - قال : كنت أغازي مع البطل وقد أوطأ الروم ذلاً ، قال البطل : فأتني بمضى ولاية بني أمية عن أحب ما كان من أمري في منازل فيهم ، فقلت له : خرجت في سرية ليلاً فدفعتنا إلى قرية فقلت لأصحابي : أرخوا لجم خيلكم ، ولا تحركوا أحداً بقتل ولا بشيء حتى تستمكثوا من القرية ومن سكانها ، فقموا وافترقوا في أزقتها ، فدفعت في أناس من أصحابي إلى بيت يزهر سراج ، وإذا امرأة نسكت ابنها من بكائه ، وهي تقول له : لتسكتن أو لأدفعنك إلى البطل يذهب بك ، وانقلته من سريره وقالت : خذ به البطل ، قال : فأخذته .

وروى محمد بن حازم عن الوليد بن مسلم ، عن أبي مروان الأنطاكي عن البطل قال : انقردت مرة ليس معي أحد من الجند ، وقد سملت<sup>(١)</sup> خلقى مخلاة فيها شعير ، ومعى متدبل فيه خير وشواء<sup>(٢)</sup> ، فبينما أنا أسير اهل ألقى أحداً منفرداً ، أو أطلع على خير ، إذا أنا بيستان فيه يقول حسنة ، فبزلت وأكلت من ذلك البقل والخبز والشواء مع البقل ، فأخذني إسهال عظيم فقت منه مراراً ، فنفثت أن أضف من كثرة الإسهال ، فركبت فرسي والإسهال مستمر على حاله ، وجملت أخشى إن أنا نزلت عن فرسي أن أضف من الركوب ، وأفرط في الإسهال في السير حتى خشيت أن أسقط من الضعف ، فأخذت بعتان فرسي ونمت على وجهي لا أدري أين يسير الفرس بي ، فلم أشعر إلا بقرع نماله على بلاط ، فأرضع رأسي فإذا دبر ، وإذا قد خرج منه نسوة حمبة امرأة حضاء جميلة جداً ، فجملت تقول بلسانها : أنزله ، فأنزلتني ففسلت عن ثيابي وسرجي وفرسي ،

ووضعتني على سرير وعن لي طعاماً وشرباً ، فكنت يوماً وليلة مستولياً<sup>(١)</sup> ، ثم أقت بقية ثلاثة أيام حتى ترد إلى حالي .

فبينما أنا كذلك إذ أقبل البطريق وهو يريد أن يترجمها ، فأمرت بفرسي لحول وعاقى على الباب الذي أنا فيه ، وإذا هو بطريق كبير فيهم ، وهو إذا جاء نططبتها ، فأخبره من كان هناك بأن هذا البيت فيه رجل وله فرس ، فهمم بالهجوم على فتحة الراء من ذلك ، وأرسلت تقول له : إن فتحة عليه الباب لم أقص حاجته ، فتناف ذلك من الهجوم على ، وأقام البطريق إلى آخر النهار في ضيقاتهم ، ثم ركب فرسه وركب معه أصحابه وأطلق .

قال البطال : فنهضت في أثرهم فبعت أن تمنني خوفاً على مهم فلم أقبل ، وسقت حتى لحقتهم ، فحملت عليه فانفرج عنه أصحابه ، وأراد القرار فاصفته فضربت عنقه واسلبته وأخذت رأسه مسطاً على فرسي ، ورجعت إلى الدبر ، ونزجت إلى ووقفت بين يدي ، فقلت : اركبن ، فركبن ما هنالك من الدواب وسقت بهن حتى أتيت أمير الجيوش فقدمتهن إليه ، فنفأى ما شئت منهن ، فأخذت تلك المرأة الحسنة بيديها ، فهي أم أولادي . والبطريق في أنة الروم عبارة عن الأمير الكبير فيهم ، وكان أبوها بطريقاً كبيراً فيهم - يعني تلك المرأة - وكان البطال بعد ذلك يكتب أباهاً وسهاديه .

وذكر أن عبد الملك بن مروان لما ولاه الصيصة، بعث البطال سرية إلى أرض الروم ، فغاب عنه خبرها فلما بدوا ما صنعوا ، فركب بنفسه وحده على فرس له ، وسار حتى وصل حمورية ، فطرق بابها ليلاً فقال له البواب : من هذا ؟ قال البطال : فقلت : أنا سيف الملك ورسوله إلى البطريق ، فأخذني طريقاً إليه ، فلما دخلت عليه إذا هو جالس على سرير فجلست معه على السرير إلى جانبه ، ثم قالت له : إن قد جئتكم في رسالة فر هؤلاء فلينهروا ، فأمر من عنده فذهبوا . قال : ثم قام فأغلق باب الكنيسة على وعليه ، ثم جاء فجلس مكانه ، فاختطت سيفي وضربت به رأسه صفعاً وقلت له : أنا البطال فأصدقني عن الدرية التي أرسلتها إلى بلادك وإلا ضربت عنقك الساعة ، فأخبرني ما خبرها . قال : هم في بلادى ينتهبون ما تنهبهم ، وهذا كتاب قد جادني بخبر أسهم في وادي كذا وكذا ، والله لقد صدقتك . فقلت : هات الأمان ، فأعطاني الأمان ، فقلت : ابني طعام ، فأمر أصحابه فجاءوا بطعام فوضع لي ، فأكلت ففتمت لأتصرف فقال لأصحابه : أرحوا بين يدي رسول الملك ، فانطلقوا يشادون بين يدي ، وانطلقت إلى ذلك الوادي الذي ذكر فإذا أصحابي هناك ، فأخذتهم ورجعت إلى الصيصة . فهذا أغرب ما جرى .

قال الوليد : وأخبرني بعض شيوخنا ، أنه رأى البطال وهو قاتل من حجته ، وكان قد شغل

بالجهاد عن الحج ، وكان يسأل الله دائماً الحج ثم الشهادة ، فلم يتمكن من حصة الإسلام إلا في السنة التي استشهد فيها - رحمه الله تعالى - وكان سبب شهادته ، أن « ليون » ملك الروم خرج من القسطنطينية في مائة ألف فارس ، فبث البطارق - القى البطال متزوج بانيته التي ذكرنا أمرها - إلى البطال يخبره بذلك ، فأخبر البطال أمير عساكر المسلمين بذلك - وكان الأمير مالك بن شبيب - وقال له : الصلابة تقتضى أن تتحصن في مدينة حران ، ففككون بها حتى يقدم علينا ساجان بن هشام في الجيوش الإسلامية ، فأبى عليه ذلك ودعمهم الجيش ، فاقبلوا قتالا شديداً والأبطال نحموم بين يدي البطال ولا يتعاسر أحد أن ينوء باسمه خوفاً عليه من الروم ، فاتفق أن ناداه بعضهم وذكر اسمه غلطاً منه ، فلما سمع ذلك فرسان الروم حلوا عليه حملة واحدة ، فاقبلوه من سرجه برماحهم فألقوه إلى الأرض ، ورأى الناس يقتلون ويأسرون ، وقتل الأمير الكبير مالك بن شبيب ، وانكسر المسلمون وانطلقوا إلى تلك المدينة اغتراب فتجمعوا فيها ، وأصبح « ليون » فوقف على مكان للمركبة فإذا البطال بأخر رمق ، فقال له « ليون » : ما هذا يا أبا يحيى ؟ فقال : هكذا تقتل الأبطال ، فاستدعى ليون بالأطباء ليدأوه فإذا جراحه قد وصلت إلى مثاقفه ، فقال « ليون » : هل من حاجة يا أبا يحيى ؟ قال : نعم ، فأمر من مملك من المسلمين أن يوا غسلي والصلاة على ودفي ، ففعل الملك ذلك ، وأطلق لأجل ذلك أولئك الأسارى ، وانطلق ليون إلى جيش المسلمين الذين تحصنوا لحاصرهم ، فبينما هم في تلك الشدة والمحصار - إذ جاءتهم البرد بتقدم ساجان بن هشام في الجيوش الإسلامية ، ففر « ليون » في جيشه الخبيث هارماً راجعاً إلى بلاده ، فبعه الله ، فدخل القسطنطينية وتحصن بها .

قال خليفة بن خياط : كانت وفاة البطال ومثله أرض الروم في سنة إحدى وعشرين ومائة ، وقال ابن جرير : في سنة ثنتين وعشرين ومائة ، وقال ابن حسان الزبدي : قتل في سنة ثلاث عشرة ومائة ، قيل : - وقد قاله غيره - إنه قتل هو والأمير عبد الوهاب بن بخت في ثلاث عشرة ومائة - كما ذكرنا ذلك ، فافقه أعلم . ولكن ابن جرير لم يؤرخ وفاته إلا في هذه السنة ، فافقه أعلم .

قلت : فهذا ملخص ابن عساكر في ترجمة البطال مع تفصيله الأخبار وإطلاعه عليها . وأما ما يذكره العامة من البطال من الليرة النسوبة إلى دلمة والبطال ، والأمير عبد الوهاب ، والتاضي عتبة بن فكذب واقتراء وضع بارد ، وجبل ونحيط فالحش ، لا يروج ذلك إلا على غي أو جاهل ردى . كما يروج عليهم سيرة عنترة العبسي المكذوبة ، وكذلك سيرة البكرى والذئف ، وغير ذلك . ولا يكذب القتل في سيرة البكرى أشد إثمًا وأعظم جرماً من غيرها ؛ لأن واضعها

يدخل في قول النبي ﷺ : « من كذب على متعمداً فليقتلوا » مقدمه من النار . وعن ثوبان في هذه السنة من الأعيان :

إياس الذي : وهو إياس بن معاوية بن مرة بن إياس بن هلال بن رباب بن عبيد بن دريد بن أوس بن سواه بن عمرو بن سارية بن ثعلبة بن ذئب بن ثعلبة بن أوس بن ثمان بن عمرو بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان . هكذا نسبته خليفة بن خياط ، وقيل : غير ذلك في نسبه ، وهو أرو واثق اللزني قاضي البصرة ، وهو نابي وجليه محبة ، وكان يضرب للنمل يدكائه . روى عن أبيه عن جده مرفوعاً في الحياء : عن أنس وسعيد بن جبير ، وسعيد بن المسيب ونافع وأبي حمزة . ومنه الجادان وشعبة والأصمعي وفهرم . قال عنه محمد بن سيرين : إنه أقدمهم . إنه أتاه . وقال محمد بن سعد والجليل وابن معين والنسائي ثقة . زاد ابن سعد : وكان عاقلاً من الرجال فطنا . وزاد الجليل : وكان قتيماً عفيفاً وقدم دمشق في أيام عبد الملك بن مروان ، ووفد على عمر بن عبد العزيز ، ومرة أخرى حين عزله عدي بن أرطاة عن قضاء البصرة .

قال أبو عبيدة وغيره : تحاكم إياس وهو صبي شاب ، وشيخ - إلى قاضي عبد الملك بن مروان بدمشق ، فقال له القاضي : إنه شيخ وأنت شاب فلا تساوه في الكلام ، فقال إياس : إن كان كبيراً فالحق أكبر منه ، فقال له القاضي : اسكت ، فقال : ومن يتكلم بحقي إذا سكبت ؟ فقال القاضي : ما أحسبك تنطق بحقي في مجلسي هذا حتى تقوم ، فقال إياس : أشهد أن لا إله إلا الله . زاد غيره فقال القاضي : ما أغفلك إلا لئلا يسأله ، فقال : ما على ظن القاضي خرجت من منزلي ، فقام القاضي فدخل على عبد الملك فأخبره خبره ، فقتل : اقتض حاجته وأخرج له الساعة من دمشق لا يفسد على الناس .

وقال بعضهم : لما عزله عدي بن أرطاة عن قضاء البصرة - فرّ منه إلى عمر بن عبد العزيز فوجده قد مات ، فكان يجلس في حانة جايص دمشق ، فتكلم رجل من بني أمية فرد عليه إياس ، فأغفل له الأموي فقام إياس ، فقيل للأموي : هذا إياس بن معاوية اللزني ، فلما عاد من الند اعتذر له الأموي وقال : لم أعرفك ، وقد جلست إلينا بشباب السوقة ، وكنتنا بكلام الأشراف فلم نحتمل ذلك .

وقال يعقوب بن سفيان : حدثنا نعيم بن حاد ، ثنا ضمرة عن أبي شاذب قال : كان يقال : يؤلف في كل مائة سنة رجل تام العقل ، فكانوا يرون أن إياس بن معاوية منهم . وقال الجليل : دخل على إياس ثلاث نساء ، فلما رآهن قال : أما إحداهن فريض ، والأخرى بكر ، والأخرى



ثيب ، فقيل له : بم قلت هذا ؟ قال : أما للرضع فكلما قمدت أمسكت تديها بيدها ، وأما  
البكر فكلما دخلت لم تلتفت إلى أحد ، وأما الثيب فكلما دخلت نظرت ورمت بيدها .  
وقال يونس بن صليب : ثنا الأخنف بن حكيم بأصبهان ، ثنا حماد بن سلمة ، سمعت إياس بن  
معاوية يقول : أعراف الآية التي ولدت فيها ؛ وضعت أُمِّي على رأسي جفنة . وقال للداني : قال  
إياس بن معاوية لأُمِّه : ما شيء سمعته وأنت حملي بي وله جلبة شديدة ؟ قالت : ذاك طست  
من نحاس سقط من فوق الدار إلى أسفل ، ففزعته فوضعتك تلك الساعة .

وقال أبو بكر الخراساني عن عمر بن شبة الزهري قال : بلغني أن إياساً قال : ما يسرني أن  
أكذب كذبة يطعم عليها أبي معاوية . وقال : ما علمت أحداً من أهل الأهواء يقول هذه إلا  
القدرية<sup>(١)</sup> ، قلت لهم : أخبروني من الظلم ما هو ؟ قالوا : أخذ الإنسان ما ليس له ، قلت : فلن الله له  
كل شيء . قال بعضهم من إياس قال : كنت في الكتاب وأنا صبي فجعل أولاد النصارى  
يضعكون من اللطم ، ويقولون : إنهم يزعمون أنه لا فضة لطعام أهل الجنة ، قلت  
للقتيبي - وكان نصرانياً - : أنت تزعم أن في الطعام ما يتصرف في غداة البدين ؟ قال :  
بلى ، قلت : فما يدكر أن يحمل الله طعام أهل الجنة كله غداً لأبدانهم ؟ فقال له معله :  
ما أنت إلا شيطان .

وهذا الذي قاله إياس وهو صبي يفتق ، قد ورد به الحديث الصحيح كالحديث الذي رواه الله  
في أهل الجنة : أن طعامهم يتصرف يشاء وعرفاً كالكسك ، فإذا البطن خامر . وقال سفيان :  
وحين قدم إياس واسط جاءه ابن شبرمة بمسائل قد أعدها ، فقال له : أناضلي أن أسألك ؟ قال :  
سل ، وقد ارتيت حين استأذنت ، فسأله من سبيلين مسألة يجيبه فيها ، ولم يجفها إلا في أربع  
مسائل ، رده إياس إلى قوله ، ثم قال له إياس : أنقرأ القرآن ؟ قال : نعم ؛ قال : أنحفظ قوله :  
(الْيَوْمَ أَكُنْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ)<sup>(٢)</sup> ؟ قال : نعم ؛ قال : وما قبلها وما بعدها ؟ قال : نعم ؛  
قال : فهل أثبت هذه الآية لآل شبرمة وأيا ؟

وقال عباس بن يحيى بن معين : حدثنا سعيد بن عامر بن عمر بن علي قال : قال رجل لإياس  
ابن معاوية : يا أبا واثق ! حتى متى يبق الناس ؟ وحتى متى يتوالد الناس ويموتون ؟ فقال لجلسائه :  
أجيبوه ، فلم يكن عندهم جواب ، فقال إياس : حتى تتكامل المدن ؛ حدث أهل الجنة ، وحدث  
أهل النار .

وقال بعضهم : أكثرى إبليس بن معاوية من الشام قاصداً الحج ، فركب معه في الحارة<sup>(١)</sup> غيلان القدرى ، ولا يعرف أحدهما صاحبه ، فركبنا ثلاثاً لا يكلم أحدهما الآخر ، فلما كان بعد ثلاث نحاًنا فتمارفاً ، ونجيب كل واحد منهما من اجتماعه مع صاحبه ، أبانة ما بينهما في الاعتقاد في القدر ، فقال له إبليس : هؤلاء أهل الجنة يقولون حين يدخلون الجنة : ( الحمد لله الذى هدانا لهذا ) ، فكنا نتبعهم لولا أن هدانا الله<sup>(٢)</sup> ، ويقول أهل النار : ( ربنا غلبت قلوبنا ) ، ونقول لللائكة : ( سبحنا لك ) ، لا علم لنا إلا ما علمتنا<sup>(٣)</sup> ، ثم ذكر له من أشعار العرب وأمثال المعجم ما فيه إثبات القدر . ثم اجتمع مرة أخرى إبليس وغيلان عند عمر بن عبد العزيز ، فانظر بينهما قهقهة إبليس ، وما زال يحصره في الكلام حتى اعترف غيلان بالجز وأظهر التوبة ، فدعا عليه عمر بن عبد العزيز إن كان كاذباً ، فاستجاب الله منه فأمكن من غيلان فقتل وصلب بعد ذلك ، والله الحد والملة .

ومن كلام إبليس الحسن : لأن يكون في فعال الرجل أفضل عن مقالته خيراً من أن يكون في مقالته فضل عن فعاله . وقال سفيان بن حسين : ذكرت رجلاً بسوء عند إبليس بن معاوية ، فنظر في وجهي وقال : أغضوت الروم ؟ قلت : لا . قال : السند والمند والترك ؟ قلت : لا . قال : أفدلم منك الروم والسند والمند والترك ولم يعلم منك أخوك المسلم ؟ قال : فلم أعد بعدها . وقال الأصمعي عن أبيه : رأيت إبليس بن معاوية في بيت ثابت البناني ، وإذا هو أحر طويلاً القراع غليظ الثياب ، بلون حمامته ، وهو قد غلب على الكلام فلا يتكلم معه أحد إلا علاه ، وقد قال له بعضهم : أبليس فيك عيب سوى كثرة كلامك ، فقال : بحق أنسكلم أم يباطل ؟ فتبيل : بل بحق ، فقال : كما أكثر الحق فهو حذر . ولامه بعضهم في إباحته الثياب الناعمة فقال : إنما أبليس ثوبا يخدمني ولا أبليس ثوبا أخذه . وقال الأصمعي : قال إبليس بن معاوية : إن أشرف خصال الرجل صدق اللسان ، ومن عدم فضيلة الصدق فقد نجح بأكرم أخلاقه . وقال بعضهم : سأل رجل إبليساً عن التنديد فقال : هو حرام . فقال الرجل : فأخبرني عن الماء ، فقال : حلال . قال : فالسكور<sup>(٤)</sup> ، قال : حلال ، قال : فالنرم قال : حلال ، قال فما باله إذا اجتمع حرم ؟ قال إبليس : أرايت لو رميتك بهذه الخفنة من القرب أنوبجك ؟ قال : لا ، قال : فهذه الخفنة من التنين ؟ قال : لا توجبني ، قال : فهذه العرفة من الوء ؟ قال : لا توجبني شيئاً ، قال : فأرايت إن خلطت هذا بهذا وهذا بهذا حتى صار طيناً ثم تركته حتى استعصر ثم رميتك أبوجبك ؟ قال : إى والله وتفتنى ، قال : فكذلك تلك الأشياء لو اجتمعت .

(١) الحارة : رأس الورك الذى يدور فيه الفخذ . (٢) من الآية : ٤٣ من - سورة الأعراف .

(٣) من الآية : ١٠٦ من سورة المؤمنون . (٤) من الآية : ٣٣ من سورة البقرة .

(٥) جمع كبر وهو المظالم ليس عليه كثير لحم ، والله اكبر بالتحريك وهو الصدق إذا أكل ما عليه والحق .

وقال المدائني : بعث عمر بن عبد العزيز عدى ابن أرقطاة على البصرة نائباً ، وأمره أن يحصر بين إياس والقاسم بن ربيعة الجوثي ، فأيهما كان أقته فليوله القضاء ، فقال إياس وهو جريد أن لا يقول : أيها الرجل : سل فبهي البصرة ، الحسن وابن سيرين ، وكان إياس لا يأتيهما ، فعرف القاسم أنه إن سألهما أشارا به - بمعنى بالقاسم - لأنه كان يأتيهما ، فقال القاسم لعدى : والله الذي لا إله إلا هو إن إياساً أفضل مني وأقرب مني ، وأعلم بالقضاء ، فإن كنت صادقاً فقله ، وإن كنت كاذباً فإني أن تولى كاذباً القضاء . فقال إياس : هذا رجل أوقف على شفيوه جهنم فاعتدى منها بيمين كاذبة يستغفر الله ، فقال عدى : أما إذ فطنت إلى هذا فقد وابتك القضاء ، فكنت سنة يفصل بين الناس ويصلح بينهم ، وإذا تدبر له الحق حكم به . ثم حرب إلى عمر بن عبد العزيز بدمشق فاستغناه القضاء ، فولى عدى بعده الحسن البصري .

قالوا : لما تولى إياس القضاء بالبصرة فرح به العلماء حتى قال أبو ب : لقد ردها بحجرها ، وجاءه الحسن وابن سيرين فسلموا عليه ، فبكى إياس وذكر الحديث « القضاء ثلاثة ، قاضون في النار وواحد في الجنة » فقال الحسن ( وداود وشايبان إذ يتحكما في الأمر ) إلى قوله ( وكلاً آتينا حكمًا وعدلاً )<sup>(١)</sup> قالوا : ثم جلس للناس في المسجد واجتمع عليه الناس للنصومات ، فقام حتى فصل سبعين قضية ، حتى كان يشبه شريح القاضي . وروى أنه كان إذا أشكل عليه شيء بعث إلى محمد بن سيرين فسأله منه . وقال إياس : إني لأكلم الناس بنصف عقلي ، فإذا اختصم إلي اثنان جئت لهما على كل واحد وقال له رجل : إنك تتعجب رأيتك ، فقال : لو لا ذلك لم أقص به . وقال له آخر : إن عليك خذلاً لا تصحى ، فقال : ما هي ؟ فقال : تحكم قبل أن تفهم ، ولا تجالس كل أحد ، وليس الثياب المليظة . فقال له : أيهما أكره ؟ الثلاثة أو الاثنان ؟ قال : الثلاثة . فقال : ما أسرع ما فهمت وأجبت ، فقال : أو يجهل هذا أحد ؟ فقال : وكذلك ما أحكم أنا به ، وأما عبالق ليكل أحد ، فلأن أجلس مع من يعرف لي قدرى - أحب إلى من أن أجلس مع من لا يعرف لي قدرى . وأما الثياب الملائمة فأننا ألبس منها ما بقي لا ما أتىه أنا .

قالوا ، وتحاكم إليه اثنان فادعى أحدهما عند الآخر مالا ، وحده الآخر ، فقال إياس للودع : أين أودعته ؟ قال : عند شجرة في بيتان ، فقال : انطلق إليها ففقت عندها املاك تذكر ، وفي رواية أنه قال له : هل نستطيع أن نذهب إليها فنأخذ بورك منها ؟ قال : نعم ! قال

فانطلق ، وجلس الآخر فحمل إياس يحكم بين الناس . ويلاحظه ، ثم استدعاه فقال له : أوصل صاحبك بيد إلى السكان ؟ فقال : لا - بعد أصابك الله . فقال له : قم يا عدو الله فأد إليه حقه ، وإلا جعلتك نكالا . وجاء ذلك الرجل فقام معه فدفع إليه وديته بكالها . وجاء آخر فقال له : إني أودعت عند فلان مالا وقد جعدني ، فقال له : اذهب الآن واتق غدا ، وبست من فوره إلى ذلك الرجل الجاحد فقال له : إني قد اجتمع عندنا ههنا مال فلم تر له أمينا فضمه عنده إلا أنت فضمه عندك في مكان حرير . فقال له : سمعا وطاعة ، فقال له : اذهب الآن واتق غدا ، وأصيح ذلك الرجل صاحب الحق فجاء فقال له : يا أذهب الآن إني قتل له : أعطني حقي وإلا ردتك إلى القاضي ، فقال له ذلك تخاف أن لا يودع إذا سمع الحاكم خبره ، فدفع إليه ماله بكاله ، فجاء إلى إياس فأعلمه ، ثم جاء ذلك الرجل من القدر وجاء أن يودع فانتهره إياس وطرده وقال له : أنت خائن . ونحنا كم إليه اثنتان في جارية قاذي للشرى أنها ضميقة للمقل ، فقال لها إياس : أي رجليك أطول ؟ قالت : هذه ، فقال لها : أتذكرين ليلة وموت ؟ فقلت نعم . فقال فباتع ردود .

وروي ابن عساكر ، أن إياس سمع صوت امرأة من بيتها فقال : هذه امرأة حامل بصبي ، فذا وموت وموت كما قال ، فستل بم عرفت ذلك ؟ قال : سمعت صوتها ونفسها معه فسلت أنها حامل ، وفي صوتها ضعل <sup>(١)</sup> فسلت أنه غلام . قالوا : ثم مر يوما ببعض المكاتب فلذا صي هناك فقال : إن كنت أدري شيئا فهذا الصبي ابن تلك المرأة ، فإذا هو ابنا . وقال مالك بن الزهرى عن أبي بكر قال : شهد رجل عند إياس فقال له : ما اسمك ؟ فقال أبو الحنفى فلم يقبل فغاده . وقال الزهرى عن الأعمش : دعوني إلى إياس فإذا رجل كالفرغ من حديث أخذ في آخر . وقال إياس : كل رجل لا يعرف عيب نفسه فهو أحمق ، فقيل له : ما عيبك ؟ فقال كثرة الكلام . قالوا : ولما ماتت أمه بكى عليها ، فقيل له في ذلك فقال : كان لي بابلان مفتوحان إلى الجنة ففلق أحدهما . وقال له أبوه : إن الناس يلقون أبناءهم وولدت أنا أبا .

وكن أصحابه يحسبون حوله ويكتبون منه القراسة ، فبينما هم حوله جلوس إذ نظر إلى رجل قد جاء فجلس على دكة حانوت ، وجعل كلما مر أحد ينظر إليه ، ثم قام ففطر وقهر رجل ثم جاء ، فقال لأصحابه : هذا قهه كتاب قد أتى به غلام أمور فهو يطلبه ، فقالوا إلى ذلك الرجل فأتوه فوجدوه كما قال إياس ، فقالوا لإياس : من أين عرفت ذلك ؟ فقال : لما جلس

(١) أي رقة : والضمحل : اللام الطويل على الأرض لا عمق له .

على ذكة الخانوت علت أنه ذو ولاية ، ثم نظرت فلذا هو لا يصلح إلا لفتحاه المكتب ، ثم جعل ينظر إلى كل من مر به ، ففرفت أنه فقد غلاماً ، ثم لما قام فنظر إلى وجه ذلك الرجل من الجانب الآخر ، عرفت أن غلامه أمور .

وقد أورد ابن خلكان أشياء كثيرة في ترجمته ؛ من ذلك : أنه شهد عنده رجل في بستان ، فقال له : كم عدد أشجاره ؟ فقال له : كم عدد جذوع هذا المجلس الذي أنت فيه من مدة سنتين ؟ فقلت : لا أدري ، وأفرت شهادته .

### ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين ومائة

ذكر اللدائي عن شيوخه : أن خاقان ملك الترك ، لما قتل في ولاية أسد بن عبد الله القسري على خراسان ، تفرق شمل الأتراك ، وجعل بعضهم ينير على بعض ، وبعضهم يقتل بعضاً ، حتى كادت أن تخرب بلادهم ، واشتغلوا عن المسلمين .

وفيها : سأل أهل الصفد من أمير خراسان - نصر بن سيار - أن يردم إلى بلادهم ، وسأله شروخاً أنسكرها للبلاد ؛ منها : أن لا يعاقب من ارتد منهم عن الإسلام ، ولا يؤخذ أسير المسلمين منهم ، وغير ذلك . فأراد أن يوافقهم على ذلك لشدة نكايتهم في المسلمين ، فجاب عليه الناس ذلك ؛ فكتب إلى هشام في ذلك ، فتوقف . ثم لما رأى أن هؤلاء إذا استمروا على معاندتهم للمسلمين كان ضررم أشد - أجابهم إلى ذلك . وقد بعث يوسف بن عمر أمير العراق وفداً إلى أمير المؤمنين يسأل منه أن يضم إليه نيابة خراسان ، وتكلموا في نصر بن سيار بأنه وإن كان شهماً شعباً ، إلا أنه قد كبر وضعف بصره ، فلا يعرف الرجل إلا من قريب بصوته ، وتكلموا فيه كلاماً كثيراً ، فلم يلتفت إلى ذلك هشام ، واستمر به على إمرة خراسان وولاياتها .

قال ابن جرير : وحج بالناس فيها : يزيد بن هشام بن عبد الملك ، والمال فيها من تقدم ذكرهم في التي قبلها .

وتوفي في هذه السنة : ربيعة بن يزيد القسري من أهل دمشق ، وأبو يونس سليمان بن جبير ، ومعاذ بن حرب ، ومحمد بن واسع بن حيان . وقد ذكرنا تراجمهم في كتابنا «الفكيك» . والله الحمد .

[ قال محمد بن واسع : أول من يدعى يوم القيامة إلى الحساب اقتضاه . وقال : خمس خصال تميت القلب : الذنب على الذنب . ومخالفة المولى . قبل له : ومن الموق ؟ قال : كل غنى مقرف ، وسلمان جائر ؟ وكثرة مشاققة النساء ، وحديثهن ، ومخالطة أهل .

وقال مالك بن دينار : إني لأعبط الرجل يكون ميثه كفافاً فيقنع به . فقال محمد بن واسع : أعبط منه والله عندي . من يصبح جائعاً وهو عن الله راضٍ وقال : ما آسى من الدنيا إلا على ثلاث : صاع إذا أوجعت قوتي ، وصلاة في جماعة يحمل عني سهوها وأنوز بفضلها ، وقوت من الدنيا ليس لأحد فيه منة ، ولا لله علي فيه تهمة .

وروى رواد بن الربيع قال : رأيت محمد بن واسع يسوق يزور وهو يمرض حاراً له لقيم ، فقال له رجل : أترضاه لي ؟ فقال : لو رضيت لم ألبه .

ولما نقل محمد بن واسع كثر عليه الناس في العيادة ، قال بعض أصحابه : فدخلت عليه ، فإذا قوم قعود وقوم قيام ، فقال : ماذا بُني هؤلاء عني إذا أخذ بناصيتي وقدي غداً وأهيت في النار ؟ وبثت بعض الخلفاء مالا مستكثراً إلى البصرة ليفرق في فقراء أهلها ، وأمر أن يدفع إلى محمد بن واسع منه ، فلم يقبله ، ولم يلتصق منه شيئاً . وأما مالك بن دينار فإنه قبل ما أمر له به ، واشترى به أرقاء وأعظمهم ، ولم يأخذ نفسه منه شيئاً ، فغداً محمد بن واسع يلومه على قبوله جوائز السلطان ، فقال له : يا مالك أقبلت جوائز السلاطين ؟ فقال له مالك : يا أبا عبد الله أسأل الله أن لا أملك ما إذا فعلت منه ، فقالوا له : إله اشترى به أرقاء وأعظمهم ، فقال له : سألتك بالله أأغلبك الآن لم مثل ما كان قبل أن يسلوك . فقام مالك وحني على رأسه التراب وقال : إنا بمعرف الله محمد بن واسع ، إنا مالك حار ، إنا مالك حار . وكلام محمد بن واسع كثير جداً ، رحمه الله (١) .

### ثم دخلت سنة أربع وعشرين ومائة

فيها : غزا سليمان بن هشام بن عبد الملك بلاد الروم ، فلقى ملك الروم « اليون » فقاتله ، فسلم سليمان ، وغنم . وفيها : قدم جماعة من دعاة بني العباس من بلاد خراسان - فاصدين إلى مكة ، فروا بالكوفة ، فبايعهم أن في السجن جماعة من الأمراء من نواب خالد القسري ، قد جسيم يوسف بن عمر ، فاجتمعوا بهم في السجن ، فدعاهم إلى البيعة أبي العباس ، وإذا عندهم من ذلك جانب كبير ، فقبلوا منهم . ووجدوا عندهم في السجن أبا مسلم الخراساني ، وهو إذ ذاك غلام يخدم عيسى بن مقبل العجل - وكان محبوباً - فأنجهم شهامة ، وقوته ، واستجابته مع مولاه إلى هذا الأمر ، فاشترى بكر بن ماهان منه بأربعمائة درهم ، وخرجوا به معهم ،

فاستندبه لهذا الأمر ، فكانوا لا يوجهونه إلى مكان إلا ذهب ، وفتح ما يوجهونه إليه ، ثم كان من أمره ما سنذكره ، إن شاء الله تعالى ، فيها بعد .

قال الواقدي : ومات في هذه السنة محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ، وهو الذي يدعو إليه دعاة بني العباس ، فقام مقامه ولده أبو العباس السفاح . والصحيح أنه إنما توفي في التي بعدها . قال الواقدي وأبو ميسرة : وحج بالناس فيها عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك ، ومعه أرائنه أم سلمة بنت هشام بن عبد الملك . وقيل : إنما حج بالناس محمد بن هشام بن إسماعيل ، قاله الواقدي والأول ذكره ابن جرير ، والله أعلم . وكان نائب الحجاز محمد بن هشام بن إسماعيل يقف على باب أم سلمة ، ويهدي إليها الأنطاف والتعصف ، ويمتدح إليها من التخصير ، وهي لا تلتفت إلى ذلك . ونواب البلاد هم المذكورون في التي قبلها .

وفيهما توفي :

القاسم بن أبي يزيد<sup>(١)</sup> : أبو عبد الله السكي القاري ، مولى عبد الله بن السائب ، تاسي جليل ، روى عن أبي العنبر عامر بن واثقة ، ومنه جماعة ، ووثقه الأئمة . توفي في هذه السنة على الصحيح ، وقيل : بعدها سنة . وقيل : سنة أربع عشرة . وقيل : سنة خمس عشرة ، والله أعلم .

الزهرى : محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب بن عبد الله بن الحارث بن زهرة ابن كلاب بن مرة ، أبو بكر القرشي الزهرى ، أحد الأعلام من أئمة الإسلام . تاسي جليل ، سمع غير واحد من الثقات ، وغيرهم .

روى الحافظ ابن عساكر عن الزهرى قال : أصاب أهل المدينة جهد شديد ، فارتحلت إلى دمشق ، وكان هندي موال كثيرة ، فبثت جامعي ، فجلست في أعظم حلقة ، فإذا رجل قد خرج من عند أمير المؤمنين عبد الملك ، فقال : إنه قد نزل بأمر المؤمنين مسألة . وكان قد سمع من سعيد بن المسيب فيها شيئاً ، وقد شذ عنه في أموات الأولاد برويه عن عمر بن الخطاب . فقلت : إني أحفظ عن سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب : فأخذني فأدخلني على عبد الملك ، فدأني ممن أنت ؟ فالتصبت له ، وذكرته له حاجتي ، وعيالي : فدأني : هل تحفظ القرآن ؟ قلت : نعم ، والقرائن والسنن . فدأني من ذلك كله ، فأجبت . فقصي ديني وأمر لي بمائة ، وقال لي : اطلب العلم ، فإني أرى لك ميئاً جائلة وقلباً ذكياً .

(١) في نسخة : القاسم بن أبي بسرة . وفي أخرى : القاسم بن مرة .

قال : فرجعت إلى المدينة أطلب العلم وأتبعه ، فبلغني أن امرأة عباء رأت رؤيا جميلة ، فأتيتها ، فسألتها عن ذلك ، فقالت : إن بيتي غاب وترك لنا خادما وداجنا<sup>(١)</sup> ونحويات ، نشرب من لبنها ، ونأكل من ثمرها ، فبينما أنا بين الناعة واليقظ رأيت كأن ابني الكبير - وكان مشددا<sup>(٢)</sup> - قد أقبل ، فأخذ الشفرة ، فذبح ولد الداجن ، وقال : إن هذا ضيق علينا الابن ، ثم نصب القدر وقامها ووضعها فيه ، ثم أخذ الشفرة فذبح بها أخاه - وأخوه صغير كما قد جاء - ثم استيقظت مذعورة ، فدخل ولدي الكبير ، فقال : أين الابن ؟ فقلت : يا بني اشربه ولد الداجن . فقال : إنه قد ضيق علينا الابن ، ثم أخذ الشفرة فذبحه وقطعه في القدر . فبقيت مشفقة خائفة مما رأيت . فأخذت ولدي الصغير فنييته في بعض ثيوت الجيران ، ثم أقبلت إلى اللزل وأنا مشفقة جدا مما رأيت ، فأخذتني عيني فتمت ، فرأيت في المنام قائلا يقول : مالك منشفة ؟ فقلت : إنى رأيت مناما فأنا أحذر منه . فقال : يا رؤيا يا رؤيا فأقبلت امرأة حسناء جميلة ، فقال : ما أردت إلى هذه المرأة الصالحة ؟ قالت : ما أردت إلا خيرا . ثم قال : يا أحلام ! يا أحلام ! فأقبلت امرأة دونها في الحسن والجمال ، فقال : ما أردت إلى هذه المرأة الصالحة ؟ فقالت : ما أردت إلا خيرا . ثم قال : يا أخنث ! يا أخنث ! فأقبلت امرأة سوداء شنيمة ، فقال : ما أردت إلى هذه المرأة الصالحة ؟ فقالت : إنما امرأة صالحة ! فأحييت أن أعلمها ساعة . ثم استيقظت ، فجاء ابني فوضع الطعام وقال : أين أخى ؟ فقلت : درج إلى بيوت الجيران ، فذهب ورائه ، فكأنما هدى إليه ، فأقبل به يشبه ، ثم جاء فوضه وجلسا جميعا ، فأكلنا من ذلك الطعام .

ولد الزهرى في سنة ثمان وخسين في آخر خلافة معاوية ، وكان قصيرا لليل الاحية ، له شعرات طوال ، خفيف المارضين . قالوا : وقد قرأ القرآن في نحو من ثمان وثمانين يوما ، وجالس سميد بن السيب ثمان سنين ، تيس ركبته ركبته . وكان يحكم مذهب الله من مذهب الله يستقي له الساء السالح ، ويدور على مشايخ الحديث ومنه ألواح ، يكتب منهم فيها الحديث ، ويكتب عنهم كل ما سمع منهم ، حتى صار من أعلم الناس وأعلمهم في زمانه ، وقد احتاج أهل عصره إليه .

وقال عبد الرزاق : أخبرنا معمر عن الزهرى قال : كنا نكره كتاب العلم حتى أكرهنا عليه هؤلاء الأمراء ، فرأينا أن لا نمنعه أحدا من المسلمين . وقال أبو إسحاق : كان الزهرى يرجع من

(١) الداجن : فتاة التي تألف البيوت . (٢) أى علماء - والشد : المدو .



عنه مروءة فيقول للجارية عنده فيها لكنته : ثنا عروة ، ثنا فلان ، ويسرد عليها ما سمعته منه ، فيقول له الجارية : والله ما أدرى ما أقول ، فيقول لها : اسكتي لكاع ؛ فإني لا أريدك ، إنما أريد نفسي . ثم وطم على عبد الملك بدشقي كما تقدم فأكرمه وقضى دية ومرض له في بيت المال ، ثم كان بعد من أصحابه وجلسائه ، ثم كان كذلك عند أولاده من بعده : الوليد ، سليمان ، وكذا عند عمر بن عبد العزيز ، وعند يزيد بن عبد الملك . واستقضاء يزيد مع سليمان بن حبيب . ثم كان حقيقاً عند هشام ، وحج معه وجهه ممل أولاده - إلى أن توفي في هذه السنة ، قبل هشام بسنة .

وقال ابن وهب : سمعت أبا حنيفة يقول : قال ابن شهاب : ما استودعت قاضي شيئاً قط ففسده . قال : وكان بكره أكل التفاح وسؤر الفأرة ، ويقول : إنه يفسد ، وكان يشرب العسل ويقول : إنه يذكي ، وفيه يقول لا يدن أكرم .

يزدنا وأن على الكرم محمد واذكر فواضله على الأصحاب  
وإذا يقال من الجواد عاله قيل : الجواد محمد بن شهاب  
أهل اللذان يعرفون مكانه وربيح ناديه على الأعراب  
بشرى وفا . جناته وعدها بكسور اتاج وفق لب

وقال ابن مهدي : سمعت مالكاً يقول : حدث الزهري يوماً بحديث ، فلما قام أخذت بلجام دابته فاستفهمته فقال : أنستهم في ؟ ما استفهمت مالما قط ، ولا رددت على عالم قط ، ثم حمل ابن مهدي يقول : ففك الطوال وثاق المناري .

وروي بمقبول بن سفيان عن هشام بن خالد السلاسي ، عن الوليد بن مسلم ، عن سعيد - يعني ابن عبد العزيز - أن هشام بن عبد الملك سأل الزهري أن يكتب لابنه شيئاً من حديثه ، فأمل على كتابته أربعمائة حديث ، ثم خرج على أهل الحديث فحدثهم بها ، ثم إن هشاماً قتل الزهري : إن ذلك الكتاب ضاع ، فقال : لا عليك ، فأمل عليهم تلك الأحاديث ، فأخرج هشام الكتاب الأول فلذا هو لم يظاهر حرفاً واحداً ، وإنما أراد هشام امتحان حفظه . وقال عمر بن عبد العزيز : ما رأيت أحداً أحسن سؤفاً للحديث - إذا حدث - من الزهري . وقال سفيان بن عيينة ، عن عمرو ابن دينار : ما رأيت أحداً أنص للحديث من الزهري ، ولا أحسن من الدينار والدرهم عنده ، وما الدرهم والدينار عند الزهري - إلا بمنزلة البسر . قال عمرو بن دينار : ولقد جالست جابراً وابن عباس وابن عمر وابن الزبير - فإرايت أحداً أسبق للحديث من الزهري .

وقال الإمام أحمد : أحسن الناس حديثاً وأجودهم إسناداً الزهري . وقال القسائي : أحسن

الأسانيد الزهرى ، عن علي بن الحسين عن أبيه عن جده علي ، عن رسول الله ﷺ . وقال سميد  
من الزهرى : مكثت خساً وأربعين سنة أختلفت من الحجاز إلى الشام ، ومن الشام إلى الحجاز ،  
فما كنت أسمع حديثاً أستطرفه . وقال الأيث : ما رأيت عالماً قط أجمع من ابن شهاب ، ولو سمعته  
يحدث في الترغيب والترهيب لقلت : ما يحسن غير هذا ، وإن حدث عن الأنبياء وأهل الكتاب  
قلت لا يحسن إلا هذا ، وإن حدث عن الأعراب والأنساب قلت : لا يحسن إلا هذا ، وإن  
حدث عن القرآن والحكمة - كان حديثه بديعاً جاداً ، وكان يقول : اللهم إني أسألك من كل خير  
أحاط به علمك ، وأعوذ بك من كل شر أحاط به علمك في الدنيا والآخرة . قال الأيث : وكان  
الزهرى أسخى من رأيت ؛ يعطى كل من جاء وسأله ، حتى إذا لم يبق عنده شيء استسلف<sup>(١)</sup> .  
وكان يعطى الناس الثريد ويستقيم السلسل ، وكان يستمر على شراب العسل كما يستمر أهل  
الشراب على شراهم ، ويقول : اسقونا وحدثونا ، فإذا نسأهم يقول له : ما أنت من  
مُتأثر قريش ، وكانت له قبة مصفرة ، وعليه ملحفة مصفرة ، وتحته بساط مصفر . وقال الأيث  
قال يحيى بن سعيد : ما بقى عند أحد من العلم ما بقى عند ابن شهاب .

وقال عبد الرزاق : أنبأ معمر قال : قال عمر بن عبد العزيز : عليكم بان شهاب ؛ فإنه  
ما بقى أحد أعلم بسنة ماضية منه ، وكذا قال مكحول . وقال أيوب : ما رأيت أحداً أعلم من  
الزهرى ، فقيل له : ولا الحسن ؟ قال : ما رأيت أعلم من الزهرى وقيل لمكحول : من أم  
من لقيت ؟ قال : الزهرى ، قيل : ثم من ؟ قال الزهرى . وقال مالك : كان الزهرى إذا دخل  
للمدينة لم يحدث بها أحداً حتى يخرج . وقال عبد الرزاق عن ابن عيينة . محدثو أهل الحجاز  
ثلاثة : الزهرى ، ويحيى بن سعيد ، وابن جريج . وقال علي بن الدبني : الذين أفتوا أرساة ؛  
الزهرى ، والحليكم ، وحاد ، وقتادة ، والزهرى أفتهم عندي . وقال الزهرى : ثلاثة إذا كن  
في القاضي فليس تاضي ، إذا كره للملأوم وأحب المحامد ، وكره العزل . وقال أحمد بن صالح :  
كان يقال : فصحاء زمانهم ؛ الزهرى ، ومهر بن عبد البر ، وموسى بن طلحة ، وعبيد الله  
رحم الله . وقال مالك عن الزهرى : أنه قال : إن هذا العلم الذي أدب الله به رسول الله  
ﷺ ، وأدب رسول الله ﷺ به أمته - أمانة الله إلى رسوله ليؤديه على ما أدى إليه ، فمن سمع علماً  
فليجعله أمامه حجة فيما بينه وبين الله عز وجل .

وقال محمد بن الحسين عن يونس عن الزهرى قال . الاحتصام بالسنة نعمة ، وقال الوليد بن

(١) أى اقترض . والسلف - حركة - القرض الذى لا منقمة فيه للقرض ، وكل عمل صالح قدمته .

الأوزاعي عن الزهري قال : أمرتوا أحاديث رسول الله ﷺ كما جاءت . وقال محمد بن إسحاق  
عن الزهري : إن من غوائل العلم أن يترك العالم حتى يذهب علمه ، وفي رواية : أن يترك العالم  
العمل بالعلم حتى يذهب ؛ فإن من غوائله قلة انتفاع العالم بعلمه ، ومن غوائله النسيان والكذب ،  
وهو أشد الغوائل . وقال أبو زرعة عن نعيم بن حماد ، عن محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الزهري  
قال : القراءة على العالم والدماغ عليه سواء ، إن شاء الله تعالى .

وقال عبد الرزاق عن معمر عن الزهري قال : إذا طال المجلس كان للشيطان فيه حظ  
ونصيب . وقد قصي عنه هشام مرة ثمانين ألف درهم ، وفي رواية : سبعة عشر ألفاً ، وفي رواية :  
عشرين ألفاً ، وقال الشافعي : عتب رجاء بن حيوة على الزهري في الإصراف وكان يستدين ،  
فقال له : لا آمن أن يحبس هؤلاء القوم ما بأيديهم عنك ، فتكون قد حلت على أمائك ، قال :  
فومعه الزهري أن يقصر ، فرب به بعد ذلك وقد وضع الطعام ونصب موائد العسل ، فوقف به  
رجاء وقال : يا أبا بكر ما هذا بالذي تارقتنا عليه ، فقال له الزهري : انزل فإن العسل لا يؤد به  
التجارب . وقد أشد بعضهم في هذا المعنى .

له سحائب جود في أنامه أمطارها النضة البيضاء والذهب  
يقول في العسر إن أمسرت نية أقصرت من بمصر ما على ومالها  
حتى إذا عاد أيام اليسار له رأيت أمواله في الناس تنهب

وقال المازدي : ولد الزهري سنة ثمان وخمسين ، وقدم في سنة أربع وعشرين ومائة إلى  
أمواله بثلاث<sup>(١)</sup> بشب زيدا ، فأقام بها فرض ذلك ومات ، وأوصى أن يدفن على قاعة الطريق ،  
وكان وفاته سبع عشرة من رمضان في هذه السنة ، وهو ابن خمس وسبعين سنة ، قالوا :  
وكان ثقة كثير الحديث والعلم والرواية ، فيها جامع . وقال الحسين بن المنوكل الصفحاني :  
رأيت قمر الزهري بشب زيدا من فاطمين - مما خصصا ، وقد وقف الأوزاعي يوماً على قبره فقال :  
يا قبر كم فيك من علم ومن حلم • يا قبر كم فيك من علم ومن كرم • وكم جمعت روايات وأحكاما .  
وقال الزبير بن بكار : توفي الزهري بأمواله بشب زين ، ليلة الثلاثاء سبع عشر ليلة حات  
من رمضان سنة أربع وعشرين ومائة - عن فنتين وسبعين سنة . ودفن على قاعة الطريق  
ليدمو له المبرة . وقيل : إنه توفي سنة ثلاث وعشرين ومائة . وقال أبو معشر : سنة خمس  
وعشرين ومائة . والصحيح الأول ، والله أعلم .

## فصل (١)

وروى الطبراني عن إسحاق بن إبراهيم ، حدثنا عبد الرزاق عن معمر قال : أخبرني صالح ابن كيسان قال . اجتمعت أنا والزهرى ، ونحن نطلب العلم ، ونحن نكتب السنن ، فكتبنا ما جاء عن النبي ﷺ ، ثم قال لى : علم فلنكتب ما جاء من أصحابه ، فإنه سنة ، فقلت : إنه ليس بسنة ، فلا نكتب . قال : فكتب ما جاء عنهم ولم أكتب ، فأبجج وضيمت . وروى الإمام أحمد عن معمر قال : كنا نرى أبا عبد الله أكثرنا من الزهرى ، حتى قتل الوليد ، فإذا انفار قد حلت على المواب من خزانته يقول : من علم الزهرى . وروى عن الهيث بن سعد قال : وضع القسط بين يدى ابن شهاب ، فذكر حديثاً ، فلم تزل يده فى القسط حتى طلع الفجر وصحبه وروى أصبح بن القرج ، عن بن وهب ، عن يونس عن الزهرى قال : لعلم واد ، فإذا هبطت واديه فليك بالثؤدة حتى يخرج منه ، فإنه لا تقطعه حتى يقطع بك .

وقال الطبراني : حدثنا أحمد بن يحيى تلمب ، حدثنا الزبير بن بكار ، حدثنى محمد بن الحسن بن زبارة ، عن مالك بن أنس عن الزهرى قال : خدمت عبيد الله بن عتبة ، حتى إن كان خادمه ليخرج فيقول : من الباب ؟ فيقول الجارية : غلامك الأصميش ، فظن أنى غلامه ، وإن كنت لأخذه حتى استقى له وضوءه . وروى عبد الله بن أحمد عن محمد بن عباد ، عن الثوري عن مالك بن أنس مبراه عن الزهرى . قال : تيمت سعيد بن السيب ثلاثة أيام فى طلب حديث . وروى الأوزاعي عن الزهرى قال : كنا نأتى لعالم فانتظم من أدبه . أحب إلينا من علمه . وقال صفوان : كان الزهرى يقول : حدثنى فلان ، وكان من أوعية العلم ، ولا يقول كان عالماً . وقال مالك : أول من دون العلم ابن شهاب . وقال أبو الليث : كان هشام هو الذى أكره الزهرى على كتابة الحديث ، فكان الناس يكتبون بعد ذلك ، وقال وشيد بن سعد : قال الزهرى : العلم خزانة وتنتفعها السائل وقال الزهرى : كان يصطاد العلم بالساق ، كما يصاد الوحش . وكان ابن شهاب ينزل بالأحزاب يمدهم لتلاىنى العلم ، وقال : إنما يذهب العلم للنسيان ، وترك للذاكرة . وقال : إن هذا العلم لم يأخذته بالسكارة فليك ، ولم تظهر منه بشئ ، ولكن خذه مع الأيام والأيام ، إذا رقيقاً تظهر به . وقال : ما أحدث الناس مروءة ، أعجب إلى من النصيحة . وقال : العلم ذكر لا يمجبه إلا الله كور من الرجال ، ويكرهه مؤثوم . وروى الزهرى عن أبي حازم وهو يقول : قال رسول الله ﷺ ، قال : ما أرى أحاديث ليس لها خطم<sup>(١)</sup> ولا أزمة ؟ . وقال : ما عبد الله بشئ أفضل من العلم .

(١) هذا الفصل زيادة فى بعض النسخ . (٢) الخطم : الخطب الخليل : والأزمة : الشدة .

وقال ابن مسلم أبي حاتم : حدثنا دحيم ، حدثنا الوليد بن مسلم ، عن القاسم بن هزان ، أنه سمع الزهري يقول : لا يوثق الناس علم عالم لا يسل به ، ولا يؤمن بقول عالم لا يرضى . وقال ضمرة عن يونس من الزهري قال : إياك وغلول الكتب ، قلت : وما غلولها ؟ قال : حبسها عن أهلها . وروى الشافعي عن الزهري قال : حضور المجلس بلا نسخة ذل . وروى الأصبغ عن مالك ابن أنس عن ابن شهاب قال : جلست إلى ثعلبة بن أبي معين ، فقال : أراك تحب العلم ؟ قلت : نعم ! قال : فليكن بذلك الشيخ - يعني سميد بن السيب - قال : فلزمت سميداً سبع سنين ، ثم تحولت عنه إلى عروة ، فنجرت تبجج<sup>(١)</sup> بحره . وقال الهيثم : قال ابن شهاب : ما صبر أحد على العلم صبري ، وما نشره أحد قط نشرى .

فأما عروة بن الزبير فمتر لا تسكدره الهلا ، وأما ابن السيب فانتصب لنفسه ، فذهب اسمه كل مذهب . وقال مكى بن عبدان : حدثنا محمد بن عبد العزيز بن عبد الله الأوسى ، حدثنا مالك ابن أنس : أن ابن شهاب سأل بعض بني أمية ، عن سميد بن السيب ، فذكر عليه بخير ، وأخبره بحاله ، فبلغ ذلك سميداً ، فلما قدم ابن شهاب المدينة جاء قبله على سميد ، فلم يرد عليه ولم يكلمه ، فلما انصرف سميد مشى الزهري معه ، فقال : مالي سلت عليك فلم تكلمني ؟ ماذا بلغك مني ؟ وما قلت إلا خيراً ؟ قال له : ذكرتني لبني مروان . وقال أبو حاتم : حدثنا مكى بن عبدان ، حدثنا محمد بن يحيى ، حدثني عطاء ابن خالد الخزرجي ، عن عبد الأعلى بن عبد الله بن أبي فروة عن ابن شهاب قال : أصاب أهل المدينة حاجة - زمان فتنة عبد الملك بن مروان ، فقتل أهل البلد ، وقد خيل إلى أنه قد أصابنا أهل البيت من ذلك - ما لم يصب أحداً من أهل البلد ، وذلك نظري بأهل ، فذكرت : هل من أحد أمت إليه برحم أو مودة ، أرجو إن خرجت إليه أن أصيب عنده شيئاً ؟ فاعلمت من أحد أخرج إليه . ثم قلت : إن الرزق بيد الله عز وجل . ثم خرجت حتى قدمت دمشق ، فوضعت رحلي ، ثم أتيت السجدة ، فنظرت إلى أعظم حلقة رأيتهما وأكبرها فجلست فيها ، فبينما نحن على ذلك ، إذ خرج رجل من عند أمير المؤمنين عبد الملك ، كأجسم الرجال وأجلهم وأحسنهم هيئة ، فجاء إلى المجلس الذي أنا فيه فضعفوا له - أي أوسوا - فجلس فقال : لقد جاء أمير المؤمنين اليوم كتب ما جاءه مثله منذ استخلفه الله ، قالوا : ما هو ؟ قال : كتب إليه عامله على المدينة هشام بن إسحاق ، يذكر أن ابنا لمصعب بن الزبير من أم ولد مات ، فأرادت أمه أن تأخذ مهراتها منه ، فعصا عروة بن الزبير ، وزعم أنه لا مهرات لها ،

(١) التبجج : ما بين الكمال إلى القهر - ووسط الشيء ومقطعه .

عن أمير المؤمنين حديثاً في ذلك سمعه من حميد بن أسيد ، يذكر عن أمير المؤمنين عن ابن الخطاب في أمهات الأولاد ، ولا يخالفه الآن ، وقد شد هنا ذلك الحديث

قال ابن شهاب : قالت : أنا أحدث به ، فقام إلى قبصة - حتى أخذ يدي ، ثم خرج حتى دخل الدار على عبد الملك ، فقال : السلام عليك . فقال له عبد الملك محباً : وهليك السلام فقال قبصة : أدخل ؟ فقال عبد الملك : أدخل . فدخل قبصة على عبد الملك ، وهو أخذ يدي ، وقال : هذا يا أمير المؤمنين يحدثك بالحديث الذي سمعته من ابن السبب في أمهات الأولاد فقال عبد الملك : إيه . قال الزهري : قلت : سمعت حميد بن المسيب يذكر أن عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - أمر بأمهات الأولاد أن يقو من في أموال أبنائهن قيمة عدل ، ثم تمتنع فكنت عمر بذلك صديقاً من خلافته ، ثم تولى رجل من قريش قال له ابن من أم ولد ، وقد كان عمر يحبب بذلك العلام . فمر ذلك العلام على عمر في المسجد بعد وفاة أبيه بئال ، فقال له عمر : ما فعلت يا ابن أخي في أمك ؟ قال : فعلت يا أمير المؤمنين خيراً ، خيروني بين أن يسرقوا أمي<sup>(١)</sup> وبين . فقال عمر : أولست إنما أمرت في ذلك بقيمة عدل ؟ ما أرى رأياً وما أمرت بأمر إلا أقمت فيه . ثم قام مجلس على النير ، واجتمع الناس إليه حتى إذا رضى من جماعتهم قال : أيها الناس ! إني قد كنت أمرت في أمهات الأولاد بأمر قد عظموه ، ثم حدث رأي غير ذلك ، فأيما امرئ كان عنده أم ولد فليسكنها بيته ما عاش ، فإذا مات دعي حرة لا سبيلاً له عليها

فقال لى عبد الملك : من أنت ؟ قلت : أنا عبد بن مسلم بن عبيد بن شهاب . فقال : أما والله إن كان أبوك يوماً ساراً في الله مؤذناً لأهله قال الزهري : قلت : يا أمير المؤمنين ! قل كما قال العبد الصالح : ( لا تنزيه عليكم اليوم يفتقر الله لكم )<sup>(٢)</sup> . قلت : أجل ! ( لا تنزيه عليكم اليوم يفتقر الله لكم ) قال : قلت : يا أمير المؤمنين ! افرض لى فإني منقطع عن الدين . فقال : إن بذك ما فرضنا فيه لأحد منذ كان هذا الأمر . ثم نظر إلى قبصة وأنا وهو قائمان بين يديه ، فكأنه أومأ إليه أن افرض له ، فقال : قد فرض إليك أمير المؤمنين . فقلت : إني والله ما خرجت من عند أهل إلا وهم في شدة حاجة ما يملأ إلا الله ، وقد عمت الحاجة أهل البلد . قال : قد وصلت أمير المؤمنين . قال : قلت : يا أمير المؤمنين ! وخدام يخدمنا ، فإني أهل ليس لهم خادم إلا أخى ، فإنها الآن تبجن وتخبز وتطحن . قال : قد أخدمك أمير المؤمنين .

وروى الأديب عن الزهري : أنه روى أن رسول الله ﷺ قال : « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن » . فقلت للزهري : ما هذا ؟ فقال : من الله أعلم ، وعلى رسوله البلاغ ، وعلينا التسليم ، أمرتوا أحاديث رسول الله ﷺ كما جاءت . وعن ابن أخي ابن شهاب ، عن عه قال : كان عمر بن الخطاب يأمر برواية قصيدة لبيد بن ربيعة التي يقول فيها :

إِنْ تَقَوَّى رَبَّنَا خُـــــــمِرَ تَقَلُّ وَبِإِذْنِ اللَّهِ رَيْفِي وَالْمَجْل  
أَحْمَدُ اللَّهِ فَلَا نَدَّ لَهُ بِيَدِيهِ الْخُـــــــمِرُ مَا شَاءَ فَعَلَ  
مَنْ هَدَاهُ سَبَلَ الْخَيْرِ اعْتَدَى نَاعِمَ الْبَالِ وَمَنْ شَاءَ أَضَلَّ

وقال الزهري : دخلت على عبيد الله بن عبد الله بن عتبة منزله ، فإذا هو متناظر بفتح ، فقلت : مالي أراك هكذا ؟ فقال : دخلت على أبيكم آتفاً - يعني عمر بن عبد العزيز - ومعه عبيد الله بن عمرو بن عثمان ، فسدت عليهما ، فلم يردا على السلام ، فقلت :

لَا تَجْعَلَا أَنْ تُؤْنِيَا فَتُكَلِمَا فَاحْشَى الْأَنْوَامُ دُخْرًا مِنَ الْكِبَرِ  
وَمَا تَرَابِ الْأَرْضِ مِنْهُ خَلْقَتَا وَفِيهَا الْمَادُ وَالصِّرُ إِلَى الْحِشْرِ

فقلت : برحمتك الله !! منك في فقهك وضحك وسنك تقول الشعر ؟ قال : إن المصدر إذا نثرت برأ . وجاء شيخ إلى الزهري فقال : حدثني . فقال : إنك لا تعرف القصة . فقال الشيخ : لم أعرها . قال : فما تقول في قول الشاعر :

صَرِيعٌ قَدْ آذَى بِرُفْعِ الشَّرْبِ رَأْسَهُ وَقَدْ مَاتَ مِنْهُ كُلُّ مَضْوٍ وَمُفْعِلٌ

ما للنصل ؟ قال : الحسن . قال : قد علم أحدك . وكان الزهري يتمثل كثيراً بهذا :

ذَهَبَ الشَّيَابُ فَلَا يَمُودُ جُحَانًا<sup>(١)</sup> وَكَانَ مَا قَدْ كَانَ لَمْ يَكْ كَانَا

فعلويت كنن بأجنان على المعنا وكنى جان بطيها حدثانا

وكان نقش خاتم الزهري : محمد يسأل الله العافية . وقيل لابن أخي الزهري : هل كان يحكم بتطليق ؟ قال : كنت أشم ريح المسك من سوط دابة الزهري . وقال : استكثروا من شيء لا تمسه النار ، قيل : وما هو ؟ قال : للمروق . وامتدحه رجل مرة ، فأعطاه قيصه ، فقيل له : أتعطى على كلام الشيطان ؟ فقال : إن من ابتاع الخمر اتقاء الشر . وقال سفيان : سئل الزهري عن الزنا . فقال : من لم يمنع الحلال شكره ، ولم ينل الحرام صيره . وقال سفيان : قالوا للزهري : لم أنك الآن في آخر حرك بالمدنية ، فقلت : قلت إلى مسجد رسول الله ﷺ ، ودرجت

وجلسنا إلى حمود من أهدته ، فذكرت الناس وعلمتهم ؛ فقال : لو أنى فقلت ذلك لوطى . عني ، ولا ينبغي لي أن أفعل ذلك حتى أزهد في الدنيا ، وأزغب في الآخرة . وكان الزعري يحدث : أنه حلق في جبال بيت المقدس بضعة وعشرون نبيا ، ماتوا من الجوع والدمل ، كانوا لا يأكلون إلا ما عرفوا ، ولا يلبسون إلا ما عرفوا . وكان يقول : العبادة هي الورع والزهد ، والعلم هو الحسنة ، والصبر هو احتمال السكاره ، والدعوة إلى الله على العمل الصالح [ .

وعن توفى في خلافة هشام بن عبد الملك ، كما أورده ابن مسافر :

بلال بن سعد بن نعيم السكوني - أبو عمرو . وكان من الزهاد السكبار ، والعباد الصوام التوام . روى من أبيه - وكان أبوه له صحبة - وعن جابر ، وابن عمر ، وأبي الدرداء ، وغيرهم . وعند جماعات منهم : أبو عمرو الأوزاعي ، وكان الأوزاعي يكتب عنه ما يقوله من التوائد العظيمة في قصصه ووعظه . وقال : ما رأيت واعظاً قط مثله . وقال أيضاً : ما بلغني من أحد من العباد ما بلغني عنه ؛ كان يصل في اليوم واليلة ألف ركعة . وقال غيره - وهو الأصح - : كان إذا ناس في ليل الشتاء ، أتى نفسه في ثيابه في البركة ، فمات به بعض أصحابه في ذلك ، قال : إن ماء البركة أهون من عذاب جهنم . وقال الوليد بن مسلم : كان إذا كبر في الحراب سمعوا تكبيره من الأوزاع . قلت : وهي خارج باب التراديس . وقال أحمد بن عبد الله الجعفي : هو شامي تابعي ثقة .

وقال أبو زرعة الدمشقي : كان أحد العلماء قاضياً حسن التصص ، وقد اتهمه رجاء بن حيوة بالقتل حتى قال بلال يوماً في وعظه : رب مسرور مغرور ، ورب مغرور لا يشمر ، فويل لمن لا الويل وهو لا يشمر ، يأكل ، ويشرب ، ويضعك ، وقد حق عليه في قضاء الله أنه من أهل النار ، فيأويل لك روحاً يا ويل لك جسداً ؛ فليتك وليتك عليك الهواكي لطول الأبد .

وقد حلق ابن مسافر شيئاً حسناً من كلامه في مواضعه البليغة ؛ فمن ذلك قوله : والله لكفى به ذنباً أن الله يزهدنا في الدنيا ونحن نرغب فيها ، زاهدكم رافب ، وعالمكم جاهل ، ومجتهدكم متصر . وقال أيضاً : أخ لك كما تليك ذكرك بنصيبك من الله ، وأخبرك بسبب فيك - أحب إليك ، وخير لك من أخ كما تليك وضع في كفك ديناراً . وقال أيضاً : لا تكن ولياً لله في الدلانية ، وعدوه في السر . ولا تكن عدو إبليس والنفس والشهوات في العلانية ، وضدبهم في السر . ولا تكن ذا وجهين ذا لسانين ؛ فظهر للناس أنك تفتنى الله بهمدوك وتقبلك جابر . وقال أيضاً : أيها الناس ! إنكم لم تخلقوا لفناء ، وإنما خلقتم لبقاء ، ولتكنكم تنتظرون من دار إلى دار ، كما تنقل من الأصلاب إلى الأرحام ، ومن الأرحام إلى الدنيا ، ومن الدنيا إلى القبور ، ومن القبور إلى اللوق ، ومن اللوق إلى الجنة أو النار .



وقال أيضاً : عباد الرحمن ! إنكم تملكون في أيام تصار لأيام طوال ، وفي دار زوال إلى دار مقام ، وفي دار حزن ونصب لدار نعيم وخلود ، فمن لم يمسح على يمين فلا تنفعن . عباد الرحمن ! لو قد غفرت خطاياكم المداخية - لكان فيا تستقبلون لكم غفلاً ، ولو حاتم بما تملكون - لكان لكم مقتداً ومنجاً . عباد الرحمن ، أما ما وكلتم به فتضيؤونه ، وأما ما تكفل الله لكم به فغطوا به ، ما هكذا نمت الله عباده للوقتين .

أدو عقول في الدنيا وبه في الآخرة ؛ وهي عما خلقت له بصراء في أمر الدنيا ؟ فكما ترجون رحمة الله بما تؤدون من طاعته ، فكذلك اشفقوا من عذابه بما تنتهكون من معاصيه ، عباد الرحمن ! هل جاءكم خبر يخبركم أن شيئاً من أعمالكم قد تقبل منكم ؟ أو شيئاً من خطاياكم قد غفر لكم ؟ ( أفحصتم أئماً خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون )<sup>(١)</sup> ، والله لو نجل لكم الثواب في الدنيا لاستغلتهم ما فرض عليكم . أتغيبون في طاعة الله لدار ممدودة بالآفات ؟ ولا ترغبون وتنافسون في جنة أكلها دائم وظلها ، وعرضها عرض السموات والأرض ( تلك حقى الذين أعتوا وعتى الكافرين النار )<sup>(٢)</sup> ، وقال أيضاً : الذكر ذكران ، ذكر الله باللسان حسن جميل ، وذكر الله عندما أحل وحرم أفضل . عباد الرحمن ! يقال لأحدنا : تحب أن تموت ؟ فيقول : لا ! فيقال له : لم ؟ فيقول : حتى أعمل ، فيقال له : أعمل ، فيقول : سوف أعمل ، فلا تحب أن تموت ، ولا تحب أن تمل ، وأحب شيء إليه يجب أن يؤخر عمل الله ، ولا يجب أن يؤخر الله عنه عرض دنياه . عباد الرحمن ! إن العبد ليعمل الفريضة الواحدة من فرائض الله وقد أضع ما سواها ، فما يزال يمينه الشيطان ، ويزين له - حتى ما يرى شيئاً دون الجنة ، مع إقامته مع معاصي الله .

عباد الرحمن ! قبل أن تملوا أعمالكم انظروا ماذا تريدون بها ، فإن كانت خالصة فامضوها وإن كانت لغير الله فلا تشقوا على أنفسكم ، فإن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصاً ، فإنه قال : ( إلهو يصمد السكلم الطيب والتمل الصالح يرمه )<sup>(٣)</sup> ، وقال أيضاً : إن الله ليس إلى عذابكم بالسرير ، يقبل المقبل ، ويدعو للدير ، وقال أيضاً : إذا رأيت الرجل متخرجاً لحوا ممارياً معجبا برأيه فقد تمت خسارته . وقال الأوزاعي : خرج الناس بدمشق يستقون ، فقام بهم بلال بن سدد فقال : يا معشر من جسر ! أستمقرين بالإجادة ؟ قالوا : نعم ، فقال : اللهم إنك

(١) من الآية : ٣٥ من سورة الرعد .

(٢) من الآية : ١١٧ من سورة المؤمنون .

(٣) من الآية : ١٥ من سورة فاطر .

قلت : ( مَا تَقُولُ الْحُسَيْنَيْنِ بْنِ سَابِيلٍ ) <sup>(١)</sup> ، وقد أفرنا بالإساءة طائف عنا وافرنا لنا قال فسقوا يومهم ذلك ، وقال أيضاً : سمعته يقول : لقد أدركت أقواما يشتلون بين الأغراض ، ويضحك بعضهم إلى بعض ، فإذا جثتهم الليل كانوا رهبانا . وسمعته أيضاً يقول : لا تنظر إلى صغر الذنب وانظر إلى من عصيت . وسمعته يقول : من يبادك بالود فقد استقرتك بالشكر . وكان من دعائه : اللهم إني أعوذ بك من زيف القلوب ، ومن بيمات الذنوب ، ومن مرديات الأعمال ومضلات الميّن . وقال الأوزاعي عنه أنه قال : عباد الرحمن ! لو أنتم لم تدعوا إلى الله طاعة إلا علمتموها ، ولا منصية إلا اجتنبتموها ، إلا أنسكم تحبون الدنيا - لكنكم ذلك عقوبة عند الله عز وجل . وقال : إن الله يغفر الذنوب لمن تاب منها ، ولكن لا يعفوها من الصدقة حتى يوقف العبد عليها يوم القيامة .

ترجمة الجمد بن درهم : أول من قال بمناق القرآن ، وهو الذي ينسب إليه مروان الجمدى - وهو مروان الحار ، آخر علماء بني أمية كان شيخه الجمد بن درهم ، أصله من خراسان ، ويقال : إنه من موالى بني مروان ، سكن الجمد دمشق ، وكان له بها دار بالقرب من القلايين إلى جانب السكينة ، ذكره ابن عساکر . قلت : وهى عمدة من الطواصين اليوم ، غريبها عند حمام القلايين الذى يقال له : حمام قليس .

قال ابن عساکر وغيره : وقد أخذ الجمد بدعته عن بيان بن سمان ، وأخذها بيان عن طلوت ابن أخت إبيد بن أعصم - زوج ابنته ، وأخذها إبيد بن أعصم الساجر الذى سحر رسول الله ﷺ - عن يهودى باليمن ، وأخذ عن الجمد الجهم بن صفوان الخزيمى ، وقيل الترمذى ، وقد أقام ببلخ ، وكان يصل مع مقاتل بن سليمان فى مسجده ويقتاضان ، حتى شئ إلى ترمذ ، ثم قتل الجهم بأصفهان ، وقيل : بمرو ؛ فقتله نائبها سلم بن أحوز - رحمه الله وجزاه عن المسلمين خيراً ، وأخذ بشر الرئيس عن الجهم ، وأخذ أحد بن أبى داود عن بشر ، وأما الجمد فإنه أقام بدمشق حتى أظهر القول بمناق القرآن ، فطاله بنو أمية فهرب منهم فسكن الكوفة ، فلقبه فيها الجهم بن صفوان فقتله هذا القول عنه . ثم إن خالد بن عبد الله القدرى قتل الجمد يوم عيد الأضحي بالكوفة ؛ وذلك أن خالداً خطب الناس فقال فى خطبته ذلك : أيها الناس اضحوا يقبل الله ضحككم ، فإني مضحك بالجمد بن درهم ، إنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً . ولم يكلم موسى تكليماً ، تعالى الله عما يقول الجمد علواً كبيراً . ثم نزل فذبحه فى أصل اللبر .

وقد ذكر هذا غير واحد من الحفاظ منهم : البخاري ، وابن أبي حاتم ، والبيهقي ، وعبد الله ابن أحمد ، وذكره ابن عساکر في التاريخ ، وذكر أنه كان يتردد إلى وهب بن منبه ، وأنه كان كلاراح إلى وهب ينتسل ويقول : أجمع لقل ، وكان يسأل وهبا عن صفات الله عز وجل ، فقال له وهب يوما : وبك يا جعد ! أقصر السألة عن ذلك ، إلى لأنتك من المالكين ، لو لم يخبرنا الله في كتابه أن له بدأ ما قلنا ذلك ، وأن له عينا ما قلنا ذلك ، وأن له ضياء ما قلنا ذلك ، وأن له سمما ما قلنا ذلك ، وذكر الصفات من العلم والكلام وغير ذلك ، ثم لم يلبث الجعد أن صلب ، ثم قتل ذكره ابن عساکر ، وذكر في ترجمته أنه قال للصحاب بن يوسف - و يروي لمران بن سبطان :

ليث على وفي الحروب نامة • فتشاء<sup>(١)</sup> تجفل من صفير الصافر  
علا بزرت إلى غرارة في الوغى • بل كان قلبك في جناحي طائر ،

### ثم دخلت سنة خمس وعشرين ومائة

قال الحفاظ أبو بكر البزار : حدثنا رزق الله بن موسى ، ثنا محمد بن إسماعيل بن أبي فديك ، ثنا عبد الملك بن زيد عن مصعب بن مصعب عن الزهري عن أبي سدة بن عبد الرحمن عن أبيه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « ترفع زينة الدنيا سنة خمس وعشرين ومائة » ، وكذا رواه أبو يعلف مستند عن أبي كريب عن ابن أبي فديك ، عن عبد الملك بن سعيد بن زيد بن نفل عن مصعب بن مصعب ، عن الزهري • قلت : وهذا حديث غريب منكسر ، ومصعب بن مصعب بن عبد الرحمن بن عوف الزهري - تسلم فيه • ضعه على بن الحسين بن الجعيد . وكذا تسلم في الراوى عنه أيضا . والله أعلم .

وفيهما : فزا النعمان بن يزيد بن عبد الملك - الصائفة من بلاد الروم ، وفي ربيع الآخر منها توفي أمير المؤمنين هشام بن عبد الملك بن مروان .

ذكر وفاته وترجمته - رحمه الله : هو هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص ابن أمية بن عبد شمس ، أبو الوليد القرشي الأموي الدمشقي - أمير المؤمنين . وأمّه أم هشام بنت هشام بن إسماعيل الخزرجي ، وكانت داره بدمشق عند باب الخواصين ، وبعضها اليوم مدرسة نور الدين الشهيد التي يقال لها : النورية الكبيرة ، وتعرف بدار القبايين - يعني الذين يبيعون القبايا وهي الخيام ، فكانت تلك الحلة داره ، والله أعلم . وقد بوع له بالخلافة بعد أخيه

(١) الفتشاء : اللينة الجراح .

يزيد بن عبد الملك بمهد منه إليه ، وذلك يوم الجمعة لأربع بقين من شعبان سنة خمس ومائة ، وكان له من العمر بمئذ أربع وثلاثون سنة ، وكان جميلاً أبيض أحول يخضب بالسواد ، وهو الرابع من ولد عبد الملك الذين ولوا الخلافة . وقد كان عبد الملك رأى في المنام كأنه بال في الحراب أربع مرات ، فدرس إلى سعيد بن المسيب من سألها عنها ، ففسرها له بأنه على الخلافة من بعده أربعة ، فوقع ذلك ، فسكان هشام آخرهم . وكان في خلافته حازم الرأي جماع للأموال يبذل ، وكان ذكياً مدبراً ، له بصير بالأمور جليلها وحقيقها ، وكان فيه حلم وأناة ، شتم مرة رجلاً من الأشراف فقال : أنت شتمني وأنت خليفة الله في الأرض ؟ فاستحيى وقال : اقتص مني بدلها . أو قال بمنزلها . فقال : إذا أكون سفياً مثلك ، قال : فخذ عوضاً ، قال : لا أفضل ، قال : فاركها لله ، قال : هي لله ثم لك ، قال هشام عند ذلك : والله لا أعود إلى مثلها .

وقال الأعمش : أسمع رجل هشاماً كلاماً فقال له : أنت تولى مثل هذا وأنا خليفةك ؟ وغضب مرة على رجل فقال له : اسكت وإلا ضربتك سوطاً ، وكان علي بن الحسين قد اقترض من مروان بن الحكم مالا أربعة آلاف دينار ، فلم يمرض له أحد من بني مروان ، حتى استغلف هشام فقال : ما فعل حقا قبلك ؟ قال : موفور مشكور ، فقال : هو لك .

[ قلت : هذا الكلام فيه نظر ؛ وذلك أن علي بن الحسين مات سنة الفقهاء ، وهي سنة أربع وتسعين ، قبل أن يلى هشام الخلافة بإحدى عشرة سنة ، فإنه إنما ولي الخلافة سنة خمس ومائة ، فتقول للزائف : إن أحداً من خلفاء بني مروان لم يمرض لمطالبة علي بن الحسين حتى ولي هشام فطالبه بالسأل المذكور - فيه نظر ولا يصح ؛ لتقدم موت علي على خلافة هشام ، والله سبحانه وتعالى أعلم ] (١)

وكان هشام من أكره الناس لسفك الدماء ، واقد دخل عليه من مقتل زيد بن علي وابنه يحيى - أمر شديد ، وقال : وددت أني اقتديتهما بجميع ما أمالك . وقال اللذانى من رجل من حمي ، من بشر مولى هشام قال : أتى هشام برجل عنده قيان وخر وبربط ، فقال : اكسروا الطيور على رأسه وقرنه ، فبكى الشيخ ، قال بشر : فضربه ، قال : أتاني أبوكي للضرب ، إنما أبوكي لاحتمارك البربط حتى سميت طنبورا . وأغلظ لهشام رجل يومافى الكلام فقال : ليس لك أن تقول هذا لإمامك . وتفقد أحد ولده يوم الجمعة فلم يجده ، فبحث إليه ما لك لم تشهد الجمعة ؟ فقال : إن بقلتي مجزت عنى ، فبحث إليه - أما يمكنكك للشي ؟ ومنته أن يركب سنة ، وأن يشهد الجمعة ماشياً .

وذكر الداني : أن رجلاً أدى إلى هشام طيرين ، فأوردهما الصغير إلى هشام ، وهو جالس على سرير في وسط داره ، فقال له : أرسلهما في الفار ، فأرسلهما ، ثم قال : جائزني يا أمير المؤمنين ، فقال : ويحك ! وما جائزتك هل هدية طيرين ؟ أخذ أحدهما ، فجعل الرجل يسمى خلف أحدهما . فقال : ويحك ! ما بالك ؟ فقال : أختار أجودهما . قال : وتختار أيضاً المجيد وتترك الرديء ؟ ثم أمر له بأربعين أو خمسين درهما . وذكر الداني عن قعز بن كاتب يوسف بن عمر ، قال : بعثني يوسف إلى هشام ببقوثة حمراء ولؤلؤة كانتا رابعة<sup>(١)</sup> - جارية خالده بن عبد الله القسري - مشتري للبقوثة ثلاثة وسبعون ألف دينار . قال : فدخلت عليه وهو على سرير فوقه فرش لم أر رأس هشام من علو تلك الفرش ، فأوريتها له . فقال : كم زنتها ؟ فقلت : إن مثل هذه لا مثل لها ، فسكت . قالوا : ورأى قوماً بفراطون الزيتون ، فقال : اتطوه قطعاً ، ولا تنفضوه قطعاً ، فتفتقاً حيونه ، وتكسر خصونه . وكان يقول : ثلاثة لا يضمن الشريف ! تعاود الصنمية ، وإصلاح المشية ، وطلب الحق وإن قل . وقال أبو بكر الخراساني : يقال : إن هشاماً لم يقل من الشعر سوى هذا البيت :

إذا أنت لم تسمع الهوى فادك الهوى إلى كل ما فيه عليك مقال

وقد روي له شعر غير هذا . وقال الداني عن ابن يسار الأعرجى : حدثني ابن أبي بجملة ، عن وقال بن شبة قال : دخلت على هشام ، وعليه قباء فلك أخضر ، فوجهني إلى خراسان ، ثم جعل بوصيني ، وأنا أنظر إلى القباء ، فطعن . فقال : مالك ؟ قلت : عليك قباء فلك أخضر ، [ وكنت رأيت عليك منه ] قبل أن تلي الخلافة ، فقلت أنا مل : هذا هو ذاك أم غيره ؟ قال : والله الذي إله غيره هو ذاك ، ما لي قباء غيره ، وما ترون من جمعي لهذا المال وصونه إلا لكم . قال فقال : وكان هشام محشواً عقلاً .

وقال عبد الله بن علي - عم السفاح : جمعت دواوين بني أمية ، فلم أر أصحح للامامة والسلطان من ديوان هشام . وقال الداني عن هشام بن عبد المجيد : لم يكن أحد من بني مروان أشد نظراً في أصحابه ودواوينه ، ولا أشد مبالغة في التبعيض عنهم - من هشام ، وهو الذي قتل غيلان القدري ، ولما أجبر بين يديه قال له : ويحك ! قل ما عندك . إن كان حقاً اتبناه ، وإن كان باطلا رجعت عنه . ففاطره ميمون بن مهران . قال ليمون أشياء . فقال له : أيصمى الله كارهاً ؟ فسكت غيلان . فتيده حينئذ هشام وقطه . وقال الأصمى : عن أبي الزناد ، عن منذر بن أبي ثور قال : أصبنا في خزانة هشام اثني عشر ألف قيس كلها قد أئربها .

وشكى هشام إلى أبيه عليه السلام : أنه يهاب الصمود إلى النهر ، والثاية : قلة تناول الطعام ، والثالثة : أن عنده في القصر حانة جارية من حسان النساء لا يكاد يصل إلى واحدة منهن . فكتب إليه أبوه : أما صمودك إلى النهر ، فإذا علوت فوقه فارق ببصرك إلى مؤخر الناس ، فإنه أحسن عليك ، وأما قلة الطعام فمر الطباخ فليكثر الأكل ، فذلك أن تناول من كل لون لقمة ، وعليك بكل مضاء بضة ، ذات جمال وحسن . وقال أبو عبد الله الشامي : لما بنى هشام بن عبد الملك الرصافة قال : أحب أن أخلوها يوماً لا يأتيني فيه خير غم ، فأتاه نصف النهار حتى أتته ريشة دم من بمصر النور فقال : ولا يوماً واحداً ؟ وقال سفيان بن عيينة : كان هشام لا يكتب إليه بكتاب فيه ذكر الموت . وقال أبو بكر بن أبي خيثمة : ثنا إبراهيم بن النضر الحزامي ، ثنا حسين بن زيد ، عن شهاب بن عبد ربه ، عن عمر بن علي قال : مشيت مع محمد بن علي - يعني ابن الحسين بن علي بن أبي طالب - إلى داره عند الحمام ، فقلت له : إنه قد طال ملك هشام وساطاته ، وقد قرب من العشرين سنة ، وقد زعم الناس أن سليمان سأل ربه ملكاً لا يئس لأحد من بعده ، فزعم الناس أنها للمشرون . فقال : ما أدري ما أحاديث الناس ، ولكن أبي حدثني عن أبيه عن علي عن النبي صلى الله عليه وآله قال : « لن يمر الله ملكاً في أمة نبي مضى قبله ما بلغ ذلك النبي من العمر في أمة » فإن الله مر نبيه صلى الله عليه وآله ثلاث عشرة سنة بمكة وعشراً بالمدينة . وقال ابن أبي خيثمة : ليس حديث فيه توقيت غير هذا . قرأ يحيى بن معين على كتابي ، فقال : من حديثه ؟ فقلت : إبراهيم ، فظن أن لا يكون سمعه . وقد رواه ابن جرير في تاريخه عن أحمد بن زهير ، عن إبراهيم بن النضر الحزامي وروى مسلم بن إبراهيم ، ثنا القاسم بن الفضل ، حدثني عباد بن المرءة القتيبي ، عن عامر بن النضر بن الزبير ، عن عبد الله بن الزبير أنه سمع عائلاً يقول : هلاك ملك بني أمية على رجل أحول - يعني هشاماً .

وروى أبو بكر بن أبي الدنيا ، عن عمر بن أبي مازة البصري ، عن أبيه ، عن عمرو بن كليح ، عن سالم - كاتب هشام بن عبد الملك قال : خرج عاتبا يوماً هشام وعليه كآبة ، وقد ظهر عليه الحزن ، فاستدعى الأبرش بن الوليد فجاءه ، فقال : يا أمير المؤمنين مالي أراك هكذا ؟ فقال : مالي لا أكون ، وقد رعم أهل العلم بالنجوم أني أموت إلى ثلاث وثلاثين من بوي هذا . قال : فكنتنا ذلك . فلما كان آخر ليلة من ذلك جادني رسوله في الليل يقول : احضر مملك دواء للذبح ، وكانت قد أصابته قبل ذلك ، فاستعمل منه صوف فذهبت إليه ومضى ذلك الدواء ، فضاؤه وهو في وجع شديد ، واستمر فيه عامة الليل . ثم قال : يا سالم ! اذهب إلى منزلك ، فقد وجدت خفة ، وقد راد الدواء عندي ، فذهبت فافهو إلا أن وصلت إلى منزلي حتى سمعت الصباح عليه ، فميت ، فإذا هو قد مات .

وذكر غيره : أن هشاماً نظر إلى أولاده وهم سيكون حوله ، فقال : جاد لكم هشام بالله الدنيا وجدتم عليه باليساء ، وترك لكم ما جمع ، وتركتم له ما كسب ، ما أسوأ منقلب هشام إن لم يفر الله له . ولما مات حامت الغزوة فخدموا على حواصله ، وأرادوا تسخين الماء ، فلم يقدروا له على لحم حتى استماروا له . وكان نقش حاتم « الحكيم للحكم الحكيم » . وكانت وفاته بالرشامة يوم الأربعاء . لست بيقين<sup>(١)</sup> من ربيع الآخر سنة خمس وعشرين ومائة ، وهو ابن بضع وخمسين سنة . وقيل : إنه جاوز الستين . وصلى عليه الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، الذي ولي الخلافة بعده . وكانت خلافة هشام تسع عشرة سنة ، وسبعة أشهر ، وأحد عشر يوماً . وقيل : وثمانية أشهر وأيام ، والله أعلم .

وقال ابن أبي فديك : ثنا عبد الملك بن زيد ، عن مصعب ، عن الزهري ، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن ، عن أبيه : أن رسول الله ﷺ قال : « ترفع زينة الدنيا سنة خمس وعشرين ومائة » قال ابن أبي فديك : بزيتها نور الإسلام وبهجته . وقال غيره : يعني الرجال ، والله أعلم . قلت : لما مات هشام بن عبد الملك - مات ذلك بن أمية ، وتولى وأدبر أمر الجهاد في سبيل الله ، واضطرب أمرهم جداً ، وإن كانت قد تأخرت أيامهم بعده نحواً من سبع سنين ، ولكن في اختلاف وهيج ، وما زالوا كذلك حتى خرجت عليهم بنو العباس ، فاستلبوهم منهم وملكهم ، وقتلوا منهم خلقاً ، وسلبوهم الخلافة ، كما سيأتي - إن شاء الله تعالى - ذلك مدحاً ومقدراً في مواضع ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

عند الله قد تم الجزء التاسع من البداية والنهاية ، وبليه الجزء العاشر وأوله : خلافة الوليد بن يزيد بن عبد الملك

## فهرس الجزء التاسع من البداية والنهاية لابن كثير

الوضوح	صفحة	الوضوح	صفحة
٢٥ وفاة جابر بن عبد الله شريح بن الحارث - ترجمته		٢ سنة أربع وسبعين	
٢٩ وفاة عبد الرحمن بن غنم - جنازة بن أمية -		٤ من توفي منها من الأعيان : رافع بن خديج	
السلاء بن زياد البصري - ترجمته		الأنصاري - أبو سعيد الخدري	
٣٠ وفاة سرافة بن مرداس - النابتة الجمدي وآخرين		عبد الله بن عمر بن الخطاب - ترجمته	
سنة تسع وسبعين		٦ عبيد بن عمير - شيء من أخباره	
وقوع طاعون عظيم بالشام - وصول الروم		٧ أبو جحيفة - سلمة بن الأكوع - مالك بن	
إلى أنطاكية		أبي عامر - أبو عبد الرحمن السلمي - أمير مصر	
٣٢ غزو « رتيلا » ملك الترك الأعظم		الأسدي - بشر بن مروان الأموي	
٣٤ وفاة عبد الله بن أبي بكر - أمير الجيوش		سنة خمس وسبعين	
الذي دخل بلاد الترك		٨ تولى الحجاج بن يوسف نيابة العراق - والبصرة	
سنة ثمانين		والسكوفة - وغيرها من الأقاليم	
٣٥ فيها كان السبل الجارف بككة حتى بلغ للماء		٩٣ وفاة الرباض بن سارية - أبو ثعلبة الحنفي	
الحجون - وكاد يغطي البيت		الأسود بن يزيد النخعي	
٣٦ وفاة أسلم - مولى عمر بن الخطاب - جبير بن		١٤ وفاة حوران بن أنان	
نكير - عبد الله بن جعفر بن أبي طالب - ترجمته		١٤ سنة ست وسبعين	
٢٧ وفاة أبو إدريس الخولاني		اجتماع صالح بن سرحد أمير الصفرية - وشبيب	
٣٨ وفاة سعيد الجهمي القدري		ابن يزيد الخارجي	
سنة إحدى وثمانين		١٥ دخول شبيب وامراته غزاة - السكوفة	
فيها فتح السملون مدينة قايغلا - وقتل بكير		١٧ فيها ضرب عبد الملك الدرام - اللهناير القوشة	
ابن وشاح - قنينة ابن الأعمش		وهو أول من نقشها - فيها ولد مروان بن محمد -	
٤١ فيها غزا موسى بن نصير بلاد الأندلس وأوغل		في بلاد المغرب - وتوفي بجبر بن ورقاء - وسويد	
ابن غفلة - وعبد الله بن شداد		سنة سبع وسبعين	
٤٢ وفاة محمد بن علي بن أبي طالب - العروف بابن		أخرج الحجاج إلى السكوفة جيشاً لهاربة شبيب	
الحنفية - وتاريخ حياته		٢١ قتل مصاد أخ شبيب - وغزاة امرأة شبيب	
سنة اثنين وثمانين		٢٢ مقتل شبيب	
فيها كانت واقعة الزاوية بين ابن الأعمش والحجاج		٢٤ وفاة كثير بن الصلت - محمد بن موسى بن طاحنة	
٤٥ وقصة دير الجمجم		عياض بن غنم الأشعري - مطرف بن عبد الله	
٤٧ وفاة الهلب بن أبي صبرة - أسامة بن		سنة ثمان وسبعين	
خارجة المزاري السكوفي		غزو بلاد الروم - فتح أرمينية	



الوضوع	صفحة	الوضوع	صفحة
الحارث - آخر من مات من الصحابة بمصر .		٤٨ وفاة النيرة بن الهباب . الحارث بن عبد الله	
وفاة عبد الملك بن مروان - والد الخلفاء		محمد بن أسامة بن زيد بن حارثة - عبد الله	
الأدومين - ترجمته وأعماله		ابن أبي طلحة - عبد الله بن كعب بن مالك	
٧٦ وفاة أوطاة بن زفر - مطرف بن عبد الله		عتان بن وهب - جميل بن عبد الله - صاحب	
ابن الشخير		بنيّة ، ترجمته	
٧٧ خلافة الوليد بن عبد الملك باني جامع دمشق		٥٠ وفاة عمر بن عبيد الله - ترجمته	
٧٨ سنة سبع وعثمانين		٥١ وفاة كليل بن زياد - ذاذان أبو عمرو السكندی	
فيها: غزت بلاد الروم والترك، ووصل ملكها		أم الدرداء الصغرى	
على مال حريل		٥٢ سنة ثلاث وعثمانين	
٨٠ فيها: توفي: عتبة بن عبد السلمي من الصحابة		استمرار القتال بين الحجاج وابن الأئمت	
للقدام بن ممدى كرب . أبو أمية الباهلي		٥٥ انتصار الحجاج على ابن الأئمت	
٨١ قبضة بن ذؤيب . عروة بن النيرة بن شعبة		٥٦ بناء واسط . وفاة عبد الرحمن بن جعيمة	
يحيى بن عمر . شريح بن الحارث القاضي		الحولاني . طارق بن شهاب . عبد الله بن	
٨١ سنة ثمان وعثمانين		عدي . عبد الله بن قيس	
٨٢ فيها: جرت محاولات لهدم المسجد النبوي		وفي هذه السنة فقد عدد كبير من القراء	
وإضافة حجر أزواج رسول الله .		والمفاه الذين كانوا مع ابن الأئمت	
هذا كان في مسجد دمشق		٥٧ سنة أربع وعثمانين	
٨٣ فيها: توفي عبد الله بن بسر . عبد الله بن		فيها: افتتحت البصرة، وغزت أرمينية وقتل	
أبي أوفى . هشام بن إسحاق . حميد بن حكيم		أيوب بن القزعة - وعدد كثير من أصحاب	
٨٤ سنة تسع وعثمانين		ابن الأئمت	
فيها: غزت بلاد الروم ونيرها - وفتح		٥٨ وفاة روح بن زنياع . عبد الرحمن بن الأئمت	
حصون كثيرة		٥٩ ترجمة أيوب بن القزعة و ترجمته .	
٨٥ توفي فيها: عبد الله بن ثمانية الهذلي الشاعر		٦٠ روح بن زبيل سنة خمس وعثمانين	
٨٥ سنة تسعين		فيها: عزل يزيد بن الهباب عن خراسان . قتل	
فيها: انتهت بلاد كثيرة وحصون من		عبد الرحمن بن الأئمت	
بلاد الروم		٦٢ وفاة عبد العزيز بن مروان بعد عزله عن	
٨٦ هروب يزيد بن الهباب وأخويه من - جي		إمارة مصر - ترجمته	
الحجاج وقد آمنهم سليمان بن عبد الملك		٦٥ وفاة عبد الملك لولده الوليد، ثم لأخيه سليمان	
٨٨ توفي فيها: بلذوق الطبيب الحادق .		٦٦ وفاة أبان بن عتبان . خالد بن يزيد بن	
عبد الرحمن بن السور . محمد بن يوسف التقي		معاوية - وآخرين	
أخو الحجاج . خالد بن يزيد بن معاوية		٦٧ سنة ست وعثمانين	
٨٩ عبد الله بن الزبير الأندلسي - الشاعر - وغيرهم		٦٧ فيها: كان ملاعون بالشام والبصرة . وفيها	
٨٩ سنة إحدى وتسعين		هو ملك الروم الآخرم لوري	
		فيها: توفي أبو أمية الباهلي . وعبد الله بن	

صفحة	الموضوع	صفحة	الموضوع
	غزو بلاد الروم والحدوق فتح مدائن وحصون		فيها غزيت بلاد الروم وفتح مدائن وحصون
١٣١	وفاة الحجاج بن يوسف - ترجمته	٩٠	عزى موسى بن نصير بلاد المغرب وتوغل فيها
١٣٦	فصل في كيفية دخول الحجاج العراق وخطبته أيام	٩٢	فيها توفي السائب بن يزيد - سهل بن سعد
١٤٣	فصل فيما روى عنه من "كلمات النافذة والجرأة البالغة"	٩٣	سنة ثنتين وتسعين
١٥٧	توفي من الأعيان في هذه السنة :		فيها : غزيت بلاد الروم - وغز أطارق بن زياد بلاد الأندلس
	إبراهيم بن يزيد النخعي - الحسن بن محمد بن الحنفية - حميد بن عبد الرحمن بن عوف - مطرف بن عبد الله بن الأشج	٩٣	توفي فيها : مالك بن أوس النضري - طويس اللقي - الأخطل الشاعر
١٥٧	سنة ست وتسعين	٩٤	سنة ثلاث وتسعين
	فتح قتيبة بن مسلم بعض بلاد الصين	٩٤	فيها : غزيت بلاد الروم وفتح بلاد وحصون فتح سمرقند
١٥٩	تسكامل بناء جامع دمشق الذي بناه الوليد ابن عبد الملك - وبذل اليهود في ذلك	٩٦	فيها : عزى موسى بن نصير مولاه طارق عن الأندلس - وتوغل في بلاد العرب
١٧١	قصيدة لبعض المحدثين في جامع دمشق	٩٨	وفاة أنس بن مالك - ترجمته
١٧٢	فصل فيما روى في جامع دمشق من الآثار وما ورد في فضله من الأخبار	١٠٣	وفاة عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة
١٧٥	السلام على ما يشاقق برأس يحيى بن زكريا		ترجم كعبر من الأعيان ومنهم : بلال بن أبي الفرجاء - زرارة بن أوفى - فروة ابن مجاهد - أبو الشتاء - جابر بن زيد
١٧٧	لم يسم باب الجامع اتيل « باب الساعات »	١٠٩	سنة أربع وتسعين
١٧٨	ذكر ابتداء أمر السبع في الجامع الأموي		فيها : غزيت الروم وافتتحت أرض الهند وغت أموال لا تحصى
١٧٩	فصل « في ابتداء عمارة جامع دمشق	١٠٧	مقتل سعيد بن جبير - وسبب ذلك - وكيفيته
١٨٠	وفاة الوليد بن غيد الملك - ترجمته	١٠٩	سعيد بن السيب
١٨٦	عن هكك أحم الوليد بن عبد الملك زياد بن حارثة التميمي : عبد الله بن عمر	١١٢	طارق بن حبيب النخعي
١٨٦	خلافة سليمان بن عبد الملك	١١٣	عروة بن الزبير بن العوام
١٨٧	سبب مقتل قتيبة بن مسلم - رثاؤه	١١٦	على بن الحسين بن علي بن أبي طالب
١٨٩	وفاة قررة بن شريك - باقي جامع القبر م	١٢١	قصيدة المرزوق في سيدنا علي زين العابدين
١٩٠	سنة سبع وتسعين	١٢٢	جاء المرزوق لحشام بن عبد الملك
	فيها : قتل عبد العزيز بن موسى بن نصير	١٢٤	تصاغ ذهبية لسيدنا علي ابن الحسين
١٩١	وفاة الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب	١٢٩	وفاة أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث
	وفاة موسى بن نصير - ترجمته	١٣٠	وفاة أبوسلفة أبو عبد الرحمن - عبد الرحمن ابن خالد الأزدى - عبد الرحمن بن معاوية
١٩٤	سنة ثمان وتسعين	١٣٠	سنة خمس وتسعين
	غزو القسطنطينية بزعامه مسلمة بن عبد الملك وبناء مسجد بها		
١٩٥	أعمال سليمان بن عبد الملك - وفتراته		

صفحة	الموضوع	صفحة	الموضوع
١٩٨	فيها: توفي: عبد الله بن عتبة مؤيد عمر ابن عبد العزيز - أبو الحنفى النخعي - عبد الله بن محمد بن الحنفية	١٩٨	سنة تسع وتسعين
	وفاته سليمان بن عبد الملك - ترجمته وتاريخ حياته	٢٠٦	خلافة عمر بن عبد العزيز أشجع بن مروان
	وفاته الحسن بن محمد بن الحنفية - عبد الله بن عبيد بن جبير	٢٠٧	وفاته الحسن بن محمد بن الحنفية - عبد الله بن عبيد بن جبير
	نافع بن جبير بن مطعم - محمد أخيه - مسلم بن يسار		خارجة بن زيد بن الضحاك - وغيرهم كثير
٢٠٩	سنة مائة		خروج الكروية - الخوارج - بالمرق وبده دعوتهم - برئاسة وكبيرهم بطام
	بده الدعوة إلى بني العباس	٢١١	وفاته كثير من الأعيان منهم: سالم الأشجعي
٢١٢	أبو القليل عامر بن والفة - أبو عاتق التهدي	٢١٤	سنة إحدى ومائة
٢١٤	فيها: حرب يزيد بن المهلب من السجن	٢١٤	وفاته عمر بن عبد العزيز - ترجمته
٢١٩	فصل «فما يؤثر عنه من الأخبار والآثار	٢٢٥	ما قلناه عنه زوجته فاطمة
٢٢٦	ما كان يشتهر به من الحسب والأشعار	٢٣٢	فصل في الحديث الذي روى بشأنه في دلائل النبوة
٢٣٢	فصل في أعماله السكرية الطاعة	٢٣٤	ذكر سبب وفاته - رحمه الله
٢٣٧	فصل في نفس أعماله في الدولة وخروجه على التناليد الموروثة	٢٤٤	خلافة يزيد بن عبد الملك
٢٤٤	وفاته بين أصحاب بطام وبين جند الكوفة	٢٤٥	سنة ثنتين ومائة
	نفت قتال بين صفه بن عبد الملك وبزيد ابن المهلب انتهت بزعزعة ابن المهلب		
٢٤٨	ولاية مسلمة بن عبد الملك على العراق وخراسان	٢٤٨	وفاته جرث بن الترك والمسلمين
٢٤٩	فيها: توفي القضاة: ابن مزاحم المسلائي	٢٤٩	سنة ثلاث ومائة
٢٤٩	فيها: توفي يزيد بن أبي مسلم	٢٥٠	مجاهد بن جبير للمسي - تاريخ حياته - وغيرها من كتابين
٢٥٦	سنة أربع ومائة	٢٥٧	فيها: غزيت بلاد الترك وقتعت حصون وقتل خلق كثير
	وفيها: وفد أبو العباس السفاح - أول خلفاء بني العباس - وتوفي فيها من الأعيان		خالد بن سمدان السكلاعي - عامر بن سعد
	ابن أبي وقاص - عامر بن شعراجل القاضى		أبو ردة بن أبي موسى الأشعري
	أبو قلابة الجري	٢٥٩	سنة خمس ومائة
	فيها: غزيت بلاد الترك وروم		وفاته يزيد بن عبد الملك - ترجمته
٢٦١	خلافة هشام بن عبد الملك بن مروان	٢٦٢	في هذه السنة توفي إبان بن عاتق بن غفان
٢٦٢	سنة ست ومائة		غزيت الترك وقتعت حصون وقتل الحاقان وعدد كثير من الترك
٢٦٣	فيها: توفي: الم بن عبد الله بن عمرو بن الخطاب		طالوس بن كيسان البجلي - ترجمته
٢٧٤	سنة سبع ومائة		فيها خرج رجل باليمن يسمى عباد بن عيسى يدعو إلى مذهب الخوارج
	وقع فيها طاعون عديد بالنام		توفي فيها سليمان بن يسار - أحد كتابين
٢٧٥	عكرمة مولى ابن عباس - ترجمته	٢٨١	الحلم بن محمد بن أبي بكر همداني - كثير عزة
	عشرة - ثمن من شعر	٢٨٨	سنة ثمان ومائة

صفحة	الموضوع	صفحة	الموضوع
٢٨٨	غزيت بلاد الروم والترك .	٢٦٠	سنة ثمان عشرة ومائة
	وتوفي فيها بكر بن عبد الله القرظي ، راشد		فيها : توفي علي بن عبد الله بن عباس - ترجمته
	ابن سعد الحمصي - ترجمته	٢٦١	سنة تسع عشرة ومائة
٢٨٩	محمد بن كعب القرظي - ترجمته		فيها : قتل خاقان ملك الترك الأعظم .
٢٩١	سنة تسع ومائة		الغيرة بن سعيد الساحر
٢٩٢	سنة عشر ومائة	٢٦٥	سنة عشرين ومائة
	غزيت فيها الترك والروم . عين قائد لأفرنجية	٣٦٧	ظهر شيعة آل عباس
	فيها توفي جرير الشاعر المشهور - ترجمته		سنة إحدى وعشرين ومائة
٢٩٨	توفي كذلك الفرزدق الشاعر المشهور	٢٦٩	توفي : فيها زيد بن علي بن الحسين - مسددة
٢٩٩	توفي الحسن بن أبي الحسن البصري		ابن عبد الملك - ترجمته
٣٠٨	توفي محمد ابن سيرين	٢٧٠	سنة ثنتين وعشرين ومائة
٣١٠	توفي وهب بن منبه البياضي - ترجمته من نصابه		مقتل زيد بن علي بن الحسين
٣٣٩	سليمان بن سعد . أم الهذيل . عائشة بنت	٣٧٣	قتل عبد الله أبو يحيى المروفي بالبطل -
	طالعة . عبد الله بن سعد . عبد الرحمن بن	٣٧٦	فيها : توفي إيساك الكي - ترجمته
	أبان بن عثمان بن عفان	٣٨١	سنة ثلاث وعشرين ومائة
٣٤٠	سنة إحدى عشرة		توفي فيها : كثير من الأعيان منهم
	سنة ثاني عشرة ومائة	٣٨١	سماك بن حرب . محمد بن واسع - ترجمته
٣٤١	توفي فيها : رجاء بن حيوة . شهر بن		سنة أربع وعشرين ومائة
	حوشب الأنصاري		فيها : قدم جماعة من دعاة بني عباس إلى
٣٤٢	سنة ثلاث عشرة ومائة		ملك وصاروا بالكونة
٣٤١	فيها : توفي الأديب عبد الوهاب بن شمس - ترجمته	٣٨٣	فيها توفي القاسم بن أبي بردة
٣٤٣	فيها : توفي مكحول الشامي - ترجمته		محمد بن مسلم بن شهاب الزهري - ترجمته
٣٤٣	سنة أربع عشرة ومائة	٣٨٨	فصل في ما روي عن الزهري . من الآثار
	فيها : توفي عطاء بن أبي رباح - ترجمته		والعلم والورع والزهيد
٣٤٧	سنة خمس عشرة ومائة	٣٩٢	فيها توفي : هلال بن سعد بن عيم - ترجمته
	فيها وقع طاعون بالشام	٣٩٤	ترجمة الجعد بن درهم
	توفي : أبو جعفر الباقر - ترجمته		سنة خمس وعشرين ومائة
٣٥١	سنة ست عشرة ومائة		فيها توفي أمير المؤمنين هشام بن عبد الملك
٣٥٢	سنة سبع عشرة ومائة		ذكر وفاته وترجمته
	توفي فيها : قتادة بن دعامة السدوسي - ترجمته	٣٩٦	الرد علي من قال أن هشام بن عبد الملك
٣٥٣	أبو الجلاب - سيد بن يسار - ميمون بن		طالب علي ابن الحسين بما كان استدانه
	مهران - ترجمته		من مروان بن الحكم
٣٥٩	ناتق مولى ابن عمر - ذو الرمة الشاعر		

# الْبَيْدَانِيَّةُ وَالنَّهْائِيَّةُ

في التاريخ

للإمام الحافظ المفسر المؤرخ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل

ابن عمر بن كثير القرشي الدمشقي المتوفى سنة ٧٧٤ هـ

## الجزء العاشر

مكتبة المطبع والنشر

دار الفكر العربي

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## خلافة الى يزيد بن عبد الملك الفاسق

قال الواقدي : يبيع له بالخلافة يوم مات عمه هشام بن عبد الملك يوم الأربعاء لست خلون من  
ربيع الآخر سنة خمس وعشرين ومائة . وقال هشام بن السكابي : يبيع له يوم السبت في ربيع  
الآخر ، وكان عمره إذ ذاك أربعاً وثلاثين سنة . وكان سبب ولايته أن أباه يزيد بن عبد الملك كان  
قد جعل الأمر من بعده لأخيه هشام ثم من بعده لولده الوليد هذا ، فلما ولي هشام أكرم ابن أخيه  
الوليد حتى ظهر عليه أمر الشراب وخططاء السوء ومجالس الهوى ، فأراد هشام أن يقطع ذلك عنه  
فأمره على الحج سنة ست عشرة ومائة ، فأخذ معه كلاب الصيد خفية من عمه ، حتى يقال إنه جعلها  
في صناديق فسطح منها صندوق فيه كلب فسمع صوته فاحلوا ذلك على الجمل فضرب على ذلك .  
قالوا : وأصطح الوليد قبة على قدر الكعبة ، ومن عزمه أن ينصب تلك القبة فوق - طبع الكعبة ويجاس  
هر وأصحابه هناك ، واستصحب معه الخمر والآلات الملاحى وغير ذلك من المنكرات ، فلما وصل  
إلى مكة هاب أن يفعل ما كان قد عزم عليه ، من الجلوس فوق ظهر الكعبة خوفاً من الناس ومن  
إنكارهم عليه ذلك ، فلما تحقق عمه ذلك منه نهام مراراً فلم يفته ، واستمر على حاله التيسع ، وعلى فعله  
الردى ، فزعم عمه على خلمه من الخلافة - وليته فعل - وأن يولى بعده مسلمة بن هشام ، وأجابه إلى  
ذلك جماعة من الأمراء ، ومن أخواله ، ومن أهل المدينة ومن غيرهم ، وليت ذلك ثم . ولكن لم ينتظم  
حتى قال هشام يوماً لوليد : ويحك ! والله ما أدرى أعلى الإسلام أنت أم لا ، فانك لم تدع شيئاً من

المشكرات إلا أنته غير متعاش ولا مستقر . فكتب إليه الوليد :

يا أيها السائل عن ديننا • ديني على دين أبي شاكر

خشيها صرنا ومزوجة • بالدين أحيانا وبالقاتر

فكتب هشام على ابنه مسلمة ، وكان يسمى أبا شاكر ، وقال له : كتب الوليد بن يزيد وأنا أريد أن أريك إلى الغلالة ، وبعثه على الموسم سنة تسع عشرة ومائة فأظهر الناسك والوعار ، وقسم بمكة والمدينة أموالا ، فقال مولى لأهل المدينة :

يا أيها السائل عن ديننا • نحن على دين أبي شاكر

الواهب الجرد بأرسلها • ليس بزندق ولا كافر

ووقف بين هشام وبين الوليد بن يزيد وحشة عظيمة بسبب تعاطي الوليد ما كان يتعاطاه من الفواحش والمشكرات ، فتذكر له هشام وعزم على خلع وتولية هذه مسلمة ولاية العهد ، فزمت الوليد إلى الصحراء ، وجلا يتراسلان بأقبح المراسلات ، وجعل هشام يتوعد عيدا شديداً ، ويتهده ، ولم يزل كذلك حتى مات هشام والوليد في البرية ، فلما كانت الليلة التي قدم في صبيحتها عليه البرد بالغلالة ، قال الوليد تلك الليلة قلعا شديداً ، وقال لبعض أصحابه : ويحك قد أخفني الليلة قلبي عظيم فاركب لعلنا نيسط ، فساروا ميلين يتكلمون في هشام وما يتعلق به ، من كتبه إليه بالتهديد والوعيد ، ثم رأوا من بعدهم وأصواتا غيورا ، ثم انكشف ذلك عن برد يقصده به بالولاية ، وقال لصاحبه : ويحك أين هذه رسل هشام ، أنهم اعطنا خيرها ، فلما اقتربت البرد منه وتبينوه ترجلوا إلى الأرض وجاؤا فسلوا عليه بالغلالة ، فهت وقال : ويحكم أمات هشام ؟ قالوا : نعم ، قال : فن بشكم ؟ قالوا : سالم بن عبد الرحمن صاحب ديوان الرسائل ، وأعطوه الكتاب هراءاً ثم سألهم عن أحوال الناس وكيف ملت مع هشام ، فأخبروه . فكتب من فوره بالاحتياط على أموال هشام وحواله بالرافة وقال :

ليت هشام عاش - حتى يرى • مكيله الأوفر قد طُبنا

كفناه بالصاع الذي كلف • وما ظنناه به إسبنا

وما أتينا ذلك عن يدعة • أحله الهزنان لي أجما

وقد كان الزهري يحث هشاماً على خلع الوليد هذا ويستنصه في ذلك ، فيجزم هشام عن ذلك خوفاً النصيحة من الناس ، ولثلا فتذكر قلوب الأجناد من أجل ذلك ، وكان الوليد يهزم ذلك من الزهري وينصه ويتوعد ، فيقول له الزهري : ما كان الله ليعلمك على يافاسق ، ثم مات الزهري قبل ولاية الوليد ، ثم فر الوليد من عمه إلى البرية فلم يزل بها حتى مات ، فاحتاط على أموال

عنه ثم ركب متن فوره من البرية وقصد دمشق، واستعمل المال وجاءته البيعة من الآفاق، وجاءته الوفود، وكتب إليه مروان بن محمد - وهو إذ ذاك نائب أرمينية - ببارك له في خلافة الله له على عباده والتمكين في بلاده، وجنته بمرت هاشم ونظفه به، والنحكم في أمواله وحواصله، ويذكر له أنه جدد البيعة له في بلاده، وأنهم فرحوا واستبشروا بذلك، ولولا خوفه من التفرق لاستجاب عليه وركب بنفسه شوقاً إلى رؤيته، ورغبة في مشافهته، ثم إن الوليد سار في الناس سيرة حسنة بادی الرأي وأمر بإعطاء الزمنى والمجنومين والمعيان لكل إنسان خادماً، وأخرج من بيت المال الطيب والتحف لميالات المسلمين، وزاد في أعطيات الناس، ولاسيما أهل الشام والوفود، وكان كرمياً بمحدثاً شاعراً مجيداً، لا يسأل شيئاً قط فيقول لا، ومن شعره قوله يمدح نفسه بالكرم:

ضمنت لكم إن لم تقضى عوائق • بأن ساء البصر عنكم ستفلق  
سيوشك الخلق مما وزيادة • وأعطية مني إليكم تبرع  
محرمكم ديوانكم وعطاؤكم • به يكتب الكتاب شهراً وقطع

وفي هذه السنة عقد الوليد البيعة لابنه الحكم ثم عثمان، على أن يكونا ولي العهد من بعده، وبعث البيعة إلى يوسف بن عمر أمير العراق وخراسان، فأرسلها إلى نائب خراسان نصر بن سيار، فخطب بذلك نصر خطبة عظيمة بليغة طويلة، ساقها ابن جرير بكاملها، واستوفى الوليد المالك في المشارق والمغرب، وأخذت البيعة لولديه من بعده في الآفاق، وكتب الوليد إلى نصر بن سيار بالاستقلال بولاية خراسان، ثم وفد يوسف بن عمر على الوليد فساله أن يرد إليه ولاية خراسان فردها إليه كما كانت في أيام هاشم، وأن يكون نصر بن سيار ونوابه من تحت يده، فكتب عند ذلك يوسف بن عمر إلى نصر بن سيار يستوفيه إلى أمير المؤمنين بأهله وعياله، وأن يكثر من استصحاب الهدايا والتحف. فحمل نصر بن سيار ألف حمله على الخليل، وألف وصيفة وشيئا كثيراً من ألبريق الفضة والذهب، وغير ذلك من التحف، وكتب إليه الوليد يستعجه سريعا ويطلب منه أن يحمل معه طنائير وبرايط ومقنيات وبازات وبراذين فره، وغير ذلك من آلات الطرب والفسق، ففكر الناس ذلك منه وكروهوا. وقال المنجيون لنصر بن سيار: إن الفتنة قريباً ستقع بالشام، فحمل يفتل في سيرة، لما أن كان ببعض الطريق جاءتته البرد فأخبروه بأن الخليفة الوليد قد قتل وهاجت الفتنة العظيمة في الناس بالشام، فدخل بما معه إلى بعض المدن فأقام بها، وبلغه أن يوسف بن عمر قد هرب من العراق واضطربت الأمور، وذلك بسبب قتل الخليفة على ما سنده كره، وبلغه السمتان.

وفي هذه السنة ولي الوليد يوسف بن محمد بن يوسف التقي ولاية المدينة ومكة والطائف، وأمره أن يقيم إبراهيم ومحمداً ابني هاشم بن إسماعيل الخزاعي بالمدينة مهاتين لكونهما خالي هاشم، ثم يبعث



جها إلى يوسف بن عمر نائب العراق فيشمها إليه . فإزال بنفسها حتى ماتا ، وأخذ منها أموالا كثيرة .  
وفي هذه السنة ولي يوسف بن محمد بن يحيى بن سعيد الأنصاري قضاء المدينة ، وفيها بعث الوليد بن  
يزيد إلى أهل قبرص جيشا مع أخيه وقال : خيرهم فمن شاء أن يتحول إلى الشام ، ومن شاء أن  
يتحول إلى الروم ، فكان منهم من اختار جوار المسلمين بالشام ، ومنهم من انتقل إلى بلاد الروم .  
قال ابن جرير : وفيها قدم سليمان بن كثير ومالك بن الحيثم ولاهر بن قريظ وقحطبة بن شبيب  
فلقوا في قول بعض أهل السير - محمد بن علي فأخبروه بقصة أبي مسلم قال : آخرهم أرم لا قالوا :  
أما هو فيزعم أنه حر ، وأما مولاه فيزعم أنه عبده ، فاشتروه فأعتقوه ، ودفعوا إلى محمد بن علي ما اتقى  
ألف درهم وكوة بثلاثين ألفا ، وقال لهم : لعلكم لا تلقون بعد علمكم هذا ، فإن مات صاحبكم  
إبراهيم بن محمد - بنى ابنه - فانه ابنى ، فأوصيكم به - ومات محمد بن علي في مستهل ذي القعدة في  
هذه السنة بعد أبيه بسبع سنين . وفيها قتل يحيى بن زيد بن علي بنجراسان . وحج بالناس فيها يوسف  
ابن محمد التقي أمير مكة والمدينة والطائف . وأمير العراق يوسف بن عمر ، وأمير خراسان نصر بن  
سيار ، وهورق حمة الوفود إلى الوليد بن يزيد أمير المؤمنين بما معه من الهدايا والتحف ، فقتل الوليد  
قبل أن يجتمع به . ومن توفى فيها من الأعيان :

#### ﴿ محمد بن علي ﴾

ابن عبد الله بن عباس أبو عبد الله المدني ، وهو أبو السفاح والمنصور ، روى عن أبيه وجده  
وسعيد بن جبير وجماعة ، وحدث عنه جماعة منهم ابنه الخليلتان ، أبو العباس عبد الله السفاح ،  
وأبو جعفر عبد الله المنصور ، وقد كان عبد الله بن محمد بن الحنفية أوصى إليه بالأمر من بعده ،  
وكان عنده علم بالأخبار ، فبشره بأن الخلافة ستكون في ذلك ، فدنا إلى نفسه في سنة سبع  
وثمانين ، ولم يزل أمره يتزايد حتى توفى في هذه السنة ، وقيل في التي قبلها ، وقيل في التي بعدها ،  
من ثلاث وستين سنة ، وكان من أحسن الناس شكلا ، فأوصى بالأمر من بعده لولده إبراهيم ، فله  
أبرم الأمر إلا لولده السفاح ، فاستلب من بني أمية الأرم في سنة ثنتين وثلاثين كما سيأتي .

#### ﴿ وأما يحيى بن زيد ﴾

ابن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب فانه لما قتل أبوه زيد في سنة إحدى وعشرين ومائة ،  
لم يزل يحيى مختفيا في خراسان عند الحريش بن عرو بن داود يبلغ ، حتى مات هشام ، فكتب  
عند ذلك يوسف بن عمر إلى نصر بن سيار ينفذه بأمر يحيى بن زيد ، فكتب نصر بن سيار إلى  
نائب بلغ مع عقيل بن منقل السجلى ، فأحضر الحريش فلقبه سقاة سوط فلم يدل عليه ، وجاء ولد  
الحريش فلم عليه فحبس ، فكتب نصر بن سيار إلى يوسف بذلك ، فبست إلى الوليد بن يزيد

بغيره بذلك ، فكتب الوليد إلى نصر بن سيار يأمره بإطلاقه من السجن وإرساله إليه محبة أصحابه ، فأطلقهم وأطلق لهم وجوزهم إلى دمشق ، فلما كانوا يبعض الطريق توسم نصر منه غمراً ، فبث إليه جيشاً عشرة آلاف فكرم يحيى بن زيد ، وإثماً معه سبعون رجلاً ، وقتل أميهم واستلب منهم أموالاً كثيرة ، ثم جاءه جيش آخر قتلوه واحتزوا رأسه وقتلوا جميع أصحابه رحمهم الله  
( ثم دخلت سنة ست وعشرين ومائة )

فيها كان مقتل الوليد بن يزيد بن عبد الملك وحده ترجمته  
هو الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم ، أبو العباس الأديب المشفق ، بويح له بالطلافة بعد عمه هشام في السنة الثالثة بعد من أبيه كاقمننا . وأمه أم الحجاج بنت محمد بن يوسف الثقفي ، وكان مولده سنة تسعين ، وقيل ثنتين وتسعين ، وقيل سبع وثلاثين ، وقتل يوم الخميس فلبتين ببيتنا في جمادى الآخرة سنة ست وعشرين ومائة ، ووقعت بسبب ذلك فتنة عظيمة بين الناس بسبب قتله ، ومع ذلك إنما قتل لفسقه ، وقيل وزندقته . وقد قال الامام أحمد : حدثنا أبو المنيرة ثنا بن عياش حدثني الأوزاعي وغيره عن الزهري عن سديد بن المسيب عن عمر بن الخطاب قال : ولد لآخي أم سلمة زوج النبي ﷺ غلام فسموه الوليد ، فقال النبي ﷺ « محبتهم بأسم فراعيتكم » ليكون في هذه الأمة رجل يقال له الوليد ، لم أشد فساداً لهذه الأمة من فرعون لقومه . قال الحافظ ابن عساكر : وقد رواه الوليد بن مسلم ومقتل بن زيد ومحمد بن كثير وبشر بن بكر عن الأوزاعي فلم يذكره عمر في إسناده وأرسلوه ، ولم يذكر ابن كثير حميد بن المسيب ، ثم ساق طرقه منه كلها بأسانيدها وألفاظها . وحكى عن البيهقي أنه قال : هو مرسل حسن ، ثم ساق من طريق محمد بن محمد بن عمر بن عطاء عن زبيب بنت أم سلمة عن أمها قالت : « دخل النبي ﷺ وعندي غلام من آل المنيرة اسمه الوليد ، فقال : من هنا يا أم سلمة ؟ قالت : هذا الوليد ، فقال النبي ﷺ : قد أخذتم الوليد خناً ( حسناً ) غيره واسمه ، فانه سيكون في هذه الأمة فرعون يقال له الوليد » . وروى ابن عساكر من حديث عبد الله بن محمد بن مسلم ثنا عبد بن غالب الأنطاكي ثنا محمد بن سليمان بن أبي داود ثنا صدقة عن هشام بن القزاز عن مكحول عن أبي ثعلبة الخشني عن أبي عبيدة ابن الجراح عن النبي ﷺ قال : « لا يزال هذا الأمر قائماً بالتسقط حتى يشله رجل من بني أمية » .  
( صفة قتله وزوال دولته )

كان هذا الرجل مجاهراً بالافواحش مصراً عليها ، مشتهراً بحارم الله عز وجل ، لا يتحاشى من مصالحة . وزعم انه بهضم بالزندقة والانحلال من الدين ، فله أعلم ، لكن اتقى يظهر أنه كان علياً شاعراً ما جانا ، متعلماً للسامي ، لا يتحاشاها من أحد ، ولا يستحي من أحد ، قبل أن يلى

الاطلاعة وبعد أن ولي ، وقد روى أن أخاه سليمان كان من جملة من سعى في قتله ، قال : أشهد أنه كان شروبا للخمر ما جافا فاسقا ، ولقد أرادني هلى فضى الفاسق . وحكى المقاتي بن زكريا عن ابن دريد عن أبي حاتم عن النبي أن الوليد بن يزيد نظر إلى نصرانية من حسان نساء النصارى أحبها سفرى فأحبها ، فبث براودها عن نفسها فأبى عليه ، فألح عليها وعشقها فلم تقاوعه ، فافق اجتماع النصارى في بعض كنائسهم ليد لهم ، فذهب الوليد إلى بستان هناك فتشكر وأظهر أنه مصاب ، ففرج النساء من الكنيسة إلى ذلك البستان ، فرأينه فأحسقن به ، فجعل يكلم سفرى ويحدثها وتضاحكه ولا تفرقه ، حتى اشتفي من النظر إليها ، فلما انصرفت قيل لها : ويحك أنتدين من هذا الرجل ؟ فقالت : لا ! فقيل لها هو الوليد . فلما تحققت ذلك حنت عليه بعد ذلك وكانت عليه أحرص منه عليها قبل أن تحن عليه . قال الوليد في ذلك أبياتا :

أضحك فؤادك يا وليد عيدا • صبا قدما لحسان صيردا  
في حب واضحة العوارض طرفة • برزت لنا نحو الكنيسة عيدا  
مازلت أرقها بيبقى وادق • حتى بصرت بها قبل عودا  
هو والصليب فخرج من رأى • منك صليبا مثله مبرودا  
فألت دى أن أكون مكانه • وأكون في لب الجميع وقودا  
وقال فيها أيضا لما ظهر أمره وعلم بحاله الناس . وقيل إن هذا وقع قبل أن يلى الخلافة :  
ألا حبذا سفرى وإن قبل إني • كلفت بنصرانية تشرب الحرا  
يهون علينا أن نفلل نهارة • إلى الليل لاظهر الفصل ولا عصرا

قال القاضى أبو الفرج المقاتي بن زكريا الجربى المعروف بابن طراد النهر والى بعد إبراده هذه الأشياء : لوليد في نحو هذا من الاطلاعة والمجون وسخافة الدين ما يطول ذكره ، وقد ناقضناه في أشياء من منظوم شعره المنضم ريك ضلاله وكذره . وروى ابن عساكر بسنده أن الوليد سمع بخمار صاف بالحيرة قصدده حتى شرب منه ثلاثة أرطال من الخمر ، وهو راكب على فرسه ، ومعه اثنان من أصحابه ، فلما انصرف أمر الخمار بخمسة مائة دينار . وقال القاضى أبو الفرج : أخبار الوليد كثيرة قد جمعها الأخباريون مجموعة ومفردة ، وقد جمعت شيئا من سيرته وأخباره ، ومن شعره الذى ضمنه ما فجر به من جرأته وسفاهته وحته وهزله ومجونه وسخافة دينه ، وما صرح به من الإلحاد في القرآن المرمز به ، والكفر بمن أنزه وأنزل عليه ، وقد علوت شعره السخيف بشر حفيف ، وباطله بحق نبيه شريف ، وترجبت رضا الله عز وجل واستجاب مغفرته .

وقال أبو بكر بن أبي خيثمة : ثنا سليمان بن أبي شيخ ثنا صالح بن سليمان ، قال : أراد الوليد

ابن يزيد الحج وقال : أشرب فوق ظهر الكعبة الحجر ، فبهوا ان يشكوا به إذا خرج ، فجأوا إلى خالد ابن عبد الله القسري فأنلوه أن يكون معهم فأبى ، فقالوا له : فاكتم علينا ، فقال : أما هذا فزعم ، فجاء إلى الوليد فقال : لا تخرج فأتى أخاف عليك ، فقال : ومن هؤلاء الذين تخافهم ؟ قال : لا أعيرك بهم . قال : إن لم تخبرني بهم يمشت بك إلى يوسف بن عمر ، قال : وإن يمشت بي إلى يوسف ابن عمر ، فيمتني إلى يوسف فماتني حق قتله . وذكر ابن جرير أنه لما امتنع أن يسله بهم سجنه ثم سله إلى يوسف بن عمر يستخلص منه أموال المراق قتله ، وقد قيل إن يوسف لما وفد إلى الوليد اشترى منه خالد بن عبد الله القسري بمخمسين ألفاً يستخلصها منه ، فإزال يماقيه ويستخلص منه حتى قتله ، فضضيت أهل اليمن من قتله ، وخرجوا على الوليد .

قال الزبير بن بكار : حدثنا مصعب بن عبد الله قال سمعت أبي يقول : كنت عند المهدي فذكر الوليد بن يزيد فقال رجل في المجلس : كان زنديقاً ، فقال المهدي : خلافة الله عنده أجبل من أن يجعلها في زنديق . وقال أحمد بن عمر<sup>(١)</sup> بن حوصلة الحمشي : ثنا عبد الرحمن بن الحسن ثنا الوليد ابن مسلم ثنا حصين بن الوليد عن الأزهري بن الوليد قال : سمعت أم الدرداء تقول : إذا قتل الخليفة الشاب من بني أمية بين الشام والمراق مظلوماً لم يزل طاعة مستخف بها ودم مسفوك على وجه الأرض ينبرحق . قال الامام أبو جعفر بن جرير الطبري :

« ذكر قتل يزيد بن الوليد الذي يقال له الناقص لوليد بن يزيد وكيف قتله »

قد ذكرنا بعض أمر الوليد بن يزيد وصلاحه وبجائته وفسقه وما ذكر عن تهاوته بالصلوات واستخفافه بأمر دينه قبل خلافته وبسدها . فانه لم يزد في الخلافة إلا شراً ولها ولاة ودركوا بالصيد وشرب المسكر وملازمة الفساق ، فازادته الخلالة على ما كان قبلها إلا تمادياً وغروراً ، فقتل ذلك على الأمراء والرعية والجند ، وكرهوه كراهة شديدة ، وكان من أعظم ما جرى على نفسه حتى أوردته ذلك هلاكه ، إفشاده على نفسه بني عمه هشام والوليد بن عبد الملك مع إفشاده الجمانية ، وهي أعظم جند خراسان ، وذلك أنه لما قتل خالد بن عبد الله القسري وسله إلى غريمه يوسف بن عمر ألقى هو نائب المراق إذ ذاك ، فلم يزل يماقيه حتى حلك ، فاقبلوا عليه وتنكروا له وسامه قتله كما سنذكره في ترجمته . ثم روى ابن جرير بسنده أن الوليد بن يزيد ضرب ابن عمه سليمان بن هشام مائة سوط وحلق رأسه ولحيته وغربه إلى عمان فحبسه بها ، فلم يزل هناك حتى قتل الوليد ، وأخذ جلوية كانت لاكل عمه الوليد بن عبد الملك ، فكلته فيها عمر بن الوليد فقال : لا أردّها ، فقال : إذا تنكث الصواهل حول عسكرك . وحبس الأتقم يزيد بن هشام ، وباع لولديه الحكم وعثمان ، وكانا دون

البلوغ ، فشق ذلك على الناس أيضا ونصحوه فلم ينتصحو ، ونهوه فلم يرتدع ولم يقبل .  
 ظل المدائني في روايته : قال ذلك على الناس ورماء بنو هاشم وبنو الوليد بالكفر والزندقة  
 وغشيان أمهات أولاد أبيه ، وبالأوط وغيره ، وقالوا : قد أتت مائة جامعة على كل جامعة اسم رجل  
 من بني هاشم ليقتله بها ، ورموه بالزندقة ، وكان أشدهم فيه قولاً يزيد بن الوليد بن عبد الملك ، وكان  
 الناس إلى قوله أميل . لأنه أظهر الفسك والتواضع ، ويقول ما يسعنا الرضا بالوليد حتى حل الناس  
 على الفتنك . ، قالوا : وانتدب لقيام عليه جماعة من قضاة واليانية وخلق من أعيان الأمراء وآل  
 الوليد بن عبد الملك ، وكان القائم بأعباء ذلك كله والداعي إليه يزيد بن الوليد بن عبد الملك ،  
 وهو من سادات بني أمية ، وكان ينسب إلى الصلاح والدين والورع ، فبايحه الناس على ذلك ، وقد  
 نهاه أخوه العباس بن الوليد فلم يقبل ، فقال : والله لولا أني أخلف عليك لقيدتك وأرسلتك إليه ،  
 واتفق خروج الناس من دمشق من وباء وقع بها ، فكان من خرج الوليد بن يزيد أمير المؤمنين  
 في طائفة من أصحابه نحو المائتين ، إلى ناحية مشارف دمشق ، فانتظم إلى يزيد بن الوليد أمره وجعل  
 أخوه العباس ينهاه عن ذلك أشد لانهي ، فلا يقبل ، فقال العباس في ذلك :

إني أعيدكم بالله من فتن \* مثل الجبال تساق ثم تدفع  
 لن الدهرية قد ملئت سياضكم \* فاستمكروا به وادعوا  
 لاتلحن ذئاب الناس أنفسكم \* إن القلب إذا ما ألحت رتموا  
 لا تبقرن بأيديكم بطونكم \* ثم لا حصرة تفنى ولا جزع

فلما استوثق ليزيد بن الوليد أمره ، وبايحه من بايحه من الناس ، قصد دمشق فدخلها في غيبة  
 الوليد فبايحه أكثر أهلها في الليل ، وبلغه أن أهل المزة قد بايخوا كبيرهم معاوية بن مصكاد ، فضى  
 إليه يزيد ماشيا في نفر من أصحابه ، فأصابهم في الطريق خطر شديد ، فأثوه فطرقوا بابه ليلا ثم دخلوا  
 فمكلمه يزيد في ذلك فبايحه معاوية بن مصكاد ، ثم رجع يزيد من ليلته إلى دمشق على طريق القنطرة  
 وهو على حمار أسود ، فخلف أصحابه أنه لا يدخل دمشق إلا في السلاح ، فلبس سلاحا من تحت ثيابه  
 فدخلها ، وكان الوليد قد استناب على دمشق في غيبته عبد الملك بن محمد بن الحجاج بن يوسف  
 الثقفي ، وعلى شرمها أبو العجاج كثير بن عبد الله السلمي ، فلما كان ليلة الجمعة اجتمع أصحاب يزيد  
 بين المائتين عند باب الفراديس ، فلما أذن المشاء الآخرة دخلوا المسجد ، فلما لم يبق في المسجد  
 غيرهم بشوا إلى يزيد بن الوليد فجاءهم قصدوا باب المقصورة ففتح لهم خادم ، فدخلوا فوجدوا أبا العجاج  
 وهو سكران ، فأخفوا خزائن بيت المال وتسلطوا الخواص ، وهتفوا بالأسلحة ، وأمر يزيد باغلاق  
 أبواب البلد ، وأن لا يخرج إلا من يعرف ، فلما أصبح الناس قدم أهل الخواص من كل جانب

فدخلوا من سائر أبواب البلد ، كل أهل محلة من الباب الذي يليهم ، فكثرت الجيوش حول يزيد  
ابن الوليد بن عبد الملك في نصرته ، وكلمهم قد يابسه بالطلافة . وقد قال فيه بعض الشعراء في ذلك : -

لجأتهم أنصارهم حين أصبحوا • سكاسكها أهل البيوت الصناديد  
وكلب لجأؤهم بخيل وعدة • من البيض والابدين ثم السواعد  
فأكرم بها أحياء أنصار سنة • هم منموا حرمانها كل جاحد  
وجاءتهم شيبان والأزد شرعاً • وعيس ونظم بين حام وذائد  
مومنان والحيان قيس وقتلب • واحجم عنها كل وان وزاهد  
فما أصبحوا إلا وهم أهل ملكها • قد استوتقوا من كل عت وملاد

وبعث يزيد بن الوليد عبد الرحمن بن مصاد في مائتي فارس إلى قضا ليأتوه بهد الملك بن محمد  
ابن الحجاج نائب دمشق وله الأمان ، وكان قد تحصن هناك ، فدخلوا عليه فوجدوا عنده خرجين  
في كل واحد منهما ثلاثون ألف دينار ، فلما مروا بالمزة قال أصحاب ابن مصاد : خذ هذا المال فهو  
خير من يزيد بن الوليد ، فقال : لا والله لا تحدث العرب في أول من خان ، ثم أتوا به يزيد بن  
الوليد فاستخدم من ذلك المال جنداً قتل قريباً من ألفي فارس ، وبعث به مع أخيه عبد العزيز بن  
الوليد بن عبد الملك خلف الوليد بن يزيد ليأتوا به ، وركب بعض موالى الوليد فرساً سابقاً فساق  
به حتى انتهى إلى دولا من الليل ، وقد فاق الفرس من السوق ، فأخبره الخبر فلم يصدق وأمر  
بضربه ، ثم تواترت عليه الأخبار فأشار عليه بعض أصحابه أن يتحول من منزله ذاك إلى حصن فاتها  
حصينة . وقال الأبرش سميد بن الوليد السكبي : انزل على قومي بندمر ، فأبى أن يقبل شيئاً من  
ذلك ، بل ركب بمن معه ، وهو في مائتي فارس ، وقصد أصحاب يزيد فالتقوا بشقة في أثناء الطريق  
فأخذوه وجاء الوليد فقتل حصن البغراء الذي كان لثمان بن بشير ، وجاءه رسول العباس بن  
الوليد إلى أنيك - وكان من أنصاره - فأمر الوليد بإبراز سريره فجلس عليه وقال : أعلى يتوب  
الرجال وأنا أثب على الأسد وأتخضر الأعشى ؟ وقدم عبد العزيز بن الوليد بمن معه ، وإنما كان قد  
أخبر منه من الأتقي فارس مائة فارس ، فتصانفوا فالتقوا قتالاً شديداً ، فقتل من أصحاب العباس  
مائة حملت رؤسهم إلى الوليد ، وقد كان جاء العباس بن الوليد لنصرة الوليد بن يزيد ، فبعث إليه  
خوه عبد العزيز فيخبره به قهراً حتى يابح لأخيه يزيد بن الوليد ، واجتمعوا على حرب الوليد بن  
يزيد ، فلما رأى الناس اجتماعهم فروا من الوليد إليهم ، وبقي الوليد في ذل وقتل من الناس ، فلجأ  
إلى الحصن فجاءوا إليه وأحاطوا به من كل جانب محاصرونه ، فعدوا الوليد من باب الحصن فنادى  
ليكني رجلاً شريفاً ، فكلمه يزيد بن عتيبة السكبي ، فقال الوليد : ألم أدفع الموت عنكم ؟

ألم أعط قراءكم ؟ ألم أخدم نسائك ؟ فقال يزيد : إنما تنعم عليك انتهك المحرم وشرب الخمر  
 ونكاح أهلات أولاد أبيك ، واستخفافك بأمر الله عز وجل . قال : حسبك يا أبا السكاسك ، لقد  
 أكثرت وأغرت ، وإن فيها أحل الله لي لسة عما ذكرته . ثم قال : أما والله لأتزن قتلنوني لأرتحن  
 قنتكم ولا يلم شتمكم ولا يجتمع كنكم . ورجع إلى القصر فجلس ووضع بين يديه مصحفا ففشره  
 وأقبل يقرأ فيه وقال : يوم كيوم عثان ، واستسلم ، وتصور عليه أولئك الحائط ، فكان أول من نزل  
 إليه يزيد بن عنبسة ، فتقدم إليه وإلى جابه سيف قال : نحه عنك ، فقال الوليد : لو أردت القتال  
 به لكان غير بعيد ، فأخذ بيده وهو يريد أن يجبه حتى ييمث به إلى يزيد بن الوليد ، فبادره  
 عليه عشرة من الأمراء فأقبلوا على الوليد يضربونه على رأسه ووجهه بالسيف حتى قتله ، ثم جروه  
 برجله لبحر جوه ، فصاحت النسوة فزكره ، واحتزأ أبو علاقة القضاعي رأسه ، واحتاطوا على ما كان  
 معه مما كان خرج به في وجهه ذلك ، وبشوا به إلى يزيد مع عشرة نفر ، منهم منصور بن جهور  
 وروح بن مقل وبشر مولى كنانة من بني كلب ، وعبد الرحمن الملقب بوجه الفأس ، فلما انتهوا إليه  
 بشروه بقتل الوليد وسدوا عليه بالخلافة ، فأطلق لكل رجل من العشرة عشرة آلاف ، فقال له  
 روح بن بشر بن مقل : أبشر يا أمير المؤمنين بقتل الوليد الفاسق ، فسجد شكرا لله ورجعت  
 الجيوش إلى يزيد ، فكان أول من أخذ يده للبايعة يزيد بن عنبسة السكسي فانتزع يده من يده  
 وقال : اللهم إن كان هذا رضى لك فأعني عليه ، وكان قد جعل ابن جاهد رأس الوليد مائة ألف  
 درهم ، فلما جئ به - وكان ذلك ليلة الجمعة وقيل يوم الأربعاء - ليلتين بقيتا من جمادى الآخرة  
 سنة ست وعشرين ومائة . فأمر يزيد بنصب رأسه على رمح وأن يطاف به في البلد ، فقيل له إنما  
 ينصب رأس الخارجي ، فقال : والله لأنصبته ، فشهره في البلد على رمح ثم أودعه عند رجل شهر ثم  
 بعث به إلى أخيه سليمان بن يزيد ، فقال أخوه ببدالة : أشهد أنك كنت شروبا للخمر ماجنا فاسقا  
 ولقد أراذني على نفسى هذا الفاسق وأنا أخوه ، لم يأف من ذلك . وقد قيل إن رأسه لم يزل معلقا  
 بمحائط جامع دمشق الشرقى مما يلي الصحن حتى اقتضت دولة بني أمية ، وقيل إنما كان ذلك أمره ،  
 وكان عمره يوم قتل ستا وثلاثين سنة ، وقيل ثمانيا وثلاثين ، وقيل إحدى وثلاثين ، وقيل ثنتان وقيل  
 خمس ، وقيل ست وأربعون سنة . ومدة ولايته سنة وستة أشهر على الأشهر ، وقيل ثلاثة أشهر . قال  
 ابن جرير : كان شديد البش طويل أصابع الرجلين ، كانت تضرب له سكة الحديد في الأرض ويربط  
 فيها خيط إلى رجله ثم يقب على الفرس فيركبها ولا يمس الفرس ، فتفلق تلك السكة من الأرض  
 مع وثبته .

( خلافة يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان )

وهو الملقب بالناقص لنفسه الناس من أعطيتهم ما كان زاده الوليد بن يزيد في أعطيتهم ،

وهي عشرة عشرة ، و رده إياهم إلى ما كانوا عليه في زمن هشام ، ويقال إن أول من لقبه بذلك مروان بن محمد ، بوضع له بالخلافة بعد مقتل الوليد بن يزيد ، وذلك ليلة الجمعة للثنتين بقينا من جمادى الآخرة من هذه السنة - حتى سنة ست وعشرين ومائة - وكان فيه صلاح وورع قبل ذلك ، فأول ما عمل انتقاصه من أرزاق الجند ما كان الوليد زادهم ، وذلك في كل سنة عشرة عشرة ، فسمى الناس لذلك ، ويقال في المثل الأشج والتاقص أعدلا خلفاء بني مروان - يعني عمر بن عبد العزيز وهذا - ولكن لم تطل أيامه ، فإنه توفي من آخر هذه السنة ، واضطربت عليه الأمور ، وانتشرت الفتن واختلفت كلمة بني مروان فمض سليلان بن هشام ، وكان منتقلا في - جن الوليد بعمان فاستحوذ على أموالها وحواصلها ، وأقبل إلى دمشق فجعل يلعن الوليد ويبييه ويرمي بالكفر ، فأكرمه يزيد ورد عليه أمواله التي كان أخذها من الوليد ، وتزوج يزيد أخت سليلان ، وهي أم هشام بنت هشام ، ومض أهل حمص إلى دار العباس بن الوليد التي عندهم فهدموها ، وحبسوا أهله وبنيه ، وهرب هو من حمص فأتى يزيد بن الوليد إلى دمشق ، وأظهر أهل حمص الأخذ بدم الوليد بن يزيد ، وأغلقوا أبواب البلد ، وأقاموا النوايح والنياح على الوليد ، وكاتبوا الأجناد في طلب الأخذ بالثار ، فأجابهم إلى ذلك طائفة كبيرة منهم ، على أن يكون الحكم بن الوليد بن يزيد الذي أخذ له العهد هو الخليفة ، وخلصوا قلوبهم ، وهو مروان بن عبد الله بن عبد الملك بن مروان ، ثم قتله وقتلوا ابنه وأثروا عليهم معاوية بن يزيد بن حصين ، فلما انتهى خبرهم إلى يزيد بن الوليد كتب إليهم كتابا مع يعقوب بن هاشم ، ومضمون الكتاب أنه يدعو إلى أن يكون الأمر شورى ، وقال عمرو ابن قيس : فإذا كان الأمر كذلك فقد رضينا بولي عهدنا الحكم بن الوليد ، فأخذ يعقوب بطبعته وقال : ويحك ! لو كان هذا الذي تدعو إليه يقبلا تحت حجرك لم يحمل لك أن تدفع إليه ماله ، فكيف أمر الآخرة ، فوثب أهل حمص على رجل يزيد بن الوليد فطردوه عنهم وأخرجوه من بين أظهرهم . وقال لم أبو محمد السفياني : لو قصصت دمشق لم يختلف على منهم اثنان ، فركبوا معه وساروا نحو دمشق وقد أسروا عليهم السفياني ، فقتلهم سليلان بن هشام في جيش كثيف قد جهزهم معه يزيد ، وجهز أيضا عبد العزيز بن الوليد في ثلاثة آلاف يكونون عند ثنية العقاب ، وجهز هشام بن مصاد المزني في ألف وخمسمائة ليكونوا على عقبة السلية ، فخرج أهل حمص فساروا وتركوا جيش سليلان ابن هشام ذات اليمام وتمده ، فلما سمع بهم سليلان ساق في طلبهم فلحقهم عند السليمانية فجدلوا الزينون عن أبحاثهم والجلل عن شاكلتهم والحيات من خلفهم ، ولم يبق تخلفهم إليهم إلا من جبة واحدة ، فاقترعوا هناك في قبالة الحر قتالا شديدا ، فقتل طائفة كثيرة من الفريقين ، فبينما هم كذلك إذ جاء عبد العزيز بن الوليد بن محمد فجعل على أهل حمص فاخترق جيشهم حتى ركب التل الذي



في وسطهم ، وكانت الهزيمة ، فهرب أهل حمص وتفرقوا ، فاتبعهم الناس يقتلون ويأسرون ، ثم تنادوا بالكف عنهم على أن يبايعوا يزيد بن الوليد ، وأسرأ منهم جماعة منهم أبو محمد السفياي ويزيد ابن خالد بن معاوية ، ثم ارتحل سليمان وعبد العزيز قفزلا عنفراء ومعهم الجيوش وأشراف الناس ، وأشراف أهل حمص من الأسارى ومن استجاب من غير أسر ، بعد مقتل منهم ثلاثمائة نفس ، فدخلوا بهم على يزيد بن الوليد ، فأقبل عليهم وأحسن إليهم وصفح عنهم ، وأطلق الأعطيات لهم ، لأسباب لأشرافهم ، وولى عليهم الذي اختاروه وهو معاوية بن يزيد بن الحصبين ، وطابت عليه أنفسهم ، وأقاموا عنده في دمشق سامعين مطيعين له .

وفيها بايع أهل فلسطين يزيد بن سليمان بن عبد الملك ، وذلك أن بني سليمان كانت لهم أملاك هناك ، وكاتوا يتركونها يبدلون لها ، وكان أهل فلسطين يحبون مجاورتهم ، فلما قتل الوليد بن يزيد كتب سميد بن روح بن زيباع - وكان رئيس تلك الناحية - إلى يزيد بن سليمان بن عبد الملك يدعهم إلى المباينة له ، فأجابوه إلى ذلك . فلما بلغ أهل الأردن خبرهم بايعوا أيضا محمد بن عبد الملك ابن خروان ، وأمره عليهم ، فلما انتهى خبرهم إلى يزيد بن الوليد أمر المؤمنين بعت إليهم الجيوش مع سليمان بن هشام في الدماشة وأهل حمص الذين كانوا مع السفياي ، فصالحهم أهل الأردن أولا ورجعوا إلى الطاعة ، وكذلك أهل فلسطين . وكتب يزيد بن الوليد ولاية الإمارة بالرملة وتلك النواحي إلى أخيه إبراهيم بن الوليد ، واستقرت الممالك هناك ، وقد خطب أمير المؤمنين يزيد ابن الوليد الناس بدمشق فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال :

أما بعد أيها الناس ، أما والله ما خرجت أشرا ولا بطرا ولا حرما على الدنيا ولا رغبة في الملك ، وما بي إطرار نفسي إلى ظالم نفسي ، إن لم يرجحنى ربى فاني هالك ، ولكنني خرجت فضبا لله ورسوله ولدينه ، وداعيا إلى الله وكتابه وسنة نبيه محمد ﷺ ، لما هدمت معالم الدين ، وأطفى نور أهل التقوى ، وظهر الجبار العنيد المستحل لكل حرمة ، والراكب كل بدعة ، مع أنه والله ما كان مصدا بالكتاب ، ولا مؤمنا بيوم الحساب ، وإنه لا ين عنى في النسب ، وكفى في الحساب ، فلما رأيت ذلك استخرت الله في أمره ، وأسأله أن لا يكتلى إلى نفسي ، ودعوت إلى ذلك من أجباني من أهل ولايتي ، وسعيت فيه حتى أراح الله منه العباد والبلاد ، بحول الله وقوته لا بحولي ولا بقوتي . أيها الناس ! إن لكم على أن لا أضع حجرا على حجر ، ولا لبنه على لبنه ، ولا أكرى نهرا ولا أكثر مالا ولا أعطي زوجة ، ولا ولدا . ولا أقل مالا من بلد إلى بلد حتى أسد ثمر ذلك البلد ، وخصاصة أهله بما ينبتهم ، فإن فضل عن ذلك فضل نقلته إلى البلد الذي يليه من هو أوج إليه ، ولا أجمعكم في ثوركم فأنتنكم وأفتن أهليكم ، ولا أغلق بابي دونكم فبأكل قويمكم ضيفكم ، ولا أجهل على أهل

جاءتكم ما يحلهم عن بلادهم ، ويقطع سبلهم ، وإن لكم عندي أعطياتكم في كل سنة ، وأمر زائكم في كل شهر ، حتى تستمر المشقة بين المسلمين ، فيكون أقصام كأدنام ، فإن أنا وفيت لكم بما قلت فبليكم السمع والطاعة وحسن الموازنة ، وإن أنا لم أوف لكم فلکم أن تخموني وإلا أن تستقيوني ، فإن ثبت قبلي مني ، وإن علمت أحدا من أهل الصلاح والدين يعطيكم من نفسه مثل ما أعطيتكم فأردتم أن تبايئوه فأنا أول من يبايئه ويدخل في طاعته . أيها الناس ! إنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ، إنما الطاعة طاعة الله فمن أطاع الله فأطيعوه ما أطاع الله ، فإذا عصي أو دعا إلى معصية فهو أهل أن يعصى ولا يطاع ، بل يقتل ويهان ، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم .

وفي هذه السنة عزل يزيد بن الوليد يوسف بن عمر عن إمرة العراق لما ظهر منه من الخلق على الجمانية ، وم قوم خاله بن عبد الله القسري ، حتى قتل الوليد بن يزيد ، وكان قد سجن غالب من بيلاده منهم ، وجعل الأرصاد على التنور خوفاً من جند الخليفة ، فمزله عنها أمير المؤمنين يزيد بن الوليد ، وولى عليها منصور بن جمهور مع بلاد السند وسجستان وخراسان ، وقد كان منصور بن جمهور أعرايا جلفا ، وكان يدين بذهب الفيلانية القديمة ، ولكن كانت له آثار حسنة ، وعناء كثير في مقتل الوليد بن يزيد ، فخطى بنفسك عند يزيد بن الوليد ، ويقال إنه لما فرغ الناس من الوليد ذهب من فوره إلى العراق فأخذ البيعة من أهلها إلى يزيد ، وقرر بالأقاليم نوابا وعمالا وكر راجعا إلى دمشق في آخر رمضان ، فذلك ولاء الخليفة ما ولاء والله أعلم .

وأما يوسف بن عمر فانه فر من العراق فلحق ببلاذ البلقاء ، فبعث إليه أمير المؤمنين يزيد فأحضره إليه ، فلما وقف بين يديه أخذ بلحيته - وكان كبير الاحية جدا - ربما كانت نجاوز سترته وكان قصر القامة - فربحه وأتبعه ثم سجنه وأمر باستخلاص الحقوق منه . ولما انتهى منصور بن جمهور إلى العراق قرأ عليهم كئيب أمير المؤمنين إليهم في كيفية مقتل الوليد ، وأن الله أخذه أخذ عزيز مقتدر ، وأنه قد ولى عليهم منصور بن جمهور لما يعلم من شجاعته ومعرفته بالحرب ، فبايع أهل العراق ليزيد بن الوليد ، وكذلك أهل السند وسجستان .

وأما نصر بن سيار نائب خراسان فانه امتنع من السمع والطاعة لمنصور بن جمهور ، وأبى أن يتقاد لأوامره ، وقد كان نصر هذا جبر هدايا كبيرة للوليد بن يزيد فاستمرت له . وفي هذه السنة كتب مروان الملقب بالحرار كتابا إلى عمر بن يزيد أخى الوليد بن يزيد ، يحثه على القيام بطلب دم أخيه الوليد ، وكان مروان يمتد أميرا على أذربيجان وأرمينية ، ثم إن يزيد بن الوليد عزل منصور ابن جمهور عن ولاية العراق وولى عليها عبد الله بن عمر بن عبد العزيز ، وقال له : إن أهل العراق يحبون أباك فقد وليتكم ، وذلك في شوال ، وكتب له إلى أمراء الشام الذين بالعراق بوصيهم به

حشية أن يمنع منصور بن جمهور من تسليم البلاد إليه ، فسلم إليه وسمع وأطاع وسلم . وكتب الخليفة إلى نصر بن سيار باستمراره بولاية خراسان مستقلا بها ، فخرج عليه رجل يقال له السكرماني ، لأنه ولد بكرمان ، وهو أبو علي جديع بن علي بن شبيب المني ، وأبوه خلق كثير بحيث إنه كان يشهد الجمعة في نحو من ألف وخمسمائة ، وكان يسلّم على نصر بن سيار ولا يجالس عنده ، فتدبر نصر بن سيار وأمرأؤه فيما يصنع به ، فاتفق رأبهم بعد جهد على سجنه ، فسجن قريبا من شهر ، ثم أطلقه فاجتمع إليه ناس كثير ، وجم غفير ، وركبوا معه ، فبعت إليهم نصر من قائلهم قتلهم ونهرهم وكسهم واستنخف جماعات من أهل خراسان بنصر بن سيار وتلاشوا أمره وحرمنه ، وألحوا عليه في إعطائهم وأسموه غليظ ما يكرهه على المنبر ، بسفارة سلم بن أحوز أدى إليه ذلك ، وخرجت الباعة من المسجد الجامع وهو مغطى ، وانفض كثير من الناس عنه ، فقال لهم نصر فيما قال : والله لقد نشرتكم وطوئيتكم وطوئيتكم ونشرتكم فما عندي عشرة نسك على دين ، فاتفقوا الله فوالله لئن اختلف فيكم سيفان ليمتحن الرجل منكم أن يتخلع من أهله وماله وولده ، ولم يكن رأها ، ثم تمثل بقول النابغة :

فان يغلب شقاؤكم عليكم • فاني في صلاحكم صعب

وقال الحارث بن عبد الله بن الحشرج بن الورد بن المنيرة الجعد : —

أبيت أرفع النجوم مرفقا • إذا استقلت نحوى أوائلها

من فتنة أصبحت بحلة • قد عم أهل الصلاة شاملها

من بخراسان والعراق ومن • بالشام كل شجاع شاعلها

يمشى السفينة القى يمتف يا • جهل سواء فيها وعائلها

فالناس منها في لون مظلة • دهماء ملتحمة غياطلها

والناس في كربة يكاد لها • تنيد اولادها حواملها

يفدون منها في كل مهمة • عياد يحمي لهم غوائلها

لا ينظر الناس من هواقبها • الا التي لا بين قائلها

كرغبة البكر أو كهيصة حية • لي طرقت حولها قوابلها

فجاء فينا قزوى بوجهته • فيها خطوب حمر رلاذلها

وفي هذه السنة أخذ الخليفة البيعة من الأمراء وغيرهم بولاية العهد من بعده لأخيه إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك ، ثم من بعد إبراهيم لبعد المزي بن الحجاج بن عبد الملك بن مروان ، وذلك بسبب مرضه الذي مات فيه . وكان ذلك في شهر الحجة منها ، وقد حرصه على ذلك جماعة من الأمراء والأطباء والوزراء . وفيها عزل يزيد عن إمرة الحجاز يوسف بن محمد الثقفي وولى عليها

عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز ، قدمها في أو آخر ذي القعدة منها ، وفيها أظهر مروان الخلاف ليزيد بن الوليد ، وخرج من بلاد أرمينية يظهر أنه يطلب بدم الوليد بن يزيد ، فلما وصل إلى حبران أظهر الموافقة وبايع لأمر المؤمنين يزيد بن الوليد . وفيها أرسل إبراهيم بن محمد بن علي ابن عبد الله بن عباس أبا هاشم بكر بن ماهان إلى أرض خراسان ، فاجتمع بمجماعة من أهل خراسان يبرء ، وقرأ عليهم كتاب إبراهيم بن محمد الإمام إليه وإليه ، ووصيته ، فنقلوا ذلك بالقبول ، وأرسلوا معه ما كان عندهم من النققات . وفي صالح ذي القعدة ، وقيل في صالح ذي الحجة ، وقيل لشهر مضين منه ، وقيل بعد الأضحى منها كان وفاة أمير المؤمنين .

(يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان . وهذه ترجمته رحمه الله تعالى )

هو يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاصم بن أمية بن عبد شمس ابن عبد مناف بن قصي . أبو خالد الأموي ، أمير المؤمنين ، بويع له بالخلافة أول ما بويع بها في قرية المزة ، من قرى دمشق ، ثم دخل دمشق فقلب عليها ، ثم أرسل الجيوش إلى ابن عمه الوليد بن يزيد قتلته ، واستحوذ على الخلافة في أواخر جمادى الآخرة من هذه السنة ، وكان يلقب بالناقص لنقصه الناس المشرقات التي زادهم إياها الوليد بن يزيد ، وقيل إنما ساء بذلك مروان الحمار ، وكان يقول : الناقص ابن اليد ، وأمه شاهرقة بنت فيروز بن يزجرد بن كسرى ، كسروية

وقال ابن جرير : وأمه شاه أفريد بنت فيروز بن يزجرد بن شهر يار بن كسرى ، وهو القاتل :

أنا ابن كسرى وأبي مروان • وقيصرجدي وجدى خاتان

وإنما قال ذلك لأن جدته فيروز وأم أمه بنت قيصر ، وأمه شيرويه وهي بنت خاتان ملك الترك ، وكانت قد سباها قتيبة بن مسلم ، هي وأخت لها فبعتهما إلى الحجاج ، فأرسل بهذه إلى الوليد واستبقى عنده الأخرى ، فولدت هذه الوليد بن يزيد الناقص هذا ، وهذه أخذها الحجاج فكانت عنده بالبراق ، وكان مولده في سنة تسعين ، وقيل في سنة ست وتسعين ، وقد روى عنه الأوزاعي مسألة السلم . وقد ذكرنا كيفية ولايته فيما سلف في هذه السنة ، وأنه كان عادلا ديناً محباً للخير مبغضاً للشر . فاصداً الحق . وقد خرج يوم عيد الفطر من هذه السنة إلى صلاة العيد بين صين من الخيلة والسبب مسألة عن يمينه وشماله ، ورجع من المصلى إلى الخضراء كنك ، كان رجلاً صالحاً ، يقال في المثل الأشج والناقص أعبدلا بن مروان ، والمراد عمر بن عبد العزيز وهذا . وقد قال أبو بكر بن أبي الدنيا حدثني إبراهيم بن محمد المروزي عن أبي عثمان الليثي قال قال يزيد بن الوليد الناقص : يا بني أمية إياكم والنساء فانه ينقص الحياء ويزيد في الشهوة ويهضم المروءة ، وإنه لينوب عن الحر ويضل ما يصل المسكر ، فان كنتم لابد فاعلمين لجنونه النساء فانه داعية الزنا . وقال ابن عبد الحكم

عن الشافعي : لما ولي يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان الذي يقال له الناقص دعا الناس إلى القدر وحلهم عليه وقرب غيلان . قال : قاله ابن عساكر . ولعله قرب أصحاب غيلان ، لأن غيلان قتله هشام بن عبد الملك . وقال محمد بن المبارك : آخر ما تكلم به يزيد بن الوليد الناقص وأحزناه واشقاؤه . وكان نقش خاتمه المظنة لله . وكانت وفاته بالخضراء من طاعون أصابه ، وذلك يوم السبت لسبع مضين من ذي الحجة ، وقيل يوم الأضحى منه ، وقيل بعد أيام ، وقيل لمشر بقين منه ، وقيل في سلخه ، وقيل في سلخ ذي القعدة من هذه السنة . وأكثر ما قيل في عمره ست وأربعون سنة ، وقيل ثلاثون سنة ، وقيل غير ذلك فالحق أعلم . وكانت مدة ولايته ستة أشهر على الأشهر ، وقيل خمسة أشهر وأيام . وصلى عليه أخوه إبراهيم بن الوليد ، وهو ولي العهد من بعده رحمه الله . وذكر سميد بن كثير بن عفير أنه دفن بين باب الجابية وباب الصغير ، وقيل إنه دفن بباب الفردوس . وكان أمير نجفيا حسن الجسم حسن الوجه . وقال علي بن محمد اللديني : كان يزيد أمير طويل صغير الرأس وجهه خال ، وكان جليلا ، في فمه بعض السمة وليس بالمفروط . وحج بالناس فيها عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز وهو نائب الحجاز ، وأخوه عبد الله نائب العراق ، ونصر بن سيار على نيابة خراسان ، والله سبحانه أعلم . وعن توفى في هذه السنة من الأعيان :

( خالد بن عبد الله بن يزيد )

ابن أسد بن كرز بن عامر بن عبقري ، أبو الهيثم البجلي القسري القمشي ، أمير مكة والحجاز للوليد ثم لسليان ، وأمير الرائقين لهشام خمس عشرة سنة . قال ابن عساكر : كانت داره بمشقي في أربعة القز وتعرف اليوم ببلد الشريف البريدي ، وإليه ينسب الحمام الذي داخل باب ثوما ، روى عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له : « يا أسد <sup>(١)</sup> أحب الجنة ؟ » قال : نعم . قال : فأحب للمسلمين ما تحب لنفسك . رواه أبو داود عن عثمان بن أبي شيبة عن هيثم عن سيل بن أبي الحكم أنه سمعه على النبي يقول ذلك . وعن روى عنه إسماعيل بن أوسط وإسماعيل بن أبي خالد ، وجيب بن أبي حبيب ، وحبيب الطويل . وروى أنه روى عن جده عن النبي ﷺ في تكفير المرض القريب . وكانت أمه نصرانية ، وذكره أبو بكر بن عياش في الأشراف ، فبين أنه نصرانية . وقال المدايني : قول ما عرف من دياره أنه وطأ حبيا بمشقي فمرسه فأسد فأسد طائفة من الناس أنه هو صاحبها ، فإن مات فعليه دينه ، وقد استنابه الوليد على الحجاز من سنة تسع وعشرين إلى أن توفى الوليد ثم لسليان ، وفي سنة ست ومائة استنابه هشام على العراق إلى سنة عشرين ومائة ، وسلكه إلى يوسف بن عمر القتي ولأه مكانه فضاقه وأخذ منه أموالا ثم أطلقه ، وأقام بمشقي إلى الحرم من هذه السنة فسلط عليه يزيد بن يوسف بن عمر يستخلص منه خمسين ألف ألف ، فأتى تحت

(١) في تاريخ ابن عساكر (٦٧ : ٥) : « يا يزيد بن أسد » .

المقوبة البليدة ، كسر قدميه ثم ساقيه ثم نخذه ، ثم صدره ، فلت ولا يتكلم كلمة واحدة ، ولأنه  
حق خرجت روحه رحمه الله .

قال اليتيم عن أبيه : خطب خالد القسري يوما فأخرج عليه فقال : أيها الناس ! إن هذا الكلام يحیی  
أحيانا ويمزب أحيانا ، فيصيب عند مجيئه سببه ويتمنر عند عزوبه مطلبه ، وقد رد إلى السليط  
بيانه ويشيب إلى المحصر كلامه ، وسيمود إلينا مانجون ، ونمود لكم كما تريدون . وقال الأصمى  
وغيره : خطب خالد القسري يوما باسط فقال : يا أيها الناس تنافسوا في المكالم وسارعوا إلى المنافس  
واشتروا الحمد بالجد ، ولا تكتسبوا بالمطل ضما ، ولا تمتدوا بحروف لم تمجدوه ، ومهما تكن لأحد  
منكم نعمة عند أحد لم يبلغ شكرها فأنه أحسن له جزاء ، وأجزل عطاء ، واعلموا أن حوائج الناس  
إليكم نعم فلا تلوهما فنحول نهما ، فإن أفضل المال ما كسب أجرا وأورث ذكرا ، ولورأيتم المعروف  
لرأيتموه رجلا حسنا جيلا يسر الناس إذا نظروا إليه ، وفوق المالمين . ولورأيتم البخل لرأيتموه  
رجلا مشوها قبيحا تنفر منه القلوب وتفض دونه الأبطال . إنه من جاد ساد . ومن يخل ذل ، وأكرم  
الناس من أعطى من لا يرجوه ، ومن عفا عن قسمة ، وأفضل الناس من وصل عن قطعة ، ومن لم  
يلطب حرته لم يرك نيته ، والفروع عند مفارستها تنمو ، وبأصولها تسمو . وروى الأصمى عن عمر  
ابن المهيم أن أعرابيا قسم على خالد فأنشده قصيدة امتدحه بها يقول فيها :

إليك ابن كرز الخير أقبلت راعبا • لتجبر منى ما وهما وتبددا  
إلى الماجد البهلولى الحلو والندى • واكرم خلق الله فرعا وعهدا  
إذا ما ناس قصروا بضالمهم • نهضت فلم تلقى هنالك مقتدا  
فيالك بمرأ يفتر الناس موجه • إذا يسأل المعروف جلش وأزيدا  
بلوت ابن عبد الله في كل موطن • فالفيت خير الناس نسا وأمجدا  
فلو كان في الدنيا من الناس خالد • لجلود بحروف لكنت مخبلا  
فلا تهرمنى منك ماهد رجوته • فيصبح وجهي كالخ الون أربدا

قال : فخطب خالد ، فلما اجتمع الناس عند خالد قام الأعرابي ينشدها فابتدر إليها خالد فأنشدها  
قبله ، وقال : أيها الشيخ إن هذا شعر قد سبقك إليه . فنهض الشيخ فولى ذاهبا فأنبهه خالد من  
يسمع ما يقول فاذا هو ينشد هذه الايات .

ألا في سبيل الله ما كنت أرتجى • فديه وما لاقيت من نكد الجهد  
دخلت على بحر يجود به • ويسلى كثير المال في طلبه الحمد  
نقلاني الجد الشوم لشعرتي • وقاريني نهي وفاقني سمدى

فلو كان لي رزق لهدية لنته \* ولكنه أمر من الواحد الفرد  
فرد إلى خالد وأعلمه بما كان يقول فأمر له بشرة آلاف درهم . وقال الأصمى : سألت أعرابي  
خالفاً القسري أن يملأ له جراباً دقيقاً فأمر بملئه له درهم ، فقيل للأعرابي حين خرج : ما فعل  
ملك ؟ فقال : سأنته بما أشتهى فأمر لي بما يشتهي هو . وقال بمضيم : بينا خالد يسير في موكبه إذ  
تلقاه أعرابي فسأله أن يضرب عنقه ، فقال ويحك ولم ؟ أقطعت السبيل ؟ فأخرجت يدا من طاعة ؟  
فكل ذلك يقول لا ! قال : فلم ؟ قال : من الفقر والغفلة . فقال : سل حاجتك ، قال ثلاثين ألفاً . فقال  
خالد : ما ربح أحد مثل ما ربح اليوم ، إلى وضعت في نفسي أن يسألني مائة ألف فسأل ثلاثين  
فربحت سبعين . ارجعوا بنا اليوم ، وأمر له بثلاثين ألفاً . وكان إذا جلس يوضع [ المال ] بين يديه  
و يقول : إن هذه الأموال ودائع لا بد من فقريها . وسقط خاتم لجاريته رابعة يساوي ثلاثين ألفاً ،  
في بالوعة الدار ، فسألت أن تؤتي بمن يخرجها ، فقال : إن يدك أكرم علي من أن تلبسه بعد ما صار  
إلى هذا الموضع القذر ، وأمر لها بخمسة آلاف دينار بده . وقد كان رابعة هذه من الحل شيء عظيم ،  
من جملة ذلك باقوة وجوهرة ، كل واحدة بثلاثة وسبعين ألف دينار .

وقد روى البخاري في كتاب أفعال العباد ، وابن أبي حاتم في كتاب السنة ، وغير واحد من  
صنف في كتب السنة أن خالد بن عبد الله القسري خطب الناس في عيد أضحي فقال : أيها الناس ،  
ضجوا بقبل الله محالاً ، كافي مضج بالجمد بن درهم ، إنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلًا ، ولم  
يكلم موسى تكليمًا ، تعالى الله عما يقول الجمد بن درهم علواً كبيراً . ثم نزل فذهب في أصل الخبر .  
قال غير واحد من الأئمة : كان الجمد بن درهم من أهل الشام ، وهو مؤدب مروان الحمار ، ولهذا  
يقال له مروان الجمدى ، فنسب إليه ، وهو شيخ الجهم بن صفوان الذي نسب إليه الطائفة الجهمية  
الذين يقولون إن الله في كل مكان بذاته ، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً . وكان الجمد بن درهم  
قد تلقى هذا المذهب الخبيث عن رجل يقال له أبان بن سحمان ، وأخذته أبان عن طالوت ابن أخت لبيد  
ابن أعصم ، عن خاله لبيد بن أعصم اليهودي الذي سحر النبي ﷺ في مشط ومامشة وجف طلمة  
ذكر له ، ونحت واعرفة بيتر ذي أدوان الذي كان لهاؤها قاعة الخناء . وقد ثبت الحديث بذلك في  
الصحيحين وغيرهما . وجاء في بعض الأحاديث أن الله أنزل بسبب ذلك سورتي المودتين .

وقال أبو بكر بن أبي خيثمة : حدثنا محمد بن يزيد الرضاعي سمعت أبا بكر بن عياش قال : رأيت  
خالفاً القسري حين أتى بالمغيرة وأصحابه ، وقد وضع له سرير في المسجد ، فجلس عليه ثم أمر رجل  
من أصحابه فضربت عنقه ثم قال للمغيرة : أحبه . وكان المغيرة يزعم أنه يحيى الموتي . قال : والله  
أصلحك الله ما أحى الموتي . قال : لتحبيته أولاً ضرب بن عنقك . قال : والله ما أقدر على ذلك . ثم أمر

بطن قصب فأضرموا فيه ناراً ثم قال للغيرة : اعتقه ، فأبى ، فمدا رجل من أصحابه فاعتقه ، قال أبو بكر : فرأيت النار تأكله وهو يشير بالسبابة . قال خالد : هذا والله أحق بالرياسة منك . ثم قتله وقتل أصحابه . وقال المدائني : أتى خالد بن عبد الله رجل ثنياً بالكوفة فقيل له ما علامة نبوتك ؟ قال : قد نزل على قرآن ، قال : إنا أعطيك الكاهن ، فصل لربك ولا تجاهر . ولا تلع كل كفر وطاجر . فأمر به فصلب فقال وهو يصلب : إنا أعطيناك العمود ، فصل لربك على عود ، فأنا ضامن لك ألا تعود . وقال المبرد : أتى خالد بشلب قد وجد في دار قوم وادعى عليه السرقة ، فأناله فاعترف فأمر بقطع يده فتقدمت حسنة فقالت :

أخالد قد أوغلت والله عثرة • وما الماشق المسكين فينا ببارق

أقر • بما لم يحنه غير أنه • رأى القطع أولى من فضيحة عاشق

فظهر خالد باحضر أبها فزوجها من ذلك الغلام وأمرها عنه عشرة آلاف درهم . وقال الأصمعي : دخل أعرابي على خالد فقال : إني قد مدستك بيوتين ولست أنشدكما إلا بشرة آلاف وخادم ، فقال : بنعم ! فأنشأ يقول :

لزمتم نعم حتى كآفك لم تكن • سمحت من الأشياء شيئاً سوى نعم

وأنت كرت لا حتى كآفك لم تكن • سمحت بها في سالف الدهر والأسم

قال : فأمر له بشرة آلاف وخادم يحملها . قال : ودخل عليه أعرابي فقال له : سل حاجتك فقال : مائة ألف . فقال : أكثرت حظ منها . قال : أضع تسعين ألفاً ، فتمسج منه خالد فقال : أبها الأمير سألتك على قدرك ووضعت على قدرى ، فقال له : لن تغلبني أبداً ، وأمر له بمائة ألف ، قال : ودخل عليه أعرابي ، فقال : إني قد قلت فيك شعراً وأنا أستصغره فيك ، فقال : قل فأنشأ يقول :

نمرضت لي بالجلود حتى نشقني • وأعطيني حتى ظننتك تلعب

فأنت الندى وابن الندى وأخو الندى • حليف الندى ما لندى عنك منجيب

قال : سل حاجتك . قال : على خسون ألف دينار ، قال : قد أمرت لك بها وأضمتها لك ، فأعطاه مائة ألف . قال أبو الطيب محمد بن إسحاق بن يحيى الواسي : دخل أعرابي على خالد للتسرى فأنشده

كنيت نعم بيباك فهي تدعو • إليك الناس مسفرة التقلب

وقلت لا عليك بيب غيري • فانك لن ترى أبداً يبابي

قال فأعطاه على كل بيت خمسين ألفاً . وقد قال فيه ابن معين : كل رجل سوء يقع في على بن أبي طالب رضي الله عنه .

وذكر الأصمعي عن أبيه : أن خلاها خبر بئرا بمكة ادعى فضلها على زعيم ، وله في رواية عنه



تفضيل الخليفة على الرسول ، وهذا كفر إلا أن يريد بكلامه غير ما يبدو منه والله أعلم .  
 [والذى يظهر أن هذا لا يصح عنه ، فإنه كان قائماً في إطفاء الضلال والبدع كما قمنا من قبله للجمعة  
 ابن دريم وغيره من أهل الالحاد ، وقد نسب إليه صاحب البقد أشياء لا تصح ، لأن صاحب البقد  
 كان فيه تشيع شنيع ومثالة في أهل البيت ، وربما لا يفهم أحد من كلامه ما فيه من التشيع ، وقد  
 اغتر به شيخنا الذهبي فدحه بالحفظ وغيره ] (١)

وقد ذكر ابن جرير وابن عساكر وغيرهما أن الوليد بن يزيد كان قد عزم على الحج في إمارته  
 فمن نيته أن يشرب الخمر على ظهر الكعبة ، فلما بلغ ذلك جماعة من الأمراء اجتمعوا على قتله وتولية  
 غيره من الجماعة ، فغزو خالد أمير المؤمنين منهم ، فسأله أن يسميهم فأبى عليه فعاقبه عقاباً شديداً ،  
 ثم بعث به إلى يوسف بن عمر فعاقبه حتى مات شرفته وأسوأها ، وذلك في محرم من هذه السنة - أعنى  
 سنة ست وعشرين ومائة - وذكره القاضى ابن خلكان في الوفيات وقال : كان منهما في دينه ، وقد  
 بنى لأمه كنيسة في داره ، قال فيه بعض الشعراء وقال صاحب الأعيان كان في نسبه يهود فانتسبوا  
 إلى القرب ، وكان يقرب [ من ] شق وسطيح . قال القاضى ابن خلكان : وقد كانا ابني خالة ،  
 وعاش كل منهما ستائة ، وهما في يوم واحد ، وذلك يوم ماتت طرفة بنت الحر بعد ما عثفت في فم  
 كل منهما وقالت : إنه سيقوم مقامى في السكاهة ، ثم ماتت من يومها .

ومن توفى في هذه السنة جيلة بن سحيم ودراج أبو السمح وسعيد بن مسروق في قول ، وسليمان  
 ابن حبيب الحلبي ، قاضى دمشق ، وعبد الرحمن بن قاسم شيخ مالك وعبيد الله بن أبي يزيد  
 وعمر بن دينار . وقد ذكرنا تراجمهم في كتابنا للتكميل .

﴿ ثم دخلت سنة سبع وعشرين ومائة ﴾

استهلت هذه السنة والخليفة إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك بوصية أخيه يزيد الناقص إليه ، وبإيمه  
 الأمراء بنفك ، وجميع أهل الشام إلا أهل حمص فلم يبايعوه ، وقد تقدم أن مروان بن محمد الملقب  
 بالحار كان قائماً بأذربيجان وأرمينية ، وتلك كانت لأبيه من قبله ، وكان هم على يزيد بن الوليد في  
 قتله الوليد بن يزيد ، وأقبل في طلب دم الوليد ، فلما انتهى إلى حران أناب وبايع يزيد بن الوليد ،  
 فلم يلبث إلا قليلاً حتى بلغه موته ، فأقبل في أهل الجزيرة حتى وصل قنسرين فحاصر أهلها فقتلوا على  
 طاعته ، ثم أقبل إلى حمص وعليها عبد العزيز بن الحجاج من جهة أمير المؤمنين إبراهيم بن الوليد  
 فحاصره حتى يبايعوا إبراهيم بن الوليد ، وقد أصروا على عدم مبايعته ، فلما بلغ عبد العزيز قرب  
 مروان بن محمد ترسل عنها ، وقدم مروان إليها فبايعوه وساروا معه قاصدين دمشق ، وسمي جند

(١) وجعلت هذه المبالغة في نسخة ثانية بالاستئذنة .

الجزيرة وجند قنسرين ، فتوجه مروان إلى دمشق في ثمانين ألفا ، وقد بعث إبراهيم بن الوليد بن هشام بن عبد الملك في مائة وعشرين ألفا ، فالتقى الجيشان عند عين الجر من البقاع ، فدمام مروان إلى الكنف عن القتال وفن يتخلوا عن ابني الوليد بن يزيد وهما الحكم وعثمان اللذان قد أخذ المهادهما ، وكان يزيد قد سجنهما بدمشق ، فأبوا عليه ذلك ، فاقترعوا قتالا شديدا من حين ارتفاع النهار إلى العصر ، وبعث مروان سرية ثانيا جيش ابن هشام من ورائهم ، قم لهم ما أرادوه ، وأقبلوا من ورائهم يكبرون ، وحمل الآخرون من تلقاهم عليهم ، فكانت المزية في أصحاب سليمان ، فقتل منهم أهل حصن خلقا كثيرا ، واستبيح عسكرهم ، وكان مقدار ما قتل من أهل دمشق في ذلك اليوم قريبا من سبعة عشر ألفا أو ثمانية عشر ألفا وأسر منهم مثلهم ، فأخذ عليهم مروان البيعة للثلاثين ابني الوليد ، الحكم وعثمان ، وأطلقهم كلهم سوى وجلين وهما يزيد بن القنار والوليد ابن مصاد السكيات ، فضرهما بين يديه بالسياط وحبسهما فباتا في السجن ، لأنهما كانا بمنى فشر قتل الوليد بن يزيد حين قتل . وأما سليمان وبقية أصحابه فاتهم استمروا منهزمين ، فصار أصبح لهم الصبح إلا بدمشق فأخبروا أمير المؤمنين إبراهيم بن الوليد بما وقع ، فاجتمع معهم رؤس الأمراء في ذلك الوقت وهم عبد العزيز بن الحجاج ويزيد بن خالد بن عبد الله القسري ، وأبو علاقة السككي ، والاصمعي بن ذؤلفة السككي ونظراؤهم ، على أن يعمدوا إلى قتل ابني الوليد الحكم وعثمان ، خشية أن يلبيا الخلافة فيهلكا من عاداهما وقتل أباهما ، فبعثوا إليهما يزيد بن خالد بن عبد الله القسري ، فصدما إلى السجن وفيه الحكم وعثمان ابنا الوليد وقد بلغا ، ويقال ولدا لهما وقد فسد خبايا المهد ، وقتل يوسف بن عمر . وكان مسجوناً معهما . وكان في سجنهما أيضاً أبو محمد السفياني فهرب فدخل في بيت داخل السجن وجعل وراء الباب دما ، فحاصروه فامتنع ، فأبوا بنار ليحرقوا الباب . ثم اشتغلوا عن ذلك بقوم مروان بن محمد وأصحابه إلى دمشق في طلب المنهزمين .

ذكر دخول مروان الحار دمشق وولايته الخلافة وعزل إبراهيم بن الوليد عنها

لما أقبل مروان بن معاوية من الجنود من عين الجر وأقرب من دمشق وقد انتهزم أهلها بين يديه بجلاء ، هرب إبراهيم بن الوليد وجمع سليمان بن هشام إلى بيت المال ففتحته وأفق ما فيه على أصحابه ومن اتبعه من الجيوش ، وثار موالى الوليد بن يزيد إلى دار عبد العزيز بن الحجاج فقتله قتيلا وانهبها ونشوا قبر يزيد بن الوليد وصلبوه على باب الجابية ، ودخل مروان بن محمد دمشق فقتل في أعاليها وأتى بالثلاثين الحكم وعثمان وهما مقتولان وكنتك يوسف بن عمر فغفوه . وأتى بأبي محمد السفياني وهو في حبله فسلم على مروان بالخلافة فقال مروان : مه ، قال : إن هذين الثلاثين جليلاً لك من بدماهم أنشد قصيدة قالها الحكم في السجن وهي طوية منها قوله :-

ألا من مبلغ مروان عني \* وعني الفخر طلال بنا حنيناً

بأني قد ظلمت وصار قومي \* على قتل الوليد متابعيناً

فإن أهلك أنا وولي عهدي \* فروان أمير المؤمنين

ثم قال أبو محمد السفياني لمروان : أبسط يدك ، فكان أول من بايحه بالخلافة ، فباويعه بن يزيد بن حصين بن نمير ثم بايعه رؤس أهل الشام من أهل دمشق وحمص وغيرهم ، ثم قال لهم مروان : اختلوا أمراء توليهم عليكم ، فاختلوا أهل كل بلد أميراً فولاه عليهم ، فعلى دمشق زامل بن عمرو الجبرائلي ، وعلى حمص عبد الله بن شجرة الكندي ، وعلى الأردن الوليد بن معاوية بن مروان ، وعلى فلسطين ثابت بن نعيم الجندابي . ولما استوت الشام لمروان بن محمد رجع إلى حران وعند ذلك طلب منه إبراهيم بن الوليد الذي كان خليفة وابن عمه سليمان بن هشام الأمان فأنهضاه ، وقدم عليه سليمان بن هشام في أهل تدمر فبايعوه ، ثم لما استقر مروان في حران أقام فيها ثلاثة أشهر فانتقض عليه ما كان اتهم له من مبايعة أهل الشام ، فنقض أهل حمص وغيرهم ، فأرسل إلى أهل حمص جيشاً فوافوهم ليلة عيد الفطر من هذه السنة ، وقسم مروان إليها بعد الفطر بيومين ، فنازلها مروان في جنود كثيرة ، ومعه يوشن إبراهيم بن الوليد الخلويع ، وسليمان بن هشام ، وهما عنده مكرمان خصيصان لا يجلس إلا بهما وقت النداء والشاء ، فها حاصر حمص نادوه إنا على طاعتك ، فقال : انفضوا باب البلد فتخفوه . ثم كان منهم بعض القتال فقتل منهم نحو الحسائنة أو الستائة ، فأمر بهم ففصلوا حول البلد ، وأمر بهدم بعض سورها . وأما أهل دمشق فأما أهل النوبة فحاصروا أميرهم زامل بن عمرو وأصرهوا عليهم يزيد ابن خالد القسري وثبت في المدينة قائمها ، فبعث إليه أمير المؤمنين مروان من حمص عسكراً نحو عشرة آلاف ، فلما اقتربوا من دمشق خرج النائب فيمن معه والتفواهم والمسكر بأهل النوبة فهزموهم وحرقوا المزة وقرى أخرى معها ، واستنجاى يزيد بن خالد القسري وأبو علاقة السكبي رجل من أهل المزة من ظلم ، فدل عليهم زامل بن عمرو وقتلهمها وبث برأسهما إلى أمير المؤمنين مروان وهو بمحصر . وخرج ثابت بن نعيم في أهل فلسطين حمل الخليفة وأتوا طبرية فحاصروها ، فبعث الخليفة إليهم جيشاً فأجروهم عنها واستقبلوا عسكرهم ، وفر ثابت بن نعيم هارباً إلى فلسطين فاتبه الأمير أبو الورد فهزمه ثانية وغرق عنه أصحابه ، وأسر أبو الورد ثلاثة من أولاده فبعث بهم إلى الخليفة وم جرحى فأمر بمدواهم ، ثم كتب أمير المؤمنين إلى نائب فلسطين وهو الرماحس بن عبد العزيز الكنتاني يأمره بطلب ثابت بن نعيم حيث كان ، فإزالا يطلطف به حتى أخفه أسيراً ، وذلك بعد شهرين ، فبثه إلى الخليفة وأمر بقطع يديه ورجليه ، وكذلك جماعة كانوا معه ، وبث بهم إلى دمشق فأقيموا على باب مسجدها ، لأن أهل دمشق كانوا قد أرجفوا بأن ثابت بن نعيم ذهب

إلى ديار مصر فتنقلب عليها وقتل نائب مروان فيها ، فأرسل إليهم مقطع اليمين والرجلين ليرفروا .  
 بطلان ما كانوا به أرجفوا . وأقام الخليفة مروان بدير أيوب عليه السلام مدة حتى بايع لابنه عبد الله  
 ثم عبيد الله وزوجهما ابنتي هشام ، وهما أم هشام وعائشة ، وكان جمعا حافلا وعقدًا هائلًا ، وبإقامة  
 عامة ، ولكن لم تكن في نفس الأمر تامة . وقدم الخليفة إلى دمشق وأمر بتأبث وأصحابه بعد ما كانوا  
 تعلموا أن يصلبوا على أبواب البلد ، ولم يستبق منهم أحدًا إلا واحدًا وهو عمرو بن الحارث السكلي ،  
 وكان حسده فيا زعم علم بردايع كان ثابت بن نعيم أودعها عند أقوام . واستوسق أمر الشام لمروان  
 ماعدًا تدبر ، فسار من دمشق فتزول القتل من أرض حصص ، وبلنه أن أهل تدمر قد غوروا  
 ما بينه وبينهم من المياه ، فاشتد غضبه عليهم ومعه جحافل من الجيوش ، فتكلم الأبرش بن الوليد  
 وكانوا قومه فسأل منه أن يرسل إليهم أولًا ليعذر إليهم ، فبعث عمرو بن الوليد أخا الأبرش ، فلما  
 قدم عليهم لم يلبثوا إليه ولا سمعوا له قولًا فرجع ، فهم الخليفة أن يبعث الجنود فسأله الأبرش أن  
 ينهب إليهم بنفسه فأرسله ، فلما قدم عليهم الأبرش كلهم واستألمهم إلى السمع والطاعة ، فأجابه  
 أكرهم وامتنع بعضهم ، فكتب إلى الخليفة يعلمه بما وقع ، فأمره الخليفة أن يهدم بعض سورها ، وأن  
 يقبل بمن أطاعه منهم إليه ، ففعل . فلما حضروا عنده سار بمن معه من الجنود نحو الرصافة على  
 طريق البرية ، ومعه من الرؤس إبراهيم بن الوليد الخلع ، وسليمان بن هشام ، وجماعة من ولد  
 الوليد ويزيد وسليمان ، فأقام بالرصافة أيامًا ثم شخص إلى البرية ، فاستأذنه سليمان بن هشام أن يقيم  
 هناك فليلاً فيستريح ويقيم ظهره فأذن له ، فأنحدر مروان فتزل عند واسط على شط القرات فأقام  
 ثلاثًا ثم مضى إلى قرقيسيا ، وابن هبيرة بها ليمنه إلى العراق لمحاربة الضحاك بن قيس الشيباني  
 الخارجى الحرورى ، واشتغل مروان بهذا الأمر . وأقبل عشرة آلاف فارس عن كل مروان قد  
 بينهم في بعض السرايا ، فاجتازوا بالرصافة وفيها سليمان بن هشام بن عبد الملك الذى كان استأذن  
 الخليفة في المقام هناك للراحة ، فدعوه إلى البيعة له وخلع مروان بن محمد ومخاربه ، فاستزله الشيطان  
 فأجابه إلى ذلك ، وخلع مروان وسار بالجيوش إلى قنسرين ، وكتب أهل الشام فأخضوا إليه من  
 كل وجه ، وكتب سليمان إلى ابن هبيرة الذى جهزه مروان لقتال الضحاك بن قيس الخارجى يأمره  
 بالمسير إليه ، فالتف إليه نحو من سبعين ألفًا ، وبث مروان إليهم عيسى بن مسلم في نحو من  
 سبعين ألفًا فالتقوا بأرض قنسرين فقتلوا قتالًا شديدًا ، وجاء مروان والناس في الحرب فقاتلهم  
 أشد القتال فهزمهم وقتل يمشد إبراهيم بن سليمان بن هشام ، وكان أكبر ولده ، وقتل منهم نيفا  
 وثلثين ألف ، وذهب سليمان مغلوبًا فأتى حصص فالتف عليه من أتباعه من الجيش فسكروهم فيها  
 وبني ما كان مروان هدم من سورها . فجاء مروان فحاصرهم بها ونصب عليهم نيفًا ومائتين

منجنيقا ، فكث كذلك ثمانية أشهر يرميهم ليلا ونهارا ، ويخرجون إليه كل يوم ويقاثلون ثم يرجعون . هذا وقد ذهب سليمان وطائفة من الجيش معه إلى تيمر وقد اعترضوا جيش مروان في الطريق وهما بالفتك به وأن يذهبوه فلم يمكنهم ذلك ، ونهيا لهم مروان قتلهم قتلوا من جيشه قريبا من ستة آلاف وهم تسعة ، نصرها إلى تيمر ، ولزم مروان محاصرة حصن كل عشرة أشهر ، [ فلما تنازع عليهم البلاد ، ولزمهم القل ، سألوهم أن يؤمنهم فأنى إلا أن ينزلوا على حكمه ، ثم سألوهم الأمان على أن يمكنهم من سعيد بن هشام <sup>(١)</sup> وابنيه مروان وعثمان ومن السكسكي الذي كان حبس معه ، ومن حبشى كان يقتري عليه ويشتمه فأجابهم إلى ذلك فأمنهم وقتل أولئك ، ثم سار إلى الضحاك ، وكان عبد الله بن عمر بن عبد العزيز نائب العراق قد صالح الضحاك الخارجى على ما يده من الكوفة وأعمالها ، وجاءت خيول مروان فاصدة إلى الكوفة ، فتلقيهم نائبا من جملة الضحاك - ملحان الشيباني - قاتلهم قتل ملحان ، واستناب الضحاك عليها للثبني عمران بن بتي عائذة ، وسار الضحاك في ذى القعدة إلى الموصل ، وسار ابن هبيرة إلى الكوفة فانزعها من أيدي انطوارج ، وأرسل الضحاك جيشا إلى الكوفة فلم يجد شيئا .

وفي هذه السنة خرج الضحاك بن قيس الشيباني ، وكان سبب خروجه أن رجلا يقال له سعيد بن بهدل - وكان خارجيا - اغتشم غفلة الناس واشتغلهم بقتل الوليد بن يزيد ، فثار في جماعة من انطوارج بالمرق ، فالتف عليه أربعة آلاف - ولم يجتمع قبلها لخارجي - فقصدهم الجيوش فاقتلوا منهم ، وفاروا يكسرون وفاروا يكسرون ، ثم مات سعيد بن بهدل في طاعون أصابه ، واستخلف على انطوارج من بعده الضحاك بن قيس هذا ، فالتف أصحابه عليه ، والتقى هو وجيش كثير فغلبت انطوارج وقتلوا خلقا كثيرا ، منهم عاصم بن عمر بن عبد العزيز - أخو أمير العراق عبد الله بن عمر بن عبد العزيز - فرماه بأشعار . ثم قصد الضحاك بطائفة من أصحابه مروان فاجتاز بالكوفة ، ودهض إليه أهلها فكسروهم ودخل الكوفة فاستحوذ عليها ، واستناب بها رجلا اسمه حسان ، ثم استناب ملحان الشيباني في شعبان من هذه السنة ، وسار هو في طلب عبد الله بن عمر بن عبد العزيز نائب العراق ، فالتقوا فجرت بينهم حرب كثيرة يطول ذكرها وتفصيلها .

وفي هذه السنة اجتمعت جماعة من الدعاة إلى أبي العباس عند إبراهيم بن محمد الامام ومهم أبو مسلم الخراساني ، فدفعوا إليه فقتلت كثيرة ، وأعطوه خمس أموالهم ، ولم ينتظم لهم أمر في هذه السنة لكثرة الشرور المنتشرة ، والفتن الواقعة بين الناس . وفي هذه السنة خرج بالكوفة معاوية ابن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، فدعا إلى نفسه وخرج إلى محاربة أمير العراق عبد الله بن عمر (١) زيادة من المصرية .

ابن عبد العزيز، فحرب بينهما حرب يطول ذكرها، ثم أجلاه عنها فلتحق بالجبال فتطلب عليها .  
 وفي هذه السنة خرج الحارث بن سريج الذي كان لحق ببلاد الترك ومالاً على المسلمين فمن الله عليه  
 بالهداية ووجهه حتى خرج إلى بلاد الشام، وكان ذلك عن دعاء يزيد بن الوليد إلى الرجوع إلى الاسلام  
 وأهله فأجاباه إلى ذلك، وخرج إلى خراسان فأكرمه نصر بن سيار نائب سورة<sup>(١)</sup>، واستمر الحارث  
 ابن سريج على الدعوة إلى الكتاب والسنة وطاعة الامام، وعنده بعض المبالغة لنصر بن سيار .

قال الواقدي وأبو مسهر: وحج بالناس في هذه السنة عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز أمير  
 الحجاز ومكة والمدينة والطائف، وأمير الرائق نصر بن سعيد الحرشي، وقعد خرج عليه الضعك  
 الحروري، وعبد الله بن عمر بن عبد العزيز. وأمير خراسان نصر بن سيار، وقد خرج عليه  
 السكراني والحارث بن سريج. ومن توفي في هذه السنة :

بكر بن الأشج وسعد بن إبراهيم وعبد الله بن دينار وعبد الملك بن مالك الجزري وعمر بن  
 هاشم ومالك بن دينار وهب بن كيسان وأبو إسحاق السبيعي .

( ثم دخلت سنة ثمان وعشرين ومائة )

فيها كان مقتل الحارث بن سريج، وكان سبب ذلك أن يزيد بن الوليد التقي كل من قد كتب  
 إليه كتاب أمن، حتى خرج من بلاد الترك وصار إلى المسلمين ورجع عن موالاته المشركين إلى  
 نصرة الاسلام وأهله . وأنه وقع بينه وبين نصر بن سيار نائب خراسان وحشة ومنافسات كثيرة  
 يطول ذكرها، فلما صارت الخلافة إلى مروان بن محمد استوحش الحارث بن سريج من ذلك . وتولى  
 ابن هيرة نيابة الرائق، وجاءت البيعة لمروان، فاستنح الحارث من قبولها وتكلم في مروان، وجاءه  
 مسلمة بن أخو أمير الشرطة، وجماعة من رؤس الأجناد والأمراء، وطلبوا منه أن يكف لسانه  
 ويده، وأن لا يفرق جماعة المسلمين، فأبى وبرز فاحية عن الناس، ودعا نصر بن سيار إلى ما هو  
 عليه من الدعوة إلى الكتاب والسنة فالتفت نصر من موافقته، واستمر هو على خروجه على الاسلام .  
 وأمر الجهم بن صفوان مولى بني راسب ويكنى بأبي عرز - وهو الذي نسبت إليه الفرقة الجهمية - أن  
 يقرأ كتاباً فيه سيرة الحارث على الناس، وكان الحارث يقول أنا صاحب الرايت السود . فبث إليه  
 نصر يقول : لئن كنت ذلك فلمرى إنكم الذين فخر بون سور دمشق وتزولون بني أمية، فقدمي  
 خمسمائة رأس ومائة بعير، وإن كنت غير . فقد أهلكت عشيرتك . فبث إليه الحارث يقول :  
 لعمري إن هذا لكائن . فقال له نصر : فابدأ بالكرماني أولاً، ثم سر إلى الري، وأنا في طاعتك  
 إذا وصلها . ثم تناظر نصر والحارث ورضيا أن يحكم بينهما مقاتل بن حيان والجهم بن صفوان حكماً

(١) كذا . ولول فيه فخر صوابه (نائب خراسان)

أن يعزل نصر ويكرن الأمر شورى . فامتنع نصر من قبول ذلك ، ولزم الجهم بن صفوان <sup>(١)</sup> .  
 وغير قراءة سيرة الحارث على الناس في الجامع والطرق ، فاستجاب له خلق كثير ، وجم غفير  
 فشد ذلك انتدب لقتاله جماعات من الجيوش عن أمر نصر بن سيار ، قصدوه غراب دونه أصحابه ،  
 قتل منهم طائفة كثيرة منهم الجهم بن صفوان ، طعنه رجل في فيه قتله ، ويقال بل أسر الجهم فأوقف  
 بين يدي سلم بن أحوز فأمر بقتله ، فقال : إن لي أماناً من أهلك ، فقال : ما كان له أن يؤمنك ،  
 ولو فضل ما أمنتك ، ولو ملأت هذه الملاءة كواكب ، وأنزلت عيسى بن مريم ، ما نجوت ، والله ولو  
 كنت في بطن شققت بطنى حتى أقتلك . وأمر ابن ميسر بقتله . ثم اخفق الحارث بن سريح والكرماني  
 على نصر ومخالفته ، والدعوة إلى الكتاب والسنة واتباع أئمة الهدى ونهجم الشكرات إلى غير ذلك  
 مما جاءت به الشريعة ، ثم اختلفا فيما بينهما واقتتلا قتالا شديداً ، فغلب الكرماني وانهمزم أصحاب  
 الحارث . وكان راجباً على بطل فتحول إلى فرس فخرت أن تمشى ، وهرب عنه أصحابه ولم يبق معه  
 منهم سوى مائة ، فأدركه أصحاب الكرماني فقتلوه تحت شجرة زيتون ، وقيل تحت شجرة عبيرا .  
 وذلك يوم الأحد لست بقين من رجب من هذه السنة ، وقتل معه مائة من أصحابه ، واحتاط الكرماني  
 على حواصله وأمواله ، وأخذ أموال من خرج معه أيضاً ، وأمر بصلب الحارث بلا رأس على باب  
 مرو ، ولما بلغ نصر بن سيار مقتل الحارث قال في ذلك :

يا مدخل القل على قومه • بعدما وسخاكَ من هلاك  
 شؤمك أردى مُضراً كلها • وغض من قومك بالحارك  
 ما كانت الازد وأشياءها • قطع في عمرو ولا ملك  
 ولا بنى سعد إذ ألبوا • كل طير لونه حلاك  
 وقد أجاه عباد <sup>(٢)</sup> بن الحارث بن سريح فيما قال :

ألا يا نصر قد برح انطفا • وقد طلى للقي والرجاء  
 وأصبحت المزون بأرض مرو • تحض في الحكومة ما تشاء  
 يجوز قضاؤها في كل حكم • على مضرو وإن جار القضاء  
 وحير في مجالها قنود • تفرق في رقابهم الهداء  
 قلن مضربنا رضيعت وذلت • فقال لها اللثة والشفاء  
 وإن هي أعتيت فيها وإلا • خل على عساكرها الغاء

وفي هذه السنة بئث إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس أجلس الخراساني إلى خراسان

(١) زيادة من المصرية (٢) في المصرية عتب وفي نسخة القسطنطينية غياث ومصحناه من

وكتب معه كتابا إلى شيعتهم بها : إن هذا أبا مسلم فاصمروا له وأطيعوا ، وقد وليته على ماغلب عليه من أرض خراسان . فلما قدم أبو مسلم خراسان وقرأ على أصحابه هذا الكتاب ، لم يلتفتوا إليه ، ولم يصلاوا به وأعرضوا عنه ونفذوه وراء ظهورهم ، فرجع إلى إبراهيم بن محمد أيام الموسم ، فاشتكاهم إليه وأخبره بما قالوه من المخالفة ، فقال له : يا عبد الرحمن ! إنك رجل منا أهل البيت ، أرجع إليهم وعليك بهذا الحلي من الدين فأكرمهم وانزل بين أظهرهم فإن الله لا يتم هذا الأمر إلا بهم . ثم حذرهم من بقية الأحياء وقال له : إن استطعت أن لاتدع بتلك البلاد لسانا عربيا فافعل ، ومن بلغ من أبنائهم خمسة أشبار واتهمته فاقله ، وعليك بذلك الشيخ فلا تقصه . يعني سليمان بن كثير . وسيأتي ما كان من أمر أبي مسلم الخراساني فيما بعد إن شاء الله تعالى .

وفي هذه السنة قتل الضحاك بن قيس الخارجي في قول أبي مخنف ، وكان سبب ذلك أن الضحاك حاصر عبد الله بن عمر بن عبد العزيز بواسط وواقعه على محاصرته منصور بن جهمور ، فكتب عبد الله بن عمر بن عبد العزيز إليه : إنه لاقائمة لك في محاصرتي ولكن عليك مروان بن محمد فسر إليه ، فان قتله اتبعتك . فاصطالحا على مخالفة مروان بن محمد أمير المؤمنين ، فلما اجتاز الضحاك بالموصل كاتبه أهلها قال إليهم فسخلها ، وقتل نائبا واستحوذ عليها ، وبلغ ذلك مروان وهو محاصر حص ، ومشول بأهلها وعدم مبايعتهم إليه ، فكتب إلى ابنه عبد الله بن مروان . وكان الضحاك قد التفت عليه مائة ألف وعشرون ألفا فحاصروا نصيبين . وساق مروان في طلبه فاتبعها هنالك ، فافتلتا قتالا شديدا . فقتل الضحاك في المعركة وحجز الليل بين الفريقين ، وقصد أصحاب الضحاك الضحاك وشكوا في أمره حتى أخذهم من رآه قد قتل ، فبكوا عليه وناحوا ، وجاء الخبر إلى مروان فبعث إلى المعركة بالمشاعل ومن يعرف مكانه بين القتلى ، وجاء الخبر إلى مروان وهو يقول ، وفي رأسه ووجهه نحو من عشرين ضربة ، فأمر وأمرأه فطيف به في مدائن الجزيرة . واستخلف الضحاك على جيشه من بعده رجلا يقال له الخبيري ، فالتفت عليه بقية جيش الضحاك ، والتفت مع الخبيري سليمان ابن هشام بن عبد الملك وأهل بيته ومواليه ، والجيش الذين كانوا قد بايعوه في السنة الماضية على الخلافة ، وخلصوا مروان بن محمد عن الخلافة لأجله ، فلما أصبحوا اقتتلوا مع مروان ، فحبل الخبيري في أرباعه من شجبان أصحابه على مروان ، وهو في القلب ، فكر منهزما وابتعوه حتى أخرجه من الجيش ، ودخلوا عسكره وجلس الخبيري على فرسه ، هذا ومدينة مروان ثابتة وعليها ابنه عبد الله ، وميسرته أيضا ثابتة وعليها إسحاق بن مسلم الثقفي . ولما رأى عبد الله العسكر فار من مع الخبيري ، وأن المينة والميسرة من جهتهم باقيتان طمعا فيه فأقبلوا إليه بمد الخيام فقتلوه بها ، وبلغ ثلثه مروان وقد سار عن الجيش نحواً من خمسة أميال أو ستة ، فرجع مسرورا وانهمز أصحاب الضحاك ،



وقد ولوا عليهم شيبان ، قصدهم مروان بعد ذلك يمكن يقال له الكراديس فيزيمهم .  
 وفيها بئس مروان لظلم على إمارة العراق يزيد بن عمر بن هبيرة ليقاثل من بها من الظلوارج .  
 وفي هذه السنة حج بالناس عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز وهو نائب المدينة ومكة والطائف ،  
 وأمير العراق يزيد بن عمر بن هبيرة ، وأمير خراسان نصر بن سيار .  
 وممن توفي في هذه السنة بكر بن سوادة وجابر الجعفي والجهم بن صفوان ، ومقتولا كما تقدم ، والحارث  
 ابن سريج أحد كهراء الأمراء ، وقد تقدم شيء من ترجمته ، وعاصم بن هبيلة ، وأبو حصين عثمان بن  
 عاصم ، ويزيد بن أبي حبيب ، وأبو التياح يزيد بن حيد ، وأبو حمزة النعنعى ، وأبو الزبير المكي  
 وأبو عمران الجوني وأبو قبيل المغافري . وقد ذكرنا تراجمهم في التكميل .  
 ( ثم دخلت سنة تسع وعشرين ومائة )

فيها اجتمعت الظلوارج بعد الخبيري على شيبان بن عبد العزيز بن الحليس اليشكري الخارجى  
 فأشار عليهم سليمان بن هشام أن يتحصنوا بالموصل ويحملوها دنزلا لهم ، فتحولوا إليها وتبهم مروان  
 ابن محمد أمير المؤمنين ، فسكروا بظواهرها وخندقوا عليهم عما يلي جيش مروان . وقد خندق مروان  
 على جيشه أيضا من ناحيتهم ، وأقام سنة يحاصرمهم ويقتلون في كل يوم بكرة وعشبة ، وظفر مروان  
 بآخ سليمان بن هشام ، وهو أمية بن معاوية بن هشام ، أسره بعض جيشه ، فأمر به قطعت  
 يدها ثم ضرب عنقه ، وعمر سليمان والجيش ينظرون إليه . وكتب مروان إلى نائبه بالعراق يزيد بن  
 عمر بن هبيرة [ ١ ] بأمره بقتال الظلوارج الذين في بلاده . فجرت له معهم وقعات عديدة ، فظفر بهم  
 ابن هبيرة [ ٢ ] أو بأحد خضراءهم ولم يبق لهم بقية بالعراق ، واستنفذ الكوفة من أيدي الظلوارج ، وكان  
 عليها المنفى بن عمران المائدى - عائنة قريش - في رمضان من هذه السنة ، وكتب مروان إلى ابن  
 هبيرة لما فرغ من الظلوارج أن يعمد بملار بن صبرة - وكان من الشجيمان - فبعثه إليه في سبعة آلاف  
 أو ثمانية آلاف ، فأرسلت إليه سرية في أربعة آلاف فاعترضوه في الطريق فبهمهم ابن صبرة  
 وقتل أميرهم الجون بن كلاب الشيباني الخارجى ، وأقبل نحو الموصل ، ورجع قل الظلوارج إليهم .  
 فأشار سليمان بن هشام عليهم أن يرحلوا عن الموصل ، فانه لم يكن يمكنهم الإقامة بها ، ومروان من  
 أمامهم وابن صبرة من ورائهم ، قد قطع عنهم الميرة حتى لم يجدوا شيئا يأكلونه ، فارتحلوا عنها  
 وساروا على أكلوان إلى الأهواز ، فأرسل مروان ابن صبرة في آثارهم في ثلاثة آلاف ، فاتبعهم يقتل  
 من تخلف منهم ويلحقهم في مواطن فيقتلهم ، وما زال وراهم حتى فرق شملهم فسفر منه ، وهلك  
 أميرهم لحيان بن عبد العزيز اليشكري بالأهواز في السنة التالية ، قتله خالد بن مسعود بن جعفر بن  
 خلد الأزدى . وركب سليمان بن هشام في مواليه وأهل بيته السفن وساروا إلى السند ، ورجع

مروان من الموصل فأقام بمنزله بجران [ وقد وجد سروراً بزوال الخوارج ، ولكن لم يتم سروره ، بل أعقبه القدر من هو أقوى شوكة وأعظم أثاماً ، وأشد بأساً من الخوارج ، وهو ظهور أبي مسلم الخراساني القامية إلى دولة بني العباس ] .<sup>(١)</sup>

### ( أول ظهور أبي مسلم الخراساني )

وفي هذه السنة ورد كتاب من إبراهيم بن محمد الامام المبلس بطلب أبي مسلم الخراساني من خراسان ، فسار إليه في سبعين من النقباء ، لا يعرفون به إلا سألوه إلى أين تذهبون ؟ فيقول أبو مسلم : تريد الحج . وإذا توسم أبو مسلم من بعضهم ميلاً إليهم دعاهم إلى ما هم فيه فيجيبه إلى ذلك ، فما كان يبيض الطريق جاء كتاب ثان من إبراهيم الامام إلى أبي مسلم : إنني بنت إليك براية النصر فارجع إلى خراسان وأظهر الدعوة ، وأمر قسطنطين بن شبيب أن يسير بما معه من الأموال والتفت إلى إبراهيم الامام فيوافيه في الموسم ، فرجع أبو مسلم بالكتاب فدخل خراسان في أول يوم من رمضان ففرض الكتاب إلى سليمان بن كثير وفيه : أن أظهر دعوتك ولا تتربص . فسمعوا عليهم ثابراً مسلماً الخراساني داعياً إلى بني العباس ، فبث أبو مسلم دعاته في بلاد خراسان ، وأمير خراسان - نصر بن سيار - مشغول بقتال الكرماني ، وشيبان بن سلمة الحاروري ، وقد بلغ من أمره أنه كان يسل عليه أصحابه بالخلافة في طوائف كثيرة من الخوارج ، فظهر أمر أبي مسلم وقصد الناس من كل جانب ، فكان من قصده في يوم واحد أهل ستين قرية ، فأقام هناك اثنين وأربعين يوماً ، فتحت على يديه أقاليم كثيرة . ولما كان ليلة الخميس لحس سبعين من رمضان في هذه السنة ، عقد أبو مسلم اللواء الذي بته إليه الامم ، ويدعى الظل ، على رمح طوله أربعة عشر ذراعاً ، وعقد الراية التي بته بها الامام أيضاً ، ويدعى السحاب ، على رمح طوله ثلاثة عشر ذراعاً ، وهما سوداوان ، وهو يتلو قوله تعالى ( أفئن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير ) وليس أبو مسلم وسليمان بن كثير ومن أجابهم إلى هذه الدعوة ، السواد ، وصارت شعارهم ، وأوقفوا في هذه الليلة تاراً عظيمة يسمون بها أهل تلك النواحي ، وكانت علامة بينهم فتجسوا . ومعنى تسمية إحدى الرايتين بالسحاب أن السحاب كما يطبق جميع الأرض كذلك بنو العباس تطبق دعوتهم أهل الأرض ، ومعنى تسمية الأخرى بالظل أن الأرض كما أنها لا تخلو من الظل فكذلك بنو العباس لا تخلو الأرض من قائم منهم . وأقبل الناس إلى أبي مسلم من كل جانب ، وكثر جيشه .

ولما كان يوم عيد الفطر أمر أبو مسلم سليمان بن كثير أن يعطي بالناس ، ونصب له متبراً ، ولئن يختلف في ذلك بنو أمية ، ويسمى بالسنة ، فتوى الصلاة الصلاة جلسة ، ولم يؤذن ولم يتم خلافاً

(١) هذه الزيادة من نسخة أخرى في الأستانة .

لهم . وبدأ بالصلاة قبل الخطبة ، وكبر ستاً في الأولى قبل القراءة ، لا أربياً . وخساً في الثانية لا نللاً ، خلافاً لهم . وابتدأ الخطبة بالذكر والتكبير وختمها بالقراءة ، وانصرف الناس من صلاة العيد وقد أعد لهم أبو مسلم طعاماً فرضه بين أيدي الناس ، وكتب إلى نصر بن سيار كتاباً بدأ فيه بنفسه ثم قال إلى نصر بن سيار . بسم الله الرحمن الرحيم : أما بعد فإن الله غير أقواماً في كتابه فقال ( وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من إحدى الأمم ) إلى قوله ( تحويلاً ) فظلم على نصر أن قدم اسمه على اسمه ، وأطال الفكر ، وقال : هنا كتاب له جواب .

قال ابن جرير : ثم بعث نصر بن سيار خيلاً عظيمة لمحاربة أبي مسلم ، وذلك بعد ظهوره بئانية عشر شهراً ، فأرسل أبو مسلم إليهم مالك بن الهيثم الخزاعي ، فالتقوا ، فدمم مالك إلى الرضا عن آل رسول الله ﷺ فأبوا ذلك ، فتصافوا من أول النهار إلى العصر ، فجاء إلى مالك مدد قهوى فظفر بهم مالك ، وكان هنا أول موقف أقتل فيه جند بني العباس وجند بني أمية .

وفي هذه السنة غلب خازم بن خزعة على مرو الروذ وقتل عاملها من جهة نصر بن سيار ، وهو بشر بن جعفر السدي ، وكتب بالفتح إلى أبي مسلم ، وكان أبو مسلم إذ ذاك شاباً حدثاً قد اختاره إبراهيم لهونهم . وذلك لشهخته وصرامته ، وقوة فهمه وجودة ذهنه ، وأصله من سواد الكوفة ، وكان مولى لأدريس بن معقل المعلى ، فاستشار بعض دولة بني العباس بأربمئة درهم ، ثم أخذه محمد بن علي ثم آل ولأوه لآل العباس ، وزوجه إبراهيم الأمام بانية أبي النجم إسماعيل بن عمران ، وأصدقها عنه وكتب إلى دعائهم بخراسان والمراق أن يسمعو منه ، فامتثلوا أمره ، وقد كانوا في السنة الماضية قبل هذه السنة ردوا عليه أمره لصغره فهم ، فلما كانت هذه السنة أكد الأمام كتابه إليهم في الوصاية وطاعته ، وكان في ذلك الخليل له ولهم ( وكان أمر الله قديراً مقدوراً ) ولما فشا أمر أبي مسلم بخراسان تصافت طوائف من العرب الذين جا على حربه ومقاتلته ، ولم يكره الكرماني وشيبان لأنها خرجا على نصر وأبو مسلم مخالفان لنصر كحالهما ، وهرج ذلك يدعو إلى خلع مروان الحمار ، وقد طلب نصر من شيبان أن يكون معه على حرب أبي مسلم ، أو يكف عنه حتى ينفرغ لمر به ، فآذا قتل أبا مسلم علدا إلى عدائهما ، فأجابه إلى ذلك ، فبلغ ذلك أبا مسلم فبعث إلى الكرماني يملئه بذلك فلام الكرماني شيبان على ذلك ، وتدل عن ذلك ، وبعث أبو مسلم إلى هراة النصير بن نعم فأخضعها من عليها عيسى بن حنبل البقي ، وكتب إلى أبي مسلم بذلك ، وجاء عليها إلى نصر حلوا ، ثم إلى شيبان وأدع نصر بن سيار سنة على ترك الحرب بينه وبينه ، وذلك عن كره من الكرماني ، فبعث ابن الكرماني إلى أبي مسلم إلى معك على قتال نصر ، وركب أبو مسلم في خيمة الكرماني فاحتق على حرب نصر وغافته ، وبحول أبو مسلم إلى موضع فسيح وكثر جنده وعظم جيشه ، واستعمل على الحرس والشرط

والرسائل والديوان وغير ذلك مما يحتاج إليه الملك عملاً ، وجعل القاسم بن مجاشع القمي - وكان أحد النقباء - على القضاء وكان يصل بأبي مسلم الصلوات ، ويقص بعض القصص فيذكر بحسن بي هاشم ويقيم بني أمية . ثم تحول أبو مسلم إلى قرية يقال لها بالين ، وكان في مكان منخفض ، غشى أن يقطع عنه نصر بن سيار الماء ، وذلك في سادس ذي الحجة من هذه السنة ، وصلى بهم يوم البحر القاضي القاسم بن مجاشع ، وصار نصر بن سيار في جعافل كالحجاب فاصدا قتال أبي مسلم ، واستخلف على البلاد نوابا وكان من أمرها ما سئد كره في السنة الآتية .

### ﴿ مقتل ابن الكرماني ﴾ .

ونشبت الحرب بين نصر بن سيار وبين ابن الكرماني - وهو جديع بن علي الكرماني - قتل بينهما من الفريقين خلق كثير ، وجعل أبو مسلم يكتب كلاما من الطائفتين ويستميلهم إليه ، يكتب إلى نصر وإلى ابن الكرماني : إن الامام قد أوصاني بكم خيراً ولست أعدو رأيكم فيكم ، وكتب إلى الكور يدعو إلى بني العباس فاستجاب له خلق كثير وجم غفير ، وأقبل أبو مسلم فنزل بين خندق نصر وخندق ابن الكرماني ، فباه الفريقان جميعاً ، وكتب نصر بن سيار إلى مروان يطلب بأمر أبي مسلم ، وكثرة من معه ، وأنه يدعو إلى إبراهيم بن محمد ، وكتب في جله كتابه :

أرى بين الزماد وميض حجر • وأحرى أن يكون له ضرام

فان النار بالميدان تذكي • وإن الحرب مبدؤها الكلام

فقتلت من التمجيلت شرى • أيقاظ أمية أم نيام

فكتب إليه مروان : الشاهد برى ما لا يراه الغائب ، قال نصر : إن صاحبكم قد أخبركم أن لا نصر عنده . وبضمهم يرونها بلفظ آخر : -

أرى خلل الزماد وميض نار • فيوشك أن يكون لها ضرام

فان النار بالميدان تذكي • وإن الحرب أولها كلام

فان لم يطفأ عقلاء قوم • يكون وقودها جثث وعلم

أقول من التمجيلت شرى • أيقاظ أمية أم نيام

فان كانوا لحينهم نياما • قتل قوموا قد حلن القيام

قال ابن خلكان : وهذا كما قال بعض علوية الكوفة حين خرج محمد وإبراهيم ابنا عبد الله بن الحسين على المنصور أخى السفاح :

أرى ناراً تشب على بقاع • لها في كل ناحية شماع

وقد رقت بنو العباس عنها • ولبأت وهي آمنة رفاع

كما رقت أمية ثم هبت • تدافع حين لا يبقى الدفاع

وكتب نصر بن سيار أيضا إلى نائب العراق يزيد بن عمر بن هبيرة يستدعه وكتب إليه :

أبلغ يزيد وخير القول أصدق • وقد تحققت أن لآخر في الكذب  
بان أرض خراسان رأيت بها • بيضا إذا أفرخت حُدقت بالعجب  
فراخ طعين إلا أنها كبرت • ولم يطرن وقد سر بلن بالزغب  
فان يطرن ولم يُحثل لمن بها • يلهين نيران حرب أيعا لهب

فبعث ابن هبيرة بكتائب نصر إلى مروان ، واتفق في وصول الكتائب إليه أن وجدوا رسولا من جهة إبراهيم الإمام ومعه كتاب منه إلى أبي مسلم ، وهو يشتمه فيه ويصيه ، وأمره أن يناهض نصر بن سيار وابن الكرماني ، ولا يترك هناك من يحسن العربية . فعند ذلك بعث مروان وهو مقيم بخران كتابا إلى قائمه بدمشق وهو الوليد بن معاوية بن عبد الملك ، يأمره فيه أن يذهب إلى الحبيمة ، وهي البلدة التي فيها إبراهيم بن محمد الإمام ، فيقيده ويرسله إليه . فبعث نائب دمشق إلى نائب البلقاء فذهب إلى مسجد البلدة المذكورة فوجد إبراهيم الإمام جالسا فقيده وأرسل به إلى دمشق ، فبعثه نائب دمشق من فورهِ إلى مروان ، فأمر به فجنن ثم قتل كاسيانى .

وأما أبو مسلم فإنه لما توسط بين جيش نصر وابن الكرماني ، كاتب ابن الكرماني : إلى ملك قال إليه ، فكتب إليه نصر ويحك لا تنفر فإنه إنما يريد قتلك وقتل أصحابك ، فلم حتى نكتب كتابا بيننا بالوادعة ، فدخل ابن الكرماني داره ثم خرج إلى الرحبة في مائة فارس ، وبعث إلى نصر هلم حتى تشكائب ، فأبصر نصر غرة من ابن الكرماني فنهره إليه في خلق كثير ، فغابوا عليه فقتلوه وقتلوا من جماعته جماعة ، وقتل ابن الكرماني في المركة ، طمعه رجل في خاضرته نغر عن دابته ، ثم أمر نصر بصلبه وصلب معه جماعة ، وصلب معه سمكة ، وانضاف ولده إلى أبي مسلم الخراسانى ومعه طلواث من الناس من أصحاب ابن الكرماني ، فصاروا كنفاء واحدا على نصر .

قال ابن جرير : وفي هذه السنة قلب عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر على فارس وكورها ، وعلى حلوان وقوس واصبهان والري ، بعد حرب يطول ذكرها ، ثم التقى عامر بن ضبارة معه باصطخر فهزمه ابن ضبارة وأسر من أصحابه أربعين ألفا . فكان منهم عبد الله بن علي بن عبد الله بن عباس ، فقتله ابن ضبارة وقال له : ما جاء بك مع ابن معاوية وقد علمت خلاؤه لأمر المؤمنين ؟ فقال : كان على دين فأتيته فيه . فقام إليه [ حرب بن أقطان بن وهب الهلالي فاستنوبه منه وقال : هو ابن أختنا فوجه له ، وقال : ما كنت لأقدم على رجل من قريش ، ثم استعلم ابن ضبارة منه أخبار ابن معاوية فغنه ورماه هو وأصحابه بالوطاط ، وجئ من الأسارى مائة غلام عليهم الثياب المصبغة ، وقد كان يعمل معهم الفلحشة ، وحمل ابن ضبارة عبد الله بن علي على البريد لابن هبيرة ليخبره بما أخبر به

ابن ضبارة عن ابن مائة . وقد كتب الله عز وجل أن زوال ملك بني أمية يكون على يدي هذا الرجل ، وهو عبد الله بن علي بن عبد الله بن عباس ، ولا يشتر واحد منهم بفك .  
قال ابن جرير : وفي هذه السنة وفي الموسم أبو حمزة الخارجي فأظهر التحدي والتمناه لمروان ، وتبرأ منه . فراساهم عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك وهو يومئذ أمير مكة والمدينة والطائف ، وإليه أمر الحجاج في هذه السنة ، ثم صالحهم على الأمان إلى يوم البفر ، فوففوا على حصة بين الناس بعرفات ، ثم هجروا عنهم ، فلما كان يوم البفر الأول فمجل عبيد الواحد وترك مكة فدخلها الخارجي بنير قتال ، فقال بعض الشعراء في ذلك : -

زار الحجاج عصابة قد خالفوا \* دين الاله ففر عبد الواحد

ترك الحلال والامارة هاربا \* ومضى يحبط كالبحر الشارد

لو كان والده تتصل عرقه \* لصفت موارده بمرق الوارد

ولما رجع عبد الواحد إلى المدينة شرع في تجهيز السرايا إلى قتال الخارجي ، وبذل النفقات وزاد في إعطية الأجناد ، وسيرهم سرياً . وكان أمير العراق يزيد بن هبيرة ، وأمير خراسان نصر بن سيار ، وقد استحوذ على بعض بلاد أبو مسلم الخراساني . وعين توفي فيها من الأعيان :  
سالم بنو النضر ، وعلى بن زيد بن حدعان ، في قول : ويحيى بن أبي كثير . وقد ذكرنا تراجمهم في التكميل والله الحمد .

### ( سنة ثلاثين هـ )

في يوم الخميس اتسع خلون من جادى الأول منها ، دخل أبو مسلم الخراساني مرو ، ونزل دار الامارة بها ، وانزعها من يد نصر بن سيار ، وذلك بمساعدة علي بن الكرماني ، وهرب نصر بن سيار في شرفة قليلة من الناس ، نحو من ثلاثة آلاف ، ومعه امرأته المزرانة ، حتى لحق سرخس وترك امرأته وراه ، ونجا بنفسه ، واستفحل أمر أبي مسلم جفاً ، والنفت عليه العساكر .

### ( مقتل شيبان بن سلمة الحاروي )

ولما هرب نصر بن سيار بقي شيبان وكان مماثلته على أبي مسلم ، فبث إليه أبو مسلم رسلاً فجلسهم فأرسل أبو مسلم إلى بسام بن إبراهيم مولى بني ليث يأمره أن يركب إلى شيبان فيقاتله ، فصار إليه فاقنتلا فزعم بسام قتله واتبع أصحابه يقتلهم ويأسرهم ، ثم قتل أبو مسلم عليا وعثمان ابني الكرماني ، ثم وجه أبو مسلم أبا داود إلى بلخ فأخذها من زياد بن عبد الرحمن القشيري ، وأخذ منهم أموالاً جزيلة . ثم إن أبا مسلم اتفق مع أبي داود على قتل عثمان بن الكرماني في يوم كذا ، وفي ذلك اليوم بعينه يقتل أبو مسلم على بن جديع الكرماني ، فوقع ذلك كذلك .

وفي هذه السنة وجه أبو مسلم قحطبة بن شبيب إلى نيسابور لقتال نصر بن سيار ، ومع قحطبة جماعة من كبار الأمراء ، منهم خالد بن برمك . طلقوا مع تميم بن نصر بن سيار وقد وجهه أبو وهب لقتالهم بطوس ، قتل قحطبة من أصحاب نصر نحواً من سبعة عشر ألفاً في المعركة ، وقد كان أبو مسلم بعث إلى قحطبة مدداً نحو عشرة آلاف فارس ، عليهم على بن مغل ، فاقبلوا فقتلوا من أصحاب نصر خلقاً كثيراً ، وقتلوا تميم بن نصر ، وغنموا أموالاً جزيلة جداً ، ثم إن يزيد بن عمر بن هبيرة نائب مرواني على العراق بعث سرية مدداً لنصر بن سيار ، فالتقى معهم قحطبة في مشتل ذى الحجة ، وذلك يوم الجمعة . فاقبلوا قتالاً شديداً فانهزم جند بني أمية ، وقتل من أهل الشام مئتين مائة عشرة آلاف ، منهم ثمانية بن حنظلة عامل جرجان ، فبعث قحطبة برأسه إلى أبي مسلم .

( ذكر دخول أبي حمزة الخارجي المدينة النبوية وأسبغ عليه مائة ثلاثة أشهر حتى ارتحل عنها ) قال ابن جرير : وفي هذه السنة كانت وقعة بقديد بين أبي حمزة الخارجي الذي كان عام أول في أيام الموسم ، قتل من أهل المدينة من قر يش خلقاً كثيراً ، ثم دخل المدينة وهرب نائبها عبد الواحد ابن سليمان ، قتل الخارجي من أهلها خلقاً ، وذلك لتسع عشرة ليلة خلت من صفر من هذه السنة ، ثم خطب على منبر رسول الله ﷺ فوجأ أهل المدينة ، فقال : يا أهل المدينة إنى مررت بكم أيام الأحول - يعني هشام بن عبد الملك - وقد أصابتكم عاهة في معاركم فكنتم إليهم تسألونه أن يضع الخرص عنكم فوضعه ، فزاد غنيمكم غنى ، وزاد فقركم فقراً ، فكنتم إليه جزاك الله خيراً ، فلا جزاء الله خيراً . في كلام طويل . فقام عتدم ثلاث أشهر بقية صفر وشهر ربيع وبعض جمادى الأول فيها قال الواقدي وغيره . وقد روى المصائبي أن أبا حمزة رقى يوم منبر رسول الله ﷺ ثم قال : تعلمون يا أهل المدينة أنا لم نخرج من بلادنا بطراً ولا أشراً ، ولا لهولة يزيد أن نخوض فيها النار ، وإنما أخرجنا من ديارنا أنا وأبنا مصابيح الحق طمست ، وضعت القتال بالحق ، وقتل القائم بالقسط ، فها رأينا ذلك ضاقت علينا الأرض بما رحبت ، وصمتنا داعيها يدعو إلى طاعة الرحمن ، وحكم القرآن ، فأجبنا داعي الله ( ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الأرض ) أقبلنا من قبائل شتى والتفرقنا على بعير واحد عليه زادهم وأنفسهم ، يتمارون لحافاً واحداً فليكون مستغفون في الأرض ، فأوأنا الله وأيدنا بنصره ، فأصبحنا والله بنعمة الله إخواناً ، ثم لقينا رجالكم بقديد فدعوناكم إلى طاعة الرحمن وحكم القرآن ، ودعونا إلى طاعة للشيطان وحكم بني مروان ، فشتان لعمرك الله بين التي والآخر ، ثم أقبلوا نحونا يرمعون قد ضرب الشيطان فيهم بهجانه وغلت بعمالهم مراحله ، وصدق عليهم ظنه فاتبعوه ، وأقبل أنصار الله عصائب وكتائب ، بكل مهند ذى روفى ، فندارت رحاها واستدارت رحاها ، يضرب يرتاب منه المبطون ، وأنتم يا أس المدينة إن تنصروا مروان يستحكم الله بعباد من عنده أو

بأيدينا ، ويشف صدور قوم مؤمنين ، يا أهل المدينة أولكم خير أول ، وآخركم شر آخر ، يا أهل  
 المدينة الناس منا ونحن منهم ، إلا مشركا عابدا ومن أو كفرا أهل كتب ، أو إماما جائرا . يا أهل  
 المدينة من زعم أن الله يكاف نفسا فوق طاعتها ، أو يسألها ما لم يؤتها ، فهو لله عدي ، وأنا له حرب .  
 يا أهل المدينة أخبروني عن ثمانية أسهم فرضها الله في كتابه على القوى والضعيف ، فجاء تاسع ليس  
 له منها ولا سهم واحد ، فأخذها لنفسه ، مكابرا بحار بار به ، يا أهل المدينة بلغني أنكم تنقصون  
 أصحابي قتم شباب أحداث ، وأعراب جفاة أجلاف ، ويحكم فهل كان أصحاب رسول الله ﷺ إلا  
 شبابا أحداثا ، شبابا والله مكتهلون في شبابهم ، غصة عن الشر أعينهم ، قيلة عن السمي في الباطل  
 أقدامهم ، قد باعوا لله أنفسا يموت بأفئس لا تموت ، قد خالطوا كلامهم بكلامهم ، وقيام ليلهم بصيام  
 نهارهم ، منحنية أصلاهم على أجزاء القرآن ، كلما مروا بآية خوف شهقوا خوفا من النار ، وإذا مروا  
 بآية شوق شهقوا شوقا إلى الجنة . فلما نظروا إلى السيوف قد انتصيت ، وإلى الرماح قد شرعت ،  
 وإلى السهام قد فوقت ، وارتعدت الكنتيبة بصواعق الموت ، استخفوا والله وعيد الكنتيبة لوعيد الله  
 في القرآن ، ولم يستخفوا وعيد الله لوعيد الكنتيبة ، فطوبى لهم وحسن مأب ، فكم من عين في مناقير  
 الطير طال ما فاضت في جوف الليل من خشية الله ، وطال ما بكت خالية من خوف الله ، وك من يد  
 زالت عن مفصلها طال ما ضربت في سبيل الله وجاهدت أعداء الله . وطال ما اعتمدتها صاحبها في  
 طاعة الله . أقول فولي هذا وأستغفر الله من قصيري ، وما توفيق إلا بالله .

ثم روى المدائني عن العباس عن هارون عن جده قال : كان أبو حمزة الخارجي قد أحسن  
 السيرة في أهل المدينة فقالوا إليه حتى سمعوه [ يقول ] برح الخلفا أين عن بابلك نذهب [ ثم قال ] من  
 زنا فهو كافر ، ومن سرق فهو كافر ، فمنذ ذلك أفضوه ورجعوا عن محبته . وأقام بالمدينة حتى يموت  
 مروان الحار عبد الملك بن محمد بن عطية أحد بني سعد في خيل أهل الشام أربعة آلاف ، قد  
 انتخبها مروان من جيشه ، وأعطى كل رجل منهم مائة دينار وقرصا عربية ، وبلا لقله ، وأمره أن  
 يقاتله ولا يرجع عنه ، ولو لم يلحقه ، إلا باليمن فليقبه إليها ، وليقاتل نائب صنعاء عبد الله بن يحيى .  
 فسار ابن عطية حتى بلغ وادي القرى فلقاه أبو حمزة الخارجي فاصدا قتال مروان بالشام ، فاقتنرا  
 هناك إلى الليل ، فقال له : ويحك يا ابن عطية إني الله قد جعل الليل سكنا فأنخر إلى غد ، فأني  
 عليه أن يقطع عن قتاله ، فما زال يقاتلهم حتى كسروهم فلووا ورجع فلمهم إلى المدينة ، فقبض إليهم  
 أهل المدينة فقتلوا منهم خلقا كثيرا ، ودخل ابن عطية المدينة ، وقد انهزم جيش أبي حمزة عنها ،  
 فيقال إنه أقام بها شهرا ثم استخلف عليها ، ثم استخلف على مكة وسار إلى اليمن ففرج إليه عبد الله  
 ابن يحيى نائب صنعاء ، فاقتلا قتله ابن عطية وبث برأسه إلى مروان وجاء كتب مروان إليه



بأمره بأقامة الحج لئلا في هذه السنة ، ويستحله في السير إلى مكة . فخرج من صنعاء في اثني عشر راجيا ، وترك جيشه بصنعاء ، ومعه خرج فيه أربعمائة دينار ، فلما كان ببعض الطريق نزل منزلا إذ أقبل إليه أميران يقال لهما ابنا جانة من رادات تلك الناحية ، فقالوا : يحكم أنتم لصوص . فقال : أنا ابن عطية وهذا كتاب أمير المؤمنين إلى بأمره الحج ، ففحن فمجل السير لتسلك الموسم ، فقالوا : هذا باطل ، ثم حملوا عليهم قتلوا ابن عطية وأصحابه ولم يفلت منهم إلا رجل واحد ، وأخذوا مامعهم من المال .

قال أبو موشر : وحيث بالاناس في هذه السنة محمد بن عبد الملك بن مروان ، وقد جعلت إليه إدارة المدينة ومكة والطائف ، ونائب المراق ابن هبيرة ، وإمرة خراسان إلى نصر بن سيار ، غير أن أبا مسلم قد استحوذ على مدن وقرى كثيرة من خراسان ، وقد أرسل نصر إلى ابن هبيرة يستعده بمسيرة الآلاف قبل أن لا يكتفي بمائة ألف ، وكتب أيضا إلى مروان يستعده ، فكتب مروان إلى ابن هبيرة بمعه بما أراد .

ومن توفي فيها من الأعيان شبيب بن الحجاب ، وعبد العزيز بن صهيب ، وعبد العزيز بن رفيع ، وكتب بن علقمة ، ومحمد بن المنكدر . والله سبحانه أعلم .

ثم دخلت سنة إحدى وأربعين وستمائة .

في الحرم منها وجه قطيبة بن شبيب رحمه الله الحسن إلى قم ميس فقال نصر بن سيار ، وأردفه بالأمداد ، فخار بعضهم إلى نصر ، وأرسل نصر فنزل الرى ، فأقام بها يومين ثم مرض فسار منها إلى همدان ، فلما كان بسوق بيها من همدان توفي ليلة ثلث عشرة ليلة خلت من ربيع الأول من هذه السنة ، عن خمس وعشرين سنة . فلما مات نصر تمكن أبو مسلم وأصحابه من بلاد خراسان ، وقويت شوكتهم جدا ، وسار قطيبة من جرجان ، وقدم أماله زياد بن زرارة القشيري ، وكان قد قدم على اتباع أبي مسلم ، فترك الجيش ، وأخذ جماعة معه ، وسلك طريق أصهبان ليأتي ابن ضبارة ، فبعث قطيبة وراءه جيشا فقتلوا جماعة أصحابه ، وأقبل قطيبة وراءه فقدم قومس وقد افتتحها ابنه الحسن فأقام بها ، وبعث ابنه بين يديه إلى الرى ثم ساق وراءه فوجدته قد افتتحها فأقام بها وكتب إلى أبي مسلم بذلك . وأرسل أبو مسلم من مرو فنزل نيسابور واستفحل أمره ، وبعث قطيبة بعد دخوله الرى ابنه الحسن بين يديه إلى همدان ، فلما اقترب منها خرج منها مالك بن آدم وجماعة من أجناد الشام وخراسان ، فنزلوا نهبوند ، فافتتح الحسن همدان ثم سار وراءهم إلى نهبوند ، وبعث إليه أبوه بالأمداد لمحاصرم حتى افتتحها .

وفي هذه السنة مات عمر بن ضبارة ، وكان سبب ذلك أن ابن هبيرة كتب إليه أن يسير إلى

قحطبة وأمدّه بالسّكر ، فسار ابن ضبارة حتى التقي مع قحطبة في عشرين أنثاً ، فلما تواب الفريضان دفع قحطبة وأصحابه المصاحف ونادى المنادى : يا أهل الشام ، إنا ندعوكم إلى ماني ههنا المصحف ففتشوا المنادى وشتوا قحطبة ، فأمر قحطبة أصحابه أن يجمّلوا عليهم ، فلم يكن بينهم كبير قتال حتى انهزم أصحاب ابن ضبارة ، واتبعهم أصحاب قحطبة فقتلوا منهم خلقاً كثيراً ، وقتلوا ابن ضبارة في المعسكر [ لشجاعته فإنه لم يول ] وأخذوا من عسكرهم مالا يحد ولا يوصف .

وفيها حاصر قحطبة نهلولند حصاراً شديداً حتى سأله أهل الشام الذين بها أن يهلّ لهم حتى يفتحوا له الباب ، ففتحوا له الباب وأخذوا لهم منه أماناً ، وقال لهم من بها من أهل خراسان ما فلتتم ؟ فقالوا : أخذنا لنا ولكم أماناً ، فخرجوا ظانين أنهم في أمان ، وقال قحطبة للأمراء الذين معه : كل من حصل عنده أسير من الخراسانيين فليضرب عنقه وليأتنا برأسه ، ففعلوا ذلك ولم يبق ممن كان حرب من أبي مسلم أحد ، وأطلق الشاميين وأوفى لهم عهدهم وأخذ عليهم الميثاق أن لا يأتوا عليه عدوّاً . ثم بعث قحطبة أبا عون إلى شهر زور ، عن أمر أبي مسلم في ثلاثين ألفاً فانفتحها ، وقتل نائبها عثمان بن صفيان . وقيل لم يقتل بل تحول إلى الموصل والجزيرة وبعث إلى قحطبة بذلك ، ولما بلغ من مروان خبر قحطبة وأبي مسلم وما وقع من أمرهما تحول مروان من حران فقتل بمكان يقال له الزاب الأكبر .

وفيها قصد قحطبة في جيش كثيف نائب العراق يزيد بن عمر بن هبيرة . فلما اقترب منه تقهر ابن هبيرة إلى ورائه ، وما زال يتقهقر إلى أن جاوز الفرات ، وجاء قحطبة فجلازها وراءه ، وكان من أمرهما ما سنده كره في السنة الآتية إن شاء الله تعالى .

﴿ ثم دخلت سنة ثنتين وثلاثين ومائة ﴾ .

في الحرم منها جاز قحطبة بن شبيب الفرات ودمه الجنود والفرسان ، وابن هبيرة عظيم على فم الفرات مما يلي الفلوجة ، في خلق كثير وجم غفير ، وقد أمدّه مروان بمجنود كثيرة ، وانضاف إليه كل من انهزم من جيش ابن ضبارة . ثم إن قحطبة عدل إلى الكوفة ليأخذها ، فأتبعه ابن هبيرة . فلما كانت ليلة الأربعاء بقاء ثمان مضيّن من الحرم اقتتلوا قتالاً شديداً وكثراً قتل في الفريقين ، ثم ولي أهل الشام منبهم وأتبعهم أهل خراسان ، وقد قحطبة من الناس فأخبرهم رجل أنه قتل وأوصى أن يكون أمير الناس من بعده ولده الحسن ، ولم يكن الحسن حاضرّاً ، فبايعوا حميد بن قحطبة لأخيه الحسن وذهب البريد إلى الحسن ليحضر . وقتل في هذه الليلة جماعة من الأمراء . والذي قتل قحطبة معن ابن زائدة ، ويحيى بن حصين . وقيل بل قتل رجل من كان معه أخذاً بشار أبي نصر من سيار فافقه أعلم . ووجد قحطبة في القتلى فدفن هنالك ، وجاء الحسن بن قحطبة فسار نحو الكوفة ، وقد خرج بها

محمد بن خالد بن عبد الله القسري ودعا إلى بني العباس وسوءه ، وكان خروجه ليلة عاشوراء المحرم من هذه السنة ، وأخرج علماء من جهة ابن هبيرة ، وهو زياد بن صالح الحارثي ، وتحول محمد بن خالد إلى قصر الامارة قصده حويزة في عشرين ألفاً من جهة ابن هبيرة ، فلما اقترب من الكوفة أصحبل حويزة يذهبون إلى محمد بن خالد فيباليوننه لبني العباس ، فلما رأى حويزة ذلك ارتحل إلى واسط ، ويقال بل دخل الحسن بن قطيبة الكوفة ، وكان قطيبة قد جمل في وصيته أن تكون وزارة الخلافة إلى أبي سلمة حفص بن سليمان مولى السبيع الكوفي الخليل ، وهو بالكوفة ، فلما قدموا عليه أشار أن يذهب الحسن بن قطيبة في جماعة من الأمراء إلى قتال ابن هبيرة بواسط ، وأن يذهب أخوه حميد إلى المدائن ، وبث البعث إلى كل جانب يفتحونها ، وفتحوا البصرة ، اختنعا مسلم بن قتيبة لابن هبيرة ، فلما قتل ابن هبيرة جاء أبو مالك عبد الله بن أسيد الخزاعي فأخذ البصرة لأبي مسلم الخراساني .

وفي هذه السنة ليلة الجمعة ثلاث عشرة خلت من ربيع الآخر منها ، أخضعت البيعة لأبي العباس السفاح ، وهو عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب . قال أبو معشر وهشام بن الكلبي . وقال الواقدي : في جمادى الأولى من هذه السنة فله أعلم .

﴿ ذكر مقتل إبراهيم بن محمد الامام ﴾

[ أخى السفاح ، وهو الذي كانت الدعوة له ، أرسل أبا مسلم إلى بلاد خراسان يدعو الناس إلى البيعة له كما تقدم ذلك ] <sup>(١)</sup> .

قد ذكرنا في سنة تسع وعشرين ومائة أن مروان أطلع على كتاب من إبراهيم الامام إلى أبي مسلم الخراساني ، يأمره فيه بأن لا يبق أحداً بأرض خراسان ممن ينكلم بالرية إلا أباه ، فلما وقف مروان على ذلك سأل عن إبراهيم فقيل له هو باللقاء ، فكتب إلى نائب دمشق أن يحضره فيمض نائب دمشق يريداه ومعه صفته وفتته ، فذهب الرسول فوجد أخاه أبا العباس السفاح ، فاعتقد أنه هو فأخذه فقيل له : إنه ليس به ، وإنما هو أخوه ، فدل على إبراهيم فأخذه وذهب معه بأمر والده كل يجده ، وأوصى إلى أهله أن يكون الخليفة من بعده أخوه أبو العباس السفاح ، وأمرهم بالمسير إلى الكوفة ، فارتحلوا من يومهم إليها ، منهم أعمامه الستة وهم : عبد الله ، وداد ، وعيسى ، وصالح ، وإسماعيل ، وعبد الصمد ، بنوا علي ، وأخوه أبو العباس السفاح ، ومحمد ابنا محمد بن علي ، وابنه محمد وعبد الوهاب ابنا إبراهيم الامام المسموك ، وخلق سوام . فلما دخلوا الكوفة أنزلهم أبو سلمة الخليل دار الوليد بن سعيد ، مولى بني هاشم ، وكنم أمرهم نحواً من أربعين ليلة من القواد

والأمراء ، ثم ارتحل بهم إلى موضع آخر ، ثم لم يزل ينقلهم من مكان إلى مكان حتى فتحت البلاد .  
 ثم بويج للسفاح . وأما إبراهيم بن محمد الامام فانه سبر به إلى أمير المؤمنين في ذلك الزمان مروان  
 ابن محمد وهو ببحران فحبسه ، وما زال في السجن إلى هذه البتة ، فأتى في صفر منها في السجن ، عن  
 ثمان وأربعين سنة . وقيل إنه غم بمرققة وضمت على وجهه حتى مات عن إحدى وخمسين سنة ،  
 وصلى عليه رجل يقال له بهلول بن صفوان ، وقيل إنه هدم عليه بيت حتى مات ، وقيل بل سقى  
 لبناً مسموماً فأتى ، وقيل إن إبراهيم الامام شهد الموسم عام إحدى وثلاثين ، واشتهر أمره هناك لأنه  
 وقف في أبهة عظيمة ، ونجائب كثيرة ، وحرمة وافرة ، فأنهى أمره إلى مروان وقيل له : إن أباً مسلم  
 يدعو الناس إلى هذا ويسمونه الخليفة ، فبث إليه في الحرم من سنة ثنتين وثلاثين وقتله في صفر  
 من هذه السنة ، وهذا أصبح مما تقدم : وقيل إنه إنما أخذه من الكوفة لامن حجة البقاء فله أعلم .  
 وقد كان إبراهيم هذا كريماً جواداً له فضائل وفواضل ، وروى الحديث عن أبيه عن جده ،  
 وأبي هاشم عبد الله بن محمد بن الخنيفة ، وعنه أخواه عبد الله السفاح ، وأبو جعفر عبد الله المنصور ،  
 وأبو سلمة عبد الرحمن بن مسلم الخراساني ، ومالك بن هاشم . ومن كلامه الحسن : الكامل المروءة  
 من أحرز دينه ، ووصل رحمه ، واجتنب ما يلام عليه .

### ﴿ خلافة أبي العباس السفاح ﴾

لما بلغ أهل الكوفة مقتل إبراهيم بن محمد ، أراد أبو سلمة الخليل أن يحول الخلافة إلى آل علي  
 ابن أبي طالب ، فغلبه بقية النقياء والأمراء ، وأحضروا أبا العباس السفاح وسلوا عليه بالخلافة ،  
 وذلك بالكوفة ، وكان عمره إذ ذاك ستاً وعشرين سنة . وكان أول من سلم عليه بالخلافة أبو سلمة  
 الخليل ، وذلك ليلة الجمعة ثلاث عشرة ليلة خلت من ربيع الآخر من هذه السنة ، فلما كان وقت  
 صلاة الجمعة خرج السفاح على رذون أبلق ، والخنود ملبسة معه ، حتى دخل دار الامارة ، ثم خرج  
 إلى المسجد الجامع وصلى بالناس ، ثم صعد المنبر وبأيه الناس وهو على المنبر في أعلاه ، وعنه داود  
 ابن علي واقف دونه بثلاث درج ، وتكلم السفاح ، وكان أول ما نطق به أن قال : الحمد لله الذي  
 اصطفى الاسلام لنفسه ديناً ، وكرمه وشرفه وعظمه ، واختاره لنا ، وأيده بنا ، وجعلنا أهله وكنهه  
 والقراب به والذابين عنه والناصرين له ، وألزمنا كلمة التقوى وجعلنا أحق بها وأهلها ، خصنا برحم  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرابته ، ووضعتنا بالاسلام وأهله في الموضع الرفيع ، وأنزل بفضلك على  
 أهل الاسلام كتاباً ينزل عليهم . فقال تعالى ( إنما يريد الله لينهب عنكم الرجس أهل البيت  
 ويظهر لكم طهراً ) وقال ( قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى ) وقال : ( وأنفر عشيرتك

الأقربين) وقال: (ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين)  
 الآية. فأعلمهم عز وجل فضلنا وأوجب عليهم حقنا ومودتنا، وأجزل من التي والفنية نصيبنا  
 تكروماً لنا، وتفضلاً علينا، والله ذو الفضل العظيم. وزعمت السبابة الضلال أن غيرنا أحق بالرياسة  
 والسياسة والخلافة منا، فشاعت وجوههم. أيها الناس بنا هدى الله الناس بعد ضلالتهم، ونصرهم  
 بعد جهالتهم، وأقدم بعد هلكتهم وأظهر بنا الحق وأدحض بنا الباطل، وأصلح بنا منهم ما كان  
 فاسداً، ورفع بنا الخبيصة، وأتم النقيصة وجمع الفرقة، حتى عاد الناس بعد العداوة أهل تعاطف  
 وبر ومواساة في دنياهم، وإخوانا على سرر متقابلين في آخرهم، فتح الله علينا ذلك منة ومنحة  
 بحمد ﷺ، فلما قبضه إليه قام بذلك الأمر بعده أصحابه، وأمرهم شورى بينهم، فحوروا موارث  
 الأمم فمدلوا فيها، ووضعوها مواضعها، وأعطوها أهلها، وخرجوا تحاصفاً منها. ثم وثب بنو حرب  
 ومروان فابتزوها لأنفسهم، وتداولوها. تجاروا فيها واستأثروا بها، وظلموا أهلها، فأمل الله لهم  
 حيناً (فلما آسفونا انتقمنا منهم) فانتزع منهم ما بأيديهم بأيدينا، ورد الله علينا حقنا، وتدارك بنا  
 أمتنا، وتولى أمرنا والقيام بنصرنا لئيم بنا على الذين استضعفوا في الأرض، وختم بنا كما افتتح بنا،  
 وإني لأرجو أن [ألا ياتيكم الجور من حيث جاءكم الخير، ولا الفساد من حيث جاءكم الصلاح، وما  
 توفيقنا أهل البيت إلا بالله. يا أهل الكوفة أنتم على محبتنا ومزمل مودتنا، وأنتم أسعدت الناس بنا  
 وأكرمهم علينا، وقد زدتم في أعطياتكم مائة درهم، فاستمدوا فانا السفاح الهاجج والناثر المير. وكان  
 به وعك فاشتد عليه حتى جلس على المنبر ونهض عنه داود فقال: الحمد لله شكر آ الذي أهلك عدونا  
 وأصار إلينا ميراثنا من بيتنا. أيها الناس الآن اهشمت حنادس الظلمات وانكشف غطاؤها،  
 وأشرقت أرضها وسماؤها، فطلعت شمس الخلافة من مظلما، ورجع الحق إلى نصابه، إلى أهل نبيكم  
 أهل الرأفة والرحمة والعطف عليكم، أيها الناس إنا والله ما يخرجنا لهذا الأمر لتكثر لجنا ولا عقيانا  
 ولا لنسحر نهرآ ولا لتبني قصرآ ولا لتجمع ذهباً ولا فضة، وإنما أخرجنا الأفة من انتزاع حقنا  
 والغضب لبني عينا، ولسو سيرة بني أمية فيكم، واستفلاهم لكم، واستشارهم بفيكم وصدقكم،  
 فلكم علينا ذمة الله وذمة رسوله وذمة المباس، أن نحكم فيكم بما أنزل الله، ونعمل بكتاب الله،  
 ونسير في العامة والخاصة بسيرة رسول الله، تبا لبني أمية وبني مروان، آتروا المجاعة على  
 الآجلة، والهار الفانية على الدار الباقية، فركبوا الاستقام وظلموا الأثام، وارتكبوا الحارم، وغشوا  
 الجرائم، وجاروا في سيرتهم في العباد، وسنهم في البلاد التي بها استلقدوا تسرل الأوزار، وتجلبب  
 الآصار، ومرحوا في أهنة المامى، وركضوا في ميادين النى، جبالاً منهم باستمراج الله، وعيا عن  
 أخذ الله، وأمناً لمسكر الله، فأقام بأس الله بيانا وهم نائمون، فأصبحوا أحاديث ومزقوا كل ممزق،

فبعث الله القوم الظالمين . وأدان الله من مروان ، وقد غره بالله الفرور ، أرسل عمو الله في عثائه حتى  
عثر جواده في فضل خطاه ، أظن عمو الله أن لن يقدر عليه أحد ؟ فنادى حزبه وجمع جنده ورمى  
بكتابه فوجد أماله ووراءه وعن يمينه وعن شماله ومن فوقه ومن تحته من مكر الله وبأسه وثقته  
ما أمأت باطله ، وبحق ضلاله ، وأحل دائرة السوء به ، وأحاط به خطيئته ، ورد إلينا حقنا وأوانا .  
أيها الناس ! إن أمير المؤمنين نصره الله نصراً عزيزاً ، إنما عاد إلى المنبر بعد صلاة الجمعة لأنه  
كره أن يخلط بكلام الجمعة غيره ، وإنما قطعه عن استهتام الكلام شدة الوعك ، فادعوا الله  
لا أمير المؤمنين بالمافية ، فقد أبدلكم الله بمرؤس عمو الرحمن ، وبخليفة الشيطان ، المتبع لسلطة  
الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون . المتوكل على الله المقتدى بالأخبار الأخيار الذين أصلحوا  
الأرض بعد فسادها بعمال الهدى ، ومنهج النقي . قال ضج الناس له بالدهاء ثم قال : واعلموا يا أهل  
الكوفة أنه لم يصعد منبركم هذا خليفة بعد رسول الله ﷺ إلا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب  
وأمر المؤمنين هذا - وأشار يده إلى السفاح - واعلموا أن هذا الأمر فينا ليس بخارج عنا ، حتى  
نسفه إلى عيسى بن مريم عليه السلام ، والحمد لله رب العالمين على ما أبلانا وأولانا . ثم نزل أبو  
العباس وداود حتى دخلا القصر . ثم دخل الناس يبايعون إلى العصر ، ثم من بعد العصر إلى الليل .  
ثم إن أبا العباس خرج فسكّر بظاهر الكوفة واستخلف عليها عمه داود ، وبث معه عبد الله  
ابن علي إلى أبي عون بن أبي يزيد ، وبث ابن أخيه عيسى بن موسى إلى الحسن بن قحطبة . وهو  
يؤمند بواسطة بمحاصر ابن هبيرة ، وبث يحيى بن [ جعفر بن ] تمام بن العباس إلى حديد بن قحطبة  
بالمدين ، وبث أبا اليقطين عثمان بن عروة بن محمد بن عمار بن ياسر إلى بسام بن إبراهيم بن بسام  
بالأهواز ، وبث سلمة بن عمرو بن عثاف إلى مالك بن الطواف . وأقام هو بالسكسر أشهراً ، ثم  
ارحل فقتل المدينة الهاشمية في قصر الامارة ، وقد تنكر لأبي سلمة الخلال ، وذلك لما كان بلغه عنه  
من المدلول بالخلافة عن ابن العباس إلى آلى علي بن أبي طالب والله سبحانه وتعالى أعلم .

﴿ ذكر مقتل مروان بن محمد بن مروان ﴾

آخر خلفاء بني أمية ، وتحول الخلافة إلى بني العباس مأخوذ من قوله تعالى ( والله يوتي ملكه  
من يشاء ) وقوله ( قل اللهم مالك الملك ) الآية . وقد ذكرنا أن مروان لما بلغه خبر أبي مسلم وأتباعه  
وما جرى بأرض خراسان ، تحول من حران فقتل على نهر قريب من الموصل ، يقال له الزاب من  
أرض الجزيرة ثم لما بلغه أن السفاح قد بويع له بالكوفة والتفت عليه الجنود ، واجتمع له أمره ، شق  
عليه جداً ، وجمع جنوده فتقدم إليه أبو عون بن أبي يزيد في جيش كثيف وهو أحد أمراء السفاح ،  
فنازله على الزاب وجاءته الأمداد من جهة السفاح ، ثم نهب السفاح الناس من بل القتال من أهل

بيته ، فاستب له عبد الله بن علي فقال : سر على بركة الله ، فسار في جنود كثيرة قدم على أبي عون فتعول له أبو عون عن سرادقه وخلاؤه وما فيه ، وجعل عبد الله بن علي على شرطته جيش ابن حبيب الطائي ، ونصير بن الحنفز ، ووجه أبو العباس موسى بن كعب في ثلاثين رجلا على البريد إلى عبد الله بن علي بمحنة على مناجزة مروان ، والمبادرة إلى قتاله ونزاله قبل أن تحدث أمور ، وتبرد نيران الحرب . فتقدم عبد الله بن علي بمجنوده حتى واجه جيش مروان ، ونهض مروان في جنوده وتضاف الفريقان في أول النهار ، ويقال إنه كان مع مروان يومئذ مائة ألف وخمسون ألفا ، ويقال مائة وعشرون ألفا ، وكان عبد الله بن علي في عشرين ألفا . فقال مروان لمبد العزيز بن عمر ابن عبد العزيز : إن زالت الشمس يومئذ ولم يقاتلونا كنا نحن الذين ندفعها إلى عيسى بن مسلم ، وإن قاتلونا قبل الزوال قاتلناه وإنا إليه راجعون . ثم أرسل مروان إلى عبد الله بن علي يسأله المودة ، فقال عبد الله : كذب ابن زريق ، لا تزول الشمس حتى أوطئه الخيل إن شاء الله ، وكان ذلك يوم السبت لاحدى عشر ليلة خلت من جمادى الآخرة من هذه السنة ، فقال مروان : قنوا لا تبتدون بقتال ، وجعل ينظر إلى الشمس تغالته الوليد بن معاوية بن مروان - وهو ختن مروان على ابنته - فجعل ، فغضب مروان فشمته فقاتل أهل الميمنة فهاجم أبو عون إلى عبد الله بن علي ، فقاتل موسى بن كعب لمبد الله بن علي ، فأمر الناس فقتلوا ونودي الأرض الأرض ، فقتلوا وأشروعوا الرماح وجنوا على الركب وقاتلهم ، وجعل أهل الشام يتأخرون كأنما يدفون ، وجعل عبد الله يمشي قدما ، وجعل يقول : يارب حتى متى تقتل فيك ، ونادى : يا أهل خراسان ، يا أشرار إبراهيم الامام ، يا محمد يا منصور ، واشتد القتال جيدا بين الناس ، فلا تسمع إلا وقعا كالرأرب على النحاس ، فأرسل مروان إلى قضاة يأمرهم بالتزول فقالوا : قل لبني سليم فليتزولوا ، وأرسل إلى السكاسك أن احلوا فقالوا : قل لبني عامر أن يحملوا ، فأرسل إلى السكون أن احلوا فقالوا : قل إلى غطفان فليحملوا . فقال لصاحب شرطته : انزل فقال لا والله لا أجعل نفي غرضا . قال : أما والله لأدعيه لك . قال : وددت والله لو قدرت على ذلك .

ويقال : إنه قال ذلك لابن هبيرة . قالوا : ثم انهزم أهل الشام وانتهبهم أهل خراسان في أديارهم يقتلون ويأسرون ، وكان من غرق من أهل الشام أكثر من قتل وكان في جملة من غرق إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك المخلوع ، وقد أمر عبد الله بن علي بمقد الجسر ، واستخرج من غرق في الماء ، وجعل يلقه قوله تعالى (و إذ فرقنا بكم البحر فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون) وأقام عبد الله ابن علي في موضع المعركة سبعة أيام ، وقد قال رجل من ولد سعيد بن العاص في مروان وفراره يومئذ :  
 لج الفرار بمروان قتلت له • عاد الظلم ظليما • هو الهرم

أبن الفرار وترك الملك إذ ذهبت • عنك الهوينا فلا دين ولا حسب  
فراشة الحلم فرعون العقاب وإن • تطلب نداء فكلب دونه كلب  
واحتراب عبد الله ماني مسكر مروان من الأموال والامنة والحواصل ، ولم يحسد فيه امرأة سوى  
جارية كانت لعبد الله بن مروان ، وكتب إلى أبي العباس السفاح بما فتح الله عليه من النصر ،  
وما حصل لهم من الأموال . فصل السفاح وكتبين شكراً لله عز وجل ، وأطلق لكل من حضر الوقعة  
خمسائة خمسةائة ، ورفع في أرواقهم إلى ثمانين ، وجعل ينلو قوله ( هذا فصل طالوت بالجنود ) الآية  
( ضعة مقتل مروان )

لما انهزم مروان سار لايولى على أحد ، فأقام عبد الله بن علي في مقام المركة سبعة أيام ، ثم سار  
خلفه بمن معه من الجنود ، وذلك عن أمر السفاح له بذلك ، فلما مر مروان بجران اجتازها وأخرج  
أبا محمد السفياقي من سجنه ، واستخلف عليها أيان بن يزيد . وهو ابن أخته ، وزوج ابنته أم عثمان .  
فلما قدم عبد الله على حران خرج إليه أيان بن يزيد مسوداً فأمنه عبد الله بن علي وأقره على عمله ،  
وهدم الدار التي سجن فيها إبراهيم الإمام ، واجتاز مروان قنسرين قاصداً حصص ، فلما جاءها خرج  
إليه أهلها بالأسواق والمعايش ، فأقام بها يومين أو ثلاثة ثم شخص منها ، فلما رأى أهل حصص قلة من  
معه اتبعوه ليقنوه ونهبوا ماله ، وقالوا : مرعوب مهزوم ، فأدركوه بواد عند حصص فأكن لهم أميرين ،  
فلما تلاحقوا بمروان عطف عليهم فنشدهم أن يرجعوا فأبوا إلا مقاتلته ، فنار القتال بينهم ونار  
الكينان من ورائهم ، فانهزم الخصيون ، وجاء مروان إلى دمشق وعلى ثيابها من جهته زوج ابنته الوليد  
ابن معاوية بن مروان ، ففكر بها واجتاز عنها قاصداً إلى القديار المصرية ، وجعل عبد الله بن علي  
لا يمر ببلد وقد سودوا فيها بؤونه ويطعمهم الأمان ، ولما وصل إلى قنسرين وصل إليه أخوه عبد الصمد  
ابن علي في أربعة آلاف ، قد بشتم السفاح مدحاً له ، ثم سار عبد الله حتى أتى حصص ، ثم سار منها  
إلى بعلبك ، ثم منها حتى أتى دمشق من ناحية المزة قتل بها يومين أو ثلاثة ، ثم وصل إليه أخوه صالح  
ابن علي في ثمانية آلاف مدداً من السفاح ، قتل صالح بمرج غفراء ، ولما جاء عبد الله بن علي دمشق  
نزل على الباب الشرقي ، ونزل صالح أخوه على باب الجابية ، ونزل أبو عون على باب كيسان ، ونزل بسار  
على الباب الصغير ، وحيد بن قحطبة على باب توما ، وعبد الصمد ومحيي بن صفوان والعباس بن يزيد  
على باب الفراديس ، فحاصرها أياماً ثم افتتحها يوم الأربعاء لعشر خلون من رمضان هذه السنة ،  
قتل من أهلها خلقاً كثيراً وأباحها ثلاث ساعات ، وهدم سورها ، ويقال إن أهل دمشق لما حاصروا  
عبد الله اختلجوا فيها بينهم ، ما بين عباسي وأموي ، فقتلوا قتل بعضهم بعضاً ، وقتلوا ثلثهم ثم  
سلموا البلد ، وكان أول من صد السور من ناحية الباب الشرقي رجل يقال له عبد الله الطائي ، ومن



ناحية الباب الصغير إسماعيل بن إبراهيم ، ثم أبيض دمشق ثلاث ساعات حتى قيل إنه قتل بها في هذه  
الليلة نحواً من خمسين ألفاً .

[ وذكر ابن عساکر في ترجمة عبيد بن الحسن الأعرج من ولد جعفر بن أبي طالب ، وكان  
أميراً على خبـة آلاف مع عبد الله بن علي في حصار دمشق ، أنهم أقاموا محاصرها خمسة أشهر ،  
وقبل مائة يوم ، وقبل شهر ونصفاً ، وأن البلد كان قد حصنه نائب مروان تحصيناً عظيماً ، ولكن  
اختلف أهلها فيما بينهم بسبب المجانية والمضرة ، وكان ذلك سبب الفتح ، حتى إنهم جعلوا في كل  
مسجد محرابين للقبليتين حتى في المسجد الجامع منبرين ، وإمامين يخطبان يوم الجمعة على المنبرين ،  
وهنا من عجيب ما وقع ، وغريب ما اتفق ، وفظيع ما أحدث بسبب الفتنة والهوى والعصبية ،  
نسأل الله السلامة والمافية . وقد بسط ذلك ابن عساکر في هذه الترجمة المذكورة ، وذكر في ترجمة  
محمد بن سليمان بن عبد الله النوفلي قال : كنت مع عبد الله بن علي أول ما دخل دمشق ، دخلها  
بالسيف ، وأبح القتل فيها ثلاث ساعات ، وجعل جامعها سبعين يوماً اسطبلًا للدواب وجمالها ، ثم نبش  
قبور بني أمية فلم يجد في قبر معاوية إلا خيطاً أسود مثل الهباء ، ونبش قبر عبد الملك بن مروان  
فوجد جمجمة ، وكان يجد في القبر العضو بعد العضو ، إلا هشام بن عبد الملك فإنه وجده صحيحاً لم  
يبل منه غير أرنبة أنفه ، فضربه بالسياط وهو ميت وصلبه أياماً ثم أحرقه ودق رماده ثم خذه في  
الريح ، وذلك أن هشاماً كان قد ضرب أخاه محمد بن علي ، حين كان قد أتهم بقتل ولده الصغير ،  
سبعمئة سوط ، ثم نفاه إلى الحبيسة بالبلقاء . قال : ثم تبع عبد الله بن علي بني أمية من أولاد الخلفاء  
وغيرهم ، فقتل منهم في يوم واحد اثنين وتسعين ألفاً عند نهر بالرملة ، و بسط عليهم الأنطاع ومد  
عليهم سباطاً فأكل وهم يحملون نحتة ، وهذا من الجبروت والظلم الذي يجازيه الله عليه ، وقد مضى  
ولم يدم له ما أرادته ورجاه ، كما سيأتي في ترجمته . وأرسل امرأة هشام بن عبد الملك وهي عبدة  
بنت عبد الله بن يزيد بن معاوية صاحبة الخال ، مع نفر من الخراسانية إلى البرية ماشية حافية  
حاصرة عن وجهها وجسدها عن ثيابها ثم قتلوها . ثم أحرق ما وجده من عظم ميت منهم . وأقام بها  
عبد الله خمسة عشر يوماً ] <sup>(١)</sup>

وقد استدعى بالأوزاعي فأوقف بين يديه فقال له : يا أبا عمرو ما تقول في هذا الذي صنعناه ؟  
قال قلت له : لا أدري ، غير أنه قد حدثني يحيى بن سعيد الأنصاري عن محمد بن إبراهيم عن  
علقمة عن عمر بن الخطاب قال : قال رسول الله ﷺ : « إنما الأعمال بالنيات » فذكر الحديث .  
قال الأوزاعي : وانتظرت رأسي أن يسقط بين رجلي ثم أخرجت ، وبثت إلى بمائة دينار . ثم سار

وراء مروان فنزل على نهر الكسوة ووجه يحيى بن جعفر الهاشمي نائبا على دمشق ، ثم سار فنزل مرج الروم ، ثم أتى نهر أبي فطرس فوجد مروان قد هرب فدخل مصر ، وجاءه كتاب السفاح : ابست صالح بن علي في طلب مروان وأقم أنت بالشام نائبا عليها ، فسار صالح يطلب مروان في ذي القعدة من هذه السنة ، ومعه أبو عمرو وعامر بن إسماعيل ، فنزل على ساحل البحر وجعل ما هناك من السفن وبلغه أن مروان قد نزل الفرما ، وقيل الفيوم ، فجهل يسير على الساحل والسفن فقاد معه في البحر حتى أتى العريش ، ثم سار حتى نزل على النيل ثم سار إلى الصعيد ، فسير مروان النيل وقطع الجسر وحرق ما حوله من الملق والطعام ، ومضى صالح في طلبه . فالتقى بجيول مروان فهزمهم ، ثم جعل كلما التقوا مع خيول مروان يهزموهم حتى سألوا بعض من أسروا عن مروان فطمع عليه ، وإذا به في كنيسة أبو صير ، فوافوه من آخر الليل فأنهزم من معه من الجند وخرج باليهم مروان في نفر يسير معه فأحاطوا به حتى قتلوه ، طمه رجل من أهل البصرة يقال له معود ، ولا يعرفه حتى قال رجل صريح أمير المؤمنين . فابتدره رجل من أهل الكوفة كان يبيع الزمان فاحتز رأسه ، فبست به عامر بن إسماعيل أمير هذه السرية إلى أبي عون ، فبست به أبو عون إلى صالح بن علي ، فبست به صالح مع رجل يقال له خزعة بن يزيد بن هاني كان على شرطته ، لأمر المؤمنين السفاح .

وكان قتل مروان يوم الأحد ثلاث بقين من ذي الحجة ، وقيل يوم الخميس لبست مريض منها سنة ثنتين وثلاثين ومائة ، وكانت خلافته خمس سنين وعشرة أشهر وعشرة أيام على المشهور ، واختلوا في سنة قبيل أربعمائة سنة ، وقيل ست وثلاث وخمسون سنة ، وقيل ستون وقيل اثنتان وقيل ثلاث وقيل تسع وستون سنة ، وقيل ثمانون فافقه أعلم .

ثم إن صالح بن علي سار إلى الشام واستخلف على مصر أبا عون بن أبي يزيد والله سبحانه أعلم .

﴿ وهنا شيء من ترجمة مروان الحمار ﴾

وهو مروان بن محمد بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية ، القرشي الأموي ، أبو عبد الملك أمير المؤمنين آخر خلفاء بني أمية ، وأمه أمة كردية يقال لها لبابة ، وكانت لإبراهيم بن الأشتر النخعي ، أخنها محمد بن مروان يوم قتله فاستولها مروان هذا ، ويقال إنها كانت أولا لمصعب بن الزبير ، وقد كانت دار مروان هذا في سوق الأكلبيين ، قاله ابن عساكر . يبيع له بالخلافة بعد قتل الوليد بن يزيد ، وبعد موت يزيد بن الوليد ، ثم قمع دمشق وخلع إبراهيم بن الوليد ، واستمر له الأمر في نصف صفر سنة سبع وعشرين ومائة . وقال أبو معشر : يبيع له بالخلافة في ربيع الأول سنة تسع وعشرين ومائة ، ولكن يقال له مروان الجمعدى ، نسبة إلى رأى الجعد بن درهم ، وتلقب بالحمار ، وهو آخر من ملك من بني أمية ، وكانت خلافته خمس سنين وعشرة أشهر وعشرة أيام ، وقيل

خمس سنين وشهرًا ، وبقى بعد أن يبيع السفاح تسعة أشهر ، وكان أبيض مشرباً حمرة ، أزرق العينين ، كبير الحية ، ضخم الهامة ، ربة ، ولم يكن يعضب . ولده هشام نياية أذر ييجان وأرمينية والحزيرة ، في سنة أربع عشرة ومائة ، ففتح بلاداً كثيرة وحصوناً متعددة في سنين كثيرة ، وكان لا يفارق الغزو في سبيل الله ، وقَاتِل طوائف من الناس الكفار ومن الترك والخزr واللان وغيرهم ، فكسروهم وقهرهم ، وقد كان شجاعاً بطلاً مقداماً حازم الزأى ، لولا أن جده خذله بتقدير الله عز وجل لما له في ذلك من حكمة سلب الخلافة لشجاعته وصرامته . ولكن من يخذل الله يخذل ، ومن يهن الله فاه من مكرم .

قال الزبير بن بكار عن عمه مصعب بن عبد الله : كان بنو أمية يرون أنه تنهب منهم الخلافة إذا وليها من أمة أمة ، فلما وليها مروان هذا أخذت منهم في سنة ثنتين وثلاثين ومائة . وقد قال الحافظ ابن عسار : أخبرنا أبو محمد عبد الرحمن بن أبي الحسين أخبرنا سهل بن بشر أنبأ الخليل ابن هبة الله بن الخليل أنبأ عبد الوهاب الكلبي حدثنا أبو الجهم أحمد بن الحسين أنبأ العباس ابن الوليد بن صبيح ثنا عباس بن يحيى أبو الحارث حدثني المهيم بن حميد حدثني راشد بن داود عن أسامة عن نوبان قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تزال الخلافة في بني أمية يثقلونها تلقف الثفلان الكفرة ، فإذا خرجت من أيديهم فلا خير في عيش » . هكذا أورد ابن عسار وهو منكسر جداً ، وقد سأل الرشيد أبا بكر بن عياش : من خير الخلفاء نحن أو بنو أمية ؟ فقال : هم كانوا أنفع للناس ، وأنتم أقوم للصلاة ، فأعطاه سنة آلاف . قالوا وقد كان مروان هذا كثير المروءة كثير المعجزة ، يصحبه اللهو والطرب ، ولكنه كان يشتغل عن ذلك بالطرب .

قال ابن عسار : قرأت بخط أبي الحسين علي بن مقلد بن نصر بن منقذ بن الأمير في مجموع له : كتب مروان بن محمد إلى جارية له تركها بالزلة عند ذهابه إلى مصر منهزماً :

وما زال يدعو إلى الصبر ما أرى • فإني ويدنيق القى لك في صدري  
وكان عزيزاً أن تبقى وبيننا • حجاب قد أسيت متى على عشر  
وأنكاهما والله قلب فاعلى • إذا زدت مثليها نصرت على شهر  
وأعظم من هذين والله أنى • أخلف لمن لانتلق آخر الدهر  
سأبكيك لاستبقيا فيض عبرة • ولا طالباً بالصبر عاقبة الصبر

وقال بعضهم : اجتاز مروان وهو هارب براهب طاعلم عليه الراهب فلم عليه فقال له : ياراهب هل عندك علم بالزمان ؟ قال : نعم ! عندي من تلونه ألوان . قال : هل تبلغ الدنيا من الإنسان أن يجعله مملوكاً ؟ بعد أن كان مالكاً ؟ قال : نعم ! قال : فكيف ؟ قال : يحبه لها وحرصه على نيل شهواتها

وتضييع الحزم وترك انتهاز الفرس . فان كنت تحبها فان عبدها من أحبها <sup>(١)</sup> قال فما السبيل إلى المتق ؟ قال : يفيضها والتجاني عنها . قال : هذا مالا يكون . قال الراهب : أما إنه سيكون ، فبادر بالحرب منها قبل أن تسلبها . قال : هل تعرفني ؟ قال : نعم ! أنت ملك العرب مروان ، تقتل في بلاد السودان : وتدفن بلا أكفان ، فلولا أن الموت في طلبك لثقلت على موضع هر بك . قال بعض الناس : كان يقال في ذلك الزمان يقتل ع بن ع بن ع م بن م بن م يمتون يقتل عبد الله بن علي بن عباس مروان بن محمد بن مروان .

وقال بعضهم : جلس مروان يوماً وقد أحيط به وعلى رأسه خادم له قائم ، فقال مروان لبعض من يحاط به : ألا ترى ما نحن فيه ؟ لهنى على أيدي ما ذكر ، ونعم ماشكرك ، ودولة ما نصرت . فقال له الخادم : يا أمير المؤمنين من ترك القليل حتى يكثر ، والصغير حتى يكبر ، وانطفى حتى يظهر ، وآخر قتل اليوم لند ، حل به أكثر من هذا . فقال مروان : هذا القول أشد على من قد الخلافة . وقد قيل إن مروان قتل يوم الاثنين ثلاث عشرة خلت من ذى الحجة سنة ثنتين وثلاثين ومائة ، وقد جاوز الستين وبلغ الثمانين . وقيل إنما عاش أربعين سنة . والصحيح الأول . وهو آخر خلفاء بني أمية به اهضمت دولتهم .

( ذكر ماورد في انقضاء دولة بني أمية وابتداء دولة بني العباس من الاخبار النبوية وغيرها )  
قال الملا بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ : « إذا بلغ بنو العاص أربعين رجلاً اتخذوا دين الله دغلاً ، وعباد الله خولاً ، ومال الله دولا » . ورواه الأعمش عن عبيدة عن أبي سعيد مرفوعاً بنحوه ، وروى ابن لهيعة عن أبي قبيل عن ابن وهب أنه كان عند معاوية فسئل عليه مروان بن الحكم فتكلم في حاجة فقال : اقض حاجتي فاني لأبوعشرة ، وأخوعشرة وعم عشرة . فلما أدبر مروان قال معاوية لابن عباس وهو معه على السرير : أما تعلم أن رسول الله ﷺ قال : « إذا بلغ بنو الحكم ثلاثين رجلاً اتخذوا مال الله بينهم دولا ، وعباد الله خولاً ، وكتاب الله دغلاً ، فإذا بلغوا سبعة وتسعين وأربعمائة ، كان هلاكهم أسرع من لوك نمر » . فقال ابن عباس : اللهم نعم ؟ فلما أدبر مروان قال معاوية : أنشدك بالله يا ابن عباس أما تعلم أن رسول الله ﷺ ذكر هذا فقال : « أبو الجبابرة الأربعة » . فقال ابن عباس : اللهم نعم . وقال أبو داود الطيالسي : حدثنا القاسم بن الفضل ثنا يوسف بن مازن الراسي قال : قام رجل إلى الحسين بن علي فقال : يا مسود وجوه المؤمنين ! قال الحسين : لا تؤنبي رحمتك الله ، فان رسول الله ﷺ رأى بني أمية يضطربون على منبره رجلاً رجلاً فساء ذلك فقلبت ( إنا أعطيناك الكون ) وهو نهر في الجنة ، ونزلت ( إنا أنزلناه ) سقط من المصري .

في ليلة القدر) السورة إلى قوله (خير من ألف شهر) مملكة بنى أمية . قال : فحببنا ذلك فإذا هو كما قال لا يزيد ولا ينقص . وقد رواه الترمذي عن محمود بن غيلان عن أبي داود الطيالسي ثم قال : غريب لا نعرفه إلا من حديث القاسم بن الفضل ، وهو ثقة وثقه يحيى القطان وابن مهدي . قال : وشبهه يوسف بن سعد ويقال يوسف بن مازن ، رجل مجبول ، ولا يعرف هذا بهذا اللفظ إلا من هذا الوجه . وأخرجه الحاكم في مستدرکه من حديث القاسم بن الفضل الحدادي ، وقد تكلمت على نكارة هذا الحديث في التفسير بكلام مبسوط ، وإعنا يكون متجها إذا قيل إن دولتهم ألف شهر بأن نسط منها أيام ابن الزبير ، وذلك أن معاوية يبيع له مستغلا بالملك في سنة أربعين ، وهي عام الجماعة حين سلم إليه الحسن بن علي الأمر بعد سنة أشهر من قتل علي ، ثم زالت الخلافة عن بنى أمية في هذه السنة ، وهي سنة ثنتين وثلاثين ومائة ، وذلك ثنتان وتسعون سنة ، وإذا أسقط منها تسع سنين خلافة ابن الزبير بنى ثلاث وعشرون سنة ، وهي مباينة لما ورد في هذا الحديث ، ولكن ليس هذا الحديث صرّوحاً إلى النبي ﷺ ، أنه فسر هذه الآية بهذا المدد ، وإعنا هذا من قول بعض الرواة ، وقد تكلمنا على ذلك معولاً في التفسير ، وتقدم في الدلائل أيضاً تقريره والله أعلم .

وقال علي بن المديني عن يحيى بن سعيد عن سفیان الثوري عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب أن رسول الله ﷺ قال : « رأيت بنى أمية يصمدون منبري فشق ذلك علي » فأنزلت . إنا أنزلناه في ليلة القدر ، فيه ضعف وإرسال . وقال أبو بكر بن أبي خيثمة : ثنا يحيى بن معين ثنا هبة الله بن عمر عن سفیان الثوري عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب في قوله ( وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس ) قال : رأى ناساً من بنى أمية على المنابر فساء ذلك ، فقيل له : إعنا هي دنيا يعطونها وتضمحل عن قليل فسرى عنه . وقال أبو جعفر الرازي عن الربيع قال : لما أسرى رسول الله ﷺ رأى فلاناً وهو من بعض بنى أمية على المنبر يخطب الناس فشق ذلك عليه فأنزل الله ( وإن أدري لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين ) وقال مالك بن دينار : سمعت أبا الجوزاء يقول والله ليكرن الله ملك بنى أمية كما أعز ملك من كان قبلي ، ثم لينزل ملكهم كما أذل ملك من كان قبلهم ، ثم تلا قوله تعالى ( وتلك الأيام نداولها بين الناس ) . وقال ابن أبي الدنيا : حدثني إبراهيم بن سعيد ثنا أبو أسامة ثنا عمر بن حمزة أخبرني عمر بن سيف مولى لعثمان بن عفان قال سمعت سعيد بن المسيب وهو يقول لأبي بكر بن سليمان بن أبي خيثمة - وذكروا بنى أمية - فقال : لا يكون هلاكهم إلا بينهم . قالوا كيف ؟ قال : بهلك خلفاؤهم وبيق شرارهم فيقتافسوها ، ثم يكثر الناس عليهم فيهلكونهم . وقال يعقوب بن سفیان : أنبأ أحمد بن محمد الأزرق ثنا الزنجعي عن الملاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « رأيت في النوم بنى أبي

الحكم أو بنى أبي العاص ينزون على منبري كما تنزو القردة : قال فاروقى رسول الله ﷺ مستجماً ضاحكاً بعدها حتى توفي . قال أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارى [ لله الدارى ] : حدثنا مسلم بن إبراهيم ثنا سعيد بن زيد - أخو حماد بن زيد - عن علي بن الحكم البنانى عن أبي الحسن هو الحمصى عن عمرو بن مرة - وكانت له محبة - قال : جاء الحكم بن أبي العاص يستأذن على رسول الله ﷺ فعرف كلامه فقال : « ائذنوا له صبت عليه لعنة الله وعلى من يخرج من صلبه إلا المؤمنين وقليل مأم ، يشرفون فى الدنيا ويوضعون فى الآخرة ، ذوو دهاء وخديعة ، يهطلون فى الدنيا وما لهم فى الآخرة من خلق » .

وقال أبو بكر الخطيب البغدادى : أنبأ أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد بن محمد أنبأ محمد بن المظفر الحافظ أنبأ أبو القاسم تمام بن خريم بن محمد بن مروان الدمشقى أنبأ أحمد بن إبراهيم بن هشام بن ملباس ثنا أبو النصر إسحاق بن إبراهيم بن يزيد [ مولى أم الحكم بنت عبد العزيز ، حدثنا يزيد ] <sup>(١)</sup> بن ربيعة حدثنا أبو الأشعث الصنعائى عن ثوبان قال : « كان رسول الله ﷺ نائماً واضعاً رأسه على فخذ أم حبيبة بنت أبي سفيان ، فحب ثم تجسم ، فقالوا : يا رسول الله رأيناك تحببت ثم تبست » فقال : رأيت بنى أمية يتماورون على منبري فسأتى ذلك ، ثم رأيت بنى العباس يتماورون على منبري فسأتى ذلك » . وقال يعقوب بن سفيان : حدثني محمد بن خالد بن الملباس ثنا الوليد بن مسلم حدثني أبو عبد الله عن الوليد بن هشام الميصى عن أبان بن الوليد عن عقبة بن أبي مغيط . قال : قسم ابن عباس على معاوية وأنا حاضر فأجازه فأحين جازته ، ثم قال : يا أبا العباس ! هل يكون لكم دولة ؟ فقال : اعفنى يا أمير المؤمنين ، فقال : لتخبرنى ، قال نعم ! قال فن أنصارك ؟ قال : أهل خراسان . ولبنى أمية من بنى هاشم نطلعات .

وقال المهال بن عمرو عن سعيد بن جبير : سمعت ابن عباس يقول : يكون منا ثلاثة أهل البيت السفاح ، والمنصور ، والمهدى . رواه البيهقى من غير وجه ، ورواه الأعمش عن الضحاك عن ابن عباس مرفوعاً . وروى ابن أبي خيثمة عن ابن ميمى عن سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن أبي مبيد عن ابن عباس قال : كما افتتح الله بأولنا فأرجو أن يحتشم بنا . وهذا إسناد صحيح إليه ، وكذا وقع وقع للمهدى إن شاء الله . وروى البيهقى عن الحاكم عن الأصم عن أحمد بن عبد الجبار عن أبي معاوية عن الأعمش عن عطية عن أبي سعيد . قال قال رسول الله ﷺ : « يخرج رجل من أهل بيتي عند انقطاع من الزمان وظهور من الفتن ، يقال له السفاح ، يعطى المال حشياً » . وقال عبد الرزاق : حدثنا الثوري عن خالد الحذاء عن أبي قلابة عن أبي أسبه عن ثوبان قال قال رسول الله ﷺ : زيادة من المصرية .

الله ﷺ : « يقتل عند حرتكم هذه ثلاثة كلهم ولد خليفة لا تصير إلى واحد منهم ، ثم قبل  
الرايات من خراسان فيقتلونكم مقتلة لم ير مثلاً . ثم ذكر شيئاً فإذا كان كذلك فاتوه ولو جئوا على  
الثلج ، فانه خليفة الله المسمى . » ورواه بعضهم عن ثوبان فوقفه وهو أشبه والله أعلم .

وقال الامام أحمد : حدثني يحيى بن غيلان وقتيبة بن سعيد قال : ثنا راشد بن سعد حدثني بولس  
ابن يزيد عن ابن شهاب عن قبيصة هو ابن ذؤيب عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال :  
« يخرج من خراسان رايات سود لا بردها شيء حتى تنصب بابلها . » وقد رواه البيهقي في الدلائل من  
حديث راشد بن سعد المصري ، وهو ضعيف . ثم قال : قد روى قريباً من هذا عن كعب الأحبار  
وهو أشبه . ثم رواه عن كعب أيضاً قال : « تظهر رايات سود لبني العباس حتى ينزلوا الشام ، ويقتل  
الله على أيديهم كل جبار وعدو لهم . » وروى إبراهيم بن الحسين عن ابن أبي أويس عن ابن أبي  
ذؤيب عن محمد بن عبد الرحمن العماري عن سهل عن أبيه عن أبي هريرة . أن رسول الله ﷺ  
قال للعباس : « فيكم النبوة وفيكم الملكة . » وروى عبد الله بن أحمد عن ابن معين عن عبيد بن  
أبي قرة عن الليث عن أبي قبيل عن أبي ميسرة مولى العباس قال سمعت العباس يقول : كنت عند  
رسول الله ﷺ ذات ليلة فقال : « انظر هل ترى في السماء من شيء ؟ قلت : نعم ! قال : ما ترى ؟  
قلت : الثريا ، قال : أما إنه سيملك هذه الأمة بعد ما من صلبك . » قال البخاري : عبيد بن أبي  
قرة لا يتابع على حديثه . وروى ابن عسدي من طريق سويد بن سعيد عن حجاج بن نعمان عن  
ميمون بن مهران عن ابن عباس قال : « مررت برسول الله ﷺ ومعه جبريل وأنا أظنه حجة  
الكلي ، فقال جبريل لرسول الله ﷺ : إنه لو سخ الثياب ، وسيلبس ولده من بعده السواد . »  
وهذا منك من هذا الوجه ، ولا شك أن بني العباس كان السواد من شعارهم ، أخذوا ذلك من دخول  
رسول الله ﷺ مكة يوم الفتح وعلى رأسه عمامة سوداء ، فأخذوا بذلك وجعلوه شعارهم في الأعياد  
والجمع والمخاض . وكذلك كان جندهم لا بد أن يكون على أحدهم شيء من السواد ، ومن ذلك الشرابوش  
الذي يليه الأمراء إذا خلع عليهم . وكذلك دخل عبد الله بن علي دمشق يوم دخلها وعليه  
السواد ، فجعل النساء والفغان يمجبون من لباسه ، وكان دخوله من باب كيسان . وقد خطب الناس  
يوم الجمعة وصلى بهم وعليه السواد . وقد روى ابن عساكر عن بعض انطراسانية قال : لما صلى  
عبد الله بن علي بالناس يوم الجمعة صلى إلى جاني رجل فقال : الله أكبر ، سبحانك اللهم وبحمدك  
وتبارك اسمك وتعالى جيك ولا إله غيرك ، أنظروا إلى عبد الله بن علي ما أقبح وجهه وأشنع  
سواده ! وشعارهم إلى يومك هذا كما تراه على انططاب يوم الجمعة والأعياد .

### ( ذكر استقرار أبي العباس السفاح )

وهو عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس

واستقلالة بالخلافة وما اعتمده في أيامه من السيرة الحسنة

قد تقدم أنه أول ما بيع له بالخلافة بالكوفة يوم الجمعة الثاني عشر من ربيع الآخر ، وقيل الأول من هذه السنة ، سنة ثنتين وثلاثين ومائة ، ثم جرد الجيوش إلى مروان فطردوه عن المملكة وأجلوه عنها ، وما زالوا خلفه حتى قتلوه ببوصير من بلاد الصعيد ، بأرض مصر ، في الشهر الأخير من ذي الحجة من هذه السنة على ما تقدم بيانه ، وحينئذ استقل السفاح بالخلافة واستقرت يده على بلاد الرقاق وخراسان والحجاز والشام والديار المصرية ، خلا بلاد الأندلس ، فإنه لم يحكم عليها ولا وصل سلطانه إليها ، وذلك أن بعض من دخلها من بني أمية استنحوذ عليها وملكها كما سيأتي بيانه . وقد خرج على السفاح في هذه السنة طوائف ، فنهزم أهل قنسرين بعد ما يأمروهم على يدي عمه عبد الله بن علي وأقر عليهم أميرهم مجزأة بن الكوثر بن زفر بن الحارث الكلبي ، وكان من أصحاب مروان وأمرائه ، فخلع السفاح ولبس البياض ، وحمل أهل البلد على ذلك فواقوه ، وكان السفاح يومئذ بالحيرة ، وعبد الله بن علي مشغول بالبقاء يقاتل بها حبيب بن مرة المزني ومن واقفه من أهل البلقاء والبيشة وحوارن على خلع السفاح ، فلما بلغه عن أهل قنسرين ما فعلوا صالح حبيب بن مرة وسار نحو قنسرين ، فلما اجتاز بدمشق - وكان بها أهل وقته - استخلف عليها أبا غانم عبد الحميد بن ربيع الكشائي في أربعة آلاف ، فلما جاوز البلد وانتهى إلى حصص ، نهض أهل دمشق مع رجل يقال له عثمان بن عبد الأعلى بن سراقه نفلوا السفاح وبيضوا وقتلوا الأمير أبا غانم وقتلوا جماعة من أصحابه وانتهوا قتل عبد الله بن علي وحواصله ، ولم يتعرضوا لأهله . وتناقم الأمر على عبد الله وذلك أن أهل قنسرين ترأسوا مع أهل حصص وتزبروا واجتمعوا على أبي محمد السفياي ، وهو أبو محمد بن عبد الله بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان ، فبايعوه بالخلافة وقام معه نحو من أربعين ألفاً قصدوا عبد الله بن علي فالتقوا بمرج الأخرم ، فالتقوا مع مقدمة السفياي وعليها أبو الورد فالتقوا قتلاً شديداً وهزموه عبد الصمد وقتل من الفريقين ألف ، فتقدم إليهم عبد الله بن علي ومعه حميد بن قحطبة فالتقوا قتلاً شديداً جداً ، وجعل أصحاب عبد الله يرون وهو ثابت هو وحيد . وما زال حتى هزم أصحاب أبي الورد ، وثبت أبو الورد في خمسمائة فارس من أهل بيته وقومه ، فقتلوا جميعاً وهرب أبو محمد السفياي ومن معه حتى لحقوا بدمشق ، وأمن عبد الله أهل قنسرين وسودوا وبايعوه ورجعوا إلى الطاعة ، ثم كر عبد الله راجعاً إلى دمشق وقد بلغه ما صنعوا ، فلما دنا منها تمرقوا عنها ولم يكن منهم قتال فأمتهم ودخلوا في الطاعة . وأما أبو محمد السفياي فإنه ما زال مضيقاً ومشتتاً حتى لحق بأرض الحجاز فقاتله



ثائب أبي جعفر المنصور في أيام المنصور ، قتلته وبعث رأسه وبأشبه له أخذهما أسيرين فأطلقهما المنصور في أبله . وقد قيل إن وقعة السفياي يوم الثلاثاء آخر يوم من ذي الحجة سنة فنتين وعلائين ومائة لله اعلم .

ومع خلع السفاح أيضا أهل الجزيرة حين بلغهم أن أهل قنسرين خلعوا ، فواقفهم وبيضوا وركبوا إلى ثائب حران من جهة السفاح - وهو موسى بن كعب - وكان في ثلاثة آلاف قد اعتمد بهم بالبحر ، فهاضروه قريبا من شهرين ، ثم بعث السفاح أخاه أبا جعفر المنصور فيمن كان بواسط محاصري ابن هيرة ، وفر في سيرة إلى حران بقرقيسيا وقد يبيضوا فغلقوا أبوابا دونه ، ثم مر بالقة وعليها بكار بن مسلم وم كنفك ، ثم بماجر وعليها إسحاق بن مسلم فيمن معه من أهل الجزيرة بمحاصرونها فرحل إسحاق عنها إلى الرها ، وخرج موسى بن كعب فيمن معه من جند حران فلقاه المنصور ودخلوا في جيشه ، وقدم بكار بن مسلم على أخيه إسحاق بن مسلم بالرها فوجهه إلى جماعة ربيعة بدارا وماردين ، ورئيسهم حروى يقال له بريككة ، فصاروا حزبا واحدا ، فقصده إليهم أبو جعفر فقاتلهم قتالا شديدا ، فقتل بريككة في المعركة ، وهرب بكار إلى أخيه بالرها ، فاستخلفه بها ومضى بمعظم السكر [ حتى نزل ] محسبًا وخندق على عسكره ، وأقبل أبو جعفر فهاصر بكارا بالرها ، وجرى له معه وقعت . وكتب السفاح إلى عمه عبد الله بن علي أن يسير إلى محسبًا وقد اجتمع على إسحاق بن مسلم ستون ألفا من أهل الجزيرة ، فسار إليهم عبد الله واجتمع إليه أبو جعفر المنصور ، فكانتهم إسحاق وطلب منهم الأمان فأجابوه إلى ذلك ، على إذن أمير المؤمنين . وولى السفاح أخاه أبا جعفر المنصور الجزيرة وأخذ بيجان وأرمينية ، فلم يزل عليها حتى أفضت إليه الخلافة بعد أخيه ، ويقال إن إسحاق بن مسلم العقيلي إنما طلب الأمان لما تحقق أن مروان قد قتل ، وذلك بعد مضي سبعة أشهر وهو محاصر ، وقد كان صاحبا لأبي جعفر المنصور فأمنه .

وفي هذه السنة ذهب أبو جعفر المنصور عن أمر أخيه السفاح إلى أبي مسلم الخراساني وهو أميرها ، ليستطلع رأيه في قتل أبي سلمة ، لأنه كان يريد أن يصرف الخلافة عنهم ، فسياله هل ذلك كان عن مملأة أبي مسلم لأبي سلمة في ذلك أم لا ؟ فسكت القوم ، فقال السفاح : لكن كان هنا عن رأيه إنا ليمر بلاء عظيم ، إلا أنت يدفعه الله عنا . قال أبو جعفر فقال لي أخي : ما ترى ؟ فقلت : الرأي رأيك . فقال : إنه ليس أحد أخص بأبي مسلم منك ، فاذهب إليه فاعلم لي علمه ، فإن كان من رأيه اجتلتا له ، وإن لم يكن من رأيه طابت أنفسنا . قال أبو جعفر : فخرجت إليه فاصدأ على وجل . قال المنصور : فلما وصلت إلى الري إذا كتب أبي مسلم إلى ثائبها يستعني إليه في الميعة ، فازدعت وجلا ، فلما انتهيت إلى نيسابور إذا كتابه يستعني أيضا وقال لثائبها : لا تمتدعه يقر ساعة

واحدة . فان أرضك بها خوارج ، فانشرحت لذلك . فلما صرت من مرو علي فرسخين ، خرج  
يشلقاني ومعه الناس ، فلما واجهني ترجل فقبل يدي ، فأمرته فركب . فلما دخلت مرو نزلت في داره  
فكث ثلثا لا يسألني في أي شيء جئت ، فلما كان في اليوم الرابع سألتني ما أقفلك ؟ فأخبرته بالأمر .  
فقال : أفضلها أبو سلمة ؟ أنا أكنفيكوه . ففعا مرثان بن أنس الضبي فقال : اذهب إلى السكوفة فحيث  
لقيت أبا سلمة فاقتله ، وافته في ذلك إلى رأى الامام . فقدم مرار السكوفة الهاشمية ، وكان أبو سلمة  
يسمر عند السفاح ، فلما خرج قتله مرثاد وشاع أن الخوارج قتلوه ، وغلقت البلد . ثم صلى عليه  
يحيى بن محمد بن علي أخو أمير المؤمنين ، ودفن بالهاشمية ، وكان يقال له وزير آل محمد . ويقال  
لأبي مسلم أمير آل محمد . قال الشاعر : نـ

إن الوزير وزير آل - محمد • أودى فن يشناك كُن وزيراً

ويقال إن أبا جعفر إنما سار إلى أبي مسلم بعد قتل أبي سلمة وكان معه ثلثون رجلا على البريد ،  
منهم الحجاج بن أرطاة ، وإسحاق بن الفضل الهاشمي ، وجماعة من السادات . ولما رجع أبو جعفر من  
خراسان قال لأخيه : لست بمخلية مادام أبو مسلم حيا حتى تقتله ، لما رأى من طاعة العساكر له ، فقال  
له السفاح : اكنمها فسكت . ثم إن السفاح بعث أخاه أبا جعفر إلى قتال ابن هبيرة بواسط ، فلما اجتاز  
بالحسن بن قحطبة أخذه معه ، فلما أحبط بابن هبيرة كتب إلى محمد بن عبد الله بن حسن لبياع له  
بإخطائه فأبى عليه جوابه ، فقال إلى مصالحة أبي جعفر ، فاستأذن أبو جعفر أخاه السفاح في ذلك  
فأذن له في المصالحة ، فكتب له أبو جعفر كتابا بالصلح ، فكث ابن هبيرة يشاور فيه العلماء أربعين  
يوما . ثم خرج يزيد بن عمر بن هبيرة إلى أبي جعفر في ألف وثلاثمائة من البغارية ، فلما دنا من  
سرادق أبي جعفر هم أنف ينخل فرسه فقال الحجاب سلام : انزل أبا خالد . فنزل . وكان حول  
السرادق عشرة آلاف من أهل خراسان ، ثم أذن له في الدخول فقال : أنا ومن معي ؟ قال : لا بل  
أنت وحملك ، فنخل ووضعت له وسادة فجلس عليها ، فحادثه أبو جعفر ساعة ثم خرج من عنده  
فأتبعه أبو جعفر بصره ، ثم جمل يأتيه يوما بعد يوم في خمسمائة فارس وثلثمائة راجل ، فشكوا ذلك إلى  
أبي جعفر فقال أبو جعفر للحجاب : مره فليأتني في حاشيته ، فكانت يأتي في ثلاثين نفسا ، فقال  
الحجاب : كأنك تأتي متأهبا ؟ فقال : لو أمرتوني بالمشي إليكم ، ثم كان يأتي في ثلاثة أنفس .  
وقد خاطب ابن هبيرة يوما لأبي جعفر فقال له في غبون كلامه : يا هذا - أوقال يا أيها المرء - ثم  
اعتذر إليه بأنه قد سبق لسانه إلى ذلك ، فأعفوه . وقد كان السفاح كتب إلى أبي مسلم يستشيريه  
في مصالحة ابن هبيرة فتهاه عن ذلك ، وكان السفاح لا يقطع أمرا دونة ، فلما وقع الصلح على يدي  
أبي جعفر لم يحب السفاح ذلك ولم يعجبه ، وكتب إلى أبي جعفر يأمره بقتله ، فراجعه أبو جعفر مرارا  
(١) في تاريخ ابن جرير « مباهيا » .

لا يقبده ذلك شيئاً ، حتى جاء كتاب السفاح أن اقتله لاعتالة [ لاحول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم  
كيف يعطى الامان وينكت ؟ هذا فعل الجبارة <sup>(١)</sup> ] وأقدم عليه في ذلك . فأرسل إليه أبو جعفر طائفة  
من الخراسانية فدخلوا عليه وعند ابنه داود وفي حجره صبي صغير ، وحوله مواله وحاجبه ، فدافع  
عنه ابنه حتى قتل وقتل خلق من مواليه ، وخلصوا إليه ، فألقى الصبي من حجره وخر ساجداً فقتل  
وهو ساجد ، واضطرب الناس ، فنادى أبو جعفر في الناس بالامان إلا عبد الملك بن بشر وخاله  
ابن سلعة الخزومي وعمر بن ذر . فسكن الناس ثم استؤمن لبعض هؤلاء وقتل بعضاً .

وفي هذه السنة بعث أبو مسلم الخراساني محمد بن الأشعث إلى فارس وأمره أن يأخذ عمال أبي  
سلعة لخلال فيضرب أعناقهم ، فعل ذلك . وفيها ولي السفاح أخاه يحيى بن محمد الموصل وأعمالها ،  
وولى عمه داود مكة والمدينة واليمن والحجاز ، وعزله عن الكوفة وولى مكانه عليها عيسى بن موسى ،  
وولى قضاءها ابن أبي ليلى ، وكان على نيابة البصرة سفيان بن معاوية الهلبي ، وعلى قضائها الحجاج  
ابن أرقطة ، وعلى السند منصور بن جمهور ، وعلى فارس محمد بن الأشعث . وعلى أرمينية وأذربيجان  
والجزيرة أبو جعفر المنصور ، وعلى الشام وأعمالها عبد الله بن علي عم السفاح ، وعلى مصر أبو عون  
عبد الملك بن يزيد . وعلى خراسان وأعمالها أبو مسلم الخراساني ، وعلى ديوان الخراج خالد بن  
برمك . وحج بالناس فيها داود بن علي .

#### ( ذكر من توفي فيها من الأعيان )

مروان بن محمد بن مروان بن الحكم أبو عبد الملك الأموي ، آخر خلفاء بني أمية ، قتل في  
العشر الأخير من ذي الحجة من هذه السنة كما تقدم ذلك مبسوطاً ، ووزيره عبد الحميد بن يحيى بن  
سمد مولى بني عامر بن لؤي ، الكاتب البليغ الذي يضرب به المثل ، فيقال فتحت الرسائل بسيد  
الحميد ، وختمت بابن السميد . وكان إماماً في الكتابة وجميع فنونها ، وهو القدوة فيها . وله رسائل  
في ألف ورقة ، وأصله من قيسارية ثم سكن الشام ، وتلم هذا الشأن من سالم مولى هشام بن عبد الملك  
وكان يعقوب بن داود وزير المهدي يكتب بين يديه ، وعليه تخرج ، وكان ابنه إسماعيل بن عبد الحميد  
ماهرآ في الكتابة أيضاً ، وقد كان أولاً يعلم الصبيان ثم تقلبت به الأحوال أن صار وزيراً لمروان ،  
وقتل السفاح ومثله به ، وكان اللائق بمنزلة الفضل عنه . ومن مستجاد كلامه : العلم شجرة نحرها  
الألفاظ ، والفكر بحر تولوه الحكمة . ومن كلامه وقد رأى رجلاً <sup>(٢)</sup> يكتب خطاً رديئاً قال : أطل  
جلستك فقلت وأسمها ، وحررتك فقلت وأسمها . قال الرجل : فعلت ذلك فجاء خطي . وسأله رجل  
أن يكتب له كتاباً إلى بعض الأكابر يوصيه به ، فكتب إليه : حق موصل كتابي إليك كحقه على

(١) زيادة من نسخة استامبول . (٢) هو إبراهيم بن جبلة .

إذا رأيك مضعاً لأمله ، ورأى أهلاً لحاجته ، وقد قضيت أحتاجته فصلى أنت أمله . وكان كثيراً ما يمشد هذا البيت : —

إذا خرج الكتاب كان دويهم • قسماً وأقلام القسماً لها نبلا  
وأوسلة حفص بن سليمان ، هو أول من وزر لآل العباس ، قتله أبو مسلم بالأندلس عن أمر السفاح ، بعد ولايته بأربعة أشهر ، في شهر رجب . وكان ذا هيئة فاضلة حسن المفاكة ، وكان السفاح يأنس به ويحب مسامحته لطيب محاضراته ، ولكن توم ميده لآل على فدى أبو مسلم عليه من قتله غيلة كما تقدم ، فأخذ السفاح عند قتله :

إلى النار فليذهب ومن كان مثله • على أي شيء فأتانا منه نأسف  
كان يقال له وزير آل محمد ، ويعرف بالخلل ، سكنه بدرجته بالكوكة ، وهو أول من معى بالوزير ، وقد حكى ابن خلكان عن ابن قتيبة أن اشتاق الوزير من الوزر وهو العمل ، فكان السلطان عمله أهلاً لاستناده إلى رأيه ، كما يلجأ الخائف إلى جبل يتعم به .

( ثم دخلت سنة ثلاث وثلاثين ومائة )

فيها ولي السفاح محمد بن سليمان البصرة وأعمالها ، وكوردجة والبحرين وعمان . ووجه محمد بن سليمان ابن علي إلى كور الأهواز . وفيها قتل داود بن علي من بمكة والمدينة من بني أمية ، وفيها توفي داود ابن علي بالمدينة في شهر ربيع الأول ، واستخلف ابنه موسى على عمله ، وكانت ولايته على الحجاز ثلاثة أشهر ، فلما بلغ السفاح موته استناب على الحجاز خاله زياد بن عبيد الله بن عبد الله الحارثي ، وولي اليمن لابن خاله محمد بن يزيد بن عبيد الله بن عبد الله ، وجعل إمرة الشام لمحمد بن عبيد الله صالح بن علي ، وأقر أبا عون على الهيل المصرية نائباً . وفيها توجه محمد بن الأشعث إلى إفريقية فقاتلهم قتالاً شديداً حتى قتلها . وفيها خرج شريك بن شيخ المهرى ببخارى على أبي مسلم وقال : ما على هذا يا ابن آل محمد ، على سفك الدماء وقتل الأنفس ، وأتبعه على ذلك نحو من ثلاثين ألفاً ، فبعث إليه أبو مسلم زياد بن صالح الخزاعي فقاتله فقتله .

وفيها عزل السفاح أخاه يحيى بن محمد عن الموصل ، وولى عليه محمد بن سليمان . وفيها ولي الصائفة من جهته صالح بن علي بن سعيد بن عبيد الله وغزاه ما وراء الدروب . وحج بالناس خال السفاح زياد ابن عبيد الله بن عبد الله الحارثي . وتوابع البلاد من الذين كانوا في التي قبلها سوى من ذكرنا أنه عزل .

( ثم دخلت سنة أربع وثلاثين ومائة )

فيها خلع إسماعيل بن إبراهيم بن إسماعيل الطاعة وخرج على السفاح ، فبعث إليه خازم بن خرزعة فقاتله فقتل طعنه أصحابه ، واستباح عسكره . ورجع فرجعاً من بني عبد الله أحوال السفاح فأسلمهم

عن بعض مافيه نصرة للخليفة ، فلم يردوا عليه ، واستهاتوا به ، وأمر بضرب أعناقهم - وكانوا قريباً من عشرين رجلاً ومثلهم من مواليهم - فاستمدى بنو عبد الله على خازن بن خزيمه إلى السفاح ، وقالوا : قتل هؤلاء بلا ذنب ، فهم السفاح يقتله فأشار عليه بعض الأمراء بأن لا يقتله ولكن ليبيته بمناصبها ، فإن سلم فذاك ، وإن قتل كان الذي أراد . فبيته إلى عمان وكان بها طائفة من الخوارج قد تمردوا وجهز معه سبعائة رجل ، وكتب إلى عمه سليمان بالبصرة أن يحملهم في السفن إلى عمان ففعل ، فقاتل الخوارج فكسروهم وقهرهم واستحوذ على ما هنالك من البلاد ، وقتل أمير الخوارج البصريه وهو الجلندي ، وقتل من أصحابه وأنصاره نحواً من عشرة آلاف ، وبعث برؤسهم إلى البصرة ، فبيته بها نائب البصرة إلى الخليفة . ثم بعد أشهر كتب إليه السفاح أن يرجع فرجع سالماً غانماً منصوراً .

وفيها غزا أبو مسلم بلاد الصفد وغزا أبو داود أحد نواب أبي مسلم بلاد كس ، قتل خلقاً كثيراً وغنم من الأواني الصينية المنقوشة بالذهب شيئاً كثيراً جداً . وفيها بعث السفاح موسى ابن كعب إلى منصور بن جمهور وهو بالهند في اثني عشر ألفاً ، فالتقاء موسى بن كعب وهو في ثلاثة آلاف فهزمه واستباح عسكره . وفيها مات عامل اليمن محمد بن يزيد بن عبد الله بن عبد الله ، فاستخلف السفاح عليها عمه ، وهو خال الخليفة . وفيها تحول السفاح من الحيرة إلى الأنبار وحج بالناس نائب الكوفة عيسى بن موسى ، ونواب الأقاليم هم . وفيها توفي من الأعيان أبو هارون العبدى ، وعمارة بن جوين ، ويزيد بن يزيد بن جابر الحمصي . والله أعلم .

[ ثم دخلت سنة خمس وثلاثين ومائة ]

فيها خرج زياد بن صالح من وراء نهر بليخ على أبي مسلم فأظفروه الله بهم فبدد شملهم واستقر أمره بنك النواحي . وحج بالناس فيها سليمان بن علي نائب البصرة . والنواب هم المذكورون قبلها . وعن توفي فيها من الأعيان : يزيد بن سنان ، وأبو عقيل زهرة بن معبد ، وعطاء الخراساني [ ١١ ]

[ ثم دخلت سنة ست وثلاثين ومائة ]

فيها قدم أبو مسلم من خراسان على السفاح ، وذلك بعد استئذانه الخليفة في القدوم عليه ، فكتب إليه أنف يقدم في حسبة من الجند ، فكتب إليه : إني قد وترت الناس ، وإني أخشى من قلة الحسبة . فكتب إليه أن يقدم في ألف ، فقدم في ثمانية آلاف ، ففرقهم وأجدهم معه من الأموال والتحف والهدايا شيئاً كثيراً . ولما قدم لم يكن معه سوى ألف من الجند ، فقتلوا القواد والأمراء إلى مسافة بعيدة . ولما دخل على السفاح أكرمه وعظمه واحترمه وأنزله قريباً منه ، وكان يأتي إلى

( ١ ) سقط من المصرية .

الخليفة كل يوم ، واستأذن الخليفة في الحج فأذن له ، وقال : لولا أني عيبت الحج لأخى أبي جعفر لأمرتك على الحج . وكان الذي بين أبي جعفر وأبي مسلم خراباً وكان يفيضه ، وذلك لما رأى ما هـ فيه من الحرمة حين قدم عليه نيسابور في البيعة للسفاح وللنصور بعدد ، فخار في أمره لتلك ، فخذ عليه النصور وأشار على السفاح بقتله ، فأمره بكنم ذلك . وحين قدم أمره بقتله أيضاً وجرضه على ذلك ، فقال له السفاح : قد علمت بلامه ممنا وخدمته لنا فقال أبو جعفر : يا أمير المؤمنين إنما ذلك بدوائنا ، والله لو أرسلت سنوراً لسمعوها وأطاعوا ، وإليك إن لم تتمش به تدمى بك هو : فقال له : كيف السبيل إلى ذلك ؟ فقال : إذا دخل عليك لغادته ثم أجىء أنا من وراءه فأضرب بالسيف . قال : كيف بن ممة ؟ قال : هم أذل وأقل . فأذن له في قتله ، فلما دخل أبو مسلم على السفاح ندم على ما كان أذن لأخيه فيه ، فبعت إليه الخادم يقول له : إن ذاك الذي بينك وبينه ندم عليه فلا تفعله . فلما جاءه الخادم وجهه محمطاً بالسيف قد تبوأ لما يريد من قتل أبي مسلم . فلما نهأ عن ذلك غضب أبو جعفر غضباً شديداً . وفيها حج بالناس أبو جعفر المنصور عن ولاية أخيه السفاح ، وسارمه إلى الحجاز أبو مسلم الخراساني عن أمر الخليفة ، وأذن له في الحج ، فلما رجعا من الحج وكانا بذات عرق جاء الخبر إلى أبي جعفر - وكان يسير قبيل أبي مسلم بمرحلة - بموت أخيه السفاح ، فكتب إلى أبي مسلم أنت قد حدث أمر فالحمل المجمل ، فلما استلم أبو مسلم الخبر عجّل السير وراءه ، فلاحقه إلى الكوفة . وكانت بيعة المنصور على ماسياتي بيانه وتفصيله قريباً والله سبحانه وتعالى أعلم .

( وهذه ترجمة أبي العباس السفاح أول خلفاء بني العباس وذكر وفاته )

هو شهاب بن عبد الله السفاح - ويقال له المرتضى ، والقاسم أيضاً - ابن محمد بن الإمام ابن علي السجاد ابن عبد الله الخليل ابن العباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي أمير المؤمنين ، وأمه ربيعة - ويقال ربيعة - بنت عبيد الله بن عبد الله بن عبد الدار الحارثي ، كان مولد السفاح بالحبيصة من أرض الشراء من البقاء بالشام ، ونشأ بها حتى أخذ مروان أخاه لإبراهيم الإمام فانتقلوا إلى الكوفة . بويح له بالخلافة بعد مقتل أخيه في حياة مروان يوم الجمعة الثاني عشر من ربيع الأول بالكوفة كما تقدم . وتوفي بالجلدي بالأبواب يوم الأحد الحادي عشر ، وقيل الثالث عشر من ذي الحجة سنة ست وثلاثين ومائة ، وكان عمره ثلاثاً ، وقيل ثنتين ، وقيل إحدى وثلاثين سنة ، وقيل ثمان وعشرين سنة . قاله غير واحد . وكانت خلافته أربع سنين وتسعة أشهر ، وكان أبيض جليلاً طويلاً ، ألقى الأنف ، جمد الشعر ، حسن الهيئة ، حسن الوجه ، فصيح الكلام ، حسن الرأي ، جيد البديهة . دخل عليه في أول ولايته عبد الله بن حسن بن حسن بن علي ومعه مصحف وعند السفاح وجوه بني هاشم من أهل بيته وغيرهم ، فقال له : يا أمير المؤمنين اعطنا حقنا الذي جمل الله لنا في هذا

المصنف . قال : فأنشق عليه الحاضرون أن يجعل السفاح عليه بشئ أو يترك جوابه فيبقى ذلك مسبة عليه وعليهم . فأتى السفاح عليه غير مغضب ولا منزعج ، فقال : إن جددك علياً كان خيراً مني وأعدل ، وقد ولي هذا الأمر فأعطى جديك الحسن والحسين وكانا خيراً منك ، شيئاً قد أعطيتك وزدتك عليه ، فما كان هذا جزأئى منك . قال : فما رد عليه عبد الله بن حسن جواباً ، وتمحب الناس من سرعة جوابه وجدته وجودته على البدية .

وقد قال الأمام أحمد في مسنده : حدثنا عثمان بن أبي شيبة ثنا جرير عن الأعمش عن عطية العوفي عن أبي سعيد الخدري . قال قال رسول الله ﷺ : « يخرج عند انقطاع من الزمان وظهر من البتن رجل يقال له السفاح ، يكون إعطاؤه المال حشياً » وكذا رواه زائدة وأبو معاوية عن الأعمش به . وهذا الحديث في إسناده عطية العوفي وقد تكلموا فيه . وفي أن المراد بهذا الحديث هذا السفاح نظر والله أعلم . وقد ذكرنا فيما تقدم عند زوال دولة بني أمية أخباراً وآثاراً في مثل هذا المعنى . وقال الزبير بن بكار : حدثني محمد بن سلمة بن محمد بن هشام أخبرني محمد بن عبد الرحمن الخزرجي حدثني داود بن عبد عيسى عن أبيه عن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس - وهو والله السفاح - قال : دخلت على عمر بن عبد العزيز وعنده رجل من النصارى فقال له عمر : من تجدون الخليفة بعد سليمان ؟ قال له : أنت . فأقبل عمر بن عبد العزيز عليه فقال له : زدني من بياتك . فقال ثم آخر ، إلى أن ذكر خلافة بني أمية إلى آخرها . قال محمد بن علي : فلما كان بعد ذلك جعلت ذلك النصراني في بالي فزأيت يوماً فأمرت غلامي أن يحبس علي ، وذهبت إلى منزلي فأسألته عما يكون في خلفاء بني أمية فذكرهم واحداً واحداً ، ونجاوز عن مروان بن عبد . قلت : ثم من ؟ قال : ثم ابن الحارثية ، وهو ابنك . قال : وكان ابني ابن الحارثية إذ ذاك حملاً . قال ووفد أهل المدينة على السفاح فبادروا إلى تقبيل يده غير عمران بن إبراهيم بن عبد الله بن مطيع المدبوي ، فإنه لم يقبل يده ، وإنما حياه بالخلقة فقط . وقال : والله يا أمير المؤمنين لو كان تقبيلها يزيدك رقة ويزيدني وسيلة إليك ماسبقني إليها أحد من هؤلاء ، وإني لغني عما لا أجر فيه ، وربما نادانا عمله إلى الوزر ثم جلس . قال : فوالله ما نقصه ذلك عنده حفظاً من حفظ أصحابه ، بل أحبه وزاده . وذكر القاضى المعافى بن ذكرى أن السفاح بعث رجلاً ينادى في عسكر مروان يهذين البيتين ليلا ثم رجع :

يا آل مروان إن الله مهلككم • ومبطل أمنكم خوفاً وتشريدا  
لا عمر الله من أنسلكم أحداً • وبشك في بلاد الخوف تطريدا

وروى الخطيب البغدادي أن السفاح نظر يوماً في المرأة - وكان من أجل الناس وجهاً - فقال : اللهم لا أقول كما قال سليمان بن عبد الملك : أنا الخليفة الشاب ؛ ولكن أقول : اللهم عرني طويلاً في

طاعتك متناً بالمافية . فما استتم كلامه حتى سمع غلاماً يقول لا آخر : الأجل بيني وبينك شران وخسة أيام . فطير من كلامه وقال : حسبي الله لا قوة إلا بالله عليه توكلت وبه أستعين . فأت بد شهرين وخسة أيام . وذكر محمد بن عبد الله بن مالك الخزاعي أن الرشيد أمر ابنه أن يسمع من إسحاق بن عيسى بن علي ماريوه عن أبيه في قصة السفاح ، فأخبره عن أبيه عيسى أنه دخل على السفاح يوم عرفة بكرة فوجده صائماً ، فأمره أن يحاده في يومه هذا ثم يجثم ذلك بغيره عنده . قال : فحادثته حتى أخذته النوم فممت عنه وقلت : أفيل في منزلي ثم أجيء بعد ذلك . فذهبت فممت قليلاً ثم قمت فأقبلت إلى داره فإذا على يابه بشر يبشر بفتح السند ويبيعهم للخليفة وتسليم الأمور إلى نوابه . قال : فخدمت الله الذي وقفني في الدخول عليه بهذه البشارة ، فدخلت الدار فإذا بشر آخر معه بشارة بفتح إفريقية ، فخدمت الله فدخلت عليه فيشرته بذلك وهو يسرح لحينه بعد الوضوء ، فسقط المشط من يده ثم قال : سبحان الله ، كل شيء بآية سواء ، فميت والله إلى نفسي ، حدثني إبراهيم الامام عن أبي هشام عن عبد الله بن محمد بن علي بن أبي طالب عن رسول الله ﷺ أنه قال : « يقدم على في مدينتي هذه وافتدان وافتد السند والآخر وافتد إفريقية بسمهم وطاعنهم ويبيعهم ، فلا يعضي بعد ذلك ثلاثة أيام حتى أموت . قال : وقد أتاني الوافدان فأعظم الله أجرك يا عم في ابن أخيك . قلت : كلا ، يا أمير المؤمنين إن شاء الله . قال بلى إن شاء الله ! لكن كانت الدنيا حبيبة إلى فالآخرة أحب إلي ، ولقاء ربي خير لي ، وصحة الرواية عن رسول الله بذلك أحب إلي منها ، والله ما كُذبت ولا كُذبت . ثم نهض فدخل منزله وأمرني بالجلوس ، فلما جاء المؤذن يملأ بوقت الظهر خرج الخادم يعلني أن أصلي عنه ، وكذلك العصر والمغرب والعشاء ، وبت هناك ، فلما كان وقت السحر أتاني الخادم بكتاب منه يأمرني أن أصلي عنه الصبح والعيد ثم أرجع إلى داره ، وفيه يقول : يا عم إذا مت فلا تعلم الناس بموتي حتى تقرأ عليهم هذا الكتاب فيبأيوا لمن فيه . قال : فصليت بالناس ثم رجعت إليه فإذا ليس به بأس ، ثم دخلت عليه من آخر التبار فإذا هو على حاله غير أنه قد خرجت في وجهه جتان صغيرتان ، ثم كبيرتان ، ثم صار في وجهه حب صفاربيض يقال إنه جمدى ، ثم بكّرت إليه في اليوم الثاني فإذا هو قد هجر وذهبت عنه مرفقي ومعرفة غيري ، ثم رجعت إليه بالمشي فإذا هو انتفخ حتى صار مثل الزق ، وتوفي اليوم الثالث من أليم التشريق ، فسجنته كما أمرني ، وخرجت إلى الناس قرأت عليهم كتابه فإذا فيه : من عبد الله أمير المؤمنين إلى الأولياء وجعاة المسلمين ، سلام عليكم أما بعد فقد شهد أمير المؤمنين اخلافة عليكم بعد وفاته أخاه فاصمرو وأطيعوا ، وقد قلدها من يده عيسى بن موسى إن كان . قال : فاختلف الناس في قوله « إن كان » قيل إن كان أهلها . وقال آخرون إن كان حيا . وهذا القول الثاني هو الصواب ، ذكره الخطيب



وابن عساكر مطولا . وهذا ملخص منه . وفيه ذكر الحديث المرفوع وهو منكر جدا . وذكر ابن عساكر أن الطبيب دخل عليه فأخذ يديه فأنشأ يقول عند ذلك :  
 انظر إلى ضعف الحرا • لك وقله بعد السكون • ينبئك أن بيانه • هنا مقدمة المنون  
 فقال له الطبيب : أنت صالح . فأنشأ يقول :

يشرني باني ذو صلاح • بين له وبى داء دفين • لقد أقتت أنى غير باق • ولا شك إذا وضع اليقين  
 قال بعض أهل العلم : كان آخر ما تكلم به السفاح : الملك لله الحى القيوم ، ملك الملوك ، وجبار الجبابرة . وكان نقش خاتمه الله ثقة عبد الله . وكان موته بالمجدي في يوم الأحد الثالث عشر من ذى الحجة سنة ست وثلاثين ومائة بالأبواب المتيقة ، عن ثلاث وثلاثين سنة . وكانت خلافة أربع سنين وتسعة أشهر على أشهر الأقوال . وصلى عليه مه عيسى بن علي . ودفن في قصر الامارة من الأبواب . وترك تسع جبات وأربعة أقصه وخمس سراويلات وأربعة طيالة وثلاثة مطارف خز . وقد ترجمه ابن عساكر فذكر بعض ما أوردناه والله أعلم .

ومن توفي فيها من الأعيان السفاح كما تقدم ، وأشعث بن سوار ، وجعفر بن أبي ربيعة ، وحسين ابن عبد الرحمن ، وربيعة الراعي ، وزيد بن أسلم ، وعبد الملك بن حمير ، وعبد الله بن أبي جعفر ، وعطاء بن السائب . وقد ذكرنا تراجمهم في التكميل والله الحمد .

﴿ خلافة أبي جعفر المنصور ﴾

واسمه عبد الله بن عبد بن علي بن عبد الله بن عباس

قد تقدم انه لما مات السفاح كان في الحجاز فيبلغه موته وهو يقات عرق راجعا من الحج ، وكان معه أبو مسلم الخراساني ، فمجل السير وعزاه أبو مسلم في أخيه ، فيكي المنصور عند ذلك ، فقال له : أتبيك وقد جاءتك الخلافة ؟ أنا أكفيكما إن شاء الله . فسرى عنه ، وأمر يزيد بن عبيد الله أن يرجع إلى مكة وإليها عليها ، وكان السفاح قد عزله عنها بالعباس بن عبد الله بن معبد بن عباس فأقره عليها . والنواب على أعمالهم حتى انسلخت هذه السنة ، وقد كان عبد الله بن علي قدم على ابن أخيه السفاح الأبواب فأنزله على الصائفة ، فركب في جيوش عظيمة إلى بلاد الروم ، فلما كان ببعض الطريق بلغه موت السفاح فكر راجعا إلى حران ، ودعا إلى نفسه ، وزعم أن السفاح كان عهد إليه حين بعثه إلى الشام أن يكون ولي العهد من بعده ، فالتفت عليه جيوش عظيمة ، وكان من قبله ما سنده ذكره في السنة الآتية إن شاء الله تعالى .

﴿ ثم دخلت سنة سبع وثلاثين ومائة ﴾

﴿ ذكر خروج عبد الله بن علي بن عبد الله بن عباس على ابن أخيه المنصور ﴾

لما رجع أبو جعفر المنصور من الحج بعد موت أخيه السفاح ، دخل الكوفة فخطب بأهلها يوم

الحمة وصلى بهم ، ثم ارتحل منها إلى الأنبار . وقد أخفنت له البيعة من أهل العراق وخراسان وسائر البلاد . سوى الشام ، وقد ضبط عيسى بن علي بيوت الأموال والمواصل للنصور حتى قدم ، فلم إليه الأمر ، وكتب إلى عمه عبد الله بن علي يعلمه وفاة السفاح ، فلما بلغه الخبر نادى في الناس الصلاة جامعة ، فاجتمع إليه الأمراء والناس ، قرأ عليهم وفاة السفاح ، ثم قام فيهم خطيباً فذكر أن السفاح كان عهد إليه حين بعثه إلى مرو أن إن كسره كان الأمر إليه من بعده ، وشهد له بذلك بعض أمراء العراق ، ونهضوا إليه فبايعوه ، ورجع إلى حران فجلسها من نائب النصور بعد محاصرة أربدين ليلة ، وقتل مقاتل العنكي نائبها . فلما بلغ النصور ما كان من أمر عمه بعث إليه أباه سلم الخراساني ومعه جماعة من الأمراء وقد تحصن عبد الله بن علي ببحران ، وأرصد عنده عما يحتاج إليه من الأطعمة والسلاح شيئاً كثيراً جداً ، فسار إليه أبو سلم الخراساني وعلى مقدمته مالك بن هيثم الخزازي ، فلما تحقق عبد الله قدم أبي سلم إليه خشى من جيش العراق أن لا ينامحوه ، فقتل منهم سبعة عشر ألفاً ، وأراد قتل حميد بن قحطبة فهرب منه إلى أبي مسلم ، فركب عبد الله بن علي قنزل نصيبين وخندق حول عسكره ، وأقبل أبو مسلم قنزل ناحية وكتب إلى عبد الله : إنني لم أؤمر بقتالك ، وإنما بعثني أمير المؤمنين وأبى علي الشام فأنا أريد بها . تخاف جنود الشام من هذا الكلام فقالوا : إنما نخاف على ذرارينا وديارنا وأموالنا ، فحين نذهب إليها نمنهمس منه . فقال عبد الله : ويحك ! والله إنه لم يأت إلا لقتالنا . فأبوا إلا أن يرتحلوا نحو الشام ، فتحول عبد الله من منزله ذلك وقصد ناحية الشام ، فمضى أبو مسلم قنزل موضعه وغور ما حوله من المياه . وكان موضع عبد الله الذي تحول منه موضعاً جيداً جداً . فاحتاج عبد الله وأصحابه قنزلوا في موضع أبي سلم فوجدوه منزلاً رديئاً ، ثم أنشأ أبو مسلم القتال فخار بهم خمسة أشهر ، وكان على خيل عبد الله أخوه عبد الصمد بن علي ، وعلى ميمنته بكار بن مسلم العقيلي ، وعلى ميسرته حبيب بن سويد الأمدى . وعلى ميمته أبي مسلم الحسن بن قحطبة ، وعلى ميسرته أبو نصر خازم بن خزيمة ، وقد جرت بينهم وقعات وقتل منهم جماعات في أيام نحدات ، وكان أبو مسلم إذا حمل يرتجز ويقول :

من كان يتوئأه فلا رجع \* فر من الموت وفي الموت وقع

وكان يعمل له عرش فيكون فيه إذا التقى الجيشان فأراى في جيشه من خلل أرسل فأصلحه فلما كان يوم الثلاثاء أو الأربعاء لسبع خلون من جمادى الآخرة التقوا فاقنزلوا قتالاً شديداً ، فكر بهم أبو مسلم ! بعث إلى الحسن بن قحطبة أمير الميمنة فأمره أن يتحول بمن معه إلا القليل إلى الميسرة ، فلما رأى ذلك أهل الشام انحازوا إلى الميمنة بازاء الميسرة التي قعمرت ، فأرسل حينئذ أبو مسلم إلى القلب أن يحمل بمن بقي في الميمنة على ميسرة أهل الشام فخطبهم ، فجاء أهل القلب

واليمينه من الشاميين فحمل انطراسانيون على أهل الشام وكانت الهزيمة ، وانهزم عبد الله بن علي  
بمسد تلوم ، واحتاز أبو مسلم ما كان في معسكرهم ، وأمن أبو مسلم بقية الناس فلم يقتل منهم أحداً ،  
وكتب إلى المنصور بذلك ، فأرسل المنصور مولاة أبا الخصب ليحصى ما وجدوا في معسكر عبد الله ،  
فغضب من ذلك أبو مسلم انطراساني . واستوسقت المالك لأبي جعفر المنصور ، ومضى عبد الله بن  
علي وأخوه عبد الصمد علي وجهيهما ، فلما مرا بالرافقة أقام بها عبد الصمد ، فلما رجع أبو الخصب  
وجده بها فأخذه معه مقيماً في الحديد فأدخله على المنصور فدفعه إلى عيسى بن موسى فاستأمن له  
المنصور ، وقيل بل استأمن له إسماعيل بن علي . وأما عبد الله بن علي فإنه ذهب إلى أخيه سليمان  
ابن علي بالبصرة فأقام عنده زمناً مخفياً ، ثم علم به المنصور فبعث إليه فمجنه [ في بيت بني أسامة  
على الملح ثم أطلق عليه الماء فذاب الملح وسقط البيت على عبد الله فأت . وهذه من بعض ذواهي  
المنصور والله سبحانه أعلم ] <sup>(١)</sup> . فلبث في السجن سبع سنين ثم سقط عليه في البيت الذي هو فيه  
فأت كما سيأتي بيانه في موضعه إن شاء الله تعالى .

#### ( ذكر مهلك أبي مسلم انطراساني صاحب دعوة بني العباس )

في هذه السنة أيضاً لما فرغ أبو مسلم من الحج سبق الناس بمرحلة لجاء خبر السجاج في الطريق  
فكتب إلى أبي جعفر يعزیه في أخيه ولم يهنئه بالخلافة ، ولا رجع إليه . فغضب المنصور من ذلك  
مع ما كان قد أضمر له من السوء إذا أفضت إليه الخلافة ، وقيل إن المنصور هو الذي كان قد تقدم  
ببن يدي الحج بمرحلة ، وأنه لما جاءه خبر موت أخيه كتب إلى أبي مسلم يستعجله في السير كما  
قدمنا . قال لأبي أيوب : اكتب له كتاباً غليظاً ، فلما بلغه الكتاب أرسل يهنئه بالخلافة واقمع  
من ذلك . وقال بعض الأحرار للمنصور : إنا نرى أن لا تجمعه في الطريق فإن معه من الجنود من  
لا يخالفه . وهم له أهيب ، وعلى طاعته أحرص ، وليس ملك أحد ، فأخذ المنصور برأيه ثم كان من  
أمره في مبايعته لأبي جعفر ما ذكرنا ، ثم بعثه إلى عمه عبد الله فكسره كما تقدم ، وقد بعث في  
غبون ذلك الحسن بن قحطبة لأبي أيوب كاتب رسائل للمنصور يشافهه ويخبره بأن أبا مسلم متم عند  
أبي جعفر ، فإنه إذا جاءه كتاب منه يقرأه ثم يلوي شقيقه ويرى بالكتاب إلى أبي نصر ويضحكان  
استهزاء ، وقال أبو أيوب : إن تهمة أبي مسلم عندنا أظهر من هذا . ولما بعث أبو جعفر مولاة أبا  
الخصب يقطن ليحتاط على ما أصيب من معسكر عبد الله من الأموال والجواهر الثينة وغيرها ،  
فغضب أبو مسلم فشم أبا جعفر وهم بأبي الخصب ، حتى قيل له : إنه رسول فتركه ورجع . فلما قدم  
أخبر المنصور بما كان وبما تم به أبو مسلم من قتله ، فغضب المنصور وخشى أن يذهب أبو مسلم إلى  
(١) زبدة وجدت بهامش نسخة الاستانة .

خراسان [ فيشقى عليه تحصيله بعد ذلك ، وأن تحدث حوادث ، فكتب إليه مع يقطين إلى قد  
وليتك الشام ومصر وهما خير من خراسان ] <sup>(١)</sup> . فابست إلى مصر من شت وأقم أنت بالشام ،  
لتكون أقرب إلى أمير المؤمنين ، إذا أراد لقاءك كنت منه قريباً . فغضب أبو مسلم وقال : قد ولاني  
الشام ومصر ، ولي ولاية خراسان ، فأذا أذهب إليها وأستخلف على الشام ومصر . فكتب إلى  
المنصور بذلك فقلق المنصور من ذلك كثيراً . ورجع أبو مسلم من الشام قادماً خراسان وهو عازم  
على مخالفة المنصور . فخرج المنصور من الأنبار إلى المدائن وكتب إلى أبي مسلم بالسير إليه ،  
فكتب إليه أبو مسلم وهو على الزاب عازم على الدخول إلى خراسان : إنه لم يبق لأمر المؤمنين عدو  
إلا أمكنه الله منه ، وقد كنا نروى عن ملوك آل ساسان أن أخوف ما يكون الوزراء إذا سكنت  
الدهام . فنحن نأفرون من قربك ، حريصون على الوفاء بعهده ما وفيت ، حريون بالسمع والطاعة  
غير أنها من بعيد حيث يقرئها السلامة . فان أراضاك ذلك فأنا كأحسن عبيدك ، وإن أبيت  
إلا أنت تملق نفسك إراداتها فقتل ما أبرمت من عهدك ضنا بنفسى عن مقامات القل  
والاهانة . فلما وصل الكتاب إلى المنصور كتب إلى أبي مسلم : قد فهمت كتابك وليست صفك  
صفة أولئك الوزراء الفسقة إلى ملوكهم الذين يتمنون اضطراب جبل الدولة لكثرة جرائمهم ، وإنما  
راحتهم في تبديد نظام الجماعة ، فلم سويت نفسك بهم وأنت في طاعتك ومناعتك واضطلاعت بما  
حلت من أعباء هذا الأمر على ما أنت به ، وليس مع الشريعة التي أوجبت منك مع ولا طاعة ،  
وقد حل أمير المؤمنين عيسى بن موسى إليك رسالة ليسكن إليها قلبك إن أصغيت إليها ، وأسأله  
أن يحول بين الشيطان وزغاته وبينك ، فانه لم يجد باباً يضد به نيتك . أوكد عنده من هذا  
ولا أقرب من طبه من الباب الذي فتحه عليك . ويقال إن أبا مسلم كتب إلى المنصور : أما بعد  
فاني اتخفت رجلاً إماماً ودليلاً على ما افترض الله على خلقه ، وكان في محلة العلم نازلاً وفي قرابته من  
رسول الله ﷺ قريباً ، فاستجلبني بالقرآن غرقة عن مواضع طمعاً في قليل قد تمامه الله إلى خلقه ،  
وكان كالذي دلى بنور ، وأمرني أن أجرد السيف وأرض المرحه ولا أقبل المنفرة ولا أقبل المنرة ،  
فملت توطيداً لسلطانكم حتى عرفكم الله من كان يحيلكم ، وأطاعكم من كان عدوكم ، وأظهركم الله  
في بعد الانشاء والخفارة والقل ، ثم استغفني الله بالتوبة . فان يفت عن قديم عارف به ونسب  
إليه ، وإن ياتقني فبا قدمت يداي ، وما الله بظلام للعبيد . ذكره المدائني عن شيوخه .

وبست المنصور إليه جري بن يزيد بن جري بن عبد الله البجلي . وقد كان أوحده أهل زمانه . في  
جماعة من الأمراء ، وأمره أن يكلم أبا مسلم باللين كلاماً يقدر عليه ، وأن يكون في جملة ما يكلمه به

أنه يريد دفع قهرك وعلو منزلتك والاحلاقات لك ، فان جاء بهذا فسذاك ، وإن أتى قتل هو بريء من العيب إن شئت المصا وذهبت على وجهك ليسمركك بنفسه وليقاتلك دون غيره ، ولو خضت البحر انطمخ غلافه خلفك حتى يدركك فيقتلك أو يموت قبل ذلك . ولا تهل له هذا حتى تئأس من رجوعه بالتي هي أحسن . فلما قدم عليه أمراء المنصور يقولون دخلوا عليه ولاموه فيما هم به من منابذة أمير المؤمنين ، وما هو فيه من مخالفته ، ورغبوه في الرجوع إلى الطاعة ، فشاوهم ذوى الرأي من أمرائه فكلهم نهاه عن الرجوع إليه ، وأشاروا بأن يقيم في الرى فتكون خراسان تحت حكمه ، وجنوده طوعا له ، فان استقام له الخليفة والإكاف في عز ومنعة من الجند . فعند ذلك أرسل أبو مسلم إلى أمراء المنصور فقال لهم : ارجعوا إلى صاحبكم فليست ألقاه . فلما استأسأوا منه قالوا له **ذلك السلام الذى كان المنصور أمرهم به . فلما سمع ذلك كبره جداً وقال قوموا عنى الساعة .**

**وكان أبو مسلم قد استخلف على خراسان أباً داود إبراهيم بن خالد ، فكتب إليه المنصور فى غيبة أبى مسلم حين اتهم : إن ولاية خراسان لك ما بقيت ، فقد وليتها وعزلت عنها أباً مسلم . فعند ذلك كتب أبو داود إلى أبى مسلم حين بلغه ما عليه من منابذة الخليفة : إنه ليس جليق بنا منابذة خلفاء أهل بيت رسول الله ﷺ ، فارجع إلى إمامك سالماً مطيعاً والسلام . فزاده ذلك كسراً أيضاً فبعث إليهم أبو مسلم : إني سأبعث إليه أباً إسحاق وهو من أتقى به . فبعث أباً إسحاق إلى المنصور فأكرمه ووعده بنباة العراق إن هو رده . فلما رجع إليه أبو إسحاق قال له : ما وراءك ؟ قال : وأنتهم مطيعون لك يعرفون قهرك . فخره ذلك وعزم على الذهاب إلى الخليفة ، فاستشار أميراً يقال له يترك ، فقياه ، فصمم على الذهاب ، فلما رآه يترك عازماً على الذهاب تمثل بقول الشاعر : -**

ما للرجال مع القضاء محلة • ذهب القضاء بحيلة الأقوام

ثم قال له : احفظ عنى واحدة . قال : وما هى ؟ قال : إذا دخلت عليه فقل له ثم بايع مع شئت بالخلافة فان الناس لا يخالفونك . وكتب أبو مسلم إلى المنصور يعلمه بقدمه عليه . قال أبو أيوب كاتب الرسائل : فدخلت على المنصور وهو جالس فى خباء شعر جالس فى مصلا بعد العصر ، وبين يديه كتاب فألقاه إلى فاذا هو كتاب أبى مسلم يعلمه بالقدم عليه ، ثم قال الخليفة : والله لئن ملأت عيني منه لأقتله . قال أبو أيوب : فقلت إنا لله وإنا إليه راجعون . وبت تلك الليلة لا يأتينى نوم . أفكر فى هذه الواقعة ، وقلت : إن دخل أبو مسلم خائفاً ريمانيدو منه شر إلى الخليفة ، والمصلحة تقتضى أن يدخل آمنأ لئتمكن منه الخليفة . فلما أصبحت طلبت رجلاً من الأمراء وقلت له : هل لك أن تتولى مدينة كسكر فاتها منه فى هذه السنة ؟ فقال : ومن لى بذلك ؟ فقلت له : فاذهب إلى أبى مسلم فتناقض فى الطريق فاطلب منه أن يولى لك البلد ، فان أمير المؤمنين يريد أن يولى ما وراءه

ويستريح نفسه . واستأذنت المنصور له أن يذهب إلى أبي مسلم فأذن له ، وقال له : سلم عليه وقل له : إنا بالاشواق إليه . فسار ذلك الرجل - وهو سلة بن فلان - <sup>(١)</sup> إلى أبي مسلم فأخبره بأشتياق الخليفة إليه ، فسره ذلك وأشرح ، وإثما هو غرور ومكر به ، فلما سمع أبو مسلم بذلك هجل السير إلى منيته ، فلما قرب من المداين أمر الخليفة القواد والامراء أن يتلقوه ، وكان دخوله على المنصور من آخر ذلك اليوم ، وقد أشار أبو أيوب على المنصور أن يؤخر قتله في ساعته هذه إلى الغد ، فقبل ذلك منه . فلما دخل أبو مسلم على المنصور من المشى أظهر له الكرامة والتنظيم ، ثم قال : اذهب فأرح نفسك وادخل الحمام ، فإذا كان الغد فأنتي . فخرج من عنده وجاءه الناس يلحون عليه ، فلما كان الغد طلب الخليفة بعض الأمراء فقال له : كيف بلائي عنك ؟ فقال : والله يا أمير المؤمنين لو أمرتني أن أقتل نفسي لقتلتها . قال : فكيف بك لو أمرتك بقتل أبي مسلم ؟ قال : فوجم ساعة ثم قال له أبو أيوب : مالك لا تتكلم ؟ فقال قولة ضعيفة : أقضله . ثم اختاره من عيون الحرس أربعة فغرضهم على قتله ، وقال لهم : كونوا من وراء الرواق فإذا صفقت يدي فآخروا عليه فاقتلوه . ثم أرسل المنصور إلى أبي مسلم رسلا تترى يتبع بعضها بعضاً ، فأقبل أبو مسلم فدخل دار الخلافة ثم دخل على الخليفة وهو يتنسم ، فلما وقف بين يديه جمل المنصور يماثيه في الذي صنع واحدة واحدة ، فيمتدح عن ذلك كله . ثم قال : يا أمير المؤمنين أرجو أن تكون نفسك قد طابت علي . فقال المنصور : أما والله ما زادني هذا إلا غيظاً عليك . ثم ضرب باحدى يديه على الأخرى فخرج عنان وأصحابه فغصروه بالسيف حتى قتلوه ولفوه في عباءة ثم أمر بالقائه في دجلة ، وكان آخر العهد به ، وكان مقتله في يوم الأربعاء لأربع بقين من شعبان سنة سبع وثلاثين ومائة .

وكان من جملة ماعاتبه به المنصور أن قال : كتبت إلى مرات تبدأ بنفسك ، وأرسلت فخطب عني أمينة ، وتزعم أنك ابن سليل بن عبد الله بن عباس إلى غير ذلك . فقال أبو مسلم : يا أمير المؤمنين لا يقال لي هذا وقد سميت في أمركم بما عليه كل أحد . فقال : وبك لو قامت في ذلك أمة سوداء لأثمه الله لجدنا وحيطتنا . ثم قال : والله لأقتلك . فقال : استبق يا أمير المؤمنين لأعدائك . فقال : وأى عدوى أعدى منك . ثم أمر بقتله كما تقدم . فقال له بعض الأمراء : يا أمير المؤمنين الآن صرت خليفة . ويقال إن المنصور أشد عند ذلك :

فأقت عصاها واستقر بها النوى • كما قرَّ عينا بالأيوب المسافر

وذكر ابن خلكان أن المنصور لما أراد قتل أبي مسلم تخير في أمره هل يقتله أحدًا في ذلك أو يستبد هو به لئلا يشيع ويقتل ، ثم استشار واحدًا من نصحاء أصحابه فقال : يا أمير المؤمنين

(١) كذا بالأصليين . وفي الطبري : سلة بن سعيد بن جابر .

قال الله تعالى ( لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدنا ) فقال له : لقد أودعتها أذنًا واعية . ثم عزم على ذلك

( وهذه ترجمة أبي مسلم الخراساني )

هو عبد الرحمن بن مسلم أبو مسلم صاحب دولة بني العباس ، ويقال له أمير آل بيت رسول الله ﷺ ، وقال الخطيب : يقال له عبد الرحمن بن شيرون بن اسفنديار أبو مسلم المروزي ، صاحب الدولة العباسية ، بروى عن أبي الزبير وثابت البناني وإبراهيم وعبد الله ابني محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ، زاد ابن عساكر في شيوخه محمد بن علي وعبد الرحمن بن حرمة وعكرمة مولى ابن عباس . قال ابن عساكر : روى عنه إبراهيم بن ميمون الصائغ ، وبشر بن وهب ، وبشر بن مصعب بن بشر ، وعبد الله بن شيرمة وعبد الله بن المبارك وعبد الله بن منيب المروزي وقديد بن نعيم صهر أبي مسلم . قال الخطيب : وكان أبو مسلم فاتكا ذا رأي وعقل وتدبير وحزم ، قتله أبو جعفر المنصور بالمداخن . وقال أبو نعيم الأصبهاني في تاريخ أصفهان : كان اسمه عبد الرحمن بن عثمان بن يسار ، قيل إنه ولد بأصفهان ، وروى عن السدي وغيره ، وقيل كان اسمه إبراهيم بن عثمان بن يسار بن سندوس ابن حوذن ، من ولد بزرجهر ، وكان يكنى أبا إسحاق ، ونشأ بالكوفة وكان أبوه أوصى به إلى عيسى ابن موسى السراج ، فحمله إلى الكوفة وهو ابن سبع سنين ، فلما بنته إبراهيم بن محمد الإمام إلى خراسان قال له : غير اسمك وكنيتك . فتنسب عبد الرحمن بن مسلم ، واكتفى بأبي مسلم ، فسار إلى خراسان وهو ابن سبع عشرة سنة راكباً على حمار بالكاف ، وأعطاه إبراهيم بن محمد نفقة ، فدخل خراسان وهو كذلك ، ثم آل به الحال حتى صارت له خراسان بأزمئتها وحنافيرها ، وذكر أنه في ذهابه إليها مع رجل من بعض الخانات قتلته دابة حمارة ، فلما تمكن أبو مسلم جعل ذلك المكان دكا فكان يصد ذلك خراباً . وذكر بعضهم أنه أصابه سبي في سفره وأنه اشتراه بعض دعاة بني العباس بأربعة دراهم ، ثم إن إبراهيم بن محمد الإمام استوجبه واشتراه فأنشأ إليه وزوجه إبراهيم بنت أبي النعمان إسماعيل الطائي ، أحد دعاة بني العباس ، لما بنته إلى خراسان ، وأصدقها عنه أربعة دراهم فوفد لأبي مسلم بستاناً أحدهما أسماء أعقيت ، وهاطمة لم تعقب .

وقد تقدم ذكر كيفية استقلال أبي مسلم بأموار خراسان في سنة تسع وعشرين ومائة ، وكيف نشر دعوة بني العباس ، وقد كان ذا هبة وصرامة وإقدام وتسرع في الأمور . وقد روى ابن عساكر بإسناده أن رجلاً قام إلى أبي مسلم وهو يخطب فقال : ما هذا السواد الذي أرى عليك ؟ فقال : حدثني أبو الزبير عن جابر بن عبد الله « أن رسول الله ﷺ دخل مكة يوم الفتح وعليه حامة سوداء » . وهذه ثياب الهيبة وثياب الدولة . يا غلام اضرب عنقه . وروى من حديث عبد الله بن منيب عنه عن محمد بن علي عن أبيه عن جده عبد الله بن عباس . قال : قال رسول الله

**قوله** : من أراد هوان قريش أهانه الله . وقد كان إبراهيم بن ميمون الصائغ من أصحابه وجلسائه في زمن الدعوة ، وكان يمدد إذا ظهر أن قيم الحديد ، فلما تمكن أبو مسلم ألح عليه إبراهيم ابن ميمون في القهلم بما وعده به حتى أخرجته ، فأمر بضرب عنقه ، وقال له : لم لا كنت تنكر على نصر بن سيار وهو يصل أو أوى الخمر من الذهب فيبعثها إلى بني أمية ؟ فقال له : إن أولئك لم يقر بوني من أنفسهم ويموتون منها ما وعدتني أنت . وقد رأى بعضهم لإبراهيم بن ميمون هذا منازل عالية في الجنة يصيره على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فانه كان آمراً لأهلها قائماً في ذلك ، فقتله أبو مسلم رحمه الله .

وقد ذكرنا طاعة أبي مسلم للسفاح واعتناؤه بأمره وامتثال مراسيمه ، فلما صار الأمر إلى المنصور استخف به واحتقره ، ومع هذا بيته المنصور إلى محبة عبد الله إلى الشام فحسره ما استنفذ منه الشام وردّها إلى حكم المنصور . ثم شجعت نفسه على المنصور وم يقتله ، فظن ذلك المنصور مع ما كان مبطلًا له من البهضة ، وقد سأل أخاه السفاح غير مرة أن يقتله كما قتل ذلك قاضي عليه ، فلما تولى المنصور ما زال يماكره ويخادعه حتى قسم عليه قتله . قال بعضهم : كتب المنصور إلى أبي مسلم أما بعد فانه يرين على القلوب ويطلع عليها الملقى ، فع أيها الطائش ، وأقضى أيها السكران ، وأتلبه أيها النائم ، فانك مغرور بأشغاث أحلام كاذبة ، في برزخ دنيا قد غرت من كان قبلك وسم بها سوائف القرون ( هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا ) وإن الله لا يهزم من حرب ، ولا يفوته من طلب ، فلا تغتر بمن ملك من شيعتي وأهل دعوتي ، فكأنهم قد صاروا عليك بعد أن صاروا معك ، إن أنت خلعت الطاعة وفارقت الجماعة وبدلك من الله ما لم تكن تحسب ، مهلا مهلا ، احذر البغي أبا مسلم فانه من بني واعندي نخل الله عنه ، ونصره عليه من يصرفه ليدن العالم ، واحذر أن تكون سنة في الذين قد خلوا من قبلك ، ومنه لمن يأتي بعدك ، قد قامت الحجة وأعذرت إليك ، وإلى أهل طاعتك فيك . قال تعالى ( واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكن من الضالين )

فأجابه أبو مسلم : أنا بعد قد قرأت كتابك فرأيتك فيه قصوب مجانباً ، وعن الحق حائداً إذ تضرب فيه الأمثال على غير أشكالها ، وكتبت إلى فيه آيات منزلة من الله لكافرين ، وما يستوى الذين يهدون والذين لا يهدون ، وإني والله ما انسلخت من آيت الله ، ولكنني يا عبد الله بن محمد كنت رجلاً متأولاً فيكم من القرآن أوجب لكم بها الولاية والطاعة ، فأعست بأخوين لك من قبلك ثم بك من بعدهما ، فكنت لهما شيعاً متديناً أحسبني حادياً متهماً ، وأخطأت في التأويل وقصاً أخطأ المتأولون ، وقد قال تعالى ( وإذا جادلك الذين يؤمنون بآياتنا قل سلام عليكم كتب ربكم على



فنه الرحمة أنه من حمل منكم سوطاً بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فانه غفور رحيم وإن أخاك  
السفاح ظهر في صورة مهدي وكلن ضالا فأمرني أن أجرد السيف وأقتل بالظنة وأقدم بالشبهة وأرغم  
الرحمة ولا أقبل العثرة فبرزت أهل الدنيا في طاعتكم ، وتوطئة سلطانكم ، حتى عرفكم الله من  
كل جهلكم . ثم إن الله سبحانه تداركني منه بالندم واستغفرتني بالتوبة ، فان دنف عني ويصمغ فانه  
كلن للأوابين مغفرا ، وإن يماقيني فيقتوي وما ربك بظلام للعبيد .

فكتب إليه المنصور : أما بعد أيها المجرم الماصي ، فان أخى كان إمام هدى يدعو إلى الله على  
جنة من ربه ، فأوضح لك السبيل ، وحللك على التبع السديد ، فلو بأخى اقتديت لما كنت عن  
الحق حائلا ، وعن الشيطان وأوامره صادرا ، ولكنه لم يسمع لك أمران إلا كنت لأرشدكما فلزكا ،  
ولأهوامهما راكبا ، فتخل قتل الفراغنة ، وتبطش بطش الجبارة ، وتحكم بالجرم حكم المفسدين ،  
وتبغز المال وقضه في غير مواضعه فكل المسرفين ، ثم من خبرني أيها الفاسق أي قد وليت موسى  
ابن كعب خراسان ، وأمرته أن يقيم بنيسابور ، فان أردت خراسان لقيك بمن مع من قوادى  
وشيعتي ، وأأاموجه فقاتك أكر انك ، فاجع كيذك وأمرك غير مسدد ولا موفق ، وحسب أمير  
المؤمنين ومن اتبعه الله ونعم الوكيل .

ولم يرل المنصور براسه تارة بالرغبة وتارة بالرغبة ، ويستخف أحلام من حوله من الأمراء والوزل  
الذين يمشهم أبو مسلم إلى المنصور ويمدح ، حتى حسنوا لأبي مسلم في رايه القدوم عليه سوى أمير  
معه يقال له نيزك ، فانه لم يوافق على ذلك ، فلما رأى أبا مسلم وقد انقطع لهم أنشد عند ذلك البيت  
المتقدم ، وهو : فالرجال مع القضاء محالة • ذهب القضاء بحيلة الأقوام

وأشار عليه بأن يقتل المنصور ويستخلف بدله فلم يمكنه ذلك ، فانه لما قدم المدائن تلقاه الأمراء  
عن أمر الخليفة ، فواصل إلا آخر النهار ، وقد أشار أبو أيوب كاتب الرسائل أن لا يقتله يومه هنا كما  
تقدم [ فلما وقف بين يدي الخليفة أكرمه وعظمه وأظهر احترامه ، وقال : اذهب اليه فأذهب عنك  
وهاء السفر ثم اتقى من الهند . ] <sup>(١)</sup> فلما كان الغد أرسد له من الأمراء من يقتله ، منهم عثمان بن  
نحيك ، وشبيب بن واثق ، وقتلوه كما تقدم . ويقال بل أقام أياها يظهر له المنصور الاكرام والاحترام ،  
ثم نشق منه الرحمة فخاف أبو مسلم واستشف عيسى بن موسى واستجار به ، وقال : إني أخافه على  
نفسى . قال : لا بأس عليك فانطلق فاني آت ورايك ، أنت في ذمتي حتى آتيك ، - ولم يكن مع  
عيسى خبر بما يريد به الخليفة - فجاء أبو مسلم يستأذن على المنصور فقالوا له : اجلس هنا فلن أمر  
المؤمنين يتوجهوا ، فجلس وهو يحد أن يطول مجلسه ليجي عيسى بن موسى فأبأ ، وأذن له الخليفة  
(١) زلفاة من المصرية .

ففضل عليه فجعل ياتيه في أشياء صعدت منه فيعتز عنها جيداً ، حتى قال له : فلم تقتل سليمان بن كثير ، وإبراهيم بن ميمون ، وفلافا وفلافا ؟ قال : لأنهم عصوني وخالفوا أمرى . فضرب عند ذلك المنصور وقال : ويحك ! أنت تقتل إذا عصيت ، وأنا لا أقتلك وقد عصيتني ؟ وصفق بيديه وكانت الإشارة بينه وبين المرصدين لقتله . فبادروا إليه ليقتلوه فضربه أحدهم قطع حائل سيفه . قال : يا أمير المؤمنين استغني لأعدائك ؟ فقال : وأى عدو لي أعدى منك . ثم زجرهم المنصور فقتلوه قطعاً ولفوه في عبائة ، ودخل عيسى بن موسى على إثر ذلك فقال : ما هذا يا أمير المؤمنين ؟ قال : هذا أبو مسلم ، قال : إن الله وإنا إليه راجعون ، قال له المنصور : احدهم الذي هبمت على نعمة ، ولم نهجم على نعمة ، فني ذلك يقول أبو دلالة : -

أبا مسلم ما غير الله نعمة • على عبده حتى ينيرها المبد

أبا مسلم خوفني القتل فأتيتني • عليك بما خوفني الأسد الورود

وذكر ابن جرير أن المنصور هجم إلى عثمان بن نعيم وشبيب بن واثق وأبي حنيفة حرب بن قيس وآخر من الحرس أن يكونوا قريباً منه ، فلما دخل عليه أبو مسلم وخطبه وضرب بإحدى يديه على الأخرى فليقتلوه . فلما دخل عليه أبو مسلم قال له المنصور : ما فعل السيفان اللذان أصبتكما من عبد الله بن علي ؟ قال : هذا أحدهما . فقال : أرتبه ؟ فناولوه السيف فوضه تحت ركبته ثم قال له : ما حاكك على أن تكتب لأبي عبد الله السراح شهاده من الموات ، أردت أن تفلنا الدين ؟ قال : إني ظننت أن أختنه لا يجل ، فلما جاءني كتاب أمير المؤمنين علمت أنه وأهل بيته معدن العلم . قال : فلم تهتمت على في طريق الحج ؟ قال : كرهت اجتماعنا على الماء فيضرب ذلك بالناس ، فتقدمت الناس الرفق . قال : فلم لا رجعت إلى حين أتاك خبر موت أبي العباس ؟ قال : كرهت التضيق على الناس في طريق الحج ، وعرفت أنا سنجتمع بالكوفة ، وليس عليك مني خلاف . قال : فجارية عبد الله بن علي أردت أن تتخذها لنفسك ؟ قال : لا ! ولكن خفت أن تضعي غمليها في قبة ووكلت بها من يحفظها . ثم قال له : ألست الكاتب إلى تبدأ بفنك والكاتب إلى تخطب أئمة بنت علي ؟ وترغم أهلك ابن سليل بن عبد الله بن عباس ؟ هذا كله ويد المنصور في يده يركها ويقبلها ويمتنع ، ثم قال له : فما حاكك على مراغتي ودخولك إلى خراسان ؟ قال : خفت أن يكون دخلك مني شيء فأردت أن أدخل خراسان وأكتب إليك بغري . قال : فلم تقتل سليمان بن كثير وكين من قضايتنا ودعائنا قبلك ؟ قال : أراد خلقي ، فقال : ويحك وأنت أردت خلقي وعصيتني ، قتلني الله إن لم أقتلك . ثم ضربه بمود الخيمة وخرج إليه أولئك فضربه عثمان قطع حائل سيفه ، وضربه شبيب قطع رجله ، وحمل عليه بقيتهم بالسيف ، والمنصور يصيح : ويحك اضربوه قطع الله أيديكم . ثم ذبحوه

وقطروه قطراً قطراً ، ثم أتى في دجلة . و يروى أن المنصور لما قتله وقف عليه فقال : رحلك الله  
 أبا مسلم ، يا بعتنا فبايعناك ، وعاهدتنا وعاهدناك ، ووفيت لنا فوفيناك ، وإنا بايعناك على أن  
 لا يخرج علينا أحد في هذه الأيام إلا قتله ، فخرجت علينا فقتلناك ، وحكنا عليك حكك على  
 نفسك لنا . ويقال إن المنصور قال : الحمد لله الذي أرانا يومك يا عدو الله . قال ابن جرير وقال  
 المنصور عند ذلك : —

زعت أن الدين لا يُقتضى • فاستوف بالكيل أبا مجرم

سقيت كأساً كنت تسقى بها • أمر في الخلق من المقيم

ثم إن المنصور خطب في الناس بعد قتل أبي مسلم فقال : أيها الناس ، لا تنفروا أطيار النعم  
 بترك الشكر ، فتحل بكم النعم ، ولا تسروا غش الأئمة فإن أحدا لا يسر منكم شيئا إلا ظهر في  
 فلتات لسانه ، وصفتات وجهه ، وطوالع نظره وإنا لن نجعل حقوقكم ما عرقم حقنا ، ولا نقضى  
 الاحسان إليكم ما ذكرتم فضلنا ، ومن نازعنا هذا القميص أو طائفاً أم رأسه ، حتى يستقيم رجالكم ،  
 وترتدع عمالككم . وإن هذا النمر أبا مسلم بايع على أنه من فكك بيعتنا وأظهر غشنا فقد أباحنا دمه ،  
 فكك وغمر وجهر وكفر ، فككنا عليه لأنفسنا حكك على غيره لنا ، وإن أبا مسلم أحسن مبتدأ  
 وأساء منتهياً ، وأخذ من الناس بنا أنفسه أكثر مما أعطانا . ورجع قبيح باطنه على حسن ظلمه ،  
 وعفنا من خبث سريرة وفساد نيته ما لو علم اللائم لنا فيه لما لام ، ولو أطلع على ما أظلمنا عليه منه  
 لعنفنا في قتله ، وعنفنا في إميله ، وما زال ينقض بيعته ويخفر ذمته حتى أحل لنا عقوبته وأباحنا  
 دمه ، فككنا فيه حكك في غيره عن شق العصا ، ولم يمننا الحق له من إمضاء الحق فيه ، وما أحسن  
 ما قال النابغة الذبياني لعمان - يعني ابن المنصور - :

فن أطاعك فأغضه بطاعته • كما أطاعك والله على الرشد

ومن عصاك فضاقبه بمقابة • تنهى الظلم ولا تهمل على ضد

وقد روى البيهقي عن الحاكم بسنده أن عبيد الله بن المبارك سئل عن أبي مسلم أهو خير أم  
 الحجاج ؟ قال : لا أقول إن أبا مسلم كان خيراً من أحد ، ولكن كان الحجاج شراً منه ، قد اتهمه  
 بعضهم على الاسلام ، ورموه بالزندقة ، ولم أرفأ ذكره عن أبي مسلم ما يدل على ذلك ، بل على  
 أنه كان ممن يخاف الله من ذنوبه ، وقد ادعى التوبة فيما كان منه من سفك الدماء في إظلمة الدولة  
 العباسية والله أعلم بأمره .

وقد روى الخطيب عنه أنه قال : ارتدبت الصبر ، وآثرت الكفاح ، وحالفت الأحرار  
 والأشجان عوشت الغادر والأحكام ، حتى بلغت غاية حق ، وأدركت نهاية نبيق . ثم أثنأ يقول :

قد نلت بالزعم والكتان ما عجزت • عنه ملوك بني مروان إذ حشدوا  
مازلت أضربهم بالسيف فأتبعوا • من رفقة لم يتبعها قبلهم أحد  
وطفت أسى عليهم في حليرم • والفرح في ملكهم في البتام قد رقدوا  
ومن رمى غنا في أرض مسبة • وتام عنها تولى رعبها الأسد

وقد كان قتل أبي مسلم بالمدائن يوم الأربعاء لسبع خلون ، وقبل محس بدين ، وقبل لأربع ،  
وقبل للبتين بدين من شعبان من هذه السنة - أعني سنة سبع وثلاثين ومائة - قال بعضهم : كان  
ابتداء ظهوره في رمضان من سنة تسع وعشرين ومائة ، وقيل في شعبان سنة سبع وعشرين ومائة .  
وزعم بعضهم أنه قتل ببغداد في سنة أربعين ، وهذا غلط من قائله ، فإن بغداد لم تكن بنيت بعد  
كما ذكره الخطيب في تاريخ بغداد ، ورد هذا القول .

ثم إن المنصور شرع في تأليف أصحاب أبي مسلم بالأعطية والرغبة والرهبة والولايات ، واستدعى  
أبا إسحاق - وكان من أعز أصحاب أبي مسلم - وكان على شرطة أبي مسلم ، ولم يضرب عنقه فقال : يا أمير  
المؤمنين والله ما أمنت قط إلا في هذا اليوم ، وما من يوم كنت أدخل عليك إلا لم تحنط ولبست  
كفني . ثم كشف عن ثيابه التي تلي جسده فإذا هو محنط وعليه أذراع أكفان ، فرقى له المنصور وأطلقه  
وذكر ابن جرير أن أبا مسلم قتل في حروبه وبما كان يتسامله لأجل دولة بني العباس بمائة ألف  
صبراً زائدة عن من قتل بغير ذلك . وقد قال للمنصور وهو يماثيه على ما كان يصنع : يا أمير المؤمنين  
لا يقال لي هذا بعد بلاني وما كان مني . فقال له : يا ابن الخبيثة ، لو كانت أمة مكانك لأجزأت  
فأحيتها ، إنما حملت ما حملت بدولتنا وبريحنا ، لو كان ذلك إليك لما وصلت إلى قتيل . ولما قتله  
المنصور لف في كساء وهو مقطوع إر با إربا ، فدخل عيسى بن موسى فقال : يا أمير المؤمنين أين أبو مسلم ؟  
قال : قد كان هاهنا آنفاً . قال : يا أمير المؤمنين قد عرفت طاعته ونصيحته ورأى إبراهيم الإمام  
فيه . فقال له : يا أتوك والله ما أعلم في الأرض عدواً أعدى لك منه ، هاهو ذاك في البساط . فقال :  
لأنه وإن إليه راجعون . فقال له المنصور : خلع الله قلبك ! وهل كان لكم مكان أو سلطان أو أمر  
أونهي مع أبي مسلم ؟ ثم استدعى المنصور برؤس الأمراء فجعل يستشيرهم في قتل أبي مسلم قبل أن  
يملوا بقتله ، فكلهم يشير بقتله ، ومنهم من كان إذا تكلم أسر كلامه خوفاً من أبي مسلم لتلا ينقل إليه ،  
فما أطلعهم على قتله أفرعهم ذلك وأظهروا سروراً كثيراً . ثم خطب المنصور الناس بذلك كما تقدم .  
ثم كتب المنصور إلى نائب أبي مسلم على أمواله وحواسله بكتاب على لسان أبي مسلم أن  
يقدم بجميع ما عنده من الحواصل والقدح والأموال والمجاهر ، وختم الكتاب بخاتم أبي مسلم  
بكله ، مطبوعاً بكل فص الخاتم ، فلما رآه الخازن استراب في الأمر ، وقد كان أبو مسلم تقدم إلى

خازنه أنه إذا جاءك كتابي فإن رأيته محتوماً بنصف النص فامض لما فيه ، فإني إنما أختم بنصف فسه على كتيبي ، وإذا جاءك السكتل غمتموا عليه بكله فلا تقبل إلا نفع ما فيه . فاستمع عند ذلك خازنه أن يقبل ما بهت به المنصور ، فأرسل المنصور بعد ذلك إليه من أخذ جميع ذلك وقتل ذلك الرجل الخازن ، وكتب المنصور إلى أبي داود إبراهيم بن خالد بأمره خراسان كما وعدته قبل ذلك عوداً عن أبي مسلم .

وفي هذه السنة خرج سبباذ يطلب بدم أبي مسلم ، وقد كان سبباذ هذا مجوسياً تغلب على قومس وأصبهان ، ويسى بغيروز أصبهن ، فبعث إليه أبو جعفر المنصور جيشاً م عشرة آلاف فارس عليهم جهور بن مرار المجل - فالتقوا بين همدان والري بالمغازة ، فهزم جهور لسبباذ وقتل من أصحابه ستين ألفاً وسبى ذراريهم ونساءهم ، وقتل سبباذ بعد ذلك فكانت أيامه سبعين يوماً . وأخذ ما كان استحوذ عليه من أموال أبي مسلم التي كانت بالري . وخرج في هذه السنة أيضاً رجل يقال له ملبد [ بن حرمة الشيباني ] في ألف من الخوارج بالجزيرة فجهز إليه المنصور جيوشاً متعددة كثيرة كلها تنفر منه وتتكسر ثم قاتله حميد بن قطبة نائب الجزيرة ، فهزمه ملبد ونحصر منه حميد في بعض الحصون ثم صالحه حميد بن قطبة على مائة ألف فغضها إليه وقبلها ملبد وتلق عنه .

وحج بالناس في هذه السنة هم الخليفة إسماعيل بن علي بن عبد الله بن عباس قاله الواقدي . وكان نائب الموصل - يعني هم المنصور - وعلى نيابة السكونة عيسى بن موسى ، وعلى البصرة سليمان ابن علي ، وعلى الجزيرة حميد بن قطبة ، وعلى مصر صالح بن علي ، وعلى خراسان أبو داود إبراهيم ابن خالد ، وعلى الحجاز زياد بن عبد الله . ولم يكن للناس في هذه السنة صائفة لشل الخليفة بسبباذ وغيره . ومن مشاهير من توفى فيها أبو مسلم الخراساني كما تقدم ، وبزيد بن أبي زياد أحد من تكلم فيه كأذكراته في التكيل ، والله سبحانه أعلم .

( ثم دخلت سنة ثمان وثلاثين ومائة )

ففيها دخل قسطنطين ملك الروم ملطية عنوة فهدم سورها وعفا عن قنبر عليه من مقاتلتها . وفيها غزا الصائفة صالح بن علي نائب مصر ، فبقى ما كان هدم ملك الروم من سور ملطية ، وأطلق لأخيه عيسى بن علي أربعين ألف دينار ، وكذلك أعطى لابن أخيه العباس بن محمد بن علي أربعين ألف دينار . وفيها بايع عبد الله بن علي الذي كسره أبو مسلم وانهمز إلى البصرة واستجار بأخيه سليمان بن علي ، حتى بايع الخليفة في هذه السنة ورجع إلى طائفة . ولكن حبس في سجن بغداد كما سيأتي . وفيها خلع جهور بن مرار المجل الخليفة المنصور بعد ما كسر سبباذ واستحوذ على حواصله وعلى أموال أبي مسلم ، فتويت نفسه بذلك وظن أنه لا يشتر عليه بد ، فأرسل إليه

الغلبة بعد بن الأشعث انخرعى في جيش كثيف فاحتلوا قتالا شديداً ، فهزم جيور وقتل طعة من  
 معه ، وأخذ ما كان معه من الأموال والحواصل والخيائر ، ثم لحقوه قتلوه . وفيها قتل الملك الخارجي  
 على يدى خازم من خزاعة في ثمانية آلاف ، وقتل من أصحاب الملك ما يزيد على ألف وانهزم بقيتهم .

قال الواقدي : وحج بالناس فيها الفضل بن علي ، والتولب فيها المذكورون بالي قبلها  
 ومن توفي فيها من الأعيان زيد بن واقد ، والقلاء بن عبد الرحمن ، وليث بن أبي سليم في قول  
 [ وفيها كانت خلافة الداخل من بني أمية إلى بلاد الأندلس وهو عبد الرحمن بن معاوية بن هشام  
 ابن عبد الملك بن مروان الهاشمي . قلت : ليس هو بهاشمي إنما هو من بني أمية ويسمى أموياً ، كان  
 قد دخل إلى بلاد المغرب فراراً من عبد الله بن علي بن عبد الله بن عباس ، فاجتاز بينه من  
 أصحابه الذين فروا معه يقوم يقتلون على عصابة البجاية والمضرية ، فيمت مولاهم بديراً إليهم فاستسلم  
 إليه فباصوه ودخل بهم نضج بلاد الأندلس واستحوذ عليها وانزعها من نائبها يوسف بن عبد الرحمن  
 ابن حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع الفهري وقتله . وسكن عبد الرحمن قرطبة واستمر في  
 خلافته في تلك البلاد من هذه السنة إلى سنة ثنتين وسبعين ومائة . فتوفي فيها وله في الملك أربع  
 وثلاثون سنة وأشهر . ثم قام من بعده ولده هشام ست سنين وأشهر . ثم مات فولد بعده الحكم بن  
 هشام ستا وعشرين سنة وأشهر ثم مات . ثم ولي بعده ولده عبد الرحمن بن الحكم ثلاثا وثلاثين  
 سنة ثم مات . ثم ولي بعده محمد بن عبد الرحمن بن الحكم ستا وعشرين سنة . ثم ابنه المنذر بن  
 محمد ، ثم أخوه عبد الله بن محمد بن المنذر . وكانت أيامه بعد التلاحمة بدمر ، ثم زالت تلك الهوة  
 كما سنده كره من زوان تلك السنون وأهلها وما قضا فيها من النعم والمعيش الرغد والنساء الحسن  
 ثم انقضت تلك السنوات وأهلها كأنهم على معاد ، ثم أضحوا كأنهم ورق جف ألوت عليه الصبا  
 والقبول ] (١) .

فيها أكل صالح بن علي بناء ملطية ثم غزا الصائفة على طريق الحدث ، فوغل في بلاد الروم ،  
 وغزا معه أخته أم عيسى ولجأة ابتغا على ، وكانتا نفرتا إن زال ملك بني أمية أن يجاهدتا في سبيل  
 الله عز وجل . وفيها كان الفداء الذي حصل بين المنصور وبين ملك الروم ، فاستتفد بعض أسرى  
 المسلمين ثم لم يكن قتلى صائفة في هذه السنة إلى سنة ست وأربعين ، وذلك لاشتغال المنصور بأمر  
 ابن عبد الله بن حسن كما سنده . ولكن ذكر بعضهم أن الحسن بن قحطبة غزا الصائفة مع  
 عبد الوهاب بن إبراهيم الأمام سنة أربعين لله أعلم .

وفيها وسع المنصور المسجد الحرام ، وكانت هذه السنة خصبة جداً . أي كثرة الغلب فكان

يقال لها السلة الخصبية - وقيل إنما كان ذلك في سنة أربعين . وفيها عزل المنصور عمه سليمان عن إمرة البصرة ، فاختفى عبد الله بن علي وأصحابه خروفاً على أنفسهم ، فبعث المنصور إلى نائبه على البصرة ، وهو صفيان بن مملوكة ، يستحثه في إحضار عبد الله بن علي إليه ، فبعثه في أصحابه قتل بعضهم وسجن عبد الله بن علي عمه ، وبعث بقية أصحابه إلى أبي داود نائب خراسان قتلهم هناك وحج بالناس فيها العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس . وفيها توفي عمرو بن مجاهد ، وبزيد بن عبد الله بن المهدي ، ويونس بن عبيد ، أحمد الصباد وصاحب الحسن البصري .

﴿ ثم دخلت سنة أربعين ومائة ﴾

فيها تار جماعة من الجند على أبي داود نائب خراسان ، وحاصروا داره ، فأشرف عليهم وجعل يستغيث بمجنده ليحضروا إليه ، وانكأ على آجرة في الحائط فانكسرت به فسقط فانكسر ظهره فمات ، خلفه على خراسان عامم ، صاحب الشرطة حتى قدم الأمير من جهة الخليفة عليها ، وهو عبد الجبار بن عبد الرحمن الأزدي ، قتل بلاد خراسان ، وقتل جماعة من الأمراء لأنه بلغه عنهم أنهم يبدعون إلى خلافة آل علي بن أبي طالب ، وحينئذ أخبر بن ، وأخذ نواب أبي داود بمجباية الأموال المنكسرة عندهم .

وفيها حج بالناس الخليفة المنصور أحرم من الحيرة ورجع بعد إغضاء الحج إلى المدينة ، ثم رحل إلى بيت المقدس فزاره ، ثم سلك الشام إلى الرقة ، ثم سار إلى الماشقية - هاشمية الكوفة - ونواب الأقاليم المذكورون في التي قبلها ، سوى خراسان فانه مات نائبها أبو داود ، خلفه مكانه عبد الجبار الأزدي . وفيها توفي داود بن أبي هند ، وأبو حازم سلمة بن دينار ، وسهيل بن أبي صالح ، ومحمدة بن غزية بن قيس السكوني .

﴿ ثم دخلت سنة إحدى وأربعين ومائة ﴾

فيها خرجت طائفة يقال لها الزلونية على المنصور . ذكر ابن جرير عن المعاني أن أصلهم من خراسان ، وهم على رأي أبي مسلم الغراساني ، كانوا يقولون بالتناسخ ، ويؤمنون أن روح آدم انتقلت إلى عثمان بن نيك ، وأن ربهما الذي يطعمهم ويمسحهم أبو جعفر المنصور . وأن المهيم بن مملوكة جبريل ، قبضهم الله .

قال ابن جرير : قاتلوا يوماً قصر المنصور فجعلوا يطوفون به ويقولون : هذا قصر ربنا ، فأرسل المنصور إلى رؤسائهم فحبس منهم مائتين ، فغضبوا من ذلك وقالوا : علام تحبسهم ؟ ثم عدوا إلى نفس فعلهم على كراهتهم وليس عليه أحد ، واجتمعوا حوله كأنهم يشيرون جنازة ، واجتازوا بباب السجن ، فألقوا النش ودخلوا السجن فها واستخرجوا من فيه من أصحابهم ، وقصدوا نحو المنصور

وهم في سقاة ، فتنادى الناس وغلقت أبواب البلد ، وخرج المنصور من القصر ماشياً ، لأنه لم يجد دابة يركبها ، ثم جرى بدابة فركبها وقصد نحو الراوندية وجاء الناس من كل ناحية ، وجاء من بن زائدة ، فلما رأى المنصور ترجل وأخذ بلجام دابة المنصور ، وقال : يا أمير المؤمنين أرجع نحن نكتفيكم . فأبى وقام أهل الأسواق إليهم فقاتلهم ، وجاءت الجيوش فالتفتوا عليهم من كل ناحية فحصدوم عن آخرهم ، ولم يبق منهم بقية . وجرحوا عثمان بن نهيك بسهم بين كتفيه ، فرض ألباناً ثم مات ، فصلى عليه الخليفة ، وقام على قبره حتى دفن ودعا له ، وولى أخاه عيسى بن نهيك على الحرس ، وكان ذلك كله بالمدينة الهاشمية من الكوفة .

ولما فرغ المنصور من قتال الراوندية ذلك اليوم صلى بالناس الظهر في آخر وقتها ، ثم أتى الطعام فقال أين ممن بن زائدة ؟ وأمسك عن الطعام حتى جاء ممن فأجلسه إلى جنبه ، ثم أخذ في شكره لمن يحضرته لما رأى من شهادته يومئذ . فقال ممن : والله يا أمير المؤمنين لقد جئت وإني لو جيل ، فلما رأيت استنانتك بهم وإقدامك عليهم قوى قلبي وإطمان ، وما نلت أن أحداً يكون في الحرب هكذا ، فذاك الذي شجى يا أمير المؤمنين . فأمر له المنصور بشرة آلاف ورضى عنه وولاه اليمن . وكان ممن بن زائدة قبل ذلك غنياً ، لأنه قاتل المردة مع ابن هبيرة ، فلم يظهر إلا في هذا اليوم . فلما رأى الخليفة صدقه في قتله رضى عنه . ويقال : إن المنصور قال عن نفسه : أخطأت في ثلاث : قتلت أبا مسلم وأنا في جماعة قليلة ، وحين خرجت إلى الشام ولو اختلف سيفان بالعراق للعبت الخلافة ، ويوم الراوندية لو أصابني سهم غرب لأعبت ضياعاً . وهذا من حزمه وصرامته .

وفي هذه السنة ولى المنصور ابنه محمداً العهد من بعده ودعاه بالمهدي وولاه بلاد خراسان وعزل عنها عبد الجبار بن عبد الرحمن ، وذلك أنه قتل خلقاً من شيعة الخليفة ، فشكاه المنصور إلى أبي أيوب كاتب الرسائل قال : يا أمير المؤمنين أكتب إليه ليثبت جيشاً كثيفاً من خراسان إلى غزو الروم ، فإذا خرجوا بعثت إليه من شئت فأخرجوه من بلاد خراسان ذليلاً . فكتب إليه المنصور بذلك ، فرد الجواب بأن بلاد خراسان قد طاشت بها الاتراك ، ومتى خرج منها جيش خيف عليها وقتل أمرها . فقال المنصور لأبي أيوب : ماذا ترى ؟ قال : فكتب إليه : إن بلاد خراسان أحق بالمدد لتغور المسلمين من غيرها ، وقد جهزت إليك بلجنود . فكتب إليه أيضاً : إن بلاد خراسان بضيق في هذا العام أمواتها ، ومتى دخلها جيش أفسحها . فقال الخليفة لأبي أيوب : ما تقول ؟ قال : يا أمير المؤمنين هذا رجل قد أبدى صفحته وخلع فلا تنافروا . فبعثت بثلثة آلاف من خراسان إلى عبد الجبار ، فما زال به يصدده ومن معه حتى هرب من معه وأخفوه هو فأركبوه بغير أهول وجهه إلى ناحية ذنب البعير . وسيره كذلك



في البلاد حتى أقسموه على المنصور ومعه ابنه وجماعة من أهله ، فضرب المنصور عنقه وسير ابنه ومن معه إلى جزيرة في طرف اليمن ، فأسرته المنيذ بعد ذلك ، ثم فردى بعضهم بعد ذلك . واستقر المهدي نائبا على خراسان ، وأمره أبوه أن يفتزو طبرستان ، وأن يحارب الأصهب بن معة من الجنود وأمره بجيش عليهم عمر بن الملا ، وكان من أعلم الناس بحرب طبرستان ، وهو الذي يقول فيه الشاعر :

قل خليفة إن جنته • نصيباً ولا خير في التهم  
إذا أظفك حروب العدى • فبه لها عمراً ثم ثم  
فني لا ينال على دمنة • ولا يشرب الماء إلا بدم

فلما وافقت الجيوش على طبرستان فتحوها وحاصروا الأصهب حتى ألقوه إلى قلعة فصلحهم على ما فيها من الذخائر ، وكسب المهدي إلى أبيه بذلك ، ودخل الأصهب بلاد الديلم فات هناك . وكسروا أيضاً ملك الترك الذي يقال له المصفان ، وأسروا أئمة من القدراري ، فهذا فتح طبرستان الأول . وفيها فرغ بناء المعينة على يد جبريل بن يحيى الخراساني ، وفيها رابط محمد بن إبراهيم الإمام ببلاد ملطية . وفيها عزل المنصور زياد بن عبيد الله عن إمرة الحجاز وولى المدينة محمد بن خلف القسري وقعها في رجب . وولى مكة والطائف المهيم بن معاوية المكي . وفيها توفي موسى بن كعب وهو على شرطة المنصور . وعلى مصر من كان عليها في السنة الماضية ، ثم ولي مصر محمد بن الأشعث ثم عزله عنها وولى عليها نوح بن الفرات . وحج بالناس فيها صالح بن علي وهو نائب قنشرين وحضى ودمشق ، وبقية البلاد عليها من ذكرنا في التي قبلها والله أعلم .

وفيها توفي أبان بن تغلب ، وموسى بن عقبة ، صاحب الممازي ، وأبو إسحاق الشيباني في قول الله سبحانه أعلم . ﴿ ثم دخلت سنة ثنتين وأربعين ومائة ﴾

فيها خلع عيينة بن موسى بن كعب نائب السند الخليفة ، فجهز إليه الساكركمجة محمد بن حفص ابن أبي صفرة ، وولاه السند والهند ، فخار به عمر بن حفص وقهره على الأرض وتسلط منه . وفيها نكث الأصهب طبرستان المهدي الذي كان بينه وبين المسلمين ، وقتل طائفة من كان بطبرستان ، فجهز إليه الخليفة الجيوش كمجة خلزم بن خزيمه ، وروح بن حاتم ، ومهم مرزوق أبو الخصب ، مولى المنصور ، فحاصروه مدة طويلة ، فما أعياهم فتح الحصن الذي هو فيه احتالوا عليه ، وذلك أن أبا الخصب قال : اضربوني واحرقوا رأسي وحياتي ، ففعلوا ذلك ، فذهب إليه كأنه مغاضب للمسلمين قد ضربوه وحرقوا لحينه ، فدخل الحصن ففرح به الأصهب وأكرمه وقر به ، وجعل أبو الخصب يظهر له النصيح والخلمة حتى خدعه ، وحطى عنده جدا وجعله من جهة من يتولى فتح الحصن وقلقه ، فلما تمكن من ذلك كاتب المسلمين وأعلمهم أنه في الليلة الثالثة يفتح لهم ، فاقربوا من الباب حتى

أفتح لكم ، فلما كانت تلك الليلة فتح لهم باب الحصن فدخلوا قتلوا من فيه من القاطنة وسبوا القدية  
وامتنع الأصيبند خاتما مسووماً فلت . وكان فيمن أسروا يشتد أم منصور بن المهدي ، وأم إبراهيم  
ابن المهدي ، وكاتتا من بنات الملوك الحسان .

وفيهما بنى المنصور لأهل البصرة قبتهم التي يصلون عندها بالجبان ، وتولى بناءها سلعة بن سعيد  
ابن جابر نائب الفرات والأمانة . وصام المنصور شهر رمضان بالبصرة وصل بالناس العيد في ذلك المصل .  
وفيهما عزل المنصور نوفل بن الفرات عن إمرة مصر وولى عليها حميد بن قحطبة . وحج بالناس فيها  
إسماعيل بن علي . وفيها توفي سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس عم الخليفة ونائب البصرة . كان  
ذلك يوم السبت لسبع بقين من جمادى الآخرة ، وهو ابن تسع وخمسين سنة ، وصل عليه أخوه  
عبد الصمد . روى عن أبيه وعكرمة وأبي بردة بن أبي موسى . وعنه جماعة منهم بنوه جعفر ،  
ومحمد ، وزينب والأصمى . وكان قد شاب وهو ابن عشرين سنة وخضب لحية من الشيب في ذلك  
السن ، وكان كريماً جواداً ممدحاً . كان يمتق عشية عرفة في كل سنة مائة نسمة ، وبلغت صلاحته ابني  
هاشم وسائر قريش والأنصار خسة آلاف وأطلع يوماً من قصره فرأى نسوة يفرزن في دار من  
دور البصرة ، فاعتق في نظره هذا البن أن قالت واحدة منهن : لو أن الأمير نظر إلينا وأطلع على  
حالتنا فأغنانا عن المنزل ؟ فنهن من فوره فجعل يدور في قصره ويجمع من حل نساءه من الذهب  
والجواهر وغيرها ما ملأ به منديلاً كبيراً ، ثم دلأه إليهن ونثر عليهن من الدنانير والدرام شيئاً  
كثيراً ، فانت إحداهن من شدة الفرح ، فأعطى دينها وما تركته من ذلك لورثتها . وقد ولى الحج  
في أيام السفاح ، وولى البصرة أيام المنصور ، وكان من خيار بني الصابغ ، وهو أخو إسماعيل ودادود  
وصلح وعبد الصمد وعبد الله وعيسى ومحمد ، وهو عم السفاح والمنصور .

ومن توفي فيها من الأعيان خلفه الحفناء ، وطعم الأحرار ، وعمر بن عبيد القدر في قول .  
وهو عمرو بن عبيد بن ثوبان . ويقال ابن كيسان ، التميمي مولاهم أبو عثمان البصري ، بن  
أبناء فارس ، شيخ القدرية والمعتزلة . روى الحديث عن الحسن البصري وعبيد الله بن أنس ،  
وأبي العالية وأبي قلابة ، وعنه الحادان وسفيان بن عيينة والأعمش . وكان من أقرانه . وعبد الوارث  
ابن سعيد ، وهارون بن موسى ، ويحيى القطان ، ويزيد بن زريع . قال الامام أحمد بن حنبل : ليس  
بأهل أن يثبت عنه . وقال علي بن المديني ويحيى بن معين : ليس بشيء ، وزاد ابن معين وكان  
رجل سوء . وكان من الدهرية الذين يقولون إنما الناس مثل الزرع . وقال القائل : متروك صاحب  
بدعة . كان يحيى القطان يحدثن عنه ثم تركه وكان ابن مهدي لا يثبت عنه . وقال أبو حاتم : متروك .  
وقال النسائي ليس بشيء . وقال شعبة عن يونس بن عبيد : كان عمرو بن عبيد يكذب في الحديث .

وقال حماد بن سلمة : قال لي حميد : لا تأخذه عنه فإنه كان يكذب على الحسن البصري . وكنا قال  
أبوب وعوف وابن عون . وقال أبوب : ما كنت أصدق عقله ، وقال مطر الوراق : والله لا أصدق  
في شيء . وقال ابن المبارك : إنما تركوا حديثه لأنه كان يدعو إلى القدر . وقد ضمنه غير واحد من  
أئمة المرجح والتعديل ، وأنتى عليه آخرون في عبادته وزعمه وحششه . قال الحسن البصري : هذا حميد  
شباب القراء ما لم يحدث . قالوا : فأحدث والله أشد الحديث . وقال ابن حبان : كان من أهل الورع  
والصلابة إلى أن أحدث ما أحدث واعتزل مجلس الحسن هو وجماعة معه فسماوا المعتزلة ، وكان يشتم  
الصحابه ويكذب في الحديث ، وما لا صدقاً . وقد روى عنه أنه قال : إن كانت تبت يدا أبي لب  
في القرح المحفوظ فما تعد منه على ابن آدم حجة . وروى له حديث ابن مسعود : حدثنا الصادق  
الصديق « أن خلقاً أحكم بجميع في بطن أمه أربعين يوماً » حتى قال : « فيؤمر بأربع كلمات . رزقه  
وأطعمه ، وعمله ، وحشي أم حميد » إلى آخره . فقال : لو سمعت الأعرشي يرويه لمكذبته ، ولو سمعت  
من زيد بن وهب لم أحببته ، ولو سمعت من ابن مسعود لما قبلته ، ولو سمعت من رسول الله ﷺ  
لردته ، ولو سمعت الله يقول هذا قللت ما على هذا أخنت علينا الميثاق . وهذا من أقبح الكفر ،  
لأنه الله إن كان قال هذا . وإذا كان مكذوباً عليه فكل من كذبه عليه ما يستحقه وقد قال عبد الله  
ابن المبارك رحمه الله :

أبها الطالب عقلاً • إيت حماد بن زيد • نفذ العلم يعلم • ثم قديم بقيد  
وفو البدة من • أكثر عمرو بن عبيد

وقال ابن عدي : كان عمرو يفر الناس بتقشفه ، وهو مفهوم ضيف الحديث جيداً ، ملن  
بالبيع . وقال الفارصاني : ضيف الحديث . وقال الخطيب البغدادي : جالس الحسن واشتهر بصحته  
ثم أزاله [ وأصل بن عطاء عن منعب أهل السنة وقال بالقدر ودعا إليه ، واعتزل أصحاب الحديث ،  
لو كان له سمع وإظهار زهد . وقد قيل : إنه ] <sup>(١)</sup> وأصل بن عطاء وهما سنة ثمانين ، وحكي البخاري  
أن عمرو أملت سنة ثنتين أو ثلاث وأربعين ومائة بطريق مكة ، وقد كان عمرو خطيباً عند أبي  
جنر المنصور ، كان المنصور يحبه ويظلمه لأنه كان يند على المنصور مع القراء فيمطيهم المنصور  
فيأخسون ، ولا يأخذ عمرو منه شيئاً ، وكان يسأله أن يقبل أصحابه فلا يقبل منه ، فكان  
ذلك مما يفر المنصور ويروج به عليه حاله ، لأن المنصور كان يفتل وكان يسببه ذلك منه ويفسد :

كلبك يمشي رويد • كلبك يطلب صيد • غير عمرو بن عبيد

ولو تبصر المنصور لعل أن كل واحد من أولئك القراء خير من مل الأرض مثل عمرو بن عبيد ،

والزهد لا يدل على صلاح ، فإن بعض الرهبان قد يكون عنده من الزهد ما لا يطيقه عمرو ولا كثير من المسلمين في زمانه . وقد روينا عن إسماعيل بن خالد القتيبي قال : رأيت الحسن بن جعفر في المنام بعد ما مات بميدان فقال لي : أيوب ويونس وابن عون في الجنة . قلت : فعمرو بن عبيد ؟ قال : في النار . ثم رآه مرة ثانية وبروي ثالثة ، فيسأله فيقول له مثل ذلك . وقد رويت له منامات قبيحة ، وقد أطال شيخنا في نهديه في ترجمته وخلصنا حاصلها في كتابنا التكميل ، وأشرنا هنا إلى نبيذ من حاله ليعرف فلا يغتر به والله أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة ثلاث وأربعين ومائة ﴾

فيها نذب المنصور الناس إلى غزو الديلم ، لأنهم قتلوا من المسلمين خلقا ، وأمر أهل الكوفة والبصرة من كان منهم بقدر هل عشرة آلاف فصاعداً فليذهب مع الجيش إلى الديلم ، فانتدب خلق كثير وجم غفير فلذلك . وجع بالناس فيها عيسى بن موسى نائب الكوفة وأعمالها . وفيها توفي حجاج الصواف ، وحيد بن ربيعة الطويل ، وسليمان بن طرخان التيمي ، وقد ذكرناه في التي قبلها ، وعمرو بن عبيد في قول ، وإيث بن أبي سليم على الصحيح . ويحيى بن سعيد الأنصاري .

﴿ ثم دخلت سنة أربع وأربعين ومائة ﴾

فيها صار محمد بن أبي العباس السفاح عن أمر عمه المنصور إلى بلاد الديلم ومعه الجيوش من الكوفة والبصرة وواسط والموصل والجزيرة . وفيها قدم محمد بن جعفر المنصور المهدي على أبيه من بلاد خراسان ودخل بآبنة معه رابطة بنت السفاح بالحيرة . وفيها حج بالناس أبو جعفر المنصور واستخلف على الحيرة والسكر خازم بن خزيمه ، وولى رباح بن عثمان المزني المدينة وعزل عنها محمد بن خالد القسري ، وتلقى الناس أبا جعفر المنصور إلى أثناء طريق مكة في حجة في سنة أربع وأربعين ومائة . وكان في جملة من تلقاه عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب ، فأجلسه المنصور معه على السباط ، ثم حمل يحادثه بإقبال زائد بحيث إن المنصور اشتغل بذلك عن عامة غدايته ، وسأله عن ابنه إبراهيم ومحمد لم لا تجآني مع الناس ؟ فحلف عبد الله بن حسن أنه لا يدرى أين صار من أرض الله . وصدق في ذلك ، وما ذاك إلا أن محمد بن عبد الله بن حسن كان قد بايحه جماعة من أهل الحجاز في أواخر دولة مروان الحمار بالخلافة وخلع مروان ، وكان في جملة من بايحه على ذلك أبو جعفر المنصور ، وذلك قبل تحويل الدولة إلى بني العباس ، فلما صارت الخلافة إلى أبي جعفر المنصور خاف محمد بن عبد الله بن الحسن وأخوه إبراهيم منه خوفاً شديداً .

وذلك لأن المنصور توم منها أثمها لا بد أن يخرجها عليه كما أراد أن يخرجها على مروان ، والذى تومته المنصور وقع فيه ، فذهب هرباً في البلاد الشاسعة فصارا إلى اليمن ، ثم سارا إلى الهند فاختفيا

بها ، فدل على مكاتها الحسن بن زيد فهربا إلى موضع آخر ، فاستعمل عليه الحسن بن زيد ودل عليهما ، ثم كنفك . واتصّب إلياً عليهما عند المنصور . والـ ب منه أنه من أتباعهما . واجتهد المنصور بكل طريق على تحصيلهما فلم يثبّق له ذلك ، وإلى الآن . فلما سأل أباهما عنهما حلف أنه لا يدري أين صارا من أرض الله ، ثم ألع المنصور على عبد الله في طلب ولديه فنضب عبد الله من ذلك وقال : والله لو كانا تحت قدمي مادلتك عليهما . فنضب المنصور وأمر بسجنه وأمر ببيع رقيقه وأمواله ، فلبث في السجن ثلاث سنين ، وأشاروا على المنصور بحبس بني حسن عن آخرهم لحبسهم ، وجد في طلب إبراهيم ومحمد جدا ، هذا وهما يحضران الحج في غالب السنين ، ويكنان في المدينة في غالب الأوقات ، ولا يشر بهما من ينمّ عليهما والله الحمد . والمنصور يزل نائبا عن المدينة ويولى عليها غيره . ويحرضه على إساكهما والفحص عنهما ، وبنل الأموال في طلبهما ، وتمجّزه المقادير عنهما لما يريد الله عز وجل .

وقد وإباهما على أمرهما أمير من أمراء المنصور يقال له أبو الماسكر خالد بن حسان ، فمزموا في بعض الحيل على الفتك بالمنصور بين الصفا والمروة ، فقام عبد الله بن حسن لشرف البقعة . ثم قد اطلع المنصور على ذلك وعلم بما ملأها ذلك الأمير ، فذهب حتى أفر بما كانوا يملأوا عليه من الفتك به . فقال : وما الذي صرفكم عن ذلك ؟ فقال : هبّد الله بن حسن نهاما عن ذلك ، فأمر به الخليفة فنيب في الأرض فلم يظهر حتى الآن . وقد استشار المنصور من يعلم من أمراءه ووزرائه من ذوى الرأي في أمر ابني عبد الله بن حسن ، وبث الجواسيس والقصاد في البلاد فلم يقع لهما على خير ، ولا ظهر لهما على عين ولا أثر ، والله غالب على أمره . وقد جاء محمد بن عبد الله بن حسن إلى أمه فقال يا أمه ! إنني قد شققت على أبي وعمومي ، ولقد همت أن أضع يدي في يد هؤلاء لأربح أهلي . فنهيته أمه إلى السجن فصرّت عليهم ما قال ابنها ، فقالوا : لا ولا كرامة ، بل نصبر على أمره فلعل الله أن يفتح على يديه خيراً ، ونحن نصبر وفرجنا بيد الله إن شاء فرج عنا ، وإن شاء ضيق . وتمازوا كلام على ذلك رحمهم الله .

وفيهما قتل آل حسن من حبس المدينة إلى حبس بالبراق وفي أرجلهم القيود ، وفي أعناقهم الأغلال . وكان ابتداء تقييدهم من الزينة بأمر أبي جعفر المنصور ، وقد أبشخص منهم محمد بن عبد الله الثاني ، وكان أخا عبد الله بن حسن لأمه ، وكانت ابنته تحت إبراهيم بن عبد الله بن حسن ، وقد حملت قريباً ، فاستحضره الخليفة وقال : قد خلعت بالعناق والعلاق إنك لم تنفسي ، وهنّ ابنتك حامل ، فإن كان من زوجها قد حبلت منه وأنت تعلم به ، وإن كان من غيره فأنت ديرث . فأجابها الثاني بجواب أحفظه به ، فأمر به فجردت عنه ثيابه فإذا جسمه مثل النضة النقية ، ثم

ضربه بين يديه مائة وخمسين سوطاً ، منها ثلاثون فوق رأسه ، أصاب أحدها عينه فسلت ، ثم رده إلى السجن وقد بقي كأنه عبد أسود من زرقة الضرب ، وتراكم الدماء فوق جلده ، فأجلس إلى جانب أخيه لأمه عبد الله بن حسن ، فاستحقى ماءً فاجسر أحد أن يسقيه حتى سقاه خراساني من جملة الجلادزة المولكين بهم . ثم ركب المنصور هودجه وأركبوا أدلك في محامل ضيقة ، وعلمهم القيود والأغلال ، فاجتاز بهم المنصور وهو في هودجه ، فتداد عبد الله بن حسن : والله يا أبا جعفر ما هكذا صنعنا بأسرانكم يوم بدر ، فأخسأ ذلك المنصور وقتل عليه وضر عنهم . ولما انتهوا إلى العراق حبسوا بالهاشمية ، وكان فيهم محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن حسن ، وكان جميل فنياً ، فكان الناس يذهبون لينظروا إلى حسنه وجهه . وكان يقال له : الديباج الأصفر ، فأخضره المنصور بين يديه وقال له : أما لاقتلتك قتلة ما قتلتها أحدكم . ثم ألقاه بين أسطواناتين وحسد عليه حتى مات . فبلى المنصور ما يستحقه من عذاب الله ولعنته . وقد هلك كثير منهم في السجن حتى فرج عنهم بعد هلاك المنصور على ما سنده كره . فكان فيمن هلك في السجن عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب ، وقد قبل والأظهر أنه قتل صبراً ، وأخوه إبراهيم بن الحسن وغيرهما ، وقيل من خرج منهم من الحبس ، وقد جعلهم المنصور في سجن لا يسمون فيه أذاناً ، ولا يصرخون فيه وقت صلاة إلا بالنداء ، ثم يمض أهل خراسان يشغفون في محمد بن عبد الله الثاني ، فأمر به فضربت عنقه وأرسل برأسه إلى أهل خراسان ، لا جزاء الله خيراً ، ورحم الله محمد بن عبد الله الثاني .

وهو محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان الأموي رحمه الله ، أبو عبد الله المدني المعروف بالديباج ، لحسن وجهه . وأمه طامة بنت الحسين بن علي ، روى الحديث عن أبيه وأمه وخارجه بن زيد وطلوس وأبي الزناد والزهري وقانع وغيرهم ، وحدث عنه جماعة ، ووقعه النسائي وابن حبان ، وكان أخا عبد الله بن حسن لأمه ، وكانت ابنته رقية زوجة ابن أخيه إبراهيم بن عبد الله ، وكانت من أحسن النساء ، وبسببها قتله أبو جعفر المنصور في هذه السنة . وكان كرمياً جواداً عديمًا . قال الزبير بن بكار : أنشدني سليمان بن عباس السعدي لأبي وجرة السعدي يمدحه .

وجدنا المحض الأبيض من قریش \* فقي بين الخليفة والرسول

أهلك الجهد من هنا وهناك \* وكنت له بمطلع الحبول

فألججك دونك من ميت \* وما للجد دونك من متيل

ولا يحصى ورامك يفتنيه \* ولا هو قابل بك من بديل

ثم دخلت سنة خمس وأربعين ومائة

فما كان فيها من الأحداث خرج محمد بن عبد الله بن حسن بالمدينة وأخيه إبراهيم بالبصرة ،

على ما سفينه بن شاه الله . أما محمد فانه خرج على أثر ذهاب أبي جعفر المنصور بأهله بنى حسن  
من المدينة إلى العراق على الصفة والتمت الذي تقدم ذكره ، وسجنهم في مكان ساء مستترأ ومقاماً ،  
لا يسمون فيه أذاً ولا يعرفون فيه دخول أو طأت صلوات إلا بالأذى والكلالة . وقد مات أكثر  
أكابرهم هناك رحمهم الله . هنا كان محمد الذي يطلبه مختلف بالمدينة ، حتى أنه في بعض الأحيان  
اختفى في بئر نزل في مائه كله الرأسه ، وباقية مغمور بالماء ، وقد تواعد هو وأخوه وقتاً معيناً يظهران  
فيه ، هو بالمدينة وإبراهيم بالبصرة ، ولم يزل الناس - أهل المدينة وغيرهم - يؤمنون بمحمد بن عبد الله  
في اختفائه وعدم ظهوره حتى عزم على الخروج ، وذلك لما أضربه شدة الاختفاء وكثرة إلحاح رياح  
نائب المدينة في طلبه ليلاً ونهاراً ، فلما اشتد به الأمر وضاق الحال وأعد أصحابه على الظهور في  
الليلة القلانية ، فلما كانت تلك الليلة جاء بعض الوشاة إلى متولى المدينة فأعلمه بذلك ، فضاق ذرعاً  
وأزعج ذلك انزعاجاً شديداً ، وركب في جحافل طفاف بالمدينة وحول دار مروان ، وهم مجتمعون  
بها ، فلم يشعر بهم . فلما رجع إلى منزله بحث إلى بنى حسين بن علي فجمعهم ومعهم رؤس من سادات  
قريش وغيرهم ، فودعهم وأنهم وظل : يا معشر أهل المدينة ، أمير المؤمنين يطلب هذا الرجل في  
المشارق والمغارب وهو بين أظهركم ، ثم ما كناكم حتى يائسوه على السمع والطاعة ؟ والله لا يلبسني  
عن أحد منكم خرج معه إلا ضربت عنقه . فأنكر الذين هم هناك حاضرون أن يكون عندهم علم  
أو شهود بشئ من هذا ، وقالوا : نحن نأتيك برجال مسلحين يقاتلون دونك إن وقع شئ من ذلك .  
فتنهضوا فجاءهم بمجموعة مسلحين فاستأذنوه في دخولهم عليه ، فقال : لا إذن لهم ، إنى أخشى أن يكون  
ذلك خديعة . فجلس أولئك على الباب ومكث الناس جلوساً حول الأمير وهو واجم لا ينكلم إلا  
قليلاً حتى ذهبت طائفة من الليل ، ثم ما جرى الناس إلا وأصحاب محمد بن عبد الله قد ظهروا وأعلنوا  
بالتكبير ، فآزعج الناس في جوف الليل ، وأشار بعض الناس على الأمير أن يضرب أعناق بنى  
حسين ، فقال أحدهم : علام ونحن مقرون بالطاعة ؟ واشتغل الأمير عنهم بما فجأه من الأمر ،  
فاغتنموا الغفلة ونهضوا سرعاً فقتلوا جدار الدار وألقوا أنفسهم على كناسة هناك .

وأقبل محمد بن عبد الله بن حسن في مائتين وخمسين ، فرب بالسجن فأخرج من فيه ، وجاء دار  
الامارة فحاصرها فافتتحها ومسك الأمير رياح بن عثمان نائب المدينة فسجنه في دار مروان ، وسجن  
معه ابن مسلم بن عقبة ، وهو الذي أشار بقتل بنى حسين في أول هذه الليلة فنجوا وأحييت به . وأصبح  
محمد بن عبد الله بن حسن وقد استظهر على المدينة ودان له أهلها ، فصلى بالناس الصبح وقرأ  
فيها سورة إما فتحنا لك فتحاً مبيناً . وأسفرت هذه الليلة عن مستهل رجب من هذه السنة . وقد  
خطب محمد بن عبد الله أهل المدينة في هذا اليوم ، فتكلم في بنى العباس وذكر عنهم أشياء ضمهم

بها ، وأخبرهم أنه لم ينزل بلدًا من البلدان إلا وقد بایموه على السمع والطاعة ، فبایمه أهل المدينة كلهم إلا القليل .

وقد روى ابن جرير عن الامام مالك أنه أفتى الناس بمبايعةه ، قیل له فان فی أعناقنا بیعة المنصور ، فقال : إنما كنتم مكرهين وليس لمكره بیعة . فبایمه الناس عند ذلك عن قول مالك ، ولزم مالك بيته . وقد قال له إسماعيل بن عبد الله بن جعفر حين دعاه إلى بيعته : يا ابن أخى إنك مقتول . فارتدع بعض الناس عنه واستمر جمهورهم معه ، فاستجاب عليهم عثمان بن محمد بن خالد بن الزبير ، وعلى قضائها عبد العزيز بن المطلب بن عبد الله الخزرجي ، وعلى شرطتها عثمان بن عبد الله بن عمر بن الخطاب ، وعلى ديوان المطاء عبد الله بن جعفر بن عبد الله بن مسور بن غرمة ، وتلقب بالمهدى طمعا أن يكون هو المذكور في الأحاديث فلم يكن به ، ولا تم له ما وجاه ولا ما تمناه ، فأتاه . وقد ارتحل بعض أهل المدينة عنها ليلة دخلها ، فطوى المراحل البعيدة إلى المنصور في سبع ليال ، فورد عليه فوجده قائما في الليل ، فقال فر بيع الحجاب : استأذن على الخليفة ، فقال : إنه لا يوقف في هذه الساعة . فقال : إنه لا بد من ذلك فأخبر الخليفة فخرج فقال : ويحك ! ما و ؟ قال : قال : إنه خرج ابن حسن بالمدينة . فلم يظهر المنصور لذلك أكثرنا وانزعاجا ، بل قال : أنت ريت ؟ قال : نعم ! فقال : هلك والله وأهلك معه من اتبعه . ثم أمر بالرجل فسجن ، ثم جاءت الأخبار بذلك فتواترت ، فأطلقه المنصور وأطلق له عن كل ليلة ألف درهم فأعطاه سبعة آلاف درهم .

ولما تحقق المنصور الأمر من خروجه ضاق ذرعًا ، فقال له بعض المنجمين : يا أمير المؤمنين لا عليك ، منه ، فو الله لو ملك الأرض بهذا فبرها فانه لا يقيم أكثر من سبعين يوما . ثم أمر المنصور جميع رؤس الأمراء أن ينهبوا إلى السجن فيجتمعوا لعبد الله بن حسن - والد محمد - فيخبروه بما وقع من خروج ولده ويسموا ما يقول لهم . فلما دخلوا عليه أخبروه بذلك فقال : ماترون ابن سلامة فاعلوا ؟ - يعني المنصور - قالوا : لا ندرى . فقال : والله لقد قتل صاحبكم البخل يفتي له أن ينفق الأموال ويستخدم الرجال ، فان ظهر فاسترجع ما أتفق سهل ، وإلا لم يكن لصاحبكم شيء في الخزانة وكان ما خزن لفيره . فرجعوا إلى الخليفة فأخبروه بذلك ، وأشار الناس على الخليفة بمناجزته ، فاستدعى عيسى بن موسى فذهب إلى ذلك ، ثم قال : إني سأكتب إليه كتابا أنفذه به قبل قتله فكتب إليه :

بسم الله الرحمن الرحيم ! من عبد الله بن عبد الله أمير المؤمنين ، إلى محمد بن عبد الله : ( إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا ) الآية إلى قوله ( فاعلموا أن الله غفور رحيم ) ثم قال : فلك عهد الله وميثاقه ودمته ودمه رسوله ، إن أنت رجعت إلى الطاعة لأؤتمنتك



ومن اتبعك ، ولأعطيتك ألف ألف درهم ، ولأدعئك تقم في أحب البلاد إليك ، ولأقضي لك جميع حوائجك ، في كلام طويل . فكتب إليه محمد جواب كتابه :

من عبد الله المهدي محمد بن عبد الله بن حسن : ( بسم الله الرحمن الرحيم طمست تلك آيات الكتاب المبين ، ننلو عليك من نبا موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون ، إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحي نساءهم إنه كان من المفسدين ، ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمةً ونجعلهم الوارثين ) ثم قال : وإني أعرض عليك من الأمان مثل ما عرضت عليّ ، فأنا أحق بهذا الأمر منك ، وأنتم إنما واصلتم إليه بنا ، فان عليا كان الوصي وكان الامام ، فكيف وديتم ولايته وولده أحياء ؟ ونحن أشرف أهل الأرض نسبا ، فرسول الله خير الناس وهو جدنا ، وجدتنا خديجة وهي أفضل زوجاته ، واطمة ابنته أمنا وهي أكرم بناته ، وإن هاشما ولد عليا مرتين ، وإن حسنا ولد عبد المطلب مرتين ، وهو وأخوه سيدها شباب أهل الجنة ، وإن رسول الله ﷺ ولد أبي مرتين ، وإني أوسط بني هاشم نسبا ، [ وأمرهم أبا ، لم ترق في المعجم . ولم تنازع في أمهات الأولاد ] <sup>(١)</sup> فأنا ابن أرفع الناس درجة في الجنة ، وأخفهم عذابا في النار . فأنا أولى بالأمر منك ، وأولى بالمهد وأوفى به منك ، فانك تعلمي المهد ثم تنكث ولا تقي ، كما فعلت بآب بن هبيرة فانك أعطيت المهد ثم غدرت به ، ولا أشد عذابا من إمام غادر ، وكذلك فعلت بملك عبد الله بن علي ، وأبي مسلم الخراساني . [ ولو أعلم أنك تصدق لأجبتك لما دهرتني إليه ، ولكن الوفاء بالمهد من مثلك لمثلني بعيد والسلام ] <sup>(٢)</sup>

فكتب إليه أبو جعفر جواب ذلك في كتاب طويل حاصله : أما بعد فقد قرأت كتابك فإذا جل فكره ، وإدلائك قرابة النساء لتضل به الجفأة والغفاه ، ولم يجعل الله النساء كالعمومة والأباء ، ولا كالصبية والأولياء ، وقد أنزل الله ( وأنذر عشيرتلك الأقربين ) وكان له حينئذ أربعة أعمام ، فاستجاب له اثنتان أحدهما جدنا ، وكفر اثنتان أحدهما أبوك - يعني جده أبا طالب - قطع الله ولايتهما منه ، ولم يجعل بينهما إلا ولائمة ، وقد أنزل الله في عدم إسلام أبي طالب ( إنك لأهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء ) وقد غفرت به وأنه أخف أهل النار عذابا ، وليس في الشر خيار ، ولا ينبغي لمؤمن أن يضر بأهل النار ، وغفرت بأن عليا ولد هاشم مرتين . وأن حسنا ولد عبد المطلب مرتين ، فهذا رسول الله ﷺ إنما ولد عبد الله مرة واحدة ، وقولك إنك لم تفك أمهات أولاد ، فهذا إبراهيم ابن رسول الله ﷺ من مارية ، وهو خير منك ، وعلي بن الحسن من أم ولد وهو خير منك ، وكذلك ابنه محمد بن علي ، وابن جعفر بن محمد ، جداتهما أمهات أولاد وهما خير منك ،

(١) زيادة من الطبري جنتها بالنسبة . (٢) سقط من المصرية .

وأما قولك بنو رسول الله ﷺ قد قال تعالى : (ما كان محمد أباً أحد من رجالكم) وقد جاءت السنة التي لا خلاف فيها بين المسلمين أن الجد أب الأم والنحل والنحله لا يورثون ، ولم يكن لفاطمة ميراث من رسول الله ﷺ بنص الحديث ، وقد مرض رسول الله ﷺ وأبوك حاضر فلم يأمره بالصلاة بالناس ، بل أمر غيره . ولما توفي لم يغسل الناس بأبي بكر وعمر أحداً ، ثم قدموا عليه عثمان في الشورى والخلافة ، ثم لما قتل عثمان اتهمه بعضهم به ، وقاتله طلحة والزبير على ذلك ، وامتنع سعد من مبايعته ثم بعد ذلك معاوية ، ثم طلبها أبوك وقاتل عليها الرجال ، ثم اتفق على التحكيم فكم يف به ، ثم صارت إلى الحسن فباعها بخمق ودرهم ، وأقام بالحجاز يأخذ مالا من غير حله ، وسلم الأمر إلى غير أهله ، ورك شيمته في أيدي بني أمية ومعاوية . فان كانت لكم فقد تركتموها وبنتموها بنتمها . ثم خرج هلك حسين على ابن مرجانة وكان الناس منه عليه حتى قتلوه وأتوا برأيه إليه ، ثم خرجتم على بني أمية قتلوك وصلبوك على جذوع النخل ، وحرقوك بالنار ، وحملوا نساءكم على الأبل كالسباع إلى الشام ، حتى خرجنا عليهم نحن فأخذنا بناتكم ، وأدركنا بدمائكم ، وأورثناكم أرضهم وديارهم ، وذكرنا فضل سلفكم ، فجعلت ذلك حجة علينا ، وظنفت أننا إذا ذكرنا فضله على أمثاله على حزة والعباس وجعفر ، وليس الأمر كما زعمت ، فان هؤلاء مضوا ولم يدخلوا في الفتنة ، وسلبوا من الدنيا فلم تنقصهم شيئا ، فاستوفوا ثوابهم كللا ، وابتلى بذلك أبوك . وكانت بنو أمية تلعنه كما تلعن الكفرة في الصلوات المكتوبات ، فأحيينا ذكره وذكرنا فضله وهنأناهم بما نالوا منه ، وقد علمت أنه أنكر مننا في الجاهلية بسقاية الحبيص الأعظم ، وخدعة زمرم ، وحكم رسول الله ﷺ لنا بها . ولما قسعت الناس زمن عمر استسقى بأبينا العباس ، وتوسل به إلى ربه وأبوك حاضر ، وقد علمت أنه لم يبق أحد من بني عبد المطلب بعد رسول الله ﷺ إلا العباس ، فالسقاية سقايته ، والوراثة يورثته ، والخلافة في ولده ، فلم يبق شرف في الجاهلية والاسلام إلا العباس وأرثه ومورثه ، في كلام طويل فيه بحث ومناظرة وفصاحة . وقد استقصاه ابن جرير بطوله والله سبحانه أعلم .

## فصل

(في ذكر مقتل محمد بن عبد الله بن حسن)

بسم محمد بن عبد الله بن حسن في غيوب ذلك رسولا إلى أهل الشام يدعوم إلى بيعته وخلاته فأبوا قبول ذلك منه ، وقالوا : قد ضجرتنا من الحروب ومقتنا من القتال . وجعل يستميل رؤس أهل المدينة ، فذهب من أجابه ومنهم من امتنع عليه ، وقال له بعضهم : كيف أبابك وقد ظهرت في بلد ليس فيه مال تستعين به على استخدام الرجال ؟ وزم بعضهم منزله فلم يخرج حتى قتل محمد . وبث محمد ههنا الحسين بن معاوية في سبعين رجلا ونحواً من عشرة فوارس إلى مكة فأبوا أن هو دخلها

فساروا إليها ، فلما بلغ أهلها قدمهم خرجوا إليهم في ألوف من المقاتلة ، فقال لهم الحسين بن معاوية :  
 علام تقاتلون وقد مات أبو جعفر ؟ قال السري بن عبد الله زعيم أهل مكة : إن برده جاءتنا من  
 أربع ليال وقد أرسلت إليه كتاباً فأتانا أنتظر جوابه إلى أربع ، فان كان ما تقولون حقاً سلمتكم البلد  
 وعلى مؤنة رجالكم ونخيلكم . فامتنع الحسن بن معاوية من الانتظار وأبى إلا المناجزة ، وحلف لا يبيت  
 أقبلة إلا بمكة ، إلا أن يموت . وأرسل إلى السري أن ابزم من الحرم إلى الحل حتى لا تراق الدماء  
 في الحرم . فلم يخرج ، فقتلوا إليهم ضافوهم فحمل عليه الحسن وأصحابه حملة واحدة فهزموهم وقتلوا  
 منهم نحو سبعة ، ودخلوا مكة . فلما أصبحوا خطب الحسن بن معاوية الناس وأقرام بأبي جعفر ،  
 ودعاهم إلى محمد بن عبد الله بن حسن المهدي .

### ( ذكر خروج أخيه إبراهيم بن عبد الله بن حسن )

وظهر بالبصرة أيضاً إبراهيم بن عبد الله بن حسن ، وجاء إليه إلى أخيه محمد فأنهى إليه  
 ليلاً فاستوفد له عليه وهو بدار مروان فطرق بابها . فقال : اللهم إني أعوذ بك من شر طوارق الليل  
 والنهار إلا طارفاً يطرق بخير يا رحمن . ثم خرج فأخبر أصحابه عن أخيه فاستبشروا جداً وفرحوا  
 كنههم . وكان يقول الناس بعد صلاة الصبح والمغرب : ادعوا لله لاخوانكم أهل البصرة ، ولحسين  
 ابن معاوية بمكة ، واستنصروه على أعدائكم .

وأما ما كان من المنصور فأنه جهز الجيوش إلى محمد بن عبد الله بن حسن ، بحبة عيسى بن  
 موسى عشرة آلاف فارس من المشجعين المنتخبين ، منهم محمد بن أبي العباس السفاح وجعفر بن  
 حنظلة البهراني ، وحيد بن فضالة ، وكان المنصور قد استشاره فيه فقال : يا أمير المؤمنين ادع  
 شئت من ثقتك من مواليك فابست بهم إلى وادي القري بمنعوتهم من ميرة الشام ، فيموت هو ومن  
 معه يومئذ ، فانه يهلك ليس فيه حال ولا رجال ولا كراع ولا سلاح . وقدم بين يديه كثير من الحصين  
 المهدي وقد قال المنصور لعيسى بن موسى حين ودعه : يا عيسى ! إني أبتلك إلى جنبي هذين ، فان  
 ظفرت بالرجل فشم سيفك وناد في الناس بالأمان . وإن قُتِبَ فقتلهم إلى حقي يأتيوك به ، فانهم أعلم  
 بمذاهبه . وكتب معه كتاباً إلى رؤساء قريش والأَنْصار من أهل المدينة يدفعا إليهم خفية يدعوم  
 إلى الرجوع إلى الطاعة . فلما اقترب عيسى بن موسى من المدينة بثت الكتب مع رجل فأخذه  
 حرس محمد بن عبد الله بن حسن فوجدوا معه تلك الكتب فدفعوها إلى محمد فاستحضر جماعة  
 من أولئك ضاقبهم وضربهم ضرباً شديداً وقيدوا قيدا ، وأودعهم السجن . ثم إن محمد استشار  
 أصحابه بالقيام بالمدينة حتى يأتي عيسى بن موسى فيحاصروهم بها ، أو أنه يخرج بمن معه فيقاتل أهل  
 القراق ؟ ففهم من أشار بهذا ، ومنهم من أشار بذلك ، ثم اتفق الرأي على المقام بالمدينة ، لأن رسول

الله ﷺ عدم يوم أحد على الخروج منها ، ثم اتفقوا على حفر خندق حول المدينة كما فعل رسول الله ﷺ يوم الأحزاب ، فأجاب إلى ذلك كله ، وحفر مع الناس في الخندق بيده اقتداء برسول الله ﷺ ، وقد ظهر لهم ليلة من الخندق الذي حفره رسول الله ﷺ ، فخرجوا بفلك وكبروا وبشروه بالنصر . وكان جداراً عليه قباه أبيض وفي وسطه منطقة ، وكان شكلاً ضغماً أحمر عظيم الهامة .

ولما نزل عيسى بن موسى الأعوص واقترب من المدينة ، صعد محمد بن عبد الله المنبر فخطب الناس وحثهم على الجهاد . وكانوا قريباً من مائة ألف . فقال لهم في جملة ما قال : إني جئتكم في حل من بيعتي ، فمن أحب منكم أن يقيم عليها فلي . ومن أحب أن يتركها فلي . فقتل كثير منهم أو أكثرهم عنه ، ولم يبق إلا شذمة قليلة معه ، وخرج أكثر أهل المدينة بأهلهم منها لئلا يشهدوا القتال بها ، فقتلوا الأعراض ورؤس الجبال . وقد بعث محمد أبا إليث ليردم عن الخروج فلم يمكنه ذلك في أكثرهم ، واستمر وا ذاهبين . وقال محمد لرجل أتأخذ سيفاً . ورعها وترد هؤلاء الذين خرجوا من المدينة ؟ فقال : نعم إن أعطيتي رءساً أطعمهم وهم بالأعراف ، وسيفاً أضربهم وهم في رؤس الجبال فملت . فسكت محمد ثم قال لي : ويحك ؟ إن أهل الشام والعراق وخراسان قد يبضوا - يعني لبسوا البياض - موافقة لي وخلصوا السواد . فقال : وماذا ينبغي أن لو بقيت الدنيا زبدية بياضاً - وأنا في مثل صوفة الدواة - وهذا عيسى بن موسى تازل بالأعوص . ثم جاء عيسى بن موسى فقتل قريباً من المدينة ، على ميل منها ، فقال له دليله ابن الأصب : إني أخشى إذا كشفتهم أن يرجعوا إلى مسكرهم سريعاً قبل أن تدر كهم الخليل . ثم ارتحل به فأنزله الجرف على سقاية سليمان بن عبد الملك على أربعة أميال من المدينة ، وذلك يوم السبت لصبح الثنتي عشرة ليلة خلت من رمضان من هذه السنة . وقال : إن الراجل إذا هرب لا يقدر على المرولة أكثر من ميلين أو ثلاثة فتدركه الخليل .

وأرسل عيسى بن موسى خمسمائة فارس فقتلوا عند الشجرة في طريق مكة ، وقال لهم هذا الرجل إن هرب فليس له ملجأ إلا مكة ، فحولوا بينه وبينها . ثم أرسل عيسى إلى محمد يدعو إلى السمع والطاعة لأمر المؤمنين المنصور ، وأنه قد أعطاه الإيمان له ولا هل بينه إن هو أجابه . فقال محمد للرسول : لو لا أن الرسل لا تقتل لقتلتك . ثم بعث إلى عيسى بن موسى يقول له : إني أدعوك إلى كتاب الله وسنة رسوله ، فأخبر أن تمتنع فأنتك فتكون شر قتيل ، أو تقتل فتكون قتيل من دعائك إلى الله ورسوله . ثم جعلت الرسل تتردد بينهما ثلاثة أيام : هذا يدعو هذا ، وهذا يدعو هذا . وجعل عيسى بن موسى يقف في كل يوم من هذه الأيام الثلاثة على التنية عند سلع فينادي : يا أهل المدينة إن دعاءكم علينا حرام فن جاءنا فوق تحت وابتنا فهو آمن ، ومن خرج من المدينة فهو آمن ، ومن دخل داره فهو آمن ، ومن ألقى سلاحه فهو آمن ، فليس لنا في قتالكم أرب ، وإنما نريد محمداً

وحده لنذهب به إلى الخليفة . فجعلوا يسبون ويثألون من أمه ، ويكلمونه بكلام شنيع ، ويخطبونه مخاطبة فظيعة . وقالوا له : هذا ابن رسول الله ﷺ معنا ونحز معه ، نقاتل دونه .

فما كان اليوم الثالث أنام في خيل ورجال وسلاح ورماح لم ير مثلها ، فناداه يا محمد ! إن أمير المؤمنين أأمرني أن لا أقاتلك حتى أدعوك إلى الطاعة ، فإن فعلت أمرك وقضى دينك وأعطاك أموالا وأراضي ، وإن أبيت فأتلتك فقد دعوتك غير مرة . فناداه محمد : إنه ليس لكم عندي إلا القتال . فنشبت الحرب حينئذ بينهم ، وكان جيش عيسى بن موسى فوق أربعة آلاف ، وعلى مقدمته حيد بن قحطبة ، وعلى ميمنته محمد بن السماع ، وعلى ميسرته داود بن كزار ، وعلى الساقة الهيثم بن شعبة ، ومعهم عدد لم ير مثلها . وفرق عيسى أصحابه في كل قطر طائفة . وكان عدو أصحابه على عدة أصحاب أهل بدر ، واقتتل الفريقان قتالا شديداً جداً ، وترجل محمد إلى الأرض فيقتال ، إنه قتل بيده من جيش عيسى بن موسى سبعين رجلاً من أبطالهم ، وأحاط بهم أهل الرماح فقتلوا طائفة من أصحاب محمد بن عبد الله بن حسن ، فالتحقوا عليهم انخسفت القلى كانوا حذروه وعملوا أبواباً على قدره ، وقيل إنهم رموه بمدايح الجبال حتى أمكنهم أن يبيروه ، وقد يكونون فعلوا هذا موضع منه ، وهذا في موضع آخر والله أعلم .

ولم تزل الحرب ناشبة بينهم حتى صليت العصر . فهاضلى محمد العصر نزولاً إلى مسيل الراوى بسلم فسكر خنق سيفه وعقر فرسه وفضل أصحابه مثله وصبروا أنفسهم للقتال وحيث الحرب حينئذ جداً ، فاستظهر أهل الرماح ورضوا راية سوداء فوق سلم ، ثم دثوا إلى المدينة فمخلوها ونصبوا راية سوداء فوق مسجد رسول الله ﷺ .

فما رأى ذلك أصحاب محمد تتادوا : أخذت المدينة ، وهربوا وبقي محمد في شرخرة قليلة جداً . ثم بقي وحده وليس معه أحد ، وفي يده سيف صلت يضرب به من تقدم إليه ، فكان لا يقوم له شيء إلا أنامه ، حتى قتل خلقاً من أهل الرماح من الشجران ، ويقال إنه كان في يده يومئذ ذو الفقار ثم تكلم عليه الناس فقدم إليه رجل فضر به بسيفه تحت شعبة أذنه اليمنى فسقط لركبته وجعل يحمى فذه ويقول : ويحك ابن نبيكم مجروح مظلوم . وجعل حيد بن قحطبة يقول : ويحك ادعوه لا تقتلوه ، فأحجم عنه الناس وتقدم إليه حيد بن قحطبة فحز رأسه وذهب به إلى عيسى بن موسى فوضعه بين يديه . وكان حيد قد حلف أن يقتله متى رآه ، فما أدركه إلا كذتك . ولو كان على حاله وقوته لما استطاعه حيد ولا غيره من الجيش .

وكان مقتل محمد بن عبد الله بن حسن عند أحجار الزيت يوم الاثنين بعد العصر ، لأربع عشرة ليلة خلت من رمضان سنة خمس وأربعين ومائة ، وقال عيسى بن موسى لأصحابه حين وضع

رأسه بين يديه : ما تقولون فيه ؟ فقال منه أقوام وتكلموا فيه ، فقال رجل : كذبتم والله ! لقد كان صواماً قواماً ، ولكنه خالف أمير المؤمنين وشق عصي المسلمين فقتلناه على ذلك . فحكوا حينئذ وأما سيفه ذو القنار فانه صار إلى بني العباس يتوارثونه حتى جر به بعضهم فحضر به كائناً قطع ذكره ابن جرير وغيره . وقد بلغ المنصور في غيوره هذا الأمر أن محمداً فر من الحرب فقال : هذا لا يكون ، فأتاه أهل بيت لا نفر .

وقال ابن جرير : حدثني عبد الله بن راشد حدثني أبو الحجاج قال : إني لقائم على رأس المنصور وهو يسألني عن مخرج محمد ، إذ بلغه أن عيسى بن موسى قد انهزم وكان متكئاً مجلساً فحضر بضرب منه مصلا وقال : كلا وأبى لعن صبيانا بها على المنابر ومشورة النساء ؟ ما أتى ذلك بعد . وبعث عيسى بن موسى بالبشارة إلى المنصور مع القاسم بن الحسن وبالرأس مع ابن أبي الكرام ، وأمر بدفن الجثة دفن بالبقيع ، وأمر بأصحابه الذين قتلوا معه فصلبوا صفين ظاهر المدينة ثلاثة أيام ثم طرحوا على مقبرة اليهود عند سلع . ثم قلوا إلى خندق هناك . وأخذ أموال بني حسن كلها فسوزها له المنصور ، ويقال إنه ردها بصدك إليهم ، حكاه ابن جرير . وتوعد في أهل المدينة بالأمم فأصبح الناس في أسواقهم ، وترفع عيسى بن موسى في الجيش إلى الجرف من مطر أصاب الناس يوم قتل محمد ، وجعل يلتب السجدة من الجرف ، وأقام بالمدينة إلى اليوم التاسع عشر من رمضان ، ثم خرج منها قادماً مكة وكان بها الحسن بن معاوية من جهة محمد ، وكان محمد قد كتب إليه يقدم عليه ، فلما خرج من مكة وكان يبيض الطريق تلتقه الأخبار بقتل محمد ، فاستمر ذاراً إلى البصرة إلى أخى محمد إبراهيم بن عبد الله ، الذي كان قد خرج بها ثم قتل بعد أخيه في هذه السنة على ما سذكروه . ولما نجى المنصور برأس محمد بن عبد الله بن حسن فوضع بين يديه أمر به فطيف به في طبق أبيض ثم طيف به في الأقاليم بعد ذلك ، ثم شرع المنصور في استدعاء من خرج مع محمد من أشرف أهل المدينة ، فذهب من قتلهم ومنهم من ضرب به ضرباً مبرحاً ، ومنهم من عفا عنه . ولما توجه عيسى إلى مكة استقبل على المدينة كثير بن حصين ، فاستمر بها شهراً حتى بعث المنصور على ثيابها عبد الله بن الزبيع ، فأتى جنده في المدينة فصاروا إذا اشترقوا من الناس شيئاً لا يسطونهم عنه ، وإن طولوا بذلك ضربوا المطالب وخوفوه بالقتل ، فكلوا عليهم طائفة من السواد واجتمعوا ونفخوا في بوق لهم فاجتمع على صوته كل أسود في المدينة ، وحملوا عليهم حملة واحدة وهم ذاهبون إلى الجمعة ، لسبع مئين من ذى الحجة من هذه السنة ، وقيل خمس مئين من شوال منها ، فقتلوا من الجند طائفة كثيرة بالزراقي وغيرها ، وهرب الأمير عبد الله بن الزبيع وترك صلاة الجمعة . وكان رؤس السواد : وثيق ويعلى ورمقة وحسبي وعنقود وسمر ، وأبو النار . فلما رجع عبد الله بن الزبيع ركب في جنوده

والتقى مع السودان فبزموه أيضاً فاحتوه بالقبض فأتى لهم رداؤه يشغلهم فيه حتى نجا بنفسه ومن اتبعه ، فطعن بطنه فمحل على ليتين من المدينة ، ووقع السودان على طامع المنصور كان هزوماً في دار مروان قد قدم به في البحر فتهبوه ونهبوا ما لجند الذين بالمدينة من دقيق وسويق وغيره ، وباعوا ذلك بأرخص ثمن . وذهب الخبر إلى المنصور بما كان من أمر السودان ، وخاف أهل المدينة من مرة ذلك ، فاجتمعوا بخطبهم ابن أبي حمزة - وكان مسجوناً - فصعد المنبر وفي رجله القيود ، فحثهم على السمع والطاعة للمنصور ، وخوفهم شر ما صنعه مواليتهم ، فاتفق رأيهم على أن يكفوا مواليتهم ويفرقوا وينهبوا إلى أبيهم فيردوه إلى محله ، فخطبوا ذلك ، فسكن الأمر وهذا الناس وانطغات الشرور ، ورجع عبد الله بن الربيع إلى المدينة فقطع يد وثيق وأبى البارء يقتل ومعه .

( ذكر خروج إبراهيم بن عبد الله بن حسن بالبصرة وكيفية مقتله )

كان إبراهيم قد هرب إلى البصرة فقتل في بني ضبيعة من أهل البصرة ، في دار الحارث بن عيسى ، وكان لا يرى بالهنا ، وكان قدومه إليها بعد أن طاف بلاداً كثيرة جداً ، وجرت عليه وعلى أخيه خطوط شديدة هائلة ، وانفذ أسباب هلاكهما في أوقات متتحدة ، ثم كان آخر ما استقر أمره بالبصرة في سنة ثلاث وأربعين ومائة ، بعد منصرف الحجيج . وقيل إن قدومه إليها كان في مسهل رمضان سنة خمس وأربعين ومائة ، بثت أخوه إليها بعد ظهوره بالمدينة ، قاله الوافدي . قال : وكان يدعو في السر إلى أخيه ، فلما قتل أخوه أظهر الدعوة إلى نفسه في شوال من هذه السنة ، والشهور أنه قدمها في حياة أخيه ودعا إلى نفسه كما تقدم والله أعلم .

ولما قدم البصرة نزل عند يحيى بن زياد بن حسان النبطي ، فاخفى عنده هذه المدة كلها ، حتى ظهر في هذه السنة في دار أبي فروة ، وكان أول من بايحه عميلة بن مرة ، وعبد الله بن سفيان ، وعبد الواحد بن زياد ، وعمر بن سلمة الهجيني ، وعبد الله بن يحيى بن حصين الرقاشي . وندبوا الناس إليه فاستجاب له خلق كثير فتحول إلى دار أبي مروان في وسط البصرة ، واستفعل أمره ، وبايحه فقام من الناس ، وتغلم الخطب به ، وبلغ خبره إلى المنصور فزاد غماً إلى غمه بأخيه محمد ، وذلك لأنه ظهر قبل مقتل أخيه ، وإنما كان سبب تمجيده الظهور بكتاب أخيه إليه فامتثل أمره ودعا إلى نفسه ، فانتظم أمره بالبصرة ، وكان تابعاً من جهة المنصور سفيان بن معاوية وكان ممالئاً لإبراهيم هذا في الباطن ، ويبلغ أخباره فلا يكثر بها ، ويكتب من أخبره ويود أن يتضح أمر إبراهيم ، وقد أمسه المنصور بأمرين من أهل خراسان ممهما ألفاً فارس وراجل ، فأرسلهما عنده ليتقوى بهما على محاربة إبراهيم ، وتحول المنصور من بغداد - وكان قد شرع في عمارتها - إلى الكوفة ، وجعل كلما اتهم رجلاً من أهل الكوفة في أمر إبراهيم يثب إليه من يقتله في الليل في منزله ، وكان الفرافصة

المجلى قدم بالثوب بالكوفة فلم يمكنه ذلك لمكان المنصور بها ، وجعل الناس يقصرون البصرة من كل فج لمباينة إبراهيم ، ويفدون إليها جماعات وفرادى ، وجعل المنصور يرصد لهم المسالح فيقتلونهم في الطريق ، ويأتونه برؤسهم فيصلبها بالكوفة ليتعظ بها الناس . وأرسل المنصور إلى حرب الراوندى - وكان مرابطاً بالجزيرة في أنى فارس لقتال الغلوارج - يستدعيه إليه إلى الكوفة ، فأقبل عن معه فاجتاز ببيلة بها أنصار لا إبراهيم فقالوا له : لا ندعك تجتاز ، لأن المنصور إنما دعاك لقتال إبراهيم . فقال : ويحكم ! دعوى ، فأبوا قتلتهم فقتل منهم خمائة وأرسل برؤسهم إلى المنصور . فقال : هذا أول الفتح . ولما كانت ليلة الاثنين مستهل رمضان من هذه السنة ، خرج إبراهيم في الليل إلى مقبرة بنى يشكر في بضعة عشر فارساً ، وقدم في هذه الليلة أوحاد الأبرص في أنى فارس مدحاً سفيان ابن معاوية ، فأنزلهم الأمير في القصر ، ومال إبراهيم وأصحابه على دواب أولئك الجيش وأسلحتهم فأخفوه أجيماً ، فنقروا بها ، فكان هذا أول ما أصاب . وما أصبح الصباح إلا وقد استظهر جداً ، فصلى بالناس صلاة الصبح في المسجد الجامع ، والتف اغللاق عليه ما بين فاطم وناصر ، وتحصن سفيان بن معاوية نائب الخليفة بقصر الامارة وحبس عنده الجنود فحاصروا إبراهيم ، فطلب سفيان ابن معاوية من إبراهيم الأمان فأعطاه الأمان ، ودخل إبراهيم قصر الامارة فبسط له حصير ليجلس عليها في مقدم إیران القصر ، فهبّت الريح فقلبت الحصير ظهراً لبطن ، فتطير الناس بذلك ، فقال إبراهيم : إنا لا نتطير . وجلس على ظهر الحصير ، وأمر بحبس سفيان بن معاوية مقيداً وأراد بذلك براءة سخته عند المنصور ، واستحوذ على ما كان في بيت المال فاذا فيه ستمائة ألف ، وقيل ألفاً ألفاً . فتوى بذلك جداً .

وكان في البصرة جعفر وعبد ابن سفيان بن علي ، وهما أبناء عم الخليفة المنصور ، فركبا في ستمائة فارس إليه فهزمهما ، وأركب إبراهيم المضاء بن القاسم في ثمانية عشر فارساً وثلاثين رجلاً فهزم ستمائة فارس كانت لها . وآمن من بقى منهم ، وبعث إبراهيم إلى أهل الاهواز فيأبئوه وأطاعوه ، وأرسل إلى نائبها مائى فارس عليهم المغيرة ففرج إليه عبد بن الحصين نائب البلاد في أربعة آلاف فارس فهزمه المغيرة واستحوذ على البلاد ، وبعث إبراهيم إلى بلاد فارس فأخضعها ، وكذلك واسط والمعاثن والسواد ، واستفعل أمره جداً ، ولكن لما جاءه نعى أخيه محمد انكسر جداً ، وصلى بالناس يوم العيد وهو مكسور . قال بعضهم : والله لقد رأيت الموت في وجهه وهو يطلب الناس فنمى إلى الناس أنه ممد ، فزاد الناس حقاً على المنصور وأصبح فسكر بالناس واستلب على البصرة نخيلة وخلف ابنه حسنا معه .

ولما بلغ المنصور خبره تحير في أمره وجعل يتأسف على ما فرق من جنده في الممالك ، وكان قد



بمّث مع ابنه المهدى ثلاثين ألفاً إلى الرى ، وبمّث مع محمد بن الأشعث إلى إفريقية أربعين ألفاً .  
 والباقيون مع عيسى بن موسى بالحجاز ، ولم يبق مع المنصور سوى ألفى فارس . وكان يأمر بالنيران  
 الكثيرة فتوقد ليلاً ، فيحسب الناظر إليها أن ثم جنوداً كثيراً . ثم كتب المنصور إلى عيسى بن  
 موسى : إذا قرأت كتابى هذا فأقبل من فورك ودع كل ما أفت فيه . فلم يذهب أن أقبل إليه فقال  
 له : اذهب إلى إبراهيم بالبصرة ولا يهولك كثرة من معه ، فانهم جلا بى هاشم المقتولان جميعاً ،  
 فأبسط يدك وفق بما عندك وستذكر ما أقول لك فكان الأمر كما قال المنصور . وكتب المنصور  
 إلى ابنه المهدى أن يوجه خازم بن خزيمة فى أربعة آلاف إلى الأهواز ، فذهب إليها فأخرج منها  
 نائب إبراهيم . وهو المنيرة . وأباحتها ثلاثة أيام ، ورجع المنيرة إلى البصرة ، وكذلك بمّث إلى كل  
 كورة من هذه الكور التى قضت بيته جنوداً يردون أهلها إلى الطاعة . قالوا : ولزم المنصور موضع  
 مصلاد فلا يبرح منه ليلاً ونهاراً فى ثياب بظلمة قد أفسخت ، فلم يزل مقبلاً هناك بضعا وخمسين يوماً  
 حتى فتح الله عليه . وقد قيل له فى غيبون ذلك : إن نساءك قد خبيثت فنهبن لثيبتك عنهن . فأنهر  
 التائل وقال : ويحك ليست هذه أيام نساء ، حتى أرى رأس إبراهيم بين يدي ، أو يحمل رأسى إليه .

وقال بعضهم : دخلت على المنصور وهو مهوم من كثرة ما وقع من الشرور ، وهو لا يستطيع  
 أن يتابع الكلام من كثرة همه ، وما تغنى عليه من الفتوق والخروق ، وهو مع ذلك قد أعد لكل  
 أمر ما يسد خلله به ، وقد خرجت عن يده البصرة والأهواز وأرض فارس والمدائن وأرض السواد ،  
 وفى الكوفة عنده مائة ألف مقعدة سبورها تنظر به صبيحة واحدة ، فيقبون مع إبراهيم ، وهو مع  
 ذلك يترك النوائب ويعرسها ولم تقدم به نفسه وهو كما قال الشاعر :

فخس عصام سودت عصاما • وعلته الكر والاقداما • فصيرته ملكا هماما

وأقبل إبراهيم بساكر من البصرة إلى الكوفة فى مائة ألف مقاتل فأرسل إليه المنصور عيسى  
 ابن موسى فى خمسة عشر ألفاً ، وعلى مقدمته حميد بن قحطبة فى ثلاثة آلاف . وجاء إبراهيم قتل  
 فى باخرى فى جحافل عظيمة ، فقال له بعض الأمراء : إنك قد إقتربت من المنصور فلو أنك سرت  
 إليه بطائفة من جيشك لأخفت بقله فانه ليس عنده من الجيوش ما يردون عنه . وقال آخرون :  
 إن الأولى أن تتأخر هؤلاء الذين بإزائنا ، ثم نوقى قبضتنا . فتنام ذلك عن الرأي الأول . ولو ضله  
 لم لم الأمر . ثم قال بعضهم : خندق حول الجيش . وقال آخرون : إن هذا الجيش لا يحتاج إلى  
 خندق حوله ، فترك ذلك . ثم أشار بعضهم أن يبيت جيش عيسى بن موسى فقال إبراهيم : أنا  
 لا أرى ذلك ، فتركه . ثم أشار آخرون بأن يحمل جيشه كراديس فان غلب كرادوس ثبت الآخر ،  
 وقال آخرون : الأولى أن قتال صفوفاً قوله تعالى ( إن الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله مفا

كانهم يبنين مرموص) . [ والامر لله وما شاء فعل ولو ساروا إلى الكوفة وبنوا الجيش أو جعل جيشه كراديس ثم له الأمر مع تقدير الله تعالى ] (١)

وأقبل الجيشان فقتلوا في باخرى وهي على ستة عشر فرسًا من الكوفة فاقتتلوا بها قتالا شديداً فانهزم حديد بن قطبة بن ميه من القعدة ، فحمل عيسى ينالدهم الله في الرجوع والكوفة فلا يلقى عليه أحد ، وثبت عيسى بن موسى في مائة رجل من أهله ، وقيل له : لو ترحلت من مكانك هذا لتلا يحملك جيش إبراهيم فقال : والله لا أزول منه حتى يفتح الله لي أو أقتل هاهنا . وكان المنصور قد قدم إليه بما أخبره به بعض المنجمين أن الناس يكون لهم جولة عن عيسى بن موسى ثم يقومون إليه وتكون العاقبة له ، فاستمر المهزومون ذاهبين فاتهبوا إلى نهر بين جبلين فلم يمكنهم خوضه ففكروا راجعين بأجسامهم ، وكان أول واجع حميد بن قحطبة الذي كان أول من انهزم . ثم انهزم أصحاب إبراهيم فاقتتلوا قتالا شديداً ، وقتل من كلا الفريقين خلق كثير ، ثم انهزم أصحاب إبراهيم وثبت هو في خمائة ، وقيل في أربعمائة . وقيل في تسعين رجلاً ، واستظهر عيسى بن موسى وأصحابه ، وقتل إبراهيم في جملة من قتل واختلط رأسه مع رؤس أصحابه ، فحمل حميد ياقى بالروس إلى عيسى بن موسى حتى عرفوا رأس إبراهيم فبعضوه مع البشير إلى المنصور ، وكان ينيخت المنجم قد دخل على المنصور قبل مجيء الرأس فأخبره أن إبراهيم مقتول فلم يصدقه ، فقال : يا أمير المؤمنين إن لم تصدقني فأجسني فإن لم يكن الأمر كما ذكرت فقتلني . فبينما هو عنده إذ جاء البشير بهزيمة جيش إبراهيم ، ولما جرى بالرأس تحمل المنصور بيت منقرب بن أوس بن حمار البارق : فألقت عصاها واستقر بها النوى • كما قرء عينا بالآيات المسافر

وقيل إن المنصور لما رأى الرأس بكى حتى جعلت دموعه تسقط على الرأس وقال : والله لقد كنت لها غداً كلها ، ولكنك ابتليت بي وابتليت بك . ثم أمر بالرأس فنصب بالسوق . وأقطع نبيخت المنجم الكفلب ألفي جريب .

[ فهذا المنجم إن كانت قد أصاب في قضية واحدة فقد أخطأ في أشياء كثيرة ، فهم كذبه كفه . وقد كان المنصور في ضلال مع منجمه هذا ، وقد ورث الملوك اعتقاد أقوال المنجمين وذلك ضلال لا يبروز ] (٢)

وذكر صالح مولى المنصور قال : لما جرى برأس إبراهيم جلس المنصور مجلساً علماً وجعل الناس يدخلون عليه فيهنثونه وينالون من إبراهيم ويحبون الكلام فيه ابتغاء مرضاة المنصور ، والمنصور ساكت متغير اللون لا ينطق ، حتى دخل جعفر بن حنظلة البهراني فوقف فلم يسم قال : أعظم الله (١) ، (٢) سقط من المصرفة .

أجرك يا أمير المؤمنين في ابن محمك وغفر له ما فرط فيه من حنك . قال طاهر لون المنصور وقبيل عليه وقال له : يا أبا خالد مرحباً وأهلاً ، ههنا جالس . فسلم الناس أن ذلك وقع منه موقفاً جيداً . فحصل كل من جاء يقول كما قال جعفر بن حنظلة . قال أبو نعيم الفضل بن دكين : كان مقتل إبراهيم في يوم الخميس لحس ثين من ذى الحجة من هذه السنة .

### ﴿ ذكر من توفي فيها من الأعيان ﴾

فمن أعيان أهل البيت عبد الله بن حسن وابناه محمد وإبراهيم ، وأخوه حسن بن حسن ، وأخوه لأمه محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان الملقب بالديباج . وقد تقدمت ترجمته .

وأما أخوه عبد الله بن حسن بن علي بن أبي طالب القرشي الهاشمي فتابعه ، روى عن أبيه وأمه طائفة بنت الحسين وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، وهو محباني جليل ، وفهرم . وروى عنه جماعة منهم صفيان الثوري والهرارودي ومالك ، وكان مستظلاً عند السلطان ، وكان حابداً كبير القدر . قال يحيى بن معين : كان ثقة صدوقاً ، وفد على عمر بن عبد العزيز فأكرمه ، ووفد على السفاح فضله وأعطاه ألف ألف درهم ، فذاول المنصور عليه بسكنى ذلك ، وكذلك أولاده وأهل ، وقد مضوا جميعاً والتفوا عند الله عز وجل ، وأخذه المنصور وأهل بيته مقيدون مغلولين مهانين من المدينة إلى الهاشمية ، فأودعهم السجن الضيق كما قدمنا ، فلت أكرهم فيه ، فكان عبد الله بن حسن هذا أول من مات فيه بعد خروج والده محمد بالمدينة ، وقد قيل إنه قتل في السجن بعداً . وكان عمره يوم مات خمسا وسمين سنة ، وصلى عليه أخوه لأمه الحسن بن الحسن بن علي . ثم مات بعده أخوه حسن فصرى عليه أخوه لأمه محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان . ثم قتل بعدهما وحمل رأسه إلى خراسان كما تقدم .

وأما ابنه محمد الذي خرج بالمدينة فروى عن أبيه ونفع ، وعن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة في كيفية البري إلى السجود ، وحدث عنه جماعة ، ووجه النساق وابن حبان وقال البخاري : لا يتابع على حديثه . وقد ذكر أن أمه جلست به أربع سنين ، وكان طويلاً سمياً أحمراً ضخمًا ذا حمة سلبية ، وسطوة عالية وشجاعة باهرة ، قتل بالمدينة في منتصف رمضان سنة خمس وأربعين ومائة ، وله خمس وأربعون سنة . وقد حملوا رأسه إلى المنصور ، وطيف به في الأقاليم . وأما أخوه إبراهيم فكان ظهوره بالبصرة بعد ظهور أخيه بالمدينة وكان مقتله بعد مقتل أخيه في ذى الحجة من هذه السنة وليس له شيء في الكتب الستة ، وحكي أبو داود الجستانی عن أبي هوانة أنه قال : كان إبراهيم وأخوه محمد خارجين . قال داود : ليس كما قال ، ههنا رأى الزينية . قلت : وقد حكى من جماعة من العلماء والأئمة أنهم حملوا إلى ظهورهما .

( وفيها توفي من المشاهير والأعيان )

الأجلح بن عبد الله ، وإسماعيل بن أبي خالد في قول ، وجبيب بن الشهيد ، وعبد الملك بن أبي سليمان ، وعمر بن مولى عفرة ، ويحيى بن الحارث الدماري ، ويحيى بن سعيد أبو حيان النخعي ، ورؤبة بن المعجاج والمعجاج لقب واحمه أبو الششاء عبد الله بن رؤبة ، وأبو محمد النخعي البصري ، الرازي بن الرازي ، ولكل منهما ديوان رجز ، وكل منهما بارع في فنه لا يجاري ولا يجاري ، عالم بالغة . وعبد الله بن المقفع الكاتب الفوه ، أسلم على يد عيسى بن علي عم السفاح والمنصور ، وكتب له ، وله رسائل وألفاظ صحيحة ، وكان منهما بالزندقة ، وهو القى صنف كتاب كلية ودمنة ، ويقال : بل هو القى عربيها من المحوسبة إلى المربية . قال المهدي : ما وجد كتاب زندقة إلا وأصله من ابن المقفع ، ومطيع بن إياس ، ويحيى بن زياد . قالوا ونسى الجاحظ وهو رابعهم . وكان مع هذا فاضلا بارعا فصيحاً . قال الأصمعي : قيل لابن المقفع من أدبك ؟ قال : نفسي ، إذا رأيت من غيري قسماً . أيته ، وإذا رأيت حسناً أتيتنه . ومن كلامه : شربت من الخطب رياء ، ولم أضبط طاروياً ، ففاضت ثم فاضت ، فلهي نظاماً ، ولا نذيت غيرها كلاماً ،

وكان قتل ابن المقفع على يد سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلب بن أبي صفرة نائب البصرة ، وذلك أنه كان يبعث به ويسب أمه ، وإنما كان يسميه ابن الملح ، وكان كبير الأنف ، وكان إذا دخل عليه يقول : السلام عليكاً . على سبيل التهمك . وقال لسفيان بن معاوية مرة : ما نذمت على سكوت قط . فقال : صدقت ، نخرس لك خير من كلامك . ثم اتفق أن المنصور غضب على ابن المقفع فكتب إلى نائبه سفيان بن معاوية هذا أن يقتله ، فأخذه فأحى له تنوراً وجعل يقطعه إرباً إرباً ويلقيه في ذلك التنور حتى حرقه كله وهو ينظر إلى أطرافه كيف تقطع ثم تحرق ، وقبل غير ذلك في صفة قتله . قال ابن خلكان : ومنهم من يقول إن ابن المقفع نسب إلى بيع القناع وهي من الجريد كازنبيل بلا آذان ، والصحيح أنه ابن المقفع وهو أبو دارويه كان الحجاج قد استعمله على أنخراج نغان فضايقه حتى تقطعت يده والله أعلم .

وفيها خرج الترك واخترز بيباب الأبواب قتلوا من المسلمين بأرمينية جماعة كثيرة . وبعث بالناس في هذه السنة نائب المدينة عبد الله بن الربيع الحارثي . وعلى الكوفة عيسى بن موسى ، وعلى البصرة مسلم بن قتيبة ، وعلى مصر يزيد بن حاتم .

ثم دخلت سنة ست وأربعين ومائة

فيها تكامل بناء مدينة السلام ببغداد ، وسكنها المنصور في صفر من هذه السنة ، وكان مقبلاً

ذلك بالمأخضة المتأخرة للكوفة ، وكان قد شرع في بنائها في السنة الخارجة ، وقيل في سنة أربع وأربعين ومائة فأنه أعلم .

وقد كان السبب الباعث له على بنائها أن الراوندية لما وثبوا عليه بالكوفة ووقاه الله شرهم ، بقيت منهم بقية غشيت على جنده منهم ، فخرج من الكوفة يتأذى لهم موضعاً لبناء مدينة ، فسار في الأرض حتى بلغ الجزيرة فلم ير موضعاً أحسن لوضع المدينة من موضع بغداد التي هي فيه الآن ، وذلك بأنه موضع ينسأ إليه ويراح بخيرات ما حوله في البر والبحر ، وهو محصن بدجلة والفرات من هنا وهناك ، لا يخطر أحد أن يتوصل إلى موضع الخليفة إلا على جسر ، وقد بات به المنصور قبل بنائه ليالي فرأى الريح تهب به ليلاً ونهاراً من غير انحصار ولا غبار ، ورأى طيب تلك البقعة وطيب هواها ، وقد كان في موضعها قرى وديور لمباد النصارى وغيرهم . ذكر ذلك مفصلاً بأسمائه وتعداد أبو جعفر ابن جرير . فحينئذ أمر المنصور باخطاطها فرسموها له بالمراد فشق في طرقها ومسالكها فأعجبته ذلك ، ثم سلم كل ربيع منها لأمر يقوم على بنائه ، وأحضر من كل البلاد فصلاً وصناعاً ومهندسين ، فاجتمع عنده ألوف منهم ، ثم كان هو أول من وضع لينة فيها يبسده وقال : بسم الله والحمد لله ، والأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين . ثم قال : ابنوا على بركة الله . وأمر ببنائها مسدورة سمك سورها من أسفلها خمسون ذراعاً ، ومن أعلاها عشرون ذراعاً ، وجعل لها ثمانية أبواب في السور البراني ، ومثلها في الجواني ، وليس كل واحد تجاه الآخر ، ولكن جملة أزور عن التي يليه ، ولهذا سميت بغداد الزوراء ، لازورار أبوابها بعضها عن بعض ، وقيل سميت بذلك لانحراف دجلة عندها . وبنى قصر الامارة ، وسط البلد ليكون الناس منه على حد سواء ، واخط المسجد الجامع إلى حائط القصر ، وكان الذي وضع قبله الحاجب بن أوطاة . وقال ابن جرير : ويقال إن في قبلته انحرافاً يحتاج المصل فيه أن ينحرف إلى ناحية باب البصرة ، وذكر أن مسجد الرصافة أقرب إلى الصواب من لأنه بنى قبل القصر ، وجامع المدينة بنى على القصر ، فاختلفت قبلته بسبب ذلك . وذكر ابن جرير عن سليمان بن مجاهد أن المنصور أراد أن يحنيفة النعمان بن ثابت على القضاء بها فأبى وامتنع فغلب المنصور أن يتولى له ، وحلف أبو حنيفة أن لا يتولى له ، فولاها القيام بأمر المدينة وضرب الدين . وأخذ الرجال بالعمل ، فتولى ذلك حتى فرغوا من استئثار حائط المدينة بما على الخندق ، وكان استئثاره في سنة أربع وأربعين ومائة . قال ابن جرير : وذكر عن الهيثم بن عدي أن المنصور عرض على أبي حنيفة القضاء والمظالم فامتنع ، فغلب أن لا يجعل عنه حتى يعمل له ، فأخبر بذلك أبو حنيفة فندما بقصة فمد ابن لير بذلك عني أبي جعفر ، ومات أبو حنيفة ببغداد بعد ذلك . وذكر أن خالد بن برمك هو الذي أشار على المنصور ببنائها ، وأنه كان مستحثاً فيها للصناع ، وقد شاور المنصور

الأمرأ في قتل القصر الأبيض من المدائن إلى بغداد لأجل قصر الامارة بها ، فقالوا : لا تفعل فإنه آية في العالم ، وفيه مصلى أمير المؤمنين على بن أبى طالب . فخالفهم وقُتل منه شيئاً كثيراً فلم يبق ما يحصل منه بأجرة ما يصرف في حله فتركه ، وقُتل أبواب قصر واسط إلى أبواب قصر الامارة ببغداد . وقد كان الحجاج نقل حجراته من مدينة هناك كانت من بناء سليمان بن داود ، وكانت الجن قد عملت تلك الأبواب ، وهى حجارة هائلة . وقد كانت الأسواق وضجيجها تسمع من قصر الامارة ، فكانت أصوات الباعة وهوسات الأسواق تسمع منه ، فعاب ذلك بعض بطارقة الصارى ممن قدم في بعض الرسائل من الروم ، فأمر المنصور بنقل الأسواق من هناك إلى موضع آخر ، وأمر بتوسعة الطرقات أربعين ذراعاً في أربعين ذراعاً ، ومن بنى في شئ من ذلك هدم .

قال ابن جرير : وذكر عن عيسى بن المنصور أنه قال : وجدت في خزانة المنصور في الكتب أنه أنفق على بناء مدينة السلام ومسجدها الجامع وقصر الذهب بها والأسواق وغير ذلك ، أربعة آلاف ومائتا ألف ومائة ألف وثلاثة وثمانين ألف درهم ، وكان أجرة الأستاذ من البنائين كل يوم قيراط فضة ، وأجرة الصانع من الحثيين إلى الثلاثة . قال الخطيب البغدادي : وقد رأيت ذلك في بعض الكتب ، وحكى عن بعضهم أنه قال : أنفق عليه ثمانية عشر ألف ألف الله أعلم .

وذكر ابن جرير أن المنصور ناقص أحد المهندسين الذى بنى له بيتاً حسناً في قصر الامارة فنقصه درهما عما ساومه ، وأنه حاسب بعض المستحقين على الذى كان عنده ففضل عنده خمسة عشر درهما فحبسه حتى جاء بها وأحضرها وكان شحيحاً . قال الخطيب : وبنائها مدورة ، ولا يعرف في أقطار الأرض مدينة مدورة سواها ، ووضع أساسها في وقت اختاره له تويضت المنجم . ثم ذكر عن بعض المنجمين قال قال لى المنصور لما فرغ من بناء بغداد : خذ الطالع لها ، فنظرت في طالعها . وكان المشتري في القوس - فأخبرته بما تمل عليه النجوم ، من طول زمامها ، وكثرة عمارتها ، وانصباب الدنيا إليها وقهر الناس الى ما فيها . قال : ثم قلت له : وأبشرك يا أمير المؤمنين أنه لا يموت فيها أحد من الخلفاء أبداً . قال : فأرأيت به يتسم ثم قال : الحمد لله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم . وذكر عن بعض الشراء أنه قال في ذلك شعراً منه :

قضى ربها أن لا يموت خليفة \* بها إنه ما شاء في خلقه يقضى

وقد قرره على هذا الخطأ الخطيب وسلم ذلك ولم ينقصه بشئ بل قرره مع اطلاعه ومعرفته . قال : وزعم بعض الناس أن الأمين قتل بعرب الأنبار متهاذرت ذلك لقاضى أبى القاسم على بن حسن التنوخي فقال : محمد الأمين لم يقتل بالمدينة ، وإنما كان قد نزل في سفينة إلى دجلة ليتنزه فقبض عليه في وسط دجلة وقتل هناك . ذكر ذلك الصولى وغيره .

وذكر عن بعض مشايخ بغداد أنه قال : اتساع بغداد مائة وثلاثون جريباً ، وذلك بقدر ميلين في ميلين ، قال الامام أحمد : بغداد من العصرة إلى باب التين . وذكر الخطيب أن بين كل بابين من أبوابها الثمانية ميلاً ، وقيل أقل من ذلك . وذكر الخطيب صفة قصر الامارة وأن فيه القبة الخضراء طولها ثمانون ذراعاً ، وعلى رأسها تمثال فرس عليه فارس في يده رمح يدور به فأى جهة استقبلها واستمر مستقبلها ، علم السلطان أن في تلك الجهة قد وقع حدث فلم يلبث أن يأتي الخليفة خبره . [ وهذه القبة وهي على مجلس في صدر إيوان المحكمة وطوله ثلاثون ذراعاً وعرضه عشرون ذراعاً . وقد سقطت هذه القبة في ليلة برد ومطر ورعد و برق ، ليلة الثلاثاء لسبع خلون من شهر جمادى الآخرة سنة تسع وعشرين وثلاثمائة ] .<sup>(١)</sup>

وذكر الخطيب البغدادي أنه كان يباع في بغداد في أيام المنصور الكبش النعم بدرهم والحل بأربعة دنانير ، وينادي على لحم النعم كل ستين طلاً بدرهم ، ولحم البقر كل تسعين طلاً بدرهم ، والتمر كل ستين طلاً بدرهم ، والزيت ستة عشر طلاً بدرهم ، والسن ثمانية أطلال بدرهم ، والصل عشرة أطلال بدرهم . ولهذا الامن والرخص كثير ساكنوها وعظم أهلها وكثر الدارج في أسواقها وأزقتها ، حتى كان المار لا يستطيع أن يجتاز في أسواقها لكثرة زحام أهلها . قال بعض الأمراء وقد رجع من السوق : طالع والله ما طرقت خلف الأراب في هذا المكان .

وذكر الخطيب أن المنصور جلس يوماً في قصره فسمع ضجة عظيمة ثم أخرى ثم أخرى فقال للربيع الحاجب : ما هذا ؟ فكشف فإذا بقرة قد نفرت من جازوها ربة في الأسواق ، فقال الرومي : يا أمير المؤمنين ! كذا ببيت بناء ! بينه أحد قبلك ، وفيه ثلاثة عيوب ، بعده من الماء ، وقرب الأسواق منه ، وليس عنده خضرة ، والدين خضرة تحب الخضرة . فلم يرفع بها المنصور رأساً ثم أمر بفتير ذلك ، ثم بعد ذلك ساق إليها الماء وبني عندها البساتين ، وحول الأسواق من ثم إلى الكرخ . قال يعقوب بن سفيان : كل بناء بغداد في سنة ست وأربعين ومائة ، وفي سنة سبع وخمسين حول الأسواق إلى باب الكرخ وباب الشمير وباب المحول وأمر بتوسعة الأسواق أربعين ألفاً ، وبعد شهر من ذلك شرع في بناء قصره المسمى بالظهر ، فكل سنة ثمان وخمسين ومائة .

وجعل أمر ذلك إلى رجل يقال له الوضاح ، وبني قلعته جاساً لفصلا والجمعة لئلا يدخلوا إلى جامع المنصور ، فأما دار الخلافة التي كانت ببغداد بعد ذلك فلها كانت الحسن بن سهل ، فانتقلت من بعده إلى بوران زوجة المأمون ، فطلبها منها المعتضد . وقيل للمعتضد - فأنعمت لها بها ، ثم استنظرت ألياما حتى تقتتل منها فأنظرها ، فشرعت في تلك الأيام في ترميمها وتبييضها وتحسينها ، ثم فرشتها . (١) زيادة من المصرية .

بأنواع الفرس والبسط ، وعلقت فيها أنواع السور ، وأرصدت فيها ما يلبي للخلافة من الجوارى  
والخدم ، وألبسهم أنواع الملابس ، وجعلت في الخزان ما يلبي من أنواع الأطعمة والمأكول ، وجعلت  
في بيوتها من أنواع الأموال والخازن ، ثم أرسلت بفتاحها إليه ، ثم دخلها فوجد فيها  
ما أرصدته بها ، فهذه ذلك واستنظمه جداً ، وكان أول خليفة سكتها وبنى عليها سوراً . ذكره  
الخطيب .

وأما التاج فبناه المكتنى على دجلة وحوله القباب والمجالس والميدان والثريا وحيد الوحوش . وذكر  
الخطيب صفة دار الشجرة التي كانت في زمن المقداني ، وما فيها من الفرس والحيثور والخدم  
والممالك والحشم الباهرة ، والدنيا الظاهرة ، وأنها كان بها إحدى عشر ألف طواشي ، وسبعمائة  
حاجب . وأما الممالك فالوف لا يحصون كثرة ، وسيأتي ذكر ذلك مفصلاً في أهمهم ودرهم التي  
ذهبت كأنها أحلام نوم ، بعد سنة ثلثمائة . وذكر الخطيب دار الملك التي بالهرم ، وذكر الجوامع التي  
تقام فيها الجمعات ، وذكر الأتشار والجسور التي بها ، وما كان في ذلك في زمن المنصور ، وما أحدث  
بعده إلى زمانه ، وأنشد لبعض الشعراء في جسر بغداد التي على دجلة :

يوم سرقنا العيش فيه خلعة • في مجلس بفناء دجلة مفرد  
رق الهواء برقة وقعدة • ففدوت رفا لزمان المسعد  
فكان دجلة طيلسان أبيض • والجسر فيها كالطراز الأسود  
وقال آخر :  
يا حينذا جسر على متن دجلة • باتقان تأسيس وحسن وروفي  
جمال وحسن لل عراق ونزهة • وصالوة من أضاءه فرط اللشوقي  
تراه إذا ما جتته متأملا • كسطر عبير خط في وسط مرق  
أو العاج فيه الأبنوس مرقش • مثال فيول تحنها أرض زئبق

وذكر الصولي قال : ذكر أحمد بن أبي طاهر في كتاب بغداد أن ذراع بغداد من الجانبين ثلاثة  
وخمسون ألف جريب ، وأن الجانب الشرق ستة وعشرون ألف جريب وسبعمائة وخمسون جريباً  
وأن عدة حماماتها ستون ألف حمام ، وأقل ما في كل حمام منها خمسة فرحى وقيم وزيل ووقاد  
وسقاء ، وأن بإزاء كل حمام خمسة مساجد ، فذلك ثلاثمائة ألف مسجد ، وأقل ما يكون في كل مسجد  
خمس فرحى - يسنى إلهاماً وقيماً وأقوداً ومأمومين - ثم تناقصت بعد ذلك ، ثم ذرت بعد ذلك حتى  
صارت كأنها خربة صورة ومعنى . على ما سيأتي بيانه في موضعه .

وقال الحافظ أبو بكر البغدادي : لم يكن لبغداد نظير في الدنيا في جلالة قدرها ، ونفاسة  
أمرها ، وكثرة علمائها وأعلامها ، وتميز خواصها وعوامها ، وعظم أقطارها ، وسعة أطرارها ،



وكثرة دورها ودورها ومنازلتها وشوارعها ومساجدها وحماماتها وخالاتها ، وطيب هوائها وعذوبة  
 مائها وبرد غلالها واعتدال صيفها وشتائها ، ومحة ربيعها وخريفها ، وأكثر ما كانت عمارة وأهلا في  
 أيام الرشيد ، ثم ذكرنا قصص أحوالها وهلم جرا إلى زمانه . قلت : وكذا من بعده إلى زماننا هذا ،  
 ولا سيما في أيام هولاء بن تولى بن جنكز بن خان التركي الذي وضع معالمها وقتل خليفتها وعلمها  
 وخرب دورها وهدم قصورها وأباد اغلواص والموام من أهلها في ذلك العام ، وأخذ الأموال  
 والحواسل ، ونهب القراوى والأصائل ، وأورث بها حزنا يمدد به في المبكرات والأصائل ،  
 وصيرها مثلة في الأقاليم ، وعبرة لكل مستر عليم ، وقد كره لكل ذى عقل مستقيم ، وبذلت بعد  
 ثلاثة القرآن بالنفث والألحان ، وإنشاد الأشعار ، وكان ، وكان . وبعد سماع الأحاديث النبوية  
 بدرس الفلسفة اليونانية ، والمناهج الكلامية والتأويلات الترمطية ، وبعد العلماء بالأطباء ، وبعد  
 الخليفة العباسي بشر الحولاة من الأتقى ، وبعد الرأسة والنباهة بالخصاسة والسفاهة ، وبعد الطلبة  
 المشتغلين بالنظرة والمبارين ، وبعد العلم بالفقه والحديث وتعبير الرؤيا ، بالوشح ودوي بيت وموالي .  
 وما أصابهم ذلك إلا ببعض ذنوبهم ( وما ربك بظلام للعبيد ) والتحول منها في هذه الأزمان لكثرة  
 ما فيها من المنكرات الحسية والمنعوية ، وأكل الحشيش ، والانتقال عنها إلى بلاد الشام الذي تكفل  
 الله بأهلها أفضل وأكل وأجل . وقد روى الامام أحمد عن رسول الله ﷺ أنه قال : « لا تقوم  
 الساعة حتى يتحول خيار أهل العراق إلى الشام ، وشرار أهل الشام إلى العراق » .

( ذكر ما ورد في مدينة بغداد من الآثار والتنبية على ضعف ما روى فيها من الأخبار )

فيها أربع لغات بغداد بغداد في أهل الفدال الثانية وإيجامها ، وبندان بالنون آخره . والميم مع  
 ذلك أولا بغداد ، وهي كلمة أعجمية قيل إنها مركبة من بغي وداد قيل بغي بستان وداد اسم رجل ،  
 وقيل بغي اسم صنم وقيل شيطان وداد عطية أى عطية الصنم ، ولهذا كره عبس الله بن المبارك  
 والأصمى وغيرهما تسميتها ببغداد وإنما يقال لها مدينة السلام ، وكذا أسماها بابها أبو جعفر المنصور ،  
 لأن رجلة كان يقال لها وادى السلام ، ومنهم من يسميها الزوراء .

فروى الخطيب البغدادي من طريق عمار بن سيف - وهو منهم - قال : سمعت عاصم الأحول  
 يحدث عن سفیان الثوري عن أبي عثمان عن جرير بن عبد الله قال قال رسول الله ﷺ : « تبني  
 مدينة بين دجلة وحبيل وقطر بل والصرافة يحيى إليها خزائن الأرض ، ولو كذا جبارة ، فلهي أسرع  
 ذهابا في الأرض من الرود الحديد في الأرض الرخوة » . قال الخطيب : وقد رواه عن عاصم الأحول  
 سيف ابن أخت سفیان الثوري ، وهو أخو عمار بن سيف . قلت : وكلاهما ضعيف منهم يرى  
 بالكذب ، ومحمد بن جابر البجلي ضعيف ، وأبو شهاب الحنظلي ضعيف . وروى عن سفیان الثوري

عن عاصم من طرق ثم أسند ذلك كله . وأورد من طريق يحيى بن معين عن يحيى بن أبي كثير عن  
عمار بن سيف عن الثوري عن عاصم عن أبي عثمان عن جرير عن النبي ﷺ . وقال أحمد ويحيى :  
ليس لهذا الحديث أصل . وقال أحمد : ما حدث به إنسان ثقة ، وقد علاه الخطيب من جميع طرقه  
وساقه أيضاً من طريق عمار بن سيف عن الثوري عن أبي عبيدة حميد الطويل ، عن أنس بن  
مالك ، ولا يصح أيضاً . ومن طريق عمر بن يحيى عن سفيان عن قيس بن مسلم عن ربي عن حذيفة  
مرفوعاً بنحوه . ولا يصح . ومن غير وجه عن علي بن أبي طالب وابن مسعود وثوبان وابن عباس ،  
وفي بعضها ذكر السبائي « وأنه يخرها » ولا يصح إسناد شيء من هذه الأحاديث . وقد أورها  
الخطيب بأسانيدھا وألفاظھا ، وفي كل منها نكارة ، وأقرب ما فيها عن كعب الأخبار وقد جاء في  
آثاره عن كتب متقدمة أن بانها يقال له مقلص وذو الدنانير ليخطه .

## فصل

( في ذكر محاسن ببنداد ومساوئها وما روى في ذلك عن الأئمة )

قال يونس بن عبد الأعلى الصدفي : قال لي الشافعي : هل رأيت ببنداد ؟ قلت لا ! قال : ما رأيت  
الدنيا . وقال الشافعي : ما دخلت بلدا قط إلا عدته سفرا ، إلا ببنداد فاني حين دخلتها عدتها  
وطنا . وقال بعضهم : الدنيا بادية و ببنداد حاضرتها . وقال ابن علية : ما رأيت أعقل في طلب  
الحديث من أهل ببنداد ، ولا أحسن دعة منهم . وقال ابن مجاهد : رأيت أبا عمرو بن العلاء في  
النوم قلت : ما فعل الله بك ؟ قال لي : دعني من هذا ، من أقام ببنداد على السنة والجماعة ومات  
نقل من جنة إلى جنة . وقال أبو بكر بن عباس : الاسلام ببنداد ، وإنها لصيادة تصيد الرجال ،  
ومن لم يرها لم ير الدنيا . وقال أبو معاوية : ببنداد دار دنيا وآخرة . وقال بعضهم : من محاسن الاسلام  
يوم الجمعة ببنداد ، وصلاة التراويح بمكة ، ويوم العيد بطرسوس . قال الخطيب : من شهد يوم  
الجمعة بمدينة السلام عظم الله في قلبه محل الاسلام ، لأن مشايخنا كانوا يقولون يوم الجمعة ببنداد كيوم  
العيد في غيرها من البلاد . وقال بعضهم : كنت أواظب على الجمعة بجامع المنصور فمضت لي شغل  
فصليت في غيره فرأيت في المنام كأن قائلا يقول : تركت الصلاة في جامع المدينة وإنه ليصل في  
كل جمعة سبعون ولياً . وقال آخر : أردت الانتقال من ببنداد فرأيت كأن قائلا يقول في المنام :  
أنتقل من بلدي فيه عشرة آلاف ولي لله عز وجل ؟ وقال بعضهم : رأيت كأن ملكين أتيا ببنداد  
قال أحدهما لصاحبه : اقلها . فقد حق القول عليها : فقال الآخر كيف أقلب ببلد يحتم فيها  
القرآن كل ليلة خمسة آلاف ختمة ؟ وقال أبو مسهر عن سعيد بن عبد العزيز بن سايان بن موسى  
قال : إذا كان علم الرجل حجازاً وخلقه عراقياً وصلاته شامية فقد كل . وقالت زبيدة للمنصور

النرى قل شعرا تحب فيه بندگان إلى . قد اختار عليها الراحة فقال :

ما ذا يبتدأ من طيب الأفتان • ومن منازة . لدنيا ولدين  
تحي الرياح بها المرضى إذا نمت • وجوش بين أغصان الرياحين  
قال : فأعطته ألفي دينار . وقال الخطيب : وقرأت في كتاب طاهر بن مظفر بن طاهر الخازن  
بخطه من شعره :

سقى الله صوب الناديات حلة • يبتدأ بين الكرخ فاطمة فاجسر  
هي البقلة الحسناء خضعت لأهلها • بأشياء لم يجمعن مذكن في مصر  
هواه رقيق في اعتدال • وصحة • وماء له طعم ألد من الحر  
ودجلتها شطآن قد فظا لنا • بتاج إلى تاج وقصر إلى قصر .  
نراها كسك والمياه كفضة • وحصلوها مثل البواقيت والدر

وقد أورد الخطيب في هذا أشعاراً كثيرة وفيها ذكرنا كفاية . وقد كان الفراغ من بناء بندگان  
في هذه السنة - أعنى سنة ست وأربعين ومائة - وقيل في سنة ثمان وأربعين ، وقيل إن خندقها  
وسورها كلاً في سنة سبع وأربعين ، ولم يزل المنصور يزيد فيها ويتأنق في بنائها حتى كان آخر ما بنى  
فيها قصر الخلد ، فظن أنه يخلد فيها ، أو أنها تخلد فلا تخرب ، ففند بجهل مات . وقد خربت بندگان  
مرات كاسياتي بيانه .

قال ابن جرير : وفي هذه السنة عزل المنصور سلم بن قتبية عن البصرة وولى عليها محمد بن  
سليمان بن علي ، وذلك لأنه كتب إلى سلم يأمره بهدم بيوت الذين بالمو إبراهيم بن عبد الله بن حسن  
فتوانى في ذلك فزله ، وبث ابن عمه محمد بن سليمان فثاب بها فساداً ، وهدم دوراً كثيرة . وعزل  
عبد الله بن أبي بيع عن إمرة المدينة وولى عليها جعفر بن سليمان ، وعزل عن مكة السري بن  
عبد الله وولى عليها عبد الصمد بن علي . قال : وحج بالناس في هذه السنة عبد الوهاب بن إبراهيم  
ابن محمد بن علي قاله الواقدي وغيره . قال : وفيها غزا الصائفة من بلاد الروم جعفر بن حنظلة  
البهراني . وفيها توفي من الأعيان أشعث بن عبد الملك ، وهشام بن السائب الكلبي ، وهشام بن  
عروة . ويزيد بن أبي عبيد في قول .

﴿ ثم دخلت سنة سبع وأربعين ومائة ﴾

فيها أغار اشترخان الخوارزمي في جيش من الأتراك على ناحية أرمينية فدخلوا عمنليس وقتلوا  
خلقاً كثيراً وأسروا كثيراً من المسلمين وأهل القعة ، ومن قتل يومئذ حرب بن عبد الله الراوندی  
الذي تدبب إليه الحريرية ببغداد ، وكان مقبلاً بالموصل في ألفين لمقاومة الخوارزمي ، فأرسله المنصور

لمساعدة المسلمين ببلاد أرمينية ، وكان في جيش جبريل بن يحيى ، فهزم جبريل وقتل حرب رحمه الله . وفي هذه السنة كان مهلك عبد الله بن علي عم المنصور .

[ وهو الذي أخذ الشام من أيدي بني أمية ، كان عليها واليا حتى مات السفاح ، فلما مات دعا إلى نفسه فبعث إليه المنصور أبا مسلم الخراساني فهزمه أبو مسلم وهرب عبد الله إلى عند أخيه سليمان ابن علي وإلى البصرة فاختفى عنده مدة ثم ظهر المنصور على أمره فاستدعى به وسجنه ، فلما كان في هذه السنة عزم المنصور [ <sup>(١)</sup> على الحج فطلب عنه عيسى بن موسى - وكان ولي العهد من بعد المنصور عن وصية السفاح - وسلم إليه عمه عبد الله بن علي وقال له : إن هذا عدوى وعدوك ، فاقطعه في غيبتي عنك ولا تتواني . وسار المنصور إلى الحج وجعل يكتب إليه من الطريق يستحثه في ذلك ويقول له : ماذا صنعت فيا أودعت إليك فيه ؟ مرة بعد مرة . وأما عيسى بن موسى فإنه لما تسلم عمه حار في أمره وشاور بعض أهل فأشار بعضهم بمن له رأى أن المصلحة تقتضي أن لا تقتله وأبقه عنده وأظهر قتله فأنا نخشى أن يطالبك به جبهة فتقول : قتلته ، فيأمر بالقود فتدعي أنه أمرك بقتله بالسريينك وبينه فتعجز عن إثبات ذلك فيقتلك به ، وإنما يريد المنصور قتله وتلك ليستريح منك بما . فتخير عيسى بن موسى عند ذلك وأخفى عمه وأظهر أنه قتله . فلما رجع المنصور من الحج أمر أهل أن يسخطوا عليه ويشتموا في عمه عبد الله بن علي ، وألحوا في ذلك فأجابهم إلى ذلك ، واستدعى عيسى بن موسى وقال له : إن هؤلاء شفعوا في عبد الله بن علي وقد أجبتهم إلى ذلك فسله إليهم . فقال عيسى : وأين عبد الله ؟ ذاك قتلته منذ أمرتني . فقال المنصور : لم أمرك بذلك ، وجحد ذلك وأن يكون تقدم إليه منه أمره في ذلك ، فأحضر عيسى الكتب التي كتبها إليه المنصور مرة بعد مرة في ذلك فأنكر أن يكون أراد ذلك ، وصمم على الانتكار ، وصمم عيسى ابن موسى أنه قد قتله ، فأمر المنصور عند ذلك بقتل عيسى بن موسى قصاصاً لعبد الله ، ونفج به بنو هاشم ليقنطروه ، فلما جاؤا بالسيف قال : ردوني إلى الخليفة ، فردوه إليه فقال له : إن حملك حاضر ولم أقتله ، فقال : هلم به . فأحضره فقط في يد الخليفة وأمر بسجنه بدار جدرانها مبنية على ملح ، فلما كان من الليل أرسل على جدرانها <sup>(٢)</sup> : <sup>(٣)</sup> عليه البناء فهلك . ثم إن المنصور خلع عيسى بن موسى نحن ولاية العهد وقسم عليه ابنة المهدي ، وكان يجلسه فوق عيسى بن موسى عن يمينه ، ثم كان لا يلتفت إلى عيسى بن موسى ويهينه في الأذن والمشورة والدخول عليه والخروج من عنده ، ثم ما زال يقصيه وييمده ويتهده ويتوعده حتى خلع نفسه بنفسه ، وبايع محمد بن منصور وأعطاه المنصور على ذلك نحواً من اثني عشر ألف ألف درهم ، وانفصل أمر عيسى بن موسى وبني عند

النصور ، وأقبل عليه بعد ما كان قد أعرض عنه . وكان قد جرت بينهما قبل ذلك مكاتبات في ذلك كثيرة جداً ، ومراودات في تهمة البيعة لابنه المهدي وخلع عيسى نفسه ، وأن العامة لا يصدقون بالمهدي أحداً . وكذلك الأمراء والخواص . فلم يزل به حتى أجاب إلى ذلك مكرها ، فموضه عن ذلك ما ذكرنا ، وسارت بيعة المهدي في الآفاق شرقاً وغرباً ، وبدأ وقرباً ، وفرح المنصور بذلك فرحاً شديداً ، واستقرت الخلافة في ذريته إلى زماننا هذا ، فلم يكن خليفة من بني العباس إلا من سلالة ( ذلك تقدير العزيز العليم ) .

وفيها توفي عبيد الله بن عمر العمري ، وهاشم بن هاشم ، وهشام بن حسان صاحب الحسن البصري .

( ثم دخلت سنة ثمان وأربعين ومائة )

فيها بمث المنصور حديد قطبة لغزو الترك الذين عاثوا في السنة الماضية ببلاد ثعلبليس ، فلم يجد منهم أحداً فانهم انشروا إلى بلادهم . وحج بالناس فيها جعفر بن أبي جعفر ، ونواب البلاد فيها هم المذكورون في التي قبلها . وفيها توفي جعفر بن محمد الصادق المذنب إليه كتاب اختلاج الأعضاء وهو مكنوب عليه . [ وفيها توفي سليمان بن مهران الأعشى أحد مشايخ الحديث في بيع الأول منها <sup>(١)</sup> ] وعمر بن الحارث ، والموام بن حوشب ، وأبي يدي ، ومحمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى . ومحمد بن مجلان .

( ثم دخلت سنة تسع وأربعين ومائة )

فيها فرغ من بناء سور بغداد وخندقها . وفيها غزا الصائفة العباس بن محمد فغسل بلاد الروم ومعه الحسين بن قطبة ومحمد بن الأشعث . ومات محمد بن الأشعث في الطريق . وفيها حج بالناس محمد بن إبراهيم بن علي وولاه المنصور على مكة والحجاز عوضاً عن عمه عبد الصمد بن علي . وعمال الأمصار فيها هم الذين كانوا في السنة قبلها . وفيها توفي زكريا بن أبي زائدة ، وكهمس بن الحسن ، والمثنى بن الصباح . وعيسى بن عمر أبو عمر والثقف البصري النحوي شيخ سيديوه . يقال إنه من موالى خالد بن الوليد ، وإما نزل في تقيف ففسد إليهم . كان إماماً كبيراً جليلاً في الفقه والنحو والقراءات ، أخذ ذلك عن عبيد الله بن كثير وابن الحيص وعبد الله بن أبي إسحاق ، وسمع الحسن البصري وغيرهم . وعنه الخليل بن أحمد والأصمعي وسيديوه . ووزنه وعرف به واتقعه به ، وأخذ كتابه الذي سماه بالجامع فزاد عليه وبدله ، فهو كتاب سيديوه اليوم ، وإما هو كتاب شيخه ، وكان سيديوه يسأل شيخه الخليل بن أحمد عما أشكل عليه فيه ، فساله الخليل أيضاً عما صنف عيسى بن عمر فقال : جمع بضماً وسبعين كتاباً ذهبت كلها إلا كتاب الأكل ،

(١) مقطع من المصرية .

وهو بأرض فارس . وهو الذي أشتتل فيه وأسافك عن غوامضه ، فطرق الظليل ساعة ثم أشتد :

ذهب النحر جيباً كله • غير ما أحدث عيسى بن عمر

ذاك إكمال وهذا جامع • وهما قلنس شمس وقر

وقد كان عيسى يفرق وينتفر في عبارته جفاً . وقد حكى الجوهري عنه في الصحاح أنه سقط يوماً عن حماره فاجتمع عليه الناس فقال : مالك تكأ كأتهم على تكأ كؤكم على ذي مرة ؟ ففرسوا عنه . معناه : مالك تجمعم على تجمعمك على مجنون ؟ انكشفوا عني . وقال غيره : كان به ضيق للنفس فسقط بسببه فاعتقد الناس أنه مصروع . فجعلوا يهودونه ويقرؤن عليه ، فلما أفاق من غشيته قال ، ما قال . فقال بعضهم : إني حسبه - يتكلم بالفارسية - وقد ذكر ابن خلكان أنه كان صاحباً لأبي عمرو بن العلاء ، وأن عيسى بن عمرو قال يوماً لأبي عمرو بن العلاء : أنا أنصح من سمعت بن عدنان . فقال له أبو عمرو كيف تقرأ هذا البيت .

قد كن يخبأن الوجوه تسراً • فالיום حين بدان القنظار

أو بدين ؟ فقال بدين . فقال أبو عمرو : أخطأت ، ولو قال : بدان لأخطأ أيضاً . وإنما أراد أبو عمرو قنظليته ، وإنما الصواب بدون من بدايد و إذا ظهره ، وبأيداً إذا شرع في الشيء .

( ثم دخلت سنة حسين ومائة من الهجرة )

فيها خرج رجل من الكوفة يقال له اسناديس في بلاد خراسان فاستحوذ على أكثرها ، واتخذ معه نحو من ثلاثمائة ألف ، وقتلوا من المسلمين هناك خلقاً كثيراً ، وهزموا الجيوش التي في تلك البلاد ، وسبوا خلقاً كثيراً ، ونحسب الفساد بسببهم ، وتغلب أمرهم ، فوجه المنصور خازم بن خزيمه إلى ابنه المهدى ليوليه حرب تلك البلاد ، ويضم إليه من الأجناد ما يقاوم أولئك . فنهض المهدى في ذلك نهضة هاشمية ، وجمع غلظم بن خزيمه الأميرة على تلك البلاد والجيوش ، وبثه في نحو من أربعين ألفاً ، فسار إليهم وما زال يراوغهم ويمكرهم ويعمل المدينة فيهم حتى فاجأهم بالهرب ، وواجههم بالطنن والضرب ، وقتل منهم نحواً من سبعين ألفاً ، وأمر منهم أربعة عشر ألفاً ، وهرب ملكهم اسناديس فحضر في جبل ، فجاء خازم إلى تحت الجبل وقتل أولئك الأسرى كلهم ، ولم يزل يخاصره حتى نزل على حكم بعض الأمراء ، فحكم أن يقيد بالمديد هو وأهل بيته ، وأن يسق من ماله من الأجناد - وكانوا ثلاثين ألفاً - فضل خازم ذلك كله وأطلق لكل واحد من كلن مع اسناديس ثوبين ، وكتب بما وقع من الفتح إلى المهدى ، فكتب المهدى بذلك إلى أبيه المنصور . وفيها عزل الخليفة عن إمرة المدينة جعفر بن سليمان وولاه الحسن بن زيد بن الحسن ابن الحسن بن علي بن أبي طالب . وفيها حج بالناس عبد الحميد بن علي عم الخليفة . وتوفي فيها

جعفر بن أمير المؤمنين المنصور ودفن أولاً بمقابر بني هاشم من بغداد ، ثم نقل منها إلى موضع آخر .  
وفيهما توفى عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج أحد أئمة أهل الحجاز ، ويقال إنه أول من جمع  
السنن . وعثمان بن الأسود ، وعمر بن محمد بن زيد . وفيها توفى الامام أبو حنيفة .

### ﴿ ذكر ترجمته ﴾

هو الامام أبو حنيفة واسمه الحنفى بن ثابت النخعي مولاهم الكوفي ، قتيبه العراق ، وأحد أئمة  
الاسلام ، والسادة الأعلام ، وأحد أوكل العلماء ، وأحد الأئمة الأربعة أصحاب المذاهب المتنوعة ،  
وهو أقدمهم وفاة ، لأنه أدرك عصر الصحابة ، ورأى أنس بن مالك ، قبل وغيره . وذكر بعضهم  
أنه روى عن سبعة من الصحابة فافقه أعلم .

وروى عن جماعة من التابعين منهم الحكم وحداد بن أبي سليمان ، وسلمة بن كهيل ، وعاصم  
الشمسي ، وهكرمة ، وعطاء ، وقادة ، والزهرى ، وطفع مولى ابن عمر ، ويحيى بن سعيد الأنصارى  
وأبو إسحاق السبيعي . وروى عنه جماعة منهم ابنه حماد وإبراهيم بن طهمان ، وإسحاق بن يوسف  
الأزرق ، وأسد بن عمرو القاضى ، والحسن بن زياد القزوينى ، وحزرة الزيات ، وداود الطائى ، وزفر ،  
وعبد الرزاق ، وأبو نعيم ، ومحمد بن الحسن الشيبانى ، وهشيم ، ووكيع ، وأبو يوسف القاضى . قال  
يحيى بن معين : كان ثقة ، وكان من أهل الصدق ولم ينسهم بالكذب ، ولقد ضربه ابن هبيرة على  
القضاء فأبى أن يكون قاضياً . وقد كان يحيى بن سعيد يختار قوله فى الفتوى ، وكان يحيى يقول :  
لا نكتب الله ما سمعنا أحسن من رأى أبى حنيفة ، وقد أخذنا بأكثر أقواله . وقال عبد الله بن  
المبارك : لولا أن الله أعاننى بأبى حنيفة وسفيان الثورى لكنت كسائر الناس . وقال فى الشافعى :  
رأيت رجلاً لو كان فى هذه السارية أن يجعلها ذهباً لقام يصحته : وقال الشافعى : من أراد الفقه فهو  
عيال على أبى حنيفة ، ومن أراد السير فهو عيال على محمد بن إسحاق ، ومن أراد الحديث فهو  
عيال على مالك ، ومن أراد التفسير فهو عيال على مقاتل بن سليمان . وقال عبد الله بن داود الحريرى :  
يبنى الناس أن يدعوا فى صلاتهم لأبى حنيفة ، لحفظه الفقه والسنن عليهم . وقال سفيان الثورى  
وابن المبارك : كان أبو حنيفة أحسن أهل الأرض فى زمانه . وقال أبو نعيم : كان صاحب غوص فى  
المسائل . وقال سكر بن إبراهيم : كان أعلم أهل الأرض . وروى الخطيب بسنده عن أسد بن عمرو  
أن أبا حنيفة كان يصل بالليل ويقرأ القرآن فى كل ليلة ، ويبكى حتى يرجه جيرانه . ومكث أربعين  
سنة يصل الصبح بوجهه المشاء ، وختم القرآن فى الموضع الذى توفى فيه سبعين ألف مرة ، وكانت  
وفاته فى رجب من هذه السنة . أضى سنة خمسين ومائة . وعن ابن معين سنة إحدى وخمسين .  
وقال غيره : سنة ثلاث وخمسين . والصحيح الأول .

وكان مولده في سنة ثمانين قمر له من العمر سبعون سنة ، وصلى عليه ببغداد ست مرات لكثرة الزحام ، وقرره هناك رحمه الله .

( ثم دخلت سنة إحدى وخمسين ومائة )

فيها عزل المنصور عمر بن حفص عن السند وولى عليها هشام بن عمرو التغلبي ، وكان سبب عزله عنها أن محمد بن عبد الله بن حسن لما ظهر بمثل ابنه عبد الله الملقب بالأشتر ومعه جماعة بهدية وخيول عتاق إلى عمر بن حفص هذا إلى السند قبلها ، فدعوه إلى دعوة أبيه محمد بن عبد الله بن حسن في السر فأجابهم إلى ذلك ولبسوا البياض . ولما جاء خبر مقتل محمد بن عبد الله بالمدينة سقط في أيديهم وأخذوا في الاعتذار إلى عبد الله بن محمد ، فقال له عبد الله : إني أخشى على نفسي . فقال : إني سأبذلك إلى ملك من المشركين في جوار أرضنا ، وإنه من أشد الناس تعظيماً لرسول الله ﷺ ، وإنه متى عرفك أنك من سلالة أحبك . فأجاب به ذلك ، وسار عبد الله ابن محمد إلى ذلك الملك وكان عنده آمنًا ، وصار عبد الله يركب في موكب من الزيدية ويتصيد في جبل من الجلود ، وانضم إليه خلق وقدم عليه طوائف من الزيدية .

وأما المنصور فإنه بمثل يشتب على عمر بن حفص نائب السند ، قتل رجل من الأمراء ابنتي إليه واجمل القضية مسندة إلى ، فأتى سأعتمر إليه من ذلك ، فان سلت وإلا كنت فداك وفداء من عندك من الأمراء . فأرسله صغيراً في القضية إلى المنصور ، فلما وقف بين يدي المنصور أمر بضربه عنقه ، وكتب إلى عمر بن حفص بعزله عن السند وولاه بلاد إفريقية عوضاً عن أميرها ، ولما وجه المنصور هشام بن عمرو إلى السند أمره أن يجتهد في تحصيل عبد الله بن محمد ، فجعل يتوأن في ذلك ، فبث إليه المنصور يستحثه في ذلك ، ثم أفتى الحال أن سيفاً أخاه هشام بن عمرو لقي عبد الله بن محمد في بعض الأماكن فاقتلوا قتل عبد الله وأصحابه جميعاً واشتبه عليهم مكانه في القتل فلم يقدروا عليه . فكتب هشام بن عمرو إلى المنصور يطلبه بقتله ، [ فبث يشكره على ذلك ويأمره بقتل الملك الذي آواه ، ويطلبه أن عبد الله كان قد تسرى بجارية هناك وأولدها ولها أسماء محمد ، فإذا غلظت بالملك فاحفظ بالسلام فنهض ]<sup>(١)</sup> هشام بن عمرو إلى ذلك الملك قتاله فطلبه وقره على بلاده وأمواله وحواصله ، وبث بالفتح والأخلى وبثك السلام والملك إلى المنصور ، فخرج المنصور بملك وبث بملك السلام إلى المدينة ، وكتب المنصور إلى نائبها يطلبه بصحة نسبه ، ويأمره أن يلحقه بأهله يكون هدم تلاميذ نسبه ، فهو الذي يقال له أبو الحسن بن الأشتر وفي هذه السنة قدم المهدي بن المنصور على أبيه من خراسان فقتله أبوه والأمراء والأكابر



إلى أثناء الطريق ، وقدم بعد ذلك نواب البلاد والشام وغيرها لسلام عليه وتهنئته بالسلامة والنصر .  
وحل إليه من الهدايا والتحف ما لا يحصى ولا يوصف .

### ﴿ بناء الرصافة ﴾

قال ابن جرير : وفي هذه السنة شرع المنصور في بناء الرصافة لابنه المهدي بعد مقدمه من خراسان ، وهي في الجانب الشرق من بغداد ، وجعل لها سوراً وخندقاً ، وحمل عندها ميداناً وبستاناً ، وأجرى إليها الماء من نهر المهدي . قال ابن جرير :

وفيها جدد المنصور البيئة لنفسه ثم لولده المهدي من بعده ، ولعيسى بن موسى من بعدهما ، وجاء الأمراء والغواص قبايعوا وجلسوا على يد المنصور ويد ابنه ويسوف يد عيسى بن موسى ولا يقبلونها . قال الواقدي : وولى المنصور ممن بن زائفة سجستان .

وحج بالناس فيها محمد بن إبراهيم بن محمد بن علي ، وهو نائب مكة والطائف ، وعلى المدينة الحسن بن زيد ، وعلى الكوفة محمد بن سليمان ، وعلى البصرة جابر بن زيد الكلابي ، وعلى مصر يزيد بن حاتم . ونائب خراسان حميد بن قطبة ، ونائب سجستان ممن بن زائفة . وغزا الصائفة فيها عبد الوهّاب بن إبراهيم بن محمد .

وفيها توفي حنظلة بن أبي سفيان ، وعبد الله بن عون ، ومحمد بن إسحاق بن يسار ، صاحب السيرة النبوية التي جمعها وجعلها علماء يهتدى به ، وغزا يستجلى به ، والناس كلهم عيال عليه في ذلك ، كما قال الشافعي وغيره من الأئمة .

### ﴿ ثم دخلت سنة ثنتين وخمسين ومائة ﴾

فيها عزل المنصور عن إمرة مصر يزيد بن حاتم وولاه محمد بن سعيد ، وبعث إلى نائب إفريقية وكان قد بلغه أنه عصى وخالف ، فلما جرى به أمر بضرب عنقه . وعزل عن البصرة جابر ابن زيد الكلابي وولاه يزيد بن منصور . وفيها قتل الخوارج ممن بن زائفة بسجستان . وفيها توفي عباد بن منصور ، ويونس بن يزيد الأيلي . . .

### ﴿ ثم دخلت سنة ثلاث وخمسين ومائة ﴾

وفيها غضب المنصور على كاتبه أبي أيوب المورياني وسجنه وسجن أخاه خلفاً وبني أخيه الأربعة سعيداً وسعداً وعبدلاً ومحمدآ ، وطالبهم بالأموال الكثيرة . وكان سبب ذلك ما ذكره ابن عساکر في ترجمة أبي جعفر المنصور ، وهو أنه كان في زمن شبينته قد ورد الموصل وهو فقير لا شيء له ولا ماله شيء ، فأجر نفسه من بعض الملاحين حتى اكتسب شيئاً تزوج به امرأة ، ثم جعل يمدّها ويمنيهاً أنه من بيت سيصير الملك إليهم سريعاً ، فاتفق حبلها منه ، ثم قطعه بنو أمية فهرب عنها

وتركها حلالاً ، ووضع عندها رقعة فيها نسبه ، وأنه عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ، وأمرها إذا بلغها أمره أن تأتيه ، وإذا ولدت غلاماً أن تسميه جعفرأ . فولدت غلاماً سمته جعفرأ . ونشأ الغلام فحمل للكتابة وغوى العربية والأدب ، وأتقن ذلك إتقاناً جيداً ، ثم آل الأمر إلى بني الميسل ، فسألت عن السفاح فإذا هو ليس صاحبها ، ثم قام المنصور وصر الولد إلى بغداد فاختلط بكتّاب الرسائل فأعجب به أبو أيوب الموريثي صاحب ديوان الانشاء للمنصور ، وحظي عنده وقدمه على غيره ، فاتفق حضوره معه بين يدي الخليفة فجعل الخليفة يلاحظه ، ثم بحث يوماً الخادم ليأتيه بكتّاب فدخل ومعه ذلك الغلام ، فكتب بين يدي المنصور كتاباً وجعل الخليفة ينظر إليه ويتأمله ، ثم سأله عن اسمه فأخبره أنه جعفر ، قال : ابن من ؟ فسكت الغلام ، قال : مالك لا تتكلم ؟ قال : يا أمير المؤمنين إن من خبري كيت وكيت ، فتغير وجه الخليفة ثم سأله عن أمه فأخبره ، وسأله عن أحواله بالموصل فجعل يخبره والغلام يتمجب . ثم قام إليه الخليفة فاحتضنه وقال : أنت ابني . ثم بعثه بمقدن ومال جزيل وكتاب إلى أمه يسلّمها بمحققة الأمر وحال الولد . وخرج الغلام ومعه ذلك من باب سر الخليفة فأحرز ذلك ثم جاء إلى أبي أيوب فقال : ما بئراً بك عند الخليفة ؟ قال : إنه استكتبني في رسائل كثيرة ، ثم هاولا ، ثم فارقه الغلام مضطرباً ونهض من فؤاده فاستأجر إلى الموصل ليقيم أمه ويحملها وأهلها إلى بغداد ، إلى أبيه الخليفة . فسلّم مراحل ، ثم سأل عنه أبو أيوب فقيل سافر فظن أبو أيوب أنه قد أفضى شيئاً من أسرار له إلى الخليفة وفر منه ، فبحث في طلبه رسولا وقال : حيث وجدته فردّه على . فسلّم الرسول في طلبه فوجده في بعض المنازل فنفخه وألقاه في بئر وأخذ ما كان معه فرجع به إلى أبي أيوب . فلما وقف أبو أيوب على الكتاب أسقط في يده وندم على بئسه خلفه . وانتظر الخليفة عود ولده إليه واستبطأه وكشف عن خبره فإذا رسول أبي أيوب قد لحقه وقتله . فغضب استحضر أبا أيوب وألزمه بأمواله عظيمة ، ومازال في العقوبة حتى أخذ جميع أمواله وسواصله ثم قتله ، وجعل يقول : هذا قتل جيبى . وكان المنصور كلما ذكر ولده حزن عليه حزناً شديداً .

وفيهما خرجت الخوارج من الصفرية وغيرهم ببلاد إفريقية . فاجتمع منهم ثلاثمائة ألف وخمسون ألفاً ، ما بين فارس وراجل ، وعليهم أبو حاتم الاتمالي ، وأبو عباد . وانضم إليهم أبو قرّة الصفري في أربعين ألفاً ، فقاتلوا نائب إفريقية فهزموا جيشه وقتلوه ، وهو عمر بن عثمان بن أبي صفرة الذي كان نائب السند كما تقدم ، قتله هؤلاء الخوارج رحمة الله . وأكثرت الخوارج الفساد في البلاد ، وقتلوا الحرم والأولاد . وفيها ألزم المنصور الناس بلبس قلائص سود طوال جداً ، حتى كانوا يستعينون على وضوهم من داخلها بالتصب ، قتال أبو دلالة الشاعر في ذلك :

وكنّا نرجى من إمام ذبيحة • فزاد الامام المرتضى في القلائس  
 نراها على هام الرجال كأنها • دلتن يهود جلت بالبرانس  
 وفيها غزا الصائفة مبيوف بن يحيى الجبورى فأمر خلقاً كثيراً من الروم ينيف على ستة  
 آلاف أسير، وغنم أموالاً جزيلة. وحج بالناس المهدي بن المنصور [وهو ولي العهد الملقب بالمهدي  
 وكان على نيابة مكة والطائف محمد بن إبراهيم، وعلى المدينة الحسن بن زيد وعلى الكوفة محمد بن  
 سليمان وعلى البصرة يزيد بن منصور، وعلى مصر محمد بن سعيد. وذكر الواقدي أن يزيد بن  
 منصور كان ولده المنصور في هذه السنة الهجرية. فافقه أعلم] (١)  
 وفيها توفي أبان بن صمة، وأسلمة بن زيد اللقي، وتور بن يزيد الهلبي، والحسن بن حمزة،  
 وقطر بن خليفة، وممر وهشام بن الغازي والله أعلم.

(ثم دخلت سنة أربع وخمسين ومائة)

فيها دخل المنصور بلاد الشام وزار بيت المقدس وجيز يزيد بن حاتم في خيبر ألفا وولاه بلاد  
 إفريقية، وأمره بقتال انطراخ، وأفق على هذا الجيش نحواً من ثلاث وستين ألف درهم، وفرضوا  
 الصائفة زفر بن عاصم اللالي. وحج بالناس فيها محمد بن إبراهيم. ونواب البلاد والأقاليم م  
 المد كودون في التي قبلها، سوى البصرة فعليها عبد الملك بن أيوب بن طليان. وفيها توفي أبو  
 أيوب الكاتب وأخوه خالد، وأمر المنصور ببني أخيه أن تقطع أيديهم وأرجلهم ثم قُضرب بعد  
 ذلك أعناقهم ففعل ذلك بهم. وفيها توفي :

﴿ أشعب الطالع ﴾

وهو أشعب بن جبير أبو العلاء، ويقال أبو إسحاق المدني، ويقال له أبو حميدة. وكان أبوه  
 مولى لآل الزبير، قتله المختار، وهو خال الواقدي. روى عن عبد الله بن جعفر أن رسول الله  
 ﷺ كان يتنعم في الجين. وأبان بن عثان، وسالم وعكرمة، وكان ظروفاً ماجناً يحبه أهل زمانه  
 لخلاصته وطعمه، وكان حميد الغناء، وقد وفد على الوليد بن يزيد دمشق فخرجه ابن صاكر توجة  
 ذكر عنه فيها أشياء مضحكة، وأسند عنه حديثين. وروى عنه أنه سئل يوماً أن يحدث فقال :  
 حدثني عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال : « خصلتان من عمل بهما دخل الجنة » ثم  
 سكت فقبل له : وما هما ؟ قال : نسي عكرمة الواحدة ونسيت أنا الأخرى. وكان سالم بن عبد الله  
 ابن عمر يستخفه ويستعليه ويضحك منه يأخذه معه إلى الغاية، وكذلك كان غيره من أكابر  
 الناس. وقال الثاقبي : عبت الوثاقين يوماً بأشعب فقال لهم : إن ههنا أناساً يرقون الجوز - ليطردم  
 (١) زيادة من المصرية.

عنه - فتسارع الصبيان إلى ذلك ، فدارآم مسرعين قال : لسله حق فتبهم . وقال له رجل : ما بلغ من طمعك ؟ فقال : ما زلت عروس بالمدينة إلا رجوت أن تزف إلى فأكسح داري وأنظف باي وأكس يتي . واجتاز يوماً برجل يصنع طبقاً من قش فقال له : زد فيه طورا أو طورين لسله أن يهدي يوماً لتأفقه هدية . وروى ابن عساكر أن أشعب غني يوما لسلام بن عبد الله بن عمر قول بعض الشعراء :

مضين بها والبدر يشبه وجهها • معايرة الأتواب والمدين وانفر  
لها حسب زاك وعرض مهذب • • وعن كل مكروه من الأمر زلجر  
من انفجرات البيض لم تلقى ربية • ولم يستلها عن ثقي الله شاعر  
فقال له سالم : أحسنت فردنا . ففتاه :

ألت بنا والليل داج كأنه • جناح غراب عنه قد غفض القطرا  
فقلت أظفار ثوى في رحالنا • وما علت ليل سوى ريمها عطرا

فقال له : أحسنت ولولا أن يتحدث الناس لأجزأت لك الجائزة ، وإنك من الأمر بمكان . وفيها توفي جعفر بن بركان ، والحكم بن أبان ، وعبد الرحمن بن زيد بن جابر ، وقرعة بن خالد ، وأبو عمرو بن العلاء أحد أئمة القراء ، وأحمد كنيته ، وقيل اسمه ريان والصحيح الأول .

وهو أبو عمرو بن العلاء بن عمار بن الريان بن عبد الله بن الحصين النخعي المازني البصري ، وقيل غير ذلك في نسبه ، كان علامة زمانه في الفقه والنحو وعلم القراءات ، وكان من كبار العلماء العاملين ، يقال إنه كتب ملء بيت من كلام العرب ، ثم زهد فأحرق ذلك كله ، ثم راجع الأمر الأول فلم يكن عنده إلا ما كان يحفظه من كلام العرب ، وكان قد لقي خلقا كثيرا من أعراب الجاهلية ، كان مقدما أيام الحسن البصري ومن بعده . ومن اختياراته في الترية قوله في تفسيره الفرة في الجنين : إنها لا يقبل فيها إلا أبيض غلاما كان أو جارية . فهم ذلك من قوله عليه السلام : « فرة عبد أو أمة » ولو أريد أي عبد كان أو جارية لما قيده بالفرة ، وإنما الفرة البيضاء . قال ابن خلكان : وهذا غريب ولا أعلم هل يرواه قول أحد من الأئمة المجتهدين أم لا . وذكر عنه أنه كان إذا دخل شهر رمضان لا ينشد بيتا من الشعر حتى ينسلخ ، وإنما كان يقرأ القرآن وأنه كان يشتري له كل يوم كوزا جديدا ويرميها طريا ، وقد صحبه الأصمعي نحواً من عشرين سنة .

كانت وفاته في هذه السنة ، وقيل في سنة ست وخمسين ، وقيل تسع وخمسين فاته أعلم . وقد تارب التسعين ، وقيل إنه جاوزها فاته أعلم ، وقبره بالشام وقيل بالكوفة فاته أعلم .

[ وقد روى ابن عساكر في ترجمة صالح بن علي بن عبد الله بن العباس عن أبيه عن جده عبد الله

ابن عباس مرفوعاً «لأن برئ أحدكم بعد أربع وخمسين ومائة جرو وكتب خير له من أن يربي ولداً له عليه». وهذا منكر جداً وفي إسناده نظر. ذكره من طريق تمام عن خيشمة بن سليمان عن محمد بن عوف الحمصي عن أبي المنيرة عبد الله بن السمط عن صالح به، وعبد الله بن السمط هذا لا أعرفه، وقد ذكره شيخنا الحافظ الذهبي في كتابه «الترغيب والترهيب» بروى عن صالح بن علي حديثاً موضوعاً (١)

﴿ ثم دخلت سنة خمس وخمسين ومائة ﴾

فيها دخل يزيد بن حاتم بلاد إفريقية فافتتحها عوداً على يده، وقتل من كان فيها من تغلب عليها من الخوارج، وقتل أمراءهم وأمر كبيرهم وأذل نشرافهم واستقبل أهل تلك البلاد بالخوف أمناً وسلاماً، وبالأهانة كرامة، وكان من جملة من قتل من أمرائهم أبو حاتم وأبو عباد الخراجيين. ثم لما استقامت له وبه الأمور في البلدان دخل بعد ذلك بلاد القيروان فهدمها وأقر أهلها وقرر أمورها وأزال محنهم وهاهنا سببها أنه أعلم.

﴿ بناء الرافقة وهي المدينة المشهورة ﴾

وفيها أمر المنصور ببناء الرافقة على منوال بناء بغداد في هذه السنة، وأمر فيها ببناء سور وعمل خندق حول الكوفة، وأخذ ما غرم على ذلك من أموال أهلها، من كل إنسان من أهل البصرة أربعين درهماً. وقد فرضها أولاً خمسة دراهم، خمسة دراهم، ثم جباها أربعين أو أربعين، فقال في ذلك بعضهم يا لقوى ما رأينا • في أمير المؤمنين • قسم الحصة قبنا • وجباها أربعين وفيها غزا الصائفة يزيد بن أسيد السلي. وفيها طلب ملك الروم الصلح من المنصور على أن يحمل إليه الجزية. وفيها عزل المنصور أخاه العباس بن محمد عن الجزيرة وغرمه أموالاً كثيرة. وفيها عزل محمد بن سليمان بن علي عن إمرة الكوفة، فقبل لأمر بلقنه عنه في تعامله مشكرات، وأمر لاثليق بالمال، وقيل لقتله محمد بن أبي العوجاء. وقد كان ابن أبي العوجاء هذا زنديقاً - يقال إنه لما أمر بضرب عنقه اعترف على نفسه بوضع أربعة آلاف حديث يحمل فيها الحرام ويحرم فيها الحلال، ويصوم الناس يوم الفطر ويغفرهم في أيام الصيام، فأزاد المنصور أن يحمل قتله ذنباً فمزله به، وإما أراد أن يقبده منه، فقال له عيسى بن موسى: يا أمير المؤمنين لا تمزله بهذا ولا تقتله به، فإنه إنما قتله على الزندقة، ومضى عزله به شكره العامة وضموا، فتركه حينئذ عزله وولى مكانه على الكوفة عمرو بن زهير. وفيها عزل عن المدينة الحسين بن زيد وولى عليها عبد الصمد بن علي، وجعل معه فليح بن سليمان مشرفاً عليه. وعلى إمرة مكة محمد بن إبراهيم بن محمد، وعلى البصرة الهيثم بن معاوية، وعلى مصر محمد بن سعيد، وعلى إفريقية يزيد بن حاتم. وفيها توفي صفوان (١) سقط من المفردة.

ابن عمرو وعثمان بن أبي الساتر المشقيين ، وعثمان بن عطاء ، ومسر بن كدام ..

### ( واحد الراوية )

وهو ابن أبي ليلى ميسرة - ويقال ساور - بن المبارك بن عبيد أبيلى الكوفي ، مولى بكير ابن زيد الخليل الطائي ، كان من أعلم الناس بأيام العرب وأخبارها وأشعارها ولفاتها ، وهو الذي جمع السبع المملكات الطوال ، وإتباعه الراوية لكثرة روايته الشعر عن العرب ، اختبره الوليد بن يزيد بن عبد الملك أمير المؤمنين في ذلك فأثبته تسعاً وعشرين قصيدة على حروف المعجم ، كل قصيدة نحواً من مائة بيت ، وزعم أنه لا يسمى شاعر من شراء العرب إلا أثبته له مالا يحفظه غيره . فأطلق له مائة ألف درهم . وذكر أبو محمد الحريري في كتابه درة النواص : أن هشام بن عبد الملك استعده من المراق من نائبه يوسف بن عمر ، فلما دخل عليه إذا هو في دار قوراء مرخعة بالرخم والذهب ، وإذا عنده جاريتان حستان جداء ، فسقشعه شيئاً فأثبته ، فقال له : سل حاجتك : قال : كائنة ما كانت يا أمير المؤمنين ؟ قال : وما هي ؟ قال تطلق لي إحدى حاتين الجاريتين . قال : هما وما عليهما لك ، وأخلاه في بعض داره وأطلق له مائة ألف درهم . هذا ملخص الحكاية ، والظاهر أن هذا الخليفة إنما هو الوليد بن يزيد ، فإنه ذكر أنه شرب معه الخمر ، وهشام لم يكن يشرب . ولم يكن نائبه على المراق يوسف بن عمر ، إنما كان نائبه خالد بن عبد الله القسري ، ويسمى يوسف بن عمر بن عبد العزيز . كانت وفاة حماد في هذه السنة عن ستين سنة . قال ابن خلكان : وقيل إنه أدرك أول خلافة المهدي في سنة ثمان وخمسين لله أعلم .

وفيهما قتل حماد عمرد على الزندقة . وهو حماد بن عمر بن يوسف بن كليب الكوفي ، ويقال إنه واسطي ، مولى بني سواد ، وكان شاعراً ماجناً ظريفاً زنديقاً منهما على الاسلام ، وقد أدرك الدولتين الأموية والعباسية ، ولم يشتهر إلا في أيام بني العباس ، وكان بينه وبين بشار بن برد مهاجرة كثيرة ، وقد قتل بشار هذا على الزندقة أيضاً كما سيأتي ، ودفن مع حماد هذا في قبره ، وقيل إن حماداً وعمرد مات سنة ثمان وخمسين ، وقيل إحدى وستين ومائة لله أعلم .

### ( ثم دخلت سنة ست وخمسين ومائة )

فيها ظفر المهيم بن معاوية نائب المنصور على البصرة ، بمرو بن شداد الذي كان عملاً لابراهيم ابن محمد على فارس ، فقتل أمر فقتلت يده ورجلاه وضربت عنقه ثم صلب . وفيها هزل المنصور المهيم بن معاوية هذا الذي ضل هذه القملة عن البصرة وولى عليها فاضها مروان بن عبد الله ، فجح له بين القضاء والصلاة ، وجعل على شرطتها وأحباتها سعيد بن دعلج ، ورجع المهيم بن معاوية فقتل عمرو بن شداد إلى بغداد فقتل فيها فجأة في هذه السنة ، وهو على بطن جلجلة له ، وصلى عليه

المنصور ودفن في مقابر بني هاشم [ ويقال إنه أصابته دعة عمر بن شداد الذي قتله تلك القتلة ، فليق المبد العظيم ] (١)

وحج بالناس العباس بن محمد أخو المنصور ، وتواب البلاد المذكورون في التي قبلها . وعلى فارس والأهواز وكوردجلة عمارة بن حمزة ، وعلى كرمان والسند هشام بن عمرو . وفيها توفى حمزة الزيات في قول . وهو أحد القراء المشهورين والعباد المذكورين ، وإليه تنسب الممدود الطويلة في القراءة اصطلاحاً من عنده ، وقد تكلم فيه بسببها بعض الأئمة وأنكروها عليه . وسعيد بن أبي عروبة ، وهو أول من جمع السنن في قول ، وعبد الله بن شاذب ، وعبد الرحمن بن زياد بن أنعم الأفرقي ، وعمر بن ذر . ( ثم دخلت سنة سبع وخسين ومائة )

فيها بنى المنصور قصره المسمى بالخلد في بغداد ، تأسس بالخليل في الدنيا ، فمئذ كاله هات وخرب القصر من بعده ، وكان المستنجد في عمارته أنان بن صدقة ، والربيع مولى المنصور وهو حاجبه . وفيها حول المنصور الأسواق من قرب دار الامارة إلى باب الكرخ . وقد ذكرنا فيما تقدم سبب ذلك ، وفيها أمر بتوسعة الطرقات . وفيها أمر بعمل جسر عند باب الشعير . وفيها استمرض المنصور جسده وهم ملبسون السلاح وهو أيضاً لا يلبس سلاحاً عظيماً ، وكان ذلك عند دجلة . وفيها عزل عن السند هشام بن عمرو وولى عليها سعيد بن الخليل . وفيها غزا الصائفة يزيد بن أسيد السلي فأوغل في بلاد الروم ، وبث سناً مولى البطال مقدمة بين يديه ففتح حصوناً وسى وغنم . وفيها حج بالناس إبراهيم بن يحيى بن محمد بن علي . وتواب البلاد المذكورون في التي قبلها . وفيها توفى الحسين بن واقد ، والامام الجليل علامة الوقت أبو عمرو وعبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي فقيه أهل الشام وإمامهم . وقد بقى أهل دمشق وما حوطا من البلاد على مذهبه نحواً من مائتين وعشرين سنة . ( وهذا ذكر شئ من ترجمة الأوزاعي رحمه الله )

هو عبد الرحمن بن عمرو بن محمد أبو عمرو الأوزاعي . والأوزاع بطن من حمير وهم من أنفسهم ، قاله محمد بن سعد . وقال غيره : لم يكن من أنفسهم وإنما نزل في محلة الأوزاع ، وهي قرية خارج باب الفرداس من قرى دمشق ، وهو ابن عم يحيى بن عمرو الشيباني . قال أبو زرعة : وأصله من سبي السند فقتل الأوزاع فغلب عليه النسبة إليها . وقال غيره : ولد يميلك ونشأ بالباقع ببيتا في حجر أمه ، وكانت تنقل به من بلد إلى بلد ، وتادب بنفسه ، فلم يكن في أبناء الملوك والخلفاء والوزراء والتجار وغيرهم أعقل منه ، ولا أودع ولا أعلم ، ولا أفصح ولا أوفر ولا أعلم ، ولا أكثر حسناً منه ، ما تكلم بكلمة إلا كان المتعين على من سمعها من جلسائه أن يكتبها عنه ، من حسنها ،

وكان يثاني الرسائل والكتابة ، وقد اكتتب مرة في بحث إلى الجماعة فسمع الحديث من يحيى بن أبي كثير واقطع إليه فأرشده إلى الرحلة إلى البصرة ليسمع من الحسن وابن سيرين . فسار إليها فوجد الحسن قد توفي من شهرين ووجد ابن سيرين مريضاً ، فجعل يتردد لميادته ، فتوى المرض به ومات ولم يسمع منه الأوزاعي شيئاً . ثم جاء فتزل دمشق بمحلة الأوزاع خارج باب الفراءيس ، وساد أهلها في زمانه وسائر البلاد في الفقه والحديث والمغازي وغير ذلك من علوم الإسلام . وقد أدرك خلقاً من التابعين وغيرهم ، وحدث عنه جماعة من سادات المسلمين ، كمالك بن أنس والثوري والزهرى ، وهو من شيوخه . وأثنى عليه غير واحد من الأئمة ، وأجمع المسلمون على عدالته وإمامته . قال مالك : كان الأوزاعي إماماً يقتدى به . وقال سفيان بن عيينة وغيره : كان الأوزاعي إمام أهل زمانه ، وقد حج مرة فدخل مكة وسفيان الثوري أخذ بزمام جملة ، ومالك بن أنس يسوق به ، والثوري يقول : افصحوا للشيخ حتى أجلساه عند الكعبة ، وجلسا بين يديه يأخذان عنه . وقد تذاكر مالك والأوزاعي مرة بالمدينة من الظهر حتى صليا العصر ، ومن العصر حتى صليا المغرب ، فذمهم الأوزاعي في المغازي ، وغمره مالك في الفقه . أو في شيء من الفقه . وتناظر الأوزاعي والثوري في مسجد الخيف في مسألة رفع اليدين في الركوع والرفع منه . فاحتج الأوزاعي على الرفع في ذلك بما رواه عن الزهرى عن سالم عن أبيه « أن رسول الله ﷺ كان يرفع يديه في الركوع والرفع منه » . واحتج الثوري على ذلك بحديث يزيد بن أبي زياد <sup>(١)</sup> فضبط الأوزاعي وقال : تمارض حديث الزهرى بحديث يزيد بن أبي زياد وهو رجل ضيف ؟ فحار وجه الثوري ، فقال الأوزاعي : لعلك كرهت ما قلت ؟ قال : نعم . قال : قم بنا حتى نلتمن عند الركن أينما على الحق . فسكت الثوري . وقال هتلى بن زياد : أفتى الأوزاعي في سبعين ألف مسألة بمحدثنا . وأخبرنا . وقال أبو زرعة : روى عنه ستون ألف مسألة . وقال غيره : أفتى في سنة ثلاث عشرة ومائة ومهره إذ ذاك خمس وعشرون سنة ، ثم لم يزل يفتى حتى مات وعقله ذاك . وقال يحيى القطان عن مالك : اجتمع عندي الأوزاعي والثوري وأبو حنيفة فقلت : أيهم أرجح ؟ قال الأوزاعي . وقال محمد بن عجلان : لم أر أحداً أنصح للمسلمين من الأوزاعي . وقال غيره : ما روى الأوزاعي ضاحكاً مفهوماً قط ، ولقد كان يظن الناس فلا يبق أحد في مجلسه إلا بكى بعينه أو قلبه ، وما رأيته يبكي في مجلسه قط وكان إذا غل بكم ، حتى يرحم . وقال يحيى بن معين : العلماء أربعة : الثوري ، وأبو حنيفة ، ومالك ، والأوزاعي . قال أبو حاتم : كان ثقة متنبهاً لما سمع . قالوا : وكان الأوزاعي لا يلحن في كلامه ، وكانت كتبه ترد على المنصور فينظر فيها ويتأملها ويتعجب من فصاحتها وحلاوة عبارتها .

(١) يبايض بجميع الأصول . والمراد أنه احتج بهذا الحديث على عدم الرفع .



وقد قال المنصور يوما لأخطى كتابه عنده - وهو سليمان بن جلال - : ينبغي أن نجيب الأوزاعي على ذلك دائما ، لستعين بكلامه فيها نكتات به إلى الألف إلى من لا يعرف كلام الأوزاعي . قال : والله يا أمير المؤمنين لا يقدر أحد من أهل الأرض على مثل كلامه ولا على شيء منه . وقال الوليد ابن مسلم : كان الأوزاعي إذا صلى الصبح جلس يذكر الله سبحانه حتى تطلع الشمس ، وكان يأتي عن السلف ذلك . قال : ثم يقومون فيتذاكرون في الله والحديث . وقال الأوزاعي : رأيت رب العزة في المنام فقال : أنت الذي تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ؟ قلت : بفضلك أي رب . ثم قلت : يا رب أمتني على الاسلام . قال : وعلى السنة . وقال محمد بن شعيب بن شابور : قال لي شيخ بجامع دمشق : أُنشيت في يوم كذا وكذا . فلما كان في ذلك اليوم رأيته في محض الجامع ينفل ، فقال لي : اذهب إلى سرير المولى فحرزه لي عندك قبل أن تسبق إليه . قلت : ماتقول ؟ قال : هو ما أقول لك ، وإني رأيت كأن ثائلا يقول فلان قسري ، وفلان كذا وعثمان بن العاتكة نعم الرجل ، وأبو هريرة الأوزاعي خير من يعيش على وجه الأرض ، وأنت ميت في يوم كذا وكذا . قال محمد بن شعيب : فاجاء الظفر حتى مات وصلينا عليه بعدما وأخرجت جنازته . ذكر ذلك ابن عساکر . وكان الأوزاعي رحمه الله كثير العبادة حسن الصلاة ورعا فاسكا طويل الصمت ، وكان يقول : من أطال القيام في صلاة الليل حزن الله عليه طول القيام يوم القيامة ، أخذ ذلك من قوله تعالى ( ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلا طويلا ، إن هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم يوما ثقيلا ) وقال الوليد بن مسلم : ما رأيت أحدا أشد اجتهادا من الأوزاعي في العبادة . وقال غيره : حج فمات على الراحة ، إنما هو في صلاة ، فإذا نسي استند إلى القتب ، وكان من شدة الخشوع كأنه أعمى . ودخلت امرأة على امرأة الأوزاعي فرأت الحصى الذي يصل عليه ميلولا فقالت لها : لعل الصبي يال هنا فقالت : هذا أثر دموع الشيخ من بكائه في سجوده ، هكذا يصبح كل يوم . وقال الأوزاعي : عليك بأثار من سلف وإن رفضك الناس ، وإياك وأقوال الرجال وإن زخرفوه وحسنوه ، فإن الأمر ينجلي وأنت منه على طريق هتيم . وقال أيضا : أصبر على الشقوق حيث يقف القوم ، وقتل ما قالوا وكف عما كانوا ، وليسلك ما وسعهم . وقال : العلم ما جاء عن أصحاب محمد ، وما لم يحمي عنهم فليس يعلم . وكان يقول : لا يجتمع حب علي وعثمان إلا في قلب مؤمن . وإذا أراد الله بقوم شرأ فتح عليهم باب الجمل وسد عنهم باب العلم والعمل . قالوا : وكان الأوزاعي من أكرم الناس وأسخام ، وكان له في بيت المال على الخلفاء أنطاع صار إليه من بني أمية وقد وصل إليه من خلفاء بني أمية وأطربهم وبني العباس نحو من سبعين ألف دينار ، فلم يسك منها شيئا ، ولا اتقى شيئا من عقار ولا غيره ، ولا ترك يوم مات سوى سبعة دنانير كانت جهازه ، بل

كان ينفق ذلك كله في سبيل الله وفي الفقراء والمساكين .

ولما دخل عبد الله بن علي - عم السفاح الذي أجلي بن أمية عن الشام ، وأزال الله سبعائه دولهم على يده - دمشق فطلب الأوزاعي فتنب عنه ثلاثة أيام ثم حضر بين يديه . قال الأوزاعي : دخلت عليه وهو على سربر وفي يده خيزرانة والمسوفة عن يمينه وشماله ، مهشم السيوف مصلطة - والنفذ الحديد - فصلت عليه فلم يرد ونكت بتلك الخيزرانة التي في يده ثم قال : يا أوزاعي ما ترى فيها صنعا من إزالة أيدي أولئك الظلفة عن العباد والبلاد ؟ أجهداً ورباطاً هو ؟ قال : قلت : أيها الأمير سمعت يحيى بن سعيد الأنصاري يقول سمعت محمد بن إبراهيم التيمي يقول سمعت علقمة بن وقاص يقول سمعت عمر بن الخطاب يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة يتروجها فهجرته إلى ما هاجر إليه » . قال فنكت بالخيزرانة أشد مما كان ينكت ، وجعل من حوله يقبضون أيديهم على قبضات سيوفهم ، ثم قال : يا أوزاعي ما تقول في دماء بني أمية ؟ قلت : قال رسول الله ﷺ : « لا يجل دم امرئ مسلم إلا بحدسي ثلاث : النفس بالنفس ، والتب الزاني ، والتارك لدينه المفارق للجماعة » . فنكت بها أشد من ذلك ثم قال : ما تقول في أموالهم ؟ قلت : إن كانت في أيديهم حراماً فهي حرام عليك أيضاً ، وإن كانت حلالاً فلا فعل لك إلا بطريق شرعي . فنكت أشد مما كان ينكت قبل ذلك ثم قال : ألا نوليك القضاء ؟ قلت : إن أسلافك لم يكونوا يشقون علي في ذلك ، وإني أحب أن يتم ما ابتدؤوا به من الاحسان . فقال : كأنك تحب الانصراف ؟ قلت : إن ورأى حوماً ومحتاجون إلى القيام عليهم وسترهن ، وقلوبهن مشغولة بسببي . قال : وانتظرت رأسى أن يسقط بين يدي ، فأمرني بالانصراف . فلما خرجت إذا برسوله من ورأى ، وإذا معه مائتا دينار ، فقال يقول لك الأمير : استنق هنة . قال : فتصدقت بها ، وإنما أخفتها خوفاً . قال : وكان في تلك الأيام الثلاثة صائماً فقال إن الأمير لما بلغه ذلك عرض عليه الفطر عنده فأبى أن يفعل عنده .

قالوا : ثم رحل الأوزاعي من دمشق فنزل بيروت مرابطاً بأهله وأولاده ، قال الأوزاعي : وأعجبني في بيروت أني مررت بقبورها فإذا امرأة سوداء في القبور قتلت لها : أين الهارة ليعنتها ؟ فقالت : إن أردت العارة فهي هنة - وأشارت إلى القبور - وإن كنت تريد الخراب فأهالك - وأشارت إلى البلد - فزمت على الائمة بها . وقال محمد بن كثير : سمعت الأوزاعي يقول : خرجت يوماً إلى الصحراء فإذا رجل جراد وإذا شخص راكب على جرادة منها وعليه سلاح الحديد ، وكلما قال بيده حكفاً إلى جهة مال الجراد مع يده ، وهو يقول : الدنيا باطل باطل باطل ، وما فيها باطل

باطل باطل . وقال الأوزاعي : كان عندنا رجل يخرج يوم الجمعة إلى الصيد ولا ينتظر الجمعة تخفف بينته فلم يبق منها إلا أذناها ، وخرج الأوزاعي يوما من باب مسجد بيروت وهناك كان فيه رجل يبيع الناطف وإلى جانبه رجل يبيع البصل وهو يقول : يا بصل أحلى من السل ، أو قال أحلى من الناطف . فقال الأوزاعي : سبحان الله ! أيعظن هذا أن شيئا من السكنب يباح ؟ فكان هذا ما يرى في السكنب بأسا .

وقال الواقدي قال الأوزاعي : كنا قبل اليوم نضجك ونلمب ، أما إذ صرنا أمة يقتدى بنا فلا ترى أن يسمنا ذلك ، ويبنى أن تحفظ . وكتب إلى أخ له : أما بعد فقد أحبط بك من كل جانب ، وإنه يسار بك في كل يوم و ليلة ، فاحفر الله والقيام بين يديه ، وأن يكون آخر العهد بك والسلام . وقال ابن أبي الدنيا : حدثني محمد بن إدريس سمعت أبا صالح - كاتب الهيث - يذكر عن المغفل ابن زياد عن الأوزاعي أنه وعظ فقال في موعظته : أيها الناس ، تقووا بهيمة النمل التي أصبحت فيها على المغرب من نوافذ الموقدة ، التي تطلع الأفتنة ، فانكم في دار التواء فيها قليل ، وأنتم عما قليل عنها راحلون ، خلافت بعد القرون الماضية الذين استقبلوا من الدنيا آفتها وزهرتها ، فهم كانوا أطول منكم أعماراً وأمد أجساماً ، وأعظم أحمالاً ، وأكثر أموالاً وأولاداً ، فغدوا الجبال زجاوا الصخر بمراد ، وتفتقا في البلاد ، مؤيدين يبطش شديد ، وأجساد كاللحاء ، فما لبثت الأيام والأيال أن طوت آثارهم ، وأخربت منازلهم وديارهم ، وأنست ذكركم ، فهل تحس منهم من أحد أو تسمع له ذكرا ؟ كانوا بغير الأمل آمنين ، وعن ميقات يوم موتهم غافلين ، فأبوا إياب قوم تادمين ، ثم إنكم قد علمتم الذي نزل بإحسانهم بيانا من عقوبة الله ، فأصبح كثير منهم في ديارهم جائعين ، وأصبح الباقون المتخلفون يصيرون في نعمة الله وينظرون في آثار نعمته ، وزوال نعمته عن تقدمهم من الجبالكين ينظرون والله في مساكن خالية خاوية ، قد كانت بالمر محفوفة ، وبالنم مرفوقة ، والغروب إليها مصروفة ، والأعين نحوها ناظرة ، فأصبحت آية للذين يخافون العذاب الأليم ، وعبرة لمن يخشى . وأصبحت بدم في أجل منقوص ودنيا متلوعة ، في زمان قد ولى عفوهم وذهب رخاؤه وخيره وصفوه ، فلم يبق منه إلا جعة شر ، وصباغة كدر ، وأهواويل عبر ، وعقوبات غير ، وإرسال قتن ، وتبائع زلازل ، وردالة خلف بهم ظهر الفساد في البر والبحر ، يضيقون الديار ويشلون الأسعار بما يرتكبونه من العار والشنار ، فلا تكونوا أشباها لمن خدمه الأمل ، وغيره طول الأجل ، ولعبت به الأماني ، نسأل الله أن يجعلنا وإياكم ممن إذا دعى إليه ، وإذا نهى انتهى ، وعقل مثواه شهد نفسه . وقد اجتمع الأوزاعي بالنصور حين دخل الشام وعظه وأحبه المنصور وعظه ، ولما أراد الانصراف من بين يديه استأذنه أن لا يلبس السواد فأذن له ، فلما خرج قال المنصور للربيع

الحاجب : الخفة فأسأله لم كره لبس السواد ؟ ولا تلمه أنى قلت لك . فسأله الربيع فقال : لأنى لم أر محرماً أحرم فيه ، ولا ميتاً كفن فيه ، ولا عروساً جليت فيه ، فلماذا أكرهه . وقد كان الأوزاعي في الشام معظماً مكرماً أمره أئز عند من أمر السلطان ، وقد هم به بعض الولاة مرة فقال له أصحابه : دعه عنك والله لو أمر أهل الشام أن يقتلوك تقتلوك . ولما مات جلس على قبره بعض الولاة فقال : رحمك الله ، فوالله لقد كنت أخاف منك أكثر مما أخاف من أئزى ولائى - يعنى المنصور - وقال ابن أبى العشرين : ما مات الأوزاعي حتى جلس وحده وسمع شتمه بأذنه .

وقال أبو بكر بن أبى خيثمة : حدثنا محمد بن عبيد الطنافسى قال : كنت جالساً عند الثورى فجاء رجل فقال : رأيت كأن رجلاً من المغرب - يعنى قلت - . قال : إن صدقت رؤيتك فقد مات الأوزاعي . فكتبوا ذلك فجاء موت الأوزاعي في ذلك اليوم . وقال أبو مسهر : بلغنا أن سبب موته أن امرأته أغلقت عليه باب حمام فمات فيه ، ولم تكن طمعة ذلك ، فأمرها سميد بن هيد المزيز بفتح ريشة . قال : وما خلف ذهباً ولا فضة ولا عقاراً ، ولا متاعاً إلا ستة وثمانين ، فضلت من عطائه . وكان قد اكتتب في ديوان الساحل : وقال غيره : كان الذى أغلق عليه باب الحمام صاحب الحمام ، أغلقه وذهب لحاجة له ثم جاء ففتح الحمام فوجده ميتاً قد وضع يده اليمنى تحت خده وهو مستقبل القبلة رحمه الله .

قلت : لا خلاف أنه مات ببيروت مرابطاً ، واختلوا في سنة ووفاته ، فروى يعقوب بن سفيان عن سلمة قال قال أحمد : رأيت الأوزاعي وتوفي سنة خمسين ومائة . قال العباس بن الوليد البيرونى : توفي يوم الأحد أول النهار ليلتين بقيتا من صفر سنة سبع وخمسين ومائة ، وهو الذى عليه الجمهور وهو الصحيح ، وهو قول أبى مسهر وهشام بن عمار والوليد بن مسلم - فى أصح الروايات عنه - ويحيى بن معين وحجيم وخليفة بن خياط وأبى عبيد وسميد بن عبد العزيز وغير واحد . قال العباس بن الوليد : ولم يبلغ سبعين سنة . وقال غيره : جاوز التسعين ، والصحيح سبع وستون سنة ، لأن ميلاده فى سنة ثمان وثمانين على الصحيح . وقيل إنه ولد سنة ثلاث وسبعين ، وهذا ضعيف . وقد رآه بعضهم فى المنام فقال له : دلتى على عمل يقربنى إلى الله . فقال : ما رأيت فى الجنة درجة أعلا من درجة العلماء السامعين ، ثم المحزونين ..

❦ ثم دخلت سنة ثمان وخمسين ومائة ❦

ففيها تكامل بناء قصر المنصور المسمى بالبلخ وسكنه أياماً يسيرة ثم مات وتركه ، وفيها مات طائفة الروم . وفيها وجه المنصور ابنه المهدي إلى الرقة وأمره بهزل موسى بن كعب عن الموصل ، وأن يولى عليها خالد بن برمك ، وكان ذلك بعد نكتة غريبة اتفقت ليحيى بن خالد ، وذلك أن

المنصور كان قد غضب على خالد بن برمك ، وألزمه بحمل ثلاثة آلاف ألف ، فضاقت ذمما بنمك ، ولم يبق له مال ولا حال ، وهجر عن أكثرها ، وقد أجله ثلاثة أيام ، وأن يحمل ذلك في هذه الثلاثة الأيام ، وإلا فمعه هدر فجعل يرسل ابنه يحيى إلى أصحابه من الأمراء يستعرض منهم ، فكان منهم من أعطاه مائة ألف ، ومنهم أقل وأكثر . قال يحيى بن خالد : فبينما أنا ذات يوم من تلك الأيام الثلاثة على جسر بغداد ، وأنا مهوم في تحصيل ما يطلب مني لا طاقة ليا به ، إذ وثب إلى زاجر من أولئك الذين يكونون عند الجسر من الطرقة ، فقال لي : ابشر ، فلم ألتفت إليه ، فتقدم إلى حتى أخذني باجم فرسى ثم قال لي : أنت مهوم ، ليفرجن الله حملك ولتفرغ غدا في هذا الموضع والقواء بين يديك ، فإن كان ما قلت لك حقا قل عليك خمسة آلاف . فقلت : فم . ولو قال خسون ألفا لقلت نعم ، وبعد ذلك عندي . وذهبت لشأني ، وقد بقي علينا من الحل ثلاثمائة ألف فورد الخبر إلى المنصور بانتقاض الموصل وانتشار الأكراد فيها ، فاستشار المنصور الأمراء من يصلح للموصل ؟ فأشار بعضهم بخالد بن برمك ، فقال له المنصور : أو يصلح لذلك بعد ما فعلنا به ؟ فقال : نعم ، وأنا الضامن أنه يصلح لها ، فمر بأحضاره فولاه إياها ووضع عنه بقية ما كان عليه ، وعقد له القواء ، وولى ابنه يحيى أذربيجان وخرج الناس في خستهما . قال يحيى : قررنا بالجسر فنار لي ذلك الزاجر فطالبني بما وعدته به ، فأمرت له به قبض خمسة آلاف .

وفي هذه السنة خرج المنصور إلى الحج فساق الهدى معه ، فلما جاوز الكوفة بمراحل أخذته وجبه الذي مات به وكان عنده سوء مزاج فاشتد عليه من شدة الحر وركوبه في الهواجر ، وأخذته إسهال وأقرط به ، فتوى مرضه ، ودخل مكة فتوفي بها ليلة السبت لست مضين من ذى الحجة ، وصلى عليه ودفن بكندا عند ثنية باب المعلاة التي بأعلا مكة ، وكان عمره يومئذ ثلاثا وقيل أربعا وقيل خمسا وستين ، وقيل إنه بلغ ثمانيا وستين سنة فله أعلم . وقد كتم الربيع الحاجب موته حتى أخذ البيعة للمهدي من القواد ورؤس بني هاشم ، ثم دفن . وكان الذي صلى عليه إبراهيم بن يحيى بن محمد بن علي ، وهو الذي أقام للناس الحج في هذه السنة .

#### ( وهذه ترجمة المنصور )

هو عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم أبو جعفر المنصور . وكان أكبر من أخيه أبي العباس السفاح ، وأمه أم ولد اسمها سلامة . روى عن جده عن ابن عباس « أن رسول الله ﷺ كان يتختم في يمينه » وأورده ابن عساكر من طريق محمد بن إبراهيم السلي عن المأمون عن الرشيد عن المهدي عن أبيه المنصور به ، يروي له بالخلقة بعد أخيه في ذى الحجة سنة ست وثلاثين ومائة ، وعمره يومئذ إحدى وأربعون سنة ، لأنه ولد في سنة خمس وتسعين

على المشهور في صغر منها بالحكمة من بلاد البلقاء ، وكانت خلافته ثنتين وعشرين سنة إلا أياماً ، وكان أسمر اللون موافقاً للغة خفيف اللحية ، ورحب الجبهة ، ألقى الأنف ، أعين كأن عينيه لسانان ناطقان ، يخاطبه أبهة الملك ، وتقبله القلوب ، وتقبه العيون ، يعرف الشرف في مواضعه ، والنف في صورته ، والليت في مشيته ، هكفا وصفه بعض من رآه . وقد صح عن ابن عباس أنه قال : « منا السفاح والمنصور » وفي رواية هـ حتى نزلها إلى عيسى بن مريم . وقد روى مرفوعاً ولا يصح ولا وقفه أيضاً . وذكر الخطيب أن أمه سلامة قالت : رأيت حين حملت به كأنه خرج مني أسد فزأر وأفاض على يديه ، فابقي أسد حتى جاء فسجد له . وقد رأى المنصور في صغره مناما غربيا كان يقول : ينبغي أن يكتب في ألواح الذهب ، ويعلق في أعتاق الصبيان . قال : رأيت كافي في المسجد الحرام ، وإذا رسول الله ﷺ في الكعبة والناس يجتمعون حولها ، فخرج من عنده مناد : ابن عبد الله ؟ قام أخى السفاح يتخطى الرجال حتى جاء باب الكعبة فأخذ بيده فأدخله إليها ، فسا لبث أن خرج ومعه لواء أسود . ثم تولى ابن عبد الله ؟ قمت أنا وعمر عبد الله بن علي تنقيب ، فسبقتني إلى باب الكعبة فدخلتها ، فإذا رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر وبلال ، ففقدوا لواء وأوصاني بأمنه وحمي عمارة كورها ثلاثة وعشرون كوراً ، وقال : « خضعوا إليك أيها الخلفاء إلى يوم القيامة » . وقد اتفق سجن المنصور في أيام بني أمية فاجتمع به نوبخت النجم وتوسم فيه الرياسة فقال له : من تكوني ؟ فقال : من بني العباس ، فلما عرف منه نسبه وكنته قال : أنت الخليفة الذي على الأرض . فقال له : ويحك ماذا تقول ؟ فقال : هو ما أقول لك ، فضع لي خطك في هذه الرقعة أن تمليني شيئاً إذا وليت . فكتب له ، فلما ولي أكرمه المنصور وأعطاه وأسلم نوبخت على يديه ، وكان قبل ذلك مجوسياً . ثم كان من أخص أصحاب المنصور . وقد حج المنصور بالناس سنة أربعين ومائة ، وأحرم من الحيرة ، وفي سنة أربع وأربعين ، وفي سنة سبع وأربعين . وفي سنة ثنتين وخمسين ، ثم في هذه السنة التي مات فيها . وبني بغداد والرافضة والرافقة وقصره الخلد .

قال الربيع بن يونس الحاجب : سمعت المنصور يقول : الخلفاء أربعة : أبو بكر وعمر وعثمان وعلي . واللوك أربعة معاوية وعبد الملك بن مروان وهشام بن عبد الملك ، وأنا . وقال مالك : قال لي المنصور : من أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ ؟ قلت : أبو بكر . وعمر . فقال : أصبت وذلك رأي أمير المؤمنين . وعن إسماعيل البهري قال سمعت المنصور على منبر عرفة يوم عرفة يقول : أيها الناس ! إنما أنا سلطان الله في أرضه ، أسوسكم بتوقيفه ورشده ، وخازنه على ماله أقسمه بإرادته وأعطيه بإذنه ، وقد جعلني الله عليه قلالاً فإن شاء أن يفتحن لأعطيتكم وقسم أرزاقكم فتحن ، وإذا شاء أن يغلقني عليه قفلي . فارغبوا إلى الله أيها الناس وسلوه في هذا اليوم الشريف الذي

وهيكم فيه من فضله ما أعلمكم به في كتابه ، إذ يقول : ( اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً ) . أن يوفقني لأصواب ويسدني للرشاد ويبلغني الرفعة بكم والإحسان إليكم ويثني لأعطيتكم وقسم أرزاقكم بالعدل عليكم ، فانه جميع محجب .

وقد خطب يوماً فاعترضه رجل وهو يقف على الله عز وجل ، فقال : يا أمير المؤمنين اذكر من أنت ذا كره ، وأتق الله فيما تأتبه وتفره . فسكت المنصور حتى انتهى كلام الرجل فقال : أعوذ بالله أن أكون ممن قال الله عز وجل فيه ( وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم ) أو أن أكون جباراً عصبياً ، أبها الناس ! إن الموعظة علينا نرات ومن عندنا نبت . ثم قال للرجل : ما أظنك في مقالتيك هذه تريد وجه الله ، وإنما أردت أن يقال عنك وعظ أمير المؤمنين ، أبها الناس لا يفرنكم هذا فتغفلوا كنههم ثم أمر به فاحتفظ به وعاد إلى خطبته فأكملها ، ثم قال لن هو عنده : أعرض عليه الدنيا فان قبلها فأعلمني ، وإن ردها فأعلمني ، فإزال به الرجل الذي هو عنده حتى أخذ المال ومال إلى الدنيا فولاه الحسبة والمظالم وأدخله على الخليفة في بزة حسنة ، وثياب وشارة وهيئة دنيوية ، فقال له الخليفة : ويحك ! لو كنت محتماً مريداً وجهه الله بما قلت على رؤس الناس لما قبلت شيئاً مما أرى ، ولكن أردت أن يقال عنك إنك وعظ أمير المؤمنين ، وخرجت عليه ، ثم أمر به فضربت عنقه . وقد قال المنصور لابنه المهدي : إن الخليفة لا يصلحه إلا التقوى ، والسلطان لا يصلحه إلا الطاعة ، والرعية لا يصلحها إلا العدل ، وأولى الناس بالمغو أقدمهم على العقوبة ، وأخص الناس عقلاً من ظلم من هو دونه . وقال أيضاً : يا بني استمع النعمة بالشكر ، والقسوة بالمغو ، والطاعة بالتأليف ، والنصر بالتواضع والرحمة للناس ، ولا تنس نصيبك من الدنيا ونصيبك من رحمة الله .

وحضر عنده مبارك بن فضالة يوماً وقد أمر رجل أن يضرب عنقه وأحضر النزع والسيف ، فقال له مبارك : سمعت الحسين يقول قال رسول الله ﷺ : « إذا كان يوم القيامة نادى مناد ليقيم هن كان أجره على الله فلا يقوم إلا من عفا » فأمر بالمغو عن ذلك الرجل . ثم أخذ يمدد على جلسائه عظيم جرائم ذلك الرجل وماضيه . وقال الأصمى : أتى المنصور رجل ليعاقبه قال : يا أمير المؤمنين الانتقام عدل والمغو فضل ، وتعود أمير المؤمنين بالله أن يرضى لنفسه بأوكس النصيبين ، وأدنى التقسيمين ، دون أرفع الدرجتين . قال فضأ عنه .

وقال الأصمى : قال المنصور لرجل من أهل الشام : أحمد الله يا أعزائي الذي دفع عنكم الطاعون وبلائنا . فقال إن الله لا يجمع علينا حسفاً وسوء كبل ، ولا يترك والطاعون . والحكايات في ذكر حله وعفوه كثيرة جداً . [ ودخل بعض الزهاد على المنصور فقال : إن الله أعطاك الدنيا بأخرها فاشتر نفسك ببعضها ، وأذكر ليلة تميت في القبر لم تبت قبلها ليلة ، وأذكر ليلة تمخض من

يوم ليلية بعده . قال : فأخبر المنصور قوله وأمر له بحال قتال : لو احتجت إلى مالك لما وعظمتك<sup>(١)</sup> ودخل عمرو بن عبيد القدرى على المنصور فأكرمه وعظمه وقر به وسأله عن أهله وعياله ، ثم قال له : عظمى . فقرأ عليه سورة الفجر إلى ( إن ربك بالمرصاد ) فبكى المنصور بكاء شديداً حتى كأنه لم يسمع بهذه الآيات قبل ذلك ، ثم قال له : زدنى . فقال : إن الله قد أعطاك الدنيا بأسرها فاشتر نفسك ببعضها ، وإن هذا الأمر كان لمن قبلك ثم صار إليك ثم هو صار لمن بعدك ، وإذا كر ليلة تسفر عن يوم القيامة . فبكى المنصور أشد من بكائه الأول حتى اختلفت أجنانه . فقال له سليمان بن جبال : رفقاً بأمر المؤمنين . فقال عمرو : وماذا على أمير المؤمنين أن يبكى من خشية الله عز وجل . ثم أمر له المنصور بعشرة آلاف درهم فقال : لا حاجة لى فيها . فقال المنصور : والله لتأخذنها . فقال : والله لا تأخذنها . فقال له المهدي وهو جالس في سواده وسيفه إلى جانب أبيه : أيعلم أمير المؤمنين وتحلف أنت ؟ فالتفت إلى المنصور فقال : ومن هنا ؟ فقال : هذا ابنى محمد ولّى المهدي من بعدى . فقال عمرو : إنك سميت اسمك لم يستحقه لعله ، وأليسته لبوساً ما هو لبوس الأبرار ، ولقد مهنت له أحراراً أمع ما يكون به أشقل ما يكون عنه . ثم التفت إلى المهدي فقال : يا ابن أخى ! إذا حلف أبوك وحلف حلف فلان بحث أبوك أيسر من أن يبحث حلفك ، لأن أباك أقدر على الكفارة من حلفك . ثم قال المنصور : يا أبا عثمان هل من حاجة ؟ قال : نعم ! قال : وما هى ؟ قال : لا تبث لى حتى أتيتك . ولا تملنى حتى أسألك . فقال المنصور : إذا والله لا نلتقى . فقال عمرو : عن حاجتى ما ألقى . فودعه وانصرف . فلما ولّى أمده بصره وهو يقول :

كلكم يمشى رويد \* كلكم يطلب صيد \* غير عمرو بن عبيد

ويقال إن عمرو بن عبيد أنشد المنصور قصيدة في موعظته إليه وهى قوله :

يا أيها الذى قد غره الأمل \* ودون ما يأمى التنصيص والأجل  
ألا ترى أنما الدنيا وزينتها \* كنزل الركب حلوا ثم ارتحلوا  
حتوفها رصد وعيشها تمكيد \* وصفوها كدر وملحها دول  
تظل تفرع بالروعات مساكنتها \* فإ يسوغ له لين ولا جذل  
كأنه للنفايا والذى غرض \* تظل فيه بنات الدهر تنتقل  
تديره ما تدور به دوائرها \* منها المصيب ومنها المحلى الزلل  
والنفس هاربة والموت يطلبها \* وكل عسرة رجل عندها جلال  
والمرء يسمى بما يسمى لوارثه \* والقبر وارث ما يسى له الرجل



وقال ابن دريد عن الرليثي عن محمد بن سلام قال : رأيت جارية للمنصور توبه مرقوعاً فقالت :  
خليفة وقيص مرقوع ؟ فقال : ويحك أما سمعت ما قال ابن هرمة

قد يدرك الشرف الفتى ورداؤه • خلق وبيض قيصه مرقوع

وقال بعض الزهاد المنصور : اذكر ليلة تبيت في القبر لم تبت قبلها ليلة مثلاً ، واذكر ليلة  
تمنح عن يوم القيامة لاليلة بعدها فأفهم المنصور قوله فأمر له بـمال . فقال : لو احتجت إلى مالك  
ما وعظمتك . ومن شره لما عزم على قتل أبي مسلم : -

إذا كنت ذا رأى فكن ذا عزيمة • فان فساد الرأى أن يتردأ

ولا تميل الأعدها يوماً لفكرة • وبإدم أن يملكوا مثلاً غدا

ولما قتله ورآه طريقاً بين يديه قال : -

قد اكتنتك ثلاث ثلاث • جلين عليك محنوم الحام

خلافتك وامتناعك من يميني • وقودك للجماهير المظالم

ومن شره أيضاً : -

المرء يأمل أن يمي • ش وطول عمر قد يضره

تبلى بشاشته وي • في بعد حلو العيش مره

وتخونه الأيام حتى • لا يرى شيئاً يسره

كم شئت في إن ملكك • تـ وقاتل الله دمه

قالوا : وكان المنصور في أول النهار يتصدى للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والولايات والمزل  
والنظر في مصالح العامة ، فإذا صلى الظهر دخل منزله واستراح إلى العصر ، فإذا صلاها جلس لأهل  
بيته ونظر في مصالحهم الخاصة ، فإذا صلى المشاء نظر في الكتب والرسائل الواردة من الألق ،  
وجلس عنده من يساره إلى ثلث الليل ، ثم يقوم إلى أهله فينام في فراشه إلى الثلث الآخر ،  
فيقوم إلى وضوئه وصلاته حتى يتفجر الصباح ، ثم يخرج فيصلي بالناس ، ثم يدخل فيجلس في إيوانه .  
وقد ولي بعض المال على بلد فيبلغه أنه قد تصدى للصيد وأعد لذلك كلاباً وبزاة ، فكتب إليه  
تكلتك أمك وعشيرتك ، ويحك إنما استكفيناك واستمناك على أمور المسلمين ، ولم نستكفك  
أمر الوحوش في البراري ، فلم ماتلى من عملنا إلى فلان والحق بأهلك ملوماً مدحوراً .

وأنى يوماً بخارجي قد هزم جيوش المنصور غير مرة فلما وقف بين يديه قال له المنصور : ويحك  
يا ابن الفأهة ! مثلك يهزم الجيوش ؟ فقال الخارجى : ويك سوءة لك بيني وبينك أسس السيف  
والقتل واليوم القنف والسب ، وما يؤمنك أن أرد عليك وقد بقتس من الحياة فما استقبلها أبداً .

قال فاستحي منه المنصور وأطلقه . فما رأى له وجها إلى الحول | وقال لابنه لما ولاء المهدي : يا بني  
اتمم النعمة بالشكر ، والقصدرة بالعفو ، والنصر بالتواضع ، والتألف بالطاعة ، ولا تنس نصيبك من  
الدنيا ونصيبك من رحمة الله <sup>(١)</sup>

وقال أيضا : يا بني ليس الماقل من يحتال للأمر الذي وقع فيه حتى يخرج منه ، ولكن الماقل  
الذي يحتال للأمر الذي غشيه حتى لا يقع فيه . وقال المنصور : يا بني لا تجلس مجلساً إلا وعندهك من  
أهل الحديث من يحدثك ، فان الزهري قال : علم الحديث ذكر لا يحبه إلا ذكرا ن الرجال ، ولا يكرهه  
إلا مؤنثوم ، وصديق أخو زهرة . وقد كان المنصور في شببته يطلب العلم من مظانه والحديث والفتنة  
فقال جانباً جيداً وطرفاً صالحاً ، وقد قيل له يوما : يا أمير المؤمنين هل بقي شيء من آفكات لم تنله ؟  
قال : شيء واحد ، قالوا : وما هو ؟ قال : قول الحديث للشيخ من ذكرت رحلك الله . فاجتمع وزرأوه  
وكتابه وجلسوا حوله وقالوا : لعل علينا أمير المؤمنين شيئا من الحديث ، فقال : لستم بهم ، إنعام  
الجنة ثيابهم ، المشقة أرجلهم ، الطويلة شعورهم ، رواد الآفاق وقطاع المسافات ، تارة بالعراق  
وتارة بالحجاز ، وتارة بالشام ، وتارة باليمن . فهؤلاء هملة الحديث .

وقال يوما لابنه المهدي : كم عندك من دابة ؟ فقال لا أدري . فقال : هذا هو التصغير ، فأنت لأمر  
الخلافة أشد تضيقاً فائق الله يا بني . وقالت خالصة إحدى حظيات المهدي : دخلت يوما على  
المنصور وهو يشكى ضرسه ويدها على صدغيه فقال لي : كم عندك من المال يا خالصة ؟ فقلت : ألف  
درهم . فقال : ضعي يدي على رأسي واحلني ، فقلت : عندي عشرة آلاف دينار . قال : اذهبي فأحلبها  
إلى . قالت : فذهبت حتى دخلت على سیدی المهدي وهو مع زوجته الخيزران فشكوت ذلك <sup>(٢)</sup> ،  
فوكزني برجله وقال : وبمحك ! إنه ليس به وجع ولكني سألته بالأنس مالا قهارض ، وإنه لا يسلك  
إلا ما أمرك به . فذهبت إليه خالصة ومعهما عشرة آلاف دينار ، فاستدعى بالمهدي فقال له : تشكو  
الحاجة وهذا كله عند خالصة ؟ وقال المنصور لخازنه : إذا علمت بجميع المهدي فائتي بخلفان الثياب  
قبل أن يجيئ ، فجاه بها فوضها بين يديه ودخل المهدي والمنصور يقبلها ، فجعل المهدي يضحك ،  
فقال : يا بني من ليس له خلق ليس له جديد ، وقد حضر الشناء فنجتاج فنعين العيال والولد . فقال  
المهدي : علي كسوة أمير المؤمنين وعياله ، فقال : دونك فأقبل .

وذكر ابن جرير عن الهيثم أن المنصور أطلق في يوم واحد لبعض أعماله ألف ألف درهم . وفي  
هذا اليوم فرق في بيته عشرة آلاف درهم ، ولا يعلم خليفة فرق مثل هذا في يوم واحد . وقرأ بعض  
القراء عند المنصور ( الذين يبيعون ويأمرون الناس بالقتل ) فقال : والله لولا أن المال حصن

السلطان ودعامة للدين والدنيا وعزهما مابت ليلة واحدة وأنا أحرص منه ديناراً ولا درهما لما أجد لبفل المال من الكفة ، ولما أعلم في إعطائه من جزيل المثوبة . وقرأ عنده تاري آخر ( ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط ) الآية . فقال : ما أحسن ما أدبنا ربنا عز وجل . وقال المنصور : سمعت أبي يقول سمعت علي بن عبد الله يقول : سادة أهل الدنيا في الدنيا الأسخياء ، وسادة أهل الآخرة في الآخرة الأتقياء .

ولما عزم المنصور على الحج في هذه السنة دعا ولده المهدي فأوصاه في خاصة نفسه وبأهل بيته وبأسائر المسلمين خيراً ، وعلمه كيف تفعل الأشياء وقد انفق ، وأوصاه بوصايا يطول بسطها وخرج عليه أن لا يفتح شيئاً من خزائن المسلمين حتى يتحقق وفاته فإن بها من الأموال ما يكفي المسلمين فلم يجب إليهم من الخراج درهم عشرين ، وعهد إليه أن يقضى ما عليه من الدين وهو ثلاثمائة ألف دينار ، فإنه لم يرقضها من بيت المال . فامتثل المهدي ذلك كله . وأحرم المنصور بجميع عمرته من الرصافة وساق بدنه وقال : يا بني إني ولدت في ذى الحجة وقد وقع لي أن أموت في ذى الحجة ، وهذا الذي جرى على الحج على هذا . وودعه وسار واعتراه مرض الموت في أثناء الطريق فساد دخل مكة إلا وهو ثقيل جداً ، فلما كان بآخر منزل نزله دون مكة إذا في صدر منزله مكتوب : ( بسم الله الرحمن الرحيم ) .

أبا جعفر حانت وفاتك وانقضت • سنوك وأمر الله لا بد واقع  
أبا جعفر هل كلفن أو متجم • لك اليوم من كرب النية مانع  
فدعا بالحجبة فأقرأه ذلك فلم يرو شيئاً فصرف أن أجله قد مضى إليه . فقالوا : ورأى المنصور في منامه ويقال بل هتف به هاتف وهو يقول : -

أما ورب السكون والحرك • إن الدنيا كنيسة الشرك  
عليك يا نبي إن أسأت وإن • أحسنت يا نبي كان ذلك لك  
ما اختلف الليل والنهار ولا • دارت نجوم السماء في تلك  
إلا ينقل السلطان عن ملك • إذا اتقى ملكه إلى ملك  
حتى يصير أنه إلى ملك • ما عز سلطانته بمشرك  
ذاك بديع السماء والأرض والمر • سى الجبال المسخر تلك

فقال المنصور : هذا أو أن حضور أجلي وانقضاء عمري . وكان قد رأى قبل ذلك في قصره الخلد الذي بناه وتأنق فيه مناماً أفزع فقال له ربيع : ويحك يا ربيع ! لقد رأيت مناماً هالتي ، رأيت قائلاً وقف في باب هذا القصر وهو يقول :

كأنى بهذا القصر قد باد أهلُه • وأوحش منه أهلُه ومنازلُه  
 وصار رئيس القصر من بعد بهجة • إلى جث يبنى عليه جناده  
 فما أقام في الخلد إلا أقل من سنة حتى مرض في طريق الحج ، ودخل مكة مدنفًا قليلًا . وكانت  
 وفاته ليلة السبت لست وقيل لسبع مضين من ذى الحجة ، وكان آخر ما تكلم به أن قال : اللهم  
 بارك لي في لقاءك . وقيل : إنه قال يا رب إن كنت عصيتك في أمور كثيرة فقد أهلك في أحب  
 الأشياء إليك شهادة أن لا إله إلا الله مخلصًا . ثم مات . وكان قش خاتمه : الله تة عبد الله وبه  
 يؤمن . وكان عمره يوم وفاته ثلاثًا وستين سنة على المشهور ، منها ثنتان وعشرون سنة خليفة . ودفن  
 بباب الملاة رحمه الله . قال ابن جرير : وعما رآني به قول سلم الخلمر الشاعر :

عجبا لذى نعى الناعيان • كيف طاشت بموته الشفتان  
 ملك أن عدا على الدهر يومًا • أصبح الدهر ساقطًا للجران  
 ليت كفاحت عليه ترابًا • لم تعد في يمينها يبتان  
 حين دانت له البلاد على المس • ف وأغضى من خوفه الثقلان  
 أين رب الزوراء قد قلته لا • ملك عشرين حجة واثنتان  
 إنما المرء كالزناد إذا ما • أخذته قوادح النيران  
 ليس يثني هراء زجر ولاية • مع في حيله ذوو الأذهان  
 قلته أعنة الملك حتى • ناد أعداءه بغير عنان  
 يكسر الطرف دونه وترى الإ • مى من خوفه على الأذهان  
 ضم أطراف ملكه ثم أضفى • خلف أقصام ودون الداني  
 هاشمي التشمير لا يحمل التة • ل على غارب الشرود الهدان  
 ذو أناة ينسى لها الخائف الخو • ف وعزم يولى بكل جنين  
 ذهبته دونه النفوس حذارًا • غير أن الأرواح في الأبدان

وقد دفن عند باب الملاة بمكة ولا يعرف قبره لأنه أمى قبره ، فان الربيع الحاجب حفر مائة  
 قبر ودفنه في غيرها لتلا يعرف .

### ﴿ ذكر أولاد المنصور ﴾

محمد المهدي وهو ولي عهده ، وجعفر الأكبر مات في حياته ، وأمهأ أروى بنت منصور .  
 وعيسى ، ويعقوب ، وسليمان ، وأمهأ فاطمة بنت محمد من ولد طلحة بن عبيد الله . وجعفر الأصغر  
 من أم ولد كردية ، وصالح المسكين من أم ولد رومية . يقال لها قالى الفراشة - والتاسم من أم

وله أيضاً . والعالية من امرأة من بني أمية .

﴿ ذكر خلافة المهدي بن المنصور ﴾

لما مات أبوه بمكة لست أو لسبع مضي من ذي الحجة من سنة ثمان وخمسين ومائة أخذت البيعة للمهدي من رؤس بني هاشم والقواد الذين هم مع المنصور في الحج قبل دفنه ، وبث الربيع الحاجب بالبيعة مع البرد إلى المهدي وهو ببغداد ، فدخل عليه البريد بفك يوم الثلاثاء النصف من ذي الحجة ، فلم عليه بالخلافة وأعطاه السكتب بالبيعة ، وبأيه أهل بغداد ، وضفت بيته إلى سائر الأفاق . وذكر ابن جرير أن المنصور قبل موته بيوم تحامل وتساند واستدعى بالأمرأ فجهد البيعة لابنه المهدي ، فصاروا إلى ذلك وتبادروا إليه . وحج بالناس في هذه السنة إبراهيم بن يحيى بن محمد ابن علي بن عبد الله بن عباس عن وصية عمه المنصور ، وهو الذي صلى عليه ، وقيل إن الذي صلى على المنصور عيسى بن موسى ولي المهدي من بعد المهدي ، والصحيح الأول ، لأنه كان نائب مكة والطائف ، وعلى إمرة المدينة عبد الصمد بن علي ، وعلى الكوفة عمرو بن زهير الضبي - أخو المسيب ابن زهير أمير الشرطة للخليفة - وعلى خراسان حميد بن قحطبة ، وعلى خراج البصرة وأرضها عمارة ابن حمزة ، وعلى صلاتها وقضائها عبد الله بن الحسن المنبري ، وعلى أحداتها سعيد بن دعلج .

قال الواقدي : وأصاب الناس في هذه السنة واه شديد فتوفي فيه خلق كثير وجم غفير ، منهم أفلح بن حميد ، وحبوة بن شريح ، ومعاوية بن صالح بمكة ، وزفر بن الهذيل بن قيس بن سليم ثم ساق نسبه إلى نعد بن عدنان ، يقال له النعمي المنبري الكوفي الفقيه الحنفي ، أقدم أصحاب أبي حنيفة وفاة ، وأكثرهم استمالة لقياس ، وكان عابداً ، اشتغل أولاً بعلم الحديث ثم غلب عليه الفقه والقياس . ولد ليلة ست عشرة ومائة ، وتوفي سنة ثمان وخمسين ومائة عن ثنتين وأربعين سنة رحمه الله وإيأنا .

﴿ ثم دخلت سنة تسع وخمسين ومائة ﴾

استلمت هذه السنة وخليفة الناس أبو عبد الله محمد بن المنصور المهدي ، فبعث في أولها العباس ابن محمد إلى بلاد الروم في جيش كثيف ، وركب معهم مشيعاً لهم ، فساروا إليها فافتتحوا مدينة عظيمة للروم ، وغنموا غنائم كثيرة ورجعوا سالمين لم يفقد منهم أحد . وفيها توفي حميد بن قحطبة نائب خراسان ، فولى المهدي مكانه أبا عون عبد الملك بن يزيد ، وولى حمزة بن مالك سجستان ، وولى جبريل بن يحيى حمقند . وفيها بنى المهدي مسجد الرصافة وحنقها . وفيها جيز جيشاً كثيفاً إلى بلاد الهند فوصلوا إليها في السنة الآتية ، وكان من أمرهم ما سندر . وفيها توفي نائب السند معبد بن الخليل فولى المهدي مكانه روح بن حاتم بمشورة وزيره أبي عبد الله . وفيها أطلق المهدي من كان في السجون إلا من كان مجسوساً على دم ، أو من سعى في الأرض فساداً ، أو من كان عنده

حق لأحد . وكان في جملة من أخرج من المطبق يعقوب بن داود مولى بنى سليم ، والحسن بن إبراهيم ابن عبد الله بن حسين ، وأمر بصيرورة حسن هذا إلى نصير الخادم ليجترز عليه . وكان الحسن قد عزم على الحرب من السجن قبل خروجه منه ، فلما خرج يعقوب بن داود ناصح الخليفة بما كان عزم عليه فقتله من السجن وأودعه عند نصير الخادم ليحاط عليه ، وحظي يعقوب بن داود عند المهدي جداً حتى صار يدخل عليه في الليل بلا استئذان ، وجعله على أمور كثيرة ، وأطلق له مائة ألف درهم . وما زال عنده كذلك حتى تمكن المهدي من الحسن بن إبراهيم فقتلته منزلة يعقوب عنده . وقد عزل المهدي نواباً كثيرة عن البلاد وولى بدلم . وفي هذه السنة تزوج المهدي ببنه أم عبد الله بنت صالح بن علي ، وأعتق جاريته الخيزران وتزوجها أيضاً ، وهي أم الرشيد . وفيها وقع حريق عظيم في السفن التي في دجلة ببغداد . ولما ولي المهدي سأل عيسى بن موسى - وكان ولي المهدي من بعده - أن يخلع نفسه من الأمر فامتنع على المهدي ، وسأل المهدي أن يقيم بأرض الكوفة في ضيعة له فأذن له ، وكان قد استقر على إمرة الكوفة روح بن حاتم ، فكتب إلى المهدي : إن عيسى بن موسى لا يأتي الجمعة ولا الجمعة مع الناس إلا شهرين من السنة ، وإنه إذا جاء يدخل بدوابه إلى داخل باب المسجد فتروث دوابه حيث يصل الناس . فكتب إليه المهدي أن يعمل خشباً على أفواه السلك حتى لا يصل الناس إلى المسجد إلا مشاة . ففعل بذلك عيسى بن موسى فاشتري قبل الجمعة دار المختار بن أبي عبيدة من وراثته . وكانت ملاصقة للمسجد - وكان يأتي إليها من يوم الخميس ، فإذا كان يوم الجمعة ركب حماراً إلى باب المسجد فنزل إلى هناك وشهد الصلاة مع الناس وأقام بالكلية بالكوفة بأهله ، ثم ألح المهدي عليه في أن يخلع نفسه وتوعده إن لم يفعل ، ووعده إن فعل فأجابته إلى ذلك فأعطاه أقطاعاً عظيمة ، وأعطاه من المال عشرة آلاف ألف ، وقيل عشرين ألف ألف ، وبايع المهدي لولديه من بعده موسى الهادي ، ثم هارون الرشيد كما سيأتي .

وحج بالناس يزيد بن منصور خال المهدي ، وكان نائباً على اليمن فؤلاً الموسم واستقمه عليه شوقاً إليه ، وغالب نواب البلاد هزمهم المهدي ، غير أن إفريقية مع يزيد بن حاتم ، وعلى مصر محمد ابن سليمان أبو حمزة ، وعلى خراسان أبو عون ، وعلى السند بسطام بن عمرو ، وعلى الأهواز وفارس حمارة بن حمزة ، وعلى اليمن رجاء بن روح ، وعلى الجامة بشر بن المنذر ، وعلى الجزيرة الفضل بن صالح ، وعلى المدينة عبيد الله بن صفوان الجمعي ، وعلى مكة والطائف إبراهيم بن يحيى ، وعلى أحداث الكوفة إسحاق بن الصلاح الكندي ، وعلى خراجها ثابت بن موسى ، وعلى قضائها شريك بن عبد الله النخعي ، وعلى أحداث البصرة حمارة بن حمزة ، وعلى صلاحها عبد الملك بن أيوب بن ظبيان النخعي ، وعلى قضائها عبيد الله بن الحسن النخعي .

وفيها توفي عبد العزيز بن أبي رواد ، وعكرمة بن عمار ، ومالك بن مغول ، ومحمد بن عبد الرحمن ابن أبي ذئب المدني : فظير مالك بن أنس في الققه ، وربما أنكر على مالك أشياء ترك الأخذ فيها بعض الأحاديث ، كان يراها مالك من إجماع أهل المدينة وغير ذلك من المسائل .

( ثم دخلت سنة ستين ومائة )

فيها خرج رجل يخراسان على المهدي منكرآ عليه أحواله وسيرته وما يتعاطاه ، يقال له يوسف البرم ، والثف عليه خلق كثير ، وتفاقم الأمر وعظم الخطب به ، فتوجه إليه يزيد بن يزيد فلقبه فاقنتلا قتالا شديداً حتى تنازلا وتماقعا ، فأمر يزيد بن يزيد يوسف هذا ، وأمر جماعة من أصحابه فيمتهم إلى المهدي فأدخلوا عليه ، وقد حلوا على جمال محولة وجوههم إلى ناحية أذنب الأبل ، فأمر الخليفة هرمة أن يقطع يدي يوسف ورجليه ثم تضرب عنقه وأعتاق من معه وصلبهم على جسر دجلة الأكبر مما يلي عسكر المهدي وأطفا الله نأرتهم وكفى شرهم .

( ذكر البيعة لموسى الهادي )

ذكرنا أن المهدي ألح على عيسى بن موسى أن يتخلى نفسه وهو مع كل ذلك يمتنع وهو مقم بالكوفة ، فبعث إليه المهدي أحد القواد الكبار وهو أبو هريرة محمد بن فروخ في ألف من أصحابه لاحتضاره إليه ، وأمر كل واحد منهم أن يحمل ظيلاً ، فاذا واجهوا الكوفة عند إضاءة الفجر ضرب كل واحد منهم على طيله ، فضعوا ذلك فارتجت الكوفة ، وخلف عيسى بن موسى ، فلما انتهوا إليه دعوه إلى حضرة الخليفة فأظهر أنه يشك فيهم ، فلم يقبلوا ذلك منه بل أخذوه معهم فمستلوا به على الخليفة في يوم الخميس ثلاث خلون من المحرم من هذه السنة ، فاجتمع عليه وجوه بني هاشم والقضاة والأعيان وسألوه في ذلك وهو يمتنع ، ثم لم يزل الناس به بالرغبة والرهبة حتى أجلب في يوم الجمعة لأربع مئين من المحرم بعد المصير . وبيع لولدى المهدي موسى وهارون الرشيد صباحة يوم الخميس ثلاث بقين من المحرم وجلس المهدي في قبة عظيمة في إيوان الخلافة ، ودخل الأمراء فبايوا ثم نهض فصعد المنبر وجلس ابنه موسى الهادي تحت ، وقام عيسى بن موسى على أول درجة ، وخطب المهدي فأعلم الناس بما وقع من خلع عيسى بن موسى نفسه وأنه قد حلل الناس من الإيمان التي له في أعناقهم وجعل ذلك إلى موسى الهادي . فصلى عيسى بن موسى ذلك وبايع المهدي على ذلك . ثم نهض الناس فبايوا الخليفة على حسب مراتبهم وأسمائهم ، وكتب على عيسى بن موسى مكتوباً مؤكداً بالإيمان البالغة من الطلاق والعناق ، وأشهد عليه جماعة الأمراء والوزراء وأعيان بني هاشم وغيرهم وأعطاه ما ذكرنا من الأموال وغيرها .

وفيها دخل عبيد الملك بن شهاب المسمى مدينة ياربده<sup>(١)</sup> من الهند في جمفل كبير فغاصروها

(١) وفي بعض النسخ من تاريخ ابن جرير ( نابد ) ومعنى ياربده : الصنم .

ونصبوا عليها الجانيق ، ورموها بالنفط فأحرقوا منها طائفة ، وهلك بشر كثير من أهلها ، وفتحوها عنوة وأرادوا الانصراف فلم يمكنهم ذلك لاعتلاء البحر ، فأقاموا هناك فأصابهم داء في أفواههم يقال له حمام فُرُفات منهم ألف نفس منهم الربيع بن صبيح ، فلما أمكنهم السير ركبوا في البحر فهاجت عليهم ريح ففرق طائفة أيضا ، ووصل بقيتهم إلى البصرة ومهم سوى كثير ، فهم بنت ملكهم . وفيها حكم المهدي بالخلق ولد أبي بكر التقي إلى ولاء رسول الله ﷺ وقطع نسبهم من ثقيف ، وكتب بذلك كتابا إلى والي البصرة . وقطع نسبه من زياد ومن نسب نافع في ذلك يقول بعض الشعراء وهو خالد النجار : —

إن زياداً وفاصلاً وأبا • بكرة عندي من أعجب العجب

ذا قرشي كما يقول وذا • مولى وهذا برزخه حربى

وقد ذكر ابن جرير أن نائب البصرة لم ينفذ ذلك .

وفي هذه السنة حج بالناس المهدي واستخلف على بغداد ابنه موسى الهادي ، واستنصب معه ابنه هارون الرشيد وخلعاً من الأمراء ، منهم يعقوب بن داود على منزله ومكاته ، وكان الحسن ابن إبراهيم قد هرب من الخادم فلقق بأرض الحجاز ، فاستأمن له يعقوب بن داود فأحسن المهدي صلته وأجزل جائته ، وفرق المهدي في أهل مكة مالا كثيرا جداً ، كان قد قدم معه ثلاثين ألف ألف درهم ومائة ألف ثوب ، وجاء من مصر ثلثمائة ألف دينار ومن اليمن مائتا ألف دينار ، فأعطاهما كلها في أهل مكة والمدينة . وشكت الحجة إلى المهدي أنهم يخلفون على الكعبة أن تهم من كثرة ما عليها من الكساوى ، فأمر بتحريرها ، فلما انتهوا إلى كساوى هشام بن عبد الملك وجدها من ديباج مخين جداً ، فأمر بإزالتها وبقيت كساوى الخلفاء قبله وبسمة ، فلما جردها ملاها بالخلفوف وكساها كسوة حسنة جداً ، ويقال إنه استنقى مالكا في إعادة الكعبة إلى ما كانت عليه من بناء ابن الزبير ، فقال مالك : دعها فاني أخشى أن يتخذها الملوك ملعبة . فتركها على ما هي .

وحمل له محمد بن سليمان نائب البصرة الثلج إلى مكة ، وكان أول خليفة حمل له الثلج إليها . ولما دخل المدينة وسع المسجد النبوي ، وكان فيه مقصورة فأزالها وأراد أن ينقص من المنبر ما كان زاده معاوية بن أبي سفيان فقال له مالك : إنه يخشى أن ينكسر خشبه الصيق إذا زعزع ، فتركه . وتزوج من المدينة رقية بنت عمرو الغسانية ، وانتخب من أهلها خمسين من أعيانها ليكونوا حوله حرصا بالمرق وأنصاراً وأجرى عليهم أرزاقاً غير أعطيتهم وأعطاهم أقطاعاً مرفقة بهم .

وفيها توفي الربيع بن صبيح ، وسفيان بن حسين ، أحد أصحاب الزهري ، وشعبة بن الحجاج بن الورد المشكى الأزدي أبو بسطام الواسطي ، ثم انتقل إلى البصرة . رأى شعبة الحسن وابن سيرين ،



وروى عن أمم من التابعين ، وحدث عنه خلق من مشايخه وأقرانه وأئمة الاسلام . وهو شيخ  
المحدثين الملقب فيهم بأمر المؤمنين قاله الثوري . وقال يحيى بن معين : هو إمام المتن ، وكان في  
غاية الزهد والورع والتشف والحفظ وحسن الطريقة . وقال الشافعي : لولا ما عرف الحديث بالعراق .  
وقال الإمام أحمد : كان أمة وحده في هذا الشأن ، ولم يكن في زمانه مثله . وقال محمد بن سعد : كان  
ثقة مأمونا حجة صاحب حديث . وقال وكيع : إني لأرجو أن يرفع الله لشعبة في الجنة درجات بذبه  
عن حديث رسول الله ﷺ . وقال صالح بن محمد بن حرزة : كان شعبة أول من تكلم في الرجال  
وتبهم يحيى القطان ثم أحمد وابن معين . وقال ابن مهدي : ما رأيت أعقل من مالك ، ولا أشد  
تحشفا من شعبة ، ولا أنصح للأمة من ابن المبارك ، ولا أحفظ للحديث من الثوري . وقال مسلم بن  
إبراهيم : ما دخلت على شعبة في وقت صلاة الا ورأيت يصلي ، وكان أبا القترا وأما لهم . وقال النضر  
ابن شميل : ما رأيت أرحم بمسكين منه ، كان إذا رأى مسكينا لا يزال ينظر إليه حتى ينيب عنه .  
وقال غيره : ما رأيت أعبد منه لقد عبد الله حتى لصق جلده بسطمه . وقال يحيى القطان : ما رأيت  
أرق للمسكين منه ، كان يدخل المسكين في منزله فيعطيه ما أمكنه . قال محمد بن سعد وغيره : مات  
في أول سنة ستين ومائة في البصرة عن ثمان وسبعين سنة .

### ( ثم دخلت سنة إحدى وستين ومائة )

فيها غزا الصائفة ثمانية بن الوليد قنزل دابق ، وجاشت الروم عليه فلم يتمكن المسلمون من  
الدخول إليها بسبب ذلك . وفيها أمر المهدي بحفر الزكيا وعمل المصانع وبناء القصور في طريق مكة  
وولى يقطين بن موسى على ذلك ، فلم يزل يعمل في ذلك إلى سنة إحدى وسبعين ومائة ، مقدار  
عشر سنين ، حتى صارت طريق الحجاز من العراق من أرفق الطرقات وآمنها وأطيبها . وفيها وسع  
المهدي جامع البصرة من قبلته وغربه . وفيها كتب إلى الآفاق أن لا تبقى مقصورة في مسجد  
جماعة ، وأن تقصر المنابر إلى مقدار منبر رسول الله ﷺ ، ففعل ذلك في المدن كلها . وفيها  
انقضت منزلة أبي عبيد الله وزير المهدي وظهرت عنده خيائنه فقم إليه المهدي من يشرفه عليه ،  
وكان ممن ضم إليه إسماعيل بن علي ، ثم أبصده وأقصاه وأخرجه من مملكته . وفيها ولي القضاء  
بغاية بن يزيد الأزدی وكان يحكم هو وابن علاتة في عسكر المهدي بالرصافة . وفيها خرج رجل يقال  
له المتنع بخراسان في قرية في قرى مرو ، وكان يقول بالتناسخ واتبعه على ذلك خلق كثير . فجهز  
إليه المهدي عدة من أمرائه وأخذ إليه جيوشا كثيرة ، منهم معاذ بن مسلم أمير خراسان ، وكان من  
أمره وأمرهم ماسنذ كره .

وحج بالناس فيها موسى الهادي بن المهدي . وفيها توفي إسرائيل بن يونس بن إسحاق السبعي

وزائدة بن قدامة و ( سفيان بن سعيد ) بن مسروق الثوري أحد أئمة الاسلام وعبادهم والمفتدى به أبو عبد الله الكوفي . روى عن غير واحد من التابعين وروى عنه خلق من الأئمة وغيرهم ، قال شعبة وأبو عاصم وسفيان بن عيينة ويحيى بن معين وغير واحد : هو أمير المؤمنين في الحديث . وقال ابن المبروك : كتبت عن ألف شيخ ومائة شيخ هو أفضلهم . وقال أيوب : ما رأيت كوفيًّا أفضله عليه . وقال يونس بن عبيد : ما رأيت أفضل منه . وقال عبيد الله : ما رأيت أفقه من الثوري . وقال شعبة : ساد الناس بالورع والعلم . وقال : أصحاب المذاهب ثلاثة : ابن عباس في زمانه والشامي في زمانه ، والثوري في زمانه . وقال الامام أحمد : لا يتقدمه في قلبي أحد . ثم قال : تدرى من الامام ؟ الامام سفيان الثوري . وقال عبد الرزاق : سمعت الثوري يقول : ما استودعت قلبي شيئاً قط غفاني حتى إني لأمر بالهلكة يتفنى فأبدي مخافة أن أحفظ ما يقول . وقال : لأن أترك عشرة آلاف دينار يحاسبني الله عليها أحب إلي من أن أحتاج إلى الناس .

قال محمد بن سعد : أجموا أنه توفي بالبصرة سنة إحدى وستين ومائة ، وكان عمره يوم مات أربعاً وستين سنة ، ورآه بعضهم في المنام يطير في الجنة من نخلة إلى نخلة ، ومن شجرة إلى شجرة ، وهو يقرأ ( الحمد لله الذي صدقنا وعده ) الآية . وقال : إذا ترأس الرجل سريراً أخر بكثير من العلم . ومن توفي فيها : ( أبو دلالة )

زيد بن الجون الشاعر الماجن ، أحد الظرفاء ، أصله من الكوفة وأقام ببغداد وحظي عند المنصور لأنه كان يضحك ويفضح الأشرار ويمدحهم ، حضر يوماً جنازة امرأة المنصور . وكانت ابنة عمه . يقال لها حمادة بنت عيسى ، وكان المنصور قد حزن عليها ، فلما سورا عليها التراب وكان أبو دلالة حاضراً ، فقال له المنصور : ويحك يا أبا دلالة ، ما أعددت لهذا اليوم ؟ فقال : ابنة عم أمير المؤمنين . فضحك المنصور حتى استلقى ، ثم قال : ويحك فضدحتنا . ودخل يوماً على المهدي بهنثه بقدمه من سفره وأنشده :

إني حلفت لئن رأيته سالماً \* بقرى العراق وأنت ذو وفز  
لتصلين على النبي محمد . ولتلاّن دراهما حجري

قال المهدي : أما الأول فنعم ، فصل على النبي محمد ﷺ ، وأما الثاني فلا . فقال : يا أمير المؤمنين هما كلمتان فلا تفرق بينهما . فأمر أن يلاّ حجره دراهم ، ثم قال له : قم ! فقال : ينخرق منها قبضي فأفرغت منه في أكياسهم قام لحملها وذهب . وذكر عنه ابن خلكان أنه مرض ابن له فداواه طبيب فلما عوفي قال له : ليس عندنا ما نعطيك ، ولكن ادع على فلان اليهودي يبلغ ما تستحقه عندنا من أجرتك حتى أشهد أنا وولدي عليه بالمبلغ المذكور . قال : فذهب الطبيب إلى قاضي الكوفة محمد

ابن عبد الرحمن بن أبي ليل - وقيل ابن شعبة - فادعى عليه عنده فأنكر اليهودي فشهد عليه أبو دلالة وابنه ، فلم يستطع القاضي أن يرد شهادتهما وخاف من طلب التزكية فأعطى الطبيب المدعي المال من عنده وأطلق اليهودي . وجمع القاضي بين المصالح . توفي أبو دلالة في هذه السنة ، وقيل إنه أدرك خلافة الرشيد سنة سبعين فاته أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة ثنتين وستين ومائة ﴾

فيها خرج عبد السلام بن هاشم اليشكري بأرض قنسرين وأتبعه خلق كثير ، وقويت شوكته قتاله جماعة من الأمراء فلم يقدروا عليه ، وجهر إليه المهدي جيوشا وأهلق فيهم أموالا فزهمهم مرات ثم آل الأمر به أن قتل بعد ذلك . وفيها غزا الصائفة الحسن بن قطيبة في ثمانين ألفا من المرتزقة سوى المتطوعة ، فمصر الروم وحرق بها نارا كثيرة ، وغرب أمانا وأسروا خلقا من القداري . وكذلك غزا يزيد بن أبي أسيد السلي بلاد الروم من باب طليقلا فقتلهم وسلم وسى خلقا كثيرا .

وفيها خرجت طائفة يجرجان فلبسوا الحرمة مع رجل يقال له عبد القهار ، فزاد عمرو بن العلاء من طبرستان قهر عبد القهار وقتله وأصحابه . وفيها أجرى المهدي الأرزاق في سائر الأقاليم والاتفاق على المحدثين والمحبوسين ، وهذه مشوبة عظيمة ومكرمة جسيمة . وفيها حج بالناس إبراهيم بن جعفر بن المنصور . وفيها توفي من الأعيان :

﴿ إبراهيم بن آدم ﴾

أحد مشاهير المباد وأكابر الزهاد . كانت له همة عالية في ذلك رحمه الله . فهو إبراهيم بن آدم بن منصور بن يزيد بن عامر بن إسحاق التميمي ، ويقال له المجلي ، أصله من بلخ ثم سكن الشام ودخل دمشق ، وروى الحديث عن أبيه والأعمش ومحمد بن زياد صاحب أبي هريرة وأبي إسحاق السبعي وخلق . وحدث عنه خلق منهم بقية والثوري وأبو إسحاق الفزاري ومحمد بن حميد . وحكى عنه الأوزاعي . وروى ابن عساكر من طريق عبد الله بن عبد الرحمن الجزري عن إبراهيم بن آدم عن محمد بن زياد عن أبي هريرة . قال : « دخلت على رسول الله ﷺ وهو يصلي جالسا فقلت : يا رسول الله إنك تصلي جالسا فما أصابك ؟ قال : الجوع يا أبا هريرة . قال : فبكيت فقال : لانيك كان شدة يوم القيامة لا تصيب الجائع إذا احتسب في دار الدنيا » . ومن طريق بقية عن إبراهيم بن آدم حدثني أبو إسحاق الحمدي عن حمارة بن غزية عن أبي هريرة . قال قال رسول الله ﷺ : « إن الثقتة تحبب قننفس المباد فسقا ، وينجو العالم منها بملء » .

قال النسائي : إبراهيم بن آدم ثقة مأمون أحد الزهاد . وذكر أبو فهم وغيره أنه كان ابن ملك من ملوك خراسان ، وكان لله سبب إليه للصيد ، قال : فخرجت مرة فأثرت ثعلبا فنهت في حاف

من قريوس سرجي : ما لهذا خلقت ، ولا بهذا أمرت . قال : فوفقت وقلت : انتهيت انتهيت ، جاءني نذير من رب الملائين . فرجست إلى أهلي فغليت عن فرمي وجئت إلى بعض رعاة أبي فأخفت منه جبة وكساء ثم ألقيت ثيابي إليه ، ثم أقبلت إلى العراق فعملت بها أياماً فلم يصف لي بها الحلال ، فسألت بعض المشايخ عن الحلال فأرشدني إلى بلاد الشام فأتيته طرسوس فعملت بها أياماً أنظر البساتين وأحصه الحصاد ، وكان يقول : ما نهيت بالعيش إلا في بلاد الشام . أفر بديني من شاحق إلى شالحق ومن جبل إلى جبل ، فمن براني يقول هو موسوس . ثم دخل البادية ودخل مكة وصحب الثوري والفضيل بن عياض ودخل الشام ومات بها ، وكان لا يأكل إلا من عمل يديه مثل الحصاد وعمل الفاعل وحفظ البساتين وغير ذلك مما روى عنه أنه وجد رجلاً في البادية فله اسم الله الأعظم فكان يدعو به حتى رأى الخضر فقال له : إنما عليك أخى داود اسم الله الأعظم ، ذكره القشيري وابن عساكر عنه بإسناد لا يصح . وفيه أنه قال له : إن إلياس عليك اسم الله الأعظم . وقال إبراهيم : أطلب مطعمك ولا عليك أن لا تقوم الليل ولا تصوم النهار .

وذكر أبو نعيم عنه أنه كان أكثر دعائه اللهم اغفر لي من ذل مصيبتك إلى عز طاعتك . وقيل له إن الله قد غلا فقال : ارخصوه أي لا تشكروه فانه يرخص . وقال بعضهم : هتف به الهاتف من فوقه يا إبراهيم ما هذا العبث ( انفسهم إنما خلقناكم عبداً وأنكم إلينا لا ترجون ) اتق الله وعليك بالزاد ليوم القيامة . فنزل عن دابته ورفض الدنيا وأخذ في عمل الآخرة . وروى ابن عساكر بإسناد فيه نظر في ابتداء أمره قال : بينا أنا يوماً في منظره لي يبلغ وإذا شيخ حسن الهيئة حسن الوجه قد استظل بظلها فأخذ بمجامع قامي ، فأمرت غلاماً فدعاه فدخل فمرضت عليه الطعام فأني قلت : من أين أقبلت ؟ قال : من وراء النهر . قلت : أين تريد ؟ قال الحج . قلت في هذا الوقت ؟ - وقد كان أول يوم من ذى الحجة أو ثانيه - فقال : يفضل الله ما يشاء . فقلت : الصعبة . قال : إن أحببت ذلك فوعدك الليل ، فلما كان الليل جادني فقال : قم بسم الله فأخفت ثياب سفرى وسرنا ثمخشي كأنما الأرض تخبئ من تحتنا ، ونحن نمر على البلدان ونقول : هذه فلانة هذه فلانة ، فإذا كان الصباح فارقني ويقول : موعدك الليل ، فإذا كان الليل جادني فقلنا مثل ذلك . فأتينا إلى مدينة النبي ﷺ ثم سرنا إلى مكة فجلسنا ليلاً فقضينا الحج مع الناس ثم رجنا إلى الشام فزرتنا بيت المقدس وقال : إني عازم على المقام بالشام ، ثم رجست أنا إلى بلدي ببلغ كاثم الضمائم حتى رجنا إليها ولم أسأله عن اسمه ، فكان ذلك أول أمرى .

[ وروى من وجه آخر فيه نظر . وقال أبو حاتم الرازي عن أبي نعيم عن سفيان الثوري قال : كان إبراهيم بن آدم يشبه إبراهيم الخليل ، ولو كان في الصحابة كان رجلاً فاضلاً له سراراً وما رأيته

يظهر تسبيحا ولا شيئا ولا أكل مع أحد طعاما إلا كان آخر من يرفع يديه . [ (١) ]  
وقال عبد الله بن المبارك : كان إبراهيم رجلا فاضلا له سرائر ومعاملات بينه وبين الله عز وجل  
وما رأيته يظهر تسبيحا ولا شيئا من عمله ، ولا أكل مع أحد طعاما إلا كان آخر من يرفع يده . وقال  
بشر بن الحارث الحافي : أربعة رفعهم الله بطيب المطعم ، إبراهيم بن آدم ، وسليمان بن الخواص  
وهيب بن الورد ، ويوسف بن أسباط . وروى ابن عساكر من طريق معاوية بن حفص قال :  
إنما سمع إبراهيم بن آدم حديثا واحدا فأخذ به فساد أهل زمانه . قال : حدثنا منصور عن ربي بن  
خراش قال : جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله دلني على عمل يحبني الله عليه ويحبني  
الناس قال : « إذا أردت أن يحبك الله فابض الدنيا ، وإذا أردت أن يحبك الناس فما كان عندك  
من فضولها فابضه إليهم » . وقال ابن أبي الدنيا : حدثنا أبو الزبير عن إدريس قال : جلس إبراهيم  
إلى بعض العلماء فجعلوا يتذاكرون الحديث وإبراهيم ساكت ، ثم قال : حدثنا منصور ثم سكت فلم  
ينطق بحرف حتى قام من ذلك المجلس : فعاتبه بعض أصحابه في ذلك ! فقال : إني لأخشى مضرة ذلك  
المجلس في قلبي إلى اليوم . وقال رشدين بن سعد : مر إبراهيم بن آدم بالأوزاعي وحوله حلقة فقال :  
لو أن هذه الحلقة على أبي هريرة لمجز عنهم . فقام الأوزاعي وتركهم . وقال إبراهيم بن دينار قيل  
لابن آدم : لم تركت الحديث ؟ فقال : إني مشغول عنه بثلاث ، بالشكر على النعم ، والاستغفار من  
الذنوب ، والاستعداد للوعد ، ثم صاح وغشى عليه فسمعوا هاتفا يقول : لا تدخلوا بيوتنا وبين أوليائنا .  
وقال أبو حنيفة يوما لإبراهيم بن آدم : قد رزقت من العباد شيئا صالحا فليكن العلم من مالك  
فانه رأس العبادة وقوام الدين . فقال له إبراهيم : وأنت فليكن العبادة والعمل بالعلم من مالك وإلا  
هلك . وقال إبراهيم : ماذا أنعم الله على الفقراء لا يسألهم يوم النسيئة عن زكاة ولا عن حج ولا  
عن جهاد ولا عن صلة رحم ، إنما يسأل ويحاسب هؤلاء المساكين الأغنياء . وقال شقيق بن إبراهيم :  
لقيت ابن آدم بالشام وقد كنت رأيته بالرقاء وبين يديه ثلاثون شاكرًا . فقلت له : تركت ملك  
خراسان ، وخرجت من نعمتك ؟ فقال : اسكت ما تهتيت بالعيش إلا ههنا ، أفر يدني من شائق إلى  
شائق ، فمن يراني يقول هو موسوس أو محال أو ملاح ؟ ثم قال : بليتني أنه يؤتى بالفقير يوم القيامة  
فيوقف بين يدي الله فيقول له : يا عبدى مالك لم تحج ؟ فيقول : يارب لم تعطني شيئا أحج به .  
فيقول الله : صدق عبدى اذهبوا به إلى الجنة . وقال أقت بالشام أربعمائة وعشرين سنة لم أقم بها  
لجهاد ولا لرباط إنما نزلتها لأشيع من خير حلال . وقال : الحزن حزنان حزن لك وحزن عليك ،  
فحزنك على الآخرة لك ، وحزنك على الدنيا وزينتها عليك . وقال : الزهد ثلاثة ، واجب ،

(١) زيادة من المصرية .

ومستحب ، و زهد سلامة ، فأما الواجب فالزهد في الحرام ، والزهد عن الشهوات الحلال مستحب ،  
والزهد عن الشهات سلامة . وكان هو وأصحابه يمنعون أنفسهم الحمام والماء البارد والحذاء ولا يجمعون  
في منحهم أزياراً ، وكان إذا جلس على سفرة فيها طعام طيب رعى بطينها إلى أصحابه وأكل هو أنفذه  
والزيتون . وقال قسلة الحرص والطبع ثورث الصدق والورع ، وكثرة الحرص والطبع ثورث النعم  
والجزع . وقال له رجل : هذه جبة أحب أن تقبلها مني . فقال : إن كنت غنياً قبلتها ، وإن كنت  
فقيراً لم أقبلها . قال : أنا غني . قال : كم عندك ؟ قال ألفان . قال : تود أن تكون أربعة آلاف ؟  
قال : نعم . قال فأنت فقير ، لا أقبلها منك . وقيل له : لو تزوجت ؟ فقال : لو أمكنني أن أطلق  
نفسى لطلقها . ومكث عكة خمسة عشر يوماً لا شيء له ولم يكن له زاد سوى الزل والماء ، وصلى بوضوء  
واحد خبز عشرة صلاة ، وأكل كل يوماً على حافة الشريعة كعيرات مبلولة بالماء وضعا بين يديه أبو  
يوسف النسوي ، فأكل منها ثم قام فشرب من الشريعة ثم جاء واستلقى على قفاه . قال : يا أبا يوسف  
لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه من النعيم لجالدونا بالسيف أيام الحياة على ما نحن فيه من القيد  
العيش . فقال له أبو يوسف : طلب القوم الراحة والنعيم فأخطأوا الطريق المستقيم . فنبههم إبراهيم  
وقال : من أين لك هذا الكلام ؟ وبينما هو بالمصيبة في جماعة من أصحابه إذ جاءه ركب قال :  
أيكم إبراهيم بن آدم ؟ فأرشد إليه ، فقال : يا سيدي أنا غلامك ، وإن أباك قد مات وترك مالا هو  
عند القاضي ، وقد جئتكم بمشرة آلاف درهم لتنتقوا عليكم إلى بلخ ، وفرس وبغلة . فسكت  
إبراهيم طويلاً ثم رفع رأسه فقال : إن كنت صادقاً فأفادهم والفرس والبغلة لك ، ولا تخبر به أحداً .  
ويقال : إنه ذهب بعد ذلك إلى بلخ وأخذ المال من الحاكم وجعله كله في سبيل الله .

وكان معه بعض أصحابه فمكثوا شهرين لم يحصل لهم شيء يأكلونه ، فقال له إبراهيم : ادخل إلى  
هذه النيسة - وكان ذلك في يوم شات - قال : فندخلت فوجدت شجرة عليها خوخ كثير فلات  
منه جرابي ثم خرجت ، فقال : ما بمك ؟ قلت : خوخ . فقال : يا ضيف اليقين ؟ لو صبرت لوعدت  
رطباً جنياً ، كما رزقت مرهم بفت عمران . وشكنا إليه بعض أصحابه الجوع فضل ركبتين فاذا حوله  
ذناير كثيرة فقال لصاحبه : أخذ منها ديناراً ، فأخذته واشترى لهم به طعاما . وذكروا أنه كان  
يعمل بالاعل ثم يذهب فيشتري البيض والزبد وثاره الشواء والجوزبان والخبيص فيقطعهم أصحابه  
وهو صائم ، فاذا أفطر يأكل من ردى الطعام ويحرم نفسه المطعم الطيب ليبر به الناس تأليفاً لهم  
وتحبياً وتودداً إليهم .

وأضاف الأوزاعي إبراهيم بن آدم قصر إبراهيم في الأكل فقال : مالك قصرت ؟ فقال :  
لأنك قصرت في الطعام . ثم عمل إبراهيم طعاماً كثيراً ودعا الأوزاعي فقال الأوزاعي : أما تخاف

أن يكون سرفاً ، فقال : لا ! إنما السرف ما كان في معصية الله ، فأما ما أفقعه الرجل على إخوانه فهو من الدين . وذكروا أنه حصد مرة بعشرين ديناراً ، جلس مرة عند حجام هو وصاحب له ليحلق رؤسهم ويحجلم ، فكأنه تبرم بهم واشتغل عنهم بالغير ، فتأذى صاحبه من ذلك ثم أقبل عليهم الحجام فقال : ماذا تريدون ؟ قال إبراهيم : أريد أن تحلق رأسي وتحجمني ، ففعل ذلك فأعطاه إبراهيم العشرين ديناراً ، وقال : أردت أن لا تحقر بعدها فقيراً أبداً . وقال مضاء بن عيسى : ما فاق إبراهيم أمهاته بصوم ولا صلاة ولكن بالصدق والسخاء .

[ وكان إبراهيم يقول : فروا من الناس كفراركم من الأسد الضاري ، ولا تخلفوا عن الجمعة والجماعة . وكان إذا سافر مع أحد من أمهاته يحدته إبراهيم ، وكان إذا حضر في مجلس فكأنما على رؤسهم الطير هبة له وإجلالا . وربما تسامر هو وسفيان الثوري في الليلة الشانية إلى الصباح ، وكان الثوري يتحرر زمع في الكلام ، ورأى رجلا قيل له : هذا قاتل خالك ، فذهب إليه فسلم عليه وأهدى له وقال : بلغني أن الرجل لا يبلغ درجة اليقين حتى يأمنه عدوه . وقال له رجل : طوبى لك أنفيت عرك في العبادة وترك الدنيا والزوجات . فقال : ألك عيال ؟ قال : نعم . فقال : لروعة الرجل بيماله - يعني في بعض الأحيان من الناقة - أفضل من عبادة كذا وكذا سمه . ورآه الأوزاعي ببيروت وعلى عنقه حزمة حطب فقال : يا أبا إسحاق إن إخوانك يكونونك هذا . فقال له : اسكت يا أبا عمرو لقد بلغني أنه إذا وقف الرجل موقف مثله في طلب الحلال وجبت له الجنة . وخرج ابن آدم من بيت المقدس فمر بطريق فأخذته المسلحة في الطريق فقالوا : أنت عبد ؟ قال : نعم . قالوا : آبق ؟ قال نعم . فسجنوه . فبلغ أهل بيت المقدس خبره فجاءوا برؤسهم إلى نائب طبرية فقالوا : علام سجنتم إبراهيم بن آدم ؟ قال : ماسجنته . قالوا : بلى هو في سجنك . فاستحضره فقال : علام سجنتم . فقال : سل المسلحة ، قالوا : أنت عبد ؟ قلت نعم وأنا عبد الله . قالوا : آبق ؟ قلت نعم وأنا عبد آبق من ذنوبي . تخلى سبيله .

وذكروا أنه مر مع رقة فاذا الأسد على الطريق فتقدم إليه إبراهيم بن آدم فقال له : يا قسورة إن كنت أمرت فينا بشئ فامض لما أمرت به وإلا فودك على بدئك . قالوا : فولى السبع ذاهبا يضرب فذنيه ، ثم أقبل علينا إبراهيم فقال : قولوا : اللهم راعنا بيمينك التي لا تنام ، واكنفنا بكفك الذي لا يرام ، وارحنا بقدرتك علينا ، ولا تهلك وأنت رجاؤنا يا الله ، يا الله ، يا الله . قال خلف بن يحيى : فما زلت أقولها منذ سمعتها فما عرض لي لها ولا غيره .

وقد روى لهذا شواهد من وجوه أخر . وروى أنه كان يصلي ذات ليلة فجاءه . [ (١١) أسد

ثلاثة فتقدم إليه أحدهم فشم ثيابه ثم ذهب فرى قريباً منه ، وجاء الثاني ففعل مثل ذلك ، وجاء الثالث ففعل مثل ذلك ، واستمر إبراهيم في صلاته ، فلما كان وقت السحر قال لهم : إن كنتم أمرتم بشئ ففعلوا ، وإلا فانصرفوا فانصرفوا . وصعد مرة جبلاً بمكة ومعه جماعة فقال لهم : لو أن أولياء الله قال جليل زل زال . فتحرك الجبل تحته فوكزه برجله وقال : اسكن فانما ضربتك مثلاً لأصحابي . وكان الجبل أباً قبيس . وركب مرة سفينة فأخذهم الموج من كل مكان فلف إبراهيم رأسه بكساء واضطجع وعج أصحاب السفينة بالضجيج والدعاء ، وأيقظوه وقالوا : ألا ترى ما نحن فيه من الشدة ؟ فقال : ليس هذه شدة ، وإنما الشدة الحاجة إلى الناس . ثم قال : اللهم أريقنا قمرتك فأرنا عفرتك . فصار البحر كأنه قدسح زيت . وكان قد طالبه صاحب السفينة بأجرة حمله دينارين وألم عليه ، فقال له : اذهب معي حتى أعطيك ديناراً ، فأتى به إلى جزيرة في البحر فوضأ إبراهيم وصلى ركعتين ودعا وإذا ما حوله قد ملئ دنانير ، فقال له : خذ حقل ولا تزد ولا تذكر هذا لأحد . وقال حذيفة المرعشي : أوتيت أنا وإبراهيم إلى مسجد خراب بالكوفة ، وكان قد مضى علينا أيام لم نأكل فيها شيئاً ، فقال لي : كأنك جائع . قلت : نعم . فأخذ رقعة فكتب فيها بسم الله الرحمن الرحيم أنت المقصود إليه بكل حال ، المشار إليه بكل معنى ،

أنا حامد أنا ذاكر أنا شاكر • أنا جائع أنا حاسر أنا عارى

هي ستة وأنا الضمين لنصفها • فكأن الضمين لنصفها يبارى

مدعى لنفرك وهج تاريختها • فأجر عبيدك من دخول النار

ثم قال لي : اخرج بهذه الرقعة ولا تعلق قلبك بغير الله سبحانه وتعالى ، وادفع هذه الرقعة لأول رجل تلقاه . فخرجت فإذا رجل على رقعة فدفعها إليه فلما قرأها بكى ودفع إلى ستائة ديناراً وانصرف ، فسألت رجلاً من هذا الذي على البقعة ؟ فقالوا : هو رجل نصراني . فبئت إبراهيم فأخبرته فقال : الآن بجى فيسلم . فما كان غير قريب حتى جاء فأكب على رأس إبراهيم وأسلم . وكان إبراهيم يقول : دارنا أماناً وحياتنا بعد وقاتنا . فلما إلى الجنة وإنما إلى النار . مثل لبصرك حضور ملك الموت وأعوانه لقبض روحك وانظر كيف تكون حينئذ ، ومثل له هول المضجع ومساءلة منكر ونكير وانظر كيف تكون . ومثل له القيامة وأحوالها وأقزاعها والمرض والحساب ، وانظر كيف تكون . ثم صرخ صرخة خرمشبا عليه . ونظر إلى رجل من أصحابه يضحك فقال له : لا تطمع بها لا يكون ، ولا تنس ما يكون . فقيل له : كيف هذا يا أبا إسحاق ؟ فقال : لا تطمع في البقاء والموت يطلبك ، فكيف يضحك من يموت ولا يدري أين يذهب به إلى جنة أم إلى نار ؟ ولا تنس ما يكون الموت يأتيك صباحاً أو مساء . ثم قال : أوه أوه ! ثم خرّ خرمشبا عليه . وكان يقول : مالنا نشكو قفراً إلى



مثلنا ولا نسأل كشفه من ربنا . ثم يقول : ثكلت عبداً أمه أحب الدنيا ونسى ما في خزان مولاه  
وقال : إذا كنت بالليل نائماً وبالتهار نائماً وفي الماضي دائماً فكيف ترضى من هو بأمرك دائماً .  
ورآه بعض أصحابه وهو بمسجد بيروت وهو يبكي ويضرب يديه على رأسه ، فقال : ما يبكيك ؟  
فقال : ذكرت يوماً تغلب فيه القلوب والأبصار . وقال : إنك كلما أمنت النظر في مرآة التوبة  
بان لك قبح شين المعصية .

وكتب إلى الثوري : من عرف ما يطلب هان عليه ما يبذل ، ومن أطلق بصره طال أسفه ، ومن  
أطلق أمه ساء عمله ، ومن أطلق لسانه قتل نفسه . وسأله بعض الولاء من أين معيشتك ؟ فأثنأ يقول :

ترفع دنيا ما يتمزيق ديننا • فلا ديننا يبق ولا ما نرفع  
وكان كثيراً ما يمثل بهذه الأبيات :

لما توعد الدنيا به من شرورها • يكون بكاء الطفل ساعة بوضع  
وإلا فابكيه منها ولتها • لأروح عما كان فيه وأوسع  
إذا أبصر الدنيا استهل كأنما • يرى ما سيلقى من أذاها لو يسمع  
وكان يمثل أيضاً :

رأيت الذنوب تحبب القلوب • وبورها القل إدباتها  
وترك الذنوب حياة القلوب • وخير لنفسك عصياتها  
وما أفسد الدين إلا ملوك • وأحار سوء ورهباتها  
وباعوا النفوس فلم يربحوا • ولم يفل بالبيع أثمانها  
لقد رفع القوم في جيفة • تبين لدى الهب أثنائها

وقال : إنما يتم الورع بقسوة كل الخلق في قلبك ، والاشتغال عن عيوبهم بدنك ، وعليك  
بالانظر الجليل من قلب ذليل لرب جليل ، فكر في ذنبك وتب إلى ربك فبنت الورع في قلبك ،  
والطعم الطعم إلا من ربك . وقال : ليس من أعلام الحب أن تحب ما يفضه حبيبك ، ذم مولانا  
الدنيا فدنسناها ، وأنفضنا فأحببناها ، وزهدنا فيها غآتوها ورغبنا في طلبها ، ووعدكم بخراب  
الدنيا فحصدتموها ، ونهاكم عن طلبها فطلبتموها ، وأنذركم الكنوز فكفرتوها ، دعتمكم إلى هذه  
الفراسة دواعيها ، فأجبتكم مسرعين منادياً ، خدعتكم بفرورها ، ومنتمكم فاقدمت خاضعين لأمانها  
تدفعون في زهراتها وزخارفها ، وتقتسمون في لذاتها وتتقلبون في شهواتها ، وتتلوثون بقبحاتها ،  
تدشون بمخالب الحرس عن خزائنها ، وتحضرون بمآول الطمع في معادنها . وشكى إليه رجل كثرة  
عباده فقال : ابست إلى منهم من لا رزقه على الله . فسكت الرجل . وقال : مررت في بعض جبال  
نادا حجر مكتوب عليه بالمرية :

كل حي وإن بقى • فن العيش يستق

فاعمل اليوم واجتهد • واحذر الموت يا شقي

قال : فبينما أنا واقف أقرأ وأبكي ، وإذا برجل أشمر أغبر عليه مدرعة من شعر فسلم وقال : مم تبكي ؟ قلت : من هذا . فأخذ يدي ويضئ غير بعيد فإذا بصخرة عظيمة مثل الحراب فقال اقرأ وابك ولا تقصر . وعام هو يصل فإذا في أعلاه نقش بين عربي :

لا تبغين جاهاً وجاهك باقظ • عند المليك وكن لجاهك مصلحاً

وفي الجانب الآخر نقش بين عربي :

من لم يثق بالقضاء والقدر • لا في هموماً كثيرة الضرر

وفي الجانب الأيسر منه نقش بين عربي :

ما أزين التقي وما أقبح الخفا • وكل مأخوذ بما جنا • وعند الله الجزا

وفي أسفل الحراب فوق الأرض بنواع أو أكثر :

أما الفوز والغنى • في تقي الله والعمل<sup>(١)</sup>

قال : فلما فرغت من القراءة التفت فإذا ليس الرجل هناك ، فما أدرى انصرف أم حجب عني . وقال : أنقل الأعمال في الميزان أنقلها على الأبدان ، ومن وفي العمل وفي له الأجر ، ومن لم يعمل رحل من الدنيا إلى الآخرة بلا قليل ولا كثير . وقال : كل سلطان لا يكون عادلاً فهو والفس بنزلة واحدة ، وكل عالم لا يكون ورعاً فهو والذئب بنزلة واحدة ، وكل من خدم سوى الله فهو والكتاب بنزلة واحدة . وقال : ما ينبغي لمن ذل لله في طاعته أن يذل لغير الله في مجامعته ، فكيف بمن هو يتقلب في نعم الله وكفائته ؟ وقال : أعربنا في كلامنا فلم نلحن ، ولحننا في أعمالنا فلم نعرب . وقال : كنا إذا رأينا الشاب يشكك في المجلس أيسنا من خيره . وقال : جانبوا الناس ولا تنقطعوا عن جمعة ولا جماعة .

وقال الحافظ أبو بكر الخطيب : أخبرنا القاضي أبو محمد الحسن بن محمد بن الحسن بن زامين الأسرأبادي قال : أنبأ عبد الله بن محمد الحميدي الشيرازي أنبأ القاضي أحمد بن خرزاد الأهوازي حدثني علي بن محمد القمصري حدثني أحمد بن محمد الحلبي سمعت سرياً السقطي يقول سمعت بشراً ابن الحارث الحافى يقول : قال إبراهيم بن آدم : وقعت على راهب فأشرف على قلعت له : عظمي فأناشأ يقول :

خذ من الناس جانباً • كن جمدوك راهباً

(١) قد صححت هذه الأبيات من الخلية لأبي نعيم في ترجمة ابن آدم .

إن دهرآ أطلقى • قد أراقى المجانيبا  
 قلب الناس كيف شئ • ت تخدم عقاربا  
 قال بشر فقلت لا إبراهيم : هذه موعظة الراهب لك ، فضطى أنت . فأنشأ يقول :  
 توحش من الاخوان لا تبغ مولسآ • ولا تتخذ خلاولا تبغ صاحبا  
 وكن سامرى الفعل من نسل آدم • وكن أوحيدا ما قدرت مجانبيا  
 فقد فسد الاخوان والمحبة والاخا • فلست ترى إلا مذوقا وكاذبا  
 فقلت ولولا أن يقال مدعهم • وتذكر حالى لقد صرت راهبا  
 قال سرى : فقلت لبشر : هذه موعظة إبراهيم لك فضطى أنت ، فقال : عليك بالحول وزوم  
 بيتك . فقلت بلفنى عن الحسن أنه قال : لولا الليل وملاكة الاخوان ما باليت متى مت . فأنشأ بشر  
 يقول : يا من يسر برؤية الاخوان • مهلا أمنت مكاييد الشيطان  
 خلبت القلوب من المعاد وذكره • وتشاغلوا بالحرص والحسران  
 صارت مجالس من ترى وحديتهم • فى هنك مستور وموت جذان  
 قال الحلبي فقلت لسرى : هذه موعظة بشر فضطى أنت . فقال : عليك بالاخلاق فقلت  
 أحب ذاك ، فأنشأ يقول :

يا من بروم برزعه إختالا • إن كان حقا فاستمد خصالا  
 ترك المجالس والتذاكر يا أخى • واجعل خروجك للصلاة خيالا  
 بل كن بها حيا كأنك ميت • لا ينهى منه القريب وصالا  
 قال على بن محمد القصرى : قلت للحلبي هذه موعظة سرى لك فضطى أنت . فقال : يا أخى  
 أحب الأعمال إلى الله ما صمد إليه من قلب زاهد فى الدنيا ، فزهده فى الدنيا يحبك الله . ثم أنشأ يقول :  
 أنت فى دار شتات • فتأهب لشتاتك • واجعل الدنيا كيوم • صمته عن شوائك  
 واجعل الفطر إذا • ما صمته يوم وفاتك  
 قال ابن خرزاد فقلت لعل : هذه موعظة الحلبي لك فضطى أنت . فقال لى : احفظ وقلبك  
 واسخ بنفسك لله عز وجل ، وانزع قيمة الأشياء من قلبك يصفو لك بذلك شرك ويدكو به  
 ذكرك . ثم أنشدنى :

حياتك أفاكس لقد فكلكما • مضى نفس منها انتقصت به جزءا  
 فتصبح فى نفس وتسمى بمنه • ومالك مقول نحس به رزوا  
 يمينك ما يمينك فى كل ساعة • ويحدوك حام ما يزيد بك الهزوا

قال أبو محمد قلت لأحمد : هذه موعظة على لك فمضى . فقال : يا أخى عليك بلزوم الطاعة وإياك أن تفارق باب القناعة ، وأصلح مثواك ، ولا تؤخر هواك ، ولا تتبع آخرتك بدنيك ، واشتغل بما ينبتك بترك ما لا ينبتك . ثم أنشدنى : -

نعمت على ما كن منى ندامة • ومن يتبع ما تشتهى النفس يندم  
تغافوا لكما تأمنوا بدم موتكم • ستلقون ربا عادلا ليس يظلم  
فليس لمخروود بدنياه زاجر • سيندم إن زلت به العمل فاعلموا

قال ابن زامين قلت لأبي محمد : هذه موعظة أحمد لك فمضى أنت . فقال : أعلم رحمتك الله أن الله عز وجل ينزل المبيد حيث نزلت قلوبهم بهمومها ، فانظر أين ينزل قلبك ، وأعلم أن الله سبحانه يقرب من القلوب على حسب ما تقرب منه ، وتقرب منه على حسب ما قرب إليها . فانظر من القريب من قلبك . وأنشدنى :

قلوب رجال في الحجاب تزول • وأرواحهم فيها هناك حلول  
روح نعيم الأنس في عز قرب • بأفراد توحيد الجليل تحول  
لهم بقاء القرب من محض بره • عوائد بئس خطبين جليل

قال الغليل : قلت لابن زامين : هذه موعظة الحيدى لك فمضى أنت . فقال : اتق الله وتق به ولا تنهه فان اختياره لك خير من اختيارك لنفسك وأنشدنى :

اتخذ الله صاحباً • ودع الناس جانباً  
جرب الناس كيف شئ • ت تخدم عقارباً

قال أبو الفرج غيث الصوري : قلت للغليل : هذه موعظة ابن زامين لك فمضى أنت . فقال : احفر نفسك التي هي أعدى أعدائك أن تتابعها على هواها ، فذاك أعضل دالك ، واستشرف الخوف من الله تعالى بخلافها ، وكرر على قلبك ذكر موتها وأوصافها ، قلها الأمانة بالسوء والنشأ ، والمورد من أطاعها موارد المطلب والبلاء ، وأعد في جميع أمورك إلى تحرى الصدق ، ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله . وقد ضمن الله لمن خالف هواه أن يجعل الجنة الخلد قراره ومأواه ثم أنشد نفسه :

إن كنت تبغى الرشاد محضاً • في أمر دينك والمعاد  
تغالف النفس في هواها • إن الهوى جامع الفساد

قال ابن عساكر : المحفوظ أن إبراهيم بن آدم توفي سنة ثنتين وستين ومائة . وقال غيره : إحدى وستين وقيل سنة ثلاث . والصحيح ما قاله ابن عساكر والله أعلم . وذكروا أنه توفي في جزيرة من :

جزائر بحر الروم وهو مرابط ، وأنه ذهب إلى الظللة ليلة مات نوحاً من عشرين مرة ، وفي كل مرة يجدد الرضوء بدمه ، وكان به البطن ، فلما كانت غشية الموت قال : أتوتوا لى قومي ، فأوتروه قبض عليه فأت ، وهو قابض عليه يريد الرضى به إلى المدبر رحمه الله وأكرم مثواه .  
وقد قال أبو سعيد بن الأعرابي : حدثنا محمد بن علي بن يزيد الصائغ قال سمعت الشافعي يقول : كان سفيان معجباً به :

[ أجاعتهم الدنيا غفأوا ولم يزل • كذلك ذوالنقوى عن العيش ملجأ  
أخو طيء داود منهم ومسر • ومنهم وهيب والريب ابن أدهم  
وفي ابن سعيد قدوة البر والنبي • وفي الوارث الفاروق صدقاً مقدماً  
وحسبك منهم بالفضل مع ابنه • ويوسف إن لم يأل أن يقتلها  
أولئك أمهاني وأهل مودتي • فصلى عليهم ذو الجلال وسلا  
فأضر ذا النقوى نصال أسنة • وما زال ذو النقوى أهر وأكرما  
وما زالت النقوى تريك على الفتى • إذا مضى النقوى من المر ميسما ]

وروى البخاري في كتاب الأدب عن إبراهيم بن أدهم وأخرج الترمذي في جامعه حديثاً معلقاً في المسخ على الخفين . والله سبحانه أعلم . [ (١)  
وفيها توفي أبو سليمان داود بن نصير الطائي الكوفي الفقيه الزاهد ، أخذ الفقه عن أبي حنيفة . قال سفيان بن عيينة : ثم ترك داود الفقه وأقبل على العبادة ودفن كنيته . قال عبد الله بن المبارك : وهل الأمر إلا ما كان عليه داود الطائي . وقال ابن معين : كان ثقة ، وفد على المهدي ببغداد ثم عاد إلى الكوفة . ذكره الخطيب البغدادي . وقال : مات في سنة ستين ومائة ، وقيل في سنة ست وخمسين ومائة . وقد ذكر شيخنا الذهبي في تاريخه أنه توفي في هذه السنة - أعني سنة ثنتين وستين ومائة - فله أعلم .  
( ثم دخلت سنة ثلاث وستين ومائة )

فيها حصر المنعق الزنديقي الذي كان قد نبغ بخراسان وقال بالتناسخ ، واتبعه على جهالته وضلالته خلق من الطعام وسفهاء الأنام ، والسفلة من العوام ، فلما كان في هذا العام لجأ إلى قلعة كش فحاصره سعيد الحرثي فألق عليه في الحصار ، فلما أحس بالقلعة تحسّى ما وسم نساءه فأتوا جميعاً ، عليهم لسان الله ، ودخل الجيش الاسلامي قلعة فاحتزوا رأسه وبنثوا به إلى المهدي ، وكان المهدي يحلب . قال ابن خلكان : كان اسم المنعق عطاء ، وقيل حكيم ، والأول أشهر . وكان أولاً قصصاً ثم ادعى الربوبية ، مع أنه كان أعور قبيح المنظر ، وكان يتخذ له وجهاً من ذهب ، وتابسه على جهالته خلق (١) زيادة من المصرية .

كثير ، وكان يرى الناس قرآري من مسيرة شهرين ثم ينيب ، فظلم اعتقادهم له ومنعوه بالصلاح ، وكان يزعم لعنة الله وتعالى عما يقولون علواً كبيراً أن الله ظهر في صورة آدم ، ولهذا سميت له الملائكة ، ثم في نوح ، ثم في الأنبياء واحداً واحداً ، ثم تحول إلى أبي مسلم انطراساني ، ثم تحول إليه . ولما حاصره المسلمون في قلعة التي كان جدها بناحية كش مما وراء النهر ويقال لها سنم ، تحصى هو ونسأؤه صحاباً فاتوا واستحوذ المسلمون على حواصله وأمواله

وفيها جيز المهدي البعوث من خراسان وغيرها من البلاد لنزول الروم ، وأمر على الجميع ولده هارون الرشيد ، وخرج من بغداد مشياً له ، فسار معه مراحل واستخلف على بغداد ولده موسى الهادي ، وكان في هذا الجيش الحسين بن قحطبة والربيع الحلابي وخالد بن برمك - وهو مثل الوزير الرشيد ولي العهد - ويحيى بن خالد - وهو كاتبه وإليه التفتت - وما زال المهدي مع ولده مشياً له حتى بلغ الرشيد إلى بلاد الروم ، وأرثد هناك المدينة المسماة بالمهدي في بلاد الروم ، ثم رجع إلى الشام وزار بيت المقدس ، فسار الرشيد إلى بلاد الروم في جحافل عظيمة ، وفتح الله عليهم فتوحات كثيرة ، وغنموا أموالاً جزيلة جداً ، وكان لخالد بن برمك في ذلك أثر جميل لم يكن لغيره ، وبعثوا بالبشارة مع سليمان بن برمك إلى المهدي فأكرمه المهدي وأجزل عطاه .

وفيها عزل المهدي عمه عبد الصمد بن علي عن الجزيرة وولى عليها زفر بن عاصم الحلال ، ثم عزله وولى عبد الله بن صالح بن علي . وفيها ولى المهدي ولده هارون الرشيد بلاد المغرب وأقر ييجان وارمينية ، وجعل على رسائله يحيى بن خالد بن برمك ، وولى وعزل جماعة من الثواب . وحج بالناس فيها على بن المهدي .

وفيها توفي إبراهيم بن طهمان ، وحرير بن عثمان الحمصي الرحي ، وموسى بن علي الغنمي المصري وشعيب بن أبي حمزة ، وعيسى بن علي بن عبد الله بن عباس عم السفاح ، وإليه ينسب قصر عيسى ، ونهر عيسى ببغداد ، ظل يحيى بن معين : كان له منهب جميل ، وكان معتزلاً للسلطان . توفي في هذه السنة عن ثمان وسبعين سنة . ويهائم بن يحيى ، ويحيى بن أبي أيوب المصري ، وبمبيدة بنت أبي كلاب العابدة ، بكت من خشية الله أربعين سنة حتى عميت . وكانت تقول : أشتبه الموت فاني أخشى أن أجنى على نفسي جناية تكون سبب هلاكي يوم القيامة .

( ثم دخلت سنة أربع وستين ومائة )

فيها غزا عبد الكبير بن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب بلاد الروم ، فأقبل إليه ميخائيل البطريق في نحو من تسعين ألفاً ، فبهم طارزاد الأرمني البطريق فقتل دنه عبد الكبير ومنع المسلمين من القتال وانصرف راجعاً - فأراد المهدي ضرب عنقه فحكم فيه فحبسه في التطبيق .

وفي يوم الأربعاء في أواخر ذي القعدة أسس المهدي قصرًا من لبن بيمسا باذ ، ثم عزم على القهاب إلى الخلع فأصابه حمى فرجع من أثناء الطريق ، فطش الناس في الرجعة حتى كاد بعضهم يهلك ، فغضب المهدي على عقابن صاحب المصانع ، وبعث من حيث رجع المهلب بن صالح بن أبي جعفر ليحج بالناس فخرج بهم عائذ . وفيها توفي شيخان بن عبد الرحمن النحوي ، وعبد العزيز بن أبي سلة المجشون ، ومبارك بن فضالة صاحب الحسن البصري .

( ثم دخلت سنة خمس وستين ومائة )

فيها جهز المهدي ولده الرشيد لغزو الصائفة ، وأخذ معه من الجيوش خسة وتسعين ألفًا وسبعمائة وثلاثة وتسعين رجلاً ، وكان معه من النفقة مائة ألف دينار ، وأربعة وتسعون ألف دينار ، وأربعة وخمسون ديناراً ، ومن الفضة إحدى وعشرون ألف ألف وأربعة مائة ألف ، وأربعة عشر ألفاً ومائتين درهم . قال ابن جرير . فبلغ مجزوده خلبج البحر الذي على القسطنطينية ، وصاحب الزم يومئذ أغسطة امرأة أليون ، ووهبها ابنها في حبرها من الملك الذي توفي عنها ، فطلبت الصلح من الرشيد على أن تدفع له سبعين ألف دينار في كل سنة ، وقبل ذلك منها ، وذلك بعد ما قتل من الروم في الواقع أربعة وخمسين ألفاً وأسرى من القداري خسة آلاف رأس وستمائة وأربعة وأربعين رأساً ، وقتل من الأسرى ألفي قتيل صبراً ، وغنم من الدواب بأدواتها عشرين ألف فرس ، وذبح من البقر والغنم مائة ألف رأس . وبيع البرذون بدرهم والبلل بأقل من عشرة دراهم ، والدرع بأقل من درهم وعشرون سيفاً بدرهم . فقال في ذلك مروان بن أبي حفصة :

أهنت بالقسطنطينية الروم مستنداً • إليها القنا حتى اكتفى اقل سورها  
وما رمتها حتى أتتك ملوكها • يجزئها والحرب تفل قهورها

وحج بالناس صالح بن أبي جعفر المنصور ، وفيها توفي سليمان بن المنيرة ، وعبد الله بن الملا ابن دبر ، وعبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان . ووهب بن خالد .

( ثم دخلت سنة ست وستين ومائة )

في المحرم منها قدم الرشيد من بلاد الروم فدخل بغداد في أبهة عظيمة ومعه الروم يحملون الجزية من الذهب وغيره . وفيها أخذ المهدي البيعة لولده هارون من بعد موسى المهادي ، وكتب بالرشيد . وفيها سخط المهدي على يعقوب بن داود وكان قد حظى عنده حتى استوزره وارتفعت منزلته في الوزارة حتى فوض إليه جميع أمر الخلافة ، وفي ذلك يقول بشر بن برد : -

بني أمية هبوا طال نومكم • إن الخليفة يعقوب بن داود  
صاعت خلافتكم يا قوم فطلبوا • خليفة الله بين الحر والورد

(١) رواية ابن جرير : بين الله والورد .

فلما نزل السمعة والوشاة بينه وبين الخليفة حتى أخرجه عليه ، وكما سوا به إليه دخل إليه فأجلس أمره معه ، حتى وقع من أمره ما سأذكره ، وهو أنه دخل ذات يوم على المهدي في مجلس عظيم قد فرش بأنواع الفرش وأنواع الحرير ، وحول ذلك المسكن أصحاب مزهرة بأنواع الأزاهير ، فقال : يا يعقوب كيف رأيت مجلسنا هذا ؟ قال : يا أمير المؤمنين ما رأيت أحسن منه . فقال : هو لك بما فيه ، وهذا الجارية لستم بها سروك ، ولي إليك حاجة أحب أن تقضيها . قلت : وما هي يا أمير المؤمنين ؟ فقال : حتى تقول نعم . قلت : نعم ! وعلى السمع والطاعة . قال : الله ؟ قلت : الله . قال : وحية رأسى قلت وحية رأسك . قال : ضع يدك على رأسى يقل ذلك ، فضلت . قال : إنني هنا رجلا من الدواب أحب أن تكفيني ، والظاهر أنه الحسن بن إبراهيم بن عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب . قلت : نعم ، قال : ومجمل علي ، ثم أمر بنحويل ماني ذلك المجلس إلى منزلي وأمر لي بمائة ألف درهم وتلك الجارية ، فافرحت بشئ فرح بها . فلما صارت بمنزلي حجبته في جانب الدار في خدر ، فأمرت بذلك الملوى فجئ به فجلس إلى فتكلم ، فإرأيت أعقل منه ولا أفهم . ثم قال لي : يا يعقوب تاتى الله بدمى وأنا رجل من ولد فاطمة بنت رسول الله ﷺ ؟ قلت : لا والله ولكن اذهب حيث شئت وأين شئت . قال : إني أختار بلاد كذا وكذا . قلت : اذهب كيف شئت ، ولا يظهرن عليك المهدي قهرك وأهلك . فخرج من عندي وجهاز معه رجلين يسفرانه ، وبصلاية بعض البلاد ، ولم أشعر بأن الجارية قد أحاطت علما بما جرى ، وأنها كالجاسوس على ، فبمشت بمخادمتها إلى المهدي فأعلمته بما جرى ، فبمشت المهدي إلى تلك الطريق فردوا ذلك الملوى فحبسه عنده في بيت من دار الخلافة ، وأرسل إلى من اليوم الثاني فذهبت إليه ولم أشعر من أمر الملوى بشئ ، فلما دخلت عليه قال : ما فعل الملوى ؟ قلت : مات . قال : الله ! قلت : الله . قال : فضع يدك على رأسى واحلف بحياته ، فضلت . قال : يا غلام أخرج ما في هذا البيت ، فخرج الملوى فأستعطف في يدي ، فقال المهدي : ذلك لي حلال . ثم أمر به فألقى في بئر في المطبخ . قال يعقوب : فكنت في مكان لا أسمع فيه ولا أبصر ، فذهب بصري وطال شعري حتى صرت مثل البهائم ، ثم مضت على مدد متطاولة ، فبينما أنا ذات يوم إذ دعيت فخرجت من البئر فقيل لي : سلم على أمير المؤمنين . فسلمت وأنا أعلم المهدي ، فلما ذكرت المهدي قال : رحم الله المهدي . قلت : الهادي ؟ قال : رحم الله الهادي . قلت : الرشيد ؟ قال نعم . قلت : يا أمير المؤمنين قد رأيت ما حل في من الضعف والفة ، فإن رأيت أن تطلقني . قال : أين تريد ؟ قلت : مكة . قال : اذهب راشداً ، فصار إلى مكة فلبث بها إلا قليلا حتى مات رحمه الله تعالى .

وقد كان يعقوب هذا يعظ المهدي في تامله شرب التبيخ بين يديه ، وكثرة سماع الفناء فكان



يلومه على ذلك ويقول : ما على هذا استوزرتني ، ولا على هذا محببتك ، أبعد الصلوات الحسن في المسجد الحرام يشرب الخمر ويفني بين يديك ؟ فيقول له المهدي : قد سمع عبد الله بن جعفر ، فقال له يعقوب : إن ذلك لم يكن له من حسناته ، ولو كان هذا قرينة لكان كمالا داوم عليه العبد أفضل . وفي ذلك يقول بعض الشعراء حساً للمهدي على ذلك :

فدع عنك يعقوب بن داود جابجا • وأقبل على صبياء طيبة الفشر

وفيها ذهب المهدي إلى قصره المسمى بميساباذ - بنى له بالآجر بعد القصر الأول الذي بناه باليمن - فسكنه وضرب هناك الدرهم والدنانير . وفيها أمر المهدي باقبة البريد بين مكة والمدينة واليمن ولم يضل أحد هنا قبل هذه السنة . وفيها خرج موسى الهادي إلى جرجان . وفيها وفي القضاء ثاب يوسف صاحب أبي حنيفة . وفيها حج بالناس إبراهيم بن يحيى بن محمد عامل الكوفة . ولم يكن في هذه السنة صائفة للهدنة التي كانت بين الرشيد وبين الروم . وفيها توفي صدقة بن عبد الله السمين ، وأبو الأشهب المطرودي ، وأبو بكر التمشلي ، وعففر بن معدان .

(ثم دخلت سنة سبع وستين ومائة .)

فيها وجه المهدي ابنه موسى الهادي إلى جرجان في جيش كثيف لم ير مثله ، وجعل على رسائله ثمان بن صدقة . وفيها توفي عيسى بن هوشب الذي كان مولى المهدي من بعد المهدي : ملئت بالكوفة فأشهد نائباً روح بن حاتم على وفاته القاضي وجماعة من الأعيان . ثم دفن . وكان قد امتنع من الصلاة عليه فكتب إليه المهدي يمنة أشد التمنيت ، وأمر بحاسبته على عمله . وفيها عزل المهدي ثاب عبيد الله معاوية بن عبيد الله عن ديوان الرسائل وولاه الربيع بن يونس الخاجب ، فاستخلف فيه سعيد بن واقد وكان أبو عبيد الله يدخل على مرقبته . وفيها وقع وباء شديد وسعال كثير ببغداد والحيرة ، وأغلقت الدنيا حتى كانت كالليل حتى تعالى النهار ، وكان ذلك للبال بقين من ذي الحجة من هذه السنة . وفيها تتبع المهدي جماعة من الزنادقة في سائر الآفاق فاستعظمهم وقتلهم صبراً بين يديه ، وكان الثوري أمر الزنادقة عمر الكلواذي . وفيها أمر المهدي بزيادة كثيرة في المسجد الحرام ، فدخل في ذلك دور كثيرة ، وولى ذلك ليعقوب بن موسى الموكل بأمر الحرمين ، فلم يزل في عمارة ذلك حتى مات المهدي كاسياً . ولم يكن للناس صائفة للهدنة . وحج بالناس نائب المدينة إبراهيم بن عبد وتوفي بعد فراغه من الحج بأيام . وولى مكانه إسحاق بن عيسى بن علي بن عبد الله بن عباس . ومن توفي فيها من الأعيان .

بشار بن برد أبو معاذ الشاعر مولى عقيل ، ولد أعمى ، وقال الشعر وهو دون عشر سنين ، وله التشبهات التي لم يمتد إليها البصراء . وقد أنشأ عليه الأصمعي والجاحظ وأبو تمام وأبو عبيدة ، وقال

له ثلاثة عشر ألف بيت من الشعر . فلما بلغ المهدي أنه هجاه وشهد عليه قوم أنه زنديق أمر به فحُرب حتى مات عن بضع وسبعين سنة . وقد ذكره ابن خلكان في الوفيات ، فقال : بشار بن برد بن يرجوخ القيلي - ولأم ، وقد نسبها صاحب الأغاني فأطال نسبها . وهو بصري قدم بغداد أصله من طخارستان ، وكان ضخما عظيم الخلق ، وشعره في أول طبقات الموفدين ، ومن شعره البيت المشهور :

هل تملين وراء الحب منزلة • تُدنى إليك فان الحب أقصا

وقوله : أنا والله أشنهي سحر عيني • لك وأخشى مصارع العشاق

وله : يا قوم أذني لبعض الحى عاشقة • والأذن تمسق قبل العين أحيانا

قالوا لم لا نرى عينك قلت لهم • الأذن كالعين ترى القلب مكانا<sup>(١)</sup>

وله : إذا بلغ الرأي التشاور فاستمن • بحزم نصيح أو نصيحة حازم

ولأنجيل الشورى عليك غضاضة • فريش الخوافي قوة للقوام

وما خير كف أسك النمل أخذها • وما خير سيف لم يؤيد بقاءم

كان بشار يمدح المهدي حتى وشى إليه الوزير<sup>(٢)</sup> أنه هجاه وقذفه ونسب إلى شيء من الزندقة ، وأنه يقول بتفضيل النار على التراب ، وعذر إبليس في السجود لآدم ، وأنه أنشد :-

الأرض مظلة والنار مشرقة • والنار مبهودة مذ كانت النار

فأمر المهدي بضربه فحُرب حتى مات . ويقال : إنه فرق ثم قتل إلى البصرة في هذه السنة .

وفيها توفي الحسن بن صالح بن حي ، وحامد بن سلمة ، والربيع بن مسلم ، وسعيد بن عبد العزيز ابن مسلم ، وعتبة الغلام ، وهو عتبة بن أبان بن صمعة أحد العباد المشهورين البكائيين المذكورين ، كان يأكل من عمل يده في الخوص ، ويصوم الدهر ويغفر على الخبز والملح . والقاسم الحنفاء ، وأبو هلال محمد بن سليم ، ومحمد بن طلحة ، وأبو حزة اليشكري محمد بن ميمون .

﴿ ثم دخلت سنة ثمان وستين ومائة ﴾

فيها في رمضان منها قُضت الروم ما بينهم وبين المسلمين من الصلح الذي عقده هارون الرشيد عن أمر أبيه المهدي ، ولم يستمروا على الصلح إلا ثنتين وثلاثين شهرا ، فبث نائب الجزيرة خيلا إلى الروم قتلوا وأسرُوا وغنوا وسلوا . وفيها اتخذ المهدي دواوين الأئمة<sup>(٣)</sup> ولم يكن بنو أمية يعرفون ذلك . وفيها حج بالناس علي بن محمد المهدي الذي يقال له ابن ربيعة . وفيها توفي الحسن

(١) في هذا البيت تحريف (٢) بهاش التركية : أي نسب الوزير لبشار .

(٣) ويسمى واحدها (ديوان الزمام) . وروى أنه لما جمعت الدواوين لصبر بن بزيع حُضر فإذا هو لا يضبطها إلا بزمام يكون له على كل ديوان فاتخذ دواوين الأئمة في خلافة المهدي .

ابن يزيد بن حسن بن علي بن أبي طالب ، ولاء المنصور المدينة خمس سنين ، ثم غضب عليه  
فصر به وحبه وأخذ جميع ماله . [ وحاد مجرد . كان ظريفاً ماجناً شاعراً ، وكان ممن يماثر الوليد  
ابن يزيد ويهاجى بشار بن برد . وقدم على المهدي ونزل الكوفة واتهم بالزندقة . قال ابن قتيبة في  
طبقات الشعراء : ثلاثة حمادون بالكوفة يرمون بالزندقة : حماد الراوية ، وحاد مجرد ، وحاد بن  
الزرقان النحوي . وكانوا يتشاعرون ويتماجنون . ] <sup>(١)</sup> وخارجة بن مصعب ، وعبد الله بن الحسن  
ابن الحسين بن أبي الحسن البصري ، قاضي البصرة بسدس وار . جمع خلفاً الحفاه وداود بن أبي  
هند ، وسعيد الجبري . وروى عنه ابن مهدي . وكان ثقة فقيهاً له اختيارات ترمى إليه غريبة  
في الأصول والفروع ، وقد سئل عن مسألة فأنطق في الجواب فقال له قائل : الحكيم فيها كذا وكذا .  
فأطرق ساعة ثم قال : إذا أرجع وأنا صاغر ، لأن أكون ذنباً في الحق أحب إلي من أن أكون  
رأساً في الباطل . توفي في ذي القعدة من هذه السنة ، وقيل بعد ذلك بمسنتين فانه أعلم . غوث  
ابن سليمان بن زياد بن ربيعة أبو يحيى الجبري ، قاضي مصر ، كان من خيار الحكماء ، ولي القيار  
المصرية ثلاث مرات في أيام المنصور والمهدي . [ وقليح بن سليمان ، وقيس بن الربيع في قول ،  
ومحمد بن عبد الله بن علاقة بن حلقمة بن مالك ، أبو اليسر الثقفي ، قاضي الجباب الشرقي من بغداد  
للمهدي ، هو وعافية بن يزيد . وكان يقال لابن علاقة قاضي الجن ، لأنه كانت بشر يصاب من أخذ  
منها شيئاً فقال : أيها الجن ! إنا حكمنا أن لكم الليل ولنا النهار . فكان من أخذ منها شيئاً في النهار  
لم يصبه شيء . قال ابن معين : كان ثقة . بهال البخاري : في حفظه شيء . ] <sup>(٢)</sup> .

( ثم دخلت سنة تسع وستين ومائة )

فيها في الحرم منها توفي المهدي بن المنصور بمكان يقال له ما سبنا ، بالبحر ، وقيل مسموماً  
وقيل عضه فرس قلت . ﴿ وعنه ترجمته ﴾

هو محمد بن عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ، أبو عبد الله المهدي ، أمير المؤمنين  
وإنما لقب بالمهدي رجاء أن يكون الموعود به في الأحاديث فلم يكن به ، وإن اشتركا في الاسم فقد  
افترقا في الفعل ، ذلك يأتي في آخر الزمان عند فساد الدنيا فيملا الأرض عدلاً كما ملئت جوراً  
وظلماً . وقد قيل إن في آلهه ينزل عيسى بن مريم بمشق كما سيأتي ذلك في أحاديث القن والملاحم .  
وقد جاء في حديث من طريق عثمان بن عفان أن المهدي من بني العباس ، وجاء موقوفاً على ابن  
عباس وكعب الأخبار ولا يصح ، ويتقدر صحة ذلك لا يلزم أن يكون على النمين . وقد ورد في  
حديث آخر أن المهدي من ولد فاطمة فهو يمارض هذا والله أعلم . وأم المهدي بن المنصور أم موسى

(١) زيادة من المصرية . (٢) سقط من المصرية .

بنت منصور بن عبد الله الحيري . روى عن أبيه عن جده عبد الله بن عباس « أن رسول الله ﷺ جبر بيسم الله الرحمن الرحيم » . رواه عنه يحيى بن حمزة التيهلي قاضي دمشق ، وذكر أنه صلى خلف المهدي حين قدم دمشق فبخر في السورتين بالبسملة ، وأسند ذلك عن رسول الله ﷺ ورواه غير واحد عن يحيى بن حمزة ، ورواه المهدي عن المبارك بن فضالة ، ورواه عنه أيضا جعفر ابن سليمان الضبي ، ومحمد بن عبد الله الرقاشي ، وأبو سفيان سعيد بن يحيى بن مهدي .

وكان مولد المهدي في سنة ست أو سبع وعشرين ومائة ، أو في سنة إحدى وعشرين ومائة ، ولي الخلافة بعد موت أبيه في ذي الحجة سنة ثمان وخمسين ومائة ، وعمره إذ ذاك ثلاث وثلاثون سنة ، ولد بالحلجة من أرض البلقاء ، وتوفي في الحرم من هذه السنة - أعني سنة سبع وستين ومائة - عن ثلاث أو ثمان وأربعين سنة ، وكانت خلافته عشرين سنين وشهراً وبعض شهر ، وكان أجمع طويلاً جمع الشعر ، دلى إحدى عينيه نكتة بيضاء ، قيل على عينه اليمنى ، وقيل اليسرى . قال الربيع الحجاب : رأيت المهدي يصل في ليلة مقمرة في بهو له عليه ثياب حسنة ، فما أدري هو أحسن أم القمر ، أم بهو ، أم ثيابه . فقرأ ( فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتعلموا أرحامكم ) الآية . ثم أمرني فأحضرت رجلاً من أهله كان مسجوراً فأطلقه . ولما جاء خبر موت أبيه بمكة كما تقدم ، كنم الأمر يومئذ ثم تودى في الناس يوم الخميس الصلاة جامعة ، فقام فيهم خطيباً فأعلمهم بحوث أبيه وقال : إن أمير المؤمنين دعى فأجاب فعنه الله أحقب أمير المؤمنين وأستبينه على خلافة المسلمين . ثم يابيه الناس بالخلافة يومئذ . وقد عزاه أبو دلالة وعنه في قصيدة له يقول فيها : -

هيناي واحدة ترى مسرورة • بأمرها جذلاً وأخرى تفرق  
تبكي وتضعك نارة ويسوها • ما أنكرت ويسرها ما تعرف  
فيسوها موت الخليفة محرماً • ويسرها أن قام هذا الأرف  
ما إن رأيت كما رأيت ولا أرى • شرأ أرحله وآخر يفتق  
هلك الخليفة يال أمة أحمد • وأناكم من بسده من يخلف  
أهدى لهذا الله فضل خلافة • ولذاك جنك النعم تزخرف

وقد قال المهدي يوماً في خطبة : أيها الناس أسروا مثلنا فملنوا من طاعتنا نكم الماقية ، وتحمدا الملقية ، وانفضوا جناح الطاعة لمن ينشر ممدته فيكم ، . يطوى ثوب الأمر عنكم . وأهل عليكم السلامة وابن الميثية من حيث أراه الله ، مقمدا ذلك على فعل من تقدمه ، والله لأعفين عري من عقوبتكم ، ولأحلن نفسي على الاحسان إليكم . قال : فأشرقت وجوه الناس من حسن كلامه . ثم استخرج حواصل أبيه من الذهب والفضة التي كانت لا تعد ولا توصف كثرة ، وفرقها

في الناس ، ولم يسطر أهله ومواليه منها شيئاً ، بل أجرى لهم أرزاقاً بحسب كفايتهم من بيت المال ، لكل واحد خمسة في الشهر غير الأعطيات . وقد كان أبو ربيعة على توفير بيت المال ، وإنما كان ينفق في السنة ألفي درهم من مال السراة . وأمر المهدي ببناء مسجد الرصافة وعمل خندق وسور حولها ، وبني مدناً ذكرناها فيما تقدم .

وذكر له عن شريك بن عبيد الله القناني أنه لا يرى الصلاة خلفه ، فأحضره فتكلم معه ثم قال له المهدي في جملة كلامه : يا ابن الزانية ! فقال له شريك : مه مه يا أمير المؤمنين . فلقد كانت بصوامة قوامه . فقال له : يا زنديق لا تقتلك . فضحك شريك ، فقال : يا أمير المؤمنين إن للزنادقة علامات يعرفون بها ، شرهم القهوات ، واتخاذهم القينات . فأطرق المهدي وخرج شريك من بين يديه . وذكروا أنه هاجت ريح شديدة ، فدخل المهدي بيتاً في داره فأثرق خداه بالتراب وقال : اللهم إن كنت أنا المطلوب بهذه العقوبة دون الناس فما أناذا بين يديك ، اللهم لا تشمت بي الأعداء من أهل الأديان . فلم يزل كذلك حتى انحلت . ودخل عليه رجل يوماً ومعه نمل فقال : هذه نمل رسول الله ﷺ قد أهديتها لك ، فقال : هاتها ، فناولها إياها ، وقبلها ووضعها على عيفيه وأمر له بمشرة آلاف درهم . فلما انصرف الرجل قال المهدي : والله إني لأعلم أن رسول الله ﷺ لم ير هذه النمل ، فضلاً عن أن يلبسها ، ولكن لورودته فذهب يقول للناس : أهديت إليهم نمل رسول الله ﷺ فردها علي ، فتصدقوا الناس ، لأن العامة تميل إلى أمثالها ، ومن شأنهم نصر الضعيف على القوي وإن كان ظالماً ، فاشترينا لسانه بمشرة آلاف درهم ، ورأينا هذا أرجح وأصلح .

واشتهر عنه أنه كان يحب الذهب والحمام والسباق بينها ، فدخل عليه جماعة من محدثين فيهم عتاب بن إبراهيم فحدثه بحديث أبي هريرة : « لا سبق إلا في خف أو نعل أو حافر » . وزاد في الحديث « أو جناح » فأمر له بمشرة آلاف . ولما خرج قال : والله إني لأعلم أن عتاباً كذب على رسول الله ﷺ . ثم أمر بالحمام فذبح ولم يذكر عتاباً بعدها . وقال الواقدي : دخلت على المهدي يوماً فحدثته بأحاديث فكتبها عن ثم قام فدخل بيوت نسائه ثم خرج وهو ممثلي غيظاً قتل : مالك يا أمير المؤمنين ؟ فقال : دخلت على الخيزران فقلت إني ومزقت ثوبي وقلت : ما رأيت منك خيراً ، وإني والله يا واقدي إنما اشتريتها من فحاش ، وقد قالت عندي ما قالت ، وقد باهت لولديها بأمر المؤمنين من بعدى . قتل : يا أمير المؤمنين إن رسول الله ﷺ قال : « إنهن يبلعن الكرام ويبلعن الأتباع » . وقال : « خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهله » وقد خلقت المرأة من ضلع أعوج إن قومته كسرته . وحدثته في هذا الباب بكلام حضري . فأمر لي بألفي دينار ، فلما وافيت المنزل إذا رسول الخيزران قد لحقني بألفي دينار إلا عشرة دنانير ، وإذا معه أبواب أخر ، وبشت تشكري وتثني على مروءة .

وذكروا أن المهدي كان قد أهدى دم رجل من أهل الكوفة وجعل لمن جاء به مائة ألف ، فدخل الرجل بغداد منتكباً فلقى رجل فأخذ بمجامع ثوبه ونادى : هذا طلبه أمير المؤمنين . وجعل الرجل يريد أن ينفلت منه فلا يقدر ، فبينهما ، يتجادلان وقد اجتمع الناس عليهما ، إذ مر أمير في موكبه - وهو ممن بن زائدة - فقال الرجل يا أبا الوليد خائف مستجير . فقال ممن : بذاك مالك وله ؟ فقال هذا طلبه أمير المؤمنين ، جعل لمن جاء به مائة ألف . قال ممن : أما علمت أني قد أجرته ؟ أرسله من يدك . ثم أمر بعض غلمانه فترجل وأركبه وذهب به إلى منزله ، وانطلق ذلك الرجل إلى باب الخليفة وأتى إليهم الخبير ، فبلغ المهدي فأرسل إلى ممن فدخل عليه فلم يلم عليه السلام . قال : يا ممن أبلغ من أمرك أن تجير علي ؟ قال : نعم قال : ونعم أيضاً قال : نعم ! قد قتلت في دولتك أربعة آلاف مصل فلا يحار لي رجل واحد ؟ فأطرق المهدي ثم رضع رأسه إليه وقال : قد أجرنا من أجرت يا ممن . فقال : يا أمير المؤمنين إن الرجل ضعيف ، فأمر له بثلاثين ألفاً . فقال : إن جرئته عظيمة وإن جوائز الخلفاء على قدر جرائم الرعية . فأمر له بمائة ألف ، فحملت بين يدي ممن إلى ذلك الرجل ، فقال له ممن : خذ المال وادع لأمر المؤمنين وأصلح نيتك في المستقبل .

وقدم المهدي مرة البصرة فخرج ليصلي بالناس فجاء أعرابي فقال : يا أمير المؤمنين مر هولاء فليفتقروا حتى أتوا - يعني المؤذنين - فأمرهم بانتظاره ، ووقف المهدي في المحراب لم يكبر حتى قيل له هذا لأعرابي قد جاء . فكبر ، فتهجى الناس من سحابة أخلاقه . وقدم أعرابي ومعه كتاب مخنوم فجعل يقول : هذا كتاب أمير المؤمنين إلى ، أين الرجل الذي يقال له الربيع الحاجب ؟ فأخذ الكتاب وجاء به إلى الخليفة وأوقف الأعرابي وفتح الكتاب فاذا هو قطعة أديم فيها كتابة ضعيفة ، والأعرابي يزعم أن هذا خط الخليفة ، فتبسم المهدي وقال : صدق الأعرابي ، هذا خطي ، إني خرجت يوماً إلى الصيد فضعت عن الجيش وأقبل الليل فتعذت بتعويذ رسول الله ﷺ فرفع لي نار من بمسدة قصصتها فاذا هذا الشيخ وأمراته في خباء يوقعان نارا ، فسلمت عليهما فردا السلام وفرش لي كساء وسقاني مذقة من لبن مشوب بهاء ، فما شربت شيئاً إلا وهي أطيب منه ، وتمت نومة على تلك المباداة ما أذكر أني نمت أحلى منها . فقام إلى شجرة له فنجبها فسمعت امرأته تقول له : عمدت إلى مكسبك ومعيشة أولادك فذهبتهما ، هلكت نفسك وعيالك . فالتفت إليها ، واستيقظت فاشتريت من لحم تلك الشجرة وقلت له : أعنك شيء أكتب لك فيه كتاباً ؟ فألقى هذه القطعة فكتبت له بعد من ذلك الرماذ خمسمائة ألف ، وإنما أودت خمسين ألفاً ، والله لا تفننها كلها ولو لم يكن في بيت المال سواها . فأمر له بخمسمائة ألف قبضها الأعرابي واستمر مقبياً في ذلك الموضع في طريق الحاج من ناحية الأنبار ، فجعل يقرى الضيف ومن مر به من الناس ، فصرف منزله بمنزل مضيف أمير المؤمنين المهدي .

وعن سوار - صاحب رجة سوار - قال : انصرفت يوماً من عند المهدي فبحث منزلي فوضع لي  
 الغداء فلم تقبل نفسي عليه ، فدخلت خلوتي لأنام في الثاثة فلم يأخذني نوم ، فلم تستعيت بعض  
 حظائلي لأنام بها فلم تنبسط نفسي إليها ، فتمضت فخرجت من المنزل ووكبت بثقلني فاجاوزت  
 الدار إلا قليلاً حتى لقيني رجل ومعه ألف درهم ، قلت : من أين هذه ؟ قال : من ملكك الجديد .  
 فاستصحبته معي وسرت في أركة بغداد لأنشغل عما أنا فيه من الضرر ، فحانت صلاة العصر عند  
 مسجد في بعض الحارات ، فنزلت لأصلي فيه ، فلما قضيت الصلاة إذا برجل أعشى قد أخذ بثيابي  
 قلت : إن لي إليك حاجة ، قلت : وما حاجتك ؟ قال : إني رجل ضريب ولكني لما سمعت راحة  
 طيبك ظننت أنك من أهل النعمة والثروة ، فأحببت أن أفضي إليك بما جئني . قلت : وما هي ؟  
 قال : إن هذا القصر الذي تجاه المسجد كان لأبي فساخر منه إلى خراسان فباعه وأخذني معه وأنا  
 صغير ، فافترقا هناك وأصابني أنا الضرر ، فرجعنا إلى بغداد بعد أن مات أبي ، فبحثت إلى صاحب  
 هذا القصر فطلب منه شيئاً أتبلغ به لعل أجتمع بسوار ، فانه كان صاحباً لأبي ، فلمله أن يكون  
 عنده سعة يجود منها علي . قلت : ومن أبوك ؟ فذكر رجلاً كان أصعب الناس إلي ، قلت : إني  
 أنا سوار صاحب أبيك ، وقد منعي الله بومك هذا النوم والقرار والأكل والراحة حتى أخرجني من  
 منزلي لأجتمع بك ، وأجلسني بين يديك ، وأمرت وكيل فدفع له الألفي درهم التي معه . قلت  
 له : إذا كان القصد فأنت منزلي في مكان كذا وكذا . وركبت فبحثت دار الخلافة وقلت : ما أعجب  
 المهدي البلية في السر بأغرب من هذا . فلما قصصت عليه القصة تعجب من ذلك جداً وأمر لذلك  
 الأعمى بألفي دينار ، وقال لي : هل عليك دين ؟ قلت نعم ! قال : كم ؟ قلت : خمسون ألف دينار .  
 فسكت وحادثني ساعة ثم لما قت من بين يديه فوصلت إلى المنزل إذا الخالون قد سبقوني بخمسين  
 ألف دينار وألفي دينار للأعمى ، فانتظرت الأعمى أن يجيئني في ذلك اليوم فتأخر فلما أمسيت عدت  
 إلى المهدي فقال : قد فكرت في أمرك فوجدتك إذا قضيت دينك لم يبق معك شيء ، وقد أمرت  
 لك بخمسين ألف دينار أخرى . فلما كان اليوم الثالث جاءني الأعمى فقلت : قد رزقني الله ببسبك  
 خيراً كثيراً ودفعت له الألفي الدينار التي من عند الخليفة وزدته ألفي دينار من عندي أيضاً .  
 ووقفت امرأة للمهدي قالت : يا عصية رسول الله اتقي حاجتي . قال المهدي : ما معك من  
 أحد غيرها ، أقضوا حاجتها وأعطوها عشرة آلاف درهم . ودخل ابن الخياط على المهدي فاستدعه  
 فأمر له بخمسين ألف درهم ففرقها ابن الخياط وأنشأ يقول :-

أخضت بكفي كفه أبتنى النقي • ولم أدر أن الجود من كفه يندى  
 فلا أنا منه ما أقد فوو النقي • أفنت وأعدائي فبدت ماعندي

قال : فبلغ ذلك المهدي فأعطاه بدل كل درهم ديناراً . وبالجملة فإن للمهدي مآثر وعاسن كثيرة ، وقد كانت وفاته بما سببان ، كان قد خرج إليها ليبحث إلى ابنه الهادي ليحضر إليه من جرجان حتى يحمله من ولاية العهد ويحمله بمد هارون الرشيد ، فامتنع الهادي من ذلك ، فركب المهدي إليه فاصداً إحضاره ، فلما كان بماسيفان مات بها . وكان قد رأى في النوم وهو بقصره بيداد المسمى بقصر السلامة - كان شيئاً وقف بباب القصر ، ويقال إنه سمع هاتفاً يقول : -

كأني بهذا القصر قد باد أهله • وأوحش منه ربه ومناله  
وصار عبيد القوم من بعده هجة • ومك إلى قبر عليه جناحه  
ولم يبق إلا ذكره وحديثه • تنادي عليه مولات حلاله  
فعاش بعدها إلا عشرأ حتى مات . وروى أنه لما قال له الهاتف : -

كأني بهذا القصر قد باد أهله • وقد درست أعلامه ومناله  
فأجابه المهدي : كذاك أمور الناس يبلى جديدها • وكل فتي بما سبيل فضاله  
فقال الهاتف : تزود من الدنيا فانك ميت • وإنك مشول فما أنت فاعاله  
فأجابه المهدي : أقول بأن الله حق شهادته • وذلك قول ليس نحمي فضاله  
فقال الهاتف : تزود من الدنيا فانك راحل • وقد أذف الأمر الذي بك تازل  
فأجابه المهدي : متى ذاك خبرني هديت فاني • سأفضل ما قد قلت لي وأعاجله  
فقال الهاتف : تلبث ثلاثاً بعد عشرين ليلة • إلى منتهى شهر وما أنت كاهله  
قالوا : فلم يمش بعدها إلا تسعاً وعشرين يوماً حتى مات رحمه الله تعالى .

وقد ذكر ابن جرير اختلافاً في سبب موته ، قيل إنه ساق خلف علي والكلاب بين يديه فدخل الظبي إلى خربة فسخت الكلاب وراءه وجاء الفرس فحمل بمشواره فسفل الخربة فسكر ظره ، وكانت وفاته بسبب ذلك . وقيل إن بعض حظاياه بعث إلى أخرى لبنا مسموماً فز الرسول بالمهدي فأكل منه فأت . وقيل بل بعث إليها بصيلة فيها الكثرى وفي أعلاها واحدة كبيرة مسمومة ، وكان المهدي يعجبه الكثرى ، ففرت به الجارية وممها تلك الصيلة فأخذ التي في أعلاها فأكلها فأت من ساعته ، فجعلت الحظية تنده به تقول : وأمير المؤمنين ، أردت أن يكون لي وحدثي قتلته بيدي . وكانت وفاته في الحرم من هذه السنة - أعني سنة تسع وستين ومائة - وله من العمر ثلاث وأربعون سنة على المشهور ، وكانت خلافته عشرين شهراً وكسوراً ، ورفاه الشراء بمراي كثيرة قد ذكرها ابن جرير وابن عساكر .

وفيها توفي عبيد الله بن زياد ، ونافع بن عمر الجمحي ، ونافع بن أبي نعيم القناري .



( خلافة موسى الهادي بن المهدي )

توفي أبوه في الحرم من أول سنة تسع وستين ومائة وكان ولي العهد من بعده أبيه ، وكان أبوه قد علم قبل موته على تقديم أخيه الرشيد عليه في ولاية العهد ، فلم ينفذ ذلك حتى مات المهدي بماسذان . وكان الهادي إذ فلك بجرجان ، فهم بعض الدولة منهم الربيع الحاجب وطائفة من القواد على تقديم الرشيد عليه والمباينة له ، وكان الرشيد حاضراً ببغداد ، وعزموا على النفقة على الجند لذلك تنفيذاً لما رآه المهدي من ذلك . فأسرع الهادي السير من جرجان إلى بغداد حين بلغه الخبر ، فساق منها إليها في عشرين يوماً ، فدخل بغداد وقام في الناس خطيباً ، وأخذ البيعة منهم فبايعوه ، وتقبى الربيع الحاجب فطلبه الهادي حتى حضر بين يديه ، فساق عنه وأحسن إليه وأقره على حوزته ، وزاده الوزارة وولايات أخرى . وشرع الهادي في طلب الزنادقة من الأفاق فقتل منهم طائفة كثيرة ، والحمد لله في ذلك بأبيه ، وقد كان موسى الهادي من أفكك الناس مع أصحابه في الخلوة ، فإذا جلس في مقام الخلوة كانوا لا يستطيعون النظر إليه ، لما يملوه من المهابة والرياسة ، وكان شاباً حسناً وقوراً مهيباً .

وفيها - أعنى سنة تسع وستين ومائة - خرج بالمدينة الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، وذلك أنه أصبح يوماً وقد لبس البياض وجلس في المسجد النبوي ، وجاء الناس إلى الصلاة فلما رأوه ولوا راجعين ، والتف عليه جماعة فبايعوه على الكتاب والسنة والرضى من أهل البيت . وكان سبب خروجه أن متولياً خرج منها إلى بغداد ليهنئ الخليفة بالولاية ويمزيه في أبيه . ثم جرت أمور اقتضت خروجه ، والتف عليه جماعة وجعلوا بأوامر المسجد النبوي ، ومنعوا الناس من الصلاة فيه ، ولم يجبه أهل المدينة إلى ما أرادوه ، بل جعلوا يدعون عليه لأنها كالمسجد ، حتى ذكر أنهم كانوا يقفون في جنبات المسجد ، وقد اقتتلوا مع المسودة مرات فقتل من هؤلاء ومولاء . ثم ارتحل إلى مكة فأقام بها إلى زمن الحج ، فبعث إليه الهادي جيشاً فقاتلوه بصد فراغ الناس من الموسم فقتلوه وقتلوا طائفة من أصحابه ، وهرب بقيتهم وتفرقوا شذروا . فكان مدة خروجه إلى أن قتل تسعة أشهر وعثمانية عشر يوماً ، وقد كان كرمياً من أجود الناس ، دخل يوماً على المهدي فأطلق له أربعين ألف دينار ففرقها في أهله وأصدقائه من أهل بغداد والكوفة ، ثم خرج من الكوفة وما عليه قبض ، إنما كان عليه فروة وليس تحتها قبض .

وفيها حج بالناس سليمان بن أبي جعفر عم الخليفة . وغزا الصائفة من طريق درب الزاهب مضيق بن يحيى في حجل كئيف ، وقد أقبلت الروم مع بطريقها فبلغوا الحدث . وفيها توفي الحسين بن علي بن حسن بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب قتل في أيام التشريق كما تقدم .

والربيع بن يونس الحاجب مولى المنصور ، وكان حاجبه ووزيره ، وقد وزر للمهدي والمهادي ، وكان بعضهم يظن في نسبه . وقد أورد الخطيب في ترجمته حديثاً من طريقه ولكنه منكر ، وفي صحته عنه نظر . وقد ولى الجبوية بعده وولاه الفضل بن الربيع ، وولاه إياها المهادي .

( ثم دخلت سنة سبعين ومائة من الهجرة النبوية )

وفيها عزم المهادي على خلع أخيه هارون الرشيد من الخلافة وولاية العهد لابنه جعفر بن المهادي فاضداد هارون لذلك ولم يظهر منازعة بل أجاب ، واستدعى المهادي جماعة من الأمراء فأجابوه إلى ذلك ، وأبى ذلك أمهما الخيزران ، وكانت تميل إلى ابنها هارون أكثر من موسى ، وكان المهادي قد منها من التصرف في شيء من المملكة لذلك ، بعد ما كانت قد استحوذت عليه في أول ولايته ، واقتلبت الدول إلى بابها والأمراء إلى جنبها ، خلف المهادي بئس عاد أمير إلى بابها ليضرب عنقه ولا يقبل منه شفاعة ، فاستنعت من الكلام في ذلك ، وحلفت لا تكلمه أبداً ، وانتقلت عنه إلى منزل آخر . وألع هو على أخيه هارون في الخلع وبث إلى يحيى بن خالد بن برمك - وكان من أكابر الأمراء الذين هم في صف الرشيد - فقال له : ماذا ترى فيما أريد من خلع هارون وتولية ابني جعفر ؟ فقال له خالد : إني أخشى أن تكون الإيمان على الناس ، ولكن المصلحة تقتضي أن تجعل جعفرأولى العهد من بعد هارون ، وأيضاً فإني أخشى أن لا يجيب أكثر الناس إلى البيعة لجعفر ، لأنه دون البلوغ ، فيفتاقم الأمر ويختلف الناس . فأطرق ملياً - وكان ذلك ليلاً - ثم أمر بسجته ثم أطلقه . وجاء يوماً إليه أخوه هارون الرشيد فجلس عن يمينه بعيداً ، فجعل المهادي ينظر إليه ملياً ثم قال : يا هارون ! أطمع أن تكون ولياً للمهد حقاً ؟ فقال : إني والله ، ولئن كان ذلك لأسلمن من قطعت ، ولا نصغن من ظلمت . ولا وزجن بذيك من بناني . فقال ذاك الظن بك . فقام إليه هارون فقبل يده خلف المهادي ليجلس معه على السرير فجلس معه ، ثم أمر له بألف ألف دينار ، وأن يدخل الخزانة فيأخذ منها ما أراد ، وإذا جاء الخراج دفع إليه نصفه . ففعل ذلك كله ورضى المهادي عن الرشيد . ثم سافر المهادي إلى حديقة الموصل بعد الصلح ، ثم عاد منها فأت بميساباذ ليلة الجمعة فتنصف من ربيع الأول ، وقيل لا آخر سنة سبعين ومائة ، وله من العمر ثلاث وعشرون سنة ، وكانت خلافته ستة أشهر<sup>(١)</sup> وثلاثة وعشرون يوماً . وكان طويلاً جميلاً ، أبيض ، بشفته العليا تقلص . وقد توفي هذه الليلة خليفة وهو المهادي ، وولى خليفة وهو الرشيد ، وولاه خليفة وهو المأمون بن الرشيد . وقد قالت الخيزران أمهما في أول الليل : إنه بلغني أن يولد خليفة وميرت خليفة وبولي خليفة . يقال إنها سمعت ذلك من الأوزاعي قبل ذلك بمدة ، وقد سرها ذلك جداً . ويقال : إنها

(١) في المصرية : سنة وشهراً وثلاثة وعشرين يوماً .

سميت ولها الهادي خوفا منه على ابنها الرشيد ، ولأنه كان قد أبدها وأقصاها وقرب حظيته خالصة وأذلها بالله أعلم .

﴿ وهذا ذكر شيء من ترجمة الهادي ﴾

هو موسى بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس أبو محمد الهادي . ولما خلافة في محرم سنة تسع وستين ومائة . ومات في النصف من ربيع الأول أو الآخر سنة سبعين ومائة ، وله من العمر ثلاث ، وقيل أربع ، وقيل ست وعشرون سنة ، والصحيح الأول ، ويقال إنه لم يل الخلافة أحد قبله في سنة ، وكان حسنا جليلا طويلا ، أبيض ، وكان قوي البأس يقب على الهابة وعليه درعان ، وكان أبوه يسميه رجحاني . ذكر عيسى بن دأب قال : كنت يوما عند الهادي إذ جئ بطست فيه رأس جاريته قد ذبحها وقطعا ، لم أر أحسن صورةا منهما ، ولأمثل شعورها ، وفي شعورها اللآلئ والجواهر منضمة ، ولا رأيت مثل طيب ريحهما . فقال لنا الخليفة : أتدرون ما شأن هاتين ؟ قلت : لا . قال : إنه ذكر أنه تركب إحداهما الأخرى بضلان الفاحشة ، فأمرت الخادم فرصدها ثم جادني فقال : إنهما مجتمعتان ، فجئت فوجدتهما في لحاف واحد وهما على الفاحشة ، فأمرت بحرقهما . ثم أمر برفع رؤسهما من بين يديه ورجع إلى حديثه الأول كأنه لم يصنع شيئا . وكان شهيدا خيرا بالملك كريما ، ومن كلامه : ما أصحح الملك بمثل تعجيل الموتى للجنائي ، والعفو عن الزلات ، ليقبل الطمع عن الملك . وغضب يوما على رجل فاسترضى عنه فرضى ، فشرع الرجل يفتنر فقال الهادي : إن الرضا كفاك مؤنة الاعتذار . وعزى رجلا في ولده فقال له : سررك وهو عدو وقتنة ، وساءلك وهو صلاة ورحمة . وروى الزبير بن بكار أن مروان بن أبي حفصة أنشد الهادي قصيدة له منها قوله : -

تشابه يوما بأبي وتوالة \* فما أحد يمدى لأيهما الفضل

فقال له الهادي : أيما أحب إليك ؟ فثلاثون ألفا ممجلة أو مائة ألف تدور في الدواوين ؟ فقال : يا أمير المؤمنين أو أحسن من ذلك ؟ قال : وما هو ؟ قال : تكون ألفا ممجلة ومائة ألف تدور بالدواوين . فقال الهادي : أو أحسن من ذلك ، نعمل الجميع لك . فأمر له بمائة ألف وثلاثين ألفا ممجلة . قال الخطيب البغدادي : حدثني الأزهري ثنا سهل بن أحمد الديلمي ثنا الصوري ثنا النلابي حدثني محمد بن عبد الرحمن التميمي المسكي حدثني المطلب بن عكاشة المزني قال : قمنا على أبي محمد الهادي شهودا على رجل منا أنه شتم قريشا ونحط إلى رسول الله ﷺ ، فجلس لنا مجلسا أحضر فيه قهها أهل زمانه ومن كان بالحضرة على بابها ، وأحضر الرجل وأحضرتا فشهدنا عليه بما سمعنا منه . فتغير وجه الهادي ثم فكس رأسه ثم رفضه ثم قال : إني سمعت أبي المهدي يحدث عن أبيه المنصور

عن أبيه علي بن عبد الله بن عباس قال : من أهان قريشاً أهانه الله ، وأنت يا عبد الله لم ترض بأن  
أذيت قريشاً حتى تخطيت إلى ذكر رسول الله ﷺ ؟ أضربوا عنقه . فإبرحنا حتى قتل .

توفي الهادي في ربيع الأول من هذه السنة ، وصلى عليه أخوه هارون ، ودفن في قصر بناء  
وسماه الأبيض بميساباذ من الجانب الشرقي من بغداد ، وكلن له من الولد تسعة ، سبعة ذكور وابنتان ،  
قاله كرجفر ، وعباس ، وعبد الله ، وإسحاق ، وإسماعيل ، وسليمان ، وموسى الأحمى ، القذى ولد  
بعد وفاته فسمى باسم أبيه . والبنتان هما أم عيسى التي تزوجها المأمون ، وأم العباس تلقب توبة .

### ﴿ خلافة هارون الرشيد بن المهدي ﴾

بويح له بالخلافة ليلة مات أخوه ، وذلك ليلة الجمعة للنصف من ربيع الأول سنة سبعين ومائة  
وكان عمر الرشيد يومئذ ثنتان وعشرين سنة ، فبث إلى يحيى بن خالد بن برمك فأخرجهم من السجن ،  
وقد كان الهادي عزم تلك الليلة على قتله وقتل هارون الرشيد ، وكان الرشيد ابنه من الرضاعة ،  
فولاه حينئذ الوزارة ، وولى يوسف بن القاسم بن صبيح كتابة الانشاء . وكان هو القذى قام خطيباً  
بين يديه حتى أخذت البيعة له على المنبر بميساباذ ، ويقال إنه لما مات الهادي في الليل جاء يحيى  
ابن خالد بن برمك إلى الرشيد فوجده نائماً فقال : قم يا أمير المؤمنين . فقال له الرشيد : كم نروعي ،  
لو سمحك هذا الرجل . لكن ذلك أكبر ذنوبي عنده ؟ فقال : قدمت الرجل . فجلس هارون فقال :  
أشر على في الولايات . فجعل يذكر ولايات الأقاليم لرجال يسميهم فيولهم الرشيد ، فبينما كنك إذ  
حاه آخر فقال : أبشر يا أمير المؤمنين قد ولد لك الساعة غلام . فقال : هو عبد الله وهو المأمون . ثم  
أصبح فصل على أخيه الهادي ، ودفنه بميساباذ ، وحلف لا يصلّي الظهر إلا ببغداد . فلما فرغ من  
الخنزاة أمر بضرب عنق أبي عصمة القائد لأنه كان مع جعفر بن الهادي ، فزاحوا الرشيد على جسر  
فقال أبو عصمة : اصبر وقف حتى يجوزولى المهدي . فقال الرشيد : السمع والطاعة للأمير . فجاز  
جعفر وأبو عصمة ووقف الرشيد مكسوراً ذليلاً . فلما ولى أمر بضرب عنق أبي عصمة ، ثم سار إلى  
بغداد . فلما انتهى إلى جسر بغداد استدعى بالنواصب قتل إلى سقط منى هنا خاتم كان والدى  
المهدي قد اشتراه لى بمائة ألف ، فلما كان من أيام بئث إلى الهادي يطلبه فألقته إلى الرسول فسقط  
هنا . ففانس النواصب وراه فوجدوه فسر به الرشيد سزوراً كثيراً . ولما ولى الرشيد يحيى بن  
خالد الوزارة قال له : قد فوضت إليك امر الرعية وخلعت ذلك من عنق وجعلته في عنقك ، فول  
من رأيت واعزل من رأيت . ففى ذلك يقول إبراهيم بن الموصلى : —

ألم تر أن الشمس كانت سقيمة • فلما ولى هارون أشرق نورها

بين أمين الله هارون ذى الندى • فهارون والبا ويحيى وزبرها

ثم إن هارون أمر يحيى بن خالد أن لا يقطع أمراً إلا بمشورة والدته الخيزران . فكانت هي المشاورة في الأمور كلها ، فتبرم وتحمل وتحض وتحمك .

وفيها أمر الرشيد بسهم ذوى القرن أن يقسم بين بنى هاشم على السواء . وفيها تنقح الرشيد خلقاً من الزنادقة قتل منهم طائفة كثيرة . وفيها خرج عليه بعض أهل البيت . وفيها ولد الأمين محمد بن الرشيد ابن زبيدة . وذلك يوم الجمعة لست عشرة ليلة خلت من شوال من هذه السنة . وفيها كل بناء مدينة طرسوس على يدى فرج الخادم التركي وتزلها الناس . وفيها حج بالناس أمير المؤمنين الرشيد ، وأعطى أهل الحرمين أموالاً كثيرة ، ويقال إنه غزا في هذه السنة أيضاً . وفي ذلك يقول داود بن رزين الشاعر : -

هارون لاح النور في كل بلدة • وطام به في عدل سيرته التبع  
إمام بذات الله أصبح شفعه • وأكثر ما يبنى به الفوز والحج  
تضيق عيون الناس عن نور وجهه • إذا ما بدا للناس منظره البلج  
وإن أمين الله هارون ذا الندى • يليل الذي برجوه أضفاف ما برجو  
وغزا الصائفة فيها سليمان بن عبد الله البكائي .

( ذكر من توفى فيها من الأعيان )

الخليل بن أحمد بن عمرو بن نعيم أبو عبد الرحمن الفراهيدي ، ويقال الفزهدي الأزدى ، شيخ النحاة ، وعنه أخذ سيويه والنضر بن سميل ، وغير واحد من أكابرهم ، وهو الذي اخترع علم العروض . قسمة إلى خمس دوائر بفرعه إلى خمسة عشر بحراً ، وزاد الأخفش فيه بحراً آخر وهو الخليل ، وقد قال بعض الشعراء : -

قد كان شعر الوري صحيحاً • من قبل أن يخلق الخليل

وقد كان له معرفة بعلم النغم ، وله فيه تصنيف أيضاً ، وله كتاب الدين في اللغة ، ابتداءً وأكمله النضر بن سميل وأضرابه من أصحاب الخليل ، كدرج السدوسي ، ونضر بن علي الجهمي . فلم يناسبوا ما وضعه الخليل . وقد وضع ابن درستويه كتاباً وصف فيه ما وقع لهم من الخلل فأقاد . وقد كان الخليل رجلاً صالحاً عاقلاً وقوراً أكابلاً ، وكان متقللاً من الدنيا جداً ، صبوراً على خشونة العيش وضيقه ، وكان يقول : لا يجاوز همى ما وراء بابي ، وكان نظيفاً حسن الخلق ، وذكر أنه اشتغل رجل عليه في العروض وكان يبيد ذهنه فيه ، قال قتلته له يوماً : كيف تقطع هذا البيت ؟

إذا لم تستطع شيئاً فدعه • وجاوزه إلى ما تستطيع

فشرع مى في تعظيمه على قدر معرفته ، ثم إنه نهض من عنده فلم يعد إلى ، وكأنه فهم ما أشرت

إليه . ويقال إنه لم يسم أحد بعد النبي ﷺ بأحد سوى أبيه . وروى ذلك عن أحد بن أبي خيثمة والله أعلم . ولد الخليل سنة مائة من الهجرة ، ومات بالبصرة سنة سبعين ومائة على المشهور ، وقيل سنة ستين ، وزعم ابن الجوزي في كتابه شذور القود أنه توفي سنة ثلاثين ومائة ، وهذا غريب جداً . والمشهور الأول .

وفيها توفي الربيع بن سليمان بن عبد الجبار من كلال المرادي مولاهم ، المصري المؤدب راوية الشافعي ، وآخر من روى عنه . وكان رجلاً صالحاً فخر فيه الشافعي وفي البيهقي والمزني وابن عبد الحكم العلم فوافق ذلك ما وقع في نفس الأمر . ومن شعر الربيع هذا :

صبراً جليلاً ما أسرع الفرجا • من صدق الله في الأمور نجها

من خشي الله لم يله أذى • ومن رجا الله كان حيث رجا

فأما الربيع بن سريان بن داود الجبزي فإنه روى عن الشافعي أيضاً . وقد مات في سنة ست وخسين ومائتين والله أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة إحدى وسبعين ومائة ﴾

فيها أضاف الرشيد الخاتم إلى يحيى بن خالد مع الوزارة . وفيها قتل الرشيد أباه هيرة محمد بن فروخ نائب الجزيرة صبراً في قصر الخلد بين يديه . وفيها خرج الفضل بن سعيد الحروي قتل . وفيها قدم روح بن حاتم نائب إفريقية . وفيها خرجت الخيزران إلى مكة فأقامت بها إلى أن شهدت الحج ، وكان الذي حج بالناس فيها عبد الصمد بن علي عم الخلفاء .

﴿ ثم دخلت سنة ثنتين وسبعين ومائة ﴾

فيها وضع الرشيد عن أهل العراق المشر الذي كان يؤخذ منهم بمدة النصف . وفيها خرج الرشيد من بغداد يراد له موضعاً يسكنه غير بغداد فتشوش فرجع . وفيها حج بالناس يعقوب بن أبي جعفر المنصور عم الرشيد . وفيها غزا الصائفة إسحاق بن سليمان بن علي .

﴿ ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين ومائة ﴾

فيها توفي بالبصرة محمد بن سليمان فأمر الرشيد بالاحتياط على حواصله التي تصلح للخلفاء ، فوجدوا من ذلك شيئاً كثيراً من الذهب والفضة والأمتة وغير ذلك ، فخذوه ليستأن به على الحرب وعلى مصالح المسلمين . وهو محمد بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس ، وأمه أم حسن بنت جعفر بن حسن بن حسن بن علي ، وكان من رجالات قريش وشجعانهم . جمع له المنصور بين البصرة والكوفة ، وزوجه المهدي ابنته العباسية ، وكان له من الأموال شيء كثير ، كان دخله في كل يوم مائة ألف . وكان له خاتم من ياقوت أحمر لم ير مثله . وروى الحديث عن أبيه عن جده الأكبر ،

وهو حديث مرفوع في مسح رأس اليتيم إلى مقدم رأسه ، ومسح رأس من له أب إلى مؤخر رأسه .  
وقد وفد على الرشيد فهناه بالخلافة فأكرمه وعظمه وزاده في عمله شيئاً كثيراً . ولما أراد الخروج  
خرج معه الرشيد يشيعه إلى كلاًذا . توفي في جمادى الآخرة من هذه السنة عن إحدى وخمسين  
سنة ، وقد أرسل الرشيد من أصناف من ماله الصامت فوجد له من الذهب ثلاثة آلاف ألف دينار ،  
ومن الدرهم ستة آلاف ألف ، خارجاً عن الأملاك .

وقد ذكر ابن جرير أن وفاته ووفاة الخيزران في يوم واحد ، وقد وقعت جارية من جواربه على  
قبره فأنشأت تقول :

أسى القراب لمن هويت مبيتاً • ألقى القراب قتل له حيناً  
إنا نحبك يا تراب وما بنا • إلا كرامة من عليه حيناً

وفيها توفيت الخيزران جارية المهدي وأم أمير المؤمنين الهادي والرشيد ، اشتراها المهدي  
وحظيت عنده جداً ثم أعتقها وتزوجها وولدت له خليفتين : موسى الهادي والرشيد . ولم يتفق هذا  
لغيرها من النساء إلا الولادة بنت العباس العباسية ، زوجة عبد الملك بن مروان ، وهي أم الوليد  
وسليمان . وكذلك شاه فرند بنت فيروز بن بزجرد ، ولدت لمولاهما الوليد بن عبد الملك : مروان  
وإبراهيم . وكلاهما ولي الخلافة . وقد روى من طريق الخيزران عن ولدها المهدي عن أبيه عن  
جده عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال : « من أتى الله وفاه كل شيء » . ولما عرضت الخيزران  
على المهدي ليشتريها أعجبته بالإدقة في سابقها ، فقال لها : يا جارية إنك لعل غاية المني والجمال ولا  
دقة سابقك وخو شهما . فقالت : يا أمير المؤمنين إنك أحوج ما تكون إليهما لا تراهما . فاستحسن  
جوابها واشترائها وحظيت عنده جداً . وقد حبت الخيزران مرة في حياة المهدي فكتب إليها وهي  
بمكة يستوحش لها ويتشوق إليها بهذا الشعر :-

نحن في غاية السرور ولكن • ليس إلا بكم يتم السرور  
عيب ما نحن فيه يا أهل ودي • أنكم غيب ونحن حضور  
فأجذبوا في السير بل إن قدرتم • أن تطيروا مع الرياح فطيروا  
فأجابته أو أمرت من أجابه :

قد أتانا الذي وصفت من الشو • ق فكذلك وما قدروا فطير  
ليت أن الرياح كن يؤدين • إليك ما قد يكن الضمير  
لم أزل صبة فإن كنت بمدى • في سرور فدام ذلك السرور

وذكروا أنه أمدى إليها محمد بن سليمان نائب البصرة الذي مات في اليوم الذي ماتت فيه مائة

وصيفة ، مع كل وصيفة جام من فضة مملوء مسكا . فكتبت إليه : إن كان ما بعثته تمناع عن ظننا فيك فظننا فيك أكثر مما بعثت ، وقد نجحنا في الثمن ، وإن كنت تريد به زيادة المودة فقد أتممتني في المودة . وردت ذلك عليه . وقد اشترت الفار المشهورة بها بمكة المروقة بدار الخيزران ، وفادتها في المسجد الحرام .

وكان مملئ ضياعها في كل سنة ألف ألف وستين ألفا . وافق موتها ببشاد ليلة الجمعة لثلاث بقين من جمادى الآخرة من هذه السنة . وخرج ابنها الرشيد في جنازتها وهو حامل سريرها يجنب في العاين . فلما انتهى إلى المقبرة أتى بهاء فضل رجله ولبس خفاً وصلى عليها ، ونزل لحدها . فلما خرج من القبر أتى بسرير مجلس عليه واستدعى بالفضل بن الربيع فولاه الحاتم والنقلات . وأشد الرشيد قول ابن توبة حين دفن أمه الخيزران :

وكنا كنتمناي جذية برمة • من البهر حتى قيل لن يتصدعا  
فلما نفقنا كآني • ومالكأ • لطلول اجتماع لم تبت ليلة مما

( غادر )

وفيها توفيت :

جارية كانت لموسى الهادي ، كان يحبها حباً شديداً جداً ، وكانت تحسن الفناء جداً ، فبينما هي يوماً تفتيه إذ أخذته فكرة غيبته عنها وتغير لونه ، فسأله بعض الحاضرين : ما هذا يا أمير المؤمنين ؟ فقال : أخذتني فكرة أتى أموت وأخي هارون يتولى الخلافة بعمى ويزوج جاريقي هذه . فنداه الحاضرون ودعوا له بإعول الممر . ثم استدعى أخاه هارون فأخبره بما وقع فعوذه الرشيد من ذلك ، فاستحلفه الهادي بالأيمان المخالفة من العاقل والعتاق والحج ماشياً حافياً أن لا يزوجها ، فحلف له واستحلف الجارية كذلك فحلفت له ، فلم يكن إلا أقل من شهرين حتى مات ، ثم خطبها الرشيد فقالت : كيف بالأيمان التي حلفتها أنا وأنت ؟ قال : إلى أكثر عني وعنك . فزوجها وحظيت عنده جداً ، حتى كانت تمام في حجره فلا يتحرك خشية أن يرحمها . فبينما هي ذات ليلة نائمة إذ انتهت مذمورة تبكي ، فقال لها : ما شأنك ؟ فقالت : يا أمير المؤمنين رأيت الهادي في منامي هذا وهو

يقول : أخلفت عهدي بعد ما • جاورت سكان المقابر

ونسقي وحفت في • أيمانك الكنب الفواجر

ونكحت غلدة أخي • صدق القى منك غادر

أسميت في أهل البلى • وعددت في الموتى القوابر

لا ينك الألف الجدي • ولا تدر منك الدوائر

ونظمت بي قبل الصبا • حوصرت حيث غدوت صائر



قال لها الرشيد : أضفنا أحلام . فقالت : كلا والله يا أمير المؤمنين ، فكأنما كتبت هذه الأبيات في قلبي . ثم ما زالت ترد وتضطرب حتى ماتت قبل الصباح . وفيها ماتت :  
 (هبلتها) جارية الرشيد ، وهو الذي سماها هبلانة لكثرة قولها هي لانه . قال الأصمى : وكان لها محباً ، وكانت قبله لخالد بن يحيى بن برمك ، فدخل الرشيد يوماً منزله قبل الخلافة فاعترضته في طريقه وقالت : أماننا منك نصيب ؟ فقال : وكيف السبيل إلى ذلك ؟ فقالت : استوهبني من هذا الشيخ . فاستوهبها من يحيى بن خالد فوهبها له وحظيت عنده ، ومكثت عنده ثلاث سنين ثم توفيت فحزن عليها حزناً شديداً ورثاها وكان من قوله فيها : —

قد قلت لما ضمنوك الثرى • وجالت الحسرة في صدري  
 اذهب فلاق الله لا سرى • بمدك شئ آخر الدهر  
 وقال العباس بن الأخنف في موتها :

يمن تباشرت القبور بموتها • قصد الزمان مساقي فرماك  
 أبني الأنيس فما أرى لي مؤنساً • إلا التردد حيث كنت أراك  
 قال : فأمر له الرشيد بأربعين ألفاً ، لكل بيت عشرة آلاف ، والله أعلم .  
 (ثم دخلت سنة أربع وسبعين ومائة من الهجرة النبوية)

فيها وقعت عصيبة بالشام وتخييط من أهلها . وفيها استقضى الرشيد يوسف ابن القاضي أبي يوسف وأبوه حى . وفيها فزا الصائفة عبد الملك بن صالح فدخل بلاد الروم . وفيها حج بالناس الرشيد ، فلما اقترب من مكة بلغه أن فيها وباء فلم يدخل مكة حتى كان وقت الوقوف وقف ثم جاء المزدلفة ثم منى ثم دخل مكة فطاف وسعى ثم ارتحل ولم ينزل بها .

﴿ ثم دخلت سنة خمس وسبعين ومائة ﴾

فيها أخذ الرشيد بولاية العهد من بعده لولده محمد بن زبيدة وسماه الأمين ، وعمره إذ ذاك خمس سنين ، فقال في ذلك سلم الخراسي :

قد وفق الله الخليفة إذ بنى • بيت الخلافة لهيجان الأزهر  
 فهو الخليفة عن أبيه وجده • شهداً عليه بمنظر وبخبر  
 قد ياليع الثقلان في مهد الهدى • لمحمد بن زبيدة ابنة جعفر

وقد كان الرشيد يتوسم النعابة والرجاحة في عبد الله المأمون ، ويقول : والله إن فيه حزم المنصور ، ونسك المهدي ، وعزة فض الهادي . ولوشئت أن أقول الرابعة منى قلت ، وإني لأقسم محمد بن زبيدة وإني لأعلم أنه متبع هواه ولكن لا أستطيع غير ذلك . ثم أنشأ يقول :

لقد بان وجه الرأي لى غير أنى • غلبت على الأمر القدى كان أحزما  
وكيف يرد الأمر فى الضرع بعدما • توزع حتى صار منها مقبلا  
أخاف التواء الأمر بعد استوائه • وأن ينقض الأمر القدى كان أبرما  
وغزا الصائفة عبد الملك بن صالح ، فى قول الواقدى . وحجج بالسلس الرشيد . وفيها سار يحيى  
ابن عبد الله بن حسن إلى القديلم ونحرك هناك . وفيها توفى من الأعيان .

### ﴿ شعوانة العائدة الزاهدة ﴾

كانت أمة سوداء كثيرة العبادة ، روى عنها كليات حسان ، وقد سألتها الفضيل بن عياض الدعاء  
فقال : أما بينك وبينه ما إن دعوته استجاب لك ؟ فشقق الفضيل ووقع مقشياً عليه . وفيها توفى  
الايث بن سعد بن عبد الرحمن • الفهمى مولاهم . قال ابن خلكان : كان مولى قيس بن رفاع  
وهو مولى عبد الرحمن بن مسافر الفهمى ، كان الايث إمام الفيلار المصرية بلا مدافسة ، وولد  
بقرقشنة من بلاد مصر سنة أربع وثمانين . وكانت وفاته فى شعبان من هذه السنة ، ونشأ بالفيلار  
المصرية . وقال ابن خلكان : أصله من قرقشنة وضبطه بلامين الثانية متحركة . وحكى عن بعضهم  
أنه كان جيد الفهم ، وأنه ولى القضاء بمصر فلم يحمدا ذهنه بعد ذلك ، وولد سنة أربع وعشرين  
ومائة ، وذلك غريب جداً . وذكروا أنه كان يدخله من ملكه فى كل سنة خمسة آلاف دينار .  
وقال آخرون : كان يدخله من الفقة فى كل سنة ثمانون ألف دينار . وما وجبت عليه زكاة ، وكان  
إماماً فى الفقه والحديث والعربية . قال الشافعى : كان الايث أقضه من مالك إلا أنه ضمه أصحابه .  
وبعث إليه مالك يستهديه شيئاً من المصير لأجل جهاز ابنته ، فبعث إليه بثلاثين حملاً ، فاستعمل  
منه مالك حاجته وباع منه بخمسة دنانير ، وبقيت عنده منه بقية . وحجج مرة فأهدى له مالك طبقاً  
فيه رطب فرد الطبق وفيه ألف دينار . وكان يهب للرجل من أصحابه من اللهاء الألف دينار وما  
يقارب ذلك . وكان يخرج إلى الاسكندرية فى البحر هو وأصحابه فى مركب ومطبخه فى مركب .  
ومناقبه كثيرة جداً . وحكى ابن خلكان أنه سمع قائلاً يقول يوم مات الايث :  
ذهب الايث فلا يث لكم • ومضى العلم غريباً وقبر  
فالتفتوا فلم يروا أحداً . وفيها توفى :

### ﴿ المنذر بن عبد الله بن المنذر ﴾

القرشى ، عرض عليه المهدي أن يلى القضاء ويعطيه من بيت المال مائة ألف درهم ، فقال : إني  
علمت الله أن لا ألى شيئاً ، وأعيد أمير المؤمنين بالله أن أحبس بهدى . فقال له المهدي : الله ؟  
قال : الله . قال : انطلق قد أعفيتك .

﴿ ثم دخلت سنة ست وسبعين ومائة ﴾

فيها كان ظهور يحيى بن عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب بيلاد الهدى ، وأتممه خلق كثير ، وجم غفير ، وقويت شوكته ، وارتحل إليه الناس من الكور والأصهار ، فارتفع لذلك الرشيد وقلق من أمره ، فندب إليه الفضل بن يحيى بن خالد بن برمك في حسين ألفاً ، وولاه كور الجبل والرب وجرجان وطبرستان وقومس وغير ذلك . فسار الفضل بن يحيى إلى تلك الناحية في أبهة عظيمة ، وكتب الرشيد تلحقه مع البرد في كل منزلة ، وأنواع التحف والبر ، وكان الرشيد صاحب الهدى ووعده بألف ألف درهم إن هو سهل خروجه يحيى إليهم ، وكتب الفضل إلى يحيى بن عبد الله يده ويخيه ويؤمله ويرجيه ، وأنه إن خرج إليه أن يقيم له المنزلة عند الرشيد . فامتنع يحيى أن يخرج إليهم حتى يكتب له الرشيد كتاب أمان يده . فكتب الفضل إلى الرشيد بذلك فخرج الرشيد ووقع منه موقعا عظيما . وكتب الأمان بيده وأشهد عليه القضاة والقهاء ومشيخة بني هاشم ، منهم عبد الصمد بن علي ، وبث الأمان وأرسل معه جوارز وتحفا كثيرة إليهم ، ليذهبوا ذلك جميعه إليه . فمضوا وسله إليه فدخلوا به بغداد ، وتلقاه الرشيد وأكرمه وأجزل له في المعطاء ، وخدمه آل برمك خدمة عظيمة ، بحيث إن يحيى بن خالد كان يقول : خدمته بنفسى وولدى : وعظم الفضل عند الرشيد جداً . هذه القصة حيث سعى بالصلح بين العباسيين والمعتصميين ، ففي ذلك يقول مروان ابن أبي حفصة يمدح الفضل بن يحيى ويشكره على صنيعه هذا :

ظفرت فلا شلت يد برمكية • دقت بها الضيق الذى بين هاشم  
على حين أعبا الراغبين التناهب • فكفوا وظفروا ليس بالسلام  
فأصبحت قد فازت بذلك بخرقة • من المجد باقى ذكرها فى المراسم  
وما زال قدح الملك يخرج قاراً • لك كما صُنّت قداح المسام

قالوا : ثم إن الرشيد تنكر ليحيى بن عبد الله بن حسن وقلير عليه ، ويقال : إنه سجنه ثم استخضره وعنده جماعت من الهاشميين ، وأحضر الأمان الذى بث به إليه فسأل الرشيد محمد بن الحسن من هذا الأمان أمحيح هو ؟ قال : نعم ! فتعيط الرشيد عليه . وقال أبو البختري : ليس هذا الأمان بشئ فاحكم فيه بما شئت ، ومزق الأمان . وبقى فيه أبو البختري ، وأقبل الرشيد على يحيى بن عبد الله قال : هيه هيه ، وهو يسم تسم التنبؤ ، وقال : إن الناس يزعمون أنا صمناك . فقال يحيى : يا أمير المؤمنين إن لنا قرابة ورحما وحقا ، فسلام تمدبني وتخصني ؟ فرق له الرشيد ، فاعترض بكار بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير قال : يا أمير المؤمنين لا يترنك هذا الكلام من هذا ، فانه عاص شاق ، وإنما هذا منه مكر وخبث . وقد أفسد علينا مديقتنا وأظهر

فيها العصيان فقال له يحيى : ومن أنتم عاقلكم الله ؟ وإنما هاجر أبوك إلى المدينة بآبائكم وأبائكم هذا . ثم قال يحيى : يا أمير المؤمنين لقد جاءني هذا حين قتل أخى محمد بن عبد الله فقال : لمن الله قاتله ، وأنشدني فيه نحواً من عشرين بيتاً ، وقال لي ، إن تحركت إلى هذا الأمر فأنا أول من يبايعك ، وما يمنك أن تلحق بالبصرة وأيدينا مملكك ؟ قال : فتغير وجه الرشيد ووجه الزبيرى وأنكر وشرع يحلف بالآيمان المأخوذة إنه لكاذب في ذلك ، وتغير الرشيد . ثم قال يحيى : أتخفظ شيئاً من المرمية ؟ قال : نعم . وأنشده منها جانباً . فزاد الزبيرى في الإنكار ، فقال له يحيى بن عبد الله : قتل : إن كنت كاذباً فقد برئت من حول الله وقوته ، ووكلنى الله إلى حولى وقوتى . فامتنع من الحلف بذلك ، فزمز عليه الرشيد وتغيظ عليه ، فخلف بذلك فما كان إلا أن خرج من عند الرشيد فرماه الله بالفالج فمات من ساعته . ويقال إن امرأته غمت وجهه بمخدة فقتله الله . ثم إن الرشيد أطلق يحيى بن عبد الله وأطلق له مائة ألف دينار ، ويقال إنما حبسه بعض يوم وقيل ثلاثة أيام . وكان جملة ما وصله من المال من الرشيد أربع مائة ألف دينار من بيت المال ، وعاش بعد ذلك كله شهراً واحداً ثم مات رحمه الله .

وفيها وقعت فتنة عظيمة بالشام بين التزارية ، وهم قيس ، والجمانية وهم يمين ، وهذا كان أول بدو أمر الشيرين بخران ، وهم قيس ويمين ، أعادوا ما كانوا عليه في الجاهلية في هذا الآن . وقتل منهم في هذه السنة بشر كثير . وكان على نيابة الشام كلها من جهة الرشيد ابن عمه موسى بن عيسى ، وقيل عبد الصمد بن علي فأنه أعلم . | وكان على نيابة دمشق بمخصوصها سندی بن سهل أحد موالى جعفر المنصور ، وقد هدم سور دمشق حين تارت الفتنة خوفاً من أن يتغلب عليها أبو الهيثم المزي رأس القيسية ، وقد كان مزي هذا دميم الخلق . قال الجاحظ : وكان لا يحلف المكاري ولا الملاح ولا الخائلك ، ويقول : القول قولهم ، ويستخير الله في الحال ومعلم الكتاب . وقد توفي سنة أربع ومائتين | <sup>(١)</sup> فلما تفاقم الأمر بعث الرشيد من جهته موسى بن يحيى بن خالد ومعه جماعة من القواد ورؤس الكتاب ، فأصلحو بين الناس وهدأت الفتنة واستقام أمر الرعية ، وحلوا جماعات من رؤس الفتنة إلى الرشيد فرد أمرهم إلى يحيى بن خالد فعفا عنهم وأطلقهم ، وفي ذلك يقول بعض

الشعراء : قد هاجت الشام هيجاً • يشيب رأس وليده

فصب موسى عليها • يخبئ وجنوده

فدانت الشام لما • أتى بسنح وجيده

هذا الجواد القوي • تذ كل جود مجوده

أعداء جود آية • يحيى وجود جنوده  
 نجاد موسى بن يحيى • بطارف وتليده  
 ونال موسى ذرى الج • د وهو حشو مؤوده  
 خصصته بمديحي • منثوره وقصيده  
 من البرامك عوداً • له فأكرم بعوده  
 حووا على الشعر طرا • خفيفه ومسديده

وفيه عزل الرشيد النطريف بن عطاء عن خراسان وولاه احرزة بن مالك بن الهيثم الخراساني  
 الملقب بالبروس . وفيها ولي الرشيد جعفر بن يحيى بن خالد نيابة مصر ، فاستناب عليها جعفر عمر بن  
 مهران ، وكان ردي الخلق ردي الشكل زمن الكف أحول ، وكان سبب ولايته ايها أن نائبها موسى  
 ابن عيسى كان قد عزم على خلع الرشيد . فقال الرشيد : الله لا عزله ولا ولين عليها أحسن الناس .  
 فاستدعى لمر بن مهران هذا فولاه عليها عن نائبه جعفر بن يحيى البرمكي . فسار إليها على بفل  
 وغلامه أبو درة على بفل آخر ، فدخلها كذلك فأتته إلى مجلس نائبها موسى بن عيسى فجلس في  
 آخر بيت الناس ، فلما انفض الناس أقبل عليه موسى بن عيسى وهو لا يعرف من هو ، فقال : ألك  
 حاجة يا شيخ ؟ قال : نعم أصلح الله الأمير . ثم دفع الكتب إليه فلما قرأها قال : أنت عمر بن  
 مهران ؟ قال : نعم . قال : لمن الله فزعون حين قال : أليس لي ملك مصر ؟ ثم سلم إليه العمل وأرجل  
 منها ، وأقبل عمر بن مهران على عمله ، وكان لا يقبل شيئاً من الهدايا إلا ما كان ذهباً أو فضة أو قاشاء  
 ثم يكتب على كل هدية اسم مهبها ، ثم يطالب بالخراج و يلح في طلبه عليهم ، وكان بعضهم بماطله به ،  
 فأقسم لا يماطله أحد إلا قبل به وفل . فجمع من ذلك شيئاً كثيراً ، وكان يمت ما جمعه إلى بغداد ، ومن  
 ما طله يمته إلى بغداد . فتأبد الناس منه . ثم جاءهم القسط الثاني فمجز كثير منهم عن الأداء فجعل  
 يستحضر ما كانوا أودوه إليه من الهدايا ، فان كان قد أداء عنهم ، وإن كان برأ باعه وأداء عنهم ،  
 وقال لهم : إني إنما ادخرت هذا لكم إلى وقت حاجتكم . ثم أكل استخراج جميع الخراج بديار مصر  
 ولم يفعل ذلك أحد قبله ، ثم انصرف عنها لأنه كان قد شرط على الرشيد أنه إذا مهد البلاد وجبي  
 الخراج ، فذاك إذنه في الانصراف . ولم يكن معه بالديار المصرية جيش ولا غيره سوى مولاه أبو درة  
 وحاجبه ، وهو منفذ الأمور . وفيها غزا الصائفة عبد الرحمن بن عبد الملك ففتح حصناً . وفيها حجت  
 زبيدة زوجة الرشيد ومعهما أخوها ، وكان أمير الحج سليمان بن أبي جعفر المنصور عم الرشيد . وفيها  
 توفي :

﴿ إبراهيم بن صالح ﴾

ابن علي بن عبد الله بن عباس ، كان أميراً على مصر ، توفي في شعبان . ﴿ وإبراهيم بن هرمه ﴾

كان شاعراً . وهو إبراهيم بن علي بن سلمة بن عامر بن هرمه أبو إسحاق الفهري المدني ، وفد على المنصور في وفد أهل المدينة حين استوفدم عليه ، فجلسوا إلى ستر دون المنصور ، يرى الناس من ورائه ولا يرونه ، وأبو الخصب الحجاب واقف يقول : يا أمير المؤمنين هذا فلان الخطيب ، فيأمره فيخطب ، ويقول : هذا فلان الشاعر فيأمره فينشد . حتى كان من آخرهم ابن هرمه هذا ، فسمته يقول : لا مرحباً ولا أهلاً ولا أنعم الله بك عنيّاً . قال : قتلته ، هلكت ، ثم استنشدني فأنشدته قصيدتي التي أقول فيها :  
سرى نوبه عند الصبا المتجايل<sup>(١)</sup> • وقرب اللين الخليلي المزابل  
حتى انتهيت إلى قول :

فأما الذي أمنتَه : يأمن الردى • وأما الذي حاولت بالشكل فأكل

قال : فأمر برفع الحجاب فأذا وجهه كأنه فلقه قر ، فاستنشدني بقية القصيدة وأمر لي بالترب بين يديه ، والجلوس إليه ، ثم قال : ويحك يا إبراهيم ! لو لا ذنوب بلغتني حثك لفضلتك على أصحابك ، قتلته : يا أمير المؤمنين كل ذنب بلغتني لم تف منه فأما مقربه . قال : فتناول القصرة فضر بني بها ضربتين وأمر لي بعشرة آلاف وخمسة ومائة عني وألحقني بنظرائي . وكان من جملة ما تم المنصور عليه قوله : -  
وهما ألام على جبه • فاني أحب بني عظمه  
بني بنت من جاء بالحسكا • ت وبالدين وبالسنة القاهه  
فلست أبال بمجي لهم • سوام من النعم الساعه

قال الأخفش . قال لنا ثعلب قال الأصمى : ختمت الشعراء بابن هرمه . ذكر وفاته في هذه السنة أبو الفرج ابن الجوزي . وفيها توفي الجراح بن مليح والده وكيع بن الجراح ، وسعيد بن عبد الرحمن ابن عبد الله بن جميل أبو عبد الله المدني ، ولي قضاء بغداد سبعة عشر سنة لمسكر المهدي ، ووقع ابن معين وغيره . وفيها توفي :  
( صالح بن بشر المري )

أحد السباد الزهاد ، كان كثير البكاء وكان يبط فيحضر مجلسه سفيان الثوري وغيره من العلماء ، ويقول : سفيان هذا فذير قوم ، وقد استدعاه المهدي ليحضر عنده فجاء إليه راكباً على حمار فذنا من بساط الخليفة وهو راكب فأمر الخليفة ابنه - ولي العهد من بعده موسى الهادي وهارون الرشيد - أن يقرعوا إليه لينزلوا عن دابته ، فابتدوا فأترلاه ، فأقبل صالح على نفسه فقال : لقد خبت وخسرت إن أنا داحت ولم أصدق بلقي في هذا اليوم ، وفي هذا المقام . ثم جلس إلى المهدي فوعظه موعظة بليغة حتى أبكاه ، ثم قال له : أعلم أن رسول الله ﷺ خضع من خالقه في أمته ، ومن كل محمد خصمه كان الله خصمه ، فأعد لخاصة الله وخصامة رسوله حججاً تضمن لك النجاة ، وإلا فاستسلم للهلكة ، وأعلم أن أباطا الصريح من فضة صريح هوى بدعته ، وأعلم أن الله ظاهر فوق عبادته ، وأن أثبت الناس قدما  
(١) كنا ولعل فيه تخريراً .

أخذهم بكتاب الله سنة رسوله ، وكلام طويل . فبكى المهدي وأمر بكثارة ذلك الكلام في دواوينه .  
وفيهما توفى عبد الملك بن محمد بن محمد بن أبي بكر عمرو بن حزم قدم قاضياً بالمرافق . وفرج بن  
فضالة التنوخي الحمصي ، كان على بيت المال بسفداد في خلافة الرشيد ، فتوفى في هذه السنة ، وكان  
مولده سنة ثمانين فأت ولده ثمان وثمانون سنة . ومن ملاحقه أن المنصور دخل يوماً إلى قصر  
الذهب فقام الناس إلا فرج بن فضالة فقال له وقد غضب عليه : لم لم تقم ؟ قال : خفت أن يسأني الله  
عن ذلك ويسألك لم رضيت بذلك ، وقد كره رسول الله ﷺ القيام لباس . قال : فبكى المنصور  
وقربه وقضى حوائجه . والمسبيب بن زهير بن عمرو أبو سلمة الضبي ، كان والي الشرطة ببسفداد في أيام  
المنصور والمهدي والرشيد ، وولي خراسان مرة للمهدي . عاش ستاً وتسعين سنة . والوضاح بن عبد الله  
أبو عوانة السري مولاهم ، كان من أئمة المشايخ في الرواية . توفى في هذه السنة وقد جاوز الثمانين .

( ثم دخلت سنة سبع وسبعين ومائة )

فيها عزل الرشيد جعفر البرمكي عن مصر وولي عليها إسحاق بن سليمان ، وعزل حمزة بن مالك  
عن خراسان وولي عليها الفضل بن يحيى البرمكي مضافاً إلى ما كان بيده من الأعمال بالري وسجستان  
وغير ذلك . وذكر الواقدي أنه أصاب الناس ريح شديدة وظلمة في أواخر الحزم من هذه السنة ،  
وكذلك في أواخر صفر منها . وفيها حج بالناس الرشيد . وفيها توفى ( شريك بن عبد الله ) القاضي  
الكوفي النخعي ، سمع أبا إسحاق وغير واحد ، وكان مشكوراً في حكمة وتنفيذ الأحكام ، وكان لا يجلس  
للحكم حتى يثبدي ثم يخرج ورقة من حقه فينظر فيها ثم يأمر بتقديم الخصومة إليه ، فحرص بعض أصحابه  
على قراءة ما في تلك الورقة فإذا فيها يا شريك بن عبد الله اذكر الصراط وحدته يا شريك بن عبد الله  
اذكر الموقف بين يدي الله عز وجل . كانت وفاته يوم السبت منهل ذى القعدة منها .  
وفيها توفى عبد الواحد بن زيد ، ومحمد بن مسلم ودوسى بن أعين .

( ثم دخلت سنة ثمان وسبعين ومائة )

فيها وثبت طائفة من الحوفية من قيس وقضاة على عامل مصر إسحاق بن سليمان فقاتلوه وجرت  
فتنة عظيمة . فبعث الرشيد هرمة بن أعين نائب فلسطين في خلق من الأبرار . ددوا لإسحاق ، فقاتلوه  
حتى أذعنوا بالطاعة وأدوا ما عليهم من الخراج والوظائف ، واستمر هرمة نائباً على مصر نحواً من  
شهر عوضاً عن إسحاق بن سليمان ، ثم عزله الرشيد عنها وولي عليها عبد الملك بن صالح . وفيها  
وثبت طائفة من أهل إفريقية فقاتلوا الفضل بن روح بن حاتم وأخرجوا من كان بها من آل المهلب ،  
فبعث إليهم الرشيد هرمة فرجعوا إلى الطاعة على يديه . وفيها فوض الرشيد أمور الخلافة كلها إلى  
يحيى بن خالد بن برمك . وفيها خرج الوليد بن طريف بالجزيرة وحكم بها وقتل خلقاً من أهلها ، ثم

مضى منها إلى أرمينية فكان من أمره ما سذكروه . وفيها سار الفضل بن يحيى إلى خراسان فأحسن  
السيرة فيها وبني فيها الربط والمساجد ، وغزاه ما وراء النهر ، واتخذ بها جسداً من المعجم سبام  
العباسية ، وجعل ولايتهم له ، وكانوا نحواً من خمسمائة ألف ، وبعث منهم نحواً من عشرين ألفاً إلى  
بغداد ، فكانوا يعرفون بها بالكرمينية ، وفي ذلك يقول مروان بن أبي حفصة :

ما الفضل إلا شهاب لا أقول له • عند الحروب إذا ما تأفل الشهب  
حاصر على ملك قوم غرّ سحهم • من الوراثة في أيديهم سبب  
أمنت يد لبق ساق الحبيج بها • ككتاب ما لما في غيرهم أرب  
كتاب لبني العباس قد عرفت • ما ألف الفضل منها المعجم والعرب  
أثبت خمس مئين في عدادهم • من الألواف التي أحصت لها الكتب  
يقارعون عن القوم الذين هم • أولى بأحد في الفرقان إن نسبوا  
إن الجواد ابن يحيى الفضل لا ورق • يبقى على جود كفيه ولا ذهب  
ما صر يوم له منذ شد مؤثره • إلا تحول أقوام بما يهب  
كم غاية في الندى والبأس أحرزها • للطالين مداها دونها تمب  
يملى انتهى حين لا يملى الجواد ولا • ينبو إذا سلت الهندية النضب  
ولا الأرض والرضى لله غايته • إلى سوى الحق يدعوه ولا النضب  
قد فاض عرفك حتى ما يمدله • فثبث مفيت ولا يجره حذب

وكان قد أنشده قبل خروجه إلى خراسان :

ألم تر أن الجلود من يد آدم • تحمر حتى صار في راحة الفضل  
إذا ما أبو العباس سحت ساؤه • فيلاك من هطل دياك من وبل  
وقال فيه أيضاً :

إذا أم طفل راعها جوع طفلها • دعت به الفضل فاعتمر الطفل  
ليجي بك الإسلام إنك عزه • وإنك من قوم صغيرم كل  
قال فأمر له بمائة ألف درهم . ذكره ابن جرير . وقال سلم الخلس فيهم أيضاً :  
وكيف تخاف من يؤس بدار • يجاورها<sup>(١)</sup> البرامكة البحور  
وقوم منهم الفضل بن يحيى • فغير ما يوازنه فغير  
له يومان يوم ندى وبأس • كأن الدهر بينهما أسير

(١) في المصرية والعبري : تمكنها .



إذا ما البرمكي غدا ابن عشر • فهمته أسير أو وزير  
وقد اتفق للفضل في هذه السفرة إلى خراسان أشياء غريبة ، وفتح بلادا كثيرة ، منها كابل وما  
وراء النهر ، وقهر ملك الترك وكان ممتنا ، وأطلق أموالا جزيلة جدا ، ثم قفل راجعا إلى بغداد ،  
فلما اقترب منها خرج الرشيد وجوه الناس إليه ، وقدم عليه الشعراء والمخطباء وأكابر الناس ، فجعل  
يطلق الألف ألف ، والخصيصة ألف ونحوها ، وأنفذ في ذلك من الأموال شيئا كثيرا لا يمكن حصره  
إلا بتعب وكلفة ، وقد دخل عليه بعض الشعراء والبدع موضوعة بين يديه وهي غرق على الناس فقال :

كفى الله بالفضل بن يحيى بن خالد • وجود يديه بمجل كل بمجل

فأمر له بمال جزيل . وغزا الصائفة في هذه السنة معاوية بن زفر بن عاصم . وغزا الثانية سليمان  
ابن راشد . وحج بالناس فيها محمد بن إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس نائب مكة .  
وفها توفي جعفر بن سليمان ، وعنتر بن القاسم ، وعبد الملك بن محمد بن أبي بكر بن عمرو بن  
حزم القاهضي ببغداد ، وصلى عليه الرشيد ودفن بها ، وقد قيل إنه مات في التي قبلها **الله أعلم** .

﴿ ثم دخلت سنة تسع وسبعين ومائة ﴾

فيها كان قدوم الفول بن يحيى من خراسان وقد استخلف عليها عمر بن جليل ، فولى الرشيد  
عليها منصور بن يزيد بن منصور الحيري . وفيها عزل الرشيد خالد بن برمك عن الحجابة وردها  
إلى الفضل بن الربيع . وفيها خرج بخراسان حمزة بن أترك السجستاني ، وكان من أمره ما سيأتي  
طرف منه . وفيها رجع الوليد بن طريف الشاري إلى الجزيرة واشتدت شوكة وكثر أتباعه ، فبعث  
إليه الرشيد يزيد بن يزيد الشيباني فراوغه حتى قتله وتفرق أصحابه ، قتلت الفارعة في أخيه الوليد  
ابن طريف تروية :

أيأ شجر الخياور مالك • ورقاً • كأنك لم تجزع على ابن طريف

فتى لا يمحى الزاد إلا من التقي • ولا المال إلا من قنا وسيوف

وفيها خرج الرشيد متمرا من بغداد شكراً لله عز وجل ، فلما قضى عمرته أقام بالمدينة حتى حج  
بالتاس في هذه السنة ، فبقي من مكة إلى متى ثم إلى عرقات ، وشهد المشاهد والمشارع كلها ماشياً ، ثم  
انصرف إلى بغداد على طريق البصرة . وفيها توفي :

﴿ إسماعيل بن محمد ﴾

ابن يزيد بن ربيعة أبو هاشم الحيري الملقب بالسيد ، كان من الشعراء المشهورين المبرزين .  
فيه ، ولكنه كان رافضياً خبيثاً ، وشيخاً غنياً ، وكان ممن يشرب الخمر ويقول بالرجعة - أي  
بالور - قال يوماً لرجل : أقرضني ديناراً ولك عندي مائة دينار إذا رجعتا إلى الدنيا . فقال له

الرجل : إلى أخشى أن تمود كلياً أو خنزيراً فيذهب دينارى .

وكان قبحة الله ييب الصحابة في شمره . قال الأصمى : ولولا ذلك ما قممت عليه أحد آوى  
طبقته ، ولا سبأ الشيخين وأتبعهما . وقد أورد ابن الجوزى شيئاً من شمره في ذلك كرهت أن أذكره  
لبشاعته وشناعته ، وقد أسود وجهه عند الموت وأصابه كرب شديد جداً . ولما مات لم يدفنه لسيبه  
الصحابة رضى الله عنهم . وفيها توفى ﴿ حماد بن زيد ﴾ .

أحد أئمة الحديث . وخالد بن عبد الله أحد للصالحاء ، كان من سادات المسلمين ، اشترى نفسه  
من الله . ربيع مائة . ومالك بن أنس الامام ، واليه نقل بن زيد صاحب الأوزاعي ، وأبو الأحرص .  
وكلمهم قد ذكرناهم في التشكيل . ﴿ والامام مالك ﴾ .

هو أشهرهم وهو أحد الأئمة الأربعة أصحاب المذاهب المتبعة ، فهو مالك بن أنس بن مالك بن  
عامر بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث بن غيلان بن حشد بن عمرو بن الحارث ، وهو ذو أصبح  
الحيرى ، أبو عبد الله المدنى إمام دار الهجرة في زمانه ، روى مالك عن غير واحد من التابعين ،  
وحدث عنه خلق من الأئمة ، منهم السفينان ، وشعبة ، وابن المبارك ، والأوزاعي ، وابن مهدي وابن  
جريح والبيهقي والشافعى والزهرى شيخه ، ويحيى بن سعيد الأنصارى وهو شيخه ، ويحيى بن سعيد  
القطان ، ويحيى بن يحيى الأنندلى ، ويحيى بن يحيى النيسابورى . قال البخارى : أصبح الأسانيد  
مالك عن نفع عن ابن عمر . وقال سفينان بن عيينة : ما كان أشد انتقاداً للرجال . وقال يحيى بن  
معين : كل من روى عنه مالك فهو ثقة ، إلا أبا أمية . وقال غير واحد : هو أثبت أصحاب نافع  
والزهرى . وقال الشافعى : إذا جاء الحديث فمالك النجم . وقال : من أراد الحديث فهو عيال على  
مالك . ومناقبه كثيرة جداً ، وثماء الأئمة عليه أكثر من أن يحصر في هذا المكان . قال أبو مصعب :  
سمعت مالكاً يقول : ما أفنيت حتى شهد لى سبعون أئى أهل لئلك . وكان إذا أراد أن يحدث  
تخلف وتطيب وشرح لحية ولبس أحسن ثيابه ، وكان يلبس حسناً . وكان نقش خاتمه حسى الله  
ونعم الوكيل ، وكانت إذا دخل منزله قال : ما شاء الله لا قوة إلا بالله . وكان منزله مبسوطاً بأنواع  
المفارش . ومن وقت خروج محمد بن عبد الله بن حسن لزم مالك بيته فلم يكن يأتى أحداً لا لعزاء  
ولا لهناء ، ولا يخرج لجمعة ولا لجماعة ، ويقول : ما كل ما يعلم يقال ، وليس كل أحد يقدر على  
الاعتذار ولما احتضر قال : لئن شهد أن لا إله إلا الله ، ثم جعل يقول : لله الأمر من قبل ومن بعد ، ثم  
قبض في ليلة أربعة عشر من صفر ، وقيل من ربيع الأول من هذه السنة ، وله خمس وعشرون سنة .  
قال الواقدي : بلغ سبعين سنة ودفن بالبقيع . وقد روى الترمذى عن سفينان بن عيينة عن ابن  
جريح عن أبي الزبير عن أبي صالح عن أبي هريرة : « يوشك أن يضرب الناس أكباد الأبل

يطلبون العلم فلا يجدون أحداً أعلم من عالم المدينة . ثم قال : هذا حديث حسن . وقد روى عن ابن عيينة أنه قال : هو مالك بن أنس . وكذا قال عبد الرزاق . وعن ابن عيينة رواية أنه عبد العزيز بن عبد الله العمري . وقد ترجمه ابن خلكان في الوفيات فأُتِيب وأُتِي بوائده .

﴿ ثم دخلت سنة ثمانين ومائة ﴾

فيها هاجت الفتنة بالشام بين التزارية والبنية ، فارتفع الرشيد فذهب جعفر البرمكي إلى الشام في جماعة من الأمراء والجنود ، فدخل الشام فأتاه الناس له ولم يدع جعفر بالشام فرساً ولا سيفاً ولا ربحاً إلا استلبه من الناس ، وأطاع الله به تارك الفتنة . وفي ذلك يقول بعض الشعراء :

لقد أوقدت بالشام نيران فتنة • فهذا أوان الشام تضمد ثراها .

إذا جاش موج البحر من آل برمك • عليها خبت شبهاتها وشرارها

وماها أمير المؤمنين بجعفر • وفيه ثلاث صدعها وانكسارها

وماها يميمون النقية ماجد • تراضى به قطعاتها وزارها

ثم كر جعفر راجعاً إلى بغداد بعد ما استخلف على الشام عيسى السككي ، ولما قدم على الرشيد أكرمه وقر به وأدناه ، وشرع جعفر يذكر كثرة وحشته له في الشام ، ويحمد الله الذي من عليه يرجوعه إلى أمير المؤمنين ورؤيته وجهه . وفيها ولي الرشيد جعفر أخراسان وسجستان فاستعمل على ذلك محمد بن الحسن بن قسطنطين ، ثم عزل الرشيد جعفر أخراسان بعد عشرين ليلة . وفيها هدم الرشيد سور الموصل بسبب كثرة الخوارج ، وجعل الرشيد جعفر أخراسان على الحرس ، ونزل الرشيد الرقة واستوطنها واستناب على بغداد ابنه الأمين محمداً ، وولاه القراقرم ، وعزل هوشم عن إفرقية واستناده إلى بغداد فاستنابه جعفر على الحرس . وفيها كانت بحمص زلزلة شديدة سقط منها رأس منارة الاسكندرية . وفيها خرج بالجزيرة خراشة الشيباني فقتله مسلم بن بكر بن مسلم السعدي . وفيها ظهرت طائفة بمرجان يقال لها الحمرة لبسوا الحررة واتبعوا رجلاً يقال له عمرو بن محمد السمركي ، وكان ينسب إلى الزندقة ، فبعث الرشيد يأمر بقتله فقتل وأطاع الله تبارك في ذلك الوقت . وفيها غزا الصائفة زفر بن عاصم . وحج بالناس موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس . وفيها كانت وفاة جماعة من الأعيان :

﴿ إسماعيل بن جعفر بن أبي كثير الأنصاري ﴾

قارئ أهل المدينة ومؤدب علي بن المهدي ببغداد . وقد مات على بن المهدي في هذه السنة أيضاً . وقد ولي إمارة الحج غير مرة ، وكان أسن من الرشيد بشهور .

﴿ حسان بن أبي ستان ﴾

ابن أبي أوفى بن عوف التنوخي الأنباري ، ولد سنة ستين ، ورأى أنس بن مالك ودعا له فجاء من

لله قضاء ووزراء وصلحاء ، وأدرك الدولتين الأموية والعباسية . وكان نصرانياً فأسلم وحسن إسلامه . وكان يكتب بالعربية والفارسية والسرانية ، وكان يعرب الكتب بين يدي ربيعة لما ولاه السفاح الأتبار . وفيها توفي : ﴿ عبد الوارث بن سعيد البيرقي أحد الثقات ﴾

### ﴿ عافية بن يزيد ﴾

ابن قيس الفخري الهدي على جانب بغداد الشرقي ، هو وابن علانة ، وكانا يحكيان مجامع الرصافة ، وكان عافية عابداً زاهداً ورعاً ، دخل يوماً على المهدي في وقت الظهيرة فقال : يا أمير المؤمنين أعفني ، فقال له المهدي : ولم أعفيك ؟ هل اعترض عليك أحد من الأمراء ؟ فقال له : لا ولكن كان بين اثنين خصومة عندي فمهد أحدهما إلى رطب السكر - وكأنه سمع أني أحبه - فأهدي إلى منه طبقاً لا يصلح إلا لأمير المؤمنين ، فردته عليه ، فلما أصبحنا : وجلسنا إلى الحكومة لم يستوي عندي في قلبي ولا نظري ، بل مال قلبي إلى المهدي منهما ، هذا مع أني لم أقبل منه ما أهده فكيف لو قبلت منه ؟ فاعفني عفا الله عنك فأعفاه . وقال الأصمعي : كنت عند الرشيد يوماً وعنده عافية وقد أحضره لأن قوماً استعدوا عليه إلى الرشيد ، فجعل الرشيد يوقفه على ما قيل عنه وهو يجب عما يسأله . وطال المجلس فطلس الخليفة فشمته الناس ولم يشمتة عافية ، فقال له الرشيد : لم تشمتني مع الناس ؟ فقال : لأنك لم تحمد الله ، واحتج بالحديث في ذلك . فقال له الرشيد : أرجع لعمك فوالله ما كنت لتعمل ما قيل عنك ، وأنت لم تسأحن في عطلة لم أحمد الله فيها . ثم رده رداً جميلاً إلى ولايته .

### ﴿ سيبويه ﴾

وفيهاتوفي :

إمام النحاة ، واسمه عمرو بن عثمان بن قنبر أبو بشر ، المروفي سيبويه ، مولى بني الحارث بن كعب ، وقيل مولى آل الربيع بن زياد ، وإنما سمي سيبويه لأن أمه كانت ترقصه وتقول له ذلك ، ومعنى سيبويه راحة التفاح ، وقد كان في ابتداء أمره يصحب أهل الحديث والعقهاء ، وكان يستمل على حماد بن سلمة ، فلحن يوماً فرد عليه قوله فأفمن ذلك ، فلزم الخليل بن أحمد فبرع في النحو ، ودخل بغداد وناظر الكسائي . وكان سيبويه شاعراً جليلاً نظيفاً ، وقد تعلق من كل علم بسبب ، وضرب مع كل أهل أدب بسهم . مع حداثة سنه . وقد صنف في النحو كتاباً لا يلحق شأوه ، وشرحه أئمة النحاة بعده فانغمروا في تلحج بحره ، واستخرجوا من درره ، ولم يبلغوا إلى قمره . وقد زعم ثعلب أنه لم ينفرد بتصنيفه ، بل ساعده جماعة في تصنيفه نحواً من أربعين فضاء هو أحدهم ، وهو أصول الخليل ، فادعاه سيبويه إلى نفسه . وقد استبعد ذلك السيرافي في كتاب طبقات النحاة . قال : وقد أخذ سيبويه الفئات عن أبي الخطاب والأخفش وغيرهما ، وكان سيبويه يقول : سعيد بن أبي الروبة ، والروبة يوم الجمعة ، وكان يقول : من قال عروبة فقد أخطأ . فذكر ذلك ليونس فقال

أصابه دمه ، وقصد ارتحل إلى خراسان ليحظى عند طلحة بن طاهر فإنه كان يجب النجوى فرض  
هناك مرضه الذي توفي فيه فتشلت عند الموت :

يؤمل دنيا تلبقى له • فأتى المؤمل قبل الأمل  
بربي فيلما يلبقى له • فمات الفسيل ومات الرجل  
ويقال : إنه لما احتضر وضع رأسه في حجر أخيه فدمعت عين أخيه فاستفاق فرآه يبكي فقال :  
وكنا جميعاً فرق الدهر بيننا • إلى الأمد الأقصى فن يامن الدهرا  
قال الخطيب البغدادي : يقال إنه توفي وعمره ثمان وثلاثون سنة . وفيها توفيت :

﴿ غفيرة العابد ﴾

كانت طويلة الحزن كثيرة البكاء . قدم قريب لها من سفر فجعلت تبكي ، فقيل لها في ذلك  
قالت : لقد ذكرني قدوم هذا الغنى يوم التقدم على الله ، فسروا وشبوا . وفيها مات مسلم بن  
خالد الزنجي شيخ الشافعي ، كان من أهل مكة ، ولقد تكلموا فيه لسوء حفظه

﴿ ثم دخلت سنة إحدى وثمانين ومائة ﴾

فيها غزا الرشيد بلاد الروم فافتتح حصناً يقال له الصفصاف ، وقال في ذلك مروان بن أبي حفصة :  
إن أمير المؤمنين المنصفا • قد ترك الصفصاف قاعاً صفصفاً

وفيها غزا عبد الملك بن صالح بلاد الروم فبلغ أنقرة وافتتح طمورة . وفيها تغلبت الحمرة على  
جرجان . وفيها أمر الرشيد أن يكتب في صدور الرسائل الصلاة على رسول الله ﷺ بعد التناء على  
الله عز وجل . وفيها حج بالأس الرشيد وتجل بالنفر ، وسأله يحيى بن خالد أن يعفيه من الولاية فأعفاه  
وأقام يحيى بمكة . وفيها توفي : ﴿ الحسن بن قحطبة ﴾

أحد أكابر الأمراء ، وحزرة بن مالك ، ولي إمرة خراسان في أيام الرشيد ، وخلف بن خليفة شيخ  
الحسن بن هرقة عن مائة سنة : ﴿ وعبد الله بن المبارك ﴾

أبو عبد الرحمن المروزي ، كان أبوه تركياً مولى لرجل من التجار من بني حنظلة من أهل همدان ،  
وكان ابن المبارك إذا قدمها أحسن إلى ولد مولاهم ، وكانت أمه خوارزمية ، ولد لثمان عشرة ومائة ،  
وسمع إسماعيل بن خالد ، والأعشى ، وهشام بن عروة ، وحيد الطويل ، وغيرهم من أئمة التابعين .  
وحدث عنه خلافة من الناس ، وكان موصوفاً بالحفظ والفقه والعربية والزهد والكرم والشجاعة والشعر ،  
له التصانيف الحسان ، والشعر الحسن المتضمن حكماً جمة ، وكان كثير التزود والحج ، وكان له رأس  
مال نحو أربع مائة ألف يدر ر يتجر به في البلدان ، فحيث اجتمع به علم أحسن إليه ، وكان يركبه  
في كل سنة على مائة ألف ينقها كلها في أهل العبادة والزهد والعلم ، وربما أغنى من رأس ماله . قال

سعيان بن عيينة : نظرت في أمره وأمر أصحابه فأدأيتهم يفضلون عليه إلا في محبتهم رسول الله ﷺ . وقال إسماعيل بن عياش : ما على وجه الأرض مثله ، وما أعلم خصلة من الخير إلا وقد جعله الله في . ابن المبارك ، ولقد حدثني أصحابي أنهم محبوبه من مصر إلى مكة فكان يطعمهم الخبيص وهو الدهر صائم . وقدم مرة الرقة وبها هارون الرشيد ، فلما دخلها احتفل الناس به وازدحم الناس حوله ، فأشرفت أم ولد للرشيد من قصر هناك فقالت : ما للناس ؟ فقيل لها : قدم رجل من علماء خراسان يقال له عبد الله بن المبارك فأنجبيل الناس إليه . فقالت المرأة : هذا هو الملك لأملاك هارون الرشيد الذي يجمع الناس عليه بالسوط والمصا والرغبة والرهبة .

وخرج مرة إلى الحج فاجتاز بهض البلاد فأت طائر معهم فأمر بالقائه على من بلة هناك ، وسار أصحابه أمامه وتخلف هو وراهم ، فلما مر ببلز بلة إذا جارية قد خرجت من دار قريبة منها فأخفت ذلك الطائر الميت ثم لفته ثم أسرعته به إلى الهار ، فجاء فأسأها عن أمرها وأخبرها الميتة ، فقالت : أنا وأخي هنا ليس لنا شيء إلا هذا الأزار ، وليس لنا قوت إلا ما يلقي على هذه المزر بلة ، وقد حلت لنا الميتة منذ أيام ، وكان أبونا له مال فظلم وأخذ ماله وقتل . فأمر ابن المبارك برد الأ璋 وقاتل لوكيله : كم مملك من النقة ؟ قال : ألف دينار . فقال : عدد منها عشرين ديناراً تكفيينا إلى مرو وأعطيها الباقي . فهذا أفضل من حجتنا في هذا العام ، ثم رجع .

وكان إذا عزم على الحج يقول لأصحابه : من عزم منكم في هذا العام على الحج فليأتني بنقته حتى أكون أنا أئفق عليه ، فكان يأخذ منهم نقاتهم ويكتب على كل صرة اسم صاحبها ويجمعها في صندوق ، ثم يخرج بهم في أوسع ما يكون من النقات والركوب ، وحسن الخلق والتيسير عليهم ، فإذا قضوا حاجتهم فيقول لهم : هل أوصاكم أهلوكم بهدية ، فيشتري لكل واحد منهم ما وصاه أهله من الهدايا المكية واليمنية وغيرها ، فإذا جاؤا إلى المدينة اشترى لهم منها الهدايا المدنية ، فإذا رجعوا إلى بلادهم بعث من أثناء الطريق إلى بيوتهم فأصلحت وبيضت أبوابها ورمم شعثها ، فإذا وصلوا إلى البلد عمل لجة بعد قدومهم ودعاهم فأكلوا وكساهم ، ثم دعا بذلك الصندوق ففتحه وأخرج منه تلك السرر ثم يقسم عليهم أن يأخذ كل واحد نقته التي عليها اسمه ، فيأخذونها وينصرفون إلى منازلهم وهم شاكرون ناشرون لواء الثناء الجليل . وكانت سفرته تحمل دلي بهير وحدها ، وفيها من أنواع المأكول من اللحم والدجاج والحلوى وغير ذلك ، ثم يطعم الناس وهو الدهر صائم في الحر الشديد . وسأله مرة سائل فأعطاه درهما فقال له بعض أصحابه : إن هؤلاء يأكلون الشواء والفالوج ، وقد كان يكتفيه قطعة . فقال : والله ما نلظت أنه يأكل إلا البقل والخبز ، فأما إذا كان يأكل الفالوج والشواء فانه لا يكتفيه درهم . ثم أمر بعض غلمانته فقال : رده وادفع إليه عشرة دراهم . وفضائله ومناقبه كثيرة جداً .

قال أبو حمزة بن عبد البر : أجمع العلماء على قبوله وجلالته وإمامته وعدله . توفي عبد الله بن المبارك بهيت في هذه السنة في رضاءها عن ثلاث وستين سنة .

﴿ ومفضل بن فضالة ﴾

وُلِيَ قضاء مصر مرتين ، وكان ديناً ثقة ، فسأل الله أن يذهب عنه الأمل فأذهب ، فكان بعد ذلك لا يهتبه الميت ولا شيء من الدنيا ، فسأل الله أن يرده عليه فردّه فرجع إلى حاله .

﴿ ويعقوب النخعي ﴾

المابد الكوفي ، قال علي بن الموفق عن منصور بن عمار : خرجت ذات ليلة وأنا أظن أني قد أصبحت ، فإذا على ليل ، فجلست إلى باب صغير وإذا شاب يبكي وهو يقول : وعزتك وجلالك ما أردت بمصيبك مخالفتك ولكن سولت لي نفسي ، وغلبتني شقوتي ، وغرتني سترك المرحي على ؟ لا ز من عذابك من يستغفني ؟ ويحبل من أنصّل إن أنت قطعت حبلك عني ؟ واسأله على ما مضى من أيامي في مصيبة ربّي ، يا ويلي كم أتوب لكم أعود ، قد حان لي أن أستحي من ربّي عز وجل . قال منصور : قلت : أعود بالله من الشيطان الرجيم ، بسم الله الرحمن الرحيم ( يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يصون الله ما أمرهم ويعفون ما يؤمرون ) قال : فسمعت صوتاً واضعاباً شديداً فذهبت لحاجتي ، فلما رجعت مررت بذلك الباب فإذا جنازة موضوعة ، فسألت عنه فإذا ذلك الفتى قد مات من هذه الآية .

﴿ ثم دخلت سنة ثنتين وثمانين ومائة ﴾

فيها أخذ الرشيد لولده عبد الله المأمون ولاية العهد من بعد أخيه محمد الأمين بن زبيدة ، وذلك بالرفقة بعد مرجعه من الحج ، وضم إليه المأمون إلى جعفر بن يحيى البرمكي وبه إلى بغداد ومعه جماعة من أهل الرشيد خدمة له ، وولاه خراسان وما يتصل بها ، وسماه المأمون . وفيها رجع يحيى بن خالد البرمكي من مجاورته بمكة إلى بغداد . وفيها غزا الصائفة عبد الرحمن بن عبد الملك بن صالح فبلغ مدينة أمّ حبيب الكهف . وفيها سملت الروم عيني ملكهم قسطنطين بن اليون وملكوا عليهم أمه ريفي وتلقب أغسطس . وحج بالناس موسى بن عيسى بن العباس .

وفيها توفي من الأعيان إسماعيل بن عباس الحمصي أحد المشاهير من أئمة الشافعيين ، وفيه كلام . ومروان بن أبي حفصة الشاعر المشهور المشكور ، كان يمدح الخلفاء والبرامكة .

﴿ ومن بن زائدة ﴾

حصل من الأموال شيئاً كثيراً جداً ، وكان مع ذلك من أبخل الناس ، لا يكاد يأكل اللحم من بخله ، ولا يشعل في بيته سراجاً ، ولا يلبس من الثياب إلا الكراشي والغزو والفليظ ، وكان رفيقه

سلم الخمار إذا ركب إلى دار الخلافة يأتي على برذون وعليه حلة تساوي ألف دينار ، والطيب ينفع من ثيابه ، ويأتي هو في شر حلة وأسوأها . وخرج يوماً إلى المهدي فقالت امرأة من أهله : إن أطلق لك الخليفة شيئاً فأجل لي منه شيئاً . فقال : إن أعطاني مائة ألف درهم فكذلك درهم . فأعطاه ستين ألفاً فأعطاه أربعة دوايق . توفي ببغداد في هذه السنة ، ودفن في مقبرة نصر بن مالح .

### ﴿ والقاضي أبو يوسف ﴾

واسمه يعقوب بن إبراهيم بن حبيب بن سعد بن حسنة ، وهي أمه ، وأبوه يمجير بن معاوية ، استنصر يوم أحد ، وأبو يوسف كان أكبر أصحاب أبي حنيفة ، روى الحديث عن الأعشى وهام ابن عروة ومحمد بن إسحاق وبجي بن سعيد وغيرهم . وعنه محمد بن الحسن وأحمد بن حنبل وبجي بن معين . قال علي بن الجعد : سمعته يقول : توفي أبي وأنا صغير فأسلمتني أمي إلى قصار فكنت أُمُر على حلقة أبي حنيفة فأجلس فيها ، فكأنت أمي تقبني فتأخذ يدي من الحلقة وتذهب بي إلى القصار ، ثم كنت أخالفها في ذلك وأذهب إلى أبي حنيفة ، فلما طال ذلك عليها قالت لأبي حنيفة : إن هذا صبي يقيم ليس له شيء إلا ما أطعمه من منزلي ، وإنك قد أفسدته على . فقال لها : استكثي بأرغائه ، هاهذا يتعلم العلم وسياً كل الفالوذج بدهن الفستق في صحن الفير وزج . فقالت له : إني شيخ قد خرفت . قال أبو يوسف : فلما وليت القضاء - وكان أول من ولاه القضاء الهادي وهو أول من لقب قاضي القضاء ، وكان يقال له : قاضي قضاة الدنيا ، لأنه كان يستجيب في سائر الأقاليم التي يحكم فيها الخليفة - . قال أبو يوسف : فبينما أنا ذات يوم عند الرشيد إذ أتني بالفالوذج في صحن فير وزج فقال لي : كل من هذا ، فإنه لا يصنع لنا في كل وقت . وقلت : وما هذا يا أمير المؤمنين ؟ فقال : هذا الفالوذج . قال فتبسمت فقال : مالك تبسم ؟ قلت : لا شيء أبق الله أمير المؤمنين . فقال : لتخبرني . فقصصت عليه القصة فقال : إن العلم ينفع ويرفع في الدنيا والآخرة . ثم قال : رحم الله أبا حنيفة ، فلقد كان ينظر بعين عقله ما لا ينظر بعين رأسه . وكان أبو حنيفة يقول عن أبي يوسف : إنه أعلم أصحابه . وقال المزني : كان أبو يوسف أتبعهم الحديث . وقال ابن المديني : كان صدوقاً . وقال ابن معين : كان ثقة . وقال أبو زرعة : كان سليماً من التجهم . وقال بشار الخفاف : سمعت أبا يوسف يقول : من قال القرآن مخلوق فغرام كلامه ، وفرض مباينته ، ولا يجوز السلام ولا رده عليه . ومن كلامه الذي ينبغي كتابته بقاء الذهب قوله : من طلب المال بالكسب أفسس ، ومن تتبع غرائب الحديث كذب . ومن طلب العلم بالكلام تزندق . ولما تناظر هو ومالك بالمدينة بمحضرة الرشيد في مسألة الصاع وزكاة الخضراوات احتج مالك بما استندى به من تلك الصيغان المنقولة عن آبائهم وأسلافهم ، وبأنه لم يكن الخضراوات يخرج فيها شيء في زمن الخلفاء الراشدين . فقال



أبو يوسف : لو رأي صاحبي ما رأيت لرجع كما رجعت . وهذا انصاف منه .

وقد كان يحضر في مجلس حكمه العلماء على طباقهم ، حتى إن أحمد بن حنبل كان شابا وكان يحضر مجلسه في أثناء الناس فيقتاطرون ويتباخنون ، وهو مع ذلك يحكم ويصنف أيضا . وقال : وليت هذا الحكم وأوجو الله أن لا يسألني عن جور ولا ميل إلى أحد ، إلا يوما واحدا جاءني رجل فذكر أن له بستانا وأنه في يد أمير المؤمنين ، فدخلت إلى أمير المؤمنين فأعلمته فقال : البستان لي اشتراه لي المهدي . قلت : إن رأي أمير المؤمنين أن يحضره لا تمنع دعواه . فأحضره فادعى بالبستان قلت : ما تقول يا أمير المؤمنين ؟ قال : هو بستاني . قلت للرجل : قد سمعت ما أجاب . فقال الرجل : بخلف ، قلت ، أعلف يا أمير المؤمنين ؟ قال : لا ، قلت سأعرض عليك البهين ثلاثا فإن خلعت وإلا حكمت عليك يا أمير المؤمنين . فمرستها عليه ثلاثا فامتنع فحكمت بالبستان للدعي . قال : فكنت في أثناء الخصومة أو دأن ينفصل ولم يمكن أن أجلس الرجل مع الخليفة . وبث القاضي أبو يوسف قسليم البستان إلى الرجل .

وروي العماليق بن زكريا الجري من محمد بن أبي الأضر عن حماد بن أبي إسحاق عن أبيه عن بشر بن الوليد عن أبي يوسف . قال : بينا أنا ذات ليلة قد نمت في الفراش ، وإذا رسول الخليفة يلقق الباب ، فخرج من مزججا فقال : أمير المؤمنين يدعوك ، فذهبت فإذا هو جالس ومعه عيسى ابن جعفر فقال لي الرشيد : إن هذا قد طلبت منه جارية جهذا فلم يفعل ، أو يمينها ، وإني أشهدك إن لم يميني إلى ذلك قتلته . قلت لميسى : لم لم تفعل ؟ قال : إني خائف بالطلاق والعتاق وصدقة مالي كله أن لا أبيع ، ولا أحبها . فقال لي الرشيد : فهل له من مخلص ؟ قلت : نعم يبيعك نصفها ويهبك نصفها . فوجهه النصف وباعه النصف بمائة ألف دينار ، فقبل منه ذلك وأحضرت الجارية ، فلما رآها الرشيد قال : هل لي من سبيل عليها الهيلة ؟ قلت : إنها مملوكة ولا بد من استبرائها ، إلا أن تعتقها وتزوجها فإن الحرية لا تستبرأ . قال فأعتقها وتزوجها منه بمشرين ألف دينار ، وأمر لي بمائتي ألف درهم وعشرين نخما من ثياب ، وأرسلت إلى الجارية بشرة آلاف دينار .

وقال يحيى بن معين : كنت عند أبي يوسف فجاءته هدية من ثياب ديبق وطيب وغنيل ند وغير ذلك ، فذا كرتي رجل في إسناد حديث «من أهديت له هدية وعنده قوم جلوس فهم شركاء» . فقال أبو يوسف : إنما ذاك في الأقط والنمر والزيب ، ولم تكن الهدايا في ذلك الوقت مآرون ، وإغلام ارضع هذا إلى الخزان ، ولم يعطهم منها شيئا . وقال بشر بن غياث المريسي : سمعت أبا يوسف يقول : محبت أبا حنيفة سبع عشرة سنة ثم انصبت على الدنيا سبع عشرة سنة ، وما أنظر أجلى إلا أن اقترب . فقامت بعد ذلك إلا شهورا حتى مات .

وقد مات أبو يوسف في ربيع الأول من هذه السنة عن سبع وستين سنة ، ومكث في القضاء بعده ولده يوسف . وقد كان نائبه على الجانب الشرقي من بغداد . ومن زعم من الرواة أن الشافعي اجتمع بأبي يوسف كما يقوله عبد الله بن محمد البلوي الكذاب في الرحلة التي ساقها الشافعي فقد أخطأ في ذلك ، وإنما ورد [ الشافعي ] بغداد في أول قدمه قديماً إليها في سنة أربع وثمانين . وإنما اجتمع الشافعي بمحمد بن الحسن الشيباني فأحسن إليه وأقبل عليه ، ولم يكن بينهما شأن كما يذكره بعض من لا خبرة له في هذا الشأن والله أعلم . وفيها توفي :

﴿ يعقوب بن داود بن طهمان ﴾

أبو عبد الله مولى عبد الله بن حازم السلمي ، استوزره المهدي وحظي عنده جداً ، وسلم إليه أزمة الأمور ، ثم لما أمر بقتل ذلك المولى كما تقدم فأطلقه ونعت عليه تلك الجارية سجنه المهدي في بئر وبقيت عليه قبة ، ونبت شمره حتى صار مثل شجر الأنانيم ، وعمرى ، ويقال بل غشى بصره ، ومكث نحواً من خمسة عشر سنة في ذلك البئر لا يرى ضوءاً ولا يسمع صوتاً إلا في أوقات الصلوات يعلونه بنفك ، ويدلى إليه في كل يوم رغيف وكوز ماء ، فكث كذك حتى انقضت أيام المهدي وأيام الهادي وصدر من أيام الرشيد ، قال يعقوب : فأناي آت في منامي قتال :

عسى الكرب الذي أمسيت فيه • يكون وراه فرج قريب

فيأمن خائف ويضك عاثر • ويأني أهله التاني الغريب

فلما أصبحت توديت فظننت أني أعلم بوقت الصلاة ، ودلى إلى حبل وقيل لي : اربط هذا الحبل في وسعك ، فأخرجوني ، فلما نظرت إلى الضياء لم أنصر شيئاً ، وأوقفت بين يدي الخليفة فقبل لي : سلم على أمير المؤمنين ، فظننته المهدي فسلمت عليه باسمه ، فقال : لست به ، قلت الهادي ؟ فقال : لست به . فقلت : السلام عليك يا أمير المؤمنين الرشيد . فقال : نعم ، ثم ظن : والله إنه لم يشفع فيك عندي أحد ، ولكنني بالبلوغة حملت جارية لي صغيرة على عتقي فذكرت حملك إليّ على عتقك فرحمت ما أنت فيه من الضيق فأخرجتك . ثم أنعم عليه وأحسن إليه . فغار منه يحيى بن خاله بن برمك ، وخشى أن يبيده إلى منزله التي كان عليها أيام المهدي ، وفهم ذلك يعقوب فاستأذن الرشيد في الذهاب إلى مكة فأذن له ، فكان بها حتى مات في هذه السنة رحمه الله . وقال يحيى يحيى أن أرجع إلى الولايات لا والله ما كنت لأضل أبداً ، ولوردت إلى مكاني . وفيها ( توفي يزيد بن زريع ) أبو معلوية شيخ الإمام أحمد بن حنبل في الحديث ، كان ثقة عالماً عابداً ورعاً ، توفي أبوه وكان والي البصرة وترك من المال خمسمائة درهم ، فلم يأخذ منها يزيد درهما واحداً ، وكان يعمل الخوص بيده ويقتات منه هو وعياله . توفي بالبصرة في هذه السنة ، وقيل قبل ذلك والله أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة ثلاث وثمانين ومائة ﴾

ففيها خرجت الخرد على الناس من ثلثة أرمينية فماتوا في تلك البلاد فساداً ، وسبوا من المسلمين وأهل الذمة نحواً من مائة ألف ، وقتلوا بشراً كثيراً ، وانهمزم نائب أرمينية سعيد بن مسلم ، فأرسل الرشيد إليهم خازم بن خزيمه ويزيد بن يزيد في جيوش كثيرة كثيفة ، فأصلحوا ما فسد في تلك البلاد . وحج بالناس العباس بن موسى الهادي .

وفيها توفي من الأعيان ﴿ علي بن الفضيل بن عياض ﴾ في حياة أبيه . كان كثير العبادة والورع والخوف والخشية . ﴿ ومحمد بن صبيح ﴾ أبو العباس مولى بني عجل المذكر . ويعرف بابن السباك . روى عن إسماعيل بن أبي خلف والأعمش والثوري وهشام بن عروة وغيرهم ، ودخل يوماً على الرشيد فقال : إن لك بين يدي الله موقفاً فانظر أين منصرفك ، إلى الجنة أم النار ؟ فبكى الرشيد حتى كاد يموت .

﴿ وموسى بن جعفر ﴾

ابن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب . أبو الحسن الهاشمي ، ويقال له الكاظم ، وله سنة ثمان أو تسع وعشرين ومائة ، وكان كثير العبادة والرمومة ، إذا بلغه عن أحد أنه يؤذيه أرسل إليه بالذهب والتحف ، وله من الذكور والبنات أربعون نسمة . وأهدى له مرة عبد عصيداً فاشتره واشترى المزرعة التي هو فيها بألف دينار وأعتقه ، ووهب المزرعة له . وقد استنداه المهدي إلى بغداد فحبسه ، فلما كان في بعض الليالي رأى المهدي علي بن أبي طالب وهو يقول له : يا محمد ( فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم ) فاستيقظ مذعوراً وأمر به فأخرج من السجن ليلاً فأجلسه معه وعاقبه وأقبل عليه ، وأخذ عليه العهد أن لا يخرج عليه ولا على أحد من أولاده ، فقال : والله ما هذا من شأني ولا حدثت فيه نفسي ، فقال : صدقت . وأمر له بثلاثة آلاف دينار ، وأمر به فرداً إلى المدينة ، فما أصبح الصباح إلا وهو على الطريق ، فلم يزل بالمدينة حتى كانت خلافة الرشيد فخرج ، فلما دخل ليسلم على قبر النبي ﷺ ومعه موسى بن جعفر الكاظم ، فقال الرشيد : السلام عليك يا رسول الله يا ابن عم . فقال موسى : السلام عليك يا أبت . فقال الرشيد : هذا هو الفخر يا أبا الحسين . ثم لم يزل ذلك في نفسه حتى استنداه في سنة تسع وستين وسجنه فأطال سجنه ، فكتب إليه موسى رسالة يقول فيها : أما بعد يا أمير المؤمنين إنه لم ينقض عنى يوم من البلاد إلا اتقضى عنك يوم من الرخاء ، حتى يقضى بنا ذلك إلى يوم يحضر فيه المبطولون . توفي لحس بقين من رجب من هذه السنة ببغداد وقبره هناك مشهور . وفيها توفي :

﴿ هاشم بن بشير بن أبي حازم ﴾

القاسم بن دينار أبو معاوية السلي الواسطي ، كان أبوه طباطبا الحاج بن يوسف الثقي ، ثم كان

بعد ذلك يبيع الكواخج ، وكان يبع ابنه من طلب العلم ليساعده على شغله ، فأبى إلا أن يسمع الحديث . فاتفق أن هاتما مرض فجاءه أبو شيبة قاضى واسط عاتداً له ومعه خلق من الناس ، فلما رآه بشير فرح بذلك وقال : يا بى أبلغ من أمرك أن جاء القاضي إلى منزلي ؟ لا أملك بعد هذا اليوم من طلب الحديث . كان هاشم من سادات العلماء ، وحدث عنه مالك وشعبة والثوري وأحمد بن حنبل وخلق غير هؤلاء ، وكان من الصلحاء الساد . مكث يصل الصبح بوضوء المشاء قبيل أن يموت بمشرنتين .

﴿ ويحيى بن زكريا ﴾

ابن أبي زائدة قاضى المدائن ، كان من الأئمة الثقات . و يونس بن حبيب أحد النحاة النجباء ، أخذ النحو عن أبي عمرو بن العلاء وغيره ، وأخذ عنه الكسائي والفراء ، وقد كانت له حلقة بالبصرة يفتاها أهل العلم والأدب والنصحاء من الحاضرين والغياب . توفى في هذه السنة عن ثمان وسبعين سنة .

﴿ ثم دخلت سنة أربع وثمانين ومائة ﴾

فيها رجع الرشيد من الرقة إلى بغداد فأخذ الناس بأداء بقايا الخراج الذي عليهم ، وولى رجلاً يضرب الناس على ذلك ويحبسهم ، وولى على أطراف البلاد . وعزل وولى وقطع وصل . وخرج بالجزيرة أبو عمرو والشارى فبعث إليه الرشيد من قبله شهر زور . وحج بالناس فيها إبراهيم بن محمد الملبسى . وفيها توفى :

﴿ أحمد بن الرشيد ﴾

كان زاهداً عابداً قد تفلسك ، وكان لا يأكل إلا من عمل يده في الطين ، كان يعمل فاعلا فيه ، وليس يملك الامروأ وزنبيلاً - أى مجرفة وقفة - وكان يعمل في كل جمعة بدمر ودائق ينقوت بهما من الجمة إلى الجمة ، وكان لا يعمل إلا في يوم السبت فقط . ثم يقبل على العبادة بقية أيام الجمعة . وكان من زينة في قول بعضهم ، والصحيح أنه من امرأة كان الرشيد قد أحبها فزوجها فحملت منه بهذا الغلام ، ثم إن الرشيد أرسلها إلى البصرة فأعطاهما خاتماً من ياقوت أحمر ، وأشياء نفيسة ، وأمرها بإحضار إليه الخلقة أن تأتيه فلما صارت الخلقة إليه لم تأت ولا ولدها ، بل اختفيا ، وبلغه أنهما مالا ، ولم يكن الأمر كذلك ، وغص عنهما فلم يطلع لهما على خبر ، فكان هذا الشاب يعمل بيده ويأكل من كدها ، ثم رجع إلى بغداد ، وكان يعمل في الطين ويأكل مدة زمانية . وهذا هو ابن أمير المؤمنين ، ولا يذكر للناس من هو لى أن اتفق مرضه في دار من كان يستعمله في الطين فرضه عنده ، فلما احتضر أخرج الخاتم وقال لصاحب المنزل : اذهب بهذا إلى الرشيد وقل له : صاحب هذا الخاتم يقول لك : إياك أن تموت في سكرتك هذه فتندم | حيث لا ينفع تادماً ندمه ، واحذر انصرارك من بين يدي الله إلى الدارين ، وأن يكون آخر المهدي بك ، فان ما أنت فيه لو دام لتعيرك لم يعمل إليك ، وسيصير إلى غيرك وقد بلى لك أخبار من مضى [ (١) ] .

(١) سقط من المصرية .

قال : فلما مات دفنته وطلبت الحضور عند الخليفة ، فلما أوقفت بين يديه قال : ما حاجتك ؟ قلت : هذا الخاتم دمه إلى رجل وأمرني أن أدفعه إليك ، وأوصاني بكلام أقوله لك ، فلما نظر الخاتم عرفه فقال : ويحك وأين صاحب هذا الخاتم ؟ قال قتلته : مات يا أمير المؤمنين . ثم ذكرت السلام الذي أوصاني به ، وذكرت له أنه كان يعمل بالفاعل في كل جمعة يوماً بدارهم وأربع دوانيق ، أو بدارهم ودانق ، ويتنوت به سائر الجمعة ، ثم يقبل على العبادة . قال : فلما سمع هذا السلام قام فضرب بنفسه الأرض وجعل يترغّب وينقلب ظهره لبطن ويقول : والله لقد نصحتني يابني ، ثم بيكى ، ثم رفع رأسه إلى الرجل وقال : أتعرف قبره ؟ قلت : نعم ! أنا دفنته . قال : إذا كان المشى فأتفق . قال : فأنيته فذهب إلى قبره فلم يزل يبكي منه حتى أصبح ، ثم أمر لذلك الرجل بمشرة آلاف درهم . وكتب له وليه رزقاً . وفيها مات :

### ( عبد الله بن مصعب )

ابن ثابت بن عبد الله بن الزبير بن العوام ، القرشي الأسدي ، والده بكار . أئزمه الرشيد بولاية المدينة قبلها بشروط عدل اشترطها ، فأجاب به إلى ذلك ، ثم أضاف إليه نيابة اليمن ، فكان من أعدل الولاة ، وكان عمره يوم تولى نحواً من سبعين سنة .

### ( وعبد الله بن عبد العزيز العمري )

أدرك أبا طوالة ، وروى عن أبيه وإبراهيم بن سعد ، وكان عابداً زاهداً ، وعظ الرشيد يوماً فأطرب وأطيب . قال له وهو واقف على الصفا : أنتظركم حولها - يعني الكعبة - من الناس ؟ فقال : كثير . فقال : كل منهم يسأل يوم القيامة عن خاصة نفسه ، وأنت تسأل عنهم كلهم . فبكى الرشيد بكاءً كثيراً ، وجعلوا يأتونه بمندبل بعد مندبل يطشف به دموعه . ثم قال له : يا هارون إن الرجل ليسرف في ماله فيستحق الحجر عليه ، فكيف بمن يسرف في أموال المسلمين كلهم ؟ ثم تركهم . وانصرف والرشيد يبكي . وله منه مواقف مجودة غير هذه . توفي عن ست وستين سنة .

### ( ومحمد بن يوسف بن معدان )

أبو عبد الله الأصهباني ، أدرك الثائبين ، ثم اشتغل بالعبادة والزهادة . كان عبد الله بن المبارك يسميه عروس الزهاد . وقال يحيى بن سعيد القطان : ما رأيت أفضل منه ، كان كأنه قد عاين . وقال ابن مهدي : ما رأيت مثله ، وكان لا يشتري خيزره من خباز واحد ، ولا بقله من بقال واحد ، كان لا يشتري إلا ممن لا يبرفه ، يقول : أخشى أن يجاؤني فأكون من يمشي بدينه . وكان لا يضيغ جنبه لثوم صيفاً ولا شتاء . ومات ولم يجاوز الأربعين سنة رحمه الله .

﴿ ثم دخلت سنة خمس ومائتين ومائة ﴾

فيها قتل أهل طبرستان متولهم مروه الرازي ، فولى الرشيد عليهم عبد الله بن سعيد الحرشي . وفيها قتل عبد الرحمن الأنباري أبان بن قسطنطية الخارجي بمرج العلقة . وفيها عاث حمزة الشاري ببلاد باذغيس من خراسان ، قتمض عيسى بن علي بن عيسى إلى عشرة آلاف من جيش حمزة قتلهم ، وسار وراء حمزة إلى كابل وزابلستان . وفيها خرج أبو الخصيب قنطب على أبيورد وطوس ونيسابور وحاصر مرو وقوى أمره . وفيها توفي يزيد بن مزيد ببردعة ، فولى الرشيد مكانه ابنه أسد بن يزيد . واستأذن الوزير يحيى بن خالد الرشيد في أن يستمر في رمضان فأذن له ، ثم رابط بمنحه إلى وقت الحج . وكان أمير الحج في هذه السنة منصور بن محمد بن عبد الله بن علي بن عبد الله بن عباس . وفيها توفي :

﴿ عبد الصمد بن علي ﴾

ابن عبد الله بن عباس عم السفاح والمنصور . ولد سنة أربع ومائة ، وكان ضخماً عظيم الجوارح ولم يبدل أسنانه ، وكانت أصولها صفيحة واحدة ، قال يوما الرشيد : يا أمير المؤمنين هذا المجلس اجتمع فيه عم أمير المؤمنين ، وعم عمه ، وعم عم عمه ، وذلك أن سليمان بن أبي جعفر عم الرشيد ، والعباس بن محمد بن علي بن سليمان ، وعبد الصمد بن علي بن السفاح ، وتلخيص ذلك أن عبد الصمد عم عم عم الرشيد لأنه عم جده . روي عبد الصمد عن أبيه عن جده عبد الله بن عباس عن النبي ﷺ أنه قال : « إن البر والصلة يطيلان الأعمار ، ويمران العيال ، ويثرين الأموال ، ولو كان القوم نجاراً » . وبه أن رسول الله ﷺ قال : « إن البر والصلة ليخففان الحساب يوم القيامة » ثم تلا رسول الله ﷺ ( والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب ) . وغير ذلك من الأحاديث .

ومحمد بن إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ، المعروف بالامام ، كان على إمارة الحاج ، وإقامة سقايته في خلافة المنصور عدة سنين . توفي ببغداد فصل عليه الأئمة في شوال من هذه السنة ، ودفن بالمباسة . . .

وفيها توفي من مشايخ الحديث تمام بن إسماعيل ، وعمر بن عبيد . والمطلب بن زياد . والمناقي ابن عمران . في قول : يوسف بن الماجشون . وأبو إسحاق الفزاري إمام أهل الشام بعد الأوزاعي في المغازي والعلم والعبادة ، ﴿ ورواية المدوية ﴾

وهي رابعة بنت إسماعيل مولاة آل عتيك ، المدوية البصرية العابدة المشهورة . ذكرها أبو نعيم في الحلية والرسائل ، وابن الجوزي في صفوة الصفوة ، والشيخ شهاب الدين السهروردي في المعارف ، والتشعيرى . وأثنى عليها أكثر الناس ، وتكلم فيها أبو داود السجستاني ، واتهما بالزندقة ،

قلعه بلخه عنها أمر . وأشد لها السهر وردى في المعارف : -

إني جبلتك في التؤاد محبتي • وأحببت جسي من أراد جلوسى

• فالجسم منى للجلوس موانس • وحبيب قلبي في التؤاد أنيسى

وقد ذكروا لها أحوالاً وأعمالاً صالحة ، وصيام نهار وقيام ليل ، ورؤيت لها منامات صالحة **ﷲ** أعلم . توفيت بالقدس الشريف وقبرها شرقي بالطور والله أعلم .

( ثم دخلت سنة ست وثمانين ومائة )

فيها خرج علي بن عيسى بن ماهان من مر ، لحرب أبي الغصيب إلى نسا فقاتله بها ، وسى نساءه وذريته . واستقامت خراسان . وحج بالناس فيها الرشيد ومعه ابنه محمد الأمين ، وعبد الله المأمون ، فبلغ جولة ما أعطى لأهل الحرمين ألف دينار وخمسين ألف دينار ، وذلك أنه كان يعطى الناس فيذهبون إلى الأمين فيعطيه ، فيذهبون إلى المأمون فيعطيه . وكان إلى الأمين ولاية الشام والهرق ، وإلى المأمون من همدان إلى بلاد المشرق . ثم تابع الرشيد لولده القاسم من بعد ولديه ، ولقبه المؤمن ، وولاه الجزيرة والقفقاز والمواسم ، وكان الباعث له على ذلك أن ابنه القاسم هذا كان في حجر عبد الملك بن صالح ، فلما تابع الرشيد لولده كتب إليه : -

يا أيها الملك الذي • لو كان نجماً كان صفنا

أعقد لقاسم ييمة • وأقبح له في الملك زنا

**ﷲ** فرد واحد • فأجل ولاية العهد فردا

فضل الرشيد ذلك ، وقد حمده قوم على ذلك ، وذهه آخرون . ولم ينتظم لقاسم هذا أمر ، بل اختطفه المنون والأقدار عن بلوغ الأمل والأوطار . ولما قضى الرشيد حجه أحضر من معه من الأمراء والوزراء ، وأحضر ولي العهد محمداً الأمين وعبد الله المأمون . وكتب بعضهم ذلك صحيفة ، وكتب فيها الأمراء والوزراء خطوطهم بالشهادة على ذلك ، وأراد الرشيد أن يملأها في الكعبة فسقطت ثقيل : هذا أمر سريع انتفاضه . وكذا وقع كاسمائي . وقال إبراهيم الموصلي في عقد هذه البيعة في الكعبة :

خير الأمور مغبة • وأحق أمر بالتمام

أمر قضى أحكامه الر • حن في البلد الحرام

وقد أطال القول في هذا المقام أبو جعفر بن جرير وبنو ابن الجوزي في المنتظم .

( وفيها توفي من الأعيان )

أصبح بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم أبو ريان في رمضان منها . وحسان بن إبراهيم القاضي

كرمان عن مائة سنة . ﴿ وسلم الخمار الشاعر ﴾

وهو سلم بن عمرو بن حاد بن عطاء ، وإنما قيل له الخمار لأنه باع مصحفه واشترى به ديوان شعر لأمري القيس ، وقيل لأنه أنفق مائتي ألف في صناعة الأدب . وقد كان شاعراً منطيقاً له قدرة على الانشاء على حرف واحد ، كما قال في موسى الهادي :

موسى المطر غيث بكر ثم انهمر ثم اعتبر ثم فتر وكم قدر ثم غفر عدل السير باقى الأثر  
خير البشر فرع مضر بدر بدر لمن نظر هو الوزر لمن حضر والمنخر لمن غير  
وذكر الخطيب أنه كان على طريقة غير مرضية من المجون والفسق ، وأنه كان من تلاميذ بشار  
ابن برد ، وأن نظمه أحسن من نظم بشار ، فما غلب فيه بشاراً قوله :

من راقب الناس لم يظفر بجاحته • وفاز بالعليات الفاتك الهيج

قال سلم من راقب الناس مات غمًا • وفاز بالهفة الجسور

فضب بشار وقال : أخذ صاعى كلامى فكشاه ألفاظاً أخف من ألفاظى . وقد حصل له من الخلفاء والبرامكة نحواً من أربعين ألف دينار ، وقيل أكثر من ذلك . ولما مات ترك ستة وثلاثين ألف دينار وديعة عند أبى الشعر النسائي ، فبنى إبراهيم الموصلى يوماً الرشيد فأطرب به فقال له : سل . فقال : يا أمير المؤمنين أسألك شيئاً ليس فيه من ماله شيء ، ولا أرتأوك شيئاً سواه . قال : وما هو ؟ فذكر له وديعة سلم الخمار ، وأنه لم يترك ولداً . فأمر له بها . ويقال إنها كانت خمسين ألف دينار .

﴿ والعباس بن محمد ﴾

ابن على بن عبد الله بن عباس عم الرشيد ، كان من سادات قریش ، ولى إمارة الجزيرة فى أيام الرشيد ، وقد أطلق له الرشيد فى يوم خمسة آلاف ألف درهم ، وإليه نسب العباسية ، وبها دفن وعمره خمس وستون سنة ، وصلى عليه الامين .

﴿ ويقطين بن موسى ﴾

كان أحد الدعاة إلى دولة بنى العباس ، وكان داهية ذا رأى ، وقد احتال مرة حيلة عظيمة لما حبس مروان الحمار إبراهيم بن عبد الجران ، فتصهرت الشيعة العباسية فيمن يولون ، ومن يكون ولى الأمر من بعدهم إن قتل ؟ فنهب يقطين هذا إلى مروان فوقف بين يديه فى صورة تاجر فقال : يا أمير المؤمنين إني قد بعت إبراهيم بن محمد بضاعة ولم أقبض ثمنها منه حتى أخذته رسلك ، فان رأى أمير المؤمنين أن يجمع بينى وبينه لأطالبه بمالى فقل . قال : نعم فأرسل به إليه مع غلام ، فلما رآه قال : يا عدو الله إلى من أوصيت بعدك آخذ مالى منه ؟ فقال له : إلى ابن الحارثية - يعنى أخاه عبد الله السفاح - فرجع يقطين إلى الدعاة إلى بنى العباس فأعلمهم بما قال ، فبايعوا السفاح ، فكان من أمره



ما ذكرناه . ( ثم دخلت سنة سبع وثمانين ومائة )

فيها كان مهلك البرامكة على يدي الرشيد ، قتل جعفر بن يحيى بن خالد البرمكي ، ودمر ديارم واندرست آثارهم ، وذهب صغارهم وكبارهم . وقد اختلف في سبب ذلك على أقوال ذكرها ابن جرير وغيره ، قيل إن الرشيد كان قد سلم يحيى بن عبد الله بن حسن إلى جعفر البرمكي ليسجنه عنده ، فما زال يحيى يترقب له حتى أطلقه ، فتم الفضل بن الربيع ذلك إلى الرشيد فقال له الرشيد : ويحك لا تدخل بيني وبين جعفر ، فلمه أطلقه عن أمرى وأنا لا أشعر . ثم سأل الرشيد جعفرًا عن ذلك فصدقته فتنظف عليه وحلف ليقنتله ، وكره البرامكة ، ثم قتلهم وقلام بعد ما كانوا أحظى الناس عنده ، وأحبهم إليه ، وكانت أم جعفر والفضل أم الرشيد من الرضاعة ، وقد جعلهم الرشيد من الرقة في الدنيا وكثرة المال بسبب ذلك شيئاً كثيراً لم يحصل لمن قبلهم من الوزراء ولا لمن بعدهم من الأكارم والروساء ، بحيث إن جعفرًا بن دارًا غرم عليها عشرين ألف ألف درهم ، وكان ذلك من جملة ما قومه عليه الرشيد . ويقال : إنما قتلهم الرشيد لأنه كان لا ير ببلد ولا إقليم ولا قرية ولا مزرعة ولا بستان إلا قيل هذا لجعفر ، ويقال إن البرامكة كانوا يريدون إبطال خلافة الرشيد وإظهار الزندقة . وقيل إنما قتلهم بسبب العباسية . ومن العلماء من أنكروا ذلك وإن كان ابن جرير قد ذكره .

وذكر ابن الجوزي أن الرشيد سئل عن سبب قتله البرامكة فقال : لو أعلم أن قبضي يعلم ذلك لأحرقتهم . وقد كان جعفر يدخل على الرشيد بغير إذن حتى كان يدخل عليه وهو في الفراش مع حظائره . وهنّه وجاعة ومنزلة عالية . وكان عنده من أحظى المشراء على الشراب المسكر . فإن الرشيد كان يستعمل في أواخر أيام خلافته المسكر . وكان أحب أهله إليه أخته العباسية بنت المهدي ، وكان يحضرها معه ، وجعفر البرمكي حاضر أيضاً معه ، فزوجه بها ليحل النظر إليها ، واشترط عليه أن لا يراها . وكان الرشيد رعباً قام وتركها وهما تملآن من الشراب فرعبا واقفها جعفر فقبلت منه فوهلت ولداً وبشت مع بعض جوارحها إلى مكة ، وكان يرى بها .

وذكر ابن خلدكان أن الرشيد لما زوج أخته العباسية من جعفر أحبها حباً شديداً ، فراودته عن نفسه فامتنع أشد الامتناع خوفاً من الرشيد ، فاحتالت عليه . وكانت أمه تهدي له في كل ليلة جمعة جارية حسناء بكراً . فقالت لأمه : أدخليني عليه بصفة جارية . فهابت ذلك فتهدتها حتى فعلت ذلك . فلما دخلت عليه لم يتحقق وجهها فواقها فقالت له : كيف رأيت خديعة بنات الملوك ؟ وحملت من تلك الليلة ، فدخل على أمه فقال : بعثيني والله برخيصة . ثم إن والده يحيى بن خالد جعل يضيّق على عيال الرشيد في الثقة حتى شكت زبيدة ذلك إلى الرشيد مرات ، ثم أثبتت له سر العباسية ، فاستشاط غيظاً ، ولما أخبرت أنه الولد قد أرسلت به إلى مكة حج عام ذلك حتى تحقق الأمر . ويقال :

إن بغض الجوارى نمت عليها إلى الرشيد وأخبره بما وقع ، وأن الولد بمكة وعنده جوار وأموال وحلى كثيرة . فلم يصدق حتى حج في السنة التالية ، ثم كشف الأمر عن الحال ، فإذا هو كما ذكر . وقد حج في هذه السنة التي حج فيها الرشيد يحيى بن خالد ، فجعل يدهو عند الكعبة : اللهم إن كان يرزقك عنى سلب جميع مالى وولدي وأهلى فاضل ذلك وأبقى على منى الفضل ، ثم خرج . فلما كان عند باب المسجد رجع فقال : اللهم والفضل معهم فاقى راض برزقك عنى ولا تستن منهم أحداً .

فلما قتل الرشيد من الحج صار إلى الخنزة ثم ركب في السفن إلى اليمن من أرض الأنبار ، فلما كانت ليلة السبت سلخ الحرم من هذه السنة أرسل مسروراً الخادم وبه حملاً من سام أبو حصبة في جماعة من الجن ، فأطافوا بجمر بن يحيى ليلاً ، فدخل عليه مسرور الخادم وعنده يمينه شيوخ المتطبيب ، وأبو ركانة الأحمى المنى الكلوزاني ، وهو في أمره وسروره ، وأبو ركانة يبتني :

فلا تيمد فكل فنى سيأتى • عليه الموت يطرق أو يفادى

فقال الخادم له : يا أبا الفضل هذا الموت قد طرقت ، أجب أمير المؤمنين . فقام إليه يقبل قسمه ويدخل عليه أن يمكنه فيدخل إلى أمه فيوصى إليهم وودعهم ، فقال : أما الهول فلا سبيل إليه ، ولكن أوص . فأوصى وأعتق جميع ماله أو جماعة منهم ، وجامت رسل الرشيد تسعته فأخرج إخراجاً حنيفاً ، فجاءوا بقدومه حتى أتوا به المنزل الذى فيه الرشيد ، فحبسه وقبده بشد حملاً ، وأعطوا الرشيد بما كان يصل ، فمطر بضرب عنقه ، فجاء السيف إلى جعفر فقال : إن أمير المؤمنين قد أمرنى أن آتبه برأسك . فقال : يا أبا هاشم لعل أمير المؤمنين سكران ، فإذا سما عاتبك فى ، فواده . فرجع إلى الرشيد فقال : إنه يقول : لعلك مشغول . فقال : يا ماص نظر أمه انقضى برأسه . فكرر عليه جعفر المقالة فقال الرشيد فى الثالثة : برئت من الهدى إن لم تأتني برأسه لأبعثن من يأتيني برأسك ورأسه . فرجع إلى جعفر فغز رأسه وأتى به إلى الرشيد فألقاه بين يديه ، وأرسل الرشيد من ليلته البرد بالاحتياط على البرامكة جميعهم ببغداد وغيرها ، ومن كان منهم يسبيل . فأخذوا كلهم من آخرهم . فلم يزل منهم أحد . وحبس يحيى بن خالد فى منزله ، وحبس الفضل بن يحيى فى منزل آخر . وأخذ جميع ما كانوا يملكونه من الدنيا ، وبث الرشيد برأس جعفر وجثته فصب الرأس عند الجسر الأعلى ، وشقت الجنة بأنتين فصب نصفها الواحد عند الجسر الأسفل ، والآخر عند الجسر الآخر ، ثم أحرقت بعد ذلك . ونودى فى بغداد : أن لا أمان للبرامكة ولا لمن آوأم ، إلا محمد بن يحيى بن خالد فإنه مستثنى منهم لنصحه للخليفة . وأتى الرشيد بانس بن أبى شيخ كان بهم بالزنفقة ، وكان مصاحباً لجعفر ، فدار بينه وبين الرشيد كلام ، ثم أخرج الرشيد من تحت فراشه سيفاً وأمر بضرب عنقه به . وجعل يتمثل بيت قيل فى قتل أنس قبل ذلك :

تلفظ السيف من شوق إلى أنس • فالسيف يلمظ والأقمار تلتظ  
فضربت عتق أنس فسبق السيف الدم قتال الرشيد : رحم الله عبد الله بن مصعب ، قال  
الناس : إن السيف كان الرزير من العوام . ثم شحنت السجون بالبرامكة واستلبت أموالهم كلها  
وزالت عنهم النعمة . وقد كان الرشيد في اليوم الذي قتل جعفر آ في آخره ، هو وليد راكبين في  
الصيد في أوله ، وقد خلا به دون ولاية اليهود ، وطلبه في ذلك بالغالية بيده ، فلما كان وقت المغرب  
ودعه الرشيد وضه إليه وقال : لو لا أن الليلة ليبتة خلوت بالنساء ما فارقتك ، فذهب إلى منزلك  
واشرب وأطرب وطلب ميثا حتى تكون على مثل حالى ، فأكون أنا وأنت في الجنة سواء . قال :  
والله يا أمير المؤمنين لا أشتهي ذلك إلا منك . قال : لا ! انصرف إلى منزلك . فانصرف عنه  
جعفر فاهو إلا أن ذهب من الليل بضه حتى أوقع به من البأس والتسكال ما تقدم ذكره . وكان  
ذلك ليلة السبت آخر ليلة من المحرم ، وقيل إنها أول ليلة من صفر في هذه السنة ، وكان عمر جعفر  
إذ ذلك صبغاً وثلاثين سنة ، ولما جاء الخبر إلى أبيه يحيى بن خالد بقتله قال : قتل الله ابنه . ولما قيل  
له : قد خربت دارك قال : خرب الله دوره . ويقال : إن يحيى لمبا فطر إلى دوره . وقد هنكت  
ستورها واستبيحت قصورها ، وانهب ما فيها . قال : هكذا تقوم الساعة . وقد كتب إليه بعض  
أصحابه يمزيه فيما جرى له ، فكتب إليه جواب التمزية : أنا بقضاء الله راض ، وباختياره مطمئن ، ولا  
يؤاخذ الله العباد إلا بذنوبهم ، وما الله بظلام للعبيد . وما ينظر الله أكثره الحمد . وقد أكثر  
الشراء من المراتى في البرامكة فن ذلك قول الرقاشى ، وقيل إنها لأبي نواس :

الآن استرحنا واستراحت ركابنا • وأسلك من يحدى ومن كان يحدى  
قتل للطلح قد أمنت من الشرى • وطى القنق فضعاً بعد فضع  
وقل للنلأ قد ظفرت بجسر • ولن تظفرى من بعد مجر  
وقل للطلح بعد فضل تطل • وكل فرزايا كل يوم تجمد  
ودونك سيفاً برمكياً مهنداً • أصيب بسيف هامى منه  
وقال الرقاشى ، وقد فطر إلى جعفر وهو على جذعه :

أما والله لولا خوف واشى • وعين الخليفة لا تنام  
لننأ حول جثتك واستلنا • كما قنأس بالمجر استلام  
فما أبصرت قبلك يا ابن يحيى • حلما فله السيف الحام  
على القنات والنديا جميعاً • ودودة آكل برمك السلام

قال فاستدعاه الرشيد فقال له : كم كان يملك جعفر كل عام ؟ قال : ألف دينار . قال : فأمر له

بأنقى دينار . وقال الزبير بن بكار عن عمه مصعب الزبيرى قال : لما قتل الرشيد جعفرًا وثبت امرأته على حمار فاره فقالت بلسان فصيح : والله يا جعفر لئن صرت اليوم آية لقد كنت فى المكارم غاية ، ثم أنشأت تقول :

ولما رأيت السيف خالط جعفرًا • وكأدى مناد للخليفة فى يحيى  
بكيت على الدنيا وأقنت أنما • قصارى الفتى يوماً مفارقة الدنيا  
وما هى إلا دولة بعد دولة • تحوّل ذا ندى ونقيب ذا بلوى  
إذا أنزلت هذا منازل روضة • من الملك حطت ذال إلى الناية القصرى

قال : ثم حرك حمارها فنهبت فكأنها كانت رجلاً لا أثر لها ، ولا يعرف أين ذهبت .  
وذكر ابن الجوزى أن جعفرًا كان له جارية يقال لها ثينة مفضية ، لم يكن لها فى الدنيا نظير ، كان يشتراها عليه بن معها من الجوارى مائة ألف دينار ، فطلبها منه الرشيد فامتنع من ذلك ، فلما قتله الرشيد أصعق نك الجارية فأحضرها ليلة فى مجلس شرابه وعنده جماعة من جلسائه وسأروه ، فأمر من معها أن يفتن فاندفعت كل واحدة تفتى ، حتى انتهت التوبة إلى فحشة ، فأمرها بالنساء فأسلبت دمعها وقالت : أما بعد السادة فلا . فنضب الرشيد غضباً شديداً ، وأمر بعض الحاضرين أن يأخذها إليه فقد وهبها له ، ثم لما أراد الانصراف قال له فيما بينه وبينه : لا تطلقها . فهم أنه إنما يريد بذلك كسرها . فلما كان بعد ذلك أحضرها ، أظهر أنه قد رضى عنها وأمرها بالنساء فامتنعت وأرسلت دمعها وقالت : أما بعد السادة فلا . فنضب الرشيد أشد من غضبه فى المرة الأولى وقال : النطم والسيف ، وجاء السيف فوقف على رأسها فقال له الرشيد : إذا أمرتك فلا وعقدت أسأبى فلا فاضرب . ثم قال لها غن : فبكيت وقالت : أما بعد السادة فلا . فقد أصعبه الانصراف ، ثم أمرها الثانية فامتنعت ، فقد افتتن ، فارتعد الحاضرون وأشفقوا غاية الاشفاق وأقبلوا عليها يسألونها أن تفتى لئلا تقتل نفسها ، وأن يجيب أمير المؤمنين إلى ما يريد . ثم أمرها الثالثة فاندفعت تفتى كارهة :

لما رأيت الدنيا قد درست • أيقنت أن التميم لم يمد

قال فوثب إليها الرشيد وأخذ المود من يدها وأقبل يضرب به وجهها ورأسها حتى تكسر ، وأقبلت الدماء وتطابت الجوارى من حولها ، وحملت من بين يديه فأتت بعد ثلاث .

وروى أن الرشيد كان يقول : لمن الله من أغرائى بالمرامكة ، فما وجدت بدم لذة ولا راحة ولا رجاء ، وددت والله أنى شطرت نصف عمرى وملكت وأنى تركتهم على حلهم .

وحكى ابن خلكان أن جعفرًا اشترى جارية من رجل بأربعين ألف دينار ، فالتفت إلى قائمها وقالت : اذكر العهد الذى بينى وبينك ، لا تأكل من غنى شيئاً . فبكى سيدها وقال : اشهدوا أنها

حرة ، وأتى قد تزوجتها . فقال جعفر : أشهدوا أن النبي له أيضا . وكتب إلى نائب له : أما بعد فقد  
 كثير شاكركم ، وقد شاكروك ، فأما أن تعمل ، وإما تعزل . ومن أحسن ما وقع منه من التلطف  
 في إزالة هم الرشيد ، وقد دخل عليه ، فخرج اليهودي فأخبره أنه سيموت في هذه السنة ، فحمل الرشيد  
 همًا عظيمًا ، فدخل عليه جعفر فسأله : ما الخبر ؟ فأخبره يقول اليهودي فاستدعى جعفر اليهودي  
 فقال له : كم بقي لك من العمر ؟ فذكر مدة طويها . فقال : يا أمير المؤمنين أقتله حتى تعلم كذبه فيما  
 أخبر عن عمره . فأمر الرشيد باليهودي قتل ، وصري عن الرشيد الذي كان فيه .

وبعد مقتل البرامكة قتل الرشيد إبراهيم بن عثمان بن هنيك ، وذلك أنه حزن على البرامكة ،  
 ولا سيما على جعفر ، كان يكثر البكاء عليهم ، ثم خرج من حيز البكاء إلى حيز الانصرار لهم والأخذ  
 بشأهم ، وكان إذا شرب في منزله يقول لجاريته : اتقي بسقي ، فيسقي ، فيسقي ، ثم يقول : والله لا تقتل قائله ،  
 فأكثر أن يقول ذلك ، فغشى ابنه عثمان أن يطالع الخليفة على ذلك فيهلكهم عن آخرهم ، ورأى أن  
 أباه لا يتزعج عن هذا ، فذهب إلى الفضل بن الربيع فأعلمه ، فأخبر الفضل الخليفة ، فاستدعى به  
 فاستخبره فأخبره ، فقال : من يشهد ملكك عليه ؟ فقال : فلان الخادم . فجاء به فشده ، فقال الرشيد :  
 لا يحل قتل أمير كبير بمجرد قول غلام وخفي ، لماها قد تواطأ على ذلك . فأحضره الرشيد معه  
 على الشراب ثم خلا به فقال : ويحك يا إبراهيم إن عندي سرًّا أحب أن أطلعك عليه ، أفلقني في  
 الليل والتهار . قال : وما هو ؟ قال : إني ندمت على قتل البرامكة ووددت أني خرجت من نصف  
 ملكي ونصف عمري ولم أكن فعلت بهم ما فعلت ، فاني لم أجِدْ بدمي لذة ولا راحة . فقال : رحمه الله  
 على أبي الفضل - يعني جعفرًا - وبكي ، وقال : والله يا سيدي لقد أخطأت في قتله . فقال له : قم  
 لسلك الله ، ثم حبسه ثم قتله بعد ثلاثة أيام . وسلم أهله وولده .

وفي هذه السنة غضب الرشيد على عبد الملك بن صالح بسبب أنه بلغه أنه يريد الخلافة ، واشتد  
 غضبه بسببه على البرامكة الذين هم في الحبوس ، ثم سجنه فلم يزل في السجن حتى مات الرشيد  
 فأخرجته الأمين وعقد له على نياحة الشام . وفيها ثارت التمسبية بالشام بين المضرية والتزارية ،  
 فبعث إليهم الرشيد محمد بن منصور بن زياد فأصلح بينهم .

وفيها كانت زلزلة عظيمة بالمصيصة فاهدم بعض سورها ونضب ماؤها ساعة من الليل . وفيها  
 بعث الرشيد ولده القاسم على الصائفة ، وجعله قربانًا ووسيلة بين يديه ، وولاه العوام ، فسار إلى  
 بلاد الروم فحاصرهم حتى اقتصدوا بخلق من الأسارى يطلقونهم ويرجع عنهم ، فضل ذلك . وفيها  
 تقصت الروم الصلح الذي كان بينهم وبين المسلمين ، الذي كان عقده الرشيد بينه وبين ربي ملكة  
 الروم الملقبة أعظم . وذلك أن الروم عزلوا عنهم وملكوا عليهم التفتور ، وكان شجاعا ، يقال إنه

من سلاة آل جنة ، غفلوا رى وسلموا عليها . فكتب نفور إلى الرشيد : من نفور ملك الروم إلى هارون ملك العرب ، أما بعد فإن الملكة التي كانت قبل أهلكم مقام الرخ ، وأقامت نفسها مقام اليبس ، غفلت إليك من أموالها ما كنت حقيقاً بحبل أمنائه إليها ، وذلك من ضعف النساء وحسنهن ، هذا قرأت كتابي هنا فردد إلى ماحلته إليك من الأموال وأقتد نفسك به ، وبألفالف بيتنا وبينك . فلما قرأ هارون الرشيد كتابه أخذه الغضب الشديد حتى لم يتمكن أحد أن ينظر إليه ، ولا يستطيع مخاطبته ، وأشفق عليه جلساؤه خوفاً منه ، ثم استدعى بدواة وكتب على ظهر الكتاب : بسم الله الرحمن الرحيم ، من هارون أمير المؤمنين إلى نفور كلب الروم . قد قرأت كتابك يا ابن الكفرة ، والجواب ما رآه دون ما قسمه والسلام . ثم شخص من فوره وصار حتى نزل بلب هرقة ففتحها وأصطفى أبنه ملكها ، وغنم من الأموال شيئاً كثيراً ، وخرب وأحرق ، فطلب نفور من المواد إلى خراج يوديه إليه في كل سنة ، فأجابه الرشيد إلى ذلك . فلما رجع من غزواته وصار بالقرعة قضى الكافر المهدي وخان المشائق ، وكان البرد قد اشتد جداً ، فلم يقدر أحد أن يجيئ فيظهر الرشيد بذلك غلظهم على أنفسهم من البرد ، حتى يخرج فصل الشتاء . وحينئذ بالأس فيها عبد الله بن عباس بن محمد بن علي .

#### ذكر من توفي فيها من الأعيان

جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك أبو الفضل البرمكي الوزير ابن الوزير ، ولاء الرشيد للشام وغيرها من البلاد ، وبته إلى دمشق لما كثرت الفتنة المشيرين بموردان بين قيس وبين ، وكان ذلك أول ما ظهرت بين قيس وبين في بلاد الاسلام ، كان خالداً من زمن الجاهلية فألوه في هذا الأوان ، فلما قدم جعفر بجيشه خمدت الشرور وظهر السرور ، وقيل في ذلك أشعار حسان ، قد ذكر ذلك ابن عساكر في ترجمة جعفر من تاريخه منها :-

لقد أوقعت في الشام نيران فتنة • فهنا أولان الشام نخمدت نلوه  
إذا جاش موج البحر من آل برمك • عليها خبت شهباتها وشرارها  
رماها أمير المؤمنين بجعفر • وفيه تلاقى صدعها وأنهارها  
هو الملك المأمول للبر والتقى • وصولاته لا يستطاع خطارها

وهي قصيدة طويلة ، وكانت له صلوة وبلاغة وذكره وكرم زائده ، كان أبوه قد ضمه إلى القاضى أبي يوسف فتنته عليه ، وصار له اختصاص بالرشيد ، وقد وقع ليلة بمحضرة الرشيد زيادة على ألف توقيع ، ولم يخرج في شيء منها عن موجب الفتنة . وقد روى الحديث عن أبيه عن عبد الحميد الكاتب عن عبد الملك بن مروان كاتب خلف من زيد بن ثابت كاتب الحموي . قال قال رسول الله

**عنه** : « إذا كتبت بسم الله الرحمن الرحيم فين السج فيه » . رواه الخطيب وابن عساکر من طريق أبي القاسم الكشي التميمي ، واسمه عبد الله بن أحمد البليخي . وقد كان كاتباً لعبد بن زيد . عن أبيه عن عبد الله بن طاهر عن طاهر بن الحسين بن زريق عن الفضل بن سهل ذي الرياستين عن جعفر بن يحيى . وقال عمرو بن بحر الجاحظ قال جعفر الرشيد : يا أمير المؤمنين ! قل لي أبي يحيى : إذا أقبلت الدنيا عليك فاعط ، وإذا أدبرت فاعط ، فانها لا تبقى ، وأشدني أبي :

لا تبخلني بدنيا وهي مقبلة • فليس تنقصها التبذير والسرف

فلن تولت فأخري فمن تجود بها • الحمدتها إذا ما أدبرت خلف

قال الخطيب : ولقد كان جعفر من عظم القدر وخاذ الأمر وعظم المحل وحلوة المنزلة عند الرشيد على حلة اغتردها ، ولم يشاركه فيها أحد . وكان صبح الأخلق طلق الوجه طاهر البشر . أما جوده وسخاؤه وبذله ومطلوه فأشهر من أن يذكر . وكان أيضاً من ذوى الفصاحة والمذكورين بالبلاغة .

وروى ابن عساکر عن مهذب حاجب العباس بن محمد صاحب قطيعة العباس والعباسية أنه أصابته فاقة وضاجة ، وكان عليه ديون ، فألح عليه المطلبون وعندده سقط فيه جواهر شراؤه عليه ألف ألف ، فأبى به جعفراً فصره عليه وأخبره بما هو عليه من الدين ، وأخبره بالمخاض المطلبين بدونهم ، وأنه لم يبق له سوى هذا السقط . قال : قد اشترت منك بألف ألف ثم أقبضت المال وقبض السقط منه ، وكان ذلك ليلاً . ثم أمر من ذهب المال إلى منزله وأجلسه معه في السرور تلك الليلة ، فلما رجع إلى منزله إذا السقط قد سبقه إلى منزله أيضاً . قال فلما أصبحت فعدت إلى جعفر لا تشكره فوجدته مع أخيه الفضل على باب الرشيد يستأذنان عليه ، وقال له جعفر : إني قد ذكرت أمرك للفضل ، وقد أمر لك بألف ألف . وما أظنها إلا قد سبقتك إلى منزلك ، وسأطوئ فيك أمير المؤمنين . فلما دخل ذكر له أمره وما لحقه من الديون فأمره بتلاصق ألف دينار .

وكان جعفر ليلة في صحراء عند بعض أصحابه نجاة الخنساء فركبت ثياب الرجل فألقها عنه جعفر وقال فإني الناس يقولون : من قصده الخنساء يشر على عصيته . فأمر له جعفر بألف دينار . ثم عاد إلى الخنساء ، فرجعت إلى الرجل فأمره بألف دينار أخرى .

وحج مرة مع الرشيد فلما كانوا بالمدينة قال لرجل من أصحابه : انظر جارية اشتريتها تكون فاقعة في الجلال والفناء والعبادة ، ففتش الرجل فوجد [ جارية ] على النمت فطلب سيدها فيها مالا كثيراً على أن يراها جعفر ، فذهب جعفر إلى منزل سيدها فلما رآها أحببها ، فلما فتنه أمهيتها أكثر ، فلوامه صاحبها فيها ، فقال له جعفر : قد أحضرتك مالا هن أعجبك وإلا زدك ، فقال لها سيدها : إني كنت في فاقة وكنت عندى في غاية السرور ، وإني قد انقبض على حالي ، وإني قد أحببت أن

أبيك لهذا الملك ، لكي تكفى عنى عنه كما كنت عنى . فقالت له الجارية : والله يا سيدى لو ملكت منك كما ملكت منى لم أهلك بالدنيا وما فيها ، وأين ما كنت عاهدتنى أن لا تبغىنى ولا تأكل من منى . فقال سيدها جعفر وأصحابه : أشهدكم أنها حرة لوجه الله ، وأنى قد تزوجتها . فلما قال ذلك نهض جعفر وقام أصحابه وأمرؤا الرجال أن يحمل المال . فقال جعفر : والله لا يقبضى ، وقال للرجل : قد ملكتك هذا المال فأنته على أهلك ، وذهب وتركه .

هذا وقد كان يميل بالنسبة إلى أخيه الفضل ، إلا أن الفضل كان أكثر منه مالا . وروى ابن عساکر من طريق الدارقطنى بسنده أنه لما أصيب جعفر وجسموا له فى جرة ألف دينار ، زنة كل دينار مائة دينار ، مكتوب على صفحة الدينار جعفر

وأصفر من ضرب دار الملوك • يلوح على وجهه جعفر  
يزيد على مائة واحداً • متى تمطه معسراً يوسر

وقال أحمد بن المولى الراوية : كتبت عنان جارية الناطقى لجعفر تطلب منه أن يقول لأبيه يحيى أن يشير على الرشيد بشرائها ، وكتبت إليه هذه الأبيات من شعرها فى جعفر :-

يا لائى جهلا ألا تقصر • من ذا على حر الهوى يصبر  
لا تلحنى إذا شربت الهوى • صرقاً فمزوج الهوى سكر  
أحاط بى الحب غفاني له • بحر وقد أسمى له أبهر  
تخفق رأيت الهوى بالردى • فوق وحول الهوى عسكر  
سيان عندى فى الهوى لائم • أقل فيه والقى يكثر  
أنت المصطفى من بنى برمك • يا جعفر الخيرات يا جعفر  
لا يبلغ الواصف فى وصفه • ما فيك من فضل ولا يعسر  
من وفر المال لأغراضه • لجعفر أغراضه أوفر  
ديباجة الملك على وجهه • وفى يديه المراض المطر  
سحت علينا منهما ديمة • ينهل منها الذهب الأحمر  
لومحت كفاه جلودة • نضر فيها الورق الأخضر  
لا يستمجد إلا فنى • يصبر البذل كما يصبر  
يهتز كاج الملك من فوقه • نغراً ويهز تحته المنبر  
أشبه البحر إذا ما بدا • أو غرة فى وجهه يزهر  
والله ما أدرى أبدر الهوى • فى وجهه أم وجهه أنور



يسمى الزوار منك الندى • وأنت بالزدار تستبشر  
 وكتبت تحت أبياتها حاجتها ، فركب من فوره إلى أبيه فأدخله على الخليفة فأشار عليه بشرائها  
 فقال : لا والله لا أشتريها ، وقد قال فيها الشراء فأذنبوا ، واشتبر أمرها وهي التي يقول فيها أبو نواس :  
 لا يشتريها إلا ابن زانية • أو قلعبيان يكون من كانا  
 ولحن ثملة بن أشرس قال : بت ليلة مع جعفر بن يحيى بن خالد ، فأنقته من منامه يبكي مذعوراً  
 فقلت : ما شأنك ؟ قال : رأيت شيخاً جاء فأخذ يضادني هذا الباب وقال :  
 كأن لم يكن بين المحبون إلى الصفا • أنيس ولم يسمر بمكة سامر  
 قال فأنجته : بلى نحن كنا أهلها فأبدانا • صروف أهبال والجودود المواتر  
 قال ثملة : فلما كانت الليلة القابلة قتله الرشيد ونصب رأسه على الجسر ثم خرج الرشيد فنظر  
 إليه فأنمله ثم أنشأ يقول :

تفاضك دهرك ما أسلفنا • وكبر عيشك بعد الصفا  
 فلا تسجين فان الزمان • رهين بتفريق ما أنفا  
 قال : فنظرت إلى جعفر وقلت : أما لئن أصبحت اليوم آية فلقد كنت في الكرم والجود غاية ،  
 قال : فنظر إلى كأنه جل صول ثم أنشأ يقول : —  
 ما يعجب العالم من جعفر • ما عاينوه فبنا كانا  
 من جعفر أو من أبوه ومن • كانت بنو برك لولانا  
 ثم حول وجه فرسه والصرف .

وقد كان مقتل جعفر ليلة السبت منهل صفر من سنة سبع وثمانين ومائة ، وكان عمره سبعاً  
 وثلاثين سنة ، ومكث وزيراً سبع عشرة سنة . وقد دخلت عبادة أم جعفر على أناس في يوم عيد  
 أضحى تستمنحهم جلد كبش تدفأ به ، فسألوها عن ما كانت فيه من النعمة فقالت : لقد أصبحت في  
 مثل هذا اليوم وإن على رأسي أربعمائة وصيفة ، وأقول إن ابني جعفر أعلق لي . وروى الخطيب  
 البغدادي بإسناده أن سفیان بن عيينة لما بلغه قتل الرشيد جعفرًا وما أحل بالبرامكة ، استقبل القبلة  
 وقال : اللهم إن جعفرًا كان قد كفاني مؤنة الدنيا فكفه مؤنة الآخرة .

### ( حكاية غريبة )

ذكر ابن الجوزي في المنتظم أن المأمون بلغه أن رجلاً يأتي كل يوم إلى قبور البرامكة فيبكي  
 عليهم ويندبهم ، فبحث من جاء به فنخل عليه وقال : نكس من الحياة ، فقال له : وبكث اما يهلك على  
 صنمك هذا ؟ فقال : يا أمير المؤمنين إنيهم أسدوا إلى معروفًا وخيراً كثيراً . فقال : وما الذي

أُسدوه إليك؟ قال: أنا المنذر بن المنذر من أهل دمشق، كنت بمشقة في نعمة عظيمة واسعة، فزالت عني حتى أفضى في الحال إلى أن يست داري، ثم لم يبق لي شيء، فأشار بعض أصحابي على بقصد البرامكة ببنداد، فأنتيت أهل وتحملت بيالي، فأنتيت ببنداد ومسي نيف وعشرون امرأة فأنزلن في مسجد مجور ثم قصفت مسجدا مأهولا أصلي فيه. ففعلت مسجداً فيه جماعة لم أر أحسن وجوهاً منهم، فجلست إليهم فعملت أدبر في نسي كلاماً أطلب به منهم قوتاً لأميال الذين معي، فبينما من ذلك السؤال الحياء، فبينما أنا كذلك إذ بخلادم قد أقبل فدعاهم فقاموا كلهم وقت معهم، فدخلوا داراً عظيمة، فإذا الوزير يحيى بن خالد جالس فيها فجلسوا حوله، ففقد عقد ابنته عائشة على ابنهم له ونثروا فلق المسك وبنادق النبر، ثم جاء الخدم إلى كل واحد من الجماعة بصينية من فضة فيها ألف دينار، وسما فلت المسك، فأخذها القوم ونهضوا وبقيت أنا جالساً، وبين يدي الصينية التي وضعوها لي، وأنا أعاب أن آخذها من عظمة في نفسي، فقال لي بعض الحاضرين: ألا تأخذها وتذهب؟ فعدت يدي فأخذتها فأفرغت ذهبها في جبي وأخذت الصينية تحت إبطي وقت، وأنا أعاب أن تؤخذ مني، فجلست أتلقت والوزير ينظر إلى وأنا لا أشعر، فلما بلغت السترة أمرم فردوني فيئت من المال، فلما رجعت قال لي: ما شألك خائف؟ فقصصت عليه خبري، فبكي ثم قال لأولاده: خذوا هذا فضموه إليكم. فجاءني خادم فأخذ مني الصينية والذهب وأقت عتدم عشرة أيام من ولد إلى ولد، وخاطري كله عند عيالي، ولا يمكنني الانصراف، فلما انقضت المشرة الأيام جاءني خادم قال: ألا تذهب إلى عيالك؟ قلت: بلى والله، فقام يمشي أمامي ولم يعطني الذهب ولا الصينية، قلت: يا ليت هذا كان قبل أن يؤخذ مني الصينية والذهب، يا ليت عيالي رأوا ذلك. فسار يمشي أمامي إلى دار لم أر أحسن منها، فدخلتها فإذا عيالي يتمرغون في الذهب والحرير ففجأ، وقد بنوا إلى الدار مائة ألف درهم وعشرة آلاف دينار، وكتبا فيه تملك الدار بما فيها، وكتبا آخر فيه تملك قريتين جبلتين، فكننت مع البرامكة في أطيب عيش، فلما أصيبوا أخذ مني عمرو بن مسعدة القريتين وألزمني بخرابهما، فكلما لحقني فاقة قصصت دورم وقبورم فبكت عليهم. فأمر المأمون برد القريتين، فبكي الشيخ بكاء شديداً فقال المأمون: مالك؟ ألم استأنف بك جيلاً؟ قال: بلى ولكن هو من بركة البرامكة. فقال له المأمون: امض مصاحباً لمن الوفاء بملك، ومراعاة حسن العهد والصحة من الأيمان، وفيها توفي:

#### (الفضل بن عياض)

أبو علي الحمصي أخذ أمة العباد الزهاد، وهو أحد العلماء والأولياء، ولد بخراسان بكورة دينور وقدم الكوفة وهو كبير، فسمع بها الأعمش ومنصور بن المنذر وعطاء بن السائب وحصين بن

عبد الرحمن وغيرهم . ثم انتقل إلى مكة فتميد بها ، وكان حسن التلاوة كثير الصلاة والصيام ، وكان سيداً جليلاً ثقة من أئمة الرواية وجه الله ورضى عنه . وله مع الرشيد قصة طويلة ، وقد روينا ذلك مطولاً في كيفية دخول الرشيد عليه منزله ، وما قال له الفضيل بن عياض ، وعرض عليه الرشيد المال فأنى أن يقبل منه ذلك . توفي بمكة في المحرم من هذه السنة . وذكروا أنه كان شاعراً يقطع الطريق ، وكان يتمشق جارية ، فبينما هو ذات ليلة يقسور عليها جداراً إذ يذم مع ثلثاً يقرأ ( ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله ) قال : بل ! وتلب وأفلح مما كان عليه . ورجع إلى خربة فبات بها فسمع سفاراً يقولون : خسنوا حفركم إن فضيلاً أمامكم يقطع الطريق ، فأمهم واستمر على توبته حتى كان منما كان من السيادة والعبادة والزهادة ، ثم صار علماً يقتدى به ويهتدى بكلامه وفعله . قال الفضيل : لو أن الدنيا كلها حلال لأحاسب بها لكنت أختنقها كما يتقنر أحدكم الجيفة إذا مر بها أن تصيب نوبه ، وقال : العمل لأجل الناس شرك ، وترك العمل لأجل الناس رياء ، والاختلاس أن يدافيك الله منهما . وقال له الرشيد يوماً : ما أزهلك ، فقال : أنت أزهد مني ، لأنى أنا زهدت في الدنيا التي هي أقل من جناح بومة ، وأنت زهدت في الآخرة التي لا قيمة لها ، فأنا زاهد في الدنيا وأنت زاهد في الباقي ، ومن زهد في درة أزهد من زهد في برة . وقد روى مثل هذا من أبي سلمة أنه قال ذلك لسليمان بن عبد الملك .

وقال : لو أنى دعوة مستجابة لجعلتها للامام ، لأن به صلاح الرعية ، فإذا صلح أنت المباد والبلاد . وقال : إني لأعصى الله فأعرف ذلك في خلق حارى وخلاصى وأمرأتى وفأريتنى [ وقال في قوله تعالى : ( ليلوكم أيكم أحسن عملاً ) . قال : يعنى أخلصه وأصوبه ، إن العمل يجب أن يكون خالصاً لله ، وموالياً على متابعة النبي ﷺ ] (١) وفيها توفى :

بشرب الفضل . وعبد السلام بن حرب . وعبد العزيز بن محمد الدراودى . وعبد العزيز اللسى . وعمل بن عيسى ، الأمير ببلاد الروم مع القاسم بن الرشيد في الصائفة . ومعمتر بن سليمان وأبو شبيب البرائى الزاهد ، وكان أول من سكن برائاً في كوخ له يتعبد فيه ، فهو فيه امرأة من بنات الرؤساء فأفضلت مما كانت فيه من الدنيا والسعادة والحشة ، وتزوجته وأقامت معه في كوخه تتعبد حتى ماتا ، يقال إن اسمها جوهرة .

( ثم دخلت سنة ثمان وخمسين ومائة )

فيها غزا إبراهيم بن إسرائيل الصائفة فدخل بلاد الروم من حرب الصفصاف ففرج القنطور ههنا ففرج القنطور ثلاث جراح ، واتهم ، وقتل من أصحابه أكثر من أربعين ألفاً ، وغنموا أكثر من (١) زبحة من المصرية .

أربعة آلاف دابة . وفيها رابط القاسم بن الرشيد بمرج دابق . وفيها حج بالناس الرشيد ، وكانت آخر حجاته . وقد قال أبو بكر حين رأى الرشيد منصرفاً من الحج - وقد اجتاز بالكوفة - لا يبيع الرشيد بعدها ، ولا يبيع بعده خليفة أبداً . وقد رأى الرشيد يهلول المولاه فوعظه موعظة حسنة ، فروينا من طريق الفضل بن الربيع الحجاب قال : حجبت مع الرشيد فررنا بالكوفة فإذا يهلول المجنون يهذى ، فقلت : اسكت فقد أقبل أمير المؤمنين ، فسكت . فلما حاذاه الهودج قال : يا أمير المؤمنين حدثني أين بن نائل ثنا قدامة بن عبد الله العامري قال : رأيت النبي ﷺ يعني على جبل ونحته رجل رث ، ولم يكن ثم طرد ولا ضرب ولا إليك إليك . قال الربيع فقلت : يا أمير المؤمنين إنه يهلول ، فقال : قد عرفته ، قل يا يهلول فقال :

هَبْ أَنْ قَدْ مَلَكْتَ الْأَرْضَ طَرَأَ • ودان لك المباد فكان ماذا

أليس غداً مصيرك جوف قبر • ويخوع عليك القراب هذا ثم هذا

قال : أجبته يا يهلول ، أفخيره ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين ! من رزقه الله مالا وجالا صف في جسده ، وواسى في ماله ، كتب في ديوان الله من الأبرار . قال : فظن أنه يريد شيئاً ، فقال : إنا أمرنا بقضاء دينك . فقال : لا تفعل يا أمير المؤمنين ، لا يقضى دين مدين ، أردت الحق إلى أهله وأقضى دين نفسك من نفسك . قال : إنا أمرنا أن نجري عليك رزق ثقتنا به . قال : لا تفعل يا أمير المؤمنين فإنه سببنا لا يملطك وينسأني ، [وها أنا قد عشت حرراً لم نجر على رزقا ، انصرف لاحاجة لي في جرابتيك . قال : هذه ألف دينار خفها . قال : أرددها على أمصها فهو خير لك ، وما أصنع أنا بها ؟ انصرف عني فقد آذيتني . قال : فانصرف عنه الرشيد وقد تصاغرت عنده الدنيا ] <sup>(١)</sup> ومن توفى فيها من الأعيان :

﴿ أبو إسحاق الفزاري ﴾

إبراهيم بن محمد بن الحارث بن إسماعيل بن خارجة ، إمام أهل الشام في المنزلة وغير ذلك . أخذ عن الثوري والأوزاعي وغيرهما ، توفي في هذه السنة . وقيل قبلها .

﴿ وإبراهيم الموصلي ﴾

النديم ، وهو إبراهيم بن ماهان بن بهمن أبو إسحاق ، أحد الشعراء والمفتين والندماء للرشيد وغيره ، أصله من الفرس . ولد بالكوفة وصحب شيائهما وأخذ عنهم الثناء ، ثم سافر إلى الموصلي ثم عاد إلى الكوفة فقالوا : الموصلي . ثم اتصل بالخلفاء أولهم المهدي وحظي عند الرشيد ، وكان من جملة سياره وندمائه ومقنبيه ، وقد أثرى وكثر ماله جداً ، حتى قيل إنه ترك أربعة وعشرين ألف ألف

درم ، وكانت له طرف وحكايات غريبة ، وكان وله سنة خمس عشرة ومائة في الكوفة ، ونشأ في كفالة بني عجم ، فتعلم منهم ونسب إليهم ، وكان فاضلاً بارعاً في صناعة الفناء ، وكان مزوجاً بأخت المنصور الملقب بززل ، الذي كان يضرب به ، فاذا غنى هذا وضرب هذا اهتز المجلس . توفي في هذه السنة على الصحيح ، وحكي ابن خلكان في الوفيات أنه توفي وأبو العتاهية وأبو عمر والشيباني ببغداد في يوم واحد من سنة ثلاث عشرة مائتين . وصحح الأول . ومن قوله في شعره عند احتضاره قوله :

ملّ والله طيبى • من مقاساة الذى في

سوف أنفى عن قريب • لمسعودي وحبيب

وفيه مات جرير بن عبد الحميد . ورشد بن سعد . وعبد بن سليمان . وعقبة بن خالد . وعمر ابن أيوب العابد أحد مشايخ أحمد بن حنبل . وعيسى بن يونس في قول .

( ثم دخلت سنة تسع ومائتين ومائة )

فيها رجع الرشيد من الحج وسار إلى الرى فولى وعزل . وفيها رد على بن عيسى إلى ولاية خراسان ، وجاءه تواب تلك البلاد بالهدايا والتحف من سائر الأشكال والألوان ، ثم عاد إلى بغداد فأدركه عيد الأضحى بقصر العصوص فضحى عنده ، ودخل إلى بغداد ثلاث بقين من ذى الحجة ، فلما اجتاز بالجسر أمر بجثة جعفر بن يحيى البرمكي فأحرقت ودفنت ، وكانت مصلوبة من حين قتل إلى هذا اليوم ، ثم ارتحل الرشيد من بغداد إلى الرقة ليسكنها وهو متأسف على بغداد وطبيها ، وإتمام مراده بمقامه بالرقعة دفع المفسدين بها ، وقد قال العباس بن الأحنف في خروجهم من بغداد مع الرشيد :

ما أنفخنا حتى ارتحلنا فاذ • فرق بين المناخ والأرغال

ساملونا عن حالنا إذ قمنا • قترنا وداعهم بالسؤال

وفيها نادى الرشيد الأسارى من المسلمين الذين كانوا ببلاد الروم ، حتى يقال إنه لم يترك بها أسيراً من المسلمين . فقال فيه بعض الشعراء :

وفكت بك الأسرى التى شيدت لها • محاسن ما فيها حميم يزورها

على حين أعيى المسلمين فكأكها • وقالوا سجون المشركين قبورها

وفيها رابط القاسم بن الرشيد بمرج دابق بمحاصر الروم . وفيها حج بالناس العباس بن موسى ابن محمد بن علي بن عبد الله بن عيسى .

( ذكر من توفي فيها من الأعيان )

على بن حمزة بن عبد الله بن فيروز أبو الحسن الأسدي مولاهم ، الكوفي المعروف بالكسافي لأحرامه في كساء ، وقيل لاشتغاله على حمزة الزيات في كساء ، كان نحوياً لغوياً أحد أئمة القراء ، أصله

من الكوفة ثم استوطن بغداد ، فأحب الرشيد وولاه الأمين ، وقد قرأ على حمزة بن حبيب الزيات قراءته ، وكان يقرئ بها ، ثم اختار لنفسه قراءة وكان يقرأ بها . وقد روى عن أبي بكر بن عياش وسفيان بن عيينة وغيرهما ، وعنه يحيى بن زياد الفراء وأبو حبيد . قال الشافعي : من أراد النحو فهو عيال على الكسائي . أخذ الكسائي عن الخليل صناعة النحو خلفه يوماً . عن من أخذت هذا العلم ؟ قال : من بواذي الحجاز . فرحل الكسائي إلى هناك فكتب عن العرب شيئاً كثيراً ، ثم عاد إلى الخليل فاذا هو قد مات وتصدف في موضعه يونس ، فبقرت بينهما مناظرات أقرت فيها يونس بالفضل ، وأجلسه في موضعه .

قال الكسائي : صليت يوماً بالرشيد فأعجبني قراءتي ، فنزلت غلطة ما غلطها صبي ، أردت أن أقول لهم يرفعون ، قلت لهم ترجمين ، فما تجاسر الرشيد أن يردّها . فلما سألت قال : أي لغة هذه ؟ قلت : إن الجواد قد يمتدح . فقال : فلما هذا قسم . وقال بعضهم : لبيت الكسائي فاذا هو مهوم ، قلت : ما لك ؟ قال : إن يحيى بن خلف قد وجه إلى ليماني عن أشياء فأخشي من الخطأ ، قلت : قل ما شئت فأنت الكسائي ، فقال : قطعه الله - يعني لسانه - إن قلت ما لم أعلم . وقال الكسائي يوماً قلت لنجار : بك هذان البايان ؟ قال : بسالطين يا مصطنع .

توفي الكسائي في هذه السنة على المشهور ، عن سبعين سنة . وكان في محبة الرشيد يبلد الري فأتى بنواحيها هو ومحمد بن الحسن في يوم واحد ، وكان الرشيد يقول : دفنت الله والمرتبة بالري . قال ابن خلصان : وقيل إن الكسائي توفي بطوس سنة ثنتين وثمانين ومائة ، وقد رأى بعضهم الكسائي في المنام ووجهه كالبرق قال : ما فعل بك ربك ؟ فقال : غفر لي بالقرآن . قلت : ما فعل حمزة ؟ قال : ذلك في عليين ، ما نراه إلا كأنه الكوكب . وفيها توفي :

#### ﴿ محمد بن الحسن بن زفر ﴾

أبو عبد الله الشيباني مولاهم ، صاحب أبي حنيفة . أصله من قرية من قرى دمشق ، قدم أبوه العراق فولد بواسط سنة ثنتين وثلاثين ومائة ، ونشأ بالكوفة فسمع من أبي حنيفة ومسلم والثوري وعمر بن ذر ومالك بن مغول ، وكتب عن مالك بن أنس والأوزاعي وأبي يوسف ، وسكن بغداد وحدث بها ، وكتب عنه الشافعي حين قدمها في سنة أربع وثمانين ومائة ، وولاه الرشيد قضاء الرقة ثم عزله . وكان يقول لأخيه : لا تسألني حاجة من حاجات الدنيا فخشعوا قلبي . وخفوا ما شغل من مالي فانه أقل لمي وأفرغ قلبي . وقال الشافعي : ما رأيت حبراً سمياً مثله ، ولا رأيت أخف روحاً منه ، ولا أفصح منه . كنت إذا سمعته يقرأ القرآن كأنما ينزل القرآن بلفظه . وقال أيضاً : ما رأيت أعقل منه ، كان علماً العين والقلب ، قال الطحاوي : كان الشافعي قد طلب من محمد بن الحسن

كتاب السير فلم يجبه إلى الاطراء فكاتب إليه :-

قل لهدى لم تر عيناى مثله • حق كأن من رآه قد رأى من قبله

اللم ينهى أهله أن يسموه أهله • لعله ينفله لأهله لعله

قال : فوجه به إليه في الحال هدية لاطرية . وقال إبراهيم الخري : قبل لأحمد بن حنبل : هذه المسائل الدقاق من أين هي لك ؟ قال : من كتب محمد بن الحسن رحمه الله . وقد تقدم أنه مات هو والكسائي في يوم واحد من هذه السنة . فقال الرشيد : دفنت اليوم الله واللهم جميعاً . وكان عمره ثمانية وخمسين سنة . ( ثم دخلت سنة تسعين ومائة من الهجرة )

فيها خلع رافع بن ليث بن نصر بن حبلر نائب بمصر قنصل الطاعة ودعا إلى نفسه ، وتابته أهل بلده وطائفة كثيرة من تلك الناحية ، واستنصل أمره ، فسار إليه نائب خراسان علي بن عيسى فهرمه رافع وقامهم الأمر به . وفيها صار الرشيد لفز وبلاد الروم لمشر بقين من رجب ، وقد لبس على رأسه قلنسوة قال فيها أبو الملا السكلاي :

فمن يطلب قدامك أو يرد • فلبطرمين أو أقصى الثنور

ففي أرض المدو على طبر • وفي أرض الترفه فوق كور

وما حاز الثنور وسواك خلق • من المتخلفين على الأمور

فسار حتى وصل إلى الطوانة فسكر بها وبث إليه قنصور بالطاعة وحمل الخراج والجزية حتى عن رأس ولده ورأسه ، وأهل مملكته ، في كل سنة خمسة عشر ألف دينار ، وبث يطلب من الرشيد بطرية قد أمرها وكانت ابنة ملك هرقة ، وكان قد خطبها على ولده ، فبث بها الرشيد مع هدايا ونصع وطيب وبث يطلبه من الرشيد ، واشتروط عليه الرشيد أن يحمل في كل سنة ثلثمائة ألف دينار ، ولأن لا يمر هرقة . ثم انصرف الرشيد راجعاً واستناب على الفزو عقبة بن جعفر . ونقض أهل قبرص العهد فتزاحم ميعوف بن يحيى ، فسي أهلها وقتل منهم خلقاً كثيراً . وخرج رجل من عبد القيس فبث إليه الرشيد من قتله . وحج بالناس فيها عيسى بن موسى الهادي .

﴿ ذكر من توفي فيها من الأعيان والمشاهير ﴾

أسد بن هرو بن عامر أبو المنذر البجلي الكوفي صاحب أبي حنيفة ، حكم بيقداد وبواسط ، ظا انكف بصره عزل نفسه عن القضاء . قال أحمد بن حنبل : كان صدوقاً . ووقع ابن معين ، وتكلم فيه علي بن المديني والبخاري ( وسعدون المجنون ) صام ستين سنة تخف دماغه فيها الناس مجنوناً ، ودفن يوماً على حلقة ذي النون المصري فسمع كلامه فصرخ ثم أنشأ يقول :

ولا خير في شكوى إلى غير مشنكي • ولا بد من شكوى إذا لم يكن صبر

وقال الأصمى : مبررت به وهو جالس عنده رأس شيخ سكران يذب عنه ، فبات له . مالى أراك عند رأس هذا الشيخ ؟ فقال : إنه مجنون . قلت : أنت مجنون أو هو ؟ قال : لا ، هو ، لأنى صليت الظهر والعصر فى جماعة وهو لم يصل جماعة ولا فرادى . وهو مع هذا قد شرب الخمر وأنا لم أشربها . قلت : فهل قلت فى هذا شيئاً ؟ قال : نعم ، ثم أنشأ يقول : -

تركت النبيذ لأهل النبيذ • وأصبحت أشرب ماء قراحا

لأن النبيذ يذل العزیز • ويكسو السواد الوجوه الصباحا

فان كان ذا جأرا للشباب • فما المغرمة إذا الشيب لاحا

قال الأصمى : قلت له : صدقت ، أنت العاقل وهو المجنون .

( وعبيدة بن حميد ) بن صهيب ، أبو عبد الرحمن القمى الكوفى ، مؤدب الأمين . وهو من الأعمش وغيره ، وعنه أحمد بن حنبل . وكان يلقى عليه . وفيها توفى :

( يحيى بن خالد بن برمك )

أبو على الوزير والد جعفر البرمكى ، ضم إليه المهدي ولده الرشيد فرباه ، وأرضعته امرأته مع الفضل بن يحيى ، فلما ولى الرشيد عرف له حقه ، وكان يقول : قال أبى ، قال أبى . وفوض إليه أمور الخلافة وأزمتها ، ولم يزل كذلك حتى نكبت البرامكة فقتل جعفر وخذه أباه يحيى فى المجلس حتى مات فى هذه السنة . وكان كرمياً فصيحاً ، ذا رأى سديد ، يظهر من أموره خير وصلاح . قال يوماً لولده : خذوا من كل شئ طرفة ، فان من جهل شيئاً عاداه . وقال لأولاده : اكتبوا أحسن ما تسمعون ، واحفظوا أحسن ما تكتبون ، ونجدثوا بأحسن ما تحفظون . وكان يقول لهم : إذا أقيمت الدنيا فأفقهوا منها فاتها لاتبقى ، وإذا أدبرت فأفقهوا منها فاتها لاتبقى ، وكان إذا سأل سائل فى الطريق وهو راكب أقل ما يأمره به بمائتى درهم فقال رجل يوماً : -

يا سحى الحصور • يحيى • أتيتك لك من فضل ربنا جنتان

كل من مر فى الطريق عليك • فله من نوالكم مائتان

مائتا درهم لمثل قليل • هى كناسر المجلان

قال : صدقت . وأمر سفيق به إلى الهار ، فلما رجع سأل عنه فإذا هو قد تزوج وهو يريد أن يدخل على أهله فأعطاه صدقاتها أربعة آلاف ، وعن دار أربعة آلاف ، وعن الأمثلة أربعة آلاف . وكلفة الدخول أربعة آلاف ، وأربعة آلاف يستظهر بها . وجاء رجل يوماً فسأله شيئاً فقال : ويحك لقد جئت فى وقت لا أم لك فيه مالا ، وقد بحث إلى صاحب لى يطلب منى أن يهدى إلى ما أحب ، وقد بلغتنى أنك تريد أن تبيع جدادى لك ، وأنت قد أعطيت فيها ثلاثة آلاف دينار ، وإنى سأطلبها



فلا تبها منه بأقل من ثلاثين ألف دينار . فجأؤى قبلوا معى بالمساومة إلى عشرين ألف دينار ،  
فما سمعتها نصف قلبى عن ردها ، وأجبت إلى بيعها ، فأخذها وأخذت العشرين ألف دينار . فأهداها  
إلى يحيى ، فلما اجتمعت يحيى قال : بكم بعتها ؟ قلت : بعشرين ألف دينار . قال : إنك تخلص  
خذ جارتك إليك وقد بعث إلى صاحب فارس يطلب منى أن أسهديه شيئاً ، وإنى سأطلبها منه  
فلا تبها بأقل من خمسين ألف دينار . فجأؤى فوصلوا فى ثمنها إلى ثلاثين ألف دينار ، فبعثها منهم .  
فلما جثته لأمى أيضاً وردھا على ، قتلت : أشهدك أنها حرة وأنى قد تزوجتها ، وقلت : جارية قد  
أفادتني خمسين ألف دينار لا أنفرط فيها بعد اليوم .

وذكر الخطيب أن الرشيد طلب من منصور بن زياد عشرة آلاف ألف درهم ، ولم يكن عنده منها  
سوى ألف ألف درهم ، فضايق ذرعاً ، وقد نعوذ بالقتل وخراب الديار إن لم يحلها فى يومه ذلك ،  
فدخل على يحيى بن خالد وذكر أمره فأطلق له خمسة آلاف ألف ، واستطلق له من ابنه الفضل ألفى  
ألف ، وقال لابنه : يا بنى بلنى أنك تريد أن تشتري بها ضيمة . وهذه ضيمة تغل الشكر وتبقى مدى  
الدهر . وأخذ له من ابنه جعفر ألف ألف ، ومن جاريته دنانير عقداً اشتراه بمائة ألف دينار ،  
وعشرون ألف دينار ، وقال للفرس عليه : قد حسبناء عليك بألفى ألف . فلما عرضت الأموال  
على الرشيد رد القعد ، وكان قد وهبه لجارية يحيى ، فلم يمد فيه بعد إذ وهبه . وقال له بعض فيه وم  
فى السجن والقيود : يا بأت إمد الأمر والنهى بالنعمة صرنا إلى هذا الحال ، فقال : يا بنى دعوة مظلوم  
سرت بليل ونحن عنها غافلون ولم يغفل الله عنها . ثم أنشأ يقول :

رب قوم قد غمدوا فى نعمة • زلنا والهمز ريان غسق

سكت الدهر زماناً عنهم • ثم أبكاهم دماحين نطق

وقد كان يحيى بن خالد هذا يجرى على سفيان بن عيينة كل شهر ألف درهم ، وكان سفيان يدعو  
له فى سجوده يقول : اللهم إنه قد كفى المؤنة وفرغنى للعبادة فاكفه أمر آخرته . فلما مات يحيى  
رآه بعض أصحابه فى المنام فقال : ما فعل الله بك ؟ قال : غفر لى بدعاء سفيان .

وقد كانت وفاة يحيى بن خالد رحمه الله فى الحيس فى الرافضة ثلاث خلون من المحرم من هذه السنة  
عن سبعين سنة ، وصلى عليه ابنه الفضل ، ودفن على شط الفرات ، وقد وجد فى جيبه رقعة مكتوب  
فيها بخطه : قد تقدم الخضم ولملدا عليه بالأثر ، والحاكم الحكم العدل الذى لا يجوز ولا يحتاج إلى  
بينة . فحملت إلى الرشيد فلما قرأها بكى بومه ذلك ، ونقى أياماً يتبين الأسى فى وجهه . وقد قال بعض  
الشعراء فى يحيى بن خالد : -

سألت النداء هل أنت حر فقال لا • ولكننى عبد ليحيى بن خالد

قلت شراء على لابل وراثة • توارث رقي والد بسد والد

﴿ ثم دخلت سنة إحدى وتسعين ومائة ﴾

فيها خرج رجل بسواد العراق يقال له ثروان بن سيف ، وجعل ينتقل فيها من بلد إلى بلد ، فوجه إليه الرشيد طوق بن مالك فهزمه وجرح ثروان وقتل طعة أصحابه ، وكتب بالفتح إلى الرشيد . وفيها خرج بالشام أبو النعمان فوجه إليه الرشيد بجي بن مازد واستنابه على الشام . وفيها وقع التلج ببغداد . وفيها غزا بلاد الروم يزيد بن محمد الهبيري في عشرة آلاف ، فأخضت عليه الروم المضيق فقتلوه في حسين من أصحابه صلى مرحطين من طرموس ، وانهمز الباقون ، وولى الرشيد غزو الصائفة لهرمة بن أعين ، وضم إليه ثلاثين ألفاً فيهم مسرور الخادم ، ووليه الثغلات .

وخرج الرشيد إلى الحدث ليكون قريباً منهم . وأمر الرشيد بهدم الكنائس والديور ، وأزاح أهل القمة بتمييز لبابهم وحياتهم في بغداد وغيرها من البلاد . وفيها عزل الرشيد علي بن موسى عن إمرة خراسان وولاه هزيمة بن أعين . وفيها فتح الرشيد هرقة في شوال وخربها وسبي أهلها وبث الجيوش والسراري بأرض الروم إلى عين زربة ، والكنيسة السوداء . وكان دخل هرقة في كل يوم مائة ألف وخمسة وثلاثين ألف مرزق ، وولى حميد بن مسيوف سواحل الشام إلى مصر ، ودخل جزيرة قبرص فسبي أهلها وحملهم حتى باعهم بالراقة ، فبلغ من الأسف أنى دينار ، باعهم أبو البختري القافسي .

وفيها أحل الفضل بن سهل على يدى المأمون . وحج بالناس فيها الفضل بن عباس بن محمد بن علي المباسي ، وكان والي مكة ، ولم يكن للناس بعد هذه السنة صائفة إلى سنة خمس عشرة ومائتين . وفيها توفي من الأعيان :

سلفة بن الفضل الأبرش . وعبد الرحمن بن القاسم النقيع الراوي عن مالك بن يونس بن أبي إسحاق ، قدم على الرشيد فأمر له بمال جزيل ، ونحواً من حسين ألفاً فلم يقبله . والفضل بن موسى الشيباني . ومحمد بن سلفة . ومحمد بن الحسين المصيصي أحد الزهاد الثقات . قال لم أتكلم بكلمة أحتاج إلى الاعتذار منها منذ حسين سنة . وفيها توفي مسر الرقي .

﴿ ثم دخلت سنة ثنتين وتسعين ومائة ﴾

فيها دخل هزيمة بن أعين إلى خراسان فأبى عليها فوقيض على علي بن عيسى فأخذ أمواله وحواصله وأركبه على بئر وجه قذبه ونادى عليه ببلاد خراسان ، وكتب إلى الرشيد بنفك فشكروه على ذلك ، ثم أرسله إلى الرشيد بعد ذلك فحس بداره ببغداد . وفيها ولى الرشيد ثابت بن نصر بن مالك نياية الثبور فدخل بلاد الروم وفتح معلورة . وفيها كان الصلح بين المسلمين والروم على يد ثابت

ابن نصر . وفيها خرجت الطرمية بالجبل و بلاد أذربيجان . فوجه الرشيد إليهم عبد الله بن مالك بن  
المهشم الخزازي في عشرة آلاف فارس قتل منهم خلقاً وأسر وسبي ذراريهم ، وقدم بهم بغداد فأمر  
له الرشيد بقتل الرجال منهم ، وبالقرية فبيسوا فيها . وكان قد غرام قبل ذلك خزجة بن خازم . وفي  
ربيع الأول منها قدم الرشيد من الرقة إلى بغداد في السفن وقد استخلف على الرقة ابنه القاسم  
و **بين يديه** خزجة بن خازم ، ومن نية الرشيد الذهاب إلى خراسان لغزو رافع بن لبث الذي كان قد  
خلع الطاعة واستحوذ على بلاد كثيرة من بلاد سمرقند وغيرها ، ثم خرج الرشيد في شعبان فاصداً  
مهراسن ، واستخلف على بغداد ابنه محمد الأمين ، وسأل المأمون من أبيه أن يخرج معه خوفاً من  
غدر أخيه الأمين ، فأذن له فصار معه وقد عكسا الرشيد في أثناء الطريق إلى بعض أمراءه فجاء به  
الثلاثة الذين جعلهم ولاية العهد من بعده ، وأرواه في جسده ، وقال إن لكل واحد من الأمين  
والمأمون والقاسم عندى عيناً على ، وهم يمدون أغانى ، ويتمنون اقتضاء أبى ، وذلك شرطهم لو لاوا  
يسلمون . ففعل ذلك الأمر ثم أمر له الرشيد بالانصراف إلى عمله وودعه ، وكان آخر العهد به .  
وفيها تمرك مروان **مطروزي** وقتل على السلطان بصف البصرة . وفيها قتل الرشيد المهشم  
اليماني . ومات عيسى بن جعفر وهو يريد الحاق بالرشيد قتل في الطريق . وفيها حج بالناس العباس  
ابن عبد الله بن جعفر بن أبي جعفر المنصور . وفيها توفي :

### ﴿ إسماعيل بن جامع ﴾

ابن إسماعيل بن عبد الله بن المطلب بن أبي جعدة أبو القاسم ، أحد المشاهير للفناء ، كان ممن  
يضرب به المثل ، وقد كان أولاً يحفظ القرآن ثم صار إلى صناعة الفناء وترك القرآن ، وذكر عنه أبو  
الفرج بن علي بن الحسين صاحب الأغاني حكايته غريبة ، من ذلك أنه قال كنت يوماً مشرفاً من  
خربة بجران إذ أقبلت جلابة سوداء معها قرية تسقى الماء ، فجلست ووضعت قربتها وانصغت دقني :

إلى الله أشكو بخلها وسلاحى • لها صل منى وتبذل علقما  
فردى مصلب القلب أنت قتلتها • ولا تتوكله هائم القلب مفرما

قال : فسمعت مالا صبر لي عنه ورجيت أن تميمه قتلت وانصرفت ، فمزلت وانطلقت  
والجها وسألتها أن تميمه قتالت : إن على خراجاً كل يوم درهمين ، فأعطيتها درهمين فأعادتني ففعلتني  
وسلكتني بوى ذلك ، فلما أصبحت أنسيته فأقبلت السوداء فسألتها أن تميمه فلم تقبل إلا بدرهمين ،  
ثم قالت : كأنك تستكثر أربعة دراهم ، كأنى بك وقد أخذت عليه أربعة آلاف دينار . قال ففعلتني  
ليلة فرشيد فأعطاني ألف دينار ، ثم استعادني ثلاث مرات أخرى وأعطاني ثلاثة آلاف دينار ،  
فحبست قتال : مم تبست ؟ فذكرت له القصة فضحك وألقى إلى كيساً آخر فيه ألف دينار . وقال :

لا أكذب السوداء . وحكى عنه أيضاً قال : أصبحت يوماً بالدينة وليس معي إلا ثلاثة دراهم ، فإذا جارية على رقبتها جرة تريد الركي وهي تسعى وترنم بصوت شجي : -

شكونا إلى أحبائنا طول ليلنا • فقالوا لنا ما أقصر أهيل عندنا  
وذاك لأن النوم يفتش عيونهم • سريعاً ولا يفتش لنا النوم أعينا  
إذا مادنا الليل المضر بنى الهوى • جزعنا وهم يستبشرون إذا دنا  
فلو أنهم كانوا يلاقون مثلنا • نلاق لكاتوا في المضاجع مثلنا

قال : فاستمدت منها وأعطيتها الدرهم الثلاثة فقالت : لتأخذن بدلها ألف دينار ، وألف دينار وألف دينار . فأعطاني الرشيد ثلاثة آلاف دينار في ليلة على ذلك الصوت . وفيها توفي :

﴿ بكر بن النطاح ﴾ أبو وائل الحنفي البصري الشاعر المشهور ، نزل بغداد زمن الرشيد ، وكان يخاطب أبا الصاهية . قال أبو عفان : أشعر أهل المدن من المحدثين أربعة ، أولهم بكر بن النطاح . وقال المبرد : سمعت الحسن بن رجاء يقول اجتمع جماعة من الشعراء ومعهم بكر بن النطاح يتناشدون ، فلما فرغوا من طولهم أنشد بكر بن النطاح لنفسه :

ما ضرها لو كتبت بالرضى • فجف جفن الدين أو انخفضا  
شفاة مردودة عندها • في عاشق يود لو قد قضى  
يا نفس صبراً واعلى أعما • يأمل منها مثلنا قد مضى  
لم تمرض الأجفان من قاتل • بلعظه إلا لأن أرضا

قال : فابتدروه يقولون رأسه . ولما مات رثاه أبو الصاهية فقال :

مات ابن نطاح أبو وائل • بكر فأسى الشعر قد بانا

وفيها توفي بهلول الجنون ، كان يأوى إلى مقابر الكوفة ، وكان يتكلم بكلمات حسنة ، وقد وعظ الرشيد وغيره كما تقدم . ﴿ وعبد الله بن إدريس ﴾

الأودي الكوفي ، سمع الأعمش وابن جريج وشعبة ومالكا وخلقا سوام . وروى عنه جماعات من الأئمة ، وقد استدعاه الرشيد ليؤليه القضاء فقال : لا أصلح ، وامتنع أشد الامتناع ، وكان قد سأل قبله وكيفاً فامتنع أيضاً ، فطلب حفص بن غياث قبيل . وأطلق لكل واحد خمسة آلاف عروضا عن كلفته التي تكلفتها في السفر ، فلم يقبل وكيع ولا ابن إدريس ، وقبل ذلك حفص ، فحلف ابن إدريس لا يكلمه أبداً . وحج الرشيد في بعض السنين فاجتاز بالكوفة ومعه القاضي أبو يوسف والأمين والمأمون ، فأمر الرشيد أن يجتمع شيوخ الحديث ليسمعوا ولديه ، فاجتمعوا إلا ابن إدريس ههنا ، وعيسى بن يونس . فركب الأمين والمأمون بعد فراغهما من سماعهما على من اجتمع من

الشيخ إلى ابن إدريس فأخبرها بمائة حديث ، فقال له المأمون : يا عم إن أردت أعدتها من حفظي ، فأذن له فأعادها من حفظه كما سمعها ، فتعجب لحفظه . ثم أمر له المأمون بحال فلم يقبل منه شيئا ، ثم سارا إلى عيسى بن يونس فسمعا عليه ثم أمر له المأمون بمائة ألف فلم يقبلها ، فظن أنه استقلها فأضربها فقال : والله لو ملأت لي المسجد مالا إلى سقفه ما قبلت منه شيئا على حديث رسول الله ﷺ . ولما احتضر ابن إدريس بكى بكته فقال : علام تبكي ؟ فقد خنت في هذا البيت أربعة آلاف خنة .

( مصصة بن سلام )

ويقال ابن عبد الله أبو عبد الله الدمشقي ، ثم تحول إلى الأندلس فاستوطنتها في زمن عبد الملك ابن معاوية وابنه هشام ، وهو أول من أدخل علم الحديث ومنع الأوزاعي إلى بلاد الأندلس ، وولى الصلاة بقرطبة ، وفي أيامه غرست الأشجار بالمسجد الجامع هناك كما يراه الأوزاعي والشاميون ويكرهه مالك وأصحابه . وقد روى عن مالك والأوزاعي وسعيد بن عبد العزيز . وروى عنه جماعة منهم عبد الملك بن حبيب الفقيه ، وذكره في كتاب الفقه ، وذكره ابن يونس في تاريخه - تاريخ مصر - والحديث في تاريخ الأندلس ، وحرر وفاته في هذه السنة . وحكى عن شيخه ابن حزم أن مصصة هذا أول من أدخل مذهب الأوزاعي إلى الأندلس . وقال ابن يونس : أول من أدخل علم الحديث إليها . وذكر أنه توفي قريبا من سنة ثمانين ومائة ، والذى حرره الحديث في هذه السنة أثبت

( علي بن ظبيان )

أبو الحسن المبسى قاضى الشرقية من بغداد ، ولاء الرشيد ذلك . كان ثقة عالمًا من أصحاب أبي حنيفة ، ثم ولاء الرشيد قضاء القضاة ، وكان الرشيد يخرج منه إذا خرج من عنده ، مات بقميسين في هذه السنة .

( العباس بن الأحنف )

ابن الأسود بن طلحة الشاعر المشهور ، كان من عرب خراسان ونشأ ببغداد ، وكان لطيفا ظريفا مقبولا حسن الشعر . قال أبو العباس قال عبدة الله بن المعتز : لو قيل لي من أحسن الناس شرا أتعرفه ؟ قلت العباس : -

قد سحب الناس أذيال الظنون بنا • وفرق الناس فينا قولهم فرقا

فكان قد روى بالظن غيركم • وصادق ليس يدري أنه صدقا

وقد طلبه الرشيد ذات ليلة في أثناء الليل فأتعرج فلما خلف نساؤه ، فلما وقف بين يدي الرشيد قال له : ويحك إنه قد عن لي بيت في جارية فيأجبني أن تشفه بمنه ، قال بيا أمير المؤمنين ما خنت أعظم من هذه الليلة ، قال : ولم ؟ فذكر له دخول الحرس عليه في الليل ، ثم جلس حتى سكن روجه ثم قال : ما قلت يا أمير المؤمنين ؟ قال :

حنان قد رأيناها فلم نرمثلها بشرآ • يزيدك وجهها حسنا إذا ما زودته نظرا  
فقال الرشيد : زد . فقال :

إذا ما القيل مال عليك بالانفلا موعتكرا • ودج فلم تر غيرا طبرزها تر قرا  
فقال : إنا قد رأيناها ، وقد أمرناك بشرة آلاف درهم . من شعره الذي آخر له فيه بشار  
ابن برد وأثبتته في سلك الشراء بسببه قوله لا

أبكي الذين أذاقوني مودتهم • حتى إذا أغطوني لا يهوى رقدوا

وايتهمضوني فلما قت منتصبا • بشق ما جلت في منهم قملوا

وله أيضا وحدتي يا سعد عنها فردتني • جنونا فزدي من حديثك يا سعد

هواها هي لم يفرق القلب غيره • فليس له قبل وليس له بعد

قال الأصمى : دخلت على العباس بن الأحنف بالبصرة وهو طريح على فراشه يجود بنفسه وهو  
يقول : يا بيد الهار عن وطنه • مفرداً يبكي على شجته

كلما جد النحيب به • زادت الأسقام في بدنه

ثم أغنى عليه ثم اتعبه بصوت طائر على شجرة فقال :

ولقد زاد الفؤاد شجاً • حائف يبكي على فته

شاق ما شاقني فبكي • كلما يبكي على سكنه

قال ثم أغنى عليه أخرى فحركته فاذا هو قد مات . قال الصولي : كانت وفاته في هذه السنة ،  
وقيل بعدها ، وقيل قبلها في سنة ثمان وثمانين ومائة لله أعلم . وزعم بعض المؤرخين أنه بقي بعد  
الرشيد . ﴿ عيسى بن جعفر بن أبي جعفر المنصور ﴾

أخو زبيدة ، كان ثائبا على البصرة في أيام الرشيد فأت في أثناء هذه السنة . وفيها توفي :

### ( الفضل بن يحيى )

ابن خالد بن برمك أخو جعفر وأخوته ، كان هو والرشيد يتراضان . أُرُضت الخيزران فضلا ،  
وأُرُضت أم الفضل وهي زبيدة بنت بن برية هارون الرشيد . وكانت زبيدة هدم من مولدات بقين  
البرية ، وقد قال في ذلك بعض الشعراء :

كفي لك فضلا أن أفضل حرة • غفلك بشدى والخليفة واحد

لقد زنت يحيى في المشاهد كلها • كما زان يحيى خلافا في المشاهد

قالوا : وكان الفضل أكرم من أخيه جعفر ، ولكن كان فيه كبر شديد ، وكان عبوساً ، وكان  
جعفر أحسن بشرآ منه وأطلق وجها ، وأقل عطاء . وكان الناس إليه أميل ، ولكن خصلة النكرم

نظى جميع القبايح ، فهي تستر تلك الخلقة التي كانت في الفضل . وقد وهب الفضل ابطاخه مائة ألف درهم فمابه أبوه على ذلك ، فقال : يا أبت إن هذا كل يصحبنى في السر واليسر واليمش الخشن ، واستمر معي في هذا الحال فأحسن صحبى ، وقد قال بعض الشعراء :

إن السكرام إذا ما أيسروا ذكروا • من كان يتادم في المنزل الخشن

وهب يوماً لبعض الأدياء عشرة آلاف دينار فبكى الرجل فقال له : مم تبكى ، وأسفلتها ؟ قال : لا والله ، ولكنى أبكى أن الأرض تأكل منك ، أو توارى منك .

وقال علي بن المهيم عن أبيه : أصبحت يوماً لا أملك شيئاً حتى ولا علف الدابة . قصصت الفضل ابن يحيى ، فإذا هو قد أقبل من دار الخلافة في موكب من الناس ، فلما رأى رجب بن يحيى : هلم . فسررت معه ، فلما كان ببعض الطريق سمع غلاماً يدعو جارية من دار ، وإذا هو يدعوها بانتم جارية له يهبها ، فانزعج فلما وشكا إلى ما لى من ذلك ، فقلت : أصابك ما أصاب أخى بنى عامر حيث يقول : وداع دعا إذ نحن بالخيف من منى • فهبج أحزان الفؤاد ولا يدري دعا باسم ليل غيرها وكأنا • أطار بليل طائرًا كان في صدري

قال : اكتب لى هذين البيتين . قال : فنهجت إلى بقال فرهنت عنده خاتمي على عمن ورقة وكتبتهما له ، فأخذها وقال : انطلق راشداً . فرجعت إلى منزلى فقال لى غلامى : هات خاتك حتى نرهنه على طعام لنا وعلف الدابة ، فقلت : إني رهنته . فما أمسينا حتى أرسل إلى الفضل بثلاثين ألفاً من الذهب ، وعشرة آلاف من الورق ، أجراه على كل شهر ، وأسلفنى شهراً .

ودخل على الفضل يوماً بعض الأكابر فأكرمه الفضل وأجلسه معه على السرير ، فشكا إليه الرجل ديناً عليه وسأله أن يكافى في ذلك أمير المؤمنين . فقال : نعم ، وكم دينك ؟ قال ثلثمائة ألف درهم . فخرج من عنده وهو مهموم اضفد رده عليه ، ثم مال إلى بعض إخوانه فاستراح عنده ثم رجع إلى منزله فإذا المال قد سبقه إلى داره . وما أحسن ما قال فيه بعض الشعراء :

لك الفضل يا فضل بن يحيى بن خالد • وما كل من يدعى فضل له فضل

رأى الله فضلاً منك في الناس وأسماء • فبذاك فضلاً فالتى الاسم والفضل

وقد كان الفضل أكبر رتبة عند الرشيد من جعفر ، وكان جعفر أحظى عند الرشيد منه وأخص . وقد ولي الفضل أعمالاً كباراً ، منها نيابة خراسان وغيرها . ولما قتل الرشيد البرامكة وجسمهم جلد الفضل هذا مائة سوط وخلقه في الحبس حتى مات في هذه السنة ، قبل الرشيد بشهر خمسة في الرقة . وصلى عليه بالصر الذي مات فيه أصحابه ، ثم أخرجت جنازته فصلى عليها الناس ، ودفن هناك وله خمس وأربعون سنة ، وكان سبب موته قتل أصابه في لسانه اشتد به يوم الخميس ويوم الجمعة ، وتوفي

قبل أذان النداء من يوم السبت . قال ابن جرير : وذلك في الحرم من سنة ثلاث وتسعين ومائة ، وقال ابن الجوزي : في سنة ثنتين وتسعين لله أعلم .

وقد أطل ابن خلكان ترجمته وذكر طرفاً حالها من محاسنه ومكارمه ، من ذلك أنه ورد بلخ حين كان قائماً على خراسان ، وكان بها بيت النار التي كانت تبيدها الجوس ، وقد كان جده يرمك من خدامها ، فهم بضه ولم يتمكن من هدمه كله ، لقوة إحكامه ، وبنى مكانه مسجداً لله تعالى . وذكر أنه كان يتمثل في السجن بهذه الأبيات ويصيح :

إلى الله فبها تالنا نرفع الشكوى • ففى يده كشف المصرة واليوى

خرجنا من الدنيا ونحن من اهلها • فلانحن فى الأموات فيها لولا الأحياء

إذا جاءنا السجان يوماً لحاجة • مجبنا وقتلنا جاء هذا من الدنيا

ومحمد بن أمية الشاعر الكاتب ، وهو من بيت كلهم شعراء ، وقد اختلط أشعار بعضهم فى بعض ( ومنصور بن البرقان )

ابن سادة أبو الفضل الفخري الشاعر ، أمدح الرشيد ، وأصله من الجزيرة وأقام ببغداد ويقال لجسده مطعم الكيش الرخم ، وذلك أنه أضاف قوماً فجعلت الرخم يحوم حولهم ، فأمر بكيش يذبح للرخم حتى لا يتأذى بها ضيفانه ، فضل له ذلك . قال الشاعر فيه :

أبوك زعيم فى قاسط • وخالك ذو الكيش يفتى الرخم

وله أشعار حسنة ، وكان يروى عن كلثوم بن عمرو ، وكان شيخه ألقى أخذ عنه الفناء .

( يوسف ابن القاضى أبى يوسف )

سمع الحديث من السرى بن يحيى وبنس بن أبى إسحاق ، ونظر فى الرأى ونفقه ، وولى قضاء الجانب الشرقى ببغداد فى حياة أبيه أبى يوسف ، وصلى بالناس الجمعة بجامع المنصور عن أمر الرشيد . توفى فى رجب من هذه السنة وهو قاضى ببغداد .

( ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين ومائة )

قال ابن جرير : فى الحرم منها توفى الفضل بن يحيى ، وقال ابن الجوزي توفى الفضل فى سنة ثنتين وتسعين كما تقدم . وما قاله ابن جرير أقرب . قال : وفيها توفى سميد الجوهري ، قال : وفيها وافى الرشيد جرجان وانتهت إليه خزائن على بن عيسى تحمل على ألف وخمسة مائة بعير ، وذلك فى سفر منها ، ثم تحول منها إلى طرس وهو حليل ، فلم يزل بها حتى كانت وفاته فيها . وفيها واقع هرمة نائب العراق هو ورافع بن الليث فكسره هرمة واقتنح بخاري وأسر أخاه بشير بن الليث ، فبنته إلى رشيد وهو بطرس قد قتل عن السير ، فلما وقف بين يديه شرع يترقق له فلم يقبل منه ، بل قال :



والله لو لم يبق من عمرى إلا أن أحرك شفتي بفتلك لتفتلك ، ثم دعا بصباب فجزأه بين يديه أربعة عشر عضواً ، ثم رفع الرشيد يديه إلى السماء يدعو الله أن يمكنه من أخيه رافع كما يمكنه من أخيه بشير .

### ﴿ ذكر وفاة الرشيد ﴾

كان قد رأى وهو بالكوفة رؤيا أفزعته وغمّه ذلك ، فدخل عليه جبريل بن بختيشوع فقال : مالك يا أمير المؤمنين ؟ فقال : رأيت كفا فيها تربة حراء خرجت من تحت سريري فأتانا يقول : هذه تربة هارون . فبصق عليه جبريل أمرها وقال : هذه من أضفأت الأحلام من حديث النفس ، فتناسها يا أمير المؤمنين . فلما سار يريد خراسان وصر بطوس واعتقلته القسلة بها ، ذكر رؤياه فهاهنا ذلك وقال لجبريل : ويحك ! أما تذكر ما قصصته عليك من الرؤيا ؟ فقال : بلى . فدعا مسروراً الخادم وقال : اثني بشئ من تربة هذه الأرض ، فجاءه بترية حراء في يده ، فلما رآها قال : والله هذه الكف التي رأيت ، والتربة التي كانت فيها . قال جبريل : فوافقه ما أنت عليه ثلاث حتى توفي ، وقد أمر بحفر قبره قبل موته في الهار التي كان فيها ، وهي دار حميد بن أبي غانم الطائي ، فجعل ينظر إلى قبره وهو يقول : يا ابن آدم تصير إلى هذا . ثم أمر أن يقرأوا القرآن في قبره ، وقبروه حتى ختموه وهو في حفرة على شفير القبر . ولما حضرته الوفاة احتجى بعلاءه وجلس يقاسي سكرات الموت ، فقال له بعض من حضر : لو اضطجعت كان أهون عليك . فضحك ضحكاً صحيحاً ثم قال : أما سمعت قول الشاعر :

وإني من قوم كرام يزيدهم • شماساً وصبراً شدة الحدائق

مات ليلة السبت ، وقيل ليلة الأحد مستهل جمادى الآخرة سنة ثلاث وتسعين ومائة ، عن خمس ، وقبل سبع وأربعين سنة . وكان ملكه ثلاثاً وعشرين سنة .

### ﴿ وعنه ترجمته ﴾

هو هارون الرشيد أمير المؤمنين ابن المهدي محمد بن المنصور أبي جعفر عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب ، القرشي الهاشمي ، أبو محمد ، ويقال أبو جعفر . وأمه الخيزران أم ولد . كان مولده في شوال سنة ست وقيل سبع ، وقيل ثمان وأربعين ومائة ، وقيل إنه ولد سنة خمسين ومائة ، ويؤيد له بالخلافة بعد موت أخيه مؤمنى الهادي في ربيع الأول سنة سبعين ومائة ، يبعد من أبيه المهدي . روى الحديث عن أبيه وجده ، وحديث عن المبارك بن فضالة عن الحسن عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال : « اتقوا النار ولو بشق تمر » . أوردوه وهو على المنبر وهو يحضب الناس ، وقد حدث عنه ابنه وسليمان الهاشمي والده إسحاق ، ونباتة بن عمرو . وكان الرشيد أبيض طويلاً سميناً جميلاً ، وقد غزا الصائفة في حياة أبيه مراراً ، وعقد الهدنة بين المسلمين والروم بعد محاصرة القسطنطينية ، وقد لقي المسلمون من ذلك جهداً جيداً وخوفاً شديداً ، وكان

الصلح مع امرأة ليون وهي الملقبة بأغسطه على حل كثير تبذله للسلاطين في كل عام ، ففرح المسلمون بذلك ، وكان هذا هو الذي حدا أباه على البيعة له بعد أخيه في سنة ست وستين ومائة . لما أنصت إليه الخلافة في سنة سبعين كان من أحسن الناس سيرة وأكثرهم غزوا وحجا ، ولهذا قال فيه أبو السمل :

فمن يطلب لقاءك أو يردك • قبل الحرمين أو أقصى الثغور  
ففي أرض المدو على طمر • وفي أرض القرعة فوق كور  
وما حاز الثغور سواك خلق • من المتخلفين على الأمور

وكان يتصدق من صلب ماله في كل يوم بألف درهم ، وإذا حج أحج معه مائة من الفقهاء وأبناهم ، وإذا لم يحج أحج ثلاثمائة بالنفقة السابقة والكسوة الثامنة ، وكان يحب التشبه بجمدة أبي جعفر المنصور إلا في العطاء ، فانه كان سريع العطاء جزيله ، وكان يحب الفقهاء والشعراء ويعطيهم ، ولا يضيع لديه بر ومعرف ، وكان نقش خاتمه لا إله إلا الله . وكان يصل في كل يوم مائة ركعة تطوعا ، إلى أن تارق الدنيا ، إلا أن تعرض له علة ، وكان ابن أبي مريم هو الذي يضحكه ، وكان عنده فضيلة بأخبار المعجز وغيرها . وكان الرشيد قد أنزله في قصره وخلطه بأهل . نبه الرشيد يوما إلى صلاة الصبح فقام فوضأ ثم أدرك الرشيد وهو يقرأ ( ومالي لأعبد الذي فطرنى ) فقال ابن أبي مريم : لا أدري والله . فضحك الرشيد وقطع الصلاة ، ثم أقبل عليه وقال : ويحك اجتنب الصلاة والقرآن وقل فيها عدا ذلك . ودخل يوما العباس بن محمد على الرشيد ومعه برنية من فضة فيها غالبية من أحسن الطيب ، فجعل يمسحها ويريد في شكرها ، وسأل من الرشيد أن يقبلها منه قبلها فاستوجبها منه ابن أبي مريم فوجهها له ، فقال له العباس : ويحك اجئت بشئ منتهى وأهلى وآثرت به أمير المؤمنين سيدي فأخذته . فخاف ابن أبي مريم ليطين به استه ، ثم أخذ منها شيئا فطلى به استه ودهن جوارحه كلها منها ، والرشيد لا يتأكل نفسه من الضحك . ثم قال لخادم قائم عندهم يقال له خاقان : اطلب لي غلاما . فقال الرشيد : ادع له غلامه . فقال له : خذ هذه الغالية واذهب بها إلى ستك فرها فلتطيب منها إستها حتى أرجع إليها فأنيكها . فذهب الضحك بالرشيد كل مله ، ثم أقبل ابن أبي مريم على العباس بن محمد فقال له : جئت بهذه الغالية تمدحها عنده أمير المؤمنين الذي ما تحطر النساء شيئا ولا تنبت الأرض شيئا إلا وهو تحت تصرفه وفي يده . وأعجب من هذا أن قيل ملك الموت . ما أمر بك به هذا فأفئذه . وأنت تمدح هذه الغالية عنده كأنه يقال أو خبايا أو طبائح أو محار ، فكاد الرشيد يهلك من شدة الضحك . ثم أمر لابن أبي مريم مائة ألف درهم .

وقد شرب الرشيد يوما دواء فسأله ابن أبي مريم أن يلى الحجابة في هذا اليوم ، ومهما حصل له كان بينه وبين أمير المؤمنين ، فواله الحجابة ، فجاءت الرسل بالهدايا من كل جانب ، ومن عند زبيدة

والبرامكة وكبار الأمراء ، وكان حاصله في هذا اليوم ستين ألف دينار ، فأناله الرشيد في اليوم الثاني عما تحصل فأخبره بذلك ، فقال له : فأين نصيبي ؟ فقال ابن أبي حريم : قد صالحتك عليه بمشرة آلاف نخاعة .

وقد استدعى إليه أبا معاوية الضريع محمد بن حازم ليسمع منه الحديث قال أبو معاوية : ماذا كنت عنده حديثاً إلا قال صلى الله وسلم على سيدي ، وإذا سمع فيه موعظة بكى حتى يبل الثرى ، وأكلت عنده يوماً ثم قلت لأغسل يدي فصب الماء على وأنا لا أراه . ثم قال : يا أبا معاوية أتدري من يصب عليك الماء ؟ قلت : لا . قال : يصب عليك أمير المؤمنين . قال أبو معاوية : فدعوت له ، فقال : إنما أردت تعظيم العلم . وحدثه أبو معاوية يوماً عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة بحديث احتجاج آدم وهوسى ، فقال عم الرشيد : أين التقيا يا أبا معاوية ؟ فغضب الرشيد من ذلك غضباً شديداً ، وقال : أتعرض على الحديث ؟ على بالنعط والسيف ، فأحضر ذلك فقام الناس إليه يشفون فيه فقال الرشيد : هذه زندقة . ثم أمر بسجنه وأقسم أن لا يخرج حتى يخبرني من أتى إليه هذا ، فأقسم معه بالآمان المحافظة ما قال هذا له أحد ، وإما كانت هذه الكلمة بادرة مني وأنا أستنظر الله وأتوب إليه منها . فأطلقه .

وقال بعضهم : دخلت على الرشيد وبين يديه رجل مضروب الساق والسيف يمسح سيفه في قفا الرجل المقتول ، فقال الرشيد : قتلته لأنه قال القرآن مخلوق ، فقتله على ذلك قرابة إلى الله عز وجل . وقال بعض أهل العلم : يا أمير المؤمنين انظر هؤلاء الذين يحبون أبا بكر وعمر ويقدمونهما فأكرمهم يمز سلطانك ، فقال الرشيد : أولست كذلك ؟ أنا والله كذلك أحبهما وأحب من يحبهما وأعاقب من يبتغهما . وقال له ابن السكاك : إن الله لم يجعل أحداً فوقك فاجتهد أن لا يكون فيهم أحد أطوع إلى الله منك . فقال : لئن كنت أقصرت في الكلام لقد أبليت في الموعظة .

[ وقال له الفضيل بن عياض - أو غيره - إن الله لم يجعل أحداً من هؤلاء فوقك في الدنيا ، فاجتهد نفسك أن لا يكون أحد منهم فوقك في الآخرة ، فأكدح نفسك وأعملها في طاعة ربك ]<sup>(١)</sup> وفعل عليه ابن السكاك يوماً فاستقى الرشيد فألقى بقلة فيها ماء مبرد فقال لابن السكاك : عفاي . قال : يا أمير المؤمنين أبكم كنت مشترياً هذه الشرية لو منعتها ؟ فقال : بنصف ملكي . قال : اشرب هنيئاً ، فلما شرب قال : أرايت لو منعت خروجها من بدنك بكم كنت تشتري ذلك ؟ قال : بنصف ملكي الآخر . فقال : إن ملكاً قيمة نصفه شرية ماء ، وقيمة نصفه الآخر بولة ، فخليق أن لا يتنافس فيه . فبكى هارون .

وقال ابن قتيبة : ثنا الراشي سمعت الأصمعي يقول : دخلت على الرشيد وهو يظلم أنفذه يوم الجمعة فقلت له في ذلك فقال : أخذ الأظفار يوم الخميس من السنة ، وبلغني أن أخذها يوم الجمعة ينفي الفقر . فقلت : يا أمير المؤمنين أو تحشى الفقر ؟ قال : يا أحمى وهل أحد أخشى الفقر مني ؟ وروى ابن عساکر عن إبراهيم المدي قال : كنت يوماً عند الرشيد فطباخه فقال : أعندك في الطعام لحم جزور ؟ قال : نعم ، ألوان منه . فقال : أحضره مع الطعام . فلما وضع بين يدي أخذ لقمة منه فوضها في فيه فضحك جعفر البرمكي ، فترك الرشيد مضغ القمة وأقبل عليه فقال : مم فضحك ؟ قال : لا شيء يا أمير المؤمنين ، ذكرت كلاماً بيني وبين جاريتي الباردة . فقال له : بحق عليك لما أخبرتني به . فقال : حتى تأكل هذه القمة ، فألقاها من فيه وقال : والله تخبرني . فقال : يا أمير المؤمنين بكم تقول إن هذا الطعام من لحم الجزور يقوم عليك ؟ قال : بأربعة دراهم . قال : لا والله ، يا أمير المؤمنين بل بأربعمائة ألف درهم . قال : وكيف ذلك ؟ قال : إنك طلبت من طبابخك لحم جزور قبل هذا اليوم بمدة طويلة فلم يوجد عنده . فقلت : لا يتخلون المطبخ من لحم جزور ، فحسن ننحر كل يوم جزوراً لأجل مطبخ أمير المؤمنين ، لأننا لا نشترى من السوق لحم جزور . فصرف في لحم الجزور من ذلك اليوم إلى هذا اليوم أربعمائة ألف درهم ، ولم يطلب أمير المؤمنين لحم جزور إلا هذا اليوم . [ قال جعفر : فضحكت لأن أمير المؤمنين إنما ناله من ذلك هذه القمة . فهي على أمير المؤمنين بأربعمائة ألف ] (١)

قال : فبكى الرشيد بكاء شديداً وأمر برفع السباط من بين يديه ، وأقبل على نفسه وبجها ويقول : هلكت والله يا هارون . ولم يزل يبكي حتى آذنه المؤذنون بصلاة الظهر ، فخرج فسلم بالناس ثم رجع يبكي حتى آذنه المؤذنون بصلاة العصر ، وقد أمر بألفي ألف تصرف إلى فقراء الحرمين في كل حرم ألف ألف صدقة ، وأمر بألفي ألف يتصدق بها في جاني بغداد الغرب والشرق ، وبألف ألف يتصدق بها على فقراء الكوفة والبصرة . ثم خرج إلى صلاة العصر ثم رجع يبكي حتى صل المغرب ، ثم رجع ، فدخل عليه أبو يوسف القتيبي فقال : ما شأنك يا أمير المؤمنين يا كيا في هذا اليوم ؟ فذكر أمره وما صرف من المال الجزيل لأجل شهوته ، وإنما ناله منها لقمة . فقال أبو يوسف لجعفر : هل كان ماتذبكونه من الجزور يفسد ، أو يأكله الناس ؟ قال : بل يأكله الناس . فقال : أبشر يا أمير المؤمنين بثواب الله فيما صرفته من المال القوي أكله المسلمون في الأيام الماضية ، وبما يسره الله عليك من الصدقة ، وبما رزقك الله من خشيته وخوفه في هذا اليوم ، وقد قال تعالى (ولن خلف مقام ربك جنتان) . فأمر له الرشيد بأربعمائة ألف . ثم استدعى بطعام فأكل منه فكان غداؤه في هذا اليوم عشاء .

وقال عمرو بن بحر الجاحظ : اجتمع للرشيـد من الحسد والحزل ما لم يجتمع لغيره من بعده ، كان أبو يوسف قاضيه ، والبرامكة وزراءه ، وحاجبه الفضل بن الربيع أنبه الناس وأشدهم تعاطفاً ، وندبه عمر بن العباس بن محمد صاحب العباسية . وشاعره مروان بن أبي حفصة ، ومنه فيه إبراهيم الموصلي واحد عصره في صناعته ، ومضحكه ابن أبي مریم ، وزامره برصوما . وزوجته أم جعفر - یعنی زبیده - وكانت أرغب الناس في كل خير وأمرهم إلى كل بر ومعرفة ، أدخلت الماء الحرم بعد امتناعه من ذلك ، إلى أشياء من المعروف أجزأها الله على يدها .

وروى الخطيب البغدادي أن الرشيد كان يقول : إنا من قوم عظمت رزيتهم ، وحسنت بمشتمهم ، وثرنا رسول الله ﷺ وبقيت فينا خلافة الله . وبينما الرشيد يطوف يوماً بالبيت إذ عرض له رجل فقال : يا أمير المؤمنين إني أريد أن أتكلم بكلام فيه غلظة ، فقال لا ولا نعمت عين قد بثت الله من هو خير منك إلى من هو شر مني فأمره أن يقول له قولاً لبناً . وعن شعيب بن حرب قال : رأيت الرشيد في طريق مكة فقلت في نفسي : قد وجب عليك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فغرفني فقالت : إنه الآن يضرب عنقك . فقلت : لا بد من ذلك ، فناديته فقلت : يا هارون ! قد أتممت الآمة والبهائم . فقال : خذوه . فأدخلت عليه وفي يده لث من حديد يلعب به وهو جالس على كرسي ، فقال : ممن الرجل ؟ فقلت : رجل من المسلمين . فقال ثكلتك أمك ممن أنت ؟ فقلت : من الأنبار . فقال : ما حاكك على أن دعوتني باسمي ؟ قال : تظفر ببالي شيء لم يخطر قبل ذلك ، فقلت : أنا أدعو الله باسمه يا الله ، أفلا أدعوك باسمك ؟ وهذا الله سبحانه قد دعا أحب خلقه إليه بأسمائهم : يا آدم ، يا نوح ، يا هود ، يا صالح ، يا إبراهيم ، يا موسى يا عيسى ، يا محمد ، وكفى أنفض خلقه إليه فقال : ثبت يداي لربي . فقال الرشيد : أخرجوه أخرجوه .

وقال له ابن الهيثم يوماً : إنك تموت ، حذك ، وتدخل القبر وحذك ، وتبحث منه وحذك ، فاحذر المقام بين يدي الله عز وجل ، والوقوف بين الجنة والبار ، حين يؤخذ بالكظم وتزل القدم ، ويقع الندم ، فلا توبه تقبل ، ولا عثرة تقال ، ولا يقبل فداء . فقال : فجعل الرشيد يبكي حتى علا صوته فقال يحيى بن خالد له : يا ابن الهيثم ! لقد شققت على أمير المؤمنين البلية . فقام فخرج من عنده وهو يبكي . وقال له الفضيل بن عياض - في كلام كثير لينة وعظه بمكة - : يا صبيح الوجه إنك مسؤول عن هؤلاء كلهم - وقد قال تعالى ( وتعلمتهم بهم الأسباب ) قال حدثنا ليث عن مجاهد : الوصلات التي كانت بينهم في الدنيا . فبكي حتى جعل يشق . وقال الفضيل : استمطى الرشيد يوماً وقد زخرف منزله وأكثر الطعام والشراب والافذات فيها ، ثم استدعى أبا المناهية فقال له : صف لنا ما نحن فيه من العيش والنعيم فقال :

عش ما بدا لك سائلاً • في ظل شاحقة التصور  
تسمى عليك بما اشتبه • ت لدى الرواح إلى البكور  
فاذا النفوس تنقمت • عن ضيق حشرة الصدور  
فهناك تعلم موقفا • ما كنت إلا في غرور  
قال : فبكي الرشيد بكاء كثيراً شديداً . فقال له الفضل بن يحيى : دناك أمير المؤمنين تسره  
فأخزته ؟ فقال له الرشيد : دعه فإنه رأى نافي عني فكره أن يزيدنا عني . ومن وجه آخر أن الرشيد  
قال لأبي المناهية : عطفني بأبيات من الشعر وأوجز قال : —

لاتأمن الموت في طرف ولا ضى • ولو تحمت بالحجاب والحرس  
واعلم بأن سهام الموت صائبة • لكل مدوع بنها ومنرس  
ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها • إن السفينة لا تجرى على اليبس  
قال : نغر الرشيد منفيها عليه . وقد حبس الرشيد مرة أبا المناهية وأرصد عليه من يأتيه بما  
يقول ، فكتب مرة على جدار الحبس :

أما والله إن الظلم شوم • وما زال المسوق هو الظلوم  
إلى دين يوم الدين تنص • وعند الله تجتمع الخصوم  
قال : فاستدعاه واستجده في حل ووجه ألف دينار وأطلقه . وقال الحسن بن أبي الفهم : ثنا  
محمد بن عبد الله عن صفوان بن عيينة قال : دخلت على الرشيد فقال : ما خبرك ؟ فقلت :  
بين الله ما تحفى البيوت • قد طال التحمل والسكوت  
قال : يا فلان مائة ألف لابن عيينة تغنيه وتغنى عقبه ، ولا تضر الرشيد شيئاً . وقال الأصمى :  
كنت مع الرشيد في الحج فررنا براد فاذا على شفير امرأة حسناء بين يديها قصعة وهي تسال  
منها وهي تقول : —

طحطحتنا طحاطح الأعرام • ورمتنا حوادث الأيام  
فأتيناكم نحمد أكتفا • فاثلاث ل زادكم والطعام  
فاطلبوا الأجر والثوبة فينا • أيها الزائرون بيت الحرام  
من رأى قد رأى ورحل • فارحوا غريقى وذل مقاي  
قال الأصمى : فنهبت إلى الرشيد فأخبرته بأمرها فجاء بنفسه حتى وقف عليها فسمعها فرحها وبكى  
وأمر مسروراً الخادم أن يبعثاً قصتها ذهباً ، ففلاها حتى جعلت تنفيس يميناً وشمالاً . وسمع مرة  
الرشيد أعرابياً يحمده إلى في طريق الحج :

أيها المجمع هما لاجهم • أنت تفضي ذلك إلى نعم  
كيف تزيك وقد جف التلم • حطت الصحة منك والسقم  
فقال الرشيد لبعض خدمه : ما ملك ؟ قال : أربعمائة دينار ، فقال : ادفعها إلى هذا الأعرابي ،  
فلما قبضها ضرب رقيقه بيده على كتفه وقال متمثلاً :

و كنت جليس قمعاق بن عمرو • ولا يشقى قمعاق جليس

فأمر الرشيد بعض الخدم أن يعطى المتمثل ما معه من الذهب فإذا ما ثمان دينار . قال أبو عبيد  
إن [ أصل ] هذا المثل أن معاوية بن أبي سفيان أهديت له هدية جامات من ذهب ففرقها على  
جلسائه وإلى جانبه قمعاق بن عمرو ، وإلى جانب القمعاق أعرابي لم يفضل له منها شيء . فأطرق  
الأعرابي جاء فدفع إليه القمعاق الجمام الذي حصل له ، فمضى الأعرابي وهو يقول و كنت جليس  
قمعاق بن عمرو إلى آخره .

وخرج الرشيد يوماً من عنده زبيدة وهو يضحك قليل له مم تضحك يا أمير المؤمنين ؟ فقال :  
دخلت اليوم إلى هذه المرأة - يعني زبيدة - فأقلت عندها وبت ، فما استيقظت إلا على صوت  
ذهب يصب ، قالوا : هذه ثلثمائة ألف دينار قدمت من مصر ، فقالت زبيدة : هبالي يا ابن عم ،  
فقلت : هي لك ، ثم ما خرجت حتى عربت علي وقالت : أي خير رأيته منك ؟ وقال الرشيد مرة  
للفضل الضبي : ما أحسن ما قيل في الذهب : ولك هذا الخاتم ، وشراؤه ألف وستائة دينار ، فأشد  
قول الشاعر :  
ينام بأحدى مقلتيه ويتقى • بأخرى الزايف فهو يقظان فأم .

فقال : ما قلت هذا إلا لتسلبنا الخاتم . ثم ألقاه إليه فبعت زبيدة فاشترته منه بألف وستائة  
دينار ، وبعثت به إلى الرشيد وقالت : إني رأيته ممججاً به . فرده إلى الفضل والدنانير ، وقال :  
ما كنا تهب شيئاً وترجع فيه .

وقال الرشيد يوماً لعباس بن الأحنف : أي بيت قالت العرب أرق ؟ قال : قول جميل في بئينة :  
ألا ليتني أعي أمم قودى • • • بئينة لا يخفى على كلامها  
فقال له الرشيد : أرق منه قولك في مثل هذا :

طاف الهوى في عباد الله كأنهم • حتى إذا مررت من بينهم وقفا

فقال له العباس : قولك يا أمير المؤمنين أرق من هذا كله :

أما يكفينك أنك تملكيني • وأن الناس كلهم عبيدي

وأناك لو قطعت يدي ورجلي • أقلت من الهوى أحسنت زبدي

قال : فضحك الرشيد وأعجبه ذلك . ومن شعر الرشيد في ثلاث حظيات كن عنده من الخواص

قوله : ملك الثلاث الناشآت غنائى • وحلن من قلبي بكل مكان  
مالى تطاوعنى البرية كلها • وأطمين وهن فى عصياتى  
ماذاك إلا أن سلطان الهوى • وبه قوين أعز من سلطانى  
وما أورد له صاحب المقد فى كتابه :

تبدى الصدود ويخفى الحب عاشقة • فالنفس راضية والطرف غضبان

وذكر ابن جرير وغيره أنه كان فى دار الرشيد من الجوارى والحظايا وخدمهن وخدم زوجته  
وأخواته أربعة آلاف جارية ، وأنهن حضرن يوماً بين يديه ففتنه المطربات منهن فطرب جسدآ ،  
وأمر بحال فتنر عليهن . وكان مبلغ ما حصل لكل واحدة منهن ثلاثة آلاف درهم فى ذلك اليوم .  
رواه ابن عساکر أيضاً

وروى أنه اشترى جارية من المدينة فأعجب بها جداً فأمر بإحضار موالها ومن يلوذ بهم ليقتضى  
حوائجهم ، فقدموا عليه بثمانين نقصاً فأمر الحاجب - وهو الفضل بن الربيع - أن يتلقاهم ويكتب  
حوائجهم ، فكان فيهم رجل قد أقام بالمدينة لأنه كان يهوى تلك الجارية ، فبعثت إليه فأتى به فقال  
له الفضل : ما حاجتك ؟ قال : حاجتى أن يجلسنى أمير المؤمنين مع فلانة فأشرب ثلاثة أرمال من  
خمر ، وتفتينى ثلاثة أصوات . فقال : أيجنون أنت ؟ فقال : لا ولكن اعرض حاجتى هذه على  
أمير المؤمنين . فذكر الرشيد ذلك فأمر بإحضاره وأن يجلس معه الجارية بحيث ينظر إليهما ولا يريانه  
فجلست على كرسى وانخدام بين يديها ، وأجلس على كرسى فشرب وطلا وقال لها غنى :

خليلي عوجا يارك الله فيكما • وإن لم تكن هند بأرضكما قصدا

وقولا لما ليس الضلال أجازتنا • ولكننا جزنا لتلقاكم عدا

غدا يكثر البادون منا ومنكم • وترداد دارى من دياركم بعدا

قال : ففتنه ثم استعجله الخدم فشرب وطلا آخر ، وقال : غنى جعلت فداك :

تكلم منافى الوجوه عيوننا • فحين سكوت والهوى يتكلم

ونفصب أحيانا ونرضى بظرفنا • وقفك فيما بيننا ليس يعلم

قال : ففتنه . ثم شرب وطلا ثالثاً وقال : غنى جعلنى الله فداك :

أحسن ما كنا نغرقنا • بخائنا الدهر وما خنا

فليت ذا الدهر لنا مرة • عاد لنا يوماً كما كنا

قال ثم قام الشاب إلى درجة هناك ثم ألقى نفسه من أعلاها على أم رأسه فأت . فقال الرشيد :

جعل الفتى ، والله لو لم يسجل لوهبتها له .



وفضائل الرشيد ومكارمه كثيرة جداً . قد ذكر الآئمة من ذلك شيئاً كثيراً فذكرنا منه أنموذجاً صالحاً . وقد كان الفضيل بن عياض يقول : ليس موت أحد أعز علينا من موت الرشيد ، لما تخوف بعده من الحوادث ، وإني لأدعو الله أن يزيد في عمره من عمرى قالوا : فلما مات الرشيد وظهرت تلك الفتن والحوادث والاختلافات ، وظهر القول بخاق القرآن ، فمرفنا ما كان تخوف الفضيل من ذلك . وقد تقدمت رؤياه لتلك الكف ، تلك التربة الحراء ، وقائل يقول : هذه تربة أمير المؤمنين . فكان موته بطوس . وقد روى ابن عساكر أن الرشيد رأى في منامه قائلاً يقول : كفى بهذا القصر قد باد أهله . الشعر إلى آخره .

وقد تقدم أن ذلك إنما رآه أخوه موسى الهادي . وأبوه محمد المهدي فآله أعلم .  
وقسمنا أنه أمر بحفر قبره في حياته ، وأن تقرأ فيه ختمه ثمانية ، وحمل حتى نظر إليه فجعل يقول : إلى هنا تصير يا ابن آدم . ويبكى ، وأمر أن يوسع عند صدره وأن يمد من عند رجله ، ثم جعل يقول : ( ما أغنى عنى ماله هلك عنى سلطانيته ) ويبكى . وقيل : إنه لما احتضر قال : اللهم اغننا بالاحسان ، واغفر لنا الاساءة ، يا من لا يموت ارحم من يموت . وكان مرضه بالحم ، وقيل بالنسل ، وجبريل الطيب يكتّم ما به من الدقة ، فأمر الرشيد رجلاً أن يأخذ مائة في قارورة وينهب به إلى جبريل فيريه إياه ، ولا يذكر له بول من هو ، فان سأله قال : هو بول مريض عندنا . فلما رآه جبريل قال لرجل عنده : هذا مثل ماء ذلك الرجل . فضم صاحب القارورة من عنى به ، فقال له : يا لله عليك أخبرني عن حال صاحب هذا الماء . فان لي عليه مالا ، فان كان به رجاء وإلا أخذت مالى منه . فقال : اذهب فتخلص منه فانه لا يعيش إلا أياماً . فلما جاء وأخبر الرشيد بعث إلى جبريل فتعيب حتى مات الرشيد . وقد قال الرشيد وهو في هذه الحال :

إني بطوس مقيم مالى بطوس حميم أرجو إلى ما بي فانه بي رحيم  
لقد أتى بي طرساً قضاؤه المحتوم وليس إلا رضائي والصبر والتسليم

مات بطوس يوم السبت ثلاث خلون من جمادى الآخرة سنة ثلاث وتسعين ومائة ، وقيل إنه توفي في جمادى الأولى ، وقيل في ربيع الأول ، وله من العمر خمس ، وقيل سبع ، وقيل ثمان وأربعون سنة . ومدة خلافته ثلاث وعشرون سنة وشهر وعثمانية عشر يوماً . وقيل ثلاثة أشهر . وصلى عليه ابنه صالح ودفن بقرية من قرى طوس يقال لها سناباذ . وقال بعضهم : قرأت على خيام الرشيد بسناباذ والناس منصرفون من طوس من بعد موته .

منازل السكر ممورة • والمنزل الأعظم مهجور

خليقة الله بدار البلى • تسمى على أجدائه المور

أقبلت المير تباي به \* وانصرفت تنديه المير

وقد رثاه أبو الشيخ فقال :

غربت في الشرق شمس \* فلها العينان تجمع

ما رأينا قط شمساً \* غربت من حيث تطلع

وقد رثاه الشعراء بقصائده . قال ابن الجوزي : وقد خلف الرشيد من الميراث ما لم يخلفه أحد من الخلفاء ، خلف من الجواهر والأثاث والأمتعة سوى الضياع والدور ما قيمته مائة ألف ألف دينار ، وخمسة وثلاثون ألف دينار . قال ابن جرير : وكان في بيت المال سبعمائة ألف ألف ونيف .

( ذكر زوجاته وبنيه وبناته )

تزوج أم جعفر زبيدة بنت عمه جعفر بن أبي جعفر المنصور ، وتزوجها في سنة خمس وستين ومائة في حياة أبيه المهدي ، فولدت له محمداً الأمين . وماتت زبيدة في سنة ست عشرة ومائتين كما سيأتي . وتزوج [ أمة العزيز ] أم ولد كانت لأخيه موسى الهادي فولدت له علي بن الرشيد . وتزوج أم محمد بنت صالح المسكين ، والعباسة بنت عمه سليمان بن أبي جعفر فزفقا إليه في ليلة واحدة سنة سبع وثمانين ومائة بالرق ، وتزوج عزيزة بنت الطغريف ، وهي بنت خله أنى أمه الخبزبان ، وتزوج ابنة عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان الثانية ، ويقال لها العرشية ، لأنها ولدت بجرش بلخمين . وتوفى عن أربع : زبيدة ، وعباسة ، وابنة صالح ، والثمانية هن . وأما الخطايا من الجوار فنكثير جداً حتى قال بعضهم : إنه كان في داره أربعة آلاف جارية سراري حسن .

وأما أولاده الله كور فمحمد الأمين بن زبيدة ، وعبد الله المأمون بن جارية اسمها مراجل ، ومحمد أبو إسحاق المنتم من أم ولد يقال لها ماردة ، والقاسم المؤمن بن جارية يقال لها قصف . وعلياً أمه أمة العزيز . وصالح بن جارية اسمها رثم . ومحمد أبو يعقوب . ومحمد أبو عيسى . ومحمد أبو العباس . ومحمد أبو علي كل هؤلاء من أمهات أولاد . وكان من الأثاث سكنة من قصف . وأم حبيب من ماردة . وأروى . وأم الحسن . وأم محمد وهي جدوة واطمة وأمها غصص . وأم سلعة . وبندجبة . وأم القاسم رطل . وأم علي . وأم الغالية . وريلة كلهن من أمهات أولاد .

﴿ خلافة محمد الأمين ﴾

( ابن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن أبي جعفر المنصور )

لما توفى الرشيد بطوس في جمادى الآخرة من هذه السنة - أعفى سنة ثلاث وتسعين ومائة - كتب صالح بن الرشيد إلى أخيه ولي العهد من بعد أبيه محمد الأمين بن زبيدة وهو يتقدمه بطلبه بوفاء أبيه ويميزه فيه ، فوصل الكتاب محبة رجاء الخادم ومعه الخاتم والقضيب والبردة ، يوم

الحفيس الرابع عشر من جمادى الآخرة ، فركب الأمين من قصره الخلد إلى قصر أبي جعفر المنصور - وهو قصر الذهب - على شط بغداد ، فصلّى بالناس ثم صعد المنبر فخطبهم وعزّاهم في الرشيد ، وبسط أمال الناس ووعدهم الخير . فبايعه الخواص من قومه ووجوه بني هاشم والأمراء ، وأمر بصرف أعطيات الجند عن سفتين ، ثم نزل وأمر عمه سليمان بن جعفر أن يأخذ له البيعة من بقية الناس فلما اتّظم أمر الأمين واستقام حاله حسده أخوه المأمون ووقع الخلف بينهما على ما سنذكره . إن شاء الله تعالى .

### ( ذكر اختلاف الأمين والمأمون )

كان السبب في ذلك أن الرشيد لما وصل إلى أول بلاد خراسان وهب جميع ما فيها من الخواص والهواب والسلاح لولده المأمون ، وجدد له البيعة ، وكان الأمين قد بعث بكر بن المتمر بكتب في خفية ليوصلها إلى الأمراء إذا مات الرشيد ، فلما توفى الرشيد نضت الكتب إلى الأمراء ، وإلى صالح بن الرشيد ، وفيها كتاب إلى المأمون يأمره بالسمع والطاعة ، فأخذ صالح البيعة من الناس إلى الأمين ، وارتحل الفضل بن الربيع بالجيش إلى بغداد وقد بقي في نفوسهم تخرج من البيعة التي أخذت للمأمون ، وكتب إليهم المأمون يدعوهم إلى بيعة فلم يجيبوه ، فوقعت الوحشة بين الأخوين ، ولكن تحول عامة الجيش إلى الأمين ، فعند ذلك كتب المأمون إلى أخيه الأمين بالسمع والطاعة والتعظيم ، وبعث إليه من هدايا خراسان ونحفا من الهدايا والمسك وغير ذلك ، وهو نائبه عليها ، وقد أمر الأمين في صبيحة يوم السبت بمسح أخذ البيعة يوم الجمعة ببناء ميدانين للصيد ، فقال في ذلك بعض الشعراء : -

بني أمين الله ميدانا • وصير الساحة بستانا

وكانت الفزلان فيه يانا • يهدي إليه فيه غزلانا

وفي شبان من هذه السنة وقعت زبيدة من الرقة بالخرائن وما كان عندها من التحف والقمش من الرشيد ، فتلقتها ولدها الأمين إلى الأنبار ومعه وجوه الناس . وأقر الأمين أخاه المأمون هل ما تحت يده من بلاد خراسان والرى وغير ذلك ، وأقر أخاه القاسم على الجزيرة والننور ، وأقر عمال أبيه على البلاد إلا القليل منهم .

وفيها ماتت تغفور ملك الروم ، قتله البرجان ، وكان ملكه تسع سنين ، وأقام بعده ولده استبراق شهرين فمات ، فلعلهم ميخائيل زوج أخت تغفور لعنه الله . وفيها تواقع هرثة نائب خراسان ورافع ابن الليث فاستجاش رافع بالترك ثم هربوا وبقي رافع وحده فضعف أمره . وحج بالناس نائب الحجاز داود بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي . وفيها توفى :

## ﴿ إسماعيل بن علي ﴾

وهو من أئمة العلماء والمحدثين الرضاه ، روى عنه الشافعي وأحمد بن حنبل ، وقد روى المظالم ببغداد ، وكان ناظر الصدقات بالبصرة ، وكان ثقة نبيلًا جليلاً كبيراً ، وكان قليل التبسم وكان يتجر في البر وينفق على عياله منه ، ويبر أصحابه منه مثل السفينيين وغيرهما ، وقد ولاه الرشيد القضاء فلما بلغ ابن المبارك أنه تولى القضاء كتب إليه يلومه نظماً ونثراً ، فاستغنى ابن علي عن القضاء فأعفاه . وكانت وفاته في ذى القعدة من هذه السنة ، ودفن في مقابر عبد الله بن مالك ، وفيها مات :

## ﴿ محمد بن جعفر ﴾

الملقب بشندر . روى عن شعبة وسميد بن أبي عروبة وعن خلق كثير ، وعنه جماعة منهم أحمد بن حنبل ، وكان ثقة جليلاً حافظاً متقناً . وقد ذكر عنه حكايات تدل على تفهيمه في أمور الدنيا ، كانت وفاته بالبصرة في هذه السنة ، وقيل في التي قبلها ، وقيل في التي بعدها . وقد لقب بهذا القب جماعة من المتقدمين والمتأخرين . وفيها توفي :

## ﴿ أبو بكر بن الميثاق ﴾

أحد الأئمة ، سمع أبا إسحاق السبيعي والأعمش وهشام وهمام بن عروة وجماعة . وحدث عنه خلق منهم أحمد بن حنبل . وقال يزيد بن هارون : كان حبراً فاضلاً لم يضع جنبه إلى الأرض أربعين سنة ، قالوا : ومكث ستين سنة يحتم القرآن في كل يوم ختمه كلفة ، وصام ثمانين رمضان ، وتوفي وله ست وتسعون سنة . ولما احتضر بكى عليه ابنه فقال : يا بني علام تبكي ؟ وأقاه ما أتى أبوك فاحشة قط .

## ﴿ ثم دخلت سنة أربع وتسعين ومائة ﴾

فيها خلع أهل حمص فاتهم فزله عنهم الأمين وولى عليهم عبد الله بن سميد الحرشي قتل طائفة من وجهه أهلها وحرقت نواحيها ، فسألوه الأمان فأمّنهم ثم هاجوا فضرب أعناق كثير منهم أيضاً . وفيها عزل الأمين أخاه القاسم عن الجزيرة والننور ، وولى على ذلك خزيمه بن خازم ، وأمر أخاه بالقلم عنده ببغداد . وفيها أمر الأمين بالبقاء لولده موسى على المنابر في سائر الأمصار ، وبالامانة من بعده ، وسماه الناطق بالحق ، ثم يدعى من بعده لأخيه المأمون ثم لأخيه القاسم ، وكان من نية الأمين الوفاء لأخويه بما شرط لهما ، فلم يزل به الفضل بن الربيع حتى غير نيته في أخويه ، وحسن له خلع المأمون والقاسم ، وصغر عنده شأن المأمون . وإما حله على ذلك خوفاً من المأمون إن أنقضت إليه الخلافة أن يخلفه من الحجاية . فوافقه الأمين على ذلك وأمر بالبقاء لولده موسى وبولاية المهدي من بعده ، وذلك في ربيع الأول من هذه السنة . فلما بلغ المأمون قهقهة البريد عنه وترك ضرب اسمه على السكة والطرز ، وتسكر للأمين . وبث رافع بن الهيثم إلى المأمون يسأل منه الأمان فأمنه

فسار إليه بمن معه فأكرمه المأمون وعظمه ، وجاء هرمة على إثره فتلقاه المأمون ووجوه الناس وولاه  
الحرس ، فلما بلغ الأمين أن الجنود التفت على أخيه المأمون ساء ذلك وأنكره ، وكتب إلى المأمون  
كتاباً وأرسل إليه رسلاً ثلاثة من أكابر الأمراء ، سأله أن يجيبه إلى تقديم ولده عليه ، وأنه قد ساء  
الناسق بالحق ، فأظهر المأمون الامتناع فشرع الأمراء في مطايعته وفلايته ، وأن يجيبهم إلى ذلك  
فأبى كل الإباء ، فقال له العباس بن موسى بن عيسى : قد خلع أبى نفسه فإذا كان ؟ فقال المأمون  
إن أباك كنّ أصراً مكرها ، ثم لم يزل المأمون يمد العباس ويمنه حتى باسه بالخلقة ، ثم لما رجع إلى  
بغداد كان يرأسه بما كان من أمر الأمين ويناصحه ، ولما رجع الرسل إلى الأمين أخبروه بما كان من  
قول أخيه ، فعند ذلك صمم الفضل بن الربيع على الأمين في خلع المأمون ، فخلعه وأمر بالداء لولده  
في سائر البلاد ، وأقاموا من يتكلم في المأمون ويذكر صوابه ، وبعثوا إلى مكة فأخضعوا الكتاب  
الذي كتبه الرشيد وأودعه في الكعبة ، فزقه الأمين وأكد البيعة إلى ولده الناطق بالحق على ما ولده  
من الأعمال ، وجرت بين الأمين والمأمون مكاتبات ورسل يطول بسطها . وقد استقصاها ابن جرير  
في تاريخه ، ثم آل بها الأمر إلى أن احتفظ كل منهما على بلاده وحصنها وهيا الجيوش والجنود  
وتألف الرعايا . وفيها غسدت الروم بملكهم ميخائيل فرأوا خلعه وقتله فترك الملك وترهب وولوا  
عليهم اليون . وحج بالناس فيها نائب الحجاز داود بن عيسى ، وقيل على بن الرشيد . وفيها توفى من  
الأمهين :

( سلم بن سالم أبو بحر البلخى )

قدم بغداد وحدث بها عن إبراهيم بن طهمان والثوري . وعنه الحسن بن عرفة . وكان عابداً  
زاهداً ، مكث أربعين سنة لم يفرش له فراش ، وصاحبها كلها إلا يوم العيد ، ولم يرفع رأسه إلى السماء ،  
وكان داعية الأرجاء ضعيف الحديث ، إلا أنه كان رأساً في الأمر بالمرء والنهي عن المنكر ، وكان  
قد قدم بغداد فأنكر على الرشيد وشنع عليه فبسه وقبده بائى عشر قيداً ، فلم يزل أبو معاوية يشفع  
فيه حتى جعلوه في أوبسة قيود ، ثم كان يدعو الله أن يرده إلى أهله . فلما توفى الرشيد أطلقته زبيدة  
فرجع . وكانوا بمكة قد جازا حجاجاً - فرض بمكة . واغتنى يوماً برداً فسقط في ذلك الوقت برد  
حين اشتباه فأكل منه . مات في ذى الحجة من هذه السنة .

( وعبد الوهاب بن عبد المجيد )

التقى كانت غلته في السنة قريباً من خمسين ألفاً ينفعها كلها على أهل الحديث . توفى من أربع  
ومائتين سنة . ( وأبو النضر الجهمي المصلي )

كان مقبلاً بالمدينة النبوية بالصفة من المسجد في الخائط الشبلى منه ، وكان طويل السكوت ، فإذا  
سئل أجاب بجواب حسن ، ويتكلم بكلمات مفيدة تؤثر عنه وتكتب ، وكان يخرج يوم الجمعة :

قبل الصلاة فيقف على مجامع الناس فيقول : ( يا أيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوماً لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئاً ) و ( يوم لا تجزي نفس عن نفس شيئاً ولا يقبل منها شفاعَةٌ ولا يؤخذ منها عدل ) ثم ينتقل إلى جماعة أخرى ثم إلى أخرى ، حتى يدخل المسجد فيصل في الجمة ثم لا يخرج منه حتى يصلي المشاء الآخرة .

وقد وعظ مرة هارن الرشيد بكلام حسن فقال : اعلم أن الله سائلك عن أمة نبيه فأعد لذلك جواباً ، وقد قال عمر بن الخطاب لو ماتت سبعة بالمراق ضياءاً غلشت أن يسألني الله عنها . فقال الرشيد . إني لست كعمر ، وإن دهرى ليس كدهره . فقال : ما هذا بمن عنك شيئاً . فأمر له بثلاثة دينار ، فقال : أنا رجل من أهل الصفة فربما فلتقسم عليهم وأنا واحد منهم .

( ثم دخلت سنة خمس وتسعين ومائة )

ففيها في صفر منها أمر الأمين الناس أن لا يتعاملوا بالدرهم والدينار التي عليها اسم أخيه المأمون ونهى أن يدعى له على المنابر ، وأن يدعى له ولولده من بعده : وفيها تسمى المأمون بإمام المؤمنين . وفي ربيع الآخر فيها عقد الأمين لعل بن عيسى بن ماهان الإمارة على الجبل وهمدان وأصبهان وقم وتلك البلاد ، وأمره بحرب المأمون وجهز معه جيشاً كثيراً ، وأتفق فيهم فترات عظيمة ، وأعطاه مائتي ألف دينار ، ولولده حسين ألف دينار وألني سيف محلي ، وستة آلاف ثوب للخلع . فخرج على بن موسى بن ماهان من بغداد في أربعين ألف مقاتل فارس ، ومعه قيد من فضة ليأني فيه بالمأمون . وخرج الأمين معه مبعوثاً فسار حتى وصل الري فتلقيه الأمير طاهر في أربعة آلاف ، فجرت بينهم أمور آل الحلال فيها أن اقتتلوا ، فقتل على بن عيسى وانهمز أصحابه وحمل رأسه وجنته إلى الأمير طاهر فكتب بذلك إلى وزير المأمون ذي الرياستين ، وكان القتي قتل على بن عيسى رجل يقال له طاهر الصغير فسمى ذا اليمينين ، لأنه أخذ السيف بيديه الثنتين فذبح به على بن عيسى بن ماهان ، فخرج بذلك المأمون وذووه ، وانتهى الخبر إلى الأمين وهو يصيد السمك من دجلة ، فقال : ويحك دعني من هذا فإن كرتاً قد صادت سمكتين . ولم أصد به شيئاً . وأرجف الناس ببغداد وخافوا غائلة هذا الأمر ، وتندم محمد الأمين على ما كان منه من نكت العهد وخلع أخيه المأمون ، وما وقع من الأمر الغلط . وكان رجوع الخبر إليه في شوال من هذه السنة . ثم جهز عبد الرحمن بن جبلة الأنباري في عشرين ألفاً من المقاتلة إلى همدان ليقاتلوا طاهر بن الحسين بن مصعب ومن معه من الخراسانية ، فلما اقتربوا منهم تواجبوا فقاتلوا قتالاً شديداً حتى كثرت القتل بينهم ، ثم انهمز أصحاب عبد الرحمن ابن جبلة فلبثوا إلى همدان فحاصروا بها طاهر حتى اضطروا إلى أن دعوا إلى الصلح ، فصالحهم وأمنهم ووفى لهم ، وانصرف عبد الرحمن بن جبلة على أن يكون راجعاً إلى بغداد ، ثم غمروا بأصحاب

طاهر وحلوا عليهم وهم غافلون فقتلوا منهم خلقاً وصبر لهم أصحاب طاهر ثم نهضوا إليهم وحلوا عليهم فبرزهم وقتل أميرهم عبد الرحمن بن جبلة ، وفر أصحابه خائبين .

إنما رجعوا إلى بغداد اضطربت الأمور وكثرت الأراجيف ، وكان ذلك في ذى الحجة من هذه السنة ، ومرد طاهر عمال الأمن عن قزوين وتلك النواحي ، وقوى أمر المأمون جداً بتلك البلاد . وفي ذى الحجة من هذه السنة ظهر أمر السفائي بالشام ، واسمه علي بن عبد الله بن خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان ، ف عزل نائب الشام عنها ودعا إلى نفسه ، فبعث إليه الأمين جيشاً فلم يقدموا عليه بل أقاموا بالرقعة ، ثم كان من أمره ما سذكروه . وحج بالناس فيها نائب الحجاز داود ابن عيسى . وفيها كانت وفاة جماعة من الأعيان منهم :

﴿ إسحاق بن يوسف الأزرق ﴾

أحد أئمة الحديث . روى عنه أحمد وغيره . ومنهم :

﴿ بكار بن عبد الله ﴾

ابن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير ، كان نائب المدينة لرشيد ثقتي عشرة سنة وشهراً ، وقد أطلق الرشيد على يديه ألف دينار ومائتي ألف دينار ، وكان شريفاً جواداً مظلماً .

﴿ أبو نواس الشاعر المشهور ﴾

واسمه الحسن بن هاني بن صباح بن عبد الله بن الجراح بن هنب بن داود بن غنم بن سليم ، ونسبه عبد الله بن سعد إلى الجراح بن عبد الله الحكي ، ويقال له أبو نواس البصري ، كان أبوه من أهل دمشق من جنده مروان بن محمد ، ثم صار إلى الأهواز وتزوج امرأة يقال لها خلبان ، فولدت له أبا نواس . ابنه آخر يقال له أبا مغاز ، ثم صار أبو نواس إلى البصرة فتأدب بها على أبي زيد وأبي عبيدة ، وقرأ كتاب سيويه ولزم خلفاً الأحرار ، وصحب يونس بن حبيب الجرمي النحوي . وقد قال القاضي ابن خلكان : صحب أبا أسامة وابن الجلاب البكوفي ، وروى الحديث عن أنهر بن سيمد وحامد بن زيد وحامد بن سلمة وعبد الواحد بن زياد ومثمر بن سليمان ، ويحيى القطان . وعنه محمد بن إبراهيم بن كثير الصوفي . وحدث عنه جماعة منهم الشافعي وأحمد بن حنبل وغنبر ومشاهير العلماء ومن مشاهير حديثه ما رواه محمد بن إبراهيم بن كثير الصوفي عن حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله » ، فان حسن الظن بالله بمن الجنة . وقال محمد بن إبراهيم : دخلنا عليه وهو في الموت فقال له صالح بن علي الهاشمي : يا أبا علي ! أنت اليوم في آخر يوم من أيام الدنيا وأول يوم من أيام الآخرة ، وبينك وبين الله هنات ، فتب إلى الله من عملك . قال : إياي تخوف ؟ بالله استمدوني . قال : فاستمدته فقال : حدثني حماد بن سلمة

عن يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك قال قال رسول الله ﷺ : « لكل نبي شفاعة وإني اختبأت شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي يوم القيامة » . ثم قال : أفلا راني منهم . وقال أبو نواس : ما قلت الشعر حتى رويت عن ستين امرأة منهن خنساء ولبلى ، فما الظن بالرجال ؟ وقال يعقوب بن السكيت : إذا رويت الشعر عن امرئ القيس والأعشى من أهل الجاهلية ، ومن المسلمين جرير والفرزدق ، ومن المحدثين عن أبي نواس فحسبك . وقد أثني عليه غير واحد منهم الأصمعي والجاحظ والنظام . قال أبو عمرو الشيباني : لولا أن أبا نواس أقصد شعره بما وضع فيه من الأقدار لاحتججنا به . يعني شعره الذي قاله في الخزيات والمردان ، وقد كان يميل إليهم . ونحو ذلك مما هو معروف في شعره . واجتمع طائفة من الشعراء عند المأمون فقبل لهم : أيكم القاتل :

فما نجعلها وقضنا كأننا • نرى قرآ في الأرض يبلغ كوكبا  
قالوا : أبو نواس . قال : فأياكم القاتل : -  
إذا نزلت دون الآلهة من الفقى • دعى همه عن قلبه برحيل  
قالوا أبو نواس . قال : فأياكم القاتل : -

فندشت في مفاسلهم • كتمشي البرء في السقم  
قالوا : أبو نواس . قال : فهو أشعركم . وقال سفيان بن عيينة لابن مناذر : ما أشعر نظريكم أبا نواس في قوله :  
يا قرآ أبصرت في مائتم • يتعجب شجوا بين أتراب  
أبرزه المائتم لى كارها • برغم ذى باب وحجلب  
يبكي فينرى الهدى من عينه • ويطلع الورد بمتاب  
لا زال موتا دأب أحبابه • ولم تزل رؤيته دأبى  
قال ابن الأعرابي أشعر الناس أبو نواس في قوله : -

تسرت من دهرى بكل جناحه • فبينى ترى دهرى وليس يرانى  
فلو تسأل الأيام عني مادوت • وأين مكاني ما عرفني مكاني  
وقال أبو المناهية : قلت في إلهد عشرين ألف بيت ، وددت أن لي مكانها الأبيات الثلاثة  
التي قالها أبو نواس وهي هذه ، وكانت مكتوبة على قبره :

يا نواسى توقر • أو تغير أو تصبر  
إن يكن سامك دهر • فلما سرك أكثر  
يا كثير الذنب • عفا الله عن ذنبك أكبر  
ومن شعر أبي نواس يمدح بعض الأمراء : -



أوجده الله فما مثله • يطلب ذلك ولا فاشد  
ليس على الله بمستكر • أن يجمع المالم في واحد  
وأنشدوا سيفان بن عينة قول أبي نواس :

ما هوى إلا له سبب • يبتدى منه وينشعب  
فنت قلبى محببة • وجهها بالحسن منتقب  
خلته والحسن تأخذه • تلقى منه وتنتخب  
فاكتست منه طرافته • واستردت بعض ما نهب  
فهي لو صيرت فيه لها • عودة لم يلقها أرب  
صار جداً ما مزحت به • رب جد جره القسب

قال ابن عينة : آمنت بالذي خلقها . وقال ابن حديد قال أبو حاتم : لو أن العامة بدلت هذين البيتين كتبهما جاء الذهب :

ولو أنى استزدتك فوق ماى • من البلوى لأعوزك المزيد

ولو عرضت على الموتى حياتى • بعيش مثل عيشى لم يريدوا

وقد جمع أبو نواس حديث سهيل عن أبي صالح عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « القلوب جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف » . فنظم ذلك في قصيدة له قال :

إن القلوب لأجناد مجندة • لله في الأرض بالأهواء تعرف

فما تناكر منها فهو مختلف • وما تعارف منها فهو مؤتلف

ودخل يوماً أبو نواس مع جماعة من المحدثين على عبد الواحد بن زياد فقال لهم عبد الواحد ليخبر كل واحد منكم عشرة أحاديث أحدثت بها ، فاختار كل واحد عشرة إلا أبا نواس ، فقال له : مالك لا تختار كما اختاروا ؟ فأنشأ يقول :

وقد كنا رؤى • عن سميد عن قتاده عن سعيد بن المسيب • مبهم سميد بن عبادة

وعن الشعبي والشه • بن شيخ ذو جلادة وعن الأخير نهمكي • وعن أهل الأفاذة

أن من ملت محبا • فله أجر شهادة

فقال له عبد الواحد : قم عني يا ظفر ، لاحدثك ولا حدث أحدنا من هؤلاء من أجلك . فبلغ ذلك مالك بن أنس وإبراهيم بن أبي يحيى قتالا : كان يفتنى أن يحذته لعل الله أن يصلحه .

قلت : وهذا الذي أنشده أبو نواس قد رواه ابن عدي في كماله عن ابن عباس موقوفاً ورفوعاً « من عشق فف فكتم فأت مات شهيداً » . ومعناه أن من ابتلى بالشق من غير اختيار منه فصب

وعف عن الفاحشة ولم يفش ذلك فأتى بسبب ذلك حصل له أجر كثير . فان صح هذا كان ذلك له نوع شهادة والله أعلم .

وروى الخطيب أيضاً أن شعبة لقي أبا نواس فقال له : حدثنا من طرفك ، فقال مرتجلاً : حدثنا الخفاف عن وائل وخالد الحذاء عن جابر ومسر عن بعض أصحابه يرفعه الشيخ إلى عامر قالوا جميعاً : أيتها طفلة علقها ذو خاق طاهر فواصلته ثم دامت له على وصال الحافظ إذا ذكر ، كانت له الجنة مفتوحة يرتفع من رتبتها الزاهر ، وأى مشوق جفا عاشقا بعد وصال دائم ناصرا في عذاب الله بعداً له نعم وسعدنا دائم ذاهر . فقال له شعبة : إنك لجليل الأخلاق ، وإني لأرجو لك . وأنشد أبو نواس أيضاً

يا ساحر المثلين والبعيد \* وقاتل منك بالمواعيد

توعدي الوصل ثم تخلفني \* ويلاي من خلفك موعودي

حدثني الأزرق المحدث عن \* شهر وعوف عن ابن مسعود

ما يخلف الوعد غير كاذبة \* وكافر في الجحيم مصفود

فبلغ ذلك إسحاق بن يوسف الأزرق فقال : كذب عدو الله على وعلى التابعين وعلى أصحاب محمد ﷺ . وعن سليمان بن منصور بن عمار قال : رأيت أبا نواس في مجلس أبي يحيى بكاء شديداً فقلت : إني لأرجو أن لا يميتك الله بعد هذا البكاء فأنشأ يقول :

لم أهلك في مجلس منصور \* شوقاً إلى الجنة والحور

ولا من القبر وأهواله \* ولا من النخعة في الصور

ولا من النار وأغلالها \* ولا من الغدلان والجور

لكن بكائي ليكا شادن \* تقيه نفسي كل محفور

ثم قال : إنما بكيت لبكاء هذا الأرملة الذي إلى جانب أبيك . وكان صيباً حسن الصورة يسمع الوعظ فيبكي خوفاً من الله عز وجل .

قال : أبو نواس : دعاني يوماً بعض الحماكة وألح علي ليضيفني في منزله ، ولم يزل بي حتى أجبته فصار إلى منزله وسرت معه فاذا منزل لا بأس به ، وقد احتفل الحماكة في الطعام وجمع جمعاً من الحياكة ، فأكلنا وشربنا ثم قال : ياسيدي أشتري أن تقول في جاريتي شيئاً من الشعر . وكان مفرماً بجارية له . قال قلت لأرنيها حتى أنظف على شكاها وحسنا ، فكشف عنها فاذا هي أجمع خلق الله وأوجسهم ، سوداء شمطاء ديدانية يسيل لها بها على صدرها . قلت لسيدتها : ما اسمها ؟ قالت تسنيم ، فأنشأت

سهر ليلى حب تسنيم \* جارية في الحسن كالبروم

كأنما فكها كلبخ \* أوحزمة من حزم التوم

خرطت من حبي لها خرطة \* أفزعت منها ملك الروم  
قال قتاد الخليلك برقص ويصق سائر يومه ، يفرح ويقول : إنه شبهها والله بملك الروم . ومن  
شعره أيضاً (١) :  
أبرهني الناس يقولون \* بزعمهم كثرت أوزاربه  
إن كنت في النار أم في جنة \* ماذا عليك يا بني الزانية  
وبالجمل قد ذكرناه له أموداً كثيرة ، ومجونا وأشماراً منكراً ، وله في الحريات والقاذورات  
والتشبيب بالردان والفسوان أشياء بشعة شنيعة ، من الناس من يفسقه ويرميه بالفاحشة ، ومنهم من  
يرميه بالزندقة ، ومنهم من يقول : كان إنما يجرب على نفسه ، والأول أظهر ، لما في أشماره . فأما  
الزندقة فجميدة عنه ، ولكن كان فيه مجون وخلافة كثيرة . وقيد عزوا إليه في صغره وكبره أشياء  
منكرة الله أعلم بصحتها ، والمادة تنقل عنه أشياء كثيرة لأحققة لها . وفي ضمن جامع دمشق قبة  
يفور منها الماء يقول الفاشقة قبة أبي نواس ، وهي مبنية بعد موته بأزيد من مائة وخمسين سنة ، فما  
أدري لأي شيء نسبت إليه الله أعلم بهذا .

وقال محمد بن أبي عمر : سمعت أبا نواس يقول : والله ما فتحت سراويلي لحرام قط : وقال له  
محمد الأمين بن الرشيد : أنت زنديق . فقال : يا أمير المؤمنين لست بزنديق وأنا أقول :

أصل الصلاة الحسن في حين وقتها • وأشهد بالتوحيد لله خاضعا  
وأحسن غسل إلى ركبتي جنابة • ولئن جاءني المسكين لم ألك مانعا  
وإنني وإن حانت من الكأس دموع • إلى يمة الساق أجبت مسلوما  
وأشربها صرفا على جنب ما هز • وجدني كثير الشم أصبح راضعا  
وجوزاب حواري ولوز وسكر • وما زال لخمير ذلك ناضعا  
وأجمل تحاييط الرواض كلهم • لفنعة بخنثيوع في النار طائعا

فقال له الأمين : ويحك ! وما الذي ألك إلى فنعة بخنثيوع ؟ فقال : به تمت القافية . فأمر له  
بجائزة . وبخنثيوع الذي ذكره هو طبيب الخلاء . وقال الجاحظ : لا أعرف في كلام الشعراء أرق  
ولا أحسن من قول أبي نواس حيث يقول :

أية نار قدح القادح • وأنى جد بلغ الملاح  
له در الشيب من واعظ • وناصح لو خطي الناصح  
يأبى النقي الاتباع الموى • ومنهج الحق له واضح  
لهم بسنيك إلى نوسة • مهورهن العمل الصالح  
لا يجنل الحوراء في خمرها • إلا امرؤ ميزانه راجع

من اتى الله فذاك الذى \* سبق إليه المنجر الرابع  
 فاغد لنا فى الدين أغلوبة \* وروح لما أنت له رافع  
 وقد استنشد أبو عفان قصيدته التى فى أولها : لانتفى ليلى ولا تنظر إلى هند ، فلما فرغ منها  
 سجد له أبو عفان ، فقال له أبو نواس : والله لا أكلك مدة . قال : فمضى ذلك ، فلما أردت  
 الانصراف قال : متى أراك ؟ قلت : ألم تقسم ؟ قال : الدهر أقصر من أن يكون معه هجر .  
 ومن مستجاد شعره قوله :

ألا رب وجه فى التراب عتيق \* ويارب حسن فى التراب رقيق  
 ويارب حزم فى التراب ونجدة \* ويارب رأى فى التراب وثيق  
 قل لقرىب الدار إنك ظاعن \* إلى سفر نأى الهلى سحيق  
 أرى كل حى هالكا وابن هالك \* وذو نسب فى المال كبن عريق  
 إذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت \* له عن عدو فى لباس صديق  
 ولا نشرهن ثان القل فى الشره \* والمزى انظم لافى اللطيش والسفه  
 وقل لمفتبط فى التيه من حقى \* لو كنت تعلم ما فى التيه لم تته  
 التيه مفسدة للدين منقصة \* للمقل مهلكة لغرض فاقبة  
 وجلس أبو الصنافية القاسم بن إسحاق على دكان ورائى فكتب على ظهر دفتر هذه الأبيات :  
 أيا عجبا كيف يعصى الال \* به أم كيف يصحده الجاحد  
 وفى كل شئ له آية \* تدل على أنه الواحد  
 ثم جاء أبو نواس فقرأها فقال : أحسن قائله والله . والله لوددت أنها لى بجميع شئ قلته ، لمن  
 هذه ؟ قيل له : لأبى الصنافية ، فأخذ فكتب فى جانبها :

سبحان من خلق النلا \* قى من ضف مهين  
 يسوقه من - قرار \* إلى قرار مكين  
 يخلق شيئا فشيئا \* فى المحجب دون الميون  
 حق بدت حركات \* مخلوقة فى سكون

ومن شعره المستجاد قوله :

انقطعت شدتى فنت الملامى إذ \* رعى الشيب مفرق بالهدامى  
 ونهنتى النهى قلت إلى المدل \* وأشقت من مقلة ناهى  
 أيها الغافل المتر على السور \* ولا عذر فى الماد لساهى

لا بأعمالنا نطيق خلاصا • يوم تبدو السماء فوق الجبال  
على أنا على الاساءة والنز • ريط نرج من حسن عفو الاله  
وقوله : تموت ونلى غير أن ذنوبنا • إذا نحن متنا لا نموت ولا تبلى  
ألا رب ذى عينين لا تنفضانه • وما تنفع العيان من قلبه أمضى  
وقوله : لو أن عينا أوهمتها نفسها • يوم الحساب مثلاً لم تنظرف  
سبحان ذى الملكوت أية ليلة • عحت صبيحتها بيوم الموقف  
كتب الفناء على البرية رها • فالتاس بين مقم ومخلف  
وذكر أن أبانواس لما أراد الاحرام بالحج قال :

يا مالكاما أعدك ملك كل من ملك • لبيك إن الحمد لك والملك لا شريك لك  
عبدك قد أهل لك أنت له حيث ملك • لولاك يارب هلك لبيك إن الحمد لك  
والملك لا شريك لك وأقبل لما أن حلك • والساجد فى الفلك على مجارى تسلك  
كل نبي ورسلك وكل من أهل لك • سبى أو صلى فلك لبيك إن الحمد لك  
والملك لا شريك لك يا عظماء ما أجلك • عصيت ربا عدلك وأفدرك وأهلك  
عجل وبادر أمك وانتم بخير عملك • لبيك إن الحمد لك والملك لا شريك لك

وقال الملقى بن زكريا الحريرى : ثنا محمد بن العباس بن الوليد سمعت أحمدا بن يحيى بن ثعلب  
يقول : دخلت على أحمد بن حنبل فرأيت رجلا تهمه نفعه لا يحب أن يكثر عليه كأن النيران قد  
سمرت بين يديه ، فارلت أترقى به وتوسلت إليه أنى من موالى شيبان حتى كلنى ، فقال : فى أى  
شئ نظرت من المعلوم ؟ فقلت : فى اللغة والشعر . قال : رأيت بالبصرة جماعة يكتبون عن رجل  
الشعر ، قيل لى هذا أبو نواس . فدخلت الناس ورأى فلما جلست إليه أمل علينا :

إذا ما خلوت الدهر يوما فلا تفل • خلوت ولكن فى الخلاء رقيب  
ولا تحسبن الله يفضل ساعة • ولا آثما يخفى عليه يغيب  
لهو تاعن الآثام حتى تنابت • ذنوب على آثامهن ذنوب  
فيا ليت أن الله ينفر ما مضى • ويأذن فى توبتنا فتنوب

وزاد بعضهم فى رواية عن أبى نواس بعد هذه الأبيات :

أقول إذا ضاقت على مذاهبي • وحلت بقلبي الهوم ندموب  
لطول جنبايلى وعظم خطيئتي • هلكت ومالى فى التائب نصيب  
واغرق فى بحر الحافة آيسا • وترجع نفسى تارة فتنوب

وتذكرني عفو الكريم عن الوري • فأحيا وأرجو عفو • فأنيب  
 وأنخض في قولي وأرغب سائلا • عسى كثرت البلوى على يتوب  
 قال ابن طراز الجريري : وقد رويت هذه الأبيات لمن ؟ قيل لأبي نواس وهي في زهدياته .  
 وقد استشهد بها النحاة في أماكن كثيرة قد ذكرناها . وقال حسن بن الهادية : دخلت على أبي نواس  
 وهو في مرض الموت فقلت : عطفني . فأنشأ يقول :

فكثرت ما استطعت من الخطايا • فأنك لأقيا ربي غفورا  
 سبهر إن وردت عليه عفوآ • وتلقى سيدآ ملكا قديرا  
 تفض ندامة فكيف بما • تركت مخافة النار الشرورا

قلت : وبجملك ! يمثل هذا الحال تعظي بهذه الموعظة ؟ فقال : اسكت حدثنا حماد بن سلمة عن  
 ثابت عن أنس قال قال النبي ﷺ : « ادخرت شفاعتي لأهل الكبار من أمي » . وقد تقدم بهذا  
 الاسناد عنه • لا يمتن أحدكم لا وهو يحسن الظن بالله » . وقال الربيع وغيره عن الشافعي قال :  
 دخلنا على أبي نواس في اليوم الذي مات فيه وهو يجود بنفسه فقلنا : ما أعددت لهذا اليوم ؟ فأنشأ

يقول :  
 تماطلني ذنبي فلما قرنته • بفوك ربي كان عفوك أعظما  
 ومازلت ذاعفون عن الذنب لمزل • تجود وتغفو منة وتكرما  
 ولولاك لم يقدر لابلis عابد • وكيف وقد أغوى سفيك آدمآ  
 رواه ابن عساكر . وروى أنهم وجدوا عند رأسه رقعة مكتوبا فيها بخطه :

يارب إن عظمت ذنوبي كثرة • فلقد علمت بأن عفوك أعظم  
 أدعوك ربي كما أصرت تضرعا • فاذا رددت يدي فن ذا برحم  
 ان كان لا يرجوك إلا عسن • فن الذي يرجو المسى المحرم  
 مالي إليك وسيلة إلا الرجا • وجهيل عفوك ثم أنى مسلم

وقال يوسف بن الهادية : دخلت عليه وهو في السبائك فقلت : كيف بجملك ؟ فأطرق مليا ثم رفع  
 رأسه فقال :

دب في الفناء سفلا وعلوآ • وأرائي أموت عضوآ فعضوآ  
 ليس يفي من لحظة بي إلا • قصصني بمرها في جزوآ  
 ذهبت جدي بلقة عيشي • وتذكرت طاعة الله لعضوآ  
 قد أسأنا كل الاسامة فالا • بهم صفحا عنا وغفرا وعفوآ

ثم مات من ساعته ساعته الله وإياه آمين .

وقد كان نقش خاتمه لا إله إلا الله مخلصا ، فأوصى أن يجعل في فمه إذا غسلوه فغسلوا به ذلك . ولما

مات لم يجدوا له من المال سوى ثلثائة درهم وثيابه وأثاثه ، وقد كانت وفاته في هذه السنة ينفداد ودفن في مقابر الشونيزى في تل البيود . وله خمسون سنة . وقيل ستون سنة ، وقيل سبع وخمسون سنة . وقد رآه بعض أصحابه في المنام فقال له : ما فعل الله بك ؟ فقال : غفرلى بأبيات قلتها في الترجس :

تفكر فى نبت الأرض وانظر • إلى آثار ما صنع المليك

عيون من بلجين شاخصات • بأبصار هى الذهب السبيك

عاقب غضب الزبرجد شاهدات • بأن الله ليس له شريك

وفى رواية عنه أنه قال : غفرلى بأبيات قلتها وهى تحت وسادتي بخاؤا فوجدوها برقعة فى خطه يارب إن عظمت ذنوبى كثرة • فلقد علمت أن عفوك أعظم

الآيات . وقد تقدمت . وفى رواية لابن عساكر قال بعضهم : رأيته فى المنام فى هيئة حسنة ونعمة عظيمة فقلت له : ما فعل الله بك ؟ قال : غفرلى ، قلت : بماذا وقد كنت مخطئا على نفسك ؟ فقال : جاء ذات ليلة رجل صالح إلى المقابر فسط وداه وصلى ركعتين قرأ فيهما أنى قل هو الله أحد ثم أهدى ثواب ذلك لأهل تلك المقابر فدخلت أنا فى جملتهم ، ففتره لى . وقال ابن خلكان : أول شعر قاله أبو نواس لما صحب أبا أسامة والية بن الحبيب :

حامل الهوى تعب يستغفه الطرب • إن بكى يحق له ليس ما به لعب

تضحكن لاهية والمحب ينتحب • فمجبين من سقى صحقى هى المعجب

وقال المأمون : ما أحسن قوله :

وما للناس إلا هالك وابن هالك • وذو نسب فى المالكين عريق

إذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت • له عن عذو فى لباس صديق

قال ابن خلكان : وما أشد رجاءه به حيث يقول :

فعمل ما استطعت من الخطايا • فإلى لاقيا ربنا غفورا

ستبصر إن قدمت عليه عفوا • وتلقى سيداً ملكاً كبيراً

نص ندامة كفيك عما • تركت مخافة النار الشرورا

( ثم دخلت سنة ست وتسعين ومائة )

فبها توفى أبو معاوية الضرير أحد مشايخ الحديث الثقات المشهورين . والوليد بن مسلم العمشقي تلميذ الأوزاعي . وفيها حبس الأمين أسد بن يزيد لأجل أنه هم على الأمين لعبه وتهيأته فى أمر الرعية ، وارتكابه للصديد وغيره فى هذا الوقت . وفيها وجه الأمين أحمد بن يزيد وعبد الله بن حميد ابن قطعبة فى أربعين ألفاً إلى حلوان لقتال طاهر بن الحسين من جهة المأمون ، فلما وصلوا إلى قريب

من حلوان خندق طاهر على جيشه خندقاً وجعل يعمل الحيلة في إيقاع الفتنة بين الأميرين ، فاختلعا فرجما ولم يقنللاه ، ودخل طاهر إلى حلوان وجاءه كتاب المأمون بتسليم ما تحت يده إلى هرثة بن أعين ، وأن يتوجه هو إلى الأهواز . ففعل ذلك . وفيها رفع المأمون و ذر به الفضل بن سهل وولاه أعمالاً كباراً وسماه ذا الرياستين . وفيها ولي الأمين نيابة الشام لعبد الملك بن صالح بن علي . وقد كان أخرجه من سجن الرشيد . وأمره أن يبعث له رجالاً وجنوداً لقتال طاهر وهرثة ، فلما وصل إلى الرقة أقام بها وكتب إلى رؤساء الشام يتألفهم ويدعوهم إلى الطاعة ، يقدم عليه منهم خلق كثير ، ثم وقعت حرب بين مبعوثها من أهل حمص ، وتفاقم الأمر وطال القتال بين الناس ، ومات عبد الملك ابن صالح هناك فرجع الجيش إلى بغداد بحجة الحسين بن علي بن ماهان ، فقتلناه أهل بغداد بالأكرام ، وذلك في شهر رجب من هذه السنة . فلما وصل جاء رسول الأمين يطلبه فقال : والله ما أنا بمسافر ولا مضحك ، ولا وليت له عملاً ولا جبي على يدي مالا ، فإذا يطلبني في هذه الليلة ؟

﴿ ذكر سبب خلق محمد بن زبيدة الأمين ﴾

( وكيف أفضت الخلافة إلى أخيه عبد الله المأمون )

لما أصبح الحسين بن علي بن ماهان ولم يذهب إلى الأمين لما طلبه ، وذلك بعد مقدمه بالجيش من الشام ، قام في الناس خطيباً وألهم على الأمين ، وذكر لعه وما يتعامله من الهوى وغير ذلك من المصاعى ، وأنه لا تصلح الخلافة لمن هذا حاله ، وأنه يريد أن يقع البأس بين الناس ، ثم حثهم على القيام عليه والتموض إليه ، وندبهم لذلك ، فالتفت عليه خلق كثير وجم غفير ، وبعث محمد الأمين إليه خيلاً فقتلوا ملياً من النهار ، فأمر الحسين أصحابه بالترجل إلى الأرض وأن يقاتلوا بالسيف والرماح ، فانهم جيش الأمين وخلصه وأخذ البيعة لعبد الله المأمون ، وذلك يوم الأحد الحادى عشر من شهر رجب من هذه السنة ، ولما كان يوم الثلاثاء قتل الأمين من قصره إلى قصر أبي جعفر وسط بغداد ، وضيق عليه وقيده واضطهده ، وأمر العباس بن عيسى بن موسى أنه زبيدة أن تنتقل إلى هناك فاستنمت فضر بها بالسوط وقهرها على الانتقال فانتقلت مع أولادها ، فلما أصبح الناس يوم الأربعاء طلبوا من الحسين بن علي أعطيائهم واختلفوا عليه وصار أهل بغداد فرقتين ، فرقة مع الأمين وفرقة عليه . فاقتلوا قتلاً شديداً فقلب حزب الخليفة أولئك ، وأسرُوا الحسين بن علي ابن عيسى بن ماهان وقيده ودخلوا به على الخليفة ففكروا عنه قيوده وأجلسوه على سريره ، ففند ذلك أمر الخليفة من لم يكن معه سلاح من العامة أن يعطى سلاحاً من الخزان ، فانهب الناس الخزائن التي فيها السلاح بسبب ذلك ، وأمر الأمين فأتى بالحسين بن علي بن عيسى فلامه على ما صدر منه فاعتذر إليه بأن عمرو الخليفة حمله على ذلك . ففعا عنه وخلع عليه واستوزره وأعطاه



الخانم وولاه ما وراء بابه ، وولاه الحرب وسيره إلى حلوان ، فلما وصل إلى الجسر هرب في حاشيته  
 وخدمه فبحث إليه الأميين من برده ، فركبت الخيول وراه فأدركوه فقاتلهم وقتلوه فقتلوه لمتنصف  
 رجب ، وجازوا برأسه إلى الأميين ، وجدد الناس البيعة للأميين يوم الجمعة ، ولما قتل الحسين بن علي بن  
 عيسى هرب الفضل بن الربيع الحاجب واستحوذ طاهر بن الحسين على أكثر البلاد للأميون ،  
 واستناب بها الثواب ، وخلع أكثر أهل الأقاليم الأميين ، وبادوا بالأميون ، ودنا طاهر إلى المدائن  
 فأخذها مع واسط وأعمالها ، واستناب من جهة على الحجاز واليمن والجزيرة والموصل وغير ذلك ، ولم  
 يبق مع الأميين من البلاد إلا القليل . وفي شعبان منها عقد الأميين أربعمائة لواء مع كل لواء أمير ،  
 وبعثهم لقتال هرثة ، فالتفتوا في شهر رمضان فكسروهم هرثة وأسروهم على بن محمد بن عيسى بن  
 نبيك ، وبعث به إلى المأمون . وهرب جماعة من جند طاهر فساروا إلى الأميين فأعطاهم أموالا  
 كثيرة ، وأكرمهم وغلف لحام بالقالية فسماوا جيش النالية . ثم ندبهم الأميين وأرسل معهم جيشا  
 كثيفا لقتال طاهر فهزمهم طاهر وفرق شملهم ، وأخذ ما كان معهم . واقترب طاهر من بغداد  
 فحاصرها وبعث القصاد والجواسيس يلقون الفتنة بين الجند حتى تفرقوا شيئا ، ثم وقع بين الجيش  
 وتشتت الأصاغر على الأكارب واختلفوا على الأميين في سادس ذى الحجة قتال بعض البغادة :

قل للأميين الله في نفسه • ما شئت الجند سوى النالية  
 وطاهر نفسى فدا طاهر • برسله والمدة الكافية  
 أضحى زمام الملك في كفه • مقاتلا لفتنة الباغيه  
 يا تاكتنا أسلمه نكتنه • عيوبه في خبثه فاشيه  
 قد جاءك اليث بشداته • مستكلبا في أسد ضاريه  
 فاهرب ولا مهرب من مثله • إلا إلى النار أو الهاويه

فتفرق على الأميين شمله ، وحار في أمره ، وجاء طاهر بن الحسين بجيوشه فقتل على باب  
 الأنبار يوم الثلاثاء لثنتي عشرة ليلة خلت من ذى الحجة ، واشتد الحال على أهل البلد وأخاف  
 الدعار والشلطار أهل الصلاح ، وخربت الديار ، وفارت الفتنة بين الناس ، حتى قاتل الأخ أخاه  
 للأهواء المختلفة ، والابن أباه ، وجرت شرو و عظيمة ، واختلفت الأهواء وكثر الفساد والقتل  
 داخل البلد .

وحج بالناس فيها العباس بن موسى بن عيسى الهاشمي من قبل طاهر ، ودعا للأميون بالخلافة  
 بمكة والمدينة ، وهو أول موسم دعى فيه للأميون .  
 وفيها توفي قتيبة بن الوليد الحمصي إمام أهل حمص وقتبها ومحدثها .

## ﴿ وحفص بن غياث القاسمي ﴾

عاش فوق التسعين . ولما احتضر بكى بعض أصحابه فقال له : لا تبك ! والله ما حلت سراويلي على حرام قط ، ولا جلس بين يدي خصمان فبايت على من وقع الحكم عليه منهما ، قريبا كان أو بعيداً ، ملكاً أو سوقة .

وعبد الله بن مرزوق أبو محمد الزاهد ، كاتب وزير الرشيد فترك ذلك كله وتزهد وأوصى هند موته أن يطرح قبل موته على من يلة لعل الله أن يرحمه .

## ﴿ وأبو شيبه ﴾

الشاعر محمد بن رزين بن سليمان ، كان أستاذ الشعراء ، وإنشاء الشعر ونظمه أسهل عليه من شرب الماء ، كذا قال ابن خلكان وغيره . وكان هو وأبو مسلم بن الوليد - الملقب صريع الفوائد - وأبو نواس ودعبل يمتعون ويتناشدون وقد عى أبو الشيبه في آخر عمره ، ومن جيد شعره قوله :

وقف الهوى بي حيث أنت فليس لي • متأخر عنه ولا متقدم

أجد الملامة في هواك لذينة • حباً قد كرك فليكني الهم

أشبهت أعدائي فصرت أحبهم • إذ كان حظي منك حظي منهم

وأهنتني فأهنت نفسي صاغراً • ما من يهون عليك عن تكرم

## ﴿ ثم دخلت سنة سبع وتسعين ومائة ﴾

استهلت هذه السنة وقد ألع طاهر بن الحسين وهرثة بن أعين ومن معهما في حصار بغداد والتضييق على الأمن ، وهرب القاسم بن الرشيد ومعه منصور بن المهدي إلى المأمون فأكرمهما ، وولى أخاه القاسم جرجان . واشتد حصار بغداد ونصب عليها المجانيق والرمادات . وضاق الأمن بهم ذرعاً ، ولم يبق معه ما ينفي في الجند ، فاضطر إلى ضرب آنية الفضة والذهب دراهم ودنانير ، وهرب كثير من جنده إلى طاهر ، وقتل من أهل البلد خلق كثير ، وأخذت أموال كثيرة منهم ، وبث الأمن إلى قصور كثيرة ودور شهيرة مزخرفة وأماكن ومحال كثيرة فخرقها بالنار لما رأى في ذلك من المصلحة ، فمل كل هذا فراراً من الموت ولندوم الخلافة له فلم تدم ، وقتل وخربت دياره كما سيأتي قريباً ، وفعل طاهر مثل ما فعل الأمن حتى كادت بغداد تغرب بكاملها ، فقال بعضهم في ذلك :

بن ذا أصابك يا بغداد بالعين • ألم تكوني زماناً قرة العين

ألم يكن فيك قوم كان مسكنهم • وكان قريهم زيناً من الزين

صاح الغرباب بهم بالين فافتروا • ماذا لقيت بهم من لوعة الين

استودع الله قوماً ما ذكرتهم • إلا تحرماء الدين من عيني

كانوا يفرقهم دهرٌ وصدعهم • والفرح يصنع ما بين الفريقين  
وقد أكثر الشراء في ذلك . وقد أورد ابن جرير من ذلك طرفاً صالحاً ، وأورد في ذلك قصيدة  
طويلة جداً فيها بسط ما وقع ، وهي هزل من الأحوال اقتصرناها بالكلية .

واهتموا طاهر على ما في الضياع من الفلات والحواصل للأمراء وغيرهم ، ودعموا إلى الأمان  
والبيعة للمأمون فاستجابوا جميعهم ، منهم عبد الله بن حميد بن قحطبة ، ويحيى بن عيسى بن ماهان ،  
ومحمد بن أبي العباس الطوسي ، وكان به خلق من الهاشميين والأمراء ، وصارت قلوبهم معه . واتفق في  
بعض الأيام أن ظفر أصحاب الأئمين ببعض أصحاب طاهر فقتلوا منهم طائفة عند قصر صالح ، فلما  
سمع الأئمين بذلك بطروا وأشر وأقبل على النهو والشرب والعب ، وكل الأمور وتدبيرها إلى محمد بن  
عيسى بن نهبك ، ثم قويت شوكة أصحاب طاهر وضعف جانب الأئمين جداً ، وانحاز الناس إلى  
جيش طاهر . وكان جانبه آمناً جداً لا يخاف أحد فيه من سرقة ولا نهب ولا غير ذلك . وقد أخذ  
طاهر أكثر محال بغداد وأرباضها ، ومنع الملاحين أن يحملوا طاماً إلى من خلفه ، فغلت الأسعار  
جداً عند من خلفه ، وندم من لم يكن خرج من بغداد قبل ذلك ، ومنعت التجار من القدوم إلى  
بغداد بشئ من البضائع أو الدقيق ، وصرفت السفن إلى البصرة وغيرها ، وجرت بين الفريقين  
حروب كثيرة ، فمن ذلك وقعة درب الحجابة كانت لأصحاب الأئمين ، قتل فيها خلق من أصحاب  
طاهر كان الرجل من العيارين والحراشة من البغادة يأتي عريانا ومعه بارية مقيرة ، ونحت كتفه  
مخلاة فيها حجارة ، فإذا ضربته الفارس من بعيد بالسهم اتقاه بباريته فلا يؤذيه ، وإذا اقترب منه  
رماه بمحجر في القلاع أصابه ، فمزموهم لذلك . ووقعة الشهسية أمر فيها هرثة بن أعين ، فشق ذلك  
على طاهر وأمر به قدس جسر على دجلة فوق الشهسية ، وعبر طاهر بنفسه ومن معه إلى الجانب الآخر  
فقاتلهم بنفسه أشد القتال حتى أزالهم عن مواضعهم ، واسترد منهم هرمة وجاعة ممن كانوا أسروهم  
من أصحابه ، فشق ذلك على محمد الأئمين وقال في ذلك : -

منيت بأشجع الثقلين قلباً • إذا ما طال ليس كما يطول

له مع كل ذي بدرٍ رقيب • يشاهده ويدلم ما يقول

فليس بمغفل أصراً عتاداً • إذا ما الأمر ضيعة الغفول

وضعف أمر الأئمين جداً ولم يبق عنده مال ينقذه على جنده ولا على نفسه ، وتفرق أكثر  
أصحابه عنه ، وبقي مضطهداً ذليلاً . ثم انقضت هذه السنة بكاملها والناس في بغداد في قلاقل وأهوية  
مختلفة ، وقتال وحرث ، وسراقات ، وساءت بغداد فلم يبق فيها أحد برد عن أحد كما هي عادة الفتن .  
وحج بالناس فيها العباس بن موسى الهاشمي من جهة المأمون . وفيها توفي شعيب بن حرب أحد

الزهاد . وعبد الله بن وهب إمام أهل الديار المصرية . وعبد الرحمن بن مسهر أخو علي بن مسهر .  
وعنان بن سعيد الملقب بورش أحد القراء المشهورين الرواة عن نافع بن أبي نعيم . ووكيع بن  
الجراح الرواسي أحد أعلام المحدثين . مات عن ست وستين سنة .

( ثم دخلت سنة ثمان وتسعين ومائة )

فيها خاض خزيمة بن خازم على محمد الأمين وأخذ الأمان من طاهر . ودخل هرثمة بن أعين من  
الجانب الشرقي . وفي يوم الأربعاء اتان خلون من الحرم وقب خزيمة بن خازم ومحمد بن علي بن  
عيسى على جسر بغداد قطماة ونصرا رأيتهما عليه . ودعوا إلى بيعة عبد الله المأمون وخلع محمد  
الأمين ، ودخل طاهر يوم الخميس إلى الجانب الشرقي فبشر القتال بنفسه ، ونادى بالأمان لمن لم  
منزله ، وجرت عند دار الرقيق والكناخ وغيرهما وقعات ، وأحاطوا بمدينة أبي جعفر والخلد وقصر  
زبيدة ، ونصب الجانب حول السور وحذاء قصر زبيدة ، ورماه بالمنجنيق ، نخرج الأمين بأمة  
وولده إلى مدينة أبي جعفر ، وتفرق عنه عامة الناس في الطريق ، لا يولى أحد على أحد ، حتى دخل  
قصر أبي جعفر وانتقل من الخلد لكثرة ما يأتيه فيه من رمي المنجنيق ، وأمر بتحريق ما كان فيه  
من الأثاث والبسط والأمتعة وغير ذلك ، ثم حصر حصراً شديداً . ومع هذه الشدة والضيق وإشرافه  
على الهلاك خرج ذات ليلة في ضوء القمر إلى شاطئ دجلة واستدعى بفييد وجارية ففنته فلم ينطلق  
لسانها إلا بالقرائات وذكر الموت وهو يقول : غير هذا ، وقد كر نظيره حتى غنته آخر ما غنته :

أما ورب السكون والحرك • إن النايلا كثيرة الشرك  
ما اختلف الليل والنهار ولا • داوت نجوم السماء في الفلك  
إلا لنقل السلطان من ملك • قد انقضى ملكه إلى ملك  
وذلك ذى العرش دائم أبداً • ليس بفان ولا بمشترك

قال : فيها وأقامها من عنده فمئرت في قدح كان له من بلور فكسرتة فتطير بملك . ولما ذهبت  
الجارية سمع صارخاً يقول ( قضى الأمر الذي فيه تستفتيان ) فقال للجليسة : ويحك ألا تسمع ،  
فتسمع فلا يسمع شيئاً ، ثم عاد الصوت بملك فما كان إلا ليلة أو ليلتان حتى قتل في رابع صفر يوم  
الأحد ، وقد حصل له من الجهد والضيق في حصره شيئاً كثيراً بحيث إنه لم يبق له طعام يأكله  
ولا شراب يمشي به إلا جاع ليلة فأتى برغيف ودجاجة إلا بعد شدة عظيمة ، ثم طلب ماء فلم يوجد  
له فبات عطشاً فلما أصبح قتل قبل أن يشرب الماء .

﴿ كيفية مقتله ﴾

لما اشتد به الأمر اجتمع عنده من بقي من الأمراء والخدم والجند ، فشاورهم في أمره فقالت

طائفة : تذهب بمن بقي ملك إلى الجزيرة أو الشام فتتقوى بالأموال وتستخدم الرجال . وقال بعضهم  
تخرج إلى طاهر وتأخذ منه أماتا وتبايع لأخيك ، فإذا فعلت ذلك فإن أخاك سيأسرك بما يكفيك  
ويكفي أحلك من أمر الدنيا ، وغاية مرادك الدعة والراحة ، وذلك يحصل لك تماماً . وقال بعضهم : بل  
هرمة أولى بأن يأخذ لك منه الأمان فانه مولاكم وهو أحق عليكم . فقال إلى ذلك ، فلما كانت ليلة  
الأحد الرابع من صفر بعد عشاء الآخرة واعد هرمة أن يخرج إليهم ، ثم ليس ثياب الخلقة  
وطيلسانا واستدعى بولديه فشمهما وضعهما إليه وقال : أستودعكما الله ، ومسح دموعه بطرف كفه ، ثم  
ركب على فرس سوداء وبين يديه شمعة ، فلما انتهى إلى هرمة أكرمه وعظمه وركبا في حراقة في دجلة ،  
وبلغ ذلك طاهراً فغضب من ذلك وقال : أنا الذي ضلت هذا كله ويذهب إلى غيري ، وينسب  
هذا كله إلى هرمة ؟ فلحقهما وهما في الحراقة فأمالها أصحابه ففرق من فيها ، غير أن الأمين سبغ إلى  
الجانب الآخر وأمره بعض الجنود . وجاء فأعلم طاهراً فبحث إليه جنداً من المعجم فجاءوا إلى البيت  
الذي هو فيه وعنده بعض أصحابه وهو يقول له : ادن مني فإني أجد وحشة شديدة ، وجعل يثلم في  
ثيابه شديداً وقلبه يهتف خفقاناً عظيماً ، كاد يخرج من صدره . فلما دخل عليه أولئك قال : إنا لله  
وإنا إليه راجعون . ثم دنا منه أحدهم فضربه بالسيف على مفرق رأسه فجعل يقول : ويحك أنا ابن  
هم رسول الله ﷺ ، أنا ابن هارون ، أنا أخو المؤمن ، الله الله في دمي . فلم يلتفتوا إلى شيء من  
ذلك ، بل تكاثروا عليه وذبحوه من قتله وهو مكبى على وجهه وذبحوا برأسه إلى طاهر وتركوا جثته ،  
ثم جازوا بكرة إليها فلغروها في جل فرس وذبحوا بها . وذلك ليلة الأحد لأربع ليال خلت من صفر  
من هذه السنة . ( وهذا شيء من ترجمته )

هو محمد الأمين بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن المنصور ، أبو عبد الله ويقال أبو موسى  
الحاشي الصبائي ، وأمه أم جعفر زبيدة بنت جعفر بن أبي جعفر المنصور ، كان مولده بالرصافة سنة  
سبعين ومائة [ قال أبو بكر بن أبي الدنيا : حدثنا عياش بن هشام عن أبيه قال : ولد محمد الأمين بن  
هارون الرشيد في شوال سنة سبعين ومائة <sup>(١)</sup> ] . وأتته الخلقة بمدينة السلام بفداد ثلاث عشرة  
ليلة بقيت من جمادى الآخرة سنة ثلاث وتسعين وقبل ليلة الأحد لحس بقين من الحرم ، وقتل  
سنة ثمان وتسعين ومائة ، قتله قريش التتداني ، وحمل رأسه إلى طاهر بن الحسين فنصبه على رمح  
وتلاهذه الآية ( قل اللهم مالك الملك ) وكانت ولايته أربع سنين وسبعة أشهر وخمسة أيام ، وكان  
طويلاً صغيماً أبيض أفنى الأنف صغير العينين ، عظيم الكراديس بعيداً ما بين المنكبين . وقد رماه  
بعضهم بكثرة العنب والشرب وقلة الصلاة . وقد ذكر ابن جرير طرفاً من سيرته في إكثاره من  
(١) زيادة من المصرية .

اقتناء السودان والغصيان ، وإعطائه الأموال والجواهر ، وأمره بإحضار الكاهن والمفتين من سائر البلاد ، وأنه أمر بعمل خمس حرافات على صورة الفيل والأسد والقلب والحية والفرس ، وأُنفق على ذلك أموالاً جزيلة جداً ، وقد امتدحه أبو نواس بشعر فقيح في مناه من صليح الأمين ، قال في أوله :  
 سخر الله للأمين مطايا • لم تسخر لصاحب الحراف  
 فإذا ما ركا به سرن برأ • سار في المأثرة كما ليت غلب

ثم وصف كلاماً من تلك الحرافات . واعتنى الأمين ببنيك هائلة الفزعة وغيرها ، وأُنفق في ذلك أموالاً كثيرة جداً . فكثر التكثير عليه بسبب ذلك .

وذكر ابن جرير أنه جلس يوماً في مجلس أُنفق عليه مالا جزيلاً في الخلد ، وقد فرش له بأنواع الحرير ، وفُضد بأنيب الذهب والفضة ، وأحضر نغماءه وأمر القهرمانة أن تهني له مائة جارية حسناء وأمرها أن تبشطن إليه عشراً بعد عشر يفتينه ، فلما جاءت العشر الأولى اندفع يفتين بصوت واحد :  
 هو قتلوه كي يكونوا مكانه • كما غدرت يوماً بكسرى مرازبه  
 فنضب من ذلك وتبرم وضرب رأسها بالسكاس ، وأمر بالقهرمانة أن تلقى إلى الأسد فأكلها . ثم استدعى بعشرة فاندفع يفتين :

من كان مسروراً يقتل مالك • فليأت فسوتنا بوجه نهار  
 يبعد النساء حواسراً يندبته • يلطن قبل تبلج الأسرار  
 فطردهن واستدعى بعشر غيرهن ، فلما حضرن اندفع يفتين بصوت واحد :  
 كليب لعمرى كان أكثر لاهراً • وأيسر ذنباً منك ضرج بالهم  
 فطردهن وقام من فورده وأمر بتخريب ذلك المجلس وتعميق ماله .

وذكر أنه كان كثير الأدب فصيحاً يقول الشعر ويطلق عليه الجوائز الكثيرة ، وكان شامراً . أما نواس ، وقد قال فيه أبو نواس مدائح حسناء ، وقد وجده مسجوناً في حبس الرشيد مع الزنادقة فأحضره وأطلقه وأطلق له مالا وجعله من نعمائه ، ثم حبه مرة أخرى في شرب الحر وأطال حبه ثم أطلقه وأخذ عليه المهد أن لا يشرب الحر ولا يأكل القوكون من المزدان هنتل ذلك ، وكانت لا يعمل شيئاً من ذلك بعد ما استأناه الأمين ، وقد تأحب على الكسائي وقرأ عليه القرآن . وروى الخطيب من طريقه حديثاً أورده عنه لما مزى في غلام له توفي بمكة قال : حدثني أبي عن أبيه عن المنصور عن أبيه عن علي بن عبد الله عن أبيه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من مات محرماً حشر ملعباً » .

وقد قدمنا ما وقع بينه وبين أخيه من الاختلاف والفزعة ، حتى أُنْفِقَ ذلك إلى خلمه وعزله ، ثم

إلى التضيق عليه ، ثم إلى قتله ، وأنه حصر في آخر أمره حتى احتلج إلى مصانعة هرثة ، وأنه ألقى في حراقة ثم ألقى منها فسبح إلى الشط الآخر فدخل دار بعض العلة وهو في غاية الخوف والرهش والجوع والعري ، فجعل الرجل يلقنه العبر والاستفغار ، فاشتغل بذلك ساعة من الليل ، ثم جاء الطلب وراءه من جهة طاهر بن الحسين بن مصعب ، فدخلوا عليه وكان الباب ضيقاً فندفعوا عليه وقام إليهم فجعل يدافعهم من نفسه بمخدة في يده ، فاقصروا إليه حتى عرقوه وضربوا رأسه وأخاضرته بالسوف ، ثم ذبحوه وأخذوا رأسه وجثته فأثروا بهما طاهرا ، فخرج بذلك فرحاً شديداً ، وأمر بنصب الرأس فوق زبج هناك حتى أصبح الناس ينظروا إليه فوق الزبج عند باب الأنبار ، وكثر عدد الناس ينظرون إليه . ثم بعث طاهر برأس الأمين مع ابن عمه محمد بن مصعب ، وبعث معه بالبردة والتضييب والتمل - وكان من خواص مبطن - فسله إلى ذي الرياستين ، فدخل به على المأمون على ترس ، فلما رآه سجد وأمر ابن جاء به بألف ألف درهم . وقد قال ذو الرياستين حين قدم الرأس يولب على طاهر : أمرته بأن يأتي به أسيراً فأرسل به إلينا عقيراً . فقال المأمون : مضى ما مضى . وكتب طاهر إلى المأمون كتاباً ذكر فيه صورة ما وقع حتى آل الحال إلى ما آل إليه . ولما قتل الأمين هدئت القتل وخدعت الشرور ، وأمن الناس ، وطابت النفس ، ودخل طاهر بغداد يوم الجمعة وذهبهم خطبة بليغة ذكر فيها أليقت كثيرة من القرآن ، وأن الله فضل ما يشاء ويحكم ما يريد ، وأمرهم فيها بالجمعة والسبح والطاعة ثم خرج إلى مسكرة فأقام به وأمر بتحويل زبيدة من قصر أبي جعفر إلى قصر الخلد ، فخرجت يوم الجمعة الثاني عشر من ربيع الأول من هذه السنة ، وبعث موسى وعبد الله ابني الأمين إلى جميع المأمون بخراسان ، وكان ذلك رأياً سديداً . وقد وثب طائفة من الجند على طاهر بعد خسة لهم من مقتل الأمين وطالبوا منه أرواقهم فلم يكن عنده إذ ذاك مال ، فتمزقوا واجتمعوا وذبوا بعض مناعه وقلادوا : يا موسى يا منصور ، واعتقدوا أن موسى بن الأمين الملقب بالخالق هناك ، ولما هو قد سيروا إلى حمة . وأحاز طاهر بمن معه من القواد فاحية وعزم على قتالهم بمن معه ، ثم دجوا إليه واعتفروا وندموا ، فأمرهم برزق أربعة أشهر بعشرين ألف دينار اقترضها من بعض الناس ، فطابت الخواطر . ثم إن إبراهيم بن المهدي قد أسف على قتل محمد الأمين بن زبيدة وركله بأبيات ، فبلغ ذلك المأمون فبعث إليه يصفه ويومه على ذلك . وقد ذكر ابن جرير مرقاة كثيرة للناس في الأمين ، وذكر من أشمل القتين هجوم طرط ، وذكر من شعر طاهر بن الحسين حين قتله قوله : -

ملكك الناس قسراً واقتلوا • وقتلت الجبارة الكبار

ووجهت الخلافة نحو مرو • إلى المأمون تبتغر ابتدارا

( ذكر خلافة عبد الله المأمون بن الرشيد هارون )

لما قتل أخوه محمد في رابع صفر من سنة ثمان وتسعين ومائة وقيل في الحرم ، استوسقت البيعة شرقاً وغرباً للمأمون : فولى الحسن بن سهل نيابة الرقاق وبارس والأهواز والكوفة والبصرة والحجاز والعين ، وبعث نوابه إلى هذه الأقاليم ، وكتب إلى طاهر بن الحسين أن ينصرف إلى الرقة لحرب نصر بن سبت ، وولاه نيابة الجزيرة والشام والموصل والمغرب . وكتب إلى هرثة بن أعين بولاية خراسان . وفيها حج بالناس العباس بن عيسى الهاشمي . وفيها توفي سفيان بن عيينة . وعبد الرحمن ابن مهدي . وبعثي القطنان . فهؤلاء الثلاثة سادة العلماء في الحديث والفقه وأما الرجال .

( ثم دخلت سنة تسع وتسعين ومائة )

فيها قدم الحسن بن سهل بغداد نائباً عليها من جهة المأمون ، ووجه نوابه إلى بنية أعماله ، وتوجه طاهر إلى نيابة الجزيرة والشام ومصر وبلاد المغرب . وسار هرثة إلى خراسان نائباً عليها ، وكان قد خرج في أواخر السنة الماضية في ذي الحجة منها ، والحسن المرش يدعو إلى الرضى من آل محمد ، فنجى الأموال وانتهب الأنعام وعلث في البلاد فساداً فبعث إليه المأمون جيشاً تقتله في الحرم من هذه السنة . وفيها خرج بالكوفة محمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي . أبي طالب يوم الخميس لشر خلون من جمادى الآخرة ، يدعو إلى الرضى من آل محمد ، والعمل بالكتاب والسنة ، وهو القتي قال له ابن طباطبا ، وكان قائماً بأمره وتدبير الحرب بين يديه أبو السرايا السمرى بن منصور الشيباني ، وقد اتقى أهل الكوفة على موافقته واجتمعوا عليه من كل فج عريق ، ووفدت إليه الأعراب من نواحي الكوفة ، وكان النائب عليها من جهة الحسن بن سهل سليمان ابن أبي جعفر المنصور ، فبعث الحسن بن سهل يلومه ويؤنبه على ذلك ، وأرسل إليه بمشرة آلاف فارس صحبة زاهر بن زهير بن المسيب ، ففقتلوا خارج الكوفة فهزموا زاهراً واستباحوا جيشه ونهبوا ما كان معه ، وذلك يوم الأربعاء سابع جمادى الآخرة ، فلما كان الغد من الزمعة توفي ابن طباطبا أمير الشيعة فجأة ، يقال إن أبا السرايا سمه وأقام مكانه غلاماً أصرد يقال له محمد بن محمد بن زيد بن علي ابن الحسين بن علي بن طالب . وافتزل زاهر بن يحيى معه من أصحابه إلى قصر ابن هبيرة ، وأرسل الحسن بن سهل مع عبديوس بن محمد أربعة آلاف فارس ، صورة مدد زاهر ، فالتقوا وأبو السرايا فهزمهم أبو السرايا ولم يفلت من أصحاب عبديوس أحد ، وانتشر الطالبيون في تلك البلاد ، وضرب أبو السرايا الدرهم والدينار في الكوفة ، ونقش عليه ( إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً ) الآية . ثم بعث أبو السرايا جيوشه إلى البصرة وواسط والمدائن فهزموا فيها من النواب ودخلوها قهراً ، وقويت شوكتهم ، فأمر ذلك الحسن بن سهل وكتب إلى هرثة يستدعيه لحرب أبي السرايا



فمنع ثم قدم عليه فخرج إلى أبي السرايا فهزم أبا السرايا غير مرة وطرده حتى رده إلى الكوفة .  
 ووثب الطالبيون على دور بنى العباس بالكوفة قهوها وخرابوا ضياعهم ، وفضلوا أموالا قبيحة ،  
 وبث أبو السرايا إلى المدائن فاستجابوا ، وبث إلى أهل مكة حسين بن حسن الأنطلس ليقيم لهم  
 الموسم يخاف أن يدخلها جبهة ، ولما سمع نائب مكة - وهو داود بن عيسى بن موسى بن علي بن  
 عبد الله بن عباس - هرب من مكة طالبا أرض العراق ، وبقي الناس بلا إمام فقتل مؤذنها أحمد  
 ابن محمد بن الوليد الأزرق أن يعلى بهم فأتى ، فقبل لقاضيا محمدا بن عبد الرحمن الخزومي  
 فاستنح ، وقال : لمن أدمع وقد هرب نواب البلاد . فقدم الناس رجلا منهم فضلى بهم الظفر والمصر ،  
 وبلغ الظفر إلى حسين الأنطلس فدخل مكة في عشرة أشهر قبل الغروب طائف بالبيت ، ثم وقف  
 بعرفة ليلا وصل بالناس النجر بمزدلفة وأقام بقية المناسك في أيام منى ، فدفع الناس من عرفة بنهر  
 إمام . وفيها توفي إسحاق بن سليمان . وابن نمير . وابن سابور . وعمر والنميري ، والد مطيع البلخي  
 ويونس بن بكير . ( ثم دخلت سنة مائتين من الهجرة )

في أول يوم منها جلس حسين بن حسن الأنطلس على طنفسة مثثة خلف المقام وأمر بتجريد  
 الكعبة مما عليها من كساوى بنى العباس ، وقال : نظرها من كساويهم . وكساها ملاءتين صفراوتين  
 عليهما اسم أبي السرايا ، ثم أخذ ما في كنز الكعبة من الأموال ، وتقسع ودائع بنى العباس  
 فأخذها ، حتى أنه أخذ مال ذوى المال ويزعم أنه للسودة . وهرب منه الناس إلى الجبال ، وصبك  
 ما على رؤس الأساطين من الذهب ، وكان ينزل مقدار يسير بعد جهد ، وقلعوا ما في المسجد الحرام  
 من الشبائيك وباعوها بالبخص ، وأسأوا السيرة جدا . فلما بلغه مقتل أبي السرايا كتم ذلك وأمر  
 رجلا من الطالبين شيخا كبيرا ، واستمر على سوء السيرة ، ثم هرب في سادس عشر الحرم منها ،  
 وذلك لما قهر هرمة أبا السرايا وهزم جيشه وأخرجه ومن معه من الطالبين من الكوفة ، ودخلها  
 هرمة ومنصور بن المهدي فأمنوا أهلها ولم يتعرضوا لأحد . وسار أبو السرايا من مكة إلى القادسية ، ثم  
 سار منها فاعترضهم بعض جيوش المأمون فهزمهم أيضا وجرح أبو السرايا جراحة منكرة جدا ،  
 وهربوا يريدون الجزيرة إلى منزل أبي السرايا برأس العين ، فاعترضهم بعض الجيوش أيضا فأسرهم  
 وأتوا بهم الحسن بن سهل وهو بالهروان حين طرده الحربية ، فأمر بضرب عنق أبي السرايا فخرج  
 من ذلك جزءا شديدا جدا وطيف برأسه وأمر بجسده أن يقطع اثنتين وينصب على جسرى  
 بغداد ، فكان بين خروجه وقتله عشرة أشهر . فبعث الحسن بن سهل بن محمد إلى المأمون مع  
 رأس أبي السرايا . وقال بعض الشعراء :

لم تر ضربة الحسن بن سهل \* بسيفك يا أمير المؤمنين

### أدارت مرو رأس أبي السرايا • وأبقت عيرة لعلينا

وكان القى في يده البصرة بن الطالبين زيد بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسن ابن علي ، ويقال له زيد النار ، لكثرة ما حرق من البيوت التي للسودة ، فأسره علي بن سبيد وأمنه وبث به وعن ممة من القواد إلى اليمن لقتال من هناك من الطالبين .

وفيها خرج باليمن إبراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسن بن علي ، ويقال له الجزار لكثرة من قتل من أهل اليمن ، وأخذ من أموالهم . وهو القى كل بمكة وفعل فيها ما ضل كما تقدم ، فلما بلغ قتل أبي السرايا هرب إلى اليمن ، فلما بلغ نائب اليمن خبره ترك اليمن وسار إلى خراسان واجتاز بمكة وأخذ أمه منها . واستحوذ إبراهيم هذا علي بلاد اليمن وجرت حروب كثيرة يطول ذكرها ، ورجع محمد بن جعفر العلوي عما كان يزعمه ، وكان قد ادعى الخلافة بمكة ، وقال : كنت أظن أن المأمون قد مات وقد تحققت حياته ، وأنا أستغفر الله وأتوب إليه عما كنت اذعيت من ذلك ، وقد رجعت إلى الطاعة وأنا رجل من المسلمين . ولما هزم فرجة أبا السرايا ومن كان ممة من ولاية انطاكية وهو محمد بن محمد وشي بعض الناس إلى المأمون أن فرجة راسل أبا السرايا وهو القى أمره بالظهور ، فاستدعاه المأمون إلى مرو فأمر به فضرب بين يديه ووطئ بطنه ثم وضع إلى الحبس ثم قتل بعد ذلك بأيام ، وانطوى خبره بالكافة . ولما وصل خبر قتله إلى بغداد عرفت العلة والحريية بالحسن ابن سهل نائب العراق وقالوا : لا نرضى به ولا يملكه ببلادنا ، وأظهروا إسحاق بن موسى المهدي نائباً ، واجتمع أهل الجانبين على ذلك ، وانتفت على الحسن بن سهل جماعة من الأمراء والأجناد ، وأرسل من وافق العلة على ذلك من الأمراء يجرؤهم على القتال ، وجرى الحروب بينهم ثلاثة أيام في شعبان من هذه السنة . ثم اتفق الحال على أن يعطيهم شيئاً من أرزاقهم ينقونها في شهر رمضان ، فزال يعطوهم إلى ذى القعدة حتى يدرك الزرع ، فخرج في ذى القعدة زيد بن موسى القى يقال له زيد النار ، وهو أخو أبي السرايا ، وقد كان خرج هذه المرة بناحية الأنبار ، فبعث إليه علي بن هشام نائب بغداد عن الحسن بن سهل والحسن بالمدائن إذ ذاك فأخذه وأتى به إلى علي ابن هشام ، وألفنا الله نأثرته .

وبعث المأمون في هذه السنة يطلب من بقي من العباسيين ، وأحصى كم العباسيون قبلوا ثلاثة وثلاثين ألفاً ، ما بين ذكور وأثلاث . وفيها قتلت الروم ملكهم اليون ، وقد ملكهم سبع سنين ، وملكوا عليهم ميخائيل نائبه . وفيها قتل المأمون يحيى بن عمر بن إسحاق ، لأنه قال للمأمون : يا أمير الكافرين . قتل صبراً بين يديه . وفيها حج بالناس محمد بن المتصم بن هارون الرشيد . وفيها توفي من الأعيان :

أسباط بن محمد ، وأبو ضرّة أنس بن عياض ، ومسلم بن قتيبة ، وعمر بن عبد الواحد ، وابن أبي  
 شيبة ، وميشرة بن إسماعيل ، ومحمد بن جبير ، وساذ بن هشام .

﴿ ثم دخلت سنة إحدى ومائتين ﴾

فيها راود أهل بغداد منصور بن المهدي على الخلة فشتت من ذلك ، فراودوه على أن يكون  
 نائباً للمأمون يدعوه في الخلة فأجابهم إلى ذلك ، وقد أخرجوا على بن هشام نائب الحسن بن سهل  
 من بين أظهرهم بعد أن جرت حروب كثيرة بسبب ذلك . وفيها عم البلاء بالمباردين والاشطار  
 والفساق ببغداد وما حولها من القرى ، كانوا يأتون الرجل يسأله ما لا يفرضهم أو يصلهم به فيمتنع  
 عليهم فيأخذون جميع ماله ، منزله ، وربما قرضوا للتلان والقتوان ، ويأتون أهل القرية فيساقون  
 من الأضلاع والمواشي ، يأخذون ما شاءوا من التلان والقتوان ، ونهبوا أهل قطر بل ولم يدعوا  
 لهم شيئاً أصلاً ، فانتدب لهم رجل يقال له خالد الدينوري ، وآخر يقال له سبيل بن سلامة أبو حاتم  
 الأنصاري من أهل خراسان . وانف عليهم جماعة من العامة فكفوا شرهم وقاطعهم ومنوم من  
 الفساد في الأرض ، واستقرت الأمور كما كانت ، وذلك في شعبان ورمضان . وفي شوال منها رجع  
 الحسن بن سهل إلى بغداد وصالح الجند ، واقتل منصور بن المهدي ومن واقعه من الأمراء . وفيها  
 بايع المأمون لعل الرضى من موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد بن الحسين الشهيد بن علي بن  
 أبي طالب أن يكون ولي العهد بعده ، وسماه الرضى من آل محمد ، وطرح ليس السواد وأمر بليس  
 الخضره ، فليسها هو وجنسه ، وكتب بذلك إلى الآفاق والأقاليم ، وكانت مبايعته له يوم الثلاثاء  
 ليلتين خلتا من شهر رمضان سنة إحدى ومائتين ، وذلك أن المأمون رأى أن علياً الرضى خير أهل  
 البيت وليس في بني العباس مثله في عمله ودينه ، فبطله ولي عهده من بعده .

﴿ ذكر يمة أهل بغداد لإبراهيم بن المهدي ﴾

لما جاء الخبر أن المأمون بايع لعل الرضى بأولاديه من بعده اختلفوا فيما بينهم ، فمن يحب عباس  
 ومن آب ممانع ، وجمهور العباسيين على الامتناع من ذلك ، وعلم في ذلك ابن المهدي إبراهيم  
 ومنصور ، فلما كان يوم الثلاثاء خمس بقين من ذي الحجة أظهر العباسيون اليممة لإبراهيم بن المهدي  
 وبقية المبارك . وكان أسود اللون . ومن بعده لابن أخيه إسحاق بن موسى بن المهدي ، وخلعوا  
 المأمون . فلما كان يوم الجمعة ليلتين بقيتا من ذي الحجة أرادوا أن يدعوا للمأمون ثم من بعده لإبراهيم  
 قتالت العامة . لا تدعوا إلا إلى إبراهيم فقط ، واختلفوا واضطربوا فيما بينهم ، ولم يصلوا الجمعة ،  
 وصل التلبي فراهي أربع وكملت .

وفيها افتتح نائب طبرستان جبالها وبلاد الالارز والشيراز . وذكر ابن حزم أن سببا الخراس

قال في ذلك شعرا . وقد ذكر ابن الجوزي ، وغيره أن سلما توفي قبل ذلك بسنين فأنه أعلم .  
وفيهما أصاب أهل خراسان والري وأصيبان جماعة شديدة وغلا الطعام جدآ . وفيها تحرك بابك  
الخرمي وأتبعه طوائف من السفلة والجهلة وكان يقول بالناسخ . وسأيت ما آكل أمره إليه . وفيها حج  
بالناس إسحاق بن موسى بن عيسى الهاشمي .

وفيهما توفي من الأعيان : أبو أسامة حماد بن أسامة . وحماد بن مسعدة . وحرسي بن حمارة .  
وعلى بن عاصم . ومحمد بن محمد صاحب أبي السرايا الذي قد كان بإيمه أهل الكوفة بعد ابن طباطبا .  
( ثم دخلت سنة فقتين ومائتين )

في أول يوم منها يبيع إبراهيم بن المهدي بالخلافة ببغداد وخلع المأمون ، فلما كان يوم الجمعة  
خمس المحرم صعد إبراهيم بن المهدي المنبر فباهمه الناس ولقب بالمبارك ، وغلب على الكوفة وأرض  
السواد ، وطلب منه الجند أن زاقهم فاطلمهم ثم أعطاهم مائتي درهم لكل واحد ، وكتب لهم بتوحيض  
من أرض السواد ، فخرجوا لا يمر ون بشئ إلا انتهبوه ، وأخذوا حاصل الفلاح والسطان ، واستناب  
على الجانب الشرقى العاصم بن موسى الهادي ، وعلى الجانب الغربى إسحاق بن موسى الهادي .  
وفيهما خرج خارجي يقال له مهدي بن علوان ، فبث إليهم إبراهيم جيشا عليهم أبو إسحاق النعمان  
ابن الرشيد في جماعة من الأتراء فكسره ورد كيده . وفيها خرج أخو أبي السرايا فيبض بالكوفة  
فأرسل إليه إبراهيم بن المهدي من قاتله فقتل أخو أبي السرايا وأرسل برأسه إلى إبراهيم ، ولما كان  
ليلة أربع عشرة من ربيع الآخر من سنة السنة ظهرت في السماء حمرة ثم ذهبت وبقى بعدها  
عمرودان أحمران في السماء إلى آخر الليل ، وجرت بالكوفة حروب بين أصحاب إبراهيم وأصحاب  
المأمون ، واقتتلوا قتالا شديدا . وعلى أصحاب إبراهيم السواد ، وعلى أصحاب المأمون الخضر ،  
واستمر القتال بينهم إلى أواخر رجب .

وفيهما غلظ إبراهيم بن المهدي بسبل بن سلامة المطوع فسجنه ، وذلك أنه التفت عليه جماعة من الناس  
يقومون بآثار بالمروء والنهي عن المنكر ، ولكن كانوا قد جاوزوا الحد وأنكروا على السلطان  
ودعوا إلى القيام بالكتاب والسنة ، وصار باب داره كأنه باب دار السلطان ، عليه السلاح والرجال  
وغير ذلك من أبهة الملك ، فقاتله الجند فكسروا أصحابه فألقى السلاح وصار بين النساء والفتنة  
ثم اختفى في بعض الدور ، فأخذ وجي به إلى إبراهيم فسجنه سنة كاملة . وفيها أقبل المأمون من  
خراسان قاصدا العراق ، وذلك أن علي بن موسى الرضى أخير المأمون بما الناس فيه من الفتن  
والاختلاف بأرض العراق ، وبأن الهاشميين قد أنعموا إلى الناس بأن المأمون مسحور ومسجون ،  
وأنهم قد قمعوا عليك ببيعك لدلى من موسى ، وأن الحرب قائمة بين الحسن بن سهل وبين إبراهيم

ابن المهدي . فاستدعى المأمون بمجموعة من أمرائه وأقر بآئته فسألمهم عن ذلك فصدقوا عليها فيما قال ، بعد أن خضع الأمان منه ، وقالوا له : إن الفضل بن سهل حسن الناس قتل هريرة ، وقد كان ناصحاً لك . فحاجله بقتله ، وإن طاهر بن الحسين بهذا لك الأمور حتى قاد إليك الخلافة بزمامها فطردته إلى الرقة فقدم لاهل له ولا تستمضه في أمر ، وإن الأرض تفتت بالشروع والعقن من أقطارها . فلما تحقق ذلك المأمون أمر بالرحيل إلى بغداد ، وقد فطن الفضل بن سهل بما عملاً عليه أولئك الناسمخون ، فغضب قوماً وتفت لحي بعضهم . وصار المأمون فلما كان بسرخص عثدا قوم على الفضل بن سهل وزير المأمون وهو في الحمام قتلوه بالسيف ، وذلك يوم الجمعة ليلتين قبلنا من شوال وله ستون سنة ، فبعث المأمون في آثارهم فبقي بهم وهم أربعة من الماليك قتلهم ، وكتب إلى أخيه الحسن بن سهل يمزيه فيه ، وولاه الوزارة مكانه ، وأرسل المأمون من سرخص يوم عيد الفطر نحو العراق وإبراهيم بن المهدي بالمداين ، وفي مقابلته جيش يقاتلونه من جهة المأمون .

وفيهما تزوج المأمون بوران بنت الحسن بن سهل ، وزوج علي بن موسى الرضى بابنته أم حبيب وزوج ابنه محمد بن علي بن موسى بابنته الأخرى أم الفضل . وحج بالناس إبراهيم بن موسى بن جعفر أخو علي الرضى ، ودعا لأخيه بعد المأمون ، ثم انصرف بعد الحج إلى اليمن ، وقد كان تغلب عليها حمويه بن علي بن موسى بن ماهان . وفيها توفي : أيوب بن سويد . وضمرة . وعمر بن حبيب . والفضل بن سهل الوزير . وأبو يحيى الخاني .

### ﴿ ثم دخلت سنة ثلاث ومائتين ﴾

ففيها وصل المأمون العراق وصار بطوس فنزل بها وأقام عند قبر أبيه أياماً من شهر صفر ، فلما كان في آخر الشهر أكل علي بن موسى الرضى عنباً فأتت فجأة فصرى عليه المأمون ودفعه إلى جانب أبيه الرشيد ، وأسف عليه أسفاً كثيراً فيها ظهر ، وكتب إلى الحسن بن سهل يمزيه فيه ويحججه بها حصل له من الحزن عليه ، وكتب إلى بني السباس يقول لهم : إنكم إنما تقدمتم علي بسبب توليت المهدي من بعد علي لعلي بن موسى الرضى ، وهذا هو قد مات فارجعوا إلى السم والطاعة . فأجابوه بأغلظ جواب كتب به إلى أحد . وفيها تغلبت التوار على الحسن بن سهل حتى قيد بالحديد وأودع في بيت ، فكتب الأُمراء بذلك إلى المأمون ، فكتب إليهم إني وأصل علي إثر كتابي هذا . ثم جرت هر وب كثيرة بين إبراهيم وأهل بغداد ، وتنكروا عليه وأبغضوه . وظهرت الفتن والسطار والفساق ببغداد وتهاقم الحال ، وصلوا يوم الجمعة ظهر آ ، أمهم الكوذون فيها من غير غلبة ، صلوا أربع ركعات ، واشتد الأمر واختلف الناس فيما بينهم في إبراهيم والمأمون ، ثم غلبت المأمونية عليهم .

### ﴿ ذكر خلع أهل بغداد إبراهيم بن المهدي ودعاهم للمأمون ﴾

لما كان يوم الجمعة المقبلة دعا الناس للمأمون وخلعوا إبراهيم ، وأقبل حميد بن عبد الحميد في جيش

من جهة المأمون فحاصر بفسداد . وطمع جندها في المطاء إذا قدم فطأ عوه على السمع والطاعة للمأمون .  
وقد قاتل عيسى بن محمد بن أبي خالدة في جماعة من جهة إبراهيم بن المهدي ، ثم احتال عيسى حتى  
صار في أيدي المأمونية أسيراً ، ثم آل الحال إلى اخفاء إبراهيم بن المهدي في آخر هذه السنة .  
وكانت أيامه سنة واحد عشر شهراً واثني عشر يوماً . وقدم المأمون في هذا الوقت إلى همدان  
وجيوشه قد استقنوا بفسداد إلى طاعته . وحج بالناس في هذه السنة سليمان بن عبد الله بن سليمان  
ابن علي . وفيها توفي من الأعيان :

### ﴿ علي بن موسى ﴾

ابن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، القرشي الهاشمي العلوي الملقب  
بالرضي ، كان المأمون قد سمع أن ينزل له عن الخلافة فأبى عليه ذلك ، فجعله ولي العهد من بعده كما  
قسمناه ذلك . توفي في صفر من هذه السنة بطوس . وقد روى الحديث عن أبيه وغيره ، وعنه جماعة  
منهم المأمون وأبو الساطع الهروي وأبو عثمان المازني النحوي ، وقال سمعته يقول : الله أعلم من أن  
يكلف المباد مالا يطيقون ، وهم أعجز من أن يفعلوا ما يريدون . ومن شعره :

كلنا يأمل مدأ في الأجل • والمنايا من آفات الأمل  
لا تفرتك . أباطيل المني • والزم القصد ودع عنك الملل  
إنما الدنيا كظل زائل • حل فيه راكب ثم ارتحل

### ﴿ ثم دخلت سنة أربع ومائتين ﴾

فيها كان قد تم المأمون أرض العراق ، وذلك أنه مر بمرجان فأقام بها شهراً ، ثم صار منها وكان  
ينزل في المنزل يوماً أو يومين ، ثم جاء إلى التبروان فأقام بها ثمانية أيام ، وقد كتب إلى طاهر بن  
الحسين وهو بالرقعة أن يوافيه إلى التبروان فوافاه بها وتلقاه رؤس أهل بيته والقواد وجنود الجيش ،  
فلما كان يوم السبت الآخر دخل بفسداد حين أرتفع النهار لأربع عشرة ليلة خلت من صفر ، في  
أبهة عظيمة وجيش عظيم ، وعليه وعلى جميع أصحابه وفتيانه الخفزة ، فلبس أهل بفسداد وجميع  
بنى هاشم الخفزة ، ونزل المأمون بالرصافة ثم تحول إلى قصر على دجلة ، وجعل الأمراء ووجوه  
الدولة يترددون إلى منزله على العادة ، وقد تحول لباس البغدادية إلى الخفزة ، وجعلوا يجرقون كل  
ما يجدونه من السواد ، فكنوا كذلك ثمانية أيام . ثم استعرض حواشي طاهر بن الحسين لسكران  
أول حاجلة سألها أن يرجع إلى لباس السواد ، فانه لبس أيامه من ذولة ورتة الأنبياء . فلما كان  
السبت الآخر وهو الثامن والعشرين من صفر جلس المأمون للناس وعليه الخفزة ، ثم إنه أمر بخفلة  
سوداء فألبسها طاهراً ، ثم ألبس بعده جماعة من الأمراء السواد ، فلبس الناس السواد وعادوا إلى

ذلك ، فلم منهم بذلك الطاعة والمواظقة ، وقيل إنه مكث يلبس الخضره بعد قدومه بغداد سبعا وعشرين يوماً ، والله أعلم .

ولما جاء إليه عمه إبراهيم بن المهدي بعد اختفائه ست سنين وشهوراً قال له المأمون : أنت الخليفة الأسود ، فأخذه في الاعتذار والاستنصار ، ثم قال : أنا الذي منعت عليه يا أمير المؤمنين بالعفو ، وأنشد المأمون عند ذلك :

ليس يزرى السواد بالرجل الشهم • ولا بالفتى الأديب الأريب

إن يكن للشواد منك نصيب • فيأبى الأخلاق منك نصيب

قال ابن خلكان : وقد نظم هذا المعنى بعض التأخرين وهو نصر الله بن قلانس الاسكندري فقال :

رب سوداء وهي بيضاء فل • حسد الملك عندها الكافور

مثل حب العيون يحسبه الناس • سواداً وإنما هو نور

وكان المأمون قد شاور في قتل عمه إبراهيم بن المهدي بعض أصحابه فقال له أحمد بن خالد الوزير الأحول : يا أمير المؤمنين إن قتلتك ففك نظراء في ذلك ، وإن عفوت عنه فإليك نظير . ثم شرع المأمون في بناء قصور على دجلة إلى جانب قصره ، وسكنت الفتن وانزاحت الشرور ، وأمر بمقاصعة أهل السواد على الحسين ، وكانوا يقامون على النصف . واتخذ القفيز للمعمر وهو هشرة مكاكي بالمرحوك الأهوازي ، ووضع شيئاً كثيراً من خراجات بلاد شق ، ودفق بالناس في مواضع كثيرة ، وولى أخاه أبا عيسى بن الرشيد الكوفة ، وولى أخاه صالحاً البصرة ، وولى عبيد الله بن الحسين ابن عبد الله بن العباس بن علي بن أبي طالب نيابة الحرمين ، وهو الذي حج بالناس فيها . وواقع يحيى بن معاذ بابل الخرمي فلم يظفر به . وفيها توفي من الأعيان جماعة منهم :

( أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي )

وقد أفردنا له ترجمة معولة في أول كتابنا طبقات الشافعيين ، ولندكر هنا ما يخصاً من ذلك والله المستعان .

هو محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم ابن المطلب بن عبد مناف بن قصي ، القرشي المطلبي ، والسائب بن عبيد أسلم يوم بدر ، وابنه شافع ابن السائب من صفار الصحابة ، وأمه أزدية . وقد رأت حين حملت به كأن المشتري خرج من فرجها حتى أفض بصبر ، ثم وقع في كل بلد منه شظية . وقد ولد الشافعي بفسطاط ، وقيل بسفلاق ، وقيل باليمن سنة خمسين ومائة ، ومات أبوه وهو صغير فحملته أمه إلى مكة وهو ابن سنتين لتلا يضيع نسبه ، فنشأ بها وقرأ القرآن وهو ابن سبع سنين ، وحفظ الموطأ وهو ابن عشر ، وأفنى وهو ابن

خمس عشرة سنة . وقيل ابن ثمانى عشرة سنة ، وأخذ له شيخه مسلم بن خالد الزنجى ، وعنى بالغة الشعر ، وأطام فى هذيل نحواً من عشر سنين ، وقيل عشرين سنة ، فتعلم منهم لغات العرب وفصاحتها ، وسمع الحديث الكثير على جماعة من المشايخ والأئمة ، وقرأ بنفسه الموطأ على مالك من حفظه فأعجبته قراءته وحمته ، وأخذ عنه علم الحجازيين بعد أخذه عن مسلم بن خالد الزنجى . وروى عنه خلق كثير قد ذكرنا أسماء مرتبين على حروف المعجم ، وقرأ القرآن على إسماعيل بن قسطنطين عن شبيل عن ابن كثير عن مجاهد عن ابن عباس عن أنس بن كعب عن رسول الله ﷺ عن جبريل عن الله عز وجل .

وأخذ الشافعى الفقه عن مسلم بن خالد عن ابن جريح عن عطاء عن ابن عباس وابن الزبير وغيرهما عن جماعة من الصحابة ، منهم عمرو بن علي وابن مسعود ، وزيد بن ثابت ، وغيرهم . وكلامه عن رسول الله ﷺ . وثقته أيضاً على مالك عن مشايخه ، وثقته به جماعة قد ذكرناهم ومن بعدهم إلى زماننا فى تصنيف مفرد . وقد روى ابن أبي حاتم عن أبي بشر الدؤلابى عن محمد بن إدريس وراق الحميدى عن الشافعى أنه ولي الحكم بنجران من أرض اليمن ، ثم تعصبوا عليه وشوا به إلى الرشيد أنه يروم الخلافة . فعمل على نيل قى قيد إلى بغداد فدخلها فى سنة أربع وعثمانين ومائة ومعه ثلاثون سنة ، فاجتمع بالرشيد فتناظر هو ومحمد بن الحسن بين يدى الرشيد ، وأحسن القول فيه محمد بن الحسن ، وتبين الرشيد براءته مما نسب إليه ، وأنزله بمحمد بن الحسن عنده . وكان أبو يوسف قد مات قبل ذلك بسنة ، وقيل بسنتين ، وأكرمه محمد بن الحسن وكذب عنه الشافعى وقر بدير ، ثم أطلق له الرشيد ألفى دينار وقيل خمسة آلاف دينار . وعاد الشافعى إلى مكة ففرق عامة ما حصل له فى أهله وذوى رحمه من بنى عمه ، ثم عاد الشافعى إلى العراق فى سنة خمس وتسعين ومائة ، فاجتمع به جماعة من العلماء هذه المرة منهم أحمد بن حنبل وأبو ثور والحسين بن على الكرابيسى ، والمحدث بن شريح البقال ، وأبو عبد الرحمن الشافعى ، والزعفرانى ، وغيرهم . ثم رجع إلى مكة ثم رجع إلى بغداد سنة ثمان وتسعين ومائة ، ثم انتقل منها إلى مصر فأقام بها إلى أن مات فى هذه السنة ، سنة أربع ومائتين . وصنف بها كتابه الأم وهو من كتبه الجديدة لأنها من رواية الربيع ابن سليمان ، وهو مصرى . وقد زعم إمام الحرمين وغيره أنها من القديم ، وهذا بعيد ومحجب من مثله والله أعلم .

وقد أتى على الشافعى غير واحد من كبار الأئمة منهم عبد الرحمن بن مهدي وسأله أن يكتب له كتاباً فى الأصول فكتب له الرسالة ، وكان يدعو له فى الصلاة دائماً ، وشيخه مالك بن أنس وقتيبة ابن سعيد . وقال : هو إمام . وسفيان بن عيينة ، ويحيى بن سعيد القطان ، وكان يدعو له أيضاً فى



صلاته . وأبو عبيد ، وقال : ما رأيت أنصح ولا أعدل ولا أورع من الشافعي . ويحيى بن كثر القاضي ، وإسحاق بن راهويه ، ومحمد بن الحسن ، وغير واحد ممن يطول ذكرهم وشرح أقوالهم .

وكان أحمد بن حنبل يدعو له في صلاته نحواً من أربعين سنة ، وكان أحمد يقول في الحديث الذي رواه أبو داود من طريق عبد الله بن وهب عن سعيد بن أبي أيوب عن شرابيل بن يزيد عن أبي علقمة عن أبي هريرة عن النبي ﷺ : « إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها » . قال فصر بن عبد المزيز على رأس المائة الأولى ، والشافعي على رأس المائة الثانية . وقال أبو داود الطيالسي : حدثنا جعفر بن سليمان عن فصر بن معبد الكندي - أو العبدى -

عن الجارود عن أبي الأحوص عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله ﷺ : « لا تسبوا قریشاً فان عليها علماً الأرض علماً ، اللهم إنك إذ أذقت أولها عذاباً ووبالاً فأذق آخرها نوالاً » .

وهذا غريب من هذا الوجه ، وقد رواه الحاكم في مستدرکه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ نحوه .

قال أبو نعيم عبد الملك بن محمد الأسفراييني : لا ينطبق هذا إلا على محمد بن إدريس الشافعي ، حكاه الخطيب . وقال يحيى بن معين عن الشافعي : هو صدوق لا بأس به . وقال مرة : لو كان الكذب له مباحاً مطلقاً لكانت مروياته تمنحه أن يكذب . وقال ابن أبي حاتم سمعت أبي يقول : الشافعي قبيح البدين ، صدوق اللسان . وحكى بعضهم عن أبي زرعة أنه قال : ما عند الشافعي حديث غلط فيه . وحكى عن أبي داود نحوه .

وقال إمام الأئمة محمد بن إسحاق بن خزيمة - وقد سئل هل سنة لم تبلغ الشافعي ؟ - فقال : لا .

ومعنى هذا أنها تارة تبلغه بسندها ، وتارة مرسله ، وتارة منقطعة كما هو الموجود في كتبه والله أعلم .

وقال حرمله : سمعت الشافعي يقول : سمعت ينفذ ناصر السنة . وقال أبو ثور : ما رأينا مثل الشافعي

ولا هو رأى مثل نفسه . وكذا قال الزعفراني وغيره . وقال داود بن علي الظاهري في كتاب جمعه

في فضائل الشافعي : الشافعي من الفضائل ما لم يجتمع لغيره ، من شرف نسه ، وصحة دينه ومتمتده ،

وصخاؤه نفسه ، ومعرفته بصحة الحديث وسقمه وناسخه ومنسوخه ، وحفظه الكتاب والسنة وسيرة

أخلافه وحسن التصنيف ، وجودة الأصحاب والتلامذة ، مثل أحمد بن حنبل وزهده وورعه ،

وإقامته على السنة . ثم سرد أعيان أصحابه من البغاددة والمصريين ، وكذا عبد أبو داود من جملة

تلاميذه في الفقه أحمد بن حنبل . وقد كان الشافعي من أعلم الناس بحماني القرآن والسنة ، وأشد الناس

نزماً للذلال منهما ، وكان من أحسن الناس قصداً وإخلاصاً ، كان يقول : وددت أن الناس تعلموا

هذا العلم ولا يلسب إلى شيء منه أبداً فأوجر عليه ولا يحمدوني . وقد قال غير واحد عنه : إذا صح

عندكم الحديث عن رسول الله ﷺ فقولوا به ودعوا قولي ، فأتى أقول به ، وإن لم تسموا مني .

وفي رواية فلا تقلدني . وفي رواية فلا تلتفتوا إلى قولي . وفي رواية فاضربوا بقولي عرض الحائط ، فلا تقول لي مع رسول الله ﷺ . وقال : لأن يلقي الله العبد بكل ذنب ما خلا الشرك بالله خير له من أن يلقاه بشئ من الأهواء . وفي رواية خير من أن يلقاه بعلم الكلام . وقال : لو علم الناس مافى الكلام من الأهواء لفروا منه كما يفرون من الأسد . وقال : حكى في أهل الكلام أن يضربوا بالجرید ، ويطاف بهم في القبائل وينادى عليهم هذا جزء من ترك الكتاب والسنة وأقبل على الكلام .

وقال البويطي : سمعت الشافعي يقول : عليكم بأصحاب الحديث فانهم أكثر الناس صواباً . وقال : إذا رأيت رجلاً من أصحاب الحديث فكأنما رأيت رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ ، جزام الله خيراً ، حفظوا لنا الأصل ، فلهم علينا الفضل . ومن شعره في هذا المعنى قوله :  
كل العلوم سوى القرآن مشقة • إلا الحديث وإلا الفقه في الدين  
العلم ما كان فيه قال حدثنا • وما سوى ذلك وسواس الشياطين  
وكان يقول : القرآن كلام الله غير مخلوق ، ومن قال مخلوق فهو كافر . وقد روى عن الربيع وغير واحد من رؤس أصحابه ما يدل على أنه كان يربى بآيات الصفات وأحاديثها كما جاءت من غير تكيف ولا تشبيه ولا تعطيل ولا تحريف ، على طريقة السلف . وقال ابن خزيمة : أنشدني المزني أوقال أنشدنا الشافعي لنفسه قوله :

ما شئتَ كان وإن لم أشأ • وما شئتَ إن لم تشأ لم يكن  
خلقتَ العباد على ما علمت • ففي العلم يجرى الفقه والمسن  
فإنهم شقي ومنهم سعيد • ومنهم قبيح ومنهم حسن  
على ذا منلت وهذا خذلت • وهذا أعنت وهذا لم تمن

وقال الربيع : سمعت الشافعي يقول : أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي . وعن الربيع قال : أنشدني الشافعي :

قد عوج الناس حتى أحدثوا بدعاً • في الدين بالرأى لم تبت بها الرسل  
حق استخف بحق الله أكثرهم • وفي الذي حلوا من حقه شغل

وقد ذكرنا من شعره في السنة وكلامه فيها وفيما قال من الحكم والمواعظ طرقاً صالحاً في الذي كتبه في أول طبقات الشافعية . وقد كانت وفاته بمصر يوم الخميس ، وقيل يوم الجمعة ، في آخر يوم من رجب سنة أربع ومائتين ، وعن أربع وخمسين سنة ، وكان أبيض جميلاً طويلاً ميبهاً بفضيب بالحناء ، مخالفاً للشبهة رحمه الله وأكرم مثواه .

وفيهما توفي : إسحاق بن الفزات . وأشهب بن عبد العزيز المصري المالكي . والحسن بن زياد  
القولبي الكوفي الحنفي . وأبو داود سليمان بن داود الطيالسي صاحب المسند ، أحد الحفاظ . وأبو  
بكر شجاع بن الوليد . وأبو بكر الحنفي . وعبد الكريم . وعبد الوهاب بن عطاء الخفاف . والنضر بن  
شميل أحد أئمة الفقه . وهشام بن محمد بن السائب الكلبي أحد علماء التاريخ .

﴿ ثم دخلت سنة خمس ومائتين ﴾

ففيها ولي المأمون طاهر بن الحسين بن مصعب نيابة بغداد والعراق وخراسان إلى أقصى عمل  
المشرق ، ورضي عنه ورفع منزلته جداً ، وذلك لأجل مرض الحسن بن سهل بالسواد . وولي  
المأمون مكان طاهر على الرقة والجزيرة يحيى بن مفلح . وقدم عبد الله بن طاهر بن الحسين إلى بغداد  
في هذه السنة ، وكان أبوه قد استخلفه على الرقة وأمره بمقاتلة نصر بن شبث . وولي المأمون غيبة  
ابن يزيد الجلودى مقاتلة الزط . وولى عيسى بن محمد بن أبي خالد أذربيجان . ومات نائب مصر  
السري بن الحكم بها ، وتاب السند داود بن يزيد ، فولى مكانه بشر بن داود على أن يحمل إليه في  
كل سنة ألف ألف درهم . وسج بالناس فيها عبيد الله بن الحسن نائب الحرمين . وفيها توفي من  
الأعيان : إسحاق بن منصور السلولي . وبشر بن بكر الدمشقي . وأبو عمر المقدسي . ومحمد بن عبيد  
الطنافسي . ويعقوب الحضري . ﴿ وأبو سليمان الداراني ﴾ عبد الرحمن بن عطية ، وقيل عبد الرحمن  
ابن أحمد بن عطية ، وقيل عبد الرحمن بن عسكر أبو سليمان الداراني ، أحد أئمة العلماء العاملين ،  
أصله من واسط سكن قرية غربي دمشق يقال لها داريا .

وقد سمع الحديث من سفيان الثوري وغيره ، وروى عنه أحمد بن أبي الحواري وجماعة .  
وأسنده الحفاظ ابن عساكر من طريقه قال : سمعت علي بن الحسن بن أبي الربيع الزاهد يقول سمعت  
إبراهيم بن أدهم يقول سمعت ابن محبان يذكر عن القمقاع بن حكيم عن أنس بن مالك قال قال  
رسول الله ﷺ : « من صلى قبل الظهر أربعاً غفر الله ذنوبه يومه ذلك » . وقال أبو القاسم القشيري :  
حكى عن أبي سليمان الداراني قال : اختلفت إلى مجلس قاص فآثر كلامه في قلبي ، فلما قلت لم يبق في  
قلبي منه شيء ، فسمعت إليه ثانية فآثر كلامه في قلبي بعدما قلت وفي الطريق ، ثم عدت إليه ثالثة  
فآثر كلامه في قلبي حتى رجعت إلى منزلي ، فكسرت آلات الخرافات وزمت الطريق ، فحكيت  
هذه الحكاية ليحيى بن معاذ فقال : عصفور اصطاد كركيا - يعني بالصغور القاص وبالكركي  
أبا سليمان - وقال أحمد بن أبي الحواري سمعت أبا سليمان يقول : ليس لمن ألهم شيئاً من الخير أن  
يعمل به حتى يسمع به في الأثر ، فإذا سمع به في الأثر عمل به فكان نوراً على نور . وقال الجنيد قال  
أبو سليمان ربما يقع في قلبي النكته من نكت القوم فلا أقبلها إلا بشاهدين عديلين : الكتاب والسنة .

قال : وقال أبو سليمان : أفضل الأعمال خلاف هوى النفس . وقال لكل شئ علم وعلم الخذلان ترك  
البكاء من خشية الله . وقال : لكل شئ صدأ وصدأ نور القلب شبع البطن . وقال كل ما شغفك  
عن الله من أهل أو مال أو ولد فهو شؤم . وقال : كنت ليلة في الحراب أدعو و يداي ممدودتان  
فغلبني البرد فضمت إحداهما و بقيت الأخرى مبسوطة أدعوبها ، وغلبتني عيني فممت فنهت بي  
هاتف : يا أبا سليمان قد وضعنا في هذه ما أصابها ، ولو كانت الأخرى موضوعة فيها . قال : فأليت  
على نفسي ألا أدعو إلا و يداي خارجتان ، حرأ كان أو برداً . وقال : نمت ليلة عن و ردني فإذا أنا  
بمجدواه يقول لي : تنام وأنا أرى لك في الخلدور منذ خمسمائة عام ؟ وقال أحمد بن أبي الخوارى  
سمعت أبا سليمان يقول : إن في الجنة أنهاراً على شاطئها خيام فيها الخمر ، ينشئ الله خلق الخمر  
إنشاء ، فإذا تكامل خلقها ضربت الملائكة عليهم الخيام ، الواحدة منهم جالسة على كرسى من ذهب  
ميل في ميل ، قد خرجت عجزتها من جانب الكرسى ، فيجى أهل الجنة من تصومهم يتنزهون على  
شاطئ تلك الأنهار ما شاؤا ثم يخرج كل رجل واحدة منهم . قال أبو سليمان : عجيب يكون في الدنيا  
حال من يريد اقتضاى الأبقار على شاطئ تلك الأنهار في الجنة .

وقال : سمعت أبا سليمان يقول : ربما مكثت خمس ليال لا أقرأ بعد الفاتحة بآية واحدة أنفكر في  
معانيها ، ولربما جاءت الآية من القرآن فيطير العقل ، فسبعان من برده يمد . وسمعت يقول : أصل  
كل خير في الدنيا والآخرة الخوف من الله عز وجل ، ومفتاح الدنيا الشيع ، ومفتاح الآخرة  
الجوع . وقال لي يوماً : يا أحمد جوع قليل وعزى قليل وقصر قليل وصبر قليل وقد انقضت عنك أيام  
الدنيا . وقال أحمد : اشتبهى أبو سليمان يوماً رغباً حاراً يملح لجنه به فعض منه عضه ثم طرحة وأقبل  
ويهيى ويقول : يارب مجلت لي شهوى ، لقد أطلت جهدى وشعوى وأنا تائب ؟ فلم يبق للملح حتى  
خلق بالله عز وجل . قال : وسمعت يقول : ما رضية عن نفسى طرفة عين ، ولو أن أهل الأرض  
اجتمعوا على أن يضموني كاتضاعى هند نفسى ما قدروا . وسمعت يقول : من رأى لنفسه قيمة لم يبق  
حلوة الخلة . وسمعت يقول : من حسن ظنه بالله ثم لم ينفقه و يطعمه فهو مخدوع . وقال : يذنبى للخوف  
أن يكون على العيد أغلب الرجاء ، فإذا غلب الرجاء على الخوف قد القلب . وقال لي يوماً : هل فوق  
الصبر منزلة ؟ قلت : نعم - يعنى الرضا - فصرخ صرخة غشى عليه ثم أطلق فقال : إذا كان الصابرون  
يوفون أجرم بغير حساب ، فما ظنك بالآخرى وهم الذين رضى عنهم . وقال : ما يسرنى أن الله  
وما فيها من أولها إلى آخرها أهتته و جوه البر ، وإني أغفل عن الله طرفة عين . وقال : قال زاهد  
زاهد : أوصينى ، فقال : لا براك الله حيث نهالك ولا يفتدك حيث أمرك ، فقال : زدنى . فقال : ما عندى  
زيادة . وقال من أحسن في نهاره كوفى في ليله ، ومن أحسن في ليله كوفى في نهاره ، ومن صلق في

ترك شهوة أذهبها الله من قلبه ، والله أكرم من أن يمتد قلباً بشهوة تركت له . وقال : إذا سكنت الدنيا القلب ترحلت منه الآخرة ، وإذا كانت الآخرة في القلب جاءت الدنيا تراحها ، وإذا كانت الدنيا في القلب لم تراحها الآخرة ، لأن الدنيا لثيمة والآخرة كريمة ، وما ينبغي لكم أن تراحم لثمتها . وقال أحمد بن أبي الخوارى : بت ليلة عند أبي سليمان فسمعتهم يقول : وعزتك وجلالك لئن طالبنى يذنوى لأطالبنك بمفوك . ولئن طالبنى يبخل لأطالبنك بكرمك ، ولئن أمرت بى إلى النار لأخبرن أهل النار أنى أحبك . وكان يقول : لو شك الناس كلهم في الحق ما شككت فيه وحدى . وكان يقول : ما خلق الله خلقاً أهون على من إبليس ، ولولا أن الله أمرى أن أقنود منه أقنودت منه أبداً ، ولو تبدى لى ما طلمت إلا صفحة وجهه . وقال : إن الحق لا ينجى إلى خربة ينقب حيطاتها وهو قادر على الدخول إليها من أى مكان شاء ، وإنما ينجى إلى البيت الممور ، كذلك إبليس لا ينجى إلا إلى كل قلب عامر ليستنزهه وينزله عن كرسيه ويسلبه أعز شئ . وقال : إذا أخلص العبد انقطعت عنه الوسوس والرؤيا . وقال : الرؤيا - يعنى الجنابة - مكنت عشرين سنة لم أحتمل فدخلت مكة فباتت صلاة المشاة فاحتلت تلك الليلة . وقال : إن من خلق الله قوماً لا يشغلهم الجنان وما فيها من النعيم عنه فكيف يشغلون بالدنيا عنه ؟ وقال : الدنيا عند الله أقل من جناح بعوضة فما الزهد فيها ، وإنما الزهد فى الجنان والحوور العين ، حتى لا يرى الله فى قلبك غيره . وقال الجنيد : شئ بروى عن أبي سليمان أنا استحققت كثيراً قوله : ما اشتغل بنفسه شغل عن الناس ، ومن اشتغل بربه شغل عن نفسه وعن الناس . وقال : خير السخاء ما وافق الحاجة . قال : من طلب الدنيا حلالاً واستغناء عن المسألة واستغناء عن الناس لى الله يوم يلقاه وجهه كالقمر ليلته البدر ، ومن طلب الدنيا حلالاً مفاخرأ ومكافراً لى الله يوم يلقاه وهو عليه غضبان . وقد روى نحو هذا مرفوعاً . وقال : إن قوماً طلبوا الفنى فى المال وجهه فأخطأوا من حيث ظنوا ، ألا وإنما الفنى فى الصناعة ، وطلبوا الراحة فى الكثرة وإنما الراحة فى القلة ، وطلبوا الكرامة من الخلق وإنما هى فى التقوى ، وطلبوا النعم فى لباس الرقيق الذين ، والطعام الطيب ، والمسكن الأنيق المنيف ، وإنما هو فى الاسلام واليمان والعمل الصالح والستر والعافية وذكر الله . وقال : لولا قيام الليل ما أحببت البقاء فى الدنيا وما أحب الدنيا لقرس الأشجار ولا لكرى الأنهار ، وإنما أحبها لصيام الهواجر وقيام الليل . وقال : أهل الطاعة فى ليهم أقد من أهل الهوى فى لوهم . وقال : ربما استجئلتى الفرح فى جوف الليل ، وربما رأيت القلب يضحك ضحكاً . قال : إنه يفر بالقلب أوقات يرقص فيها طرباً فأقول : إن كان أهل الجنة فى مثل هذا إنهم لى عيش طيب .

وقال أحمد بن أبي الخوارى : سمعت أبا سليمان يقول : بينا أنا ساجد إذ ذهب بى النوم فإذا

أناجا - يعني الحوراء - قد ركضتني برجلها فقالت : حببي أترقد عينك والمالك يقظان ينظر إلى التهجدين في تهجدهم ؟ يؤسلمين آثرت لقة نومة على لقة مناجاة العزيز ، قم فقد دنا القراغ ولقي المحبون بعضهم بعضاً ، فما هذا الرقاد ؟ حببي وقررة عيني أترقد عينك وأنا أترقي لك في الخلد ومنذ كذا وكذا ؟ قال : فوثبت فزعا وقد عرفت حياء من توبيخها إياي ، وإن حلاوة منطقتها لفي سمعي وقلبي . وقال أحمد : دخلت على أبي سليمان فإذا هو يبكي فقلت : نمالك ؟ فقال : زجرت البارحة في منامي . قلت : ما الذي زجرك ؟ قال : بينا أنا نائم في محرابي إذ وقعت على جارية تفوق الدنيا حسنا ، ويدها ورقة وهي تقول : أتنام يا شيخ ؟ فقلت : من غلبت عينه نام . قالت : كلا إن طالب الجنة لا ينام ، ثم قالت : اقرأ ؟ قلت : نعم ، فأخذت الورقة من يدها فإذا فيها مكتوب :

لمت بك لقة عن حسن عيش \* مع الخيرات في غرف الجنان  
تعيش مخلداً لا موت فيها \* وتتم في الجنان مع الحسان  
تقظ من منامك إن خيراً \* من النوم التهجد في القرآن

وقال أبو سليمان : أما يستحي أحدكم أن يلبس عباءة بثلاثة دراهم وفي قلبه شهوة بخمسة دراهم ؟ وقال أيضاً : لا يجوز لأحد أن يظهر للناس الزهد والشهوات في قلبه ، فإذا لم يبق في قلبه شيء من الشهوات جازله أن يظهر إلى الناس الزهد بلبس العبا فلما علم من أعلام الزهاد ، ولو لبس ثوبين أبيضين ليستر بهما أبصار الناس عنه وعن زهده كان أسلم زهده من لبس العبا . وقال : إذا رأيت الصوف يفتنوق في لبس الصوف فليس بصوف . وخيار هذه الآءة أصحاب القطن ، أبو بكر الصديق وأصحابه ، وقال غيره : إذا رأيت ضوء التقير في لباسه فاغسل يديك من فلاحه . وقال أبو سليمان : الأخ الذي يظنك برؤيته قبل كلامه ، وقد كنت أنظر إلى الأخ من أصحابي بالعراق فأتفتع برؤيته شهراً . وقال أبو سليمان قال الله تعالى : عبدي إنك ما استحييت مني أنسيت الناس عيوبك ، وأنسيت بقاع الأرض ذنوبك وسحرت زلاتك من أم الكتاب ولم أناشك الحساب يوم القيامة . وقال أحمد : سألت أبا سليمان عن الصبر فقال : والله إنك لا تقدر عليه في الذي تحب فكيف تقدر عليه في تكره ؟ وقال أحمد تنهت عنده يوماً فقال : إنك مسؤول عنها يوم القيامة ، فإن كانت على ذنب سلف فطوبى لك ، وإن كانت على فوت دنيا أو شهوة فويل لك . وقال إنما رجوع من رجوع من الطريق قبل وصول ، ولو وصلوا إلى الله ما رجعوا . وقال إنما عصي الله من عصاه لمواتهم عليه ، ولو عزوا عليه وكرموا لحجزهم عن معاصيه وحال بينهم وبينها . وظله جلسا ، الرحمن يوم القيامة من جعل فيهم خصال الكرم والحلم والعلم والحكمة والرأفة والرحمة والفضل والصفح والاحسان والبر والنفو والطف .

وذكر أبو عبد الرحمن السلمي في كتاب عن المشايخ أن أبا سليمان الفارابي أخرج من دمشق

وقالوا : إنه يرى الملائكة ، يكلمونه ، تفرج إلى بعض الثنود فرأى بعض أهل الشام في منامه أنه إن لم يرجع إليهم هلكوا . فخرجوا في طلبه وتشفعوا له وتغلقوا له حتى رده .

وقد اختلف الناس في وفاته على أقوال قليل : مات سنة أربع ومائتين ، وقيل سنة خمس ومائتين ، وقيل خمس عشرة ومائتين ، وقيل سنة خمس وثلاثين ومائتين فله أعلم . وقد قال مروان الطاطري يوم مات أبو سليمان : لقد أصيب به أهل الاسلام كاهم . قلت : وقد دفن في قرية داريا في قبليها ، وقبره بها مشهور وعليه بناء ، وقبلته مسجد بنو الأمير تاهض الذين عبر النهر واتى ، ووقف على المقيمين عنده وقتما يدخل عليهم منه غلة ، وقد جدد مزاره في زماننا هذا . ولم أر ابن عساكر تعرض لموضع دفنه بالكيفية ، وهذا منه عجيب . وروى ابن عساكر عن أحمد بن أبي الخوارى قال كنت أشتبه أن أرى أبي سليمان في المنام فرأيت به سنة قتلت له : ما فعل الله بك يا سلم ؟ فقال : يا أحمد دخلت بها من باب الصغير فرأيت حل شيخ فأخفت منه عوداً فما أدرى تخفت به أوريته ، فأنا في حسابه إلى الآن . وقد توفي ابن سليمان بعدة بنحو من ستين رحماً الله تعالى

### ( ثم دخلت سنة ست ومائتين )

فيها ولي المأمون داود بن ماسجور بلاد البصرة وكر دجلة والجملة والبحرين ، وأمره بمحاربة الزط . وفيها جاء مد كثير ففرق أرض السواد وأهلك للناس شيئاً كثيراً . وفيها ولي المأمون عبد الله ابن طاهر بن الحسين أرض الرقة وأمره بمحاربة نصر بن شبث ، وذلك أن نائبها يحيى بن معاذ مات وقد كان استخلف مكانه ابنه أحمد فلم يرض ذلك المأمون ، واستتاب علياً بن عبد الله بن طاهر لشهادته وبصره بالأمور ، وحنه على قتال نصر بن شبث ، وقد كتب إليه أبوه من خراسان بكتاب فيه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأنبأه الكتاب والسنة . وقد ذكره ابن جرير بطوله ، وقد تداوله الناس بينهم واستحسنوه جهادوه بينهم ، حتى بلغ أمره إلى المأمون فأمر قهرى بين يديه فاستجاده جداً ، وأمر أن يكتب به نسخ إلى سائر العمال في الأقاليم . وخج بالناس عبيد الله بن الحسن نائب الحرمين . وفيها توفي إسحاق بن بشر الكاهلي أبو حنيفة صاحب كتاب المبتدأ . وحجاج بن محمد الأعور . وداود بن المحبر الذي وضع كتاب العقل . وسبابة بن سوار ( شبابة ) ومخاض بن المورد . وقطرب صاحب المثلث في اللغة . ووهب بن جرير . ويزيد بن هارون شيخ

### ( ثم دخلت سنة سبع ومائتين )

فيها خرج عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب ببلاد عك في اليمن يدعو إلى الرضى من آل محمد ، وذلك لما أنشأ العمال السيرة وظلموا الرعياء ، فلما ظهر إليهم الناس فبعت إليه المأمون دينار بن عبد الله في جيش كثيف ومعه كتاب أمان لعبد الرحمن هذا إن هو جمع

وأطاع ، فغضروا الموسم ثم ساروا إلى الثين وبنوا بالكتاب إلى عبد الرحمن فسمع وأطاع وجاء حتى وضع يده في يد دينار ، فساروا به إلى بئداد وليس السواد فيها .

وفي هذه السنة توفي طاهر بن الحسين بن مصعب نائب العراق وخراسان بكالهما ، وجد في فراشه ميتاً يده ماحلة المشاء الآخرة والنف في الفراش ، فاستبطأ أهله خروجه لصلاة الفجر فدخل عليه أخوه وعمه فوجداه ميتاً ، فلما بلغ موته المأمون قال : لا يدين ولعمرك الحمد لله الذي قدمه وأخرنا . وذلك أنه بلغه أن طاهراً خطب يوماً ولم يدع المأمون فوق المنبر ، ومع هذا ولي ولده عبد الله مكانه وأضاف إليه زيادة على ما كان ولاد أباه الجزيرة والشام نيابة فاستخلف على خراسان أخاه طلحة بن طاهر سبع سنين ، ثم توفي طلحة فاستقل عبد الله بجميع تلك البلاد ، وكان نائباً على بئداد إسحاق ابن إبراهيم وكان طاهر بن الحسين هو الذي انتزع بئداد والعراق من يد الأميين وقتله ، وقد دخل طاهر يوماً على المأمون فسأله حاجة فقصاها له ، ثم نظر إليه المأمون واغمر ورتق عيناه فقال له طاهر : ما يبكيك يا أمير المؤمنين ؟ فلم يجبه ، فأعطى طاهر حسينا الخادم مائتي ألف درهم حتى استعمل له بما يبكي أمير المؤمنين فأخبره المأمون وقال لا تجبره أحداً (وإلا) أتتلك ، إلى ذكرت قتله لأخي وما ناله من الاهانة على يدي طاهر ، والله لا تقوته مني . فلما تحقق طاهر ذلك سمى في النقلة من بين يدي المأمون ، ولم يزل حتى ولاد خراسان وأطلق له خادماً من خدمه ، وعهد المأمون إلى الخادم أن رأى منه شيئاً يريه أن يسمه ، ودفع إليه ما لا يطاق . فلما خطب طاهر ولم يدع للمأمون معه الخادم في كلخ فأت من ليكنه . وقد كان طاهر هذا يقال له ذو اليمينين ، وكان أعور بفرد عين . قتال فيه عمرو بن نباة :

إذا اليمينين وعين واحد • قصبان عين وعين زائده  
واختلف في معنى قوله ذو اليمينين فقيل لأنه ضرب رجلاً بشاله فقتله نصفين ، وقيل لأنه ولي العراق وخراسان . وقد كان كريماً محباً يحب الشراء ويعطيهم الجزيل ، ركب يوماً في حراقة فقال فيه شاعر : -

محبت لحراقة ابن الحسين • لا غرقت كيف لا تفرق  
ويحمران من فوقها واحد • وآخر من تحتها مطبق  
وأعجب من ذلك أعوادها • وقد مسها كيف لا تودق  
فأجازه بثلاثة آلاف دينار . وقال إن زدتنا زدتك . قال ابن خلكان : وما أحسن ما قاله بعض الشعراء في بعض الرؤساء وقد ركب البحر :  
ولما امتلأ البحر انتهلت تضرعاً • إلى الله يا مجرى الرياح بملته



جسدت الندامن كفه مثل موجه • فسله واجمل موجه مثل كفه

مات طاهر بن الحسين هذا يوم السبت لحس بقين من جادى الآخرة سنة سبع ومائتين ، وكان مولده سنة سبع وخمسين ، وكان اقلى سار إلى ولده عبد الله إلى الرقة يعز به في أبيه وبنيه بولاية تلك البلاد ، القاضى يحيى بن أكنم عن أسر المأمون . وفيها حج بالأسر أبو على بن الرشيد أخو المأمون . وفيها توفي بشر بن عمر الزهراني . وجعفر بن عون . وعبد الصمد بن عبد الوارث . وقراد ابن نوح . وكثير بن هشام . ومحمد بن كناسة . ومحمد بن عمر الواقدي قاضى بغداد وصاحب السير والمغازى . وأبو النصر هاشم بن القاسم . والهيثم بن عدى صاحب التصانيف .

و ( يحيى بن زياد بن عبد الله بن منصور )

أبوزكريا الكوفي نزيل بغداد مولى بنى محمد المشهور بالفراء شيخ السجدة والفقويين والقراء ، كان يقال له أمير المؤمنين في النحو ، وروى الحديث عن حازم بن الحسن البصري عن مالك بن دينار عن أنس بن مالك . قال : « قرأ رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان مالك يوم الدين بألف » رواه الخطيب قال : وكان ثقة إماماً . وذكر أن المأمون أمره بوضع كتاب في النحو فأبلاه وكتبه الناس عنه . وأسر المأمون بكتبه في الخزانة ، وأنه كان يؤدب ولديه ولي العهد من بعده ، فسلم يوماً فابتلاه أيها يقدم عليه ، فتنازع على ذلك ثم اصطلحا على أن يقدم كل واحد منهما زملاً ، فطُلق لهما أبوهما عشرين ألف دينار ، والفراء عشرة آلاف درهم . وقال له : لا أعزمك اذ يقدم عليك ولها أمير المؤمنين ولها العهد من بعده . وروى أن بشر المريسي أو محمد بن الحسن سأل الفراء عن رجل سها في سجدتي السهو فقال : لا شيء عليه . قال : ولم ؟ قال : لأن أصحابنا قالوا المصغر لا يصغر . فقال : ما رأيت أن امرأة تلد مثلك . والمشهور أن محمداً هو الذي سأله عن ذلك وكان ابن خلة الفراء ، وقال أبو بكر بن محمد بن يحيى الصولي : توفي الفراء سنة سبع ومائتين . قال الخطيب : كانت وفاته ببغداد ، وقيل بطريق مكة ، وقد امتدحوه وأثنوا عليه في مصنفاته .

( ثم دخلت سنة ثمان ومائتين )

فيها ذهب الحسن بن الحسين بن مضمب أخو طاهر طاراً من خراسان إلى كرمان فعصى بها ، فسار إليه أحمد بن أبي خالد فحاصره حتى نزل قهرآ ، فذهب به إلى المأمون فضا عنه فاستحسن ذلك منه . وفيها استغنى محمد بن سباعة من القضاء فأعفاه المأمون وولى مكانه إسماعيل بن حاد بن أبي حنيفة . وفيها ولى المأمون محمد بن عبد الرحمن الخزومي القضاء بمسكن المهدي في شهر المحرم ، ثم عزله عن قريب وولى مكانه بشر بن سعيد بن الوليد الكندي في شهر ربيع الأول منها ، فقال الخزومي في ذلك : -

ألا أيها الملك الموحد ربه • فاضيك بشرين الوليد حمار

ينفي شهادة من يدين بما به • فطلق الكتب وجاءت الأخبار

ويمد عدلا من يقول بأنه • شخ يحيط بحمسه الأقطار

وفها حجج بالناس صالح بن هارون الرشيد عن أمر أخيه المأمون .

وفها توفي من الأعيان : الأسود بن عامر . وسعيد بن عامر . وعبد الله بن بكر أحد مشايخ

الحديث . والفضل بن الربيع الحاجب . ومحمد بن مصعب . وموسى بن محمد الأمين الذي كان قد

ولاه العهد من بعده ولقبه بالناطق فلم يمه له أمره حتى قتل أبوه وكان ما كان كما تقدم . ويحيى بن

أبي بكر . ويحيى بن حسان . ويعقوب بن إبراهيم الزهرى . ووفى بن محمد المؤدب .

### ( وفاة السيدة خديجة )

وهي خديجة بنت أبي محمد الحسين بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، القرشية الهاشمية ،

كان أبوها نائباً للنصور على المدينة النبوية خمس سنين ، ثم غضب المنصور عليه فمزله عنها وأخذ

منه كل ما كان يملكه وما كان جمعه منها ، وأودعه السجن ببغداد . فلم يزل به حتى توفي المنصور

فأطلقه المهدى وأطلق له كل ما كان أخذه منه ، وخرج معه إلى الحج في سنة ثمان وستين ومائة ، فلما

كان بالحاجر توفي عن خمس وثمانين سنة . وقد روى له النسائي حديثه عن عكرمة عن ابن عباس

« أن رسول الله ﷺ احتجم وهو محرم » . وقد ضمه ابن معين وابن عدى ، ووفقه ابن حبان .

وذكره الزبير بن بكار وأثنى عليه في رياسته وشهامته . والمقصود أن ابنته خديجة دخلت الديار

المصرية مع زوجها المؤمن إسحاق بن جعفر ، فأقامت به لو كانت ذات مال فأحسنت إلى الناس والجدي

والزمنى والمرضى ومحرم الناس ، وكانت عابدة زاهدة كثيرة الخير . ولما ورد الشافعي مصر أحسنت

إليه وكان رعا صلى بها في شهر رمضان . وحين مات أمرت بمجنازته فأدخلت إليها المنزل فصلى

عليه . ولما توفيت عزم زوجها إسحاق بن جعفر أن ينقلها إلى المدينة النبوية فنه أهل مصر من

ذلك وسألوه أن يدفنها عندهم ، فدفنت في المنزل الذي كانت تسكنه بمحلة كانت تعرف قديماً بدرب

السباع بين مصر والقاهرة ، وكانت وقتها في شهر رمضان من هذه السنة فيما ذكره ابن خلكان .

قال : ولأهل مصر فيها اعتقاد . قلت : وإلى الآن قد بالغ العامة في اعتقادهم فيها وفي غيرها كثيراً

جداً ، ولا سيما عوام مصر فاتهم يطلقون فيها عبارات بشيمة مجازة تؤدي إلى الكفر والشرك ،

وأنفاظاً كثيرة ينبغي أن يعرفوا أنها لا يجوز . وربما نسبها بعضهم إلى زين العابدين وليست من

سلالته . والذي ينبغي أن يعتقد فيها ما يليق بمثلاها من النساء الصالحات ، وأصل عبادة الأصنام من

الغلاة في القبور وأصحابها ، وقد أمر النبي ﷺ بقسوة القبور وطمسها ، والمثالة في البشر حرام .

ومن زعم أنها نزلت من الخشب أو أنها تنفع أو تضر بذير مشيئة الله فهو مشرك . رحما الله وأكرمها .

### ﴿ الفضل بن الربيع ﴾

ابن يونس بن محمد بن عبد الله بن أبي فروة كيسان مولى عثمان بن عفان ، كان الفضل هذا متمكناً من الرشيد ، وكان زوال دولة البرامكة على يديه ، وقد وُزِر مرة للرشيد ، وكان شديد التقشب بالبرامكة ، وكانوا يتشبهون به ، فلم يزل يعمل جهده فيهم حتى هلكوا كما تقدم . وذكر ابن خلكان أن الفضل هذا دخل يوماً على يحيى بن خالد وابنه جعفر يوقع بين يديه ، ومع الفضل عشر قصص فلم يقض له منها واحدة ، فبقيهم الفضل بن الربيع وقال : ارجعن خاليت خالسات ثم نهض وهو يقول :

عسى وعسى يلقى الزمان عنائه • بتصرف حال والزمان عنور

فنفعي لباتات وثقفي حرائر • وتحدث من بعد الأمور أمور

فسمه الوزير يحيى بن خالد قال له : أفسدت عليك لما رجعت ، فأخذ منه القصص فوقع عليها .

ثم لم يزل يحفر خافهم حتى تمكن منهم وتولى الوزارة بعدهم ، وفي ذلك يقول أبو نواس :

ما دعى الدهر آل برمك لما • أن رمى ملكهم بأمر فظيع

إن دهرآ لم يروع فمة ليحيى • غير راع فسلم آل الربيع

ثم وُزِر من بعد الرشيد لابنه الأمين فلما دخل المأمون ببغداد اختفى فأرسل له المأمون أماماً

فخرج لجاه فدخل على المأمون بعد اختفائه مدة فأمنه ، ثم لم يزل خائلاً حتى ملأ في هذه السنة ، وله

ثمان وستون سنة . ﴿ ثم دخلت سنة تسع ومائتين ﴾

فيها حضر عبد الله بن طاهر نصر بن شيبث بعد ما حارب خمس سنين وضيق عليه جداً حتى أُلجأه

إلى أن طلب منه الأمان ، فكتب ابن طاهر إلى المأمون يطلب بذلك ، فأرسل إليه أن يكتب له أماماً

عن أمير المؤمنين . فكتب له كتاب أمان فنزل فأمر عبد الله بتخريب المدينة التي كان متحصناً

بها ، وذهب شره . وفيها جرت حروب مع بابك الخرمي فأمر بابك بعض أمراء الإسلام وأحد

مقدمي الساكرا ، فاشتد ذلك على المسلمين . وفيها حج بالناس صالح بن العباس بن محمد بن علي بن

عبد الله بن عباس وهو والي مكة . وفيها توفي ملك الروم ميخائيل بن قنقور ( جرجس ) وكان له

عليهم تسع سنين ، فلكوا عليهم ابنه توفيل بن ميخائيل .

وفيها توفي من مشايخ الحديث : الحسن بن موسى الأشيب ، وأبو علي الحنفي . وحض بن

عبد الله قاضي نيسابور . وعثمان بن عمر بن طرس . ويحيى بن عبيد الطنافسي .

### ﴿ ثم دخلت سنة عشر ومائتين ﴾

في صفر منها دخل نصر بن شيبث ببغداد ، بعث عبد الله بن طاهر فدخلها ولم يلقه أحد من

المجنبدل دخلها وحده ، فأُزيل في مدينة أبي جعفر ثم حول إلى موضع آخر . وفي هذا الشهر نظر المأمون بجماعة من كبراء من كان بايع إبراهيم بن المهدي فماتهم وجسمهم في المطبق ، ولما كان ليلة الأحد ثلاث عشرة من ربيع الآخر اجتاز إبراهيم بن المهدي - وكان محتجاً مدة ست سنين وشهوراً متتالية في زى امرأة ومعه امرأتان - في بعض دروب بغداد في أثناء الليل ، فقام الحارس فقال : إلى أين هذه الساعة ؟ ومن أين ؟ ثم أراد أن يسكن فاعطاه إبراهيم خاتماً كان في يده من ياقوت ، فلما نظر إليه استراب وقال : إنما هذا خاتم رجل كبير الشأن ، فذهب به إلى متولى الليل فأمره أن يسفر عن وجوههم ، فتمنع إبراهيم فكشفوا عن وجهه فإذا هو هو ، ففرقه فذهب به إلى صاحب الجسر فسله إليه فرفضه الآخر إلى باب المأمون ، فأصبح في دار الخلافة وتقباه على رأسه والمحنة في صدره ليراه الناس ، وليعلموا كيف أخذ . فأمر المأمون بالاحتفاظ به والاحتراس عليه مدة ، ثم أطلقه ورضى عنه . هذا وقد حلب جماعة من كل سجنهم بسببه لكونهم أرادوا الفتك بالموكلين بالسجن ، فصاب منهم أربعة .

وقد ذكرنا أن إبراهيم لما وقف بين يدي المأمون أنه على ما كان منه ففرق له عنه إبراهيم كثيراً ، وقال : يا أمير المؤمنين إن تعاقب فيحكك ، وإن تمف فيبفضك . فقال : بل أعتق إبراهيم إن القسرة تذهب الحفيظة ، والتدم توبة وبينهما عفو الله عز وجل ، وهو أكبر مما تسأل . فكبر إبراهيم وسجد شكر الله عز وجل .

وقد امتدح إبراهيم بن المهدي ابن أخيه المأمون بقصيدة بالغ فيها ، فلما سمعها المأمون قال : أقول كما قال يوسف لأخوته ( لا تنريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين ) وذكر ابن حساكر أن المأمون لما عفا عن عمه إبراهيم أمره أن يقنيه شيئاً فقال : إني تركته . فأمره فأخذ العمود في حجره وقال : هذا مقام سرور خربت منازل ودوره . تمت عليه عدااته كنبا ضاعبه أبيه . ثم عاد فقال :

ذهبت من الدنيا وقد ذهبت عني • لوى الدهر بي عنها وولى بطاعني  
فان أباك فنى أباك فضا عزبة • وإن أحقرها أحقرها على ضفني  
وإني وإن كنت المسى بينه • فأني برى موقن حسن الظن  
عميت على نفسى ضاد ينفوه • على ضاد الضو منأ على من

فقال المأمون : أحسنت يا أمير المؤمنين حقاً . فرمى العمود من حجره ووثب قائماً فزعا من هذا الكلام ، فقال له المأمون : اجلس واسكن مرحباً بك وأهلاً ، لم يكن ذلك لشيء تبوه ، والله لا رأيت طول أيامي شيئاً تكرهه . ثم أمر له بمشرة آلاف دينار وخلع عليه ، ثم أمر له برد جميع

ما كان له من الأموال والضياع والدور فودعت إليه ، وخرج من عنده مكرماً معظماً .

### ﴿ عرس بيوران ﴾

وفي رمضان منها بنى المأمون بيوران بنت الحسن بن سهل ، وقيل إنه خرج في رمضان إلى مسكر الحسن بن سهل بضم الصلح ، وكان الحسن قد عوفي من مرضه ، فقرر المأمون عنده بمن معه من وجوه الأمراء والرؤساء وأكابر بني هاشم ، فدخل بيوران في شوال من هذه السنة في ليلة عظيمة وقد أشعلت بين يديه شموع المنير ، ونثر على رأسه الدر والجوهر ، فوق حصر منسوجة بالذهب الأحمر . وكان عدد الجواهر منه ألف درة ، فأمر به لجمع في صينية من ذهب كان الجوهر فيها فتناولوا يا أمير المؤمنين إنا نثركه لتنتقله الجوارى ، فقال : لا أنا أعوضهن من ذلك . فجمع كله ، فلما جاءت المروس ومعا جدها زبيدة أم أخيه الأمين - من جملة من جاء معها - فأجلست إلى جانبه فصب في حجرها ذلك الجوهر وقال : هذا نحلة مني إليك وسلي حاجتك ، فأطرقت حياء . فقالت جنتها : كلني سيدك وسلي حاجتك فقد أملك . فقالت : يا أمير المؤمنين أسألك أن ترضى عن عك إبراهيم بن المهدي ، وأن ترده إلى منزله التي كان فيها ، فقال : نعم ! قالت : وأم جعفر - أمي زبيدة - تأذن لها في الحج . قال نعم ! فغلبت عليها زبيدة بذلتها الأميرة وأطلقت له قرية مقورة . وأما والد المروس الحسن بن سهل فانه كتب أساء قراه وضياعه وأملأه في رقاغ ونثرها على الأمراء وجوه الناس ، فن وقمت بيده رقعة في قرية منها بسث إلى القرية التي فيها نوابه فلما إليه ملكا خالصا . وأضيق على المأمون ومن كان معه من الجيش في مدة إقامته عنده سبعة عشر يوماً ما يعادل خمسين ألف ألف درهم . ولما أراد المأمون الانصراف من عنده أطلق له عشرة آلاف ألف درهم ، وأقطعته البلد الذي هو نازل بها ، وهو إقليم فم الصلح مضاداً إلى ما يبيده من الاقطاعات . ورجع المأمون إلى بغداد في أواخر شوال من هذه السنة . وفي هذه السنة ركب عبيد الله بن طاهر إلى مصر فاستقنقها بأمر المأمون من يد عبيد الله بن السري بن الحكم المتغلب عليها ، واستعادها منه بعد حروب يطول ذكرها . وفيها توفي من الأعيان أبو عمرو الشيباني القنوي واسمه إسحاق بن مراد . ومروان بن محمد الطاطري . ويحيى بن إسحاق والله سبحانه أعلم .

### ﴿ ثم دخلت سنة إحدى عشرة ومائتين ﴾

فيها توفي أبو الجواب . وطلق بن غنام . وعبيد الرزاق بن همام الصنعاني صاحب المصنف والمسند . وعبد الله بن صالح المجلي .

### ﴿ وأبو المتألمة الشاعر المشهور ﴾

واسمه إسماعيل بن القاسم بن سويد بن كيسان أصله من الحجاز ، وقد كان ثمناً جارية للبهدي

أعجبها عتبة ، وقد طلبها منه غير مرة فإذا سمع له بها لم ترده الجارية ، وتقول للخليفة : أتعطيني لرجل  
دسم الخلق كان يبيع الجرار ؟ فكان يكثر التنزل فيها ، وشاع أمره واشتهر بها ، وكان المهدي  
يؤمهم ذلك منه . واتفق في بعض الأحيان أن المهدي استدعى الشراء إلى مجلسه وكان فيهم أبو  
المناهية وشار بن برد الأعمى ، فسمع صوت أبي المناهية . فقال بشار جليسه : أتم هنا أبو المناهية ؟  
قال : نعم . فانطلق يذكر قصيدته فيها التي أولها :

ألا ما لسيدي مالها • أدلت فأجبل إدلالها

فقال بشار جليسه : ما رأيت أجسر من هذا . حتى انتهى أبو المناهية إلى قوله :

أنه الخلافة منقاد • إليه تهرور أخلاها

فلم تلك تصلح إلا له • ولم يك يصلح إلا لها

ولو رامها أحد غيره • لزلزلت الأرض زلالها

ولو لم تطعه بنت القلوب • لما قبل الله أعمالها

فقال بشار جليسه : انظروا أظلم الخليفة عن فرائض أم لا ؟ قال : فوافاه ما خرج أحد من  
الشراء يومئذ بجائزة غيره . قال ابن خلكان : اجتمع أبو المناهية بأبي نواس . وكان في طبقته  
وطبقة بشار . فقال أبو المناهية لأبي نواس : كم تعمل في اليوم من الشعر ؟ قال : بيتاً أو بيتين .  
فقال : لكى أحمل المائة والمائتين . فقال أبو نواس : لكى تعمل مثل قومك :

يا عتب مالى ذلك • يا ليقنى لم أرك

ولو حملت أنا مثل هذا لعملت الألف والألفين وأنا أعلم مثل قولى :

من كف ذات حر فى زى ذى ذكر • لها عجبات لوطى وزناه

ولو أردت مثلى لأعجزك الدهر . قال ابن خلكان : ومن لطيف شعر أبي المناهية :

إني صبيوت إليك • قى صرت من فرط التصابي

يجد الجليس إذا دنا • ربح التصابي فى ثيابي

وكان مولده سنة ثلاثين ومائة . وتوفي يوم الاثنين ثالث جمادى الآخرة سنة إحدى عشرة وقيل  
ثلاث عشرة ومائتين ، وأوصى أن يكتب على قبره بيفساد :

إن عيشا يكون آخره المو • ت ليش مسجل التنفيس

(ثم دخلت سنة ثلث عشرة ومائتين )

فيها وجه المأمون محمد بن حميد الطوسي على طريق الموصل لحاربة بابك الخرمي في أرض  
أخرى بجبل ، فأخذ جماعة من المتنفذين عليه فبمث بهم إلى المأمون . وفي ربيع الأول أظهر المأمون

في الناس بدعتين فخطيئتين إحداهما أعلم من الأخرى ، وهي القول بخلق القرآن ، والثانية تفضيل  
على بن أبي طالب على الناس بعد رسول الله ﷺ . وقد أخطأ في كل منهما خطأ كبيراً فاحشاً ،  
وأثم إثمًا عظيماً . وفيها حج بالناس عبد الله بن عبيد الله بن العباس الميموني . وفيها توفي أسد بن  
موسى الذي يقال له أسد السنة . والحسن بن جعفر . وأبو عاصم النبيل واسمه الضحاك بن مخلد . وأبو  
المغيرة عبد القدوس بن الحجاج الشامي القمشي . ومحمد بن يونس الفراء شيخ البخاري .

﴿ ثم دخلت سنة ثلاث عشرة ومائتين ﴾

فيها تار رجلان عبد السلام وابن جليس تغلما المأمون واستحوذا على الديار المصرية ، وتابعهما  
طائفة من القيسية والجمالية ، فولى المأمون أخاه أبا إسحاق نيابة الشام ، وولى ابنه العباس نيابة  
الجزيرة والثغور والدواجم ، وأطلق لكل منهما ولعبد الله بن طاهر ألف ألف دينار وخمسمائة ألف  
دينار . فلم يروم أكثر إطلاقاً منه ، أطلق فيه لهؤلاء الأمراء الثلاثة ألف ألف دينار وخمسمائة ألف  
دينار . وفيها ولى السند غسان بن عباد . وحج بالناس أمير السنة الماضية . وفيها توفي عبد الله بن  
داود الجرجيني . وعبد الله بن يزيد المقرئ المصري . وعبد الله بن موسى العيسى . وعمر بن أبي سلفة  
الدمشقي . وحكى ابن خلكان أن بعضهم قال : وفيها توفي إبراهيم بن ما هان الموصل النديم . وأبو  
المتلعبة . وأبو هريرة الشيباني النحوي في يوم واحد ببغداد . ولكنه صحح أن إبراهيم النديم توفي سنة  
ثمان وثمانين ومائة . قال السهيلي : وفيها توفي عبد الملك بن هشام راوي السيرة عن ابن إسحاق .  
حكاه ابن خلكان عنه ، والصحيح أنه توفي سنة ثمان عشرة ومائتين كما نص عليه أبو سعيد بن

( والمعكوك الشاعر )

يونس في تاريخ مصر

أبو الحسن بن علي بن جبلة الخراساني يلقب بالمعكوك ، وكان من الموالى وقد أعمى وقيل بل  
أصابه جعدي وهو ابن سبع سنين ، وكان أسود أبرص ، وكان شاعراً مطبقاً فصيحاً بليغاً ، وقد أثنى  
عليه في شعره الجاحظ في نفسه . قال : ما رأيت بدويّاً ولا حضريّاً أحسن إنشاء منه . فمن ذلك قوله :

بأبي من زارني متكنماً • حضراً من كل شئ جزعا

زاراً ثم عليه حسنه • كيف يخفى الليل بدرأ ظلما

رصد الخلوّة حتى أمكنت • ورعى السامر حتى هجما

ركب الأهوال في زودته • ثم ما سلم حتى رجعا

وهو القتال في أبي دلف القاسم بن عيسى العجلي :

إنما الدنيا أبو دلف • بين مغزاه ومعتضه

فاذا ولى أبو دلف • ولت الدنيا على أثره

كل من في الأرض من عرب • بين يديه إلى حضره  
 يرتجيه نيل مكرمة • يأتيها يوم مفتخره  
 ولما بلغ المأمون هذه الآيات - وهي قصيدة طويلة - عرض فيها أبا نواس فطلبه المأمون فهرب  
 منه ثم أحضر بين يديه فقال له : ويحك ففضل القاسم بن عيسى علينا . قال : يا أمير المؤمنين أنتم  
 أهل بيت اصطفاكم الله من بين عباده ، وآتاكم ملكاً عظيماً ، وإنما فضلت على أشكائه وأقرانه .  
 فقال : والله ما أبقيت أحداً حيث تقول :

• كل من في الأرض من عرب • بين يديه إلى حضره  
 ومع هذا فلا استعمل قتلك بهذا ، ولكن بشرتك وكفرك حيث تقول في عيد ذليل :  
 أنت الذي تنزل الأيام منزلاً • وتنقل الدهر من حال إلى حال  
 وما مددت مدي طرف إلى أحد • إلا قضيت بأرزاق وآجال  
 ذاك الله يفعله ، أخرجوا لسانه من فاه . فأخرجوا لسانه في هذه السنة فأت . وقد امتنع  
 حديد بن عبيد الحميد الطوسي :

إنا الدنيا حميد • وأيديه جسام • فذا ولي حميد • فلي الدنيا السلام  
 ولما مات حميد هذا رثاه أبو الصلتاية بقوله :

أما غاتم أما ذواك فواسع • وقبرك مسور الجوانب محكم  
 وما ينفع المقبور عمران قبره • إذا كان فيه جسمه ينهم  
 وقد أورد ابن خلكان لمعك هذا أشماراً جيدة تركناها اختصاراً .

( ثم دخلت سنة أربع عشرة ومائتين )

في يوم السبت لحس بقين من ربيع الأول منها التقى محمد بن حميد وبابك الخرمي لعنه الله ،  
 قتل الخرمي خلقاً كثيراً من جيشه ، وقتله أيضاً وأنهم بقية أصحاب ابن حميد ، فبث المأمون  
 إسحاق بن إبراهيم ويحيى بن أكنم إلى عبد الله بن طاهر يخبرانه بين خراسان ، ونيابة الجبال  
 وأذربيجان وأرمينية ومحاربة بابك ، فاختر المأمون إسحاق بن طاهر لكثرته احتياجها إلى الضغط ، ولخوف  
 من ظهور الخوارج . وفيها دخل أبو إسحاق بن الرشيد الفيل المصري فانتزعها من يد عبد السلام  
 وابن جليس وقتلها . وفيها خرج رجل يقال له بلال الضبابي فبث إليه المأمون ابنه العباس في  
 جماعة من الأمراء فقتلوا بلالاً ورجعوا إلى بغداد . وفيها ولي المأمون علي بن هشام الجبل وقم  
 وأصبهان وأذربيجان . وفيها حج بالناس إسحاق بن العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس .  
 وفيها توفى أحمد بن خلف المروزي .



﴿ وأحمد بن يوسف بن القاسم بن صبيح ﴾

أبو جعفر الكاتب ولى ديوان الرسائل للمأمون . ترجمه ابن عساكر وأورد من شعره قوله :

قد برزق المرء من غير حيلة صدرت • ويصرف الرزق عن ذى الحيلة القاهي

مادسقى من غنى يوماً ولا عدم • إلا وقول عليه الحمد لله

وله أيضاً : إذا قلت فى شئ نعم فأتمه • فإن نعم دين على الحر واجب

ولا قتل لا تستريح بها • لتلايقول الناس إنك كاذب

وله : إفا المرء أفتى سره بلسانه • فلام عليه غيره فهو أحق

إفاضاق صدر المرء عن سر نفسه • فصدر الذى يستودع السر أضيق

وحسن بن محمد المروزي شيخ الامام أحمد . وعبد الله بن الحكم المصرى . ومعاوية بن عمر .

﴿ وأبو محمد عبد الله بن أعين بن ليث بن رافع المصرى ﴾

أحد من قرأ الموطأ على مالك وثقه بمنحه ، وكان موطأ ببلاد مصر ، وله بها ثروة وأموال

وافرة . وحين قدم الشافى مصر أعطاه ألف دينار ، وجعل له من أصحابه ألفى دينار ، وأجرى عليه

وهو والده محمد بن عبد الله بن الحكم الذى يحب الشافى . ولما توفى فى هذه السنة دفن إلى جانب

قبر الشافى . ولما توفى ابنه عبد الرحمن دفن إلى جانب قبر أبيه من القبلة . قال ابن خلكان فهى

ثلاثة أقبر الشافى شامياً . وهما قبلته . رحمه الله .

﴿ ثم دخلت سنة خمس عشرة ومائتين ﴾

فى أواخر الحرم منها ركب المأمون فى العساكر من بغداد فاصداً بلاد الروم لنزولهم ، واستخلف

على بغداد وأعمالها إسحاق بن إبراهيم بن مصعب ، فلما كان بشكرت تلقاه محمد بن على بن موسى

ابن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب من المدينة النبوية ، فأذن له المأمون فى

الدخول على ابنته أم الفضل بنت المأمون . وكان معقود الشد عليها فى حياة أبيه على بن موسى ،

فدخل بها ، وأخذها معه إلى بلاد الحجاز . وتلقاه أخوه أبو إسحاق بن الرشيد من الهزار المصرية قبل

وصوله إلى الموصل ، وسار المأمون فى جحافل كثيرة إلى بلاد طرسوس فدخلها فى جمادى الأولى ،

وفتح حصناً هناك عنوة وأمر بهدمه ، ثم رجع إلى دمشق فزلفها وعمر دير رات بسفح فيسوى ، وأقام

بدمشق مدة . وحج بالناس فيها عبد الله بن عبيد الله بن العباس السامى .

وفىها توفى أبو زيد الأنصارى . ومحمد بن المبارك الصورى . وقبيصة بن عقبة . وعلى بن الحسن بن

شقيق . ومكي بن إبراهيم . ﴿ فأما أبو زيد الأنصارى ﴾

فهو سعيد بن أوس بن ثابت البصرى القنوى أحد الثقات الاثبات ويقال إنه كان يرى ليلة

التقدم . قال أبو هيثم المازني : رأيت الأصمعي جاء إلى أبي زيد الأنصاري وقبل رأسه وجلس بين يديه وقال : أنت رئيسنا وسيدنا منذ خمسين سنة . قال ابن خلكان : وله مصنفات كثيرة ، منها خلق الإنسان ، وكتاب الأبل ، وكتاب المياه ، وكتاب الفرس والفرس ، وغير ذلك . توفي في هذه السنة ، وقيل في التي قبلها أو التي بعدها ، وقد جاوز التسعين ، وقيل إنه قارب المائة . وأما أبو سليمان فقد قدمنا ترجمته . ( ثم دخلت سنة ست عشرة ومائتين )

فيها عماد ملك الروم وهو توفيل بن ميخائيل على جماعة من المسلمين قتلهم في أرض طرسوس نحواً من ألف ومائة إنسان ، وكتب إلى المأمون قبيداً بنفسه ، فلما قرأ المأمون كتابه نهض من فوره إلى بلاد الروم عوداً على يده ومحبته أخوه أبو إسحاق بن الرشيد نائب الشام ومصر ، فافتتح بهما كثيرة صلحا وعنوة ، وافتتح أخوه ثلاثين حصنا ، وبث يحيى بن أكنم في سرية إلى طوانة فافتتح بلاداً كثيرة وأسر خلقا وحرق حصونا عدة ، ثم عاد إلى العسكر . وأقام المأمون ببلاد الروم من نصف جمادى الآخرة إلى نصف شعبان ، ثم عاد إلى دمشق وقد وثب رجل يقال له عبيدوس الفهرى في شعبان من هذه السنة ببلاد مصر ، فغلب على ثواب أبي إسحاق بن الرشيد وأتبعه خلق كثير ، فركب المأمون من دمشق يوم الأربعاء لثمة ليلته خلت من ذى الحجة إلى العيار المصرية ، فكان من أمره ما سنده

وفيها كتب المأمون إلى إسحاق بن إبراهيم نائب بغداد يأمره أن يأمر الناس بالتكبير عقيب الصلوات الخمس ، فكان أول ما بدأ بذلك في جامع بغداد والرياسة يوم الجمعة لأربع عشر ليلة خلت من رمضان ، وذلك أنهم كانوا إذا قضاوا الصلاة قام الناس قياماً كبيراً وثلاث تكبيرات ، ثم استمروا على ذلك في بقية الصلوات . وسمع بدعة أحدثها المأمون أيضاً بلا مستند ولا دليل ولا معتمد ، فان هذا لم يمهله قبله أحد ، ولكن ثبت في الصحيح عن ابن عباس أن رفع الصوت بالذكر كان على عهد رسول الله ﷺ ليعلم حين ينصرف الناس من المكتوبة ، وقد استحب هذا طائفة من العلماء كابن حزم وغيره . وقال ابن بطال : المذاهب الأربعة على عدم استحبابه . قال النووي : وقد روى عن الشافعي أنه قال : إنما كان ذلك ليعلم الناس أن الذكر بعد الصلوات مشروع ، فاعلم ذلك لم يبق للجهل معنى . وهذا كما روى عن ابن عباس أنه كان يجهر في النافذة في صلاة الجنازة ليعلم الناس أنها سنة ، ولهذا نظر والله أعلم .

وأما هذه البدعة التي أمر بها المأمون فاتها بدعة محدثة لم يعمل بها أحد من السلف . وفيها وقع برد شديد جداً . وفيها حج بالناس الذي حج بهم في العام الماضي ، وقيل غيره والله أعلم . وفيها توفي جبان ابن هلال . وعبد الملك بن قريب الأصمعي صاحب اللغة والنحو والشعر وغير ذلك . وعبد بن بكال بن

حلال . وهودثة بن خليفة . ( وزبيدة امرأة الرشيد وابنة عمه )

وهي ابنة جعفر أم الميز الملقبة زبيدة بنت جعفر بن المنصور العباسية الهاشمية القرشية ، كانت أحب الناس إلى الرشيد ، وكانت ذات حسن باهر وجلال طاهر ، وكان له منها من الخطايا والجوارى والزوجات غيرها كثيراً كما ذكرنا ذلك في ترجمته ، وإنما لقبت زبيدة لأن جدّها أباً جعفر المنصور كان يلاعبها ويرقصها وهي صغيرة ويقول : إنما أنت زبيدة ، ليلاعبها ، فقلب ذلك عليها فلا تعرف إلا به ، وأصل اسمها أم الميز . وكان لها من الجلال والمال والظهير والهيابة والصدقة والبرشي كثير . وروى الخطيب أنها حجت فباخت نفقتها في ستين يوماً أربعة وخمسين ألف ألف درهم ، ولما هنأت المأمون بالخلالة قالت : هنأت غنى بها عنك قبل أن أراك ، ولئن كنت قدمت ابناً خليفة لقد عوضت ابناً خليفة لم ألهه وما خسر من اعتاض منك ، ولا شككت أم ملأت يدك منك ، وأنا أسأل الله أجرأ على ما أخذ ، وإتباعاً بما عوض . توفيت ببغداد في جمادى الأولى سنة ست عشرة ومائتين .

ثم قال الخطيب : حدثني الحسين بن محمد الخلال لفظاً قال : وحدث أباً الفتح القواس قال ثنا صدقة بن هيرة الموصلي ثنا محمد بن عبد الله الواسطي قال قال عبد الله بن المبارك : رأيت زبيدة في المنام قتلت : ما فعل الله بك ؟ قتلت غفراً في أول مولد ضرب في طريق مكة . قلت : فما هذه الصفرة ؟ قالت : دفن بين ظهراني رجل يقال له بشر المريسى زفرت عليه جهنم زفرة فحشر لها جسدي فهذه الصفرة من تلك الزفرة . وذكر ابن خلكان أنه كان لها مائة جارية كلهن يخططن القرآن العظيم ، غير من قرأ منه ما قدر له وغير من لم يقرأ ، وكان يسمع من في القصر دوى كدوى النحل ، وكان ورد كل واحدة عشر القرآن ، وورد أنها رؤيت في المنام فسلت عما كانت تصنع من المعروف والصدقات وما عملت في طريق الحج فقالت : ذهب ثواب ذلك كله إلى أهله ، وما ضنا إلا ركعت كنت أركمن في البحر . وفيها جرت حوادث وقهور يطول ذكرها :

( ثم دخلت سنة سبع عشرة ومائتين )

في الحرم منها دخل المأمون مصر وظفر ببندوس القهري فأمر فضربت عنقه ، ثم كر راجعاً إلى الشام . وفيها ركب المأمون إلى بلاد الروم أيضاً فحاصر القلعة مائة يوم ، ثم ارتحل عنها واستخلف على حصارها مجيهاً فغذته الروم فأسروه فأقام في أيديهم ثمانية أيام ، ثم اغتلت منهم واستمر محاصراً لهم ، فجاء ملك الروم بنفسه فأحاط بجيسته من ورائه ، فبلغ المأمون فصار إليه ، فلما أحس توفيل بقومه هرب وبث وزيره سنفل فساه الأمان والمصالحة ، لكنه بدأ بنفسه قبل المأمون فرد عليه المأمون كتاباً بليغاً مضموناً التتريع والتوبيخ ، وإلى إنما أقبل منك الدخول في الخفية

وإلا فالسيف والقتل والسلام على من أتبع الهدى . وفيها حج بالناس سليمان بن عبد الله بن سليمان ابن علي . وفيها توفي الحاجب بن منهل . وشریح بن النعمان . وموسى بن داود الضبي والله سبحانه أعلم .

( ثم دخلت سنة ثمان عشرة ومائتين )

في أول يوم من جمادى الأولى وجه المأمون ابنه العباس إلى بلاد الروم لبناء الطوارة وتجهيد عمارتها . وبعث إلى سائر الأقاليم في تجهيز القملة من كل بلد إليها ، من مصر والشام والعراق ، واجتمع عليها خلق كثير ، وأمره أن يجعلها ميلا في ميل ، وأن يجعل مورها ثلاث فراسخ ، وأن يجعل لها ثلاثة أبواب . ( ذكر أول الحنة والفتنة )

في هذه السنة كتب المأمون إلى نائبه ببنداد إسحاق بن إبراهيم بن مصعب يأمره أن يمنح القضاة والمحدثين بالقول بخلق القرآن . وأن يرسل إليه جماعة منهم ، وكتب إليه يستعج في كتاب مطول وكتب غيره قد سردها ابن جرير كلها ، ومضمونها الاحتجاج على أن القرآن محدث وكل محدث مخلوق ، وهذا احتجاج لا يوافقه عليه كثير من المتكلمين فضلا عن المحدثين ، فان القائلين بأن الله تعالى يقوم به الأفعال الاختيارية لا يقولون بأن فعله تعالى القائم بذاته المقدسة مخلوق ، بل لم يكن مخلوقا ، بل يقولون هو محدث وليس بمخلوق ، بل هو كلام الله القائم بذاته المقدسة ، وما كان قائما بذاته لا يكون مخلوقا ، وقد قال الله تعالى ( ما يأتينهم من ذكر من ربهم محدث ) وقال تعالى ( ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم ) فالأمر بالسجود صدر منه بعد خلق آدم ، فالكلام القائم بالذات ليس مخلوقا ، وهذا له موضع آخر . وقد صنف البخاري كتابا في هذا المعنى سماه خلق أعمال العباد . والمقصود أن كتاب المأمون لما ورد ببنداد قرئ على الناس ، وقد عين المأمون جماعة من المحدثين ليحضروا إليه ، وهم محمد بن سعد كاتب الواقدي ، وأبو مسلم السعدي ، ويزيد بن هارون<sup>(١)</sup> ويحيى بن معين وأبو خيثمة زهير بن حرب ، وإسماعيل بن أبي مسعود . وأحمد ابن الدورق . فبعث بهم إلى المأمون إلى الرقة فاحتجهم بخلق القرآن فأجابوه إلى ذلك وأظهروا موافقته وهم كارهون ، فقدم إلى ببنداد وأمر بإشهار أمرهم بين الفقهاء ، فقبل إسحاق ذلك . وأحضر خلقا من مشايخ الحديث والفقهاء وأئمة المساجد وغيرهم ، فقدم إلى ذلك عن أمر المأمون ، وذكر لهم موافقة أولئك المحدثين له على ذلك ، فأجابوا بمثل جواب أولئك موافقة لهم ، ووقفت بين الناس فتنة عظيمة فأنه وإنا إليه راجعون . ثم كتب المأمون إلى إسحاق أيضا بكتيب ثان يستدل به على القول بخلق القرآن بشبه من الدلائل أيضا لا تحيق تحنها ولا حاصل لها ، بل هي من التشابه

(١) قد ذكر المؤلف وفاة يزيد بن هارون في سنة ست ومائتين ، ثم ذكره هنا في المحضرين فلا وجه إلا أن يكون غالطا هنا أو هناك .

وأورد من القرآن آيات هي حجة عليه . أورد ابن جرير ذلك كله . وأمر نائبه أن يقرأ ذلك على الناس وأن يدعوهم إليه وإلى القول بخلق القرآن ، فأحضر أبو إسحاق جماعة من الأئمة وهم أحمد بن حنبل . وقتيبة . وأبو حيان الزبدي . وبشر بن الوليد الكندي . وعلي بن أبي مقاتل . وسعد بن الواسطي . وعلى بن الجهم . وإسحاق بن أبي إسرائيل ، وابن الهرش ، وابن علي الأكبر ، وبجي ابن عبد الحميد العمري . وشيخ آخر من سلالة عمر كان تاضيا على الرقة ، وأبو نصر الفار ، وأبو معمر القطيعي ، ومحمد بن حاتم بن ميمون . ومحمد بن نوح الجنديسابوري المضر وب ، وابن الفرخان ، والنضر بن شمير . وأبو علي بن عاصم ، وأبو العوام البارد ، وأبو شعاع ، وعبد الرحمن بن إسحاق وجماعة . فلما دخلوا على أبي إسحاق قرأ عليهم كتاب المأمون . فلما فهموه قال لبشر بن الوليد : ما تقول في القرآن ؟ فقال : هو كلام الله . قال : ليس عن هذا أسألك . وإنما أسألك أمو مخلوق ؟ قال : ليس بخالق . قال : ولا عن هذا أسألك . فقال : ما أحسن غير هذا . وصمم على ذلك . فقال : تشهد أن لا إله إلا الله أحداً فرداً لم يكن قبله شيء ولا بعده شيء ولا يشبهه شيء من خلقه في معنى من الماتى ولا وجه من الوجوه ؟ قال : نعم . فقال للكاتب : اكتب بما قال . فكتب . ثم امتنعهم رجلا رجلا فأكرهم امتنع من القول بخلق القرآن ، فكان إذا امتنع الرجل منهم امتنعه بالرقعة التي وافق عليها بشر بن الوليد الكندي ، من أنه يقال لا يشبهه شيء من خلقه في معنى من الماتى ولا وجه من الوجوه فيقول : نعم كما قال بشر . ولما انتهت التوبة إلى امتحان أحمد بن حنبل فقال له : أقول إن القرآن مخلوق ؟ قال : القرآن كلام الله لا يزيد على هذا . فقال له : ما تقول في هذه الرقعة ؟ قال أقول ( ليس كنهه شيء وهو المسيح البصير ) فقال رجل من المعتزلة : إنه يقول : سميع بأذن بصير . قال له إسحاق : ما أردت بقولك سميع بصير ؟ قال : أردت منها ما أراد الله منها وهو كما وصف نفسه ولا أزيد على ذلك . فكتب جوابات القوم رجلا رجلا وبث بها إلى المأمون . وكان من الحاضرين من أجاب إلى القول بخلق القرآن مصانفة مكرها لأنهم كانوا يمزلون من لا يجيب عن وظائفه ، وإن كان له رزق على بيت المال قطع ، وإن كان مفتياً منع من الافتاء ، وإن كان شيخ حديث رجع عن الاسماع والأداء . ووقعت فتنة مياه ومحنة شماء وداحية ذهباء فلا حول ولا قوة إلا بالله .

### ﴿ فصل ﴾

فلما وصلت جوابات القوم إلى المأمون بشت إلى نائبه بمحسه على ذلك ويرد على كل فرد فرد ما قال في كتاب أرسله . وأمر نائبه أن يمتنعهم أيضاً فمن أجلب منهم شر أمره في الناس ، ومن لم يجب منهم فابسته إلى عسكر أمير المؤمنين مقيداً محتفظاً به حتى يصل إلى أمير المؤمنين فيرى فيه

رأيه ، ومن رأيه أن يضرب عنق من لم يقل بقوله . ففند ذلك عقد الثائب بيفساد مجلسا آخر وأحضر أولئك وقبهم إبراهيم بن المهدي ، وكان صاحباً لبشر بن الوليد الكندي ، وقد نصي المأمون على قتلها إن لم يجيبا على الفور ، فلما امتنعهم إسحاق أجابوا كلهم مكرهين متأولين قوله تعالى ( إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ) الآية . إلا أربعة هم : أحمد بن حنبل ، ومحمد بن نوح ، والحسن ابن حماد سجادة ، وعبيد الله بن عمر القواريري . فقدمهم وأرسلهم ليبحث بهم إلى المأمون ، ثم استدعى بهم في اليوم الثاني فامتنعهم فأجاب سجادة إلى القول بنبأ فاطم . ثم امتنعهم في اليوم الثالث فأجاب القواريري إلى ذلك فأطلق قيده . وآخر أحمد بن حنبل ومحمد بن نوح الجند بسابورى لأنهما أصرأ على الاعتناع من القول بذلك ، فأكد قيودهما وجهما في الحديد وبث بهما إلى الخليفة وهو بطرسوس ، وكتب كتابا بإرسالهما إليه . فسارا مقيدين في عمارة على جبل متعادلين رضى الله عنهما . وجعل الأمام أحمد يدعو الله عز وجل أن لا يجمع بينهما وبين المأمون ، وأن لا يرياه ولا يراها . ثم جاء كتاب المأمون إلى نائبه أنه قد نلفى أن القوم إنما أجابوا مكرهين متأولين قوله تعالى ( إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ) الآية . وقد أخطأوا في تأويلهم ذلك خطأ كبيراً ، فأرسلهم كلهم إلى أمير المؤمنين . فاستدعاهم إسحاق وألزمهم بالسهر إلى طرسوس فساروا إليها ، فلما كانوا ببعض الطريق بانهم موت المأمون فردوا إلى الرقة ، ثم أذن لهم بالرجوع إلى بغداد . وكان أحمد ابن حنبل وابن نوح قد سبقا الناس ، ولكن لم يجتمعا به . بل أهلكت الله قبل وصولها إليه ، واستجاب الله سبحانه دعاء عبده وولي الأمام أحمد بن حنبل ، فلم يريا المأمون ولا رآهما ، بل ردوا إلى بغداد . ووسايتي تمام ما وقع لهم من الأثر الفظيع في أول ولاية المتصم بن الرشيد ، ونعام بلقي الكلام على ذلك في ترجمة الأمام أحمد عند ذكر وفاته في سنة إحدى وأربعين ومائتين وبالله المستعان .

#### ( وهذه ترجمة المأمون )

هو عبد الله المأمون بن هارون الرشيد العباسي القرشي الهاشمي أبو جعفر أمير المؤمنين ، وأمه أم ولد يقال لها مراحيل الباذغيسية ، وكان مولده في ربيع الأول سنة سبعين ومائة ليلة توفى عمه الهادي ، وولى أبوه هارون الرشيد ، وكان ذلك ليلة الجمعة كما تقدم ، قال ابن عساكر : روى الحديث عن أبيه وهاتم بن بشر ، وأبي معاوية الضرب ، ويوسف بن قطيبة ، وعبد بن العوام ، وإسحاق بن عليه ، وحجاج بن محمد الأعور . وروى عنه أبو حنيفة إسحاق بن بشر . وهو آمن منه . ويحيى بن أكرم القاضي وابنه الفضل بن المأمون ومسلم بن شبيب وأبو يوسف القاضى وجعفر بن أبي عثمان الطيالسي وأحمد بن الحارث الشعمي . أبو البرقيدي . وعمر بن مسمدة وعبد الله بن طاهر بن الحسين ، ومحمد بن إبراهيم السلي ودعبل بن علي الغزاهي . قال : وقدم دمشق مرات وأقام بها مدة ، ثم روى ابن عساكر

من طريق أبي القاسم البخوي **حمداً** أحد بن إبراهيم الموصلي قال : سمعت المأمون في الشامية وقد أجرى الحلبة فجعل ينظر إلى كثرة الناس فقال ليحيى بن أكرم : أمارى كثرة الناس ؟ قال : حدثنا يوسف بن عطية عن ثابت عن أنس أن النبي ﷺ قال : « الخلق كالهم عيال الله فأحبهم إليه . أفضهم لماله » . ومن حديث أبي بكر النابنجي عن الحسين بن أحمد المالكي عن يحيى بن أكرم القاضي عن المأمون عن هشيم عن منصور عن الحسن بن أبي بكرة أن رسول الله ﷺ قال : « الحياه من الإيمان » . ومن حديث جعفر بن أبي عثمان الطيالسي أنه صلى العصر يوم عرفة خلف المأمون بالرافضة فلما سلم كبر الناس فجعل يقول : لا يا غوغاه لا يا غوغاه ، غدا التكبير سنة أبي القاسم ﷺ . فلما كان الند صد المنبر فكبر ثم قال : أنبا هشيم بن بشير ثنا ابن شبرمة عن الشامي عن البراء بن عازب عن أبي بردة بن دينار . قال قال رسول الله ﷺ : « من ذبح قبل أن يصلي فأنما هو لحم قدمه لأهله ، ومن ذبح بعد أن يصلي الفداء قد أصاب السنة » . الله أكبر كبيراً والحمد لله كثيراً وسبحان الله بكرة وأصيلاء اللهم اصلحني واستمحلني وأصلح على يدي . تولى المأمون الخلافة في الحرم لحسن جعفر منه بعد مقتل أخيه سنة ثمان وتسعين ومائة ، واستمر في الخلافة عشرين سنة وخمسة أشهر . وقد كان فيه تقيع واعتزال وجعل بالسنة الصحيحة ، وقد بايع في سنة إحدى ومائتين بولاية المهدي من بعده لعل الرضى بن موسى السكاكيني جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، وخلع السواد ولبس الخضرة كما تقدم ، فأعظم ذلك العباسيون من الخلفاء وقهرهم ، وخلعوا المأمون وولوا عليهم إبراهيم بن المهدي ، ثم ظفر المأمون بهم واستقام له الحال في الخلافة ، وكان على مذهب الاعتزال لأنه اجتمع بمجاعة منهم بشر من غياث المريسي ، فغدهوه وأخذ منهم هذا المذهب الباطل ، وكان يجب العلم ولم يكن له بصيرة فافتت فيه ، فدخل عليه بسبب ذلك الداخل ، وراج عنه الباطل . ودعا إليه وحمل الناس عليه قهراً . وذلك في آخر أيامه وأقصاه دولته . وقال ابن أبي الدنيا : كان المأمون أبيض ربة حسن الوجه قد خطه الشيب يملوه صفرة أعين طويل الحية رقيقها ضيق الجبين ، على خده خال . أنه أم وقد يقال لها مراحل . وروى الخطيب عن القاسم بن محمد بن عباد قال : لم يحفظ القرآن أحد من الخلفاء غير عثمان بن عفان والمأمون ، وهذا غريب جداً لا يوافق عليه ، فقد كان يحفظ القرآن عدة من الخلفاء . قالوا وقد كان المأمون يتوفي في شهر رمضان ثلاثاً وثلاثين ختمه ، وجلس يوماً لأملاء الحديث فاجتمع حوله القاضي يحيى ابن أكرم وجماعة فأمل عليهم من حفظه ثلاثين حديثاً . وكانت له بصيرة بعلوم متعددة ، فمها وطباً وشرعاً وفرائض وكلاماً ونحواً وغريبه ، وغريب حديث ، وعلم النجوم . وإليه ينسب الزيج المأموني . وقد اختبر مقدار الفرجة في وطنه سنجار فاختلف عمله وعمل الأوائل من القهات . وروى ابن عساكر

أز المأمون جلس يوماً للناس وفي مجلسه الأشراف والعلماء ، فقامت امرأة تنظم إليه فذكرت أن أخاها توفي وترك ستائة دينار ، فلم يحصل لها سوى دينار واحد . فقال لها المأمون على البديهة : قد وصل إليك حتمك ، كان أخاك قد ترك بنتين وأما وزوجة واثني عشر أخاً وأختاً واحدة وهي أنت ، قالت : نعم يا أمير المؤمنين . فقال : للبنتين الثلثان أربعةائة دينار ، وللأم البس مائة دينار ، وللزوجة الثمن خمسة وسبعون ديناراً ، بقي خمسة وعشرون ديناراً لكل أخ ديناران ديناران ، ولك دينار واحد . فحجب العلماء من فعلته وحده ذهنه وسرعة جوابه . وقد رويت هذه الحكاية عن علي بن أبي طالب . ودخل بعض الشراء على المأمون وقد قال فيه بيتاً من الشعر يراه عظيماً ، فلما أنشده إليه لم يقع منه ، ومقاماً طائلاً ، فخرج من عنده محروماً ، فلقبه شاعر آخر فقال له : ألا أعجبك ! أنشئت المأمون هذا البيت فلم يرفع به رأساً . فقال : وما هو ؟ قال قلت فيه :

أضحى إمام الهدى المأمون مشغولاً • بالدين والناس بالدينا مشاغلاً

فقال له الشاعر الآخر : ما زدت على أن جعلته عجوزاً في عمرها . فها قلت كما قال جرير في عبد المزي بن مروان :

فلا هو في الدنيا مضيع نصيبه • ولا عرض الدين عن الدين شاغله

وقال المأمون يوماً لبعض جلسائه : بيتان اثنان لاثنين ما يلحق بهما أحد ، قول أبي نواس :

إذا اختبر الدنيا لبيب تكشفت • له عن عدو في لباس صديق

وقول شرحبيل : تهون على الدنيا الملامة إنه • حريص على استصلاحها من يلومها

قال المأمون : وقد ألبأني الزحام يوماً وأنا في الموكب حتى خالطت السوق فرأيت رجلاً في دكان عليه أثواب خلقة ، فنظر إلى نظري من برحى أو من يتمجب من أمرى فقال :

أرى كل مفروور تخفيه نفسه • إذا ما مضى عام سلامة قابل

وقال يحيى بن أكرم : سمعت المأمون يوم عيده خطب الناس فحمد الله وأثنى عليه وصلى على الرسول ﷺ ثم قال : عباد الله ! عظم أمر الدارين وأرفع جزاء المالمين ، وطالت مدة الفريقتين ، فوافقه إنه لا لجد لا للعب ، وإنه لا حق لا الكذب ، وما هو إلا الموت والبعث والحساب والفصل والميزان والصراط ثم العقاب أو الثواب ، فمن نجا يمتد قد فاز . ومن هوى يمتد قد خلب ، الخير كله في الجنة ، والشر كله في النار . وروى ابن عساکر من طريق النضر بن شميل قال : دخلت على المأمون فقال : كيف أصبحت يا نضر ؟ قلت : بخير يا أمير المؤمنين . فقال : ما أراجاء ؟ قلت دين وافتق الملوک يصيبون به من دنياهم ويتقصون به من دينهم . قال : صدقت . ثم قال : يا نضر أتمدري ما قلت في صبيحة هذا اليوم ؟ قلت : إني لمن علم التيب لميمد . فقال قلت أبيتاً وهي :



أصبح ديني أقوى أدين به • ولست منه الفداء معتبرا  
 حب عليّ بعد النبي ولا • أنتم صديقاً ولا عمرا  
 ثم أين عفتان في الجنان مع ال • أرباب ذاك القتيل مصطبرا  
 ألا ولا أنتم الزبير ولا • طلحة إن قال قائل غدا  
 وعائش الام لست أنتم • من يقتربا فنحن منه برا

وهذا المنهج ثاقب مراتب الشجعة وفيه تفضيل عليّ على الصحابة . وقد قال جماعة من السلف والدارقطني : من فضل علياً على عثمان فقد أزرى بالمهاجرين والأأنصار - يعني في اجتهدام ثلاثة أيام ثم اعتقوا على عثمان وتهدبه على عليّ بعد مقتل عمر - وبعد ذلك ست عشرة مرتبة في التشيع ، على ما ذكره صاحب كتاب البلاغ الأكبر ، والناسوس الأعظم ، وهو كتاب ينتهي به إلى أكنز الكفر . وقد روينا عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أنه قال : لأقوى بأحد فضائي على أبي بكر وعمر إلا جلته جلد المغتري . وتواتر عنه أنه قال : خير الناس بعد النبي ﷺ أبو بكر ثم عمر . فقد خاف المأمون الصحابة كلهم حتى علي بن أبي طالب . وقد أضاف المأمون إلى بدعته هذه التي أزرى فيها على المهاجرين والأأنصار ، البدعة الأخرى والطامة الكبرى وهي القول بخلاف القرآن مع ما فيه من الاتهامك على تامل المسكر وغير ذلك من الأفعال التي تعدد فيها المنكر . ولكن كان فيه شهامة عظيمة وقوة جسيمة في القتال وحصار الأعداء ومصاهرة الروم وحصرهم ، وقتل رجالهم وسبي نسائهم ، وكان يقول : كان لعمر بن عبد العزيز وعبد الملك حجاب وأنا بنفسى ، وكان يتحرى العدل ويتولى بنفسه الحكم بين الناس والفصل ، جاءت امرأة ضعيفة قد نظالت على ابنه العباس وهو قائم على رأسه ، فأمر الحاجب فأخذه بيده فأجلسه معها بين يديه ، فادعت عليه بأنه أخذ ضيعة لها واستحوذ عليها ، فتناظرا ساعة فجعل صوتها يملو على صوته ، فزجرها بعض الحاضرين فقال له المأمون : اسكت فإن الحق أنطقها والباطل أسكته ، ثم حكم لها بمحضها وأغرم ابنه لها عشرة آلاف درهم

وكتب إلى بعض الأمراء : ليس المروءة أن يكون بينك من ذهب وفضة وغيرك عار ، وجارك طاووس العير جائع . ووقف رجل بين يديه فقال له المأمون : والله لأقتلك . قال : يا أمير المؤمنين تأن على هان الرق نصف العفو ، قال : ويحك ويحك لقد خلفت لأقتلك ، قال : يا أمير المؤمنين إنك إن تلقى الله حاتئاً أخير من أن تلقاه قاتلاً . فضا عنه . وكان يقول : ليت أهل الجرائم يعرفون أن منحي المفوحي ينهب الخوف عنهم ويدخل السرور إلى قلوبهم . وركب يوماً في حراقة فسمع ملاحاً يقول لأصحابه : ترون هذا المأمون يتبل في عيني وقته قتل أخاه الأمين - يقول ذلك وهو لا يشعر بمكان المأمون - فجعل المأمون يقسم ويقول : كيف ترون الحيلة حتى أنبل في عين هذا الرجل الجليل

القدر ؟ وحضر عند المأمون هدية بن خالد ليتحدى عنده فلما رقت المائنة جعل هدية يلتقط ما تنثر منها من الجباب وغيره ، وقال له المأمون : أما شبت يا شيخ ؟ قال : بل ، حدثني حاتم بن سلفة عن ثابت عن أنس أن رسول الله ﷺ قال : « من أكل ماتحت مائدته أمن من الفقر » . قال فأمر له المأمون بألف دينار .

وروى ابن عساكر أن المأمون قال يوماً لحمد بن عباد بن المهلب : يا أبا عبد الله قد أعطيتك ألف ألف ، وألف ألف ، وألف ألف وأعطيتك ديناراً . قال : يا أمير المؤمنين إن منع الموجود سوء ظن بالمبود . قال : أحسنت يا أبا عبد الله ! أعطوه ألف ألف وألف ألف وأعطوا ألف ألف . ولما أراد المأمون أن يدخل بيوران بنت الحسن بن سهل جعل الناس يهدون لأبيها الأشياء النفيسة ، وكان من جملة من يعتز به رجل من الأندلس . فأهدى إليه مزوداً فيه ملح طيب ، ومزوداً فيه أشنان جيد ، وكتب إليه : إني كرهت أن تطوى صحيفة أهل البر ولا أذكر فيها ، فوجهت إليك بالبتدأ به ليعنه وبركته ، وبالختوم به لطيبه وظفاته . وكتب إليه :

بضاعتى قصر عن حقى • وهنى قصر عن مالى

فالملاح والأشنان ياسيدى • أحسن ما يهديه أشنالى

قال : فدخل بها الحسن بن سهل على المأمون فأعجبه ذلك وأمر بالزودين ففرغا وملئنا دنانير وبشت بها إلى ذلك الأديب . وولد للمأمون ابنه جعفر فدخل عليه الناس يهنئونه بصنوف التهاني ، ودخل بعض الشعراء فقال يهنئه بولده :

مد لك الله الحياة مدا • حتى ترى ابنك هنا جدا

ثم يهدى مثل ما تهنى • كأنه أبت إذا تبدى

أشبه منك قامة وقدا • مؤزرا بمجده مردا

قال فأمر له بشرة آلاف درهم . وقدم عليه وهو بدمشق مال جزيل بعد ما كان قد أفلس وشكى إلى أخيه المتصم ذلك ، فوردت عليه خزان من خراسان ثلاثون ألف ألف درهم ، فخرج يسترضها وقد زينت الجبال والأحمال ، ومعه يحمي بن أكنم القاضى ، فلما دخلت البلد قال : ليس من المروعة أن نهموز نحن هذا كله والناس ينظرون . ثم فرق منه أربعة وعشرين ألف ألف درهم ورجله في الركاب لم ينزل عن فرسه . ومن لطيف شمره : —

لسانى كتم لأسراركم • ودمى نحم لسرى مديع

فلو لا حموى كنت الحموى • ولولا الحموى لم تكن لى حموى

وقد بشت خادماً ليله من الهيالى ليأتيه بجارية فأطال الخادم عندها المكث ، وعظمت الجارية من

الجمي إليه حتى يأتي إليها المأمون بنفسه ، فأنشأ المأمون يقول :

بمتك مشتاقا فزرت بنظرة • وأغفلتني حتى أسأت بك الغفلا  
فأجبت من أهوى وكنت مبعدا • فبليت شرى من دنوك ما أغنى  
ورددت طرفا في محاسن وجهها • ومنمت بلسان نفسيها أذنا  
أرى أثرآ منه بميثك بيننا • فتمسرت عنك من صيتها حسنا  
ولا ابتدع المأمون ما ابتدع من التشيع والاعتزال ، فرح بفتك بشر المرعى - وكان بشر  
هنا شيخ المأمون - فأنشأ يقول :

قد قال مأمونا سيدنا • قولاه في الكتب تصديق  
إن عليا اعنى أبا حسن • أفضل من قد أفلت النورق  
بد نبي الهدى وإن لنا • أعمالنا والقرآن مخلوق  
فأجابه بعض الشراء من أهل السنة :

يا أيها الناس لا قول ولا عمل • لمن يقول كلام الله مخلوق  
ما قال ذلك أبو بكر ولا عمر • ولا النبي ولم يذكره صديق  
ولم يقل ذلك إلا كل مبتدع • على الرسول وعند الله زنديق  
بشر أراد به إيهاق دينهم • لأن دينهم والله محقوق  
يقوم أصبح عقل من خليفتم • مقيدا وهو في الاغلال موثق

وقد سأل بشر من المأمون أن يطلب قاتل حنانيا فؤده على ذلك ، فقال : ويحك لو كان قتيلا  
لأدبه ، ولكنه شاعر فلست أعرض له . ولما تجهز المأمون لفرو في آخر سفره سافر بها إلى طرسوس  
استعصى بجارية كان يحبها وقد اشترأها في آخر عمره ، فضمها إليه فبكت الجارية وقالت : قتلني  
يا أمير المؤمنين بسفرك ثم أنشأت تقول :

سأدعوك دعوة المضطربا • يشيب على الدهاء ويستجيب  
لعل الله أن يكفيك حروبا • ويجمنا كما تنهى للثوب  
فضمها إليه وأنشأ يقول متملا : -

فيا حسنا إذ ينزل الجمع كحلها • وإذ هي تنرى الجمع منها الأتفل  
صبيحة قالت في الساب قتلني • وقتلي بما قالت هناك تحاول  
ثم أمر سرورا الخادم بالاحسان إليها والاحتفاظ عليها حتى يرجع ، ثم قال : نحن كالآكل الأخطل  
قوم إذا حلوا شربوا ما زرم • دون النساء ولو باتت بالظهر

ثم ودعها وسار فرضت الجارية في غيبته هذه ، ومات المأمون أيضا في غيبته هذه ، فلما جاء نفيه إليها تنفست الصمداء وحضرتها الوفاة وأنشأت تقول وهي في السبائك :

إن الزمان سقاها من مراوته • بعد الخلاوة كاسات فأروانا  
أبدي لنا نارة منه فأضحكتنا • ثم اتقى نارة أخرى فأبكتنا  
إنا إلى الله نيا لا يزال بنا • من اللضاء ومن تلوين دنيانا  
دنيا تراها ترينا من تصرفها • ما لا يدوم مصالفة وأحرانا  
ونحن فيها كأنا لا يزالنا • للفيش أحيا وما يكون موتنا

كانت وفاة المأمون بطرسوس في يوم الخميس وقت الظهر وقيل بعد العصر ، لثلاث عشرة ليلة بقيت من رجب من سنة ثمانى عشرة ومائتين ، وله من العمر نحو من ثمان وأربعين سنة ، وكانت مدة خلافته عشرين سنة وأشهرآ ، وصلى عليه أخوه المنتصم وهو ولي العهد من بعده ، ودفن بطرسوس في دار خاقان الخادم ، وقيل كانت وفاته يوم الثلاثاء ، وقيل يوم الأربعاء لثمان بقين من هذه السنة . وقيل إنه مات خارج طرسوس بأربع مراحل فحمل إليها فدفن بها ، وقيل إنه قتل إلى أذنة في رمضان فدفن بها فافقه أعلم . وقد قال أبو سعيد الخزومي : —

هل رأيت النجوم أغنت عن الماء • مون شيئا أو ملكة الماسوس  
خلفوه برصتي طرسوس • مثل ما خلفوا أهل بطوس

وقد كان أوصى إلى أخيه المنتصم وكتب وصيته بحضرته وبمضرة ابنه العباس وجماعة القضاة والأمراء والوزراء والكتائب . وفيها القول بخلق القرآن ولم يقب من ذلك بل مات عليه واقطاع عمله وهو على ذلك لم يرجع عنه ولم يقب منه ، وأوصى أن يكبر عليه الذي يصل عليه خسا ، وأوصى المنتصم بتقوى الله عز وجل والرفق بالرعية ، وأوصاه أن يستقم ما كان يستقمه أخوه المأمون في القرآن ، وأن يدعوا للناس إلى ذلك ، وأوصاه بعبد الله بن طاهر وأحمد بن إبراهيم وأحمد بن أبي حواد ، وقال شاوهر في أمورك ولا تفارقه ، وإليك ويحيى بن أكرم أن تصعبه ، ثم نهاه عنه وفخه وقال : خائني وضر الناس عنى ففارقته غير راض عنه . ثم أوصاه بالملوك خيرا ، أن يقبل من محسنهم ويتجاوز عن سيئهم ، وأن يواصلهم بصلاتهم في كل سنة

وقد ذكر ابن جرير للمأمون ترجمة حافلة أورد فيها أشياء كثيرة لم يذكرها ابن عساكر مع كثرة ما جرده ، وفوق كل ذى علم عليم .

( ذكر خلافة المنتصم بالله أبي إسحاق بن هارون )

بربع له بالخلافة يوم مات أخوه المأمون بطرسوس يوم الخميس الثاني عشر من رجب من سنة

ثمانى عشرة ومائتين ، وكان إذذاك مريضاً ، وهو الذى صلى على أخيه المأمون ، وقد سمي بعض الأسماء فى ولاية العباس بن المأمون فخرج عليهم العباس قال : ما هذا الخلف البارد ؟ أنا قد بايعت همى المنعم . فسكن الناس وخفت الفتنة وركب البرد بالبيعة للمنعم إلى الآفاق ، وبالتزمية بالمأمون . فأمر المنعم بهدم ما كان بناه المأمون فى مدينة طرانة ، ونقل ما كان حول إليها من السلاح وغيره إلى حصون المسلمين ، وأذن القفلة بالانصراف إلى بلدانهم ، ثم ركب المنعم بالجنود قاصداً بغداد ومحجة العباس بن المأمون ، فدخلها يوم السبت مستهل رمضان فى أبهة عظيمة وتجمل تام . وفيها دخل خلق كثير من أهل همدان وأصبهان وماسبدان ومهرجان فى دين الخرمية ، فتجمع منهم بشر كثير ، فجزى إليهم المنعم جيوشاً كثيرة آخرهم إسحاق بن إبراهيم بن مصعب فى جيش عظيم ، وعقد له على الجبال ، فخرج فى ذى القعدة وقرى كتابه بالفتح يوم التروية ، وأنه قهر الخرمية وقتل منهم خلقاً كثيراً ، وهرب بقيتهم إلى بلاد الروم ، وعلى يدي هذا جرت فتنة الامام أحمد وضرب بين يديه كما سيأتى بسط ذلك فى ترجمة أحمد فى سنة إحدى وأربعين ومائتين . وفيها توفى من الأعيان :

#### ﴿ بشر المريسى ﴾

وهو بشر بن غياث بن أبى كريمة أبو عبد الرحمن المريسى المتكلم شيخ المعتزلة ، وأحد من أضل المأمون ، وقد كان هذا الرجل ينظر أولاً فى شئ من الفقه ، وأخذ عن أبى يوسف القاضى ، وروى الحديث عنه وعن حماد بن سلمة وسفيان بن عيينة وغيرهم ، ثم غلب عليه علم الكلام ، وقد نهى الشافعى عن قله وتماطيه فلم يقبل منه ، وقال الشافعى : لئن يلقى الله المبد بكل ذنب ما عدا الشرك أحب إلى من أن يلقاه به سلم الكلام . وقد اجتمع بشر بالشافعى عند ما قدم بغداد . قال ابن خلكان : جدد القول بمخلق القرآن وحكى عنه أقوال شنيعة ، وكان مرجئاً وإليه تنسب المريسية من المرجئة ، وكان يقول : إن الوجود للشمس والقمر ليس بكفر ، وإنما هو علامة للكفر ، وكان يناظر الشافعى وكان لا يحسن النحو ، وكان يلحن لحناً فاحشاً . ويقال : إن أباه كان يهودياً صباغاً بالكوفة ، وكان يسكن درب المريسى ببغداد . والمريسى عندهم هو الخبز الرقيق يمسح بالسن والتمر . قال : ومريسى ناحية ببلاد النوبة تهب عليها فى الشتاء ريح باردة وفيها توفى عبد الله بن يوسف الشيبى . وأبو مسهر عبد الأعلى بن مسهر النسابى أغمسق . ويحيى بن عبد الله البابلى .

#### ﴿ وأبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحيرى المافرى ﴾

راوى السيرة عن زيد بن عبد الله البكائى عن ابن إسحاقى مصنفها ، وإنما نسبت إليه فىقال سيرة ابن هشام ، لأنه هذبها وزاد فيها وقص منها ، وحرر أماكن واستترك أشياء . وكان إماماً فى

الفة والنحو ، وقد كان مقبلاً بمصر واجتمع به الشافعي حين ودعاه ، وتناشدا من أشمار العرب شيئاً كثيراً . كانت وفاته بمصر ثلاث عشرة خلت من ربيع الآخر من هذه السنة ، قاله ابن يونس في تاريخ مصر . وزعم السبيلي أنه توفي في سنة ثلاث عشرة كما تقدم فافقه أعلم .

( ثم دخلت سنة تسع عشرة ومائتين )

فيها ظهر محمد بن القاسم بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب بالطالقان من خراسان يدعو إلى الرضى من آل محمد ، واجتمع عليه خلق كثير وفاته فواد عبد الله بن طاهر مرات متعددة ، ثم ظهر رابعاً عليه وهرب فأخذ ثم بعث به إلى عبد الله بن طاهر فبث به إلى المنعم فدخل عليه للنصف من ربيع الآخر فأمر به فحبس في مكان ضيق طوله ثلاثة أذرع في فراعين ، فكث فيه تلالاً ، ثم حول لأوسع منه وأجرى عليه رزق ومن يخدمه ، فلم يزل محبوساً هناك إلى ليلة هبة الفطر فاشتغل الناس بالبيد فدل له جبل من كوة كان يأتيه الضوء منها ، فذهب فلم يدرك فذهب وإلى أين صار من الأرض .

وفي يوم الأحد لاحدى عشرة ليلة خلت من جمادى الأولى دخل إسحاق بن إبراهيم إلى بغداد راجعاً من قتال الخرمية ومعه أسارى منهم ، وقد قتل في حربه منهم مائة ألف مقاتل . وفيها بعث المنعم جيشاً في جيش كثيف لقتال الزط الذين علوا فساداً في بلاد البصرة ، وقطعوا الطريق ونهبوا القللات ، فكث في قتالهم قسمة أشهر قهرهم وقمع شرم وأهد خضراهم . وكان قائمهم بأمرهم رجل يقال له محمد بن عثمان ومعه آخر يقال له صماني ، وهو داعيهم وشيطانهم ، فأراح الله المسلمين منه ومن شره .

وفيها توفي سليمان بن داود الهاشمي شيخ الإمام أحمد . وعبد الله بن الزبير الجدي صاحب المسند وتلميذ الشافعي وعلي بن هياش . وأبو نعيم الفضل بن دكين شيخ البخاري . وأبو بخلر الهندي .

( ثم دخلت سنة عشرين ومائتين من الهجرة )

في يوم عاشوراء منها دخل مجيف في السفن إلى بغداد ومعه من الزط سبعة وعشرون ألفاً قد جاؤا بالأمان إلى الخليفة ، فأزولوا في الجانب الشرقي ثم خاضهم إلى عين رومة ، فأغارل الروم عليهم فاجتبا حرمهم من آخرهم ، ولم يخلت منهم أحد . فكان آخر العهد بهم . وفيها عقد المنعم للأفشين واسمه حيدر بن كلوس على جيش عظيم لقتال بابك الخرمي لئله الله ، وكان قد استنفل أمره جداً ، وقويت شوكته ، وانتشرت أتباعه في أذربيجان وما والاها ، وكان أول ظهوره في سنة إحدى ومائتين ، وكان زنديقاً كبيراً وشيطاناً رجيحاً ، فسار الأفشين وقد أحكم صناعة الحرب في الأرصاد وحمالة الحصون وإرصاد الممدد ، وأرسل إليه المنعم مع بقا الكبير أموالاً جزيلة فقتل من معه من

الجند والأصابع ، فالتقى هو وبابك فاقنتلا قتالا شديداً ، قتل الأتشين من أصحاب بابك خلقاً كثيراً  
أزيد من مائة ألف ، وهرب هو إلى مدينته فأوى فيها مكسوراً ، فكان هذا أول ما تفضع من  
أمر بابك ، وجرت بينهما حرب يطول ذكرها ، وقد استقصاها ابن جرير .

وفيها خرج المنتعم من بغداد فزول القاطول فأقام بها . وفيها غضب المنتعم على الفضل بن  
صردان بعد المكانة العظيمة ، وعزله عن الوزارة وجبسه ، أخذ أمواله وجلبه كانه محمد بن عبد الملك  
ابن الزيات . وحج بالناس فيها صالح بن علي بن محمد أمير السنة الماضية في الحج .  
وفيها توفي آدم بن أبي إياس . وعبد الله بن رجا . وعفان بن مسلمة . وعافون أحد مشاهير  
القراء . وأبو حذيفة الهندي .

### ( ثم دخلت سنة إحدى وعشرين ومائتين )

فيها كانت وقعة هائلة بين بنا الكبير وبابك فهزم بابك بنا وقتل خلقاً من أصحابه . ثم اقتتل  
الأتشين وبابك فهزمه أتشين وقتل خلقاً من أصحابه بسد حرب طويلة قد استقصاها ابن جرير .  
وحج بالناس فيها نائب مكة محمد بن داود بن عيسى بن موسى الميموني .

وفيها توفي عاصم بن علي . وعبد الله بن مسلم القنبي . وعبدان . وهشام بن عبيد الله الرازي .

### ( ثم دخلت سنة ثنتين وعشرين ومائتين )

فيها جيز المنتعم جيشاً كثيراً مدحاً للأتشين على محاربة بابك وبث إليه ثلاثين ألف ألف  
درهم نفقة للجند ، فاقنتلوا قتالا عظيماً ، وافتتح الأتشين البلد مدينة بابك واستباح ما فيها ، وذلك  
يوم الجمعة لعشر بقين من رمضان . وذلك بعد محاصرة وحروب هائلة وقتال شديد وجهد جليل .  
وقد أطال ابن جرير بسط ذلك جدا . وحاصل الأمر أنه افتتح البلد وأخذ جميع ما فيه من الأموال  
ما قدر عليه .

### ( ذكر ملك بابك )

لما احتوى السلطان على بلده المسمى بالبلد وهي دار ملكه ومقر سلطته هرب بن منه من أهله  
وولده ومنه أمه وأمراته ، فانفرد في شرمة قليلة ولم يبق معهم طعام ، فاجتازوا بمرات فبث غلامه  
إليه وأعطاه ذهباً فقال : أعطه الذهب وخذ ما منه من الخبز ، فنظر شريك الحراثت إليه من بعيد  
وهو يأخذ منه الخبز ، فظن أنه قد اغتصبه منه ، فذهب إلى حصن هناك فيه نائب للخليفة يقال له  
سهل بن سبطاط يستمدى على ذلك النمام ، فركب بنفسه وجاء فوجد النمام فقال : ما خبرك ؟  
قال : لا شيء ، إنما أعطيتهم دنائير وأخذت منه الخبز . قال : ومن أنت ؟ فأراد أن يمسى عليه  
الخبز فألق عليه فقال : من فلان بابك ، قال : وأين هو ؟ قال : هاهو ذا جالس يريد النداء . فسار  
إليه سهل بن سبطاط فلما رآه ترجل يده وقال : يا سيدي أين تريد ؟ قال : أريد أن أدخل بلاد

الروم ، فقال : إلى عند من تذهب أحرز من حصني وأنا غلامك وفي خدمتك ؟ وما زال به حتى خدعه وأخذته معه إلى الحصن فأنزله عنده وأجرى عليه البغيات الكثيرة والتحف وغير ذلك ، وكتب إلى الأفشين يملئه ، فأرسل إليه أميرين ليقبضه ، فمزلا قريباً من الحصن وكتبنا إلى ابن سبباط قال : أقبيا مكانكما حتى يأتيكما أمرى . ثم قال لبابك : إنه قد حصل لك م وضيق من هذا الحصن وقد عزمت على الخروج اليوم إلى الصيد ومعنا بزة وكلايب ، فان أحببت أن نخرج معنا لتشرح صدرك وتذهب همك فافعل . قال : نعم ! فخرجوا وبث ابن سبباط إلى الأميرين أن كونوا مكان كذا وكذا في وقت كذا وكذا من النهار ، فلما كانا بذلك الموضع أقبل الأميران بمن متهما من الجنود فأحاطوا ببابك وهرب ابن سبباط ، فلما رأوه جاؤا إليه فقالوا : ترجل عن دابتك ، فقال : ومن أنا ؟ فذكر أنهما من عند الأفشين ، فترجل حينئذ عن دابته وعليه دراعة بيضاء وخف قصير وفي يده باز ، فنظر إلى ابن سبباط فقال : قبحك الله فهلا طلبت مني من المال ما شئت كنت أعطيتك أكثر مما يعطيك هؤلاء . ثم أركبوه وأخذوه معهم إلى الأفشين ، فلما اقتربوا منه خرج فلقناه وأمر الناس أن يصطفوا صفين ، وأمر بابك أن يترجل فيدخل بين الناس وهو ماش ، ففعل ذلك ، وكان يوماً مشهوداً جداً . وكان ذلك في شوال من هذه السنة . ثم احتفظ به وسجنه عنده . ثم كتب الأفشين إلى المنتعم بذلك فأمره أن يقدم به وبأخيه ، وكان قد مسكه أيضاً . وكان اسم أخى بابك عبد الله ، فتجهز الأفشين بهما إلى بغداد في تمام هذه السنة ففرغت ولم يصل بهما إلى بغداد . وجمع بالناس فيها الأمير المتقدم ذكره في القى قبلها .

وفها توفي أبو اليمان الحكم بن نافع . وعمر بن حفص بن عيش . وسلم بن إبراهيم . ويحيى بن صالح الوحاطلى . ( ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين ومائتين )

في يوم الخميس ثالث صفر منها دخل الأفشين ومحبته بابك على المنتعم سامرا ، ومعه أيضاً أخو بابك في فصيل عظيم ، وقد أمر المنتعم ابنه هارون الوائلي أن يتلقى الأفشين وكانت أخباره تعد إلى المنتعم في كل يوم من شدة اعتناء المنتعم بأمر بابك ، وقد ركب المنتعم قبل وصول بابك بيومين على البريد حتى دخل إلى بابك وهو لا يعرفه ، فنظر إليه ثم رجع ، فلما كان يوم دخوله عليه تأهب المنتعم واصطف الناس ساهطين وأمر بابك أن يركب على فيل ليظهر أمره ويعرفوه ، وعليه قباء ديباج وقلنسوة سمور مدورة ، وقد هيئوا الفيل وخضبوا أطرافه ولبسوه من الحرير والأمتة التي تليق به شيئاً كثيراً ، وقد قال فيه بعضهم :

قد خضب الفيل كمداته • يحمل شيطان خراسان

والفيل لا تخضب أعضاؤه • الا لى شأن من الشأن



ولما أحضر بين يدي المنعم أمر بقطع يديه ورجليه وجز رأسه وشق بطنه ، ثم أمر بحمل رأسه إلى خراسان وصلب جثته على خشبة بسمرا ، وكان بابك قد شرب الخمر ليلته قتلته وهي ليلة الخميس للثلاث عشرة خلت من ربيع الآخر من هذه السنة . وكان هذا المليون قد قتل من المسلمين في مدة ظهوره - وهي عشرون سنة - مائتي ألف وخمسة وخمسين ألفاً وخمسمائة إنسان - قاله ابن جرير - وأسر خلقاً لا يحصون ، وكان جملة من استنقذه الأفشين من أسره نحواً من سبعة آلاف وسبعمائة إنسان ، وأسر من أولاده سبعة عشر رجلاً ، ومن حلائله وحلائل أولاده ثلاثة وعشرين امرأة من الطراطين ، وقد كان أهل بابك من جارية ذرية الشكل جداً ، قال به الحال إلى ما آل به إليه ، ثم أراح الله المسلمين من شره بعد ما افتتن به خلق كثير وجم غفير من العوام الطغام .

ولما قتله المنعم توج الأفشين وقلبه وشاحين من جوهر ، وأطلق له عشرين ألف ألف درهم ، وكتب له بولاية السند ، وأمر الشراء أن يدخلوا عليه فيمدحوه على ما فعل من الخير إلى المسلمين ، وعلى نحر يبه بلاد بابك التي يقال لها البند وتركه إياها قتيماً خراباً . فقالوا في ذلك فأحسنوا ، وكان من جلتهم أبو تمام الطائي وقد أورد قصيدته بتمامها ابن جرير وهي قوله :

بذ الجلال البند فهو ذفين • ما إن بها إلا الوحوش قطعين  
لمر هذا السيف هذا الصبر في • هيجاء إلا عز هذا الدين  
قد كان عدوة سودد فاقضها • بالسيف فصل المشرق الأفشين  
فأعادهاموى الثعالب وسطها • ولقد ترى بالأمس وهي عرين  
هطلت عليها من هجامم أهلها • ديم إمارتها طلل وشؤون  
كانت من المهجات قبل مفازة • عسراً فأضحت وهي منه معين

وفي هذه السنة - أعني سنة ثلاث وعشرين ومائتين - أوقع ملك الروم توفيل بن ميخائيل بأهل ملطية من المسلمين وما والاها ملحمة عظيمة ، قتل فيها خلقاً كثيراً من المسلمين ، وأسر مالا يحصون كثرة ، وكان من جملة من أسر ألف امرأة من الملمات . وبتل بن وقع في أسره من المسلمين قطع آذانهم وأنوفهم وحمل أعينهم قبحة الله . وكان سبب ذلك أن بابك لما أحبط به في مدينة البند استوسقت الجيوش حوله وكتب إلى ملك الروم يقول له : إن ملك العرب قد جاز إلى جمهور جيشه ولم يبق في أطراف بلاده من يحفظها ، فإن كنت تريد الغنمة فانقض سريراً إلى ماحولك من بلاده فنفذها فانك لا تجد أحداً يمانعك عنها . فركب توفيل بمائة ألف وانضاف إليه الحمرة الذين كانوا قد خرجوا في الجبال وقتلهم إسحاق بن إبراهيم بن منصوب ، فلم يقدروا عليهم لأنهم تحصنوا بتلك الجبال فلما قسم ملك الروم صاروا معه على المسلمين فوصلوا إلى ملطية فقتلوا من أهلها خلقاً كثيراً

وأُسروا نساءه ، فلما بلغ ذلك المتصم انزعج لذلك جدا وصرخ في قصره بالنفير ، ثم نهض من فورهِ وأمر بتعبئة الجيوش واستدعى القاضي والشهود فأشهدهم أن ما يملكه من الضياع ثلثه صدقة وثلثه لولده وثلثه لوالديه . وخرج من بغداد فسكر غربي دجلة يوم الاثنين ليلتين خلتا من جمادى الأولى ووجه بين يديه محيِّفاً وطاققة من الأمراء ومهمهم خلق من الجيش إغاة لأهل زيطرة ، فأُسرعوا السير فوجدوا ملك الروم قد فعل ما فعل وانشمر راجعا إلى بلاده ، وتفاطرت الحال ولم يمكن الاستمرار فيه ، فرجعوا إلى الخليفة لإعلانه بما وقع من الأمر ، فقال للأمراء : أي بلاد الروم أمنع ؟ قالوا : عمورية لم يمرض لها أحد منذ كان الاسلام ، وهي أشرف عندهم من القسطنطينية .

### ﴿ ذكر فتح عمورية على يد المتصم ﴾

لما فرغ المتصم من بابك وقتله وأخذ بلاده استدعى بالجيوش إلى بين يديه وتهيَّز جهزا لم يجهزه أحد كان قبله من الخلفاء ، وأخذ معه من آلات الحرب والأحمال والجمال والقرب والقدواب والنفط والخليل والبغال شيئا لم يسع بمثلُه ، وسار إلى عمورية في جداول أمثال الجبال ، وبعث الأتقيين حيدر بن كلوس من ناحية صروج ، وعبي جيوشه قسبة لم يسع بمثلها ، وقدم بين يديه الأمراء المعروفين بالحرب ، فأنهى في سيره إلى نهر الفسي وهو قريب من طرسوس ، وذلك في رجب من هذه السنة . وقد ركب ملك الروم في جيش قصد نصر المتصم فتقاربا حتى كان بين الجيشين نحو من أربعة فراسخ ، ودخل الأتقيين بلاد الروم من ناحية أخرى ، فجأؤا في أثره وضاق ذرعه بسبب ذلك إن هو ناجز الخليفة جاءه الأتقيين من خلفه فالتقيا عليه فيهلك ، وإن اشتغل بأحدهما وترك الآخر أخذه من خلفه . ثم اقترب منه الأتقيين فسار إليهم ملك الروم في شرمة من جيشه واستخلف على بقية جيشه قريبا له فالتقيا هو والأتقيين في يوم الخميس لحس بقين من شعبان منها ، فثبت الأتقيين في ثاني الحال وقتل من الروم خلقا وجرح آخرين ، وتقلب على ملك الروم وبلغه أن بقية الجيش قد شردوا عن قرابته وذهبوا عنه وتفرقوا عليه فأسرع الأوبة فإذا نظام الجيش قد انحل ، فغضب على قرابته وضرب عنقه وجاءت الأخبار بذلك كله إلى المتصم فسره ذلك وركب من فورهِ وجاء إلى أقره وواطه الأتقيين بمن معه إلى هناك ، فوجدوا أهلها قد هربوا منه فتقوا منها بما وجدوا من طعام وغيره ، ثم فرق المتصم جيشه ثلاث فرق فالتبنت عليها الأتقيين ، والميسرة عليها أشناس ، والمتصم في القلب ، وبين كل عسكري فرسخان ، وأمر كل أمير من الأتقيين وأشناس أن يحمل لجيشه ميسرة وقلبا ومقعدة وساقة ، وأنهم مهمامروا عليه من القري حرقوه وخرَّبوه وأسروا وغنموا ، وسار بهم كنفك قاصدا إلى عمورية ، وكان بينها وبين مدينة أقره سبع مراحل ، فأول من وصل إليها من الجيش أشناس أمير الميسرة فمضوا يوم الخميس لحس خلون من رمضان

من هذه السنة ، فدار حولها دورة ثم نزل على ميلين منها ، ثم قدم المتصم صبيحة يوم الجمعة بعده ،  
 فدار حولها دورة ثم نزل قريباً منها ، وقد تحصن أهلها تحصناً شديداً وسلّوا أبراجها بالرجال والسلاح ،  
 وهي مدينة عظيمة كبيرة جداً ذات سور منيع وأبراج عالية كبار كثيرة . وقسم المتصم الأبراج على  
 الأمراء ، فقل كل أمير بجناح الموضع الذي أقطعه وعينه له ، ونزل المتصم قبالة مكان هناك قد أُرشد إليه ،  
 أُرشده إليه بعض من كان فيها من المسلمين ، وكان قد تنصر عندهم وتزوج منهم ، فلما رأى أمير المؤمنين  
 والمسلمين رجع إلى الأسلام وخرج إلى الخليفة فأسلم وأعطاه بمكان في السور كان قد خدمه السيل  
 وبقي بناء ضيقاً بلا أساس ، فنصب المتصم المجانيق حول عمورية فكان أول موضع أنهم من  
 سورها ذلك الموضع الذي دلم عليه ذلك الأسير ، فبادر أهل البلد فدموه بالخشب الكبار المتلاصقة  
 فألق عليها النجنيق فجعلوا فوقها البرادع ليردوا حدة الحجر فلم تكن شيئاً ، وأنهم السور من ذلك  
 الجانب ونفسخ . فكتب نائب البلد إلى ملك الروم يطلبه بذلك ، وبث ذلك مع غلامين من قومهم  
 فلما اجتازوا بالجيش في طريقهما أنكر السلون أمرهما فسألوهما عن أنفسهما فقالا : من أصحاب فلان  
 - لأمر سمعوه من أمراء المسلمين - فخلوا إلى المتصم فقرأهما فإذا بهما كتاب مناطس نائب عمورية  
 إلى ملك الروم يطلبه بما حصل لهم من الحصار ، وأنه عازم على الخروج من أبواب البلد من مئة بئنة  
 على المسلمين ومنابزم القتال كأننا في ذلك ما كنا . فلما وقف المتصم على ذلك أمر بالتلابيق فخلع  
 عليهما ، وأن يعطى كل غلام منهما بدرة ، فأسلما من فورهما فأمر الخليفة أن يطاق بهما حول البلد  
 وعليهما الخلع ، وأن يوقفا تحت حصن مناطس فينثر عليهما الدرام والخلع ، وبهما الكتاب الذي  
 كتب به مناطس إلى ملك الروم فجعلت الروم تظنهما وتسبهما . ثم أمر المتصم عند ذلك بتجديد  
 الحرس والاحتياط والاحتفاظ من خروج الروم بئنة ، فضالت الروم فرطاً بذلك ، وألح عليهم السلون  
 في الحصار ، وقد زاد المتصم في المجانيق والمهاليل وغير ذلك من آلات الحرب . ولما رأى المتصم  
 عمق خندقها وارتفاع سورها ، أعمل المجانيق في مقاومة السور ، وكان قد غنم في الطريق غنائم كثيرة  
 جداً ففرقها في الناس وأمر أن يأكل كل رجل رأساً ويحرق بجله تراباً فيطرحه في الخندق ،  
 فضل الناس ذلك فقلّسوا الخندق بوجه الأرض من كثرة ما طرح فيه من الأغنام ثم أمر بالتراب  
 فوضع فوق ذلك حتى صار طريقاً مهيئاً ، وأمر بالهليلج أن توضع فوقه فلم ينجح الله إلى ذلك . وبينما  
 الناس في الجسر المردوم إذ هدم النجنيق ذلك الموضع المريب ، فلما سقط ما بين البرجين سمع الناس  
 هدة عظيمة فظنوا من لم يرها أن الروم قد خرجوا على المسلمين بئنة ، فبث المتصم من ناس في  
 الناس : إنما ذلك سقوط السور . ففرح السلون بذلك فرحاً شديداً ، لكن لم يكن ما همم يسع  
 الغلب والرجال إذا دخلوا . وقوى الحصار وقد تكت الروم بكل برج من أبراج السور أميراً يحفظه ،

فضضب ذلك الأمير الذي هدمت ناحيته من السور عن مقاومة ما يلقاه من الحصار ، فذهب إلى مناطس فسأله نجدة فاستمع أحد من الروم أن ينجده وقالوا : لا نترك مانحن موكلون في حفظه . فلما يئس منهم خرج إلى المعتصم ليجتمع به . فلما وصل إليه أمر المعتصم المسلمين أن يدخلوا البلد من تلك الثغرة التي قد خلت من المقاتلة ، فركب المسلمون نحوها فجعلت الروم يشيرون إليهم ولا يقدرّون على دفاعهم ، فلم يلتفت إليهم المسلمون ، ثم تكاثروا عليهم ودخلوا البلد قسراً وتنازع المسلمون إليها يكبرون ، وتفرقت الروم عن أماكنها فجعل المسلمون يقتلونهم في كل مكان حيث وجدوهم ، وقد حشروهم في كنيسة لهم هائلة ففتحوها قسراً وقتلوا من فيها وأحرقوا عليهم باب الكنيسة فاحترقت فأحرقوا عن آخرهم ، ولم يبق فيها موضع حصن سوى المكان الذي فيه النائب ، وهو مناطس في حصن منبج ، فركب المعتصم فرسه وجاء حتى وقف بمخداه الحصن الذي فيه مناطس فداده المنادي وبمك يا مناطس ! هذا أمير المؤمنين واقف تجاهك . فقالوا : ليس بمناطس ههنا مرتين . فضضب المعتصم من ذلك وولى فنادى مناطس هذا مناطس هذا مناطس . فرجع الخليفة ونصب السلام على الحصن وطلعت الرسل إليه فقالوا له : وبمك انزل على حكم أمير المؤمنين . فتمنع ثم نزل متقلداً سيفاً فوضع السيف في عنقه ثم جئ به حتى أوقف بين يديه المعتصم فصر به بالسوط على رأسه ثم أمر به أن يمشی إلى مضرب الخليفة مهاتاً إلى الوطاق الذي فيه الخليفة نازل ، فأوقف هناك ، وأخذ المبلون من عمورية أو الألاتحد ولا توصف فجعلوا منها ما أمكن حله ، وأمر المعتصم بإحراق ما بقي من ذلك ، وإحراق ما هناك من المجانيق والهبابات وآلات الحرب لئلا يتقوى بها الروم على شيء من حرب المسلمين ، ثم انصرف المعتصم راجعاً إلى ناحية طرسوس في آخر شوال من هذه السنة . وكانت إقامته على عمورية خمسة وعشرين يوماً .

#### ﴿ ذكر مقتل العباس بن المأمون ﴾

كان العباس مع عمه المعتصم في غزوة عمورية ، وكان محيف بن عنبسة قد نذمه إذ لم يأخذ الخلافة بعد أبيه المأمون طرسوس حين مات بها ، وولاه على مبايعته عمه المعتصم ، ولم يزل به حتى أجاهبه إلى التنك بلومه وأخذ البيعة من الأمراء ، وجيز رجلاً يقال له الحارث السمرقندي وكان نديماً للعباس ، فأخذ له البيعة من جماعة من الأمراء في الباطن ، واستوثق منهم وتقدم إليهم أنه على التنك بعمه ، فلما كانوا بدرب الروم وهم قاصدون إلى أقره ومنها إلى عمورية ، أشار محيف على العباس أن يقتل عمه في هذا المضيق ويأخذ له البيعة ويرجع إلى بغداد ، قال العباس : إلى أكره أن أعطل على الناس هذه النزوة ، فلما فتحوا عمورية واشتغل الناس بالمغانم أشار عليه أن يقتله فوعده مضيق الهرب إذا رجعوا ، فلما رجعوا فطن المعتصم بالخبر فأمر بالاحتفاظ وقوة الحرس وأخذ بالحزم

واجتهد بالعزم ، واستدعى بالحارث السمرقندي فاستقره فأقر له بحيلة الأمر ، وأخذ البيعة للمباس بن المأمون من جماعة من الأمراء أمثالهم له ، فاستكثرهم المنتصم . واستدعى بابن أخيه المباس قتيده وغضب عليه وأهانته . ثم أظهر له أنه قد رضى عنه وعفا عنه ، فأرسله من القيد وأطلق سراحه ، فلما كان من الليل استدعاه إلى حضرته في مجلس شرابه واستغل به حتى سقاء واستحكه عن الذي كان قد دبره من الأمر ، فشرح له القضية ، وذكر له القصة ، فاذا الأمر كما ذكر الحارث السمرقندي . فلما أصبح استدعى بالحارث فأخلاه وسأله عن القضية ثانياً فذكرها له كما ذكرها أول مرة ، فقال : ويحك إني كنت حريصاً على ذلك فلم أجد إلى ذلك سبيلاً بصددك إياي في هذه القصة . ثم أمر المنتصم حينئذ بابن أخيه المباس قتيده وسلم إلى الأفشين ، وأمر بهجيف وبقية الأمراء الذين ذكرهم فاحتفظ عليهم ، ثم أخذهم بأنواع القتل التي اقترحها لهم ، فقتل كل واحد منهم بنوع لم يقتل به الآخر ، ومات المباس بن المأمون بمنجج فدفن هناك ، وكان سبب موته أنه أجاعه جوعاً شديداً ، ثم جرى بأكل كثير فأكل منه وطلب الماء فنع منه حتى مات ، وأمر المنتصم بلسنه على النير وسماه القمين . وقتل جماعة من ولد المأمون أيضاً .

وحج بالناس فيها محمد بن داود . وفيها توفي من الأعيان . بابك الخرمي قتل وصلب كما قدمنا . وخلفه بن خراش . وعبد الله بن صلح كاتب القيث بن سعد . ومحمد بن سنان العوفي . وموسى ابن إسحاق . ( ثم دخلت سنة أربع وعشرين ومائتين )

فيها خرج رجل بأمل طبرستان يقال له مازيار بن قارن بن بزدا هرمز ، وكان لا يرضى أن يدفع الخراج إلى نائب خراسان عبد الله بن طاهر بن الحسين ، بل يبعثه إلى الخليفة ليقبضه منه ، فبعث الخليفة من يثلق الحل إلى بعض البلاد ليقبضه منه ثم يبعثه إلى ابن طاهر ، ثم آكل أمره إلى أن وثب على تلك البلاد وأظهر المخالفة للمنتصم . وقد كان المازيار هذا ممن يكاتب بابك الخرمي ويصد بالنصر . ويقال إن الذي قوى رأس مازيار على ذلك الأفشين ليعجز عبد الله بن طاهر عن مقاومته فيؤليه المنتصم بلاد خراسان مكانه ، فبعث إليه المنتصم محمد بن إبراهيم بن مصعب - أخا إسحاق بن إبراهيم - في جيش كثيف فجرت بينهم حروب طويلة استقصاها ابن جرير ، وكان آخر ذلك أسر المازيار وحمله إلى ابن طاهر ، فاستقره عن الكتب التي بعثها إليه الأفشين فأقر بها ، فأرسله إلى المنتصم وما معه من أمواله التي احتفظت للخليفة ، وهي أشياء كثيرة جداً ، من الجواهر والذهب والثياب . فلما أوقف بين يدي الخليفة سأله عن كتب الأفشين إليه فأنكرها ، فأمر به ففرب بالسياط حتى مات وصلب إلى جانب بابك الخرمي على جسر بغداد ، وقتل عيون أصحابه وأتباعه . وفيها تزوج الحسن بن الأفشين بالرجة بنت أنثاس ودخل بها في قصر المنتصم بسامرا في جمادى ،

وكان عرساً حافلاً ، ولله المتعم بنفسه ، حتى قبل انهم كانوا يخضون لحا العامة بالذالية . وفيها خرج منكجور الأشعر وسنى قرابة الأفشين بأرض أذربيجان وخلع الطاعة ، وذلك أن الأفشين كان قد استقابه على بلاد أذربيجان حين فرغ من أمر بابل ، فظفر منكجور بحال عظيم مغزون لبابك في بعض البهائم ، فأخذته لنفسه وأخذاه عن المتعم ، وظهر على ذلك رجل يقال له عبد الله بن عبد الرحمن ، فكتب إلى الخليفة في ذلك فكتب منكجور يكذبه في ذلك ، وهم به لبقته فاستنق منه بأهل أردبيل . فلما تحقق الخليفة كذب منكجور بعث إليه بفنا الكبير فخار به وأخذ به بالأمان وجاء به إلى الخليفة . وفيها مات مناطس الرومي نائب حمورية ، وذلك أن المتعم أخذ منه أسيراً فاعتقله بسامرا حتى مات في هذه السنة . وفي رمضان منها مات ( إبراهيم بن المهدي بن المنصور ) عم المتعم ويعرف بابن شكله ، وكان أسود اللون ضخماً فصيحاً فاضلاً ، قل ابن ما كولا : وكان يقال له الصيفي - يعني لسواده - وقد كان ترجمه ابن عساكر ترجمة حافلة ، وذكر أنه ولي إمرة دمشق نيابة عن الرشيد أخيه مدة سنتين ثم عزله عنها ثم أعاده إليها الثانية فأقام بها أربع سنين . وذكر من عدله وصرامته أشياء حسنة ، وأنه أقام قلنس الملح سنة أربع ومائتين ، ثم عاد إلى دمشق ، ولما بويع بالخلافة في أول خلافة المأمون سنة ثنتين ومائتين قاله الحسن بن سهل نائب بغداد ، فهزمه إبراهيم هذا ، فقصده حميد الطوسي فهزم إبراهيم واختفى إبراهيم ببغداد حين قدمها المأمون ، ثم ظفر به المأمون صفاء عنه وأكرمه . وكانت مدة ولايته الخلافة سنة وإحدى عشر شهراً وأثنا عشر يوماً ، وكان بهد اختفائه في أواخر ذي الحجة سنة ثلاث ومائتين ، فكث محتجباً ست سنين وأربعة أشهر وعشراً . قال الخطيب : كان إبراهيم بن المهدي هذا وافر الفضل غزير الأدب واسع النفس سخي الكف ، وكان مرموفاً بصناعة الفناء ، حاذقاً فيها وقد قل المال عليه في أيام خلافته ببغداد فألح الأعراب عليه في أعطياتهم فجعل يسوف بهم . ثم خرج إليهم رسوله يقول : إنه لا مال عنده اليوم ، فقال بعضهم : فليخرج الخليفة إلينا فليمن لاهل هذا الجانب ثلاثة أصوات ، ولأهل هذا الجانب ثلاثة أصوات . فقال في ذلك دعبل شاعر المأمون ينم إبراهيم بن المهدي :

يا مشر الأعراب لا تنطلوا • خذوا عطايكم ولا تسخطوا  
فسوف يعطيك حنينية • لاتدخل الكيس ولا تربط  
والمبعدة يات قوادكم • وما بهذا أحد يثبط  
فكنا برزق أصحابه • خليفة مصحه الربط

وكتب إلى ابن أخيه المأمون حين طال عليه الاختفاء : ولئى التارحكم في التصاص والمغو أقرب لتغوى ، وقد جبل الله أمير المؤمنين فوق كل عفو ، كما جبل كل ذى نسب دونه ، فان عفا

بفضله وإن عاقب فيحه . فوقع المأمون في جواب ذلك : القمرة تغيب الحنيظة وكفى بالنعم إجابة  
وعنوا الله أوسع من كل شيء . ولما دخل عليه أنشأ يقول :

إن أكن مذنباً غفلي أخطأت • فدع عنك كثرة التأنيب  
قل كما قال يوسف لبني يعقوب • ب لـ ما أتوه لا تنزيب

قال المأمون : لا تنزيب . وروى الخطيب أن إبراهيم لما وقف بين يدي المأمون شرع يؤنبه  
على ما فعل فقال : يا أمير المؤمنين حضرت أبي وهو جلدك وقد أتى برجل ذنبه أعظم من ذنبي فأمر  
بقتله فقال مبارك بن فضالة : يا أمير المؤمنين إن رأيت أن تؤخر قتل هذا الرجل حتى أحدثك  
حديثاً ، فقال : قل . فقال : حدثني الحسن البصري عن عمران بن حصين أن رسول الله ﷺ قال :  
« إذا كان يوم القيامة نادى مناد من بطان العرش : ليقيم الملعون عن الناس من الخلفاء إلى أكرم  
الجزاء ، فلا يقوم إلا من عفا . قال المأمون : قد قبلت هذا الحديث بقبوله وعفوت عنك يا عجم .  
وقد ذكرنا في سنة أربع ومائتين زيادة على هذا . وكانت أشرطة جيدة بليغة ساهه الله . وقد ساق  
من ذلك ابن عساكر جانباً جيداً .

كان مولد إبراهيم هذا في سبئ ذي القعدة سنة ثنتين وستين ومائة ، وتوفي يوم الجمعة لسبع  
خون من هذه السنة من ثنتين وستين سنة .

وفيهما توفي سعيد بن أبي مريم المصري . وسليمان بن حرب . وأبو معمر المتقدم . وعلي بن محمد  
المدائني الأخباري أحد أئمة هذا الشأن في زمانه . وهو من مرزوق شيخ البخاري . وقد تزوج  
هذا الرجل ألف امرأة . ( وأبو عبيد القاسم بن سلام البغدادي ) أحد أئمة الفقه والفقهاء والحديث  
والقرآن والأخبار وأئمة الناس ، له المصنفات المشهورة المنتشرة بين الناس ، حتى يقال إن الأمام  
أحمد كتب كتابه في الغريب بيده ، ولما وقف عليه عبيد الله بن طاهر رتب له في كل شهر خمسمائة  
درهم ، وأجرها على ذريته من بعده . وذكر ابن خلكان أن ابن طاهر استحسن كتابه وقال : ما ينبغي  
لقل يث صاحب على تصنيف هذا الكتاب أن نخرج صاحبه إلى طلب الماش . وأجرى له عشرة  
آلاف درهم في كل شهر . وقال محمد بن وهب المصمدي : سمعت أبا عبيد يقول : مكنت في تصنيف  
هذا الكتاب أربعين سنة . وقال هلال بن المثلث الرقي : من الله على المسلمين بهذا الأربعة : الشافعي  
تفقه في الفقه والحديث ، وأحمد بن حنبل في الحجة . ويحيى بن معين في نفي الكذب . وأبو عبيد في  
تفسير غريب الحديث . ولولا ذلك لا فتحتم الناس المهالك .

وذكر ابن خلكان أن أبا عبيد ولي القضاء بطرسوس ثمان عشرة سنة ، وذكر له من العبادة  
والاجتهاد في العبادة شيئاً كثيراً . وقد روى الغريب عن أبي زيد الأنصاري والأصمعي وأبي

عبدة ممر بن المتى ، وابن الأعرابي ، والقراء والكشائي وغيرهم . وقال إسحاق بن راهويه : نحن نحتاج إليه وهو لا يحتاج إلينا . وقدم بغداد وسمع الناس منه ومن تصانيفه . وقال إبراهيم الخزازي : كان كأنه جبل نفع فيه روح ، يحسن كل شيء . وقال أحمد بن كامل القاضي : كان أبو عبيد فاضلاً ديناراً بانياً علماً متقناً في أصناف علوم أهل الأيمان والافتان والاسلام : من القرآن والفقه والعربية والأحاديث ، حسن الرواية صحيح النقل ، لا أعلم أحداً طعن عليه في شيء من علمه وكتبه ، وله كتب الأموال وكتب فضائل القرآن ومآنيه ، وغير ذلك من الكتب المنتفع بها رحمه الله . توفي في هذه السنة قاله البخاري . وقيل في التي قبلها بمكة ، وقيل بالمدينة . وله سبع وستون سنة . وقيل جاوز السبعين طه الله أعلم .

ومحمد بن عثمان أبو الجاهر الهشقي الكفرتوي أحد مشايخ الحديث . ومحمد بن الفضل أبو النعمان السدوسي الملقب بإمام شيخ البخاري ومحمد بن عيسى بن الطباع . ويزيد بن عبد ربه الجرجسي الحمصي شيخها في زمانه .

﴿ ثم دخلت سنة خمس وعشرين ومائتين ﴾

فيها دخل بنا الكبير ومعه منكبور قد أعطى الطاعة بالأمان . وفيها عزل المنعم جعفر بن دينار عن نيابة الحين وغضب عليه وولى العن ابتاع . وفيها وجه عبد الله بن طاهر بالمازير فدخل بغداد على بلل بالكاف فضر به المنعم بين يديه أربعمائة وخمسين سوطاً ثم سقى الماء حتى مات ، وأمر بإصلبه إلى جنب بابك ، وأقر في ضربه أن الأفشين كان يكتبه ويحسن له خلع الطاعة ، فغضب المنعم على الأفشين وأمر بسجنه ، فبقي له مكان كالمئارة من دار الخلافة تسمى الكوة ، إنما تسمه فقط ، وذلك لما تحقق أنه يريد مخالفته والخروج عليه ، وأنه قد عزم على الذهاب لبلاد الخزر ليستجيش بهم على المسلمين فعاجله الخليفة بالقبض عليه قبل ذلك كله ، وعقد له المنعم مجلساً فيه قاضيه أحمد ابن أبي دؤاد المتزلي ، ووزيره محمد بن عبد الملك بن الزيتي ، ونائبه إسحاق بن إبراهيم بن مصعب ، فاتهم الأفشين في هذا المجلس بأشياء تدل على أنه بلى على دين أجداده من الفرس . منها أنه غير محنت فاعتذر أنه يخاف ألم ذلك ، فقال له الوزير - وهو الذي كان يناظره من بين القوم - فأنت تطاع بالرماح في الحروب ولا تخاف من طعنها وتختلف من قطع قلعة بيدك ؟ ومنها أنه ضرب رجلين إماماً ونؤذاً كل واحد ألف سوط لأنهما هدما بيت أستاذ فاختداه مسجداً . ومنها أنه عنده كتاب كليله ودمته مصوراً فيه الكفر وهو يحلى بالجوهر والذهب ، فاعتذر أنه ورثه من آبائهم . واتهم بأن الألجم يكتبونه وتكتب إليه في كتبها : أنت إله الأكلة من العبيد ، وأنه يقرم على ذلك . فجعل يستنر بأنه أجرام على ما كانوا يكتبون به أباه وأجداده ، وخاف أن يأمرهم بترك ذلك فيتضع عندهم .



فقال له الوزير : ويحك فإذا أثبتت لفرعون حين قال : أنا ربكم الأعلى ؟ وأنه كان يكتب المازيار بأن يخرج عن الطاعة وأنه في ضيق حتى ينصر دين المجوس الذي كان قديماً ، ويظهره على دين الرب ، وأنه كان يستطيط المنخقة على المدوحة ، وأنه كان في كل يوم أربعماء يستدعي بشاة سوداء فيضربها بالسيف نصفين ، ويمشي بينهما ثم يأكلها ، فعند ذلك أمر المعتصم بهذا الكبير أن يسجنه مهاتماً ذليلاً فجعل يقول : إني كنت أتوقع منكم هذا .

وفي هذه السنة جلّ عبد الله بن محمد بن الحسن بن الأفشين وزوجته أترجة بنت أشناس إلى سامرا . وحج بالناس فيها محمد بن داود .

وفيهما توفي من الأعيان أصبغ بن الفرج ، وسدويه ، ومحمد بن سلام البيكندی شيخ البخاري ، وأبو عمر الجرمي . وأبو دلف المجلي القتيبي الأمير أحد الأجراد .

#### ( وسعيد بن مسعدة )

أبو الحسن الأخفش الأوسط البليخي ثم البصري النحوي ، أخذ النحو عن سيويه وصنف كتباً كثيرة منها كتاب في معاني القرآن ، وكتاب الأوسط في النحو وغير ذلك ، وله كتاب في العروض زاد فيه بحر النظم على الخليل ، وصحى الأخفش أصغر عنيه وضعف بصره ، وكان أيضاً أدلج ، وهو الذي لا يضم شفتيه على أسنانه ، كان أولاً يقال له الأخفش الصغير بالنسبة إلى الأخفش الكبير ، أبي الخطاب عبد الحميد بن عبد الحميد الهجري ، شيخ سيويه وأبي عبيدة ، فلما ظهر على بن سليمان ولقب بالأخفش أيضاً صار سعيد بن مسعدة هو الأوسط ، والمجري الأكبر ، وعلى ابن سليمان الأصغر . وكانت وفاته في هذه السنة ، وقيل سنة إحدى وعشرين ومائتين .

#### ( الجرمي النحوي )

وهو صالح بن إسحاق البصري ، قدم بغداد وناظر بها الفراء ، وكان قد أخذ النحو عن أبي حميدة وأبي زيد والأصمعي وصنف كتباً منها الفرج - يعني فرغ كتاب سيويه - وكان قتيها فاضلاً نحوياً بارعاً عالماً بالغة حافظاً لما ، ديناً ورعاً حسن المنهج ، صحيح الاعتقاد وروى الحديث . ذكره ابن خلكان وروى عنه المبرد ، وذكره أبو نعيم في تاريخ أصبهان .

#### ( ثم دخلت سنة ست وعشرين ومائتين )

في شعبان منها توفي الأفشين في الحبس فأمر به المعتصم فصلب ثم أحرق وذرى رماده في دجلة واحتيط على أمواله وحواصله فوجدوا فيها أصناماً مكللة بنهب وجواهر ، وكتباً في فضل دين المجوس وأشياء كثيرة كان ينهم بها ، تدل على كفره وزندقته ، وتحقق بسببها ما ذكر عنه من الانتهاء إلى

دين آياته الجوس . وحج بالناس فيها محمد بن داود .

وفيهما توفى إسحاق القزويني . وإسماعيل بن أبي أوس . ومحمد بن داود صاحب التفسير . وغسان  
ابن الربيع . ويحيى بن يحيى النخعي شيخ مسلم بن الحجاج . ومحمد بن عبد الله بن طاهر بن الحسين  
( وأبو دلف المجل )

عيسى بن إدريس بن معقل بن حمير بن شيخ بن معاوية بن خراعي بن عبد العزيز بن دلف  
ابن جشم بن قيس بن سعد بن عجل بن لحيم الأمير أبو دلف المجل أحد قواد المأمون والمعتصم وإليه  
ينسب الأمير أبو نصر بن ما كولا ، صاحب كتاب الأكمال . وكان القاضي جلال الدين خطيب  
دهشقي القزويني يزعم أنه من سلالة ، ويذكر نسبه إليه ، وكان أبو دلف هذا كريما جوادا ممدكا ،  
قد قصده الشعراء من كل أوب ، وكان أبو تمام الطائي من جملة من يشاء ويستمنح نداءه ، وكانت  
لديه فضيلة في الأدب والثناء ، وصنف كتباً منها سياسة الملوك ، ومنها في الصيد والبراة . وفي السلاح  
وغير ذلك . وما أحسن ما قال فيه بكر بن الطباع الشاعر :

يا طالباً للكيماة وعلمه • مدح ابن عيسى الكيماة الأعظم

لولا يكن في الأرض إلا درم • ومدحه لا تذك ذلك الدرهم

فيقال : إنه أطعمه على ذلك عشرة آلاف درهم ، وكان شجاعاً فائقاً ، وكان يستدين ويعطي ،  
وكان أبوه قد شرع في بناء مدينة الكرخ فأتى ولم يتمها فأتىها أبو دلف ، وكان فيه تشيع ، وكان يقول :  
من لم يكن متغالياً في التشيع فهو ولد زنا . فقال له ابنه دلف : لست على مذهبك يا أبة . فقال :  
واقفه لقد وطئت أمك قبل أن أشتريها ، فهذا من ذلك . وقد ذكر ابن خلكان أن ولده رأى في المنام  
بعد وفاة أبيه أن أتيا أنه قال : أجب الأمير ! قال فقدمت معه فأدخلني داراً وحشة وعرة سوداء  
الحيطان مشقة السقوف والأبواب . ثم أصعدني في درج فيها ثم أدخلني غرفة ، وإذا في حيطانها  
أثر التيران ، وفي أرضها أثر الزماد ، وإذا بأبي فيها وهو عريان واضع رأسه بين ركبتيه فقال لي  
كالسقم : أدلف ؟ قلت دلف . فأنشأ يقول :

أبلغن أهلنا ولا تخف عنهم • ما لقينا في البرزخ الخلق

قد مثلنا عن كل ما قد فعلنا • فزحموا وحشني وما قد ألقى

ثم قال : أنفمت ؟ قلت : نعم ! ثم أنشأ يقول :

فلو أنا إذا متنا تركنا • لكان الموت راحة كل حي

ولكننا إذا متنا بمتنا • ونسأل بعده عن كل شي

ثم قال : أنفمت ؟ قلت : نعم . وانتهت .

( ثم دخلت سنة سبع وعشرين ومائتين )

فيها خرج رجل من أهل التنور بالشام يقال له أبو حرب المبرقع البجلي ، فغلب الطاعة ودعا إلى نفسه . وكان سبب خروجه أن رجلا من الجند أراد أن يتزل في منزله عند امرأته في غيبته فافتنه المرأة فغضبها الجندی في يدها فأثرت الضربة في مصمها . فلما جاء بعلمها أبو حرب أخبرته فنذهب إلى الجندی وهو غافل قتلته ثم تحصن في رؤس الجبال وهو مبرقع ، فلما جاء أحد دعه إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ويقيم من السلطان ، فاتبه على ذلك خلق كثير من الحرابين وغيرهم ، وقالوا : هذا هو السفياي المذكور أنه ملك الشام ، فاستفعل أمره جدآ ، واتبه نحو من مائة ألف مقاتل ، فبعث إليه المنعم وهو في مرض موته جيشا نحواً من مائة ألف مقاتل ، فلما قدم أمير المنعم بن معه وجدهم أمة كثيرة وطاقمة كبيرة ، قد اجتمعوا حول أبي حرب ، فخشى أن يواقع والحالة هذه ، فانتظر إلى أيام حرث الأراضى فنفق عنه الناس إلى أراضيهم ، وبنى في شرفة قليلة فهاضه فأسرده ونفق عنه أصحابه ، وحمله أمير السرية وهو رجاء بن أيوب حتى قدم على أبي المنعم ، فلامه المنعم في تأخره عن مناجزته أول ما قدم الشام ، قال : كان معي مائة ألف أو يزيدون ، فلم أزل أطاوله حتى أمكن الله منه ، فشكره على ذلك .

وفيها في يوم الخميس الثامن عشر من ربيع الأول من هذه السنة كانت وفاة أبي إسحاق محمد المنعم بالله بن هارون الرشيد بن المهدي بن المنصور .

( وهذه ترجمته )

هو أمير المؤمنين أبو إسحاق محمد المنعم بن هارون الرشيد بن المهدي بن المنصور العبلي يقال له المشن لأنه كان ولد العبلي ، وأنه كان الخلفاء من ذريته ، ومنها أنه فتح ثمان فتوحات ، ومنها أنه أظلم في الخلافة ثمان سنين وثمانية أشهر وثمانية أيام . وقيل ويومين ، وأنه ولد سنة ثمانين ومائة في شعبان وهو الشهر الثامن من السنة ، وأنه توفي وله من العمر ثمانية وأربعون سنة ، ومنها أنه خلف ثمانية بنين وثمان بنات ، ومنها أنه دخل بغداد من الشام في مستهل رمضان سنة ثمان عشرة ومائتين بعد استكمال ثمانية أشهر من السنة بعد موت أخيه المأمون ، قالوا : وكان أميا لا يحسن الكتابة ، وكان سبب ذلك أنه كان يتردد معه إلى الكتاب غلام فلت الغلام فقال له أبوه الرشيد : ما فعل غلامك ؟ قال : ات فاستراح من الكتاب ، فقال الرشيد : وقد بلغ منك كراهة الكتاب إلى أن تجعل الموت راحة منه ؟ والله يا بني لا تنهب بعد اليوم إلى الكتاب . فتركوه فكان أميا ، وقيل بل كان يكتب كتابه ضيقة . وقد أسند الخطيب من طريقه عن آباءه حديثين منكرين أحدهما في ذم بن أمية ومع بن العبلي من الخلفاء . والثاني في النهي عن الحيلة يوم الخميس . وذكر بسنده

عن المنتعم أن ملك الروم كتب إليه كتاباً يتهدده فيه فقال للكاتب اكتب : قد قرأت كتابك وفهمت خطابك والجواب ما ترى لا ما تسمع ، وسيلم الكفار لمن عقي الدار . قال الخطيب : غزا المنتعم بلاد الروم في سنة ثلاث وعشرين ومائتين ، فأنتكى نكابة عظيمة في العدو ، وفتح عورية وقتل من أهلها ثلاثين ألفاً وسبى مثلهم ، وكان في سببه ستون بطريقاً ، وطرح النار في عورية في سائر نواحيها فأحرقها وجاء بنائها إلى العراق وجاء بيابها أيضاً معه وهو منصوب حتى الآن على أحد أبواب دار الخلافة مما يلي المسجد الجامع في القصر . وروى عن أحمد بن أبي دؤاد القاضي أنه قال : ربما أخرج المنتعم ساعده إلى وقال لي : عض يا أبا عبد الله بكل ماتمدر عليه ، فأقول إنه لا تطيب نضى يا أمير المؤمنين أن أعض ساعدك ، فيقول : إنه لا يضرك . فأكدم بكل ما أقدر عليه فلا يؤثر ذلك في يده . ومضى يوماً في خلافة أخيه بمخيم الجند فإذا امرأة تقول : ابني ابني ، فقال لها : ما شأنك ؟ فقالت : ابني أخذني صاحب هذه الخيمة . فجاء إليه المنتعم فقال له : أطلق هذا الصبي ، فامتنع عليه قبض على جسده بيده فسمع صوت عظامه من تحت يده ، ثم أرسله فسقط ميتاً وأمر بأخراج الصبي إلى أمه . ولما ولي الخلافة كان شهماً وله حمة عالية في الحرب ومهابة عظيمة في القلوب ، وإنما كانت نهمته في الاتفاق في الحرب لافي البناء ولا في غيره .

وقال أحمد بن أبي دؤاد : تصدق المنتعم على يدي ووهب ما قيمته مائة ألف ألف درهم . وقال غيره : كان المنتعم إذا غضب لا يبالي من قتل ولا ماض . وقال إسحاق بن إبراهيم الموصلي : دخلت يوماً على المنتعم وعنده قينة له تغنيه فقال لي : كيف تراها ؟ قلت له : أراها تقهره بمجنق ، وتجتله برفق ، ولا تخرج من شيء إلا إلى أحسن منه ، وفي صوتها قطع شذور ، أحسن من نظم الدر على النحور . فقال : والله لصفئك لها أحسن منها ومن غنائها . ثم قال لابن هارون الواقفي ولي عهده من بعده : اسمع هذا الكلام . وقد استخدم المنتعم من الأتراك خلقاً عظيماً كان له من الممالك الترك قريب من عشرين ألفاً ، وملك من آلات الحرب والدواب ما لم يتفق لغيره . ولما حضرته الوفاة جعل يقول ( حتى إذا فرجوا بما أوتوا أخذناهم بنفة فاذا هم مبسبون ) وقال : لو علمت أن عمرى قصير ماضت . وقال : إني أحدث هذا الخلق ، وجعل يقول : ذهبت الحيل فلا حيلة . وروى عنه أنه قال في مرض موته : اللهم إني أخافك من قبلي ولا أخافك من قبلك ، وأرجوكم من قبلك ولا أرجوكم من قبلي .

كانت وفاته بسر من رأى في يوم الخميس ضحى لسبعة عشرة ليلة خلت من ربيع الأول من هذه السنة - أعني سنة سبع وعشرين ومائتين - وكان مولده يوم الاثنين لمشر خلون من شعبان سنة ثمانين ومائة ، وولي الخلافة في رجب سنة ثمان عشرة ومائتين ، وكان أيضاً أصهب اللحية

طوبى لها عربوعاً مشرباً اللون ، أمه أم ولد اسمها ماردة ، وهو أحد أولاد ستة من أولاد الرشيد ، كل منهم اسمه محمد ، وهم أبو إسحاق محمد المنتصم ، وأبو العباس محمد الأمين ، وأبو عيسى محمد ، وأبو أحمد ، وأبو يعقوب ، وأبو أيوب . قاله هشام بن الكلبي . وقد روى الخلافة بعده ولده هارون الواثق وقد ذكر ابن جرير أن وزيره محمد بن عبد الملك بن الزيات قتله فقال :

قد قلت إذ غيبوك واصطفت • عليك أيدي القرب والطين

أذهب فنعهم الحفيظ كنت على • الدنيا ونعم الظهير للدين

لا خير الله أمة قدمت • منك إلا بمنزل هارون

وقال مروان بن أبي الجنوب - وهو ابن أخي حفصة - :

أبو إسحاق مات ضحى فتنا • وأمسينا بهارون حيننا

لئن جاء الخسيس بما كرهنا • لقد جاء الخسيس بما هوينا

( خلافة هارون الواثق بن المنتصم )

يروي أنه لخلافة قبل موت أبيه يوم الاربعاء لثمان خلون من ربيع الأول من هذه السنة - أعني سنة سبع ودرسين ومائتين - ويكنى أبا جعفر ، وأمّه أم ولد رومية يقال لها قراطيس ، وقد خرجت في هذه السنة قاصدة الحج فانت بالحيرة ودفت بالكوفة في دار داود بن عيسى ، وذلك لأربع خلون من ذى القعدة من هذه السنة ، وكان القى أقام الناس الحج فيها جعفر بن المنتصم وفيها توفي ملك الروم توفيل بن ميخائيل ، وكانت مدة ملكه ثقتي عشرة سنة ، فملك الروم بعده امرأته تدور . وكان ابنها ميخائيل بن توفيل صغيراً . وفيها توفي :

• بشر الحافي الزاهد المشهور •

وهو بشر بن الحارث بن عبد الرحمن بن عطاء بن هلال بن ملهان بن عبد الله المروزي أبو نصر الزاهد المعروف بالحافي ، نزيل بغداد . قال ابن خلكان : وكان اسم جده عبد الله الثيور ، أسلم على يدي علي بن أبي طالب . قلت : وكان مولده ببغداد سنة خمسين ومائة ، وسمع بها شيئاً كثيراً من جلال بن زيد ، وعبد الله بن المبارك ، وابن مهدي ، ومالك ، وأبي بكر بن عيش ، وغيرهم . وعنه جماعة منهم أبو خيثمة ، وزهير بن حرب ، وسري السعفي ، والعباس بن عبد العظيم ، ومحمد بن حاتم . قال محمد بن سعيد : سمع بشر كثيراً ثم اشتغل بالعبادة واعتزل الناس ولم يحدث ، وقد أئق عليه غير واحد من الأئمة في عبادته وزهاده وورعه ونسكه وتقشفه . قال الأمام أحمد يوم بلغه موته : لم يكن له نظير إلا عامر بن عبد قيس ، ولو تزوج لم أره . وفي رواية عنه أنه قال : ما ترك بعده مثله . وقال إبراهيم الحاربي : ما أخرجت بغداد أتم عقلاً منه ، ولا أحفظ لسانه منه ، ما عرف له غيبة

سلم ، وكان في كل شجرة منه عقل . ولوقدم عنه على أهل بغداد لصاروا عقلاء وما تخلص من عقله شيء . وذكر غير واحد أن بشراً كان شلواً في بده أمره ، ولأن سبب توبته أنه وجد رقة فيها اسم الله عز وجل في أتون حمام فرفقها ورفق طرفه إلى السماء وقال سيدي اسمك هنا ملق يداس ثم ذهب إلى عطار فاشترى بدمر غالية وضيق تلك الرقة منها وبضعها حيث لا تنال ، فاحسب الله قلبه وألممه رشده وصار إلى ما صار إليه من العبادة والزهادة .

ومن كلاء : بن أحب الدنيا فليتيها للذل . وكان بشرياً كل الخبز وحده قليل له : أما لك آدم ؟ فقال : بل أذكر المافية فأجعلها أدم . وكان لا يلبس ثياباً بل يمشي حافياً ، فباه يوماً إلى بلب فطرقة قليل من ذا ؟ قال : بشر الحافي . قالت له جارية صغيرة لو اشترى ثياباً بدمر فذهب عنه اسم الحافي (١) . قالوا : وكان سبب تركه الثمل أنه جاء مرة إلى حذاء فطلب منه شراً كأنه قال : ما أكثر كلمتكم يا فتراء . على الناس ؟ فطرح الثمل من يده وخلع الأخرى من رجليه وحلف لا يلبس ثياباً أبداً .

قال ابن خلكان : وكانت وفاته يوم عشوراء ، وقيل في رمضان ببغداد ، وقيل بمر . قلت : الصحيح ببغداد في هذه السنة ، وقيل في سنة ست وعشرين والأول أصح والله أعلم . وحين مات اجتمع في جنازته أهل بغداد عن بكرة أبيهم ، فأخرج بعد صلاة الضحى فلم يستقر في قبره إلا بعد العتبة . وكان على المدافن وغيره من أئمة الحديث يصبح بأعلا صوته في الجنازة : هذا والله شرف الدنيا قبل شرف الآخرة . وقد روى أن الجن كانت تنوح عليه في بينة القبر كان يسكنه . وقد رآه بعضهم في المنام فقال : ما فعل الله بك ؟ فقال غفر لي ولكل من أحبني إلى يوم القيامة . وذكر الخطيب أنه كان له أخوات ثلاث وهن : محبة . ومضفة . وزينة . وكلهن عابدات زاهدات مثله وأشد ورعاً أيضاً . ذهبت إحداهن إلى الإمام أحمد بن حنبل فقالت : إني ربما طغيت السراج وأنا أغزل على ضوء القمر قبل على عند البيع أن أميز هذا من هذا ؟ فقال : إن كان بينهما فرق فيزى للشرى . وقالت له مرة إحداهن : ربما تمر بنا مشاعل بن طاهر في الليل ونحن نغزل فنزل الطارق والطافين والطافات فخلصن من ذلك . فأمرها أن تنصدق بذلك الغزل كله لما أشبه عليهن من معرفة ذلك المقدمار . وسألته عن أنين المريض أفبسه شكوى ؟ قال لا ! إنما هو شكوى إلى الله عز وجل . ثم خرجت فقال لابنه عبد الله : يا بني اذهب خلفها فاعلم لي من هذه المرأة ؟ قال عبد الله : فذهبت ودامها فإذا هي قد دخلت دار بشر ، وإذا هي أخته محبة .

وروى الخطيب أيضاً عن زينة قالت : جاء لييلة أخى بشر فبخل برجله في النار وبقيت

(١) في المصرية : ما وجد دافقين يشترى بهما ثياباً ويستريح من هذا الاسم ؟ .

الأخرى خارج النار ، فاستمر كذلك ليلته حتى أصبح ، فقيل له فم تفكرت ليلتك ؟ فقال :  
تفكرت في بشر النصراني وبشر اليهودي وبشر المجوسي وفي نفسي لأن اسمي بشر ، قلت في  
نفسى : ما الذى سبق لى من الله حتى خصنى بالاسلام من بينهم ؟ تفكرت في فضل الله على وحدته  
أن هدانى للاسلام ، وجهانى بمن خصه به ، وألبسنى لباس أحبابه . وقد ترجمه ابن عساکر فأطرب  
وأطيب وأطال من غير ملال ، وقد ذكره أشعرا حسنة ، وذكر أنه كان يتمثل بهذه الأبيات :

تمام القذى في الماء لا تستطيعه • وتكرع من حوض الذنوب فقتشرب  
وتؤثر من أكل الطعام الله • ولا تذكر الحنار من أين يكسب  
وتزهد يسكن فوق نمارق • وفي حشوها تلو عليك تلهب  
لحقى متى لا تستفيق جهالة • وأنت ابن سبعين يدبك تلهب

ومن توفي فيها أحد بن ونس . وإسماعيل بن عمرو البجلي . وسعيد بن منصور صاحب السنن  
المشهور الذى لا يشترك فيها إلا القليل . ومحمد بن القصاب المدلاوى . وله سنن أيضاً . وأبو الوليد  
المطيلالى . وأبو المنذيل الملقب بالملك المتولى . والله أعلم .

( ثم دخلت سنة ثمان وعشرين ومائتين )

في رمضان منها خلق الوائى على أشناس الأمير ، وتوجه وألبسه وشاحين من جواهر وحج بالاس  
فيها محمد بن داود الأمير . وغلا السر على الناس في طريق مكة جداً ، وأصابهم حر شديد وم  
برقة ، ثم أعقبه برد شديد ومطر عظيم ، كل ذلك في ساعة واحدة ، ونزل عليهم وهم بمنى مطر لم ير  
مثله ، وسقطت قطرة من الجبل عند جرة البقية فقتلت جماعة من الحجاج .

قال ابن جرير : وفيها مات أبو الحسن المغانى أحد أئمة هذا الشأن في منزل إسحاق بن إبراهيم  
الموصل . وحبيب بن أوس الطائى أبو تمام الشاعر  
قلت أما أبو الحسن المغانى فاحم على بن المغانى أحد أئمة هذا الشأن ، وإمام الأخباريين في  
زمانه ، وقد قمنا ذكر وفاته قبل هذه السنة . وأما

( أبو تمام الطائى الشاعر )

صاحب الحامسة التى جمعها في فضل النساء بهمدان في دار وزرها . فهو حبيب بن أوس بن  
الحارث بن قيس بن الأشج بن يحيى أبو تمام الطائى الشاعر الأديب . وقتل الخطيب عن محمد بن  
يحيى اصول أنه حكى عن بعض الناس أنهم قالوا : أبو تمام حبيب بن تدرس النصراني ، فسماه  
أبو حبيب أوس بدل تدرس . قال ابن خلكان : وأصله من قرية جاسم من عمل الجيودر بالقرب من  
طبرية ، وكان يمشق يمل عند حاكمه ، ثم سار به إلى مصر في شببته . وابن خلكان أخذ ذلك

من تاريخ ابن عساكر ، وقد ترجم له أبو تمام ترجمة حسنة . قال الخطيب : وهو شامي الأصل ، وكان بمصر في حدائقه يسقى الماء في المسجد الجامع ، ثم جالس لمض الأدباء فآخذ عنهم وكان فطناً فوهماً ، وكان يحب الشعر فلم يزل يماينه حتى قال الشعر فأجاد ، وشاع ذكره وبلغ المصنم خبره فعمله إليه وهو بسر من رأى ، فعمل فيه قصائد فاجازه وقسمه على شعراء وقته ، قدم بغداد فجالس الأدباء وعاشر العلماء ، وكان موصوفاً بالظرف وحسن الأخلاق : وقد روى عنه أحمد بن أبي طاهر أخباراً بسنده . قال ابن خلكان : كان يحفظ أربعة عشر ألف أرجوزة للعرب غير القصائد والمفايع وغير ذلك ، وكان يقال : في طي ثلاثة : حاتم في كرمه ، ودواود الطائي في زهره ، وأبو تمام في شعره . وقد كان الشعراء في زمانه جماعة فن مشاهيرهم أبو الشيب ، ودعبل ، وابن أبي قيس ، وكان أبو تمام من خيارهم ديناً وأدباً وأخلاقاً . ومن رقيق شعره قوله : —

يا حليف الندى ويا معدن الجلود • ويا خير من حويت القريض  
ليت حملك بي وكانك ذا الأج • ر فلا تشكى وكنت المريض

وقد ذكر الخطيب عن إبراهيم بن محمد بن عرفة أن أبا تمام توفي في سنة إحدى وثلاثين ومائتين وكذا قال ابن جرير . وحكى عن بعضهم أنه توفي في سنة إحدى وثلاثين ، وقيل سنة ثنتين وثلاثين فأنه أعلم . وكانت وفاته بالموصل ، وبقيت على قبره قبة ، وقد رآه الوزير محمد بن عبد الملك الزيات فقال : نبأ أتى من أعظم الأنبياء • لما ألم بقلل الأحشاء  
قالوا حبيب قد توى فأجبتهم • تشدتمكم لا تجلوه الطائي  
وقال غيره : فجح القريض بخاتم الشعراء • وغدبر وضنها حبيب الطائي  
لما ما فنجأوا في حفرة • وكذلك كانوا قبل في الأحياء  
وقد جمع الصولي شعر أبي تمام على حروف المعجم . قال ابن خلكان : وقد امتدح أحمد بن المصنم ويقال ابن المأمون بقصيدته التي يقول فيها :

إقدام عمرو في ساحة حاتم • في حلم أحنف في ذكاء إلياس

فقال له بعض الحاضرين : أتقول هذا لأئير المؤمنين وهو أكبر قدراً من هؤلاء ؟ فانك ما زدت على أن شبيهته بأجلاف من العرب البوادي . فأطرق إطرقة ثم رفع رأسه فقال :

لا تشكروا ضربي له من دونه • مثلاً شروفاً به في لندى والبأس

فأنه قد ضرب الأقل لنوره • مثلاً منه المشكاة والنباس

قال : فلما أخذوا القصيدة لم يجدوا فيها هذين البيتين ، وإنما قالها ارتجالاً . قال : ولم يمش بعد هذا إلا قليلاً حتى مات . وقيل إن إخليفة أعمته الموصل لما مدحه بهذه القصيدة ، فأقام بها أربعين



يوماً ثم مات . وليس هذا بصحيح ، ولا أصل له ، وإن كان قد لاج به بعض الناس كالزخشرى وغيره . وقد أورد له ابن عساكر أشياء من شره مثل قوله : -

ولو كانت الارزاق تجري على الحجا • هلكن إذا من جهلن البهائم  
ولم يجتمع شرق وغرب لقاصد • ولا المجد في كف امرئ والدرام  
ومنه قوله : وما أنا بالديوان من دون غرسه • إذا أنا لم أصبح غبوراً على العلم  
طبيب فوادى مذ ثلاثين حجة • ومذهب همى . والمفرج لغم  
وقها توفى أبو نصر الفارابى . والنبسى . وأبو الجهم . ومسدّد . وداود بن عمرو الضبي . ويحيى بن  
عبد الحميد الحامى . ( ثم دخلت سنة تسع وعشرين ومائتين )

فيها أمر الواثق بعقوبة الدواوين وضربهم واستخلاص الأموال منهم ، لظهور خيانتهم وإسرافهم في أمورهم ، فنهى من ضرب ألف سوط وأكثر من ذلك وأقل ، ومنهم من أخذ منه ألف ألف دينار . ودون ذلك ، وجاهر الوزير محمد بن عبد الملك لسائر ولاية الشرط بالمعذرة ففسخوا وجبوا ولقوا شرّاً عظيماً ، وجهماً جليلاً ، وجلس إسحاق بن إبراهيم لظفر في أمرهم ، وأقيموا للناس وانفضحوا هم والدواوين فضيحة بليغة . وكان سبب ذلك أن الواثق جلس ليلة في دار الخلافة وجلسوا يسرون عنده ، فقال : هل منكم أحد يعرف سبب عقوبة جدى الرشيد للبرامكة ؟ فقال بعض الحاضرين : نعم يا أمير المؤمنين ! سبب ذلك أن الرشيد عرض له جارية فأعجبها جمالها فساوم سيدها فيها فقال : يا أمير المؤمنين إني أقسمت بكل عين أن لا أبيعها بأقل من مائة ألف دينار ، فاشتراها منه بها ، وبث إلى يحيى بن خالد الوزير ليعث إليه بالمال من بيت المال ، فاعتل بأنها ليست عنده ، فأرسل الرشيد إليه يؤنبه ويقول : أما في بيت مالى مائة ألف دينار ؟ وألح في طلبها فقال يحيى بن خالد : أرسلوها إليه دراهم ليستكثرها ، ولعله يرد الجارية . فبعتوا بمائة ألف دينار دراهم ووضموها في طريق الرشيد وهو خارج إلى الصلاة ، فلما اجتاز به رأى كوماً من دراهم ، فقال : ما هذا قالوا : ثمن الجارية ، فاستكثر ذلك وأمر بجزئها عند بعض خدমে في دار الخلافة ، وأعجبهم جميع المال في حواصله ، ثم شرع في تقبض أموال بيت المال فاذا البرامكة قد استسلموا لكوها ، فجعل يجمع بهم تارة يريد أخضعهم ، وهلاكهم ، وتارة يحجم عنهم ، حتى إذا كان في بعض الليالي سمع عنده رجل يقال له أبو العود فأطلق له ثلاثين ألفاً من الدراهم ، فذهب إلى الوزير يحيى بن خالد بن برمك فطلبها منه فماله مدة طويلة ، فلما كان في بعض الليالي في السمر عرض أبو العود بذلك للرشيد في قول عمر بن أبي ربيعة : وعدت هند وما كالت قعد • ليت هنداً أتهزتنا ما قعد واستبدت مرة واحدة • إنما المأجور من لا يستبد

فجعل الرشيد يكرر قوله : إنما العاجز من لا يستفيد ، ويمجبه ذلك . فلما كان الصباح دخل عليه يحيى بن خالد فأنشده الرشيد هذين البيتين وهو يستحسنهما ، ففهم ذلك يحيى بن خالد وخاف وسأل عن من أنشد ذلك الرشيد ؟ فقيل له أبو المود . فبعث إليه وأعطاه الثلاثين ألفاً وأعطاه من عنده عشرين ألفاً ، وكذلك ولده الفضل وجعفر ، فلما كان عن قريب حتى أخذ الرشيد البرامكة ، وكان من أمرهم ما كان .

فلما سمع ذلك الواثق أعجبه ذلك وجعل يكرر قول الشاعر : إنما العاجز من لا يستفيد . ثم بطش بالكتاب وهم الدواوين على إثر ذلك ، وأخذ منهم أموالاً عظيمة جداً . وفيها حج بالناس أمير السنة الماضية وهو أمير الحجيج في السنتين الماضيتين .

وفيها توفي خلف بن هشام البزار أحد مشاهير القراء ، وعبد الله بن محمد السندی ، وفهم بن حماد الغزالي أحد أئمة السنة بسد أن كان من أكابر الجهمية ، وله المصنفات في السنن وغيرها ، وبقار بن عبد الله المنسوب إليه النسخة المكنونة عنه أو منه ، ولكنها عالية الاسناد إليه ، ولكنها موضوعة .

﴿ ثم دخلت سنة ثلاثين ومائتين ﴾

في جمادى منها خرجت بنو سليم حول المدينة النبوية فقاتلوا في الأرض فساداً ، وأخافوا السبيل ، وقاتلهم أهل المدينة فهزموا أهلها واستحوذوا على ما بين المدينة ومكة من المناهل والقرى ، فبعث إليهم الواثق بنو الكبير أبا موسى التركي في جيش فقاتلهم في شعبان فقتل منهم خمسين فلولاً وقسر منهمم وانهمزم بقيتهم ، فدخلهم إلى الأمان وأن يكونوا على حكم أمير المؤمنين ، فاجتمع إليه منهم خلق كثير ، فدخل بهم المدينة وسجن رؤسهم في دار يزيد بن معاوية وخرج إلى الحج في هذه السنة ، وشهد معه الموسم إسحاق بن إبراهيم بن مصعب نائب العراق . وفيها حج بالناس محمد بن حواد المنقذ . وفيها توفي : ﴿ عبد الله بن طاهر بن الحسين ﴾

نائب خراسان وما والاها . وكان خراج ما تحت يده في كل سنة ثمانية وأربعين ألف ألف درهم ، فولى الواثق مكانه ابنه طاهر . وتوفي قبله أشناس التركي بقصة أليم ، يوم الاثنين لأحدى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول من هذه السنة . وقال ابن خلكان : توفي سنة ثمان وعشرين بمرو ، وقيل بفسابور . وكان كريماً جواداً ، وله شعر حسن ، وقد ولي نيابة مصر بعد العشرين ومائتين . وذكر الوزير أبو القاسم بن المزمي أن البطيخ المبتدأ الذي بمصر منسوب إلى عبد الله بن طاهر هذا . قال ابن خلكان : لأنه كان يستطيعه ، وقيل لأنه أول من زرعه هناك والله أعلم . ومن جيد شعره :

اغتر زلتى لتحرز فضل الله • كرمنى ولا يفتك أجري

لا تكنى إلى التوصل بالمد • ر لعل ان لا أقوم بجزى  
ومن شعره قوله: نحن قوم يلفنا الخلد والله • ر على اثنا ثلثين الحديدا  
طوع أيدي الصبا نصيدا الي • ن ومن شأنا نصيد الأسودا  
تملك الصيد ثم تملكنا الي • ض المضيتلت أعينا وخبودا  
تتق سخطنا الأسود ونخشى • سقط الخشف حين تبدي القمودا  
فترانا يوم الكربة أحرأ • رأ وفي السلم للفواى عبيدا

قال ابن خلكان : وكان خراعيًا من موالى طليعة الطلحات الخراعى ، وقد كان أبو تمام يمدحه ،  
فدخل إليه مرة فأضافه الملح يمدان فنصف له كتاب الحاسة عند بعض نسائه [ ولما ولأه المأمون  
نيابة الشام ومصر صار إليها وقد رسم له بما في ديوان مصر من المواسل ، فعمل إليه وهو في أثناء الطريق  
ثلاثة آلاف ألف دينار ، ففرقها كلها في مجلس واحد ، وأنه لما واجه مصر نظر إليها فاحتقرها وقال :  
قببح الله فرعون ، ما كان أخسه وأضعف منه حين تبجح وتمائم بلك هذه الترية ، وقال : أنا ربكم  
الأعلى . وقال : أليس لي ملك مصر . فكيف لورأى بغداد وغيرها <sup>(١)</sup> ]  
وفيها توفي على بن جند الجوهري . ومحمد بن محمد كاتب الواقدي مصنف كتاب الطبقات  
وغیره . وسعيد بن محمد الجرمي

﴿ ثم دخلت سنة إحدى وثلاثين ومائتين ﴾

فيها قمت مفاداة الأسارى المسلمين الذين كانوا في أيدي الروم على يدي الأمير خاقان الخادم  
وذلك في الحرم من هذه السنة ، وكان عدة الأسارى أربعة آلاف وثلثمائة واثنين وستين أسيراً .  
وفيها كان مقتل أحمد بن نصر الخراعى رحمه الله وأكرم مثواه

وكان سبب ذلك أن هذا الرجل وهو أحمد بن نصر بن مالك بن الهيثم الخراعى وكان جده مالك  
ابن الهيثم من أكبر المداة إلى دولة بني العباس الذين قتلوا ولده هذا ، وكان أحمد بن نصر هذا له  
وجاعة ورياسة ، وكان أبوه نصر بن مالك ينشأه أهل الحديث ، وقد بايعه العامة في سنة إحدى  
ومائتين على القيام بالأمر والنهي حين كثرت الشطار والفساد في غيبة المأمون عن بغداد كما تقدم  
ذلك ، وبه تعرف سوية نصر ببغداد ، وكان أحمد بن نصر هذا من أهل العلم والديانة والعمل الصالح  
والاجتهاد في الخير ، وكان من أئمة السنة الأسمين بالمرؤف والناهين عن المنكر ، وكان ممن يدعو  
إلى القول بأن القرآن كلام الله متول غير مخلوق ، وكان الواقف من أشد الناس في القول بخلق  
القرآن ، يدعو إليه ليلاً ونهاراً ، سرا وجهاراً ، اعتاداً على ما كان عليه أبوه قبله وعه المأمون ، من

غير دليل ولا برهان ، ولا حجة ولا بيان ، ولا سنة ولا قرآن . فقام أحد بن نصر هذا يدعو إلى الله ، وإلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والقول بأن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق ، في أشياء كثيرة دعا الناس إليها . فاجتمع عليه جماعة من أهل بغداد ، والتف عليه من الأتوف أعداد ، وانتصب للدعوة إلى أحمد بن نصر هذا رجلان وهما أبو هارون السراج يدعو أهل الجانب الشرقي ، وآخر يقال له طالب يدعو أهل الجانب الغربي فاجتمع عليه من الخلائق أتوف كثيرة ، وجماعات غزيرة ، فلما كان شهر شعبان من هذه السنة انتظمت البيعة لأحمد بن نصر الخراساني في السمر على القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وانفروج على السلطان لبدعته ودعوته إلى القول بخلاف القرآن ، ولما هو عليه وأمرؤه وحاشيته من المعاصي والنواحيش وغيرها . فتواعدوا على أنهم في الليلة الثالثة من شعبان - وهي ليلة الجمعة - يضرب طبل في الليل فيجتمع الذين يأموا في مكان اتفقوا عليه ، وأتفق طالب وأبو هارون في أمحياه دينارا ديناراً ، وكان من جملة من أعطوه رجلان من بني أنرس ، وكانا يتماطيان الشراب ، فلما كانت ليلة الخميس شربا في قوم من أصحابهم واعتقدا أن تلك الليلة هي ليلة الوعد ، وكان ذلك قبله ليلة ، فقاما يضربان على طبل في الليل ليجتمع إليهما الناس ، فلم يحمي أحد ، وانخرم النظام وسمع الحرس في الليل فأعلموا نائب السلطنة ، وهو محمد بن إبراهيم بن مصعب ، وكان نائباً لأخيه إسحاق بن إبراهيم ، فنبهته عن بغداد ، فأصبح الناس متخطفين ، واجتمع نائب السلطنة على إحضار ذينك الرجلين فاحضرا فماتهما فأقرا على أحمد بن نصر ، فطلبه وأخذ خادماً له فاستقره فأقر بما أقر به الرجلان ، فجمع جماعة من رؤس أصحاب أحمد بن نصر معه وأرسل بهم إلى الخليفة بسر من رأى ، وذلك في آخر شعبان ، فأحضر له جماعة من الأعيان وحضر القاضي أحمد بن أبي دؤاد المنزلي ، وأحضر أحمد بن نصر ولم يظهر منه على أحمد ابن نصر عتب ، فلما أوقف أحمد بن نصر بين يدي الواقف لم يمانعه على شيء مما كان منه في مبايعته العوام على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغيره ، بل أعرض عن ذلك كله وقال له : ما تقول في القرآن ؟ فقال : هو كلام الله . قال : أنخلق هو ؟ قال هو كلام الله . وكان أحمد بن نصر قد استنفل وابع نفسه وحضر وقد تحبط وتنور وشد على عورته ما يسترها فقال له : فما تقول في ربك ؟ أترام يوم القيامة ؟ فقال : يا أمير المؤمنين قد جاء القرآن والأخبار بذلك ، قال الله تعالى ( وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة ) وقال رسول الله ﷺ : « إنكم ترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته » . فنحن على الخبر . زاد الخطيب قال الواقف : ويحك ! أيرى كابرى الهدود المتجسم ويحويه مكن ويحصره الناظر ؟ أنا أ كفر برب هذه صفته .

قلت : وما قاله الواقف لا يجوز ولا يلزم ولا يرد به هذا الخبر الصحيح والله أعلم . ثم قال أحمد بن

نصر الوائق : وحدثنى سفيان يحمّد بن يرفعه « إن قلب ابن آدم بأصبعين من أصابع الله يقبله كيف شاء » وكان النبي ﷺ يقول : « يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك » . فقال له إسحاق بن إبراهيم : ويحك ، انظر ما تقول . قال : أنت أمرتني بذلك . فأشقى إسحاق من ذلك وقال : أنا أمرتك ؟ قال : نعم ، أنت أمرتني أن أنصح له . فقال الوائق لمن حوله : ماتقولون في هذا الرجل ؟ فأكثروا القول فيه . فقال عبد الرحمن بن إسحاق - وكان قاضياً على الجانب الغربي فزول وكان دواً لأحمد بن نصر قبل ذلك - يا أمير المؤمنين هو حلال الدم . وقال أبو عبد الله الأرمي صاحب أحمد بن أبي دؤاد : أسقى دمه يا أمير المؤمنين . فقال الوائق : لا بد أن يأتي ما تريد . وقال ابن أبي دؤاد : هو كافر يستتاب لعل به عاعة أو تقص عقل . فقال الوائق : إذا رأيتوني قمت إليه فلا يقوم أحد مني ، فأتى أحسب خطاي . ثم نهض إليه بالصمصامة - وقد كانت سيفاً لمروين ممد بكرب الزبيدي أهديت لموسى الهادي في أيام خلافته وكانت صفيحة مسحورة في أسفلها مسورة بمسامير - فلما انتهى إليه ضربه بها على عاتقه وهو مربوط بحبل قد أوقف على نطح ، ثم ضربه أخرى على رأسه ثم طعنه بالصمصامة في بطنه فقطص صريعاً رحمه الله على النطح ميتاً ، فأناقه وإنا إليه راجعون . رحمه الله وعفا عنه . ثم انتضى سباً الممشقي سيفه فضرب عنقه وحز رأسه وحمل معترضا حتى أتى به الحظيرة التي فيها بابك الخرمي فصلب فيها ، وفي رجله زوج قيود وعليه سراويل وقبض ، وحمل رأسه إلى بغداد فنصب في الجانب الشرقي أياماً ، وفي الغربي أياماً ، وعند الحرس في الليل والتهار ، وفي أذنه رقعة مكتوب فيها : هذا رأس الكافر المشرك الضال أحمد بن نصر الخراساني ، ممن قتل على يدي عبد الله هارون الامام الوائق بالله أمير المؤمنين بد أن أقام عليه الحجة في خلق القرآن ، ونفي التشبيه وهرض عليه التوبة ومكنه من الرجوع إلى الحق فأبى إلا المماندة والتصریح ، فالحمد لله الذي مجله إلى ناره وألهم عقابه بالكفر ، فاستحل بفسك أمير المؤمنين دمه ولعنه .

ثم أسر الوائق بقتيغ رؤس أصحابه فأخذ منهم نحواً من تسع وعشرين رجلاً فأودعوا في السجون وسجوا الظلمة ، وممنوا أن يزورهم أحد ويقبضوا بالحديد ، ولم يجر عليهم شيء من الأرزاق التي كانت تجري على المحبوسين ، وهذا ظلم عظيم .

وقد كان أحمد بن نصر هذا من أكابر العلماء الماملين القائمين بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وسمع الحديث من حماد بن زيد ، وسفيان بن عيينة ، وهاشم بن بشير ، وكانت عنده مصنفاته كلها ، وسمع من الامام مالك بن أنس أحاديث جيدة ، ولم يتحدث بكثير من حديثه ، وحدثن عنه أحمد بن إبراهيم الدورقي ، وأخوه يعقوب بن إبراهيم ويحيى بن معين ، وذكره فيما تقدم عليه وقال : قد ختم الله له بالشهادة ، وكان لا يتحدث ويقول إني لست أهلاً لذلك . وأحسن يحيى بن معين الثناء

عليه جداً . وذكره الامام أحمد بن حنبل يوماً فقال : رحمه الله ما كان أسخاه بنفسه الله ، لقد جاد بنفسه له . وقال جعفر بن محمد الصائغ : بصرت عيناى وإلا فقتنا وسمعت أذنائى وإلا فصدنا أحمد ابن نصر المزاعى حين ضربت عنقه يقول رأسه : لا إله إلا الله . وقد سمعته بعض الناس وهو مصلوب على الجذع ورأسه يقرأ ( ألهم أحب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ) قال : فاقشمر جلدى . ورأه بعضهم فى النوم فقال له : ما فعل بك ربك ؟ فقال : ما كانت إلا غفوة حتى لقيت الله عز وجل فضحك إلى . ورأى بعضهم رسول الله ﷺ فى المنام ومعه أبو بكر وعمر ، قد مروا على الجذع الذى عليه رأس أحمد بن نصر ، فلما جاوزوه أغرض رسول الله ﷺ وجهه الكريم عنه فقيل له : يا رسول الله مالك أعرضت عن أحمد بن نصر ؟ فقال : « أعرضت عنه استعياه منه حين قتله رجل يزعم أنه من أهل بيتى » .

ولم يزل رأسه منصوباً من يوم الخميس الثامن والعشرين من شعبان من هذه السنة - أعني سنة إحدى وثلاثين ومائتين - إلى بعد عيد الفطر بيوم أو يومين من سنة سبع وثلاثين ومائتين ، فجمع بين رأسه وجثته ودفن بالجانب الشرق من بفساد بالمقبرة المروفة بالمالكية رحمه الله . وذلك بأمر المتوكل على الله القى ولى الخلافة بعد أخيه الواثق ، وقد دخل عبد العزيز بن يحيى الكتانى - صاحب كتاب الحيدة - على المتوكل وكان من خيار الخلفاء لأنه أحسن الصنيع لأهل السنة ، بخلاف أخيه الواثق وأبيه المستعصم ومعه المأمون ، فاتهم أساؤا إلى أهل السنة وقرأوا أهل البدع والضلال من المعتزلة وغيرهم ، فأمره أن ينزل جثة محمد بن نصر ويدفنه ففعل ، وقد كان المتوكل يكرم الامام أحمد بن حنبل إكراماً زائداً جداً كما سيأتى بيانه فى موضعه . والمقصود أن عبد العزيز صاحب كتاب الحيدة قال للمتوكل : يا أمير المؤمنين ما رأيت أو مارفت أعجب من أمر الواثق ، قتل أحمد بن نصر وكان لسانه يقرأ القرآن إلى أن دفن . فوجل المتوكل من كلامه وساء ما سمع فى أخيه الواثق ، فلما دخل عليه الوزير محمد بن عبد الملك بن الزيات قال له المتوكل : فى قلبى شئ من قتل أحمد بن نصر . فقال : يا أمير المؤمنين أحرقتى الله بالنار إن قتله أمير المؤمنين الواثق إلا كافراً . ودخل عليه حرمة فقال له فى ذلك فقال : قطعنى إربا إربا إن قتله إلا كافراً . ودخل عليه القاضى أحمد بن أبى دؤاد فقال له مثل ذلك فقال : ضربنى الله بالفالج إن قتله الواثق إلا كافراً . قال المتوكل : فأما ابن الزيات فأما أحرقت بالنار . وأما حرمة فانه هرب فاجتاز بقبيلة خزاعة ففرقه رجل من الحى فقال : يا معشر خزاعة هذا الذى قتل ابن محمك أحمد بن نصر قطعوه . قطعوه إربا إربا . وأما ابن أبى دؤاد فقد سجنه الله فى جلد - يدعى بالفالج - ضربه الله قبل موته بأربع سنين ، وصودر من صلب ماله بمال جزيل جداً كما سيأتى بيانه فى موضعه .

وروى أبو داود في كتاب المسائل عن أحمد بن إبراهيم الدورقي عن أحمد بن نصر قال : سألت  
سفيان بن عيينة « القلوب بين أصابع الله ، وإن الله يضحك من بدركه في الأسواق » .  
قال : أروها كما جاءت بلا كيف .

وفيها أراد الواثق أن يحج واستنعم لذلك فذكر له أن الماء بالطريق قليل فترك الحج عائدا .  
وفيها تولى جعفر بن<sup>(١)</sup> دينار نائب اليمن فسار إليها في أربعة آلاف فارس . وفيها عدا قوم من العامة  
على بيت المال فأخذوا منه شيئا من الذهب والفضة ، فأخذوا وسجنوا . وفيها ظهر خارجي ببلاد  
ريمية فقتله نائب الموصل فكسره وانهمز أصحابه . وفيها قدم وصيف الخادم بجماعة من الأكراد نحو  
من خمبائة في القيود ، كانوا قد أفسدوا في المطرقات وقطعوا ، فأطلق الخليفة لوصيف الخادم خمسة  
وسبعين ألف دينار ، وخلع عليه . وفيها قدم خافان الخادم من بلاد الروم وقد تم الصلح والمفاداة بينه  
وبين الروم ، وقدم معه جماعة من رؤس الثغور ، فأمر الواثق بامتحنهم بخلق القرآن وأن الله لا يرى  
في الآخرة فأجابوا إلا أربعة فأمر بضرب أعناقهم إن لم يجيبوا بالقول بخلق القرآن وأن الله لا يرى  
في الآخرة . وأمر الواثق أيضا بامتحن الأسيارى الذين فروا من أسر الفرنج بالقول بخلق القرآن  
وأن الله لا يرى في الآخرة فن أجاب إلى القول بخلق القرآن وأن الله لا يرى في الآخرة فودى  
وإلا ترك في أيدي الكفار ، وهذه بدعة صلحاء شماء عجماء صباه لا مستند لها من كتاب ولا سنة ولا  
عقل صحيح ، بل الكتاب والسنة والمقل الصحيح بخلافها كما هو مقرر في موضعه . والله الشمان<sup>(٢)</sup>  
وكان وقوع المفاداة عند نهر يقال له اللاس ، عند سلوقية بالقرب من طرسوس ، بدل كل مسلم  
أو مسلمة في أيدي الروم أو ذمي أو ذمية كان تحت عقد المسلمين أسير من الروم كان بأيدي المسلمين  
من لم يسلم ، فقصبوا جسرين على النهر فاذا أرسل الروم مسلما أو مسلمة في جسرهم فأنهى إلى المسلمين  
كبير المسلون ، ثم يرسل المسلمون أسيراً من الروم على جسرهم فاذا انتهى إليهم تكلم بكلام  
يشبه التكبير أيضاً . ولم ير الواثق ذلك مدة أربعة أيام بدل كل نفس نفس ، ثم بقي مع خافان جماعة  
من الروم الأسيارى فأطلقهم الروم حتى يكون له الفضل عليهم .

قال ابن جزير : وفيها مات الحسن بن الحسين أخو طاهر بطبرستان في شهر رمضان . وفيها مات  
الغلبان بن وجه الفليس . وفيها مات أبو عبد الله بن الأعرابي الراوية يوم الأربعاء ثلاث عشرة  
خلفت من شبان ، وهو ابن ثمانين سنة . وفيها ماتت أم أبيها بقت موسى أخت علي بن موسى الرضا .  
وفيها مات مختارق المني . وأبو نصر أحمد بن حاتم راوية الأصمى . وعمر بن أبي عمرو الشيباني .  
ومحمد بن سمدان النحوي . قلت : ومن توفي فيها أيضا أحمد بن نصر الخزاعي كما تقدم . وإبراهيم  
(١) في المصرية أحمد بن دينار (٢) زيادة من المصرية ومن نسخة أخرى من الأستانة .

ابن محمد بن عرعر . وأمية بن بسطام . وأبو تمام الطائي في قول . والمشهور ما تقدم . وكل من  
طلحة . ومحمد بن سلام الجلي . وأخوه عبد الرحمن . ومحمد بن منهل الضري . ومحمد بن منهل أخو  
حجاج . وهارون بن معروف . والبيهقي صاحب الشافعي مات في السجن مقيدا على القول بخلق  
القرآن فلمنتح من ذلك . ويحيى بن بكير راوى الموطأ عن مالك .

( ثم دخلت سنة ثنتين وثلاثين ومائتين )

فيها عاثت قبيلة يقال لها بنو نمير بالجماعة فساداً فكتب الوراق إلى بني الكبير وهو مقيم بأرض  
الحجاز فغار بهم قتل منهم جماعة وأسروهم آخرين ، وهزم بقيتهم ، ثم التقى مع بني تميم وهو في ألقى  
فارس وم ثلاثة آلاف ، فغرت بينهم حروب ثم كان الظفر له عليهم آخر ، وذلك في النصف من  
جمادى الآخرة . ثم عاد بعد ذلك إلى بغداد ومعهم من أعيان رؤسهم في القيود والأسر جماعة وقد  
قد من أعيانهم في الواقع ما ينف على ألقى رجل من بني سليم وتغير وصرة وكلاب وفزارة وتعلية  
وطى وتيم وغيرهم . وفي هذه السنة أصاب الحجيج في رجوعهم عطش شديد حتى بيئت الشربة  
بالذائير الكثيرة ، ومات خلق كثير من العطش . وفيها أمر الوراق بترك جباية أعشار سفن البحر .  
وفيها كانت وفاة ( الخليفة الوراق بن محمد المنتصم ) ابن هارون الرشيد أبي جعفر هارون الوراق .  
كان هلاكا في ذى الحجة من هذه السنة بيلة الاستسقاء ، فلم يقدر على حضور العيد عائداً ، فاستجاب  
في الصلاة بالناس قاضيه أحمد بن أبي ذؤاد الأيادي المعتزلى . توفي لست بقين من ذى الحجة ،  
وذلك أنه قوى به الاستسقاء فأفسد في تنور قد أحى له بحيث يمكنه الجلوس فيه ليسكن وجهه ، فلان  
عليه بعض الشيء اليسير ، فلما كان من الغد أمر بأن يحشى أكثر من العادة فأجلس فيه ثم أخرج  
فوضع في حفرة فعمل فيها وحوله أمراؤه ووزراؤه وقاضيه وفات وهو محمول فيها ، فاشعروا حتى سقط  
جبينه على الحفة وهو ميت ، ففض الفاض عليه بمسد سقوط جبينه ، وولى غسله والصلاة عليه ،  
ودفنه في قصر الهادي ، عليهما من الله ما يستحقانه . وكان أبيض اللون مشرباً حمرة جميل المنظر  
خيبت القلب حسن الجسم سمي الطوبة ، فقام الدين اليسرى ، فيها نكتة بهضاء ، وكل من مولده سنة  
ست وتسعين ومائة بطريق مكة ، ففات وهو ابن ست وثلاثين سنة ، ومدة خلافته خمس سنين  
وقسمه أشهر وخمسة أيام ، وقيل سبعة أيام وثلاث عشرة ساعة . فهكذا أيام أهل الظلم والفساد والبدع  
قليلة قصيرة . وقد جمع الوراق أصحاب النجوم في زمانه حين اشتد عليه ، وإنما اشتهت بعد قتله  
أحمد بن نصر الخزازي ليلحه إلى بين يدي الله ، فلما جمهم أمرهم أن ينظروا في مولده وما انتهضه  
صناعة النجوم كم تدوم أيام دولته ، فاجتمع عنده من رؤسهم جماعة منهم الحسن بن سهل والفضل  
ابن إسحاق الهاشمي ، وإسماعيل بن توبخت . ومحمد بن موسى الخوارزمي الجوسى الفطرلى وسند



صاحب محمد بن الهيثم ، وعامة من ينظر في النجوم ، فنظروا في مولده وما يقتضيه الحال عندهم فأجمعوا على أنه يعيش في الخلافة دهرًا طويلا ، وقدروا له خمسين سنة مستقبلة من يوم نظروا نظر من لم يبصر ، فانه لم يعيش بعد قولهم وتقديرهم إلا عشرة أيام حتى هلك . ذكره الامام أبو جعفر بن جرير الطبري رحمه الله .

قال ابن جرير : وذكر الحسين بن الضحاك أنه شهد الواقعة بعد أن مات المصطفى بأيام وقد قصد مجلسا كان أول مجلس قدمه ، وكان أول ما غنى به في ذلك المجلس أن غنثه بشارية جارية لإبراهيم بن المهدي :

ما درى الخائفون يوم استقلوا \* فنهش القواء أم لقاها

فليقل فيك يا كياتك ما شئت \* ن صيلحا في وقت كل مساء

قال : فبكى وبكىنا حتى شغلنا البكاء عن جميع ما كنا فيه . ثم اندفع بعضهم يفتى :

ودع هيرة إن الركب مرتحل \* وهل تطيق وداعا أيها الرجل

فازداد بكاءه وقال : ما سمعت كاليوم قط نزية بأب وبني نفس ، ثم أرفض ذلك المجلس . وروى الخطيب أن دحبل بن علي الشاعر لما تولى الواقعة عمد إلى طومار فكتب فيه أبيات شعر ثم جاء إلى الحاجب فدفنه إليه وقال : اقرأ أمير المؤمنين السلام وقل : هذه أبيات استحك بها دحبل فلما فضاها الواقعة إذا فيها :

الحمد لله لا هير ولا جد \* ولا عزاء إذا أهل الهوى رقدوا

خليفة مات لم يجهز له أحد \* وتقر نام لم يفرح به أحد

فر هذا ومرر الشؤم بقيته \* وقام هذا مقام الويل وللبيك

قال : فنتطلبه الواقعة بكل ما يقدر عليه من الطلب فلم يقدر عليه حتى دلت الواقعة . وروى أيضا أنه لما استخلف الواثق ابن أبي حنود على الصلاة في يوم العيد ورجع إليه بعد أن قضاها قال له : كيف كان عيدكم يا أبا عبد الله ؟ قال : كتبني نهار لا شمس فيه . فضحك وقال : يا أبا عبد الله أنا مؤيد بك . قال الخطيب : وكان ابن أبي حنود استولى على الواقعة وحمله على التشديد في الحنة ودعا الناس إلى القول بخلق القرآن . قال ويقال : إن الواثق رجع عن ذلك قبل موته فأخبرني عبد الله ابن أبي الليث أن أبا أحمد بن إبراهيم بن الحسن ثنا إبراهيم بن محمد بن عرفة جديني حامد بن العباس عن رجل من المهدي أن الواثق مات وقد تلب من القول بخلق القرآن . وروى أن الواثق دخل عليه يوما مؤدبه فأكرمه إكراما كثيرا فقبل له في ذلك فقال : هذا أول من فتق لساق بذكر الله وأدناى برحمة الله . وكتب إليه بعض الشعراء :

جذبت دواعي النفس عن طلب النفى \* وقلت لها عني عن الطلب التزدد

فان أمير المؤمنين بكفه • مدار ربحاً الأرزاق دائبة تجري  
فوقه له في رفته جذبتك نفسك عن أمهاتها ، ودعتك إلى صونها فخذ ما طلبته هينا . وأجزل  
له النمطاء . ومن شعره قوله : —

في المقادير تجري في أعنتها • طاهر فليس لها صبر على حال  
ومن شعره الوائق قوله :

تنح عن التبع ولا زده • ومن أوليته حسنا فزده  
ستكني من عدوك كل كيد • إذا كاد العدو ولم تكده  
وقال القاضي يحيى بن أكنم : ما أحسن أحد من خلفاء بني العباس إلى آل أبي طالب ما أحسن  
إليهم الوائق : ما مات وفيهم فقير . ولما احتضر جل يرد هذين البيتين :

الموت فيه جميع الخلق مشترك • لا سوة منهم يبق ولا ملك  
ما ضر أهل قليل في تفارقهم • وليس يفتي عن الأملاك ماملوكوا

ثم أمر بالبط فاعوت ثم ألحق خده بالأرض وجعل يقول : يا من لا يزول ملكك ارحم من قد  
زال ملكك . وقال بعضهم : لما احتضر الوائق ونحن حوله غشي عليه فقال بعضنا لبعض : انظروا هل  
قضى ؟ قال : فدنوت من بينهم إليه لأنظر هل هدأ نفسه ، فألق فلحظ إلى بينه فرجعت التفتري  
خوفاً منه ، فتعلقت قائمة سيفي بشئ فكنت أن أهلك ، فما كان عن قريب حتى مات وأعلق عليه  
الباب الذي هو فيه وبقى فيه وحده واشتغلوا عن تجهيزه بالبيعة لأخيه جعفر المتوكل ، وجلس أنا  
أحرس الباب فسمعت حركة من داخل البيت فدخلت فإذا جرد قد أكل عينه التي لحظ إلى بها ،  
وما كان حولها من الخدين .

وكانت وفاته بصرم رأى التي كان يسكنها في القصر الماروني ، في يوم الأربعاء لست بقين من  
ذي الحجة من هذه السنة — أعني سنة ثنتين وثلاثين ومائتين — عن ست وثلاثين سنة ، وقيل ثنتين  
وثلاثين سنة . وكانت خلافته خمس سنين وقسمة أشهر وخمسة أيام ، وقيل خمس سنين وشهرات  
واحد وعشرين يوماً ، وصلى عليه أخوه جعفر المتوكل على الله والله أعلم .

﴿ خلافة المتوكل على الله جعفر بن المنصور ﴾

بويج له بالخلافة بعد أخيه الوائق وقت الزوال من يوم الأربعاء لست بقين من ذي الحجة ،  
وكانت الأتراك قد عزبوا على تولية محمد بن الوائق فاستصزوه فتركوه وعدلوا إلى جعفر هذا ،  
وكان عمره إذ ذاك ستا وعشرين سنة ، وكان القدي أليسه خلة الخلافة أحمد بن أبي دؤاد القاضي ،  
وكان هو أول من سلم عليه بالخلافة وبأيمه الخاصة والعامة ، وكانوا قد اعتقوا على تسميته بالمنتصر بالله ،

إلى صبيحة يوم الجمعة فقال ابن أبي دؤاد رأيت أن يلقب بالمتوكل على الله ، فاعتقوا على ذلك ، وكتب إلى الأفاق وأمر باعطاء الشاكرية من الجند ثمانية شهور ، وللعنابة أربعة شهور ، ولنيرم ثلاثة شهور ، واستبشر الناس به . وقد كان المتوكل رأى في منامه في حياة أخيه هارون الواثق كأن شيئاً نزل عليه من السماء مكتوب فيه جعفر المتوكل على الله ، ضربه قتيلاً هي ام الخليفة ، فبلغ ذلك أخاه الواثق فسجنه حينئذ ثم أرسله .

وفيها حج بالناس أمير الحجيج محمد بن دلو . وفيها توفي الحكم بن موسى . وعمر بن محمد .  
 الناقذ . . . ( ثم دخلت سنة ثلاث وثلاثين ومائتين )

في يوم الأربعاء سابع صفر منها أمر الخليفة المتوكل على الله بالقبض على محمد بن عبد الملك ابن الزيات ووزير الواثق ، وكان المتوكل ينفذ لأمره ، منها أن أخاه الواثق غضب على المتوكل في بعض الأوقات وكان ابن الزيات يزيد غضباً عليه ، فبقي ذلك في نفسه ، ثم كان الذي استرضى الواثق عليه أحمد بن أبي دؤاد فغضب عليه ، ومنها أن ابن الزيات كان قد أشار بخلافة محمد بن الواثق بعد أبيه ، ولف عليه الناس ، وجعفر المتوكل في جنب دار الخلافة لم يلتفت إليه ولم يتم الأمر إلا لجعفر المتوكل على الله ، رغم أن ابن الزيات . فلما أمر بالقبض عليه سريراً فطلبه فركب بعد غدائه وهو يظن أن الخليفة يمشي إليه ، فالتفت به الرسول إلى دار إيتان أمير الشرطة فاحتبط به وقيدوا بعنق في الحال إلى داره فأخذ جميع ما فيها من الأموال والآلات والجواهر والحواصل والجواري والآلات : ووجدوا في مجلسه الخاص به آلات الشرب ، وبث المتوكل في الحال أيضاً إلى حواصله بامرا وضباعه وما فيها فاحتطاط عليها ، وأمر به أن يمسك ومنعه من الكلام ، وجعلوا يباهرونه كلما أراد الرقاد فحس بالحديد ، ثم وضعه بعد ذلك كله في تنور من خشب فيه مسامير قائمة في أسفلها فأقيم عليها ووصل به من يمنة من القعود والرقاد ، فكثرت كذاك أياماً حتى مات وهو كذلك . ويقال إنه أخرج من التنور وفيه رمق فضرب على بطنه ثم على ظهره حتى مات وهو تحت الضرب ، ويقال إنه أحرق ثم دفنت جثته إلى أولاده فدفنوه ، فبشت عليه الكلاب فأكلت ما بقي من لحمه وجلده . وكانت وفاته لأحدى عشرة من ربيع الأول منها . وكان قيمة ما وجد له من الحواصل نحواً من تسعين ألف دينار . وقد قنعنا أن المتوكل سأله عن قتل أحمد بن نصر الخزاعي فقال : يا أمير المؤمنين أحرقت الله بالنار إني قتله الواثق إلا كلفراً . قال المتوكل : فأنا أحرقت الله بالنار .

وفيها في جمادى الأولى منها بعد مهلك ابن الزيات فليح أحمد بن أبي دؤاد القاضي المتزلي . فلم يزل متفجعاً حتى مات بعد أربع سنين وهو كذلك ، كما دعا على نفسه حين سأله المتوكل عن

قتل أحد بن نصر كما تقدم . ثم غضب المتوكل على جماعة من القواديين والعمال ، وأخذ منهم أموالاً جزيلة جداً . وفيها ولي المتوكل ابنه محمد المنتصر الحجاز واليمن وعقد له على ذلك كله في رمضان منها .

وفيها عهدت الروم ميخائيل بن توفيل إلى أمه تدورة فأعطاه بالشمس وأزمها الدير وقتل الرجل الذي أنتمى به ، وكان ملكها ست سنين . وفيها حج بالناس محمد بن داود أمير مكة .

وفيها توفي إبراهيم بن الحجاج الشامي . وحيان بن موسى الرقي . وسليمان بن عبد الرحمن الدهشقي وسهل بن عثمان السكري . ومحمد بن سماعة القاضي . ومحمد بن عائذ الدهشقي صاحب المغازي . ويحيى المقابري . ويحيى بن معين أحد أئمة الجرح والتعديل ، وأستاذ أهل هذه الصناعة في زمانه .

( ثم دخلت سنة أربع وثلاثين ومائتين )

فيها خرج محمد بن البغيث بن حابس عن الطاعة في بلاده أذربيجان ، وأظهر أن المتوكل قد مات والتفت إليه جماعة من أهل تلك الرساتيق ، ولجأ إلى مدينة مرند فحصنها ، وجاءته البغوث من كل جانب ، وأرسل إليه المتوكل جيوشاً يقبع بعضها بعضاً ، فنصبوا على بلد المجانيق من كل جانب ، وحاصروه بحاصرة عظيمة جداً ، وكانهم مقاتلة هائلة ، وصبر هو وأصحابه صبراً بليفاً ، وقدم بقا الشراي لحاصرته ، فلم يزل به حتى أسره وأسلباح أمواله وحرجه وقتل خلقاً من رؤس أصحابه ، وأسر سائرهم وانجسمت مادة ابن البغيث . وفي جمادى الأولى منها خرج المتوكل إلى المدائن .

وفيها حج إيتاخ أحد الأمراء الكبار وهو والي مكة ، ودعى له على المنابر ، وقد كان إيتاخ هذا غلاماً خز رباطاً ، وكان لرجل يقال له سلام الأبرش ، فاشتراه منه المتعصم في سنة تسع وتسعين ومائة ، فرفع منزلته وعظي عنده ، وكذلك الواقع من بعده ، ضم إليه أعمالاً كثيرة ، وكذلك عامله المتوكل وذلك لفر وسبته ورجلته وشهامته ، ولما كان في هذه السنة شرب ليلة مع المتوكل فمر به عليه المتوكل فهم إيتاخ قتلته ، فلما كان الصباح اعتذر المتوكل إليه وقال له : أنت أبي وأنت ربيتي ، ثم دس إليه من يشير إليه بأن يستأذن للحج فاستأذن فأذن له ، وأمره على كل بلدة يحمل بها ، وخرج القواد في خدمته إلى ماري الحج حين خرج ، وكل المتوكل الحجابة لوصيف الخدام موزعاً عن إيتاخ وحج بالناس فيها محمد بن داود أمير مكة وهو أمير الحجيج من سنين متقدمة .

وفيها توفي أبو تحيشة زهير بن خرب . وسليمان بن داود الشاركوني أحد الحفاظ . وعبد الله ابن عبد النفيل . وأبو ربيع الزهراني . وعلى بن عبد الله بن جعفر المديني شيخ البخاري في صناعة الحديث . ومحمد بن عبد الله بن غير . ومحمد بن أبي بكر المقدسي . والمعاذ السعفي . ويحيى بن يحيى الليثي راوي الموطأ عن مالك .

( ثم دخلت سنة خمس وثلاثين ومائتين )

في جمادى الآخرة منها كان هلاك إيتاخ في السجن ، وذلك أنه رجع من الحج فتلقته هدايا الخليفة ، فلما اقترب يريد دخول سامرا التي فيها المتوكل بعث إليه إسحاق بن إبراهيم نائب بغداد عن أمر الخليفة يستدعيه إليها ليلقاه وجوه الناس وبنى هاشم ، فدخلها في أمة عظيمة ، قبض عليه إسحاق بن إبراهيم وعلى ابنه مظفر ومنصور وكاتبه سليمان بن وهب وقدامة بن زيد النصراني فأسلم تحت العقوبة ، وكان هلاك إيتاخ بالمعش ، وذلك أنه أكل أكلا كثيرا بعد جوع شديد ثم استسقى الماء فلم يسق حتى مات ليلة الأربعاء لحس خلون من جمادى الآخرة منها . ومكث وفاء في السجن مدة خلافة المتوكل ، فلما ولي المنتصر ولد المتوكل أخرجهما . وفي شوال منها قدم بها سامرا ومعه محمد بن البيهقي وأخوه عفر وخالد ، وثالبه الملا ومعه من رؤس أصحابه نحو من مائة وعشرين إنسانا فأدخلوا على الجلال ليرام الناس ، فلما أوقف ابن البيهقي بين يدي المتوكل أمر بضرب عنقه ، فأحضر السيف والنطع فجاء السيفون فوقفوا حوله ، فقال له المتوكل : ويك ملاك إلى ما فعلت ؟ فقال : الشقوة يا أمير المؤمنين ، وأنت الحبل الممدود بين الله وبين خلقه ، وإن لي فيك لفتنين أسبغهما إلى فلي أولاها بك ، وهو المفو . ثم اندفع يقول بديهة :

أبي الناس إلا أنك اليوم قتلى • إمام المهدي والصفع بالمره أجل  
وهل أنا إلا جيلة من خطيئة • وعفوك من نور النبوة يجبل  
فألك خير السابقين إلى المل • ولا شك أن خير الفضائل فضل

فقال المتوكل : إن معه لأدبا . ثم عفا عنه . ويقال بل شفع فيه المتميزين المتوكل فشفعه ، ويقال بل أودع في السجن في قيوده فلم يزل فيه حتى هرب بعد ذلك ، وقد قال حين هرب :

كم قد قضيت أودرا • كان أمهلها • غيرى وقعاخذ الانلاسل بالكظم  
لا تغفلني فبا ليس ينفعني • إليك عني جرى المقدور بالقل  
أنفك المال في عمر وفي يسر • إن الجواد الذي يعطي على المدم

وفيها أمر المتوكل أهل القمة أن يتميزوا عن المصلدين في لباسهم وعماهم وثيابهم ، وأن يتطيلوا بالمصبوغ بالقل وأن يكون على عمامهم رقع مخالفة لرون ثيابهم من خلفهم ومن بين أيديهم ، وأن يلزموا بالزناجير الخاضعة لثيابهم كزناجير النلاحين اليوم ، وأن يحملوا في رقابهم كرات من خشب كثيرة ، وأن لا يركبوا خيلا ، ولتكن ركبتهم من خشب ، إلى غير ذلك من الأمور المنة لهم المهينة لنفوسهم ، وأن لا يستعملوا في شيء من الدواوين التي يكون لهم فيها حكم على مسلم ، وأمر بتخريب كنائسهم المحدثه ، وبضييق منازلهم القصة ، فيؤخذ منها الشر ، وأن يعمل بها كل منقسما من منازلهم

مسجد ، وأمر بتسوية قبورهم بالأرض ، وكتب بذلك إلى سائر الأقاليم والآفاق ، وإلى كل بلداً ورستاق .

وفيها خرج رجل يقال له محمود بن الفرج النيسابوري ، وهو ممن كان يتردد إلى خشية بابك وهو مصلوب فيقعد قريباً منه ، وذلك بقرب دار الخلافة بمرمن رأى ، فادعى أنه نبي ، وأنه ذو القرنين وقد أتته على هذه الصلاة وواقفه على هذه الجبهة جماعة قليلون ، وم تسعة وعشرون رجلاً ، وقد أنعم لهم كلاماً في مصحف له قُبِحه الله ، زعم أن جبريل جاءه به من الله ، فأخذ فرغ أمره إلى المتوكل فأمر فضرب بين يديه بالسياط ، فاعترف بما نسب إليه وما هو معمول عليه ، وأظهر التوبة من ذلك والرجوع عنه ، فأمر الخليفة كل واحد من أتباع التسعة والعشرين أن يصفه فصفوه عشر صفات فضله وعليهم لمنة رب الأرض والسموات . ثم اتفق موته في يوم الأربعاء ثلاث خلون من ذي الحجة من هذه السنة .

وفي يوم السبت ثلاث بقين من ذي الحجة أخذ المتوكل على الله العهد من يده لأولاده الثلاثة وم : محمد المنتصر ، ثم أبو عبد الله المعتز ، واسمه محمد ، وقبل الزبير ، ثم لإبراهيم ومهمل المؤيد بالله ، ولم يل الخلافة هنا . وأعطى كل واحد منهم طائفة من البلاد يكون نائباً عليها ويستقيم فيها ويضرب له السكك بها ، وقد عين ابن جرير ما لكل واحد منهم من البلدان والأقاليم ، وعقد لكل واحد منهم لوازم لواء أسود للعهد ، ولواء لعملة ، وكتب بينهم كتاباً بالرضى منهم ومبايعة لأكثر الأمراء على ذلك وكان يوماً مشهوداً . وفيها في شهر ذي الحجة منها تغير ماء دجلة إلى الصفرة ثلاثة أيام ثم صار في لون ماء الدردى ففرغ الناس لذلك . وفيها أتى المتوكل يبجي بن عمر بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب من بعض النواحي ، وكان قد اجتمع إليه قوم من الشيعة فأمر بضربه فضرب ثماني عشرة مفرقة ثم حبس في المطبق . وحج بالناس محمد بن داود .

قال ابن جرير : وفيها توفي إسحاق بن إبراهيم صاحب الجسر - يعني نائب بغداد - يوم الثلاثاء لسبع بقين من ذي الحجة وجعل ابنه محمد مكانه ، وخلع عليه خمس خلع وقفه سيفاً . قلت : وقد كان نائباً في العراق من زمن المأمون ، وهو من الدعاة تبعاً لسادته وكبرائه إلى القول بخلق القرآن الذي قال الله تعالى فيهم ( ربنا إنا أضلنا ساداتنا وكبراءنا فأضلونا السبيل ) الآية . وهو الذي كان يمتحن الناس ويرسلهم إلى المأمون . وفيها توفي :

﴿ إسحاق بن مهان ﴾

الموصل النديم الأديب ابن الأديب النادر الشكل في وقته ، المجموع من كل فن يعرفه أبناء عصره ، في الفقه والحديث والجعل والكلام والفقه والشعر ، ولكن اشتهر بالفناء لأنه لم يكن له في الدنيا

نظير فيه . قال المتعم : إن إسحاق إذا غنى يغفل لي أنه قد زيد في ملكي . وقال المأمون : لولا  
اشتهاره بالنساء لوليت قضاء لما اعلمه من عفته ونزاهته وأمانته . وله شعر حسن ودويان كبير ،  
وكانت عنده كتب كثيرة من كل فن . توفي في هذه السنة وقيل في التي قبلها ، وقيل في التي بعدها .  
وقد ترجمه ابن عساکر ترجمة حافلة وذكر عنه أشياء حسنة وأشملها راقعة وحكايات مدهشة يطول  
استقصاؤها . فمن غريب ذلك أنه غنى يوماً يحيى بن خالد بن برمك فوقع له بألف ألف ووقع له ابنه  
جعفر بمنحها ، وابنه الفضل بمنحها ، في حكايات طويلة .

وفيهما توفى شريح بن يونس . وشيبان بن فروخ . وعبيد الله بن عمر التوارقي . وأبو بكر بن  
أبي شيبة أحد الأعلام وأئمة الإسلام وصاحب المصنف الذي لم يصف أحد مثله قط لا قبله ولا بعده .

( ثم دخلت سنة ست وثلاثين ومائتين )

فيها أمر المتوكل يهدم قبر الحسين بن علي بن أبي طالب وما حوله من المنازل والحدود ، وتودى  
في الناس من وجدتها بعد ثلاثة أيام ذهبت به إلى المطبق . فلم يبق هناك بشر ، واتخذ ذلك الموضع  
مزرعة تحرق وتستقل . وفيها حج بالناس محمد بن المنتصر بن المتوكل . وفيها توفى محمد بن إبراهيم  
ابن مصعب مع ابن أخيه محمد بن إسحاق بن إبراهيم ، وكان محمد بن إبراهيم هنا من الأمراء  
الكبار . وفيها توفى الحسن بن سهل الوزير والد بوران زوجة المأمون التي تقدم ذكرها ، وكان من  
سادات الناس ، ويقال إن إسحاق بن إبراهيم الخنزي توفي في هذه السنة فافقه أعلم . وفيها توفى أبو سعيد  
محمد بن يوسف المروزي فجاءه ، فولى ابنه يوسف مكانه على نيابة أرمينية . وفيها توفى إبراهيم بن المنذر  
الحراشي . وبهذه بن عبد الله الزبيري . وهذه بن خالد القيسي . وأبو الصلت المروزي أحد  
الصفاء .

( ثم دخلت سنة سبع وثلاثين ومائتين )

فيها قبض يوسف بن محمد بن يوسف نائب أرمينية على البصري الكبير بها وبهته إلى نائب  
الخليفة ، وافتح يده بهته لئلا أن سقط تلج عظيم على تلك البلاد ، فتمزب أهل تلك الطريق وجاؤا  
فحاصروا البلد التي بها يوسف فخرج إليهم ليقاتلهم فقتلوه وطائفة كبيرة من المسلمين القدين معه وهلك  
كثير من الناس من شدة البرد ، ولما بلغ المتوكل ما وقع من هذا الأمر الفظيع أرسل إلى أهل تلك  
الناحية بنا الكبير في جيش كثيف جداً قتل من أهل تلك الناحية ممن حاصر المدينة نحواً من  
ثلاثين ألفاً وأمر منهم طائفة كبيرة ، ثم سار إلى بلاد ألبان من كور البُسُرجان وسلك إلى مسن  
كثيرة كبار ومهد الممالك ووطد البلاد والنواحي . وفي صفر منها غضب المتوكل على ابن أبي دؤاد  
القاضي المعتزلي وكان على المظالم ، فزله عنها واستدعى يحيى بن أكرم فولاه قضاء القضاء والمظالم  
أيضاً . وفي ربيع الأول أمر الخليفة بالاحتياط على ضياع ابن أبي دؤاد وأخذ ابنه أبا الوليد محمد

ففيه في يوم السبت ثلاث خلون من ربيع الآخر ، وأمر بمصادرته فحمل مائة ألف وعشرين ألف دينار ، ومن الجواهر النفيسة ما يقيم بمشرين ألف دينار ، ثم صولج على ستة عشر ألف ألف درهم . وكان ابن أبي ذؤاد قد أصابه الفالج كما ذكرنا ، ثم نفى أهله من سامرا إلى بغداد مهانين قال ابن جرير قتال في ذلك أبو المتاعية :

لو كنت في الرأي منسوبا إلى رشد • وكان عزيمك عزما فيه يوفق

لكان في الله شغل لو قمت به • عن أن تقول كتاب الله مخلوق

ماذا عليك وأصل الذين يجمعهم • ما كان في الفرع لولا الجهل والموق

وفي عيد الفطر منها أمر المتوكل بإتزال جثة أحد بن نصر الخزاعي والجمع بين رأسه وجسده وأن يسلم إلى أوليائه ، فخرج الناس بذلك فرحا شديدا ، واجتمع في جنازته خلق كثير جدا ، وجعلوا يتمسحون بها وبأعواد نيش ، وكان يوما مشهودا . ثم أتوا إلى الجذع الذي صلب عليه فجعلوا يتمسحون به ، وأدريج العامة بذلك فرحا وسرورا ، فكتب المتوكل إلى نائبه يأمره بردهم عن قتال مثل هذا وعن المفالة في البشر ، ثم كتب المتوكل إلى الأخاق بلنح من السلام في مسألة السلام والكف عن القول بخلق القرآن ، وأن تعلم علم السلام لو تكلم فيه فالطبق مأواه إلى أن يموت . وأمر الناس أن لا يشتغل أحد إلا بالكتاب والسنة لا غير ، ثم أظهر إكرام الامام أحمد بن حنبل واستدعاه من بغداد إليه ، فاجتمع به فأكرمه وأمر له بمجازة سنية فلم يقبلها ، وخلع عليه خلمة سنية من ملابسه فاستنجا منه أحد كثيرا فلبسها إلى الموضع الذي كان نازلا فيه ثم نزعها نزعاً عنيفا وهو يبكي رحمه الله تعالى . وجعل المتوكل في كل يوم يرسل إليه من طامنه الخالص ويظن أنه يأكل منه ، وكان أحد لا يأكل لهم طامنا بل كان صائما مواصلا طامنا تلك الأيام ، لأنه لم يقبصر له شيء يرضى آكله ، ولكن كان ابنه صالح وعبد الله قبله : تلك الجوائز وهو لا يشتر بشيء من ذلك ، ولولا أنهم أسرعو الأوبة إلى بغداد لخشي على أحد أن يموت جوعا ، وارتفعت السنة جدا في أيام المتوكل عفا الله عنه ، وكان لا يولى أحدا إلا بعد مشورة الامام أحمد ، وكان ولاية يحيى بن أكرم قضاء القضاة موضع ابن أبي ذؤاد عن مشورته ، وقد كان يحيى بن أكرم هذا من أئمة السنة ، وعلماء الناس ، ومن المظنين بالله والحديث وأتباع الأثر ، وكان قدولى من جهته حبان بن بشر قضاء الشرقية ، وسوار ابن عبد الله قضاء الجانب الغربي ، وكان كلاهما أعورا . قال في ذلك بعض أصحاب ابن أبي ذؤاد :

رأيت من المجائب قاضيين • هما أحذوت في الخناقين

هما اقتسما المسمى نصفين قدأ • كما اقتسما قضاء الجانبين

ويجب منهما من هر رأسا • لينظر في موارث ودين



كانك قد وضعت عليه دنا \* فتحت بزاله من فرد عين

هما قال الزمان بهلك يحيى \* إذ افتتح القضاء بأعورين

وغزا الصائفة في هذه السنة على بن يحيى الأرمي . وحج الناس على بن عيسى بن جعفر بن أبي جعفر المنصور أمير الحجاز . وفيها توفي حاتم الأصب . وعين توفي فيها عبد الأعلى بن حماد . وعبيد الله ابن معاذ العنبري . وأبو كليل الفضيل بن الحسن الجعدي .

( ثم دخلت سنة ثمان وثلاثين ومائتين )

في ربيع الأول منها حاصر حفا مدينة تفلحس وعلى مقدمته زبرك التركي ، فخرج إليه صاحب تفلحس إسحاق بن إسماعيل فقاتله فأمر بنو إسحاق فأمر بنو بضرب عنقه وصلبه ، وأمر بإلقاء النار في النفط إلى نحو المدينة ، وكان أكثر بنائها من خشب الصنوبر ، فأحرق أكثرها وأحرق من أهلها نحواً من خمسين ألفاً ، وطفئت النار بعد يومين ، لأن نار الصنوبر لا يقاء لها . ودخل الجند فأمرؤا من بقي من أهلها واستلبوهم حتى استلبوا المواشي . ثم سار بنو إلى مدن أخرى ممن كان يمالأ أهلها مع من قتل نائب أرمينية يوسف بن محمد بن يوسف ، فأخذ بنأره وعاقب من يجرا عليه .

وفيها جاءت الفرنج في نحو من ثلثة مراكب فأصدين مصر من جهة دمياط ، فدخلوها فجأة فقتلوا من أهلها خلقاً وحرقوا المسجد الجامع والمنبر ، وأسروا من النساء نحواً من ستائة امرأة ، من المسلمات مائة وخمسة وعشرين امرأة ، وسائرهن من نساء النبط ، وأخذوا من الأمتعة والمال والأسلحة شيئاً كثيراً جداً ، وفر الناس منهم في كل جهة ، وكان غرق في بحيرة تنيس أكثر ممن أسروه ، ثم رجعوا على حية ولم يمرض لهم أحد حتى رجعوا لدم لهم الله . وفي هذه السنة غزا الصائفة على ابن يحيى الأرمي . وفيها حج بالناس الأمير الله . حج بهم قبلوا .

وفيها توفي إسحاق بن راهويه أحد الأعلام . علماء الاسلام ، والمجاهدين من الأنام . ونشر بن الوليد الفقيه الحنفي . وطالون بن عباد . ومحمد بن بكر بن الزيات . ومحمد بن البرجاني . ومحمد بن أبي السري السقلاقي . ( ثم دخلت سنة تسع وثلاثين ومائتين )

في المحرم منها زاد المتوكل في التغليب على أهل القنعة في التميز في القباس وأكد الأمر بتخريب الكنائس المحذرة في الاسلام . وفيها نفى المتوكل على بن الجهم إلى خراسان . وفيها افتق شمانين النصاري ويوم النوروز في يوم واحد وهو يوم الأحد لمشرين ليلة خلت من ذي القعدة . وزعمت النصاري أن هذا لم يتفق مثله في الاسلام إلا في هذا العام . وغزا الصائفة على بن يحيى المذكور . وفيها حج بالناس عبد الله بن محمد بن داود وإلى مكة .

قال ابن جرير : وفيها توفي أبو الوليد محمد بن القاسم محمد بن أبي دؤاد الأبادي المعتزلي .

قلت . وعن توفى فيها داود بن رشيد . وصفوان بن صلح مؤذن أهل دمشق . وعبد الملك بن حبيب  
الفتية المالكي ، أحد المشاهير . وعثمان بن أبي شيبة صاحب التفسير والمسند المشهور . ومحمد بن مهران  
الرازي . ومحمود بن غيلان . ووهب بن نفيه . وفيها توفى :

### ( أحمد بن علم الأنطاكي )

أبو علي الواعظ الزاهد أحد العباد والزهاد ، له كلام حسن في الزهد ومعاملات القلوب ، قال  
أبو عبد الرحمن السلمي : كان من طبقة الحارث المحاسبي ، وبشر الحافي . وكان أبو سليمان الهاراني  
يسميه جاسوس القلوب لحدة فراسته . روى عن أبي معاوية الضرير وطبقته ، وعنه أحمد بن  
الحواري ، ومحمود بن خالد ، وأبو زرعة الهمشي . وغيرهم . روى عنه أحمد بن الحواري عن محمد  
ابن الحسين عن هشام بن حسان قال : مررت بالحنين البصري وهو جالس وقت السحر قلت : يا أبا  
سميد مثلك يجلس في هذا الوقت ؟ قال : إني توضأت وأردت نفسي على الصلاة فأبنت علي ، وأرادتني  
علي أن تنام فأبنت عليها . ومن مستجاد كلامه قوله : إذا أردت صلاح قلبك فاستمن عليه بحفظ  
جوارحك . وقال : من التفتحة الباردة أن تصلح ما بقي من محرك فيفرك ما مضى منه . وقال :  
يسير اليقين بفرج الشك كله من قلبك : ويسير الشك بفرج اليقين كله منه . وقال : من كان بالله  
أعرف كان منه أخوف . وقال : خير صاحب لك في دينك الهمة ، يقطعك عن الدنيا ويوصلك إلى  
الآخرة . ومن شعره :

عزمت ولم أعزم ولو كنت صادقاً • عزمت ولكن الغطام شديد  
ولو كان لي عقل وإحسان موقن • لما كنت من قصد الطريق أحميد  
ولو كان في غير السلوك مطامعي • ولكن من الأقدار كيف أميد  
ومن شعره أيضاً :

قد بقينا مذنبين حيارى • نطلب الصديق ما إليه سبيل  
فدوامي الهوى تحف علينا • وخلاف الهوى علينا قهيل  
قد الصديق في الأماكن حتى • وصفه اليوم ما عليه دليل  
لا نرى خاتماً فيلزيه الخوف • ولنا نرى صادقاً على ما يقول

ومن شعره أيضاً :

موت عليك فكل الأمر ينتظم • وخل منك ضلبل الهمة ينتفع  
فكل م له من بعده فرج • وكل كرب إذا ما ضيق يفسح  
إن البلاء وإن طال الزمان به • الموت يقطعه أو سوف ينتزع

وقد أخل الحافظ ابن عساكر ترجمته ولم يورد وفاته ، وإنما ذكرته هنا تحريماً والله أعلم .

( ثم دخلت سنة أربعين ومائتين )

فيها عدا أهل حمص على علمهم أبي الفيث موسى بن إبراهيم الرافقي لأنه قتل رجلا من أشرفهم قتلوا جماعة من أصحابه وأخرجوه من بين أظهرهم ، فبعث إليهم المتوكل أميراً عليهم وقال للسفير معه : إن قبلوه وإلا فاعلني . فقبلوه فعمل فيهم الأعاجيب وأهانهم غاية الأمانة . وفيها عزل المتوكل يحيى بن أكرم القاضي عن قضاء القضاة وصاد به ما يبلغه ثمانون ألف دينار ، وأخذ منه أراضي كثيرة في أرض البصرة ، وولى مكانه جعفر بن عبد الواحد بن جعفر بن سليمان بن علي على قضاء القضاة . قال ابن جرير : وفي الحرم منها توفي أحمد بن أبي دؤاد بعد ابنه بشرين يوماً .

( وهذه ترجمته )

هو أحمد بن أبي دؤاد واسمه الفرج - وقيل دعي ، والصحيح أن اسمه كنيته - الإلادي المعتزلي . قال ابن خلكان في نسبه : هو أبو عبد الله أحمد بن أبي دؤاد فرج بن جرير بن مالك بن عبد الله بن عباد بن سلام بن عبد هند بن عبد نعيم بن مالك بن فيض بن منعة بن رجاء بن دوس الهذلي بن أمية بن حذيفة بن زهير بن إلياد بن أد بن مد بن عدنان . قال الخطيب : ولى ابن أبي دؤاد قضاء القضاة للمعتصم ، ثم هوائق . وكان موصوفاً بالجود والسخاء وحسن الخلق وفور الأدب ، غير أنه أعلن عنده الجهمية وحل السلطان على امتحن الناس بخلاف القرآن ، وأن الله لا يرى في الآخرة . قال الصولي : لم يكن بعد البرامكة أكرم منه ، ولولا ما وضع من نفسه من محبة المحنة لاجتمعت عليه الأنس . قالوا : وكان مولده في سنة ستين ومائة ، وكان أسن من يحيى بن أكرم بشرين سنة . قال ابن خلكان : وأصله من بلاد قفسرين ، وكان أبوه تاجراً يهصد إلى الشام ثم وفد إلى العراق وأخذ ولده هذا معه إلى العراق ، فاشتغل بالعلم وصحب هياج بن الملاء السلمي أحد أصحاب وأصل بن عطاء فأخذ عنه الاعتزال ، وذكر أنه كان يصحب يحيى بن أكرم القاضي ويأخذ عنه العلم . ثم سرده ترجمة طويلة في كتاب الوفيات ، وقد استدحه بعض الشعراء فقال : -

رسول الله والخلفاء منا • ومنا أحمد بن أبي دؤاد

فرد عليه بعض الشعراء فقال :

قل لمخاضرين على زرار • وم في الأرض سادات العباد

رسول الله والخلفاء منا • ونهراً من دعي بني إلياد

ومنا منا إلياد إذا أوت • بدعوة أحمد بن أبي دؤاد

قال : فلما بلغ ذلك أحمد بن أبي دؤاد قال : فولا أني أكره العقوبة لما قبلت هذا الشاعر عقوبة

ما ضلها أحد . وعفا عنه . قال الخطيب : حدثني الأزهرى ثنا أحمد بن عمر الواعظ حدثنا عمر بن الحسن بن علي بن مالك حدثني جرير بن أحمد أبو مالك قال : كان أبي - يعني أحمد بن أبي دؤاد - إذا صلى رفع يديه إلى السماء وخطب ربه وأنشأ يقول :

ما أنت بالسبب الضعيف وإنما • تنجح الأمور بقوة الأسباب

واليوم حاجتنا إليك وإنما • يدعى الطبيب لساعة لا وصاب

ثم روى الخطيب أن أبا تمام دخل على ابن أبي دؤاد يوماً فقال له : أحبك عاتباً ، فقال : إنما يحب علي واحد وأنت الناس جميعاً . فقال له : أنى لك هذا ؟ فقال : من قول أبي نواس :  
وليس على الله بمستكر • أن يجمع العالم في واحد  
وامتنحه أبو تمام يوماً فقال :

لقد أنست مساوى كل دهر • محاسن أحمد بن أبي دؤاد

وما سافرت في الآفاق إلا • ومن جموعك راحلي وزادي

نعم الظن عندك والأمان • وإن قلت ركابي في البلاد

فقال له : هذا المعنى تفردت به أو أخذته من غيرك ؟ فقال : هو لي ، غير أني ألحيت بقول أبي نواس :  
وإن جرت الألفاظ يوماً بمسحة • لنبرك إنساناً فأنت الذي نعتي  
وقال محمد بن الصولي : ومن مختلف مدح أبي تمام لأحمد بن أبي دؤاد قوله :

أحمد إن الحاسدين كثير • وما لك إن عد الكرام نظير

حظت محلاً فاضلاً متقادماً • من المجد والفخر القديم بقدر

فكل غنى أو فقير فاته • إليك وإبر . قال السجاء فقير

إليك تنهى المجد من كل وجهة • يصير فما يدرك حيث يصير

وبدر إراد أنت لا ينكرونه • كذلك إراد للأنام بدور

فنجبت أن تدعى الأمير تواضعاً • وأنت لمن يدعى الأمير أمير

فما من يد إلا إليك عمدة • وما رضة إلا إليك تثير

قلت : قد أخطأ الشاعر في هذه الأبيات خطأ كبيراً ، وأنشأ في المبالغة غشا كثيراً ، ولعله إن اعتقد هنا في مخلوق ضعيف مسكين ضال مضل ، أن يكون له جنة وسام مصيراً . وقال ابن أبي دؤاد يوماً لبعضهم : لما لم لاتأني ؟ فقال له : لأنني لو سألتك أعطيتك ثم صلتك . فقال له : صدقت . وأرسل إليه بمئة ألف درهم .

وقال ابن الأعرابي : سألت رجلاً من بني دؤاد أن يجعله علي غير فقال : يا غلام اعطه هيراً وبنلاً

وبرذونه فرسا وجارية . وقال له : لو أعلم سر كرمك غير هذا لأعطيتك . ثم أورد الخطيب بأسانيد  
 عن جماعة أخباراً تدل على كرمه ونصاحته وأدبه وحلمه ومبادرته إلى قضاء الحاجات ، وعظيم منزلته  
 عند الخلفاء . وذكر عن محمد المهدي بن الوائلي أن شيخاً دخل يوماً على الوائلي فلم يرد عليه  
 الوائلي بل قال : لا سلم الله عليك . قال : يا أمير المؤمنين بكس ما أذكك مملك . قال الله تعالى  
 ( وإذا حينئذ نحبوا بأحسن منها أو ردوها ) فلا حيثنني بأحسن منها ولا رددتها . فقال ابن أبي  
 دؤاد يا أمير المؤمنين الرجل متكلم . قيل : ناظره . فقال ابن أبي دؤاد : ما تقول يا شيخ في القرآن  
 أنخلق هو ؟ قال الشيخ : لم تصفني ، المسألة لي . فقال : قل . فقال : هذا الذي قوله علمه رسول الله  
 ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي أو ما علموه ؟ قال ابن أبي دؤاد : لم يعلموه . قال : فأنت علمت ما لم  
 يعلموه ؟ قال : نعم . قال أفأنتي بل علموه ، قال : فلم لا دعوا الناس إليه كما دعوتهم أنت ، أما  
 يدعوك ما وسعهم ؟ فنجول وسكت وأمر الوائلي له بمجازة نحو أر بعائة دينار فلم يقبلها . قال المهدي :  
 فدخل أبي المنزل فاستلقى على ظهره وجعل يكرر قول الشيخ على نفسه ويقول : أما وسكت  
 ما وسعهم ؟ ثم أطلق الشيخ وأعطاه أر بعائة دينار وردم إلى بلاده ، وسقط من عينيه ابن أبي دؤاد  
 ولم يمتحن بعده أحد . ذكره الخطيب في تاريخه بأسناد فيه بعض من لا يعرف ، وساق قصته  
 مطولة . وقد أشهد ثعلب عن أبي حجاج الأعرابي أنه قال في ابن أبي دؤاد :

نكست الدين يا ابن أبي دؤاد • فأصبح من أطاعك في ارتداد  
 زعت كلام ربك كان خلقاً • أما لك عند ربك من ممد  
 كلام الله أنزله بعلم • على جبريل إلى خير العباد <sup>(١)</sup>  
 ومن أسمى يبالك مستضيئاً • كمن حل القلادة بنير زاد  
 لقد أظرفت يا ابن أبي دؤاد • بقوك إني رجل لبادي

ثم قال الخطيب : أنما القاضى أبو الطيب طاهر بن عبد الله الطبري قال : أنشدنا المقاتي بن  
 زكريا الجبري عن محمد بن يحيى الصولي لبعضهم بهجو ابن أبي دؤاد :  
 لو كنت في الزمان منسوباً إلى رشد • وكان عزيمك عزماً فيه توفيق  
 وقد تقدمت هذه الأبيات .

وروى الخطيب عن أحمد بن الموفق أو يحيى الجلاء أنه قال : ناظرني رجل من الواقفية فخلقني  
 القرآن فقالني منه ما أكره ، فلما أمدت أبيت امرأتى فوضعت لي المشاء فلم أقدر أن أأكل منه شيئاً ،  
 فممت فرايت رسول الله ﷺ في المسجد الجامع وهناك حلقة فيها أحد بن حنبل وأصحابه ، فجلس  
 رسول الله ﷺ يقرأ هذه الآية ( فان يكفر بها هؤلاء ) ويشير إلى حلقة ابن أبي دؤاد ( قد وكلنا  
 (١) كلنا في الأصل والوزرة غير مستقيم .

بها قوماً ليسوا بها بكافرين ) ويشير إلى أحمد بن حنبل وأصحابه . وقال بعضهم : رأيت في المنام كأن قائلاً يقول : هلك البلية أحمد بن أبي دؤاد . قتلت له : وما سبب هلاكه ؟ قال : إنه أغضب الله عليه فغضب عليه من فوق سبع سموات . وقال غيره : رأيت ليلة مات ابن أبي دؤاد كأن النار ذفرت ذفرة عظيمة تخرج منها لهب قتلت : ما هذا ؟ قيل هذا أنجزت لابن أبي دؤاد .

وقد كان هلاكه في يوم السبت لسبع قين من الحرم من هذه السنة ، وصلى عليه ابنه العباس ودفن في داره ببغداد وعمره يومئذ نحو ثمانون سنة ، وابتلاه الله بالفالج قبل موته بأربع سنين حتى بقي مريضاً في فراشه لا يستطيع أن يحرك شيئاً من جسده ، وحرمت له الطعام والشراب والكساح وغير ذلك . وقد دخل عليه بعضهم فقال : والله ما جئتك عائدًا وإنما جئتك لأعزيك في نفسك وأحمد الله الذي سجنك في جسدك الذي هو أشد عليك عقوبة من كل سجن ، ثم خرج عنه داعياً عليه بأن يزيد الله ولا ينقصه مما هو فيه ، فزاد مرضاً إلى مرضه . وقد صودر في العام الماضي بأموال جزيلة حبساً ، ولو كان يحمل العقوبة لوضعا عليه المتوكل . قال ابن خلكان : كان مولده في سنة ستين ومائة . قلت : فلي هذا يكون أسن من أحمد بن حنبل ومن يحيى بن أكرم الذي ذكر ابن خلكان أن ابن أكرم كان سبب اتصال ابن أبي دؤاد بالخليفة المأمون ، فخطى عنده بحيث إنه أوصى به إلى أخيه المنصور ، فولد المنصور القضاء والمظالم ، وكان ابن أبي دؤاد الوزير فيمنه ، وجرت بينهما مناقشات وهو ، وقد كان لا يقطع أمراً بدون موافقه . وعزل ابن أكرم عن القضاء وولاه مكانه ، وهذه الهبة التي هي أس ما يندعها من المحن ، والفتنة التي فتحت على الناس باب الفتن .

ثم ذكر ابن خلكان ما ضرب به الفالج وما صودر به من المال ، وأن ابنه أبا الوليد محمد صودر بألف ألف دينار ومائتي ألف دينار ، وأنه مات قبل أبيه بشهر . وأما ابن عساكر فإنه بسط القول في ترجمته وشرحها شرحاً جيداً . وقد كان الرجل أديباً فصيحاً كريماً جواداً محسناً يؤثر الطعام على المنع ، والتفرقة على الجمع . وقد روى ابن عساكر بإسناده أنه جلس يوماً مع أصحابه ينتظرون خروج الوراق فقال ابن أبي دؤاد إنه ليمعني هذان البيتان :

ولي نظرة لو كان يُجبلُ ظلمٌ • بنظرة أنى لقد جملت منى

فان ولدت ما بين نسمة أشهر • إلى نظرم ابتاهان ابنتها منى

ومن توفي فيها من الأعيان أبو نوح إبراهيم بن خالد الكلبي أحد القضاة المشاهير . قال الامام أحمد : هو عندنا في صلاح الثوري . وخليفة بن خياط أحد أئمة التاريخ وسويد بن سعد الحدادي وسويد بن نصر . وعبد السلام بن سعيد الملقب بسحنون أحد قضاة المالكية المشهورين . وعبد الواحد ابن فيلت . وحقبة بن سعيد شيخ الأئمة والسنة . وأبو العميسيل عبد الله بن خالد كاتب عبد الله بن

طاهر وشاعر ، كان عالماً بالغة وله فيها مصنفات عديدة أورد منها ابن خلكان جملة ، ومن شعره  
 يمدح عبد الله بن طاهر :

يا من يحاول أن تكون صفاته • كصفات عبد الله أنصت واسمع  
 فلا تصحكن في خصال والذى • حج الحجيج إليه فاسمع أو دع  
 أصدق وعف وبر وأصبر واحتمل • واصفح وكاف داروا حلم واشجع  
 والطف ولين وتأن وإرفق واتد • واحزم وجد وحلم واحمل وادفع  
 فقد نصحتك إن قبلت نصيحتي • وهديت لتهيج الأسد المبيح  
 ﴿ وأما سحنون المالكى صاحب المدونة ﴾

فهو أبو سعيد عبد السلام بن سعيد بن جندب بن حسان بن هلال بن بكار بن ربيعة اللثوني ،  
 أصله من مدينة حمص ، فسلم به أبوه مع جنتهما بلاد المغرب فأقام بها ، وانتهت إليه رياسة منهب  
 مالك هناك ، وكان قد فتحه على ابن القاسم ، وسببه أنه قدم أسد بن الفرات صاحب الامام مالك  
 من بلاد العرب إلى بلاد مصر فأسأله عبد الرحمن بن القاسم صاحب مالك عن أسئلة كثيرة فأجابها  
 عنها ، فقبلها عنه ودخل بها بلاد المغرب فالتصقها منه سحنون ، ثم قدم على ابن القاسم مصر فأعاد  
 أسأله عليه فزاد فيها وقصص ، ورجع عن أشياء منها ، فرتبها سحنون ورجع بها إلى بلاد المغرب ،  
 وكتب معه ابن القاسم إلى أسد بن الفرات أن يعرض نسخته على نسخة سحنون ويصلحها بها  
 فلم يقبل ، فدعى عليه ابن القاسم فلم يفتنع به ولا بكتابه ، وصارت الرحلة إلى سحنون ، وانتشرت  
 عنه المدونة ، وساد أهل ذلك الزمان ، وتولى القضاء بالقيروان إلى أن توفي في هذه السنة عن ثمانين  
 سنة رحمه الله وإيانا .

﴿ ثم دخلت سنة إحدى وأربعين ومائتين ﴾

في جادى الأولى أو الآخرة من هذه السنة وثب أهل حمص أيضاً على علمهم محمد بن عبدويه  
 فأرادوا قتله ، وساعدهم نصارى أهلها أيضاً عليه ، فكتب إلى الخليفة يلتمه بذلك ، فكتب إليه يأمره  
 بمناعتهم ، وكتب إلى متولى دمشق أن يمدد بم جيش من عنده ليساعده على أهل حمص ، وكتب  
 إليه أن يضرب ثلاثة منهم مرويين بالشر بالسيف حتى يموتوا ، ثم يصلحهم على أبواب البلد ، وأن  
 يضرب عشرين آخرين منهم كل واحد ثلثة ، وأن يرسلهم إلى ساجرا شقيد في الحديد ، وأن  
 يخرج كل نصارى بها ويهدم كنيسها الظلى إلى جانب المسجد الجليل ، وأن يضيها إليه ،  
 وأمره بمخمسين ألف درهم ، وللأمرء الذين صاعدوه بصلات سنه . فامتثل ما أمره به الخليفة  
 فيهم . وفيها أمر الخليفة التوكل على الله بضرب رجل من أهليان أهل بغداد يقال له عيسى بن

جعفر بن محمد بن عاصم ، فضرب ضرباً شديداً مبرحاً ، يقال إنه ضرب ألف سوط حتى مات .  
وذلك أنه شهد عليه سبعة عشر رجلاً عند قاضي الشرقية أبي حسان الزياتي أنه يشتم أباه بكر وعمر  
وعائشة وحفصة رضي الله عنهم . فرفع أمره إلى الخليفة فجاء كتب الخليفة إلى محمد بن عبد الله بن  
طاهر بن الحسين نائب بغداد يأمره أن يضربه بين الناس حد السب ، ثم يضرب بالسياط حتى  
يموت ويلقى في دجلة ولا يصل عليه ، ليرتدع بذلك أهل الاتحاد والممانعة . ففعل معه ذلك قبحه  
الله ولعنه . ومثل هذا يكفر إن كان قد قنف عائشة بالأجاع ، وقمن قنف سواها من أمهات المؤمنين  
قولان ، والصحيح أنه يكفر أيضاً ، لأنهن أزواج رسول الله ﷺ ورضي عنهن .

قال ابن جرير : وفي هذه السنة اقضت الكواكب ببغداد وتناثرت ، وذلك ليلة الخميس ليلة  
خلت من جمادى الآخرة . قال : وفيها مطر شديداً جداً . قال : وفيها مات من  
الدواب شيء كثير ولاسيما البقر . قال : وفيها أغارت الروم على عين زربة فأسروا من بها من الرط  
وأخذوا نساءهم وذرايعهم ودوابهم . قال : وفيها كان الفداء بين المسلمين والروم في بلاد طرسوس  
بحضرة قاضي القضاة جعفر بن عبد الواحد ، عن إذن الخليفة له في ذلك ، واستاقبته ابن أبي الشوارب .  
وكانت عدة الأسرى من المسلمين سبعمائة وخمسة وعثمانين رجلاً ، ومن النساء مائة وخمسة وعشرين  
امراً ، وقد كانت أم الملك تمورة لهنها الله عرضت النصرانية على من كان في يدها من الأسارى ،  
وكانوا نحواً من عشرين ألفاً فن أجابها إلى النصرانية وإلا قتلته ، فقتلت اثني عشر ألفاً وتنصر  
بعضهم ، وبقي منهم هؤلاء الذين فودوا وهم قريب من التسعمائة رجلاً ونساء .

وفيها أغارت البجة على جيش من أرض مصر ، وقد كانت البجة لا يفرزون المسلمين قبل ذلك ،  
لمدينة كانت لهم من المسلمين ، ففقدوا المدينة وصرخوا بالخللاف . والبجة طائفة من سودان بلاد  
المغرب ، وكذا النوبة وشون و زغرير ويكسوم وأمم كثيرة لا يعلمهم إلا الله . وفي بلاد هؤلاء معادن  
الذهب والجواهر ، وكان عليهم حمل في كل سنة إلى ديار مصر من هذه المعادن ، فلما كانت دولة  
المتوكل امتنعوا من أداء ما عليهم سنين متعددة ، فكتب نائب مصر - وهو يعقوب بن إبراهيم  
الباذقيسي مولى الهادي وهو المروفي بقوصرة - بذلك كله إلى المتوكل ، فنضب المتوكل من ذلك  
غضباً شديداً ، وشاور في أمر البجة فقبل له : يا أمير المؤمنين إنهم قوم أهل إيل وبادية ، وإن بلادهم  
بسيمة ومسطحة ، ويحتاج الجيش القاهيون إليها أن يتزودوا لمقاتلهم بها طعاماً وماء ، فصدده ذلك من  
البحث إليهم ، ثم بلغه أنهم يغيرون على أطراف الصعيد ، ويخشى أهل مصر على أولادهم منهم ،  
فجهز لحربهم محمد بن عبد الله التميمي ، وجعل إليه نيابة تلك البلاد كلها المتاخمة لأرضهم ، وكتب إلى  
عمال مصر أن يمينوه بكل ما يحتاج إليه من الطعام وغير ذلك ، فتخلص وتخلص معه من الجيوش



الذين انضافوا إليه من تلك البلاد حتى دخل بلادهم في عشرين ألف فارس وراجل ، وحمل معه الطعام والأدام في مراكب سبعة ، وأمر الذين هم بها أن يلجوا بها في البحر فيوافوه بها إذا توسط بلاد البجة ، ثم سار حتى دخل بلادهم وجاء زمعاندنهم وأقبل إليه ملك البجة - واسمه على بابا - في جمع عظيم أضاعف من مع محمد بن عبد الله القمي ، وهم قوم مشركون يعبدون الأصنام ، فجعل الملك يطاول المسلمين لعله تنفذ أزوارهم فيأخذونهم بالأيدى ، فلما نفذ ما عند المسلمين طمع فيهم السودان فيسر الله وله الحمد بوصول تلك المراكب وفيها من الطعام والفز والزيت وغير ذلك مما يحتاجون إليه شيء كثير جداً فقسمة الأمير بين المسلمين بحسب حاجاتهم ، فيئس السودان من هلاك المسلمين جوعاً فشعروا في التأهب لقتال المسلمين ، وركبهم الابل شديدة بالهجن زعرة جداً كثيرة النفار ، لا تكاد ترى شيئاً ولا تسمع شيئاً إلا جعلت منه . فلما كان يوم الحرب محمد أمير المسلمين إلى جميع الأجراس التي معهم في الجيش فجعلها في رقاب الخيول ، فلما كانت الوقفة حمل المسلمون حملة رجل واحد ، وفترت بهم إبلمهم من أصوات تلك الأجراس في كل وجه ، وتفرقوا شتراً منفر ، واتبعهم المسلمون يقتلون من شاءوا ، لا يمنع منهم أحد ، فلا يمل عدد من قتلوا منهم إلا الله عز وجل . ثم أصبحوا وقد اجتمعوا رجالة فكبسهم القمي من حيث لا يشرون قتل طاعة من بقي منهم وأخذ ملكهم بالأمان ، وأدى ما كان عليه من الحل ، وأخذ معه أسيراً إلى الخليفة . وكانت هذه الوقفة في أول يوم من هذه السنة ، فولاه الخليفة على بلاده كما كان ، وجعل إلى ابن القمي أمر تلك الناحية والنظر في أمرها والله الحمد والمنة .

قال ابن جرير : ومات في هذه السنة يعقوب بن إبراهيم المعروف بقوصرة في جمادى الآخرة . قلت : وهذا الرجل كان نائباً على الهيار المصرية من جهة المتوكل . وفيها حج بالناس عبد الله بن محمد ابن داود ، وحج جعفر بن دينار وهو وإلى طريق مكة وأحداث الموسم ، ولم يتعرض ابن جرير لوفاء أحد من المحدثين في هذه السنة ، وقد توفي من الأعيان الإمام أحمد بن حنبل . وجبارة بن المفصل الحائلي . وأبو ثوبة الحلبي . وعيسى بن حماد سجادة . ويعقوب بن حميد بن كاسب . ولندكر شيئاً من

### ( ترجمة الأمام أحمد بن حنبل )

فتقول وبالله المستعان : هو أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن إدريس بن عبد الله بن حبان بن عبد الله بن أنس بن عوف بن قاسط بن مازن بن شيان بن ذهل بن ثعلبة بن عكابة بن صمب بن علي بن بكر بن وائل بن قاسط بن هذب بن أقصى بن دعي بن جديلة بن أسد بن ربيعة ابن نزار بن معد بن عدنان بن أد بن أدد بن الهيميص بن جل بن التبت بن قيدار بن إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليهما السلام - أبو عبد الله الشيباني ثم المروزي ثم البغدادي ، هكذا ساق نسبه

الحافظ الكبير أبو بكر البيهقي في الكتاب الذي جمعه في مناقب أحمد عن شيخه الحافظ أبي عبد الله الحاكم صاحب المستدرك ، وروى عن صالح بن الإمام أحمد قال : رأى أبي هذا القسب في كتاب لي قال : وما تصنع به ؟ ولم ينكر النسب . قالوا : وقدم به أبوه من مره وهو حمل فوضته أمه ببغداد في ربيع الأول من سنة أربع وستين ومائة ، وتوفي أبوه وهو ابن ثلاث سنين فكفلته أمه . قال صالح عن أبيه : ففقت أذني وجعلت فيها لؤلؤتين فلما كبرت دفعتها إلى فبعتها بثلاثين درهما . وتوفي أبو عبد الله أحمد بن حنبل يوم الجمعة الثاني عشر من ربيع الأول من سنة إحدى وأربعين ومائتين ، وله من العمر سبع وسبعون سنة رحمه الله .

وقد كان في حدائثه يختلف إلى مجلس القاضي أبي يوسف ، ثم ترك ذلك وأقبل على سماع الحديث ، فكان أول طلبه للحديث وأول سماعه من مشايخه في سنة سبع وثمانين ومائة ، وقد بلغ من العمر ست عشرة سنة ، وأول حجة حجها في سنة سبع وثمانين ومائة ، ثم سنة إحدى وتسعين . وفيها حج الوليد بن مسلم ، ثم سنة ست وتسعين ، وجاور في سنة سبع وتسعين ، ثم حج في سنة ثمان وتسعين ، وجاور إلى سنة تسع وتسعين سافر إلى عند عبد الرزاق إلى اليمن ، فكتب عنه هو ويحيى بن معين وإسحاق بن راهويه . قال الإمام أحمد : حججت خمس حجج منها ثلاث راجلا ، أتقت في إحدى هذه الحجج ثلاثين درهما . قال : وقد ضللت في بعضها عن الطريق وأنا ماش فجلت أقول : يا عباد الله دلوني على الطريق ، فلم أزل أقول ذلك حتى وقفت على الطريق . قال : وخرجت إلى الكوفة فكنفت في بيت تحت رأسى لبنة ، ولو كان عندي ثمنون درهما كنت رحلت إلى جرب بن عبد الحميد إلى الري وخرج بعض أصحابنا ولم يمكن الخروج لأنه لم يكن عندي شيء .

وقال ابن أبي حاتم عن أبيه عن حمزة : سمعت الشافعي قال : وعدني أحمد بن حنبل أن يقدم على مصر فلم يقدم . قال ابن أبي حاتم : يشبه أن تكون خفة ذات اليد منعت أن يفي بالعدة . وقد طلق أحمد بن حنبل في البلاد والأقاليم ، وسمع من مشايخ مصر ، وكاتوا بحملوه ويحترمونه في حال سماعه منهم ، وقد سرد شيخنا في تهذيبه أسماء شيوخه مرتبين على حروف المعجم ، وكنتك الرواة عنه . قال البيهقي بعد أن ذكر جماعة من شيوخ الإمام أحمد : وقد ذكر أحمد بن حنبل في المسند وغيره الرواية عن الشافعي ، وأخذ عنه جملة من كلامه في أنساب قريش ، وأخذ عنه من الفقه ما هو مشهور ، ومين توفي أحمد وجدوا في تركته رسائل الشافعي القديمة والجديدة .

قلت : قد أفرد ما رواه أحمد عن الشافعي وهي أحاديث لا تبلغ عشرين حديثا ، ومن أحسن ما رواه عنه الأمام أحمد عن الشافعي عن مالك بن أنس عن الزهري عن عبد الرحمن بن كعب ابن مالك عن أبيه قال قال رسول الله ﷺ : « نسمة المؤمن طائر تلقى في شجر الجنة حتى يربحه

إلى جسمه يوم بعث . وقد قال الشافعي لأحمد لما اجتمع به في الرحلة الثانية إلى بغداد سنة تسعين <sup>(١)</sup> ومائة وعمر أحمد إذ ذاك نيف وثلاثون سنة . قال له : يا أبا عبد الله إذا صح عندكم الحديث فأعطيني به أذهب إليه حجازياً كلن أو شامياً أو عراقياً أو يمنياً - يعني لا يقول قول قهء الهجاز الذين لا يقولون إلا رواية الهجازيين و ينزلون أحاديث من سوام منزلة أحاديث أهل الكتب - وقول الشافعي له هذه المقالة تعظيم لأحمد وإجلال له وأنه عنده بهذه المثابة إذا صحح أو ضف برجع إليه . وقد كان الإمام أحمد بهذه المثابة عند الأئمة والخطاء كما سيأتي ثناء الأئمة عليه واعتراهم له بلو المكانة في العلم والحديث ، وقد بعد صيته في زمانه واشتهر اسمه في شيعته في الآفاق .

ثم حكى البيهقي كلام أحمد في الإيمان وأنه قول وعمل وزيد وينقص ، وكلامه في القرآن كلام الله غير مخلوق ، وإنكاره على من يقول : إن لفظة بالقرآن مخلوق يريد به القرآن . قال : وفيها حكم أبو حمارة وأبو جعفر أخبرنا أحمد شيخنا السراج عن أحمد بن حنبل أنه قال : ألقظ محدث . واستدل بقوله ( ما يلغظ من قول إلا لله رقيب عتيد ) قال : فلقظ كلام الآدميين . وروى غيرهما عن أحمد أن قال : القرآن كيف ما تصرف فيه غير مخلوق ، وأما أضالنا فهو مخلوق . قلت : وقد قرر البخاري في هذا المعنى في أضال البباد وذكره أيضاً في الصحيح ، واستدل بقوله عليه السلام : « زينوا القرآن بأصواتكم » . ولها قال غير واحد من الأئمة : الكلام كلام الباري ، والصوت صوت القارء . وقد قرر البيهقي ذلك أيضاً .

[ وروى البيهقي من طريق إسماعيل بن محمد بن إسماعيل السلي عن أحمد أنه قال : من قال : القرآن محدث فهو كفر . ومن طريق أبي الحسن الميموني عن أحمد أنه أجاب الجهمية حين احتجوا عليه بقوله تعالى : ( ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون ) . قال : يحتمل أن يكون تنزيه إلبنا هو المحدث ، لا الذكر نفسه هو المحدث . وعن حنبل عن أحمد أنه قال : يحتمل أن يكون ذكر آخر غير القرآن ، وهو ذكر رسول الله ﷺ أو وعظه وإمام . ثم ذكر البيهقي كلام الأمام أحمد <sup>(٢)</sup> في رؤية الله في الممار الآخرة ، واحتج بمحدث صبيب في الرؤية وهي زيادة ، وكلامه في نفى التشبيه وترك الخوض في الكلام والتفك بما ورد في الكتب والسنة عن النبي ﷺ وعن أصحابه [ وروى البيهقي عن الحاكم عن أبي عمرو بن السلك عن حنبل أن أحمد بن حنبل تأول قول الله تعالى : ( وجاء بك ) أنه جاء ثوابه . ثم قال البيهقي : وهذا إسناد لا خيل عليه <sup>(٣)</sup> وقال الأمام أحمد : حدثنا أبو بكر بن عيشا ثنا طعم عن زر عن عبد الله - هو ابن مسعود -

(١) تقدم أن الرحلة الثانية لشافعي كانت سنة ثمان وتسعين ومائة .

(٢) ، (٣) زيادة من المصرية .

قال : ما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن ، وما رآوه سيئاً فهو عند الله سيئ . وقد رأى الصحابة جميعاً أن يستخافوا أبا بكر رضي الله عنه إسناده صحيح . قلت : وهذا الأثر فيه حكاية إجماع عن الصحابة في تقديم الصديق . والأمر كما قاله ابن مسعود ، وقد نص على ذلك غير واحد من الأئمة . وقد قال أحمد حين اجتاز بمصر وقد حمل إلى المأمون في زمن الحنة ودخل عليه عمرو بن عثمان الحمصي فقال له : ما تقول في الخلافة ؟ فقال : أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي ، ومن قدم علياً على عثمان فقد أذرى بأصحاب الشورى لأنهم قدموا عثمان رضي الله عنه .

( فصل في ورعه وتقشفه وزهده رحمه الله ورضي عنه )

روى البيهقي من طريق المزني عن الشافعي أنه قال لرشيد : إن الدين يحتاج إلى قاض ، فقال له : اختر رجلاً توله إياها . فقال الشافعي لأحمد بن حنبل وهو يتردد إليه في جملة من يأخذ عنه : ألا تقبل قضاء الدين ؟ فامتنع من ذلك امتناعاً شديداً وقال لشافعي : إني إنما أختلف إليك لأجل العلم المزهدي في الدنيا ، فتأمرني أن ألقى القضاء ؟ ولولا العلم لما أكلت بعد اليوم . فاستغنى الشافعي منه . وروى أنه كان لا يصلي خلف عمه إسحاق بن حنبل ، ولا خلف بنه ولا يكلمهم أيضاً ، لأنهم أخذوا جائزة السلطان . ومكث مرة ثلاثة أيام لا يجد ما يأكله حتى بعث إلى بعض أصحابه فاستقرض منه دقيقتاً فصرف أهل حاجته إلى الطعام فمتجولوا ومحبوا وخبروا له سريراً فقال : ما هذه المجلة ؟ كيف خبزتم ؟ فقالوا : وجدنا تنور بيت صالح مسجوراً فخبزنا لك فيه . فقال : ارفضوا ، ولم يأكل وأمر ببدن ياب إلى دار صالح . قال البيهقي : لأن صالحاً أخذ جائزة السلطان ، وهو المتوكل على الله . وقال عبد الله ابنه : مكث أبي بالسكر عند الخليفة ستة عشر يوماً لم يأكل فيها إلا ربع مدسويقاً ، فغفر بعد كل ثلاث ليل على سعة منه حتى رجع إلى بيته ، ولم ترجع إليه نفسه إلا بعد ستة أشهر . وقد رأيت موقبه دخلاً في حديقته . قال البيهقي : وقد كان الخليفة يبعث إليه المائدة فيها أشياء كثيرة من الأنواع وكان أحد لا يتناول منها شيئاً . قال : وبث المأمون مرة ذهباً يقسم على أصحاب الحديث فما بقي منهم أحد إلا أخذ إلا أحمد بن حنبل فإنه أبي .

وقال سليمان الشاذلي : حضرت أحمد وقد رهن سطلا له عند فاطمة بن علي ، فلما جاءه بفسكاكه أخرج له سطلين فقال : خذ منادلك منهما . فاشقبه عليه أيهما له فقال : أنت في حل منه ومن الفسكاك ، وتركه وذهب . وحكى ابنه عبد الله قال : كنا في زمن الواثق في ضيق شديد ، فكسب رجل إلى أبي : إن عندي أربعة آلاف درهم وروثها من أبي وابتعت صدقة ولازكة ، فإن رأيت أن تقبلها . فامتنع من ذلك ، وكرر عليه فأبى ، فلما كان بعد حين ذكرنا ذلك فقال أبي : لو كنا قبلناها كانت ذهبت وأكلناها ، وعرض عليه بعض التجار عشرة آلاف درهم وبها من بضاعة جملها

باسمه فأبى أن يقبلها وقال : نحن في كفاية وجزاك الله عن قصدك خيراً . وعرض عليه تاجر آخر ثلاثة آلاف دينار فانتفع من قبولها وقام وتركه . وفقدت نفقة أحمد وهو في الين فرض عليه شيخه عبد الرزاق مله كفه دينار فقال : نحن في كفاية ولم يقبلها . وسرقت ثيابه وهو باليمن فجلس في بيته ورد عليه الباب وقدده أصحابه فجاءوا إليه فسألوه فأخبرهم ففرضوا عليه ذهباً فلم يقبله ولم يأخذ منهم إلا ديناراً واحداً ليكتب لهم به فكتب لهم بالأجر ربحه الله . وقال أبو داود : كانت مجالس أحمد بمجالس الآخرة لا يذكر فيها شيء من أمر الدنيا ، وما رأيت أحمد بن حنبل ذكر الدنيا قط . وروى البيهقي أن أحمد سئل عن التوكل فقال : هو قطع الاستشراف بالأس من الناس ، قيل له : هل من حجة على هذا ؟ قال : نعم ! إن إبراهيم لما رأى به في النار في المنجنيق عرض له جبريل فقال : هل لك من حاجة ؟ قال : أما إليك فلا ، قال : فسل من لك إليه حاجة ؟ قال : أحب الأمرين إلى أحبيما إليه . وعن أبي جعفر محمد بن يعقوب الصفار قال : كنا مع أحمد بن حنبل بسر من رأى قلنا : ادع الله لنا فقال : اللهم إنك تعلم أنك على أكثر مما نحب فاجعلنا على ما نحب دائماً . ثم سكت . قلنا : زدنا فقال : اللهم إنا نسألك بالعمرة التي قلت للسماوات والأرض ( اثنيًا طوعاً أو كرهاً قلنا أتيناك طائعين ) اللهم وقتنا لمرضايتك ، اللهم إنا نموذج بك من الفقر إلا إليك ، ونموذج بك من القتل إلا لك ، اللهم لا تكثر لنا فطني ولا تقل علينا فننسى ، وهب لنا من رحمتك وسعة رزقك ما يكون بلائنا لنا في دنيا ، وغنى من فداك . قال البيهقي : وفي حكاية أبي الفضل الثمالي عن أحمد : وكان يدعو في السجود : اللهم من كان من هذه الأمة على غير الحق وهو يظن أنه على الحق فردّه إلى الحق ليكون من أهل الحق . وكان يقول : اللهم إن قبلت عن عصاة أمة محمد ﷺ فداء فاجعلني فداء لهم . وقال صالح بن أحمد : كان أبي لا يبيع أحداً يستحق له الماء للوضوء ، بل كان يبل ذلك بنفسه ، فإذا خرج الدلو ملأ قال : الحمد لله . قلت : يا أبا ما الفائدة بذلك ؟ قال : يا بني أما سمعت قول الله عز وجل ( أراهم إن أصبح مأوئهم غوراً فمن يأتيكم بما سمعتم ) والأخبار عنه في هذا الباب كثيرة جداً . وقد صنف أحمد في الزهد كتاباً حافلاً عظيمًا لم يسبق إلى مثله ، ولم يلحقه أحد فيه . والمظنون بل المقطوع به أنه إنما كان يأخذ بما أمكنه منه رحمه الله .

وقال إسماعيل بن إسحاق السراج : قال لي أحمد بن حنبل : هل تستطيع أن ترى الحارث المحاسبي إذا جاء منزلك ؟ قلت : نعم ! وفرحت بذلك ، ثم ذهبت إلى الحارث قتلته له : إني أحب أن تحضر الليلة عندي أنت وأصحابك . فقال : إنهم كثير فأحضر لهم التمر والكسب . فلما كان بين المشاهدين جاءوا وكان الإمام أحمد قد سبقهم فجلس في غرفة بحيث يراهم ويسمع كلامهم ولا يرونه ، فلما صلوا المشاء الآخرة لم يصلوا بعدها شيئاً ، بل جاءوا فجلسوا بين يدي الحارث سكوتاً

مطرق الرؤس ، كما تم على رؤسهم الطير ، حتى إذا كان قريباً من نصف الليل سأل رجل مسألة فشرع الحارث يتكلم عليها وعلى ما يتعلق بها من الزهد والورع والوعظ ، فجعل هذا يبكي وهذا يشي وهذا يزعم ، قال : فصعدت إلى الإمام أحمد إلى الغرفة فإذا هو يبكي حتى كاد ينشئ عليه ، ثم لم يزلوا كذلك حتى الصباح ، فلما أرادوا الانصراف قلت : كيف رأيتم هؤلاء يا أبا عبد الله ؟ فقال : ما رأيتم أحداً يتكلم في الزهد مثل هذا الرجل ، وما رأيتم مثل هؤلاء ، ومع هذا فلا أرى لك أن تجتمع بهم . قال البيهقي : يحتمل أنه كره له محبتهم لأن الحارث بن أسد ، وإن كان زاهداً ، فإنه كان عنده شيء من علم الكلام ، وكان أحمد يكره ذلك ، أو كره له محبتهم من أجل أنه لا يطبق سلوك طريقهم وما هم عليه من الزهد والورع . قلت : بل إنما كره ذلك لأن في كلامهم من التفتش وشدة السلوك التي لم يرد بها الشرع والتدقيق والحاسبة الدقيقة البليغة ما لم يأت بها أسد ، ولهذا لما وقف أبو زرعة الرازي على كتاب الحارث المسمى بالرعاية قال : هذا بدعة . ثم قال للرجل الذي جاء بالكتاب : عليك بما كان عليه مالك والثوري والشافعي وأبي حنيفة ، ودع عنك هذا فإنه بدعة . وقال إبراهيم الحارثي : سمعت أحمد بن حنبل يقول : إن أحببت أن يدمم الله لك على ما تحب فدم له على ما يجب . وقال : الصبر على الفقر مرتبة لا ينالها إلا الأكابر . وقال : الفقر أشرف من الغنى ، فإن الصبر عليه مرارة وإنعامه أعظم حالاً من الشكر . وقال : لا أعدل بفضل الفقر شيئاً . وكان يقول : على العبد أن يقبل الرزق بعد اليأس ، ولا يقبله إذا تقدمه طمع أو استشراف . وكان يحب التغلغل من الدنيا لأجل خفة الحساب . وقال إبراهيم قال رجل لأحمد : هذا العلم تعلمته ؟ فقال له أحمد : هذا شرط شديد ولكن حبب إلى شيء فجمعته . وفي رواية أنه قال : أما الله فمميز ، ولكن حبب إلى شيء فجمعته . وروى البيهقي أن رجلاً جاء إلى الإمام أحمد فقال : إن أي زمنة مقصدة منذ عشرين سنة ، وقد بنتني إليك لتدعوها ، فكأنه غضب من ذلك وقال : نحن أخرج أن تدعوهي لنا من أن ندعوهي لها . ثم دعا الله عز وجل لها . فرجع الرجل إلى أمه فذكر الباب ففرجت إليه على رجلها وقالت : قد وهبني الله العافية . وروى أن سائلاً سأله فأعطاه الامام أحمد قطعة فقام رجل إلى السائل فقال : هبني هذه القطعة حتى أعطيك عوضها ، ما تساوي درهما . فأبى فراه إلى خمسين درهماً وهو يأبى وقال : إني أرجو من بركتها ما أرجوه أنت من بركتها . ثم قال البيهقي رحمه الله :

( باب ذكر ما جاء في محبة أبي عبد الله أحمد بن حنبل )

في أيام المأمون ثم المنصور ثم الواثق بسبب القرآن العظيم وما أصابه من الحبس الطويل والضرب الشديد والتهديد باقتل بسوء العتاب وأليم العقاب ، وقلة مبالاته بما كان منهم في ذلك إليه وصبره عليه وتمسكه بما كان عليه من الدين التوهم والصرائط المستقيم ، وكان أحمد عالماً بما ورد بمثل حاله من

الآيات المتلوة ، والأخبار المأثورة ، وبلغه ما أوصى به في المنام واليقظة فرضى وسلم إيماناً واحتساباً ،  
 وغاز بغير الدنيا ونعيم الآخرة ، وهياه الله بما آتاه من ذلك ليلوغ أعلى منازل أهل البلاء في الله من  
 أوليائه ، وألحق به محبيه فيما نال من كرامة الله تعالى إن شاء الله من غير بلية وبالله التوفيق والعصمة .  
 قال الله تعالى ( بسم الله الرحمن الرحيم آمم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ،  
 ولقد فتنا الذين من قبلهم فليفتن الله الذين صدقوا وليفتن الكاذبين ) وقال الله تعالى ( واصبر على  
 ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور ) في سواها في معنى ما كتبنا . وقد روى الامام أحمد المتحن في  
 مسنده قال فيه : حدثنا محمد بن جعفر عن شعبة عن عاصم بن مهلهة سمعت مصعب بن سعد يحدث  
 عن سعد قال : سألت رسول الله ﷺ : أي الناس أشد بلاء ؟ قال : « الذين » ثم الأمثل  
 فالأمثل ، يبتلى الله الرجل على حسب دينه ، فإن كان رقيق الدين ابتلى على حسب ذك ، وإن كان  
 صلب الدين ابتلى على حسب ذك ، وما يزال البلاء بالرجل حتى يمشی على الأرض وما عليه  
 خطيئة . وقد روى مسلم في صحيحه قال : حدثنا عبد الوهاب الثقفي ثنا أيوب عن أبي قلابة عن  
 أنس . قال قال رسول الله ﷺ : « ثلاثة من كن فيه فقد وجد حلوة الإيمان : من كان الله ورسوله  
 أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله ، وأن يوقف في النار أحب إليه من أن يرجع  
 إلى الكفر بعد إذ أنقذه الله منه » . أخرجه في الصحيحين .

وقال أبو القاسم البغوي : حدثنا أحمد بن حنبل ثنا أبو المغيرة ثنا صفوان بن عمرو السكسكي  
 ثنا عمرو بن قيس السكسكي ثنا عاصم بن حميد قال : سمعت معاذ بن جبل يقول : « إنكم لم تروا إلا  
 بلاء وفتنة ، ولن يزداد الأمر إلا شدة ، ولا النفس إلا شحاً » . وبه قال معاذ : « لن تروا من  
 الأئمة إلا غلظة ولن تروا أمراً يهولكم ويشد عليكم إلا حضر بعده ما هو أشد منه » . قال البغوي :  
 سمعت أحمد يقول : اللهم رضا . وروى البيهقي عن الربيع قال بعثني الشافعي بكتاب من مصر  
 إلى أحمد بن حنبل ، فأنيت وقد انتقل من صلاة الفجر فدفعت إليه الكتاب فقال : أقرأه ؟ قلت :  
 لا فأخذه فقرأ فدعمت عيناه ، قلت : يا أبا عبد الله وما فيه ؟ قال : يذكر أنه رأى رسول الله  
 ﷺ في المنام فقال : اكتب إلى أبي عبد الله أحمد بن حنبل وأقرأ عليه بذي السلام وقل له :  
 إنك ستمتحن وتدعى إلى القول بخلق القرآن فلا تجههم ، يرض الله لك علماً إلى يوم القيامة . قال  
 الربيع : قلت حلوة البشارة ، فغلق قيصه الذي يلي جليله فأعطانيه ، فزارجت إلى الشافعي  
 أخبرته فقال : إني لست أفجئك فيه ، ولكن به بالماء وأعطيتني حتى أتبرك به .

﴿ ذكر ملخص الفتنة والحنة مجموعاً من كلام أئمة السنة أطههم الله الجنة ﴾

قد ذكرنا فيما تقدم أن المأمون كان قد استحوذ عليه جماعة من الممثلة فأزاعوه عن طريق الحق

إلى الباطل : وزينوا له القول بخلق القرآن ونفى الصفات عن الله عز وجل . قال البيهقي : ولم يكن في الخلفاء قبله من بنى أمية وبنى العباس خليفة الاعلى مذهب السلف ومنهاجهم ، فلما ولي هو اختلافه اجتمع به هؤلاء فخلعوه على ذلك وزينوا له ، واتفق خروجه إلى طرسوس لنزول الروم فكتب إلى نائبه ببغداد إسحاق بن إبراهيم بن مصعب يأمره أن يدعو الناس إلى القول بخلق القرآن ، واتفق له ذلك آخر عمره قبل موته بشهور من سنة ثمانى عشرة ومائتين . فلما وصل الكتاب كما ذكرنا استدعى جماعة من أئمة الحديث فدعاهم إلى ذلك فاعتصموا ، فهدم بالضرب وقطع الأرزاق فأجاب أكثرهم مكرهين : واستمر على الامتناع من ذلك الامام أحمد بن حنبل ، ومحمد بن نوح الجندى يسابورى ، فخلا على بصير وسيرا إلى الخليفة عن أمره بذلك ، وهما مقيدان متعادلان في محل على بصير واحد فلما كانا يبلدان الرحبة جاءهما رجل من الأعراب من عبادهم يقال له جابر بن عامر ، فسلم على الامام أحمد وقال له : يا هذا إنك وافد الناس فلا تكن شؤماً عليهم ، وإنك رأس الناس اليوم فأياك أن نجيبهم إلى ما يدعونك إليه فيجيبوا ، فتحمل أوزارهم يوم القيامة ، وإن كنت تحب الله فاصبر على ما أنت فيه ، فانه ما بينك وبين الجنة إلا أن تقتل ، وإنك إن لم تقتل تمت ، وإن عشت عشت حديداً . قال أحمد : وكان كلامه مما قوى عزمى على ما أنا فيه من الامتناع من ذلك الذى يدعونى إليه . فلما اقتربا من جيش الخليفة ونزلوا دونه بمرحلة جاء خدام وهو يمسح دموعه بطرف ثوبه ويقول : يمر على يا أبا عبد الله إن المأمون قد سل سيفاً لم يسله قبل ذلك ، وأنه يقسم بقرابته من رسول الله ﷺ لئن لم نجبه إلى القول بخلق القرآن ليقنتك بذلك السيف . قال : فجنى الامام أحمد على ركبته ورمى بطرفه إلى السماء وقال : سيدى غر حلك هذا الفاجر حتى فجراً على أوليائك بالضرب والقتل ، اللهم فان يكن القرآن كلامك غير مخلوق فاكفنا مؤنته . قال : فجاءهم الصريح بموت المأمون في الثلث الأخير من الليل . قال أحمد : ففرحنا ، ثم جاء الخبر بأن المعتصم قد ولي الخلافة وقد انضم إليه أحمد بن أبي ذؤاد ، وأن الأمر شديد ، فردونا إلى بغداد في سفينة مع بعض الأسارى ، ونالت منهم أذى كثير ، وكان في رجله القيود ، ومات صاحبه محمد بن نوح في الطريق وصلى عليه أحمد ، فلما رجع أحمد إلى بغداد دخلها في رمضان ، فأودع في السجن نحو من ثمانية وعشرين شهراً ، وقيل نبأ وثلاثين شهراً ، ثم أخرج إلى الضرب بين يدي المعتصم . وقد كان أحمد وهو في السجن هو الذى يصلى في أهل السجن والقيود في رجله .

( ذكر ضربه رضى الله عنه )

( بين يدي المعتصم عليه من الله ما يستحقه )

لما أحضره المعتصم من السجن زاد في قيوده ، قال أحمد : فلم أستطع أن أمشي بها فربطتها في



السكة وحملها بيدي ، ثم جازئى بداية فحملت عليها فكنت أن أسقط على وجهي من قتل التبريد وليس معي أحد يسكني ، فلم الله حتى جئنا دار المتعم ، فأدخلت في بيت وألقي على وليس عندي سراج ، فأردت الرضوء فهدت يدي فاذا إياه فيه ماء فتوضأت منه ، ثم قلت لا أعرف القبلة ، فلما أصبحت إذا أنا على القبلة والله الحمد . ثم دعيت فأدخلت على المتعم ، فلما نظر إلى وعنده ابن أبي دؤاد قال : أليس قد زعمت أنه حدث السن وهذا شيخ مكمل ؟ فلما دتوت منه وسلمت قال لي : أدله ، فلم يزل يدنيني حتى قربت منه ثم قال : اجلس ! فجلست وقد أغلقت الحديد ، فكنت ساعة ثم قلت : يا أمير المؤمنين إلى م دعا إليه ابن عمك رسول الله ﷺ ؟ قال : إلى شهادة أن لا إله إلا الله . قلت : فاني أشهد أن لا إله إلا الله . قال : ثم ذكرت له حديث ابن عباس في وفد عبد القيس ثم قلت : فهذا الذي دعا إليه رسول الله ﷺ . قال : ثم تكلم ابن أبي دؤاد بكلام لم أفهمه ، وذلك أني لم أتفهه كلامه ، ثم قال المتعم : لولا أنك كنت في يد من كان قبلي لم أنمرض إليك ، ثم قال : يا عبد الرحمن ألم أترك أن ترفع الحنة ؟ قال أحمد : قلت ، الله أكبر ، هذا فرج للسدين ، ثم قال : فانظره يا عبد الرحمن ، كله . فقال لي عبد الرحمن : ما تقول في القرآن ؟ فلم أجبه ، فقال المتعم : أجبه قلت : ما تقول في العلم ؟ فسكت ، قلت : القرآن من علم الله ، ومن زعم أن علم الله مخلوق قد كفر بالله ، فسكت فقالوا فيها بينهم : يا أمير المؤمنين كبرك وكفرنا ، فلم يلتفت إلى ذلك ، فقال عبد الرحمن : كان الله ولا قرآن ، قلت : كان الله ولا علم ؟ فسكت . فجعلوا يتكلمون من ههنا وههنا ، قلت : يا أمير المؤمنين اعطوني شيئاً من كتاب الله أو سنة رسوله حتى أقول به ، فقال : ابن أبي دؤاد : وأنت لا تقول إلا بهذا وهذا ؟ قلت : وهل يقوم الاسلام إلا بهما . وجرت مناظرات طويلة ، واحتجوا عليه بقوله ( ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث ) وبقوله ( الله خالق كل شيء ) وأجاب بما حاصله أنه علم مخصوص بقوله ( تدمر كل شيء بأمر ربها ) فقال ابن أبي دؤاد : هو والله يا أمير المؤمنين ضال مضل مبدع ، وهنا قضائك والفتاه فسلم ، فقال لهم : ما تقولون ؟ فأجابوا بمثل ما قال ابن أبي دؤاد ، ثم أحضروه في اليوم الثاني وناظروه أيضاً ثم في اليوم الثالث ، وفي ذلك كله يملأ صوته عليهم وتقلب حجته حججهم . قال : فاذا سكتوا ففتح الكلام عليهم ابن أبي دؤاد ، وكان من أجملهم بالعلم والكلام ، وقد تنوعت بهم المسائل في الجادة ولا علم لهم بالنقل ، فجلسوا ينكرون الأفكار وبردون الاحتجاج بها ، وصحمت منهم مقالات لم أكن أظن أن أحداً يقولها ، وقد تكلم معي ابن غوث <sup>(١)</sup> بكلام طويل ذكر فيه الجسم وغيره بما لا قائمة فيه ، قلت : لا أدرى ما تقول ، إلا أني أعلم أن الله أحد صمد ، ليس كشيء شيء ، فسكت عني . وقد أوردت لهم حديث

(١) في هامش الأصل : له ابن غيث وهو المريس .

الرؤية في الدار الآخرة فحاولوا أن يضعفوا إسناده ويلتفتوا عن بعض المحدثين كلاماً يتسلقون به إلى الطعن فيه ، وهيهات ، وأنى لهم التناوش من مكان بعيد ؟ وفي غبون ذلك كله يتلطف به الخليفة ويقول : يا أحمد أجبني إلى هذا حتى أجعلك من خاصتي وعن يطاء بساطي . فأقول : يا أمير المؤمنين يأتي بآية من كتاب الله أو سنة عن رسول الله ﷺ حتى أجيبهم إليها .

واحتج أحمد عليهم حين أنكروا الآثار بقوله تعالى ( يا آية لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يقضي عنك شيئاً ) وبقوله ( وكلم الله موسى تكليماً ) وبقوله ( إني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني ) وبقوله : ( إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون ) ونحو ذلك من الآيات . فلما لم يقم لهم معه حجة عدلوا إلى استعمال جاه الخليفة ، فقالوا : يا أمير المؤمنين هذا كافر ضال مضل . وقال له إسحاق بن إبراهيم نائب بغداد : يا أمير المؤمنين ليس من تدبير الخلافة أن تحلى بسبيله ويتلب خليفته ، فشد ذلك حصى واشتد غضبه ، وكان ألينهم عريكة ، وهو يظن أنهم على شيء . قال أحمد فشد ذلك قال لي : لعنك الله ، طمعت فيك أن تحبيني فلم تحبني ، ثم قال : خذوه واخملوه واسحبوه . قال أحمد : فأخذت وسحبت وخملت وجمي\* بالمقابين والسياط وأنا أنظر ، وكان معي شرار من شعر النبي ﷺ معرورة في ثوبي ، فجددوني منه وصرت بين المقابين ، قلت : يا أمير المؤمنين الله الله ، إن رسول الله ﷺ قال : « لا يحمل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله إلا بأحدي ثلاث » وتلوت الحديث ، وأن رسول الله ﷺ قال : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله » ، فإذا قالوها عصموا عني دماءهم وأموالهم » : فبم تستحل دمي وآت شيئاً من هنا ؟ يا أمير المؤمنين اذكر وقوفك بين الله كوقوفي بين يديك ، فكأنه أسلك . ثم لم يزالوا يقولون له : يا أمير المؤمنين إنه ضال مضل كافر ، فأمرني فقامت بين المقابين وجمي\* بكرسى عليه وأمرني بعضهم أن آخذ بيدي بأى الخشبين فلم أفهم ، فتخلت يداي وجمي\* بالضرايين ومعهما السياط فجعل أحدهم يضربني سوطين ويقول له - بمعنى المتصم - : شذ قطع الله يديك ، ويجمي\* الآخر فيضربني سوطين ثم الآخر كذلك ، فضربوني أسواطاً فأغنى على وذهب عقلي مراراً ، فإذا سكن الضرب يعود على عقلي ، وقام المتصم إلى يدعوني إلى قولهم فلم أجبه ، وجعلوا يقولون : ويحك الخليفة على رأسك ، فلم أقبل وأعدوا الضرب ثم عاد إلي فلم أجبه ، فأعدوا الضرب ثم جاء إلي الثالثة ، فدعاني فلم أعتل ما قال من شدة الضرب ، ثم أعدوا الضرب فذهب عقلي فلم أحس بالضرب وأرعبه ذلك من أمرى وأمر بي فأطلقت ولم أشعر إلا وأنا في حجرة من بيوت ، وقد أطلقت الأقياد من رجلي ، وكان ذلك في اليوم الخامس والعشرين من رمضان من سنة إحدى وعشرين ومائتين ، ثم أمر الخليفة بإطلاقه إلى أهله ، وكان جملة ما ضرب نيفاً وثلاثين سوطاً ، وقيل ثمانين سوطاً ، لكن كل ضرباً مبرحاً

شديد جداً . وقد كان الامام أحد رجلاً طويلاً رفيقاً أسمر اللون كثير التواضع رحمه الله .

أولما حل من دار الخلافه إلى دار إسحاق بن إبراهيم وهو صائم ، أتوه بسويق ليفطر من الضعف فامتنع من ذلك وأتم صومه ، وحين حضرت صلاة الظهر صلى معهم فقال له ابن معاوية القاضي : وصليت في ذلك فقال له أحمد : قد صلى عمر وجرحه يشب دماً ، فسكت . وروى أنه لما أقبل ليضرب انقطعت تكه سراوله فغشى أن يسقط سراوله فتكشف عورته فحرك شفتيه فدعا الله فماد سراوله كما كان ، وروى أنه قال : يا غيبك المستبينين ، يا إله العالمين ، إن كنت تعلم أني قائم لك بحق فلا تخلي لي عورة .

ولما رجع إلى منزله جاءه الجراحى قطع لحماً ميتاً من جسده وجعل يدأويه والنائب في كل وقت يسأل عنه ، وذلك أن المتصم ندم على ما كان منه إلى أحمد فلما كثيراً ، وجعل ينال النائب عنه والنائب يستعلم خبره ، فلما عوفي فرح المتصم والمسلون بذلك ، ولما شفاه الله بالماقية بقي مدة وإلهاماه يؤذمهما البرد ، وجعل كل من آذاه في حل إلا أهل البدعة ، وكان يتلو في ذلك قوله تعالى ( وليعلموا وليصفحوا ) الآية . ويقول : ماذا ينفعك أن يئيب أخوك المسلم بسببك ؟ وقد قال تعالى ( فمن عفا وأصلح فأجره على الله إنه لا يحب الظالمين ) وينادي المنادى يوم القيامة : « ليعلم من أجره على الله فلا يقوم إلا من عفا » وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ : ثلاث أقسم عليهن : ما نض مال من صدقة ، وما زاد الله عبداً بغو إلا عزاً ، ومن تواضع لله رضي الله عنه . وكان الذين يثبوا على الفتنه فلم ينجسوا بالكلية أربعة <sup>(١)</sup> : أحمد بن حنبل وهو رئيسهم ، ومحمد بن نوح بن ميمون الجند يسابورى ، ومات بالطريق . ونعيم بن حاد الخزازى ، وقد مات في السجن ، وأبو يعقوب البويهلى وقد مات في سجن الواثق على القول بخلق القرآن . وكان مثقلاً بالحديد . وأحمد بن نصر الخزازى وقد ذكرنا كيفية مقتله .

### ( ذكر ثناء الأئمة على الامام أحمد بن حنبل المظلم المبجل )

قال البخارى : لما ضرب أحمد بن حنبل كناً بالبصرة فسمعت أبا الوليد الطيالسى يقول : لو كان أحمد في بني إسرائيل لكان أحدوتة . وقال إسماعيل بن الخليل : لو كان أحمد في بني إسمائيل لكان نبياً . وقال المزنى : أحمد بن حنبل يوم المحنة ، وأبو بكر يوم الردة ، وعمر يوم السقيفة ، وهشام يوم الدار ، وعلى يوم الجمل وصفين . وقاله رمله : سمعت الشافعى يقول : خرجت من العراق فما تركت رجلاً أفضل ولا أعلم ولا أودع ولا أفتى من أحمد بن حنبل . وقال شيخ أحمد يحيى بن سعيد القطان : ما قدم على بشداد أحد أحب إلى من أحمد بن حنبل . وقال قتيبة : مات هفيان الثورى ومات الورع ، ومات الشافعى ومات السنن ، وموت أحمد بن حنبل وتظهر البع . وقال ابن أحمد

ابن حنبل قام في الأمة مقام النبوة . قال البيهقي - يعني في صبره على ما أصابه من الأذى في ذات الله - وقال أبو عمر بن النحاس - وذكر أحمد يوماً - فقال رحمه الله : في الدين ما كان أبصره ، وعن الدنيا ما كان أصبره ، وفي الزهد ما كان أخبره ، وبالصلحين ما كان أحقه ، وباللواطين ما كان أشبهه ، عرضت عليه الدنيا فأبأها ، والبدع ففأها . وقال بشر الحافي بعد ما ضرب أحمد بن حنبل : أدخل أحمد الكبير نجرج ذهباً آخر . وقال الميموني قال لي علي بن المديني بعد ما أمتحن أحمد وقيل قبل أن يمتحن : يا ميمون ما قام أحد في الاسلام ما قام أحمد بن حنبل . فمجتبت من هنا عجبا شديداً وذهبت إلى أبي عبيد القاسم بن سلام فحكيت له مقالة علي بن المديني فقال : صدق ، إن أبا بكر وجد يوم الردة أنصاراً وأعواناً ، وإن أحمد بن حنبل لم يكن له أنصار ولا أعوان . ثم أخذ أبو عبيد يطرئ أحمد ويقول : لست أعلم في الاسلام مثله . وقال إسحاق بن راهويه : أحمد حجة بين الله وبين عبده في أرضه . وقال علي بن المديني : إذا ابتليت بشئ فأفتاني أحمد بن حنبل لم أبال إذا لتيت ربي كيف كان . وقال أيضاً : إني اتخذت أحمد حجة فيما بيني وبين الله عز وجل ، ثم قال : ومن يقوى على ما يقوى عليه أبو عبد الله ؟ وقال يحيى بن معين : كان في أحمد بن حنبل خصال ما رأيتهما في عالم قط ، كان محدثاً ، وكان حافظاً ، وكان عالماً ، وكان ورعاً ، وكان زاهداً ، وكان عاقلاً . وقال يحيى بن معين أيضاً : أراد الناس منا أن نكون مثل أحمد بن حنبل . والله ما نقوى أن نكون مثله ولا نطيق سلوك طريقه . وقال الذهلي : اتخذت أحمد حجة فيما بيني وبين الله . وقال هلال بن المعلى الرقي : من الله على هذه الأمة بأربعة : بالشافعي فهم الأحاديث وفسرها ، وبين مجملها من مفضلها ، وانخلص والمام والناسخ والمنسوخ . وبأبي عبيد بن غريها . وبيحيى بن معين في الكتب عن الأحاديث ، وبأحمد بن حنبل ثبت في الحجة لولا هؤلاء الأربعة هلك الناس . وقال أبو بكر ابن أبي داود : أحمد بن حنبل مقم على كل من يحمل بيده قلماً ومحررة - يعني في عصره - وقال أبو بكر محمد بن محمد بن رجاء : ما رأيت مثل أحمد بن حنبل ولا رأيت من رأى مثله . وقال أبو زرعة الرازي : ما أعرف في أصحابنا أسود الرأس أقه منه . وروى البيهقي عن الحاكم عن يحيى بن محمد الصبري قال : أنشدنا أبو عبد الله البوسندي في أحمد بن حنبل رحمه الله : -

إن ابن حنبل إن سألت إيماناً • وبه الأئمة في الأمان تمسكوا  
خلف النبي محمدًا بعد الأئمة • خلفوا الخلافة بعده واستهلكوا  
حنو الشراك على الشرك وإيماناً • يحضون المثال مثله المستمسك

وقد ثبت في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال : « لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك » . وروى البيهقي عن

أبى سعيد الماللي عن ابن عدى عن أبى التماس البغوى عن أبى الربيع الزهرائى عن حماد بن زيد عن بقية بن الوليد عن ماذ بن رفاعه عن إبراهيم بن عبد الرحمن المنزى ح . قال البغوى : وحدثنى زياد بن أيوب حدثنا بشر عن ماذ عن إبراهيم بن عبد الرحمن المنزى ح . قال البغوى قال قال رسول الله ﷺ : « يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين » وهذا الحديث مرسل وإسناده فيه ضعف . والعجب أن ابن عبد البر صححه واحتج به على عدالة كل من حمل العلم ، والامام أحمد من أنه أهل العلم رحمه الله وأكرم مثواه .

﴿ ذكر ما كان من أمر الامام أحمد بعد الحنة ﴾

حين خرج من دار الخلافه صار إلى منزله فندوى حتى برأ وقه الحدة ، وكرم منزله فلا يخرج منه إلى جمعة ولا جماعة ، وامتنع من التحديث ، وكانت غلته من ملك له في كل شهر سبعة عشر درهما ينفقها على عياله ويتنعم بذلك رحمه الله صابرا محتسبا . ولم يزل كذلك مدة خلافة المنعم ، وكذلك في أيام ابنه محمد الوائى ، فلما ولى المتوكل على الله الخلافه استبشر الناس بولايته ، فانه كان محبا للسنة وأهلها ، ووضع الحنة عن الناس ، وكتب إلى الآفاق لا يتكلم أحد في القول بخلق القرآن ، ثم كتب إلى نائبه ببغداد - وهو إسحاق بن إبراهيم - أن يبعث بأحمد بن حنبل إليه ، فاستدعى إسحاق بالامام أحمد إليه فأكرمه وعظمه ، لما يعلم من إعظام الخليفة له وإجلاله إياه ، وسأله فيما بينه وبينه عن القرآن فقال له أحمد : سؤالك هذا سؤال قنعت أو استرشاد . فقال : بل سؤال استرشاد . فقال : هو كلام الله منزل غير مخلوق ، فسكن إلى قوله في ذلك ، ثم جهزه إلى الخليفة إلى سر من رأى ثم سبقه إليه . وبلغه أن أحمد اجتاز بابنه محمد بن إسحاق فلم يأت به ولم يسلم عليه ، فغضب إسحاق بن إبراهيم من ذلك وشكاه إلى الخليفة فقال المتوكل : برء ؛ إن كان قد وطئ بساطي ، فرجع الامام أحمد من الطريق إلى بغداد . وقد كان الامام أحمد كارها لحبيته إليهم ولكن لم يهن ذلك على كثير من الناس وإني لكان رجوعه عن قول إسحاق بن إبراهيم الذي كان هو السبب في ضربه . ثم إن رجلا من المبتدعة يقال له ابن البلخي وشى إلى الخليفة شيئا فقال : إن رجلا من العلويين قد أوى إلى منزل أحمد بن حنبل وهو يبايع له الناس في الباطن . فأمر الخليفة نائب بغداد أن يكبس منزل أحمد من الليل . فلم يشروا إلا والمشاغل قد أحاطت بالدار من كل جانب حتى من فوق الأسطحة ، فوجدوا الامام أحمد جالسا في داره مع عياله فسألوه عما ذكر عنه فقال : ليس عندي من هذا علم ، وليس من هذا شيء ولا هذا من نفي ، وإني لأرى طاعة أيهم المؤمنين في السر والعلانية ، وفي عسرى ويسرى ومنشطى ومكرهى ، وأثره على ، وإني لأدعو الله له بالتسديد والتوفيق ، في الليل والنهار ، في كلام كثير . ففتشوا منزله حتى مكان الكتب وبيوت النساء والأسطحة وغيرها فلم يروا شيئا . فلما بلغ

التوكل ذلك وعلم براءته مما نسب إليه علم أنهم يكذبون عليه كثيراً ، فبعث إليه يعقوب بن إبراهيم المعروف بقوصرة - وهو أحد الحجابة - بمشرة آلاف درهم من الخليفة ، وقال : هو يقرأ عليك السلام ويقول : استغفر هذه ، فامتنع من قبولها . فقال : يا أبا عبد الله إني أخشى من ردك إياها أن يقع وحشة بينك وبينه ، والمصلحة لك قبولها ، فوضعا عنه ثم ذهب فلما كان من آخر الليل استدعى أحمد أهله وبنى عمه وعياله وقال : لم أتم هذه الليلة من هذا المال ، فجلسوا وكتبوا أسماها جماعة من المحتاجين من أهل الحديث وغيرهم من أهل بغداد والبصرة ، ثم أصبح ففرقها في الناس ما بين الحسين إلى المائة والمائتين ، فلم يبق منها درهما ، وأعطى منها لأبي أيوب وأبي سعيد الأشج ، وتصدق بالكيس الذي كانت فيه ، ولم يبق منها لأهله شيئاً وهم في غاية الفقر والجهد ، وجاء بنو أمية فقال : أعطني درهما . فظفر أحمد إلى ابنه صالح فتناول صالح قطعة فأعطاها الصبي فسكت أحمد . وبلغ الخليفة أنه تصدق بالجائزة كلها حتى كيسها ، فقال علي بن الجهم : يا أمير المؤمنين إنه قد قبلها منك وتصدق بها عنك ، وماذا يصنع أحمد بالمال ؟ إنما يكفيه رغيص . فقال : صدقت .

فلما مات إسحاق بن إبراهيم وابنه محمد ولم يكن بينهما إلا القريب ، ونوى نيابة بغداد عبد الله ابن إسحاق ، كتب التوكل إليه أن يحمل إليه الامام أحمد ، فقال لأحمد في ذلك فقال : إني شيخ كبير وضعيف ، فرد الجواب على الخليفة بنك ، فأرسل يرمز عليه لتأنيبي ، وكتب إلى أحمد : إني أحب أن آذن بتركك والنظر إليك ، ويحصل لي بركة دعاك . فصار إليه الامام أحمد - وهو حليل - في بليه وبعض أهله ، فلما طرب السكر تلقاه وصيف الخادم في موكب عظيم ، فلم وصيف على الامام أحمد فرد السلام وقال له وصيف : قد أمكنك الله من عدوك ابن أبي دؤاد . فلم يرد عليه جواباً ، وجعل ابنه يدعو الله للخليفة ولوصيف . فلما وصلوا إلى السكر بسر من رأى ، أنزل أحمد في دار إيتاخ ، فلما علم بذلك ارتحل منها وأمر أن يستكرى له دار غيرها . وكان رؤس الأشراف في كل يوم يحضرون عنده ويبلغونه عن الخليفة السلام ، ولا يدخلون عليه حتى يلقون ما عليهم من الزينة والسلاح . وبث إليه الخليفة بالمفارش الوطنية وغيرها من الآلات التي تليق بنك الامار العظيمة ، وأمر أنه الخليفة أن يتم هناك ليحدث الناس عوضاً عما قطعهم منه في أيام الحنة وما يصبها من العنين المتطاوة ، واعتذر إليه بأنه حليل وأسنانه تتحرك وهو ضعيف . وكان الخليفة يبعث إليه في كل يوم جماعة فيها ألوان الأطعمة والناكهة والتلج ، مما يقاوه مائة وعشرين درهما في كل يوم ، والخليفة يغضب أنه يأكل من ذلك ، ولم يكن أحمد يأكل شيئاً من ذلك بالكليّة ، بل كان صامداً يطوى ، فكث ثمانية أيام لم يستطع بتمام ، ومع ذلك هو مريض ، ثم أقسم عليه أنه حتى شرب قليلاً من السويق بعد ثمانية أيام . وجاء عبيد الله بن يحيى بن خاقان بمال جزيل من الخليفة جائزة له فامتنع

من قبله ، فأخ عليه الأمير فلم يقبل . فأخذها الأمير ففرقها على بنيه وأهله ، وقال : إنه لا يمكن ردها على الخليفة . وكتب الخليفة لأهله وأولاده في كل شهر بأربعة آلاف درهم ، فأنفق أبو عبد الله الخليفة ، فقال الخليفة : لا بد من ذلك ، وما هذا إلا لولئك . فأبى أبو عبد الله عن مما فته ثم أخذ يلوم أهله وعه ، وقال لهم : إنما بقي لنا أيام قلائل ، وكأنا قد نزل بنا الموت ، فلما إلى جنة وإما إلى نار ، فنخرج من الدنيا ويطوفنا قد أخذت من مال هؤلاء . ففكلام طويل يظلمهم به . فاحتجوا عليه بالحديث الصحيح « ما جاءك من هذا المال وأنت غير سائل ولا مستشفع فخذ » . وأن ابن عمر وابن عباس قبيلا جوائز السلطان . فقال : وما هذا وذلك سواء ، ولو أعلم أن هذا المال أخذ من حقه وليس بظلم ولا جور لم أبال .

ولما استمر ضمه جعل المتوكل يبعث إليه بأبن ماسويه المتطلب لينظر في مرضه ، فرجع إليه فقال : يا أمير المؤمنين إن أحمد ليس به علة في بدنه ، وإنما علته من قلة الطعام وكثرة الصيام والعبادة . فسكت المتوكل ثم سألت أم الخليفة منه أن ترى الإمام أحمد ، فبعث المتوكل إليه يسأله أن يمتنع بأبنه المعتز يدعوه ، وليكن في حجره . فمتنع من ذلك ثم أجاب إليه رداً أن يجعل يرجوعه إلى أهله ببغداد . وبعث الخليفة إليه بخمسة سنية ومركوب من مراجه ، فمتنع من ركو به لأنه عليه ميثرة عمود ، فجئ ببغل لبعض التجار فركبه وجاء إلى مجلس المعتز ، وقد جلس الخليفة وأمه في ناحية في ذلك المجلس ، من وراء ستور قيق . فلما جاء أحمد قال : سلام عليكم . وجلس ولم يعلم عايه بالأمرة ، فقالت أم الخليفة : الله الله يا بني في هذا الرجل تدره إلى أهله ، فان هذا ليس ممن يريد ما أنتم فيه . وحين رأى المتوكل أحمد قال لأمه : يا أمه قد تأنت الدار . وجاء الخادم ومعه خلفة سنية مبطنة وتوب وقلنسوة وطيلسان ، فألبسها أحمد بيده ، وأحمد لا يتحرك بالكلفة . قال الإمام أحمد : ولما جلست إلى المعتز قال مؤدبه : أصلح الله الأمير هذا القى أمر الخليفة أن يكون مؤدبك . فقال : إن علفي شيئاً لمتفه ، قال أحمد : فمتجيت من ذكاه في صفه لأنه كان صغيراً جداً فخرج أحمد عنهم وهو يستغفر الله ويستمد بالله من مقته وغضبه .

ثم بعد أيام أذن له الخليفة بالانصراف وهياً له حراقة فلم يقبل أن يجدر فيها ، بل ركب في زورق فدخل بغداد محتجباً ، وأمر أن يتابع تلك الخلفة وأن يتصدق بشمها على الفقراء والمساكين . وجعل أليماً يتألم من اجتماعهم ويقول : سلت منهم طول عمرى ثم ابتليت بهم في آخره . وكان قد جاع عندم جوعاً عظيماً كثيراً حتى كاد أن يقتله الجوع . وقد قال بعض الأمراء للمتوكل : إن أحمد لا يأكل لك طعاماً ، ولا يشرب لك شراباً ، ولا يجلس على فرشك ، ويحرم ما تشربه . فقال : والله لو نشر المتصم وكلفى في أحمد ما قبلت منه . وجعلت رسل الخليفة تذهب إليه في كل يوم تستلم أخباره

وكيف حاله . وجعل يستغني في أموال ابن أبي دؤاد فلا يجيب بشئ ، ثم إن المتوكل أخرج ابن أبي دؤاد من سرمن رأى إلى بغداد بعد أن أشهد عليه نفسه ببيع ضياعه وأملكه وأخذ أمواله كلها . قال عبيد الله بن أحمد : وحين رجع أبي من سامرا وجدنا عيذيه قد دخلنا في موقبه ، وما رجعت إليه نفسه إلا بعد سنة أشهر ، وامتنع أن يدخل بيت قرابته أو يدخل بيتنا فيه أو يلتفت بشئ مما هم فيه لأجل قبولهم أموال السلطان .

وكان سفير أحمد إلى المتوكل في سنة سبع وثلاثين ومائتين ، ثم مكث إلى سنة وفاته وكل يوم إلا ويسأل عنه المتوكل ويوفد إليه في أمور يشاؤره فيها ، ويستشيره في أشياء تقع له . ولما قدم المتوكل بغداد بعث إليه ابن خاقان ومعه ألف دينار ليعرفها على من يرى ، فامتنع من قبولها وتفرقها ، وقال : إن أمير المؤمنين قد أعفاني مما أكره فردها : وكتب رجل رقة إلى المتوكل يقول : يا أمير المؤمنين إن أحمد يشتم آباءك ويرميهم بالزندقة . فكتب فيها المتوكل : أما المأمون فانه خلط فسلط الناس على نفسه ، وأما أبي المنعم فانه كان رجل حرب ولم يكن له بصير بالكلام ، وأما أخى الزواق فانه استحق ما قيل فيه . ثم أمر أن يضرب الرجل الذي رفع إليه الرقة مائتي سوط ، فأخذ عبيد الله بن إسحاق ابن إبراهيم فضربه خمسمائة سوط . فقال له الخليفة : لم ضربته خمسمائة سوط ؟ فقال : مائتين لطاعتك ومائتين لطاعة الله ، ومائة لكونه قنف هذا الشيخ الرجل الصالح أحمد بن حنبل .

وقد كتب الخليفة إلى أحمد يسأله عن القول في القرآن سؤال استرشاد واستفادة لا سؤال لعنت ولا امتحان ولا عناد . فكتب إليه أحمد رحمه الله رسالة حسنة فيها آثار عن الصحابة وغيرهم ، وأحاديث مرفوعة . وقد أوردنا ابنه صالح في المحنة التي ساقها ، وهي مروية عنه ، وقد نقلها غير واحد من الحفاظ .

( ذكر وفاة الامام أحمد بن حنبل )

قال ابنه صالح : كان مرضه في أول شهر ربيع الأول من سنة إحدى وأربعين ومائتين ، ودخلت عليه يوم الأربعاء ثاني ربيع الأول وهو محموم يتنفس الصعداء وهو ضعيف ، فقلت : يا أبت ما كان غداؤك ؟ فقال : ماء الباقلا . ثم إن صالحا ذكر كثرة جحى الناس من الأكابر وعموم الناس لميادته وكثرة حرج الناس عليه ، وكان معه خريفة فيها قطيعات ينفق على نفسه منها ، وقد أمر ولده عبيد الله أن يطالب سكان ملكه وأن يكفر عنه كفارة بين ، فأخذ شيئا من الأجرة فاشترى تمرا وكفر عن أبيه ، وفضل من ذلك ثلاثة دراهم . وكتب الامام أحمد وصيته :

( بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما أوصى به أحمد بن محمد بن حنبل ، أوصى أنه يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون . وأوصى من أطاعه من أهله وقرابته أن يعبدوا الله في العبادين ، وأن يعبدوه في



الحامدين ، وأن ينصحوا جماعة المسلمين ، وأوصى أنى قد رضىت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً ، وأوصى لعبد الله بن محمد المعروف ببوران على نحواً من خمسين ديناراً وهو مصدق فيها فيبقى ماله على من غلة الدار إن شاء الله ، فأذا استوفى أعطى وبمخالص كل ذكر وأثنى عشرة دراهم . ثم استدعى بالصبيان من ورثته فجعل يدعو لهم ، وكان قد ولد له صبي قبل موته بخمسين يوماً فمها سميداً ، وكان له ولد آخر اسمه محمد قد مشى حين مرض فدعا ، فالتزمه وقبله ثم قال : ما كنت أصنع بالولد على كبر السن ؟ فقل له : ذرية تكون بك يدعون لك . قال وذاك إن حصل . وجعل يحمد الله تعالى . وقد بلغه في مرضه عن طائوس أنه كان يكره أن يرضى فتركه الأنين فلم يبق حتى كانت الليلة التي توفي في صبيحتها آن ، وكانت ليلة الجمعة الثاني عشر من ربيع الأول من هذه السنة ، فأن حين اشتد به الوجع . وقد روى عن ابنه عبد الله وهو يروى عن صالح أيضاً أنه قال : حين احتضر أبى جعل يكثر أن يقول : لا بئد ، لا بئد ، فقلت : يا أبة ما هذه القفلة التي تليج بها في هذه الساعة ؟ فقال : يا بني إن إبليس واقف في زواية البيت وهو عاض على أصبعه وهو يقول : فنى يا أحمد ؟ فأقول لا بئد لا بئد - يعنى لا يقوته حتى تخرج نفسه من جسده على التوحيد - كما جاء في بعض الأحاديث قال إبليس : يارب وعزتك - جلالتك ما أزال أغويهم ما دامت أرواحهم في أجسادهم . فقال الله : وعزتى وجلالى ولا أزال أغفر لهم ما استغفرونى .

وأحسن ما كن من أمره أنه أشار إلى أهله أن يوضؤوا فجعلوا يوضؤونه وهو يشير إليهم أن خللوا أصابعهم وهو يذكر الله عز وجل في جميع ذلك ، فلما أكلوا وضؤوه توفى رحمه الله ورضى عنه . وقد كانت وفاته يوم الجمعة حين مضى منه نحو من ساعتين ، فاجتمع الناس في الشوارع وبث محمد بن طاهر حاجبه ومعه غلمان ومعهم مناديل فيها أكفان ، وأرسل يقول : هذا نياية عن الخليفة ، فانه لو كان حاضراً لبث بهذا . فأرسل أولاده يقولون : إن أمير المؤمنين كان قد أعفاه في حياته مما يكره وأبوا أن يكتفوه بذلك الأكفان ، وأنى بثوب كان قد غزلته جاريته فكتموه واشتروا معه عوز لفافة وحنوطاً واشتروا له راوية ماء وامتنعوا أن يسلوه ماء بيوتهم ، لأنه كان قد هجر بيوتهم فلا يأكل منها ولا يستعير من أمتعتهم شيئاً ، وكان لا يزال منتصباً عليهم لأنهم كانوا يتناولون ما رتب لهم على بيت المال ، وهو في كل شهر أربعة آلاف درهم . وكان لهم عيال كثيرة وهم فقراء . وحضر غسله نحو من مائة من بيت الخلافة من بني هاشم ، فجعلوا يقبلون بين عبيده ويدعون له ويترحمون عليه رحمه الله . وخرج الناس بنمته وانغلثوا حوله من الرجال والنساء ما لم يعلم عددهم إلا الله ، وثائب البلد محمد بن عبد الله بن طاهر واقف في جملة الناس ، ثم تقدم فزى أولاد الإمام أحمد فيه ، وكان هو الذى أم الناس في الصلاة عليه ، وقد أعاد جماعة الصلاة عليه عند القبر وعلى القبر بعد أن دفن من أجل

ذلك ، ولم يستقر في قبره رحمه الله إلا بعد صلاة العصر وفك لكثرة الخلق .

وقد روى البيهقي وغير واحد أن الأمير محمد بن طاهر أمر بحجر الناس فوجدوا ألف ألف وثلاثمائة ألف ، وفي رواية وسبعمائة ألف سوى من كان في السفن . وقال ابن أبي حاتم : سمعت أبا زرعة يقول بلغني أن المتوكل أمر أن يحسح الموضوع الذي وقف الناس فيه حيث صلوا على الإمام أحمد بن حنبل فبلغ مقاسه ألفي ألف وخمسمائة ألف . قال البيهقي عن الحاكم سمعت أبا بكر أحمد بن كامل القاضي يقول : سمعت محمد بن يحيى الزنجباني سمعت عبد الوهاب الوراق يقول : ما بلغنا أن جماعاً في الجاهلية ولا في الإسلام اجتمعوا في جنازة أكثر من الجمع الذي اجتمع على جنازة أحمد بن حنبل . قال عبد الرحمن بن أبي حاتم سمعت أبي يقول حدثني محمد بن العباس المكي سمعت الوراق يقول : جلوس أحمد بن حنبل - قال : أسلم يوم مات أحمد مشرّون ألفاً من اليهود والنصارى والمجوس ، وفي بعض النسخ أسلم عشرة آلاف بدل عشرين ألفاً رحمه الله أعلم .

وقال الهارثي : سمعت أبا سهل بن زياد سمعت عبد الله بن أحمد يقول سمعت أبي يقول : قولوا لاهل البدع بيننا وبينكم الجنائز حين تمر . وقد صدق الله قول أحمد في هذا ، فإنه كان إمام السنة في زمانه ، وعيون مخالفيه أحمد بن أبي دؤاد وهو قاضي قضاة الدنيا لم يحتفل أحد بموته ، ولم يلفت إليه . ولما مات ما شيعه إلا قليل من أعوان السلطان . وكذلك الحارث بن أسد المحاسبي مع زعمه وزعمه وتغيره ومحاسن نفسه في خطراته وحركاته ، لم يصل عليه إلا ثلاثة أو أربعة من الناس . وكذلك بشر بن غياث المريسي لم يصل عليه إلا طائفة يسيرة جداً ، فله الأمر من قبل ومن بعد . وقد روى البيهقي عن حجاج بن محمد الشاعر أنه قال : ما كنت أحب أن أقتل في سبيل الله ولم أصل على الإمام أحمد . وروى عن رجل من أهل العلم أنه قال يوم دفن أحمد : دفن اليوم صادم خمسة ، وهم أبو بكر ، وعمر ، وعثمان وعلي وعمر بن عبد العزيز وأحمد . وكان عمره يوم مات سبعاً وسبعين سنة وأياماً أقل من شهر رحمه الله تعالى .

( ذكر ما رآه من المنازل الصالحة وما رأى هو لنفسه )

وقد صح في الحديث : « لم يبق من النبوة إلا المبشرات » . وفي رواية « إلا الرؤيا الصالحة يراها المؤمن أو ترى له » . وروى البيهقي عن الحاكم سمعت علي بن محشاد سمعت جعفر بن محمد بن الحسين سمعت سلمة بن شبيب يقول : كنا عند أحمد بن حنبل وجاءه شيخ ومعه عكازة فلم وجلس فقال : من منكم أحمد بن حنبل ؟ فقال أحمد : أنا ما حاجتك ؟ فقال ضربت إليك من أربعمائة فرسخ ، أريت الخضر في المنام فقال لي : سر إلى أحمد بن حنبل وسل عنه وقل له : إن ساكن العرش والملائكة راضون بما صبرت فبكك الله عز وجل . ومن أبي عبد الله محمد بن خزيمة الأسكندراني . قال : لما

مات أحمد بن حنبل اغتصمت غما شديداً فرأيت في المنام وهو يتبختر في مشيته قلت له : يا أبا  
 عبد الله أي مشية هذه ؟ قال : مشية الخدام في دار السلام . قلت : ما فعل الله بك ؟ قال : غفر لي  
 وتوحي وأبلى نعلي من ذهب ، وقال لي : يا أحمد هذا يقولك القرآن كلامي ، ثم قال لي : يا أحمد  
 ادعني بنك الدعوات التي بليتك عن سفين الثوري وكنت تدعوهم في دار الدنيا ، قلت :  
 يا رب كل شيء ، بقدرتك على كل شيء اغفر لي كل شيء حتى لا تسألني عن شيء . قال لي : يا أحمد  
 هذه الجنة قم فادخلها . فدخلت فإذا أنا بسفين الثوري وله جناحان أخضران يطير بهما من نخلة إلى  
 نخلة ، ومن شجرة إلى شجرة ، وهو يقول ( الحمد لله الذي أوزعنا الأرض تقبوا من الجنة حيث  
 نشاء فقم أجمع المعلن ) . قال قلت له : ما فعل بشر الحافي ؟ قال يخج ، ومن مثل بشر ؟ تركته  
 بين يدي الجليل وبين يديه مائدة من الطعام ، الجليل مقبل عليه وهو يقول : كل يا من لم يأكل ،  
 واشرب يا من لم يشرب ، وانعم يا من لم ينعم ، أو كما قال . وقال أبو محمد بن أبي حاتم عن محمد بن مسلم  
 ابن وارة قال : لما مات أبو زرعة رأيت في المنام قلت له : ما فعل الله بك ؟ قال قال الجبار : الحفوة  
 بأبي عبد الله وأبي عبد الله وأبي عبد الله ، مالك والشافي وأحمد بن حنبل . وقال أحمد بن غزاد  
 الاطلسي : رأيت في المنام كأن القيامة قد قامت وقد برز الرب جل جلاله ، لفصل القضاء ، وكان  
 متحيا ينادي من تحت العرش : أدخلوا أبا عبد الله وأبا عبد الله وأبا عبد الله الجنة . قال  
 قلت لمك إلى جهنم : من هؤلاء ؟ قال : مالك ، والثوري ، والشافي وأحمد بن حنبل . وروى  
 أبو بكر بن أبي خيثمة عن يحيى بن أيوب المقدسي قال : رأيت رسول الله ﷺ في النوم وهو قائم  
 وعليه ثوب منقوش به وأحمد بن حنبل ويحيى بن معين يذيان عنه . وقد تقدم في ترجمة أحمد بن أبي  
 دؤاد عن يحيى الجلاء أنه رأى كأن أحمد بن حنبل في حلقة بالمسجد الجامع وأحمد بن أبي دؤاد في حلقة  
 أخرى وكان رسول الله ﷺ واقف بين الحلقةين وهو يتلو هذه الآية ( من يكفر بها هؤلاء ) ويشير  
 إلى حلقة ابن أبي دؤاد ( قد وكلنا بها قوماً ليسوا بها بكافرين ) ويشير إلى أحمد بن حنبل وأصحابه

( ثم دخلت سنة ثنتين وأربعين ومائتين )

فيها كانت زلازل حالمة في البلاد ، فنها ما كلن بمدينة قوس ، تهدمت منها دور كثيرة ، ومات  
 من أهلها نحو من خمسة وأربعين ألفاً وستة وتسعين نفساً . وكانت باليمن وخراسان وخراسان وخراسان  
 وغيرها من البلاد زلازل منكرة . وفيها أغلوت الروم على بلاد الجزيرة فانهبوا شيئاً كثيراً وأسروا  
 نحواً من عشرة آلاف من أقداري . قال الله وإنا إليه راجعون . وفيها حج بالناس عبد الصمد بن  
 موسى بن إبراهيم الأملم بن محمد بن علي نائب مكة .

وفيها توفي من الأعيان الحسن بن علي بن الجعد فاضى مدينة المنصور .

## ﴿ وأبو حسان الزيادي ﴾

قاضى الشريعة ، واسمه الحسن بن عثمان بن حماد بن حسان بن عبد الرحمن بن يزيد البغدادي ،  
 سمع الوليد بن مسلم ، ووكيع بن الجراح ، والواقدي ، وخلفاء سواهم . وعنه أبو بكر بن أبي الياوعلي  
 ابن عبد الله الفرغاني الحافظ المعروف بـ « بطلان » ، وجماعة . ترجمه ابن عساكر في تاريخه . قال : وليس  
 هو من سلالة زياد بن أبيه ، إنما تزوج بعض أجداده بأم ولد لزياد ، فقبل له الزيادي . ثم أورد من  
 حديثه بسنده عن جابر « الحلال بين والحرام بين » . الحديث . وروى عن الخطيب أنه قال :  
 كان من العلماء الأفاضل من أهل المعرفة والثقة والأمانة : فولى قضاء الشريعة في خلافة المتوكل ، وله  
 تاريخ على السنين ، وله حديث كثير . يقال غيره : كان صالحا دينيا قد عمل الكتب ، وكانت له  
 معرفة جيدة بأهل الناس ، وله تاريخ حسن ، وكان كريما فضالا . وقد ذكر ابن عساكر عنه أتياء  
 حسنة ، منها أنه أخذ إليه بعض أصحابه يذكر له أنه قد أصابته ضائقة في عيد من الأعياد ، ولم يكن  
 عنده غير مائة دينار ، فأرسلها بعصرتها إليه ، ثم سأل ذلك الرجل صاحب له أيضا وشككا إليه متفلا  
 شككا إلى الزيادي ، فأرسل بها الآخر إلى ذلك الآخر . وكتب أبو حسان إلى ذلك الرجل الأخير  
 الذي وصلت إليه أخيرا يستقرض منه شيئا وهو لا يشعر بالأمر ، فأرسل إليه بمائة في صرتها ، فلما  
 رأها تعجب من أمرها ودكب إليه يسأله عن ذلك فذكر أن فلانا أرسلها إليه ، فاجتمعوا الثلاثة  
 وانقسموا المائة الدينار رحمهم الله وجزاهم عن مردتهم خيرا .

وفيهما توفي أبو مصعب الزهري أحد رواة الموطأ عن مالك ، وعبد الله بن ذكران أحد القراء  
 المشاهير . ومحمد بن أسلم الطوسي . ومحمد بن ربيع . ومحمد بن عبد الله بن عمار الموصلي أحد أئمة  
 الجرح والتعديل . والقاضي يحيى بن أكرم .

## ﴿ ثم دخلت سنة ثلاث وأربعين ومائتين ﴾

في ذي القعدة منها توجه المتوكل على الله من الرقاق قاصداً مدينة دمشق ليجعلها له دار إقامة  
 وحمل إمامة فأدركه عيد الأضحى بها ، وتأسف أهل الرقاق على ذهاب الخليفة من بين أظهرهم ، فقال  
 في ذلك يزيد بن محمد المهلب :

أظن الشام تشمت بالراق • إذ أعزم الامام على انطلاق

فان يدع الرقاق وساكنيها • قد تبلى الملبعة بالطلاق

وحج بالناس فيها الذي حج بهم في التي قبلها وهو نائب مكة .

وفيهما توفي من الأعيان كما قال ابن جرير :

## ﴿ إبراهيم بن العباس ﴾

متولى ديوان الضياع . قلت : هو إبراهيم بن العباس بن محمد بن مولى الصولي الشاعر الكاتب ،

وهو عم محمد بن يحيى الصول ، وكان جده صول بكر ملك جرجان وكان أصله منها ، ثم تمجس ثم أسلم على يدى يزيد بن المهلب بن أبى صفرة ، ولا إبراهيم هذا دواو سمر ذكره ابن خلكان واستجاد من شره أشياء منها قوله :

ولرب نازلة يضيق بها الفتى • فذروا وعند الله منها مخرج  
ضالقت فلما استحكمت حلقاتها • فرجت وكنت أظنها لا تفرج  
ومنها قوله : كنت السواد لقلقى • فبكى عليك الناظر  
من شاه بمدك فليت • فليك كنت أخضر

ومن ذلك ما كتب به إلى وزير المنعم محمد بن عبد الملك بن الزيت :

وكنت أنى باخاء الزمان • فلما نى صرت حرباً عوانا  
وكنت أذم إليك الزمان • فأصبحت منك أذم الزمان  
وكنت أمدك لتأبى • فها أنا أطلب منك الأمانا

وله أيضاً : لا يمنحك خفض الميش في دعة • نزوع فنى إلى أهل وأوطان  
تلقى بكل بلاد إن حلت بها • أحلا بأهل وأوطاناً بأوطان

كانت وفاته بمنصف شعبان من هذه السنة . بسر من رأى . والحسن بن محمد بن الجراح خليفة لإبراهيم بن شعبان . قال : ومات هاشم بن فيجور في ذى الحجة .

قلت : وفيها توفي أحمد بن سعيد الرباطى . والحارث بن أسد المحاسى . أحد أئمة الصوفية . وحرمة ابن يحيى التجيبى صاحب الشافى . وعبد الله بن معاوية الجمعى . ومحمد بن عمر العدنى . وهارون ابن عبد الله الحامى . وهناد بن السرى .

( ثم دخلت سنة أربع وأربعين ومائتين )

في صفر منها دخل الخليفة المتوكل إلى مدينة دمشق في أجرة الخلافة وكان يوماً مشهوداً ، وكان عازماً على الإقامة بها ، وأمر بنقل دواوين الملك إليها ، وأمر ببناء القصور بها فبليت بطريق داريا ، فأقام بها مدة ، ثم إنه استوحشا ورأى أن هواها بارد ندى وماءها ثقيل بالنسبة إلى هواه العراق ومائه ، ورأى الهواء بها يتحرك من بعد الزوال في زمن الصيف ، فلا يزال في اشتداد وغياب إلى قريب من ثلث الليل ، ورأى كثرة البراغيث بها ، ودخل عليه فصل الشتاء فرأى من كثرة الأمطار والثلوج أمراً عجيباً ، وغلت الأسعار وهو بها لكثرة الخلق الذين معه ، واقطعت الأجلا ب بسبب كثرة الأمطار والثلوج ، فغضب منها ثم جهز بنا إلى بلاد الروم ، ثم رجع من آخر السنة إلى سائرا بعد ما أقام بدمشق شهرين وعشرة أيام ، فخرج به أهل بغداد فرحاً شديداً . وفيها أتى المتوكل بالحرمة

التي كانت تحمل بين يدي رسول الله ﷺ فخرج بها فرحاً شديداً ، وقد كانت تحمل بين يدي رسول الله ﷺ يوم العيد وغيره ، وقد كانت تحمل فرحبها ليزير بن الحوام ، فوجها الزبير النبي ﷺ ، ثم إن المتوكل أمر صاحب الشرطة أن يحملها بين يديه كما كانت تحمل بين يدي رسول الله ﷺ . وفيها غضب المتوكل على الطبيب بمقتضوع وغناه وأخذ ماله . وحج بالناس فيها عبد الصمد المتقدم ذكره قبلها . واتفق في هذه السنة يوم عيد الأنبياء وخمس فطر اليهود وشمايين النصراني وهذا عجيب غريب .

وفيها توفي أحمد بن منيع . وإسحاق بن موسى النخعي . وخدي بن مسعدة . وعبد الحميد بن سنان . وعلى بن حجر . والوزير محمد بن عبد الملك الزيتي . ومطرف بن السكيت صاحب إصلاح المنطق . ( ثم دخلت سنة خمس وأربعين ومائتين )

فيها أمر المتوكل ببناء مدينة الماحوزة وحفر نهرها ، فيقال إنه اتفق على بنائها وبناء قصر الخلافة بها الذي يقال له « القلعة » أنى ألف فيل . وفيها وقعت زلازل كثيرة في بلاد شتى ، فمن ذلك مدينة إظاكية سقط فيها ألف وخمسمائة دار ، وأنهدم من سورها نيف وتسعون برجاً ، وصحبت من كرى دورها أصوات مزججة جداً فخرجوا من منازلهم سراخاً يهرعون ، وسقط الجبل الذي إلى جانبها الذي يقال له الاقرع فسلخ في البحر ، فهاج البحر عند ذلك وارتفع دخل أسود مظلم متين ، وغرغر على فرسخ منها فلا يدري أين ذهب . ذكر أبو جعفر بن جرير قال : وجمع فيها أهل تنيس ضجة دائمة طرقة مات منها خلق كثير . قال : وزلزل فيها الرها والزقة وحران ورأس العين وحمص ودمشق وطرسوس والمصيصة ، وأذنة وسواحل الشام ، ورجعت اللاذقية بأهلها فابقي منها منزل إلا أنهم ، وما بقي من أهلها إلا اليسير ، وذهبت جيلة بأهلها . وفيها غارت ممشى - عين - مكة حتى بلغ نحو القربة بمكة ثمانين دوهاً . ثم أرسل المتوكل فأتفق عليها ملا جزيل حتى خرجت . وفيها مات إسحاق بن أبي إسرائيل وسوار بن عبد الله النخعي . وغلغل الرازي .

وفيها هلك ( نجاك بن سلة ) وقد كان على ديوان التوقيع . وقد كان خطيباً عند المتوكل ، ثم جرت له حكاية أفضت به إلى أن أخذ المتوكل أمواله وأملاكه وحواصله ، وقد أورد قصته ابن جرير مطولة . وفيها توفي أحمد بن عيسى الحنفي ، ونحو الحنيس القواس مرقى مكة ، وأحمد بن نصر التنيسيري . وإسحاق بن أبي إسرائيل وهو إسماعيل بن موسى ابن بنت السدي . وهو التون المصري ، وعبد الرحمن بن إبراهيم دميم ، ومحمد بن رافع ، وشلم بن عمار ، وأبو تراب التنخشي .

( وابن الراوندي )

الزنديق ، وهو أحمد بن يحيى بن إسحاق أبو الحسين بن الراوندي ، نسبة إلى قرية ببلاد هاتلان

ثم نشأ ببغداد ، كان بها يصنف الكتب في الزندقة ، وكانت لديه فضيلة ، ولكنه استعملها فيما يضره ولا ينفعه في الدنيا ولا في الآخرة . وقد ذكرناه ترجمة مطولة حسب ما ذكرها ابن الجوزي في سنة ثمان وتسعين ومائتين وإثنا ذكرناه عنها لأن ابن خلكان ذكر أنه توفي في هذه السنة ، وقد تلبس عليه ولم يخرج به بل مدحه قتال : هو أبو الحسين أحمد بن إسحاق الراوندي العالم المشهور ، له ثقة في علم الكلام ، وكان من الفضلاء في عصره ، وله من الكتب المصنفة نحو من مائة وأربعة عشرة كتاباً منها فضيحة المنزلة ، وكتاب الناج ، وكتاب الزمردة ، وكتاب القصب ، وغير ذلك . وله مجلس ومحاضرات مع جماعة من علماء الكلام ، وقد اختلف بمذاهب نقلها عنه أهل الكلام . توفي سنة خمس وأربعين ومائتين ، برهة مالك بن طوق التلمذي ، وقيل ببغداد . نقلت ذلك من ابن خلكان بحرفه وهو غلط . وإثنا أرخ ابن الجوزي وفاته في سنة ثمان وتسعين ومائتين كما سيأتي له هناك ترجمة مطولة .

#### ﴿ فوالنون المصري ﴾

توفيق بن إبراهيم ، وقيل ابن النقيض بن إبراهيم ، أبو الفيض المصري أحد المشايخ المشهورين ، وقد ترجمه ابن خلكان في الوفيات ، وذكر شيئاً من فضائله وأحواله ، وأرخ وفاته في هذه السنة ، وقيل في التي بعدها ، وقيل في سنة ثمان وأربعين ومائتين فافقه أعلم . وهو مسدود في جملة من روى الموطأ عن مالك . وذكر ابن بونس في تاريخ مصر ، قال : كان أبوه نوبياً ، وقيل إنه كان من أهل اخميم ، وكان حكماً فصيهاً ، قيل وسئل عن سبب توبته فذكر أنه رأى قبره عمياء نزلت من وكرها فاشتقت لها الأرض عن سكرجنين من ذهب وفضة في إحداهما سمسم وفي الأخرى ماء ، فأكلت من هذه وشربت من هذه . وقد شكى عليه مرة إلى المتوكل فأحضره من مصر إلى العراق ، فلما دخل عليه وعظه فأبى بكاءه ، فودعه مكروماً . فكان بعد ذلك إذا ذكر عند المتوكل يثني عليه

#### ﴿ ثم دخلت سنة ست وأربعين ومائتين ﴾

في يوم الثلاثاء منها دخل المتوكل الماحوزة فنزل بقصر الخلافة فيها ، واستدعى بالقراء ثم بالطربين وأعطى وأطلق ، وكان يوماً مشهوداً ، وفي سفر منها وقع الفداء بين السليبين والروم ، فهدى من السليبين نحو من أربعة آلاف أسير . وفي شبيل منها أمطرت بتنداد مطراً عظيماً استمر نحواً من أحد وعشرين يوماً ، ووقع بأرض بلخ مطر ماؤه دم عبيط . وفيها حج بالناس محمد بن سليمان الزنبي ، ورجع فيها من الاعيان محمد بن عبد الله بن طاهر وولي أمر الموسم . ومن توفي فيها من الأعيان أحمد بن إبراهيم الدورقي . والحسين بن أبي الحسن المروزي . وأبو عمرو الدورقي . أحد القراء المشاهير . ومحمد بن مصفى الحمصي .

## ﴿ردعبل بن علي﴾

ابن رزين بن سليمان الخزاعي ، مولاهم الشاعر الماجن البليغ في المسح ، وفي المجاه أ كثر .  
 حضر يوماً عند سهل بن هارون الكاتب وكان يجلس ، فاستدعى بقدائه فإذا ذبك في قصعة ، وإذا  
 هو قاس لا يقطع له سكين إلا بشدة ، ولا يسلم فيه ضرر . فلما حضري بين يديه قد رأسه فقال لأطبايح  
 وبلك ، ماذا صنعت ؟ أين رأسه ، قال : نلتفت أنك لا تأكله فألقيته ، فقال : وبحك ، والله إني  
 لأعيب على من يلقي الرجلين فكيف بالرأس ، وفيه الحواس الأربع ، ومنه يصوت وبه ، بفضل  
 صفيه وبهما يضرب المثل ، وهرقه وبه يتبرك ، وعظمه أهى العظام ، فان كنت رغبته عن أكله  
 فأحضره . قال : لا أدري أين هو ؟ قال : بل أنا أدري ، هو في بطنك فانك لله . فجهاد بأبيات  
 ذكر فيها بخله ومسكه .

## ﴿أحمد بن أبي الحواري﴾

واسمه <sup>(١)</sup> عبد الله بن ميمون بن عياش بن الحارث أبو الحسن التتلي النضائي ، أحد العلماء الزهاد  
 المشهورين ، والعباد المذكورين ، والفقهاء المشكورين ، ذوى الأحوال الصالحة ، والكرامات  
 الواضحة ، أصله من الكوفة وسكن دمشق وخرج بأبي سليمان الهاراني رحمة الله . وروى الحديث  
 عن صفيان بن عيينة ووكيع وأبي أسامة وخلق . ومنه أبو داود وابن ماجه وأبو حاتم وأبو زرعة  
 الفهشي ، وأبو زرعة الرازي وخلق كثير . وقد ذكره أبو حاتم ثانياً عليه . وقال يحيى بن معين :  
 إني لأظن أن الله يسق أهل الشام به . وكان الجنيد بن محمد يقول : هو ربحانة الشام .

وروى ابن عساکر أنه كان قد عاهد أبا سليمان الهاراني ألا ينضبه ولا يخالفه ، فجاءه يوماً وهو  
 يحدث الناس فقال : يا سيدي هنا قد سجد التنور فإذا تأمر ؟ فلم يرد عليه أبو سليمان ، لشغله  
 بالناس ، ثم أعادها أحد ثانية ، وقال له في الثالثة : اذهب فاقصد فيه . ثم اشتغل أبو سليمان في حديث  
 الناس ثم استفاق فقال لمن حضره : إني قلت لأحمد : اذهب فاقصد في التنور ، وإني أحسب أن  
 يكون قد فعل ذلك ، فقوموا بنا إليه . فذهبوا فوجدوه جالساً في التنور ولم يمتزق منه شيء ولا شدة  
 واحدة . وروى أيضاً أن أحمد بن أبي الحواري أصبح ذات يوم وقد ولده ولداً يملك شيئاً يصلح  
 به الولد ، فقال لطلعه : اذهب فاستند لنا وزنة من دقيق ، فبينما هو في ذلك إذ جاءه رجل بماتق  
 حرم فوضها بين يديه ، ففسخ عليه رجل في تلك الساعة قال : يا أحمد إنه قد ولد لي ابنة ولد  
 ولا أمك شيئاً ، فرفع طرفه إلى السماء وقال : يا مولاي حكك بالحق . ثم قال الرجل : خذ هذه  
 الدرهم ، فأعطاه إياها كلها ، ولم يبق منها شيئاً ، واستند لأخيه دقيقاً . وروى عنه مخرجه أنه خرج  
 للتنز لأجل الرباط فما زالت الهدايا تزد إليه من بكرة الليل إلى الزوال . ثم فرغها كلها إلى وقت



الغروب ثم قال لي : كن حكماً لا تزد على الله شيئاً ، ولا تنقص عنه شيئاً .

ولما جاءت الحنة في زمن المؤمنين إلى دمشق بخلق القرآن عين فيها أحد بن أبي الحواري وهشلم ابن حمار ، وسليمان بن عبد الرحمن ، وعبد الله بن ذكران ، فكلهم أجابوا إلا ابن أبي الحواري فغضب بشار الحمارة ، ثم همد فأجاب تورية مكرها ، ثم أطلق رحمه الله . وقد قام ليلة بالنفر يكرر هذه الآية ( ليك نصيب و ليك نستعين ) حتى أصبح . وقد ألقى كتبه في البحر وقال : نعم الدليل كنت لي على الله وإليه . ولكن الاشتغال بالدليل بهد معرفة المدلول عليه والوصول إليه محال . ومن كلامه لا دليل على الله قوله ، وإنما يطلب العلم لا دأب الخمسة . وقال : من عرف الدنيا زهد فيها ، ومن عرف الآخرة رغب فيها ، ومن عرف الله أتر راضه . وقال : من نظر إلى الدنيا نظر إرادة وحب لما أخرج الله نور اليقين والزهدي من قلبه . وقال : قلت لأبي سليمان في ابتداء امرئ : أوصني ، فقال : انقوص أنت ؟ قلت نعم إن شاء الله تعالى . فقال : خلف نفسك في كل مراداتها فانها الأمانة بالسوء ، و ليك أن تحضر إخوانك المسلمين ، واجعل طاعة الله ذكراً ، وانظف منه شعراً ، والاخلاص له زاداً ، والصدق حسنة ، واقتل متى هذه الكلمة الواحدة ولا تفارقها ولا تغفل عنها : من استحي من الله في كل أوقاته وأحواله وأفعاله ، بلغه الله إلى مقام الأولياء من عباده . قال فجعلت هذه الكلمات أمامي في كل وقت أذكرها وأطالب نفسي بها . والصحيح أنه توفي في هذه السنة ، وقيل في سنة ثلاثين ومائتين ، وقيل غير ذلك فأنه أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة سبع وأربعين ومائتين ﴾

في شوال منها كان مقتل الخليفة المتوكل على الله على يد والده المنتصر ، وكان سبب ذلك أنه أمر ابنه عبد الله المنذر الذي هو ولي العهد من بعده أن يحط بالناس في يوم جمعة ، فأذاها أداء عظمائها بليتها ، فبلغ ذلك من المنتصر كل مبلغ ، وحنق على أبيه وأخيه ، فأحضره أبوه وأهانه وأمر بضربه في رأسه وصفه ، وصرح لفرزه عن ولاية العهد من بعده أخيه ، فاشتد أيضاً حنقه أكثر مما كان . فلما كان يوم عيد انظر خطب المتوكل بالناس وعنده بعض ضعف من علة به ، ثم عدل إلى خيل قد ضربت له أربعة أميال في مثله ، فنزل هناك ثم استدعى في يوم ثالث شوال بنديته على عادته في معمره وحضرته وشر به ، ثم تعالاً وله المنتصر وجماعة من الأمراء على الفتك به فدخلوا عليه ليلة الأربعاء لأربع خلون من شوال ، ويقال من شعبان من هذه السنة ، وهو على السباط فابتدروا بالسيف فقتلوه ثم ولوا بعده والده المنتصر .

﴿ وهذه ترجمة المتوكل على الله ﴾

جسر بن المنصور بن محمد المهدي بن المتصور العباسي ، وأم المتوكل أم ولد يقال لها

شجاع ، وكانت من سرورات النساء صنعا وحزما . كان مولده يوم الصلح سنة سبع ومائتين ، وبيع له بثلاثة بدين أخيه الوائق في يوم الأربعاء لست بقوته من ذى الحجة لسنة ثنتين وثلاثين ومائتين . وقد روى الخطيب من طريقه عن يحيى بن أكرم عن محمد بن عبد الوهلب عن صفيان عن الأعمش عن دوى بن عبد الله بن يزيد عن عبد الرحمن بن حلال عن جرير بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من حرم الرقيق حرم الخير » . ثم أنشأ المتوكل يقول :

الرقيق بين والائمة سادة • فاستنق في رقيق نكاحها  
لا خير في حرم بنهر روية • ولشك ومن إن أردت سراها

وقال ابن عساكر في تاريخه : حدث عن أبيه المنصور ويحيى بن أكرم القناني . وروى عنه علي ابن الجهم الشاعر ، وهشام بن عمار الحمصي ، وقصم المتوكل دمشق في خلافته وبنى بها قصراً بأرض داريا . وقال يوماً لبعضهم : إن الخفافاء تنفض على الرعية تطييباً ، وإلى أين لهم ليطيبن ويطيبن . وقال أحمد بن مروان المالكي : فما أحمد بن علي البصري قال : وجه المتوكل إلى أحمد بن المسفل وغيره من العلماء فيسبهم في داره ثم خرج عليهم فقام الناس كلهم إليه إلا أحمد بن المسفل . فقال المتوكل لبيد الله : إن هذا لا يرى يميناً ؟ قال : يا أمير المؤمنين لي ! ولكن في بصره سوء . قال أحمد بن المسفل : يا أمير المؤمنين ما في بصرى سوء . ولكن زهتك من منقلب الله . قال النبي ﷺ : « من أحب أن يمتثل له الرجال قياماً طيبوا مقدمه من النار » . فجاء المتوكل يجلس إلى جنبه . وروى الخطيب أن علي بن الجهم دخل على المتوكل وفي يده درقان يلقبهما فأنتسده قصيدته التي يقول فيها : —

وإذا مرت بيثيرة فاستنق من ملثها

فأعطاه التي في يمينه وكانت تسلوى مائة ألف . ثم أنتسده :

بسر من رأى أمير • قفوف من بحره البحر  
يرجى ويخشى لكل خطب • كأنه جنة وقار  
الملك فيه وفي بنيه • ما اختلف الليل والنهار  
يداه في الجود ضربان • عليه كلناهما تقار  
لم تأت منه العيين شيئاً • إلا أنت مثله اليسر

قال : فأعطاه التي في يساره أيضاً . قال الخطيب : وقد رويت هذه الأبيات لعل بن هارون البحرى في المتوكل . وروى ابن عساكر عن علي بن الجهم قال : وقت فتحة حظية المتوكل بين يديه وقد كتبت على خدعها بالنالبة جعفر فأنزل ذلك ثم أنشأ يقول :

وكاتبه في الخلد بالسك جفراً • بنفسى تحط المسك من حيث أنزا  
 لئن أودعت سطرًا من المسك نبحا • قد أودعت قلبي من الحب اسطرًا  
 فيامن منها في السريرة جفر • سقا الله من سقيا تنياك جفرا  
 ولهن لسلك بك يمينه • مطيع له فيما أسر وأظنرا  
 قال ثم أمر التوكل عرابا فغنت به . وقال الفتح بن خنظن : دخلت يوماً على التوكل فاذا هو مطرقه  
 منك قلت : يا أمير المؤمنين مالك مفكر ؟ فوالله ما على الأبيض أطيب منك عيشاً ، ولا أقم منك  
 بلا . قال : بل أطيب مني عيشاً رجل له دار واسعة وزوجة سالمة وميشة حاضرة ، لا يبرغنا فتؤذيه ،  
 ولا يحتاج إلينا فقذريه . وكان التوكل حياً إلى رعيته قائماً في نصرة أهل السنة ، وقد شبهه بعضهم  
 بالصديق في قتله أهل الردة ، لأنه نصر الحق وردّه عليهم حتى رجعوا إلى الدين . وبمر بن  
 عبد العزيز حين رد مظالم بني أمية . وقد أظهر السنة بعد البيعة ، وأخذ أهل البيع وبعدهم بعد  
 انقشارها واشتهلها فرح الله . وقد رآه بعضهم في المنام بعد موته وهو جالس في نور قال قلت :  
 التوكل ؟ قال : التوكل . قلت : فما فعل بك ربك ؟ قال : غفر لي . قلت : بماذا ؟ قال : بقليل من  
 السنة أحيينها . وروى الخطيب عن صالح بن محمد أنه رأى في منامه ليلة مات التوكل كأن رجلاً  
 يصعد به إلى السماء وكان يقول :

مالك يقاد إلى ملك ملول • متفضل في المنول ليس يجائر

وروى عن عمرو بن شيان الحلبي قال : رأيت ليلة التوكل قال يقول : —

يا ظم العين في أوطان جنان • أنفى دموعك يا عمرو بن شيان

فما ترى الفنة الأرجاس ما ضلوا • بالمأثمى والفتوح بن خنظن

وإني إلى الله مظلوماً فضج له • أهل السموات من مثني وحمدن

وسوف يأتيكم من بعده قتن • توقروها لها شأن من الشان

فابكوا على جبر وابكوا خليفكم • قد بكه جميع الأنس والجان

قال : فلما أصبحت أخرجت الناس برؤياي فجاءني التوكل أنه قد قتل في تلك الليلة ، قال ثم  
 رأيته بعد هذا بشهر وهو واقف بين يدي الله عز وجل فقلت : ما فعل بك ربك ؟ قال : غفر لي .  
 قلت : بماذا ؟ قال : بقليل من السنة أحيينها . قلت : فما صنع هنا ؟ قال : أنظر ابن عمي أخاه  
 إلى الله الحليم العظيم الكريم

وذكرنا قرياً كيفية قتله وأنه قتل في ليلة الأربعاء أول الليل لأربع خلعت من شوال من هذه  
 السنة — أثنى سنة سبع وأربعين ومائتين — بالتوكلية وهي للمعزية ، وحلى عليه يوم الأربعاء ،

ودفن بالجفرية وله من العمر أربعون سنة، وكانت مدة خلافته أربع عشرة سنة وعشرة أشهر وثلاثة أيام . وكان أسمر حسن العينين نحيف الجسم خفيف المراضين أقرب إلى القصر وألفه سبحانه أعلم .

### ( خلافة محمد المنتصر بن المتوكل )

قد تقدم أنه تمالأ هو وجاعة من الأشرار على قتل أبيه ، وحين قتل بويح له بالخلافة في أهيل ، فلما كان الصباح من يوم الأربعاء رابع شوال أخذت له البيعة من العامة وبثت إلى أخيه المعتز فأحضره إليه فبايعه المعتز ، وقد كان المعتز هو ولي العهد من بعد أبيه ، ولكنه أكرهه وخلف فلم وبايع . فلما أخذت البيعة له كان أول ما تكلم به أنه اتهم الفتنح بن خافن على قتل أبيه ، وقتل الفتنح أيضاً ، ثم بث البيعة له إلى الآفاق . وفي ثاني يوم من خلافته ولى المظالم لأبي عمرة أحمد ابن سعيد مولى بني هاشم فقال الشاعر :

يا ضيعة الاسلام لما ولى • مظالم الناس أبو عمره

صير مأمونا على أمة • وليس مأمونا على بمره

وكانت البيعة له بالمتوكلية ، وهي المأخوذة ، فأقام بها عشرة أيام ثم تحول هو وجميع قواده وحشمه منها إلى سامرا . وفيها في ذي الحجة أخرج المنتصر عمه علي بن المصنم من سامرا إلى بغداد وكل به . وحج بالناس محمد بن سليمان الزينبي . وفيها توفي من الأعيان إبراهيم بن سعيد الجوهري . وسفيان بن وكيع بن الجراح ، وسلفه بن شبيب .

### ( وأبو عثمان المازني النحوي )

واسمه بكر بن محمد بن عثمان البصري شيخ النحاة في زمانه ، أخذ عنه أبي عبيدة والاصمعي وأبي زيد الأنصاري وغيرهم ، وأخذ عنه أبو العباس المبرد وأكثر عنه ، ولهما زاني مصنفات كثيرة في هذا الشأن . وكان شديداً بالفتها وورعاً زاهداً ثقة مأموناً . روى عنه المبرد أن رجلاً من أهل القمة طلب منه أن يقرأ عليه كتاب سيبويه ويعطيه مائة دينار فامتنع من ذلك . فلهذا بعض الناس في ذلك فقال : إنما تركت أخذ الأجرة عليه لما فيه من آيات الله تعالى . فاتفق بعد هذا أن جارية فنتت بمحضرة الواثق : اظلم إن مصابكم رجلاً • رد السلام تحية ظلم

فاختلفت من بمحضرة الواثق في إعراب هذا البيت ، وهل يكون رجلاً مرفوعاً أو منصوباً ، وبم نصب ؟ أو هاسم أو ماذا ؟ وأصرت الجارية على أن المازني حفظها هذا هكذا . قال فأرسل الخليفة إليه ، فلما مثل بين يديه قال له : أنت المازني ؟ قال : نعم . قال من مازن تميم أم من مازن ربيعة أم مازن قيس ؟ فقلت من مازن ربيعة . فأخذ يكلمني بلنتي ، فقال : يا سمك ؟ وم يقلبون الباء ميأ والميم باء ، فكرهت أن أقول مكر فقلت : بكر ، فأعجبه إعراضه عن المكر إلى البكر ، وعرف ما أردت .

قال : على م انتصب رجلاً ٢ قتل : لأنه معمول المصدر بمصائبكم فأخذ يزيدى يمارضه فعلا .  
المأزى بلحبة فأطلق له الخليفة ألف دينار ووجه إلى أهله مكرماً . فمضى الله عن المائة الدينار . لما  
تركها الله سبحانه ولم يمكن الأذى من قراءة الكتاب لأجل ما فيه من القرآن . ألف دينار عشرة  
أنشأها . روى المبرد عنه قال : أقرأت رجلاً كتاب سيبويه إلى آخره ، فلما انتهى إلى آخره قال  
لى : أما أنت أيها الشيخ فجزاك الله خيراً ، وأما أنا فوالله ما فهمت منه حرفاً . توفي المأزى في هذه  
السنة وقيل في سنة ثمان وأربعين .

( ثم دخلت سنة ثمان وأربعين ومائتين )

فيها أغزى المنتصر وصيفاً التركى الصائفة لقنال الروم ، وذلك أن ملك الروم قصد بلاد الشام ،  
فشد ذلك جهاز المنتصر وصيفاً وجهازه نفقات وعددا كثيرة ، وأمره إذا فرغ من قتال الروم أن  
يقم بالنشر أربع سنين ، وكتب له إلى محمد بن عبد الله بن طاهر نائب العراق كتاباً عظيماً فيه آيات  
كثيرة في التحريض للناس على القتال والترغيب فيه . وفي ليلة السبت لسبع بقين من صفر خلع  
أبو عبد الله المعتز والمؤيد إبراهيم أنفسهما من الخلافة ، وأشهدا عليهما بذلك ، وأنها طعنان عن  
الخلافة ، والمسلمين في حل من بينهما ، وذلك بعد ما نهدهما أخوهما المنتصر وتوعدهما بالقتل إن لم  
يخلا ذلك ، ومقصوده تولية ابنه عبد الوهاب بإشارة أمراء الأتراك بذلك . وخطب بذلك على  
رؤس الأشهاد بمحضرة التواد والقضاة وأعيان الناس والعوام ، وكتب بذلك إلى الأتراك ليعلموا بذلك  
ويخطبوا له بذلك على المنابر ، ويتوالى على محال الكتابة ، والله غالب على أمره ، فأراد أن يسلبها  
الملك ويجهله وفيه ، والأقدار تكذبه وتغالفه ، وذلك أنه لم يستكمل بعد قتل أبيه سوى ستة  
أشهر ، ففي أواخر صفر من هذه السنة عرضت له دلة كان فيها حقه ، وقد كان المنتصر رأى في منامه  
كأنه يصد سماً فبلغ إلى آخر خمس وعشرين درجة . فقصها على بعض المعبرين فقال : تلى خساً  
وعشرين سنة الخلافة ، وإذا هي مدة عمره قد استكملها في هذه السنة . وقال بعضهم : دخلنا عليه  
مراً فذا هو يبكي ويتعجب شديداً ، فسأله بعض أصحابه عن بكاكه فقال : رأيت أبى المتوكل في  
منامى هذا وهو يقول : ويحك يا محمد قتلني وظلمتني وغصبني خلافتي ، والله لا أمتنع بها بصدى  
إلا أيلماً بسيرة ثم مصيرك إلى النار . قال : فما أملك عيني ولا جزعى . فقال له أصحابه من الفرارين  
الذين ينفرون الناس ويقتلونهم : هذه رؤيا وهى تصدق وتكذب ، قم بنا إلى الشراب لينهب  
ملك وحزرك . فأمر بالشراب فأحضر وجاء ندماءؤه فأخذ في الخمر وهو منكسر الحمة ، وما زال كذلك  
مكسوراً حتى مات .

وقد اختلفوا في علته التي كان فيها هلاكه ، قيل داء في رأسه قطر في أذنه حتى فسد

إلى دماغه عوجل بالموت ، وقيل بل ورمت معدته فانتهى الورم إلى قلبه فأت ، وقيل بل أصابته  
ذئبة فاستمرت به عشرة أيام فأت ، وقيل بل فصد الحجام بمقصده مسوم فأت من يومه . قال ابن  
جرير : أخبرني بعض أصحابنا أن هذا الحجام رجع إلى منزله وهو محموم فدعا تلميذا له حتى يفضده  
فأخذ بمضغ أستاذة فقصده به وهو لا يشعر وأنسى الله سبحانه الحجام فما ذكر حتى رآه قد فصد به  
وتحكم فيه السم ، فأوصى عند ذلك ومات من يومه . وذكر ابن جرير أن أم الخليفة دخلت عليه وهو في  
مرضه الذي مات فيه فقالت له : كيف حالك ؟ فقال : ذهبت مني الدنيا والآخرة ، ويقال إنه  
أنشد لما أحبط به وأيس من الحياة :

فأفرحت نفسي بدنيا أصبتها • ولكن إلى الرب الكريم أصير

فأت يوم الأحد لحس يقين من ربيع الآخر من هذه السنة ، وقت صلاة العصر ، عن خمس  
وعشرين سنة ، قيل وستة أشهر . ولا خلاف أنه إنما مكث بالخلافة ستة أشهر لا أزيد منها . وذكر  
ابن جرير عن بعض أصحابه أنه لم يزل يسمع الناس يقولون - العامة وغيرهم حين ولي المنتصر - إنه  
لا يمكث في الخلافة سوى ستة أشهر ، وذلك مدة خلافة من قتل أباه لأجلها ، كما مكث شبرويه بن  
كسرى حين قتل أباه لأجل الملك فكذلك وقع ، وقد كان المنتصر أعين أفنى قصيراً مهيباً جيد  
البدن ، وهو أول خليفة من بني المباس أبرز قبره بإشارة أمه حبشية الرومية .  
ومن جيد كلامه قوله : والله ما عز ذو باطل قط ، ولو طلع القمر من جيبه ، ولا ذل ذو حق قط  
ولو أصفى العالم عليه .

بحمد الله تعالى قد تم طبع الجزء العاشر من البداية والنهاية وبليه الجزء الحادي عشر  
وأوله خلافة أحمد المستعين بالله . والله نسأل المعونة والتوفيق .



## فهرس المجلد العاشر من البداية والنهاية

صفحة	مصحفة	صفحة
٢	خلافة الوليد بن يزيد بن عبد الملك الفاسق ٢٥	٢٥
٤	عقد الوليد البيعة لآبائه الحكم ثم عثمان على أن يكونا ولي العهد من بعده . ٢٦	٢٦
٥	وفاة محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ويحيى ابن زيد بن علي بن الحسين رضي الله عنه ٢٨	٢٨
٦	سنة ست وعشرين ومائة . وفيها كان مقتل الوليد بن يزيد - ترجمته - صفته - مقتله - وزوال دولته . ٢٩	٢٩
٧	ما ذكره الطبري في كيفية قتل يزيد بن الوليد الذي يقال له الناقص الوليد بن يزيد الفاسق . ٣٠	٣٠
١١	خلافة يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان ٣١	٣١
١٣	مبايعة أهل فلسطين يزيد بن سليمان بن عبد الملك . ٣٢	٣٢
١٣	خطبة يزيد بن الوليد في أهل دمشق ٣٤	٣٤
١٤	أعمال يزيد بن الوليد من المنزل والتولية ٣٥	٣٥
١٦	وفاة يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان وترجمته رحمه الله . ٣٧	٣٧
١٧	وفاة خالد بن عبد الله بن يزيد ٣٨	٣٨
٢١	سنة سبع وعشرين ومائة . وما فيها من الأعمال . وفي مسهلها كان الخليفة إبراهيم ابن الوليد بن عبد الملك بوصية أخيه يزيد الناقص . ٣٩	٣٩
٢٢	دخول مروان الحار دمشق وولايته الخلافة وعزل إبراهيم بن الوليد عنها ٤٠	٤٠
٢٥	خروج الضحاك بن قيس الشيباني على الخليفة وسبب خروجه . ٤٦	٤٦
	اجتماع جماعة من الدعوة إلى بني العباس عند إبراهيم بن محمد الامام .	
	سنة ثمان وعشرين ومائة . وفيها كان مقتل الحارث بن سريج وسبب قتله .	
	قتل الضحاك بن قيس الخارجي وسبب قتله من توفي في هذه السنة .	
	سنة تسع وعشرين ومائة . وفيها كان اجتماع الخوارج على شيكان بن عبد العزيز البشكري الخارجي .	
	أول ظهور أبي مسلم الخراساني داعيا إلى بني العباس .	
	تقلب خازم بن خزيمة على مرو الروذ وقتل علمها .	
	نشوب الحرب بين نصر بن مسيار وابن الكرماني ، ومقتل ابن الكرماني سنة ثلاثين ومائة	
	مقتل شيكان بن سلة الحاروري من توفي من الأعيان في هذه السنة	
	سنة إحدى وثلاثين ومائة وما فيها من الأحداث والأعمال	
	سنة ثنتين وثلاثين ومائة	
	مقتل إبراهيم بن محمد الامام أخى السفاح ( خلافة أبي العباس السفاح ) أول خليفة من خلفاء الدولة العباسية	
	ذكر مقتل مروان بن محمد بن مروان صفته مقتل مروان	
	شيء من ترجمة مروان الحار	

مصحفة	مصحفة
٤٨	ذكر ما ورد في اقتضاء دولة بني أمية
٧٥	وابتداء دولة بني العباس من الأخبار
٥٠	التيزية وغيرها.
٥٢	ذكر استقرار أبي العباس السفاح واستقلاله
	بالخلافة وما اعتمده في أيامه من السيرة
	الحسنة
٥٦	من توفي من الأعيان في هذه السنة
٥٦	سنة ثلاث وثلاثين ومائة
٥٠	سنة أربع وثلاثين ومائة
٥٧	سنة خمس وثلاثين ومائة
٥٠	سنة ست وثلاثين ومائة
٥٨	وفاة أبي العباس السفاح وترجمته
٦٧	خلافة أبي جعفر المنصور
	سنة سبع وثلاثين ومائة
	وفيها كان خروج عبد الله بن علي بن
	عبد الله بن عباس على ابن أخيه المنصور
٦٣	غضب أبي جعفر المنصور على أبي مسلم
	الخراساني وقتله إياه . وما دار بينهما من
	الحديث ، وكيف قتل .
٦٧	ترجمة أبي مسلم الخراساني مؤسس الدولة
	العباسية .
٧٣	وفي هذه السنة خرج سفيان يطالب بهم
	أبي مسلم الخراساني .
٧٣	سنة ثمان وثلاثين ومائة . وما فيها من
	الأحداث والحروب وغير ذلك .
٧٤	خلافة الفاضل من بني أمية إلى بلاد
	الأندلس وهو عبد الرحمن بن معاوية بن
	هشام بن عبد الملك بن مروان
٧٤	سنة تسع وثلاثين ومائة
	وفيها وسع المنصور المسجد الحرام
	سنة أربعين ومائة
	سنة إحدى وأربعين ومائة
	خروج طائفة يقال لها أراوندية على خليفة
	المسلمين وخروج المنصور إليهم بنفسه
	ونصره عليهم
٧٦	مبايعة أبي جعفر المنصور بولاية العهد من
	بعد لابنه عبد المهدى
٧٧	سنة ثنتين وأربعين ومائة
	وفيها خلع عيينة بن موسى نائب السند على خليفة
٧٨	وفاة عمرو بن عبدة القدرى وذكر ترجمته
٨٠	سنة ثلاث وأربعين ومائة
٥٠	سنة أربع وأربعين ومائة وفيها :
٥٠	حبس أبو جعفر آل الحسن بن علي بن
	أبي طالب رضي الله عنهم لخروج محمد
	وإبراهيم ابني عبد الله بن الحسن
٨١	سنة خمس وأربعين ومائة . وفيها كان
	قتل آل حسن بن الحسن وفي أرجلهم
	القيود من حبس المدينة إلى حبس العراق
	فصل في ذكر مقتل محمد بن عبد الله
	ابن الحسن
٨٧	ذكر خروج أخيه إبراهيم بن عبد الله بن
	الحسن بالبصرة
٩١	ذكر خروج إبراهيم بن عبد الله بن الحسن
	بالبصرة وكيف قتل
٩٥	ذكر من توفي من الأعيان من آل البيت
	في هذه السنة منهم عبد الله بن حسن بن
	حسن بن علي بن أبي طالب . وأخوه حسن
	ابن حسن . وأخوه لأمه عبد الله الملقب



مصحف	مصحف
٩٦ قتل ابن المقفع وكيفيته	١١٤ وفاة حماد الراوية وترجمته
٩٦ سنة ست وأربعين ومائة . وفيها تكامل	١١٥ قتل حماد عمرد على الزندقة وترجمته
٩٨ السبب الباعث لأبي جعفر المنصور على بنائها	١١٩ وعظ للأوزاعي لأبي جعفر المنصور حين دخل الشام
٩٩ خطط وتقسيم ومحتويات مدينة السلام	١٢٠ اختلاف المؤرخين في سنة وفاته واتفاقهم على أنه مات ببغروت
١٠١ ذكر ما ورد في مدينة بغداد من الآثار	١٢٠ سنة ثمان وخمسين ومائة . وفيها تكامل بناء قصر الخلد
١٠٢ والتنبية على ضعف ما روي فيها من الأخبار	١٢١ وفاة أبي جعفر المنصور وترجمته
١٠٣ روى في ذلك عن الأئمة	١٢٨ أولاد المنصور
١٠٣ سنة سبع وأربعين ومائة .	١٢٩ خلافة المهدي بن المنصور
١٠٤ هلك عبد الله بن علي عم المنصور وذكر	١٣٠ سنة تسع وخمسين ومائة وفيها بنى المهدي مسجد الرصافة وخدمتها .
١٠٥ شئ من ترجمته	١٣٠ سنة تسعين ومائة من الهجرة . وفيها كان خروج اسناد سبب الكفر في خراسان
١٠٥ سنة ثمان وأربعين ومائة	١٣١ وفاة الامام الأعظم أبي حنيفة ثابت بن
١٠٥ سنة تسع وأربعين ومائة	١٣٣ النعمان رحمه الله وشئ من ترجمته
١٠٦ سنة تسعين ومائة من الهجرة . وفيها كان	١٣٤ سنة إحدى وخمسين ومائة
خروج اسناد سبب الكفر في خراسان	١٣٥ بناء الرصافة
١٠٧ وفاة الامام الأعظم أبي حنيفة ثابت بن	١٣٥ سنة ثنتين وخمسين ومائة
النعمان رحمه الله وشئ من ترجمته	١٣٥ وفيها كانت وفاة إبراهيم بن الأدهم أحد مشاهير المباد والزهاد
١٠٨ سنة إحدى وخمسين ومائة	١٤٥ سنة ثلاث وستين ومائة
١٠٩ بناء الرصافة	١٤٦ سنة أربع وستين ومائة
١١٠ سنة ثنتين وخمسين ومائة	١٤٧ سنة خمس وستين ومائة
١١٠ خروج كثير من انطوارج الصفريفة وغيرهم	١٤٧ سنة ست وستين ومائة
١١١ سنة أربع وخمسين ومائة	١٤٩ سنة سبع وستين ومائة
١١١ وفاة أشعث الطالع	
١١٣ ثم دخلت سنة خمس وخمسين ومائة	
١١٣ بناء الرافقة وهي المدينة المشهورة	

صفحة	مصحفة
١٥٠	سنة ثمان وستين ومائة
١٥١	سنة تسع وستين ومائة . وفيها كانت وفاة
١٥٧	المهدي بن منصور وترجمته .
١٥٨	خليفة موسى الهادي بن المهدي
١٥٩	سنة سبعين ومائة . وفيها كانت وفاته موسى الهادي
١٦٠	شيء من ترجمة موسى الهادي
١٦٢	سنة ثلاث وسبعين ومائة
١٦٣	سنة أربع وسبعين ومائة
١٦٤	سنة خمس وسبعين ومائة
١٦٥	سنة ست وسبعين ومائة
١٦٦	سنة سبع وسبعين ومائة
١٦٧	سنة ثمان وسبعين ومائة
١٦٨	سنة تسع وسبعين ومائة
١٦٩	سنة ثلاث وسبعين ومائة ومن توفي فيها من مشاهير الأعيان
١٧٠	سنة أربع وسبعين ومائة
١٧١	سنة خمس وسبعين ومائة
١٧٢	سنة ست وسبعين ومائة
١٧٣	سنة سبع وسبعين ومائة
١٧٤	سنة ثمان وسبعين ومائة
١٧٥	سنة تسع وسبعين ومائة
١٧٦	سنة ثلاث وسبعين ومائة ومن توفي فيها من مشاهير الأعيان
١٧٧	سنة أربع وسبعين ومائة
١٧٨	سنة خمس وسبعين ومائة
١٧٩	سنة ست وسبعين ومائة
١٨٠	سنة سبع وسبعين ومائة
١٨١	سنة ثمان وسبعين ومائة
١٨٢	سنة تسع وسبعين ومائة
١٨٣	سنة ثلاث وسبعين ومائة . وفيها كانت وفاة
١٨٤	موسى بن جعفر الكاظم
١٨٥	سنة أربع وسبعين ومائة . وفيها كانت وفاة

صحيفة	صحيفة
٢٦٥ سنة إحدى عشرة ومائتين . وفيها توفى أبو السناحية الشاعر	هارون الرشيد
٢٦٦ سنة ثلث عشرة ومائتين	٢٣٨ سنة سبع وتسعين ومائة
٢٦٧ سنة ثلاث عشرة ومائتين . وفيها توفى الموكك الشاعر	٢٤٠ سنة ثمان وتسعين ومائة . وفيها قتل محمد الأمين الخليفة
٢٦٨ سنة أربع عشرة ومائتين	٢٤١ ترجمة الخليفة محمد الأمين بن هارون
٢٦٩ سنة خمس عشرة ومائتين	٢٤٤ خلافة عبد الله المأمون بن هارون
٢٧٠ سنة ست عشرة ومائتين	٠٠٠ سنة تسع وتسعين ومائة
٢٧١ وفاة زبيدة امرأة هارون الرشيد وبنت عمه	٢٤٥ سنة مائتين من الهجرة النبوية .
٠٠٠ سنة سبع عشرة ومائتين	٢٤٧ سنة إحدى ومائتين . وفيها كانت بيعة أهل بغداد لأبراهيم بن المهدي لما بايع المأمون
٢٧٢ سنة ثمان عشرة ومائتين	لعل الرضى بالخلافة من بعده
٠٠٠ ذكر أول الهبة والفتنة	٢٤٨ سنة ثنتين ومائتين . وفيها تزوج المأمون بيوران بنت الحسن بن سهل
٢٧٣ فصل في كيفية امتحان الناس في القول بخلق القرآن الخ	٢٤٩ سنة ثلاث ومائتين . وخلع أهل بغداد إبراهيم بن المهدي ودعا لهم للمأمون
٢٧٤ وفاة الخليفة المأمون وترجمته	٢٥٠ سنة أربع ومائتين . وفيها توفى الامام أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي
٢٨٠ خلافة المعتصم بالله بن هارون	٢٥١ ترجمة الامام الشافعي
٢٨١ وفاة بشر بن غياث المريسي شيخ المعتزلة	٢٥٥ سنة خمس ومائتين . وفيها توفى أبو سليمان الهاراني
٢٨٢ سنة سبع عشرة ومائتين	٢٥٩ سنة ست ومائتين
٠٠٠ سنة عشرين ومائتين	٠٠٠ سنة سبع ومائتين . وفيها كانت وفاة طاهر
٢٨٣ سنة إحدى وعشرين ومائتين	٢٨٦ فتح عمورية على يد المعتصم الخليفة
٠٠٠ سنة ثنتين وعشرين ومائتين	٢٨٨ ذكر مقتل العباس بن المأمون
٢٨٤ سنة ثلاث وعشرين ومائتين	٢٩١ سنة أربع وعشرين ومائتين
٢٨٦ وفاة عمورية على يد المعتصم الخليفة	٢٩٢ سنة خمس وعشرين ومائتين
٢٨٨ ذكر مقتل العباس بن المأمون	٢٩٣ سنة ست وعشرين ومائتين
٢٨٩ سنة أربع وعشرين ومائتين	٢٩٤ وفاة أبي دلف السجلي
٢٩١ وفاة أبي عبيد القاسم بن سلام	
٢٩٢ سنة خمس وعشرين ومائتين	
٢٩٣ سنة ست وعشرين ومائتين	
٢٩٤ وفاة أبي دلف السجلي	
	٢٦٥ عرس بيوران بنت الحسن بن سهل والفقو عن إبراهيم بن المهدي

صفحة	صفحة
٢٩٥	سنة سبع وعشرين ومائتين .
٠٠٠	وفاة الخليفة المنصور وترجمته
٢٩٧	خلافة هارون الواثق بن المنصور
٠٠٠	وفاة بشر الحافي الزاهد وترجمته
٢٩٩	سنة ثمان وعشرين ومائتين . وفيها توفى
	أبو تمام الطائي الشاعر
٣٠١	سنة تسع وعشرين ومائتين
٣٠٢	سنة ثلاثين ومائتين
٣٠٣	سنة إحدى وثلاثين ومائتين . وفيها كان
	حس وضرب من لم يقل من الأئمة والطهارة
	بخلق القرآن واشتداد أمر الفتنة
٣٠٨	سنة ثنتين وثلاثين ومائتين وفاة الخليفة
	الواثق بن المنصور وترجمته
٣١٠	خلافة المتوكل على الله جعفر بن المنصور
٣١١	سنة ثلاث وثلاثين ومائتين
٣١٢	سنة أربع وثلاثين ومائتين
٣١٣	سنة خمس وثلاثين ومائتين
٣١٥	سنة ستة وثلاثين ومائتين
٠٠٠	سنة سبع وثلاثين ومائتين
٣١٧	سنة ثمان وثلاثين ومائتين
٠٠٠	سنة تسع وثلاثين ومائتين
٣١٨	وفاة أحمد بن حنبل الانطاكي
٣١٩	سنة أربعين ومائتين .
٣١٩	وفاة أحمد بن أبي ذؤاد وترجمته
٣٣٣	وفاة سحنون المالكي صاحب المدونة
٠٠٠	سنة إحدى وأربعين ومائتين
٣٢٥	وفاة الامام أحمد بن حنبل وترجمته
٣٢٨	فصل في وبع الامام أحمد وتشمه وزعمه
٣٣٠	ما جاء في محنته رضى الله عنه
٣٣١	ملخص الفتنة والحنة
٣٣٢	ذكر ضربه رضى الله عنه بين يدي المنصور
٣٣٥	ذكر تناء الأئمة على الامام أحمد
٣٣٧	ذكر ما كان من أمر الامام أحمد بعد الحنة
	ذكر وفاة الامام أحمد
٣٤٠	ذكر ما روى له من المناقب الصالحة وما
٣٤٢	رأى هو لنفسه
٣٤٣	سنة ثنتين وأربعين ومائتين
٠٠٠	ومن حوادثها وقوع زلازل هائلة في البلاد
٣٤٤	وفاة أبي حسان الزياتي . وأبي مصعب
	الزهري أحد رواة الموطأ
٠٠٠	سنة ثلاث وأربعين ومائتين . وعين توفى
٣٤٥	فيها من الأعيان إبراهيم بن العباس
٣٤٦	سنة أربع وأربعين ومائتين وحوادثها
٣٤٧	سنة خمس وأربعين ومائتين وحوادثها
٣٤٧	سنة ست وأربعين ومائتين
٣٤٩	سنة سبع وأربعين ومائتين وترجمة المتوكل
	على الله الخليفة
٣٥٢	خلافة محمد المنتصر بن المتوكل .
٣٥٣	سنة ثمان وأربعين ومائتين . وفيها توفى
	المنتصر







